

الوسيلة للأدب

إلى العلوم العربية

تأليف

الدكتور القوي الناقد الأدبي

جُسيين بن أحمد بن جُسيين المرصفي

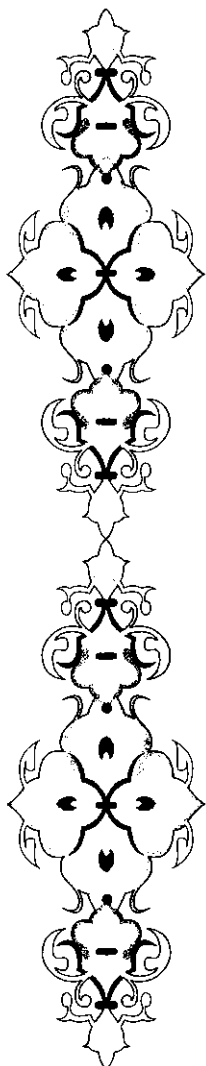
مدرّس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الحديثية المصرية

رحمة الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

المجلد الأول

دار الحديثية



الوسيلة للإتقان
إلى العلوم العربية



الوسيلة إلى بيت

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمة الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميله الأحمد



الطبعة الأولى
٢٠١٩ هـ - ١٤٤٠
جميع الحقوق محفوظة للنّاشِر

عدد الأجزاء: (٢)	اسم الكتاب: الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية
عدد المجلدات: (٤)	المؤلف: العلامة حسين المرصفي (ت ١٣٠٧ هـ)
نوع الورق: شاموا فاخر	الإعداد: مركز دار المهّاج للدراسات
نوع التجليد: مجلّد كرتوناچ	موضوع الكتاب: لغة وأدب
عدد الصفحات: (٢٠٨٠ صفحة)	مقاس الكتاب: (٢٥ سم)
عدد ألوان الطباعة: لوان	تصنيف ديوي الموضوعي: (٨١١)

التصميم والإخراج: مركز المهّاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكلٍ من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



9 78 9953 541 97 6

الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6



دار المنهاج

لبنان - بيروت

هاتف: 05 806906 - فاكس: 05 813906

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمير ستالم بايجخيف
وَقَفَّهُ اللهُ تَعَالَى

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع الملك فهد - جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 00966 12 6326666

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص. ب 22943 - جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6510421.6570628

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838. فاكس 5473939

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5273037.5570506

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666. فاكس 8383226

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424. فاكس 2011913

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000. فاكس 4656363

الدمام

مكتبة المتنبّي

هاتف 8344946. فاكس 8432794

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706. فاكس 4937130

عرعر

مكتبة المتنبّي العلمية

هاتف 6628586

الطائف

مكتبة أم هاني

هاتف 7320809

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية

دولة قطر

مكتبة الثقافة - الدوحة

هاتف 44421132. فاكس 44421131

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة - حضرموت

هاتف 417130. فاكس 418130

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع - أبوظبي

هاتف 5593007. فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري - دبي

هاتف 2977766. فاكس 2975556

جمهورية مصر العربية

دار السلام - القاهرة

هاتف 22741578. فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز - القاهرة

هاتف 25060822. جوال 0122107253

المملكة المغربية

دار الأمان - الرباط

هاتف 0537723276. فاكس 0537200055

الدار العالمية - الدار البيضاء

هاتف 052282882. فاكس 052283354

دولة الكويت

مكتبة دار البيان - حولي

تلفاكس 22616490. جوال 99521001

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي

هاتف 22658180. فاكس 22658180

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم - بيروت

هاتف 785107. فاكس 786230

مكتبة التمام - بيروت

هاتف 707039. جوال 03662783

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق - المنامة

هاتف 17272204. فاكس 17256936

مكتبة الريان - المنامة

هاتف 0097339247759

الجمهورية العربية السورية

دار السنابل - دمشق

هاتف 0988156620. فاكس 2237960

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس - عمان

هاتف 4653390. فاكس 4653380

جمهورية الجزائر

دار المشرق والمغرب - الجزائر

هاتف 0780380501. فاكس 0559380141

جمهورية العراق

مكتبة دار الميثاق - الموصل

هاتف 7704116177. فاكس 7481732016

جمهورية تشاد

مكتبة الشيخ التيجاني - أنجامينا
هاتف 0023599978036

ماليزيا

مكتبة نوء كنالي - كوالا لمبور
هاتف 00601115726830

الهند

مكتبة الشباب العلمية - لكنهو
هاتف 00919198621671

بنغلادش

مكتبة الحسن - دكا
هاتف 008801675399119

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد - إستانبول
هاتف 02126381633 فاكس 02126381700

إنكلترا

دار مكة العالمية - برمنجهام
هاتف 01217739309 جوال 07533177345
فاكس 01217723600

أستراليا

المكتبة الإسلامية
هاتف 0061297584040

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر - مقديشو
هاتف 002525911310

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية - سوروبايا
هاتف 0062313522971 جوال 00623160222020

جمهورية داغستان

مكتبة دار الرسالة - محج قلعة
هاتف 0079285708188

مكتبة نور الإسلام - محج قلعة

هاتف 0079882124001
هاتف 0079887730306

جمهورية جنوب أفريقيا

دار الإمام البخاري
هاتف 0027114210824

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا - باريس
هاتف 0148052997 فاكس 0148052928

الولايات المتحدة الأمريكية

مكتبة الإمام الشافعي - جورجيا
هاتف 0017036723653



فيرجن وفروعها في العالم العربي

جميع إصداراتنا متوافرة على

 **Furat**
Furat.com

موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية
www.furat.com

 **نيل وفرات.كوم**
www.nwf.com

موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب
www.nwf.com

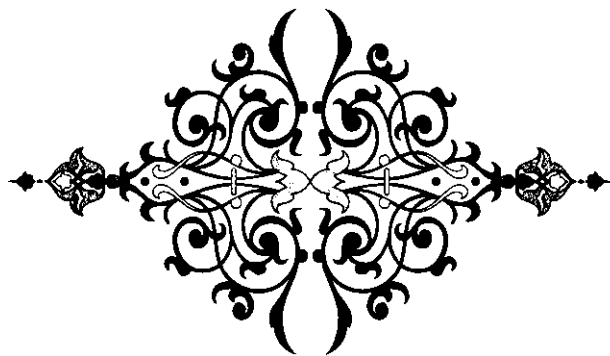
قالواني «الوسيلة الأدبية»

الكتاب الأول الذي راض خيال شوقي، وصقل طبعه
وصحَّ نشأته الأدبية. هو بعينه الذي كانت منه بصيرة حافظ
أي: كتاب «الوسيلة الأدبية» للمصطفى

مصطفى صادق الرافعي

«الوسيلة الأدبية» أنشأت أكثر من شوقي وحافظ
وبعثت الشعر من مرقد
وأحيت للأدب العربي دولةً جديدةً

الأمير شكيب أرسلان



قالوا في العلامه المصنفي

بلوتُ ضروبَ الناسِ طراً فلم يكن
سوى المصنفي الحجزِ في الناسِ كاملُ
همامُ أراني الدهرَ في طيِّ بُردِهِ
وفضني حتى أتفتني الأماثلُ
أخ حين لا يسبقني أخٌ، ومجايلُ
إذا قلَّ عند التائبِ المجايلُ
بعيدُ مجالِ الفكرِ لو خالَ خيلاً
أراكَ بظهِرِ الغيبِ ما الدهرُ فاعلُ
طرحْتُ بني الأيامِ لما عرفتُ
وما الناسُ عند البحثِ إلا مخايلُ

فلو سامني ما يوردُ النفسَ حُفْرًا
لأوردتها.. واحبُّ للنفسِ قائلُ
فلا برحتُ مني إليه تحيةُ
ثنا قلها عني الصَّحِي والاصائلُ
ولا زال غَضُّ العُمِّ مَمْنَعُ الذُّرَا
مَرِجَ الفَنَّا تُطَوِي إِلَيْهِ المَراحِلُ

محمود سامي البارودي

إن أستاذي الوحيد الذي أعد نفسي مديناً له
هو الشيخ حسين المرصفي

أحمد سوقي

طليعة الكتاب

بِقلمه

فضيلة الإمام الأكبر أ. د أحمد الطيب
شيخ الأزهر، رئيس مجلس حكماء المسلمين

لهذا السفر الجليل قصّةٌ يحسُنُ تسجيلها في هذه التّقدمة ؛ وهي أنّي أثناء دراستي بكلية أصول الدّين كنتُ أهرب - بينَ الحين والآخر - من القراءة المفروضة في المقرّرات الدّراسيّة من علوم التّقل والعقل إلى قراءة حُرّة لها طعمٌ مختلفٌ ومذاقٌ خاصٌّ ؛ وهي القراءةُ في كتب الأدب نثراً وشعراً ، بقدر ما يتّسعُ له الوقت ، وحسبما نمتلكُه من هذه الكتب التي كنّا نعدّلُ في قسمة (المصروف) بينها وبين التّفقات الضّروريّة ؛ من إيجارٍ ومأكليٍّ ومشربٍ وملبسٍ . وكانت مؤلّفاتُ عميد الأدب العربي الدكتور/ طه حسين من أحبِّ الكتب إلى قلبي ، وكنتُ أجدُّ في قراءتها متعةً للذوق والشّعور ، وتأثيراً ملموساً في ترقية أفكارنا ، وانفتاح وعينا على تجارب الحياة بكلِّ ما تضطرب به من آمالٍ وآلامٍ ، ومن دموعٍ وابتساماتٍ ، وعبرٍ وعِظَاتٍ ، ومع أن كتاباته كانت تجنّحُ - في بعض المواطن - إلى شيءٍ من النّقد السّاخِر لمناهج تدريس الأدب في الأزهر الشّريف مرّةً ، وفي دار العلوم مرّةً أُخرى ، ومدرسة القضاء الشرعي مرّةً ثالثةً ، إلّا أنّ هذه الكتابات لم تُكنْ لثثيرَ في نفوسنا - نحنُ أبناء الأزهر - شيئاً من الحفيظة يُعبّرُ على الشّغف بهذا الأسلوب الرّشيق الذي كنّا نحارُّ في وصفه : هل هو شعرٌ منشورٌ ، أو نثرٌ منظومٌ ، أو هو فنٌّ مبتكرٌ من فنون القول ، لا هو هذا ولا هو ذاك .

وكان كتابه : « في الأدب الجاهلي » في مقدّمة ما حرصتُ على قراءته ؛ لِمَا

ثَارَ حَوْلَ أَصْلِهِ الْمَسْمَى : « الشَّعْرُ الْجَاهِلِي » مِنْ ضَجَّةٍ فِكْرِيَّةٍ ، مُزَجَّتْ مِنْ جَدَلٍ دِينِيٍّ وَأَخْرَجَ أَدَبِيٍّ فِي قِصَّةٍ قَدِيمَةٍ مَعْرُوفَةٍ ، وَقَدْ لَفَّتْ هَذَا الْكِتَابُ أَنْظَارَنَا - نَحْنُ الطُّلَابُ - وَفِي صَفْحَتِهِ الْأُولَى إِلَى تَلْخِيصِ دَرَاةٍ مَذَاهِبِ الْأَدَبِ فِي مِصْرَ عَلَيِّ عَهْدِهِ ، وَكَيْفَ أَنَّهَا انْحَصَرَتْ فِي مَذَهَبَيْنِ : مَذَهَبِ الْقَدَمَاءِ فِي أَرْوَقَةِ الْأَزْهَرِ ، وَالْمَذَهَبِ الْأُورْبِيِّ الَّذِي اسْتَحْدَثَهُ الْمُسْتَشْرِقُ الْإِيطَالِي (نَلِينُو) فِي الْجَامِعَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ مِنْ زَمَلَانِهِ الْمُسْتَشْرِقِينَ ، وَقَدْ تَوَلَّى تَدْرِيسَ الْأَدَبِ عَلَيَّ طَرِيقَةَ الْقَدَمَاءِ الشَّيْخِ (سَيِّدِ الْمَرْصُفِيِّ) ، وَاضْطَلَعَ فِيهِ بِشَرْحِ أُمَّهَاتِ كُتُبِ الْأَدَبِ وَالنَّقْدِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ مِثْلَ : « دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ » ، وَكِتَابِ « الْأَمَالِيِّ » ، وَكِتَابِ « الْكَامِلِ » لِلْمَبْرَدِ .

وَقَدْ أَثَارَتْ كَلِمَاتُ الدُّكْتُورِ طَلْحَةَ حَسِينِ عَنِ شَرْحِ كِتَابِ « الْكَامِلِ » لِلشَّيْخِ سَيِّدِ الْمَرْصُفِيِّ ضَمِنَ كِتَابَهُ « فِي الْأَدَبِ الْجَاهِلِيِّ » ، وَكُتِبَ أُخْرَى رَغْبَةً عَارِمَةً فِي الْبَحْثِ عَنِ الْكِتَابِ ؛ لِلاِسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَيَّ تَلْمُؤْسِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ لِقِرَاءَةِ آدَابِنَا الْعَرَبِيَّةِ ، وَالذُّرْبَةِ عَلَيَّ فَهَمَهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ سَرَعَانَ مَا رَغِبْتُ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ حِينَ نَصَحَنِي أَحَدُ الْخَبْرَاءِ مِنَ الْوَرَّاقِينَ بِأَنَّ كِتَابَ « الْوَسِيلَةَ الْأَدَبِيَّةَ » لِلشَّيْخِ الْأَزْهَرِيِّ الْعَبْقَرِيِّ حَسِينِ الْمَرْصُفِيِّ . . أَنْسَبَ وَأَسْرَعَ فِي تَكْوِينِ مَلَكَةِ الطُّلَّابِ الْجَامِعِيِّ الْأَدَبِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ مِنْ كِتَابِ « رَغْبَةُ الْأَمَلِ مِنْ كِتَابِ الْكَامِلِ » لِلشَّيْخِ سَيِّدِ بَنِ عَلِيِّ الْمَرْصُفِيِّ (١) .

وَهَلْكَذَا اسْتَبَدَلْتُ الْبَحْثَ عَنِ كِتَابِ : « رَغْبَةُ الْأَمَلِ » بِالْبَحْثِ عَنِ كِتَابِ « الْوَسِيلَةَ الْأَدَبِيَّةَ » لِلشَّيْخِ حَسِينِ الْمَرْصُفِيِّ عِنْدَ الْوَرَّاقِينَ فِي حَيِّ الْأَزْهَرِ ، وَمِنْطَقَةِ مَسْتَشْفَى أَحْمَدِ مَاهِرٍ ، وَحَيِّ السَّيِّدَةِ زَيْنَبٍ ، وَلَكِنْ بَدَأَ لِي وَاضِحاً - بَعْدَ طَوْلِ بَحْثٍ وَطَلْبٍ - : أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمْ تُكْتَبْ لَهُ الشُّهُرَةُ أَوْ الْإِنْتِشَارُ مِثْلَ كُتُبِ أُخْرَى أَدْوَنَ مِنْهُ قِيَمَةً وَأَقْلَ وَزناً ، وَسَرَعَانَ مَا انْقَطَعَ الرَّجَاءُ وَغَاضَ .

(١) صَدَرَتْ الطَّبْعَةُ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَنِ مَطْبَعَةِ النَّهْضَةِ بِشَارِعِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمِصْرَ (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م) ، وَأَعَادَتْ نَشْرَهُ آخِرَ دَارِ الذَّخَائِرِ مِصْرَ عَنِ الطَّبْعَةِ الْأُولَى بِدُونِ تَارِيخٍ .

الأمل في اقتناء نسخة منه ، ثم ما لبثت الفكرة أن ارتحلت برؤيتها إلى هامش اللاشعور .

وظل الأمر كذلك حتى فاجأنا الأستاذ المحقق المدقق الدكتور عبد العزيز الدسوقي^(١) بتحقيق الجزء الأول من « الوسيلة الأدبية » ، الذي كان يداعب أحلام كثيرين ممن يعرفون قدر التراث ، وقدّر المتضلعين من حياضه من جهابذة العلم وأساطين الفكر ، وما إن ظهر هذا الجزء في عام (١٩٨٢ م) ، من الهيئة المصرية العامة للكتاب . . حتى تلقفه الناس تلقّف الباحث عن ضالته بعد يأس ونسيان ، وظننّا أيامئذ أنّ أجزاء « الوسيلة » سوف تصدر وتتلاحق تباعاً ، غير أنّه كان علينا أن ننتظر عشرة أعوامٍ أخرى ليصدر الجزء الثاني في عام (١٩٩١ م) ، ثمّ لیسدل ستار الإهمال بعد ذلك على هذا السفر الجليل ، وعلى مؤلفه العلامة الكبير ، ويُهمل ذكرهما في ساحة التعليم والثقافة والفكر والأدب .

إلى أن ساقّت الأقدار رجلاً شاءه الله أن يكون رائداً في كتيبة إنقاذ تراث المسلمين في أيامنا هذه ، ونفض التراب عن محياه المضيء ، وبعثه من مرقد البلى والضبياع ؛ وهو الأستاذ عمر سالم باجخيف ؛ صاحب دار المنهاج بجدة ، التي نشرت أمهات التراث ، ومنها تراث الفقه الشافعي كـ « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين الجويني ، و« النجم الوهاج » للدّميري ، و« البيان » للعمراني ، ومؤلفات الإمام الغزالي وفي مقدّماتها : « إحياء علوم الدّين » وكثير من مؤلفاته الأخرى ورسائله ، وغير ذلك من كنوز التراث الحديثي واللغوي والصوفي .

(١) عبد العزيز الدسوقي (١٣٤٣ - ١٤٣٦ هـ / ١٩٢٥ - ٢٠١٥ م) وُلِد في مركز قويسنا بمحافظة المنوفية ، وكانت نشأته الأولى أزهرية ، حصل على الابتدائية والثانوية الأزهريتين ، وحصل على الدكتوراه في الأدب والنقد من كلية آداب عين شمس ، وهو أوّل رئيس تحرير لمجلة « الثقافة الجديدة » المصرية ، ويُعتبَر من الأدباء والنقاد الذين أثروا الحياة الفكرية الأدبية المصرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين . انظر « من أعلام العصر : كيف عرفنا هؤلاء ؟ » لمحمّد رجب البيومي : (٢٠٥ - ٢١١) .

وكنْتُ أَلْمُسُ فِي النَّاشِرِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَزُورُنِي فِيهَا بِمَشِيخَةِ الْأَزْهَرِ غَيْرَةً نَادِرَةً ،
وعزيمَةً صَادِقَةً ، وإِخْلَاصاً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَجَرُّدًا مُتَعَالِيًا عَلَى الْمَادَّةِ وَظُلْمَاتِهَا .
وقَدْ شَجَّعَنِي شَغْفُهُ بِإِحْيَاءِ التُّرَاثِ عَلَى أَنْ أُطَلَّبَ إِلَيْهِ نَشْرَ « الْوَسِيلَةِ الْأَدَبِيَّةِ »
بِحَسَابِهَا ذَخِيرَةً وَكَنْزًا مِنْ ذَخَائِرِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَكُنُوزِهِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ
وَالْقَرْنِ الْعَشْرِينَ ، وَذَكَرْتُ لَهُ بَعْضًا مِمَّا احْتَفَظْتُ بِهِ الذَّاكِرَةَ عَنْ مَوْلَانِهَا الْعَلَّامَةِ
السَّيِّخِ حَسِينِ الْمَرْصُفِيِّ ، وَالَّذِي يَعْذُو أَدْبَاءَ مِصْرَ وَعُلَمَائِهَا مِنْ أَكْبَرِ رِوَادِ
التَّهْضَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَحَرَكَةِ إِحْيَاءِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، وَتَجْدِيدِهِ ، وَبَعَثَ تَرَاثَهُ وَمِصَادِرَهُ .
وَكَنْتُ أَشْكُ فِي أَنْ يَأْخُذَ الْأَسْتَاذُ عَمْرَ هَذَا الْأَمْرَ مَأْخُذَ الْجِدِّ ؛ فَالْكِتَابُ
مَفْقُودٌ - تَقْرِيْبًا - فِي أَسْوَاقِ الْكُتُبِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا ، وَهُوَ مَجْهُولُ الْقَدْرِ لَدَى
طُلَّابِ الْعِلْمِ وَشَبَابِ الْبَاحِثِينَ ، وَأُسْلُوبُهُ - إِنْ طُبِعَ - غَيْرُ مَأْلُوفٍ وَلَا مَأْنُوسٍ
لَدَيْهِمْ ، وَكُلُّ هَذِهِ « مَثَبَطَاتٌ » لَا تُغْرِي النَّاشِرِينَ بِالْإِقْدَامِ عَلَى طَبْعِ مَرْجِعِ
ضَخْمٍ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، يُوَوِّلُ مَصِيرَهُ إِلَى الْمَخَازِنِ وَرَفُوفِهَا الْمَتْرَبَةِ .

لَكِنْ سَرَعَانَ مَا تَبَدَّدَتْ هَذِهِ الشُّكُوكُ حِينَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ صَدِيقِنَا الْكَرِيمِ
لِإِعَادَةِ هَذَا السَّفَرِ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً ثَانِيَةً ؛ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَلَمْ
تَمُضْ أَيَّامٌ قَلِيلٌ قَبْلَ أَنْ يَزُورَنِي فِي مَكْتَبِي ، وَمَعَهُ نَسْخَةٌ مُصَوَّرَةٌ مِنَ « الْوَسِيلَةِ
الْأَدَبِيَّةِ » فِي طَبْعَتِهَا الْقَدِيمَةِ الْوَحِيدَةِ الَّتِي لَمْ يُقَدَّرْ لَهَا أَنْ تُطْبَعَ مَرَّةً أُخْرَى مِنْذُ
صُدُورِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهَا عَامَ (١٨٧٥ م) بِمَطْبَعَةِ الْمَدَارِسِ الْمَلِكِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ ،
وَالْجُزْءِ الثَّانِي عَامَ (١٨٧٩ م) ^(١) بِالْمَطْبَعَةِ ذَاتِهَا بِدَرْبِ الْجَمَامِيْزِ بِالْقَاهِرَةِ
الْمَحْرُوسَةِ ، وَمَعَ وَعْدِ كَرِيمٍ بِالطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ « الْوَسِيلَةِ الْأَدَبِيَّةِ » فِي ثَوْبٍ تَزْهَوُ
« الْوَسِيلَةِ » بِجَمَالِهِ ، وَتَسْتَعِيدُ بِجَلَالِهِ رِيَادَتَهَا وَمَكَانَتَهَا السَّامِقَةَ مِنْ جَدِيدٍ .

وَأَخِيرًا ؛ هَذِهِ هِيَ « الْوَسِيلَةُ الْأَدَبِيَّةُ » بِمَجْلَدَاتِهَا الْأَرْبَعَةَ ، وَفِي طَبْعَتِهَا
الْمَتَأَلِّقَةِ ، خَذَاهَا أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ ، وَأَطْبَقَ عَلَيْهَا بِجَمْعِ يَدَيْكَ ، شَادِيًا كُنْتُ

(١) انظر مقدمة تحقيق الدكتور/ عبد العزيز الدسوقي للوسيلة الأدبية ، ج ١ ، ص ٧ .

في طلب اللغة والأدب ، أو ضارباً في حياضها بحظِّ وافر ؛ فهذا سفرٌ نادرٌ في بابه ، يستوي في الحاجة إليه الطالب والأستاذ والمثقف والأديب على حدِّ سواء ، بل هو درّةٌ فريدةٌ أملاها هذا الشيخ الأزهري الكفيف على طلابه ، ولم يجرؤ عالم ولا أديبٌ في عهدِه ولا فيما تلاه مِنْ عهودٍ حتّى الآن أن يأتي بمثل ما أتى به هذا العلّامةُ الأوحدُ المتفردُ في علمه وأستاذيّته وبصيرته .

هذا ؛ وقد كانَ في الحُساب أن أكتبَ كلمةً وافيةً عن « الوسيلة » ومؤلفها ، ولكن وجدتني ساكراً كثيراً ممّا كُتِبَ عنهما ، ولا أضيفُ جديداً لما كتبه أساتذةُ فضلاء مُتخصِّصون في الأدب العربي وعلوم اللُّغة ، وبخاصّةٍ مقدّمة الدكتور عبد العزيز الدُّسوقي عن الشيخ حسين ، للجزئين المنشورين في تسعينات القرن الماضي ؛ وذلك لما امتازَ به الدكتور الدُّسوقي رحمه الله من ريادة في نهضتنا الأدبيّة ، ومن دراسةٍ عبقريةٍ ضاربةٍ في جنبات هذا السِّفر وفي أعماق أعماقه ، مع إنصافٍ ذبَّ عن الشيخ المرصفي كثيراً ممّا أصابه من جزاء الغيرة وأخواتها ، وهو إنصافٌ لا يفي به إلا مَنْ هو في وزن الدكتور الدُّسوقي ؛ سعةً في العلم ، ويقظةً في الضمير ، وأمانةً في أداء الكلمة ، ورغبةً إلى الله في القول والعمل .

هذا ؛ وكنْتُ قد جمعتُ طائفةً من المصادر التي ترجمتُ للشيخ حسين المرصفي ، وسرّحتُ فيها النَّظر ، وحصلتُ منها الكثيرَ ممّا كنتُ أتطلّع لمعرفة ، وكنْتُ أجهلهُ مِنْ سيرة الشيخ ، وآثرتُ أن ألحقها هنا في هذه الكلمة الموجزة ، بعناوينها ، وأسماء مؤلفيها ؛ فقد تلقى رغبةً في صدور بعض الشَّباب مِنَ الحريصينَ على لُغتهم العربيّة لعلهم يتنبهونَ إلى أن هذه اللُّغة هي سرُّ قوتهم ، ومناطُ عزِّهم ، وسبيلُ استعادةِ مجدهم ، وهذه المصادر هي :

- الدكتور عبد العزيز الدُّسوقي : حسين المرصفي ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب (١٩٩٠ م) ، رقم (٢) من سلسلة نقّاد الأدب .

- محمّد عبد الغني حسن : أعلام مِنَ الشُّرق والغرب ، دار الفكر العربي

(١٩٤٧ م) . فصل بعنوان : (أول رائد في تدريس الأدب العربي : الشيخ حسين المرصفي ت ١٨٨٩ م) ، (ص ٦٧ - ٨١) .

- عبد الحي دياب : التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (١٩٦٨ م) (ص ٣٩ - ٥٤) .

- رسالة الكلم الثمان ، للشيخ حسين المرصفي ، تحقيق ودراسة الدكتور أحمد زكريا الشلق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠١٤ م) .

- الشيخ حسين المرصفي : جهوده البلاغية والنقدية ، إعداد الطالب عبد الله أحمد العطاس ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور عبد الواحد علام (١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ) ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية (نسخة مصورة) .

شكر الله للأخ الأستاذ/ عمر ، ولدار المنهاج ، ولكل العاملين بها على هذا المعروف الذي أسدوه إلى الأمة الإسلامية ، ولغتها العربية ؛ لغة القرآن ، وحصن العرب وسند المسلمين .

أحمد الطيب
شيخ الأزهر
رئيس مجلس حكماء المسلمين

مشيخة الأزهر
٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٤٤٠ هـ
الموافق : ٤ من مارس سنة ٢٠١٩ م

بين يديك الكتاب

حمداً لمن خلق الإنسان علمه البيان ، ورفد الأمة المحمدية بمعجزة الفرقان .
وصلاة وسلاماً على من أعطي جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً ،
وعلى صحابته والتابعين .

وبعد :

فإن الوسائل هي الطرق الموصلة إلى المقاصد ، وُضِعَ الصروح الأدبية
متفننون في إتقانها ، متمرسون في تبيانها ، يركبون مطايا الإبداع ، ويرتشفون
كؤوس البلاغة ، ثم يمجونها من لهواتهم على الطروس شهداً مصفىً ، يستهوي
كل من ذاقه ، ويشفي من علل الجهل .

فكم من ذؤاقة يستأسر لنفثات الأدباء ، « وإن من البيان لسحراً » !!

(١)
كيف أنجو وأسرها إيماء والشراك العيون نفسي الفداء
ولا مرء عند أولي المعرفة : أن بناء الوسائل الأدبية يعترها التفاوت البياني ؛
بالنظر إلى الإيضاح والإفصاح عن مكونات أي فن من فنون الأدب .

وقد أجمع أولو العلم على أنه متى تعاضد التبيان والتحقيق في هندسة
التأليف . . فإن المعروض العلمي ترتفع قيمته ، وتعلو مكانته ، وتسمو منزلته ،
ويلبس تاج القبول ، ويعم نفعه .

(ب)

وبين يديّ الآن كتاب « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » قد جمع بين
البيان الأدبي والتحقيق المعرفي .

(١) من أبيات لكاتب هذه الأحرف .

إضافة إلى مزايا سامية ارتفع بها إلى منزلة تقاصر عنها كثير من الأسفار الأدبية المعاصرة ، فأجرى الأقلام معنقة للإعلام بعلياء مكانته ، وأنطق الألسن لتبيان مناقبه وسمو شرفه ؛ لأنه أبهر الناظرين فيه بما أودعه من فوائد فرائد ، وبما طرزه بمحاسن بنت عدنان ، وبما حبره قلمه من أدب عالٍ ، وتأليف بديع .

فكم منادمٍ له ووارد منهله الروي !! وكم ناظر في فنونه ومقتبس من عيونه !! إنه نسيج هذا الأزهري العبقري ، فمن طالع هذا السفر . . . يجزم بأن منتجته بحر الفنون ، وقاموس البلاغة ، ومعجم الأدباء ، فهو بدر يتجول في بروج التحقيق والتدقيق .

من نادم « وسيلته » . . علم أنه كان أعجوبة عصره ، وأن ما وشأها به من العلوم والحكم تدل على مكانته الرفيعة ، ورسوخه العلمي .
وهبه المولى جل وعلا عقلاً ثاقباً ، وفكراً صائباً ، وقلماً لامعاً ، وهذه « الوسيلة » من آثاره الروائع ، نسيجها محكم ، ووشاحها ذهبي ، تباعد فيها عن الحشو والإخلال ، وسبكها في قوالب الفصحاء ، فلا حذف ولا إعلال .
فرحمه الله تعالى ، وصب على جدته شأبيب المغفرة والرضوان ، وغمره بعبقٍ يفوز به في يوم التناد .

(ج)

ولعمري ؛ لقد أردت أن أقيد هنا أحرفاً تومئ إلى رفعة شأن الكتاب ، وتشيد بناسجه ، فسقطت في يم الحيرة ، وطفقت أتردد : من أين أبدأ ، عن أي خصيصة أتكلم ، وبأي المزايا أترنم ؟
تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراشٌ ما يصيد

نعم ؛ إن هذا الكتاب ضم بين خوافيه علوم العربية ، ونثر جواهر من

المعارف تطوق أعناق الأدباء بفرائدها ، وتصقل الأذهان بعوائدها ، ويستهدي المتأدبون بضياؤها .

ففي طيات هذا الكتاب أكثر من ثلاثة عشر فناً من العلوم العربية ، تتلامع سناها في صفحاته ، ففواكهه العلمية دانية للأدباء ، وفوائده المصنوفة معروضة للنبلأء ؛ فقد اصطفى من لغتنا الجميلة أحلاها ، وامتص برسوخه رحيقها ، واقتطف من السنة النبوية أحاديث تدعو إلى مكارم الأخلاق ، وتنشر محاسن الدين .
كما ضمن « الوسيلة » روائع من نفثات يراعته ، وقيد فوائده تشي برسوخه وإتقانه .

فمن أراد التزود من علوم العربية ، والتأدب بأدب القوم . . فليسامر هذا الكتاب ، وليجعله من زمرة الأصحاب والأحباب .

أعز مكان في الدجى سرح سابع وخير جليس للرجال كتاب

وقد اضطلعت عزيمة الشيخ الموفق أبي سعيد عمر بن سالم باجخيف وأخيه خادم العلم أبي نصوح محمد غسان عزقول الحسيني الدمشقي بإعادة نشر هذا الكتاب ؛ بعد أن منَّ الله عليَّ بتصحيحه وضبطه ومراجعته وتدقيقه ؛ لما في نشره من النفع العام ، وخدمة الشرع الحكيم .

وها هو يتبدى في طبعته الأنيقة ، وحلته الجديدة ، وتعليقاته المفيدة يتهادى ، فالله تعالى ينفع به .

وكتبه
د. محمد عبد الرحمن شميل الأهدل
الأزهري

يوم الثلاثاء
(١٢) ربيع الأنور (١٤٤٠ هـ)
(٢٠) نوفمبر/ تشرين الثاني (٢٠١٨ م)
الطائف

ترجمة
العلامة الأريب، الناقد الأريب
حسين بن أحمد بن حسين المرصفي
رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى^(١)
(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

اسمه ونسبه

هو الشيخ العلامة ، والناطقة الفهامة ، المدرس المحقق ، والأديب المدقق ،
الشيخ : حسين بن أحمد بن حسين أبي حلاوة الكبير ، المرصفي .
قال عنه الأستاذ محمد عبد الجواد في ترجمته له : (كان المترجم له معجزة
زمانه ، وناطقة عصره ، وقد شع نوره ، وانتشر شعاعه ، فأضاء الأفق العلمي ؛
لقربه من أعرق القرى ، وكشف عن فضل « مرصفا » وأهلها ...)^(٢) .

نشأته وتعلمه

نشأ العلامة المرصفي في قرية (مرصفا) التي كانت منبتاً للعلماء ؛ فقد
نبغ فيها كثير منهم حتى صارت النسبة إليها مفخرة من المفاخر ، فما هو ذا
المرصفي لم ينسب إلى أحد أجداده ، بل نسب إلى قريرته التي غدا لا يُعرَف
إلا بها ، ولا تُعرَف إلا به .

قال عنها الأستاذ محمد عبد الجواد : (إن نسبة التعليم فيها عالية ، وخاصة

(١) مصادر الترجمة : « الخطط التوفيقية الجديدة » للعلامة علي مبارك باشا (١٢٥ / ١٥ - ١٢٦) ،
وكتاب « الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول للعلوم الأدبية بدار العلوم » للأستاذ محمد
عبد الجواد ، ترجم فيه للمؤلف ، و« الأعلام » للزركلي (٢ / ٢٣٢) .

(٢) من مقدمة كتاب الأستاذ محمد عبد الجواد « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٣) .

التعليم الأولي ، فلا تكاد تجد فيها أمياً ، والمتعلمون فيها كثير ؛ ولذلك يضرب بها المثل ، فيقال : جاهل مرصفا أعلم من علماء السموت ، والشموت : قرية تبعد عن مرصفا بنحو أربعة آلاف ذراع ، ويقال أيضاً : لو كان العلم ينبع من الحيطان .. لنبع من حيطان مرصفا) (١) .

ومرصفا : إحدى قرى مركز (بنها) بمحافظة (القليوبية) ، وهي من القرى القديمة التي كانت عامرة قبل الإسلام (٢) ، ولأهلها اعتناء زائد بالعلم والتعليم ، وقد ذكرها ياقوت الحموي في « معجم البلدان » قائلاً : (نُسب إليها قوم من أهل العلم) (٣) .

أخرجت لمصر وللعلم والعربية منذ أجيال عشرات من حملة ألوية العلم والأدب والفضل ؛ فمن يذكر المرحوم الشيخ زيناً المرصفي .. يذكر مفخرة من مفاخر الجيل الماضي ، ومن يذكر مترجمنا العلامة حسيناً المرصفي .. يذكر النبوغ والعبقرية ، وكذلك تجد أهل مرصفا من المشتغلين بطلب العلم أو بخدمته (٤) .

والد العلامة المرصفي

هكذا ؛ وإن والد العلامة المرصفي من العلماء الأعلام ، ذكر صاحب « الخطط التوفيقية » : أنه كان بين علماء مرصفا الفضلاء الشيخ أحمد بن حسين المرصفي ، ويكنى بأبي الحلوة ، دخل المكتب بعد بلوغه ثماني عشرة سنة ، فحفظ القرآن الكريم في ستة أشهر ، واشتغل بالعلم حتى صار إماماً فيه في

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٢١) .

(٢) انظر « الخطط التوفيقية الجديدة » (١٢٠/١٥) .

(٣) معجم البلدان (١٠٧/٥) .

(٤) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٢٠) ، وذكر فيه أيضاً عن النسبة لهذه القرية (ص ٢٦) : أن عدداً من أهلها قديماً نزع منها ، واستقروا في بلاد وقرى أخرى ، فأطلق عليهم لقب (المرصفاوي) ؛ لتمييزوا عن المرصفيين المحتفظين بعادات قريتهم وطباع أهلها .

أقرب زمن ، وأخذ عن جماعة من فضلاء الأزهر ، فلازم الشيخ داوود القلعاوي وسمع منه الكتب الستة ، وأخذ عن الشيخ الدهوجي والفضالي والقويسني والشرقاوي .

وكان رحمه الله تعالى زاهداً حافظاً ، يميل إلى حب العزلة ، لم ير في وليمة إلا نادراً ، وكثيراً ما كان يدعو الأمراء إلى منازلهم فلا يجيبهم ، وكان يزور الإمام الشافعي رضي الله عنه ماشياً على كبر سنه .

وكان رحمه الله تعالى مهيباً في درسه ؛ بحيث لا يستطيع الطالب أن يرفع فيه صوته ولو بالسعال .

سافر في مبدأ أمره إلى الصعيد مع بعض مماليك العزيز المرحوم محمد علي ، وأقام هناك سنتين ، ثم رجع وانقطع للعلم بالأزهر إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، وعمره اثنان وسبعون سنة^(١) .

وذكر الأستاذ محمد عبد الجواد أن من طلاب الشيخ أحمد المرصفي : العلامة محمداً الأشموني ، ومن معاصريه العلامة الباجوري ، وأورد صورة إجازة من العلامة الأشموني يجيز الشيخ محمد حفني ناصف بروايته عن العلامة الباجوري والشيخ أحمد المرصفي أبي حلاوة ، وكفى بإجازة العلامة الأشموني هذه دليلاً وشاهداً على مكانة والد مترجمنا هذا .

ملامة وعتب على مؤرخي الأدب

لم يتبين لنا على وجه التحديد سنة ولادة العلامة المرصفي ، ولولا بضعة أسطر كتبها عنه العلامة علي مبارك باشا . . لما علمنا من سيرته شيئاً .

قال الأستاذ محمد عبد الجواد مستغرباً ومتعجباً : (ولأقف هنيهة أسائل فيها مؤرخي الأدب عن إغفالهم ترجمة الشيخ ترجمة وافية مفصلة ، تظهر

(١) الخطط التوفيقية (١٢٤/١٥ - ١٢٥) بتصرف يسير .

مناحي شخصيته ، وتميط اللثام عن استعداده وكفايته ، وتفصح عن جوانب عبقريته ، وتوضح لماذا كان معجزة زمانه .

ويظهر أن الترجمة للشيخ حسين المرصفي كانت شاقة ، لمن جاؤوا بعد علي مبارك باشا ، فأغفله المرحوم جرجي زيدان بك ، وهو يترجم لقرابة تسعين عالماً من أعلام النهضة في كتابه المشهور : « تراجم مشاهير الشرق » ، كما تركه الأستاذ حسن السندوبي في كتابه « أعيان البيان » ، الذي ترجم فيه لطائفة من أعلام الأدب والشعر منذ عصر محمد علي .

وأعجب من ذلك كله : أن يتركه المغفور له أحمد تيمور باشا ، وهو يترجم لأربعة وعشرين عيناً من أعيان العلم والأدب في كتابه « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » الذي طبع بعد وفاته !!

وما زال حظ الشيخ المرصفي يضؤل من الأسطر التسعة التي تفرد بها علي مبارك باشا في « خططه » حتى بلغ نصيبه ثلاثة أسطر من الترجمة في كتاب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » للأب لويس شيخو اليسوعي ، وهو نصيب لا يقوم كفاء ما أسداه الشيخ إلى دراسة تاريخ الأدب من خدمات ، على أن مؤرخنا المنصف عبد الرحمن الرافي بك لم يفته - وهو يترجم لأعلام الأدب في عصر إسماعيل - أن يردد بضعة الأسطر التي جاءت في كتاب علي مبارك باشا ، وهي المصدر الوحيد في ترجمة الشيخ الجليل .

والحق : أن الشيخ المرصفي لم يترك لنا ترجمة تفي بحاجات المؤرخ ، أو تلقي ضوءاً قوياً على حياته .

وأكثر من هذا : أنه لم يمد المؤرخ بما يكفي لدراسته دراسة لا تشق على الذين يأتون من بعده ؛ فقد كان معاصراً لعلي مبارك باشا ، وكان صديقاً له ، وقد كان في مقدوره أن يمدّه بطرف من أخباره ؛ ليذكر في كتابه « الخطط » كما كانت عادة علي مبارك باشا مع رجالات عصره ؛ فقد كان يرجو أن يمدوه بآثارهم ليدونها في كتابه .

وإني قد أبحث لنفسي نقل هذه الفقرات الثلاث من الأستاذ محمد عبد الغني حسن في ترجمته ؛ لأنها تمثل أصدق تمثيل ما كان يدور بخلدني وقت أن فكرت في الكتابة عنه ، وقبل اطلاعي على هذه الترجمة وإن كنت أخالفه في بعض قضاياها ، كما سيتضح ذلك فيما بعد .

وإذا كان العجب قد استولى على الأستاذ من ترك تيمور باشا ترجمته للشيخ . . فقد كانت مفاجأة مدهشة أن أجده أغفل الشيخ مع ترجمته لبعض تلاميذه ؛ مثل الشيخ أحمد مفتاح ، ومع ذكره بعض أشعار هذا التلميذ في الشيخ الحسين ، حين قال في شيخه : حسن الطويل ، الذي خلف الحسين :

[من الكامل]
دَارَ الْعُلُومِ شَكَّتْ فِرَاقَ أَبِي الْهَدْيِ الْمَرْصَفِيُّ الْحَبْرُ أَوْحَدُ ذَا الزَّمَنِ
فَأَجَبْتُهَا : حَسَنُ الْمَعَارِفِ بَعْدَهُ لَا تَجْزَعِي إِنَّ الْحُسَيْنَ أَخُو الْحَسَنِ

وهذا أيضاً مع ترجمته للشيخ زين المرصفي ، مع أنه كان صهر الحسين ، وإني أستبعد ألا يكون تيمور باشا عارفاً قدر الحسين !! وقد يكون السرفي إغفال ترجمته : أن الكتاب طبع بعد وفاة الباشا ، فأسقط الترجمة من قام بالطبع (١) .

ومن الاطلاع على الوقائع يتبين أن ولادة العلامة حسين المرصفي كانت تقريباً مطلع القرن التاسع عشر ، نحو عام (١٨١٥ م) ؛ لأن وفاته كانت سنة (١٨٩٠ م) ، وعاش أكثر من سبعين سنة رحمه الله تعالى .

ثم ذكر الأستاذ محمد عبد الجواد بعض الأسباب التي اعتقد أنها السبب في إهمال ترجمة العلامة حسين المرصفي ، ثم قال : (ومن أهم الأسباب التي عملت على إغفال مؤرخي الأدب الترجمة للشيخ . . عدم مقدرتهم على تقويم علمه وفضله من كتبه ؛ فإن من يريد الترجمة له ترجمة قيمة . . لا بد له من

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٩ - ١١) .

قراءة كتبه وآثاره التي خلفها ، حتى يستشف منها فضل الشيخ ومقدرته ، وسعة أفاقه في العلم والأدب ، وليس هذا الأمر بالهين أو اليسير على الذين كتبوا عن غيره من معاصريه ؛ لعدم إمامهم بالفنون التي احتوتها مؤلفاته .

هذا ؛ ولست أوافق الرأي القائل : بأن الشيخ لم يترك ترجمة تفي بحاجات المؤرخ . . . إلى آخره ، بل في الحق : أن ما ذكره علي مبارك باشا عن الشيخ فيه الكفاية ، بالنسبة لدائرة المعارف التي وضعها في « خططه » ، وما يريده هؤلاء من المعلومات عن الشيخ . . لم تكن تستحق التسجيل في نظره ، وبخاصة إذا علمنا أن الشيخ كان يثافنه ويجتمع به في مجالس خاصة ، ومحافل عامة .

ولولا ما كتبه علي مبارك باشا من الأسطر التسعة عن الشيخ في « خططه » ، عرضاً في الكلام على قرية « مرصفا » والتي أصبحت مصدراً يستقي منه كل من يتعرض لترجمته . . لكان الشيخ نسياً منسياً^(١) .

قال عنه العلامة علي مبارك باشا بعد أن ذكر ترجمة والده في « الخطط التوفيقية » : (وقد ترك ابنه العلامة الشيخ حسيناً : من أجلاء العلماء وأفضلهم ، له اليد الطولى في كل فن ، وقل أن يسمع شيئاً إلا ويحفظه ، مع رقة المزاج ، وحدة الذهن ، وشدة الحذق .

اجتهد في التحصيل وحفظ المتون ، حتى متن « جمع الجوامع » ، و« تلخيص المفتاح » .

وتصدر للتدريس ، وقرأ بالأزهر كبار الكتب كـ « مغني اللبيب » في النحو لابن هشام ، وله تأليف مفيدة ، أجاد فيها وأفاد ؛ منها : كتاب « الوسيلة الأدبية في علوم العربية » ، جمع فيها نحو اثني عشر فناً ، وتكلم باللسان الفرنسي ، وقرأ الخط العربي والفرنساوي في أقرب زمن مع انكفاف بصره ؛ وهو حروف اصطلاح عليها اصطلاحاً جديداً ، تدرك بالجس باليد .

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ١٢) .

وقد أنشأ الخديوي إسماعيل من ضمن ما أنشأ من المدارس ، مدرسة للعميان يتعلمون فيها هذا الخط مع فنون آخر ، وكان الشيخ حسين معلم العربية في دار العلوم وبالمدارس الكبرى وبمدرسة العميان (١) .

لقد أوفى رحمه الله تعالى على الغاية ، وجاء بخلاصة الخلاصة ، وقد هيا المولى سبحانه الأستاذ محمد عبد الجواد لهذه المهمة ، قال في مقدمة بحثه : (وقد شجعتني على ذلك : أني لم أجد من ترجم لهذا الشيخ الجليل ترجمة تليق بمركزه ، وتفصح عن قيمته ، وتلقي ضوءاً يكشف عن شخصيته .

هذه الأسباب وغيرها حفزتني إلى الترجمة لهذا العالم الأديب ، والنادرة الفذ ، حتى أستمتع بلذة البحث عن هويته ، في مهامه الظلام التاريخي الحالِك ، الذي كان يسود جوه وعصره ، وسأتبع حال الشيخ من خلال تلك الوصاوص (٢) التي عثرت عليها حين كنت أجمع أصول « تقويم دار العلوم » ، وسأخذ من هذه الذرات مصابيح تضيء تاريخ الشيخ ، وتكشف عن أفق علمه الواسع ، وفضله السابغ ، مستعيناً بما أستنبطه من مؤلفاته القيمة النادرة ، ومما أتلقطه من أفواه بعض تلاميذه ومعاصريه ، ومن سمع عنه من بعض عارفيه ومشاهديه . وإني لأعتبرها فرصة ذهبية - كما يقولون - أن أندمج في غمار من يعمل على إظهار فضل هذا العالم البارِع ، الذي يدعوه كل من تحدثت معه في تاريخه : معجزة زمانه ، وندارة وقته ، مع أنه لم يفكر أو لم يوفق أحد من قبل في الترجمة له ، والحديث عنه في كتاب خاص !! (٣) .

ومن مفاتيح البحث عن سيرة الشيخ : آثاره ومؤلفاته ، وما يلقاه الباحث في ثنايا سطورها ، مما يشير إلى سعة في الاطلاع ، وتبحر في العلوم والفنون ، مع اتساع أفق معلوماته الخاصة والعامة .

(١) الخطط التوفيقية (١٥/١٢٥ - ١٢٦) .

(٢) الوصاوص : جمع ووصاوص ؛ وهو الخرق في الستر بمقدار عين تنظر فيه .

(٣) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٩) .

ومع أن العلامة المرصفيّ كان كفيف البصر . . . ولكنه ذو بصيرة ثاقبة ، ومك
قد سبق من البصراء فلم يدركوا شأوه رحمه الله تعالى ، وكان لسان حاله يردد
ما قاله سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا فِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذِكِّي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسِّيفِ مَأْتُورُ^(١)
وقال أبو العلاء المعريّ :

وَقَالُوا قَدْ عَمِيَتْ فَقُلْتُ كَلَّا وَإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ
سَوَادُ الْعَيْنِ زَادَ سَوَادَ قَلْبِي لِيَتَّفِقَا عَلَيَّ فَهَمَّ الْأُمُورِ

ولقد أشار الأستاذ محمد عبد الجواد إلى أن الشيخ حسيناً المرصفيّ أصابته
علة وهو في الثالثة من عمره أذهبت بصره ، ولم يكن أكمه ، وكان الشيخ إبان
طلبه للعلم ملازماً للأزهر الشريف ، فلا يفارقه أياماً وليالي على الرغم من قرب
بيت والده من الجامع الأزهر ؛ لأنه كان في (الباطنية) ، وكان من عادته أن
يأكل مرة واحدة في اليوم واللييلة^(٢) .

تدرسه في الأزهر الشريف

كان تدرسه في الأزهر أولى ثمرات نبوغه ونتائج اجتهاده ، قال العلامة
محمود الطناحي في كتابه « مدخل إلى تاريخ نشر التراث » : (أنشئت مدرسة

(١) قال العلامة خليل بن أبيك الصفدي رحمه الله تعالى في « نكت الهميان » (ص ٧٢) : (قلّ أن وجد
أعمى بليداً ، ولا يرى أعمى إلا وهو ذكي ؛ منهم : الترمذي الكبير الحافظ ، والفقيه منصور المصري
الشاعر ، وأبو العيناء ، والشاطبي المقرئ ، وأبو العلاء المعري ، والسهيلي صاحب « الروض الأنف » ،
وابن سيده اللغوي ، وأبو البقاء العكبري ، وابن الخباز النحوي ، والنيلي شارح « الحاجبية » وغيرهم ،
والسبب الذي أراه في ذلك : أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه ، ولا يعود متشعباً بما يراه ، ونحن
نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه . . . أغمض عينيه وفكر ، فيقع على ما شرد من حافظته ، وفي
المثل : أحفظ من العميان . . .) .

(٢) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٣٨) .

دار العلوم سنة « ١٨٧٢ م » ، وتولى التدريس فيها أفاضال الرجال ، وكان علي رأسهم الشيخ حسين المرصفي ، لهذا الأزهرى الضرير الذي تولى التدريس بالأزهر ، ثم كان أستاذاً للأدب العربى وتاريخه بمدرسة دار العلوم ، وكان يعرف الفرنسية ، وهو من عظماء رجال الإحياء - أي : إحياء التراث - وألف كتابه « الوسيلة الأدبية » وهو مجموع محاضراته على طلبة دار العلوم ، ولهذا الكتاب أثر ظاهر في إحياء اللغة وآدابها ، وقد انتفع به كل من تخرج في دار العلوم ، وكل أبناء الجيل عامة ... (١) .

لقد تصدئ للتدريس في الأزهر قبل صدور القانون الذي ينظم إجازة التدريس أو شهادة العالمية سنة (١٢٨٨ هـ) ، واستمر في التدريس بعد صدوره ، وكان واحداً من الأساطين التي يعتمد عليها بدار العلوم ، والذي سماها بهذا الاسم صديقه العلامة علي مبارك باشا صاحب « الخطط التوفيقية » ، وكانت أشبه بمجمع علمي أو جامعة شعبية ، تلقى فيها المحاضرات في كل فن ، ومن المحاضرين البارزين فيها الشيخ حسين المرصفي لمدة ثمانية عشر عاماً ، وتخرج على يديه عدد كبير من فطاحل العربية والأدب ، وظهر فضله ، وانتشر ذكره ، وكان يدرس العلوم الأدبية ؛ وهي التي تتضمن : النحو والصرف ، ورسم الحروف ، وحروف المعاني ، والعروض والقوافي ، والإنشاء وعلوم البلاغة ، وأدبيات اللغة والمنطق ، ولما أرادوا رفع مستوى المدرسة والطلاب .. أضاف الشيخ حسين المرصفي للطلاب درساً في « المقامات » ، ودرساً في كتاب « التمرين على القراءة في اللغة العربية » ، وهو كتاب يتضمن خمساً وعشرين مسامرة في مسائل عامة ؛ كونية ونباتية وحيوانية وطبيعية وفلكية ، ومن يتصدئ لتدريسها .. لا بد أن يكون واسع الأفق ، غزير المعلومات ، مع تباينها وتنوعها ، وعندما تنظر في عناوينها تدرك بأنه يملك عقلية فذة ، ونظرة ثاقبة في غور الأمور ، وبصيرة سبقت الأبصار والمبصرين .

(١) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى (ص ٣٦) .

وذكر الأستاذ محمد عبد الجواد مثلاً لتبحره وغزارة علمه ؛ وهو : أنه دخل الفصل أول السنة فسأل : من الأول ؟ فرد عليه الأستاذ الحناوي : أنا ، فقال الشيخ : أعوذ بالله من قول « أنا » ، وسأله عن اسمه ، فقال له : الحناوي ، فأخذ الشيخ يسأله عن النسبة في كلمة (الحناوي) : هل هي قياسية أو غير قياسية ، وقال : الحناوي أو الحني ، نسبة إلى الحنة أو الحناء ؟

ثم شرع يتكلم على نبات الحنة وأثرها في الصناعة وتلوين الورق ، وفوائدها وغير ذلك ، ويذكرون أنه قضى نحو أسبوع في الكلام على الحناء .
وفضلاً عما يفهم من سعة اطلاع الأستاذ .. تجد أنه يتبع طريقة التعليم بالمناسبة ، وهي خير طريقة لتثبيت المعلومات عند الطلاب^(١) .

وكان يرتب الطلاب في الصف أول السنة بترتيب مخصوص ؛ بحيث يعرف مكان كل طالب ، ويحفظ أسماءهم ، فإذا حصل همس أو عبث .. نادى باسم الطالب ، وكان يشعر بغياب من لم يحضر ، ولو دخل الطالب خلسة .. كان يقول : من الذي شوش علينا الدرس !؟

وإذا سمع صريف القلم .. نادى على صاحبه بالكف عن الكتابة ، وكان مرهف الحس ، حاضر الذهن ، سريع البديهة ، شعلة من الذكاء ، دقيق الملاحظة .

تدريسه بمدرسة العميان

تأسست هذه المدرسة الخصوصية في عهد الخديوي إسماعيل سنة (١٨٧٥ م) ، واستمرت إلى سنة (١٨٨٩ م) ، وكانت الأولى من نوعها بمصر ، وإن وجود العلامة المرصفي مدرّساً بها مع تدريسه بدار العلوم ساعده على

(١) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٤٤) ، ونقل أن طلابه كانوا يروون عنه أشياء تشبه الأساطير كما هي العادة في الكلام على العباقرة مما يستدل من ذلك على نبوغه وتبحره ، وأنه كان خارقاً للعادة في حياته رحمه الله تعالى .

تعلم الخط العربي والفرنسي على طريقة (بريل Braille) من خلال جس الحروف باليد .

وقد أتقنها الشيخ رحمه الله تعالى ، ووصل في تعلمه اللسان الفرنسي إلى أن صار يترجم كتباً عن الفرنسية إلى العربية ، وكان ذلك في وقت يسير ، وكان يمتلك آلة كاتبة في ذلك العصر .

مؤلفاته

لقد عاش العلامة المرصفي في عهد محمد علي وعباس الأول وسعيد ، وأدرك عهد إسماعيل وتوفيق ، فكان في عهد هذين الأخيرين في طليعة المؤلفين ؛ لأن مؤلفاته لم تظهر إلا بعد تدرسه بدار العلوم ، وربما وقف على أمور في تدرسه الطلبة أحوجته إلى تجديد الأساليب وتنوع الخطاب والأمثلة ، فجاء بمعينٍ عذب وردهً واستقى منه أجيال وأجيال ، فأضحى بحق معلم الجيل الأول ، وشيخ مؤلفي العصر الحديث بلا منازع !!

قال العلامة المحقق محمود شاكر في كتابه القيم « أباطيل وأسمار » :
(فأنشئت مدرسة دار العلوم سنة « ١٨٧٢ م » أي : قبل وفاة رفاة الطهطاوي بعام واحد ، فتولى التدريس فيها رجل من عظماء رجال الإحياء . . هو الشيخ حسين المرصفي ، فكان له أثر عظيم جداً على كل من تخرج في دار العلوم ، واقترن وجود المرصفي بظهور شاعر فذ ، نقل اللغة يومئذ من حال إلى حال ، فأسقط عن الهمم تلك الأغلال التي كانت تمسكها إلى الأرض ، وتقعدتها بالعجز عن توهم إدراك الأوائل في نصاعة العبارة وتجويد الشعر ، وهو الإمام الأول محمود سامي البارودي ، المولود سنة « ١٨٤٠ م » ، وظهر اسمه وشعره في نحو هذا الوقت ؛ أي : « ١٨٧٠ م » ، وبدأت العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوتها ، وانطلقت الألسنة من عقال العجز بفضل هذين الرجلين)^(١) .

(١) أباطيل وأسمار (ص ١٣١) .

وأما مؤلفات هذا العالم الكبير . . فأهمها أربعة كتب ؛ هي :

١ - « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » وهو أهم كتب العلامة وأشهرها ، وهو كتابنا هذا الذي شرفنا الله بخدمته وبعثه من جديد .

٢ - « زهرة الرسائل » طبع بمصر دون تاريخ ، كما أشار إلى ذلك سر كيس (١) .

٣ - « دليل المسترشد في فن الإنشاء » مخطوط في ثلاثة مجلدات ، وكان العلامة يلقيه في المحاضرات التي يدرسها في دار العلوم على طلبته .

٤ - « رسالة الكلم الثمان » في العلوم السياسية أو التربية الوطنية (علم الاجتماع) ، وهي تسمية مبتكرة جديدة ، يتكلم فيها المؤلف على (الأمة ، والوطن ، والحكومة ، والعدل ، والظلم ، والسياسة ، والحرية ، والتربية) ، وقد استفتحتها بعد البسمة بهذين البيتين :

أزْجُو قُبُولَ هَدِيَّةٍ لَقَبْتُهَا الْكَلِمَ الثَّمَانِ
أَهْدَيْتُهَا لِأُولِي النُّهَى فِثْيَانِ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ

ثم أعقبها بقوله : (هذه رسالة ، ألتمس من قرائها أن يخصصوها بجانب عظيم من عنايتهم ؛ حتى لا يفوت فهمهم شيء مما تشير إليه بعض عباراتها ، وأن يكرروا النظر لاستثبات معانيها ، وبها أخاطب أذكى الشبان من أهل هذه الأزمنة ، التي ابتدأتها الألفاظ الحاضرة ، شرحت فيها كلمات جارية على ألسن الناس لهجوا بذكرها في هذه الأوقات ؛ كلفظ الأمة والوطن والحكومة ، والعدل والظلم والسياسة ، والحرية والتربية ، وأرجو من الله تعالى كما هداني لذلك أن يستعقب المنفعة المنهوض لتحصيلها) (٢) .

فهي رسالة جديدة أن تُخدم وتُقرأ وتُدرس .

(١) معجم المطبوعات العربية (١٧٣٥/٢) ، وعزاه له في « الأعلام » (٢٣٢/٢) ، وعزاه أيضاً لمحمد بن حسن نائل المرصفي (٩٥/٦) ، ولعل الثاني سبق قلم .

(٢) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٩٢ - ٩٣) .

لقد كان العلامة المرصفي نادرة عصره ، ودره وقته ، حاملاً لواء النهضة ، أمضى عمره في التدريس ، وأوصل رسالته ، وأدى أمانته ، وسبق من معه وكثيراً ممن قبله ، لقد غرس لأهل مصر بل وللعربية جمعاء غرساً لا يقلع إلى يوم القيامة .

لقد تزعم رجال النهضة الحديثة ، وأخرج رؤاداً للحضارة من دار العلوم ؛ أمثال : محمد دياب ، وحفني ناصف ، والشيخ مفتاح ، والشيخ زيد ، وسلطان محمد ، وحسن توفيق العدل ، كما أخذ عنه من غيرهم أمثال : البارودي ، وعبد الله باشا فكري أمير البيان والشعر في وقتها ، وكذلك أمير الشعراء أحمد شوقي ، والشيخ حمزة فتح الله . . . وهكذا ؛ كان بحق شيخ النهضة الأدبية .

ومن ثماره : أن تلاميذه هم الذين ألفوا الدروس النحوية : محمد بك دياب ، ومحمد صالح باشا ، وحفني ناصف بك ، والشيخ مصطفى طموم ، ومحمود عمر بك ، وسلطان محمد بك ، هؤلاء هم مؤلفو الدروس النحوية للمدارس الابتدائية والثانوية ودروس البلاغة للمدارس الثانوية ، ثم جاء الشيخ أحمد الحملاوي وألف « شذا العرف في فن الصرف » و« زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » ، واتبع طريقة المرصفي في التأليف .

وفاته

بعد حياة مليئة بالعلم دراسة وتديساً ، وكتابة وتأليفاً . . لبي نداء ربه سبحانه وتعالى ، وانتقل هذا الطود الشامخ إلى رحمة الله تعالى ، ولسان الحال ينشد :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُعْرَفُ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
وَهَذِهِ أَلْدَاؤُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَأْنُ

وكانت وفاته في السنة التي توفي فيها صديقه عبد الله فكري باشا (١٣٠٧ هـ) غير أن وفاة الأخير كانت في يوليو سنة (١٨٩٠ م) .

والواقع : أن وفاته كانت يوم الأحد (٥) من جمادى الآخرة سنة (١٣٠٧ هـ) ،
ويوافق (٢٦) من يناير سنة (١٨٩٠ م) ؛ فقد جاء في عدد الوقائع المصرية
الصادر يوم الاثنين (٢٧) من يناير سنة (١٨٩٠ م) النعي الآتي :

إنا لله وإنا إليه راجعون

في اليوم الماضي انتقل من هذه الدار الفانية إلى دار الكرامة والرضاء ،
العالم الشهير ، العلامة الكبير ، الشيخ حسين المرصفي ، مدرس العلوم العربية
والآداب الشرعية بمدرسة دار العلوم الخديوية .

وقد شيعت جنازته في مشهد حافل ، كان فيه كبراء أهل العلم - يؤمهم
حضرات أصحاب الفضيلة : شيخ الجامع الأزهر ، ومفتي الديار المصرية -
وغيرهم ، وعدد عظيم جداً من حضرات نظار المدارس الأميرية وموظفيها ،
ورجال المعارف العمومية ، وكثير من الوجوه والأعيان .

ثم صلي عليه في الجامع الأزهر الأنور ، وتليت هناك قصائد الرثاء على ما
جرت به العادة في موت العلماء الكبار ، ودفن بغاية التبجيل والتوقير ، رحمه الله
رحمة واسعة ، وعزى آلَه وذويه وأهل العلم والفضل فيه العزاء الجميل .

هذا ؛ وقد حُمل جثمانه إلى مقره الأخير بقراة العفيفي ، بالقرب من الشيخ
عبد الله المنوفي ، والشيخ عليش .

رحمة الله رحمة الأبرار

لمحات مضيئة عن الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية

دلالة العنوان :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (١) .

إن اسم الشيء هو الصورة الدالة على صفاته ، ولمّا كان العنوان أول شاهد على أي عمل . . كان لا بدّ من نظرة تأملية فيه تميّط اللثام عن الغاية من ورائه .
الوسيلة : هي المنزلة عند الملك وذي السلطان ، وهي الوساطة والدرجة والقربى ، ويرادفها : الأداة والطريقة والأسلوب ، والعلامة المرصفي قد ابتغى إلى علوم العربية وسيلةً أحسنَ في مبناها ومعناها معاً ، فجاء العنوان مصدّقاً لما بين يديها ؛ إذ قامت وسيلته على النظر في القديم الموروث من عصور الازدهار ، بعلومه وأدبه ونقده ، ثم بعثه بعثاً جديداً ؛ ليكون الأداة المنتظرة لإيقاظ الراقدين من سباتهم .

فلمّا اشتمل الكتاب على علوم العربية جميعها . . هدَفَ إلى تقديم ثقافة كاملة متكاملة ، بأسلوبٍ جديد وطريقةٍ بيانية ، تصل بالقارئ إلى البغية المنشودة في تعلّم وتعليم العربية ، فالعلوم عند المؤلف ليست غايةً في ذاتها ، وإنما هي وسيلة للغاية الأسمى والمنزلة الأعلى ؛ ألا وهي الارتقاء بالقارئ إلى معرفة مكامن الجمال وإدراك مواطن الحسّن في هذه اللغة .

سبب ودافع التأليف :

بداية الكتاب محاضراتُ ألقاها الشيخ المرصفي على طلبة (دار العلوم)

(١) سورة المائدة : (٣٥) .

أول إنشائها ، إملأء على الشيخ حسن أبي زيد سلامة الذي أشرف فيما بعد على طبعتها ، بل إن هذه المحاضرات كانت نواة إنشاء هذه الدار التي أصبحت كلية عريقة ثم جامعة فيما بعد .

وترتبط أسباب تأليف الكتاب بحركة الإحياء نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ؛ أي : مع عصر النهضة ، حيث إن فلسفة الشيخ تنطلق من وضع كل شيء في موضعه المناسب ؛ كما بيّنها في كتابه « الكلم الثمان » ، فيتحقق بذلك العدل وينتفي الظلم الذي هو سبب التخلف .

وقديماً قال أبو الطيّب المتنبّي :
(من الطويل)
وَوَضِعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
فالكتاب أداة لوضع الإنسان العربي وغير العربي ممن أراد تعلّم العربية على جادة الطريق القويم للنهوض بفكره ، ومن ثم النهوض بالأمة .

منزلة الكتاب وقيمه العلمية :

ظهرت ميول الشيخ الأدبية واضحة جلية بعد إتمام تعليمه في الأزهر الشريف ؛ فقد بدت هذه الميول في دروسه بمدّرج (دار العلوم) ، ووجد الطلاب فيها منهجاً جديداً لم يألفوه ، ولم يسمعه شيوخ الأزهر ولا عرفه ذوق العصر .

جاء الكتاب بأسلوب جديد ، واتّخذ فيه النقد طابعاً لغوياً وبيانياً ، عرض فيه المؤلف علوم العربية عرضاً مختلفاً ، ولا سيما علوم البلاغة في الجزء الثاني منه ؛ من خلال الحديث عنها حديثاً نظرياً ، مُبيّناً منزلة كل علم منها ، ثم تطبيقياً ؛ من خلال عرض نصوص أدبية ونقدها وموازنتها بنصوص بعض القدماء والمحدثين ، معلّقاً ومصححاً بعض ما شذّ وندّد عند القدماء في كتبهم .

عدّه النقاد المعاصرون أول كتاب أدبي نقدي أُلّف في علوم العربية في هذا

العصر على منهج حديث ، فأدخل المؤلف بكتابه على التفكير الأدبي ما أدخله تلميذه العلامة محمد عبده فيما بعد على التفكير الديني والاجتماعي ؛ حيث مثلت مادته وأسلوبه ثورةً وانقلاباً في مجال النقد والدراسات الأدبية ، أثرت في مسار الثقافة العربية بالتزامه منهجاً علمياً غير معهود في أيامه ، فكان مؤلفه أباً روحياً لرواد النهضة الأدبية الحديثة ، ساهم في تشكيل عقولهم وتكوين أذواقهم ، وكان ملهماً للأدباء والشعراء باستنهاض مواهبهم وتحريك ملكاتهم .

لقد وجّه الكتاب الأدب العربي وجهة جديدة ، صحّحت مساره في حركة البعث والإحياء ؛ من خلال النقل المباشر عن التراث والانتقاء منه وانتقاده في محاولة لإحياء الأدب العربي والتجديد فيه .

منهجه :

يمثل الكتاب اتجاه الانتقاء والانتقاد ، فجاء بمحاولة إحيائية واعية وناضجة ، كان هدفها تجديدياً أصيلاً ، وهذا الاتجاه مع احترامه وإجلاله للتراث .. إلا أنه لا ينقاد له كلّ الانقياد ، ولا يسلم له كلّ التسليم ، بل إنه يتناوله ويفحصه ، ثم يستمد منه ما يتلاءم مع حاجة العصر ، فيحاول أن يعين القارئ على إنتاج تصوراتٍ ودلالاتٍ ؛ من خلال نصوص التراث التي يسوقها فيه ، يحيي بها فكره ويهدم الفجوة بينه وبينها ، مروراً بهدف إحياء الفكر العربي ووصولاً لهدف إحياء الأمة العربية .

اتّبع العلامة المرصفي أسلوباً علمياً رصيناً ، يقوم على التدقيق والتحقيق ، والتأمل العميق ، بهدف الوصول إلى غايته المنشودة بوضع الشيء في موضعه المناسب ، وكان أميناً في النقل عن كتب غيره ممن سبقوه أو عاصروه ؛ فهو يشير في الغالب إلى المنقول عنه إلا ما ندر ، ثم إنه لا يكتفي بذكر اسم المنقول عنه ، بل ينعت فيه صاحبه بما يليق به من النعوت والأوصاف .

وتأتي نقوله أحياناً خالية من التعليق ومن محاولة التجديد ، وهذا يرجّح

أن الشيخ متمسك بالقديم أشدَّ التمسك ، لكن تأتي اختياراته بما يلائم مقتضيات عصره .

ولم يكن العلامة المرصفي في كتابه ناقداً فحسب ، بل كان مؤرخاً أيضاً ؛ حيث إنه يأخذ على عاتقه مهمة الكشف عن نشأة وتطور كل فن قبل أن يفصل حديثه عنه ، فكان يحرص عند مطلع كل باب أن يستحضر تاريخ العلم الذي يتناوله ، موضحاً تطوره وذاكراً أهم أعلامه .

وكان كثير الاستطراد ما دام يرى في ذلك فائدة للموضوع الذي يتناوله ، وكثير الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأمثال ، والحكايات ، والنوادر ، قاصداً بذلك أن يُمدَّ القارئ بأكبر قدر من الشواهد التي تعينه على تربية ملكته الأدبية وتحسين ذوقه ، وهو في استشهاده يراعي التسلسل الزمني وتدريج العصور التاريخية ، وبذلك يكون قد أرسى قواعد المنهج التاريخي في الدرس الأدبي .

وأخيراً خلَّصَ العلامة المرصفي العلوم العربية ، ولا سيما النحو والبلاغة من تعقيدات كتب الأقدمين ، فمهَّد السبيل لظهور مؤلفات بأسلوب جديد على يد تلامذته من بعده .

مضمونه :

إن الكتاب موسوعة عربية شاملة ، ودائرة معارف متكاملة ، وهو شبيه بكتب الأمالي العربية ، غير أنه شمل علوم العربية جميعها ؛ فتناول فيه المؤلف ما يزيد على اثنين وعشرين فناً ؛ هي : (النحو ، والبلاغة ، والعروض ، والقوافي ، والكتابة ، والإنشاء ، وقرض الشعر ، والموازنات الأدبية ، والطرائف ، والأمثال ، والمقامات ، والنقد ، واللغة ، والمقولات العشر ، والتاريخ ، وتواريخ نشأة الفنون ، وتاريخ التربية ، والكتّاب ، وتدوين العلوم ، ونشأة اللغة العامية وعلاجها ، ومخارج الحروف) .

أما منهجه في عرض هذه الفنون . . فإنه لا يجري فيه مَجْرئ كتب التراث ؛ فنجده يترك تقسيمها ويهجر تبويبها ، فلا يستعمل ألفاظ : (المقدمة ، والباب ، والفصل ، والكتاب) ، بل يأتي بألفاظ جديدة ؛ هي : (المقصد ، والصدر ، والجهة ، والقسم ، والتقسيم) .

وقد جاء أصل الكتاب في جزأين ، جعل المؤلف الجزء الأول مدخلاً للفنون التي تناولها في الجزء الثاني وتمهيداً نظرياً لها ؛ فتكلم على مقصدين ؛ الأول : في المنطق ، والثاني : في اللغة ، وقسمَ الثاني أقساماً ثلاثة ؛ الأول : في فقه اللغة ، والثاني : في الصرف ، والثالث : في النحو .

واهتم في هذا الجزء بتعريفات العلوم ، والقواعد العامة ، والمسائل النظرية المتصلة بالأدب ، والتأصيل النظري للعلوم الإنسانية ، وأنهى كلامه عليه بخاتمة تحدث فيها عن أحسن طرق تحصيل العلوم العربية .

أما الجزء الثاني . . فتكلم فيه كلاماً مفصلاً على مقصدين ؛ الأول : في البلاغة وفنونها : البيان والمعاني والبديع ، وألحق به الحديث عن العروض والقوافي ، والثاني : في الكتابة ، وتحدث فيه عن الإنشاء أو صناعة الترسل ، وألحق به فصلاً عن صناعة الشعر .



وصف النسخة المعتمدة

تم إخراج هذا الكتاب النفيس بالاعتماد على النسخة التي طبعت في حياة المؤلف رحمه الله تعالى ، وهذا وصفها :

تتألف هذه الطبعة من مجلدين بينهما تباين من حيث الحجم وسنة الطبع .

المجلد الأول : يتألف هذا المجلد من (٢١٦) صفحة ، مع أربع صفحات لمحتوى الكتاب ، فهو لطيف الحجم مقارنة مع المجلد الثاني ؛ لأنه يعادل ثلث المجلد الثاني .

المجلد الثاني : يتألف من (٧٠٤) صفحات ، مع ست صفحات لمحتوى الكتاب .

جرى إثبات عنوان الكتاب في المجلد الأول : « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » ، واختلف اختلافاً بسيطاً في المجلد الثاني فأثبت هكذا : (للعلوم العربية) باللام بدل (إلى) ، ولعل سبب الاختلاف هو ما سنذكره من التفاوت في تاريخ طبع المجلدين .

وأثبت في المجلد الأول وصف المؤلف بقوله : (تأليف الفاضل العلامة ، واللوزعي الكامل الفهامة ، المتوكل على ربه العلي ، حضرة الشيخ حسين المرصفي ، معلم العلوم العربية بدار العلوم الخديوية) .

وأثبت في بداية المجلد الثاني : (تأليف حضرة الشيخ حسين المرصفي ، مدرس علوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية) .

والذي يلفت الانتباه ويستحق التأمل : هو تاريخ الطبع للمجلدين ؛ فقد أثبت مصحح الكتاب في نهاية المجلد الأول تاريخ طبعه ، وهو سنة

(١٢٩٢ هـ) مع أنه أثبت على صفحة العنوان سنة (١٢٨٩ هـ)^(١) .

وأثبت في نهاية المجلد الثاني أنه طبع سنة (١٢٩٦ هـ) ، وبين المجلدين أربع سنوات ، إضافة إلى أمر آخر ؛ وهو أن المجلد الأول طبع بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز بالقاهرة المحروسة ، والمجلد الثاني طُبع بمطبعة باب النيل البهية ، بخط باب الشعرية من مصر المحمية^(٢) .



(١) لعله أرسل إلى المطبعة سنة (١٢٨٩ هـ) ، ثم أنجز سنة (١٢٩٢ هـ) ، ثم أرسل الثاني إلى مطبعة ثانية وأنجز سنة (١٢٩٦ هـ) ، والله أعلم .

(٢) وقد تأيد هذا الملمح بما سطره العلامة محمود الطناحي في كتابه القيم « مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي » (ص ٤٢) وهو يتكلم عن المطابع التي أنشئت بعد المطبعة البولاقية (الأميرية) فقال : (وأول هذه المطابع : المطبعة الأهلية التي عرفت فيما بعد بمطبعة الوطن ، وقد أنشئت سنة « ١٨٦٠ م » . . . ثم تلتها مطبعة وادي النيل سنة « ١٨٦٦ م » ، وقد أنشأها عبد الله أبو السعود أفندي ، وطبع فيها صحيفة وادي النيل إلى جانب بعض كتب التراث ، وفي هذه المطبعة تم طبع كتاب « الوسيلة الأدبية » للشيخ حسين المرصفي سنة « ١٢٩٦ هـ » ، وكان قد بدأ طبعه بمطبعة المدارس الحكومية بدرب الجماميز سنة « ١٢٩٢ هـ » . . .) .

منهج العمل في الكتاب

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب النافع المفيد على النسخة الأصلية التي طبعت في حياة المؤلف رحمه الله تعالى وفق الخطوات الآتية :

- نسخ الكتاب عن هذه النسخة ، ومعارضته بها بدقة وتمعن .

- كتابة الآيات القرآنية الكريمة برسم المصحف الشريف ، من رواية حفص عن عاصم ، والتنبيه على القراءات الأخر إن استشهد بها المؤلف ، وحصر هذه الآيات بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .

- تخريج الأحاديث النبوية ، والأخبار والأقوال المأثورة ، والحكم والأمثال ، والقصص والشواهد الواردة في الكتاب من مصادرها التي عزا لها المؤلف دون الاستطراد في ذلك ؛ مراعاة لمقصود المؤلف من الكتاب ، كيف لا ؛ وقد جعله نبزاً للطلاب ، ومرجعاً للكتاب !؟

- عزو الآيات الشعرية - مع كثرتها في الكتاب - إلى دواوين الشعر وكتب اللغة والأدب ، والبلاغة والنحو ، مع ذكر اسم البحر الشعري دون الاستفاضة في التخريج أيضاً .

- أضفنا بين معقوفين [] بعض التصويبات ضمن النص اعتماداً على مصادر المؤلف رحمه الله تعالى ، وأضفنا أيضاً بعض العناوين بين معقوفين ؛ ليسهل تقسيم مواضيع الكتاب وفهرسته .

- ضبطنا النص بالحركات الإعرابية مع ضبط المشكل منها ؛ تيسيراً على الطالب والقارئ .

- زينا الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة ؛ زيادة في إيضاح النص وتيسير فهمه .

- أثبتنا عنوان الكتاب كما ورد في المجلد الأول ، وأشرنا إلى سبب اختلاف ذلك خلال وصفنا لنسخة الأصل المعتمدة .

- قسمنا الكتاب إلى أربعة أجزاء متقاربة ، الأول منها : أبقيناه على تقسيم مؤلفه رحمه الله تعالى ، وقسمنا المجلد الثاني من الأصل إلى ثلاثة أجزاء ؛ تيسيراً على القارئ والطالب .

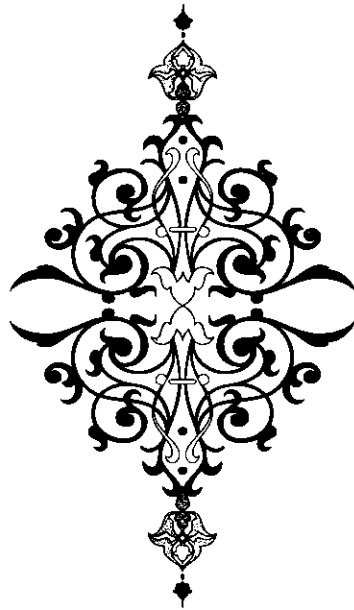
- ترجمنا للمؤلف ترجمة موجزة مختصرة ، وقدمنا للكتاب بمقدمة توضح أهميته ومنزلته بين كتب النقد الحديث ، مع بيان منهجه ومضمونه .

- صنعنا فهرساً لموضوعات الكتاب .

وفي الختام : نسأل الله الملك العلام ، أن يكتب القبول لهذا الكتاب وينفع به جميع الأنام ، وأن يجعلنا خداماً لدين الإسلام ولكتب الأئمة الأعلام ، وأن تكون هذه المؤلفات شافعة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والحمد لله رب العالمين

صور من نسخة المعتمدة



مخالفة انحراف الشعر على السطح تسير في اقله حتى يتصل به حبات حشوات وهو ما يشبه
التكرير في الازاهل. ولذا يدعونها زلف الاصل في ايسهه. فلهذا من المرموم مختلف
والثمن من الشعر والاس سيدة اولئك الناس الذين يتظاهرون به طوي غير مدقة
والعاري ما يشبهها طريا • وينا أن يتأدوا جد

فانظر عقلي كما سبق لي كعالم طوطي وشكوكه ان يدعى الطالب بمسجل الذنون
الاصيلة ما في ثمن من الشبان والاحداث وباراد الصاوات لا تفرقة في خيالها
وهل ياجه في اريد به انما الذنن الكسالي تعلقها والاشعار العنت منها الخفا
أنت ذنك وانت اولها ان ينطق بالكلية العربية كما كانت العربية تتلوها تنقل
البحرنة الفنون الابدنية التي يستفيدون بها في العالقي الانتارة المحرفة وبه
الحاق الامايل بلين ذلك في رجة اللان الانتارة حصة فتساء الاسوال فازاين كل
علم وغيره فكيف تلتزم في رجة مصطلح وما غير ذلك من الهوانة وتنة العلم
وهي غير متصلة الا ملوك والامارات من صحح الحقود وانها ماتت والشاير ما خير
مبارك التميز بان والتفتان والبدارات وجه كذا وبار في الوسائل في الكسيرة
الذنون البلاستيكية كماله في تقي بننا كاشفت عن على انتشارها انها يتقل
ليفتاها وسكانها كجودها واوارها وانها تناس على ذلك وثالثي في تخط

لغاية البعده انما لكه • ان يطلع البدر على ثقل الصبا
وقيل

ومن يطرف علم ظهره • ومن يضرب الصدا بصري على الخلق
ومن يبتلى نفس في طلب العلي • يسرا يستدرسا ولا تأذي
وكا قبل الطير والخنزير من طلب • فاقم القلب ان يغيرا
انما في الجبل يتسكرو به • في الصخرة الجماء تفتارا
وقيل
لنلوب الظلال حية • انقل من طهلون ابية
مداحة التي بان نشدا • فنقله اليها اليس في

وزن

وزن التصديق هون من الشعر العر حستكونه القبيصة بورد على الرمي مستكلة
والروح غردا ستالي الرمي بورد علكه بورد الابعاض من الذنون والاعراض من
كثير من اللغات كما كان شوقا أحد شبي الحدت من ان الحجاب كساوري جد
كسرها من فصل من نتائج اعماله وقرانها كما كان لا يتألف العبد اجد باسم
فصل الطالب القبيصة على ذلك التقي على ان قد يكون في حسبه وقت
قد يوهها ما فاعده من الضحك اللذم خلفه تكبدان واستار على
سكون راحة وضفان الام المرموز لئلا تتركه ايام التوبان
تنتهية لمرادته ايام فهداه بولا حنة هال عله من
باس المرد ولتبار روي حدة امي كاتابوليرا
وايقا وزدعة مرة وما منه على ما يدبره
وسداد ايه الذي يكون انك وكطقة
الراحمه من بيتك ويمنع كسوكون
في كل هال حلة مستقر في القارة
التوبة الخراس ورواهها
رسة شرق واهه
التوفيق لا اقوم
طريق

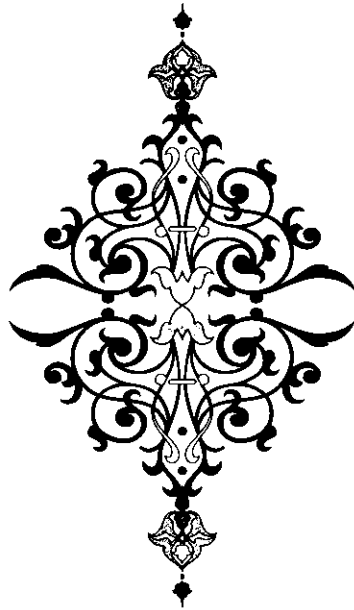
يقول المذخر الى الخاف ربه اللان ماعا جدر ومان فطم صفا المجد لاول
من الوسيلة الادبية لعلوم العربية ولبه المبررات التي اطلقها (المجد اللان) في فنون
اللغات تأدق القائل الهمد والاستاذ الودع حشرة علامة الشيخ حين المرمى
وقال في عهد تناه في صاحب المساريف البنية وكذا قوله مطعون باشا الترموم
للدارس والا فاعلم العربية وسئلوا بالاسر بالمطلل معاذة من باشا اراهم
وصارفة الطبع بلا حنة في ترتيب السبق في بيان اربابه فانظر في الروضة
وسطوحنا المشرق على فهمها فانه بعثة المعارف الملكية سنة افسوس ثين
والختم ونسب من بحرية واوذي الصلة تراجم علم على الذي واها صاحب الامة
الا علم كين

الورقة الأخيرة من المجلد الأول

المجزء الثاني من الوسيلة الادبية للعلوم العربية
تأليف حضرة الشيخ حسين المرصني
مدرس علوم الادب بدار
العلوم الخديوية
المصرية
٢

• (طبعة اولي) •
• (طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجمالين) •
من القاهرة المحروسة
• (سنة ١٢٩٢ هجرية) •

ورقة العنوان من المجلد الثاني



الوسيلة للإلتحاق إلى العلوم العربية

تأليف

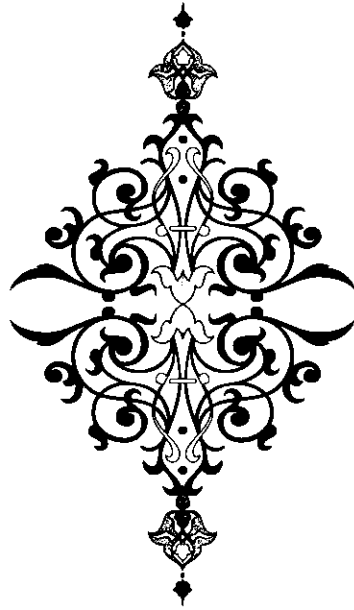
العلامة اللغوي الناقد الأدب

حُسين بن أحمد بن حُسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدارالعلوم المدبوية المصرية

رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)



خطبة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باسمِكَ اللَّهُمَّ نستفتحُ بابَ الرِّشَادِ ، سائلُكَ أنْ تصلَ بنا إلى غايةِ السَّدادِ ،
راغبينَ إليك في أقربِ هدايةٍ ، آمليْنِ تمامَ العصمةِ مِنْ مهاويِ الغوايةِ ، رافعيْنِ
لفضلكَ أكفَّ الضَّرَاعَةِ ، خافِضينَ لجلالِ عِزِّكَ أروْسَ الطَّاعَةِ ، ناصبيْنِ لأمرِكَ
قوائمَ الامتثالِ ، جازمينَ بحسْنِ الحالِ وأحْسَنِيَةِ المآلِ .

وندعوكَ ربَّنَا مبتهلينَ ، ونحنُ مِنَ الإجابةِ على يقينٍ : أنْ تديمَ لنا رُوحَ
أرواحِنَا^(١) ، وحافظَ أشباحِنَا ، ومُحكِمَ أسبابِ ارتياحِنَا ؛ مَنْ صرَّفَتْهُ فينا
فحسُنَتْ سيرتُهُ ، وطابَتْ بشهادةِ الحالِ سيرتُهُ .

عَزِيزَ مَضْرَ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ وَيُكْرِمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَ^(٢)
فغيرُ خافٍ على ذوي الأسماعِ والأبصارِ ، ما قدِ اخترعَ لطيفُ فكرِهِ وأبدى
سديدُ رأيِهِ ؛ مِنْ جلائِلِ ثوابِ الآثارِ ، وإذا أطنبَ لسانُ الحالِ . . فأحسنُ بأنْ
يُوجِرَ لسانَ القالِ !!

أدِمَّهُ يا رَبِّ مُتِمِّمًا مقاصدَهُ ، واصلاً عليَّ همَّتَهُ بأكملِ مُساعدَةٍ ، مُفْرِحًا
قلبَهُ الرحيْمِ في كلِّ حالٍ ؛ بترقيةِ أنجالِهِ الكرامِ ورعيَّتِهِ إلى أوجِ الكمالِ ،
ناظرًا بعينِ العنايةِ لِمَنْ أحسنَ خدمتَهُ ، وأعملَ في تحصيلِ أغراضِهِ همَّتَهُ ،
بجاهِ سيِّدِ المرسلينَ ، صلواتُ اللهِ عليهم وعلى أهلكِهم أجمعينَ .

(١) رُوح - بفتح الراء - : الاستراحة .

(٢) البيت من البسيط ، وفيه اقتباس ظاهر بتصرف من قول مجنون ليلين ، كما في « ديوانه » (ص ٢٨٣) :

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حُبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَ

أما بعد :

فإنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِكَمَالِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ ، وبِمَحْضِ
فَضْلِهِ شَرَّفَ النُّوعَ الْإِنْسَانِيَّ بِمَلَابَسٍ مِنْ صِفَاتِهِ ، وَأَبَاحَهُ طَرْفًا مِنْ سَمَاتِهِ ،
فَكَانَ سَبْحَانَهُ بِذَاتِهِ حَيًّا عَالِمًا مَرِيدًا قَادِرًا فَاعِلًا ، وَجَعَلَ هَذَا النُّوعَ ذَا حَيَاةٍ
وَعِلْمٍ وَإِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ وَفَعَلٍ ؛ وَهَذَا مَعْنَى مَا وَرَدَ مِنْ خَلْقِ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ^(١) .

وَالْعِلْمُ رَئِيسٌ ؛ أَرَبِكْتُهُ الْحَيَاةُ ، وَرَسُولُهُ الْإِرَادَةُ ، وَمُنْفِذُ أَمْرِهِ الْقُدْرَةُ ،
وَوَظِيفَتُهُ تَمْيِيزُ الْحَسَنِ وَالْأَحْسَنِ مِنْ غَيْرِهِمَا ؛ فَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا
الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ ^(٢) ، فَهَذَا
بَعَثَ عَلَى اسْتِعْمَالِ مَا بِهِ مَنْ عَلَيْهِمْ مِنْ قُوَّةِ التَّمْيِيزِ ، وَبَيَّنَّ أُنْمُوذَجَ ذَلِكَ بِمَا
يَقُولُونَ فِي خُطَابِ الْمُشْرِكِينَ : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ
يُعَذِّبَكُمُ ﴾ ^(٣) ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الْعِلْمُ أَشْرَفَ الصِّفَاتِ .

وَمَا أَكْثَرَ مَا امْتَنَّنَ بِهِ ^(٤) سَبْحَانَهُ !! وَمِنْ ذَلِكَ : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٥) .

وَضَرَبَ لَهُ ^(٦) الْمَثَلَ بِالْحَيَاةِ ، وَمَثَلَ الْجَهْلِ بِالْمَوْتِ ، فَقَالَ : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا
فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ^(٧) .

(١) إِذْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٦٢٢٧) ، وَمُسْلِمٌ (٢٨/٢٨٤١) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا :
« خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ... » الْحَدِيثُ .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ : (٥٣) .

(٣) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ : (٥٤) .

(٤) يَعْنِي : الْعِلْمُ .

(٥) سُورَةُ النَّحْلِ : (٧٨) .

(٦) أَي : الْعِلْمُ .

(٧) سُورَةُ الْأَنْعَامِ : (١٢٢) .

فَيَسْتَعْمِلُ الْإِنْسَانَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، فَيَعْقِلُ قَلْبُهُ ، وَتَرْبِيَّتُهُ ^(١) بِالْعَمَلِ بِالْقَدْرِ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمٌ . . أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ^(٢) ؛ وَذَلِكَ بظهورِ مَا يَكُونُ إِتْقَانُ الْعَمَلِ وَرَاءَهُ ، كَمَا أَرشَدَ إِلَيْهِ أَيْضاً بِقَوْلِهِ : « إِنْ أَلَّهَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَنْ يُثَقِّنَهُ » ^(٣) .



ثُمَّ الْعِلْمُ : صِفَةٌ وَاحِدَةٌ لَهَا تَعْلُقَاتٌ كَثِيرَةٌ ، كُلُّ جَمَلَةٍ مِنْهَا مُنَاسِبَةٌ بِوَحْدَةٍ مَوْضُوعٍ وَغَايَةٍ وَرَسْمٍ ؛ وَمِنْ هُنَا تَعَدَّدَتِ الْعُلُومُ الْمُدَوَّنَةُ ، وَمُيِّزَتِ بِالْأَسْمَاءِ ؛ وَهِيَ قِسْمَانِ :

عَقْلِيَّةٌ : بَرَاهِينُهَا مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ .

وَنَقْلِيَّةٌ : دَلَائِلُهَا مِنْ جِهَةِ النُّقْلِ .



وَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ : نَشِوَةٌ وَبَعْضُ تَرْبِيَّتِهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَقَسَمَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الطَّبِيعِيَّةِ ، وَالرِّيَاضِيَّةِ ، وَالْإِلَهِيَّةِ ، وَجَعَلُوا الْمَنْطِقَ لَهُ مُقَدِّمَةً ؛ إِذْ كَانَ قَانُونًا تُورَدُ عَلَيْهِ الْبَرَاهِينُ مَادَّةً وَصُورَةً .



وَالثَّانِي : نَشِوَةٌ وَتَرْبِيَّتُهُ فِي الْإِسْلَامِ ؛ كَتَفْسِيرِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَالْعُلُومِ الْمُلْقَبَةِ بِعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ وَفَنُونِ الْأَدَبِ ؛

(١) أَي : الْعِلْمُ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ » (١٤/١٠ - ١٥) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (٩٠١) ، وَابِيهَقِيِّ فِي « شُعْبِ الْإِيمَانِ » (٤٩٢٩) عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وهي التي نظمها محمد النواجي بقوله^(١) :

خُذْ نَظْمَ آدَابٍ تَضَوَّعَ نَشْرُهَا يَحْكِي شَذَا الْمَنْشُورِ حِينَ يَضُوعُ

لُغَةً وَصَرْفٌ وَأَشْتِقَاقٌ نَحْوُهَا عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ بَدِيعُ

وَعَرُوضٌ قَافِيَةٌ وَإِنْشَاءٌ نَظْمُهَا بِكِتَابَةِ التَّارِيخِ لَيْسَ يَضِيعُ

فاللغة : علمٌ يُبينُ صورَ الألفاظِ ، وتعيينَها للأشياء التي يفهمها العالمُ بوضعها لها .

والصَّرفُ : علمٌ يُبينُ صيغَ الألفاظِ ، وكونَها أصولاً وزوائدَ ، ومتبادلةَ الحروفِ ، وكيفيةَ النطقِ بها .

والاشتقاقُ : علمٌ يُبينُ جعلَ بعضِ الألفاظِ أصولاً ، وتفريعَ بعضِ آخرِ عنها .

والنَّحْوُ : علمٌ يُبينُ أحوالَ أواخرِ الكلماتِ عندَ تركيبِها ، وتقديمِ بعضِ الكلماتِ عندهُ على بعضِ جوازاً ووجوباً ، وحذفِ بعضِ وذكرِ بعضِ وجوباً وجوازاً .

والمعاني : علمٌ يُبينُ الأغراضَ المُترتبةَ على إيرادِ التركيبِ في صورٍ مختلفةٍ ، وأنَّ لكلِّ صورةٍ غرضاً .

والبیانُ : علمٌ يُبينُ المجازَ والكنيةَ .

والبديعُ : علمٌ يُبينُ أحوالاً تُعرضُ للفظِ فتكسوهُ حسناً ورونةً .

والمعروضُ : علمٌ يُبينُ الأوزانَ التي وزَّنتُ بها العربُ شعرَها كيفيةً وكميةً .

(١) أوردها العلامة نصر الهوريني في «المطالع النصرية» (ص ٩) ونسبها لمحشي «القاموس» العلامة ابن الطيب الفاسي في «إضاءة الراموس» .

والقوافي : عِلْمٌ يُبَيِّنُ أحوالاً تَعْرِضُ لأواخرِ الأبياتِ ؛ منها ما يكونُ لازماً ،
ومنها ما يكونُ زينةً ، ومنها ما يكونُ عيباً .

والإنشاءُ : عِلْمٌ يُبَيِّنُ كيفيةَ تأليفِ الخطبِ ، ورسائلِ المخاطباتِ ، وما
أشبهَ ذلكَ ، ويُسمَّى فنَّ الكتابةِ والنشرِ ، وصاحبُهُ الكاتبُ والناثرُ .

والنَّظْمُ : ويُقالُ لَهُ : القريضُ وقَرَضُ الشَّعْرِ ؛ وهو عِلْمٌ يُبَيِّنُ كيفيةَ النَّظْمِ
في الأغراضِ المُختلفةِ ؛ مِنْ حِكْمٍ ، ووعظٍ ، ونسيبٍ ، ومدحٍ ، وعُتْبٍ ،
وتعطفٍ ، وتأديبٍ ، وغيرِ ذلكَ .

والكتابةُ : ويُقالُ لها : فنُّ الرسمِ والخطِّ ؛ وهو عِلْمٌ يُبَيِّنُ رسمَ الحروفِ
على هيئاتٍ مخصوصةٍ حَسَبَ ما عليه الاصطلاحُ .

والتاريخُ : عِلْمٌ يُبَيِّنُ أسماءَ مشاهيرِ الناسِ ، وأزمنتهم ، وأمكنتهم ،
وأعمارهم ، وأعمالهم .

ولعلَّ للتاريخِ الإسلاميِّ خصوصيةً أوجبَتْ عدَّهُ مِنَ العلومِ العربيَّةِ ، ولذلك
أبدلَهُ بعضهم بالمحاضراتِ ؛ وهي النوادرُ في الفنونِ المُختلفةِ التي يُحاضِرُ
بها بعضُ الناسِ بعضاً في مسامراتهم .

وموضوعُ ما قبلَ عِلْمِ الخَطِّ : اللفظُ .

وباختلافِ الجهةِ تَنَوَّعتِ العلومُ ، وقد اختارَ بعضُ الناسِ في ترتيبِ
تحصيلِ العلومِ العربيَّةِ ما قالَ بعضُ شعراءِ المغاربةِ : [من مجزوء الرجز]

أَلْعِلْمُ شَيْءٌ حَسَنٌ	فَكُنْ لَهُ ذَا طَلَبِ
فَأَبْدَأْهُ بِالنَّحْوِ وَخُذْ	مِنْ بَعْدِهِ فِي الْأَدَبِ
وَإِنْ أَرَدْتَ بَعْدَ ذَا	جَاهاً وَفَضْلاً مَكْسَبِ
فَأَخْفِظْ أَصُولَ مَالِكِ	وَأَعْرِفْ فُرُوعَ الْمَذْهَبِ

فَإِنَّ قَوْلَ مَالِكٍ سِلْسِلَةٌ مِنْ ذَهَبٍ

ولكون المغاربة أتباع مالك بن أنس رضي الله عنه . . قال ذلك شاعرهم .

واختار بعضُ الابتداء باللغة .

واختار بعضُ الابتداء بتعريف أنواع الأشياء التي عُيِّنَت الألفاظُ بيازائها .

ولكلِّ وجهٍ ، والأخيرُ أحكمُ ، وإن كان لا بدُّ من تحصيل مقدارٍ من اللغَةِ
يكونُ به التمكنُ من المخاطباتِ الأولىِ .



تمهيدٌ

[في تعريفِ الأدبِ]

اعلم: أنَّ الأدبَ معرفةُ الأحوالِ التي يكونُ الإنسانُ المُتخلِّقُ بها محبوباً عندَ أولي الألبابِ ، الذينَ هُمُ أمناءُ اللهِ على أهلِ أرضِهِ .

مِنَ القولِ في موضِعِهِ المناسبِ لَهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ قولٍ موضعاً يَخصُّهُ ؛ بحيثُ يكونُ وضعُ غيرِهِ فيه خروجاً عنِ الأدبِ ، كما قالَ جَزَوَلُ الشاعرُ المشهورُ بالحطيئةِ^(١) :

فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً



وَمِنَ الصَّمْتِ - وَهُوَ السُّكُوتُ المَقصُودُ - فِي موضِعِهِ .

فَإِنَّ لِلصَّمْتِ موضعاً يكونُ القولُ فيه خلافَ الأدبِ ؛ يرشُدُ إلى ذلكَ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ اللهُ أَمْرًا ؛ قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ »^(٢) .

وفي « لاميةِ الطُّغرائيِّ »^(٣) :

وَيَا خَبِيرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطَّلِعًا أَصْمُتُ فِيهِ الصَّمْتِ مَنْجَاةً مِنَ الزَّلَلِ

(١) انظر « ديوان الحطيئة » برواية وشرح ابن السكيت (ص ٣٣٥) ، والبيت بتمامه :

تَحَثَّنَ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً

(٢) أخرجه هناد في « الزهد » (١١٠٦) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٤١) عن الحسن البصري رحمه الله تعالى مرسلًا ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٨٩) مرفوعاً عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٩) .

ولبعضهم^(١) :

[من الطويل]

عَجِبْتُ لِإِزْرَاءِ الْغَيْبِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْعِلْمِ أَحْزَمًا
وَلَلصَّمْتُ خَيْرٌ لِلْغَيْبِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَةٌ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

والكلامُ المُنبِّهُ على مواضع الأقوالِ وعلى مواضع الصمتِ .. كثيرٌ .

وَمِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَكُونُ التَّخَلُّقُ بِهَا أَدْبًا .. وَضَعُ الْأَفْعَالِ فِي مَوَاضِعِهَا ،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٢) ،
فَنَبَّهَ سَبْحَانَهُ عَلَى أَنَّ الْمَطْلُوبَ : الْعَفْوُ الْمُصْلِحُ دُونَ الْمُفْسِدِ .

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ^(٣) :

[من الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ لَيْبٌ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرَ أَضَدَّرَا
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : « لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَالِكَ »^(٤) .

(١) وهو الخطفي جد جريز ، والبيتان بروايتهما هنا عند الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ٤٤٤) ،
ولكن في « البيان والتبيين » (١ / ٢٢٠) ، و« عيون الأخبار » (٢ / ١٧٥) : (العَيِّي) بدل (الغبي) ، ولا
تخفى مناسبتة ، وأثبتنا اسم كتاب الجاحظ بياء واحدة (التبيين) لأن محققه العلامة عبد السلام هارون
رحمه الله تعالى نصَّ في كتابه « قطوف أدبية » (ص ٩٧ - ٩٨) أنه بياء واحدة ، ثم قال : (وسأعيد هذه
التسمية الصحيحة إلى نصابها في الطبعة الخامسة إن شاء الله تعالى) ، فاعتمدنا هذا التصويب في
هوامش هذا الكتاب كله ، ونسأل الله أن يعيد الناشر التسمية إلى نصابها ؛ فإن المنية احترمت المحقق
رحمه الله تعالى .

(٢) سورة الشورى : (٤٠) .

(٣) البيتان ضمن قصيدة في « ديوان النابغة الجعدي » رضي الله عنه (ص ٨٥) ، وانظر « أدب الدين
والدنيا » (ص ٤٠٩) ، وفيهما : (حليم) بدل (لبيب) .

(٤) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦ / ٢٣٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠ / ١٣٢) عن
سيدنا النابغة الجعدي رضي الله عنه .

وقال أبو الطيّب^(١) :

[من الطويل]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
فَوَضِعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
والناسُ في الأدبِ متفاوتونَ تفاوتاً عظيماً ؛ فَمَنْ قرأَ العلومَ ، وطافَ في
البلادِ ، وعاشَرَ طوائفَ الناسِ بعقلٍ حاضرٍ وتنبيهٍ قائمٍ وضبطٍ جيدٍ ؛ حتى عرفَ
العوائدَ المختلفةَ ، والأهواءَ المتشعبةَ ، وميّزَ الحسنَ منها وتخلَّقَ به . . يكونُ
بالضرورةِ أكثرَ أدباً ممنَ قرأَ وخالطَ ولم يطفُ ، وممنَ قرأَ وطافَ ولم يعاشِرَ .
وموافقةُ جميعِ الناسِ أمرٌ غيرُ ممكنٍ ؛ فإنَّ الدِّينَ والعقلَ يمنعانِ منِ
ارتكابِ أمورٍ لا يسُرُّ بعضَ ذوي الأهواءِ غيرها ، وأولئك همُ السفهاءُ الذينَ
لا ألبابَ لهمُ ، فهمُ بمنزلةِ قُشورِ الأشياءِ التي لولا لبُّها . . لم تصلُحْ إلا للنارِ
أو ما أشبهه .

فيجبُ على الإنسانِ لأجلِ أن يكونَ محبوباً عندَ الناسِ ، حاصلاً على
أغراضِهِ منهم . . أن يطلبَ الأخلاقَ المحمودَةَ عندَ أولي النهى ؛ ليتحلَّى بها ،
ويتخلَّى عن أصدادِها ، وأن يعرفَ أنَّه لا سببَ لفسادِ الأقوالِ والأفعالِ حتى
تكونَ مشنوءةً مبغوضةً . . إلا وضعَ الشيءَ في غيرِ موضِعِهِ ، فلا بدَّ له منِ
اجتهادٍ عظيمٍ في طلبِ مواضعِ الأشياءِ ؛ ليأمنَ كثيراً منَ الغوائلِ ومُكذِّراتِ
النفوسِ ، ومنَ العيبِ الفاحشِ ؛ وهو نقصُ القادرِ على التمامِ ، كما قالَ
أبو الطيّبِ أحمدُ بنُ الحسينِ المشهورُ بالمتنبيِّ^(٢) :

[من الوافر]

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

(١) البيتان ضمن قصيدة في « ديوان المتنبي » (ص ٢٨١) ، وقوله الآتي : (بالعلا) متعلق بقوله :
(مضرٌّ) بعده .

(٢) كما في « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٤) من قصيدته التي مطلعها :
مَلُومُكُمْ مَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَفِعُ فَعَالِهِ فَزُوقِ الْكَلَامِ

وهذه أمثلة تُرشدك إلى كيفية تعرّف محاسن الأشياء ومواقعها :

المثال الأول

في التخلُّق ببعض الأخلاق

غيرُ خافٍ أن التخلُّقَ بالكِبَرِ والحَيَلِ والإِعجابِ والتعاضمِ على الناسِ بما أفضلَ اللهُ به على الإنسانِ مِنْ عِلْمٍ وجاهٍ ومالٍ . . أمرٌ غيرُ حسنٍ ؛ لِمَا جُبِلَتْ عليه النفوسُ مِنَ الإِباءِ والنَّفرةِ عَمَّنْ يَتعاضَمُ عليها ، فما أكثرَ ما بَدَّلَ حَسَنَ الوَدِّ والتألُّفِ بأشنعِ العداوةِ والتنافرِ !! لكنَّ لذلكَ موضعٌ يكونُ فيه حسناً .

وبيانُهُ : أنَّ مِنَ المُشاهدِ كَوْنِ النَواعِ الإنسانيةِ محتاجاً في حُسْنِ تَعْيُشِهِ^(١) وتحصيلِ أغراضِهِ إلى اجتماعِ أُلْفَةٍ ومَوَدَّةٍ وإِنصافٍ ؛ بأن يُحِبَّ المرءَ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وكلِّما كانتِ الفِرْقَةُ المُجمِعةُ مِنْهُ أَكثَرَ وأحفظَ للحقوقِ . . كانتِ أَحسَنَ حالاً في العِلْمِ والجاهِ والثروةِ ، فإذا خرَجَ بعضُ الناسِ عنِ الجمعيَّةِ ، وسعى في الأرضِ بالفسادِ . . وجبَ على الناسِ تَأديبُهُ بما يُعيدُهُ إلى الصلاحِ .

وربَّما كانَ التَكَبُّرُ والرَّهْوُ عليه أنكى له ، وأرجى لِمَثابِ فكرِهِ وانحيازِهِ إلى حَيِّزِ الاستقامةِ ، كما وردَ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رأى فارساً مِنْ أصحابِهِ يمشي بين الصَّفِّينِ مُختالاً ، يميلُ يَمِيناً وشِمالاً ، فقالَ : « هَذِهِ مِشِيَّةٌ يَكْرَهُهَا اللهُ تَعَالَى ، إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ »^(٢) ، فقد علمنا أنَّ للتكَبُّرِ موضعاً يكونُ فيه حسناً .

(١) التَعْيُشُ : تكَلَّفُ أسبابَ المعيشةِ .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٤/٧) عن خالد بن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خرشة ، عن أبيه عن جدِّه ، وأصله عند مسلم (٢٤٧٠) دون ذكر المشية ، وصاحب هذه المشية هو سيدنا سِمَاكُ بن خرشة المشهور بأبي دجانة رضي الله عنه .

المثال الثاني

التكلمُ بصحيحِ اللغةِ أمرٌ حسنٌ ، واللحنُ غيرُ حسنٍ

كما يُحكى : أن هند بنتَ أسماء بنِ خارِجَةَ زوجِ الحجاجِ لحنَتْ بينَ يديه يوماً ، فعابَ ذلكَ منها ، وازدراهُ عليها ، فقالتَ : ألم تسمع قولَ أخي مالك :

وَحَدِيثِ أَلَدُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِثُونَ يُوزَنُ وَزَنًا
مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَأَخْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

فقال الحجاجُ : وهذا خطأ ثانٍ ؛ فإنَّ التحريفَ والخطأَ عيبٌ لا يُحسنُهُ أحدٌ ، فهو لم يُردْ باللحنِ ما فهمتِ ، وإنما أرادَ به معنَى له آخرٌ ؛ وهو الرمزُ والإشارةُ إلى أمرٍ لم يكنِ الكلامُ المنطوقُ به موضوعاً له ، ألم تسمعي إلى قوله تعالى : ﴿ وَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ (١) .

ومن ذلك قولُ الشاعر (٢) :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَهُمْ لِكَيْمًا يَفْهَمُوا وَاللَّحْنُ يَفْهَمُهُ أَوْلُو الْأَلْبَابِ

لكن لما اعتادَ الناسُ الميلَ بالكلامِ عن وجهِ العربيِّ ، وصارَ فهمُهُم مربوطاً بالمنطقِ الملحونِ .. وجبَ التكلمُ معهم بما جرَّتْ به عادتُهُم ؛ يدخلُ ذلكَ في عمومِ قوله عليه الصلاةُ والسلامُ : « خَاطِبُوا النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ » (٣) .

(١) الخبر عند أبي عبيد البكري في « سمط اللالي » (١٧/١) ، والآية من سورة محمد : (٣٠) .

(٢) البيت للقتال الكلابي كما في « سمط اللالي » (١٢/١) ، وهو بروايته عنده :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمًا تَفْهَمُوا وَوَحَيْتُ وَخِيَا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

(٣) هو عند البخاري في « صحيحه » (٣٧/١) معلقاً من قول سيدنا علي رضي الله عنه بلفظ : (حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ؛ أَلَمْ تَحْبُونُ أَنْ يُكذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟) .

وقوله : « خَاطِبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ »^(١) ، وقد قيل : (خطأ مشهورٌ ولا صوابٌ مهجورٌ) .

فعلمنا أنَّ للتكلُّم بالعربية : موضعاً يكون فيه حسناً ؛ كقراءة الكتب ، ومحاورة الفُطناء ، حيث تكونُ في المباحثات العلميةِّ ، ومراجعات التعليم والتعلُّم ، وموضعاً يكون فيه غيرَ حسنٍ ؛ وهي المخاطباتُ السائرةُ بينَ عمومِ الناسِ .

المثالُ الثالثُ

الشعرُ كانَ زائداً الحُسنِ

بدليل شهرته وكثرته ، وارتياحِ عُقلاءِ السلفِ إليه ، حتى إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَسْتَنشِدُ الشعراءَ رجالاً ونساءً ؛ فكانَ يَسْتَنشِدُ الخنساءَ ، فإذا رأى منها بعضَ الفُتورِ . . قالَ : « هيه يا خُناسُ »^(٢) ؛ طلباً للمزيد ، يبعثُ من نشاطها ، وأثابَ على الشعرِ مراراً^(٣) ، وسنَّ الإجازةَ ، وقالَ : « إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لِحِكْمَةٌ »^(٤) ، وقالَ : « أَنْزَلَتِ الْحِكْمَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ مِنْ بَنِي آدَمَ : عَلَى قُلُوبِ الْيُونَانِ ، وَعَلَى أَيْدِي أَهْلِ الصِّينِ ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ »^(٥) .

وكانَ الملوكُ ونُبهاءُ الناسِ جاهليةً وإسلاماً مقبلينَ عليه غايةَ الإقبالِ ، حتى قيلَ : إنَّ الشعرَ يرفعُ قوماً ويضعُ آخرينَ ؛ مِنْ ذَلِكَ : ما وردَ أنَّ الحطيئةَ سافرَ مرَّةً في طلبِ كريمٍ يأوي إليه ، فلقىهُ الزُّبَيْرِ قَانُ بْنُ بَدْرِ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌُ بِصَدَقَةِ قَوْمِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَعَرَفَهُ وَهُوَ لَمْ

(١) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٦١١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) كذا في « الاستيعاب » (ص ٨٩٧) .

(٣) كإثابته صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير رضي الله عنه ببرده ، كما في « الإصابة » (٢٧٩/٣) .

(٤) أخرجه البخاري (٦١٤٥) عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٥) هو قولُ أورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٣٢٥/٥) ، وليس بحديث .

يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ : إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا مُلَيْكَةَ ؟ - وَهِيَ كُنْيَةُ الْحَطِيبَةِ - فَقَالَ : أَطْلُبُ
كَرِيمًا ، فَقَالَ : قَدْ وَجَدْتُ ، وَعَرَّفَهُ بِنَفْسِهِ ، وَاعْتَذَرَ لَهُ عَنِ الرَّجُوعِ مَعَهُ ،
وَأَرْسَلَهُ إِلَى دِيَارِهِ ، وَأَوْصَى بِهِ .

فَلَمَّا وَصَلَ . . أَكْرَمَهُ أَهْلُ الزَّبْرِقَانِ ، وَبَنَوْا عَلَيْهِ بَيْتًا ، وَاهْتَمُّوا بِأَمْرِهِ .

وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قَوْمٌ قَدْ أَسْقَطَهُمْ جَدُّهُمْ ^(١) ، يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو أَنْفِ
النَّاقَةِ ، فَعَمَلُوا حِيلَةً لَصَرْفِ الْحَطِيبَةِ إِلَيْهِمْ وَنَزُولِهِ عَلَيْهِمْ ، فَجَاؤُوا زَوْجَةَ
الزَّبْرِقَانِ سِرًّا وَقَالُوا لَهَا : إِنَّ زَوْجَكَ أَرَادَ أَنْ يَنْزُوجَ ابْنَةَ هَذَا الشَّاعِرِ ، فَتَحِيلِي
فِي إِقْصَائِهِ عَنكَ ، فَأَخَذَتْ فِي ذَلِكَ ، فَجَاءَتْ الْحَطِيبَةَ يَوْمًا وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا
تَرِيدُ الْإِنْتِجَاعَ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَأَنَّ جَمَالَ الْحَمَلِ الَّتِي عِنْدَهَا لَا تَكْفِي لِحَمَلٍ
مَتَاعِهَا وَمَتَاعِهِ ، فَقَالَتْ : تَحْمَلُ أَنْتَ ثُمَّ أَرْسَلِ الظَّهَرَ لِلنَّحْقِ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ
أَحَقُّ بِالسَّبْقِ وَأَنْتَظِرُكُمْ ، فَتَحَمَّلَتْ وَتَرَكْتَهُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَانْتَظَرَهَا ،
وَفَاتَ الْمَوْعِدُ وَلَمْ يَجِئْهُ مِنْهَا خَبِيرٌ .

فاجتمع إليه أولئك القوم، وأخذوه وأكروموه، وجمعوا له مالا عظيماً،
وطلبوا منه أن يهجو الزَّبْرِقَانَ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَهْجُو رَجُلًا لَمْ يَجْنِ عَلَيَّ ، وَلَعَلَّهُ
إِذَا اطَّلَعَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ زَوْجَتَهُ . . لَمْ يَرْضَهُ ؟!

ثُمَّ إِنَّهُ حَضَرَ وَعَرَفَ مَا حَصَلَ ، فَتَغَيَّرَ ، وَطَلَبَ الْحَطِيبَةَ ، فَامْتَنَعَ وَمَنَعَهُ
أُولَئِكَ الْقَوْمُ ، فَطَالَ الْكَلَامُ ، وَقَرَطَ مِنَ الزَّبْرِقَانِ فَوَارِطًا ، فَهَجَاهُ الْحَطِيبَةُ
بِقَصِيدَةٍ ، مِنْهَا ^(٢) :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

(١) وهو جعفر أنف الناقة بن قريع ، كما في «الكامل» للمبرد (٧١٦/٢) ، و«ديوان الحطيئة»
(ص ١٥) .

(٢) البيتان في «ديوان الحطيئة» (ص ٥٠ - ٥١) ضمن قصيدة .

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَزَحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فوضع من قدره ، وخفض من ذكره ، حتى رفع أمره إلى أمير المؤمنين ، فاستحضره وقال : بماذا هجاك ؟ فأشده ذلك ، فقال أمير المؤمنين : لا أرى بأساً ؛ دعاك إلى الراحة ، وذكر كثرة نعم الله عليك ، فقال : سل الشعراء يا أمير المؤمنين ليشهدوا لي عليه ، فقال حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم : هو ما هجاه ، وإنما سلح عليه !! (١) .

وكان من أمره بعد ذلك مع أمير المؤمنين ما كان (٢) .

وأصل وضاعة بني أنف الناقة وخمول ذكرهم ونبزهم بهذا اللقب : أن والد أنف الناقة كان له جملة أولاد من عدة أزواج ، وكان أنف الناقة واحد أمه ، فنحر يوماً ناقةً وقال لأولاده : اذهبوا فاقسموها ، فتباطأ أنف الناقة حتى لم يبق منها إلا رأسها ، فذهب ليأخذها وأدخل ذراعاً في أنفها واحتملها ، فقيل له : أنف الناقة ، وعير بذلك (٣) ، فلما قال في مدحهم الحطيئة (٤) :

[من البسيط]

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
.. علا قدرهم ، وارتفع ذكرهم ، وصاروا يفتخرون بهذا اللقب ، بعد أن كان

(١) انظر الخبر في « الكامل » للمبرد (٧١٥/٢) ، و« ديوان الحطيئة » بشرح ابن السكيت (ص ٥٠) ، وسلح عليه : تغوَّط وأخرج ما في بطنه رقيقاً ، وهو كناية عن أمر قبيح ، والمراد : أخرسه فلم ينبس ببنت شفة .

(٢) من حبس أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه للحطيئة باستعداد الزبرقان عليه ، إلى أن أطلقه حين قال كما في « ديوانه » (ص ١٩١) قصيدته التي مطلعها :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بِنْدِي مَرِّحْ حُمْرِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجْرٍ
غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَأَغْفِرْ عَلَيْنِكَ سَلَامَ اللَّهِ يَا عُمَرُ

(٣) كذا أورد خبرهم ابن السكيت في « شرح ديوان الحطيئة » (ص ١٥) .

(٤) انظر « ديوان الحطيئة » (ص ١٥) .

الواحد منهم إذا سُئِلَ أن يَنْتَسِبَ . . انتسبَ إلى بعضِ أجداده ، ولم ينطق
بهذا اللقب .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ قَبِيلَةَ نُمَيْرٍ كَانَتْ مِنْ أَعَزِّ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ تُسَمَّى :
جَمْرَةَ الْعَرَبِ ؛ إِذْ كَانَتْ أَنْسَابُهُمْ مَقْصُورَةً عَلَيْهِمْ ، لَيْسَ فِيهِمْ دَخِيلٌ ؛ لَا
يُخْرِجُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ، وَلَا يُدْخِلُونَ مِنْ رِجَالٍ غَيْرِهِمْ ، وَإِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ :
مَمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : (نُمَيْرِي) وَفَحَّمَهَا وَمَلَأَ بِهَا فَاهُ ، فَلَمَّا قَالَ جَرِيْرٌ يَهْجُو
الرَّاعِي (١) :

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا
.. ذَلْ هَذَا الْأِسْمُ وَأَتَضَّعَ ، وَانْتَسَبُوا بَعْدَ ذَلِكَ لَجِدِّ أَعْلَى مِنْهُ ، فَكَانَ الرَّجُلُ
يَقُولُ إِذَا سُئِلَ الْإِنْتِسَابَ : (عَامِرِي) . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَبِالْجُمْلَةِ : فَقَدْ كَانَ الشُّعْرُ هُوَ الْحَاكِمَ الْأَكْبَرَ وَالْمُطَاعَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ النَّاسُ
تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَضَى شَطْرٌ مِنْ أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِنْ
يَكُنْ حَصَلَ لَهُ تَنَازُلُ دَرَجَاتٍ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ ؛ فَلَقَدْ كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَهْجُو
الْمَلِكَ يَرَى أَنَّهُ يُؤَدِّبُهُ ، حَتَّى قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمَ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ النَّايِ وَالْعُودِ
يريدُ محمدَ المهديِّ ثالثَ ملوكِ بني العباسِ ، فَقَتَلَهُ ضَرْباً (٢) .

ثُمَّ صَارَ الشُّعْرُ لَيْسَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، بَلْ صَارَ كَثِيرٌ مَا يَتَجَدَّدُ مِنْهُ لَا يَخِيفُ
عَلَى الْأَسْمَاعِ ، وَلَا تَرْتَاخُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفُوسُ ، وَلَا سَبَبُ
لِذَلِكَ إِلَّا وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

(١) البيت ضمن قصيدة في « ديوان جرير » (٨٢١/٢) .

(٢) الخبر والبيتان في « معاهد التنصيص » (٣٠١/١ - ٣٠٢) .

وبيانهُ : أنَّ الشعرَ كما سبقت الإشارةُ إليه كثرت أنواعُهُ بحسبِ كثرةِ أغراضِهِ ، وموضعِ تفصيلِ ذلكَ عندَ التكلُّمِ على قرضِ الشعرِ إن شاء اللهُ تعالى^(١) ، ولا بدَّ هنا مِنْ نُبذةٍ يسيرةٍ لأجلِ تحقيقِ الغرضِ الذي نحنُ بصددهِ ، فنقولُ : الشعرُ ينقسمُ إلى نسيبٍ ، ومدحٍ ، وتأديبٍ ، وغيرِ ذلكَ .
أما النَّسِيبُ .. فهو ذكرُ محاسنِ النساءِ خَلْقاً وَخُلُقاً ؛ يُقالُ : نَسَبَ بِفُلانَةٍ يُنْسِبُ نَسِيباً ؛ أي : تغنَّى بذكرِ محاسنِها .

والمَدْحُ : الإخبارُ عنِ الأشياءِ بالأوصافِ الجميلةِ .

والتأديبُ : الإخبارُ عنِ الإنسانِ بأشياءٍ لا يَسْتَحْسِنُها الناسُ .

ولكلِّ جودةٍ وِرْداءَةٌ ، فيحسنُ النسيبُ إذا كانَ جيداً مُنَزَّهاً عنِ الإفحاشِ ، حتى يكونَ كما قيلَ : يدخلُ على العذراءِ في خِدرِها ، فلا تستحيي مِنْ إنشادهِ .

وكانَ إنشادهُ بحضرةِ فُطناءِ الناسِ وظرفائِهِمْ ، الذينَ تَمَّتْ فحولتُهُمْ ، وطابَتْ طباعُهُمْ ، واعتدلتْ أمزجتُهُمْ ، فلقد كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستمعُ إليه وهو يُنشدُ بينَ يديهِ ، والصحابةُ يتناشدونهُ في المسجدِ ، ويشغلونَ به كثيراً مِنْ أوقَاتِهِمْ ؛ تَرَوُّحاً واستنشاطاً واستجماماً للأفكارِ والعقولِ ، وكلِّما كانَ الرجلُ تامَّ الفُحولةِ .. كانَ أميلَ إلى التقوُّلِ .

وهو أمرٌ مقصودٌ ، يُنبئُهُ على ذلكَ ما وردَ : أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كانَ عندها كفيلاً لها^(٢) ، فزوَّجتها لبعضِ الأنصارِ^(٣) ، وزفَّتها

(١) انظر (٣/٣١٩) .

(٢) قال الحافظ القسطلاني في «إرشاد الساري» (٦٧/٨) : (كانت يتيمة في حجرها ، كما في «الأوسط» للطبراني [٣٢٨٩] ، وعند ابن ماجه [١٩٩٣] : قرابة لها ، وعند أبي الشيخ : بنت أختها ، أو ذات قرابة منها ، وفي «أسد الغابة» [٢١٤/٧] ما يدل على أن اسمها الفارعة بنت أسعد بن زرارة) .

(٣) هو نبيط بن جابر من بني مالك بن النجار ، كذا في «أسد الغابة» (٢١٤/٧) .

بنفسها وصواحبُ لها ، فلمَّا رجعتُ . . قالَ لها النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ أَمَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ ؟ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ ، يُعْجِبُهُمُ اللَّهُوُّ » قالتْ : لا ، فقالَ : « هَلَّا بَعَثْتُمْ جَارِيَةَ تَضْرِبُ بِالذُّفِّ وَتُغْنِي » فقالتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما كانتَ تقولُ ؟ فقالَ : « كَانَتْ تَقُولُ :

[من مجزوء الوافر]

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ
فَلَوْلَا أَلْذَهَبُ الْأَخْمِ رُمَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ
وَلَوْلَا أَلْحِنْطَةُ السَّمْرَا ءُ مَا سَمِنْتَ عَذَارِيكُمْ^(١)

ويُحكى : أنَ بعضَ أتقياءِ أهلِ الحجازِ وعُبادِهِمْ^(٢) رأى بمنى امرأةَ ذاتِ حسنٍ فائقٍ وجمالٍ رائقٍ ، وهي مُلقيةٌ على وجهها بُرداً مُهلَهلاً النَّسج ، مُظهِراً لمحاسنها ، فقالَ : يا هذه ؛ اختبئي !! فقالتَ لهُ : أنا مِنَ اللواتي قالَ فِيهِنَّ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ^(٣) :

[من الطويل]

أَمَاطَتْ رِداءَ الْخَزْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا وَأَلَقَتْ عَلَى الْخَدَّيْنِ بُرداً مُهلَهلاً
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَحْجُجْنَ بِيَغِينِ جَنَّةٍ وَلَكِنْ لِيَقْتُلْنَ التَّقِيَّ الْمُغْفَلاً

فقالَ : اللَّهُمَّ ؛ لا تُعَدِّبْ هَذَا الْوَجْهَ ، ومضى .

فبلغَ ذَلِكَ بعضَ الأئمَّةِ أصحابِ المذاهبِ في وقتِهِ^(٤) ، فقالَ : تلكَ ظرافةُ

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دون الشعر المذكور ،

وأخرجه مع الشعر الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٨٩) من حديثها رضي الله عنها .

(٢) هو أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالى .

(٣) البيتان إنما هما للعرجي ، كما في « ديوانه » (ص ٧٤) ضمن قصيدته التي مطلعها :

رَأَيْتُنِي خَضِيبَ الرَّأْسِ شَمَزْتُ مِثْرِي وَقَدْ عَهَدْتُنِي أَسْوَدَ الشَّعْرِ مُسْبِلاً

وفي « المنتظم » : (يبعين ربية) بدل (يبعين جنة) ، ولعلها أنسب .

(٤) هو سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى .

أهل الحجاز ، أما لو سمعها بعض مُتَنَطِّعَةِ أهلِ العراقِ . . لشمَّها وصَحِبَ عليها^(١) .

فعلنا من ذلك موضع حسن النسيب من غيره ، وحسن المدح إذا كان مدحاً بالأوصاف القائمة ، باعثاً على الازدياد وعلو الهمة من ممدوحه وممن يسمعه ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في تفضيل زهير على الشعراء : (كان لا يُعَاظِلُ في الكلام ، ولا يمدح الرجل بغير ما هو فيه)^(٢) .

فعلنا أن مدح الرجل بغير ما هو فيه . . وضع للشيء في غير موضعه ، موجب لسقوط صاحبه وتفضيل غيره ، كما قيل^(٣) : [من البسيط]

وَإِنَّمَا الشَّعْرُ عَقْلُ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْبَرِيَّةِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمْقًا
وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا مَا قُلْتَهُ صَدَقًا

والمُعَاظَلَةُ في الكلام : أن يُدخِلَ الشاعرُ أجزاءً جملةً في أجزاء جملة حتى يصير مُعَقِّدًا ، خارجاً عن الفصاحة والملاحة ، لا يبين معناه إلا بعد لأبي وشدة ؛ كقول الفرزدق يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك أحد ملوك بني أمية^(٤) :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلِّكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وَوَجْهُ الْكَلَامِ : وَمَا مِثْلُهُ حَيٌّ يُقَارِبُهُ إِلَّا مُمَلِّكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ^(٥) .

(١) أخرج الخبر ابن الجوزي في « المنتظم » (٩٦/٥) ، وفيه تعيين مبهمات المنقولة .

(٢) أخرجه أبو زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب » (١٨٧/١ - ١٨٨) .

(٣) البيهقي في « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (٤٣٠/١) ، والخُمُقُ - بضمين - : قلة العقل ، بخلاف الكَيْسِ الذي هو الفطنة .

(٤) كذا في « طبقات فحول الشعراء » (٣٦٤/٢ - ٣٦٥) .

(٥) قال المبرد في « الكامل » (٤٢/١) : (يعني بالمملك : هشاماً ، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ، ولو كان هذا الكلام على وجهه . . لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن

ومتى كان المدحُ شكرياً واعترافاً بالنعمة . . كان داخلاً في عموم قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١) ، وهو المرادُ بقول النبي: «لَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ» (٢) .

ومتى كان آله كسبٍ ، مُدخلاً لصاحبه في المُلحفين المُلحجين في السؤال ، سيما إذا كان قادراً ، ذا قوَى يَصْرِفُهَا في منافع الناس ، حتى يَحْضُلَ على مطالبه باستحقاقٍ . . لم يكن أمراً حميداً ؛ وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم : «أخْشُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ» (٣) ، ويقول بعضهم (٤) : [من السريع]

أَلَكَلْبُ وَالشَّاعِرُ فِي مَنْزِلِ يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ شَاعِرًا
أَمَا تَرَاهُ بِاسِطًا كَفَّهُ يَسْتَوْهِبُ الْوَارِدَ وَالصَّادِرَا
وَاللَّهُ لَوْلَا حُرُوقَاتُ الْهَوَى مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلًا تَاجِرَا
وَأَمَّا التَّأْدِيبُ - وهو الهجوُ - . . فَإِنَّمَا يَحْسُنُ إِذَا عُلِمَ تَأْثِيرُهُ وَرَدْعُهُ
المُفْسِدَ ، فهو مِنَ الغيبَةِ التي لم يُنْه عنها ، وإلا . . فهو أمرٌ مُتَنَاهٍ في القبح ؛
لأنَّه الغيبَةُ المُفْطَعُ أمرها في القرآنِ المَجِيدِ (٥) .

والقولُ العامُّ في الشعرِ : أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ صِنَاعَةً مِنَ الصِّنَاعَاتِ . . يَجُودُ بِدَقَّةٍ مَعْنَاهُ ، وَمَلَا حَةَ لَفْظِهِ ، وَإِحْكَامِ بِنَائِهِ ، كَمَا سِيَّاتِي بَيَانُهُ ، وَيَرْدُوُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، لِكُنْهَ مُتَغَيِّرِ الْأَمْرِ وَالْحَالِ بِتَغْيِيرِ الْعَوَائِدِ تَغْيِيرًا عَظِيمًا ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ

يقول : وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلا مملك ، أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجته بما أوقع فيه من التقديم والتأخير) .

(١) سورة الضحى : (١١) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٧) ، ومسلم (٣٣/٢٧٦٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٦٩/٣٠٠٢) عن سيدنا المقداد رضي الله عنه .

(٤) هو أبو سعيد المخزومي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٨٧) ، وفي صلبها البيتان الأولان ، ونحو البيت الثالث في هامشها نسخة .

(٥) أفطع الأمر : اشتدت شناعته ، وجاوز المقدار في ذلك .

مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ الْأَصْلِيَّةِ ، إِذْ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْفَاكِهِةِ الَّتِي لَا تَطْيَبُ إِلَّا بَعْدَ
الْغِذَاءِ .

وَأَوَّلُ مُغَيِّرٍ لَهُ الْإِسْلَامُ ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ
تَرَأْنَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنْتُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

معناه : أَنَّ الشُّعْرَاءَ كَانُوا مُتْرَسَلِينَ مَعَ الْأَهْوَاءِ ، لَا يَمْنَعُهُمْ مَانِعٌ وَلَا يَرُدُّعُهُمْ
رَادِعٌ ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ وَسَاوِسُ الشَّهَوَاتِ ، وَلَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى تَحْسِينِ الْقَبِيحِ ،
وَتَقْبِيحِ الْحَسَنِ ، وَسَفَهَاءِ النَّاسِ لَهُمْ تَبَعٌ ، فَكَانَ يَتَوْلَدُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَتَوْلَدُ مِنْ
الْفِتَنِ وَالْفَسَادِ بَيْنَ النَّاسِ .

وقد استثنى سبحانه الشعراء الذين عقّلوا الدين ؛ فوقفوا عند حدوده ،
واجتنبوا الفحشاء والمنكر ، حيث كانت أوقاتهم معمورة بذكر محاسن ما
أرشد الله إليه ، فهم لا يضعون الأشياء إلا في مواضعها .

وهذا معنى كثرة ذكر الله في قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ (٢) .

فمعنى ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِيَّاكَ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ تنبيه على موضع الهجو .

ثمَّ تَغَيَّرَ أَمْرُ الشُّعْرَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ تَغْيِيرًا (٤) عَظِيمًا بِاشْتِغَالِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ

(١) سورة الشعراء : (٢٢٤ - ٢٢٦) .

(٢) سورة الشعراء : (٢٢٧) .

(٣) سورة العنكبوت : (٤٥) .

(٤) في الأصل : (تغييراً) .

الكثيرة المتزايدة التي ارتبطَ بها مصالحُ الناسِ ، حتى قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ
عنه^(١) :

وَلَوْلَا الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدٍ
وقالَ : (لولا مُجونُ أبي نُواسٍ .. لأخذتُ عنه العِلْمَ) .

وحرَّمَ قبلَ ذلكَ لبيدُ الشعرَ على نفسه وقالَ : (لا أقولُه بعدَ أن حفظتُ
« البقرة » و « آل عمران »)^(٢) .

وخلاصةُ القولِ في ذلكَ : أنَّ مدارسَ الأشعارِ العربيَّةِ ؛ لِمَا فيها مِنَ الفوائدِ
العلميَّةِ المُتعلِّقةِ بأوضاعِ اللُغةِ العربيَّةِ .. أمرٌ لازمٌ ؛ لكونِه مُعرِّفاً لمقاصدِ
القرآنِ وأقوالِ النبيِّ ، فهوَ مِنَ الدِّينِ ، كما قيلَ^(٣) :

حِفْظُ اللُّغَاتِ عَلَيْنَا فَزُضْ كَفَزُضِ الصَّلَاةِ
فَلَيْسَ يُحْفَظُ دِينٌ إِلَّا بِحِفْظِ اللُّغَاتِ

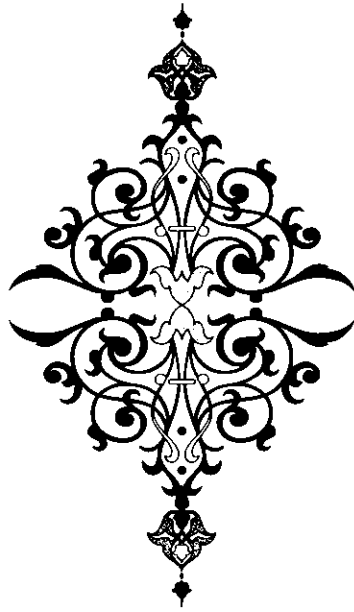
وأما إنشاؤه .. فمعَ الإتقانِ بوضعه في مواضعه ، وصرفه بحسبِ اللزومِ ؛
فهو حليةُ العلماءِ ، وزينةُ الأدباءِ ، والأعمالُ بالنياتِ ، والله الهادي إلى أحسنِ
المقاصدِ .

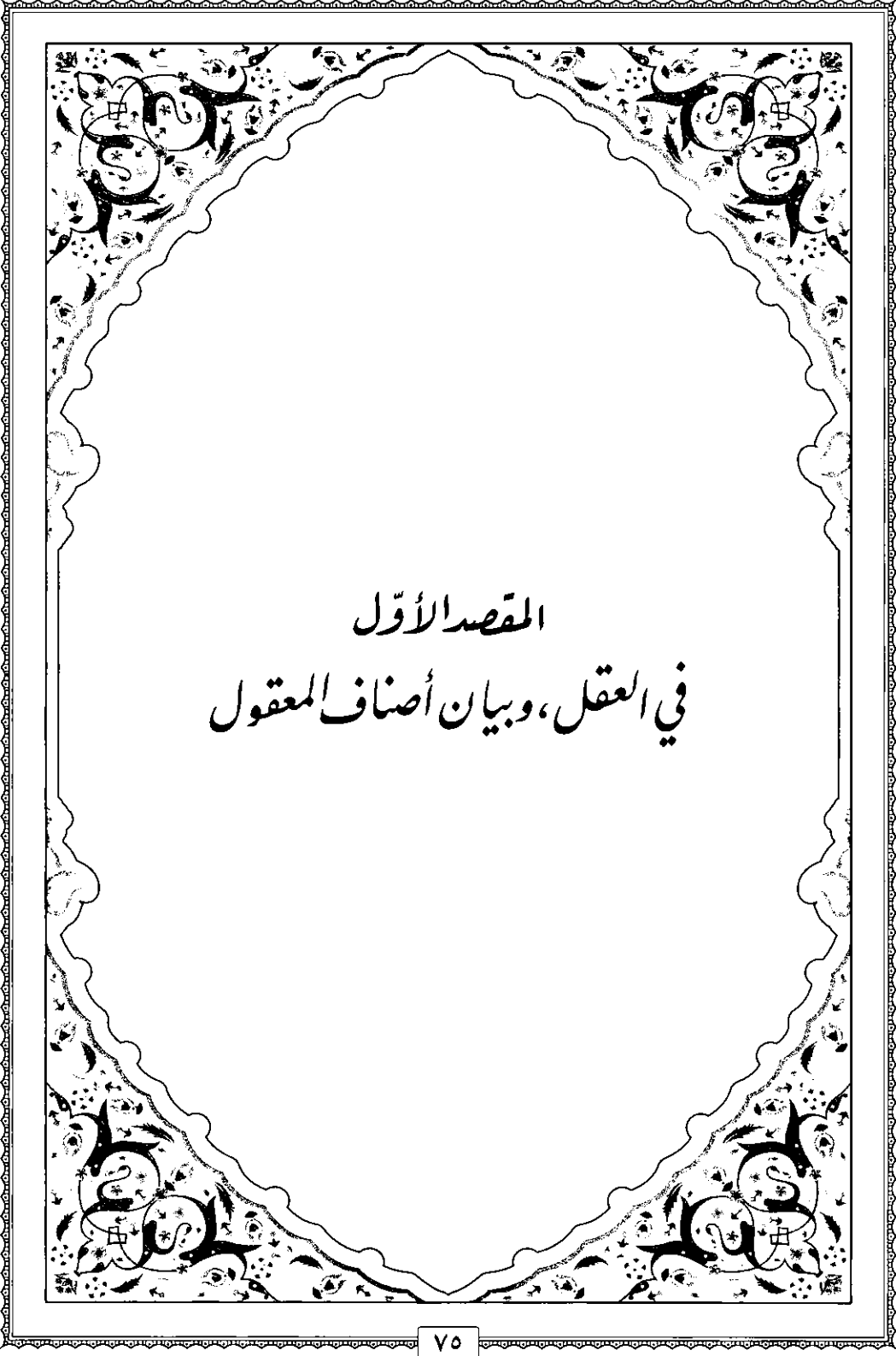


(١) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٦٢/٢) مع بيتين آخرين ضمن خبر لطيف .

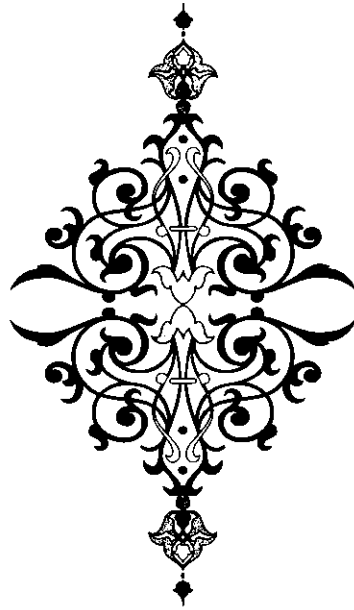
(٢) انظر « الإصابة » (٣٠٧/٣) .

(٣) أوردهما الإمام السيوطي في « المزهرة » (٣٠٢/٢) من غير عزو .





المقصد الأول
في العقل، وبيان أصناف المعقول



[بيان معنى كلمة العقل]

كلمة (العقل) لها معنيان :

المعنى الأول : جمع ساق البعير وفخذه بحبل يُربط عليهما ، ويُسمى : عقلاً ؛ ليثبت مكانه فلا يشرد .



المعنى الثاني : رؤية النفس الشيء واطلاعها عليه وضبطها له ، والمراد بالنفس : الأمر الساكن في أبداننا ، الذي نجده يتحدث بالأشياء ، ويكون يتحدث اللسان تابعاً لتحدثه ؛ تقول : عقلت الشيء عقلاً ، فأنت عاقل ، والشيء معقول .

ويستعمل الإدراك والعلم والمعرفة في هذا المعنى ، وأصل الإدراك : الوصول إلى غاية ؛ ومنه : طلبت فلاناً الهارب فأدركته في مكان كذا ، ومنه : أدرك الغلام ؛ أي : بلغ الحلم ؛ تقول : أدركت الشيء ؛ فأنت مدرك ، والشيء مدرك .



والحفظ : إثبات النفس صور الأشياء .

والفهم : أن تدرك ما أريد منها .

تقول : حفظت القرآن ؛ أي : عقلت ألفاظه وأثبتتها إثبات النقوش على الأحجار .

وفهمته ؛ أي : عقلت ما أريد بألفاظه ، فالحفظ والفهم نوعان خاصان من التعقل .

[مراتبُ العقلِ]

وللعقلِ [أربعُ] مراتبٍ ^(١) :

- المرتبةُ الأولى : عقلُ الطفلِ قبلَ أوَانِ التكلُّمِ ، ويُسمَّى : العقلَ بالطبعِ ،
وبالفطرةِ ، وبالقُوَّةِ ، والهَيُولَى .

- المرتبةُ الثانيةُ : عقلُهُ بعدَ أوَانِ التكلُّمِ ، ويُسمَّى : العقلَ بالفعلِ ،
وبالحالِ ، والتلقينِ ، وفي هذهِ المرتبةِ يدركُ الإنسانُ مِنْ صورِ الأشياءِ وَمِنْ
تأثيراتها إدراكاً بهِ يَطْلُبُ المحبوبَ ، وَيَهْرُبُ مِنَ المَكْرُوهِ .

- المرتبةُ الثالثةُ : عقلُ الغلامِ الذي حَصَلَ عندهُ كثيرٌ مِنَ المعقولاتِ ،
وتمكَّنَ مِنَ استحضارِها إذا أرادَ ، وأخذَ يستعملُ شيئاً مِنَ القياسِ حتَّى
يستحصلَ ما لم يكنُ حاصلًا عندهُ ، ويُسمَّى العقلُ في هذهِ المرتبةِ : العقلَ
بالمملكَتينِ ؛ وهما :

ملكةُ الاستحضارِ ، وتُسمَّى : المُذَكِّرةُ ؛ وهي قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ تَمَكَّنُ بها مِنَ
استحضارِ ما عَقَلَتْ .

وملكةُ الاستحصالِ ، وتُسمَّى : المُفَكِّرةُ ؛ وهي قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ تَمَكَّنُ بها مِنَ
استحصالِ ما ليسَ معقولاً لها بالقياسِ على ما هوَ معقولٌ .

- المرتبةُ الرابعةُ : عقلُهُ إذا مَهَرَ في الاستحصالِ وَدَرَبَ عليه بالفكرِ والنظرِ ،

(١) وأوصلها الحكماء إلى ثمانية ، وانظر التفصيل في « معيار العلم » (ص ٣٤٦) ، وفي الأصل :
(أربعة) بدل (أربع) .

الذي هو ملاحظة المعقولات الحاضرة عند المدرك لتحصيل المجهولات الغائبة عنه ، ويُسمى العقل في هذه المرتبة : العقل المُستفاد .

وقد يُراد من العقل : قُوَّة النَّفْسِ التي تُدْرِكُ بها الأشياء ، ولذلك تسمُّهُم يقولون : العقل الغريزي والعقل المطبوع ، والعقل الكسبي والعقل المسموع .



ثمَّ الأشياء التي يتعلَّق بها العقل فتكون معقولةً . . أحد عشر صنفاً^(١) :
- الصِّنْفُ الأوَّلُ : ذاتٌ ثابتٌ ثبوتاً أزلياً لم يسبقه عدمٌ ، أبدياً لا يلحقه عدمٌ ، موصوفٌ بصفاتٍ كذلك ، يُسندُ العقلُ إليه جميعَ الكائناتِ بالسببيةِ والمُسببيةِ ، فهو السببُ وغيره مُسبَّبٌ له ؛ وهو اللهُ جلَّ ذكره .

- الصِّنْفُ الثاني : أعيانُ الكائناتِ ، وتُسمى : ذواتِ الكائناتِ وجواهرها ، ويقابلون العينَ بالحالِ ، والذاتَ بالصفةِ ، والجوهرَ بالعرضِ ، ومعنى الحالِ والصفةِ والعرضِ واحدٌ ، ومعنى العينِ والذاتِ والجوهرِ واحدٌ ؛ وهو الأمرُ الثابتُ الذي تتعاقبُ عليه الأحوالُ .

وينقسمُ الجوهرُ إلى : جوهرٍ غيرِ مُمتدِّ ، مُتَحَيِّزٍ ؛ أي : شاغلٍ فراغاً ؛
والْحَيِّزُ : الفراغُ المشغولُ به ، ويُسمى : جوهرأ فردأ ، وجزءأ لا يتجزأ .

وإلى جوهرٍ مُتَحَيِّزٍ مُمتدِّ ، ويُسمى : جسمأ .

وينقسمُ الجسمُ إلى :

نامٍ : أي : متزايدٍ في الحجم .

(١) انظر تفصيل المقولات العشر في « معيار العلم » (ص ٣٨٦ - ٤١٠) .

وإلى جامدٍ : أي : غير متزايدٍ فيه .

وينقسمُ النامي إلى : حَسَّاسٍ مُتَحَرِّكٍ بالإرادة ، وإلى غيرِهِ ، ويُسمَّى الحَسَّاسُ : حيواناً ، ويُسمَّى غيرُهُ : نباتاً .

وينقسمُ الحَسَّاسُ إلى : ناطقٍ ؛ أي : مطبوعٍ على أن يتفكَّرَ فيما عَقَلَ ؛ ليعقلَ شيئاً بشيءٍ ، ويُعبَّرَ عمَّا حصلَ عندهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ وهو النوعُ المُسمَّى : إنساناً وبشراً ، ويُسمَّى الإنسانُ : النوعَ الآخرَ ؛ وهو مُرَكَّبٌ مِنْ أمرينِ ؛ أمرٍ مُشترَكٍ بينَهُ وبينَ الأنواعِ التي في رتبتهِ ، ويُسمَّى لهذا الأمرُ : جنسهُ القريبُ ؛ ويُعبَّرُ عنهُ بالحيوانِ ، وأمرٍ مُختصٍّ بهِ مُميِّزٍ لهِ عن غيرِهِ ، ويُسمَّى : فضلاً ؛ فتقولُ : الإنسانُ : حيوانٌ ناطقٌ ، والجمالُ : حيوانٌ راعٍ ، والبقرُ : حيوانٌ خائرٌ ، فالحيوانُ جنسٌ ؛ لكونِهِ مشتركاً ، والناطقُ والراعيُّ والخائرُ فصولٌ ؛ لكونِها مُختصَّةً .

والشيءُ العامُّ الذي لا خصوصَ فيه - وهو الجوهْرُ - يُسمَّى : جنساً عالياً ، وجنسَ الأجناسِ ، والأشياءُ التي بينَهُ وبينَ الإنسانِ تُسمَّى : الأجناسَ المُتوسِّطةَ إذا نسبتها لِمَا تحتها باعتبارِ شمولِها لهِ ، وتُسمَّى : الأنواعَ المُتوسِّطةَ إذا نسبتها لِمَا فوقها باعتبارِ كونِها مشمولةً لهِ ، وتُسمَّى : فصولاً باعتبارِ ما فيها مِنْ الخصوصِ والتمييزِ .

فالجوهْرُ : جنسٌ لا غيرٌ ، والجسمُ والنامي والحَسَّاسُ : أجناسٌ وأنواعٌ وفصولٌ بالاعتباراتِ الثلاثةِ ، والإنسانُ وما في رتبتهِ مِنَ الحيوانِ : أنواعٌ لا غيرٌ .
وكيفيةُ تعقُّلِ هذهِ المعاني : أنَّهم نظروا إلى الأشياءِ المحسوسةِ المتمايزَةِ غايةَ التمايزِ وسَمَّوها : أشخاصاً ، ووجدوا أموراً مُشتركةً بينَ جملِ الأشخاصِ اشتراكاً متفاوتاً على الترتيبِ الذي سبقَ شرحُهُ ، فسَمَّوها بتلكِ الأسماءِ حسبَ اختلافِ الاعتباراتِ .

وَيُخَبَّرُ بِالنَّوْعِ وَسَائِرِ الْأَجْنَاسِ عَنِ الشَّخْصِ ، وَالشَّخْصُ لَا يُخَبَّرُ بِهِ ،
وَالجِنْسُ الْعَالِي لَا يُخَبَّرُ عَنْهُ .

وَالْحُكَمَاءُ يُسْمَوْنَ الْإِخْبَارَ بِالشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ : حَمَلًا وَقَوْلًا ، وَيُسْمَوْنَ
الْمُخَبَّرَ بِهِ : مَحْمُولًا وَمَقُولًا ، وَيُسْمَوْنَ الْمُخَبَّرَ عَنْهُ : مَوْضوعًا وَمَقُولًا عَلَيْهِ ،
فَتَقُولُ :

زَيْدٌ : إِنْسَانٌ ، وَحَيَوَانٌ ، وَنَامٌ ، وَجِسْمٌ ، وَجَوْهَرٌ .

وَالْإِنْسَانُ : حَيَوَانٌ ، وَنَامٌ ، وَجِسْمٌ ، وَجَوْهَرٌ .

وَالْحَيَوَانُ : نَامٌ ، وَجِسْمٌ ، وَجَوْهَرٌ .

وَالنَّامِي : جِسْمٌ ، وَجَوْهَرٌ .

وَالجِسْمُ : جَوْهَرٌ .

وَلَيْسَ قَبْلَ الْجَوْهَرِ شَيْءٌ يَكُونُ خَبْرًا عَنِ الْجَوْهَرِ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الشَّخْصِ
شَيْءٌ يَكُونُ الشَّخْصَ مُخَبَّرًا بِهِ عَنْهُ .

فَالشَّخْصُ مَوْضوعٌ لَا غَيْرُ ، وَالجِنْسُ الْعَالِي مَحْمُولٌ لَا غَيْرُ ، وَمَا بَيْنَهُمَا
مَوْضوعٌ لِمَا قَبْلَهُ ، مَحْمُولٌ عَلَى مَا بَعْدَهُ .

وَالْأَمْرُ الشَّامِلُ يُسَمَّى : عَامًّا ، وَالْمَشْمُولُ يُسَمَّى : خَاصًّا ، وَالْإِرْتِبَاطُ بَيْنَ
الشَّامِلِ وَالْمَشْمُولِ يُسَمَّى : عَمُومًا وَخُصُوصًا ، وَتَفْصِيلُ الْعَامِّ الشَّامِلِ إِلَى
خَاصِّيَّةِ الْمَشْمُولِينَ لَهُ بِضَمِّ الْأُمُورِ الْمُمَيِّزَةِ الَّتِي سَبَقَ تَسْمِيَّتُهَا بِالْفُصُولِ . .
يُسَمَّى : تَقْسِيمًا ، وَحِينَئِذٍ يُسَمَّى الشَّامِلُ : مُقْسَمًا ، وَيُسَمَّى كُلُّ مَنْ الشَّامِلِينَ
بِالنِّسْبَةِ لَهُ : قِسْمًا مِنْهُ ، وَيُسَمَّى كُلُّ مَنْهُمَا بِالنِّسْبَةِ لِصَاحِبِهِ : قِسْمًا لَهُ ^(١) .

وَالْأَنْوَاعُ مُقْسِمَةٌ لِلْأَجْنَاسِ ، وَالْأَجْنَاسُ مُقَوِّمَةٌ لِلْأَنْوَاعِ ، وَمُحْصِلَةٌ لَهَا بِضَمِّ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ : (قِسْمًا لَهُ) .

الفصول إليها ، والجميعُ مُقَوِّمٌ للشخصِ ؛ فكلُّ عالٍ مُقَوِّمٌ للسافلِ ، وكلُّ سافلٍ مُقسِّمٌ للعالي .



- الصِّنْفُ الثالثُ : أحوالٌ تُسَمَّى : كَمًّا ؛ والكَمُّ قسمانِ :

مُتَّصِلٌ : وهو الأبعادُ العارضةُ للجسمِ ؛ مِنَ الخَطِّ ؛ وهو ما يَنْقَسِمُ طُولاً فقط ، والسَّطْحِ ؛ وهو ما يَنْقَسِمُ طُولاً وَعَرْضاً ، والجسمِ التعليميِّ ؛ وهو ما يَنْقَسِمُ طُولاً وَعَرْضاً وَعُمقاً ، ومَعروضُ الجسمِ التعليميِّ هو الجسمِ الطبيعيِّ ، والمرادُ بالطُّولِ : الامتدادُ المفروضُ أَوَّلاً ، والمرادُ بالعَرْضِ : الامتدادُ المفروضُ ثانياً ، والمرادُ بالعمقِ : الامتدادُ الآخِذُ مِنَ السَّطْحِ الأعلى ذاهباً إلى السَّطْحِ الأسفلِ ، فإنِ اعتُبِرَ آخِذاً مِنَ الأسفلِ إلى الأعلى . . . سُمِّيَ : سَمَكاً ، وإنِ اعتُبِرَ قائماً واصلاً بينَ السَّطْحَيْنِ مِنْ غيرِ اعتبارِ آخِذٍ مِنْ جهةٍ إلى جهةٍ . . . يُسَمَّى : نِخْنًا ، وهذا القسمُ يُسَمَّى : المِقْدَارَ .

ومنفصلٌ : وهو العددُ .

ويُسَمَّى المِقْدَارُ مُتَّصِلاً ؛ لأنَّ كلَّ جزأينِ مِنْهُ يَشْتَرِكَانِ فِي نِقْطَةٍ تَكُونُ نِهَايَةً لِأَحَدِهِمَا وَبِدَايَةً لِلآخَرِ ، وتُسَمَّى هَذِهِ النُّقْطَةُ : حَدًّا مُشْتَرَكًا ، وليسَ لِلْمُنْفَصِلِ حَدٌّ مُشْتَرَكٌ .

- الصِّنْفُ الرابعُ : أحوالٌ تُسَمَّى : كَيْفًا ؛ والكَيْفُ : هو المُبْصِرَاتُ مِنْ

الألوانِ والأضواءِ والأشكالِ ، والمسموعاتِ ؛ مِنَ الأصواتِ ، والمشموماتِ مِنَ الروائحِ ، والمذوقاتِ مِنَ الطُّعُومِ ، والملموساتِ مِنَ الحرارةِ والبرودةِ ، والنعموةِ والخشونةِ ، وجميعُ ما ذُكِرَ يُسَمَّى بالمحسوساتِ .

والوجدانيات : وهي الأحوال الباطنة ، ما رَسَخَ منها وثبتَ يُسَمَّى : مَلَكَهً ،
وغيرُهُ يُسَمَّى : حالاً .

والصَّلابةُ واللِّينُ لكونِهِما يُدرِكانِ ولو بالغمزِ بعودٍ في اليدِ . . لم يَعدُوهُما
مِنَ المحسوساتِ ، وهما مِنَ الكيفياتِ .



- الصِّنْفُ الخامسُ : حالٌ يُسَمَّى : أَيْناً ؛ وهو الحصولُ في المكانِ .

- الصِّنْفُ السادسُ : حالٌ يُسَمَّى : متى ؛ وهو الحصولُ في الزمانِ ، والزمانُ
أطولُ امتدادٍ وجوديٍّ يُتوهُمُ تَجزِئَتُهُ إلى الامتداداتِ المتفاوتةِ ، واسمُ الزمانِ
يُطلقُ عليه وعلى جميعِ الامتداداتِ كيفَما كانتْ ، والجزءُ الذي لا يَنقسمُ مِن
أجزاءِ الامتدادِ يُسَمَّى : آناً ، واسمُ الدَّهرِ واسمُ السَّرمدِ مُختَصَّانِ ؛ فالدَّهْرُ :
الامتدادُ الطويلُ ، والسَّرمدُ : الأطولُ .

- الصِّنْفُ السابعُ : حالٌ يُسَمَّى : إضافةً ؛ وهو حالٌ لا يُعقلُ إلا بتعقلِ حالٍ
آخَرَ ، كما أنَّ الحالَ الآخَرَ لا يُعقلُ إلا بهِ ؛ كالأبوةِ لا تُعقلُ إلا بتعقلِ البُنوةِ ،
كما أنَّ البُنوةَ لا تُعقلُ إلا بتعقلِ الأبوةِ .

- الصِّنْفُ الثامنُ : حالٌ يُسَمَّى : وضعاً ؛ وهو حالُ الشيءِ المأخوذُ مِنُ
نسبةِ أجزاءهِ بعضها إلى بعضٍ وإلى الخارجِ عنها ؛ كحالِ القائمِ والقاعدِ ،
والمقابلِ والمجانِبِ ، والفوقِ والتحتِ ، وغيرِ ذلكِ .

- الصِّنْفُ التَّاسِعُ : حَالٌ يُسَمَّى : مِلْكَاً وَجِدَةً وَوَجْداً ؛ وَهُوَ هَيْئَةُ إِحَاطَةٍ طَبِيعِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ طَبِيعِيَّةٍ تُوجِبُ انْتِقَالَ المَحِيطِ بِانْتِقَالِ المُحَاطِ ؛ كَالجُلُودِ وَالمَلَابِسِ .

- الصِّنْفُ العَاشِرُ : حَالٌ يُسَمَّى : فِعْلاً ؛ وَهُوَ التَّأثيرُ ؛ أَي : إِيجَادُ الأَثْرِ ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِ (أَنْ فَعَلَ) وَ (أَنْ يَفْعَلَ) .

- الصِّنْفُ الحَادِي عَشَرَ : حَالٌ يُسَمَّى : انْفِعَالاً ؛ وَهُوَ التَّأثيرُ ؛ أَي : قَبُولُ أَثَرِ المُوَثَّرِ ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِ (أَنْ انْفَعَلَ) وَ (أَنْ يَنْفَعَلَ) .

وهذه الفصولُ التي شَرَحَتِ الأَصْنَافَ العَشْرَةَ الوَاقِعَةَ بَعْدَ الصِّنْفِ الأوَّلِ الَّذِي هُوَ وَحْدَهُ فِي مَقَابِلَةِ مَجْمُوعِ هَذِهِ الأَصْنَافِ . . تُسَمَّى بِالمَقُولَاتِ العَشْرِ ، وَمَجْمُوعُ هَذِهِ الأَصْنَافِ هُوَ المُسَمَّى بِالعَالَمِ وَبِالمَمَكِنِ ، فِي مَقَابِلَةِ ذَاتِ الصَّانِعِ الوَاجِبِ الثُّبُوتِ .



[التكلُّمُ عن أنواعِ المعقولِ ضمنَ مسائلَ]

ثمَّ للمعقولِ حالَ تعقُّلِهِ تنوُّعٌ إلى أنواعٍ يَسْتَحِقُّ كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا لِقَباً يَخْصُهُ ،
ولنوردُ ذلكَ في مسائلَ :

المسألةُ الأولى

[في صورِ المعقولِ ، وأوجهِ تعقُّلِ النَّسَبِ التصديقيَّةِ]^(١)

المعقولُ : تارةً يكونُ عيناً مِنَ الأعيانِ ، وتارةً يكونُ حالاً مِنَ الأحوالِ ،
وتارةً يكونُ ارتباطاً أمرٍ بأمرٍ ؛ ويُسمَّى ذلكَ الارتباطُ : نسبةً ، ونفسكُ مُجَبَّةٌ
للاطلاعِ على الأشياءِ الواقعةِ ، ونسبةُ أمرٍ إلى أمرٍ مُتردِّدةٌ عندكُ بينَ أن تكونَ
واقعةً وألاً تكونَ ، وإن كانتَ في نفسها على حالٍ منهما ، وحينئذٍ يكونُ
تعقُّلكُ لها على ثمانيةِ أوجهٍ :

- الوجهُ الأوَّلُ : أن تتخيَّلَها ضارباً صَفْحاً عن كونها واقعةً أو غيرَ واقعةٍ .

- الوجهُ الثاني : أن تتعقَّلَها مُنكراً لوقوعها مُكذِّباً به .

- الوجهُ الثالثُ : أن تتعقَّلَها مُتردِّداً بينَ الوقوعِ وعدمِهِ ، لا يَتَمَيِّزُ أَحَدُ

طرفيها عندكُ على الآخرِ .

- الوجهُ الرابعُ : أن تتعقَّلَها مُرَجِّحاً لطرفٍ مِنْ طرفيها بسببِ أمارَةٍ قامَتْ

عندكُ لا تَصِلُ بكُ إلى حدِّ الجزمِ .

- وحينئذٍ يكونُ الطَّرْفُ الآخرُ مرجوحاً معَ كونه يَحْتَمِلُ أن يكونَ هوَ

الحقُّ ، فلهُ تعقُّلٌ أيضاً ؛ وهوَ الوجهُ الخامسُ مِنْ وجوهِ تعقُّلِ النسبةِ .

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٢١٢) ، و« حاشية العطار على جمع الجوامع » (١/١٩٢) .

- الوجه السادس : أن تتعقلها جازماً بأحد طرفيها عن تقليد الغير .

- الوجه السابع : أن تتعقلها جازماً بأحد طرفيها بسبب جزمك بمعقولٍ آخر هو حقٌّ يكون الجزمُ به موجباً لجزمك بأحد طرفيها ، ويُسمَّى هذا الموجبُ : دليلاً وبرهاناً وحُجَّةً .

- الوجه الثامن : أن تتعقلها جازماً بأحد طرفيها بسبب جزمك بمعقولٍ آخر هو غير حقٍّ ، ويُسمَّى هذا المعقولُ : شبهةً .

التعقلُ في الوجه الأول يُسمَّى : تخيلاً ، وفي الثاني يُسمَّى : تكديباً ، وفي الثالث يُسمَّى : شكاً ، وفي الرابع يُسمَّى : ظناً ، وفي الخامس يُسمَّى : وهماً ، وفي السادس يُسمَّى : تقليداً ، وفي السابع يُسمَّى : يقيناً ، وفي الثامن يُسمَّى : جهلاً مركباً .

وكلُّ من الظنِّ والتقليدِ واليقينِ والجهلِ المركَّبِ .. يُسمَّى : تصديقاً ، وما عدا هذه الأربعة - وهو ستةٌ تعقلاتٍ - يُسمَّى : تصوراً ؛ فالتعقلُ : إمَّا تصوُّرٌ ، وإمَّا تصديقٌ .

المسألة الثانية

[في انقسامِ التعقلِ إلى نظريٍّ وبديهيٍّ ، وأنواعِ البديهيَّاتِ]
التعقلُ : إن كان مستفاداً من تعقلٍ آخر .. يُسمَّى : نظريّاً ، وإن لم يكن مستفاداً من تعقلٍ آخر .. سُمِّيَ : بديهيّاً .

والبديهيُّ ستةٌ أنواعٍ :

- النوعُ الأوَّلُ : ويُسمَّى بالأولياتِ ؛ وهي نسبٌ تجزمُ بها بمجرّد تصوُّرِ المنسوبِ والمنسوبِ إليه .

- النوعُ الثاني : ويُسمَّى بالمشاهداتِ ؛ وهي المحسوساتُ والوجدانياتُ .

- النوع الثالث : ويُسمَّى بالتجربِيَّاتِ ؛ وهي التعقُّلاتُ التي تُستفادُ مِنَ التجربة .

- النوع الرابعُ : وتُسمَّى بالحدسيَّاتِ ؛ وهي التي تُستفادُ مِنَ الحدسِ والتخمينِ الكثيرِ الصِّدْقِ .

- النوع الخامسُ : وتُسمَّى بالفطريَّاتِ ؛ وهي تعقُّلاتٌ مفيدُها حاضرٌ معها دائماً .

- النوع السادسُ : وتُسمَّى بالتواتريَّاتِ ؛ وهي تعقُّلاتٌ تفيدها أخبارٌ تنقلها جماعةٌ ، لا يُجوزُ العقلُ تواطؤَهُم وتوافقَهُم على الكذبِ ، عن مثلهم ، حتى ينتهي ذلك إلى المشاهدة .

المسألة الثالثةُ

[في انقسامِ المعقولِ إلى كليٍّ وجزئيٍّ]^(١)

المعقولُ : إن كانَ شاملاً لأكثرَ مِنْ شيءٍ .. سُمِّيَ كليّاً ، وإن لم يكنْ له شمولٌ .. سُمِّيَ جزئياً .

ويُسمَّى شمولُ الشيءِ للشيءِ : صِدْقاً ، ويُسمَّى الشاملُ : صادقاً على المشمولِ ، ويُسمَّى المشمولُ : ماصِداً وفرداً .

المسألة الرابعةُ

[في انقسامِ المعقولِ إلى كلٍّ وجزءٍ]^(٢)

المُرَكَّبُ مِنْ شَيْئَيْنِ يُسمَّى : كُلاً ، والشيطانِ اللَّذَانِ تَرَكَبَ مِنْهُمَا يُسمَّيانِ :

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٦٩) .

(٢) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٧٨) .

جزأين ، فينسب الجزء إلى الكلِّ لكونه داخلاً فيه ، فيقال له : كُلِّي ، و ينسب الكلُّ إلى الجزء لكونه صاحبه ، فيقال : جزئي ، ومن هنا يُقال : (كلُّ كَلِيٍّ جزءٌ لجزئيه ، وكلُّ جزئيٍّ كلٌّ لكليته) .

المسألة الخامسة

[في الكليات الخمسة]^(١)

طبيعة الشيء ذاته من جهة كونها مبدأً ومنشأً لآثاره المختصة به ، فالإنسان مثلاً منشأً للنطق وتوابعه من حيث إنَّه إنسانٌ ، لا من حيث كونه حيواناً ، وإلا . . . لكان كلُّ حيوانٍ منشأً للنطق وتوابعه ، والحيوان من حيث إنَّه حيوانٌ منشأً للحسِّ والحركة الإرادية ؛ فالإنسان ذو طبيعتين ؛ طبيعةً مشتركةً ، وطبيعةً مُختصةً ؛ وهي الجنسُ والفصلُ ، وبهذا يُسمَّى : حقيقةً مُركَّبةً ، ونوعاً .

والنوعُ والجنسُ والفصلُ تُسمَّى بالكلياتِ الذاتيةِ ، وما يُؤخذُ من الأحوالِ المُختصةِ بالنوعِ ليخبرَ به عنه يُسمَّى : خاصَّةً ؛ كالصاحكِ المأخوذِ من الضحكِ المُختصِّ بالإنسانِ ليخبرَ به عنه ، وما يُؤخذُ من الأحوالِ المشتركةِ بينَ نوعينِ فأكثرَ يُسمَّى : عرضياً عاماً ؛ كالماشي المأخوذِ من المشي الذي هو عَرَضٌ عامٌّ للإنسانِ وغيره من أنواعِ الحيوانِ ، والخاصَّةُ والعَرَضِيُّ العامُّ كليَّانِ ؛ لكونهما شاملين .

فالكلياتُ خمسةٌ :

النوعُ ، والجنسُ ، والفصلُ ، والخاصَّةُ ، والعَرَضِيُّ العامُّ ، وما عداها فجزئياتٌ وأفرادٌ وأشخاصٌ .

(١) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٦٧) .

المسألة السادسة

[في النسبة بين مفهومين]^(١)

كلُّ مفهومينِ قرنتَ بينهما - لا محالة - يكونُ بينهما إحدى نسبِ أربعٍ ؛ وهي التساوي ، والتباينُ ، والعمومُ والخصوصُ المُطلقانِ ، والعمومُ من جهةِ والخصوصُ من جهةٍ .

لأنَّهما إن تصادقا تصادقا كلياً ؛ بحيثُ يكونُ جميعُ الأفرادِ التي هي مشمولةٌ لأحدهما مشمولةٌ للآخرِ ، كما بينَ النوعِ والفصلِ وخواصِهِ . . فهي تساوي ، وحينئذٍ يُسمَّى المفهومانِ اللَّذَانِ هَذَا شأنُهُما بالمتساويينِ .

وإن تفرقا تفرقا كلياً ؛ بحيثُ لا يكونُ شيءٌ من أفرادِ أحدهما فرداً للآخرِ ، كما بينَ نوعٍ ونوعٍ . . فهو التباينُ ، وحينئذٍ يُسمَّيانِ بالمتباينينِ .

وإن تصادقا على شيءٍ وانفردَ واحدٌ منهما بشيءٍ يصدقُ هوَ عليه دونَ الآخرِ . . فهو العمومُ والخصوصُ المُطلقانِ ، وحينئذٍ يُسمَّيانِ بالعامِ المُطلقِ والخاصِ المُطلقِ ، كما بينَ الأجناسِ والأنواعِ .

وإن تصادقا على شيءٍ واختصَّ كلُّ منهما بشيءٍ كما في العَرَضِيَّاتِ معَ أنفسِها أو معَ غيرها . . فالعمومُ من جهةٍ والخصوصُ من جهةٍ ، وحينئذٍ يُسمَّيانِ بالعامِ من جهةٍ والخاصِ من جهةٍ ، وهذه النسبُ هي منشأُ جميعِ الأحكامِ .

المسألة السابعة

[في بيانِ القياسِ الحملِيِّ ، والشرطيِّ المتصلِّ والمنفصلِ]^(٢)

الحكمُ : هو إدراكُ الارتباطِ بينَ الشيءِ [والشيءِ] على وجهِ الاعترافِ بوقوعِهِ ، فهو بمعنى التصديقِ .

(١) انظر « شرح تنقيح الفصول » (ص ٩٦) .

(٢) انظر « معيار العلم » (ص ١٢٠) .

ثمّ الارتباطُ بينَ الشيئينِ ثلاثةُ أنواعٍ :

- النوعُ الأوّلُ : ثبوتُ أمرٍ لأمرٍ أو انتفاؤه عنه ، ويُسمّى : نسبةً حمليةً ؛ وذلكَ كالنسبةِ في قولك : (العدلُ حسنٌ) و (الظلمُ ليسَ بحسنٍ) .

- النوعُ الثاني : لزومُ وقوعِ نسبةٍ لوقوعِ نسبةٍ أخرى ؛ بمعنى : أن يكونَ بينَ وقوعيهما لزومٌ ؛ وهو امتناعُ الانفكاكِ بحيثُ يحصلُ واحدٌ ولا يحصلُ الآخرُ ، وذلكَ كالنسبةِ في قولك : (إن كانتِ الشمسُ طالعةً . . كانَ النهارُ موجوداً) ويُسمّى الأوّلُ : ملزوماً ، والثاني : لازماً .

- النوعُ الثالثُ : عنادُ وقوعِ نسبةٍ لوقوعِ نسبةٍ أخرى ؛ فهما لا يقعانِ معاً ولا يرتفعانِ معاً ، أو لا يقعانِ معاً وقد يرتفعانِ ، أو لا يرتفعانِ معاً وقد يقعانِ معاً ؛ كالنسبةِ في قولك : (إمّا أن تكونَ الشمسُ طالعةً ، وإمّا أن يكونَ النهارُ غيرَ موجودٍ) .

والنوعُ السابقُ يُسمّى : النسبةَ الشرطيّةَ الاتصاليّةَ ، وهذا النوعُ يُسمّى : النسبةَ الشرطيّةَ الانفصاليّةَ .

ومنشأُ الاتصالِ : السببيّةُ في الوجودِ أو التضايِفِ ، ومنشأُ الانفصالِ : التناقضُ والتضادُ .

والنقيضانِ : هما الأمرانِ اللذانِ لا يجتمعانِ في موضوعٍ ولا يرتفعانِ معاً عنه ؛ وهما الثبوتُ والانتفاءُ ، أو ما يساوي الانتفاءَ ؛ مثلُ قولك : (العددُ : زوجٌ أو لا زوجٌ) ، وقولك : (العددُ : زوجٌ أو فردٌ) فقولك : (فردٌ) يساوي قولك : (لا زوجٌ) .

والضدّانِ : هما الأمرانِ الوجوديانِ اللذانِ لا يجتمعانِ في موضوعٍ وقد يرتفعانِ لحلولِ ثالثٍ بدلَهُما ؛ كالبياضِ والسّوادِ المرتفعينِ عن الأحمرِ مثلاً .

وَيُسَمَّى الْحَكْمُ : إيجاباً وسلباً ، وإثباتاً ونفياً ، وَيُسَمَّى الطَّرْفُ الْأَوَّلُ فِي
النَّسْبَةِ الْحَمَلِيَّةِ : موضوعاً ، والثاني : محمولاً ، كما سبق ، وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ فِي
الشَّرْطِيَّتَيْنِ : مُقَدِّمًا ، والثاني : تَالِيًا .

المسألة الثامنة

[في أنواع الحدود]^(١)

تمييز الشيء بذكر ما يميّزه من فضلٍ أو خاصّة يُسَمَّى : تعريفًا ، والتعريفُ
بجنسهِ القريبِ وفصلهِ يُسَمَّى : حدًّا تامًّا ، وبعنصرهِ البعيدِ والفصلِ يُسَمَّى :
حدًّا ناقصًا ، وبعنصرهِ القريبِ وخاصّته يُسَمَّى : رسمًا تامًّا ، وغيره يُسَمَّى :
رسمًا ناقصًا .

والأدباءُ يُسَمُّونَ كُلَّ مُمَيِّزٍ لِلشَّيْءِ عَنْ غَيْرِهِ حَدًّا وَرَسْمًا ، وَلَا يُفْضِلُونَ
تفصيلَ أهلِ المَنَطِقِ .

المسألة التاسعة

[في أنواع النّسبِ ، والخبرِ والإنشاءِ]^(٢)

العبارة عن النسبة وطرفيها مُرَكَّبٌ تامٌّ إِنْ كَانَتِ النَّسْبَةُ مَقْصُودَةً بِالْإِفَادَةِ ؛
بِحَيْثُ يَصِحُّ السُّكُوتُ عَلَى الْمُرَكَّبِ الَّذِي يَفِيدُ النَّسْبَةَ بِهَيْئَتِهِ التَّرْكِيبِيَّةِ ،
وَيُسَمَّى الْمُرَكَّبُ التَّامُّ : قَضِيَّةً وَكَلَامًا خَبْرِيًّا إِنْ كَانَ حِكَايَةً عَنْ وَاقِعٍ ، وَإِنْشَائِيًّا
إِنْ لَمْ يَكُنْ حِكَايَةً عَنْ وَاقِعٍ .

وَنَاقِضٌ إِنْ كَانَتِ النَّسْبَةُ غَيْرَ مَقْصُودَةٍ بِالْإِفَادَةِ ؛ بِحَيْثُ لَا يَصِحُّ السُّكُوتُ
عَلَى الْمُرَكَّبِ الَّذِي يَفِيدُهَا بِهَيْئَتِهِ ؛ وَهِيَ [كَنَسْبَةِ] الْمَمْلُوكِ إِلَى الْمَالِكِ ،

(١) انظر « محك النظر » (ص ١٨٦) .

(٢) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٨٨) .

وتُسمَّى : النسبة الإضافية ؛ مثل : (دارُ زيدٍ) و (عبدُ عمرو) ، ونسبة الصفة إلى الموصوف ، وتُسمَّى : النسبة التوصيفية ؛ مثل قولك : (الرجلُ العاقلُ) و (الإنسانُ الكاملُ) ، وكلتا هاتين النسبتين تُسمَّى بالتقييدية ، وهي لا تُخرج المعقولَ عن كونه تصوُّراً .

والعبارة عن غير النسبة مفردٌ : فعلٌ إن أفادَ تأثيراً أو تأثراً في أحدِ الأزمنة الثلاثة ؛ الماضي والحالِ والآتي ؛ طلباً لذلك أو إخباراً عنه ، واسمٌ إن كانَ مفادُهُ عيناً من الأعيانِ أو حالاً مُستقلاً بالمعقوليَّة والملاحظة ، وحرَفٌ إن كانَ مفادُهُ حالاً غيرَ مُستقلٍّ بالمعقوليَّة ، بل كانَ لا يمكنُ تعقلُهُ إلا بالتبعيَّة لتعقلِ غيره . فالعبارةُ : إمَّا مُركَّبٌ ، وإمَّا مفردٌ ، والمُركَّبُ : إمَّا تامٌّ ، وإمَّا ناقصٌ ، والمُفردُ : إمَّا فعلٌ ، وإمَّا اسمٌ ، وإمَّا حرفٌ .

ومن هنا أمكنَ أن نشرعَ في العلومِ العربيَّة التي موضوعها الألفاظُ ، وأمکنَ أن نُتِمِّمَ المسائلَ المنطقيَّة التي ما سبقَ من المسائلِ بعضها ، فنقولُ على الإجمالِ :

المسألة العاشرة

[في أنواعِ القضايا] ^(١)

القضية إن كانَ موضوعها شخصاً .. سُمِّيَتْ شخصيَّةً ومخصوصةً ، وإن كانَ موضوعها غيرَ شخصٍ ؛ فإن حُكِمَ فيها على جميعِ الأفرادِ ، ودُكِرَ في موضوعها لفظُ (كلِّ) .. سُمِّيَتْ : كُلِّيَّةً ، ولفظةُ (كلِّ) تُسمَّى : سُوراً ، وإن حُكِمَ فيها على بعضِ الأفرادِ ، ودُكِرَ في الموضوعِ لفظُ (بعضِ) .. سُمِّيَتْ : جزئيَّةً ، ويُسمَّى لفظُ (البعضِ) : سُوراً ، وإن حُكِمَ على الأفرادِ ولم يُدكَرْ لفظُ (كلِّ) ولا (بعضِ) .. سُمِّيَتْ : مُهمَلَّةً ، وهي جزئيَّةٌ في الاستعمالِ ، وإن

(١) انظر « محك النظر » (ص ٨١) .

لم تُلحظ الأفراد وكان الحكم على طبيعة المعنى الشامل ؛ مثل : (الحيوان جنس) ، و (الإنسان نوع) .. سُميت : طبيعيةً .

فالقضية : شخصية ، أو كلية ، أو جزئية ، أو مهملة ، أو طبيعية .

وما أفاد العموم من الألفاظ يقوم مقام لفظة (كل) في التسوير ؛ مثل : (جميعاً) و (قاطبة) و (طراً) في الإيجاب ، و (لا شيء) و (لا واحد) في السلب .

وكلفظ (البعض) ما أفاد البعضية والجزئية إيجاباً وسلباً ؛ ك (واحد) و (شيء) و (رب واحد) و (ليس بعض) و (بعض ليس) و (ليس كل) .

المسألة الحادية عشرة

[في انقسام القضايا إلى ضرورية وممكنة]^(١)

ثبوت شيء لشيء أو انتفاؤه عنه : إما أن يكون واجباً لا يجوز العقل خلافه ؛ بحيث يُقال : بالضرورة هذا كذا ، أو ليس كذا ، وحينئذ تُسمى القضية : ضروريةً ، وإن كان كل من الثبوت والانتفاء ممكنًا ؛ بحيث يجوز العقل كلاً بدل الآخر .. سُميت ممكنةً .

فالقضايا : ضروريات ، أو ممكنات .

المسألة الثانية عشرة

[في أدلة صدق القضايا]^(٢)

حيث كانت القضية حكاية عن واقع .. جاز أن تكون مطابقة له ، وألا تكون مطابقةً .

(١) انظر « محك النظر » (ص ٨٣) .

(٢) انظر « معيار العلم » (ص ١٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٠) .

والمطابقة تُسَمَّى : صدقاً ، وعدمُ المطابقة يُسَمَّى : كذباً ، وحينئذٍ لا يلتزم العقلُ الوقوفَ عن تجويزِهما إلا بملزمٍ ؛ وذلك المُلزمُ يُسَمَّى : دليلاً وُحجَّةً ، وكذلك لا يُرَجِّحُ أحدهما إلا بمرجِّحٍ ؛ ويُسَمَّى : أمانةً .

والدليلُ ثلاثةُ أنواعٍ : نوعٌ يُسَمَّى : استقراءً ، ونوعٌ يُسَمَّى : تمثيلاً ، ونوعٌ يُسَمَّى : قياساً .

- الاستقراءُ : تتبُّعُ جميعِ أفرادِ الشيءِ ليحكمَ عليها بحكمٍ كليٍّ ، ويُسَمَّى : استقراءً تاماً ، أو تتبُّعُ أكثرِ الأفرادِ لذلكِ ، ويُسَمَّى : استقراءً ناقصاً ؛ كتتبُّعِ أكثرِ أفرادِ الحيوانِ ، فقالوا : (كلُّ حيوانٍ يُحرِّكُ فكَّهُ الأسفلَ) ، فوجدَ التَّماسُحُ على خلافِ ذلكِ .

- والتمثيلُ : إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ في صفةٍ ليحكمَ على المُلحَقِ بحكمِ المُلحَقِ به ؛ حيثُ تكونُ تلكَ الصفةُ هي السببُ في الحكمِ على المُلحَقِ به بذلكِ الحكمِ .

- والقياسُ : تصديقانِ يلزمُهُما تصديقٌ ثالثٌ ، والتصديقانِ يُسَمَّيانِ : مُقدِّمتي القياسِ ، والتصديقُ الثالثُ يُسَمَّى : نتيجةً ، والنتيجةُ قبلَ الاستدلالِ تُسَمَّى : مطلوباً ، والمُقدِّمتانِ تشتملُ إحداهما على موضوعِ النتيجةِ ، والأخرى على محمولها ، وتشتركانِ في شيءٍ يكونُ سبباً لربطِ محمولِ النتيجةِ بموضوعِها ، وحينئذٍ يُسَمَّى موضوعُ النتيجةِ حالَ كونهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملتُ عليه : حدّاً أصغرَ ، ويُسَمَّى محمولُها حالَ كونهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملتُ عليه : حدّاً أكبرَ ، ويُسَمَّى المُشترَكُ : حدّاً

وَسَطًا ، وَحِينَ اسْتِدْلَالِ يَسْقُطُ الْمُشْتَرَكُ ، فَتَنْتَظِمُ النَتِيجَةَ ، وَتُسَمِّي ذَاتِ
الْمُقَدِّمَتَيْنِ : مَادَّةَ الْقِيَاسِ ، وَتُسَمِّي هَيْئَتَهُمَا الْحَاصِلَةَ لَهُمَا مِنْ تَأْلِيفِهِمَا :
صُورَةً وَشَكْلًا .

وَالشَّكْلُ يَكُونُ عَلَى أَنْحَاءِ شَتَّى ، كُلُّ نَحْوٍ مِنْهَا يُسَمَّى : ضَرْبًا ، وَلِلشَّكْلِ
صِحَّةٌ وَفَسَادٌ ، فَالْأشْكَالُ الصَّحِيحَةُ تُسَمَّى : ضَرْوبًا مُتَّبِعَةً ، وَالْفَاسِدَةُ تُسَمَّى :
ضَرْوبًا عَقِيمَةً .

ثُمَّ الْقِيَاسُ بِاعْتِبَارِ صُورَتِهِ نَوْعَانِ : نَوْعٌ يُسَمَّى : اقْتِرَانِيًّا ، وَنَوْعٌ يُسَمَّى :
اسْتِثْنَائِيًّا .

فَالِاقْتِرَانِيُّ : مِثْلُ قَوْلِكَ : (كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ ، وَكُلُّ حَيَوَانٍ مُتَنَفِّسٌ) يُنْتِجُ :
(كُلُّ إِنْسَانٍ مُتَنَفِّسٌ) .

وَالِاسْتِثْنَائِيُّ : مِثْلُ قَوْلِكَ : (لَوْ كَانَ هَذَا الشَّيْءُ حَيَوَانًا .. لَكَانَ مُتَنَفِّسًا ،
لَكِنَّهُ غَيْرُ مُتَنَفِّسٍ) يُنْتِجُ : (هَذَا الشَّيْءُ غَيْرُ حَيَوَانٍ) .

وَالْقِيَاسُ بِاعْتِبَارِ مَادَّتِهِ : خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ تُسَمَّى بِالصَّنَاعَاتِ الْخَمْسِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ
كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ مُقَدِّمَاتٍ يَقِينِيَّةٍ بَدِيهِيَّةٍ أَوْ مَنْتَهِيَّةٍ إِلَى الْبَدِيهِيَّةِ .. فَهُوَ نَوْعٌ يُسَمَّى
بِالْبَرْهَانِ ، وَإِنْ كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ مُقَدِّمَاتٍ مُسَلِّمَةٍ عِنْدَ الْخَصْمِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَقَّةً
فِي نَفْسِهَا .. فَهُوَ نَوْعٌ يُسَمَّى بِالْجَدَلِ ، وَإِنْ كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ مُقَدِّمَاتٍ مَقْبُولَةٍ
مَشْهُورَةٍ صَادِرَةٍ عَمَّنْ يَحْسُنُ فِيهِ الْاِعْتِقَادُ .. فَهُوَ نَوْعٌ يُسَمَّى : الْخَطَابَةِ ، وَإِنْ
كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ مُقَدِّمَاتٍ تَخْيِيلِيَّةٍ تُؤَثِّرُ فِي الْأَنْفُسِ قَبْضًا أَوْ بَسْطًا .. فَهُوَ نَوْعٌ
يُسَمَّى : شَعْرًا ، وَإِنْ كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ قَضَايَا بَاطِلَةٍ وَهَمِيَّةٍ .. فَهُوَ نَوْعٌ يُسَمَّى :
السَّفْسُطَةِ .

وَالْمُتَكَلِّمُ بِالْبَرْهَانِ يُسَمَّى : حَكِيمًا ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالسَّفْسُطَةِ يُسَمَّى :

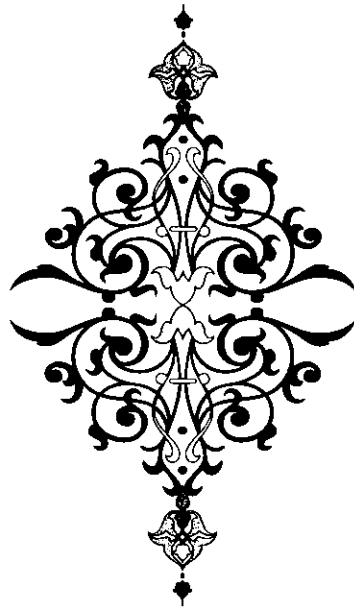
[سُوفِسْطَائِيًّا] ^(١) ، وكلامُهُ مَعَ الْحَكِيمِ يُسَمَّى : مِغَالِطَةً ، وَمَعَ غَيْرِهِ يُسَمَّى :
مِشَاغِبَةً .

وَالْبِرْهَانُ أَشْرَفُ أَنْوَاعِ الدَّلِيلِ ، وَالْحَصُولُ عَلَيْهِ أَحْسَنُ غَايَةٍ .

وَحَيْثُ كَانَ الْغَرَضُ التَّكَلُّمَ عَلَى الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَكَانَ فَهْمٌ كَثِيرٌ مِنْ مَسَائِلِهَا
فَهْمًا حَقِيقِيًّا مُتَوَقِّفًا عَلَى الشُّعُورِ بِمَا أَسْلَفْنَا مِنَ الْمَسَائِلِ الْحُكْمِيَّةِ . . وَجِبَ
أَنْ نَقْتَصِرَ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ ، وَنَشْرَعَ فِيهَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْأَصَالَةِ ؛ فَنَقُولُ :

(١) فِي الْأَصْلِ : (سُوفِسْطِي) .

المقصد الثاني
في حدّ اللّغة، ودواعي وضعها



[تعريفُ اللغةِ وأقسامُ علومِها]

اللغةُ العربيةُ : أَلْفَاظٌ مَعْدُودَةٌ عُنِيَتْ عِنْدَ الْعَرَبِ لِلْأَشْيَاءِ لِتَحْضَرَ بِهَا فِي الْعُقُولِ عِنْدَ الْإِرَادَةِ ، كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا عَلَى صُورٍ مُعَيَّنَةٍ إِفْرَادًا وَتَرْكِيبًا .

اللفظُ : يَكُونُ حَرْفًا ، وَيَكُونُ أَكْثَرَ ، وَالْحُرُوفُ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا الْأَلْفَاظُ تُسَمَّى : حُرُوفَ الْمَبَانِي ، وَالْحُرُوفُ بِالْمَعْنَى السَّابِقِ فِي تَفْصِيلِ الْعِبَارَةِ مِنْ الْمَسَائِلِ الْمَنْطِقِيَّةِ تُسَمَّى : حُرُوفَ الْمَعَانِي ، وَرَبَّمَا كَانَ حَرْفُ الْمَعْنَى حَرْفَ مَبْنَى وَاحِدًا ، وَيَكُونُ حَرْفِي مَبْنَى ، وَيَكُونُ أَحْرَفًا .

وحرفُ المبنى : صَوْتُ مَقْطُوعٌ عَلَى مَقْطَعٍ مِنَ الْمَقَاطِعِ التَّسْعَةِ وَالْعِشْرِينَ الَّتِي تُسَمَّى : مَخَارِجَ الْحُرُوفِ حَسَبَ مَا وُجِدَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

والصوتُ : كَيْفِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِالْهَوَاءِ ؛ أَي : حَالَةٌ مَسْمُوعَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْكَيْفِ الَّذِي فَضِّلَ فِي الْمَقُولَةِ الثَّلَاثَةِ (١) .

وتعيينُ اللفظِ للشيءِ بحيثُ يكونُ وظيفَةُ اللفظِ إِحْضَارَ ذَلِكَ الشَّيْءِ فِي أَذْهَانِ الْمُخَاطَبِينَ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ وَإِرْسَالِهِ مِنَ الْفَمِّ .. يُسَمَّى : وَضْعًا .

ويُسَمَّى الشَّيْءُ الَّذِي وُضِعَ لَهُ الْلفظُ : مَعْنَى ؛ أَي : مَوْضِعَ الْعِنَايَةِ وَالْقَصْدِ ، وَإِحْضَارُ الْلفظِ مَعْنَاهُ فِي ذَهْنِ مَنْ عَلِمَ وَضَعَهُ عِنْدَ سَمَاعِهِ يُسَمَّى : دَلَالَةً ، وَاللفظُ : الدَّالُّ ، وَالْمَعْنَى : مَدْلُولٌ ، وَحُرُوفُ الْلفظِ تُسَمَّى : مَادَّةً ، وَالْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ لِلْحُرُوفِ مِنْ تَأْلِيفِهَا وَأَوْصَافِهَا مِنْ حَرَكَاتٍ وَسُكُنَاتٍ تُسَمَّى : الصُّورَةَ الْإِفْرَادِيَّةَ ، وَمَادَّةَ الْمُركَّبِ : لَفْظَانِ فَأَكْثَرَ ، وَصُورَتُهُ : الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ لَهُ مِنَ التَّأْلِيفِ الْمُرتَّبِ عَلَى تَأْلِيفِهِ وَارْتِبَاظِهِ مَعْنَى .

(١) تقدم (١/٨٢) .

والعِلْمُ الَّذِي يُعْرِفُكَ أَوْضَاعَ الْأَلْفَاظِ لِمَعَانِيهَا . . هُوَ الْمُسَمَّى بِعِلْمِ مَتَنِ
اللُّغَةِ ، وَلِلْأَلْفَاظِ بِاعْتِبَارِ تَخَالُفِهَا فِي الْمَعَانِي الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا . . أَحْوَالٌ
بِحَثِّ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ عَنْهَا ، وَضَبْطُهَا وَفَصْلُوحُهَا ، وَسَمَّوْهَا : فِقْهَ اللُّغَةِ .

والعِلْمُ الَّذِي يُعْرِفُكَ صَوَرَ الْأَلْفَاظِ الْإِفْرَادِيَّةِ وَكَيْفِيَّةَ النُّطْقِ بِهَا . . هُوَ
الْمُسَمَّى بِعِلْمِ الصَّرْفِ .

والعِلْمُ الَّذِي يُعْرِفُكَ صَوَرَ الْمُرَكَّبَاتِ ، وَأَنَّ مَعَانِيَ الْمُرَكَّبَاتِ تَخْتَلِفُ
بِاخْتِلَافِ صَوَرِهَا . . هُوَ الْمُسَمَّى بِعِلْمِ النُّحْوِ .

فَالكَلَامُ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذَا الْمَقْصِدِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ :

- قِسْمُ فِقْهِ اللُّغَةِ .

- وَقِسْمُ الصَّرْفِ .

- وَقِسْمُ النُّحْوِ .

وَأَمَّا عِلْمُ مَتَنِ اللُّغَةِ . . فَلَيْسَ مِنَ الْقَوَانِينِ ، وَإِنَّمَا هُوَ سَرْدُ الْأَلْفَاظِ ، وَذَكَرُ
مَا لَهُ وَضِعَتْ ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ وَضْعِ الْكُتُبِ مَا بَيْنَ مُكْثَرٍ وَمُقَلِّ ،
وَأَسْهَلُهَا وَأَنْفَعُهَا مَا كَانَ مُبَوَّباً بِالْأَوَاخِرِ ، مُفَصَّلاً بِالْأَوَائِلِ ، مُمَيِّزَ الْمَوَادِّ ؛
كَ « قَامُوسِ » الْمَجْدِ ، وَ « أَقْيَانُوسِ » عَاصِمِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ^(١) ، وَسَيَرْدُ
عَلَيْكَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى فِقْهِ اللُّغَةِ الْأَلْفَاظُ مَبِينَةٌ الْمَعْنَى لَا تَخْرُجُنَا عَنْ مَقْصِدِ
بَيَانِ الْقَوَانِينِ .

وَلَا بِأَسْرَ بِالتَّكَلُّمِ عَلَى أُمَّةِ الْعَرَبِ بِمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مُقْتِداً ^(٢) فِيمَا إِلَيْهِ
قَصَدْنَا ، فَنَقُولُ :

(١) أَرَادَ مَجْدَ الدِّينِ الْفَيْرُوزَابَادِي ، وَأَحْمَدَ عَاصِمَ الْعَيْنَتَابِي .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَعَلَّهَا : (مَفِيداً) .

[لمحة عن أمة العرب] (١)

أُمَّة الْعَرَبِ : إحدى الأمم المُتميِّزة بالألسنة ، والعوائد ، والمساكن .
أَمَّا مَسَاكِنُهُمْ .. فَكَانَ أَوْلُهَا أَرْضَ الْيَمَنِ ، فَلَمَّا كَثُرُوا وَانْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ ..
اسْتَقَرَّ أَمْرُهُمْ عَلَى سَكْنِي جَمِيعِ الْيَمَنِ وَمَا تَحْتَهَا إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ مِنْ نَجْدِ
وَالْحِجَازِ وَتِهَامَةَ ، وَهِيَ فِي تَرْتِيبِ الْهَبُوطِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ ؛ أَخْذًا مِنْ
الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ ، وَبَعْضِ أَرْضِ الشَّامِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ أَيْضًا ، وَمِنْ جِهَةِ
الشَّرْقِ الْحِيرَةُ وَمَا صَاقِبَهُمَا ، وَيُسَمَّى : عِرَاقَ الْعَرَبِ .

وَأَمَّا عَوَائِدُهُمْ .. فَكَثِيرَةٌ مُفَصَّلَةٌ مُبَيَّنَةٌ فِي أَشْعَارِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ ، وَقَدْ وُضِعَ
لِذَلِكَ كِتَابٌ كَثِيرٌ .

مِنْهَا : أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَخَالِطُونَ غَيْرَ جَنْسِهِمْ إِلَّا مَخَالَطَةَ التِّجَارَةِ ؛ يَذْهَبُونَ
إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِهِمْ وَأَطْرَافِ بِلَادِ غَيْرِهِمْ ، فَيُعْطُونَ مَا عِنْدَهُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مَا
عِنْدَ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى مَقَارِهِمْ .

وَمِنْهَا : أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُدْخِلُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ دَخِيلًا مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ لَا مِنْ
جِهَةِ الْعَصَبِ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الرَّحِمِ ، وَيَسْتَنْكِرُونَ ذَلِكَ اسْتِنكَارًا عَظِيمًا ، حَتَّى
إِنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي خَيْلِهِمْ أَوْ إِبِلِهِمْ .. اسْتَنْكَرُوهُ وَاسْتَنْكَفُوا مِنْهُ ، وَرَبَّمَا
كَانَ بَعْضُ الْأَوْضَاعِ أَوْ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ الْبَهِيمِيَّةُ دَاخِلَ غَيْرِ الْعَرَبِ ،
وَكَانَ مِنْهُ نَسْلٌ ؛ فَإِذَا كَانَ الْفَحْلُ عَرَبِيًّا وَالْأُنْثَى غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ .. سُمِّيَ النِّسْلُ
الْحَاصِلُ بَيْنَهُمَا : هَجِينًا ، وَمِنْهُ اسْتِنْقَاقُ الْهَجْنَةِ ، وَهَجْنَةُ ؛ أَي : قَبَحَ أَمْرُهُ ،

(١) انظر «الرحيق المختوم» (ص ١٩) .

وإذا كانت الأنثى عربيةً والفحل غير عربيٍّ . . سُمِّيَ النسلُ : [مُقْرِفاً] ، فهم كانوا يتحاشون [الإقراف] والهجنة ، بل كان بعض القبائل يحافظون على أنفسهم لا يخالطون غيرهم من العرب .

ومنها : محافظتهم على الأنساب ، ومن ذلك كانوا شعوباً وقبائلَ وعمائرَ وفصائلَ وأفخاذاً وبطوناً وبيوتاً ، كلُّ اسمٍ من هذه الأسماء لقبٌ لجماعةٍ يجمعهم جدٌ ، فجدُّ الشعبِ أعلى جدِّ معروفٍ ، وجدُّ البيتِ أدنى الجدودِ إلى جماعةِ البيتِ ، فكان الواحدُ ينتسبُ فيعدُّ من الجدودِ عدداً متفاوتاً ؛ فمنهم المُقلُّ والمُتوسِّطُ والمُكثِرُ .

وأعدلُ الأنسابِ نسبُ النبيِّ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الذي ينتهي بالتحقيقِ إلى عدنانَ ، وإلى عدنانَ تُنسبُ العربُ العدنانيةُ ، وهم غيرُ أهلِ اليمنِ ، وأهلُ اليمنِ يُسمَّونَ بالعربِ القحطانيةِ ؛ نسبةً إلى قحطانَ الذي يُقالُ : إنَّه أوَّلُ مَنْ تكلَّمَ باللغةِ العربيَّةِ ، ومنه كان نشؤها ، وكانت تربيتها وكثرتها واتساعها . . بحسبِ كثرةِ أولادِهِ ، حتى انتهت بانتهائهم ، ويُقالُ لأولادِ قحطانَ قبلَ دخولِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما الصلاةُ والسلامُ فيهم : العربُ العاربةُ والعرباءُ ، فلما دخلَ فيهم إسماعيلُ ، ونشأ فيهم ، وتكلَّمَ بلغتهم ، ونسلَ حتى قامَ منه جيلٌ عظيمٌ ^(١) . . قيلَ له ولأولادِهِ : العربُ المُستعربةُ والمُتعرِّبةُ .

فالعربُ إذاً قسمانِ : عرباءُ ومُتعرِّبةٌ ، وأوَّلُ شعبٍ اشتَهَرَ مِنْ ولدِ إسماعيلَ . . عدنانُ ؛ أوَّلُ النَّسبِ الصَّحيحِ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ اشتَهَرَ نزارٌ ، ثمَّ اشتَهَرَ أربعةُ شعوبٍ مِنْ أولادِ نزارٍ : مُضَرٌّ ، وربيعَةُ الفرسِ ، وإيادٌ ، وأنمازٌ ؛ أولادُ صلبِ نزارٍ ، وصاروا قبائلَ أربعةً كباراً ، ثمَّ اشتَهَرَ

(١) قوله : (نَسَل) أي : كثر نسله .

كنانةً ، ثم اشتَهَرَ قريشٌ وبقِيَت له الشهرةُ ؛ وهي قبيلةُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ؛ ولذلك يُقالُ : القرشيُّ .

[سببُ] دخولِ إسماعيلَ عليه السلامُ في العربِ ، وانتقالِهِ مِنْ أرضِ كنعانَ التي كانتَ مُهاجَرَ أبيهِ مِنْ بلَدِهِ أرفةَ إلى أرضِ الحجازِ : أنَ إبراهيمَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَمَّا خرجَ مِنْ بلَدِهِ لأسبابٍ اقتضتْ ذلكَ .. توطنَ أرضَ كنعانَ مِنَ الشامِ جوارَ بيتِ المقدسِ ، وأخذَ يطوفُ البلادَ .

فلَمَّا نزلَ مصرَ .. كانَ بها إذ ذاكَ مَلِكٌ جبَّارٌ ، مِنْ حالِهِ أنَ لَهُ عيوناً ينظرونَ لَهُ في المُتوطِنينَ والأغرابِ ، فمتى رَأُوا امرأةً جميلةً .. حملوها لَهُ ، فعثروا بالسيدةِ سارةَ زوجةَ إبراهيمَ عليه السلامُ ، فحملوها إليه ، وأخذَ إبراهيمُ في توصيتها يقولُ : تَعَلَّمي أَنَّهُ ليسَ على وجهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيركِ ، ولَمَّا سُئِلَ عنها إبراهيمُ .. قالَ : هي أختي ؛ أي : في الدينِ .

فلَمَّا وصلتْ سارةُ إلى المَلِكِ وهمَّ بالذُنُوبِ منها .. فزَعَت إلى اللهِ ، وقامتْ تُصَلِّي ، فارتعدتْ فرائصُ المَلِكِ ، وَعَجَزَ عنِ الحركةِ ، فخضعَ لها ، وسألَهَا أنَ تدعُو رَبَّها الذي قامتْ تعبُدُهُ وفعلَ بِهِ ما حصلَ لَهُ ، فدَعَت ، فسُرِّي عنه .

ثمَّ تَكَرَّرَ لهذا الحالِ مراراً حتى أيقنَ أَنَّهُ مِنْ رَبِّها الذي تعبُدُهُ ، فعندَ ذلكَ أخذَ في إكرامِها وإجلالِها هيَ وزوجِها ، وأهدى لها في ضمنِ ما أهدى مِنْ التحفِ والكرامةِ جاريةً اسمُها هاجرٌ .

فأخبرتْ إبراهيمَ بما جرى ، وأهدتُهُ تلكَ الجاريةَ ، فواقعَها ، وولدتْ له إسماعيلَ ، فلحقتْ سارةَ الغيرةَ الطبيعيةً ، وخافتِ الافتتانَ في دينِها ، فسألتْ إبراهيمَ أنَ يُغَيِّبَ عنها الجاريةَ وولدها ، فأوحى اللهُ إلى إبراهيمَ : أنَ أسكنهُما مَكَّةَ ، فحملهُما إليها وهي حِينئذٍ ليسَ بها أنيسٌ ؛ لكونِها لا

ماء فيها ولا مرعى ، فأكرم الله إسماعيلَ ، فأخرج له هنالك ماءً كثيراً طيباً ومراعى .

وأتفق أن جازَ بعضُ العربِ وهم ناسٌ من قبيلةٍ يُقالُ لها : جُزُهُم بنواحي مكةَ ، فوجدوا الطيرَ صاعداً هابطاً بذلكَ الموضعِ ، فقصدوهُ ، فوجدوا هنالكَ هاجرَ وابنها ، وسألوها أن ينزلوا معها بذلكَ الموضعِ ، فاشتربتْ عليهم شروطاً عاقدها عليها ، وسكنوا معها ، وعمرت تلكَ الناحيةُ ، وكانَ بعدَ ذلكَ ما كانَ من كبرِ إسماعيلَ ، وتزوجِه في جُزُهُم ، وتجديدهِ مع أبيه الكعبةَ ، وغير ذلكَ .

فإسماعيلُ أوَّلُ دخيلٍ من العجمِ في ولدِ قحطانَ الذين هم العربُ ، ثمَّ كانوا بعدَ ذلكَ يتحاشونَ غايةَ التحاشي من مداخلةِ العجمِ ، حتى إنَّ إياداً أحدَ الشعوبِ الأربعةِ لما ساكنتِ الفرسَ وخالطتُهُم . . سقطتْ منزلتُهُم بينَ العربِ ، واحتقروا احتقاراً شديداً ، وعدُّوا من العجمِ ، وأتقيتْ مداخلتُهُم .

يرشدك إلى تحقق ذلكَ : أن قبيلتي تغلبَ وبكر اللتين يجمعُهُما وائلٌ من بني ربيعة قوي أمرُهُما ، وعزاً في العربِ ، وقهراً كثيراً من الناسِ ، وفي بعضِ الأيامِ نزلَ منهم رجلٌ بناحيةَ قريةٍ من بلادِ الفرسِ من منازلِ إيادٍ ومعه ابنتُهُ ، وكانت من أجملِ نساءِ العالمِ ، فوشى بها رجلٌ من إيادٍ يُقالُ له : بردٌ كانَ من خاصَّةِ ملكِ الفُرسِ إذ ذلكَ .

فقالَ له المَلِكُ : ما عسى أن تبلغَ منها والعربيةُ تُقدِّمُ القتلَ على أن يغشاها عجمي؟! فقالَ : تُرغِبُها بمحاسنِ المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمسكنِ والمطاعمِ^(١) ، وكثرةِ المالِ والخولِ .

(١) كذا تكررت كلمة (المطاعم) في الأصل .

وَتَمَّ بَيْنَهُمَا هَذَا الْخِيَالُ ، وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ فَاغْتَصَبَهَا مِنْ أَبِيهَا ، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهَا جَمِيعَ الْمَشْتَهِيَاتِ ، وَخَوَّفَهَا بِجَمِيعِ الْعُقُوبَاتِ ، وَمَسَّهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُؤَلَّمَاتِ ؛ لِيَرَى وَجْهَهَا ، فَأَبَتْ ، وَخَيَّرَتْهُ بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَهَا أَوْ يَعِيدَهَا لِأَبِيهَا ، فَلَمَّا يَثَسَ مِنْهَا . . . أَسْكَنَهَا فِي مَوْضِعٍ ، وَأَجْرَى عَلَيْهَا الْوُضَائِفَ التَّرْفُوهِيَّةَ ، وَاکْتَفَى بِرُؤْيَا قَامَتِهَا تَحْتَ مَلَابِسِهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ .

وَبِسَبَبِ ذَلِكَ نَشَبَتِ الْحُرُوبُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْفُزْسِ ، حَتَّى قَهَرَ الْعَرَبُ الْفُزْسَ ، وَأَخَذُوا كَثِيرًا مِنَ بِلَادِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ بَنِي بَكْرِ فَارِسٍ عَظِيمٌ يُقَالُ لَهُ : الْبِرَاقُ ، يَهْوَى هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَهِيَ تَهْوَاهُ ، وَخَطَبَهَا مِنْ أَبِيهَا فَاثْتَمَنَعَ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْعَشْقُ ، وَالْبِرَاقُ لَا يَرْضَى بِقَهْرِ أَبِيهَا مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَشَارَتْ الْعَرَبُ عَلَيْهِ بِهِ ، فَمَا زَالَ يَحْتَالُ حَتَّى خَلَصَهَا وَقَتَلَ مَلِكَ الْفُزْسِ .

وَمِنْ كَلَامِ لَيْلَى بِنْتِ لُكَيْزٍ هَذِهِ فِي أَثْنَاءِ مَا حَصَلَ لَهَا : [من الرمل]

لَيْتَ لِلْبِرَاقِ عَيْنَا فَتَرَى	مَا الْأَقِي مِنْ بَلَاءٍ وَعَنَا
يَا كَلَيْبًا وَعَقِيلًا إِخْوَتِي	يَا جُنَيْدًا أَسْعِدُونِي بِالْبُكَا
عَذِبْتُ أُخْتُكُمْ يَا وَيْلَكُمْ	بِعَذَابِ النُّكْرِ صُبْحًا وَمَسَا
غَلَّلُونِي قَيْدُونِي ضَرَبُوا	مَلَمَسَ الْعِغْفَةِ مِنِّي بِالْعَصَا
يَكْذِبُ الْأَعْجَمُ مَا يَفْرُبُنِي	وَمَعِي بَعْضُ حُشَاشَاتِ الْحَيَا
قَيْدُونِي غَلَّلُونِي وَأَفْعَلُوا	كُلَّ مَا شِئْتُمْ جَمِيعًا مِنْ بَلَا
فَأَنَا كَارِهَةٌ بَغْيِكُمْ	وَيَقِينُ الْمَوْتِ شَيْءٌ يُرْتَجَى
يَا بَنِي كَهْلَانَ يَا أَهْلَ الْعَلَا	أَتَدُلُّونَ عَلَيَّ الْأَعْجَمَا
يَا إِيَادًا خَسِرْتَ أَيَدِيكُمْ	خَالَطَ الْمَنْظَرَ مِنْ بَرْدِ عَمَى
فَأَصْطَبَارًا وَعَزَاءَ حَسَنًا	كُلُّ نَضْرٍ بَعْدَ ضَرٍّ يُرْتَجَى

أَصْبَحَتْ لَيْلَى يُغَلَّلُ كَفُّهَا
 وَتَقَيِّدٌ وَتُكَبَّلُ جَهْرَةً^(١)
 قُلْ لِعَدَّتَانِ هُدَيْتُمْ شَمِرُوا
 وَأَعْقِدُوا الرِّايَاتِ فِي أَقْطَارِهَا
 يَا بَنِي تَغْلِبَ سِيرُوا وَأَنْصُرُوا
 اخْذَرُوا أَلْعَارَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
 مِثْلَ تَغْلِيلِ الْمُلُوكِ أَلْعُظْمَا
 وَتَطَالِبِ بِقَبِيحَاتِ أَلْعَنَا
 لِبَنِي مَبْغُوضِ تَشْمِيرِ الْوَفَا
 وَأَشْهَرُوا أَلْبَيْضَ وَسِيرُوا لِي ضَحَى
 وَذَرُوا أَلْغَفْلَةَ عَنْكُمْ وَأَلْكَرَى
 وَعَلَيْكُمْ مَا بَقِيْتُمْ فِي الدُّنَا
 وللعرب في ذلك المعنى وقائع كثيرة .

وأما لسانهم .. فهو هذا اللسان الذي يتكلم به أهل مصر والحجاز
 واليمن والشام ومغرب مصر ، غير أنه على صورة فاسدة ، خرج بها عن كونه
 لساناً عربياً ، وصار يُقال له : لغة عامية ، وهو لسان قد دخل فيه الاستحسان
 على أربع مراتب :

- المرتبة الأولى : استحسانُ قدماء العرب الذين هم العاربة ، فإنهم
 كما قيل : كانوا يأخذون بعض الألفاظ من اللغات ، فيختصرونها ويغيرون
 أشكالها إلى أن تصير خفيفةً عذبةً ، وحكى صاحب « المثل السائر » : أنه
 ورد في بعض سياحته مصر ، فلقي رجلاً من بني إسرائيل عالماً ، فجرى
 بينهما ذكر اللغة بالفصاحة والملاحة ، فقال اليهودي : كيف لا تكون فصيحةً
 مليحةً وهي مُنتخبة من اللغات ؟! ومثّل لذلك بلفظ الجميل فقال : إنه كان
 بالعبرانية [كوميل] فعير إلى ما سمعت ، فصار عذباً فصيحاً^(٢)

(١) قولها : (وتقيد وتكبل) كلاهما بالسكون لضرورة الشعر .

(٢) المثل السائر (١/١٩٣) .

- المرتبة الثانية: استحسانُ إسماعيلَ عليه السلامُ وأوائلِ أولادِهِ ،
فقد كانتْ لَهُ لغةٌ عربيَّةٌ فصيحَةٌ تُنسَبُ إليه بشهادة قولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم ، وقد سُئِلَ : ما لك يا رسولَ اللهِ أفصحنا ، ولم تخرج منْ
بينِ أظهرنا ؟ قالَ : « إِنَّ لُغَةَ إِسْمَاعِيلَ كَانَتْ دَرَسَتْ ، فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ
فَحَفِظْتُهَا » (١) .

وسببُ دروسِ لغةِ إسماعيلَ : ما جرى بينَ أولادِهِ مِنَ الحُرُوبِ الصُّرُسِ (٢)
التي فَنِيَ بها منهمُ كثيرٌ ، وتشتَّتْ منهمُ في البلادِ كثيرٌ ، وبحكمِ العادةِ أنَّ
الإنسانَ إذا خالطَ أهلَ لسانٍ . . غلبَ عليه وغيَّرَ لسانَهُ .

- المرتبة الثالثة: استحسانُ قريشٍ ، وهم سُكَّانُ مَكَّةَ وما حولها ؛ فقد
كانتِ العربُ تَرِدُ إليهمُ في موسمِ الحجِّ كلَّ سنةٍ ، فيقيمونَ عندهمُ قريباً
منْ خمسينَ يوماً ؛ ثلاثةَ أيامٍ بسوقِ ذي المَجَازِ ، وسبعةَ بسوقِ مَجَنَّةَ ،
وثلاثينَ بسوقِ عكاظٍ ، والباقي في مواضعِ مناسِكِ الحجِّ ، يَعْرِضُونَ عليهمُ
أشعارَهُم ، ويتحاكمونَ في قضاياهم ، ويتعاقدونَ ويتعاطبونَ . . . إلى غيرِ
ذلكِ مِنَ الأمورِ التي تقتضي كثرةَ المقابلةِ ، فكانوا ينتخبونَ منْ سائرِ لغاتِ
العربِ ما حَلِيَ في الذُّوقِ ، وخَفَّ على السمعِ ؛ مثلاً : يسمعونَ الحَوَجَمَ
والحَوَجمةَ بفتحِ الحاءِ وسكونِ الواوِ ، والوردَ والوردةَ ، فيستعملونَ الثانيَ ،
ويجتنبونَ الأوَّلَ .

هكذا ما كانَ قبلَ مجيءِ الإسلامِ .

- فلَمَّا جاءَ الإسلامُ ، وحصلتِ الدعوةُ إلى الاجتماعِ العامِّ والمخالطةِ
الشاملةِ . . جاءتِ المرتبةُ الرابعةُ مِنَ الاستحسانِ ؛ وهو استحسانُ فُطْناءِ

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/٤) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٢) الصُّرُس - جمع صُرُوس - : وهي الحرب الطاحنة .

الناسِ مِنْ بَقَايَا الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، الَّذِينَ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ لَضَبِطِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَفْرَدَاتٍ وَمُرَكَّبَاتٍ ، وَتَدْوِينِهَا فِي كِتَابٍ ، وَنَوَعَتُهُمْ مَقَاصِدُهُمْ أَنْوَاعاً .

فَمِنْهُمْ نَقَلَةُ الْمَفْرَدَاتِ عَلَى صَوْرِهَا وَبَيَانَ مَعَانِيهَا ، ذَاهِبِينَ إِلَى تَمْيِيزِ اللُّغَاتِ إِلَى رَدِيٍّ وَغَيْرِ رَدِيٍّ ، وَحَوْشِيٍّ غَرِيبٍ وَمُسْتَعْمَلٍ مَشْهُورٍ .

وَمِنْهُمْ نَقَلَةُ صَوْرِ الْمُرَكَّبَاتِ ، مُنْبَهِينَ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهَا بِاخْتِلَافِ صَوْرِهَا ، ذَاهِبِينَ أَيْضاً إِلَى تَمْيِيزِ الْفَصِيحِ مِنْ غَيْرِ الْفَصِيحِ .

وَمِنْهُمْ نَقَلَةُ الْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ وَعَالِي الْكَلَامِ ، مُنْبَهِينَ عَلَى مَحَاسِنِ السِّيَاقَاتِ ، وَلَطَائِفِ الْعِبَارَاتِ ، وَعَلَى تَوْشُّعَاتِ الْعَرَبِ فِي الْاسْتِعْمَالَاتِ .

وَمِنْ ذَلِكَ تَنَوَّعَتِ الْعُلُومُ الْبَاحِثَةُ عَنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُمَيَّزَةً بِالْأَلْقَابِ وَجِهَاتِ الْبَحْثِ .

[فَشُوُّ اللَّحْنِ سَبَبٌ لَوْضَعِ عِلْمِ النَّحْوِ]

وَالَّذِي دَعَا النَّاسَ إِلَى النَّهْوِ فِي التَّفْتِيْشِ فِي أَحْوَالِ اللُّغَةِ : أَنَّ الْعَرَبَ لَمَّا بَعَثَهُمُ الْإِسْلَامُ فِي الْبِلَادِ ، وَاخْتَلَطُوا بِغَيْرِ جَنْسِهِمْ اخْتِلَاطَ الْمَعَاشِرَةِ وَالْمَصَاهِرَةِ .. حَصَلَ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ تَغْيِيرٌ عَظِيمٌ فِي اللُّغَةِ ، وَفَشَا بَيْنَ النَّاسِ اللَّحْنُ ، وَصَارَ مَنْ يَضْبُطُ مِنَ الْعَرَبِ لِسَانَهُ عَنِ اللَّحْنِ يَفْتَخِرُ بِذَلِكَ ، كَمَا وَرَدَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ حَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَجَرَتْ مَخَاطَبَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

فَكَانَ مِنْ كَلَامِ خَالِدِ التَّمَدُّحِ بِالسَّلَامَةِ مِنَ اللَّحْنِ ، وَالغَضُّ مِنَ الْوَلِيدِ بِكَوْنِهِ لِحَّانَةً^(١) .

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٣١٠/١٦) .

ولبعض شعراء العرب^(١) :

[من البسيط]

أَبَا ضُبَيْعَةَ لَا تَعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ وَأَذْكُرْهُ بِإِحْسَانِ
أَمَّا تَرَانِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسْجِ كَثَّانِ
فَإِنَّ فِي الْمَجْدِ هِمَاتِي وَفِي لُغْتِي عُلوِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لِحَانِ

وَمِنَ اللَّحْنِ فِي الْعَرَبِ مَا دَعَا إِلَى وَضْعِ النَّحْوِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ يُقَالُ لَهُ : أَبُو الْأَسْوَدِ ظَالِمُ الدُّوْلِيِّ ، قَالَتْ لَهُ
ابْنَتُهُ لَيْلَةٌ : يَا أَبَتِ ؛ مَا أَحْسَنُ السَّمَاءِ !! بَضَمَ نُونِ (أَحْسَنُ) وَكَسَرَ هَمْزَةَ
(السَّمَاءِ) ، فَقَالَ لَهَا : نَجُومُهَا ، فَقَالَتْ : أَنَا مُخْبِرَةٌ لَا سَائِلَةٌ ، فَقَالَ لَهَا : كَانَ
يَلْزَمُ أَنْ تَقُولِي : مَا أَحْسَنَ السَّمَاءِ !! بِفَتْحِ النُّونِ وَالْهَمْزَةِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ . . أَخْبَرَ بِذَلِكَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَأَلَهُ النَّظَرَ فِي طَرِيقَةِ
لِحْفِظِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الضِّيَاعِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْكَلَامُ كُلُّهُ لَا
يَخْرُجُ عَنِ اسْمٍ وَفِعْلٍ وَحَرْفٍ جَاءَ لِمَعْنَى ؛ فَالاسْمُ : مَا أَنْبَأَ عَنِ الْمُسَمَّى ،
وَالْفِعْلُ : مَا أَنْبَأَ عَنِ حَرَكَةِ الْمُسَمَّى ، وَالْحَرْفُ : مَا لَيْسَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : انْحُ
هَذَا النَّحْوُ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ .

وَمِنْ هُنَا جَاءَ الْاسْمُ لِلْعِلْمِ الْبَاحِثِ عَنِ حَالِ الْمُرَكَّبَاتِ ، فَبَدَأَ لَهُ عِلْمُ
النَّحْوِ^(٢) ، وَتَكَلَّمَ أَبُو الْأَسْوَدِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي تَتْمِيمِهِ .

وَلَا غُرُوبَ أَنْ يَسْرَعَ الْفَسَادُ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَطْفَالُ يَتَعَلَّمُونَ التَّلْفِظَ أَوَّلًا
مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ ، فَإِذَا كُنَّ عَجْمِيَّاتٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِصَحِيحِ اللُّغَةِ . .
فكَيْفَ تَبْقَى صُورَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ !؟

(١) نسبت الأبيات لسويد بن أبي كاهل الشكري كما في « ديوانه » (ص ٤١) ، وانظر « البيان والتبيين »
(١٦٧/١) .

(٢) أي : أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه ، أو : (فبدا له) بمعنى : ظهر .

وقد ابتدئ التعليم والتأديب في أوائل أيام مُلِكِ بني أُمَيَّةَ ، فكان المَلِكُ يُحَضِّرُ لأولاده وأولادِ أتباعِهِ مِنَ العلماءِ مَنْ يُؤَدِّبُهُمْ ، ويُعوِّدُ ألسنتَهُمْ على التكلُّمِ بفصائحِ اللغاتِ ، ويُلقِّنُهُمْ مختارَ الأشعارِ .

وكانَ للمؤدِّبينَ معَ الأطفالِ نوادرٌ ؛ منها : أنَ مؤدِّبِ أولادِ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ - وكانَ اسمُهُ عبدَ الصمِدِ - وردَ عليه غلامٌ منَ أولادِ عظماءِ بني أُمَيَّةَ ليؤدِّبَهُ معَ أولادِ المَلِكِ ، وكانَ غلاماً جميلاً ، فاتفقَ في بعضِ الأيامِ أنَ أساءَ المؤدِّبُ أدبَهُ معَ ذلكَ الغلامِ ، فقامَ يعدو للمَلِكِ ، وتمثَّلَ بينَ يديه وقالَ شعراً :

إِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَنْجُ مِنِّي سَالِمًا عَبْدُ الصَّمَدِ
فقالَ المَلِكُ : ولماذا ؟ فقالَ الغلامُ :

إِنَّهُ قَدْ رَامَ مِنِّي خُطَّةً لَمْ يَرْمَهَا قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدٌ
فقالَ المَلِكُ : وما رامَ ؟ فقالَ الغلامُ :

رَامَ جَهْلًا بِي وَجَهْلًا بِأَبِي يُولِجُ العُصفُورَ في حِيسِ الأَسَدِ^(١)
ثمَّ أخذَ التعليمُ في التزايدِ والكثرةِ بتزايدِ انتشارِ المسلمينَ في البلادِ ، وظهرتِ تغيُّرُ اللسانِ ، إلى أنَ تفرَّرتِ العلومُ المُتعلِّقَةُ باللُغةِ ، وتهدَّبتْ بعدَ أنَ كانتِ مُختلِطَةً كثيرةَ السَّقَطِ والغلطِ ، خفيةَ الدلالةِ ، عسيرةَ الإرشادِ ، كما هو شأنُ الأمورِ المُتجدِّدةِ ، فبتلاحقِ الأفكارِ يتزايدُ حسنُ المخترعاتِ وإتقانها ، حتى لو بذلَ واحدٌ همَّتَهُ وكانَ جيدَ الحفظِ والضبطِ .. أمكنَهُ في مُدَّةٍ غيرِ طويلةٍ أنَ يقفَ على أمرِ اللُغةِ العربيَّةِ .

ومِنْ حيثُ كَوُنَ اللُغةِ قد فسدتْ صورتُها في الصِّدْرِ الأوَّلِ ، وتزايدَ فسادُها

(١) انظر «محاضرات الأدباء» (١/١١٠ - ١١١) .

كما شرحنا . . كانت ألفاظها معدودة ؛ إذ لم يبقَ مِنْ أَهْلِهَا مَنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ ما يَضْطَرُّ تَجَدُّدُ الْأَحْوَالِ واستكشافُ الْأَشْيَاءِ إِلَى وَضْعِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ لِلأَشْيَاءِ التي يَتَجَدَّدُ ظُهُورُهَا والاطلاعُ عَلَيْهَا ، فلا جرمَ تكونُ أَلْفَاظًا غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ ما لم تكنَ مأخوذةً بِطَرِيقِ الاشتقاقِ مِنَ الْأَلْفَاظِهِمْ ، وذلكَ أمرٌ عَسِيرٌ ، ومحتاجٌ إِلَى نَظَرٍ جَمِّ غَفِيرٍ ، والتنبيهُ عَلَى ما حصلَ مِنَ الفسادِ فِي اللُّغَةِ يَقْرُبُ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزًا ، وقد تَعَرَّضَ لذلِكَ بعضُ المغاربةِ ؛ فوضعَ فِيهِ كِتَابًا ، فلم يأتِ بِطائِلٍ عَظِيمٍ .

وإذا قرأ الطالبُ العلومَ ، وعرفَ الصحيحَ . . عرفَ الفسادَ ، ولا بأسَ بالتنبيهِ عَلَى البعضِ ليظهرَ الداعي إِلَى وَضْعِ العلومِ غَايَةَ الظُّهورِ ؛ فَمِنْ عَادَةِ الْعَامَّةِ إِبْدَالُ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ حَيْثُما كَانَتْ دالًّا مَهْمَلَةً ، فيقولونَ فِي (ذا وَذِي) : ذَهَ ، وَدِي ، وَفِي (حاذِقِ) : حادِي ، فيبدلونَ القافَ هَمْزَةً حَيْثُما كَانَتْ ، وبيدلونَ الثاءَ المثلثةَ تاءً مثناةً فَوْقِيَّةً أَوْ سِينًا ؛ فيقولونَ فِي (ثابتِ) : تابِت ، وَفِي (ثوبِ) : توبِ ، وَفِي (ثَمَّ) : سم ، ويحذفونَ بعضَ الحروفِ ، وبيدلونَ الحركاتِ ؛ فيقولونَ فِي (وَجِهٍ) مَثَلًا : وِشْ ، فهذا يَضْطَرُّ إِلَى وَضْعِ عِلْمِ مَتْنِ اللُّغَةِ .

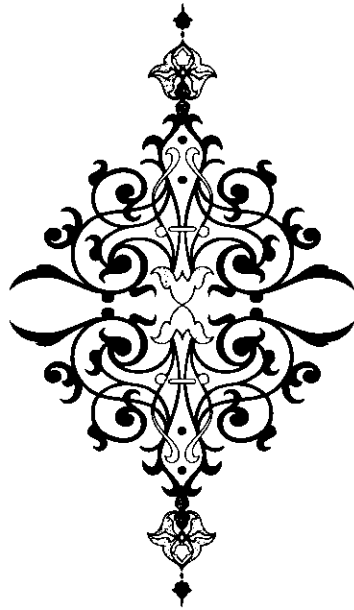
ويقولونَ : (فلانِ يُوْعَدُ وَيُخْلَفُ) بِكسْرِ الياءِ وَسكونِ ما بَعْدَها ، وَالصَّوابُ : يَعُدُّ وَيُخْلِفُ ؛ بفتحِ الياءِ الْأُولَى ، وَحذفِ الواوِ ، وَضمِّ الياءِ الثَّانِيَةِ ، وَيقولونَ : (إوعه) بِهَمْزَةٍ مَكسورةٍ وَواوٍ ساكنَةٍ ، وَالصَّوابُ : (عه) بِلا هَمْزَةٍ وَلا واوٍ ، فهذا وَأَمْثالُهُ أَوْجَبَ وَضَعَ عِلْمِ الصَّرْفِ .

ثمَّ اللُّغَةُ الْعَامِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ بِهذهِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ الْفَسادِ مُشْتَمِلَةً عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ ، وَمُتَضَمِّنَةً كَثِيرًا مِنَ مُحاسِنِ السِّياقاتِ وَلطائفِ الْكِنائياتِ ، وَغَيْرِ ذلِكَ مِنَ الْأُمُورِ التي يُسَمَّى الْعَالِمُ بِها

العاملُ بمقتضاها : فصيحاً بليغاً ، كما يتبينُ ذلكَ عندَ التكلُّمِ على علومِ
البلاغةِ ، فإذا تأمَّلَ المُتعلِّمُ في كلامِ الناسِ . . سَهَّلَ عليه كثيرٌ مِنَ المسائلِ
التي صَعَّبَتْها وأبعَدَتْ فهمَ معناها العباراتُ الاصطلاحيةُ والمناظراتُ فيها ؛
بحيثُ يَقْرُبُ أن يُخْرَجَ غيرُ المعتادِ إلى المعتادِ .

وقدَ آنَ أنْ نشرَعَ في بيانِ الأقسامِ الثلاثةِ التي ضَمَّنَّاها هذا المَقْصِدَ ؛
فنقولُ :

القسم الأول
في فن اللّغة



[تقاسيمُ الكلمة]

سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ فِقْهَ اللُّغَةِ : هُوَ العِلْمُ البَاحِثُ عَن أحوالِ عَامَّةٍ لِلألفاظِ ^(١) ، وَلنوردُ ذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ تقاسيمٍ وَتتميمٍ :

التقسيمُ الأوَّلُ ^(٢) : اللفظُ

- إِمَّا أَن يُعَيَّنَ لِشَخْصٍ ؛ وَهُوَ - كَمَا عَرَفْتَ فِي المَسْأَلَةِ الخَامِسَةِ مِنِ المَسَائِلِ المَنْطِقيَّةِ - المَوْجُودُ البَالِغُ إِلَى غَايَةِ التَّمييزِ ، فيُسَمَّى اللفظُ حَيْثُذُ بِاسْمِ الشَّخْصِ وَعَلِمَ الشَّخْصِ .

- وَإِمَّا أَن يُعَيَّنَ لِأَمْرٍ كَلِمِيٍّ مَشْرُوطاً اسْتِعْمَالُهُ فِي مُعَيَّنٍ عِنْدَ المُخاطَبِ مَعْرُوفٍ لَهُ بِسَبَبِ انضِمَامِ أَمْرٍ آخَرَ مَلْحُوظٍ لَهُ هُوَ المُعَيَّنُ لِلمرادِ ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الأَمْرُ : قَرِينَةَ المرادِ بِاللفظِ ، وَيُسَمَّى اللفظُ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ : مَعْرِفَةً بِالقَرِينَةِ ، وَيُسَمَّى عَلِمَ الشَّخْصِ : مَعْرِفَةً بِنَفْسِهِ .

- وَإِمَّا أَن يُعَيَّنَ لِأَمْرٍ كَلِمِيٍّ غَيْرِ مَشْرُوطٍ فِيهِ ذَلِكَ ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ صَالِحاً لِأَن يُرَادَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا صَدَقَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرُ الكَلِمِيُّ ، فيَكُونُ المرادُ بِهِ مُبْهَمًا عَلَى المُخاطَبِ ، وَيُسَمَّى : نَكْرَةً .

ثُمَّ الأَمْرُ الكَلِمِيُّ الَّذِي عُيِّنَ لَهُ اللفظُ المُسَمَّى نَكْرَةً :

- إِمَّا أَن يَكُونُ جِنْسًا مِنَ الأَجْنَاسِ الجَوْهَرِيَّةِ ، وَيُسَمَّى اللفظُ حَيْثُذُ : اسْمَ جِنْسٍ جَوْهَرِيًّا جامِداً .

(١) انظر (١/١٠٠) .

(٢) انظر « إتحاف الإنس في العلمين واسم الجنس » للعلامة الأمير الكبير .

- وإمّا أن يكونَ جنساً مِنَ الأجناسِ العَرَضِيَّةِ ، ويُسمّى اللفظُ المُعَيَّنُ لَهُ :
اسمَ جنسٍ عَرَضِيّاً جامداً ، ويُسمّى : مصدرّاً ، فلهُ اسمانِ .

- وإمّا أن يكونَ أمراً إجمالياً يمكنُ للعقلِ أن يفصلهُ إلى عَرَضٍ منسوبٍ ،
وإلى نسبةٍ ، وإلى منسوبٍ إليه ، وحينئذٍ إن كانَ الملحوظُ أولاً حالةَ الاستعمالِ
هو العَرَضُ ، والملحوظُ ثانياً النسبةُ ، والملحوظُ ثالثاً المنسوبُ إليه المُعَيَّنُ
عندَ المُتكلِّمِ ملاحظةً وعندَ المُخاطَبِ حُكماً ؛ بحيثُ يكونُ مُنتظَرُ العبارةِ
عنهُ فقط . . يُسمّى اللفظُ المُعَيَّنُ لذلكَ : فعلاً .

وإن كانَ الملحوظُ أولاً هو المنسوبُ إليه ، والملحوظُ ثانياً النسبةُ ،
والمُلاحَظُ ثالثاً المنسوبُ العَرَضُ . . سُمِّيَ اللفظُ المُعَيَّنُ لذلكَ : مُشتقّاً .

- وإمّا أن يكونَ الأمرُ الكلِّيُّ نسبةً أمرٍ لأمرٍ وارتباطُهُ بهِ ، أو حالَ نسبةٍ يُعَيَّنُ
لَهُ اللفظُ مشروطاً استعمالُهُ في نِسَبٍ مُعَيَّنَةٍ مُتبدِّلةٍ بتبدُّلِ المعاني والتراكيبِ ،
أو في أحوالٍ كذلكَ ؛ طلباً لمعرفةِ ، أو إخباراً بهِ . . يُسمّى اللفظُ الذي هذا
شأنُهُ : حرفاً .

ومنَ هذا التقسيمِ يخرجُ تنوعُ اللفظِ إلى الاسمِ والفعلِ والحرفِ بينةِ
الحقائقِ .

وبتأملِ ما سبقَ تعرّفُ ضوابطُ عديدةً لكلِّ نوعٍ منَ هذهِ الأنواعِ الثلاثةِ ،
وهذا تقسيمٌ إجماليٌّ لِللفظِ ، ولأجلِ تمامِ المعرفةِ وجبَ أن نتكلّمَ على
أقسامِ اللفظِ قِسماً قِسماً ؛ فنقولُ :

قِسْمُ الْعَلْمِ (١)

الْعَلْمُ : اسمٌ مُعَيَّنٌ لشخصٍ لا يُرادُ به غيرهُ وَضِعاً ، ولا يُخْرِجُهُ عن ذلكِ عُرُوضُ الاشتراكِ فيه بعدُ وإن أحوَجَ إلى قرينةٍ تُعَيِّنُ المرادَ به حالةُ الاستعمالِ ؛ ولذلك يُسَمَّى : معرفةً بالنفسِ .

وَيَنْقَسِمُ الْعَلْمُ إِلَى : ألقابِ ، وكُنَى ، وأسماءِ .

فالاسمُ : هو الموضوعُ أولاً لغرضٍ تمييزِ المُسَمَّى به عن غيره عند الحاجة لذلك .

واللقبُ : ما وُضِعَ ثانياً لذلك الغرضِ ولغرضِ الإشعارِ بالمدحِ أو الذمِّ ؛ تفاؤلاً أو استهزاءً .

والكُنْيَةُ : ما صُدِّرَتْ بِأبٍ أو أُمٍّ ، أو ابنِ أو بنتِ .

فالاسمُ : كزيدٍ ، وخالدٍ ، وعمرو ، وعيسى ، وموسى .

واللقبُ : كفخرِ الدِّينِ ، وعَلَمِ الدِّينِ ، وسيفِ الدَّوْلَةِ ، وعَضُدِ الدَّوْلَةِ ، والحاكمِ بأمرِ اللهِ ، والمستعينِ باللهِ . . . إلى غير ذلكِ مِنَ ألقابِ الخُلَفَاءِ والسلاطينِ وسائرِ الناسِ ، وكبِطَّةَ ، وأنفِ الناقَةِ .

والكُنْيَةُ : كأبي بكرٍ ، وأبي حفصٍ ، وأُمِّ هانئٍ ، وأُمِّ كلثومٍ ، وابنِ بطوطةَ ، وابنِ المِراغَةِ ، وبنتِ بري (٢) .

وقد أمرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمبادرةِ إلى وضعِ الكُنَى ،

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١٢٦/١) .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها : (بنتِ برح) ، وهي الشدة .

فَقَالَ : « أَكُنُوا أَوْلَادَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَغْلِبَ عَلَيْهِمُ الْأَلْقَابُ » ^(١) ، ونهى الله جلَّ
ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنِ التَّنَابُزِ ؛ أَي : التَّرَامِي بِالْأَلْقَابِ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا
بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ ^(٢) .

وَقَدْ سَمَّيَ الْعَرَبُ بِمَفْرَدَاتٍ .

وَبِمُرَكَّبَاتٍ تَامَّةٍ ؛ كَ (بَرَقَ نَحْرُهُ) وَ (تَأَبَّطَ شَرًّا) وَ (شَابَ قَرْنَاهَا) .

وَبِمُرَكَّبٍ نَاقِصٍ إِضَافِيٍّ ؛ كَ (عَبْدِ شَمْسٍ) وَ (أَبِي قُحَافَةَ) .

وَبِمُرَكَّبَاتٍ مَزْجِيَّةٍ ؛ بِمَزْجِ الْكَلِمَتَيْنِ وَجَعَلِيهِمَا كَلِمَةً وَاحِدَةً ؛ كَ (بَعْلَبِكَ)
وَ (مَعْدِيكَرَبَ) وَ (سَيبُوبِهِ) وَ (دَرَسْتُوبِهِ) .

وَأَسْمَاءُ الْأَشْخَاصِ : لِلنَّاسِ ، وَالبِلَادِ ، وَالأَقْطَارِ ، وَالجِبَالِ ، وَالبَحَارِ ،
وَبَعْضِ الْحَيَوَانِ .

وَقَدْ عَامَلَ الْعَرَبُ بَعْضَ الْأَجْنَاسِ مَعَامَلَةَ الْأَشْخَاصِ ، فَوَضَعُوا لَهَا أَعْلَامًا
أَجْرُوا عَلَيْهَا أَحْكَامَ الْأَعْلَامِ الشَّخْصِيَّةِ ؛ لِكُونِهِمْ مَيِّزُوهَا مِنْ بَيْنِ الْأَجْنَاسِ ،
وَرَأَوْا بِهَا مَعْنَى خَاصًّا ، فَهُمْ لَا يَزَالُونَ يَسْتَحْضِرُونَهَا .

مِنْ ذَلِكَ : تَسْمِيَتُهُمُ الْأَسَدَ : أَسَامَةً ؛ لظَهْوَرِ شَرِّهِ عِنْدَهُمْ ، وَخَوْفِهِمْ
إِيَّاهُ ، وَتَسْمِيَتِهِمُ الثَّعْلَبَ : ثُعَالَةً ، وَتَكْنِيَتَهُ بِأَبِي الْحَصِينِ ؛ لِكثْرَةِ إِفْسَادِهِ فِي
غَنَمِهِمْ ، وَامْتِنَاعِهِ مِنْهُمْ .

وَهَكَذَا كُلُّ جِنْسٍ سَمَّوَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ رَاعُوا فِيهِ مَعْنَى مَمِيذًا
مُحْوَجًّا إِلَى تَمْيِيزِهِ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَارَةِ عَنْهُ .

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ ، كَمَا فِي « أَطْرَافِ الْغَرَائِبِ وَالْأَفْرَادِ » (٢٩٩٩) ، وَكَذَا أَوْرَدَهُ الدِّيْلَمِيُّ فِي
« الْفَرْدُوسِ بِمَأْثُورِ الْخُطَابِ » (٢٠٧٦) عَنِ سَيِّدِنَا ابْنِ عَمْرِو بْنِ رِضِيِّ اللَّهِ عَنْهُمَا .

(٢) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ : (١١) .

وقد سمّوا بعضَ الأجناسِ المعنويّةِ ؛ فسَمَّوا المَبْرَةَ : بَرَّةً ، بغيرِ ميمٍ ،
وسَمَّوا الفُجورَ : فَجَارٍ ؛ ك (نَزَالِ) ، قالَ الشاعرُ^(١) :

إِنَّا أَقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَأَحْتَمَلْتُ فَجَارِ

وسَمَّوا الغدرَ كَيْسَانَ كسكرانٍ ، ومنهُ^(٢) :

إِذَا مَا دَعَوَا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى الْغَدْرِ أَسْعَى مِنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدِ

وسَمَّوا اليسرَ يَسَارٍ كَفَجَارٍ ، ومنهُ^(٣) :

فَقُلْتُ أَمْكُئِي حَتَّى يَسَارَ لَعَلَّنَا نَحُجُّ مَعَا قَالَتْ وَعَاماً وَقَابِلَهُ



(١) هو للناطقة الذبياني في « ديوانه » (ص ٥٥) .

(٢) هو للنمر بن تولب في « ديوانه » (ص ٦٠) .

(٣) هو لحميد الأرقط كما في « خزانة الأدب » (٣٢٧/٦ ، ٣٣٨) .

قسم المعارف بالواسطة^(١)

هي ستة أصناف :

الصنف الأول : الضمائر

ضمائر المتكلم معرفةً بقرينة حكايته عن شخصه الحاضر ، ومثلها ضمائر المخاطب ، وضمائر الغائب لا تُذكر إلا بعد ذكر ما يدل على الغائب من الأسماء الظاهرة ؛ فلا يجيء الضمير إلا ومعناه مُعَيَّن ملحوظ ، وبيان الضمائر يأتي بعد .

الصنف الثاني : أسماء الإشارة

وهي أسماء موضوعة لكلِّ مُشارٍ إليه بإحدى الجوارح حاضرٍ مُبصرٍ ، ودليل أنه المقصود بعينه : الإشارة إليه ، وألفاظه : (ذا) لمفردٍ مذكرٍ قريبٍ ، و (ذاك) و (ذلك) لمفردٍ مُذكرٍ بعيدٍ أو أبعد ، و (ذي) و (ذو) و (تبي) و (تبه) و (تا) و (ذات) للمفردة المؤنثة القريبة ، و (تيك) و (تلك) للبعيدة أو البُعدى ، و (ذان) للثنتين القريبتين ، و (ذانك) للبعيدتين ، ولا تدخله اللام ، و (تان) للثنتين القريبتين ، و (تانك) للبعيدتين ، و (أولاء) مُشتركة بين جماعتي الذكور والإناث ، وأهل الحجاز يأتون بالهمزة بعد الألف ، وتميمٌ لا ، ويُقال في البعد : (أولئك) و (أولاك) .

ويُشار بهذه الأسماء إلى كلِّ شيءٍ ، وتختصُّ الأمكنة بأسماء يُشار بها إليها ؛ وهي : (هنا) للمكان القريب ، و (هناك) و (هنالك) و (ثم) - بفتح

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١٣٨/١ - ١٧٦) .

المثلثة - للبعيد ، ويُوتى عند اختلاط ما يُشارُ إليه بغيره باسم جنس المُشارِ إليه ؛ لِيَتَمَّ به التمييزُ ؛ فتقولُ : ذلك الرجلُ ، وذلك الكتابُ .

الصِّنْفُ الثالثُ : الأسماءُ الموصولةُ

وهي أسماءٌ تُعَبِّرُ بها عن الشيء الذي علمت أن مخاطبك عرفه بسببِ اطلاعه على حالٍ من أحواله عَيَّنْتَهُ عندهُ ، فالواسطةُ في تعيينه عهدُ المُخاطَبِ إيَّاهُ بتلك الحالِ ، والعبارةُ عن الحالِ التي هي صفةٌ معنى الموصولِ تُسمَّى : صلةً ، وللصلةِ أحكامٌ تُبَيِّنُ عندَ الكلامِ على الجمَلِ منَ قسمِ النحوِ .

الأسماءُ الموصولةُ هي : (الذي) للمفردِ المذكرِ ، و(التي) للمفردةِ المؤنثةِ ، و(اللذانِ) للثنتينِ ، و(اللتانِ) للثنتينِ ، و(الذينِ) و(الألى) لجماعةِ الذكورِ ، و(اللاتي) و(اللائي) لجماعةِ الإناثِ ، وهذه الأسماءُ تُسمَّى بالموصولاتِ المُختَصَّةِ (١) .

ومنَ الموصولاتِ أسماءٌ تُسمَّى بالموصولاتِ المُشترَكةِ ؛ وهي : (منَ) لذوي العِلْمِ ، و(ما) لغيرِهِم ، و(أل) و(أي) و(ما) .

وتُستعملُ الأسماءُ الموصولةُ في أجناسٍ ، وفي جميعِ أفرادِ جنسٍ ، وفي فردٍ معهودٍ ، وضابطٌ ما يُستعملُ في جميعِ الأفرادِ : أن يَصِحَّ دخولُ (كلِّ) عليه ، وضابطٌ ما يُستعملُ في الجنسِ ألا يَصِحَّ دخولُ (كلِّ) عليه .

مثالٌ ما يُرادُ به الجنسُ : (الذي تثيرُ به الأرضَ ، وتسقي الحرتَ نوعُ لحمِه داءً ، ولبنُه شفاءً) فإنه لا يَصِحُّ أن تقولَ : (كلُّ واحدٍ نوعٌ ...) .

ومثالٌ ما يُرادُ به جميعُ الأفرادِ : قولكَ : (اللهُ يعلمُ الذي غابَ ، والذي حضرَ) فإنه يَصِحُّ أن تقولَ : (اللهُ يعلمُ كلَّ شيءٍ غابَ ، وكلَّ شيءٍ حضرَ) .

(١) المختصة ؛ أي : التي ليست بمشتركة .

ومثال ما يُرادُ بهِ واحدٌ معهودٌ : قولكُ : (الذي كانَ عندنا أمسِ رجلٌ
أتاهُ اللهُ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ) .

الصِّنفُ الرابعُ : [المُحلِّيُّ بـ (أَل)]

الشيءُ المعهودُ القائمُ الصورةَ في الذهنِ بسببِ حضورهِ أو شهرتِهِ . . يُعبَّرُ
عنهُ باسمِ جنسِهِ مُفتتحاً بكلمةِ (أَل) ويُسمَّى حرفَ التعريفِ :

وحينئذٍ يُسمَّى الاسمُ المقرونُ بها : ذا الأداةِ والمُحلِّيُّ بـ (أَل) نحوُ : خذِ
الكتابَ ، واقرأ الكتابَ بينَ يديكَ ، وقَدِمَ الأميرُ ، ونحوُ : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى
فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ (١) .

ويُستعملُ ذو الأداةِ كما يُستعملُ الموصولُ ، وعندَ استعمالِهِ في
الجنسِ تُسمَّى (أَل) : (أَل) الجنسِيَّةُ ، وعندَ استعمالِهِ في جميعِ
الأفرادِ تُسمَّى : (أَل) الاستغراقِيَّةُ ، وعندَ استعمالِهِ في المعهودِ تُسمَّى :
العهدِيَّةُ .

مثالٌ ما يُستعملُ في الجنسِ : قولكُ : (الرجلُ خيرٌ مِنَ المرأةِ) فإنَّ
المعنى : هذا النوعُ إجمالاً خيرٌ مِنْ هذا النوعِ ، ولا يسوغُ أن تلاحظَ في
التفصيلِ تفصيلَ الأشخاصِ ؛ فلو قلتَ : (كلُّ رجلٍ خيرٌ مِنْ كلِّ امرأةٍ) . .
كذبَ الكلامُ بـ (مريمَ) مثلاً وكثيرٍ مِنَ الرجالِ ، ونظيرُ ذلكَ : (القائمُ أكثرُ
مِنَ القاعدِ ، والماشِي أقلُّ مِنَ الراكبِ) إذ لا يمكنُ أن تقولَ : (كلُّ قائمٍ
أكثرُ) لأنَّ الواحدَ لا يُوصَفُ بالكثرةِ .

ومثالُ استعمالِهِ في المعهودِ : قولكُ : (صبيحةٌ يومنا جاءَ الرجلُ وأخبرني
بكذا) لمعهودِ بينكُ وبينَ مخاطبكِ .

(١) سورة المزمّل : (١٥ - ١٦) .

الصِّنفُ الخامسُ : المُضَافُ لشيءٍ مِنَ المعارِفِ

ويُستعملُ كما يُستعملُ الموصولُ وذو الأداةِ ، والأحكامُ تُميِّزُ المرادَ مِنَ جنسٍ وغيرِهِ ؛ فما يُرادُ بِهِ الجنسُ هُوَ موضوعُ القضيةِ الطبيعيَّةِ ، وما يُرادُ بِهِ جميعُ الأفرادِ هُوَ موضوعُ القضيةِ الكليةِ ، وما يُرادُ بِهِ شخصٌ مُعيَّنٌ مِنَ الأعلامِ والضمائرِ وأسماءِ الإشارةِ والموصولاتِ وذو الأداةِ والمُضافاتِ . . هُوَ موضوعُ القضيةِ الشخصيَّةِ .

وقد يُرادُ بالأشياءِ التي لها الاستعمالاتُ الثلاثةُ واحدٌ ما ملحوظٌ تَعَيُّنُهُ بتعيُّنِ جنسِهِ ، حيثُ يَحْصُلُ الغرضُ بواحدٍ مِنَ آحادِ الجنسِ ؛ فهو مُعيَّنٌ مِنْ جهةٍ ، مُبَهَّمٌ مِنْ جهةٍ ، ويُسمَّى : المعهودَ الذهنيَّ ؛ مثلُ قولِكَ : (ادخلِ السُّوقَ فاشترِ لنا طعاماً) فَإِنَّكَ لا تريدُ سُوقاً بشخصِهِ ، بل تريدُ واحداً مِنْ هَذَا الجنسِ لحصولِ الغرضِ ، فتعريفُ الموصولِ وذو الأداةِ والمُضافِ أربعةُ أنواعٍ ، لكلِّ نوعٍ مواضعٌ تخصُّهُ مِنَ الكلامِ .

الصِّنفُ السادسُ : الاسمُ المقرونُ بـ (يا)

المطلوبُ بِهِ إقبالُ شخصٍ بعينه مُتوجِّهٍ إليه ؛ مثلُ : (يا رجلُ ، ويا زيدُ) .

فالمعارِفُ سبْعٌ : مَعْرِفَةٌ بِنَفْسِهَا ؛ وهي الأعلامُ الشخصيَّةُ ، والأعلامُ الجنسيَّةُ ، والعلمُ الجنسيُّ بمنزلةِ ذي الأداةِ الذي يُرادُ بِهِ الجنسُ ، إِلَّا أَنَّ الإشارةَ إِلَى التَعَيُّنِ بِنَفْسِ اللَّفْظِ فِي الأوَّلِ ، وبكلمةِ (أَل) فِي الثاني .



قِسْمُ اسْمِ الْجِنْسِ الْجَوْهَرِيِّ الْجَامِدِ

هُوَ : كإِنْسَانٍ ، وَحَيَوَانٍ ، وَأَسَدٍ ، وَحَجَرٍ ، وَشَجَرٍ ، وَمَاءٍ ، وَنَارٍ ، وَيُقَسَّمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ :

- نَوْعٌ يُسَمَّى : أَسْمَاءَ الْجِنْسِ الْأَحَادِيَّةِ .

- وَنَوْعٌ يُسَمَّى : أَسْمَاءَ الْجِنْسِ الْجَمْعِيَّةِ .

- وَنَوْعٌ يُسَمَّى : أَسْمَاءَ الْجِنْسِ الْإِفْرَادِيَّةِ .

فَالأَوَّلُ : هُوَ مَا وُضِعَ لِلْجِنْسِ لِيُرَادَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَحَادِهِ لَا يَتَمَيَّزُ بِهِ وَاحِدٌ عَنْ وَاحِدٍ ؛ كإِنْسَانٍ ، وَأَسَدٍ ، وَشَجْرَةٍ ، وَمَدْرَةٍ .

الثَّانِي : هُوَ مَا وُضِعَ لِلْجِنْسِ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْ جَمَاعَاتِ الْجِنْسِ إِلَى الْجَمِيعِ ، فَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْجَمَاعَةِ ؛ كَشَجَرٍ ، وَمَدْرٍ ، وَتَمْرٍ ، وَبَقْرٍ . وَهَلْذَانِ النَّوْعَانِ فِيمَا إِذَا تَفَصَّلَتْ أَفْرَادُ الْأَجْنَاسِ وَتَشَخَّصَتْ ؛ بِحَيْثُ تُعَدُّ فَيَكُونُ فِيهَا الْأَحَادُ وَالْجَمَاعَاتُ ، وَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى اسْمِ الْجِنْسِ الْجَمْعِيِّ التَّاءُ . . صَارَ لِلوَاحِدِ ؛ كَشَجَرٍ وَشَجْرَةٍ ، وَمَدْرٍ وَمَدْرَةٍ ، وَرَمَلٍ وَرَمَلَةٍ ؛ فَذُو التَّاءِ لِلوَاحِدِ ، وَالْمُجَرَّدُ مِنْهَا لِلْجَمَاعَةِ ، إِلَّا فِي لَفْظِ (كَمٍّ وَكَمَاءَةٍ) ، فَذُو التَّاءِ لِلْجَمَاعَةِ ، وَالْمُجَرَّدُ لِلوَاحِدِ .

وَالثَّلَاثُ : مَا وُضِعَ لِيُسْتَعْمَلَ فِي الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ مِنْهُ حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ أَحَادٌ مُفْصَلَةٌ مُتَمَيِّزَةٌ ؛ كَأَسْمَاءِ السَّوَائِلِ ؛ مِنْ مَاءٍ ، وَزَيْتٍ ، وَسَمْنٍ ، وَعَسَلٍ ؛ فَإِنَّ الْمُفْصَلَ مِنْهَا لَوْ جَمَعْتَهُ . . صَارَ شَيْئًا وَاحِدًا ، بِخِلَافِ الْأَجْنَاسِ ذَوِي الْأَحَادِ .

قسمُ المصدرِ

عرفتَ المرادَ به ، ولفظُهُ يكونُ على صورٍ كثيرةٍ يأتي شرحُها في قسمِ
الصَّرْفِ ، ومعناه مُطلقٌ يتقيدُ بالنسبِ إلى مُتعلقاتِهِ ، ويتبينُ في قسمِ النحوِ ،
كما أنَّ الكلامَ على قسمي الفعلِ والمُشتقِّ يأتي بعضُهُ في قسمِ الصَّرْفِ ،
وبعضُهُ في قسمِ النحوِ .



قسم الحروف

بيان معاني حروف المعاني من وظيفة علم متن اللغة ، وتذكر في علم النحو لاحتياجه إلى [بعضها] ، ورأيت إيرادها في هذا الموضع لتجيب المسائل الموقوفة على معرفتها بينة واضحة ، ليس فيها إحالة ؛ فنقول :

[أحرف الإضافة]

سبعة عشر حرفاً تُسمى : أحرف الإضافة ؛ لكونها لربط معنى كلمة بمعنى كلمة ، والمربوط يُسمى : مُتعلِّقاً بكسر اللام ، والمربوط به يُسمى : مُتعلِّقاً بفتحها ؛ وهي : (من ، وإلى ، وعن ، وعلى ، وعدا ، وحاشا ، وخلا ، وفي ، وكاف ، ولا ، وباء ، [وواو] ، وتاء ، ومُد ، ومُنْد ، وحتى ، وكى) .

الكلام في (من) : بكسر الميم وسكون النون ، وتُفتح لوقوع (أل) بعدها ، وتُكسر لوقوع ساكن آخر ، [وهي] مُشتركة بين معان :

- الأوّل : كون موضع أو وقت - وهما مدلول ما بعدها - مبدأ مسافة فعل ؛ وهو مدلول ما قبلها ؛ مثاله : (سعيث من الصفا ، وطفت من الصبح) .

- الثاني : كون ما بعدها علّة لما قبلها ؛ مثاله : (أكرمك من علمك) وكثيراً ما يُذكر بعدها كلمة (أجل) فيقال : (من أجل علمك) .

- الثالث : كون ما قبلها مُبعضاً لما بعدها ؛ مثاله : (أنفق من مالك .. يُخلف عليك) .

- الرابع : كونُ شيءٍ بدلَ شيءٍ بتعويضٍ أو بغيرِ تعويضٍ ؛ مثالهُ : (ارغب في الأعلى مِنَ الأدنى) .

- الخامسُ : كونُ ما بعدها هوَ الجنسَ المرادَ مِنْ أجناسٍ يَحتمِلُها لفظٌ سابقٌ عليها ، وتُسمَّى : البيانيَّةُ ؛ مثالهُ : (أنتَ على ما أسلفتَ مِنْ خيرٍ مأجورٌ) .

الكلامُ في (إلى) : بكسرِ الهمزة ، وألفها بدلُ مِنْ ياءٍ تظهَرُ في بعضِ الكلامِ ، وهي مُشتركةٌ بينَ معانٍ :

- الأوَّلُ : كونُ ما بعدها مِنْ مكانٍ أو وقتٍ غايةَ مسافةٍ فعلٍ ، وهي في مقابلةٍ (مِنْ) الابتدائيةِ ؛ تقولُ : (سارَ مِنَ المِغربِ إلى المِشرقِ ، مِنَ الصُّبحِ إلى العِصرِ) .

- الثاني : كونُ ما قبلها مصاحباً لِمَا بعدها ؛ كقولك : (فلانٌ شَرَّفَهُ كَرُمُ حَسَبٍ وَعُلُوُّ نَسَبٍ إلى طبعِ نَفْيٍ) .

- الثالثُ : كونُ ما بعدها مفعولاً لِمَا قبلها لا فاعلاً ، وهذه تقعُ في تركيبِ (أَحَبُّ) في مقابلةٍ (لِمِ) تدلُّ على أَنَّ ما بعدها مفعولٌ لِمَا قبلها ؛ كقولك : (زيدٌ أَحَبُّ إليَّ مِنْ عمرو) ف (إلى) تدلُّ على أَنَّ ما بعدها محبوبٌ ، بخلافِ (أَحَبُّ لي) فاللامُ للدلالةِ على أَنَّ ما بعدها مُحِبٌّ^(١) ، ومثلُ (أَحَبُّ) : (أَبغضُ) ، وتُسمَّى (اللامُ) و (إلى) في هذا التركيبِ : حرفيَّ التبيينِ .

(١) كذا في الأصل ، والذي في « حاشية الصبان على الأشموني » (٢١٧/٢) : (اعلم : أن ما بعد « إلى » التبيينية فاعل ، وما قبلها مفعول ، واللام التبيينية بعكس ذلك ؛ فإذا قلت : « زيد أحب إليَّ » .. كنت أنت المحبِّ وزيد المحبوب ، وإذا قلت : « زيد أحبُّ لي » .. كنت أنت المحبوب وزيد المحب) .

الكلام في (عَن) : بسكونِ النونِ ، وتُكسَرُ لوقوعِ ساكنٍ بعدها ، ومعناها :
كونُ شيءٍ فارقَ شيئاً بعدَ اجتماعِ .

الكلام في (على) : (على) أَلْفُها بدلٌ مِنْ ياءٍ تَظْهَرُ في بعضِ الكلامِ ،
ومعناها : كونُ شيءٍ فوقَ شيءٍ حِسّاً أو معنّى ؛ نحوُ : (زيدٌ واقفٌ على
الأرضِ على نيةِ المَشْيِ) .

الكلام في (عدا) و(حاشا) و(خلا) : معنى هذه الحروفِ : كونُ ما
بعدها مصروفاً عنه حكمٌ على أمرٍ شاملٍ للمصروفِ عنه وغيرِهِ ؛ مثلُ : (خرجَ
أهلُ البلدِ عدا زيدٍ ، وحاشا عمرو ، وخلا بكرٍ) .

الكلام على (في) : هي مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :
- الأوَّلُ : كونُ ما بعدها ظرفاً لِمَا قبلها .

- الثاني : كونُ ما بعدها سبباً ؛ كقولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ :
« دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا ، لَا هِيَ أَطَعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ
مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ » ^(١) .

- الثالثُ : كونُ شيءٍ فوقَ شيءٍ ؛ فهَي ك (على) نحوُ : ﴿ وَالْأُصْلَبِيُّ فِي
جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٥) ، ومسلم (٢٢٤٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) سورة طه : (٧١) .

الكلام في (الكاف) : هي مُشتركةٌ بينَ معنيتين :

- أحدهما : كونُ ما قبلها شبيهاً لِمَا بعدها .

- وثانيهما : كونُ ما بعدها عِلَّةً لِمَا قبلها .

مثلُ : (زيّدٌ كالقمرِ) ، ومثلُ : ﴿ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ ﴾ ^(١) .



الكلام في (اللامِ) : وهي مُشتركةٌ بينَ معانٍ :

- أحدها : كونُ ما قبلها مملوكاً لِمَا بعدها أو مُنزَلاً منزلةً .

- وثانيها : كونُ ما بعدها عِلَّةً .

- وثالثها : كونهُ نهايةً ^(٢) .



الكلام في (الباءِ) : هي مُشتركةٌ بينَ معانٍ :

- أحدها : كونُ ما قبلها مُلصقاً بما بعدها .

- وثانيها : كونهُ مُصاحباً ؛ مثلُ : (اشترى الفرسَ بسرجهِ ، وأخذَ الشيءَ

برمتهِ وبأسرهِ) .

- وثالثها : كونُ ما بعدها ظرفاً .

- ورابعها : كونهُ سبباً ؛ مثلُ : ﴿ فَظَلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَتِ أُمَّتٌ لَهُمْ ﴾ ^(٣) .

(١) سورة البقرة : (١٩٨) .

(٢) مثال الأول ؛ وهو لام الملك : (المالُ لزيد) ، ومثال ما نزل منزلة الملك : (أدومٌ لك ما تدومُ لي) ، ومثال الثاني ؛ وهو لام التعليل : (زرتك لشرفك) ، ومثال الثالث ؛ وهو كون اللام بمعنى (إلى) التي لانتهاء الغاية قوله تعالى : ﴿ يَا نَبِيَّ رَّبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٥] .

(٣) سورة النساء : (١٦٠) .

- وخامسها : كونه عوضاً .

- وسادسها : كونه آله ، وتسمى : بآء الاستعانة .

- وسابعها : كون ما بعدها مقسماً ومحلوفاً به لتأكيد الدعوى أو

الاستعطف ، والواو والتاء كالباء في معنى القسم لغير الاستعطف .

الكلام في (مُذ) و(مُنْذ) : هما بمعنى (مِنْ) إن صحبتا زماناً ماضياً ،
وبمعنى (فِي) إن صحبتا زماناً حاضراً ، وبمعنى (مِنْ) و(إِلَى) إن صحبتا
زماناً ماضياً بعضه ؛ مثل : (مُذْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، وَمُذْ يَوْمِنَا ، وَمُذْ عَامٍ ، وَمُذْ يَوْمَيْنِ) .

الكلام في (حَتَّى) : معناها : كون ما بعدها غاية لما قبلها في أمرٍ مُرتَّبٍ
في الذهن شرفاً أو خسةً ؛ مثل : (اقرأ العِلْمَ حَتَّى السَّحْرِ) .

الكلام في (كَيْ) : هي في هذا الباب لا تَصَحَّبُ إِلَّا كلمة سؤال ؛ وهي
(مَا) مثل : (كَيْمَه) فهي للعلّة المطلوبة بـ (مَا) .

[أحرف المعاني]

حرفا التشبيه : هما الكاف السابقة ، و(كَأَنَّ) مثل : (كَأَنَّ زَيْدًا قَمْرٌ) .

أحرف التوكيد : وهي التي تفيدُ بها أَنَّك جازمٌ بنسبة أمرٍ إلى أمرٍ : (إِنَّ)
بكسرِ الهمزة ، و(أَنَّ) بفتحِها ، ولامٌ تُسمى : (لَامَ الْإِبْتِدَاءِ) نحو : (لَزَيْدٌ
أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو) ، و(قَدْ) وتختصُّ بالأفعال .

حرف الاستدراك (لَكَنَّ) ، والاستدراك : رفعُ وَهْمٍ نشأَ مِنْ الكلامِ السابقِ ؛
نحوُ : (فلانُ عالمٌ ، لَكِنَّهُ سيِّئُ الخُلُقِ) .

حرف التمني (لَيْتَ) ، والتمني : تَشَوُّفُ النفسِ وطلبُها حصولَ ما لا
يمكنُ أو يَبْعُدُ .

حرف التوقع (لَعَلَّ) ، ويُقالُ : التَرَجِّي والتَرَقُّبُ .



أحرف النَّفْيِ : هي (ما) و (لا) و (لن) و (لم) و (لَمَّا) و (إن)
و (لاَت) .



أحرف الجوابِ : (نَعَمْ) و (بلى) و (أَجَلُ) و (جَيْرِ) و (إِنَّ) ، و (إِي) .
ذ (نَعَمْ) و (أَجَلُ) و (جَيْرِ) و (إِنَّ) : لتصديقِ المُخْبِرِ ، ووعِدِ الطالبِ ،
وإعلامِ السائلِ ، و (لا) ضدُّها ، و (بلى) لإبطالِ نَفْيِ سابقِ ، و (إِي) يَغْلِبُ
وقوعُها بعدَ الاستفهامِ ، وَيَصْحَبُها القَسَمُ ؛ كقولِهِ تعالى : ﴿ وَاسْتَنْبِؤْنَاكَ أَحَقُّ
هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ ﴾ ^(١) ، ومنهُ قولُ : (إِيوَه) بكسرِ الهمزة ، والاقْتِصَارِ
مِنَ القَسَمِ على واوِهِ ، وإلحاقِ هاءِ تُسَمَّى : هاءِ السكْتِ ، تقعُ في مواضعٍ مِنْ
كلامِ العربِ ، يأتي بيانُها في قسمِ الصَّرْفِ .



أحرف النداءِ : وهو التصويْتُ طلباً للإقبالِ : (أَيُّ) و (أَيَّا) و (آ) و (يا)
وهمزةٌ مفردةٌ .

(١) سورة يونس : (٥٣) .

حرفُ العَرَضِ : وهو الطلُبُ برفقٍ : (أَلَا) .

أحرفُ التحضيضِ : وهو الطلُبُ بشدَّةٍ : (أَلَا) و(هَلَّا) و(لولا) و(لوما) .

حرفا الاستفهامِ : الهمزةُ و(هل) ، (هل) لطلبِ التصديقِ ، فيكونُ المُتَكَلِّمُ بها غيرَ حاكمٍ بوقوعِ النسبِ ، يَطْلُبُ أن تُعْلِمَهُ ليحكمَ ، والهمزةُ مثلها ، ولطلبِ التَّصَوُّرِ ، فيكونُ المُتَكَلِّمُ بها حاكماً بوقوعِ النسبِ ، مُتَرَدِّداً بينَ فاعِلينِ ، أو مفعولينِ ، أو مكانينِ ، أو زمانينِ ، أو حالينِ ، أو غيرِهِما ، وبعدَ الهمزةِ التي لطلبِ التَّصَوُّرِ يُؤْتَى بِ (أَمْ) وتُسَمَّى : (أَمْ) المُتَّصِلَةَ والمُعَادِلَةَ .

همزةُ التسويةِ : هي التي تقعُ بعدَ (سواءٍ) غالباً ، ويُؤْتَى معها بِ (أَمْ) المُتَّصِلَةَ ، كما يُؤْتَى بها معَ همزةِ الاستفهامِ .

[أحرفُ الشَّرْطِ]

أحرفُ الشرطِ : (إن) و(لو) و(أمّا) و(لولا) و(لَمَّا) .

ف (إن) لتعليقِ حصولِ أمرٍ على أمرٍ آخرٍ مشكوكٍ في حصولِهِ ، لكنْ بفَرَضِ حصولِهِ يلزمُ حصولُ ما علقتَهُ بِهِ ووقفتَهُ عليه ، وهذا هو معنى لفظِ (الشَّرْطِ) .

وتمامُ الكشفِ عن ذلكَ : أنَّ كلَّ أمرٍ مُتَرَدِّدٍ بينَ أن يكونَ وألَّا يكونَ . . لا بدَّ لَهُ مِنْ سببٍ يُرَجِّحُ أَحَدَ طرفَيْهِ ، وربَّما تَوَقَّفَ تَحَقُّقُ ما يُرَجِّحُهُ السببُ على شروطٍ ، فمتى وُجِدَ السببُ وتمَّتِ الشروطُ . . وجبَ حصولُ المُسَبَّبِ ؛ مثلُ قولِكَ : (إن طلعتِ الشمسُ ولم يحجبها الغمامُ . . أضاءتِ الآفاقُ) فطلوعُ

الشمس سببٌ للإضاءة ، وعدم حجبِ الغمامِ شرطٌ ، فالعبارةُ الواقعةُ بعدَ (إن) عبارةٌ عن سببٍ أو شرطٍ ، فهي لتعليقِ الأمورِ المستقبليةِ .

وأما (لو) .. فهي لربطِ أمرٍ بأمرٍ والحكمُ باللزومِ بينهما في الماضي ، ولها في اللغةِ ثلاثةُ استعمالاتٍ :

- الأوَّلُ : أن يُفادَ بها أن شيئاً انتفى وامتنع وجودُهُ لانتفاءِ سببه أو شرطه ؛ كقولِ الشاعرِ ^(١) :

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ
وحيثُ يُكونُ المرادُ منها : هذا المعنى يُستدرِكُ برفعِ ما يليها ؛ وهو المُقدِّمُ ، ليرتفعَ ما يليه ؛ وهو التالي .

- الاستعمالُ الثاني : أن يُفادَ بها أن مضمونَ التالي واقعٌ على كلِّ حالٍ ؛ وذلكَ حيثُ يُعلَقُ حصولُهُ على ما ينافيه ، فإذا كان واقعاً مع ما ينافيه .. فوقعهُ مع ما يلائمهُ أولى ؛ كقولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعضِ الصَّحَابَةِ : « إِنَّ سَالِمًا شَدِيدُ الْحُبِّ لِلَّهِ ، لَوْ لَمْ يَخَفِ اللهُ .. لَمْ يَعْصِهِ » ^(٢) ، فعدمُ العصيانِ يلائمهُ الخوفُ ، فلمَّا علَقَ على المُنافي .. عُرِفَ أَنَّهُ واقعٌ على أيِّ حالٍ فُرِضَتْ ، وحيثُ يُكونُ المرادُ منها : هذا المعنى لا يُستدرِكُ ؛ إذ الغرضُ التقريريُّ .

- الاستعمالُ الثالثُ : أن يُفادَ بها أن بينَ مُقدِّمها وتاليها لزوماً ؛ فيُستدلُّ بوقوعِ المُقدِّمِ الملزومِ على وقوعِ التالي اللازمِ ، ويُستدلُّ بانتفاءِ التالي اللازمِ على انتفاءِ المُقدِّمِ الملزومِ ، فيُستدرِكُ بثبوتِ المُقدِّمِ ليثبتَ التالي ، ويُستدرِكُ بانتفاءِ التالي لينتفي المُقدِّمُ .

(١) هو أبي بن سلمى بن ربيعة بن ريان ، كما في « الزهرة » (٢٤٣/٢) .

(٢) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٧٧/١) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

مثال ذلك : قولك : (لو كان زيدُ عالماً .. أحبَّ العلماءَ ، لكنَّهُ عالمٌ ؛
فهو يُحِبُّ العلماءَ) أو (لكنَّهُ لا يُحِبُّ العلماءَ .. فهو ليسَ بعالمٍ) .

ولمَّا كانَ اللازمُ قد يكونَ لازماً لأكثرَ مِنْ شيءٍ ؛ كالمُسَبَّبِ الذي له
أسبابٌ كلُّ واحدٍ منها يكفي لوجودِهِ .. لم يكنْ وجودُ اللازمِ المُسَبَّبِ
دليلاً على وجودِ سببٍ بعينه ، ولم يكنْ انتفاءُ سببٍ بعينه دليلاً على انتفاءِ
المُسَبَّبِ .

مثال ذلك : الضَّوءُ ؛ فَإِنَّهُ يَتَسَبَّبُ عَنِ الشَّمْسِ وَيَتَسَبَّبُ عَنِ النَّارِ ، فلا
يكونُ وجودُهُ دليلاً على وجودِ الشَّمْسِ ، ولا يكونُ انتفاءُ الشَّمْسِ دليلاً على
انتفاءِ الضَّوءِ .

وهذا الاستعمالُ لـ (لو) هو المبحوثُ عنه في عِلْمِ المَنْطِقِ ؛ لأنَّهُ هو
العِلْمُ الباحثُ عن حالِ الاستدلالِ ، وجميعُ استعمالاتِ (لو) واردةٌ في
الكتابِ العزيزِ .

- فالأوَّلُ : كقولِهِ : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ ^(١) ؛ أي : لكنَّهُ لم
يَعْلَمْ فِيهِمْ خَيْرًا ، فلم يُسْمِعَهُمْ .

- والثاني : كقولِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ
سَبْعَةُ بَأْخُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ؛ أي : فكلماتُ اللَّهِ غيرُ متناهيةٍ على أيِّ
حالٍ فُرِضَ .

- والثالثُ : كقولِهِ : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ ^(٣) ؛ أي : لكنَّهُم
لم يُعِدُّوا ، فهو دليلٌ على عدمِ إرادتِهِمُ الخروجِ .

(١) سورة الأنفال : (٢٣) .

(٢) سورة لقمان : (٢٧) .

(٣) سورة التوبة : (٤٦) .

وَأَمَّا كَلِمَةُ (أَمَّا) .. فَهِيَ لِلتَّحْقِيقِ فِي صُورَةِ التَّعْلِيقِ .

مثلاً : تقولُ : أنا مسافرٌ الحجازَ ، فيقولُ لك إنسانٌ : إِنَّ الوَقْتَ شَدِيدُ الحَرِّ ، والطَّرِقَ مَخُوفَةٌ ، ولولا ذلك .. لصحبتُكَ .

فتقولُ : (أَمَّا أنا .. فمُساوِرٌ) ومعناهُ : مهما يكنُ مِنْ حَرٍّ أو بَرْدٍ أو اعتدالٍ ، أو أَمِنٍ أو خَوْفٍ .. فَأنا مُساوِرٌ .

استغنتِ العربُ بكلمةِ (أَمَّا) عن (مهما يكنُ) وبيانِ (مهما) ، وزحلقَتِ الفاءَ اللازمةَ لـ (أَمَّا) عن موضعِها ، فبانَ أَنَّ الغرضَ مِنْ تَرْكِيبِ (أَمَّا) هو التَّحْقِيقُ بِصُورَةِ التَّعْلِيقِ .

وَأَمَّا (لولا) .. فَهِيَ لِإِفَادَةِ انْتِفَاءِ شَيْءٍ لوجودِ آخَرَ ؛ كقولِهِ تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ^(١) ؛ أَي : انتفى الفسادُ لوجودِ الدَّفْعِ .

ويُقَالُ فِي (لولا) : (لوما) .

وَأَمَّا (لَمَّا) .. فَهِيَ لِإِفَادَةِ حَصولِ أمرٍ لِحصولِ سببِهِ فِي المَاضِي ؛ مِثْلُ قولِهِ تعالى : ﴿ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِطَاءَ الْخَيْرِ ﴾ ^(٢) .

وغيرُ سببِيهِ وَأَتباعِهِ يقولُ : إِنَّ (لَمَّا) هذِهِ اسمٌ بِمعنى (إِذ) مِنْ أسماءِ الزَمَنِ المَاضِي ^(٣) .

أحرفُ التَّنْبِيهِ : (يا) و(ألا) و(أما) و(وُستفتَحُ بِهِذِهِ الكَلَامُ ، وَالتَّنْبِيهِ يُنْبِئُ عَنِ الاعْتِنَاءِ ، وَ(ها) وَتَصَحَّبُ أسماءَ الإِشارةِ الَّتِي لَيْسَ مَعَهَا لَامٌ ؛

(١) سورة البقرة : (٢٥١) .

(٢) سورة يونس : (٩٨) .

(٣) انظر « شرح التصريح على التوضيح » (٣٩/٢ - ٤٠) .

مثلُ : (هذا) و (هَذَا) فلا يُقَالُ : (هَذَاكَ) ، وَتَصَحَّبَ ضَمِيرًا مَصْحُوبًا
باسمِ إِشَارَةٍ ؛ مثلُ : (هَذَاذَا) ، و (هَأَنْتَ ذَا) ؛ لِدَقَّةِ الْإِشَارَةِ ، وَصَغْرِ لَفْظِهَا ،
وَغَلْبَةِ الْإِشْكَالِ فِي الْمُشَارِ إِلَيْهِ .

وَتَصَحَّبَ وَتَعَقَّبَ كَلِمَةً (أَيِّ) مثلُ : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ) .

أحرفُ التَّشْرِيكِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي حَكْمٍ أَوْ حَصُولٍ :

الفَاءُ و (ثُمَّ) : لِلتَّشْرِيكِ وَالتَّرْتِيبِ ، مَعَ الْإِتِّصَالِ فِي الْأَوَّلَى وَالْفَوْرِيَّةِ ،
وَمَعَ الْإِنْفِصَالِ فِي الثَّانِيَةِ وَالْمَهْلَةِ ؛ مثلُ : (قَرَأَ زَيْدٌ فَعَمَّرُو) أَوْ (ثُمَّ عَمَّرُو) ،
أَوْ (قَرَأَ زَيْدٌ فَقَرَأَ عَمَّرُو) أَوْ (ثُمَّ ...) ، وَرَبَّمَا أَفَادَتِ الْفَاءُ سَبَبِيَّةَ السَّابِقِ
لِلْآخِقِ .

وَالْوَاوُ و (حَتَّى) : لِلتَّشْرِيكِ الْمَطْلُوقِ ، بِتَّرْتِيبٍ وَبِغَيْرِ تَّرْتِيبٍ ، بِاتِّصَالٍ
وَغَيْرِهِ ؛ مثلُ : (خَرَجَ زَيْدٌ وَعَمَّرُو) ، وَزَيْدٌ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ أَوْ مَقَارَنٌ .

لَكِنْ (حَتَّى) لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ ذِي أَجْزَاءٍ أَوْ جِزْئِيَّاتٍ ، وَيَكُونُ مَا بَعْدَهَا
غَايَةً لِمَا قَبْلَهَا فِي حِسَّةٍ أَوْ شَرْفٍ ؛ مثلُ : (خَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِلنَّزْهَةِ حَتَّى
الْكِنَّاسُونَ ، أَوْ أَمْرَاؤُهَا) .

حرفُ التَّرْدِيدِ لِلشَّكِّ ، أَوْ التَّشْكِيكِ ، أَوْ الْإِبْهَامِ (أَوْ) مثلُ : ﴿ وَآنَا أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(١) ، وَتَكُونُ لِلتَّخْيِيرِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ
لَا يَجُوزُ جَمْعُهُمَا عَقْلًا أَوْ شَرْعًا ؛ مثلُ : (تَكَلَّمْ أَوْ اسْكُتْ) ، و (تَزَوَّجْ

(١) سورة سبأ : (٢٤) .

هنداً أو أختها) ، وللإباحتِ عند جوازِ الجمعِ ؛ مثلُ : (جالسِ العلماءِ أو الزُّهَّادِ) .

حرفُ الإضرابِ والإعراضِ ؛ أي : الانتقالِ مِنْ ضَرْبٍ إِلَى ضَرْبٍ ، وَعُضْوٍ - بضم العين - إِلَى عُضْوٍ : كلمةُ (بَلْ) وهي مثلُ : (جاءَ زيدٌ بلِ عمرو) ، (أَحْسِنُ إِلَى زيدِ بلِ عمرو) ظاهرةٌ في صرفِ الحكمِ عنِ الأوَّلِ وتخصيصِهِ بالثاني ، معَ جوازِ اشتراكِهِما ، فإذا قلتَ : (لا بَلْ) .. كَانَ صرفُ الحكمِ قطعياً ، وفي مثلِ : (ما أساءَ زيدٌ بلِ عمرو) و (لا تُهِنْ زيداً بلِ عمراً) لتقريرِ ما سبقَ ، والانتقالِ بضمِّهِ لِمَا بعدها ، وما فيه تقريرُ السابقِ يُسَمَّى : إضراباً انتقالياً ، وما فيه رفعُ السابقِ يُسَمَّى : إضراباً إبطالياً .

وُتستعملُ كلمةُ (أم) بمعنَى (بَلْ) فقط ، وبمعنَى (بَلْ) والهمزةِ جميعاً في بعضِ الكلامِ ، وحينئذٍ تُسَمَّى : (أم) المُنْقَطَعَةَ في مقابلةِ (أم) المُتَّصِلَةِ ، التي سبقَ القولُ بأنَّها تكونُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ التصوريِّ ، وبعدَ همزةِ التسويةِ^(١) .



حرفُ التفصيلِ (إمَّا) بكسرِ الهمزةِ : مثلُ : (إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرو) .
وتقومُ مقامَ الثانيةِ (أو) مثلُ : (إمَّا زيدٌ أو عمرو) .



حرفُ النَّهْيِ (لا) : في مثلِ : (لا تَحَقِّرْ نَفْسَكَ) .

(١) انظر (١/١٣٢) .

حرف الأمر اللام : في مثل : (لِيَحْسُنْ رَأْيُكَ ، فَلْيَزِدْ جِدُّكَ ، وَلْتَطِبْ نَفْسُكَ ، ثُمَّ لِيَتَطَلَّبْ كُلَّ خَيْرٍ) ، وَتُسَكَّنْ بَعْدَ الْوَاوِ وَالْفَاءِ ، وَتُكْسَرُ مَعَ غَيْرِهِمَا .

حرف الاستثناء (إِلَّا) : مثل : (كُلُّ الْكَلَامِ حَسَنٌ ، إِلَّا كَلَاماً أَعْقَبَ شَرًّا) .

أحرف التعليل : (مِنْ) ، واللام ، والكاف ، والفاء ، والباء ؛ مثل : (أَكْرَمُ زَيْدًا مِنْ أَنَّهُ حَكِيمٌ) ، أو (لَأَنَّهُ) ، أو (كَمَا أَنَّهُ) ، أو (فَإِنَّهُ) ، أو (بَأَنَّهُ) .

أحرف الاستقبال - أي : التي يكون ما بعدها مُستقبلاً آتياً لا يَحْتَمِلُ الكون في الحال - : السين ، و (سوف) ، و (أن) بفتح الهمزة وسكون النون ، و (إن) بكسر الهمزة ، و (لن) مثل : (سَيَقُولُ) ، ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَإِن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ^(٢) ، و (إن تجهد .. تسعد) ، و (لن تغلبك صعوبة صعب إن صبرت وسلكت إليه من مسالكه) .

خمسة أحرف تُسمَّى : الأحرف المصدرية ، والموصولات الحرفية ، والأحرف السوابك ؛ لأنها تجعل ما بعدها - وهو صلته من فعل أو مُشتق آخر - بمنزلة مصدر ، فكأنها سبكت ما بعدها مصدراً ؛ بحيث لو رفعتها وصلتها ووضعت المصدر مكانهما .. استقام لك الكلام ، ولذلك تُسمَّى

(١) سورة الضحى : (٥) .

(٢) سورة البقرة : (١٨٤) .

هذه الأحرف مع ما بعدها : المصادر التأويلية ؛ لأنها في اللفظ أحرف وأفعال أو مشتقات أخر ، وفي اللحظ هي مصادر ، والمصادر التأويلية في مقابلة المصادر الصريحة .

والأحرف المذكورة هي : (أن) بفتح الهمزة وسكون النون ، و (أن) بفتح الهمزة والنون المشددة ، و (كي) ، و (ما) ، و (لو) مثل : (حَسَنَ أَنْ تَكْتُبَ الْعِلْمَ ؛ لِأَنَّ الْكُتُبَ يَحْفَظُهُ مِنَ الضَّيَاعِ ، وَلِكِي تَرَجَعَ الْكِتَابَ مَتَى شِئْتَ ، وَمِمَّا وُضِعَتْ الْكُتُبُ حُفِظَتِ الْعُلُومُ) .

وقد يُلحَظُ مع (ما) هذه معنى الوقت ، فُتَسَمَّى : المصدرية الظرفية ؛ مثل : (أَنْتَ حَكِيمٌ مَحْبُوبٌ مَا طَلَبْتَ الْخَيْرَ وَجَهَدْتَ فِي تَحْصِيلِهِ) فهو على معنى مُدَّةٍ ما طلبت الخير ، وعلى تأويل مُدَّةٍ طلبك .

و (أودُّ لو تَحْفَظُ) و ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (١) .

حرفُ الرِّدْعِ وَالزَّجْرِ (كَلًّا) : مثل : ﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ (٢) .

حرفا التفسير (أي) بفتح الهمزة وسكون الياء ، و (أن) بالفتح فالتسكون : ف (أي) : تكون بعد ما يحتاج إلى البيان [بلاحتها] ؛ مثل : (غَضِبْنَا ؛ أَي : أَسَدٌ) و (عَسَجْدٌ ؛ أَي : ذَهَبٌ) .

و (أن) : تقع بعد مُبْهَمٍ مذكورٍ أو محذوفٍ مُتَعَلِّقٍ بِفِعْلٍ في معنى القول

(١) سورة البقرة : (٩٦) .

(٢) سورة التكاثر : (١ - ٣) .

دونَ حروفِهِ ؛ ك (أَمَرَ) و (أَشَارَ) ، وما بَعْدَ (أَنْ) جَمَلَةٌ مُفَسِّرَةٌ لِمَبْهَمِ
السَّابِقِ هِيَ مَعْنَاهُ ؛ مِثْلُ : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
فِي الْيَمِّ ﴾ (١) .

ومِثْلُ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفَلَكَ ﴾ (٢) ؛ أَيْ : [فَأَوْحَيْنَا] إِلَيْهِ مَوْحَى هُوَ :
اصْنَعِ الْفَلَكَ .

حرفا التوكيدِ الفِعْلِيِّ : نُونٌ سَاكِنَةٌ تُسَمَّى : نُونُ التوكيدِ الخفيفةِ ، ونونٌ
مفتوحةٌ مُشَدَّدَةٌ تُسَمَّى : نُونُ التوكيدِ الثقيلةِ .

لا يلحقانِ الأفعالَ الماضيةِ ، ويلحقانِ الأفعالَ الأمرِيَّةَ عِنْدَ الحاجةِ إلى
التوكيدِ .

ويلحقانِ المضارعَ وجوباً ؛ إِذَا كَانَ مُسْتَقْبَلاً مُثَبِّتاً جَوَابَ قَسَمٍ ؛ مِثْلُ :
﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ ﴾ (٣) .

وقريباً مِنَ الوجوبِ ؛ إِذَا كَانَ شَرْطاً ل (إِنْ) المَزِيدِ مَعَهَا لَفْظُ (مَا) مِثْلُ :
﴿ فَإِنَّمَا نَذَبْنَا بِكَ مِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ (٤) .

وكثيراً ؛ إِذَا كَانَ ذَا طَلْبٍ ؛ مِنْ اسْتِفْهَامٍ ، أَوْ تَمَنٍّ ، أَوْ نَهْيٍ ، أَوْ عَرْضٍ ، أَوْ
حَضٍّ ؛ مِثْلُ : (هَلْ تَصْغِيئٌ) ، و (لَيْتَكَ تَحْفَظَنَّ) ، و (لَا تَكْسَلَنَّ) ، و (أَلَا
تَدَّأَبَنَّ) ، و (هَلَّا تَطْلُبَنَّ) .

وقليلاً - والأحسنُ تركُهُ والاقتصارُ على ما سُمِعَ مِنَ العَرَبِ - إِذَا كَانَ

(١) سورة طه : (٣٨ - ٣٩) .

(٢) سورة المؤمنون : (٢٧) .

(٣) سورة الأنبياء : (٥٧) .

(٤) سورة الزخرف : (٤١) .

منفياً بـ (لم) أو زيد قبله لفظ (ما) كقول الشاعر^(١) : [من الطويل]

وَمِنْ عِضَّةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا

أو كان شرطاً لغير (إمّا) .

ويمتنع توكيد المضارع بهما في غير هذه المواضع ، فلهما مع المضارع خمس أحوال ، وقد شدَّ بعض العرب فلا يُنطقُ بمثل ما به نطق ، فأكد الفعل الماضي الدعائي ؛ تنزيلاً له منزلة الأمر لاشتماله على معنى الطلب ، فقال^(٢) :

دَامَنَّ سَعْدُكَ إِنْ رَحِمْتَ مُتِيماً لَوْلَاكَ لَمْ يَكْ لِلصَّبَابَةِ جَانِحَا

فهو بمنزلة : اللهم ؛ أديم سعادها ، وشدَّ بعض آخر ، فأكد اسم الفاعل ؛

تنزيلاً له منزلة المضارع ، فقال^(٣) :

[من الرجز]

أَرَيْتَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمْلُودَا

مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ أَلْبُرُودَا

أَقَائِلَنَّ أَحْضِرُوا أَلشُّهُودَا

فهو بمنزلة : أتقولن .

وللنطق بالأفعال معهما كصفات لم تكن له بدونهما ، تقف عليها في

قسم الصَّرف .

(١) انظر « خزنة الأدب » (٢٢/٤) ، والبيت بتمامه :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ سُرِقَ أَثْمُهُ وَمِنْ عِضَّةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا

وقال : (يريد أن الابن يشبه أباه ، فمن رأى هذا . . . ظنه هذا ، فكان الابن مسروق) ، والشكير : ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، والعضة : واحدة العضاه ؛ شجر .

(٢) انظر « شرح الصبان على الأشموني » (٢١٣/٣) .

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج (ص ١٧٣) ، وانظر « خزنة الأدب » (٤٢٠/١١) ، والأملود : الناعم اللين .

تكملة للكلام على قسم الحروف

اعلم : أن العرب قد يُسمون الشيء باسم ، ثم يزيدونه حرفاً ويُسمون به ما هو أكبر من ذلك الشيء من جنسه ؛ ومن هنا قالت العلماء : (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) .

من ذلك : ما حكاه الزمخشري عن نفسه قال : اجتزت يوماً بساحل البحر ، فرأيت رجلاً أعرابياً عند مركبتين صغير وكبير ، فسألتُه عن اسم الكبير ، فأشار إلى الصغير وقال : أليس هذا الشُّقْدَف ؟ فقلتُ له : بلى ، فقال : فهذا [الشُّقِنْدافُ] .

إذا وَعَيْتَ هذا .. فاعلم : أن بعضَ أحرفِ المعاني تُستعملُ في بعضِ الكلامِ زائدةً لا لإفادةٍ معنَى ، بل لغرضِ التوكيدِ والتقوية ؛ مِنْ بابِ (زيادة المعنى بزيادة المبنى) وتلك الأحرَفُ هي : (مِنْ) ، والباءُ ، واللامُ ، و(إن) بكسرِ الهمزة ، و(لا) ، و(ما) ، والكاف .

فترادُ (مِنْ) بعدَ نفيٍ أو نهيٍ أو استفهامٍ داخلَةً على نكرةٍ ؛ مثلُ : ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ ﴾ ^(١) ، و(ما لباغٍ مِنْ مَقَرٍّ) ^(٢) ، و(لن ترى مِنْ أَحَدٍ يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَلَا يَأْتِيهِ ، وَلَا يَجْهَلُ الشَّرَّ وَهُوَ يَبْتَغِيهِ) ، و(لَا تُخَيِّبْ مِنْ أَمَلٍ وَأَنْتَ قَادِرٌ) .

(١) سورة الحاقة : (٤٧) .

(٢) ألمح إلى قول الإمام ابن مالك في « الألفية » :

(من الرجز)

وَزِيدَ فِي نَفْسِي وَشَبَّهَهُ فَجَزُرُ نَكْرَةً كَمَا لِبَاغٍ مِنْ مَقَرٍّ

وتُزَادُ (الباءُ) كثيراً بعدَ نَفْيِ (ما) و(ليسَ) مثلُ: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ﴾ (١).

ومثلُ: ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٢).

ونادراً في غيرهما ، فلا يَسُوغُ أن يُحْمَلَ فصيحُ الكلامِ عليه مع إمكانِ غيره ، وَمِنَ الشَّاذِّ قَوْلُهُمْ : (بِحَسْبِكَ دَرَهْمٌ) فلا يُقَالُ في (بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ) : يُحْتَمَلُ زيادَةُ الباءِ .



وتُزَادُ (اللامُ) في مثلِ : (لِلْعَلْمِ يَكْتُبُ مَنْ أَحَبَّهُ) و(زَيْدٌ كَاتِبٌ لِلْعَلْمِ) .



وتُزَادُ (إن) بعدَ (ما) النافية في مثلِ (٣) :
مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ

[من البسيط]

وتُزَادُ (ما) مع بعضِ أحرفِ الإضافة ؛ مثلُ : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ (٤) ، و﴿مِمَّا حَطَّيْتَهُمْ أَغْرُقُوا﴾ (٥) ، و﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَدِيمِينَ﴾ (٦) ،

(١) سورة الحاقة : (٤١) .

(٢) سورة الزمر : (٣٦) .

(٣) انظر « مغني اللبيب » (٣٨/١) ، والشطر للناطقة الذبياني في « ديوانه » (ص ٢٥) ، ورواية البيت فيه :

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أَتَيْتُ بِهِ إِذَا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي
(٤) سورة آل عمران : (١٥٩) .

(٥) سورة نوح : (٢٥) .

(٦) سورة المؤمنون : (٤٠) .

ومثل^(١) :

[من الطويل]

وَنَنْصُرُ مَوْلَانَا وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا النَّاسِ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارِمٌ
وَتُزَادُ أَيْضاً بَعْدَ (أَيْنَ) ، و(أَيِّ) ، و(إِذَا) ، و(مَتَى) ، و(حَيْثُ) ،
و(كَيْفَ) ، و(إِنَّ) ، و(أَنَّ) ، و(لَيْتَ) ، و(لَعَلَّ) ، و(كَأَنَّ) ،
و(لَكِنَّ) .

وَتُزَادُ (لَا) بَعْدَ عَاطِفٍ عَلَى مَنفِيٍّ ؛ مِثْلُ : (مَا جَاءَ زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو) ،
وَبَعْدَ (أَنَّ) وَاللَّامِ ؛ مِثْلُ : ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾^(٢) .

وَتُزَادُ (الكَافُ) فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) .

وَتَمَّةٌ حَرْفٌ يُقَالُ لَهُ : الشَّبِيهُ بِالزَّائِدِ ؛ وَهُوَ (رُبُّ) وَذَلِكَ أَنَّهُ يُذَكَّرُ مَعَ
أَحْرَفِ الْإِضَافَةِ ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ حَرْفَ الْإِضَافَةِ يَفِيدُ مَعْنَى وَيَحْتَاجُ إِلَى
مُتَعَلِّقٍ ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَ : حَرْفًا أَصْلِيًّا ، وَمَا لَا يَفِيدُ مَعْنَى وَلَا يَحْتَاجُ لِمُتَعَلِّقٍ
يُسَمَّى : زَائِدًا ، فَلَفِظُ (رُبُّ) لِكَوْنِهِ يَفِيدُ مَعْنَى وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى مُتَعَلِّقٍ .
سُمِّيَ : شَبِيهًا بِالزَّائِدِ وَالْأَصْلِيِّ .

وَمَعْنَى (رُبُّ) تَكْثِيرُ شَيْءٍ أَوْ تَقْلِيلُهُ ؛ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ^(٤) : [من الخفيف]

رُبَّمَا تَكْرَهُ النَّفْسُ مِنْ الْأَمِّ رِ لَهْ فُرْجَةٌ كَحَلِّ [الْعِقَالِ]

(١) انظر «مع الهوامع» (٤٧٦/٢) .

(٢) سورة الحديد : (٢٩) .

(٣) سورة الشورى : (١١) .

(٤) هو أمية بن أبي الصلت في «ديوانه» (ص ٤٤٤) .

وقول الآخر^(١) :

[من الخفيف]

رِيَّهُ فثِيَّةٌ دَعَوْتُ إِلَى مَا يُكْسِبُ الْمَجْدَ دَائِبًا فَأَجَابُوا

وقول آخر^(٢) :

[من المديد]

رَبِّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَزْفَعُنْ ثَوْبِي شَمَالَاتٍ

وَتُسْتَعْمَلُ فِي مَقَامِ التَّسْلِيَةِ ، وَالْإِدْلَالِ ، وَالِافْتِخَارِ ، وَالِامْتِنَانِ ، وَالتَّهْدِيدِ ،
وَتُحَذَفُ (رَبِّ) وَيُعَوِّضُ عَنْهَا الْوَاوُ ، وَيُقَالُ لَهَا : (وَاوُ رَبِّ) كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٣) :

وَفَثِيَّةٌ زَهْرُ الْأَدَابِ بَيْنَهُمْ أَزْهَى وَأَزْهَرُ مِنْ زَهْرِ الْبَسَاتِينِ

مَشَوْا إِلَى الرَّاحِ مَشَى الرِّيحِ وَأَنْصَرَفُوا وَالرَّاحُ تَمْشِي بِهِمْ مَشَى الْفَرَازِينِ

وقول آخر^(٤) :

[من البسيط]

وَلَيْلَةٌ بَتُّ أَسْقَى فِي غِيَاهِبِهَا رَاحًا تَسْلُ شَبَابِي مِنْ يَدِ الْهَرَمِ

مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى غَزَالَةِ الصُّبْحِ تَزْعَى نَزْجَسَ الظُّلَمِ

وقول آخر^(٥) :

[من السريع]

وَأَهْيَفِ [مُبْتَسِمِ] عَنْ حَبَبِ مُورِدِ الْخَدِّ مَلِيحِ الشَّنَبِ

يَلُومُنِي الْعَاذِلُ فِي حُبِّهِ وَمَا دَرَى شَعْبَانَ أَنِّي رَجَبِ

انتهى الكلام على معاني الحروف ، ولها أحكام يجيئك تفصيلها في

قسم النحو .

(١) انظر « مغني اللبيب » (٢ / ٦٣٨) .

(٢) انظر « مغني اللبيب » (١ / ١٨٠) .

(٣) هو السري الرفاء في « ديوانه » (ص ٤٥٥) ، والبيت من البسيط .

(٤) هو مجير الدين ابن تميم ، كما في « الوافي بالوفيات » (٥ / ٢٣٢) .

(٥) انظر « ديوان الصبابة » (ص ١٧١ - ١٧٢) .

التقسيمُ الثاني مِنْ تقاسيمِ فقهِ اللغةِ [في الخاصِّ والمُشتركِ]^(١)

اللفظُ الواحدُ :

- إمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصلياً لمعنى واحدٍ ، ويُسمَّى : مُختصّاً
ككثيرٍ مِنْ أسماءِ الأجناسِ .

- وإمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصلياً لأكثرَ مِنْ معنى ، ويُسمَّى :
مُشترِكاً .

- وإمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصلياً لمعنى ، وتبعياً لجميعِ ما يناسبُ
ذلكَ المعنى ، ولهُ بهُ علاقةٌ وارتباطٌ ؛ كالمشابهةِ ، واللُّزومِ ، والسببيةِ ،
والكليةِ ، والجزئيةِ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ العلاقاتِ بينَ المعاني .

ويُسمَّى اللفظُ باعتبارِ الوضعِ الأصليِّ : حقيقةً ، وباعتبارِ الوضعِ التبعيِّ :
مجازاً إن كانتِ المناسبةُ مرعيةً حالةَ الوضعِ والاستعمالِ دائماً .

فإن كانتِ المناسبةُ مرعيةً حالةَ الوضعِ فقط ؛ بحيثُ صارَ المعنى الثاني
الذي وُضعَ لهُ اللفظُ وضعاً تبعياً هوَ الذي يتبادرُ إلى الأفهامِ عندَ استعمالِ
اللفظِ ، ويكونُ المعنى الأوَّلُ مهجوراً غيرَ ملحوظٍ عندَ الاستعمالِ . . . سُمِّيَ
اللفظُ : منقولاً ؛ فإن كانَ الناقلُ عامَّةَ الناسِ . . . سُمِّيَ : حقيقةً عرفيةً ، وإن كانَ
الناقلُ الشرعَ . . . سُمِّيَ : حقيقةً شرعيةً ، وإن كانَ الناقلُ أهلَ فنٍّ مِنَ الفنونِ . .
سُمِّيَ : حقيقةً اصطلاحيةً .

فالأوَّلُ : كلفظِ (الدابةِ) كانَ اسماً لكلِّ ما يدبُّ على وجهِ الأرضِ ، ثمَّ

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٨٦) .

تعارفَهُ النَّاسُ اسماً لذَوَاتِ الأَرْبَعِ ، وَكَ (النَّجْمِ) كَانَ اسماً لِكُلِّ كَوْكَبٍ ، ثُمَّ تَعَارَفَهُ النَّاسُ اسماً لِلشَّرِيَا ، وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (١) ، وَالمِثْلُ : (إِذَا طَلَعَ النَّجْمُ عِشَاءً .. ابْتَغَى الرَّاعِي كِسَاءً) ، وَكَ (العقبة) كَانَ اسماً لِكُلِّ كُذْيَةٍ (٢) تَعْتَرِضُ فِي الطَّرِيقِ ، ثُمَّ تَعَارَفَهُ النَّاسُ اسماً ل (عقبة أَيْلَةَ) الَّتِي فِي طَرِيقِ أَهْلِ مِصْرَ إِلَى الحِجَازِ ، وَهَذَا النُّوعُ غَيْرُ كَثِيرٍ .

وَالثَّانِي : ك (الصَّلَاةِ ، وَالطَّهَّارَةِ ، وَالوُضُوءِ ، وَالتَّيْمِمِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالرِّكَاتِ) . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَلْفَاظِ الَّتِي نَقَلَهَا الشَّرْعُ عَنْ مَعَانِيهَا اللُّغَوِيَّةِ إِلَى مَعَانٍ تَجَدَّدَتْ بِتَجَدُّدِ الإِسْلَامِ .

وَالثَّلَاثُ : كَلْفِظِ (الفَاعِلِ ، وَالمَفْعُولِ ، وَالحَالِ ، وَالتَّمْيِيزِ) . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَلْفَاظِ الَّتِي نَقَلَهَا أَهْلُ النُّحُوِّ ، وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ الأَلْفَاظِ الفُنُونِ العِلْمِيَّةِ .

ثُمَّ الحَقَائِقُ : تَارَةً تُسْتَعْمَلُ فِي مَعَانِيهَا وَهِيَ المَرَادَةُ بِالإِفَادَةِ ، وَتَارَةً تُسْتَعْمَلُ فِي مَعَانِيهَا وَالمَرَادُ بِالإِفَادَةِ غَيْرُهَا مِنَ المَعَانِي المُنَاسِبَةِ لَهَا ، وَحِينَئِذٍ تُسَمَّى الحَقَائِقُ بِالأَعْتَابِ الأَوَّلِ : صَرَائِحَ ، وَبِالأَعْتَابِ الثَّانِي : كِنَايَاتٍ .

مِثَالُ ذَلِكَ : (زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ) وَالرَّمَادُ : مَا تَبْقِيهِ النَّارُ بَعْدَ انْتِهَاءِ فِعْلِهَا ؛ فَتَارَةً يَكُونُ المَرَادُ الإِخْبَارَ بِكثرةِ رَمَادِ زَيْدٍ فَقَطْ ؛ كَأَن يَكُونُ خَبَرًا أَوْ طَبَاحًا ، وَتَارَةً يَكُونُ المَرَادُ الإِخْبَارَ بِكِرْمِ زَيْدٍ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الإِحْرَاقِ ، وَكَثْرَةُ الإِحْرَاقِ دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الخَبِزِ وَالمَطْبُخِ ، وَكَثْرَةُ الخَبِزِ وَالمَطْبُخِ دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الأَكْلَةِ ، وَكَثْرَةُ الأَكْلَةِ دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الضُّيُوفِ وَالمَاجِهِ لَهُمْ بِمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ وَاخْتَصَّ بِحَيَازَتِهِ .

(١) سورة النجم: (١) .

(٢) الكدية: ما ارتفع من الأرض وكان فيه غلظ وصلابة .

وتفصيل العلاقات بين المعاني ، وتنويعها إلى أنواع بسببها تنوع المجاز ،
وبيان أنواع الكناية . . قد وُضِعَ لَهُ فَرْنٌ هُوَ الْمُسَمَّى بِـ (فَرْنِ الْبَيَانِ) .

[الْمُشْتَرَكُ وَلَطَائِفُهُ]

وَأَمَّا الْمُشْتَرَكُ . . فلا بدَّ مِنْ تَفْصِيلِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَوْعاً مِنْ التَّفْصِيلِ ،
وبيان ما تسهل بسببه للبلغاء من [اللطائف] .

فنقول : الْمُشْتَرَكُ واجبُ الوقوع ؛ لأنَّ الأشياءَ التي تَسْتَحِقُّ العبارةَ عنها
غيرُ متناهية ، والألفاظُ متناهيةٌ ؛ لكونها مؤلَّفةً مِنْ الحروفِ المتناهية ،
ولكثرة المُشْتَرَكِ ادَّعى بعضهم أنَّ المُشْتَرَكِ أكثرُ مِنَ المُخْتَصِّ ، واستدلَّ بأنَّ
جميعَ الحروفِ مُشْتَرَكَةٌ ، والأفعالَ الماضيةَ مُشْتَرَكَةٌ بينَ الدعاءِ والإخبارِ ،
والأفعالَ المضارعةَ مُشْتَرَكَةٌ بينَ الحالِ والاستقبالِ ، والأفعالَ الأمريةَ مُشْتَرَكَةٌ
بينَ الطلبِ الجازمِ والإباحةِ والتخييرِ والتهديدِ ، وكثيرٌ مِنَ الأسماءِ مُشْتَرَكَةٌ ؛
فإذا ثبتَ أنَّ قَسَمِينَ وبعضَ الثالثِ مِنْ أقسامِ الكلمةِ مِنَ المُشْتَرَكِ . . ثبتَ أنَّ
المُشْتَرَكِ أكثرُ مِنَ المُخْتَصِّ ، لكنَّ الاستقراءَ مُبْطِلٌ دعواه .

[من أغراضِ اشتراكِ المعاني في اللفظِ الواحدِ]

ولتشريكِ المعاني في اللفظِ الواحدِ أغراضٌ :

منها : التوريةُ بالشيءِ عن غيرهٍ لدفعِ المحذورِ معَ الصدقِ ^(١) ؛ كما رُوِيَ :
أنَّ أبا بكرٍ رضي اللهُ عنه يومَ خرجَ معَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُهاجِرِينَ
إلى المدينةِ . . سألهُ رجلٌ : مَنْ هذا الذي معَكَ ؟ فقالَ لهُ : هذا رجلٌ يهديني
السيبَ ^(٢) .

(١) انظر « عروس الأفرح » (٣٤٤/٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩١١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

فالهدايةُ مُشتركةٌ بينَ تعريفِ ما ينبغي وما لا ينبغي مِنَ الأعمالِ ، وبينَ الدلالةِ على الطريقِ المُوصِلِ إلى الجهةِ المقصودةِ ، فأوهمَ أَنَّهُ يريدُ هدايةَ الطريقِ ، وهو يريدُ هدايةَ الدِّينِ .

ورويَ أيضاً : أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ يريدُ غزوَ المشركينَ غزوةَ بدرٍ ، وانتهى إلى نصفِ الطريقِ مِنَ المدينةِ إلى مَكَّةَ . . وجدَ رجلاً أعرابياً ، فسألهُ : « مَا عِلْمُكَ بِقُرَيْشٍ وَمُحَمَّدٍ ؟ » فقالَ لَهُ الأعرابيُّ : [مَمَّنْ] أنتَ ؟ فقالَ لَهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَتَّى تُخْبِرَنِي » فقالَ الأعرابيُّ : بلغني أَنَّ قريشاً خرجوا يومَ كذا ، ومحمداً خرجَ يومَ كذا ؛ فإنَ كانَ هذا صدقاً . . فمحمدٌ بموضعِ كذا ، وقريشٌ بموضعِ كذا .

ثمَّ استنجزَ الأعرابيُّ الوعدَ ، فقالَ لَهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا مِنْ مَاءٍ » ومضى ، فأوهمَ أَنَّهُ مِنَ العِراقِ ؛ لأنَّ مِنْ أسماءِ العِراقِ : ماءٌ ، وهو يريدُ أَنَّهُ مِنْ مَاءٍ دافِقٍ ، يخرجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلبِ والترائبِ^(١) .

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّ فِي أَلْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذِبِ »^(٢) .

[أَلْفَاظٌ وَأَضْدَادُهَا مِنَ الْمُشْتَرِكِ]

وَمِنَ الْمُشْتَرِكِ : أَلْفَاظٌ مَوْضُوعَةٌ لِأَشْيَاءٍ وَأَضْدَادُهَا سَمَّاها نَقَلَةُ اللُّغَةِ بِالْأَضْدَادِ ؛ فَتَرَاهُمْ يَقُولُونَ مَثَلًا : الْجَوْنُ - بَفَتْحِ فَسْكَوْنِ - : الْأَبْيَضُ ، وَالْأَسْوَدُ ؛ ضِدًّا .

(١) الخبر عند ابن هشام في « السيرة النبوية » (٦١٦/١) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤٥٨) عن سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

مِنْ ذَلِكَ : الْجَلَلُ : للعظيم ، والحقير ، قَالَ الشاعِرُ مِنْ الْأَوَّلِ ^(١) : [من الكامل]
 قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 فَلَيْنَ عَفْوُكَ لِأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَيْنَ سَطْوُكَ لِأَوْهِنَنَ عَظْمِي
 وَمِنْ الثَّانِي قَوْلُ آخَرَ ^(٢) :

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا أَلَمَوْتَ جَلَلُ وَالْفَتَى يَسْعَى وَيُلْهِبُهُ الْأَمَلُ
 وَقَوْلُ الطُّغْرَائِيِّ ^(٣) :

فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجُلَى لِتَنْصُرَنِي وَأَنْتَ تَخَذُلْنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ
 وَمِنْهُ : الغَابِرُ : لِمَاضِي الزَّمَنِ وَغَيْرِهِ ، وَلِلآتِي .

قِيلَ : وَمِنْ الْأَضْدَادِ : لَفْظُ (سَوَى) فَإِنَّهَا تُطْلَقُ عَلَى عَيْنِ الشَّيْءِ ، وَعَلَى
 غَيْرِهِ ، وَخَرَجُوا عَلَى ذَلِكَ قَوْلَ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) :

أَتَانَا فَلَمْ نَعْدِلْ سِوَاهُ بِغَيْرِهِ نَبِيٌّ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ هَادِيَا
 قَالُوا : إِنَّ مَعْنَاهُ : لَمْ نَجْعَلْ شَخْصَهُ عَدِيلاً لِشَخْصِ مَنْ الْأَشْخَاصِ الْمَغَايِرِينَ
 لَهُ ، بَلْ فَضَّلْنَاهُ عَلَى الْكَلِّ ، وَخَرَجَهُ غَيْرُهُ هَلْوَإِ عَلَى أَنْ لَفْظُ (سَوَى) بِمَعْنَى
 (غَيْرِ) فَقَالُوا : إِنَّ مَعْنَاهُ : لَمْ نَشْتَغَلْ بِتَفْضِيلِ أَحَدٍ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا مُحَمَّدًا ؛ فَإِنَّا
 مُشْتَغِلُونَ بِإِثْبَاتِ فَضْلِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ عَدَاهُ ، فَالضَّمِيرُ فِي (بَغَيْرِهِ) يَعُودُ عَلَى
 (سَوَى) ، وَعَلَى التَّخْرِيجِ الْأَوَّلِ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى (النَّبِيِّ) ، فَإِنَّ التَّقْدِيرَ :
 أَتَانَا نَبِيٌّ فَلَمْ نَعْدِلْ شَخْصَهُ بِغَيْرِهِ .

(١) هما للحارث بن وعله الذهلي ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١٠٧/١) .

(٢) انظر « المزهري في علوم اللغة » (٣٩٨/١) .

(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣) . (٤) كذا في « المزهري » (٣٩٢/١) .

[الجناسُ التامُّ من لطائفِ المشتركِ]

وَمِنْ لَطَائِفِ الْمُشْتَرِكِ ^(١) : تَحْسِينُ الْكَلَامِ بِالنَّوْعِ الَّذِي عَدَّهُ أَهْلُ فَنِّ
الْبَدِيعِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحْسِنَةِ وَسَمَّوْهُ : الْجِنَاسَ التَّامَّ ، وَإِنْ ازْدْرَاهُ بَعْضُ فُطَنَاءِ
الْمُتَأَخِّرِينَ ، حَتَّى قَالَ مُنْفِرًا عَنْهُ ^(٢) :

طَبَعُ الْمُجَنِّسِ فِيهِ نَوْعُ قِيَادَةٍ أَوْ مَا تَرَى تَأْلِيفَهُ لِأَحْرَفِ
وَذَلِكَ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ لَهَجُوا بِاسْتِعْمَالِهِ ، حَتَّى انصَرَفَتْ أَفْكَارُهُمْ
إِلَى جِهَةِ الْأَلْفَاظِ مُهْمِلِينَ جَانِبَ الْمَعْنَى ، حَتَّى صَارَ أَكْثَرُ كَلَامِهِمْ رَكِيكًا
مَرْدُولًا ، وَأَحْسَنُ الْجِنَاسِ مَا اقْتَضَاهُ الْمَعْنَى حَتَّى تَكُونَ الْأَلْفَاظُ فِي مَوَاقِعِهَا
مُتِمِّكَةً ، وَيَكُونُ الشَّاعِرُ أَوْ النَّائِرُ بَرِيئًا مِنْ تَكْلِيفِهِ ، سَاعِيًا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي
نَهَجَهُ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ بِقَوْلِهِ ^(٣) :

إِذَا أَحْبَبْتَ قَوْلَ الشِّعْرِ فَأَخْتَرِ لِنَظْمِكَ كُلَّ سَهْلٍ ذِي أَمْتِنَاعِ
وَلَا تَقْصِدْ مُجَانَسَةً وَمَكِّنْ قَوَافِيَهُ وَكِلَهُ إِلَى الطَّبَاعِ

وَمِنْ الْجِنَاسِ الْمَقْصُودِ بِهِ إِحْصَاءُ الْمَعْنَى الَّتِي اشْتَرَكَتْ فِي اللَّفْظِ :
قَوْلُ يَحْيَى بْنِ سَلَامَةَ الْحَصْكَفِيِّ نَسْبَةً إِلَى (حَصْنِ كَيْفَا) إِحْدَى بِلَادِ
الشَّامِ ^(٤) ، مِنْ أَدْبَاءِ الْقَرْنِ السَّادِسِ ؛ عَصْرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيِّ صَاحِبِ
« الْمَقَامَاتِ » :

عَادَكَ عِيدٌ وَطَالَ مَا عَادَا وَهَكَذَا كَلَّمَا أَنْقَضَى عَادَا
عَدَاكَ عَمَّا تُرِيدُهُ زَمَنٌ لَسْتُ بِقَرْنٍ لَهُ إِذَا عَادَا

(١) انظر « عروس الأفرح » (٣٧٧/٤) .

(٢) هو الأُسْعَدُ بْنُ مَمَاتِي ، كَمَا فِي « خَزَانَةِ الْأَدَبِ » لِلْحَمَوِيِّ (٣٨٣/١) .

(٣) هو ابنُ الْوَرْدِيِّ ، كَمَا ذَكَرَ فِي « خَزَانَةِ الْأَدَبِ » لِلْحَمَوِيِّ (٣٨٢/١) .

(٤) انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (٣٦٩/١) .

يَجْنَحُ لِلسَّلْمِ مَاكِراً فَإِذَا	سَالَمَ فَأَعْلَمَ بِأَنَّهُ عَادَا
وَكَمْ عَدَا دَاؤُهُ إِلَى مَلِكٍ	عَدَوَاهُ مَخْشِيَةً فَمَا عَادَا
قَصَرَ آمَالَ قَيْصَرَ وَمَضَى	يَكْسِرُ كِسْرَى وَقَبْلَهُ عَادَا
فَإِنْ رَمَى صَرْفُهُ عِدَاكَ فَلَا	تَبْدُ شَمَاتَا فَرُبَّمَا عَادَا
كَمْ أَدَعَى مُدْعٍ عَلَيَّ وَرِعٍ	فَأَلْتَزَمَ أَلْمُدْعَى وَمَا عَادَا
وَكَمْ عَدَا ظَالِمٌ فَأَبْصَرَ مَنْ	سُلِّمَ فِيهِ أَلْمُنَى وَمَا عَادَا
وَكَمْ عَدَا طَالِبٌ فَعَيْقَ وَكَمْ	نَالَ أَلْمَدَا مَنْ مَشَى فَمَا عَادَا
وَكَمْ مَرِيضٍ أَبَلَ مِنْ مَرَضٍ	وَمَاتَ مَنْ طَبَّهُ وَمَنْ عَادَا

فلفظ (عادَ يعودُ) مُشْتَرَكٌ بَيْنَ ثَلَاثَةِ مَعَانٍ :

- الأَوَّلُ : اتَّخَذَ عَادَةً وَوَدِدْنَا ؛ وَهُوَ الْمَرَادُ بِ (عَادَكَ عَيْدٌ) ، وَالْعَيْدُ : مَا تَكَرَّرَ وَرُودُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْوَالِ ؛ فَكَلَّمَا انصَرَفَ أَوْ قَلَّ . . عَادَ .

- والثَّانِي : رَجَعَ بَعْدَ ذَهَابٍ ؛ وَهُوَ الْمَرَادُ بِقَافِيَةِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَالْأَلْفُ الْمَرْسُومَةُ بَعْدَ الدَّالِ لَيْسَتْ مِنَ الْلَفْظِ ، تُرْسَمُ فِي رَوِيِّ الشَّعْرِ الْمَفْتُوحِ ؛ تُسَمَّى : أَلْفَ الْإِطْلَاقِ ؛ لِإِطْلَاقِ الصَّوْتِ بِهَا ، وَلَأَجْلِهَا يُرْسَمُ بِالْأَلْفِ مَا حَقُّهُ أَنْ يُرْسَمَ بِالْيَاءِ ؛ كَالْقَوَافِي السَّبْعِ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ ؛ وَهِيَ غَيْرُ الْأُولَى وَالْخَامِسَةِ وَالْأَخِيرَةِ ، وَ (عَادَ) فِي الْقَافِيَةِ الْخَامِسَةِ : اسْمُ الْقَبِيلَةِ الْمَشْهُورَةِ الْمَذْكُورِ مَعَ (ثَمُودَ) ، وَكَانَ اسْمُ أَبِيهَا ، فَسُمِّيَتْ بِهِ كَمَا هُوَ عَادَةُ الْعَرَبِ ؛ يُسْمَوْنَ الْقَبَائِلَ بِأَسْمَاءِ آبَائِهَا .

- وَالْمَعْنَى الثَّلَاثُ ل (عَادَ) : زَارَ الْمَرِيضَ ؛ وَهُوَ الْمَرَادُ بِقَافِيَةِ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ .

وقد جمعَ ثلاثةَ المعاني بعضُ الأدياءِ يشكُرُ أصحابَهُ بقوله : [من المجث]

مَرْضَتْ لَللّهِ قَوْمٌ مَا فِيهِمْ مَنْ جَفَانِي
عَادُوا وَعَادُوا وَعَادُوا عَلَىٰ أَخْيَالِ الْمَعَانِي

أي : زاروا ، ورجعوا بعد انصرافهم ، واتخذوه عادةً .



و (عدا يعدو) مُشْتَرَكٌ بَيْنَ أَرْبَعَةِ مَعَانٍ :

- عداهُ عَنِ الْأَمْرِ : صَرْفُهُ عَنْهُ ، وَرَبَّمَا قِيلَ : (عَادَهُ) بِالْقَلْبِ ؛ وَهُوَ مِنْ سَنَنِ الْعَرَبِ ، وَيُسَمَّى : الْقَلْبَ الْمَكَانِي ؛ لِكَوْنِهِ تَقْدِيمَ حَرْفٍ عَنِ مَكَانِهِ وَتَأْخِيرَ آخَرَ ، فَلَا يَرُدُّ نَقْضًا عَلَى حَصْرِ مَعَانِي (عَادَ) .

- وعدا الداءِ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى غَيْرِهِ : لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَيْهِ ، وَجَاوَزَهُ إِلَيْهِ .

- وعدا عليه : بَغَى وَظَلَمَ .

- وعدا : أَحْضَرَ ؛ أَي : جَرَى شَدِيدًا .

و (عادى) عَلَى صِيغَةِ الْمَغَالِبَةِ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ سَبْعَةِ مَعَانٍ ، نَسْرُدُهَا عَلَى تَرْتِيبِ الْقَوَافِي :

- عاداهُ : صَارَفَهُ ؛ أَي : غَالِبَهُ فِي الصَّرْفِ وَالْعَطْفِ عَنِ الْوَجْهِ .

- وعاداهُ : كَانَ عَدُوًّا مِثْلَ مَا كَانَ .

- وعاداهُ : جَاوَزَهُ وَتَحَامَى أَنْ يَصَلَ إِلَيْهِ .

- وعادى بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ : وَالِى بَيْنَهُمَا ؛ كَأَنْ يُوَالِي بَيْنَ صَيْدَيْنِ

فِي طَلَقٍ ؛ أَي : شَوْطٍ وَاحِدٍ ؛ مِنْ الْعَدْوِ ، وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ يَصِفُ
حِصَانَهُ ^(١) :

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلَ

- وعاداه : قابله بالظلم والبغي .

- وعاداه إلى الحاكم : رافعه بالخصومة إليه .

- وعاداه : جراه .

[من الوافر]

وَمِنْ هَذَا النُّوعِ قَوْلُ الْمَذْكُورِ ^(٢) :

إِلَيْكَ سُهَيْلٌ إِذْ طَلَعَ الْهَيْلَالُ

أَقُولُ فَرُبَّمَا نَفَعَ الْمَقَالُ

وَكَيْفَ يُكَائِرُ الْبَحْرَ الْهَيْلَالُ

تُكَائِرُنِي [بِأَلَاتِ الْمَعَانِي]

وَأَنْتِ تَسْبِقُ النُّجُبَ الْهَيْلَالُ

وَتَطْمَعُ أَنْ تَنَالَ الْمَجْدَ قَبْلِي

كَمَا لَأَنْتِ مَعَ الشَّرِّ الْهَيْلَالُ

وَتُبْطِنُ شِرَّةً فِي لِسَنِ مَسِيٍّ

وَشَخِصِي فِي جَوَانِحِكَ الْهَيْلَالُ

وَتَبْسِمُ حِينَ تُبْصِرُنِي نِفَاقًا

عَلَيْكَ تَدُورُ بِالشَّرِّ الْهَيْلَالُ

وَتَنْتَظِرُ الدَّوَائِرَ بِي وَلَكِنْ

وَفَرِطُ صَلَابَةٍ فِيهَا الْهَيْلَالُ

كَأَنَّ وُجُوهَكُمْ فِي ذَلِّ مَثْوَى

كَمَا تَبْدُو عَلَى الْقَدَمِ الْهَيْلَالُ

وَأَعْرَاضٍ أُذِيلَتْ ^(٣) لِلْأَهَاجِي

بِهَا أَنْ يَزَابَ الصَّدْعُ الْهَيْلَالُ

وَمَا تُغْنِي ^(٤) الْكُتَائِفُ فِي صُدُوعِ

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢٢) .

(٢) يعني : يحيى بن سلامة الحصكفي ، وانظر « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) ، وهو الجزء الثاني من شعراء الشام .

(٣) في « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) : (وأعراضاً أذيلت) .

(٤) في « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) : (الكثائف) .

وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَلْزَمُكُمْ كِتَابٌ وَأَعْقَلُ مِنْ لَيْبِكُمْ أَلْهَالُ

لللهال ثمانية عشر معنى ، ذكرها صاحب « القاموس » ، وأتى هذا الشاعرُ منها بعشرة ، فلم يفِ بالمقصودِ مِنْ مثلِ هذا الشعرِ ، والذي ذكره : الهلالُ المعروفُ ، وبقيةُ الماءِ في الحوضِ ، والناقةُ الهزيلةُ ، والحيةُ ، والحربةُ ذاتُ الحدَّينِ يُعْرَقُ بها الصيدُ ، والرحا ، ونعلُ الدابةِ ، وجمعُ (هَلٍ) بفتحِ الهاءِ كالهَلْهَلِ ؛ وهو الثوبُ لا يُضَمُّ نسجُهُ ، والقطعةُ مِنَ السلكِ يُشَعَّبُ بها الإناءُ ؛ وهي الكتيفةُ ، واحدةُ الكتائفِ ، والطفلُ الصغيرُ .

وفيما ذكره بعضُ مخالفةٍ لِمَا في « القاموسِ » ، ومثلُ هذا الشعرِ كثيرٌ ، ولكونِ المقصودِ منه ما أسلفنا . . يُحتمَلُ ركاكتهُ ، ويُرْمَى بالقصورِ أو التقصيرِ مَنْ لم يُوفِّه حَقَّهُ مِنْ استيفاءِ المعاني المُشتركةِ في اللفظِ .

[أَلْغَازُ فَهِيَّةٍ مِنْ لَطَائِفِ الْمُشْتَرِكِ]

وَمِنْ لَطَائِفِ الْمُشْتَرِكِ : أَنْ تَمَكَّنَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مِنْ وَضْعِ أَسْئَلَةٍ فَهِيَّةٍ يَكُونُ الْجَوَابُ عَنْهَا مُخَالَفًا لِلشَّرْعِ بِحَسَبِ الْمَعْنَى الْمُتَبَادِرِ مِنَ الْمُشْتَرِكِ ، مُوَافِقًا بِحَسَبِ غَيْرِهِ ، وَسَمَّوْهُ : فُتْيَا فَقِيهِ الْعَرَبِ ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا وَضَعَ الْحَرِيرِيُّ فِي (الْمَقَامَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ) مِنْ « مَقَامَاتِهِ » ^(١) . . السُّؤَالَ عَلَى لِسَانِ شَابٍ عَرَبِيٍّ ، وَالْجَوَابَ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدِ السَّرُوجِيِّ ، قَالَ : (مَا تَقُولُ فَيَمَنْ تَوْضَأُ ثُمَّ لَمَسَ ظَهَرَ نَعْلِهِ ؟ قَالَ : انْتَقَضَ وَضُوءُهُ مِنْ فَعْلِهِ) الْمُتَبَادِرُ مِنَ النَّعْلِ : الْمَدَاسُ ، وَلَمَسُهُ لَا يَنْقُضُ الْوَضُوءَ ، وَغَيْرُ الْمُتَبَادِرِ : الزَّوْجَةُ ، وَلَمَسُهَا يَنْقُضُ الْوَضُوءَ .

قَالَ : (فَإِنْ تَوْضَأُ ثُمَّ أَتَكَأَهُ الْبَرْدُ ؟ قَالَ : يُجَدِّدُ الْوَضُوءَ مِنْ بَعْدِ) أَتَكَأَهُ :

(١) مقامات الحريري (ص ٢٣٨) .

أَضَجَعَهُ عَلَى مَرْفَقِهِ ، وَالْمُتَبَادَرُ مِنَ الْبَرْدِ : ضِدُّ الْحَرِّ ، وَإِتْكَأُوهُ صَاحِبَهُ لَا يُبْطِلُ الْوُضُوءَ ، وَلَا يُوجِبُ تَجْدِيدَهُ ، وَالْبَرْدُ : النَّوْمُ ، وَمِنْ كَلَامِهِمْ : (مَنْعَ الْبَرْدِ الْبَرْدَ) وَإِتْكَأَ النَّوْمُ صَاحِبَهُ بَحِيثٌ يُخْرِجُهُ عَنِ التَّمَكُّنِ . . مُبْطِلٌ لِلْوُضُوءِ .

قَالَ : (أَيْمَسَحُ الْمُتَوَضِّئُ أَنْثِيَّيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ نُدِبَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ) ، الْمُتَبَادَرُ مِنَ الْأُنْثِيَّيْنِ : الْخِصْيَتَانِ ، وَلَيْسَتَا مِنْ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ ، وَالْأُنْثِيَانِ : الْأُذْنَانِ ، وَمَسْحُهُمَا فِي الْوُضُوءِ مَطْلُوبٌ مَحْبُوبٌ غَيْرٌ لَازِمٌ .

قَالَ : (أَيْجُوزُ التَّوَضُّؤُ مِمَّا يَقْدِفُهُ الثُّعْبَانُ ؟ قَالَ : وَهَلْ مَاءٌ أَنْظَفُ مِنْهُ [لِلْعُرْبَانِ]) ، الْمُتَبَادَرُ مِنَ الثُّعْبَانِ : الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ ، وَلَا يَجُوزُ التَّوَضُّؤُ مِمَّا يَقْدِفُهُ مِنْ لُعَابِهِ وَغَيْرِهِ ، وَالثُّعْبَانُ : جَمْعُ ثَعْبٍ بَفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ ؛ وَهِيَ مَنَاقِعُ الْمَاءِ يَقَرُّ فِيهَا فَيَصْفُو .

قَالَ : (أَيْسْتَبَاحُ مَاءِ الضَّرِيرِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَيُجْتَنَّبُ مَاءُ الْبَصِيرِ) الْمُتَبَادَرُ مِنَ الضَّرِيرِ : فَاقِدُ الْبَصَرِ ، وَمِنْ الْبَصِيرِ : وَاجِدُهُ ، وَمَاؤُهُمَا - وَهُوَ الْمَنِيُّ - مُجْتَنَّبٌ لَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ ، وَالضَّرِيرُ : حَرْفُ الْوَادِي ، وَمَاؤُهُ كَمَا فِي وَسْطِهِ ، وَالْبَصِيرُ : الْكَلْبُ .

قَالَ : (أَيْحِلُّ التَّطَوُّفُ فِي الرَّبِيعِ ؟ قَالَ : [يُكْرَهُ] ذَلِكَ لِلْحَدِيثِ الشَّنِيعِ) ، الْمُتَبَادَرُ مِنَ الرَّبِيعِ : زَمَانُ نَضَارَةِ النَّبَاتِ وَكَثْرَةِ الْأَعْشَابِ ، وَالتَّطَوُّفُ : تَرَدُّدُ الْإِنْسَانِ فِي الْبِلَادِ لِحَوَائِجِهِ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ جَائِزٌ أَوْ وَاجِبٌ فِي أَيِّ زَمَنِ ، وَالتَّطَوُّفُ : قِضَاءُ الْحَاجَةِ ، وَالرَّبِيعُ : النَّهْرُ الصَّغِيرُ ، وَقِضَاءُ الْحَاجَةِ فِيهِ مَكْرُوهٌ ؛ لِلنَّهْيِ عَنِ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ؛ أَيِ : الرَّكَدِ .

وَمَضَى الْحَرِيرِيُّ عَلَى هَذَا حَتَّى اسْتَتَمَّ مِئَةَ مَسْأَلَةٍ مِنْ أَبْوَابِ الْفِقْهِ ،

وحذا حذوه في ذلك [الحصكفي] المُقَدَّم ذكره^(١) ، فوضع مسائل ؛ منها :
(ما تقول في قاطع الطريق ؟ قال : لم يزغ عن التحقيق) ، الطريق : النخل
القصار .

قال : (ما تقول في قتل العاقل ؟ قال : حل وإن كان غير واقل) العاقل :
اليسر الوحشي ، والواقل : الصاعد في الجبل .

قال : (فما تقول في ركوب الخيل ؟ قال : هو بريد الويل) الخيل :
الظن .

قال : (فما تقول في ركوب الداية ؟ قال : حل كصيد الجداية) الداية : في
ظهر الدابة ، والجداية : الطيبة الفتية .

وقد ألفت بعض أهل اللغة في المُشْتَرَكِ مُؤَلَّفَاتٍ سَمَّوْهَا : « شجر
الدر »^(٢) ؛ وذلك أنهم سلكوا في التاليف كيفية بها يمكن وضع الكلام
على صورة شجرة ذات أصل وفروع ؛ وذلك أن المؤلف منهم اختار كلمة
مُشْتَرَكَةً ، فصَدَّرَ بها الكلام ، وَبَيَّنَّ أَحَدَ معانيها بلفظ مُشْتَرَكٍ ، وترك معناه
المُتَبَادِرَ ، وَبَيَّنَّ معنَى آخَرَ لَهُ بلفظ مُشْتَرَكٍ ، وعمل فيه ما عمل في سابقه ،
وهكذا حتى وقف عند حد ، ثم قال : (فرغ) وأتى بالكلمة التي صدَّرَ بها ،
وفسرها بمعنى آخر ، ومضى على تلك الصورة حتى استوفى معاني الكلمة
الأولى .

وهذا مثاله : (العَيْنُ : عين الوجه ، والوجه : القصد ، والقصد : الكسر ،
والكسر : جانب الخباء ، والخباء : مصدرُ خابأت الرجل ؛ إذا خبأت له
خبئاً ، وخبأ لك مثله ، والخبء : السحاب ؛ من قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْخَبَّءَ

(١) انظر (١٥١/١) .

(٢) هو أبو الطيب اللغوي ، كما في « المزهرة » (٤٥٤/١) .

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ ، وَالسَّحَابُ : اسْمُ عِمَامَةٍ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وَالنَّبِيُّ : التَّلُّ الْعَالِي ، وَالتَّلُّ : مصدر التَّلِيلِ ؛ وَهُوَ الْمَصْرُوعُ
عَلَى وَجْهِهِ ، وَالتَّلِيلُ : صَفْحُ الْعُنُقِ ، وَالْعُنُقُ : الرَّجْلُ مِنَ الْجَرَادِ (٢) .

ثُمَّ قَالَ : (فَرَعٌ (٣) : وَالْعَيْنُ : عَيْنُ الشَّمْسِ ، وَالشَّمْسُ : شِمَاسُ الْخَيْلِ ،
وَالْخَيْلُ : الْوَهُمُ ، وَالْوَهُمُ : الْجَمَلُ الْكَبِيرُ ، وَالْجَمَلُ : دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِّ الْبَحْرِ ،
وَالْبَحْرُ : الْمَاءُ الْمِلْحُ ، وَالْمِلْحُ : الْحُزْمَةُ ، وَالْحُزْمَةُ : مَا كَانَ لِلْإِنْسَانِ حَرَامًا
عَلَى غَيْرِهِ ، وَحَرَامٌ : حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ ، وَالْحَيُّ : ضِدُّ الْمَيِّتِ .

فَرَعٌ : وَالْعَيْنُ : النِّقْدُ ، وَالنِّقْدُ : ضَرْبُكَ أذَنَ الرَّجُلِ أَوْ أَنْفَهُ بِإِصْبَعِكَ ،
وَالْأُذُنُ : الرَّجُلُ الْقَابِلُ لِمَا يَسْمَعُ ، وَالْقَابِلُ : الَّذِي يَأْخُذُ الدَّلْوَ مِنَ الْمَاتِحِ ،
وَالدَّلْوُ : السِّيرُ الرَّفِيقُ ، وَالرَّفِيقُ : الصَّاحِبُ ، وَالصَّاحِبُ : سَيْفٌ ، وَالسَيْفُ :
مصدرٌ سَافَ مَالَهُ ؛ إِذَا أودى ، وَأودى الرَّجُلُ : إِذَا خَرَجَ مِنْ إِحْلِيلِهِ الْوَدْيُ ،
وَالْوَدْيُ : الْفَسِيلُ .

فَرَعٌ : وَالْعَيْنُ : مَوْضِعُ انْفِجَارِ الْمَاءِ ، وَالانْفِجَارُ : انشِقَاقُ عَمُودِ الصَّبْحِ ،
وَالصُّبْحُ : جَمْعُ أَصْبَحَ ؛ وَهُوَ لَوْنٌ مِنَ الْوَانِ الْأَسْوَدِ ، وَاللَّوْنُ : الضَّرْبُ ،
وَالضَّرْبُ : الرَّجُلُ الْمَهْزُولُ ، وَالْمَهْزُولُ : الْفَقِيرُ ، وَالْفَقِيرُ : الْمَكْسُورُ فَقِرَ
الظَّهْرَ ، وَالْفَقْرُ : الْبُودَارُ ، وَالْبُودَارُ : أَنْوْفُ الْجِبَالِ ، وَالْأَنْوْفُ : الْأَوَائِلُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ ، وَالوَاحِدُ أَنْفٌ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ، وَفِي النُّونِ الضَّمُّ وَالسُّكُونُ .

فَرَعٌ : وَالْعَيْنُ : عَيْنُ الْمِيزَانِ ، وَالْمِيزَانُ : بَرَجٌ فِي السَّمَاءِ ، وَالسَّمَاءُ :
أَعْلَى مَتَنِ الْفَرَسِ ، وَالْمَتْنُ : الصَّلْبُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْأَرْضُ : قَوَائِمُ الدَّابَّةِ ،

(١) سورة النمل : (٢٥) .

(٢) انظر «المزهر» (٤٥٤/١) .

(٣) أي : عودة للكلمة كما بيّن المؤلف ، على أن الفرع هنا بمعنى غصن الشجرة .

والقوائمُ : جمعُ قائمةٍ ؛ وهي الساريةُ ، والساريةُ : المُنزَةُ تنشأُ ليلاً ، واللَّيلُ :
فَرْخُ الكَرَوَانِ ، والفَرْخُ : ما اشتملتُ عليه قبائلُ الرأسِ مِنَ الدِّماغِ ، والقبائلُ
مِنَ العربِ : دونَ الأحياءِ .

فَرْعٌ : والعَيْنُ : مطرٌ لا يُقْلِعُ أياماً ، ومطرٌ : حيٌّ مِنْ أحياءِ العربِ ،
والأحياءُ : جمعُ حياءِ الناقةِ ، والحياءُ : الاستحياءُ ، والاستحياءُ : الاستبقاءُ ،
والاستبقاءُ : التماسُ النظرةِ ، والالتماسُ : الجماعُ ، والجماعُ : ضدُّ الفِرَاقِ ،
والفِرَاقُ : جمعُ فَرَقٍ ؛ وهو ظرفٌ يَسَعُ ستينَ رطلاً ، والفرقُ : جمعُ فارِقٍ ،
والفارِقُ مِنَ النوقِ والأتنِ : التي تذهبُ على وجهها عندَ الولادةِ ، فلا يُدرى
أينَ تُنتجُ .

فَرْعٌ : والعَيْنُ : رئيسُ القومِ ، والرئيسُ : المُصابُ في رأسِهِ بعضاً أو غيرها ،
والرأسُ : زعيمُ القبيلةِ ؛ أي : سيِّدُها ، والزعيمُ : الصَّبِيرُ ؛ أي : الكفيلُ ،
والصَّبِيرُ : السحابُ الأبيضُ المُتراكمُ أعناقاً في الهواءِ .

فَرْعٌ : والعَيْنُ : نفسُ الشيءِ ، والنفسُ : ملءُ الكفِّ مِنَ دباغٍ ، والكفُّ :
الذَّبُّ ، والذَّبُّ : الثورُ الوحشيُّ ، والثورُ : قُشورُ القصبِ تعلو على وجهِ الماءِ ،
والقصبُ : رهانُ الخيلِ .

فَرْعٌ : والعَيْنُ : الذهبُ ، والذهبُ : زوالُ العقلِ ، والعقلُ : الشدُّ ، والشدُّ :
الإحكامُ ... (١) .

وعلى هذا سياقُ تأليفِ المُشجَّرِ في المُشترَكِ .

وكلُّ لفظٍ تَعَدَّدَ معناهُ يجبُ عندَ استعمالِهِ أن يكونَ مقروناً بما يُعَيِّنُ
المرادَ منه ؛ حيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الكلامِ الإفادةَ والاستفادةَ ، ولمَّا كانَ

(١) انظر «المزهر» (١/٤٥٤ - ٤٥٩) .

الكلامُ عندَ أُمَّةِ العربِ كأنَّهُ صنعَتْهُمُ التي يأتقانها يتفاخرونَ ، وفي أحكامِها يتفاوتونَ ، حتى قيلَ : خطيبٌ مدْرَةٌ ، ومُصَقِّعٌ ، وشاعرٌ مُفْلِقٌ وبلِيعٌ . . كانَ المجازُ والمُشْتَرَكُ لِمَا فِيهِمَا مِنَ المحاسِنِ الكلاميَّةِ والمقاصدِ في المحاوراتِ لازمينِ للغةِ العربيَّةِ ، ومَنْ لم يَقِفْ مِنَ الأعاجمِ على مرادِ اللغةِ مِنْهُمَا وانتفاعِ أهلِها بهما . . عدَّهُما مِنْ عيوبِ اللغةِ ، واللهُ يهدي مَنْ شاءَ لِمَا شاءَ .



التقسيمُ الثالثُ

[في الأسماءِ المتباينةِ والمترادفةِ والمتكافئةِ]^(١)

العددُ مِنَ اللفظِ :

- إمَّا أن يُوضَعَ لمعانٍ متخالفةٍ مِنْ ذواتٍ ، أو صفاتٍ ، أو موصوفاتٍ ؛
كإنسانٍ وفرسٍ ، ونطقٍ وصهيلٍ ، وناطقٍ وصاهلٍ ، وهذا النوعُ يُسمَّى : الألفاظُ
المتباينةُ .

- وإمَّا أن يُوضَعَ لمعنىٍ واحدٍ دونَ اعتبارِ أحوالٍ زائدةٍ على الشيءِ الموضوعِ
لَهُ ؛ كالحنطةِ والبُرِّ والقمحِ ، وهذا النوعُ يُسمَّى : الألفاظُ المترادفةُ .

- وإمَّا أن يُوضَعَ لمعنىٍ واحدٍ باعتبارِ أحوالٍ زائدةٍ على الشيءِ الموضوعِ لَهُ ؛
كالصَّارمِ والعَضْبِ والباترِ للسيفِ ، وهذا النوعُ يُسمَّى : الألفاظُ المتكافئةُ ،
ومنه أسماءُ الله تعالى ؛ مِنْ العليمِ والقادرِ والمُقتدرِ وغيرها ، ويُقالُ لهذا
النوعِ : الأوصافُ التي غلبتْ عليها الاسمِيَّةُ ؛ لأنَّها عندَ استعمالِها لا يُقصدُ
بها إلاَّ إحضارُ المُسمَّى دونَ التوصيفِ .

وإدعى بعضُ أهلِ اللغةِ أنَّ المترادفَ مُتكافئٌ ، وتكَلَّفَ تبيينَ الاعتباراتِ
في بعضِ الألفاظِ ، والجمهورُ على ما فصلنا .

وفائدةُ المترادفِ : التوسيعُ على الشاعرِ والناثرِ ؛ فإذا لم يوافقِ اللفظُ
وزناً أو سلاسةً .. عدَلَ إلى مرادفهِ الموافقِ ، قالَ المقرئُ في « مزدوجتهِ » في
تعريفِ الحُبِّ^(٢) :

فَإِنْ تَشَأْ فَقُلْ عَذَابٌ يَعْذُبُ أَوْ ضَرْبَانُ فِي الْهَوَى أَوْ ضَرْبُ

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٨٠) .

(٢) انظر « مجموع مزدوجات مستغربات » (ص ٢) ، وأوله مزدوجة المقرئ .

فلفظُ (الضَّرْبِ) مرادفٌ للفظِ (العسلِ) ، فلمَّا لم يوافقْ لفظُ (العسلِ) ..
عدَلَ إلى مرادفِهِ ، ومضى في شعرِهِ .

ومعرفةُ ذلكَ في الشعرِ سهلةٌ ، وفي النثرِ تحتاجُ إلى دقَّةِ نظرٍ ، ولطفِ
حِسِّ ، وفضلِ ذوقٍ .

وقد تتعدَّدُ الأسماءُ للشيءِ المُسمَّى باسمٍ واحدٍ بسببِ تنوعِهِ لملاحظةِ
قيودٍ ؛ بحيثُ لا يكونُ الاسمُ مِنْ تلكَ الأسماءِ مُحضِراً لجميعِ أنواعِ ذلكَ
الشيءِ ؛ كالمتكافئِ والمترادفِ ، فلا تكونُ منهما ؛ وذلكَ كالكَأْسِ والكوبِ
والكوزِ والقَدحِ ؛ فإنَّ القَدحَ : اسمٌ لكلِّ ما تتناولُ بهِ الماءَ وتشربُ منه ،
والكَأْسُ : اسمٌ للقَدحِ الممتلئِ مِنَ الماءِ أو غيرِهِ ، والكوبُ : اسمٌ للقَدحِ الذي
لا عروءةَ لَهُ ، والكوزُ : اسمٌ للقَدحِ الذي لَهُ عروءةٌ .

وكالدَّلُوِّ والدَّنُوبِ والسَّجْلِ ؛ فالدَّلُوُّ : اسمٌ لِمَا يُشَدُّ في الرشا ليُستخرجَ
مِنَ البئرِ بهِ الماءِ ، والدَّنُوبُ : اسمٌ لَهُ بشرطُ أن يكونَ ممتلئاً .

ومِنَ ذلكَ : أسماءُ الصوتِ المختلفةِ بحسبِ اختلافِ الإضافةِ ؛ كصوتِ
الريحِ في الشجرِ يُسمَّى حفيفاً ، وفي الفلواتِ دويّاً ، وكلُّ صوتِ شيءٍ لَهُ اسمٌ
يخصُّهُ ؛ كزُغاءِ الجمَلِ ، وخوارِ البقرِ ، ونباحِ الكلابِ ، وعواءِ الذئابِ .

وهذا يُسمِّيهِ أهلُ اللغَةِ : المُطلقَ والمُقَيَّدَ ؛ فإذا أردتَ إفادةَ الخاصِّ ..
وجبَ أن تأتيَ باسمِهِ ، ولم يصحَّ أن تأتيَ بالاسمِ العامِّ إلا إذا تركتَ الإيجازَ
إلى الإطنابِ ؛ فتقولُ مثلاً : الحفيفُ ربَّما نشأَ مِنْ شدَّتِهِ الدَّوَارُ ، أو تقولُ :
صوتُ الريحِ في الأشجارِ ، وهذه الألفاظُ التي سمَّوها مُطلقاً ومُقَيَّداً داخلَةً
في قسمِ المتباينِ ؛ لكونِها مِنْ أسماءِ الأنواعِ المُشتركةِ في أمرٍ ، المُتميِّزةِ
بآخرِ .



التمييمُ

[في ذكرِ أربعةِ أنواعٍ من الأسماءِ العامّةِ]

أوردنا في هذا التمييمِ أربعةَ أنواعٍ مِنَ الأسماءِ العامّةِ ؛ أي : أسماءِ الأجناسِ ؛ وهي : أسماءُ الشرطِ ، وأسماءُ الاستفهامِ ، وأسماءُ الأزمانِ ، والضمائرُ ، وألمننا بكلامٍ عامٍّ على الأفعالِ .

أسماءُ الشرطِ

هي أسماءُ ذاتِ معانٍ مُستقلّةٍ ضُمِنَتْ معنىً كلمةً (إن) فأغنت عن النطقِ بها ؛ وهي : (مَنْ) لذوي العلمِ ، و (ما) و (مهما) و (أيُّ) لكلِّ شيءٍ ، و (متى) و (إذا) و (أيّانَ) للزمانِ ، و (حيثُما) و (أينَ) و (أنى) للمكانِ ، و (كيفُما) للحالِ .

فقولك : (مَنْ يعملُ خيراً .. لم يلقَ ضيراً) معناه : (كلُّ شخصٍ إن يعملُ خيراً ...) ، فلفظةُ (مَنْ) - وهي حرفان - أغنتك عن قولك : (كلُّ شخصٍ إن) ، وقولك : (متى تجدُّ .. تجدُّ) معناه : (إن تجدَّ في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ ...) وهكذا بيانُ البقيّةِ .

أسماءُ الاستفهامِ

هي أيضاً أسماءُ ذاتِ معانٍ مُستقلّةٍ ضُمِنَتْ معنىً همزةِ الاستفهامِ التصوّريّ ، فأغنت عن النطقِ بها .

وهي : (مَنْ) و (مَنْ ذا) لذوي العِلْمِ ، و (ما) و (ماذا) و (أيُّ) لكلِّ شيءٍ ، و (متى) للزمانِ ، و (أينَ) للمكانِ ، و (كيفَ) للحالِ ، و (أنى)

تكونُ بمعنى (مِنْ أَيْنَ) فهي للمكانِ ، وتكونُ بمعنى (كَيْفَ) فهي للحالِ ،
و (كم) للعددِ .

فإذا قلتَ : (مَنْ عِنْدَكَ ؟) .. فمعناه : أزيدُ عندَكَ ، أم عمرو ، أم بكرٌ ؟ ...
إلى غيرِ ذلكِ مِنْ كلِّ شخصٍ يجوزُ أن يكونَ عندَكَ ، فلفظةُ (مَنْ) أغنتكَ
عنِ الهمزةِ و (أم) وما يُعجزُكَ مِنْ سَرْدِ الأسماءِ .

وإذا قلتَ : (كَيْفَ زَيْدٌ ؟) .. فمعناه : أمستقيمٌ زيدٌ أم مُعوجٌ ؟ صحيحٌ
أم مريضٌ ؟ حاضرٌ أم غائبٌ ؟ ... إلى غيرِ ذلكِ مِنْ الأحوالِ الممكنةِ ، فلفظةُ
(كَيْفَ) أغنتُ عن هذا .

وإذا قلتَ : (كم بيتاً تحفظُ ؟) فمعناه : أعشرينَ بيتاً أم ثلاثينَ أم مئةً
أم ألفاً ؟ ... إلى غيرِ ذلكِ مِنَ العددِ ، فلفظةُ (كم) مغنيةٌ عن هذا التفصيلِ ،
وهكذا بيانُ البقيّةِ .

أسماءُ الزمانِ

نقلتُ هذا البابَ وتفسيرَهُ مِنْ « مُقَدِّمَةِ الأَدَبِ » للزمخشريِّ ، يذكرُ المفردَ
وما وردَ لَهُ مِنْ جمعٍ ، قال^(١) :

بابُ

- (م) وَقْتُ ، (ج) أَوْقَاتٌ .
- (م) حِينٌ ، (ج) أَحْيَانٌ .
- (م) أَجَلٌ : مُدَّةُ بقاءِ الشيءِ ، (ج) آجَالٌ .
- (م) أَوَانٌ - بفتحِ الهمزةِ ، وكسرُها لغةٌ - : وَقْتُ وجودِ الشيءِ ، (ج) أَوْنَةٌ .

(١) مقدمة الأدب (ص ٣) ، مع تصرُّفٍ في بيان بعض المفردات من « القاموس المحيط » وغيره .

- (م) إِبَانٌ : وقتٌ صلاحِ الشيءِ وإقبالِ نصرتهِ ، وزنهُ فِعْلَانٌ ؛ مِنْ أَبِ الشيءِ ؛ أَي : تَهَيَّأً ، (ج) أَبَايْنُ .

- (م) دَهْرٌ : اسمٌ للزمنِ مُعْتَبَرًا اتصَالُهُ ، بخلافِ الزمانِ ؛ فَإِنَّهُ يُعْتَبَرُ فِيهِ التفصيلُ إلى الساعاتِ والأيامِ والشهورِ والفصولِ . . . إلى غيرِ ذلك ، (ج) دُهورٌ أدْهَارٌ .

- (م) حُقْبٌ - بضمِّ فسكونٍ - : مُدَّةٌ طويلةٌ ؛ ثمانونَ سنةً أو أكثرَ ، ويضمُّ ثانيه ، (ج) حِقَابٌ وأحْقَابٌ .

- (م) حِقْبٌ بكسرِ فسكونٍ ، (ج) حِقَبٌ ؛ كَعِنَبٍ .

- (م) بُرْهَةٌ - بضمِّ فسكونٍ ، وتُفْتَحُ بأوْها - : قطعةٌ مِنَ الزمنِ ، والسَّبْتُ ، بفتحِ فسكونٍ ، والسُّبَاتُ بضمِّ سينه : الدَّهْرُ ، والسَّبْتُ والسَّبْتَةُ والسَّنْبَةُ والسَّنْبَةُ : البُرْهَةُ . « قاموس » .

- (م) مَثُونٌ : مِنْ أسماءِ الدَّهْرِ ؛ مأخوذٌ مِنْ (مَنَ) بمعنى : قطعَ ؛ لكونه قَطُوعًا غيرَ وُضُولٍ ، على صيغةِ المبالغةِ ، وَرَيْبُ المَثُونِ وَرَيْبُوهُ : حوادثُ الدَّهْرِ .

- (م) عَصْرٌ - بفتحِ فسكونٍ وبضمَّتَيْنِ - : مُدَّةُ الجليلِ ، (ج) أعصاؤُ وَعُصُورٌ .

- (م) أُمَّةٌ : طائفةٌ مِنَ الزمنِ ، ومنهُ قولُهُ تعالى : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (١) .

- (م) زَمْنٌ ، (ج) أَرْزَمُنٌ .

- (م) زَمَانٌ ، (ج) أَرْزَمَنَةٌ ، وَصَرْفُ الزَّمانِ وَصُرُوفُهُ : تَغْيِيرَاتُهُ وَتَنَقُّلاتُ أحوالِهِ .

(١) سورة يوسف : (٤٥) .

- (م) فِترَةٌ ، [(ج) فَتْرَاتٌ] ^(١) .
- (م) قَرْنٌ : مئةُ سنةٍ ، (ج) قُرُونٌ .
- (م) سَنَةٌ ، (ج) سِنُونَ وسِنَوَاتٌ وَسَنَهَاتٌ ، وتقولُ : سَانَيْتُ وسَانِهْتُ ،
وأَجَرْتُ الدارَ مَسَانَةً ومَسَانِهَةً .
- (م) حَوْلٌ ، (ج) أَحْوَالٌ .
- (م) حِجَّةٌ بكسرِ الحاءِ ، (ج) حِجَجٌ .
- (م) عَامٌ ، (ج) أَعْوَامٌ .
- والأَسْمَاءُ الأربعةُ ^(٢) لِمُدَّةِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا ، وتقولُ : أَحَجُّ العَامَ ، وحججتُ
عَامًا أَوَّلَ ، وَأَحَجُّ القَابِلَ .
- (م) فَصْلٌ : اسمٌ لربيعِ السَنَةِ ، (ج) فَصُولٌ : ربيعٌ ، صيفٌ ، خريفٌ ،
شِتَاءٌ شَتْوَةٌ [مَشْتَاةٌ] .
- (م) شَهْرٌ ، (ج) شَهُورٌ وأشهُرٌ ، والأشهُرُ المَعْلُومَاتُ : أَشهُرُ الحِجِّ .
- (م) غُرَّةٌ : أَوَّلُ الشَّهِرِ .
- (م) مَحَاقٌ مِثْلُ المِيمِ ، وَسَرَازٌ ، وَسَلْحٌ : الثَّلَاثَةُ آخِرُ الشَّهِرِ .
- أَسْمَاءُ الشَّهْرِ : المُحَرَّمُ ، وَصَفْرٌ ، وَشَهْرُ ربيعِ الأَوَّلِ ، وَشَهْرُ ربيعِ الآخِرِ ،
وَجُمَادَى الأُولَى ، وَجُمَادَى الآخِرَةَ ، وَرَجَبٌ ، وَشَعْبَانٌ ، وَشَهْرُ رَمَضَانَ ،
وَشَوَّالٌ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ أَشْهُرِ الحِجِّ ، وَذُو القَعْدَةِ بفتحِ القافِ وكسْرِها ، وَذُو الحِجَّةِ
كَذَلِكَ ؛ وَهُوَ آخِرُ أَشْهُرِ الحِجِّ .

(١) ما بين معقوفين زيادة من « مقدمة الأدب » (ص ٣) .

(٢) السنة ، والحول ، والحججة ، والعام .

أَسْمَاءُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ : الْجَدِيدَانِ ، وَالْمَلَوَانِ ، وَالْعَصْرَانِ ، وَالذَّائِبَانِ ، مُثْنَيَّ
لَا يُسْتَعْمَلُ لَهُ مَفْرَدٌ .

- (م) لَيْلَةٌ : اسْمُ جَنْسٍ جَمْعِيٍّ ، لَيْلٌ ، (ج) لَيَالٍ .

- (م) قِطْعَةٌ : اسْمُ الْجَنْسِ : قِطْعٌ .

- (م) زَلْفَةٌ : قِطْعَةٌ ، (ج) زُلْفٌ .

- (م) وَهْنٌ وَمَوْهِنٌ : ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ ، أَوْ رُبْعُهُ أَوْ نِصْفُهُ ، وَبَهْرَةٌ

اللَّيْلِ : وَسَطُهُ ، وَالسَّحَرُ وَالسُّحْرَةُ : آخِرُهُ ، (ج) أَسْحَارٌ ، وَالجُنْحُ : جِزْءٌ
مِنَ اللَّيْلِ .

وَتَقُولُ : زَرْتُ زَيْدًا اللَّيْلَةَ : لِلْحَاضِرَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى زَوَالِ

الشَّمْسِ ، وَتَقُولُ : الْبَارِحَةَ : لِلَّيْلَةِ الَّتِي مَضَى يَوْمُهَا ، وَالْبَارِحَةَ الْأُولَى : لِلَّتِي

قَبْلَهَا ، وَلَيْلَةٌ عَدِيدٌ : لِلَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ ، وَلَيْلَةُ السَّدَقِ - بَفَتْحِ الذَّالِ الْمَعْجَمَةِ -

وَلَيْلَةُ الْوُقُودِ : لِلَّيْلَةِ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الشِّتَاءِ ، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ ، وَلَيْلَةُ الْقَضَاءِ : لِلَّيْلَةِ

نِصْفِ شَعْبَانَ ، وَلَيْلَةُ الْبِرَاءَةِ - وَفِي « الْقَامُوسِ » : الْبِرَاءُ - : اسْمٌ لِأَخِيرِ لَيْلَةٍ مِنَ

الشَّهْرِ ، أَوْ لِأَخِيرِ يَوْمٍ مِنْهُ ، أَوْ لِأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ ، أَوْ لِأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْهُ .

- (م) يَوْمٌ ، (ج) أَيَّامٌ .

- (م) نَهَارٌ : مِنَ الْفَجْرِ الصَّادِقِ لِمَغْرِبِ الشَّمْسِ فِي لِسَانِ الشَّرْعِ ، وَمِنْ

طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا فِي لِسَانِ أَهْلِ الْهَيْئَةِ ، (ج) نُهُرٌ ، نَحْرُ النَّهَارِ

وَصَدْرُهُ وَوَجْهُهُ : لِأَوَّلِهِ .

تَقُولُ : صَاحِبْتُ فَلَانًا مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بِمِصْرَ يَوْمَ يَوْمٍ ، بِالْتَّرْكِيبِ وَالْفَتْحِ ؛

أَيُّ : جَمِيعَ الْأَيَّامِ عَلَى التَّعَاقُبِ ، وَتَقُولُ : أَنْتَظِرُ الْيَوْمَ قُدُومَ زَيْدٍ ؛ لِلْحَاضِرِ ،

وَتَقُولُ : جِئْتُكَ أَمْسٍ ؛ بِكَسْرِ آخِرِهِ ؛ لِلوَقْتِ الْمُعَيَّنِ الَّذِي قَبْلَ وَقْتِكَ بِلَا

فصلٍ ، وتقول لِمَا قَبْلَهُ : أَوَّلَ مِنْ أَوَّلِ مَنْ
أَمْسَ ، وتقول : أَلْقَاكَ غَدًا ؛ لِمَا يَلِي يَوْمَكَ ، وبعَدَ غَدٍ ؛ لِمَا يَلِيهِ .

تباشيرُ الصُّبْحِ : عمودُ الفجرِ ، الفَلَقُ : لوقتِ انفصالِ الليلِ مِنَ النَّهَارِ
وذهابِ الظُّلْمَةِ وِبُدْوِ النَّوْرِ ، الفجرُ والصُّبْحُ والصُّبْحُ والبُكْرَةُ : لوقتِ النَّوْرِ
قَبْلَ الشَّمْسِ ، والغَدَاةُ : لِمَا قَبْلَ الضُّحَاةِ ؛ وَهُوَ رُبْعُ النَّهَارِ الْأَوَّلِ ، والجمعُ :
غَدَوَاتٌ ، ومثلها الغُدُوَّةُ بضمِّ فسكونٍ ، والجمعُ : غُدَوَاتٌ - بضمَّتَيْنِ ، أو
بضمِّ فسكونٍ ، أو ففتحٍ - ولا يُقالُ : غدايا إِلَّا مَعَ عشايا ؛ للزَّدواجِ ، وتقولُ :
خَرَجَ زَيْدٌ الغَدَاةَ ؛ للحاضرةِ القائمةِ أو الذاهبةِ مِنْ يَوْمِكَ ، وغداةٌ أَمْسِ ،
وغداةٌ غَدٍ .

والضُّحَى - بضمِّ أَوَّلِهِ والقصرِ - والضُّحَاةُ : لربيعِ النَّهَارِ الثاني ، والظُّهْرُ
والظُّهْرَةُ ، والجمعُ ظُهائرٌ ، والقائِلَةُ : لربيعِ النَّهَارِ الثالثِ ، والعصرُ والأصيلُ ،
والجمعُ : أَصْلٌ ، وجمعهُ : آصَالٌ ، وجمعهُ : أَصَائِلٌ ، والمُسَيِّ والمَسَاءُ
والعشيَّةُ ، واسمُ الجنسِ : العِشْيُ ، والجمعُ : العِشْيَاتُ والعشايا : لِأخِرِ النَّهَارِ ،
والعِشَاءُ : مِنْ أواخرِ النَّهَارِ إِلَى منتهى الليلِ ، والعَتَمَةُ : لِأوَّلِ الليلِ ، وتقولُ :
تَعَهَّدْتُ الشَّيْءَ صَبَاحَ مَسَاءٍ ، بالتركيبِ والفتحِ ؛ أَي : كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ .

أسماءُ الأيامِ فِي لسانِ العربِ القديمِ : يَوْمُ السَّبْتِ : شِبَارٌ ؛ بكسرِ أَوَّلِهِ ،
ويَوْمُ الأَحَدِ : أَوَّلٌ ، ويَوْمُ الاثْنَيْنِ : أَهَوْنٌ ، ويَوْمُ الثَّلَاثاءِ : جُبَارٌ ؛ بضمِّ أَوَّلِهِ
وكسره ، ويَوْمُ الأَرْبَعاءِ : دُبَارٌ كذَلِكَ ، ويَوْمُ الخَميسِ : مُؤَنَسٌ ، ويَوْمُ الجُمُعَةِ :
العَرُوبَةُ ، وبغيرِ (أَل) فيكونُ عَلَمَ جنسٍ .

اسمُ مجموعِ الأيامِ : أُسْبُوعٌ ، (ج) أسابيعُ .

- (م) يَوْمُ عاشوراءَ وتاسوعاءَ : للتاسعِ والعاشِرِ مِنَ المُحَرَّمِ .

التَّورُوزُ : أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الخريفِ .

المِهْرَجَانُ : أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الرَّبِيعِ .

عِيدُ الْفِطْرِ ، عِيدُ الضَّحِيَّةِ ، (ج) أعيادٌ .

يَوْمُ التَّرْوِيَةِ : لِلثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، يَوْمُ عَرَفَةَ : لِلتَّاسِعِ مِنْهُ ، يَوْمُ النَّحْرِ :
لِلْعَاشِرِ ، أَيَّامُ التَّشْرِيقِ : لِلثَّلَاثَةِ بَعْدَهُ ؛ وَهِيَ الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ ، وَالْأَيَّامُ
الْمَعْلُومَاتُ : الْعَشْرُ قَبْلَهَا .

- (م) مُدَّةٌ ، (ج) مُدَدٌ ، (م) أَمَدٌ ، (ج) آمَادٌ ، (م) مَدَى ، (م) غَايَةٌ ،
(م) نِهَائِيَّةٌ ، (م) أَبَدٌ ، يُقَالُ : لَا أَفْعُلُ كَذَا أَبَدَ الدَّهْرِ ، وَمَدَى الدَّهْرِ ، وَجَدَى
الدَّهْرَ ؛ أَي : أَبَدًا .

- (م) سَاعَةٌ ، (ج) سَاعَاتٌ ، اسْمُ جِنْسٍ : سَاعٌ .

- (م) إِنِّي ، (ج) أَنَاءٌ ، وَأُنِّي .

- (م) : فَيْنَةٌ : قِطْعَةٌ مِنَ الزَّمَنِ ؛ تَقُولُ : كُنْتُ أَذْهَبُ لَزَيْدِ الْفَيْنَةِ بَعْدَ
الْفَيْنَةِ ، (ج) فَيْنَاتٌ .

- (م) فُوقًا بَضْمٌ أَوَّلُهُ : الزَّمَنُ بَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ ؛ تَقُولُ : انْتَظَرْنِي فُوقًا نَاقَةً ؛
أَي : زَمَنًا قَدَرَ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَتَقُولُ : السَّاعَةَ يَجِيءُ زَيْدٌ : لِلْحَاضِرَةِ ، وَتَقُولُ :
حَضَرَ الْآنَ : لِلوَقْتِ الْحَاضِرِ ، وَأَنفَاءً : لِلوَقْتِ الذَّاهِبِ .

وَمِنَ الْأَسْمَاءِ الزَّمَانِيَّةِ : (مَتَى) ، وَ(أَيَّانَ) ، وَ(إِذَ) ، وَ(إِذَا) الَّتِي سَبَقَ
لَهَا ذِكْرٌ فِي أَسْمَاءِ الشَّرْطِ وَالِاسْتِفْهَامِ ، وَ(مُدٌّ) وَ(مُنْدٌ) اللَّتَانِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا
فِي الْحُرُوفِ ، فَهُمَا مُشْتَرِكَتَانِ بَيْنَ الْأَسْمِيَّةِ وَالْحُرْفِيَّةِ .

وَالكَرَّةُ : الْغَدَاةُ وَالْعَشِيُّ ، وَتَقُولُ : أَلْقَاهُ كَرَّتِي النَّهَارِ ؛ أَي : طَرَفِيهِ .

- (م) تَارَةٌ وَطَوْرٌ : حِينٌ ، (ج) تَارَاتٌ وَأَطْوَارٌ .

وَتَقُولُ : لَقِيْتُهُ ذَاتَ مَرَّةٍ ؛ أَي : مُدَّةً صَاحِبَةً مَرَّةً ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ كُلُّ مَا

وَرَدَ مِنْ (ذَاتِ كَذَا) وَهِيَ : ذَاتُ سَنَةٍ ، وَذَاتُ شَهْرٍ ، وَذَاتُ لَيْلَةٍ ، وَذَاتُ يَوْمٍ ،
وَذَاتُ غَدَاةٍ ، وَذَاتُ عِشَاءٍ .

وَيُوتَى بِبَعْضِ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ مُضَافَةً إِلَى كَلِمَةٍ (إِذْ) مُضَافَةً إِلَى جُمْلَةٍ
مَذْكُورَةٍ أَوْ مَحذُوفَةٍ ؛ اعْتِمَادًا عَلَى عِلْمِهَا مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ ، وَيُعَوِّضُ عَنْهَا عِنْدَ
حَذْفِهَا نَوْنٌ يُلْفِظُ بِهَا وَلَا تُكْتَبُ تُسَمَّى : التَّنْوِينُ ؛ نَحْوُ : حَيْثُنِي ، وَعَامِنِي ،
وَعِدَاتِنِي ، وَعَشِيَّتِنِي ، وَسَاعَتِنِي ، وَيَوْمَتِنِي ، وَلَيْلَتِنِي ؛ تَقُولُ : حِينَ إِذْ أَطَاعَ اللَّهُ
زَيْدٌ . . أَكْرَمَهُ النَّاسُ ، وَتَقُولُ : أَطَاعَ اللَّهُ زَيْدٌ وَأَكْرَمَهُ النَّاسُ حَيْثُنِي ؛ أَي : حِينَ
إِذْ أَطَاعَ اللَّهُ .

أَسْمَاءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : السَّاعَةُ ، يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، يَوْمُ الْبَعْثِ ، يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمُ
النُّشُورِ ، يَوْمُ الْخُرُوجِ ، يَوْمُ الْحَشْرِ ، يَوْمُ الْجَمْعِ ، يَوْمُ الْحِسَابِ ، يَوْمُ الْعَرْضِ ،
يَوْمُ الْهَيْبَةِ ، يَوْمُ الْحَسْرَةِ ، يَوْمُ النَّدَامَةِ ، الْحَاقَّةُ ، الْقَارِعَةُ ، الْوَاقِعَةُ ، الطَّامَّةُ ،
الصَّاخَّةُ ، الْغَاشِيَةُ ، الْأَرْفَةُ ، وَأَكْثَرُهَا وَارِدٌ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ
- جَمْعُ شَرِطٍ بِفَتْحَاتٍ - : الْعَلَامَاتُ عَلَى قَرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

أَسْمَاءُ مُدَّةِ النَّشْأَةِ الْأُولَى : الدُّنْيَا ، وَالْأُولَى ، وَالْعَاجِلَةُ .

أَسْمَاءُ مُدَّةِ النَّشْأَةِ الْآخِرَةِ : الْآخِرَةُ ، الْآجِلَةُ ، الْآخِرَى .

أَسْمَاءُ الْمُدَّةِ بَيْنَ النَّشْأَتَيْنِ : الرَّقْدَةُ ، الْهَمْدَةُ ، الْبَرْزُخُ . انْتَهَى مَا نَقَلْنَاهُ مِنْ
«مُقَدِّمَةِ الْأَدَبِ» بِبَعْضِ تَصَرُّفٍ وَزِيَادَةٍ^(١) .

الضَّمَائِرُ^(٢)

(أَنَا) ، وَ(إِيَّايَ) ، وَتَاءٌ مضمومةٌ ؛ مِثْلُ : كَتَبْتُ ، وَيَاءٌ سَاكِنَةٌ تُفْتَحُ

(١) مقدمة الأدب (ص ٣ - ٥) .

(٢) انظر «حاشية الصبان على الأشموني» (١٠٧/١) .

أحياناً ؛ نحو : كتابي ، اذكرني .. لكلِّ مُتَكَلِّمٍ يريدُ الحكايةَ عن نفسه وحده .

و (نحنُ) ، و (إيانا) ، و (نا) نحو : عرفنا .. لكلِّ مُتَكَلِّمٍ يريدُ الحكايةَ عن نفسه وغيره .

و (أنتِ) ، و (إياكِ) ، و تاءٌ مفتوحةٌ ؛ مثلُ : فهمتِ ، و كافٌ مفتوحةٌ ؛ مثلُ : علّمكِ .. لكلِّ مُخاطَبٍ مُذَكَّرٍ .

و (أنتِ) بكسرِ التاءِ ، و (إياكِ) بكسرِ الكافِ ، و تاءٌ مكسورةٌ ؛ مثلُ : قرأتِ ، و كافٌ مكسورةٌ ؛ مثلُ : أخبركِ .. لكلِّ مُخاطَبَةٍ مُؤنَّثَةٍ (١) .

و (أنتما) ، و (إياكما) ، و تاءٌ مضمومةٌ بعدها ميمٌ فألفٌ ؛ مثلُ : حفظتما ، و كافٌ مضمومةٌ فميمٌ فألفٌ ؛ مثلُ : هداكما ربُّكما .. لكلِّ مُخاطَبَيْنِ مُذَكَّرَيْنِ أو مُؤنَّثَيْنِ أو مُختلِطَيْنِ .

و (أنتم) ، و (إياكم) ، و تاءٌ مضمومةٌ فميمٌ ، و كافٌ مضمومةٌ فميمٌ .. لكلِّ جماعةٍ ذكورٍ مُخاطَبَيْنِ ، وإن تكن الجماعةُ مُختلِطةً .. غلبتِ الذُّكورُ على الإناثِ .

و (أننن) ، و (إياكنن) ، و تاءٌ مضمومةٌ بعدها نونٌ مُشدَّدةٌ ، و كافٌ مضمومةٌ بعدها نونٌ مفتوحةٌ مُشدَّدةٌ .. لكلِّ جماعةٍ إناثٍ مُخاطَبَاتٍ .

و (هو) ، و (إيَّاه) ، و المُستترُّ المَلحوظُ بعدَ : عَرَفَ ؛ نحو : زيدٌ عَرَفَ .. لكلِّ مُذَكَّرٍ غائبٍ .

و (هي) ، و (إيَّاهَا) ، و المُستترُّ المَلحوظُ بعدَ : عَرَفَتْ ، مِنْ نحو : هندٌ عَرَفَتْ .. لكلِّ مُؤنَّثَةٍ غائِبَةٍ .

(١) وياء ساكنة ؛ مثل : تضريرين .

و(هُمَا) ، و(إِيَّاهُمَا) ، والألفُ مِنْ نحوِ : عَرَفَا وَعَرَفَتَا .. لكلِّ غائبينِ مُذَكَّرينِ أو مُؤنَّثينِ أو مُختلِطينِ ، لا فرقَ إِلَّا مَعَ الألفِ ؛ فالتاءُ قبلها حرفٌ يَدُلُّ على أَنَّ المَحكيَّ عنه مُؤنَّثٌ ، وكانت ساكنةً ففتحت لأجل الألفِ ، وتُسمَّى هذهِ التاءُ : تاءُ التانيثِ الساكنةِ .

و(هُم) ، و(إِيَّاهُمْ) ، والواوُ في نحوِ : عَرَفُوا .. لكلِّ جماعةٍ ذكورٍ غائبينِ .

و(هُنَّ) ، و(إِيَّاهُنَّ) ، والنونُ في نحوِ : عَرَفْنَ .. لكلِّ جماعةٍ إناثٍ غائباتٍ .

والألفُ والواوُ والنونُ تكونُ في الخطابِ أيضاً ؛ مثلُ : اكتبَا ، واحفظوا ، وافهمنَ ، وما عدا هذهِ الأسماءَ يُسمَّى : الأسماءَ الظاهرةَ .

وما كانَ مِنَ الضَّمائرِ ظاهرَ الاستقلالِ في النُّطقِ .. يُسمَّى : مُنفصِلاً ، وما كأنَّهُ حرفٌ مِنَ الكلمةِ السابقةِ عليه .. يُسمَّى : مُتَّصِلاً .

وللضَّمائرِ مواضعٌ مِنَ الكلامِ يَخْتصُّ كُلُّ صنفٍ منها بموضعٍ ، وبيانُ ذلكَ في قسمِ النحوِ .



الكلام العام على الأفعال

[تقسيم الفعل إلى لازم ومتعدٍ]^(١)

الفعل : إن كان يكفي في حصول معناه شيء واحد مُحصِّل له ؛ وهو الفاعل .. يُسمَّى الفعل : قاصراً ، ولازماً ، والفعل ذا النسبة الواحدة .

وإن كان يفتقر في حصول معناه لأكثر من شيء .. يُسمَّى : مُتجاوزاً ، ومُتعدياً والفعل ذا النسبتين .

فتارة يكون مُفتقراً لشيئين : فاعله ، وشيء آخر يقع به تأثيره ؛ وهو المفعول به ، وحينئذ يُسمَّى : المُتعدِّي لواحد .

[أقسام الفعل المتعدِّي]

وتارة يكون يفتقر إلى ثلاثة أشياء : فاعل ، ومفعولين ، وهذا النوع ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : أفعال تدل على أن فاعلها جعل شيئاً يفعلُ فعلاً في شيء آخر ، فيكون المفعولُ فاعلاً مفعولاً أول ، والشيء الآخر مفعولاً ثانياً ، فالمفعول الأول في هذا الصنف : هو ما له فاعلية في المعنى ، والمفعول الثاني : ما لا فاعلية له في المعنى ، بل له المفعولية الخالصة ، وهذا الصنف من الأفعال يُسمَّى : باب أعطى ؛ كأعطى ، ومنع ، ومنح ، وكسا ، ووهب ، وألبس ، وأطعم ، وأسقى ، وسقى .

وبيان ذلك : أن قولك : أعطى زيدٌ عمراً درهماً ؛ معناه : أن زيداً جعل

(١) انظر « همع الهوامع » (٧/٣) .

عمرًا عاطياً ؛ أي : مُتَنَاوِلًا دَرَهْمًا ؛ تَقْوُلُ : عَطَا عَمْرُو دَرَهْمًا يَعْطُوهُ ، وَأَعْطَيْتُهُ
 إِيَّاهُ ؛ فَأَنْتَ [مُنَاوِلٌ] ، وَعَمْرُو مُتَنَاوِلٌ لِنَفْسِهِ ، مُنَاوِلٌ مِنْكَ ، وَالِدِرْهَمٌ بَيْنَكُمَا
 مَفْعُولٌ خَالِصٌ .

الصِّنْفُ الثَّانِي : أَفْعَالٌ تَتَعَلَّقُ بِنِسْبَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ حَقِيقَةً ، وَبِطَرْفِي التَّسْبِئَةِ
 ظَاهِرًا ، وَتُسَمَّى : الْأَفْعَالُ الْإِدْرَاكِيَّةُ ، وَأَفْعَالُ الْقُلُوبِ ، بَعْضُهَا لِلْيَقِينِ ،
 وَبَعْضُهَا لِلظَّنِّ وَالْحِسْبَانِ ؛ فَمَا لِلْيَقِينِ فَقَطُّ أَرْبَعَةٌ أَفْعَالٍ ، هِيَ : وَجَدَ ، وَالْفَى ،
 وَدَرَى ، وَتَعَلَّمَ ؛ بِمَعْنَى : اعْلَمَ ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ وَرَدَتْ فِي اللُّغَةِ وَلَيْسَ لَهَا فِعْلٌ
 مَاضٍ وَلَا مُضَارِعٌ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ﴾ (١) .
 وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴾ (٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ (٣) :

دُرَيْتُ الْوَفِيِّ الْعَهْدِ يَا عَزْوًا فَاعْتَبِطُ فَإِنَّ اغْتَبَاطًا بِالْوَفَاءِ حَمِيدٌ
 وَقَالَ آخَرُ (٤) :

تَعَلَّمَ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهَرَ عَدُوَّهَا وَيَبَالِغُ بِلُطْفٍ فِي التَّحْيِيلِ وَالْمَكْرِ
 وَمَا لِلظَّنِّ فَقَطُّ خَمْسَةٌ أَفْعَالٍ ؛ وَهِيَ : جَعَلَ ، وَحَجَا ، وَعَدَّ ، وَهَبَ - وَلَا تَكُونُ
 إِلَّا طَلْبًا (٥) ، فَهِيَ أَخْتُ (تَعَلَّمَ) السَّابِقَةِ ، وَلَا ثَالِثٌ لُهُمَا فِي اللُّغَةِ - وَزَعَمَ .

(١) سُورَةُ الْمَزْمَلِ : (٢٠) .

(٢) سُورَةُ الصَّافَاتِ : (٦٩) .

(٣) انظُرْ « أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ » (٣٢/٢) .

(٤) هُوَ لَزِيَادُ بِنِ سِيَارٍ ، كَمَا فِي « خَزَانَةِ الْأَدَبِ » (١٢٩/٩) .

(٥) يَعْنِي : هَبَ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴾ (١) .

وقال الشاعر (٢) :
[من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ حَتَّى أَلَمْتُ بِنَا يَوْمًا مُلِمَّاتٍ

وقال آخر (٣) :
[من الطويل]

فَلَا تَعُدُّ الْمَوْلَى شَرِيكَكَ فِي الْغِنَى وَلَكِنَّمَا الْمَوْلَى شَرِيكَكَ فِي الْعُدْمِ

وقال آخر (٤) :
[من المتقارب]

فَقُلْتُ أَجْزَنِي أَبَا خَالِدٍ وَإِلَّا فَهَبْنِي أَمْرًا هَالِكَا

وقال آخر (٥) :
[من الخفيف]

زَعَمْتَنِي شَيْخًا وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَبِيبًا

وما للأمرين - والغالب استعماله في اليقين - فعلان : رأى ،
وعلم .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَرَأَوْهُ قَرِيبًا ﴾ (٦) .

وقال : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٧) .

وقال : ﴿ فَإِنْ عَامَتْهُمُ مُؤْمِنَاتٌ ﴾ (٨) .

(١) سورة الزخرف : (١٩) .

(٢) هو لأبي شبيل ، كما في « معجم الأدباء » (٣٨٦/٢) .

(٣) هو سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، كما في « عيون الأخبار » (٩٧/٣) .

(٤) انظر « مغني اللبيب » (٧٧٥/٢) .

(٥) انظر « مغني اللبيب » (٧٧٥/٢) .

(٦) سورة المعارج : (٦ - ٧) .

(٧) سورة محمد : (١٩) .

(٨) سورة الممتحنة : (١٠) .

وما للأمرين - والغالب استعماله في المرجمات - ثلاثة أفعال : ظنّ ،
وحسب ، وخال .

قال الشاعر^(١) :

ظننتك إن شبت لظي الحزب صالياً فعردت فيمن كان عنها معرداً
وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يظنون أنهم ملقوا ربهم ﴾^(٢) .

وقال الشاعر^(٣) :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة عشيّة لأقينا جذام [وحميراً]^(٤)
وقال آخر^(٥) :

حسبت الثقي والجود خير تجارة رباحاً إذا ما المرء أصبح ناقلاً
وقال آخر^(٦) :

إخالك إن لم تغضض الطرف ذا هوى يسومك ما لا يستطاع من الوجد
وقال آخر^(٧) :

ما خلثني زلت بعدكم ضمناً أشكو إليكم حموّة الألم

الصنف الثالث : أفعال تدل على تحويل شيء ونقله من حالة إلى غيرها ،

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (٢١/٢) .

(٢) سورة البقرة : (٤٦) .

(٣) انظر « أوضح المسالك » (٤٠/٢) .

(٤) في الأصل : (وحمير) .

(٥) انظر « أوضح المسالك » (٤١/٢) .

(٦) انظر « أوضح المسالك » (٤٢/٢) .

(٧) انظر « أوضح المسالك » (٤٣/٢) .

وَتُسَمَّى : أفعال التصيير ؛ وهي : جعل ، ورد ، وترك ، واتخذ ، وتخذ ،
وصير ، وهب .

قال تعالى : ﴿ فَعَلَّمْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كُقَارًا ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِزْرَهِيمَ حَلِيلًا ﴾ (٤) .

وقال الشاعر (٥) :

تَخَذْتُ [غُرَارًا] إِزْرَهُمْ دَلِيلًا وَفَرُّوا فِي الْحِجَازِ لِيُعْجِزُونِي

وقال الراجز (٦) :

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَّاكُولٍ

وسُمِعَ مِنَ الْعَرَبِ : (وَهَبَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ) ولم يستعملوا منه غير الماضي .

ولمفعولي أفعال الإدراك مباحث تأتي في قسم النحو .

وتتعلق أحرف الإضافة بجميع الأفعال ؛ لازمها ومتعدّيها ، ويُقال لها :

(١) سورة الفرقان : (٢٣) .

(٢) سورة البقرة : (١٠٩) .

(٣) سورة الكهف : (٩٩) .

(٤) سورة النساء : (١٢٥) .

(٥) انظر « أوضح المسالك » (٤٧/٢) .

(٦) هو عجز بيت لرؤبة بن العجاج في « ديوانه » (ص ١٨١) ، والبيت بتمامه :

وَلَعَبَبْتُ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيلٌ فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَّاكُولٍ

انظر « أوضح المسالك » (٤٨/٢) .

مفاعيلٌ غيرُ صريحةٍ ، ويُقالُ للأفعالِ اللَّازمةِ : مُتَعَدِّيةٌ بِالْوِاسِطَةِ ؛ لِأَنَّ أَحْرَفَ
الإضافةِ تربطُها بما بعدها ؛ فإذا قلتَ : (خرجتُ مِنَ الدارِ إِلَى الطريقِ)
فكلمتا (مِنْ) و (إِلَى) ربطتا (خرجَ) بـ (الدارِ) و (الطريقِ) .

وَأَمَّا مفاعيلُ الأفعالِ المُتَعَدِّيةِ بِنَفْسِهَا .. فَإِنَّهَا تُسَمَّى : المفاعيلَ الصَّرِيحَةَ .

تقسيمُ آخِرُ لِلْفِعْلِ [إِلَى تَامٍ وَناقصٍ] ^(١)

الفعلُ : منه ما يكونُ معناه مقصوداً بالإفادَةِ ؛ بحيثُ يَتِمُّ بِهِ وبشيءٍ واحدٍ
معهُ وهو فاعلُهُ .. كلامٌ ، ويُسَمَّى : فعلاً تاماً ؛ كقامَ زيدٌ ، وأعطى خالدٌ ، وَمَنْ
يَسْمَعُ .. يَخْلُ .

وإمَّا أَلَّا يكونَ معناه مقصوداً بالإفادَةِ ؛ بحيثُ لا يكونُ لَهُ فاعلٌ يَتِمُّ بِهِمَا
كلامٌ ، بل يكونُ المقصودُ بِهِ الذهابُ إِلَى حكايةِ نسبةِ أمرٍ لِأمرٍ مُفاداً بِذَلِكَ
الفعلِ وقتَ تلكَ النسبةِ وحالِها ، وهذا النوعُ مِنَ الفعلِ يُسَمَّى : ناقصاً ،
وَألفاظُهُ :

(كانَ) لِمُطَلَقِ التوقيتِ ، و (أَصْبَحَ) لِلتوقيتِ بِالصُّبْحِ ، و (أَضْحَى)
لِلتوقيتِ بِالصُّحَى ، و (أَمْسَى) لِلتوقيتِ بِالْمَسَاءِ ، و (ظَلَّ) لِلتوقيتِ
بِالنَّهَارِ ، و (باتَ) لِلتوقيتِ بِاللَّيْلِ ، و (صارَ) لِلتوقيتِ وَالدلالةِ عَلَى التحويلِ
مِنْ صفةٍ إِلَى صفةٍ ، ومثلُها (حارَ) و (آصَ) فِي الأفاظِ أُخَرَ ، و (لَيْسَ)
لِلنفيِ ، و (زالَ) و (بَرِحَ) و (فَتَى) و (انفكَّ) و [رامَ] لِلاستمرارِ ^(٢) ، و لا
تُسْتَعْمَلُ هذه إِلا مَنفِيَةً أَوْ مَنهِيّاً عنها ؛ ك : ما زالَ ، ولن يزالَ ، وما رامَ ،
ولا يريمُ .

(١) انظر « همع الهوامع » (٤٠٨/١) .

(٢) فِي الأصلِ : (و « دام » لِلاستمرارِ) ، وسيذكر بعد قليل : (وما رامَ) .

ولفظ (ما دام) لبيان مُدَّةِ حكم يُذكرُ قبلها ، ولا تُستعملُ هذا الاستعمالُ
إلا مع (ما) المصدريَّةِ الظرفيَّةِ .

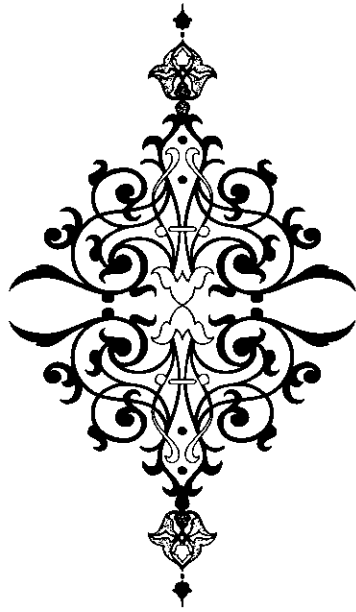
و (عسى) و (حَرَى) و (اخلوِّق) للدلالةِ على أنَّ أمراً قاربَ أن يُحصَلَ
أمراً بحسَبِ الرجاءِ ، وتُسمَّى الأفعالُ الثلاثةُ : أفعالَ الرجاءِ .

و (كادَ) و (أوشكَ) و (كَرَبَ) للدلالةِ على أنَّ أمراً قاربَ أن يَحْصَلَ
منهُ أمرٌ بحسَبِ الواقعِ ونفسِ الأمرِ ، فهي للإخبارِ بذلكَ ، وتُسمَّى : أفعالَ
المقاربةِ .

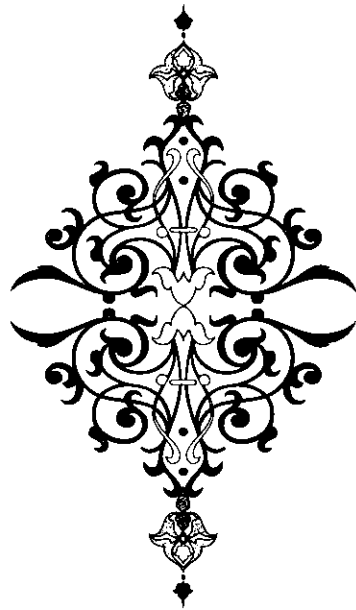
و (جعلَ) و (أخذَ) و (طَفِقَ) و (أنشأَ) و (أقبلَ) للدلالةِ على أنَّ أمراً
شرعَ في أن يُحصَلَ أمراً ، وتَهيأُ لذلكَ وتصدئُ .

وكما تُسمَّى هذه الأفعالُ : أفعالاً ناقصةً . . تُسمَّى : الأفعالَ النسبيَّةَ ؛
لكونها - كما سبقتَ الإشارةُ إليه - لشرحِ حالِ نسبةِ تُذكرُ بطرفيها بعدها ،
ولها اسمٌ ثالثٌ يأتي هوَ وأحكامُ تراكيبيها في قسمِ النحوِ إن شاء اللهُ
تعالى .





القسم الثاني
قسم الصرف



[تعريفُ الصرفِ ومحاوُرُ البَحْثِ]

عَرَفْتَ أَنَّ الصَّرْفَ : عِلْمٌ يُبَيِّنُ صَيَغَ الْأَلْفَاظِ ، وَكَوْنَهَا أَصُولاً وَزَوَائِدَ ،
وَمَتَبَادَلَةَ الْحُرُوفِ ، وَكَيْفِيَةَ النُّطْقِ بِهَا^(١) .

وَلنَجْعَلِ الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي :

- مُقَدِّمَةٌ .

- وَمَقَالَتَيْنِ .

- وَخَاتِمَةٌ .



(١) تقدم (٥٦/١) .

المُقَدِّمَةُ

[في التمهيدِ لعلمِ الصرفِ]

اعلم : أنَّ الناسَ الذينَ نَصَبُوا أَنفُسَهُمْ لضبطِ صورِ مفرداتِ اللغَةِ .. وجدوا أنَّ العربَ تَقْصِدُ إلى الحروفِ ، فترَكِبُ منها الكلمةَ لأجلِ أن تَضَعَهَا لشيءٍ تكونُ دالَّةً عليه مفيدةً له ، فإذا أرادوا جعلَها مفيدةً لمعنى آخَرَ يكونُ المعنى الأولُ جزءاً له .. غَيَّرُوا صورةَ الكلمةِ ؛ إمَّا بتبديلِ في الحركاتِ ، وإمَّا بزيادةٍ أو نقصِ في الحروفِ ، ومن هنا جاءَ الاشتقاقُ .

فيكونُ اللفظُ بصورتِهِ الأولى أصلاً ، وبالصورةِ الأخرى فرعاً ، وحينئذٍ يُسَمَّى الأصلُ : مصدرًا ، وتُسَمَّى الفروعُ : مُشتَقَّاتٍ .

[الاشتقاقُ ، والميزانُ الصرفيُّ]

فالاشتقاقُ : تبديلُ صورةِ كلمةٍ ذاتِ معنىٍ بصورةٍ أخرى لتكونَ ذاتِ معنىٍ آخَرَ .

وللمصدرِ أنواعٌ يأتي بيانُها وبيانُ فروعِها في الموضعِ المناسبِ لذلكِ .
ثمَّ نظروا في الألفاظِ ؛ فوجدوا أكثرَ الكلماتِ الموضوعَةِ للمعاني الأصليةِ لا تزيدُ على ثلاثةِ أحرفٍ ، فذهبوا إلى جعلِ أصولِ الكلماتِ ثلاثةَ أحرفٍ يُعَبَّرُ عن أولِها بـ (الفاءِ) ، وعن ثانيها بـ (العينِ) ، وعن ثالثِها بـ (اللامِ) .

ووضعوا لوزنِ أصولِ الكلمةِ لفظَ (فعل) مُصَوِّراً عندَ النطقِ بصورةِ الموزونِ .

[أنواع الزيادة في الكلمات]

ثمّ الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرفٍ ثلاثة أنواع :

نوعٌ تكونُ زيادتهُ أصليةً ؛ بأن تكونَ الكلمةُ مِنْ أَوَّلِ وضعِها على الأحرفِ الزائدةِ على ثلاثة ، وتُسمَّى الكلماتُ التي هذا شأنُها بالكلماتِ المُجرّدةِ .
فإن كانتِ الكلمةُ فعلاً .. لم تزدْ عن أربعةٍ ، وإن كانتِ اسماً .. لم تزدْ على خمسةٍ .

فالأفعالُ المُجرّدةُ : ثلاثياتٌ ؛ كنصرَ وذهبَ ، ورباعياتٌ ؛ كدَحْرَجَ وعزبَدَ .

والأسماءُ المُجرّدةُ : أحاديةٌ ؛ ك (تاء) أكرمْتُكَ و (كافٍه) ، وثنائيةٌ ؛ ك (مَنْ) و (كَمْ) ، و ثلاثياتٌ ؛ كفهمٍ وحفظٍ وزيدٍ وعمرو ، ورباعياتٌ ؛ كبرئِنٍ ، وجعفرٍ ، وزبرجٍ ، وخماسياتٌ ؛ كسَفْرَجَلٍ ، وجَحْمَرِشٍ .

فإذا أردتَ أن تَزِنَ ما زادَ على الثلاثةِ مِنْ هذا النوعِ .. كزَرَّتِ اللَّامُ ؛ فجئتُ بلامينِ أو ثلاثةٍ ، فتقولُ : (دَحْرَجَ) على وزنِ (فَعَلَّلَ) ، وتقولُ : (سَفْرَجَلٌ) على وزنِ [(فَعَلَّلِ)] ، و (جَحْمَرِشٌ) على وزنِ (فَعَلَّلِ) .

ونوعٌ تكونُ زيادتهُ بتكريرِ عينِ الكلمةِ أو لامِها ؛ ويُسمَّى : مُضعِّفاً ، فإذا أردتَ أن تَزِنَ كلمةً مِنْ هذا النوعِ .. كزَرَّتِ العينُ في مُضعِّفِ العينِ ، وكزَرَّتِ اللَّامُ في مُضعِّفِ اللَّامِ ، فتقولُ : (عَظَّمَ) وزنهُ (فَعَّلَ) بتشديدِ العينِ ، فتكونُ ناطقاً بعينينِ ، ومُجرّدهُ (عَظَّمَ) بتخفيفِ الظاءِ ، وتقولُ : (جَلَبَبَ) وزنهُ (فَعَلَّلَ) .

ونوع تكون زيادته حرفاً أو أكثر من حروف (سألتمونيها) وهي عشرة
أحرف تُسمى : أحرف الزيادة .

ولا يتجاوز الفعل بالزيادة ستة أحرف ، ولا يتجاوز الاسم بالزيادة سبعة
أحرف ، وكلُّ زائدٍ أقلُّ ممَّا قبله في عددِ الكلماتِ .

فإذا أردت أن تزن الكلمة من هذا النوع . . نطقت بألفاظ الحروف
الزائدة ؛ فتقولُ : (ضارب) وزنه (فاعل) ، و (استخراج) وزنه (استفعل) ،
و (اقتدر) وزنه (افتعل) وهلكذا ، وتعيين مواضع الزيادات يأتي في مواضعه
من الكلام على الأفعال والأسماء .



المقالة الأولى في الكلام على الفعل

للفعل تقاسيم



التقسيم الأول [من حيث الزمن]

قد عرفت أن الفعل كلمة موضوعة لمنسوب ملحوظ أولاً ، ونسبة ملحوظة ثانياً ، ومنسوب إليه معين ملحوظ ثالثاً .

فإن كان مُخْبِراً به عن حدوث أمرٍ في الزمن الماضي . . فهو الفعل الماضي .
وإن كان مُخْبِراً به عن حدوث أمرٍ في الحال ؛ أي : الزمن الحاضر الذي فيه المكالمة . . فهو الفعل المضارع الحالي .

وإن كان مُخْبِراً به عن حدوث أمرٍ في الزمن الآتي بعد زمن التكلم . . فهو الفعل المضارع الاستقبالي .

وإن كان مطلوباً به تحصيل أمرٍ في الزمن المُستقبل . . فهو فعل الأمر .
فالفعل أربعة أصناف ، وصيغة المضارعين واحدة مُشتركة بينهما ، وتعين المراد منها كسائر المُشتركات . . بالقرينة ؛ أي : الدليل على المراد ؛ مثل : كتب زيدٌ ، وقرأ ، وحفظ ، وعمرو يكتبُ وسيقرأ ، وسوف يحفظ ، واكتب يا بكرُ ، واقراء ، واحفظ .



التقسيم الثاني

[مِنْ حَيْثُ الصَّحَّةُ وَالاعْتِلَالُ] (١)

الفعلُ : إِنْ كَانَتْ أَصُولُهُ غَيْرَ الْأَلْفِ وَالْوَاوِ وَالْيَاءِ .. يُسَمَّى : صَحِيحاً ؛
كَعَلِمَ ، وَشَرَفَ .

وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَصُولِهِ مِنَ الْأَحْرَفِ الثَّلَاثَةِ .. يُسَمَّى : مُعْتَلِلاً .

فَإِنْ كَانَتْ فَاؤُهُ مِنْهَا .. يُسَمَّى : مِثَالاً ؛ كَوَعَدَ ، وَيَسَرَ .

وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُهُ .. يُسَمَّى : أَجْوَفَ ؛ كَعَوَرَ ، وَغَيْدَ ، وَقَالَ .

وَإِنْ كَانَتْ لَامُهُ .. يُسَمَّى : نَاقِصاً ؛ كَرَضِيَ ، وَخَشِيَ ، وَتَلَا ، وَرَمَى .

وَإِنْ كَانَ مِنْهَا اثْنَانِ .. يُسَمَّى : لَفِيضاً مَفْرُوقاً إِنْ لَمْ يَجْتَمِعَا ؛ كَوَقَى ،

وَوَفَى ، وَلَفِيضاً مَقْرُوناً إِنْ اجْتَمَعَا ؛ كَيَاوَمَ ، وَغَوَى ، وَرَوَى .

وَالْأَحْرَفُ الثَّلَاثَةُ تُسَمَّى : أَحْرَفَ الْعِلَّةِ ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ كَثِيراً مَا يَتَغَيَّرُ عَنِ

صُورَةِ نَوْعِهِ بِسَبَبِهَا ؛ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْرَفُ سَاكِنَةً .. سُمِّيَتْ : أَحْرَفَ

اللَّيْنِ ، فَإِنْ كَانَتْ سَاكِنَةً ، وَقَبْلَ الْوَاوِ ضَمَّةً ، وَقَبْلَ الْيَاءِ كَسْرَةً (٢) .. سُمِّيَتْ :

أَحْرَفَ مَدِّ .

فَالْأَلْفُ حَرْفٌ مَدِّي وَلَيْنٌ دَائِمٌ ؛ لِدَوَامِ سَكُونِهَا وَفَتْحِ مَا قَبْلَهَا ؛ لِامْتِنَاعِ غَيْرِ

ذَلِكَ فِيهَا .

وَأَمَّا الْوَاوُ وَالْيَاءُ .. فَلَهُمَا ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ يَسْتَحِقُّانِ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا اسْمًا

وَاحِدًا ، وَفِي أُخْرَى اسْمَيْنِ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ ثَلَاثَةَ أَسْمَاءٍ تَسْتَحِقُّهَا الْأَلْفُ مُطْلَقًا .

(١) انظر « همع الهوامع » (٣٠٨/٣) .

(٢) أي : وقبل الألف فتحة .

وإن كَانَ بَعْضُ الْأَصُولِ هَمْزَةً . . يُسَمَّى الْفِعْلُ : مَهْمُوزًا ؛ كَأَخَذَ ، وَسَأَلَ ،
وَقَرَأَ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلَانِ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ كِبَاءَيْنِ أَوْ لَامَيْنِ . . يُسَمَّى الْفِعْلُ :
مُضْعَفًا ، كَسَبَّ ، وَمَلَّ ، وَشَدَّ .

وَلِكُونِ الْفِعْلِ يَتَغَيَّرُ عَنْ صُورَةٍ نَوْعِهِ بِسَبَبِ الْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ . . قَالَ أَهْلُ
الْفَنِّ : يُسَمَّى الْفِعْلُ سَالِمًا إِذَا خَلَا مِنَ الْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ وَحُرُوفِ الْعِلَّةِ ؛
فَكُلُّ سَالِمٍ صَحِيحٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ صَحِيحٍ سَالِمًا .
ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ لِتِلْكَ الْأَسْبَابِ لَا تَخُصُّ الْفِعْلَ ، بَلْ تَكُونُ فِي الْأَسْمِ .



التقسيمُ الثالثُ

الفعلُ باعتبارِ مادَّتِهِ وعددِ حروفِهِ أربعةُ أصنافٍ

ثلاثيُّ ، ورباعيُّ ، وخُماسيُّ ، وسُداسيُّ ؛ كنصرَ ، ودحرجَ ، وانطلقَ ،
واستخرجَ .

وباعتبارِ صورتهِ التي هي هيئتهُ الحاصلةُ له من الحركاتِ أو الحركاتِ
والسكّاناتِ على التراتيبِ الخاصّةِ . . سبعةُ وثلاثونَ باباً :

ستةُ أبوابٍ للثلاثيِّ ، وعشرةٌ للرُّباعيِّ ، وثلاثةُ عشرَ للخُماسيِّ ، وثمانيةُ
للسُداسيِّ .

لكنَّ أبوابَ الثلاثيِّ باعتبارِ حالِ الماضي ومضارعِهِ ؛ لاختلافِ صورةِ
المضارعِ معَ اتفاقِ صورةِ الماضي ، بخلافِ جميعِ الأبوابِ ؛ فإنَّها باعتبارِ
حالِ الماضي فقط ؛ لأنَّ كلَّ فعلٍ منها يكونُ مضارعُهُ على صورةِ واحدةٍ .



الكلامُ على أبوابِ الثلاثيِّ (١)

هي مُرتبةٌ بحَسَبِ الكثرةِ والقِلَّةِ ؛ فكلُّ سابقٍ منها أكثرُ أفراداً مِنْ لاحقِهِ .
ولا يَخْرُجُ الماضي عن ثلاثِ صورٍ : (فَعَلَ) بفتحِ العينِ ؛ كَنَصَرَ ،
وَضَرَبَ ، وفتحَ ، و(فَعِلَ) بكسرِ العينِ ؛ كَفَرِحَ ، وَحَسِبَ ، و(فَعَلَ) بضمِّ
العينِ ؛ كَشَرَفَ .

وكلُّ منها بعضُ أفرادِهِ مُتَعَدِّ والبعضُ لازمٌ ، إلَّا (بابَ شَرَفَ) فإنَّ جميعَ
أفرادِهِ لازمةٌ ، فهي باعتبارِ التعدِّي واللُّزومِ أحدَ عشرَ صنفاً .

البابُ الأوَّلُ

(فَعَلَ) بفتحِ العينِ (يَفْعَلُ) بضمِّها ، وَيُسَمَّى : (بابَ نَصَرَ) كَنَصَرَ
يَنْصُرُ ، وَأَخَذَ يَأْخُذُ ، وَقَالَ يَقُولُ ، ودعا يدعو ، وَشَدَّ يَشُدُّ ، وَقَعَدَ يَقْعُدُ ؛
فهذه الأفعالُ وأمثالها بفتحِ العينِ في الماضي ، وضمِّها في المضارعِ .
والأمرُ مِنْ كَلِّ فَعَلٍ : على صورةِ مضارعِهِ بحذفِ حرفِ المضارعةِ .

فإذا كانَ أوَّلُهُ ساكناً وأردتَ الابتداءَ بِهِ . . جئتُ بهمزةٍ مضمومةٍ في مضمومِ
العينِ ، ومكسورةٍ في غيرهِ ؛ تُسَمَّى : همزةُ الوصلِ ؛ لكونِكَ تَصِلُ بها إلى
التمكُّنِ مِنَ النطقِ بالساكِنِ .

ولهمزةِ الوصلِ مواضعُ يأتي بيانها ، لكنَّ إذا كانتَ فاءُ الفعلِ مِنْ هَذَا
البابِ همزةً ؛ كأخَذَ ، وأمرَ ، وأكلَ . . أُبدِلتْ في المضارعِ أَلِفاً إذا سبقتُها
همزةُ المُتَكَلِّمِ ؛ لقاعدةٍ : أَنَّهُ متى اجتمعَ همزتانِ في أوَّلِ الكلمةِ وسَكَنتَ

(١) انظر « معجم الهوامع » (٣٠٨/٣) ، و« شذا العرف » (ص ٤١) .

ثانيتها . . أُبْدِلَتْ مِنْ جِنْسِ حَرَكَةِ الْأُولَى ، فَتُبَدَّلُ أَلِفًا لِلْفَتْحَةِ ، وَوَاوًا لِلضَّمَّةِ ، وَيَاءً لِلكَسْرِ ، وَحُذِفَتْ هَمْزَةُ الْفِعْلِ مِنَ الْأَمْرِ ، فَيَبْقَى عَيْنُهُ وَلَا مُمْهُ ؛ تَقُولُ : أَخَذُ وَأَمْرُ وَأَكُلُ ، وَخَذُ وَمُزُّ وَكُلُّ ، وَحِينَئِذٍ يَسْتَعْنِي الْأَمْرُ عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ .

وَإِذَا كَانَتْ عَيْنُ الْفِعْلِ وَاوًا ؛ كَقَوْلِ رَزَمٍ . . أُبْدِلَتْ أَلِفًا فِي الْمَاضِي ، وَنُقِلَتْ ضَمَّتُهَا إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا ، وَبَقِيََتْ سَاكِنَةً سَكُونًا مُرْسَلًا فِي الْمَضَارِعِ ، فَإِذَا سَكَنَ آخِرُهُ . . حُذِفَتْ كَمَا تُحَذَفُ مِنَ الْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَتَحَرَّكَ آخِرُهُ ، فَيَكُونُ النَّطْقُ هَكَذَا : قَالَ ، يَقُولُ ، لَمْ يَقُلْ ، قُلْ ، قَوْلًا^(١) ، وَرَامَ ، يَرُومُ ، لَمْ يَرُمْ ، رُمَ ، رُومُوا .

وَإِذَا كَانَتْ لَامُ الْفِعْلِ وَاوًا ؛ كَدَعَوَ ، وَعَلَوَ . . أُبْدِلَتْ أَلِفًا فِي الْمَاضِي . وَلَهَا فِي الْمَضَارِعِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ : السَّكُونُ الْمُرْسَلُ ، وَالْفَتْحُ ، وَالْحَذْفُ ، وَبَيَانُ سَبَبِ ذَلِكَ مِنْ وَظِيفَةِ النَّحْوِ .

وَلَهَا فِي الْأَمْرِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ : حَذْفُهَا عِنْدَ خُطَابِ الْوَاحِدِ ، وَعِنْدَ خُطَابِ جَمَاعَةِ الذُّكُورِ ، وَعِنْدَ خُطَابِ الْوَاحِدَةِ ، وَفِي هَذَا تُبَدَّلُ الضَّمَّةُ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا كَسْرَةً ، وَبَقَاؤُهَا مَفْتُوحَةً عِنْدَ خُطَابِ الْإِنثَيْنِ ، وَبَقَاؤُهَا سَاكِنَةً عِنْدَ خُطَابِ جَمَاعَةِ الْإِنثِ ، فَيَكُونُ النَّطْقُ هَكَذَا : عَلَا ، يعلو ، لَنْ يعلو - بفتح الواو - لَمْ يعلُ ، أعلُ ، أعلُوا ، أعلِي ، أعلُوا ، أعلُونَ .

وَإِذَا كَانَتْ عَيْنُ الْفِعْلِ وَلَا مُمْهُ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ؛ كَدَالَيْنِ أَوْ جِيمَيْنِ كَرَدَدٍ . . سَكَنَتِ الْعَيْنُ ، وَأُدْغِمَتْ فِي اللَّامِ فِي الْمَاضِي ، وَنُقِلَتْ ضَمَّتُهَا إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا ، فَتَسْكُنُ وَتُدْغَمُ فِي الْمَضَارِعِ وَالْأَمْرِ ، وَلِذَلِكَ يُحَرِّكُ آخِرُ الْأَمْرِ فِي مَوْضِعِ سَكُونِهِ .

(١) لعل القياس أن يقول : (قولوا) ، كما سيأتي في (رُوموا) ، والله تعالى أعلم .

الباب الثاني

(فَعَلَ) بفتح العين (يَفْعَلُ) بكسرها ، ويُسمَّى : (بابَ ضَرْبِ) كضَرَبَ ،
وباعَ ، ورمى ، ووَعَدَ ، ووَفَى ، ووَجَدَ .

فإذا كانت عينُ الفعلِ ياءً ؛ كَبَيْعَ . . قَلِبْتَ أَلْفًا في الماضي ، ونُقِلْتَ
كسرتها إلى الساكنِ قبلها ، وبَقِيَتْ ساكنةً سكوناً مُرْسَلاً في المضارعِ ،
وحذفتُ إن سكنَ آخِرُهُ ، كما تُحذفُ مِنَ الأمرِ إن لم يتحرَّكْ آخِرُهُ ؛ كباعَ ،
بِيعُ ، لم يَبِعْ ، بَع ، بَعَنَ ، بَاعَا ، بَاعُوا ، بِيَعِي .

وإذا كانتْ لَامُ الفعلِ ياءً ؛ كَرَمِي . . قَلِبْتَ أَلْفًا في الماضي .

ولها في المضارعِ ثلاثةُ أحوالٍ : سكونها ، وفتحها ، وحذفها .

ولها في الأمرِ ثلاثةُ أحوالٍ : حذفها في خطابِ الواحدِ والواحدةِ وجماعةِ
الذكورِ ، وتبديلُ الكسرةِ التي كانتْ قبلها في هذا ضمةً ، وبقاؤها مفتوحةً
في خطابِ الاثنيْنِ ، وبقاؤها ساكنةً في خطابِ جماعةِ الإناثِ ، فيكونُ النطقُ
هكذا : رمى ، يرمي ، لن يرمي بفتحِ الياءِ ، لم يرمِ ، ارمِ يا زيدُ ، ارمي يا هندُ ،
ارموا يا رجالُ ، ارميا ، ارمين .

وإذا كانتْ فَاؤُهُ واوًا . . حُذِفَتْ مِنَ المضارعِ والأمرِ ، فيبقى الفعلُ على
حرفينِ هما عينُهُ ولائمهُ ؛ كَوَعَدَ ، يَعِدُ ، عِدْ ، ووَزَنَ ، يَزِنُ ، زِنْ .

وإذا كانتْ فاءُ الفعلِ واوًا ، ولائمهُ ياءً ؛ كَوَفَى ووَفَى . . عُوِمِلَ معاملةً ما
فاؤُهُ واوٌ ، وما لائمهُ ياءٌ ، فيكونُ نطقُهُ هكذا : وَفَى ، يَقِي ، لن يَقِي ، لم يَقِ ،
قِ ، قِي ، قُوا ، قِيَا ، قِيَنَ .

وعندَ حذفِ لامِهِ يبقى على حرفٍ واحدٍ هو عينُهُ ، وإذا أردتَ حينئذٍ أن
تَقَفَ عليه . . أتيتَ بهاءِ السكتِ ؛ فتقولُ : قَهْ ، وعَهْ ، وفَهْ .

وإذا كانت عينه ولائمه من جنس واحد . . عملت فيه عملك في (رد)
سوى أن هنا كسرة ، وهناك ضمة .

الباب الثالث

(فَعَلَ ، يَفْعَلُ) بفتح العينِ فيهما ، ويُسمَّى : (باب فتح) كَفَتَحَ يَفْتَحُ ،
وَذَهَبَ يَذْهَبُ ، ولم يَرِدْ هذا البابُ إلَّا وعينه أو لائمه من الحروفِ الحلقيةِ ؛
وهي : الهمزة ، والهَاءُ ، والعيْنُ ، والحاءُ ، والغينُ ، والحاءُ ؛ كسألَ يسألُ ،
ولجأَ يلجأُ ، ودهمَ يدهمُ ، وشدَّ : أبى يَأْبَى ، وكانَ حقُّه : يَأْبَى ؛ كيرمي .

ومتى كانت لامُ الفعلِ ياءً ؛ كسَعَى ورَعَى . . أبدلتُ ألفاً في الأفعالِ
الثلاثة ، وتُحذفُ من المضارعِ والأمرِ في بعضِ التراكيبِ - على قياسِ أختيها
الياءِ والواوِ من نحوِ : (يرمي) و(يدعو) - غيرَ أن فتحها تُحفظُ ولا تُبدلُ
كسرةً لأجلِ الياءِ أو ضمةً لأجلِ الواوِ ، فيكونُ النطقُ هكذا : سَعَى ، يَسْعَى ،
لن يسعى ، لم يَسْعَ ، اسع ، اسعَى بفتحِ العينِ ، اسعوا بفتحِها أيضاً ، اسعياً
اسعِينَ بالياءِ فيهما على الأصلِ ، والمُضَعَّفُ منه كالمُضَعَّفِ من غيره ،
والتخالفُ بالحركة .

الباب الرابع

(فَعَلَ) بكسرِ العينِ (يَفْعَلُ) بفتحِها ، ويُسمَّى : (باب فرح) كَفَرِحَ
يَفْرِحُ ، وفهمَ يفهمُ ، وخافَ يخافُ ، وعورَ يعورُ .

ومن هذا البابِ : الأفعالُ الدالةُ على الفرحِ وتوابعه ، والحزنِ وتوابعه ،
والامتلاءِ ، والخُلُوِّ ، والألوانِ ، والعيوبِ ، والخلقِ الظاهرة التي تُذكرُ لتحليةِ
الإنسانِ في الغزلِ ؛ كَفَرِحَ ، وطربَ ، وبَطِرَ ، وأشيرَ ، وكغضبَ ، وحزنَ ،
وكشبعَ ، وزويَ ، وسكرَ ، وعطشَ ، وظمى ، وصدي ، وهيمَ ، وكحمرَ ،

وَسَوِّدَ ، وَكَعَوِرَ ، وَعَمِشَ ، وَعَشِيَ ، وَجَهَرَ ، وَكَغَيْدَ ، وَهَيْفَ ، وَلَمِيَ .

وَإِذَا كَانَتْ عَيْنُ الْفَعْلِ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَأَوْأَ أَوْ يَاءٌ ؛ فَإِنْ كَانَ مَصْدَرُهُ عَلَى (فَعَلٍ) بَفَتْحَتَيْنِ ؛ كَعَوِرَ عَوْرًا ، وَغَيْدَ غَيْدًا . . سَلِمْتُ وَلَمْ تُغَيِّرْ ، وَإِنْ كَانَ مَصْدَرُهُ عَلَى (فَعَلٍ) بَفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ كَخَافَ يَخَافُ خَوْفًا . . أَبَدَلْتُ أَلِفًا فِي الْمَاضِي ، وَكَذَا فِي الْمَضَارِعِ ، بَعْدَ نَقْلِ فَتْحِهَا إِلَى مَا قَبْلَهَا ، وَإِذَا سَكَنَ آخِرُهُ . . حُذِفَتْ كَمَا تُحَذَفُ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ لَمْ يَتَحَرَّكَ آخِرُهُ ؛ كَخَافَ ، يَخَافُ ، لَمْ يَخَفْ ، خَفَ ، خَفَنَ ، خَافِي ، خَافَا ، خَافُوا .

وَإِذَا كَانَتْ لَامُهُ وَأَوْأَ . . أَبَدَلْتُ يَاءً فِي الْمَاضِي ، وَأَلِفًا فِي الْمَضَارِعِ وَالْأَمْرِ ، وَعُومَلْتُ مَعَامِلَةَ أَلِفِ (يَسْعَى) كَرَضِي وَعَشِي ، أَصْلُهُمَا : رَضَوْا وَعَشَوْا ؛ بِدَلِيلِ الرِّضْوَانِ ، وَعِشْوَاءَ ، وَمِثْلُ الْيَاءِ الْمُبْدَلَةِ . . الْيَاءُ الْأَصْلِيَّةُ فِي إِبْدَالِهَا أَلِفًا فِي الْمَضَارِعِ وَالْأَمْرِ ؛ كَلِمِي يَلْمَى ، وَالْمُضَعَّفُ مِنْ هَذَا الْبَابِ كغیره .

البابُ الخامسُ

(فَعَلٌ ، يَفْعُلُ) بِضَمِّ الْعَيْنِ فِيهِمَا ، وَيُسَمَّى : (بَابَ كَرَمٍ) نَحْوُ : كَرُمَ يَكْرُمُ ، وَشَرَفَ يَشْرَفُ .

وَجَمِيعُ أَفْعَالِ هَذَا الْبَابِ دَالَّةٌ عَلَى غَرَائِزٍ مَطْبُوعَةٍ فِي الْفِطْرِ ، وَلِئِكَ أَنْ تُحَوَّلَ كُلُّ ثَلَاثِيٍّ إِلَى هَذَا الْبَابِ ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ قَدْ صَارَ كَالغَرِيزَةِ فِي صَاحِبِهِ ، وَرَبَّمَا تَعَجَّبُوا بِأَفْعَالِ هَذَا الْبَابِ ، فَلَا تَكُونُ لِلإِخْبَارِ عَنْ حَدُوثِهَا كَمَا هُوَ وَضْعُ الْأَفْعَالِ ، وَلِهَذَا شَرِّحُ فِي النَّحْوِ .

البابُ السادسُ

(فَعَلٌ ، يَفْعُلُ) بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِيهِمَا ، وَيُسَمَّى : (بَابَ حَسِبَ) كَحَسِبَ يَحْسِبُ ، وَوَثِقَ يَثِيقُ .

وهذا الباب أقلُّ الأبوابِ أفعالاً ، ولذلك أُخِّرَ ولم يكنْ مع (بابِ فَرَح)
كما تقتضي المناسبةُ لكسرِ عينِ الماضي فيهما .

ولم يُوجدْ في اللغةِ العربيةِ - فهوْ مُهْمَلٌ - (فَعَلَ) بكسرِ العينِ (يَفْعُلُ)
بضمِّها ، ولا (فَعَلَ) بضمِّ العينِ (يَفْعِلُ) أو (يَفْعَلُ) بكسرِها أو فتحها ،
ولو وُجِدَتْ . . لكانتْ أبوابُ الثُّلاثيِّ تسعةً .



الكلام على أبواب الرباعي (١)

هي خمسة أقسام : قسم المُجَرَّد ، وقسم مُلحقات المُجَرَّد بالزيادة ، وقسم المهموز ، وقسم مُضَعَّفِ العَيْنِ ، وقسم المفاعلة ؛ كدَخِرَج ، وبَعَثَر ، وعَزِيد ، ودَرْبِج ، وكحَوَقَل ، وبَيْطَرَ ، وجَهْوَرَ ، وعَثِير ، وجَلْبَب ، وسَلَقَى ، وكأكرم ، وكعَظَم ، وكفَاخَرَ .

وَمِنَ الْمُجَرَّدِ : أفعالٌ نَحَتَتْهَا العَرَبُ مِنْ مُرَكَّبَاتٍ ؛ ك (بَسَمَلَ) مِنْ : بِاسْمِ اللَّهِ ، و (حَمَدَلَ) مِنْ : الحَمْدُ لِلَّهِ ، و (حَوَقَلَ) مِنْ : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ [إِلَّا بِاللَّهِ] ، و (طَلَبَقَ) مِنْ : أَطَالَ اللَّهُ بقاءَهُ ، و (دَمَعَرَ) مِنْ : دَامَ عِزُّهُ ، و (جَعْفَلَ) مِنْ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، وَيُقْتَصَرُ مِنْ هَذَا عَلَى ما سَمِعَ ، فليسَ لَنَا أَنْ نَنحِتَ كما نَحَتُوا .

والزيادةُ في المُلحقاتِ للدلالةِ على قُوَّةِ الفِعْلِ أو كَثَرَتِهِ ، وأما صيغةُ المهموزِ ، وصيغةُ مُضَعَّفِ العَيْنِ ، وصيغةُ المفاعلةِ .. فهي لمعانٍ يكثرُ في الكلامِ دورُها ، فلا بدَّ مِنْ تَفصِيلِها ، والتنبيةِ على مواضعِها .



صيغةُ المهموزِ : يكثرُ استعمالُها في سِتَّةِ معانٍ :

- أحدها : تصييرُ شيءٍ فاعلاً فِعْلاً ؛ كأقمتُ زيدا ، وأقعدتُهُ ، وأقرأتُهُ القرآنَ ؛ أي : صيرتُهُ فاعلاً للقيامِ والعودِ والقراءةِ .

فمتى كانَ أصلُ الفِعْلِ لازماً .. صارَ بالهمزةِ مُتَعَدِّياً لواحدٍ ، ومتى كانَ مُتَعَدِّياً لواحدٍ .. صارَ مُتَعَدِّياً لاثنتينِ ؛ وذلكَ أَنَّ صيغةَ المهموزِ مُشْتَمِلَةٌ على

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٥١) .

معنيين هما فعلاّن : التصيّر ، ومعنى أصل الفعل ، فإذا قلت : (أعطى زيدٌ عمراً درهماً) . . فمعناه : صَيَّرَ زيدٌ عمراً عاطياً درهماً ؛ فالتصييرُ : فعلٌ زيدٌ ، وعمرو مفعولُهُ^(١) ، والعطوُ - أي : التناولُ والأخذُ - فعلٌ عمرو ، والدرهمُ مفعولُهُ .

ولم يَرِدْ في اللغةِ إدخالُ همزةٍ على فعلٍ مُتَعَدٍّ لِاثْنَيْنِ ليصيرَ مُتَعَدِّياً لِثَلَاثَةٍ إِلَّا (رأى) و(علم) وهما مِنْ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي سبقَ معرفتُكَ أنّها مُتَعَدِّيةٌ لِاثْنَيْنِ بعدَ الفاعلِ ، فإذا أدخلتَ الهمزةَ . . صارَ ما كانَ فاعلاً مفعولاً ؛ فتقولُ : أريتُ زيداُ بكرةً نافعاً ، أو أعلمتُهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : البركةُ أعلَمَنَا اللهُ مَعَ الأَكْبَرِ .

وَتَمَّ خَمْسَةُ أَفعالٍ مُتَضَمِّنَةٌ معنى الإِعْلَامِ ، فَهِيَ مُتَعَدِّيةٌ إِلَى ثَلَاثَةٍ ؛ وَهِيَ : أَخْبَرَ ، وَخَبَّرَ ، وَنَبَأَ ، وَأَنْبَأَ ، وَحَدَّثَ .

- وَثَانِيهَا : سَلَبُ شَيْءٍ وَإِزَالَتُهُ عَنْ شَيْءٍ ؛ كَأَعْتَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَأَشْكَاهُ ، وَأَقْدَى عَيْنَهُ ؛ أَي : أزالَ عَتَبَهُ عَلَيْهِ بِتَرْضِيهِ وَالاعْتِذارِ لَهُ ، وَأزالَ شكايتَهُ مِنْهُ ، وَسَلَبَ الْقَدَى عَنْ عَيْنِهِ ؛ وَالْقَدَى : ما يسقطُ في العينِ فيؤذيها .

- وَثَالِثُهَا : مَصَادِفَةُ الشَيْءِ عَلَى صِفَةٍ ؛ كَأَكْرَمْتُ زَيْدًا وَأَحْمَدْتُهُ حِينَ قَصَدْتُهُ ، وَأَبْخَلْتُ عَمْرًا وَأَذْمَمْتُهُ ؛ أَي : وَجَدْتُ زَيْدًا كَرِيمًا مَحْمُودًا ، وَمَصَادَفْتُ عَمْرًا بِخِيالٍ مَذْمُومًا .

- وَرَابِعُهَا : صَيْرُورَةُ شَيْءٍ ذَا شَيْءٍ بِكَوْنِهِ مالِكًا لَهُ ؛ كَأَلْبَنَ ، وَأَتَمَرَ ، وَأَفْلَسَ ، وَأَنْقَدَ ، وَأَعْرَضَ ؛ أَي : صارَ مالِكًا لِلْبَنِ ، وَالتَّمْرِ ، وَالْفَلُوسِ ، وَالنَّقْدِ ، وَالعَرَضِ ، أَوْ حاصِلًا فِيهِ ؛ كَأَمْسَى ، وَأَصْبَحَ ، وَأَشَامَ ، وَأَعْرَقَ .

(١) في الأصل : (وعمرو ومفعوله) .

- وخامسها : حينونة الشيء للشيء ؛ أي : مجيء حينه وأوانه ؛ كأحصد الزرع ، وأجدد النخل ، وأقطف الكرم ، وأجنى الورد ، وأزوجت عقيلة فلان ؛ أي : جاء حين ذلك .

- وسادسها : تعريض الشيء لشيء ؛ كأرهننت المتاع فما وجدت مرتيناً ، وأبعثت الجارية فلم أر مشترياً ؛ أي : عرضتها لذلك .

وربما جاء المهموز كأصله ، وهو نادر ؛ كالحق وألحق ، وحرّم وأحرّم ، وشغل وأشغل ، وحبّ وأحبّ ؛ فتارة يكون المتروك المستردّ هو الثلاثي كحبّ ، فالفصيح : أحبّ ، وتارة يكون المهموز كأشغل ، فالفصيح : شغل .

يُحكى : أن كاتباً للصاحب إسماعيل بن عبّاد رفع له ذات يوم كتاباً فيه : (وأشغلني هذا الأمر) فوقّع الصاحب تحته : (لا يصلح لعملينا من يقول : أشغلني) وأبعده عن الخدمة .

وربما كان الفعل الثلاثي مُتعدّياً ، فتدخل عليه الهمزة ، فيصير لازماً على خلاف المعتاد ؛ من ذلك : نسلت ريش الطائر ، وأنسل ريش الطائر ، وعرضت الشيء ؛ أي : أظهرته ، وأعرض الشيء ؛ أي : ظهره ، وكببت زيدا على وجهه ، وأكبّ زيداً ، وقشعت الريح السحاب ، وأفشع السحاب .

قال الشاعر^(١) :

كَمَا أَبْرَقْتُ قَوْماً عِطَاشاً سَحَابَةً فَلَمَّا رَأَوْهَا أَفْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ

صيغة المُضَعَّفِ : تشارك المهموز في معنيين :

- أحدهما : تصيير الشيء فاعلاً ؛ كقومتُ زيدا ، وقعدتُه ، وقرأته شعراً .

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٥١/٢) .

- وثانيهما : السُّلْبُ والإِزَالَةُ ؛ كَقَشَّرْتُ الشَّيْءَ ، وَجَرَّبْتُهُ ؛ أَي : أزلتُ عنه قِشْرَهُ وَجَرَّبْتُهُ .

وَتَنفَرِدُ بَسْتَةً مَعَانٍ :

- أَحَدُهَا : صَيْرُورَةُ الشَّيْءِ شِبْهَ شَيْءٍ ؛ كَقَوْسَ زَيْدٍ ، وَحَجَرَ عَمْرٍو ؛ أَي : صَارَ شِبْهَ الْقَوْسِ فِي الْإِنْحِنَاءِ ، وَشِبْهَ الْحَجَرِ فِي الْجُمُودِ .

- وَثَانِيهَا : نِسْبَةُ شَيْءٍ لَشَيْءٍ بِاعْتِقَادٍ أَوْ دُونِهِ ؛ كَوَحَّدْتُ اللَّهَ وَقَدَّسْتُهُ ، وَخَطَأَ زَيْدٌ عَمْرًا وَفَسَّقَهُ ، أَوْ صَوَّبَهُ وَحَسَّنَ رَأْيَهُ .

- وَثَالِثُهَا : الْحُضُورُ إِلَى شَيْءٍ ؛ كَجَمَعَ ، وَسَوَّقَ ، وَوَسَّمَ ؛ أَي : حَضَرَ الْجُمُعَةَ ، وَالسُّوقَ ، وَالْمَوْسِمَ .

- وَرَابِعُهَا : النُّطْقُ بِالْفَاظِ تَأْخِذٌ مِنْهَا الصَّيْغَةَ : كَلَبَّبِي ، وَسَمَّيْ ، وَسَبَّحَ .

- وَخَامِسُهَا : قَبُولُ شَيْءٍ وَتَحْصِيلُ الْغَرَضِ مِنْهُ ؛ كَشَفَعْتُ زَيْدًا فِي عَمْرٍو ؛ أَي : قَبِلْتُ شَفَاعَتَهُ وَأَبْرَأْتُهُ مِنَ الدَّيْنِ .

- وَسَادِسُهَا : التَّكْثِيرُ ، وَرَبَّمَا اعْتَبِرَ مَعَ التَّكْثِيرِ التَّدْرِيجُ ؛ نَحْوُ : نَزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ ؛ أَي : أَكْثَرَ مِنْ نَزُولِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا ؛ لِكُونِهِ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجُومًا .

ثُمَّ التَّكْثِيرُ يَكُونُ :

بِالنَّظَرِ لِلْفِعْلِ فِي نَفْسِهِ ؛ نَحْوُ : طَوَّفَ زَيْدٌ ، وَجَوَّلَ ، وَفَرَّيْتُ الْأَدِيمَ .

وَقَدْ يَكُونُ بِالنَّظَرِ لِلْفَاعِلِ ، حَيْثُ لَا يَكُونُ الْفِعْلُ فِي نَفْسِهِ قَابِلًا لِلتَّكْثِيرِ ؛ نَحْوُ : مَوَّتَتِ الْإِبِلُ ، أَوْ بَرَّكَتْ ، وَرَبَّضَتِ الشَّاءُ .

وقد يكونُ بالنظرِ للمفعولِ ؛ نحوُ : ﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ (١) .

وربّما لم يَزِدِ المُضَعَّفُ على أصلِهِ ولم يَتَغَيَّرَ معناه ؛ كعاضَ وَعَوَّضَ ،
وَبَشَّرَ وَبَشَّرَ ، ومازَ وَمَيَّرَ .

وربّما اسْتُعْمِلَتْ صيغةُ المُضَعَّفِ هذه بمعنى (تَفَعَّلَ) كَوَلَّى ؛ بمعنى :
تَوَلَّى ، وَفَكَّرَ ؛ بمعنى : تَفَكَّرَ ، وربّما أُغْنَتْ عنِ الثَّلَاثِيّ ، كَعَرَّدَ في القتالِ ؛
إذا فَرَّ ، وَعَيَّرَهُ ؛ أي : عابَهُ ، وَعَجَّزَتِ المرأةُ ؛ أي : صارتِ للسِّنِّ العاليةِ .



صيغةُ (فاعَلَ) : تأتي لمعنيين :

- أحدهُما : أنْ شيئاً فَعَلَ فِعْلاً مَعَ شيءٍ آخَرَ ، فقابلهُ ذَلِكَ الشيءُ الْآخَرُ
بمثله ؛ فيكونُ كلُّ فاعِلاً مفعولاً ، لكنْ ليسَ النظرُ لمُجَرِّدِ الاشتراكِ ، بل
مَعَ أنْ أحدهُما بدأً وَالْآخَرَ قَابِلَ ، فلذلكَ يُنْسَبُ لأحدهِما [نسبةُ] الفاعليَّةِ ،
وللآخَرَ نسبةُ المفعوليَّةِ .

وإذا كانَ أصلُهُ لازماً . . صارَ مُتَعَدِّياً لواحدٍ ، وإذا كانَ مُتَعَدِّياً لواحدٍ . .
فربّما صارَ مُتَعَدِّياً لاثنينِ ؛ نحوُ : ماشيتهُ ، وأصلُهُ : مشى ومشيْتُ ، وجاذبتهُ
الثوبُ ، والأصلُ : جذبتُ ثوبَهُ وجذبتهُ ، وفي هذه الصيغةِ معنى المغالبةِ
والمسابقةِ .

ويُدلُّ على سبقي أحدهِما وَعَلَبْتِهِ بصيغةِ (فَعَلَ) مِنْ (بابِ نَصَرَ) ، إلا إذا
كانَ واوِيَّ الفاءِ أو يائيَّ العينِ أو اللامِ ؛ فإنَّهُ مِنْ (بابِ ضَرَبَ) تقولُ : كاتَرُ
زيدٌ عمراً وفاخرَهُ ، فكثَرَهُ يَكثُرُهُ وفخرَهُ يَفخرُهُ ؛ كَنَصَرَهُ يَنصُرُهُ ، وتقولُ : واثبُهُ
فوثبَهُ يَثبُهُ ، وباعَهُ فباعَهُ يبيعهُ ، وماشاهُ فمشاهُ يمشيهُ .

(١) سورة يوسف : (٢٣) .

فمَتَى كَانَ (فَعَلَ) للدلالة على الغلبة . . كَانَ مُتَعَدِّياً وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ
لازماً ، وَمِنْ (بَابِ نَصَرَ) وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مِنْ أَيْ بَابٍ ؛ تَقُولُ : كَارَمَ زَيْدٌ عَمْرًا ،
فَكَرَمَهُ يَكْرُمُهُ ؛ كَنَصَرَهُ يَنْصُرُهُ ، وَأَصْلُهُ (كَرَمٌ) لَازِمٌ مِنَ الْبَابِ الْخَامِسِ .

- وَثَانِي الْمَعْنِيِّينَ : تَصْيِيرُ الشَّيْءِ ذَا صِفَةٍ ؛ كَتَابَعْتُ الْقِرَاءَةَ ، وَوَالَيْتُ
السَّفَرَ ؛ أَيْ : صَيَّرْتُ الْقِرَاءَةَ تَابِعًا بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَصَيَّرْتُ السَّفَرَ كَذَلِكَ .

وَرَبِّمَا كَانَتْ هَذِهِ الصِّيغَةُ بِمَعْنَى (فَعَلَ) مُضَعَّفًا ؛ كَضَاعَفْتُ الشَّيْءَ ؛
بِمَعْنَى : ضَعَّفْتُهُ ؛ أَيْ : جَعَلْتُ لَهُ ضِعْفًا ؛ وَهُوَ قَدْرُهُ مَرَّةً .

وَرَبِّمَا كَانَتْ صِيغَةُ الْمَفَاعَلَةِ قَائِمَةً مَقَامَ (فَعَلَ) ثَلَاثِيًّا أَوْ (أَفْعَلَ)
مَهْمُوزًا .

فَالأَوَّلُ : كَبَارِكُ ، وَقَاسَى ، وَبَالَى .

وَالثَّانِي : كَوَارَى الشَّيْءِ ؛ أَيْ : أَخْفَاهُ .

وَرَبِّمَا كَانَتْ الْمَفَاعَلَةُ بِتَنْزِيلٍ غَيْرِ الْفِعْلِ مَنْزِلَةً الْفِعْلِ وَجَعَلِهِ مِنْ جَنْسِهِ ؛
مِثْلُ : حَارَبَ اللَّهُ الْكُفَّارَ ؛ جَعَلَ عِنَادَهُمْ وَنُفُورَهُمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ حَرْبًا ،
وَخَرْبُهُمْ : إِذَاؤُهُمْ بِسَلْبِ أَمْوَالِهِمْ وَإِهْلَاكِ أَيْدَانِهِمْ .



الكلامُ على أبوابِ الخُماسِيِّ (١)

هي ثلاثةُ أقسامٍ : خُماسِيُّ الثلاثِيِّ ، وخُماسِيُّ الرُّباعِيِّ ، وخُماسِيُّ مُلحقاتِ الرُّباعِيِّ .

نحوُ : انبعتْ ، واحمَرَّ ، وتغافلَ ، وتَصَبَّرَ ، واقتدرَ ، ونحوُ : تدحرجَ ، ونحوُ : تَشَيَّبَ ، وتَجَوَّرَبَ ، وتَرَهَوَّكَ ، وتَجَلَّبَبَ ، وتَقَلَّسَ ، وتَقَلَّسَ ، وتَمَسَّكَ .

بيانُ المعاني التي تأتي لها تلك الصِّيغُ

صيغَةُ (أَنْفَعَلَ) كانبعتْ وانطلقَ : تأتي لمعنى واحدٍ ؛ وهو المُطاوعَةُ ؛ أي : قَبولُ تأثيرِ الغيرِ ، ولا تكونُ إلا في الأفعالِ العِلاجِيَّةِ ، وتكونُ لمطاوعَةٍ ثلاثِيٍّ كثيراً ؛ كطَبَعْتُهُ فانطبعَ ، وبعثتُهُ فانبعتْ ، وكسرتُهُ فانكسرَ ، ولغيرِهِ قليلاً ؛ كأطلقْتُهُ فانطلقَ ، وعدلتُهُ بالتضعيفِ فاعدلَ ، فلا يُقالُ : علمتُ الشيءَ فانعلمَ ؛ لكونِهِ غيرَ علاجِيٍّ .



صيغَةُ (أَفَعَلَ) كاحمَرَّ ، واسودَّ ، واعورَّ ، واعمشَّ : تأتي لمعنى واحدٍ ؛ هو قُوَّةُ اللَّوْنِ أو العيبِ .



صيغَةُ (تَفَاعَلَ) : تأتي لأربعةٍ معانٍ :

- أحدها : تشاركُ شَيْئَيْنِ فأكثرَ ، فيكونُ كلُّ فاعلاً مفعولاً ، لا يُنظرُ فيه

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٦٢) .

للبدء والمقابلة كما يُنظرُ في المفاعلة ؛ ولذلك إذا كانَ (فاعل) مُتعدياً
لواحدٍ . . صارَ بالتاء لازماً ، وإذا كانَ مُتعدياً لاثنتين . . صارَ بها مُتعدياً
لواحدٍ .

فتقولُ : ضاربَ زيدَ عمراً ، وتضاربَ زيدٌ وعمرو ، وجاذبَ زيدَ عمراً ثوباً ،
وتجاذبَ زيدٌ وعمرو ثوباً ، فتلغى نسبة المفعوليَّة ما لم تزد عن واحدةٍ .

- وثانيها : التظاهرُ بالفعل دونَ حقيقةٍ ؛ كتغافلٍ وتناومٍ [وتغابى] ؛
أي : أظهرَ الغفلةَ والنومَ والغباوةَ ، ولا غفلةَ ولا نومَ ولا غباوةَ ، قالَ
الشاعرُ ^(١) :

لَيْسَ الْغَيْبِيُّ بِكَامِلٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

- والثالثُ : حصولُ الشيءِ تدريجاً ؛ كترأيدِ النَّيْلِ ، وتكاثفِ الغمامِ ؛ أي :
حصَلتْ زيادةُ النَّيْلِ وكثافةُ الغمامِ شيئاً فشيئاً .

- والرابعُ : مطاوعةُ (فاعل) كباعدهُ فتباعدهُ .

صيغةُ (تَفَعَّلَ) : تأتي لخمسةِ معانٍ :

- أحدها : تكلَّفُ الشيءِ ومحاولةُ أن يحصَلَ ؛ كتحلَّم وتصبَّرَ وتشجَّعَ ؛
حيثُ يقومُ الغضبُ والجزعُ والجُبْنُ ، فهو يتعقَّلُ ما في هذه الأشياءِ منَ
المضارِّ ، وما في تلكِ منَ المنافعِ ؛ فهو يُحاولُ أن يتحلَّى بتلكِ الفضائلِ
ويُحصِلَ منافعها .

- وثانيها : تجنَّبُ الشيءِ ؛ نحوُ : تَحَرَّجَ ، وتَأَثَّم ، وتهجَّدَ ؛ أي : تجنَّبَ
الحَرَجَ ، والإثمَ ، والهَجُودَ .

(١) انظر « عيون الأخبار » (٢٢٥ / ١) .

- وثالثها : اتخاذ الشيء شيئاً^(١) ؛ نحو : توسدت الحَجَرَ ، وتفرشت الأرض ، وتبيت الدنيا ؛ أي : اتخذت الحَجَرَ وسادةً ، والأرض فراشاً ، والدنيا بيتاً .

- ورابعها : تحصيل الشيء تدرجاً ؛ نحو : تحفظت العلم ، وتفهمت مسائله .

- وخامسها : مطاوعة (فَعَلَ) مُضَعَفَ العين ؛ نحو : علمته فتعلم ، ونهته فتنبه .

وربما كانت صيغة (تَفَعَّلَ) مُغْنِيَةً عَنِ النُّطْقِ بِفِعْلِ الثَّلَاثِيَّ قَائِمَةً مَقَامَهُ ؛
نحو : تكلم ، وتصدى .



صيغة (أَفْتَعَلَ) : تأتي لسته معانٍ :

- أحدها : الاتخاذ ؛ نحو : اختتم زيد ، وخدمت ؛ أي : اتخذت خاتماً وخداماً .

- وثانيها : الاجتهاد ؛ نحو : اكتب ، واحتمل ، واجتهد .

- وثالثها : التشارك في الفعل ، فترادف صيغة (تفاعل) نحو : اختصم زيد وعمرو ؛ أي : تخاصما ، واجتورا العرب ، واختلف الناس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾^(٢) .

- ورابعها : إظهار الشيء ؛ نحو : اعتذر ، واعتظمت ؛ أي : أظهر عذره وعظمته .

(١) أي : اتخاذ أصل ما اشتق منه ذلك الفعل ، والأصل هو : الوسادة والفراش والبيت كما مثل به المؤلف .

(٢) سورة الحجرات : (٩) .

- وخامسها : القُوَّةُ ؛ نحوُ : اقتدرَ ، [واحتدَّ] ، وارتدَّ .

- وسادسها : مُطَاوَعَةٌ ثلاثيٌّ كثيراً ، ومُطَاوَعَةٌ غيره قليلاً ؛ نحوُ : عدَلْتُهُ فاعتدلَ ، وهَمَّمْتُهُ بالأمرِ فاهتمَّ به ، وعَمَّمْتُهُ فاعتمَّ ، وقَرَّبْتُهُ بالتضعيفِ فاقترَبَ ، وحَمَلْتُهُ فاحتمَلَ .

هذا ؛ ومتى كانتْ فاءُ (افتعلَ) زايًا أو دالًّا . . . وجبَ إبدالُ التاءِ دالًّا ؛ ليحسنَ اللفظُ ويخفَّ النطقُ به ؛ نحوُ : ازدانَ ؛ مِنْ الزينةِ ، وأدانَ ؛ مِنْ الدَّينِ . ومتى كانتْ ذالًّا . . . فأنتَ مُخَيَّرٌ بينَ أنْ تُبدِلَ التاءَ والذالَ دالِّينِ ، وبينَ أنْ تُبقيَ الدالَّ وتقلِبَ التاءَ ذالًّا ؛ فتقولَ في (اذتكرَ) : اذْكَرَ ، أو اذْكَرَ ، وبكليتهما يحضُلُ المقصودُ .

ومتى كانتْ أحدَ حروفِ الإطباقِ ؛ وهي : الطاءُ ، والضادُ ، والصادُ ، والظاءُ . . . وجبَ إبدالُ التاءِ طاءً في الثلاثةِ الأوَّلِ ؛ نحوُ : اطَّحَنَ ؛ مِنْ الطَّحْنِ ، واضطَّرَّ ؛ مِنْ الضَّرِّ ، واصطَبَرَ ؛ مِنْ الصَّبْرِ ، وفي الرابعِ أنتَ مُخَيَّرٌ بينَ أنْ تُبدِلَ التاءَ طاءً ، أو تُبدِلَها ظاءً ، أو تُبدِلَ الظاءَ والتاءَ [طاءينِ] ؛ فتقولَ : اظَّطَمَ ، أو اظَّلَمَ ، أو اظَّلَمَ ؛ في (ظَلَمَ) وبالأوجهِ الثلاثةِ رُويَ قولُ زهيرٍ ^(١) : [من البسيط] هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا فَيَظْلِمُ وَيَظْطَلِمُ ، وَيَظْلِمُ .

ومتى كانتْ فاءُ (افتعلَ) واوًا أو ياءً . . . وجبَ إبدالُها تاءً ؛ نحوُ : اتَّكَلَّ وأتَّأَدَ وأتَّقَى ؛ فأصلُهُ : إوتكَلَّ ، وإوتأَدَ ، وإوتقَى ، ونحوُ : أتَّسَرَ ؛ وأصلُهُ : إيتسَرَ ، فهذه التغيُّراتُ التي تلحقُ هذه الصيغةَ .

(١) انظر « شرح شعر زهير بن أبي سلمى » (ص ١١٩) .

صيغة (تَفَعَّلَ) : نحو : (تَدَخَّرَجَ) لمطاوعة أصله في الأفعال المتعدية ،
وفي غيرها لمجرد التقوي .

وقيل في نحو : (تَمَسَّكَ) : إنه ليس من الملحقات ، بل هو من باب
(تَفَعَّلَ) بناءً على توهم أصالة الميم في نحو : (مَسَكِينَ ، ومكان ،
ومكزمية) وهي زائدة لكونها من السكون والكون والكرم ، ومن ادعى هذا . .
كَمَّلَ أبواب الفعل بعد (تَكَلَّمَ) من الملحقات ؛ وهو فعلٌ وُضِعَ بهذه
الصورة لم يُنطَقْ له بثلاثي .



الكلامُ على أبوابِ السداسيِّ (١)

هيَ قسمانِ : سداسيُّ الثلاثيِّ ، وِسداسيُّ الرباعيِّ .

كأحمارَ ؛ مِنْ حَمِرَ ، وأخشوشنَ ؛ مِنْ خَشِنَ ، وأجلوذاً ؛ مِنْ جَلَدَ ،
وأقعنسنَ ؛ مِنْ قَعَسَ ، وأسلنقى ؛ مِنْ سَلَقَ ، واستخرجَ ؛ مِنْ خَرَجَ ،
وكأخرنجمَ ؛ مِنْ حَزَجَمَ ، وأفشعرَ ؛ مِنْ قَشَعَرَ .

والخمسَةُ الأُولُ مِنَ القِسمِ الأَوَّلِ ؛ للدلالةِ على قُوَّةِ المعنى .

والصِّيغَةُ السادسةُ مِنْهُ تأتي لستةِ معانٍ :

- أحدها : طلبُ الشيءِ حقيقةً أو مجازاً ؛ كاستكتبَ زيداً ؛ أي : طلبَ مِنْهُ
الكُتُبَ ، واستخرجتُ المعدنَ ؛ أي : طلبتُ مِنْهُ الخِروجَ ؛ سَمَّيتُ علاجَكَ
ومحاولتَكَ أَنْ يَخْرُجَ : طلباً .

- وثانيها : اعتقادُ الشيءِ ؛ كاستحسنَ زيدٌ كذا أو استقبَحَهُ ، واستنسبَ
واستصوبَ ؛ أي : اعتقدَ حسنهُ أو قبَحَهُ .

- وثالثها : صيرورةُ الشيءِ ؛ كاستحصنَ المُهْرُ ؛ أي : صارَ حصاناً ،
واستحجرَ الطينُ (٢) .

- ورابعها : المُصادفةُ والوِجدانُ ؛ كاستكرمتُ زيداً حينَ قصدتُهُ ،
أو استبخلتُهُ .

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٦٧) .

(٢) استحجر الطين : صار حجراً .

- وخامسها: النطقُ بكلامٍ أُخِذَ منه الفعلُ ؛ كاسترجعَ ؛ أي: قالَ: إِنَّا لِلَّهِ
وإِنَّا إِلَيْهِ راجعونَ .

- وسادسها: القُوَّةُ ؛ كاستحمتَ ، واستهترَ ؛ أي: قَوِيَتْ حماقَتُهُ وهتارُهُ .



والصِّيغَةُ الأُولَى مِنَ القِسْمِ الثَّانِي: للمطاوعة ؛ كحرجمتُ الإبلَ ؛ أي:
جمعتها ، فاحرنجمتُ ؛ أي: اجتمعتُ ، والصِّيغَةُ الثَّانِيَةُ مِنْهُ: للتقوية .

تكملةٌ فيها مسائلُ

المسألةُ الأولى

[في همزتي الوصلِ والقطعِ في الأفعالِ]

الهمزةُ التي تُبَدَأُ بها مواضي هذه الأفعالِ وأوامرُها .. همزةٌ وصلٍ كما
سبقتِ الإشارةُ إليه ^(١) ، إلا همزةُ مهموزِ الثلاثيِّ كأكرمَ ؛ فإنها تُسمَّى: همزةُ
قطعٍ ، لا تسقطُ أصلاً ، بدأتْ بها أو وصلتْها بغيرِها ، بخلافِ السابقةِ .

فتقولُ: أكرمَ ، وأجملَ ، وأحسنَ ، وأكرمَ ، وأجملَ ، ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ ﴾ ^(٢) ، فتنتطقُ بالهمزةِ .

وتقولُ: انطلقَ ، واستخرجَ ، فتنتطقُ بالهمزةِ في الأولى فقط ، معَ
كونِها تُرْسَمُ مطلقاً إلا في (بسمِ الله ...) ، كما قالَ بعضُ الشعراءِ مشيراً
لذلك ^(٣) :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُعْطَى ثَلَاثُونَ شَاعِراً وَيُحْرَمَ مَا دُونَ الرِّضَا شَاعِراً مِثْلِي

(١) انظر (١/١٩١) .

(٢) سورة القصص: (٧٧) .

(٣) هو أبو سعيد الرستمي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٢) .

كَمَا سَامَحُوا عَمْرًا بِوَاوٍ مَزِيدَةٍ وَضُويِقَ (بِسْمِ اللَّهِ ...) فِي أَلْفِ الْوَضَلِ

وبقية مواضع همزة الوصل : مصادرُ هذه الأفعال الآتي بيائها ، إلا همزة مصدرِ نحوٍ : (أكرم) وعشرة أسماء ؛ هي : أَسْمٌ ، وَأَبْنٌ ، وَأَبْنَمٌ ، وَأَبْنَةٌ ، وَأَمْرُؤٌ ، وَأَمْرَأَةٌ ، وَأَسْتُ ، وَأَثْنَانِ ، وَأَثْنَانِ ، وَأَيْمُنُ الْقَسَمِيَّةُ ؛ كقول الشاعر^(١) :

وَقَالَ فَرِيْقٌ لَأَيْمُنُ اللَّهِ مَا نَذْرِي

وحرفٌ واحدٌ على خلافٍ فيه ؛ وهو (أَلِ) التعريفيةُ ، فَمَنْ قَالَ : إِنَّ حَرْفَ التَّعْرِيفِ هُوَ اللَّامُ فَقَطْ .. حَكَمَ بِوَصْلِيَّةِ الْهَمْزَةِ ، وَمَنْ قَالَ : مَجْمُوعُ الْحَرْفَيْنِ .. حَكَمَ بِقَطْعِيَّتَيْهَا ، وَتَسْقُطُ تَخْفِيفًا لِكثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ .

المسألة الثانية

[في أحرف المضارعة]

الأحرف الأربعة التي يُبتدأُ بها المضارعُ ويجمعُها قولك : (أنيتُ) .. تُسمَّى : أحرفَ المضارعةِ ، وهي مفتوحةٌ إلا في مضارعِ الرباعيِّ مُجرِّداً أو مزيداً ؛ فإنها مضمومةٌ .

والهمزةُ : للمتكلمِ المُخبرِ عن نفسه وحدهُ .

والنونُ : للمتكلمِ المُخبرِ عن نفسه وغيره .

والتاءُ : للمُخاطَبِ ، والمُخاطَبةِ ، والمُخاطَبَيْنِ ، والمُخاطَبَتَيْنِ ،

والمُخاطَبَيْنِ ، والمُخاطَبَاتِ ، وللغائبِ ، والغائبَتَيْنِ .

(١) عجز بيت من قصيدة لنصيب بن رباح في «ديوانه» (ص ١٥٢) ، والبيت بتمامه :

فَقَالَ فَرِيْقٌ أَلْقَوْمَ لَا وَفَرِيْقُهُمْ وَقَالَ فَرِيْقٌ لَأَيْمُنُ اللَّهِ مَا نَذْرِي

وانظر «مغني اللبيب» (١٣٧/١) .

والياءُ : للغائبِ ، والغائبينِ ، والغائباتِ ، والغائبينِ .

الأمثلةُ لذلكَ : أنا أكتبُ : نحنُ نكتبُ ، يا رجلُ تكتبُ ، يا امرأةُ تكتبينِ ،
يا رجلانِ تكتبانِ ، يا امرأتانِ تكتبانِ - لا فرقَ بينَ خطابِ الاثنينِ وخطابِ
الاثنينِ - يا رجالُ تكتبونَ ، يا نساءُ تكتبنَ - بسكونِ الباءِ - هندُ تكتبُ ،
والهندانِ تكتبانِ ، زيدُ يكتبُ ، والزيدانِ يكتبانِ ، والرجالُ يكتبونَ ، والنساءُ
يكتبنَ - بسكونِ الباءِ - .

المسألةُ الثالثةُ

[في حركةِ الحرفِ الواقعِ قبلَ آخرِ المضارعِ في غيرِ الثلاثيِّ]
الحرفُ الواقعُ قبلَ آخرِ المضارعِ من غيرِ الثلاثيِّ مكسورٌ ولو تقديراً^(١) ،
إلا في الأفعالِ المُبتدأةِ بالتاءِ الزائدةِ ؛ كَتَصَبَّرَ وَتَغَافَلَ ، فإنه مفتوحٌ .

المسألةُ الرابعةُ

[في اشتمالِ المضارعِ على أحرفِ الماضي ، وما يُستثنى من ذلكَ]
المضارعُ يَشتمِلُ على جميعِ أحرفِ الماضي غيرِ همزةِ الوصلِ ، إلا في
(بابِ أكرمَ) فتسقطُ همزتهُ ؛ فتقولُ : أكرمِ ، ونكرمِ ، وكانَ حقُّهُ أو كرمِ
كأدحرجُ ، فحُفِّفَ بإسقاطِ الهمزةِ .

المسألةُ الخامسةُ

[في أحوالِ النطقِ بالفعلِ الماضي]

الفعلُ الماضي متى أُسندَ للتاءِ أو نونِ الإناثِ أو (نا) .. يسكنُ آخرُهُ ،
فإن كانَ قبلَهُ أَلِفٌ .. حُدِّفَتْ ؛ لقاعدةٍ : متى التقى ساكنانِ ؛ فإن كانَ أولُهُما

(١) الحرف المكسور تحقيقاً نحو : (يستغفر) ، والمكسور تقديراً نحو : (يحمرُّ) .

مَدًّا لَيْسَ بَعْدَهُ حَرْفٌ مُشَدَّدٌ . . حُذِفَ ، وَإِلَّا . . حُرِّكَ أَحَدُهُمَا ؛ لِلتَّخْلِصِ ،
وَتَعْيِينِ الْمُتَحَرِّكِ مِنْهُمَا بِالسَّمَاعِ .

فَبِنَاءٍ عَلَى هَذَا تَقُولُ فِي (قَالَ ، وَبَاعَ ، وَخَافَ) : قُلْتُ وَبِعْتُ وَخِفْتُ ،
وَالنِّسَاءُ قُلْنَ وَبِعْنَ وَخِفْنَ ، وَنَحْنُ قُلْنَا وَبِعْنَا وَخِفْنَا ، فَإِنْ كَانَتْ الْأَلِفُ
الْمَحذُوفَةُ بَدَلًا عَنِ وَاوٍ غَيْرِ مَكْسُورَةٍ . . ضَمَمْتَ أَوَّلَ الْفِعْلِ ؛ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ
مِنْ بَنَاتِ الْوَاوِ ؛ كَقُلْتُ وَطُلْتُ ، الْأَوَّلُ مِنْ (بَابِ نَصَرَ) ، وَالثَّانِي مِنْ (بَابِ
كَرَّمَ) .

وَإِنْ كَانَتْ الْأَلِفُ بَدَلًا مِنْ يَاءٍ أَوْ وَاوٍ مَكْسُورَةٍ . . كَسِرَ أَوَّلَ الْفِعْلِ ؛ تَنْبِيهًا
عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ فِي الْأَوَّلِ ، وَعَلَى كَسْرِ عَيْنِهِ فِي الثَّانِي ؛ كَخِفْتُ
وَنِمْتُ ؛ مِنَ الْخَوْفِ وَالنُّومِ ، وَهَذَا مِنْ (بَابِ فَرِحَ) ^(١) .

وَمَتَى أُسْنِدَ لَوَاوٍ جَمَاعَةِ الذُّكُورِ . . ضُمَّمَ آخِرُهُ ؛ كَقَامُوا ، وَبَاعُوا ، وَأَكَلُوا ،
وَشَرَبُوا ، وَفُتِحَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ .

وَمَتَى كَانَ آخِرُهُ أَلِفًا . . حُذِفَتْ عِنْدَ إِسْنَادِهِ لِلْوَاوِ لِتِلْكَ الْقَاعِدَةِ ^(٢) ، وَتَبَقِيَ
الْفَتْحَةُ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا ، فَتَقُولُ : رَجَالٌ سَعَوْا وَدَعَوْا ؛ بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَحَذْفِ
الْأَلِفِ مِنْ سَعَى وَدَعَا .

وَعِنْدَ إِسْنَادِهِ لِغَيْرِ الْوَاوِ مِنَ الضَّمَائِرِ الْبَارِزَةِ يَرْجِعُ الْفِعْلُ لِأَصْلِهِ ؛ فَتَقُولُ :
دَعَوْتُ ، وَدَعَوْنَا ، [وَدَعَوْا] ، وَالنِّسَاءُ دَعَوْنَ ، وَرَمَيْتُ ، وَرَمَيْنَا ، وَرَمَيْتُ ،
وَالنِّسَاءُ رَمَيْنَ .

وَمَتَى كَانَ آخِرُهُ يَاءً لَمْ تُبَدَلْ ؛ كَرَضِي وَخَشِي . . حُذِفَتْ عِنْدَ إِسْنَادِهِ لَوَاوٍ
الْجَمَاعَةِ ، وَأُبْدِلَتْ الْكَسْرَةُ الَّتِي قَبْلَهَا ضَمَّةً ؛ فَتَقُولُ : رَضُوا وَخَشُوا .

(١) مثال ما كان من بنات الياء : (بعث) من البيع .

(٢) وهي : (متى التقي ساكنان . . .) المارة أول هذه المسألة .

المسألة السادسة

[في أحوال النطق بالفعل المضارع]

الفعل المضارع إذا أُسْنِدَ لِأَلِفِ الاثْنَيْنِ ، أو لَوَاوِ الجماعةِ ، أو لِيَاءِ الْمُخَاطَبَةِ . . جِيءَ بَعْدَ الضَّمَائِرِ بنونٍ لا معنى لها ، ولها فائدة تُعْرَفُ في النحوِ ، وحينئذٍ إذا كانتْ لَامُ الفعلِ واوًا أو ياءً . . حُذِفَتْ مَعَ يَاءِ الْمُخَاطَبَةِ ، وتُبَدَّلُ الضَّمَةُ التي قَبْلَ الواوِ كسرةً ؛ كَتَدَعِينَ وَتَرْمِينَ ، وحُذِفَتْ أَيْضاً مَعَ واوِ الجماعةِ ، وتُبَدَّلُ الكسرةُ التي قَبْلَ الياءِ ضمةً ؛ كَتَرْمُونَ .

والأمرُ كالمضارعِ ، لكنَّ النونَ الزائدةُ لا يُنطَقُ بها معه .

وإذا أُكِّدَ بِأَحَدِي نونِي التوكيدِ ؛ فإن اتصَلَتْ به . . فُتِحَ آخِرُهُ ، وإن انفصلتْ بِأَحَدِ الضَّمَائِرِ الثلاثةِ . . حُذِفَتِ النونُ الزائدةُ ، وحُذِفَتْ واوُ الجماعةِ وياءُ الْمُخَاطَبَةِ ، إلا مَعَ الفعلِ المُعْتَلِّ بِالألفِ ؛ فإنَّهُما يَبْقِيانِ وتُضَمُّ الواوُ وتُكسَرُ الياءُ ؛ كَتَخَشُونَ وَتَخَشِينَ .

وأما الألفُ . . فلا تُحذَفُ ، ولا يَقَعُ بَعْدَها مِنَ النُّونَيْنِ إلا الثَّقِيلَةُ مكسورةً ، وكذلك بَعْدَ نونِ الإناثِ ، ويُفصَلُ بينها وبينَ نونِ التوكيدِ بِألفٍ ؛ كَتَعْرِفَنانِ .

وإذا وُلِّيَ الخفيفةُ ساكنٌ . . حُذِفَتْ وَبقيتِ الفتحةُ التي كانتْ قَبْلَها ؛

كقولِ الشاعرِ^(١) :

لَا تُهينَ أَلْفَقِيرَ عَلكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوماً وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ



(١) هو الأصبط بن قريع ، كما في « خزانة الأدب » (٤٥٠/١١) .

التقسيمُ الرابعُ

[في بنائه للفاعلِ والمفعولِ]

الفعلُ إن ذُكِرَ فاعلُهُ .. سُمِّيَ : فعلٌ معلومٌ ، وإن لم يُدَكَّرْ فاعلُهُ .. سُمِّيَ :
فعلٌ مجهولٌ ، وحيثُتِذِ تَتَغَيَّرُ صورَتُهُ ؛ فإن كانَ ماضياً .. كُسِرَ ما قبلَ آخِرِهِ ،
وَضُمَّ أَوَّلُهُ وثانيه إن كانَ مُفْتَتِحاً بتاءِ زائدةٍ ، وَضُمَّ أَوَّلُهُ وثالثُهُ إن كانَ مُفْتَتِحاً
بهمزةٍ وصلٍ ، وَضُمَّ أَوَّلُهُ فقط في غيرِ ذلكِ .

فإن كانَ بعدَ المضمومِ أَلِفٌ .. قُلِبَتْ واوٌ ؛ كَبُوعٍ وتُغُوفَلٍ ، وإن كانتِ
عينُ الفعلِ أَلِفاً ؛ سواءً كانتِ بدلَ واوٍ أو ياءٍ .. أُبدِلَتْ ياءٌ وكُسِرَ ما قبلها على
الأفصحِ ؛ كَقِيلٍ ، وبيعٍ ، واختيرٍ ، وانقيدٍ ، واستقيدٍ ، وإن كانَ مُضارِعاً .. ضُمَّ
أَوَّلُهُ وُفْتِحَ ما قبلَ آخِرِهِ ، فإن كانَ ما قبلَ الآخِرِ واوٌ أو ياءٌ ؛ كيقولُ وبيعُ
ويستطيلُ .. أُبدِلَتْ أَلِفاً ؛ كيقالُ ويُبَاعُ ويُستطالُ .



التقسيمُ الخامسُ

[في انقسامه إلى مُتصَرِّفٍ وجامدٍ]

الفعلُ إمَّا مُتصَرِّفٌ : تامُّ التصرُّفِ يجيءُ ماضياً ومُضارعاً وأمرأً ؛ كنصرَ
ينصرُ انصرُ ، وناقضهُ يجيءُ ماضياً ومُضارعاً فقط ؛ كزالَ يزالُ ، وبرحَ يبرحُ ،
وفتّى يفتأُ ، وانفكَّ ينفكُّ ، وكادَ يكادُ ، وأوشكَ يوشكُ .

وإمَّا جامدٌ : لا يجيءُ منه غيرُ الماضي ؛ كليسَ ، وأفعالِ الشُّروعِ ، وبقيةِ
أفعالِ المقاربةِ ، ونعمَ وبئسَ في المدحِ [والذمِّ] ، وعدا وخلا وحاشا في
الاستثناءِ .



المقالة الثانية في الكلام على الاسم

للاسم تقاسيم التقسيم الأول [في الجامد والمشتق]

الاسمُ : إمَّا جامدٌ ؛ وهو أسماء الأجناسِ الجوهريةِ ، وأسماء الأجناسِ العرضيةِ ؛ كإنسانٍ وسبعٍ وفرسٍ وشجرٍ ووَرَقٍ ، وكفَهْمٍ وعِلْمٍ وقيامٍ وقُعودٍ .
وإمَّا مُشتقٌّ ؛ كأكثرِ الأفعالِ ، وهو الأسماءُ الدالَّةُ على أمرٍ ذي صفةٍ .
والاشتقاقُ : مِنْ أسماء الأجناسِ المعنويةِ ؛ كالفَهْمِ والعِلْمِ والحفظِ ،
وجاءَ قليلاً مِنْ اسمِ العينِ ؛ كأورقِ الشجرِ ؛ مِنْ الوَرَقِ ، وأسبعتِ الأرضُ ؛
مِنَ السَّيِّعِ .

والأصلُ الذي منه الاشتقاقُ غالباً : يُسمَّى - كما عرفتَ - مصدرًا ،
ويُشتقُّ منه عشرةُ أشياءَ : (الماضي ، والمضارعُ ، والأمرُ ، واسمُ الفاعلِ ،
واسمُ المفعولِ ، والصفةُ ، واسمُ الزمانِ ، واسمُ المكانِ ، واسمُ الآلةِ ، واسمُ
التفضيلِ) فتحصَّلَ معنا أحدَ عشرَ شيئاً ؛ الأصلُ والفروعُ العشرةُ ، وكلُّ
يحتاجُ إلى البيانِ .

أمَّا بيانُ الأفعالِ .. فقد مضى .



بيان المصدر (١)

سبق أن الفعل باعتبار مادته أربعة أنواع^(٢)، ولكل نوع مصدر؛ فهي أنواع أربعة:

النوع الأول

مصادر الثلاثي

اعلم: أنهم يقولون: هذا الشيء قياسي، وهذا الشيء سماعي.

أما القياسي.. فهو كل شيء كثرت أفرادُه وصعب حصرها وعدّها، فوضع له ضابطٌ كليٌّ ينتظم به جميع أفرادها أو أكثرها.

وأما السماعي.. فهو ما قلّت أفرادُه فعُدّت، ولم يُوضع لها ضابطٌ.

فإذا سمعت القياسي والسماعي.. فهو على هذا المعنى.

كلُّ فعلٍ ثلاثيٍّ يدلُّ على حركة واضطراب.. فمصدره القياسي يوازن (فَعَلَانًا) بفتحات؛ كجَالِ جَوْلَانًا، وطَافَ طَوْفَانًا، وغلَى غَلِيَانًا.

وكلُّ ثلاثيٍّ يدلُّ على حرفة أو صناعة.. فمصدره القياسي يوازن (فِعَالَةً) بكسرٍ أوْلِهِ؛ كوليِّ البلادِ وِلَايَةً، وسانِ العبادِ سِياسَةً، وراضِ الخيلِ رِياضَةً.

وكلُّ ثلاثيٍّ يدلُّ على إباءٍ وامتناع.. فمصدره القياسي يوازن (فِعَالًا) بكسرٍ أوْلِهِ؛ كأبَى إِبَاءً، وشرَدَ شِرَادًا، وحرَنَ حِرَانًا.

(١) انظر «شذا العرف» (ص ١١٩).

(٢) انظر (١٨٧/١).

وكلُّ ثلاثيٍّ يَدُلُّ على سِيرٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعِيلاً) بفتحِ
أولِهِ ؛ كَرَحَلَ رَحِيلاً ، وَرَسَمَ رَسِيماً ، وَذَمَلَ ذَمِيلاً .

وكلُّ ثلاثيٍّ يَدُلُّ على داءٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعَالاً) بضمِّ أولِهِ ؛
كَدَارَ رأسُهُ دُوراً ، وَضَدَعَ ضُدَاعاً ، وَمَشَتْ بطنُهُ مُشَاءً .

وكلُّ ثلاثيٍّ يَدُلُّ على صوتٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ نوعانٍ يَتَوَرَّعَانِهِ :
أحدُهُما يوازنُ (فُعَالاً) بضمِّ أولِهِ ، وَالآخَرُ يوازنُ (فَعِيلاً) بفتحِ أولِهِ ؛
كَصَرَخَ صُراخاً ، وَنَبَحَ الكَلْبُ نُبَاحاً ، وَعَوَى الذِّئْبُ عَوَاءً ، وَكَزَّأَرَ الأَسَدُ
زَيْراً ، وَصَهَلَ الفرسُ صَهِيلاً .

وكلُّ ثلاثيٍّ مِنْ (بابِ كَرَمَ) . . فمصدرُهُ القياسيُّ نوعانٍ يَقْتَسِمَانِهِ :
أحدُهُما يوازنُ (فُعُولَةً) بضمِّ أولِهِ ، وَالآخَرُ يوازنُ (فَعَالَةً) بفتحِ أولِهِ ؛
كَصَعَبَ صُعُوبَةً ، وَخَشَنَ خُشُونَةً ، وَسَهَلَ سُهُولَةً ، وَجَزَلَ جَزَالَةً ، وَنَبَهَ نَبَاهَةً ،
وَظَرَفَ ظَرَفَةً .

وكلُّ ثلاثيٍّ لازمٍ مِنْ (بابِ فَرِحَ) . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعَلًّا)
بفتحتينِ ؛ كَفَرِحَ فَرِحاً ، وَهَوِيَ هَوًى ، وَشَلَّ شَلًّا ، وَكَلَّ ما دَلَّ مِنْ هَذَا البَابِ
على لَوْنٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعْلَةً) بضمِّ فسكونٍ ؛ كَحَمَرَ حُمْرَةً ،
وَصَفَرَ صُفْرَةً ، وَحَوِيَ حُوءَةً .

وكلُّ فعلٍ ثلاثيٍّ لازمٍ لَيْسَ مِنْ (بابِ فَرِحَ) وَلَا مِنْ (بابِ كَرَمَ) . .
فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعُولاً) بضمِّ أولِهِ ؛ كَقَعَدَ قُعُوداً ، وَجَلَسَ
جُلُوساً ، وَذَهَبَ ذُهُوباً ، وَوَثِقَ وَثُوقاً .

وكلُّ ثلاثيٍّ مُتَعَدٍّ كَنَصَرَ وَضَرَبَ وَفَتَحَ وَفَهِمَ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ
(فَعَلًّا) بفتحِ فسكونٍ ؛ كَنَصَرَ نَصْراً ، وَضَرَبَ ضَرْباً ، وَفَتَحَ فَتْحاً ، وَفَهِمَ
فَهْماً ، وَخَافَ خَوْفاً .

فهذه هي أنواع المصادر القياسية للأفعال الثلاثية ؛ وهي ثلاثة عشر نوعاً .

ولأهل العربية خلافٌ في تفسير القياسي ؛ فمنهم من ذهب إلى أنه : ما وُضِعَ لَهُ قانونٌ كُلِّيٌّ يَضْبِطُ أَفْرَادَهُ ؛ بحيثُ متى سمعتَ فعلاً مِنْ أَيِّ بَابٍ .. نطقتَ بمصدره حسبَ القانونِ الموضوعِ لمصدرِ نوعِ ذلكِ الفعلِ وإن لم يكنْ مسموعاً مِنَ العَرَبِ وكان المسموعُ غيرَهُ ؛ فلكَ إذا الخِيارُ بينَ أن تَنطِقَ بالمسموعِ ، وأن تَنطِقَ بما اقتضاهُ القياسُ .

ومنهم من ذهب - وهو الصحيحُ - إلى أنه : ما وُضِعَ للكثيرِ المسموعِ منه قانونٌ ، فيكونُ الضبطُ لِمَا كَثُرَ ، لا لجميعِ الأفرادِ ، فوجبَ أن تَقفَ على حدِّ ما سُمِعَ ؛ فإن كانَ المسموعُ مِنَ المضبوطِ .. فذاك ، وإلا .. نطقتَ بما سُمِعَ .

وفائدةُ وضعِ القوانينِ حينئذٍ : التنبيهُ على الكثيرِ ، وأنتَ إذا سمعتَ مصدرًا مِنَ المضبوطاتِ .. عرفتَ هيئةَ فعلِهِ .

وأما المسموعُ القليلُ مِنْ مصادرِ الثلاثية .. فهي هذه نَسْرُدُها عليكِ :
(شُرْبٌ) بضم فسكونٍ ، و (حِفْظٌ) بكسر فسكونٍ ، و (رَحْمَةٌ) [بفتح] فسكونٍ ، و (نَشْدَةٌ) بكسر فسكونٍ ، و (دَعْوَى) بفتح فسكونٍ ، و (ذِكْرَى) بكسر فسكونٍ ، و (بُشْرَى) بضم فسكونٍ ، و (لِيَانٌ) بفتح فسكونٍ ، و (جِزْمَانٌ) بكسر فسكونٍ ، و (غُفْرَانٌ) بضم فسكونٍ ، و (طَلَبٌ) بفتحَيْنِ ، و (حَنْفٌ) بفتح فكسر^(١) ، و (صِغْرٌ) بكسرِ ففتحٍ ، و (هُدَى) بضم ففتحٍ ، و (غَلَبَةٌ) بفتحَاتٍ ، و (سَرِقَةٌ) بفتحِ فكسرٍ ، و (ذَهَابٌ) بفتحِ أولِهِ ، و (صِرَافٌ) بكسره ؛ شهوةُ الكلبةِ إلى الفحلِ ، و (زَهَادَةٌ) بفتحِ أولِهِ ، و (دِرَايَةٌ) بكسره ،

(١) حَنْفٌ : كذا في الأصل ، ولعلها : (حَلْفٌ) باللام بدل النون .

و(بُعَايَةٌ) بضمِّه ، و(قَبُولٌ) بفتحِه ، و(كَرَاهِيَةٌ) بفتحِه ، و(رُجُولِيَّةٌ) بضمِّه ،
وتشديدِ الياءِ ، و(شَيْخُوخَةٌ) بفتحِ فسكونِ .

وربَّما نُطِقَ للفعلِ بمصدرينِ فأكثرَ .

فهذه خمسةٌ وعشرون وزناً وردتْ مصادرَ لبعضِ الأفعالِ الثلاثِيَّةِ ، لا
يجوزُ على الصَّحيحِ أن تنطقَ بغيرِ المسموعِ منها قياساً على الكثيرِ في مصدرِ
نوعِه .

مثلاً : (شَرِبَ) فعلٌ ثلاثِيٌّ مُتَعَدِّ ك (فَهَمَ) ، فالكثيرُ في مصدرِ نوعِه
- كما عرفتْ - أن يوازنَ (فَعَلًا) بفتحِ فسكونِ ك (فَهَمَ) ، لكنِ المسموعُ :
شربَ الماءِ شُرْبًا ؛ بضمِّ أوَّلِه ، فهو مُلتزِمٌ .

وقد وردتْ ألفاظٌ على أوزانٍ أُخَرَ اختلفَ أهلُ العربيَّةِ في كونها مصادرَ :
فمنهُم مَنْ بنى على ظاهرِ ما يعطيه الكلامُ ؛ فحَكَمَ بمصدرِيَّتِها .
ومنهُم مَنْ رأى سهولةَ التأويلِ ؛ محافظةً على ضبطِ الانتشارِ ، فحَكَمَ
بكونها غيرَ مصادرَ ، وأخرجَها في أبوابِ أشكالِها .

وذلكَ : كالمعقولِ ، والمفهومِ ، والميسورِ ، والمعسورِ ، والمجلودِ ،
والباقيةِ ، والعاقبةِ ؛ في مثلِ (ليسَ لفلانٍ معقولٌ) على معنى : ليسَ لَهُ عقلٌ ،
مصدرٌ عَقَلَ بمعنَى أدركَ ، فالظاهرُ أَنَّهُ مصدرٌ جاءَ على وزنِ (مفعولٍ) لأنَّ
الغرضَ مِنْ هذا الكلامِ كما عرفتْ نفْيُ العقلِ بمعنَى الإدراكِ .

وبمصدرِيَّتِه - بناءً على هذا - حَكَمَ الأوَّلونَ ؛ فهو نفْيُ للعقلِ بغيرِ
واسطَةٍ .

وقالَ الآخرونَ : معنى الكلامِ : (ليسَ لفلانٍ أمرٌ معقولٌ) وإذا لم يكنْ لَهُ
أمرٌ معقولٌ . . لم يكنْ لَهُ عقلٌ ؛ فهو نفْيُ للعقلِ بواسطةِ .

وَمِنْ هَذَا قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ (١) :

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَقَاءٍ ، وَأَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : مِنْ فِرْقَةٍ بَاقِيَةٍ ، أَوْ حَالَةٍ بَاقِيَةٍ ؛ فَلَفِظُ (بَاقِيَةٍ) عَلَى الْأَوَّلِ : مُصَدَّرٌ جَاءَ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلَةٍ) ، وَعَلَى الثَّانِي : غَيْرُ مُصَدَّرٍ ، وَالتَّأْوِيلُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مُتَكَلِّفٌ .

وَجَاءَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْكثْرَةِ مُصَدَّرٌ لِهَذِهِ الْأَبْوَابِ يُوَازِنُ (التَّفْعَالَ) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ كَالتَّطَوَّافِ ، وَالتَّجَوَّالِ ، وَالتَّكْرَارِ ، وَالتَّذْكَارِ ، وَشَذَّ كَسْرُ [التَّاءِ] فِي : تَبْيَانٍ وَتِلْقَاءٍ .

وَتَمَّ لَجْمِيعِ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثِيَةِ مُصَدَّرٌ يُقَالُ لَهُ : الْمَصَدَّرُ الْمِيمِيُّ ؛ لِكُونِهِ مَبْتَدَأً بِمِيمٍ زَائِدَةٍ ، لَا خِلَافَ فِي كُونِهِ مُصَدَّرًا ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي كُونِهِ مُشْتَقًّا مِنَ الْمُجَرَّدِ عَنِ الْمِيمِ ، أَوْ مُرَادفًا لَهُ .

وَمَبْنَى الْأَوَّلِ عَلَى أَنَّ الْاِشْتِقَاقَ لَا يَلْزَمُ أَنْ يُغَيَّرَ الْمَعْنَى ، وَمَبْنَى الثَّانِي عَلَى ذَلِكَ .

وَضَابِطُهُ لَتَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ النُّطْقِ بِهِ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُصَدَّرًا لِمِثَالِ حُذِفَتْ فَاؤُهُ فِي الْمَضَارِعِ وَصَحَّحَتْ لَامُهُ . . فَهُوَ بِكَسْرِ عَيْنِهِ ؛ كَمَوْعِدٍ ل (وَعَدَ) وَمَوْئِلٍ ل (وَآلَ) تَقُولُ : وَعَدَنِي زَيْدٌ مَوْعِدًا لَمْ يُخْلِفْهُ ، كَمَا تَقُولُ : وَعَدَنِي وَعَدًا .

وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ بِفَتْحِ عَيْنِهِ ؛ كَمَنْظَرٍ ، وَمَضْرَبٍ ، وَمَجْلَسٍ ، وَمَفْرَحٍ ، وَمَكْرَمٍ ، وَمَوْجَلٍ ، وَمَيْسِرٍ ، وَمَعْلَى ، وَمَرْمَى ؛ تَقُولُ : رَمَيْتُ مَرْمَى زَيْدٍ ؛ عَلَى مَعْنَى : رَمَيْتُ مَرْمَى مِثْلَ مَرْمَى زَيْدٍ ؛ كَمَا تَقُولُ : رَمَيْتُ مِثْلَ رَمَى زَيْدٍ ، فَهُوَ عَلَى مَعْنَى تَمَثِيلِ الْفِعْلِ الصَّادِرِ مِنْكَ بِالْفِعْلِ الصَّادِرِ مِنْهُ .

وَقَدْ سُمِعَ مَا يُخَالِفُ هَذَا الضَّابِطَ فِي قَلِيلٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ ، فَيُلْتَزَمُ الْمَسْمُوعُ ؛

(١) سورة الحاقة : (٨) .

كَلْفِظٍ (مَعْرِفَةٍ) بِكسْرِ الرَّاءِ ، وَالضَّابِطُ يَقْتَضِي فَتْحَهَا ، وَ(مَقْدَرَةٌ) بِتَثْلِيثِ الدَّالِ ، وَالْمَوَافِقُ الْفَتْحُ .

وَلَوْجُودِ الشَّوَادِ لَمْ تَتَمَّ جَمِيعُ الْقَوَانِينِ ، فَأَنْتَ بَعْدُ مُفْتَقِرٌ لِلْكَشْفِ فِي كِتَابِ مَتَنِ اللُّغَةِ عَنِ الْمَصْدَرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَسْتَعْمَلَهَا لِتَعْرِفَ صَوْرَتَهَا ، وَلَكِنْ لَوْضِعِ الْقَوَانِينِ فَوَائِدُ سَبَقَ تَنْبِيْهُكَ لَهَا .

النوع الثاني

مصادر الأفعال الرباعية

لِلرَّبَاعِيِّ الْمُجَرَّدِ وَمَا أُلْحِقَ بِهِ - إِلَّا نَحْوَ : زَلَزَلَ وَقَلْقَلَ وَيَخْبَخ - : وَزَنْ وَاحِدٌ ؛ هُوَ (فَعْلَلَةٌ) كَدَخَرَجَ دَخَرَجَةً ، وَحَوَقَلَ حَوَقَلَةً ، وَبَيَطَرَ بَيَطْرَةً .

وَأَمَّا نَحْوُ : (زَلَزَلَ) .. فَلَهُ وَزنانِ : هُمَا (فَعْلَلَةٌ) بِفَتْحِ فَسْكَوْنِ فَفَتْحِ ، وَ(فِعْلَالٌ) بِكسْرِ فَسْكَوْنِ ؛ كَزَلَزَلَ زَلَزَلَةً وَزَلَزَالًا ، وَوَسَّوَسَ وَسَّوَسَةً وَوَسَّوَسًا ؛ قِيلَ : وَيُفْتَحُ هَذَا ، وَقِيلَ : هُوَ حِينْئِذٍ غَيْرُ مَصْدَرٍ ، بَلِ اسْمٌ مَوْضُوعٌ لِذَلِكَ الْمَعْنَى .

وَلِمَهْمُوزِ الثَّلَاثِيِّ ؛ كَأَسْلَمَ وَأَمَنَ : (الإفعال) كَأَسْلَمَ إِسْلَامًا ، وَأَمَنَ إِيمَانًا ، وَأَحْسَنَ إِحْسَانًا ، لَكِنْ إِذَا كَانَتْ فَاءُ (الإفعال) هَمْزَةً كَالْإِيمَانِ .. قُلِبَتْ يَاءٌ ، وَإِذَا كَانَتْ وَاوًا .. فَكَذَلِكَ ؛ كَأَوْصَى إِيْصَاءً ، وَأَوْغَلَ إِيْغَالًا ، وَأَوْعَدَ إِيْعَادًا .

وَإِذَا كَانَتْ عَيْنٌ فَعَلِهِ مُبَدَلَةٌ أَلْفًا .. حَذَفَتْ مِنْهُ أَلِفَ (الإفعال) وَجِئَتْ بَعْدَهُ بَتَاءٌ هِيَ عَوْضٌ مِنْهَا ، فَيَكُونُ وَزْنُ الْمَصْدَرِ (إِفْعَلَةٌ) بِكسْرِ فَفَتْحِ فَسْكَوْنِ ؛ كَأَقَامَ إِقَامَةً ، وَأَجَازَ إِجَازَةً ، وَأَبَانَ إِبَانَةً ، وَيُقَالُ فِي تَصْرِيفِهِ : أَصْلُ (إِبَانَةٍ) مِثْلًا : إِبْيَانٌ كِإِكْرَامٍ ، نُقِلَتْ فَتَحَةُ الْيَاءِ إِلَى الْبَاءِ وَأُبْدِلَتْ أَلْفًا ، وَحُذِفَتْ أَلِفُ

الإفعال ، وَعَوِضَ مِنْهَا التَّاءُ ؛ وَذَلِكَ لِخِفَةِ اللَّفْظِ وَيَعْدُبُ ؛ إِذْ كَانَ وَضَعُ اللَّغَةِ عَلَى مَلَاةِ الْمَنْطِقِ وَرِشَاقَةِ اللَّفْظِ .

وَإِذَا كَانَتْ لَامُ فِعْلِهِ مُبْدَلَةً أَلْفَاءً . . صَارَتْ فِيهِ هَمْزَةٌ ؛ كَأَحْلَى إِحْلَاءً ، وَأَلْقَى إِقَاءً ، وَأَبْقَى إِبْقَاءً .

وَلْمُضَعَّفِ الْعَيْنِ : (التَّفْعِيلُ) بفتح فسكونٍ فكسرٍ فسكونٍ ؛ كَسَبَحَ تَسْبِيحًا ، وَجَرَّبَ تَجْرِبِيًّا ، لَكُنْ إِذَا كَانَتْ لَامُ فِعْلِهِ مُعْتَلَّةً . . حُذِفَتْ مِنْهُ يَاءُ التَّفْعِيلِ ، وَعَوِضَ مِنْهَا تَاءٌ بَعْدَهُ ، فَوَزْنُهُ (تَفْعَلَةٌ) بفتح فسكونٍ فكسرٍ ؛ كَزَكَّى تَزْكِيَّةً ، وَرَبَّى تَرْبِيَّةً ، وَحَلَّى تَحْلِيَّةً ، وَسَمِعَ هَذَا التَّغْيِيرُ فِي بَعْضِ الصَّحَائِحِ ، فَلَا يَتَجَاوَزُ الْمَسْمُوعَ ؛ كَتَجْرِبَةٍ وَتَكْرِمَةٍ .

وَمِثْلُ مُعْتَلِّ اللَّامِ مَهْمُوزُهَا ؛ مِثْلُ : جَزَأَ تَجْزِئَةً ، وَوَطَأَ تَوَطُّئَةً ، وَبَرَأَ تَبْرِئَةً .
وَلِ (فَاعِلٌ) كضَارَبَ وَخَاصَمَ : مُصَدِّرَانِ : (فِعَالٌ) بِكسْرِ أَوَّلِهِ ، وَ (مُفَاعَلَةٌ) ؛ كَعِيَانٍ وَمُعَايِنَةٍ ، وَخِصَامٍ وَمُخَاصِمَةٍ ، لَكُنْ إِذَا كَانَتْ فَاؤُهُ يَاءً ؛ كَيَاوَمَ وَيَاوَمَنَ وَيَاسَرَ . . التَّرِيمَ الثَّانِي وَتَرِكَ الْأَوَّلَ ؛ لِثِقَلِهِ ؛ كَمِيَاوَمَةٍ ، وَمِيَاوَمَةٍ ، وَمِيَاسِرَةٍ .

وَإِذَا كَانَتْ لَامُهُ مُعْتَلَّةً . . فَهِيَ فِي الْأَوَّلِ هَمْزَةٌ ، وَفِي الثَّانِي أَلْفٌ ؛ كَوَالِي وَوَالِيٍّ وَمُوَالَاةٍ ، وَجَارِيٍّ جِرَاءً وَمُجَارَاةٍ .

النوع الثالث

مصادر الخماسي

لِ (تَفْعَلَلٌ) نَحْوُ : تَدَخَّرَجَ ، وَتَشَيْطَنَ : (التَّفَعُّلُ) بفتح أوله وثانيه وسكونِ ثالثه وضمِّ رابعه ؛ كالتَّدَخُّرِجِ ، وَالتَّشَيْطِنِ .

وَلِ (تَفَعَّلَ) نَحْوُ : تَصَبَّرَ ، وَتَكَلَّمَ : (التَّفَعُّلُ) بفتح أوله وثانيه وضمِّ

ثالثه مُشَدِّدًا إن لم تكن لامه مُعْتَلَّةً ، فإن كانت .. كُسِرَ ؛ فالأولُ : كَتَصَبَّرِ
وتكَلَّمْ ، والثاني : كَتَدَلَّى تَدَلِّيًا ، وتَأَلَّى تَأَلِيًا ، وتَأَنَّى تَأَنِيًا .

ول (تَفَاعَلَ) : كَتَغَافَلَ وَتَقَاصَرَ : (التَّفَاعُلُ) بضم ما قبل آخره إن لم
يكن الآخر مُعْتَلًا ، وإلا .. كُسِرَ ؛ كَتَغَافَلَ وَتَدَاخَلَ ، والتَّغَابَى والتَّدَانَى
والتَّقَاضَى ^(١) ، وإن كان الآخر وما قبله من جنس واحد .. سَكَنَتْ وأدغَمَتْ
كما هو الواجب في مثله ؛ كَتَحَابَ ، وتَوَادَّ ، وتَشَادَّ .

ول (أنفعل) كانطلق : (الأنفعال) كالانطلاق .

وإذا كانت لامه مُعْتَلَّةً .. أُبدِلَتْ همزة ؛ كالأنجلاء ، والأنطواء ، والأنضواء .

ول (أفتعل) كاقترَدَ : (الأفتعال) كالاقتدار .

وإذا كانت لامه مُعْتَلَّةً .. أُبدِلَتْ همزة ؛ كالأصطفاء ، والافتداء ، والاختباء .

وإذا كانت فائوه واواً أو ياءً .. أُبدِلَتْ تاءٌ وأدغَمَتْ في تاءٍ (الأفتعال) كما
فَعَلَتْ بفعليه ؛ كاتَّقَاءٍ واتِّكَالٍ واتِّسَارٍ .

ول (أفعَلَّ) كاحمَرَّ الذي أصله قبل الإدغام الواجب في مثله احمَرَّرَ ،
وارعوى الذي أصله قبل الإبدال الواجب في مثله ارعَوِي : (الأفعلال) بكسرٍ
فسكونٍ فكسِرٍ ؛ كاحمَرَّ وأصفرارٍ .

وإذا كانت لامه مُعْتَلَّةً .. أُبدِلَتْ همزة ؛ كارعواء .

النوع الرابع

مصادر السداسي

ل (أستفعل) كاستخرج : (الأستفعال) كاستخراج واستمهال .

(١) هذه المفردات الثلاثة مكانها في الأصل بعد قوله : (وتشاد) .

وإذا كانت فائزاً وواواً . . أُبدلت ياءً ؛ كاستوعداً استيعاداً ، واستولى استيلاءً .
وإذا كانت عينُ فعلِهِ مُبدلةً أليفاً . . حُذفت أليفاً الاستفعالِ ، وعوضَ منها
تاءً لزوماً ؛ كاستعانةً ، واستقامةً ، واستطالةً .

وإذا كانت لامُهُ مُعتلةً . . أُبدلت همزةً ؛ كاستبقاءً ، واستيفاءً ، واستهداءً .
ولنحو (أخشوشن) الاخشيشان ؛ بكسر فسكونٍ فكسرٍ ، وإبدالِ الواوِ ياءً .
وإذا كانت لامُهُ مُعتلةً . . أُبدلت همزةً ؛ كاعيراءٍ .

ولمصادرِ الأفعالِ المبدوءةِ بهمزةِ الوصلِ ضابطٌ ؛ وهو أن المصدرَ كالفعلِ
الماضي ، غيرَ أنه يُكسرُ ثالثُهُ ، وإذا كانت بعده أليفاً أو واوً . . أُبدلت ياءً ،
ويُزادُ قبلَ آخرِهِ أليفاً ، وإذا كانت لامُهُ مُعتلةً . . أُبدلت همزةً .
ومن وعى صورَ الأفعالِ . . لم يصعبَ عليه تمثيلُ المصادرِ .

تكملة

[في صيغتي المَرَّةِ والهِئَةِ]

بنيانٍ إحداهما توازن (فَعَلَةً) بفتح فسكونٍ ، والثانيةُ توازن (فِعْلَةً)
بكسرٍ فسكونٍ . . يُصوَّرُ بهما كلُّ مصدرٍ فعلٍ ثلاثيٍّ لم يكن وضعُهُ على
إحداهما :

الأولى : تُذكرُ بعدَ الفعلِ للدلالةِ على حصولِهِ مَرَّةً .

والثانيةُ : للدلالةِ على هيئةِ الفعلِ حالَ صدورِهِ مِنْ فاعلِهِ .

تقولُ : زارني زيدٌ زورةً ، وجلسَ جلسةً ، وفرِحَ فرحةً ، وتقولُ : مشى مشيةً
الأمراءِ ، وهو حسنُ السيرةِ ، وخاتمٌ جيّدُ الصيغةِ ؛ بإبدالِ الواوِ ياءً كما هو
الواجبُ في مثله ؛ كقيمة .

فإذا كان وضع المصدرِ على (فَعَلَةٍ) كَرَحْمَةٍ ، أو (فِعْلَةٍ) كِنَشْدَةٍ . .
دَلَّتْ على المَرَّةِ والهِئَةِ بما يفيدُ ذلك ؛ تقولُ : رَحِمَ رَحْمَةً واحدةً ، ونَشَدَ
الضَّالَّةَ نَشْدَةَ المَنادِي ، كما هو الحالُ إذا أَرَدتِ الدَّلالةَ على الهِيئَةِ مِنْ غيرِ
الثَّلَاثِيَّاتِ ؛ تقولُ : عَظَّمْتُهُ تعَظِيمَ العِنايةِ والاحتِفالِ ، أو تعَظِيمًا قَويًّا .

وأما الدَّلالةُ على المَرَّةِ مِنْ غيرِ الثَّلَاثِيَّيِّ . . فبِالْحاقِ التَّاءِ للمصدرِ المشهورِ
لِلْفِعْلِ ؛ كعَظَّمْتُهُ تعَظِيمَةً ، وأكرَمْتُهُ إِكرامَةً ، فإن كانَ المصدرُ مَخْتومًا بالتَّاءِ ؛
كإِقامةٍ ودَحْرَجَةٍ . . دَلَّتْ على المَرَّةِ بلفِظِ (واحدةٍ) .

وَمِنَ الشَّاذِّ : قولُهُمْ : اعْتَمَّ عِمَّةَ الأعرابِيِّ ، وتَقَمَّصَ قِمَصَةَ الرُّعَاةِ ،
واخْتَمَرَتْ خِمْرَةَ الحَضِرِ ، وانْتَقَبَتْ نِقْبَةً حَسَنَةً ؛ إذ لم تَكُنِ الأفعالُ ثُلَاثِيَّةً
كما هو شرطُ البِنِيَةِ .



بيان اسم الفاعل^(١)

كُلُّ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ مُتَعَدٍّ مُطْلَقاً أَوْ لَازِمٍ لَيْسَ مِنْ بَابِ (فَرِحَ) أَوْ (كَرَّمَ) ..
فاسمُ الفاعلِ منه يوازنُ (فاعِلاً) كناصرٍ مِنْ نَصَرَ ، وضارِبٍ مِنْ ضَرَبَ ،
وفاتِحٍ مِنْ فَتَحَ ، وحافظٍ مِنْ حَفِظَ ، ووارِثٍ مِنْ وَرِثَ .

فإذا كانت عينُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً ؛ كقامٍ وباعٍ .. فهي فيه همزةٌ ؛ كقائمٍ
وبائعٍ .

وإذا كانت لامُ فعلِهِ مُعتلَّةً .. فهي فيه ياءٌ تُحذفُ لوقوعِ ساكنٍ بعدها ؛
كقاضيٍ وداعٍ ، وقاضيِ البلدِ ، وداعيِ الخيرِ ، والقاضيِ والداعيِ .

وتلحقُهُ التاءُ في الأوصافِ المُشتركةِ بينَ الذكورِ والإناثِ للفرقِ ؛ كقائمٍ
وقائمةٍ ، ولا تلحقُ الأوصافِ المُختصةَ بالإناثِ لعدمِ الحاجةِ ؛ كحائضٍ ،
وامرأةٍ حاملٍ وحائِلٍ وفاركٍ .

والغرضُ منِ اسمِ الفاعلِ : الدلالةُ على أنَّ صاحِبَهُ مُتلبِّسٌ بإيجادِ الفعلِ
وإحداثِهِ ، فهو بمنزلةِ المضارعِ الحاليِّ وقائمٍ مقامَهُ ؛ بحيثُ يصحُّ وضعُ كلِّ
مكانٍ الآخرِ ، فيحصلُ المعنى المقصودُ ، أو الدلالةُ على أنَّه سيتلبَّسُ أو
سوفَ يتلبَّسُ بالفعلِ ، فهو بمنزلةِ المضارعِ الاستقباليِّ كذلك .

مثلاً : يسألكَ سائلٌ : ما حالُ زيدٍ الآنَ ؟ فتقولُ : ها هو ذا قائمٌ ، أو يقومُ ،
حالٌ ما هو آخذٌ في نصبِ أعضائِهِ والهويِّ برأسِهِ إلى جهةِ الفوقِ .

أو : ما يفعلُ زيدٌ غداً ؟ فتقولُ : هو راكبٌ فرسهُ ، ومُسبقٌ الفُرسانَ ، أو
يركبُ ويُسبقُ .

(١) انظر «شذا العرف» (ص ١٣١) .

ويُقَالُ لِاسْمِ الْفَاعِلِ فِي هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ : اسْمُ الْفَاعِلِ الَّذِي يَحُلُّ مَحَلَّهُ
الْفِعْلُ .

وقد يُذَكَّرُ لتعيينِ موصوفِهِ ؛ حيثُ يكونُ سبقَ عهدُهُ بِهِ ؛ كما تقولُ :
هَذَا سَائِلُكَ أَمْسٍ ، وَيُسَمَّى حَيْثُ : اسْمُ الْفَاعِلِ الَّذِي يَحُلُّ مَحَلَّهُ الْمَوْصُولُ
وَصَلَّتُهُ ؛ فَإِنَّهُ فِي مَعْنَى : هَذَا الشَّخْصُ الَّذِي سَأَلَكَ أَمْسٍ وَعَرَفْتَهُ بِذَلِكَ .

[اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ غَيْرِ الثَّلَاثِيَّ]

وَكُلُّ فِعْلٍ غَيْرِ ثَلَاثِيٍّ فَاسْمُ الْفَاعِلِ مِنْهُ : يَوَازُنُ مَضَارِعَهُ ، غَيْرَ أَنَّ اسْمَ
الْفَاعِلِ مَبْدُوءٌ بِمِيمٍ مَضمومَةٍ مَكسورٍ مَا قَبْلَ آخِرِهِ مَطْلَقاً ؛ كَمُدْحِرِجٍ ، وَمُكْرِمٍ ،
وَمُعْظِمٍ ، وَمُخَاصِمٍ ، وَمُنْطَلِقٍ ، وَمُقْتَدِرٍ ، وَمُتَغَابِلٍ ، وَمُسْتَخْرِجٍ ، وَهَكَذَا .



بيان اسم المفعول^(١)

كُلُّ فِعْلٍ غَيْرِ ثَلَاثِيٍّ فَاسْمُ الْمَفْعُولِ مِنْهُ يُوَازِنُ اسْمَ فَاعِلِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يُفْتَحُ مَا قَبْلَ آخِرِهِ ؛ كَمُدْحَرَجٍ ، وَمُنْتَضِرٍ ، وَمُسْتَحْرَجٍ .

وَكُلُّ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ فَاسْمُ الْمَفْعُولِ مِنْهُ يُوَازِنُ (مَفْعُولًا) ؛ كَمَخْلُوقٍ ، وَمَرْزُوقٍ ، وَمَوْجُودٍ ، وَمَقْصُودٍ ، وَمَفْرُوحٍ بِهِ ، وَمَفْرُوعٍ مِنْهُ .

وَإِذَا كَانَتْ عَيْنُهُ وَآوَاءً . . نُقِلَتْ ضَمَّتُهَا إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا ، فَتَبْقَى سَاكِنَةً ، وَتُحَذَفُ إِحْدَى الْوَائِيْنِ ؛ كَمَصُونٍ وَمَقُولٍ .

وَإِذَا كَانَتْ عَيْنُهُ يَاءً . . نُقِلَتْ الضَّمَّةُ وَحُذِفَتِ الْوَائُ ، وَأُبْدِلَتِ الضَّمَّةُ كَسْرَةً ؛ لِلْفَرْقِ بَيْنَ ذَوَاتِ الْيَاءِ وَذَوَاتِ الْوَائِ ؛ كَمَبِيعٍ وَمَدِينٍ .

وَتَمِيمٌ تُصَحِّحُ هَذَا ؛ فَيَقُولُونَ : مَبِيعٌ وَمَدْيُونٌ ، وَعَلَيْهِ لِسَانُ مِصْرَ ، قَالَ شَاعِرُ تَمِيمٍ^(٢) :

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ
مِنْ عَانَهُ ، فَهوَ عَائِنٌ ، وَذَاكَ مَعْيُونٌ ، أَصَابَهُ بَعِينُهُ .

وَإِذَا كَانَتْ لَامُهُ وَآوَاءً . . سَكَنَتْ وَآوُ مَفْعُولٍ سُكُونًا مُقَيَّدًا ، وَأُدْغِمَتْ ، وَشَدَّ قَلْبُ الْوَائِيْنِ يَاءَيْنِ ، وَإِبْدَالُ الضَّمَّةِ كَسْرَةً ، كَمَا هُوَ لِسَانُ مِصْرَ ، قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ^(٣) :

وَقَدْ عَلِمْتُ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَنَّنِي كَمَا النَّاسِ مَعْدِيًّا عَلَيَّ وَعَادِيًّا

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٣٥) .

(٢) هو العباس بن مرداس ، كما في « ديوانه » رضي الله عنه (ص ١٥٦) .

(٣) انظر « الكتاب » لسيبويه (٣٨٥/٤) .

مِنْ عَدَا عَلَيْهِ يَعْدُو ، وَالْفَصِيحُ : مَعْدُوٌّ عَلَيْهِ ؛ كَمَدَعَوْ وَمَقْلَوْ .
وَإِذَا كَانَتْ لَامُهُ يَاءً . . أَبَدَلْتُ وَאוُ مَفْعُولِ يَاءً ، وَأُدْغِمْتُ ، وَأَبَدَلْتُ الضَّمَّةُ
كسرةً ؛ كَمَرَمِيٍّ وَمَرَضِيٍّ .

[أَلْفَاظٌ عَلَى وَزْنِ (فَعِيلٍ) بِمَعْنَى أَوْزَانٍ أُخْرَى]

وَقَدْ جَاءَتْ أَلْفَاظٌ كَثِيرَةٌ تَوَازُنُ (فَعِيلًا) تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ) ، وَلَا
يُفْرَقُ فِيهَا بَيْنَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤنَّثِ غَالِبًا ؛ كَقَتِيلٍ ، وَجَرِيحٍ ، وَكَحِيلٍ .
وَكَذَا وَرَدَتْ أَلْفَاظٌ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى (مُفْعَلٍ) اسْمَ مَفْعُولٍ ؛ نَحْوُ : حَكِيمٍ ،
وَأَلْفَاظٌ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى (مُفَاعِلٍ) كَسَمِيرٍ وَخَلِيطٍ وَجَلِيسٍ ، وَبِمَعْنَى
(فَاعِلٍ) كَقَدِيرٍ وَعَلِيمٍ ، وَبِمَعْنَى (مُفْعَلٍ) اسْمَ فَاعِلٍ نَحْوُ : أَبْدَعَ ؛ كَبَدِيعٍ
وَحَكِيمٍ وَسَمِيعٍ ، وَنَدَرَ هَذَا ، حَتَّى نَفَاهُ الْكَثِيرُ ، وَمَنْ أَثْبَتَهُ . . عَدَّ مِنْهُ اثْنِي
عَشَرَ لَفْظًا .



بيانُ الصفة (١)

الأوصافُ مِنْ (بابِ كَرَمٍ) وكذا مِنْ (بابِ فَرِحَ) اللّازمِ .. تُسمَّى : صفاتٍ مُشَبَّهَةٌ ، ولا يُقالُ لها : اسمُ فاعلٍ ؛ وذلكَ لأنَّها لإفادةِ الأوصافِ باعتبارِ قرارِها وثبوتِها لمَحالِّها ، مِنْ غيرِ نظرٍ إلى حدوثِ وتجدُّدِ كما هو المُعتَبَرُ في حقيقةِ اسمِ الفاعلِ ؛ بحيثُ لا يَصِحُّ أن تُوضَعَ الأفعالُ مكانَ تلكَ الصفاتِ ، حتى لو أُريدَ أن يُفادَ بها معنى الحدوثِ والتجدُّدِ .. وجبَ رُدُّها إلى زِنَةِ فاعلٍ .

مثلاً : إذا قلتَ : زيدٌ حسنُ الوجهِ ، كانَ المعنى : زيدٌ لَهُ صِفَةُ الحسَنِ ، لا أَنَّها حدثتْ أو تحدثُ ، فلو قلتَ : حَسَنَ وجهُهُ أو يَحسُنُ .. فاتَ الغرضُ المقصودُ ، وتَبَدَّلَ المعنى ، فلو أردتَ هذا المعنى الفعليَّ .. قلتَ : زيدٌ حاسنٌ وجهُهُ ؛ لاستعمالِ الأغذيةِ اللَّطيفةِ والأدويةِ المُنَصِّرةِ ، فهوَ على معنى : آخِذٌ وجهُهُ في الحُسَنِ لذلكَ ؛ بحيثُ يَصِحُّ أن تقولَ : زيدٌ يَحسُنُ وجهُهُ .
وكلُّ وصفِ فاعلٍ أو مفعولٍ استُعْمِلَ بهذا المعنى المشروحِ لأوصافِ هذَينِ البابينِ .. فهوَ مِنَ الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ .

الأوصافُ مِنْ بابِ (كَرَمٍ)

منها ما جاءَ على وزنِ (فَعَلٍ) بفتحِ فسكونٍ ؛ كضَحْمٍ وشَهْمٍ ، ومنها ما جاءَ على وزنِ (فَعِيلٍ) بفتحِ فكسرةٍ ؛ كجَمِيلٍ وظَرِيفٍ ، وهذانِ الوزنانِ يقتسمانِ حَسَبَ السماعِ أكثرَ أوصافِ البابِ .

ومنها ما وردَ بأوزانٍ أُخرَ كضَلْبٍ بضمِّ فسكونٍ ، وبَطَلٍ بفتحَتينِ ، وشَجَاعٍ وجَبَانٍ .

(١) انظر «شذا العرف» (ص ١٣٨) .

والفرقُ بينَ الإناثِ والذُّكورِ في هذه الأوصافِ بالتاء .

الأوصافُ مِنْ بابِ (فَرِحَ)

جاءتْ أوصافُ هذا البابِ على ثلاثةِ أنواعٍ :

- النوعُ الأوَّلُ : يوازنُ (فَعِلَاءً) بفتحِ فكسِرٍ ، ويؤنَّثُ بالتاءِ ؛ كَفَرِحٍ وَطَرِبٍ وَبَطِرٍ وَأَشِرٍ .

- النوعُ الثاني : يوازنُ (أَفْعَلًا) بفتحِ فسكونٍ ففتحِ للمُذَكَّرِ ، و(فَعَلَاءً) بفتحِ فسكونٍ وفي آخِرِهِ همزةٌ للمؤنَّثِ ؛ كأحمرَ وحمراءَ ، وأجهرَ وجهراءَ .

- النوعُ الثالثُ : يوازنُ (فَعْلانَ) بفتحِ فسكونٍ للمُذَكَّرِ ، و(فَعْلانِي) بفتحِ فسكونٍ وآخِرُهُ أَلِفٌ للمؤنَّثِ ؛ كغضبانَ وَغَضْبِي ، وسكرانَ وَسَكْرِي .

ولهذه الأنواعِ ضابطٌ به تُمَيِّزُ بينَ مواضعِها :

فالأوَّلُ : في أحوالٍ تَحْصُلُ وَيَسْرَعُ زوالُها عادةً ؛ كالْفَرِحِ وَالطَّرِبِ وَالْأَشِرِ .

والثاني : في صفاتٍ وضعُها على البقاءِ ؛ وهو دائِرٌ بينَ الألوانِ والعيوبِ والحِلْيِ ؛ كالحُمرةِ والصُّفْرةِ ، والحُمقِ والعمى ، والهَيْفِ والغَيْدِ .

والثالثُ : في أمورٍ بطيئةِ الزوالِ ؛ كالرَّيِّ والعَطَشِ ، والجُوعِ والشَّبَعِ ، والسُّكْرِ والغَضَبِ ، وتسميةُ هذه الأوصافِ صفاتٍ مُشَبَّهَةٌ يُذَكَّرُ سببُهُ في النحوِ^(١) .



(١) انظر (١/٤٧٥) .

بيان اسم زمان الفعل واسم مكانه من مادته (١)

صيغتهما واحدة ؛ فإن كانا من غير الثلاثي . . فهي كصيغة اسم المفعول منه ، وكذلك مصدره الميمي ، فالصيغة مشتركة بين أربعة أشياء ؛ تقول : استخرجت الذهب من المعدن صباحاً مستخرجاً حسناً ، فالذهب مستخرج ، والصبح مستخرج ؛ أي : وقت استخراجِه ، والمعدن مستخرجُه أيضاً ؛ أي : مكان استخراجِه .

وقولك : (مستخرجاً حسناً) بمنزلة قولك : (استخراجاً حسناً) ، فهو مصدره ، ومنه قول الشاعر (٢) :

[من الكامل]

أَظْلُومٌ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا رَدَّ السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمٌ
معناه : إن إصابتكم بالمكروه رجلاً حياًكم وسلّم عليكم . . ظلم منكم له .

وإن كان من الثلاثي . . فهما على زنة (مفعلي) فإذا كان مضموم عين المضارع ، أو مفتوحها ، أو معتل اللام . . فتحت عينه ؛ كمنصرٍ ومنظرٍ ، ومفتحٍ ومفرحٍ ومطرحٍ ، ومزومٍ ومدعىٍ ومسعىٍ .

وإن كان مكسور عين المضارع ، أو كان فعله مثلاً واوياً ، أو يائياً . . كسرت عينه ؛ كمضربٍ ومجلسٍ ، وموعِدٍ وموئِلٍ ومَوْضِعٍ ومَوْجِلٍ ، وميسِرٍ .

وما جاء على خلاف ذلك ؛ ك (مسجِدٍ) بالكسر ، و (مشرَبَةٍ) بالضم ،

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٣) .

(٢) هو للعرجي ، وانظر خبره في « مغني اللبيب » (٦٩٧/٢) .

وَحَقُّهُمَا الْفَتْحُ ؛ لِكَوْنِ مِضَارِعِهِمَا مِضْمُومَ الْعَيْنِ فِي الْأَوَّلِ ، وَمِفْتَوحَهَا فِي
الثَّانِي . . فَإِنَّهُ جُعِلَ اسْمًا لِلْمَوْضِعِ الْمُعَدِّ لِلْفِعْلِ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ فِيهِ الْفِعْلُ ،
أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا بَنَيْتَ بَيْتًا لِلْعِبَادَةِ . . كَانَ اسْمُهُ مَسْجِدًا وَإِنْ لَمْ يَسْجُدْ فِيهِ
أَحَدٌ ؟!

وَأَمَّا اسْمُ مَكَانِ الْفِعْلِ الْمَضْبُوطِ . . فَهَوَّ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْفِعْلُ ،
فَإِذَا أَرَدْتَ مِنْ لَفْظِ الْمَسْجِدِ هَذَا الْمَعْنَى . . فَتَحَتَ عَيْنُهُ ، كَمَا تَقُولُ :
(اسجُدْ مَسْجِدَ زَيْدٍ . . تَعُدُّ عَلَيْكَ بَرَكَّتُهُ) فَمَعْنَاهُ : فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي سَجَدَ
فِيهِ زَيْدٌ .



بيان اسم آله الفعل^(١)

آله الفعل التي وقع بها يكون اسمها على وزن (مِفْعَلٍ) بكسر فسكون
فتفتح ، أو (مِفْعَالٍ) بزيادة الألف ؛ كمِفْصَلٍ ، ومِفْصَدٍ ، ومِبْضَعٍ ، ومِقْوَلٍ ،
ومِقْوَدٍ ، ومِخِيطٍ ، ومِسْبَرٍ ، ومِسْبَارٍ ، ومِهْمَازٍ ، ومِخْيَاطٍ .
وتلحقه التاء ؛ كمِنْسَاءٍ ، ومِكنَسَةٍ ، ومِقْرَعَةٍ .

ولا يُغَيَّرُ مِنْ أَسْمَاءِ الآلَةِ ما عِندَهُ واوٌ أو ياءٌ كما رأيتَ ، على خلاف
قاعدة : (أَنَّهُ إِذَا تَحَرَّكَتِ الواوُ أوِ الياءُ وَسَكَنَ ما قَبْلَهُما . . نُقِلَتْ حَرَكَتُهُما
إِلَيْهِ ، وَبَقِيَتَا ساكِنَتَيْنِ ، سكوناً مرسلاً ، أو أُبْدِلتا أَلْفاً) كما سبق التصريحُ به
في مواضع ، والإشارةُ إليه في غيرها^(٢) .

وكما استثنيتُ مِنْ هَذِهِ القاعدةِ أَسْمَاءَ الآلاتِ . . اسْتُثْنِي مِنْها نحوُ : أبيضٌ ،
وأَسودٌ ، وأَبيضٌ وأَسودٌ ، وأَقومٌ وأَفِيحٌ ، لكنْ إِذا كانَتْ فاءُ الكَلِمَةِ واوًا . .
أُبدِلتْ ياءٌ كما هو شأنُ كلِّ واوٍ وَقَعَتْ إِثرَ كسرةٍ ؛ كِمِزانٍ ومِقاتٍ مِنْ الوزنِ
والوقتِ ، وَدِيمَةٍ وقِيمَةٍ وقِيامٍ مِنْ يدومٌ ويقومُ .



(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٧) .

(٢) انظر (١/١٩٢ ، ٣٠٠) .

بيان اسم التفضيل^(١)

هو اسم يوازن (أفعل) بفتح فسكون ففتح ، وكما يُسمَى اسم تفضيلٍ . .
يُسمَى : (أفعل من) .

وهذه الصيغة للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فيها ، والزائد مُفضَّلٌ ، والآخر مُفضَّلٌ عليه ، وهو الذي يُقرَنُ بـ (من) .
ثم لا تكون هذه الصيغة إلا لفاعلٍ ، ثلاثيٍّ ، مُتفاوتٍ قُوَّةً وضعفاً أو قِلَّةً وكثرةً ، مُتصرِّفٍ ، مُثَبَّتٍ ، ليس وصفه على وزن (أفعل) ولا على صورة فعلٍ المجهولٍ ، ولا من الأفعال الناقصة .

لأن غير الثلاثي لا تُمكن فيه الصيغة ، وغير المُتفاوت لا يزيد فيه شيءٌ عن شيءٍ ، والجامد لا يُصاغ منه شيءٌ ، والمنفي مُركَّبٌ مع أداة النفي ، وما وصفه على (أفعل) مشغولٌ بهذه الصيغة لغير معنى التفضيل ، وما على صورة فعلٍ المجهولٍ يُؤدِّي للإلباس ، والأفعال الناقصة لم يُقصد بها إفادة إحداثها .

ومن الشواذ قولهم : (أشغل من ذات النحيين) ، و (زيدٌ أشهر من عمرو)
فإن معناه : أقوى مشغوليَّةً ومشهوريَّةً ؛ فهو من فعلٍ المجهول .

وقال أهل الكوفة : يُصاغ اسمُ التفضيل من الأفعال التي وصفها يوازن
(أفعل) وعليه قولُ أبي الطيب المتنبي يُخاطبُ الشيب^(٢) : [من البسيط]

إبْعَدْ بَعِدَتْ بَيَاضاً لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٤٣) .

(٢) كما في « ديوان المتنبي » (ص ٢٤) .

وقيل: (كلامٌ أخصرُ) صوغاً من (اختَصَرَ) فعلٌ مجهولٌ خماسيٌّ ؛ ففيه شذوذان .

لكن أنت محتاجٌ إلى التفضيلِ فيما فقدَ بعضَ تلكَ الشروطِ ؛ فالطريقُ لذلكَ : أن تصوغَ اسمَ تفضيلٍ من نحوِ : (قوي) و(كثير) و(عظيم) و(زاد) ، ثم تأتي بمصدرِ الفعلِ المُمتنعِ صوغُ (أفعلَ منه) بعدَ ذلكَ ، مُبيناً بذلكَ أنَّه موضعُ التفضيلِ ؛ مثلاً تقولُ : زيدٌ أقوى إكراماً لعمرِو ، وأزيدُ اشتغالاً بالخيرِ ، وأكثرُ استخراجاً للفوائدِ ، وأقوى حمرةً .

ويقومُ مقامَ المصدرِ لفظُ مُركَّبٍ من : اسمِ فاعلٍ أو اسمِ مفعولٍ ، وياءٍ مُشدِّدةٍ تُسمَّى ياءَ النسبةِ ، وتاءٍ ؛ كضاربيَّةِ ، ومضروبيَّةِ ، ومُكْرَمِيَّةِ ؛ فتقولُ : (زيدٌ أكثرُ مُكْرَمِيَّةٍ بينَ الناسِ) مُتوصِّلاً بذلكَ لإفادةِ التفضيلِ في فعلٍ مجهولٍ ؛ لأنَّ معناهُ : أنَّ زيداَ أكرمُ وغيره أكرمُ ، من غيرِ تعرُّضٍ إلى بيانِ المكرمِ ، وزيدٌ أكثرُ من غيره في ذلكَ المعنى .



ثمَّ إنَّ اسمَ التفضيلِ له من جهةِ نطقه ثلاثُ حالاتٍ ، ومن جهةِ معناه ثلاثةُ استعمالاتٍ :

أما كِيفِيَّاتُ نطقه :

- فالأولى : أن تنطقَ به مُفْرَداً مُدْكَراً دائماً ، سواءً كانَ صفةً واحدٍ أو اثنين أو جماعةً من الإناثِ أو الذُكُورِ ؛ وذلكَ حيثُ تضيفُهُ إلى نكرةٍ ، أو تأتي بعدهُ بالمُفضَّلِ عليه مقروناً بـ (من) فتقولُ : زيدٌ أفضلُ رجلٍ ، والزيدانِ أفضلُ رجلينِ ، والزيدونَ أفضلُ رجالٍ ، وهندٌ أفضلُ امرأةٍ ، والهندانِ أفضلُ امرأتينِ ، والهنداتُ أفضلُ نساءٍ ، فتطابقُ الموصوفَ بالمُضافِ إليه وجوباً كما رأيتَ .

وتقولُ : زيدٌ أفضلُ من عمرو ، والزيدانِ أفضلُ منه ، والزيدونَ أفضلُ منه ،
وهندٌ أفضلُ من دعدٍ ، والهندانِ أفضلُ منها ، والهنداتُ أفضلُ منها .

- الحالةُ الثانيةُ : أن تَنطِقَ باسمِ التفضيلِ مطابقاً للمُفضَّلِ في التذكيرِ
والتأنيثِ ، والإفرادِ والتثنيةِ والجمعِ .

وتأنيثُ اسمِ التفضيلِ : أن تجعلهُ على وزنِ (فُعْلَى) بضمِّ فسكونٍ ؛
وذلكَ حيثُ تُعرِّفُ اسمَ التفضيلِ بـ (أَلْ) ، وحينئذٍ لا تأتي بـ (مِنْ) ، فتقولُ :
زيدٌ الأفضلُ ، والزيدانِ الأفضلانِ ، والزيدونَ الأفضلونَ أو الأفاضلُ ، وهندٌ
الفضلى ، والهندانِ الفضليانِ ، والهنداتُ الفضلياتُ أو الفضلُ .

- الحالةُ الثالثةُ : أن تَنطِقَ به كيفَ شئتَ ، مُطابِقاً أو غيرَ مُطابِقٍ ؛ وذلكَ
حيثُ يُضافُ لمعرفةٍ ؛ فتقولُ : الزيدونَ أفضلُ الرجالِ ، أو أفاضلُهُم ، وهندٌ
أفضلُ النساءِ ، أو فضلاهُنَّ ، وهكذا .

[استعمالُ اسمِ التفضيلِ]

وأما استعمالُهُ بحسَبِ المعنى :

- فالأوَّلُ : ما سَلَفَ شرحُهُ .

- والثاني : أن تفيدهُ به أن شيئاً زادَ في صفةِ نفسِهِ على شيءٍ آخرَ في
صفتِهِ ؛ فلا يكونُ المُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليه مُشترَكينِ في صفةٍ ، كما هو الحالُ
في الاستعمالِ الأوَّلِ ؛ كقولِهِمُ : (العسلُ أحلى مِنَ الخَلِّ) ، و (الصَّيفُ أحْرُ
مِنَ الشتاءِ) ، معناه : العسلُ زائدٌ في حلاوتِهِ على الخَلِّ في حموضتِهِ ، وعلى
هذا تأويلُ ما وردَ مِنْ ذلكَ .

- الاستعمالُ الثالثُ : أن تفيدهُ به ثبوتَ الوصفِ لمَحَلِّهِ ؛ فهو كاسمِ الفاعلِ
لم يُقصدْ تفضيلُ شيءٍ على شيءٍ ، وأهلُ العربيةِ يُمثَلونَ لذلكَ بقولِ بعضِ

العرب : (الأشجُّ والناقصُ أعدلا بني مروان) أي : هما العادلان ، ولا عدلَ في غيرهما .

وَمِنْ هَذَا الاسْتِعْمَالِ قَوْلُ الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ ^(١) : [من البسيط]
كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَضْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
أي : صغيرة الفواقع وكبيرتها ، وإلَّا . . لأفردَ وذَكَرَ ؛ لعدم التعريفِ
والإضافة لمعرفة .

تكملة

[في صيغ المبالغة]

كُلٌّ مِنَ الْفِعْلِ وَاسْمِ الْفَاعِلِ إِذَا نَسَبْتَهُ لِمُصَاحِبِهِ . . كَفَى فِي صَدَقِهِ حُصُولُهُ
مِنْهُ وَلَوْ مَرَّةً ؛ فَهُوَ يَحْتَمِلُ الْقِلَّةَ وَالكَثْرَةَ ، فَإِذَا أُرِدَتْ أَنْ تُنْصَرَ عَلَى الْكَثْرَةِ . .
ضَعَّفَتْ عَيْنَ الْفِعْلِ فَقُلْتُ فِي (ضَرَبَ) مِثْلًا : (ضَرَبَ) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ ، وَقَدْ
سَبَقَ ^(٢) ، وَجِئْتُ بِدَلِّ (فَاعِلٍ) بِأَحَدِي صَيَغِ ثَلَاثِ مُطَّرَدَةٍ فِي ذَلِكَ ؛ وَهِيَ
(فَعَّالٌ) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَتَشْدِيدِ ثَانِيهِ ، وَ(مِفْعَالٌ) بِكَسْرِ فَسْكَوْنِ ، وَ(فَعُولٌ)
بِفَتْحِ فَضْمٍ ؛ فَتَقُولُ : زَيْدٌ رَكَابٌ لِلخَيْلِ ، وَمِنْحَارٌ لِلإِبِلِ ، وَصَبُورٌ عَلَى
الشَّدَائِدِ ، وَأَهْلُ الْفَنِ يُسْمَوْنَ هَذِهِ الصَّيَغَ : صَيَغَ الْمَبَالِغَةِ .

وَسُمِعَ مِنَ الْعَرَبِ - عَلَى قِلَّةٍ ، فَيُقْتَصَرُ عَلَى مَا سُمِعَ - لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْكَثْرَةِ
صَيَغُ أُخْرٍ ؛ كَعَلِيمٍ ، وَرَحِيمٍ ، وَقَدِيرٍ ، هَذَا بِنَقْلِ الْفِعْلِ لِ (بَابِ فَعَّلَ) بِضَمِّ
الْعَيْنِ الَّذِي سَبَقَ الْقَوْلُ بِكَوْنِهِ مُخْتَصًّا بِالْغَرَائِزِ ، وَنَحْوُ : حَذِرٍ ، وَمِعْطِيرٍ ،
وَشَرِيبٍ .

وَإِذَا كَانَتْ فَاءُ (مِفْعَالٍ) وَآوًا . . أَبْدَلْتُ يَاءً ؛ كَمِيزَانٍ .

(١) كما في « ديوان أبي نواس » (ص ٦٢) .

(٢) انظر (٢٠٠ / ١) .

وإذا كانت لامه أو لام (فَعَالٍ) مُعْتَلَّةً .. أُبْدِلَتْ همزةً ؛ كِمِشْوَاءٍ وَمِقْلَاءٍ ،
وَشَوَاءٍ وَقَلَاءٍ .

وإذا كانت عين (فَعُولٍ) واواً .. أُبْدِلَتْ همزةً ؛ كَقَوُولٍ وَصَوُولٍ .

وإذا كانت لامه واواً .. أُدْغِمَتْ فيها الواو قبلها ؛ كَعَدُوٍّ وَصَبُوٍّ .

وإذا كانت ياءً .. أُبْدِلَتْ الواو قبلها ياءً ، وأدْغِمَتْ فيها ؛ كَبَغِيٍّ وَسَعِيٍّ ،
وأصلُهُما : بَغُوِّيٌّ وَسَعُوِّيٌّ .



التقسيمُ الثاني [في المُذَكَّرِ والمُؤنَّثِ]^(١)

الاسمُ : إمَّا مُذَكَّرٌ ، وإمَّا مُؤنَّثٌ .

فالمُذَكَّرُ : ما وُضِعَ لذكْرِ .

والمُؤنَّثُ : ما وُضِعَ لأنثى .

وقد اعتبرتِ العربُ التأنيثَ في بعضِ الأشياءِ لأسبابٍ ، فعاملوها معاملةَ الإناثِ ؛ كالشَّمسِ اعتبروها أنثى لوقوعها في مقابلةِ القمرِ ، والكأسِ ؛ لوقوعها في مقابلةِ الإبريقِ ، والحربِ ؛ اعتبروها وِلادةً غرارةً كما قال عمرو^(٢) :

أَلْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فُتْيَةً تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ
حَتَّى إِذَا أَلْتَهَبَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ
وَمِنْ ثَمَّ قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ : مُؤنَّثٌ حَقِيقِيٌّ لذَوَاتِ الْفُرُوجِ ، وَمُؤنَّثٌ مَجَازِيٌّ لغيرِها .

ومعرفةُ المُؤنَّثِ المجازيِّ بتتبعِ كتبِ اللغةِ ؛ إذ ليسَ لها ضابطٌ .
وقد يكونُ التأنيثُ لفظياً فقط ؛ بمعنى : أَنَّ اللَّفْظَ يَكُونُ مَعَهُ عَلامَةُ التأنِيثِ ، ومدلولُهُ مِنَ الذُّكُورِ ؛ كطَلْحَةَ وَبَطَّةَ اسْمِي رَجُلَيْنِ .

وللمُؤنَّثِ أَحكامٌ ؛ كاختصاصِهِ بإشارةٍ وضميرٍ ، كما تقولُ : (هَذِهِ الكَأْسُ

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٩) .

(٢) هو سيدنا عمرو بن معديكرب ، كما في « شعر عمرو بن معديكرب » رضي الله عنه (ص ١٥٤) .

لا أشرُّها) لكنَّ المؤنَّث اللَّفْظِيَّ تَبَعَّضُ فِيهِ الْأَحْكَامُ ؛ ففِي بَعْضِ الْأَبْوَابِ يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْمُؤنَّثِ ، وَفِي بَعْضِهَا يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْمُذَكَّرِ ، كَمَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَالْمُؤنَّثُ الْمَجَازِيُّ يُخَالِفُ الْمُؤنَّثَ الْحَقِيقِيَّ فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ كَمَا يَتَبَيَّنُ فِي مَوَاضِعِهِ أَيْضاً .

ثُمَّ إِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَا يَتَمَيَّزُ ذَكَرُهَا مِنْ أَنْثَاهَا ؛ مَا كَانَ مِنْهَا بِالتَّاءِ . . .
مُؤنَّثٌ ؛ كَنَمَلَةٍ وَبِعَوْضَةٍ ، وَمَا خِلا مِنْهَا . . . مُذَكَّرٌ ؛ كَبُرْغوثٍ وَجُنْدَبٍ .

[علاماتُ التَّائِثِ]

وللتَّائِثِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ :

- تَاءٌ مُتَحَرِّكَةٌ يُخْتَمُ بِهَا الْاسْمُ .

- وَالْأَلِفُ بَعْدَ أَلِفٍ لَا يُمْكِنُ النُّطْقُ بِهَا فَتُبَدَّلُ هَمْزَةً ، وَتُسَمَّى : أَلِفَ التَّائِثِ الْمَمْدُودَةِ .

- وَالْأَلِفُ مَفْرُودَةٌ ، وَتُسَمَّى : أَلِفَ التَّائِثِ الْمَقْصُورَةِ .

الكلامُ على التَّاءِ

أَكْثَرُ مَا تَلْحَقُ الْأَوْصَافُ الْمُشْتَرَكَةُ لِلْفَرْقِ ، وَقَلَّ لِحَوْقِهَا الْأَسْمَاءُ لِذَلِكَ ؛ كَرَجُلٍ وَرَجُلَةٍ ، وَغِلامٍ وَغِلامَةٍ ، وَفَتًى وَفَتَاةً ، كَمَا قَلَّ لِحَوْقِهَا لِلأَوْصَافِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْإِنَاثِ ؛ فَلَا يُقَالُ : حَائِضَةٌ وَمَرْضِعَةٌ ، إِلَّا إِذَا أُريدَ بِهَا مَعْنَى الْفَعْلِ ؛ كَمَا تَقُولُ : هِيَ حَائِضَةٌ بَعْدَ شَهْرٍ ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ : هِيَ تَحِيضُ .

وَلَا تَلْحَقُ مِنَ الْأَوْصَافِ مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (مَفْعَالٍ) أَوْ (مِفْعِيلٍ) أَوْ (فَعُولٍ) بِمَعْنَى (فَاعِلٍ) ، أَوْ (فَعِيلٍ) بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ) إِنْ عَلِمَ فِي هَذَا

الموصوف ؛ فنقول : امرأة مَكْسَالٌ ، وَمِعْطِيزٌ ، وَصَبُورٌ ، وَجَرِيحٌ ، وتقولُ : رأيتَ جريحَةً^(١) .

وتكونُ التاءُ معَ التانيثِ للوَحدةِ في أسماءِ الأجناسِ الجمعيَّةِ ، وتكونُ للمبالغةِ فقط ، أو لتأكيدِها ؛ [كراوية] ، وَعَلَامَةٌ ، وَفَرُوقَةٌ ، وتكونُ عوضاً عن حرفٍ محذوفٍ كما سبق في نحوِ : إقامةٍ وتزكيةٍ ، ويأتي لذلكُ مواضعُ^(٢) .

الكلامُ على الألفينِ

قد اختصَّ كلُّ بأبنيَّةٍ ، واشتركتا في أبنيَّةٍ .

[أبنيَّةُ الألفِ المقصورةِ]

فمنُ أبنيَّةِ المقصورةِ : (فُعَلَى) بضمِّ فسكونٍ ، و(فُعَالَى) بضمِّ أوَّلِهِ ، و(فُعَلَى) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشَدِّداً ، و(فِعَلَى) بكسرِ ففتحِ فسكونٍ^(٣) ، و(فِعَلَى) بكسرِ فسكونٍ ، و(فُعَلَى) بضمِّ أوَّلِهِ وثانيهِ وتشديدِ ثانيهِ ، و(فُعَالَى) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشَدِّداً .

- فالأوَّلُ : كِبُهَمَى لنبِتٍ ، وَحُبَلَى ، وَكُبْرَى ، وَطُولَى ، وَأُولَى ، وَرُجَعَى ، وَبُشْرَى .

- والثاني : كَحَمَادَى^(٤) ، وَسُمَانَى وَحُبَارَى لطائرينِ .

- والثالثُ : كَسْمَهَى للباطلِ .

(١) لأجل تعيين التانيث ؛ إذ لا قرينة دالة عليه .

(٢) انظر (٢٧٣/١) .

(٣) لعل الأولى والأنسب : (فتشديد ثالثة) بدل (فسكون) .

(٤) بمعنى : الغاية ؛ يقال : حمادك وحمادي ؛ أي : غايتك وغايتي ، أو أن التمثيل بـ (جمادى) اسم شهر .

- والرابع : كَسْبَطْرَى وِدْفَقَى ؛ لنوعين مِنَ المشي .

- والخامس : كَحَجَلَى ، في جمع حَجَلَةٍ بفتح الحاء ؛ لطائر ، وِظْرَبَى ، في ظَرْبانٍ بفتح فسح ؛ لدابةٍ مُتَنِنَةِ الفَسْوِ في حجمِ الهِرَّةِ ، ولا ثالثَ لهذَينِ الجمعينِ في أوزانِ الجموعِ .

وكَدِفَلَى لنبتٍ ، وِكِصَى للرجلِ يأكلُ وحدهُ ، وينزلُ وحدهُ ، ولا يُهْمُهُ غيرُ نفسهِ ، وِذْفَرَى للعظمِ خَلَفَ الأذنِ ، وِضَيْرَى بالياءِ وهو بالهمزِ ، مُثَلَّثُ الأوَّلِ .
وربَّما نُؤنَّ بعضُ الكلماتِ الواردةِ على هذا الوزنِ ، فتكونُ أَلِفُهُ للإلحاقِ بدرهمٍ مِنَ الأسماءِ الرُّباعِيَّةِ ؛ مِنْ ذَلِكَ : ذِفْرَى ؛ فعلى كَوْنِ الألفِ للتأنيثِ ..
تقولُ : (هذهِ ناقةٌ ذاتُ ذِفْرَى نِصَاحَةٍ) بالألفِ ، وعلى كونِها للإلحاقِ ..
تقولُ : (ذِفْرَى) بالتنوينِ .

- والسادسُ : كَحُدْرَى للحدَرِ ، وِئُدْرَى للتبذيرِ ، وكُفْرَى لوعاءِ الطَّلَعِ .

- والسابعُ : كَحَبَّازَى وشُقَّارَى ؛ لنبتينِ .

[أبنية الألفِ الممدودة]

وَمِنْ أبنيةِ الممدودةِ : (فاعولاءُ) ، و (مفعلاءُ) بفتح فسكونِ فضمِّ ، و (فعلياءُ) بكسر فسكونِ فكسرٍ ، و (فعلاءُ) بكسرٍ ففتحٍ ، و (فعالاءُ) بفتحِ أوْلِهِ ، و (فعيلاءُ) بفتحِ فكسرٍ ، و (فاعلاءُ) بكسرٍ ثالثِهِ ، و (أفعلاءُ) بفتحِ فسكونِ فكسرٍ .

- فالأوَّلُ : كتاشوعاءُ ، وعاشوراءُ .

- والثاني : كمشيخاءُ للشيخِ .

- والثالثُ : ككبرياءُ ، وكيمياءُ ، وإيلياءُ لبيتِ المقدسِ .

- والرابعُ : كَسِيرَاءٌ ؛ للثيابِ الْمُخَطَّطَةِ أَلْوَانًا .
- والخامسُ : كَبْرَاسَاءٌ ؛ للنَّاسِ ، يُقَالُ : لا أَدْرِي مِنْ أَيِّ الْبَرِاسَاءِ هُوَ ،
وَبِرَاكَاءٌ ؛ لِمُعْظَمِ الْقِتَالِ .
- والسادسُ : كَبْرِيَسَاءٌ ؛ لُغَةٌ فِي سَابِقِهِ ، وَقَرِيَشَاءٌ ؛ لِنَوْعٍ مِنَ التَّمْرِ .
- والسابعُ : كَقَاصِعَاءَ وَنَافِقَاءَ ؛ لِبَابِي جُحْرِ الْيَرْبُوعِ .
- والثامنُ : كَأَضْدِقَاءَ ، وَأَنْبِيَاءَ ، وَأَرْبِعَاءَ لِلْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنَ الْأُسْبُوعِ ، وَيُضَمُّ
ثَالِثُهُ وَيُفْتَحُ .

[الأبنية المشتركة بين الألف المقصورة والممدودة]

وَمِنَ الْأَبْنِيَةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُمَا : (فَعَلَى) بفتح فسكونٍ ، و(فُعَلَى) بضمِّ
ففتحٍ ، و(فَعَلَى) بفتحَاتٍ ، و(أَفَعَلَاءُ) بفتح فسكونٍ ففتحٍ .
فالمقصورُ مِنَ الْأَوَّلِ : كَسَكْرَى ، وَشَبَعَى ، وَقَتَلَى ، وَجَزَحَى ، وَدَعْوَى ،
وَنَجْوَى .

والممدودُ : [كَصَحْرَاءَ] ، وَحَمْرَاءَ ، وَهَطْلَاءَ ، وَطَرْفَاءَ .

والمقصورُ مِنَ الثَّانِي : كَأَرْبَى لِلشَّدَائِدِ ، وَأَدَمَى ، وَجَنَفَى ، وَشَعَبَى ؛
لمواضعٍ ، وَمِنْ كَلَامِ جَرِيرٍ^(١) :

أَعْبَدًا حَلًّا فِي شُعْبَى غَرِيبًا أَلُؤْمًا لَا أَبَالَكَ وَأَعْتِرَابًا
والممدودُ : كَجَنَفَاءَ ، لُغَةٌ فِي السَّابِقِ ، وَكُبْرَاءَ ، وَعُلَمَاءَ ، وَحُنَفَاءَ .

والمقصورُ مِنَ الثَّالِثِ : كَمَرَطَى ، وَبَشَكَى ، وَجَمَزَى ؛ لِسُرْعَةِ الْعَدْوِ ،
وَحَيْدَى ؛ يُقَالُ : حَمَارٌ حَيْدَى ؛ أَي : يَحِيدُ عَنْ ظِلِّهِ لِنَشَاطِهِ ، وَبَرَدَى لِنَهْرِ

(١) انظر «ديوان جرير» (٦٥٠/٢) .

بالشأم ؛ وهو المعني في قول حسان رضي الله عنه ^(١) : [من الكامل]
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
والممدودُ : كقرماء وجنفاء لموضعين ، ودأثاء للأمة ، وابنُ دأثاء :
الأحمق .

والمقصورُ من الرابع : كأجفلى للدعوة العامة ؛ يقال : فلان يدعو الأجفلى
والجفلى بفتحات ، ويقابلها التقرى بفتحات للدعوة الخاصة ، ولبعض
العرب ^(٢) : [من الرمل]

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى لَا تَسْرِ الْأَدَبَ مِنَّا يَنْتَقِرُ
والممدودُ : كأزبعاء .

والغرضُ من ذكر هذه الأبنية : التنبية على أن لألفي التانيث أبنية
مُشْتَبِهَةٌ ؛ بحيث ينبغي عند رؤية بعض الكلمات التي يكون آخرها ألفاً أن
يُبحَث عن كونها ممدودةً أو مقصورةً ، للتانيث أو للإلحاق ، وهذا الموضوع
من المواضع الصعبة في اللغة .



(١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (٧٤/١) .

(٢) هو لطفرة بن العبد في « ديوانه » (ص ٦٥) .

التقسيمُ الثالثُ

[في المُجرَّدِ والمزيدِ]^(١)

الاسمُ : إمَّا مُجرَّدٌ ، وإمَّا مزيدٌ .

والمُجرَّدُ : إمَّا ثلاثيٌّ ، أو رباعيٌّ ، أو خماسيٌّ ، ولكلِّ أنواعٍ مِنَ الأوزانِ لم يَرِدْ على غيرِها .

بيانُ أوزانِ الثلاثيِّ

(فَعْلٌ) بفتحِ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو ضمِّهِ أو كسْرِهِ ؛ كسَهْلٍ وَجَفْنٍ وَسَيْفٍ وَثَوْبٍ ، وكشَرَطٍ وَحَسَنِ وَبَابٍ وَحَوْلٍ ، وكندُسٍ وَعَضْدٍ ، وكفَرِحٍ وَكَتِفٍ .

و(فَعْلٌ) بضمِّ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو ضمِّهِ أو كسْرِهِ ؛ كحُسْنٍ ونُغْمٍ ، وكزُطِبٍ وَضُرْدٍ ، وكعُنُقٍ وَسُبُلٍ ، وكذُبُلٍ وَرُئِمٍ ؛ وهو قليلٌ جداً .

و(فِعْلٌ) بكسرِ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو كسْرِهِ ؛ كذِكْرٍِ وَنِخِيٍّ ، وكعِنَبٍ وَقِرَبٍ ، وكإِبِلٍ .

و(فِعْلٌ) بكسرِ أوَّلِهِ وضمِّ ثانيهِ غيرُ موجودٍ في اللُّغَةِ ، فأوزانُ الثلاثيِّ أحدَ عشرَ .

بيانُ أوزانِ الرباعيِّ

(فَعْلَلٌ) بفتحِ فسكونٍ ففتحٍ ؛ كسَلْهَبٍ ، وَجَعْفَرٍ .

و(فُعْلُلٌ) بضمِّ فسكونٍ فضمِّ ؛ كبُرُوقٍ ، وَبُرُوقَيْنِ .

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٠٩) .

- و(فِعْلَلٌ) بكسر فسكون فكسر ؛ كزَبْرَج ، وجرَمِل .
و(فِعَلٌ) بكسر ففتح فسكون ؛ كفَطْحَلِ ، وَسِبْطِرِ .
و(فِعَلَلٌ) بكسر فسكون ففتح ؛ كدِرْهَمِ ، وَضِفْدَعِ .
فله خمسة أوزانٍ ليسَ غيرُ .

بيانُ أوزانِ الخماسيِّ

[فَعَلَلٌ] بفتحَتينِ فسكونِ ففتحةٍ ؛ كسَفَرَجَلِ ، وَشَمَرَدَلِ .

و(فَعْلَلِلٌ) بفتحِ فسكونِ ففتحِ فكسرٍ ؛ كقَهْبَلِيسِ ، وَجَحْمَرِشِ .

و[فِعْلَلٌ] بكسرِ فسكونِ ففتحِ فسكونٍ ؛ كقِرْطَعِبِ ، وَجِرْدَحْلِ .

و[فُعَلَلٌ] بضمِّ ففتحِ فسكونِ فكسرٍ ؛ كقُبْعَيْرِ ، وَقُدْعَمِلِ .

فهذه عشرونَ صيغةً لم يردِ اسمٌ مُجرَّدٌ على غيرها ، فما عداها . . فمزيدٌ ؛
كمنطليقٍ ، ومُخَرَّنَجِمِ ، وظريفٍ ، وحُبَلِي ، أو ناقصٌ : كعَلْبِطِ بضمِّ ففتحِ
فكسرٍ ، أصلُهُ : عَلَابِطٌ ، أو أعجميُّ الوضعِ : كسَرَخَسِ وبلَخَشِ ، بفتحَتينِ .
والمزيدُ : كلُّ لفظٍ قامَ دليلٌ على أن بعضَ حروفِهِ ليسَ أصلاً .

[أدلةُ الزيادةِ في الاسمِ تسعةً]

وأدلةُ الزيادةِ تسعةٌ :

- الأوَّلُ : سقوطُ بعضِ الكلمةِ مِنْ أصلِها ؛ كضاربٍ وتضاربٍ مِنْ
الضَّربِ ، فما زادَ على الضَّادِ والراءِ والباءِ التي هي حروفُ الأصلِ تحكُمُ
بزيادتهِ لذلكِ .

- الدليلُ الثاني : سقوطُ بعضِ الكلمةِ مِنْ فرعٍ ؛ كأسبَلِ الزرعِ ، [وَحَظَلَتِ]

الإبِلُ ؛ أي : خرجَ سنبِلُ الزرعِ ، وتأذَّتِ الإبِلُ مِنْ أَكْلِ الحنظلِ ، فنونا (سنبِلِ)
و (حنظلِ) زائدتان ؛ لسقوطِهما في الفرعَيْنِ .

- الدليلُ الثالثُ : لزومُ خروجِ الكلمةِ عن أوزانِ نوعِها لو حكمنا بأصالةِ
حروفِها ؛ كتنضُبٍ وتثقلٍ^(١) بفتحِ فسكونٍ فضمٍّ ، فالتاءُ فيهِما زائدةٌ لعدمِ
هذا الوزنِ في الرُّباعيِّ المُجرَّدِ .

- الدليلُ الرابعُ : التكلُّمُ بالكلمةِ أربعةَ مرَّةً ، وثلاثةَ مرَّةً ؛ مثلاً : كأَيطلُ
وإطلُ .

- الدليلُ الخامسُ : ورودُ الكلمةِ على صورتَيْنِ تخرجُ بإحداهُما عن أوزانِ
نوعِها لو حكمنا بأصالةِ حروفِها دونَ الأخرى ، فنحكمُ بالزيادةِ على كلتا
الصورتَيْنِ ؛ لوحدةِ الكلمةِ .

- الدليلُ السادسُ : كونُ بعضِ الكلمةِ دالًّا على معنىٍ ؛ كأحرفِ المضارعةِ .

- الدليلُ السابعُ : وقوعُ الحرفِ مِنْ الكلمةِ الجامدةِ في [موضعٍ] لو كانتِ
الكلمةُ مُشتقَّةً . . قطعنا بزيادتهِ ؛ كنونِ (غضنفرٍ) التي هي في موضعِ نونِ
(جحافلٍ) المحكومِ بزيادتها ؛ لسقوطِها مِنْ أصلِ الكلمةِ ؛ وهي الجحفلةُ .

- الدليلُ الثامنُ : وقوعُهُ منها في موضعٍ تغلبُ زيادتهُ فيه مِنَ المُشتقَّةِ ؛
كهمزةِ (الأفكلِ) الموازنةِ لـ (الأحمرِ) .

- الدليلُ التاسعُ : اختصاصُ الحرفِ بموضعٍ لا يقعُ فيه إلا حرفٌ مِنْ
حروفِ الزيادةِ ؛ كالنونِ في كِنْتَأُو وَحِنْطَأُو ، بكسرِ فسكونٍ ففتحِ فسكونٍ
فيهِما ، والأوَّلُ يُستعملُ بالمشناةِ فوقَ وبالمثلثةِ : عظيمُ اللحيةِ ، والثاني
[يُستعملُ] بالطاءِ والظاءِ : عظيمُ البطنِ .

(١) التنضُب : شجرٌ تتخذُ منه السهامُ ، والتثقلُ : الثعلبُ أو ولده .

[ضوابطُ الزيادة]

وحاصل ذلك : أنك تعرّف الزيادة والأصالة بمعرفة الاشتقاق ؛ فتقولُ :
حروفُ الأصلِ أصولٌ ، وما عداها في الفروعِ زوائدٌ ، ويضبطُ الأوزانُ التي
جاءتْ عليها الألفاظُ المقطوعُ بأصالةِ حروفها ، فإذا سمعتَ لفظاً مُحتمِلاً
للزيادة والأصالة ؛ فإن وافقَ وزنَ نوعِهِ على تقديرِ الأصالة . . فأصلٌ ، وإن لم
يوافق . . فزائدٌ ، ويكونُ الحرفُ الذي تريدُ الحكمَ عليه معروفَ الزيادةِ بطريقِ
الاشتقاقِ في كثيرٍ منَ المواضعِ .

مثلاً : همزةُ (إصبع) تحكمُ بزيادتها ؛ لأنَّ الاشتقاقَ ذلكَ على
زيادتها في أسماءِ التفضيلِ ، ومضارعِ المُتَكَلِّمِ ، وفي الجمعِ على
أفعلٍ .

ثمَّ إنَّ خروجَ اللفظِ عن التجرُّدِ : تارةً يكونُ بتكرُّرِ بعضِ أصولِهِ
ويُسَمَّى : المُضَعَّفَ ، ولا يَخْتَصُّ التكرُّرُ ببعضِ الحروفِ دونَ بعضٍ ، وتارةً
يكونُ خروجُهُ عن التجرُّدِ بزيادةِ بعضِ الحروفِ ؛ وذلكَ مُختصُّ بالأحرفِ
العشرة التي عرفتها سابقاً^(١) ، وجمعها ابنُ مالكٍ في بيتِ أربعِ مرَّاتٍ
فقالَ^(٢) :

هَنَاءٌ وَتَسْلِيمٌ ، تَلَا يَوْمَ أَنَسِهِ نَهَايَةُ مَسْؤُولٍ ، أَمَانٌ وَتَسْهِيلٌ
غَيْرَ أَنَّ زِيَادَةَ الْهَاءِ وَاللَّامِ قَلِيلَةٌ ، وَمَثَلُوا لَزِيَادَةَ الْهَاءِ بِقَوْلِهِمْ : أَهْرَاقَ الْمَاءَ ،
وَبِ (أُمَّهَاتٍ) فِي جَمْعِ أُمٍّ ، عَلَى خِلَافٍ فِي هَذَا ، وَمَنْ مَثَّلَ لَزِيَادَةَ الْهَاءِ بِهَاءِ
السَّكْتِ فِي نَحْوِ : (لِمَمَّة) وَ (لَمْ تَرَهُ) وَ (عِن) . . رَدُّ عَلَيْهِ بِكَوْنِ الْهَاءِ السَّكْتِيَّةِ
كَلِمَةً مُسْتَقِلَّةً .

(١) انظر (١/١٨٦) .

(٢) انظر « شرح التصريح على التوضيح » (٢/٣٦٠) .

وَمَثَلُوا لِلَّامِ بِ (طَيْسَلٍ) و (زَيْدَلٍ) ، وَالْأَصْلُ : طَيْسٌ ؛ وَهُوَ الْكَثِيرُ ، وَزَيْدٌ ،
وَمَنْ مَثَلَ لَهَا بِلَامٍ ذَلِكَ وَتِلْكَ . . زُدَّ عَلَيْهِ بَرْدٌ هَاءِ السَّكْتِ .

ولزيادة بقیة الأحرف ضوابطُ هي دلائلُ حاضرةٌ معك ؛ متى تحققت . .
قطعت بالزيادة ، وإلا . . رجعت للدلائل السابقة .

وبيان ذلك : أنه متى صحبت الألف أكثر من أصلين . . فهي زائدة ؛
كضارب ، وعماد ، وحُبلى .

ومتى صحبت الواو أكثر من أصلين ، ولم تتصدّر ، ولم تكن كلمتها من
(بابِ سمسِم) . . فهي زائدة ؛ كمحمود ، وبُوع .

ومتى صحبت الياء أكثر من أصلين ، ولم تتصدّر سابقة أكثر من ثلاثة
أصول ، ولم تكن كلمتها من (بابِ سمسِم) . . فهي زائدة ؛ كضربُ فعلاً ،
ويزَمِعُ^(١) اسماً .

ومتى سبقت الميم أكثر من أصلين . . فهي زائدة ؛ كمحمود ، ومنطلق ،
ومسجد ، ومفتاح .

ومتى سبقت الهمزة أكثر من أصلين ، أو تأخرت مسبوقةً بألفٍ مسبوقةً
بأكثر من أصلين . . فهي زائدة ؛ كاحفظُ فعلاً ، وأفضلُ اسماً مُشتقاً ، وإصبعُ
اسماً جامداً ، وأفلسُ في جمعِ فُلْسٍ ، وكحمراءُ وصحراءُ .

ومتى تطرقت النون مسبوقةً بألفٍ مسبوقةً بأكثر من أصلين ؛ كسكرانُ
وعثمانُ ، أو توسّطت ساكنةً غير مُضعفةٍ أربعةً أحرفٍ ؛ كغضنفرٍ وقرنفلٍ ،
أو كانت في بابِ (الانفعالِ) ؛ كانطلقُ ومُنطلقُ ، أو بدأت المضارع . . فهي
زائدة .

(١) اليرمع : حجارة رخوة إذا فُتت . . انفتت .

ومتى كانت التاء في باب (التفعُّلِ) كالتفهُّم ، أو (التفعُّلِ) كالتدحرج ،
أو (التفاعُلِ) كالتعاونِ ، أو (الافتعالِ) كالاقترابِ ، أو (الاستفعالِ)
كالاستخراجِ ؛ وهو الموضعُ الذي تقطعُ بزيادةِ السينِ فيه ، أو كانتِ التاءُ
في (التفعيلِ ، أو التفعالِ) ، أو كانتِ للتأنيثِ ، أو بدأتِ المضارعَ . . فهي
زائدةٌ .



التقسيمُ الرابعُ

[في المقصورِ والممدودِ والمنقوصِ]

الاسمُ إن كانَ آخِرُهُ أَلِفًا . . سُمِّيَ : مقصوراً ، وإن كانَ آخِرُهُ همزةً بعدَ أَلِفٍ زائدةٍ . . سُمِّيَ : ممدوداً ، وإن كانَ آخِرُهُ ياءً مكسوراً ما قبلها . . سُمِّيَ : منقوصاً ، وليسَ في الأسماءِ ما يكونُ آخِرُهُ واواً مضموماً ما قبلها .
وألفُ المقصورِ : إمَّا أصلٌ بدلٌ مِنْ واوٍ ؛ كعصاً وقفاً ، بدليلِ عَصَوْتُهُ وقفوتُهُ ، أو مِنْ ياءٍ ؛ كفتىً ورحىً .

وإمَّا زائدةٌ للتأنيثِ ؛ كحُبلىً وذكرىً ، أو للإلحاقِ ؛ كذفرىً وأرطىً على ما سبقُ (١) .

وهمزةُ الممدودِ : إمَّا أصلٌ ؛ كقَرَاءٍ ووَضَاءٍ مِنْ [قرأ] (٢) ووَضُوًّا .
وإمَّا بدلٌ مِنْ أصلٍ واوٍ أو ياءٍ ؛ ككِسَاءٍ مِنْ الكسوةِ ، وولاءٍ مِنْ الوَلِيِّ .
وإمَّا بدلٌ مِنْ زائدةٍ للتأنيثِ ؛ كحمرَاءٍ وصحرَاءٍ ، أو للإلحاقِ ؛ ك (عِلْبَاءٍ) المُلْحَقِ بزيادةِ الياءِ المُبدلةِ همزةً ب (قِرْطَاسٍ) مِنْ الصحيحِ .



(١) انظر (٢٤٤/١) .

(٢) في الأصلِ : (قرء) .

التقسيمُ الخامسُ

[في المُفْرَدِ والمُثْنِيّ والجمع] ^(١)

الاسمُ : إمَّا مُفْرَدٌ ، وإمَّا مُثْنِيٌّ ، وإمَّا جمعٌ تصحيحٌ للذُّكُورِ ، وإمَّا جمعٌ تصحيحٌ للإناثِ ، وإمَّا جمعٌ تكسيرٍ ؛ تارةً يكونُ مُشْتَرَكاً ، وتارةً يكونُ مُخْتَصِماً ، كما ستقفُ عليه عندَ تفصيلِهِ .

فالمُثْنِيّ : اسمٌ مُشْتَرَكٌ بينَ شيئينِ تزيُدُ بعدهُ ألفاً ونوناً في حالٍ ، وياءٌ ونوناً في حالٍ ؛ لِيَدُلَّ على اثنتينِ أو اثنتينِ .

وأما جمعُ تصحيحِ الذُّكُورِ . . فهو اسمٌ مُشْتَرَكٌ بينَ ثلاثةِ أشياءَ فأكثرَ ، تزيُدُ بعدهُ واواً ونوناً في حالٍ ، وياءٌ ونوناً في حالٍ ؛ لِيَدُلَّ على أكثرَ منِ اثنتينِ .

وأما جمعُ تصحيحِ الإناثِ . . فهو اسمٌ مُشْتَرَكٌ بينَ ثلاثِ إناثٍ أو أكثرَ ، تزيُدُ بعدهُ ألفاً فتاءً ؛ لِيَدُلَّ على أكثرَ منِ اثنتينِ .

وأما جمعُ التفسيرِ . . فهو اسمٌ مُشْتَرَكٌ بينَ أكثرَ منِ شيئينِ ، تُعَيِّرُهُ إلى صورةٍ مِنَ الصُّورِ الآتي بيانُها ؛ لِيَدُلَّ على أكثرَ منِ شيئينِ .

الكلامُ على المثنى

الاسمُ الذي تزيُدُ ثنيتُهُ :

إن كانَ مقصوراً ؛ فإن زادَ على ثلاثةِ أحرفٍ . . وجبَ إبدالُ ألفِهِ ياءً ؛ ك (حُبْلَيَانِ ، ومُضْطَفَيَانِ) وإن لم يَزِدْ ؛ فإن كانتَ أَلْفُهُ بدلَ واوٍ . . عادتِ

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٧٤) .

الواو؛ ك (عَصَوَانِ ، وَقَفَوَانِ) وإن كَانَتْ بَدَلًا يَاءٍ .. عَادَتِ الْيَاءُ ؛ ك (فَتَيَانِ ، وَرَحَيَانِ) وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِالتَّبَعِ .

وإن كَانَ الْاسْمُ مَمْدُودًا : فَإِن كَانَتْ هَمْزُهُ لِلتَّأْنِيثِ .. أُبْدِلَتْ وَاوًا ؛ ك (حَمْرَاوَانِ ، وَصَخْرَاوَانِ) وَإِن كَانَتْ أَصْلًا .. لَمْ تُبَدَّلْ ؛ ك (قَرَاءَانِ ، وَوَضَّاءَانِ) وَإِن كَانَتْ غَيْرَ مَا ذُكِرَ .. جَازَ إِبْدَالُهَا وَاوًا ، وَالْأَحْسَنُ إِبْقَاؤُهَا ، فَتَقُولُ : عِلْبَاوَانِ وَكِسَاوَانِ مِثْلًا ، وَالْأَحْسَنُ : عِلْبَاءَانِ وَكِسَاءَانِ .

وإن كَانَ الْاسْمُ غَيْرَ مَا ذُكِرَ .. فَتَحَتِ آخِرُهُ فَقَطْ ؛ ك (زِيدَانِ ، وَقَاضِيَانِ) وَالنُّونُ الَّتِي تَزِيدُهَا لِلتَّشْنِيَةِ مَكْسُورَةٌ .

الكلامُ على جمعِ تصحيحِ الذُّكُورِ

الاسمُ الذي تريدُ جمعهُ :

إن كَانَ مَقْصُورًا .. حَذَفْتَ أَلْفَهُ .

وإن كَانَ مَمْدُودًا .. عَمَلْتَ بِهِ عَمَلَكَ بِالْمُثَنَّى .

وإن كَانَ مَقْصُورًا .. حَذَفْتَ يَاءَهُ ، وَضَمَمْتَ آخِرَ مَا بَقِيَ مَعَ الْوَاوِ ، وَكَسَرْتَ مَعَ الْيَاءِ ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي بَقِيَّةِ الْأَسْمَاءِ غَيْرِ الْمَقْصُورَةِ .

وَلَا يُجْمَعُ هَذَا الْجَمْعَ إِلَّا الْأَسْمَاءُ الْخَالِيَةُ مِنْ تَاءِ التَّأْنِيثِ وَالتَّرْكِيبِ ؛ مِنْ أَسْمَاءِ الذُّكُورِ الْعُقْلَاءِ ، أَوْ أَوْصَافِهِمُ الْوَارِدَةِ عَلَى غَيْرِ (أَفْعَلٍ ، فَعَلَاءٍ) بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ ، وَ(فَعْلَانٌ ، فَعْلَى) بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا الْمَذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ .

الكلامُ على جمعِ المؤنَّثِ السالمِ

تُعَامَلُ الْأَسْمَاءُ فِي هَذَا الْجَمْعِ مَعَامَلَتَهَا فِي التَّشْنِيَةِ ، وَصُورَةُ الْمَفْرَدِ عِنْدَ

زيادة الألفِ والتاءِ بعدهُ ؛ لتقومَ صيغةُ هذا الجمعِ . . محفوظةٌ ، لا يعرضُ لها تغيُّرٌ إلا في الأسماءِ ذواتِ التاءِ ؛ فإنها تُحذفُ تاؤها ، وإلا في الأسماءِ الثلاثيةِ الساكنةِ العينِ التي لم تكنَ عينها مُضعَّفةً ولا حرفَ عِلَّةٍ ؛ فإنها إذا كانتَ مفتوحةَ الفاءِ . . وجبَ فتحُ عينها عندَ الجمعِ ؛ كحُطوةٍ وحُطواتٍ ، وجَفْنَةٍ وجَفَنَاتٍ ، ووَثْبَةٍ ووَثْبَاتٍ ، ودَعْدَةٍ ودَعْدَاتٍ .

وإذا كانتَ مضمومةَ الفاءِ . . جازَ في العينِ ثلاثةُ أوجهٍ : الضمُّ ، والتسكينُ ، والفتحُ ، إلا إذا كانتَ لامَ الكلمةِ ياءً ، فإنه يمتنعُ ضمُّ العينِ ، ويجوزُ الوجهانِ الآخرانِ ؛ فتقولُ في جمعِ غُرْفَةٍ وحُطوةٍ : غُرَفَاتٌ وحُطواتٌ ، بالأوجهِ الثلاثةِ ، وفي جمعِ زُبْيَةٍ : زُبْيَاتٌ ، بتسكينِ الباءِ وفتحِها لا بضمِّها .
وإذا كانتَ مكسورةَ الفاءِ . . جازَ في العينِ ثلاثةُ أوجهٍ أيضاً : الكسرُ ، والتسكينُ ، والفتحُ ، إلا إذا كانتَ لامها واواً ، فإنه يمتنعُ الكسرُ ؛ فتقولُ في جمعِ كِسْرَةٍ : كِسْرَاتٌ ، بالأوجهِ الثلاثةِ ، وفي جمعِ ذِرْوَةٍ : ذِرْوَاتٌ ، بالتسكينِ والفتحِ .

تنبيهٌ

[على أن المرادَ بالاسمِ في الجموعِ ما يقابلُ الصفةَ]

المرادُ بالاسمِ في أبوابِ الجموعِ : ما قابلُ الصفةِ ؛ فنحوُ : (ضَخْمَةٍ) بفتحِ الضادِ وسكونِ الخاءِ . . صفةٌ مِنَ الضَّخَامَةِ ، إذا جمعتها . . قلتُ : ضَخْمَاتٌ ، بسكونِ الخاءِ لا غيرُ ؛ لِمَا عرفتَ مِنْ أَنَّ فتحَ العينِ إتباعاً لفتحِ الفاءِ . . إنما هوَ في الأسماءِ ؛ كجَفْنَةٍ وشَرْبَةٍ .

الكلامُ على جمعِ التكسيرِ

هو نوعانِ :

جمعُ قَلَةٍ : يُستعملُ في العَشْرَةِ فما دونها إلى الثلاثةِ .

وجمَعُ كَثْرَةً : يُسْتَعْمَلُ فِي الثَّلَاثَةِ فَمَا فَوْقَهَا إِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ .
ولِكُلِّ صَيْغٍ ؛ مِنْهَا مَا كَثُرَ وَاسْتَهْرَ ، وَمِنْهَا مَا قَلَّ وَنَدَّرَ ، وَالْمَقْصُودُ فِي هَذَا
الْبَابِ ضَبْطُ الْكَثِيرِ الْمُسْتَهْرِ ؛ لِتَقْلِيلِ الْإِنْتِشَارِ ، وَسَهُولَةِ الْحَفْظِ .

صَيْغُ جَمْعِ الْقِلَّةِ

هِيَ أَرْبَعٌ :

أَفْعَلَةٌ : بَفَتْحِ فِسْكَوْنٍ فَكَسْرٍ .

وَأَفْعَالٌ : بَفَتْحِ فِسْكَوْنٍ .

وَأَفْعُلٌ : بَفَتْحِ فِسْكَوْنٍ فَضْمٍ .

وَفِعْلَةٌ : بِكَسْرِ فِسْكَوْنٍ .



الصَّيغَةُ الْأُولَى : تَكُونُ جَمْعًا لِكُلِّ اسْمٍ مُذَكَّرٍ رُبَاعِيٍّ قَبْلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ؛
كَطْعَامٍ وَأَطْعِمَةٍ ، وَجِرَابٍ وَأَجْرِيَّةٍ ، وَغُرَابٍ وَأَغْرِيَّةٍ ، وَرَغِيفٍ وَأَرْغِفَةٍ ، وَسَرِيرٍ
[وَأَسْرَةٍ] ، وَعَمُودٍ وَأَعْمِدَةٍ .

وَمَا كَانَ مِنْ أَسْمَاءِ هَذَا النُّوعِ الَّتِي يُجْمَعُ هَذَا الْجَمْعَ مَفْتُوحَ
الْفَاءِ أَوْ مَكْسُورَهَا ، مُضَعَّفًا ، أَوْ مُعْتَلَّ اللَّامِ وَمَدَّتُهُ أَلْفٌ . . لَمْ يَكُنْ لَهُ
جَمْعٌ غَيْرُ هَذَا ؛ كَبِتَاتٍ وَأَبْتَةٌ ، وَكِرْمَامٍ وَأَزْمَةٌ ، وَكَقَبَائٍ وَأَقْبِيَّةٍ ، وَكِإِنَاءٍ
وَأَنِيَّةٍ .



صَيْغَةُ (أَفْعَالٍ) : تَكُونُ جَمْعًا لِكُلِّ اسْمٍ ثَلَاثِيٍّ عَلَى أَيِّ صُورَةٍ ، إِلَّا مَا
كَانَ مِنْهَا مُوَازِنًا لَ (فَعْلٍ) بِضَمِّ فَتْحِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الصَّيغَةَ فِيهِ قَلِيلَةٌ ، وَالْكَثِيرُ

غيرها كما سيأتي التنبيه عليه^(١)، وإلا ما وزنَ (فَعَلًا) بفتح فسكونٍ،
وصَحَّتْ عَيْنُهُ، ولم تكنْ فَاؤُهُ واوًا، ولم يكنْ مُضَعَّفًا؛ كَفَلَسٍ وَكَلَبٍ، فَإِنَّ
هَذِهِ الصِّيغَةَ لَا تَكُونُ جَمْعًا لَهُ إِلَّا نَادِرًا جَدًّا؛ كَقَوْلِهِ^(٢): [من البسيط]

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي سَلَمٍ

وما عدا هذين النوعين من الأسماء الثلاثية: فتلك الصيغة فيه إما لازمة،
وإما أكثر من غيرها؛ كَبَيْتٍ وَأَبْيَاتٍ، وَثَوْبٍ وَأَثْوَابٍ، وَوَقْتٍ وَأَوْقَاتٍ، وَجَدِّ
وَأَجْدَادٍ.

صيغة (أَفْعَلٍ): تكون جمعاً لنوعين من الأسماء: أحدهما: كل اسمٍ
موازنٍ لـ (فَعَلٍ) الذي سبقَ أَنَّهُ لَا يُجْمَعُ عَلَى أَفْعَالٍ؛ كَكَلَبٍ وَأَكَلَبٍ، وَفَلَسٍ
وَأَفْلَسٍ، وَجَزْوٍ وَأَجْرٍ، وَظَبِيٍّ وَأَظْبٍ.

وما كان من هذا النوع واوياً اللام أو يائياً.. تُكسَرُ عَيْنُهُ فِي الْجَمْعِ،
وَتُحَدَفُ لَامُهُ إِنْ وَلِيَهَا سَاكِنٌ، كَمَا رَأَيْتَ فِي أَجْرٍ وَأَظْبٍ.

وثانیهما: كل اسمٍ مُؤَنَّثٍ رُبَاعِيٍّ قَبْلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ؛ كَعَنَاقٍ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَأَعْنَتِي،
وَذِرَاعٍ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ عَلَى لُغَةِ تَأْنِيثِهَا وَأَذْرِعِ، وَلِسَانٍ كَذَلِكَ وَالسُّنَنِ، وَعُقَابٍ
بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَأَعْقَبٍ، وَيَمِينٍ وَأَيْمُنٍ.

صيغة (فِعْلَةٍ): هي من النوادر؛ لكونها لم ترد إلا في أسماء معدودة،

(١) انظر (٢٦٣/١ - ٢٦٤).

(٢) هو للحطيئة في «ديوانه» (ص ١٩١)، وفيه:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرِّحٍ حُمُرِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ

ويروى أيضاً: (زغب الحواصل...).

وإنما ذُكِرَتْ لاستيفاءِ جموعِ القِلَّةِ ؛ سُمِعَ : صَبِيَّةٌ في جمعِ صَبِيٍّ وصَبِيَّةٍ ،
 وَفَتِيَّةٌ في جمعِ فَتَى ، وَغِلْمَةٌ في جمعِ غِلَامٍ ، وَغَزَلَةٌ في جمعِ غَزَالٍ ، وَثِيرَةٌ
 في جمعِ ثَوْرٍ ، وَشَيْخَةٌ في جمعِ شَيْخٍ ، وَثَنِيَّةٌ في جمعِ ثَنِيٍّ بضمِّ المثلثةِ أو
 كسرِها وسكونِ النونِ ؛ وهو الثاني في السيادةِ .

صِبْغُ جموعِ الكثرةِ

هي سَبْعَ عَشْرَةَ :

الصِّبْغَةُ الْأُولَى : (فُعْلٌ) بضمِّ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لكلِّ صفةٍ توازنُ
 (أفعلٌ) أو (فعلاءً) كأحمرَ وحمراءَ وحُمُرٍ ، فإنَّ كانتَ عينُ الكلمةِ ياءً ؛
 كأبيضَ وبيضاءً .. كُسِرَتْ فاءُ الجمعِ ؛ كبيضٍ وغيدي .



الصِّبْغَةُ الثَّانِيَةُ : (فُعْلٌ) بضمَّتَيْنِ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ ، ونوعٍ
 مِنَ الْأَوْصَافِ .

- فالأوَّلُ : كلُّ اسمٍ رُبَاعِيٍّ قَبْلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ، ولم تكنْ لامُهُ حرفَ عِلَّةٍ ،
 ولم يكنْ مُضَعَّفاً وَمَدَّتُهُ أَلِفٌ ؛ كحمارٍ وحُمُرٍ ، وَأَتَانٍ وَأَتْنٍ ، وسريرٍ وسُرُرٍ ،
 وعمودٍ وعمُدٍ .

- والثاني : كلُّ وصفٍ على وزنِ (فُعُولٍ) بمعنى فاعلٍ ؛ كصبورٍ وصبُورٍ ،
 وصدوقٍ وصدُقٍ .



الصِّبْغَةُ الثَّالِثَةُ : (فُعْلٌ) بضمِّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ ،
 ونوعٍ مِنَ الْأَوْصَافِ .

- فالأوّل : كلُّ اسمٍ على وزنِ (فُعَلَّةٍ) بضمِّ فسكونٍ ؛ كِبُرْمَةٍ وَبُرْمٍ ، وَقُرْبَةٍ وَقُرْبٍ ، وَغُرْفَةٍ وَغُرْفٍ .

فإن كانت لامُ الكلمةِ واواً أو ياءً .. أُبدلتْ أَلِفاً في الجمعِ ؛ كَرَبَوَةٍ وَرُبَى ، وَرَبِيَّةٍ وَرُبَى ، وَمُنِيَّةٍ وَمُنَى .

- والثاني : كلُّ صفةٍ على وزنِ (فُعَلَى) بضمِّ فسكونٍ في تأنِيثِ (أفعل) للتفضيلِ ؛ كالكُبْرَى والكُبْرِ ، والدُنْيَا والدُّنَا ، والعُلْيَا والعَلَا ، والقُصْوَى والقُصَى ؛ بحذفِ أَلِفِ التأنِيثِ ، وإبدالِ الأَلِفِ مِنَ الواوِ والياءِ .

الصِّيغَةُ الرَّابِعَةُ : (فِعَلٌ) بكسرِ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ يوازنُ (فِعَلَةً) بكسرِ فسكونٍ ، كقِرْبَةٍ وَقِرْبٍ ، وَدِيمَةٍ وَدِيمٍ .

وربّما نابتَ هذه الصِّيغَةُ عن سابقَتِها ، ونابتَ سابقَتُها عنها ؛ كصُورَةٍ وَقُوَّةٍ بِالضَّمِّ ، وَصِوْرٍ وَقِوَى [بالكسرِ] ، وَكحِلْيَةٍ وَلحِيَّةٍ بالكسرِ ، وَحُلَى وَلُحَى بِالضَّمِّ .

الصِّيغَةُ الخَامِسَةُ : (فُعَلَّةٌ) بضمِّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لوصفِ عاقلٍ على وزنِ (فاعلٍ) منقوصٍ ، وتُقَلَّبُ الياءُ فيها أَلِفاً ؛ كدَاعٍ وَدُعَاةٍ ، وَرَاوٍ وَرُؤَاةٍ .

الصِّيغَةُ السَّادِسَةُ : (فَعَلَّةٌ) بفتحِ فَ ، تكونُ جمعاً لفاعلٍ وصفِ عاقلٍ صحيحِ اللّامِ ، فإن كانت عينُه مُعتلَّةً .. أُبدلتْ أَلِفاً ؛ مثلُ : كَامِلٍ وَكَمَلَةٍ ، وَبَائِعٍ وَبَاعَةٍ .

الصِّيغَةُ السَّابِعَةُ : (فَعَلَى) بفتح فسكونِ وَأَلِفِ التَّائِيثِ الْمُقْصُورَةِ ،
تكونُ جمعاً لكلِّ وصفٍ فيه معنى الآفةِ أو الهلاكِ ؛ كَمَرِيضٍ وَمَرَضِيٍّ ، وَأَسِيرٍ
وَأَسْرَى ، وَشَتِيٍّ وَشَتَى ، وَجَرِيحٍ وَجَرَحَى ، وَأَحْمَقٍ وَحَمَقَى ، وَسَكْرَانَ
وَسَكْرَى ، وَقَتِيلٍ وَقَتَلَى ، وَهَالِكٍ وَهَلَكَى ، وَزَمِنٍ وَزَمَنَى ، وَمَيِّتٍ وَمَوْتَى ،
ولكونِ عَتَقِيٍّ يَقَعُ فِي مَقَابِلَةِ أُسِيرٍ قَبِيلٍ فِي جَمْعِهِ : عَتَقَى .



الصِّيغَةُ الثَّامِنَةُ : (فِعْلَةٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لاسمٍ صحيحِ اللَّامِ
يوازنُ (فُعْلاً) بضمِّ فسكونٍ ؛ كدُرْجٍ وِدِرْجَةٍ ، وَكُوْزٍ وَكُوْزَةٍ ، وَحُبٍّ وَحَبِيَّةٍ .



الصِّيغَةُ التَّاسِعَةُ : (فُعَلٌ) بضمِّ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ ثَانِيهِ مُشَدَّداً ، تكونُ جمعاً لكلِّ
وصفٍ مُذَكَّرٍ أو مُؤنَّثٍ صحيحِ اللَّامِ يوازنُ (فاعلاً) كعَاذِلٍ وَعَاذِلَةٍ وَعُدْلٍ ،
وصائِمٍ وصائِمَةٍ وَصُومٍ .

الصِّيغَةُ العَاشِرَةُ : (فُعَالٌ) بضمِّ أَوَّلِهِ وَتَشْدِيدِ ثَانِيهِ وَبَعْدَهُ أَلِفٌ ، تكونُ
جمعاً لِمُذَكَّرِ الصِّيغَةِ المَاضِيَةِ ؛ فَهُوَ صِيغَتَانِ .



الصِّيغَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : (فِعَالٌ) بكسرِ أَوَّلِهِ ، تكونُ جمعاً بكثرةٍ لثمانيةِ
أنواعٍ :

- أَحَدُهَا وَثَانِيهَا : (فَعْلٌ) وَ(فَعْلَةٌ) بفتحِ فسكونٍ ، اسْمَيْنِ أو وَصْفَيْنِ ،
لَيْسَتْ عَيْنُهُمَا يَاءٌ ؛ مِثْلُ : كَلْبٍ وَكَلْبَةٍ وَكِلَابٍ ، وَصَعْبٍ وَصَعْبَةٍ وَصِعَابٍ ،
وَتُبَدَّلُ الواوُ يَاءً ؛ كَثُوبٍ وَثِيَابٍ .

- وثالثها ورابعها : (فَعَلٌ) و (فَعَلَّةٌ) بفتحَاتٍ ؛ اسْمَيْنِ صَحِيحِي اللَّامِ ،
لَيْسَتْ عَيْنُهُمَا [وَلَا مُهُمَا] مِنْ جَنْسٍ ؛ مِثْلُ : جَمَلٍ وَجَمَالٍ ، وَرَقَبَةٍ وَرِقَابٍ .

- وخامسها : (فِعْلٌ) بكسرٍ [فسكونٍ] اسماً ؛ كقَدْحٍ وَقِدَاحٍ ، وَذَنْبٍ
وَذَنَابٍ ، وَنَهْيٍ وَنِهَاءٍ .

- وسادسها : (فُعْلٌ) بضمِّ فسكونٍ ، اسماً صحيح اللَّامِ ؛ كزُرْمٍ وَرِمَاحٍ ،
وَجُبِّ وَجِبَابٍ .

- وسابعها وثامنها : (فَعِيلٌ) و (فَعِيلَةٌ) وصَفَيَّ (بَابِ كَرُمٍ) صَحِيحِي
اللَّامِ ؛ كظريفٍ وظريفَةٍ وظَرَّافٍ ، وتلزمُ صِيغَةَ (فِعَالٍ) فيما عَيْنُهُ وَاوٌ مِنْ هَذَا
النَّوْعِ ، فَلَا يُجْمَعُ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّيغَةِ ؛ كطويلٍ وطويلةٍ وطِوَالٍ .

وَشَاعَتْ هَذِهِ الصِّيغَةُ أَيْضاً فِي كُلِّ وَصْفٍ عَلَى (فُعْلَانٍ) بفتح فسكونٍ
لِلْمُذَكَّرِ ، و (فُعْلَى) لِلْمُؤَنَّثِ ، و (فُعْلَانٍ) بضمِّ فسكونٍ لَهُ ، و (فُعْلَانِيَّةٌ)
لِهَا ؛ كغَضْبَانَ وَغَضْبَى وَغَضَابٍ ، وَعَطْشَانَ وَعَطْشَى وَعِطَاشٍ ، وَكحُمْصَانٍ
وَحُمْصَانِيَّةٍ وَخِمَاصٍ .

الصِّيغَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَةٌ : (فُعُولٌ) بضمِّتَيْنِ ، تَكُونُ جَمْعاً لخمسةِ أَنْوَاعٍ مِنْ
المفرداتِ :

- النَّوْعُ الْأَوَّلُ : (فَعِلٌ) بفتح فسكسرٍ ؛ مِثْلُ : كَبِدٍ وَكُبُودٍ ، وَكَرِشٍ وَكُرُوشٍ .
- النَّوْعُ الثَّانِي : (فَعْلٌ) بفتح فسكونٍ ، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ اسماً لَا وَصِفاً ،
وَأَلَّا تَكُونَ عَيْنُهُ وَاوًّا ؛ كفَلْسٍ وَفُلُوسٍ ، وَقَلْبٍ وَقُلُوبٍ ، وَبَيْتٍ وَبُيُوتٍ ،
وَدَلْوٍ وَدَلِيٍّ ، وَنَهْيٍ وَنَهْيٍ ، وَفِي مِثْلِ هَؤُلَاءِ تَقَلَّبَ وَاوٌ (فُعُولٌ) يَاءً ، وَتُدْعَمُ
فِي الْيَاءِ ؛ لِقَاعِدَةٍ : (مَتَى اجْتَمَعَ وَاوٌ وَيَاءٌ وَسَبَقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسُّكُونِ . . قُلِبَتْ

الواو ياءً ويُدغمُ الأَوَّلُ في الثاني (فلا يُجمَعُ الوصفُ ؛ كصَعْبٍ ولا واوِيّ العينِ ؛ كحوضٍ على هذه الصِّيغَةِ إلا نادراً .

- النوعُ الثالثُ : (فُعْلٌ) بضمِّ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، وألاً تكونَ عينُهُ واواً ، وألاً تكونَ لامُهُ ياءً ، وألاً يكونَ مُضعِفاً ؛ مثلُ : جُنْدٍ وجُنُودٍ ، ويُرْدٍ ويُرُودٍ ، فلا يُجمَعُ على هذه الصِّيغَةِ وصفٌ ؛ كحَلْوٍ ، ولا واوِيّ العينِ ؛ كحُوتٍ ، ولا يائِيّ اللّامِ ؛ كمُدَيِّ لنوعٍ مِنَ المَكاييلِ ، ولا مضاعفٌ ؛ كخُفِّ .

- النوعُ الرابعُ : (فِعْلٌ) بكسرِ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ؛ كقُرْدٍ وقُرُودٍ ، وحِمْلٍ وحُمُولٍ ، ونِحْيٍ ونُحْيٍ ، ونَهْيٍ ونُهْيٍ لغَةً في التَّهْيِ [مفتوح] الأَوَّلِ ؛ اسمٌ للنهرِ الصغيرِ ، وتُلحظُ فيه وفي أمثاله قاعدةُ الواوِ والياءِ ، فلا يُجمَعُ على هذه الصِّيغَةِ وصفٌ ؛ كحِلْفٍ .

- النوعُ الخامسُ : (فَعْلٌ) بفتحتينِ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، وألاً يكونَ مُضعِفاً ؛ كآسَدٍ وأسُودٍ ، وذَكَرٍ وذُكُورٍ ، ورِحَى ورُجِيٍّ ، وعصاً وعِصِيٍّ ، وكلُّ ما تَصَرَّفَتْ فيه بقاعدةِ الواوِ والياءِ . . . يجوزُ كسرُ أوَّلِهِ إبتاعاً لثانيهِ ؛ لتخفيفِ النطقِ فتقولُ : عِصِيٍّ بكسرِ العينِ ، ورِحِيٍّ ودِلِيٍّ كذلك ، فلا يُجمَعُ على هذه الصِّيغَةِ الوصفُ منه ؛ كحَسَنِ وبَطَلٍ ، ولا المُضعِفُ ؛ كَلَبِّ وَعَدَدٍ .



الصِّيغَةُ الثالثةُ عشرةً : (فِعْلَانٌ) بكسرِ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لأربعةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

- النوعُ الأَوَّلُ : (فُعَالٌ) بضمِّ أوَّلِهِ ؛ كغُلامٍ وغِلْمانٍ ، وغُرَابٍ وغَرَبانٍ ، وقُرَادٍ وقِرْدانٍ .

- النوعُ الثاني : (فَعْلٌ) بضمِّ ففتحٍ ؛ كصِرْدٍ وصِرْدانٍ لطيرٍ ، وجِرْدٍ وجِرْدانٍ

لنوعٍ مِنَ الفأرِ ، وغلبَ الاكتفاءُ بهذه الصيغةِ في جمعِ هذا النوعِ عن صيغةِ (أفعالٍ) التي هي جمعُ القِلَّةِ لغالبِ الثلاثياتِ .

- النوعُ الثالثُ : (فَعَلٌ) بضمِّ فسكونٍ واوٍ العَيْنِ ؛ كحُوتٍ وحِيتانٍ ، ونُونٍ وِنينانٍ ، وكُوزٍ وكِيزانٍ .

- النوعُ الرابعُ : (فَعَلٌ) بفتحَتَيْنِ واوٍ العَيْنِ أيضاً ؛ كقاعٍ وقِيعانٍ ، وبابٍ وبيبانٍ ، ولحركةِ الواوِ وفتحِ ما قبلها في هذا النوعِ تُبدَلُ أَلِفاً ؛ بحكمِ قاعدةٍ : (متى تَحَرَّكَتِ الواوُ أو الياءُ وانفتحَ ما قبلها . . قُلِبَتْ أَلِفاً) .



الصِّغَةُ الرابعةُ عشرةٌ : (فُعْلانٌ) بضمِّ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لثلاثةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

- النوعُ الأوَّلُ : (فَعْلٌ) بفتحِ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً لا صفةً ؛ كبطْنٍ وبُطنانٍ ، وسَيْفٍ وسُوفانٍ ، وتُبدَلُ الياءُ واواً لأجلِ الضمَّةِ .

- النوعُ الثاني : (فَعِيلٌ) بشرطِ أن يكونَ اسماً أيضاً ؛ مثلُ : كَثيبٍ وكُثبانٍ ، وغَدِيرٍ وغُدْرانٍ ، وقَضيبٍ وقُضبانٍ .

- النوعُ الثالثُ : (فَعْلٌ) بفتحَتَيْنِ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، صحيحِ العَيْنِ ؛ كحَمَلٍ وحُمْلانٍ ، ودَكَرٍ ودُكرانٍ .

الصِّغَةُ الخامسةُ عشرةٌ : (فُعلاءُ) بضمِّ ففتحِ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ واحدٍ مِنَ المفرداتِ ؛ وهو (فَعِيلٌ) مِنْ أوصافِ الفاعِلينَ ، بشرطِ ألا تكونَ عَيْنُهُ واواً ، وبشرطِ ألا يكونَ مُعتلَّ اللامِ ، وبشرطِ ألا يكونَ مُضعِفاً ؛ نحوُ : بَخيلٍ وبُخلاءَ ، وكَرِيمٍ وكُرَماءَ ، ونَبِيهِ ونُبَهَاءَ ، وحَمِلَ عَلَيْهِ مِنْ (فاعلٍ)

ما دلَّ على ما يُشبهُ المطبوعَ ؛ كصالحٍ وُصِّلِحَاءَ ، وفاسقٍ وُفَسِّقَاءَ ، وعاقِلٍ
وعُقَلَاءَ .



الصِّيغَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ : (أَفْعَلَاءَ) بفتحِ فَسكونِ فَكسرٍ ، تكونُ جمعاً
لنوعين :

- أحدهما : (فَعِيلٌ) المُضَعَّفُ ؛ كخَلِيلٍ وأَخِلَاءَ ، وجَلِيلٍ وأَجِلَاءَ ، وذَلِيلٍ
وَأَذِلَاءَ ، وعزیزٍ وأَعِزَّاءَ .

- وثانيهما : (فَعِيلٌ) مُعْتَلٌ اللَّامِ ؛ كنبِيٍّ وأَنْبِيَاءَ ، وتَقِيٍّ وَأَتْقِيَاءَ ، وولِيٍّ
وأولِيَاءَ .



الصِّيغَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَةَ : صِيغَةٌ تُسَمَّى صِيغَةَ مَنْتَهَى الْجُمُوعِ ، وَالْجَمْعُ
الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْإِحَادِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ صِيغَ الْجُمُوعِ رَبِّمَا جُعِلَتْ مَفْرَدَاتِ
وَجُمِعَتْ ، فَيَكُونُ جَمْعُهَا جَمْعَ الْجَمْعِ ؛ كَأَفْرَاسٍ جَمَعَ فَرَسٍ ، يُجْمَعُ عَلَى
أَفَارِسَ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لِكُلِّ صِيغَةٍ مِنَ الصِّيغِ السَّالِفَةِ نَظِيرٌ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ ؛
مِثْلًا : غَزْبَانٌ جَمَعَ غُرَابٍ ؛ نَظِيرُهُ فِي الْمَفْرَدَاتِ : سِرْحَانٌ اسْمًا لِلذَّئِبِ ، وَحُمُرٌ
جَمَعَ أَحْمَرَ ، نَظِيرُهُ فِي الْمَفْرَدَاتِ : قُفْلٌ ، وَهَكَذَا ، وَهَذِهِ الصِّيغَةُ لَا تُجْمَعُ ،
وَلَيْسَ لَهَا فِي الْمَفْرَدَاتِ نَظِيرٌ ، وَلِذَلِكَ مُنِعَتِ الصَّرْفَ كَمَا تَعْرِفُهُ فِي عِلْمِ
النَّحْوِ .

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ تَكُونُ عَلَى أَوْزَانِ شَتَّى ، وَضَابِطُهَا : أَنَّهَا مُتَحَصِّلَةٌ مِنْ
خَمْسَةِ أَحْرَفٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ آخِرِ الْمَفْرَدِ حَرْفُ لَيْنٍ ، وَإِلَّا . . . كَانَتْ سِتَّةَ
أَحْرَفٍ ؛ حَرْفَانِ مُتَحَرِّكَيْنِ بَعْدَهُمَا أَلِفٌ ، وَبَعْدَ الْأَلِفِ حَرْفٌ مَكْسُورٌ ، وَآخِرُ
الصِّيغَةِ أَوْ بَيْنَهُمَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ ؛ كَصَيْرَفٍ وَصَيَارِفَ ، وَفِرْعُونَ وَفِرَاعِينَ .

[تفصيلُ أوزانِ منتهى الجموع]

تفصيلُ أوزانِها :

الوزنُ الأوَّلُ : (فواعِلُ) يكونُ جمعاً لستةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

- النوعُ الأوَّلُ : (فَوَعَلٌ) كجوهِرٍ وجواهرَ ، وجورِبٍ وجوارِبَ ، وصومعةٍ وصوامعَ .

- النوعُ الثاني : (فاعِلٌ) بفتحِ ثالِثِهِ ؛ كطابِعٍ وطوابِعَ ، وخاتِمٍ وخواتِمَ ، وقالبٍ وقوالبَ .

- النوعُ الثالثُ : (فاعِلاءٌ) بكسرِ ثالِثِهِ ؛ كقاصِعاءَ وقَواصِعَ ، ونافِقاءَ ونوافِقَ ، وراهِطاءَ ورواهِطَ ؛ أسماءُ أبوابِ جُحْرِ اليربوعِ .

- النوعُ الرابعُ : كلُّ اسمٍ غيرِ صفةٍ يوازنُ (فاعِلاً) مثلُ : كاهِلٍ وكواهِلَ ، وعامِرٍ وعوامِرَ ، وجابِرٍ وجوابِرَ .

- النوعُ الخامسُ : أوصافُ الإناثِ الموازنةُ لـ (فاعِلِ) مُختَمَةً بالتاءِ أو لا ؛ كحائِضٍ وحوائِضَ ، وفاركٍ وفوارِكَ ؛ وهي المُبغِضَةُ لزوجِها ، وصائِمَةٌ وصوائِمَ ، وقائِمَةٌ وقوائِمَ .

- النوعُ السادسُ : أوصافُ غيرِ العُقلاءِ الموازنةُ لـ (فاعِلِ) كصاهِلٍ وصواهِلَ ، وناهِقٍ ونواهِقَ .

الوزنُ الثاني مِنَ أوزانِ صيغةِ منتهى الجموعِ : (فَعائِلٌ) بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِ [رابعِهِ] ، يكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مُؤنَّثٍ ، قبلَ آخِرِهِ مَدَّةً ، مُختَمٍ بالتاءِ ؛ كسَحابَةٍ وسحائبَ ، ورسالةٍ بكسرِ أوَّلِهِ ورسائلَ ، وذُؤابةٍ بضمِّ أوَّلِهِ وذوائِبَ ، وحمولةٍ بفتحِ أوَّلِهِ وحمائلَ ، وفَعيلةٍ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كصحيفةٍ وصحائفَ ،

وَحَمِيلَةٍ وَحَمَائِلَ ، وَتُجْمَعُ الْأَوْصَافُ الْمَوَازِنَةُ لـ (فَعِيلَةٍ) بِهَذِهِ الصِّيغَةِ ؛
كَعْقِيلَةٍ وَعَقَائِلَ ، وَكِرِيمَةٍ وَكَرَائِمَ ؛ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ) كَجَرِيحَةٍ
وَقَتِيلَةٍ .



الوزنُ الثالثُ : (فَعَالِي) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكسْرِ رَابِعِهِ وَآخِرُهُ يَاءٌ ، وَتُبَدَّلُ الْيَاءُ
أَلِفًا فِي الْبَعْضِ ، فَيُفْتَحُ مَا قَبْلَهَا ضَرُورَةً ، وَقَدْ التُّزِمَتِ الْهَيْئَةُ الْأُولَى فِي بَعْضِ
الْمَفْرَدَاتِ ، وَالتُّزِمَتِ الثَّانِيَةُ فِي بَعْضِ آخَرَ ، وَوَرَدَ كُلُّ مِنْهُمَا فِي بَعْضِ ثَالِثٍ ،
فَأُنْتِ بِالْخِيَارِ بَيْنَهُمَا .

فَمِمَّا التُّزِمَتْ فِيهِ الْأُولَى : حِذْرِيَّةٌ بِكسْرِ فَسْكَوْنِ فَكسْرِ [فَيَاءٍ] خَفِيفَةٌ ؛ اسْمٌ
لِلْقِطْعَةِ الْغَلِيظَةِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْأَكْمَةِ ، فَجَمْعُهَا : [حَذَارٍ] لَا غَيْرَ ، وَسِعْلَاءَةٌ
بِكسْرِ فَسْكَوْنِ ؛ اسْمٌ سَاحِرَاتِ الْجِنِّ ؛ فَجَمْعُهَا : [سَعَالٍ] ، وَعَرْقُوقَةٌ بِفَتْحِ
فَسْكَوْنِ فَضْمِ فَوَاوٍ خَفِيفَةٍ ؛ كَتَرْقُوقَةٌ ، فَالْجَمْعُ : [عَرَاقٍ وَتَرَاقٍ] ، وَالْعَرْقُوقَةُ :
هِيَ الْخَشَبَاتُ الَّتِي تُجْعَلُ لِلدَّلَاءِ مِنْ فَوْقٍ يُرْبَطُ فِيهَا الرِّشَاءُ ، وَالتَّرْقُوقَةُ : الْعِظْمُ
الَّذِي يَلِي الْعُنُقَ إِلَى الْكَتِفِ مِنْ أَعْلَى الصَّدْرِ .

وَمِمَّا التُّزِمَتْ فِيهِ الثَّانِيَةُ : كُلُّ وَصْفٍ عَلَى (فَعْلَانٍ) لِلْمُذَكَّرِ ، وَ(فَعْلَى)
لِلْمُؤَنَّثِ ؛ كَسَكْرَانَ وَسَكْرَى وَسَكَارَى ، وَغَضْبَانَ وَغَضْبَى وَغَضَابَى ، وَعَطْشَانَ
وَعَطْشَى وَعَطَاشَى .

وَمِمَّا وَرَدَ فِيهِ كُلُّ مِنْهُمَا : كُلُّ اسْمٍ عَلَى وَزْنِ (فَعْلَاءٍ) كَصَحْرَاءَ ؛ فَتَقُولُ :
صَحَارِي بِالْكَسْرِ وَالْيَاءِ ، وَصَحَارَى بِالْفَتْحِ وَالْأَلْفِ .

وَكَلُّ اسْمٍ عَلَى وَزْنِ (فَعْلَى) بِفَتْحِ فَسْكَوْنِ ؛ كَعَلْقَى اسْمَ نَبْتٍ ؛ فَتَقُولُ :
عَلَاقِي وَعَلَاقَى .

أَبْقَيْتَ هَذِهِ الْيَاءَاتِ مُثَبَّتَةً لِلتَّوْضِيحِ فَقَطْ .

وكلُّ اسمٍ على وزنٍ (فِعْلَى) بكسرٍ فسكونٍ ؛ كذِفْرَى ، اسمٌ للعظمِ خلفِ
أُذُنِ الناقَةِ ؛ فتقولُ : ذَفَارِي وَذَفَارَى .

وكلُّ وصفٍ على وزنٍ (فُعْلَى) بضمِّ فسكونٍ لمؤنَّثٍ غيرِ (أفعلَ)
كحُبَلَى ؛ فتقولُ : حَبَالِي وَحَبَالَى .



الوزنُ الرابعُ : (فُعَالَى) بضمِّ أوَّلِهِ وآخِرُهُ أَلْفٌ ، يكونُ جمعاً لـ (فَعْلَانُ)
و(فَعْلَى) كسَكْرَانٍ وَسَكْرَى وَسُكَارَى ، وهو أَرَجَحُ مِنَ المَفْتُوحِ .

الوزنُ الخامسُ : (فَعَالِيٌّ) بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِ رابعِهِ وتشديدِ الياءِ ، يكونُ
جمعاً لكلِّ اسمٍ مختومٍ بياءٍ مُشدَّدةٍ تُشَبِّهُ ياءَ النَّسَبِ [وَلَيْسَتْ] لَهُ ؛ مثلُ :
كُزَيْبِي وَكِرَاسِي ، وَكُزَيْبِي وَكِرَاسِي .



خاتمة فيها مسائل

المسألة الأولى

[في ضوابط الجمع بصيغة منتهى الجموع]

اعلم : أن صيغة منتهى الجموع إنما يُجمعُ بها من الأسماء ما زادَ على ثلاثة أحرفٍ من الأسماء الرباعيَّة والخماسيَّة والسُداسيَّة والسَّباعيَّة ، وحيثُ كانت غيرَ مُمكنة فيما زادَ على أربعة أحرفٍ . . . وجب أن تَرُدَّ ما زادَ على الأربعة إليها ؛ ليَمَكَّنكَ أن تَجْمَعَهُ بهذه الصِّغَةِ .

ولذلك تفصيلٌ ؛ حاصلُهُ : أن الاسم إذا كان خُماسيًّا مُجرَّدًا . . . وجب حذفُ خامسِهِ ؛ كسَفَرَجِلٍ وسَفَارِجٍ .

وإن كان خُماسيًّا بزيادةٍ . . . حُذِفَ الزائدُ ، إلا إذا كانَ ليناَ قبلَ الآخرِ ؛ فإنه يُبدَلُ ياءً وَيَبْقَى ؛ كغَضَنَفِرٍ وقَرَنُفَلٍ وغَضَافِرٍ وقَرافِلَ ، وكفِرَعَوْنَ وقَراعينَ ، [وغُرُنَيْقٍ] وغَرائِقِ ، وكِرَباسٍ وكِرابيسَ ، وغُضُفُورٍ وعِصافيرَ .

وإن كانَ اسمًا مُشتملاً على زيادتين أو أكثرٍ . . . حذفتُ باختيارِكَ منَ الزوائدِ ما يكونُ الباقي بعده صالحاً لأن يُجمَعَ بهذه الصِّغَةِ ، إلا إذا كانَ أحدُ الزائدين ذا مزيَّةٍ ؛ بحيثُ يكونُ دالًّا على معنى مُحققاً لصيغةٍ ، أو كانَ حذفُهُ مُخرِجاً للكلمة عن النظائرِ ؛ فنقولُ في عَلَنَدَي [وسَرَنَدَي] مثلاً : علاندُ [وعلادٍ] ، وسراندُ [وسرادٍ] .

وتقولُ في مستدعٍ ومقتدرٍ : [مداعٍ] ومقادِرُ ، وفي نحوِ استخراجِ : تخاريجُ ، على وزنِ تماثيلٍ ، فلا تَحذِفُ التاءَ وتُبقي السينَ ؛ لخروجِهِ بذلك عن النظائرِ ، وإلا إذا كانتِ الكلمةُ كـ (حَيْرُيونَ) و(عَيْطَبُولِ) . . . فإنَّ

الواجب حذف الياء دون الواو؛ فتقول في جمعه: حزابين وعطابيل.

ومما علمت في هذا الموضع تعرف سائر أوزان صيغة منتهى الجموع؛ فتقول في جمع (جعفر) مثلاً: جعافر، وزنه (فَعَالِلُ) وفي جمع (أفضل): أفاضل، وزنه (أفاعِلُ) وفي جمع (مسجد): مساجد، وزنه (مفاعِلُ) وبالتفكير لا يخفى عليك اعتبار ذلك.

المسألة الثانية

[في جمع الجمع]

قد تَفَصَّلَ آحادُ النوعِ جُملاً، وتَصَنَّفَ أصنافاً، فيُستعملُ جمعٌ في كلِّ جملةٍ، فإذا أردت أن تُدَلَّ على تلكِ الجمَلِ .. جمعتَ الجمعَ .

مثلاً: إذا كانَ لزيدِ جمالٌ نجاتيةٌ^(١)، وجمالٌ مصريَّةٌ، وجمالٌ شاميةٌ .. قلتَ: جمالٌ زيدِ المصريَّةُ؛ وهو جمعُ (جمالٍ) وقلتَ: أحصيتُ جمالاتِ زيدٍ؛ وهو جمعُ (جمالٍ) الذي هو جمعُ (جمالٍ) وهذا ضابطُ جمعِ الجمعِ؛ فإذا [لم] تَفَصَّلِ الآحادُ جُملاً .. لم يَصِحَّ أن تجمعَ الجمعَ؛ وذلكَ أنَّ الجمعَ يقتضي ثلاثةَ أفرادٍ، والجمعُ الأصليُّ مستغرقٌ لجميعِ الآحادِ، فمن أين يجيءُ مفردٌ ثانٍ وثالثٌ حتى تأتيَ بجمعِ الجمعِ ما لم تَفَصَّلِ الآحادُ جُملاً؟!

وتأمل قولهُ تعالى: ﴿تَرَى بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهٗ جَمَلَتْ صُفْرًا﴾^(٢)، فإنه لو قال: (كأنه جمالٌ) .. لم يُفدَ كونُ الشَّرارِ يخرجُ جماعةً جماعةً، فكانَ جمعُ الجمعِ لازماً لإفادةِ هذا المعنى .

(١) كذا بالنون والجمع في الأصل، ولعلها: (بخاتية) وهي الإبل الخراسانية.

(٢) سورة المرسلات: (٣٢ - ٣٣)، وهي قراءة أغلب السبعة.

وعلى هذا الحدِّ تَعْتَبِرُ جَمْعَ الْجَمْعِ فِي نَحْوِ : بِيَوَاتِ الْعَرَبِ ، وَرَجَالَاتِ قَرِيشٍ ، وَأَفَارِسِ الْعَسْكَرِ ، وَهَكَذَا .

المسألة الثالثة

[في الجمع ، واسم الجمع ، واسم الجنس الجمعي]

يقولون : جمعٌ ، واسمُ جمعٍ ، واسمُ جنسٍ جمعيٌّ .

والفرق بين هذه الأنواع الثلاثة :

- أن الجمعَ : هو ما يُعْتَبَرُ فِيهِ تَفْصِيلُ الْآحَادِ ؛ بَحِيْثٌ يَكُونُ الْحَكْمُ مُنْصَرِفًا لِكُلِّ وَاحِدٍ .

فإذا قلتَ : (رجالُ البلدِ قائلونَ) . . فمعناه : كلُّ رجلٍ منهم قائلٌ .

- وأن اسمَ الجمعِ : هو ما وُضِعَ لِلجَمْلَةِ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلِ الْآحَادِ ، فَيَكُونُ الْحَكْمُ مُنْصَرِفًا لِلْمَجْمُوعِ ؛ مِثْلًا : تَقُولُ : ارْتَحَلْ قَوْمٌ فَلَانٍ وَحَلُّوا بِكَذَا ، وَرَكِبُ هَؤُلَاءِ أَحْسَنُ مِنْ رَكِبِ أَوْلَئِكَ .

- وأن اسمَ الجنسِ الجمعيِّ : هو ما وُضِعَ لِمَاهِيَّةِ بَشَرٍ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي جَمَاعَةٍ جَمَاعَةٍ مِنْ آحَادِهَا إِلَى الْجَمِيعِ ، فَإِذَا أُرِدَتْ بِهِ وَاحِدًا . . أَلْحَقْتَهُ التَّاءَ لِلْفَرْقِ ؛ كَتَمْرٍ وَتَمْرَةٍ ، وَقَمِحٍ وَقَمْحَةٍ ، وَتُثْنِي ذَا التَّاءِ إِذَا أُرِدَتْ اثْنَتَيْنِ .

وكما يُجْمَعُ الْجَمْعُ . . يُجْمَعُ اسْمُ الْجَمْعِ وَأَسْمَاءُ الْأَجْنَاسِ الْجَمْعِيَّةِ لِلاخْتِلَافِ وَتَعَدُّدِ الْجَمَاعَاتِ ؛ فَتَقُولُ : الْأَقْوَامُ ، وَالتَّمُورُ ، وَالْأَعْنَابُ .

والتثنيةُ كالجمعِ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، فَتَقُولُ : قَوْمَانَا مُؤْتَلِفَانِ ، وَمَدِينَةُ كَذَا يُوجَدُ فِيهَا تَمْرَانِ ، أَحَدُهُمَا أَحْلَى مِنَ الْآخَرِ .

المسألة الرابعة

[في كيفية جمع المُركَّباتِ والمُثنَّى والجمع إذا جُعِلَتْ أعلاماً]
المُركَّباتُ الإِضافيَّةُ التي جُعِلَتْ أسماءً^(١) تُجمَعُ أجزاؤها الأوَّلُ كما
تُثنَّى ؛ فتقولُ : عبداً اللهُ ، وعُبدانُ اللهُ ، وعبادُ الحَقِّ ، وذوُّ القَعْدَةِ والحِجَّةِ ،
وأذواءُ القَعْدَةِ ، وذواتُ القَعْدَةِ .

وما كانَ مِنَ الأسماءِ ؛ كابنِ عِزِّسٍ ، وابنِ آوى ، وابنِ لُبُونٍ .. يُقالُ في
جمعيهِ : بناتُ عِزِّسٍ ، وبناتُ آوى ، وبناتُ لُبُونٍ .
والمُركَّباتُ المِزجِيَّةُ ، والمُركَّباتُ الإِسنادِيَّةُ ، والمُثنَّى ، والجمعُ ؛ إذا
جُعِلَتْ أسماءً^(٢) .. جئتُ بـ (ذو) وثَنَيْتُ أو جمعتُ حَسَبَ حاجتِكَ ؛
فتقولُ : [ذَوًّا] معديكربَ ، وذوُّ بعلبكَ ، وأذواءُ سيبويه ، وهكذا .

المسألة الخامسة

[في زيادة ياءٍ لصيغةٍ منتهى الجمعِ التي حُذِفَ منها]
الأسماءُ التي حُذِفَ منها لَتَصِحَّ صيغةٌ منتهى الجمعِ .. يجوزُ أن يُزادَ قبلَ
آخِرِها ياءٌ ساكنةٌ في الجمعِ ؛ لتكونَ عوضاً عنِ المحذوفِ^(٣) .

المسألة السادسة

[في أن صيغةً منتهى الجمعِ تلحقُها تاءٌ التانيثِ]
صيغةٌ منتهى الجمعِ تلحقُها تاءٌ تانيثٍ ؛ وهي على ثلاثة أصنافٍ :

- (١) في « شذا العرف » (ص ٢١٤) : (أعلاماً) بدل (أسماء) .
- (٢) في « شذا العرف » (ص ٢١٤) : (أعلاماً) بدل (أسماء) .
- (٣) مثال هذه المسألة : (سفرجل) تقول في جمعه : (سفراج) بحذف اللام ، وإن عوضت عن
المحذوف .. قلت : (سفراج) بزيادة الياء قبل آخره . انظر « شذا العرف » (ص ٢١٠) .

- أحدها : تاءٌ تُجَعَلُ عوضاً عنِ الياءِ التي قبلَ آخِرِ الجمعِ بعدَ حذفِها ؛
تقولُ في مثلِ قناديلَ : قنادلةٌ .

- وثانيها : تاءٌ تَلْحَقُ جمعَ المنسوبِ للدلالةِ على أنَّ الجمعَ له لا لأصلِه ؛
كالأشاعثِ والأزارقِ والمهالِبِ في جمعِ أشعَثِيّ نسبةً إلى أشعثَ ، وأزرقِيّ
نسبةً إلى الأزرقِ ، ومُهَلَّبِيّ نسبةً إلى [المَهَلَّبِ] .

فلو كانَ الجمعُ للأشعثِ والأزرقِ [والمُهَلَّبِ] . . قلتُ : المهالِبُ والأزارقُ
والأشاعثُ ، دونَ تاءٍ .

- وثالثُها : تاءٌ تُزَادُ لإلحاقِ الجمعِ بمفردٍ ؛ كصيافةٍ في جمعِ صَيْرَفٍ ،
وصياقلَةٍ في جمعِ صَيْقَلٍ ؛ لإلحاقِهِ بكراهيةٍ وطواعيةٍ .

وما أدخلتَ فيه التاءَ مِنْ هذِهِ الجموعِ . . يَنْصَرِفُ بعدَ أنْ كانَ ممنوعاً من
الصرفِ .

وربَّما لَحِقَتِ التاءُ بعضَ صيغِ الجموعِ لتحقيقِ معنى الجمعِيَّةِ ؛ كالتاءِ
في حِجَارَةٍ جمعِ حَجِرٍ ، وفُحُولَةٍ وعُمومَةٍ وخُؤُولَةٍ جمعِ فُحُلٍ وعمِّ وخالٍ ؛
فالأصلُ حِجَارٌ كجِبَالٍ ، وفُحُولٌ وعُمومٌ وخُؤُولٌ .

المسألةُ السابعةُ

[في الأفصحِ مِنْ صِيغِ الجمعِ عندَ تعدُّدِها]

تَبَيَّنَ لكَ أَنَّ النوعَ الواحدَ مِنَ المفرداتِ قد يَعتَوِرُهُ صيغتا جمعٍ أو أكثرٍ ؛
مثلُ : كاملٍ ، وكَمَلَةٍ بفتحَتَيْنِ ، وكُمَلٍ بضمِّ أَوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مشدِّداً ، ومثلُ :
فَحْلٍ ، وفَحَالٍ ، وفُحُولٍ ، وفُحُلانٍ ، وأفْحُلٍ ، هذا مقتضى ما تقدَّمَ مِنْ توزيعِ
صِيغِ الجموعِ على أنواعِ المفرداتِ .

ولكنَّ حيثُ كنتَ مريداً أنْ تتكلَّمَ باللُغةِ العربيَّةِ كما نطقَ بها أهلُها . .

فواجبٌ عليك أن تبحثَ عن الصِّيغَةِ التي نطقوا بها ؛ فتارةً تجدُهُم نطقوا بالصيغَتَيْنِ للمفردِ الواحدِ ، وتارةً تجدُهُم اقتصروا على إحداهُما ، فتنطقُ كما نطقوا .

وقد سبقَ التنبيةُ على أن هذه الضوابطُ إنما هي للتقريبِ والتسهيلِ^(١) ، وإلا . . فالسمعُ لازمٌ ، ولذلك ترى أصحابَ كتبِ اللغةِ يذكرونَ المفردَ ويُعقبونهُ بذكرِ جمعِهِ وإن كانَ مِنَ المشاهيرِ ؛ تنبيهاً على أنه المنطوقُ به للعربِ .



(١) انظر (١/٢١٧) .

التقسيمُ السادسُ

[في المُكَبَّرِ والمُصَغَّرِ]^(١)

الاسمُ : إمَّا مُكَبَّرٌ ؛ وهو المنطوقُ به على صيغته الوضعية ، وإمَّا مُصَغَّرٌ ؛ وهو المُحوَّلُ إلى إحدى الصيغِ الآتي بيانها لغرضِ الدلالةِ على حقارةِ قدرِ مُسمَّاهُ ، أو صِغَرِ حجمِهِ ، أو قربه مكاناً أو زماناً .
وربَّما استُعْمِلَتِ الصِّيغَةُ للتلطفِ والتملُّحِ ، أو فظاعةِ المُسمَّى ونكارته ؛ كَرُجَيْلٍ ، وَجُبَيْلٍ ، وَدُوَيْنٍ ، وَقُبَيْلٍ ، وَحُبَيْبٍ ، وَدُوَيْهِيَّةٍ .

بيانُ الصِّيغِ

هي ثلاثٌ : (فُعَيْلٌ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ وزيادةِ ياءٍ ساكنةٍ تُسمَّى : ياءُ التصغيرِ ؛ لتصغيرِ الثلاثياتِ .
(فُعَيْعِلٌ) و(فُعَيْعِيلٌ) بضمِّ ففتحِ فزيادةِ تلكِ الياءِ وكسرِ تاليها ، ولأجلِ الكسرةِ تُبدَلُ الألفُ والواوُ الواقعتانِ بعدها ياءً ؛ في تصغيرِ الأسماءِ الزائدةِ على ثلاثةِ أحرفٍ .

[مسائلُ في أحكامِ التصغيرِ]

وللتصغيرِ أحكامٌ ، ولنوردها في مسائلٍ :

المسألةُ الأولى

[في أحوالِ الحرفِ الثاني بعدَ التصغيرِ]

الحرفُ الثاني من أحرفِ الاسمِ الذي تريدُ [تصغيرَهُ] إن كانَ أَلِفًا مبدلةً

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢١٨) .

مِنْ واو ، أو مبدلةً مِنْ همزة ؛ لوقوعها ساكنةً بعدَ همزةٍ مفتوحةٍ ، أو كانتَ زائدةً ، أو أصليةً مجهولةً لم يُعلمَ أنَّها بدلٌ عمَّاداً ، أو كانَ ياءً مبدلةً مِنْ واو . . . وجبَ أنَ تنطِقَ به عندَ التصغيرِ واواً ؛ كبابٍ وُبُوَيْبٍ ، وكآدمَ وأوَيْدِمٍ ؛ أصلُها أأدُمُ بهمزتينِ ؛ لكونه وصفَ المُذَكَّرِ مِنَ الأدمَةِ ، ومُؤنَّثُهُ أدماءُ ، ونحوِ : ضاربٍ وضَوْبِرٍ ، وكاهلٍ وكُوَيْهَلٍ ، وعاصمٍ وعُوَيْصِمٍ ، وجاموسٍ [جُوَيْمِيسٍ] ، ونحوِ صابٍ وضَوَيْبٍ ؛ اسمُ شجرٍ مُرٍّ ، وعاجٍ وعُوَيْجٍ ؛ اسمُ عظمِ الفيلِ ، ونحوِ : قِيمةٍ وقُوَيْمةٍ ، وديمةٍ ودُوَيْمةٍ ، وميزانٍ ومُوَيْزِينٍ .

وإذا كانَ ذلكَ الحرفُ ألفاً مبدلةً مِنْ ياءٍ ، أو واواً كذلكَ ^(١) . . . نطِقَ به عندَ التصغيرِ ياءً ؛ كَنابٍ ونَيْبٍ ، وموقِنٍ ومُيَيْقِنٍ ، وموسِرٍ ومُيَيْسِرٍ ؛ مِنَ اليَقِينِ واليسارِ .

وإذا كانَ ذلكَ الحرفُ ياءً مبدلةً مِنْ همزةٍ . . . رُدَّ في التصغيرِ همزةً ؛ كذئِبٍ وذُوَيْبٍ .

وإذا كانَ ياءً بدلَ حرفٍ صحيحٍ . . . رُدَّ لأصلِهِ ؛ كدينارٍ ودُنَيْنِيرٍ ، وقيراطٍ وقُرَيْرِيطٍ ، وديوانٍ ودُوَيْوِينٍ .

فإذا كانَ ذلكَ الحرفُ ياءً أصليةً . . . فالأفصحُ إبقاؤها في التصغيرِ ، وفي لغةٍ رديئةٍ إبدالها واواً ، وعليه قولُ العامَّةِ : (شوية) في تصغيرِ شيءٍ ؛ فتقولُ على الفصيحِ : بيتٌ وبييتٌ ، وفي الأسماءِ : حَيِّيُّ بنُ أخطبٍ .

ويشاركُ التصغيرُ في غالبِ ما سلفَ وما سيأتي جمعَ التَكسيرِ ؛ ولذلكِ اشتَهَرَ أنَّ التصغيرَ والتكسيرَ يَرُدَّانِ الألفاظَ إلى أصولِها .

ألا ترى أنَّكَ تقولُ في جمعِ بابٍ : أبوابٌ ، كما قلتَ في تصغيرِهِ : بُوَيْبٌ ، وعليكَ باعتبارِ ذلكَ .

(١) يعني : أو كان ذلك الحرف واواً مبدلة من ياء .

المسألة الثانية

[في أحوالِ الحرفِ التالي لِياءِ التصغيرِ]

الحرفُ التالي لِياءِ التصغيرِ إن كانَ ياءً مُشَدَّدةً حُذِفَتْ أو لاهما لتوالي الأمثالِ ؛ تقولُ في تصغيرِ صَبِيٍّ وَصَبِيَّةٍ : صُبِيٍّ وَصُبِيَّةٌ .
وإن كانَ أَلِفاً أو واواً ساكنةً .. أُبدِلَ ياءً ؛ كَمَقامٍ ومُقِيمٍ ، وَعَجُوزٍ وَعُجَّيزٍ .

وإن كانتِ الواوُ مُتَحَرِّكةً .. جازَ إبقاؤها ، والأفصحُ إبدالها ياءً ؛ فنقولُ في تصغيرِ أسودَ وجدولٍ : أَسْوِدٌ وَجُدَيْوُلٌ ، والأفصحُ : [أَسِيدٌ] وَجُدَيْلٌ إذا لم تكنِ الواوُ المُتَحَرِّكةُ لآمِ الكلمةِ ، وإلا .. وجبَ إبدالها ياءً ؛ كدَلُوٍ ودَلِيَّةٍ وَكَرَوَانٍ وَكَرَيَانٍ .

المسألة الثالثة

[في تَمَةِ أحوالِ الحرفِ التالي لِياءِ التصغيرِ]

الحرفُ التالي لِياءِ التصغيرِ : إن كانَ بعده تاءٌ تأنِيثٌ أو أَلْفٌ أو مَدَّةٌ ، أو أَلِفٌ أفعالٍ جمعاً ، أو مَدَّةٌ فعلانٍ الذي لم يُجمَعِ على فَعَالِينَ كسَراحِينَ .. يجبُ فتحُه ، وإلا .. جَرَتْ عليه حركاتُ الإعرابِ في الصِّيغَةِ الأولى ^(١) ، وكُسِرَ في الصِّيغَةِ الثانية ^(٢) ، ولأجلِ كسرتِه إذا كانَ بعده أَلِفٌ أو واوٌ .. قَلِبَتْ ياءً ؛ فتقولُ : فَوَيْطَمَةٌ ^(٣) ، وَحَبَيْلِي ، وَحَمِيرَاءُ ، وَأَجِيمالٌ ، وَسُكَيْرانٌ ، وتقولُ : رُجَيْلٌ ، تُجْرِي على اللَّامِ حركاتُ الإعرابِ ، وتقولُ : جُعَيْفِرٌ ، ودُنَيْبِرٌ ، [وَعُصَيْفِرٌ] ، بالإبدالِ .

(١) وهي : (فُعَيْلٌ) .

(٢) وهي : (فُعَيْعِلٌ ، وفُعَيْعِيلٌ) .

(٣) كذا في الأصل ، وتمثيله به لا ينطبق على القاعدة ، ومثَّل له في « شذا العرف » (ص ٢٢٥) بـ (شُجَيْرَةٌ) .

المسألة الرابعة

[في تصغير الاسم الزائد على أربعة أحرف]

متى زاد الاسم الذي تريد تصغيره على أربعة أحرف . . وجب حذف الزائد ورده إلى الأربعة ؛ لتمكن صيغة التصغير على التفصيل الذي سبق في صيغة منتهى الجموع ، إلا إذا كانت الزيادة ألف التانيث الممدودة ، أو تاءه ، أو ياء نسب ، أو زائدي نحو : زعفران ، أو علم ثنية ، أو علم جمع تصحيح للذكور أو الإناث ، أو جزءاً ثانياً من المركب المزجي . . فإنك لا تحذفها ؛ لكونها في تقدير الانفصال ، وكأنها كلمات مستقلة ، والتصغير وارد على ما قبلها .

وأما ألف التانيث المقصورة إذا لم تكن رابعة^(١) ؛ فإن كانت سادسة أو سابعة . . حذفت ، وإن كانت خامسة ؛ فإن لم تسبقها مدة في الاسم الذي هي فيه [وبحذفها] تصلح الصيغة . . حذفت أيضاً ، وإلا . . فأنت بالخيار بين حذف المدة السابقة وإبقاء ألف التانيث ، وبين حذف ألف التانيث وإبقاء المدة .

نحو : حُبَّارِي ؛ فلك أن تقول : حُبَّيْر ؛ بحذف ألف التانيث وإبقاء المدة التي هي الألف المبدلة ياء لأجل ياء التصغير ، وأن تقول : حُبَّيْرِي ؛ بحذف المدة وإبقاء الألف .

المسألة الخامسة

[في تصغير الاسم الباقي على حرفين]

إذا كان الاسم الذي تريد تصغيره باقياً على حرفين بحذف أحد حروفه ؛

(١) وإذا كانت رابعة . . فإنها ثبت في التصغير ؛ فتقول في (حبلِي) : (حُبَيْلِي) انظر « شذا العرف » (ص ٢٢٧) .

كَعْدَةَ أَصْلُهَا وَعَدُّ ، وَسَنَةَ أَصْلُهَا سَنَوَةٌ أَوْ سَنَهَةٌ ، وَشَفَةَ أَصْلُهَا شَفَهَةٌ ، وَيَدُ أَصْلُهَا يَدِيٌّ . . رَدَدْتَ المَحذُوفَ لِيَمَكْنَ التَّصْغِيرُ ؛ فَتَقُولُ : وَعَيْدَةٌ ، وَسُنَيْتَةٌ أَوْ سُنَيْهَةٌ ، وَشَفِيهَةٌ ، وَيُدَيْتَةٌ ، وَدُمِيٌّ .

وَإِذَا كَانَ عَلَى حَرْفَيْنِ وَضِعاً وَجَعَلْتَهُ اسماً ؛ فَإِنْ كَانَ ثَانِيهِ صَاحِبِ . . ضَعَّفْتَهُ بِزِيَادَةِ حَرْفٍ مِنْ جِنْسِ ثَانِيهِ ، أَوْ كَمَّلْتَهُ بِيَاءٍ ؛ فَتَقُولُ فِي تَصْغِيرِ (هَل) : هَلَيْلٌ ، أَوْ [هَلَيْ] .

وَإِنْ كَانَ ثَانِيهِ حَرْفَ عِلَّةٍ . . كَمَّلْتَهُ بِحَرْفٍ مِنْ جِنْسِهِ ؛ كَ (لَوْ) وَ (كِي) وَ (مَا) فَتَقُولُ : لَوِيٌّ ؛ بِإِبْدَالِ الواوِ يَاءً ، وَكِيِيٌّ ، [وَمُوِيٌّ] .

المسألة السادسة

[في تصغير الأسماءِ المؤنثةِ الثلاثيةِ]

الأسماءُ المؤنثةُ الثلاثيةُ ولو حالَ التَّصْغِيرِ ، الخاليةُ مِنْ علامةِ التَّأْنِيثِ إِذَا صَغُرَتْهَا . . أَلْحَقْتَهَا تَاءَ التَّأْنِيثِ ، إِلا إِذَا حَصَلَ لَبْسٌ ؛ فَتَقُولُ : دَوَيْرَةٌ ، وَسُنَيْنَةٌ ، وَيُدَيْتَةٌ ، وَعُيَيْنَةٌ ، وَأُذَيْنَةٌ ، وَلَا تَقُولُ : شُجَيْرَةٌ ؛ لِالتَّبَاسِهِ بِتَصْغِيرِ شَجْرَةٍ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ تَصْغِيرَ شَجَرٍ ، وَلَا تَقُولُ : خُمَيْسَةٌ ؛ لِالتَّبَاسِهِ بِتَصْغِيرِ خَمْسَةٍ وَأَنْتَ تَرِيدُ تَصْغِيرَ خَمْسٍ .

وَقَدْ شَذَّ التَّجْرِيدُ مِنَ التَّاءِ فِي بَعْضِ الأَسْمَاءِ ؛ نَحْوُ : قُوَيْسٍ ، وَنُعَيْلٍ . وَشَذَّ إِلْحَاقُ التَّاءِ بِغَيْرِ الثَّلَاثِيِّ ؛ فَقَالُوا فِي تَصْغِيرِ أَمَامٍ وَوَرَاءٍ وَقُدَّامٍ : وَرَيْتَةٌ ، وَأَمِيمَةٌ بِتَشْدِيدِ الياءِ فِيهِمَا ، وَقُدَيْدِيمَةٌ .

المسألة السابعة

[في تصغيرِ الترخيمِ]

قَدْ يُقْتَصَرُ مِنَ الأَسْمِ عَلَى أَصُولِهِ وَيُصَغَّرُ وَيُسَمَّى : تَصْغِيرَ التَّرْخِيمِ ؛

فتقولُ في تصغيرِ إروادٍ : رُوَيْدٌ ، وفي تصغيرِ معطفٍ : عَطِيفٌ ، وفي تصغيرِ حمَّادٍ ، وحمَّدانٍ ، وحمَّدونَ ، ومحمودٍ ، ومُحمَّدٍ : حُمَيْدٌ ، والاعتمادُ في بيانِ المرادِ على القرينةِ .

المسألة الثامنة

[في شذوذِ تصغيرِ الأفعالِ والحروفِ والأسماءِ المبنيةِ]

يَتَبَيَّنُ لَكَ مِمَّا سَلَفَ أَنَّ التَّصْغِيرَ خَاصٌّ بِالأَسْمَاءِ المُتَمَكِّنَةِ ، لا يَكُونُ فِي الأَفْعَالِ ، ولا فِي الحُرُوفِ ، ولا فِي الأَسْمَاءِ المَبْنِيَّةِ ، وشذُّ تصغيرِ أفعالٍ في التَّعْجُبِ ، وتَصْغِيرُ أَسْمَاءِ الإِشَارَةِ ، وِبَعْضِ الأَسْمَاءِ المَوْصُولَةِ ؛ فَسَمِعَ : ذِيًّا وَتِيًّا وَاللَّتِيًّا بِفَتْحِ أَوَائِلِهَا ، وَأَوَّلِيًّا بِضَمِّ أَوَّلِهِ ، قالوا : بَعْدَ اللَّتِيَّا [وَالتِّي] أَي : بَعْدَ الصَّغِيرَةِ وَالكَبِيرَةِ ، وَقَالَ (١) :

يَا مَا أَمِيلِحَ غَزَلَانَا شَدَنَّا لَنَا مِنْ هَلْؤَلِيَّا كُنَّ الضَّالِّ وَالسَّمُرِ



(١) انظر « خزانة الأدب » (٣٦٣/٩) .

[النَّسَبُ]

المنسوبُ : اسمُ قبيلةٍ أو قُطْرِ أو بَلَدٍ أو غيرِ ذلك ، تزيدُ بعدَ آخرِهِ ياءً مُشَدَّدةً يَنْتَقِلُ إليها الإعرابُ ، ولأجلِها يُكسَرُ آخرُ الاسمِ ؛ لأنَّ المجموعَ صارَ كلمةً واحدةً ؛ [كِنزاريّ] ^(١) ومُضَرِّي ، وحِجازيِّ وشاميِّ ومِضَرِّيِّ ودمشقيِّ ، وقُطَنِيِّ وشاهيِّ .

وبذلكَ العملِ يصيرُ الاسمُ وصفاً يُنَعَتُ بِهِ ، ويعملُ عملَ الأوصافِ كما يتبيَّنُ في النحوِّ .

[مسائلُ في أحكامِ المنسوبِ]

وللمنسوبِ أحكامٌ نوردها في مسائلٍ :

المسألةُ الأولى

[في النَّسَبِ لِمَا آخِرُهُ ياءٌ مُشَدَّدةٌ]

الاسمُ الذي تريدُ أن تنسبَ إليه : إذا كانَ آخِرُهُ ياءً مُشَدَّدةً ؛ فإذا كانتَ مسبوقةً بحرفٍ واحدٍ .. فتحتَ الياءُ الأولى ، ورددتها لأصلها إن كانتَ مُنْقَلِبةً عن واوٍ ، وقلبتَ الياءُ الثانيةَ واواً مطلقاً ؛ فتقولُ في النسبةِ إلى (حَيِّ) : حَيَوِيٌّ ، وإلى (طَيِّ ، وَلِيِّ) مصدرَي طَوَى وَلَوَى : طَوَوِيٌّ ، وَلَوَوِيٌّ .

وإذا كانتَ مسبوقةً بحرفين .. خففتها ، وقلبتَها واواً ، وفتحتَ ثانيَ الاسمِ ؛ فتقولُ في النسبةِ إلى (عَلِيٍّ ، وَعَدِيٍّ ، وَقُصَيِّ) بضمِّ أولِهِ : عَلَوِيٌّ ، وَعَدَوِيٌّ ، وَقُصَوِيٌّ .

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢٤٠) .

وإذا كانت مسبوقةً بثلاثة أحرفٍ فأكثر ؛ فإن كانت زائدةً .. حذفها ؛
[لثلاً يجتمع أربع ياءاتٍ في] كلمةٍ واحدةٍ ؛ فتقولُ في النسبةِ إلى (شافعيِّ) :
(شافعيِّ) حُذِفَتْ ياءُ الاسمِ ، ووُضِعَتْ مكانها ياءُ النَّسَبِ .

وإذا كانت قائمةً مِنْ أَصْلِيّ وَزَائِدٍ ؛ كَمَزْمِيّ اسمٍ مفعولٍ ، أصلُهُ : مَزْمُوِيّ ؛
فالياءُ لامُ الكلمةِ ، والواوُ زائدةٌ قُلبَتْ ياءً كما هو القاعدةُ في مثله .. فالأحسنُ
أن تُحذفَ كسابقه ، وفي لغةٍ تُحذفُ الياءُ الزائدةُ ، وتُقلَبُ الأصليةُ واواً ؛
فتقولُ على الأولِ : مَزْمِيّ ، وعلى الثاني : مَزْمَوِيّ .

المسألةُ الثانيةُ

[في النَّسَبِ للاسْمِ المقصورِ والمنقوصِ]

الاسمُ إذا كانَ مقصوراً أو منقوصاً :

فمتى جازتْ أَلِفُ الأوَّلِ أو ياءُ الثاني أربعةَ أحرفٍ .. حُذِفَتْ ، ومتى كانتا
ثالثينِ .. قُلبَتا واواً ، وفتَحَ ما [قبلَهُما] ؛ فتقولُ في المُصطفى اسمٍ مفعولٍ ،
والمُصطفى اسمٍ فاعلٍ : مصطفىُّ ، وتقولُ في النسبةِ إلى العصا والرَّحَا :
عَصَوِيّ وَرَحَوِيّ ، وإلى الشَّجَا : شَجَوِيّ .

ومتى كانتا رابعتينِ .. فالأفصحُ حذفُ الياءِ ؛ كقاضِيّ وقاليّ ، ويجوزُ
قلبُها واواً ، فيفتَحُ ما قبلُها ؛ كقاضَوِيّ وقالَوِيّ .

وأما الأَلِفُ ؛ فإذا كانتْ أَلِفَ تَأْنِيثٍ ولم يَسْكُنْ ثاني الاسمِ الذي هي
فيه .. حُذِفَتْ أيضاً ، فإن سَكَنَ .. فالأحسنُ الحذفُ ، ويجوزُ قلبُها واواً ،
ولك زيادةُ أَلِفٍ قبلُها ؛ فتقولُ في النسبةِ إلى نحوِ حُبْلِيّ : حُبْلِيّ ، وحُبْلَوِيّ ،
وحُبْلَوِيّ .

وإذا كانتِ الأَلِفُ لإلحاقِ كلمةٍ بكلمةٍ أخرى ؛ كلفظةِ (أرطى) التي

أصلها (أزط) ، فزِيدَتْ فيها الألفُ لِإلحاقِها بـ (جعفر) ، أو كانتِ الألفُ أصليةً ؛ كـ (معلّى) و(مزمى) .. فالأحسنُ فيهما القلبُ واواً ؛ فتقولُ :
أزطويٌّ ومعلويٌّ ، ويجوزُ الحذفُ ؛ فتقولُ : أزطيٌّ ومعلّيٌّ .

المسألةُ الثالثةُ

[في النَّسَبِ إلى الاسمِ المختومِ بتاءِ التَّأْنِيثِ]

الاسمُ إذا كانَ مختوماً بتاءِ التَّأْنِيثِ .. حُذِفَتْ^(١) ؛ فتقولُ في النَّسَبِ إلى فاطمةَ : فاطميٌّ .

وإذا كانَ نحوُ طَيِّبٍ ونَيِّرٍ .. حُذِفَتِ الياءُ الثانيةُ ؛ فتقولُ : طَيِّبِيٌّ ونَيِّرِيٌّ ، بياءٍ واحدةٍ ساكنةٍ ، وعليه فكانَ حقُّ النَّسَبِ إلى طَيِّبِيٍّ : طَيِّبِيٌّ ، لكنَّهُم شَدُّوا فقالوا : طائيٌّ .

وإذا كانَ الاسمُ على وزنِ (فُعَيْلَة) بضمِّ ففتحِ فسكونٍ ؛ نحوُ : جُهَيْنَة ومُزَيْنَة .. حُذِفَتْ ياءُوهُ ؛ فقولُ : جُهَيْنِيٌّ ومُزَيْنِيٌّ .

وإذا كانَ على وزنِ (فَعَيْلَة) بفتحِ فكسرِ فسكونٍ ، ولم يكنِ واويَّ العينِ ولا مضاعفاً .. حُذِفَتْ ياءُوهُ ، وفُتِحَتْ عينُه ؛ فتقولُ في النَّسَبِ إلى حَنِيفَة : حَنَفِيٌّ ، وفي النَّسَبِ إلى طَوَيْلَة وجَلِيلَة : طَوَيْلِيٌّ وجَلِيلِيٌّ ، دونَ تغييرٍ .

المسألةُ الرابعةُ

[في النَّسَبِ إلى المُركَّبَاتِ]

المُركَّبَاتُ الإسناديةُ المُسمَّى بها ؛ نحوُ : تَأَبَّطُ شَرًّا ، وَبَرَقَ نَحْرُهُ ، وَجَادَ الْحَقُّ ، وَالمُركَّبَاتُ المَرْجِيَّةُ ، وَالمُركَّبَاتُ الإِضَافِيَّةُ .. إذا نَسَبْتَ إليها ..

(١) أي : حُذِفَتْ تاءُوهُ .

حذفت أعجازها ، واقتصرت على صدورها ناسباً لها ؛ فتقول : تَأْبِطِي ،
وَبَرَقِي ، وجادي .

وتقول : بعلي في النسبة إلى بعلبك ، ومعدّي وقالي في النسبة إلى
معديكرب وقالي قلا^(١) ، وذو الياء . . كمعدّي وقالي من المنقوص ؛ فإذا
كانت الياء رابعة . . فحكمها ما مرّ في المنقوص^(٢) .

ويُستثنى من المُركب الإضافي : الكنى والأعلام الغالبة ، وما يكون
فيه المضاف لفظاً واحداً أُضيف إلى أشياء كثيرة على البدل ؛ كأبي
بكر ، وأبي طالب ، وأمّ كلثوم ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمر ،
وعبد الأشهل ، وعبد قيس ؛ فإنّهم نسبوا في هذه المواضع إلى الأعجاز ،
وحذفوا الصدور ، وقالوا : بكرّي ، وطالبي ، وكلثومي ، وعباسي ، وهكذا .

وربّما نحتوا من المضاف والمضاف إليه اسماً على وزن (فَعْلَلٍ) بفتح الفاء
وسكون العين وفتح اللام الأولى ؛ كحَضْرَمٍ [من] حضرموت ، وعَبْشَمٍ من
عبد شمس ، وعَبْقَسٍ من عبد القيس ، ومَرْقَسٍ من أمريء القيس الشاعر ؛ فقالوا :
الشِعْرُ المَرْقَسِيُّ أَوْلُ ما يُسْتَجَادُ من شعر العرب ، وقال الشاعر^(٣) : [من الطويل]
وَتَضَحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأَنَّ لَمْ تَرَ قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

المسألة الخامسة

[في النسب إلى فعلٍ بثلاثٍ أوله]

الاسم إذا كان على وزن فعلٍ بثلاثٍ أوله وكسر ثانيه ، كدليل

(١) قالي قلا : موضع ، وهما اسمان جعلا واحداً ، وبني كل واحد منهما على الوقف .

(٢) أي : من جواز : مَعْدَوِيّ ، وَقَالَوِيّ .

(٣) هو عبد يغوث بن الحارث . انظر « البيان والتبيين » (٢ / ٢٦٨) ، و (ترا) في البيت : تسهيل (ترا)
على لغة (راء) بمعنى (رأى) ، وانظر « مغني اللبيب » (١ / ٣٦٥ - ٣٦٦) .

بضمّ أَوَّلِهِ ، وإِبِلٍ ، ونَمِرٍ بفتحِ أَوَّلِهِ . . وجَبَ عِنْدَ النَّسْبَةِ إِلَيْهِ فَتْحُ عَيْنِهِ ؛ فَتَقُولُ : دُوَلِيّ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَإِبِلِيّ بِفَتْحِ الْبَاءِ ، وَنَمِرِيّ بِفَتْحِ الْمِيمِ .

المسألة السادسة

[في النَّسَبِ إِلَى الْأَسْمِ الْمَمْدُودِ]

المنسوبُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ مَمْدُوداً ؛ فَإِنْ كَانَتْ أَلْفُهُ لِلتَّأْنِيثِ . . قَلِبَتْ وَاوَأَ ؛ فَتَقُولُ : حَمْرَاوِيّ ، وَخَضْرَاوِيّ ، وَصَفْرَاوِيّ .

وَإِذَا كَانَتْ الْهَمْزَةُ بَدَلاً عَنْ أَصْلٍ ؛ نَحْوُ : كِسَاءٍ أَصْلُهُ كِسَاوٌ مِنَ الْكِسْوَةِ ، أَوْ مَزِيدَةٍ بِالْحَاقِ الْكَلِمَةِ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى ؛ كَعَلْبَاءٍ أَصْلُهُ عَلْبٌ ، زِيدَتِ الْمَدَّةُ لِإِلْحَاقِهِ بِقَرْطَاسٍ . . فَلِكَ قَلْبِ الْهَمْزَةِ وَاوَأَ وَإِبْقَاؤِهَا ؛ فَتَقُولُ : كَسَاوِيّ وَعَلْبَاوِيّ ، وَكَسَائِيّ وَعَلْبَائِيّ .

وَإِذَا كَانَتْ الْهَمْزَةُ أَصْلِيَّةً ؛ كَقَرَّاءٍ وَوَضَّاءٍ . . بَقِيَتْ الْهَمْزَةُ ؛ فَتَقُولُ : قَرَّائِيّ وَوَضَّائِيّ .

المسألة السابعة

[في المنسوبِ الثَّلَاثِيّ إِنْ بَقِيَ مِنْهُ حَرْفَانِ]

المنسوبُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ اسماً ثَلَاثِيّاً ، حُذِفَ مِنْهُ حَرْفٌ فِي الْإِسْتِعْمَالِ ، فَإِذَا كَانَ الْمَحذُوفُ لَامَةً ؛ فَإِنْ عُهِدَ رَدُّهُ فِي تَثْنِيَّةٍ أَوْ جَمْعٍ تَصْحِيحٍ . . وَجَبَ رَدُّهُ فِي النَّسَبِ ؛ كَأَبٍ وَأَخٍ ، قِيلَ فِي تَثْنِيَّتِهِ : أَبَوَانِ وَأَخَوَانِ ، فَيُنَسَبُ إِلَيْهِ بِالرَّدِّ ؛ فَيُقَالُ : أَبَوِيّ وَأَخَوِيّ ، وَكَسَنَةٍ وَعِضَّةٍ ، قَالُوا فِي الْجَمْعِ : سَنَوَاتٌ وَعِضَوَاتٌ ، وَسَنَهَاتٌ وَعِضَهَاتٌ ، عَلَى اللَّغَتَيْنِ ؛ فَتَقُولُ فِي النَّسَبِ : سَنَوِيّ وَعِضَوِيّ ، أَوْ سَنَهِيّ وَعِضَهِيّ .

وإن لم يُعْهَدْ رُدُّ اللَّامِ فِي التَّثْنِيَةِ وَجَمْعِ التَّصْحِيحِ ؛ نَحْوُ ثُبَّةٍ . . جازَ الرُّدُّ وَعَدْمُهُ ؛ فَتَقُولُ : ثُبِّي وَثُبَوِيٌّ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ عَيْنُهُ مُعْتَلَّةً ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ الرُّدُّ أَيْضاً ، فَتَقُولُ فِي النِّسْبَةِ إِلَى شَاةٍ وَ(ذِي) بِمَعْنَى صَاحِبٍ : شَاهِيٌّ وَدَوَوِيٌّ ، وَمَنْ قَالَ فِي يَدٍ وَدَمٍ : يَدَانِ وَدَمَانٍ . . جازَ عِنْدَهُ الرُّدُّ وَالْحَذْفُ ، وَمَنْ قَالَ : يَدَيَانِ وَدَمَيَانٍ . . وَجِبَ عِنْدَهُ الرُّدُّ .

وَيَجِبُ فَتْحُ عَيْنِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ رَدِّ لَامَاتِهَا ، وَتَكُونُ كَالثَّلَاثِيَّاتِ الْمَقْصُورَةِ فِي قَلْبِ أَلْفِهَا عِنْدَ النَّسْبَةِ وَأَوَّأً .

وَالنِّسْبَةُ لِأَخْتِ كَالنِّسْبَةِ لِأَخٍ ، وَبِنْتُ كَابِنٍ ؛ فَتَقُولُ : أَخَوِيٌّ وَبَنَوِيٌّ بِفَتْحِ أَوْلِهِمَا وَثَانِيهِمَا ، وَمَا كَانَ كَابِنٍ وَاسِمٍ مَحْذُوفِ اللَّامِ مُعَوَّضاً عَنْهَا هَمْزَةُ الْوَصْلِ . . يَجُوزُ رُدُّ لَامِهِ وَحَذْفُ الْهَمْزَةِ ، وَيَجُوزُ عَكْسُهُ ، وَ(كِلْتَا) مِثْلُ (كِلَا) ، وَ(اثْنَتَانِ) كِ (اثْنَانِ) فَتَقُولُ : كِلَوِيٌّ بِفَتْحِ اللَّامِ ، وَثَنَوِيٌّ بِفَتْحِ النُّونِ .

وَإِذَا كَانَ الْمَحْذُوفُ الْفَاءَ ؛ فَإِنْ كَانَتِ اللَّامُ صَحِيحَةً . . لَمْ يُرَدِّ الْمَحْذُوفُ ؛ تَقُولُ فِي النَّسْبَةِ لِعَدَّةٍ وَزِنَةٍ : عِدِّيٌّ وَزِنِيٌّ ، وَإِنْ كَانَتْ مُعْتَلَّةً ؛ كَشِيَّةٍ وَدِيَّةٍ . . رُدَّتْ ؛ فَتَقُولُ : وَشَوِيٌّ بِفَتْحِ أَوْلِهِ وَثَانِيهِ^(١)

وَإِنْ كَانَ الْمَحْذُوفُ الْعَيْنَ ؛ فَإِنْ كَانَتْ لَامُهُ صَحِيحَةً . . لَمْ تُرَدِّ ؛ نَحْوُ : مُذُّ أَصْلُهَا مِنْذُ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا : مُذِيٌّ .

وَإِنْ كَانَتِ اللَّامُ مُعْتَلَّةً . . رُدَّتِ الْعَيْنُ ، فَتُنْسَبُ إِلَى (مُرٍ) اسْمِ فَاعِلٍ مِنْ (أَرَى) فَتَقُولُ : مُرِّيٌّ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ : (بِفَتْحِ أَوْلِهِ وَثَانِيهِ) ، وَذَكَرَ صَاحِبُ « شَذَا الْعَرَفِ » (ص ٢٥٤) أَنَّهَا بِكَسْرِ الْوَاوِ الْأُولَى ، وَمِثَالُ (دِيَّةِ) : وَدَوِيٌّ .

المسألة الثامنة

[في النَّسَبِ إِلَى الثَّنَائِيِّ وَضِعاً]

إذا كَانَ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ ثَنَائِيًّا وَضِعاً ؛ فَإِنْ كَانَ ثَانِيَةً صَحِيحاً ؛ نَحْوُ : (كَمْ)
(لَمْ) .. جَازَ تَضْعِيفُهُ عِنْدَ النَّسَبِ إِلَيْهِ ، وَإِبْقَاؤُهُ عَلَى صَوْرَتِهِ ؛ فَتَقُولُ : كَمِّي
وَلَمِّي بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ .

وإذا كَانَ ثَانِيَةً مُعْتَلًّا .. وَجِبَ تَضْعِيفُهُ ؛ فَتَقُولُ فِي النَّسَبِ إِلَى (لَا)
(مَا) : لَائِي ، وَمَائِي .

وفي النَّسَبِ إِلَى (كَيِّ) : كَيَوِيٌّ ؛ كَالنَّسَبِ إِلَى حَيٍّ ، وَفِي النَّسَبِ إِلَى
(لَوِّ) : لَوِيٌّ ؛ كَالنَّسَبِ إِلَى الدَّوِّ .

المسألة التاسعة

[في النَّسَبِ إِلَى الْجَمْعِ]

إذا نَسَبْتَ إِلَى الْجَمْعِ .. أَعَدْتَهُ إِلَى لَفْظِ الْمَفْرَدِ وَنَسَبْتَ إِلَيْهِ ؛ فَتَقُولُ فِي
النَّسَبِ إِلَى أَجْمَالٍ : جَمَلِيٌّ ، إِلَّا إِذَا صَارَ الْجَمْعُ بِمَنْزِلَةِ الْمَفْرَدِ لِاسْتِعْمَالِهِ
اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ ؛ كَالْأَنْصَارِ ، فَإِنَّهُ يُنْسَبُ إِلَيْهِ عَلَى لَفْظِهِ ؛ فَتَقُولُ : أَنْصَارِيٌّ ،
أَوْ لِكُونِهِ لَا وَاحِدَ لَهُ ؛ كَعَبَايِدٍ .

المسألة العاشرة

[في النَّسَبِ إِلَى الْحَرْفِ]

قد نَسَبُوا فِي الْحَرْفِ بِلَفْظٍ عَلَى وَزْنِ (فَعَالٍ) فَقَالُوا : حَدَّادٌ ، وَنَجَّارٌ ،
وَبَرَّازٌ مِنَ الْبَرِّ ؛ وَهُوَ الْأَقْمَشَةُ .

وَرَبَّمَا اسْتُعْمِلَ مَعَ (فَعَالٍ) النَّسَبُ الْأَصْلِيُّ ؛ فَقَالُوا لِبَائِعِ الْعِطْرِ : عَطَّارٌ

وَعِطْرِيَّ ، وهذا كثيرٌ ، واستعملوا أيضاً وزنَ (فاعِلٍ) وهو قليلٌ ؛ فقالوا :
لابنٌ وتامرٌ ؛ أي : ذو لبنٍ وذو تمرٍ ، وأقلُّ منه وزنُ (فَعِلٍ) بفتحِ فكسِرٍ ، قالَ
الشاعرُ^(١) :

وَلَسْتُ بِلَيْلِيَّ وَلَكِنِّي نَهْرٌ
أَرَادَ : لستُ ممَّنْ كسبهُ بالليلِ فَأَنسَبَ إليه ، ولكنَّ كسبي بالنهارِ ، فقولهُ :
(نَهْرٌ) كقوله : نَهَارِيَّ .



(١) أراد رجلاً أورده سيبويه في « الكتاب » (٣ / ٣٨٤) ، والبيت بتمامه :
لَسْتُ بِلَيْلِيَّ وَلَكِنِّي نَهْرٌ لَا أَدُلُّجُ اللَّيْلَ وَلَكِنْ أَبْتَكِرُ

الخاتمة

في أمورٍ لا تُخصُّ بعضَ أنواعِ الكلمةِ



الأمرُ الأوَّلُ : أحكامُ الوقفِ (١)

وهو قطعُ النطقِ عندَ آخِرِ الكلمةِ ؛ إمَّا لتمامِ الكلامِ ، أو للاستراحةِ .

إذا وقفتَ على الضَّمائِرِ المتصلةِ ؛ نحوُ : لهُ ، وبه ، وعلامِهِ .. حذفتِ الواوَ والياءَ وسكَّنتَ الهاءَ إذا لم يكنْ قبلَ الضَّميرِ ساكنٌ موجودٌ أو محذوفٌ ، وإلا .. جازَ لكَ حذفُ الواوِ والياءِ وإبقاؤُهُما ؛ نحوُ : منهُ ، وإليه ، وادعُهُ ، وارمِهِ ، ولا تُحذفُ الألفُ مِنْ نحوِ : بها وعلامِها .

وإذا وقفتَ على المُنَوَّناتِ .. حذفتَ تنويناتِها ، إلا إذا كانَ التنوينُ بعدَ فتحةٍ ؛ فإنَّهُ يُبدلُ أَلِفًا .

وإذا كانَ آخِرُ الموقوفِ عليه أَلِفًا .. وقفتَ على أَلِفِهِ ، وألحقوا (إذاً) الناصبةَ للمضارعِ أحياناً بالمُنَوَّن المفتوحِ ، فأبدلوا نونَها أَلِفًا .

وإذا وقفتَ على المنقوصِ ؛ فإذا لم يكنْ منصوباً ولا محذوفَ الفاءِ ؛ كـ (يفي) مُسمًى به ، ولا محذوفَ العينِ كـ (مُرٍ) اسمَ فاعلٍ مِنْ (أرى) فإن كانَ مُنَوَّنًا .. فالأحسنُ حذفُ يائه ، وإن لم يكنْ مُنَوَّنًا .. فالأحسنُ إثباتُها .

وفي المنصوبِ وما بعدهُ يجبُ الإثباتُ .

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٣٤٥) .

وإذا وقفت على مُتَحَرِّكٍ غَيْرِ تَاءٍ تَأْنِيثٍ .. سَكَنَتْهُ ؛ وَهُوَ الْفَصِيحُ فِي
اللُّغَةِ .

وبعضُ العربِ يَمِيلُ بالحرفِ نحوَ الحركةِ ميلاً خفيفاً ، ويُسمِّيهِ العلماءُ :
روماً .

وبعضُهُمْ إذا وقفَ على المضمومِ .. ضمَّ شفتيهِ ومدَّهُما ، ويُسمُّونَهُ :
إشماماً .

وبعضُهُمْ يُشَدِّدُ الحرفَ الموقوفَ عليه ، ويُسمَّى : تضعيفاً ، ومحلُّ ذلك
إذا لم يكن همزةً ولا واواً ولا ياءً ولا ألفاً ، ولم يكن ما قبله ساكناً .

وبعضُهُمْ يَنْقُلُ غيرَ الفتحةِ مِنَ الحرفِ الصحيحِ لسابقِهِ الساكنِ الذي
يمكنُ تحريكُهُ ولم يثقلْ بالتحريكِ ، إذا لم يُؤدِّ النقلُ إلى صيغةٍ لا نظيرَ
لها ، ويُغتَفَرُ ذلكُ إذا كانَ الموقوفُ عليه همزةً كما ينقلُ الفتحةَ من
الهمزةِ .

ونقلُ الحركةِ للمُتَحَرِّكِ السابقِ بعدَ سلبِ حركتِهِ .. لغةٌ لخمِيَّةٌ بقيتْ
في لسانِ أهلِ مصرَ ؛ فيقولونَ في الوقفِ على (كتْبُهُ) بفتحِ الباءِ : (كتْبُهُ)
بضمِّها .

وإذا وقفتَ على تاءِ التَأْنِيثِ المتصلةِ بالأفعالِ أو الحروفِ ، أو في أختِ
وبنتِ .. لم يَتَغَيَّرْ لفظُها إلا بتسكينِ المُتَحَرِّكِ منها ؛ فتقولُ : ثَمَّتْ ، وَرَبَّتْ ،
وأختُ وبنْتُ ؛ بسكونِ التاءِ ، كما تقولُ : قالَتْ .

وإذا وقفتَ على التاءِ مِنْ جمعِ المُؤنَّثِ السالمِ وما أشبهَهُ .. فالأحسنُ
إبقاؤها تاءً ساكنةً ، والأحسنُ في غيرِ ذلكِ إبدالُها هاءً .

وإذا وقفتَ على الفعلِ المحذوفِ اللَّامِ للجزمِ أو البناءِ ، أو على (ما)

الاستفهامية المخفوضة ويجب حذف ألفها عند ذلك ، أو على مبني على
حركة وليس فعلاً ماضياً ، ولا اسم (لا) ، ولا منادى ، ولا (قبل) و (بعد)
وما ألحق بهما . . جاز لك أن تقف على أواخر هذه الكلمات بالسكون ،
وجاز لك أن تجلب هاء ساكنة تُسمى : هاء السكت ، إلا مع (ما)
الاستفهامية المخفوضة بالاسم ؛ فإنه يجب ، وإلا مع الفعل المحذوف اللام
والفاء جميعاً ؛ فإنه يترجح ، حتى قيل بوجوبه في المضارع ؛ ك (لم [يعه])
و (لم [يقه]) ، ويجب في الأمر ؛ ك (قه) و (عه) .



الأمر الثاني

مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَخْصُ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الْكَلِمَةِ : الْإِبْدَالُ (١)

وهو جعل حرفٍ مكانَ حرفٍ جعلاً مُلتزماً ، وسببُهُ : التخفيفُ ولطافةُ الألفاظِ .

والإبدالُ وإن سبقَ التنبيهُ عليه في كثيرٍ مِنَ المواضعِ إلا أَنَّهُ يَحْتَاجُ لضبطٍ واستيفاءً ؛ لتكونَ على بصيرةٍ مِنْ أصولِ الألفاظِ وما آلتَ إليه ؛ إذ هو ركنٌ عظيمٌ مِنْ أركانِ الصَّرفِ (٢) .

اعلم : أَنَّهُ قد وقعَ الإبدالُ في لغةِ العربِ على نوعينِ :
نوعٌ شائعٌ مُطرَّدٌ في اللُّغاتِ ، وهو المرادُ بالبيانِ والشرحِ في هذا الموضعِ .
النوعُ الآخرُ مُختصٌّ ببعضِ اللُّغاتِ ، يُطلَعُ عليه في كتبِ اللُّغةِ ، وليسَ يَحْتَاجُهُ مَنْ يريدُ معرفةَ الفنونِ العربيةِ لأجلِ أن يَنْطِقَ بالنطقِ الصحيحِ ويأمنَ الغلطَ في شائعِ الحديثِ ؛ إذ المَهْمُ للطالبِ أن يَعْرِفَ الْأُمُورَ الكَثِيرَةَ الاستعمالِ التي تستوفي معظمَ أحوالِ الكلامِ .

[أَحرفُ الإبدالِ]

ثمَّ الأحرفُ التي يكونُ فيها التبادلُ . . تسعةٌ ، يَجْمَعُها قولُكَ : هدأتُ مُوطِياً ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَحْرَفِ ما يكونُ بدلاً عنِ غَيْرِهِ ، ويكونُ غَيْرُهُ بدلاً عنه (٣) ، كما ستطَّلِعُ عليه إن شاءَ اللهُ تعالى .

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢٧٥) .

(٢) انظر (١ / ١٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٤) .

(٣) في الأصل هنا زيادة : (ومنها ما يكون بدلاً عن غيره) ، ويظهر أنه تكرار .

حرفُ الهاءِ

تكونُ بدلاً مِنْ تاءِ التَّأْنِيثِ فِي الْوَقْفِ كَمَا سَلَفَ بَيَانُهُ ^(١) ، وَرَبَّمَا نَطَقُوا بِهَا بَدَلًا مِنَ الْهَمْزَةِ فَقَالُوا فِي (أَرَأَى الْمَاءَ) : هَرَأَى ، وَفِي (آتَى) : هَاتَى ، وَذَلِكَ مَقْصُورٌ عَلَى مَا سَمِعَ مِنْهُ .

حرفُ الهمزةِ

الهمزةُ تكونُ بدلاً عَنْ غَيْرِهَا عَلَى سَبِيلِ الْوَجُوبِ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ ، وَعَلَى سَبِيلِ الْجَوَازِ فِي مَوَاضِعَ يَأْتِي الْإِلْمَامُ بِهَا .

- الْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ مِنْ مَوَاضِعِ الْوَجُوبِ : الْوَاوُ وَالْيَاءُ إِذَا وَقَعْنَا طَرَفَيْنِ بَعْدَ أَلِفٍ زَائِدَةٍ . . وَجِبَ إِبْدَالُهُمَا هَمْزَةً ؛ نَحْوُ : كَسَاءٍ مِنَ الْكِسْوَةِ ، وَسَمَاءٍ مِنَ السَّمْوِ ، وَدَعَاءٍ مِنْ دَعْوَتْ ، وَظَبَاءٍ جَمْعِ ظَبْيٍ ، وَدِلَاءٍ جَمْعِ دَلْوٍ .

- الْمَوْضِعُ الثَّانِي : الْوَاوُ وَالْيَاءُ مِنْ أَسْمِ فَاعِلِ الْفِعْلِ الْأَجُوفِ بِإِحْدَاهُمَا مُبَدَّلَةً أَلِفًا يَجِبُ إِبْدَالُهُمَا هَمْزَةً ؛ كَقَالَ فَهَوَ قَائِلٌ ، وَبَاعَ فَهَوَ بَائِعٌ .

- الْمَوْضِعُ الثَّلَاثُ : الْمَدَّةُ الثَّلَاثَةُ الزَّائِدَةُ فِي الْمَفْرَدِ إِذَا جَمَعْتَهُ بِصِيغَةِ مُنْتَهَى الْجَمْعِ . . يَجِبُ إِبْدَالُهَا هَمْزَةً ؛ نَحْوُ : قِلَادَةٍ وَقِلَائِدَ ، وَصَحِيفَةٍ وَصَحَائِفَ ، وَعَجُوزٍ وَعَجَائِزَ .

- الْمَوْضِعُ الرَّابِعُ : إِذَا اجْتَمَعَ فِي الْكَلِمَةِ وَاوَانٍ ، أَوْ يَاءَانٍ ، أَوْ يَاءٌ وَوَاوٌ ، وَجَمَعْتَهَا عَلَى صِيغَةِ مُنْتَهَى الْجَمْعِ . . وَجِبَ إِبْدَالُ الثَّانِيَةِ مِنْهُمَا هَمْزَةً ، كَالْأَوَائِلِ فِي جَمْعِ (أَوَّلَ) ، وَالنِّيَائِفِ فِي جَمْعِ (نَيْفٍ) ، وَالسِّيَائِدِ فِي جَمْعِ (سَيِّدٍ) .

(١) انظر (١/٢٩٠) .

فيها ، فتقولُ : هَرَاوِي وهدايا وخطايا ومطايا ، ذلك أمرٌ لازمٌ لا يَصِحُّ النطقُ
بغيره .

حرفُ الياءِ

تكونُ بدلاً عنِ الألفِ في موضعين :

- الموضعُ الأوَّلُ : إذا وقعتْ بعدَ كسرةٍ ، كما في جمعِ مصباحٍ وقِنطاريٍّ
على مصابيحٍ وقناطرٍ ، وكما في تصغيرِهما .
- الموضعُ الثاني : إذا وقعتْ بعدَ ياءِ التصغيرِ ، كما في غزالٍ وغُرَيْلٍ .

وتكونُ بدلاً عنِ الواوِ في عشرةِ مواضعٍ :

- الموضعُ الأوَّلُ : أن تقعَ مُتَطَرِّفَةً إثرَ كسرةٍ ، ولا يَمْنَعُ مِنْ كونها طرفاً
وقوعُ تاءِ التانيثِ أو أَلِفِهِ أو مَدَّتِهِ أو أَلِفِ ونونِ زائدتينِ بعدها ؛ نحوُ : رضيَ
مِنَ الرضوانِ ، وقَوِي مِنَ القُوَّةِ ، والغازي والداعي مِنْ غزوتٍ ودعوتٍ .
- الموضعُ الثاني : أن تقعَ عيناً لمصدرٍ فعلٍ أَعْلَتْ فِيهِ وقبلها كسرةٌ
وبعدها أَلِفٌ ؛ كصِيامٍ وقِيامٍ لصامٍ وقامٍ ، وانقيادٍ واعتيادٍ مِنْ انقَادٍ
واعتادٍ .

- الموضعُ الثالثُ : أن تقعَ عيناً لجمعٍ قبلها كسرةٌ وبعدها أَلِفٌ إذا صَحَّتْ
في المفردِ ، فإذا أَعْلَتْ فِيهِ . . لم يُشْتَرَطِ الأَلِفُ ؛ كديميةٍ مِنَ الدوامِ ، وقيمةٍ
مِنْ يقومُ ، وحيلةٍ مِنْ يحولُ ، فجمعةٌ : دِيمٌ وقِيمٌ وحِيلٌ ، وكحوضٍ وثوبٍ ،
جمعةٌ : حِياضٌ وثيابٌ .

هذا إذا لم تَعْتَلَّ لأمِّ الكلمةِ ، وإلَّا . . لم تُبَدَّلِ الواوُ ياءً ؛ تقولُ في جمعِ
جَوٍّ : جِواءٌ .

- الموضع الرابعُ : أن تقعَ طرفاً رابعةً فصاعداً ؛ نحوُ : أعطيتُ وعاطيتُ وتعاطيتُ ، وما تصرّفَ منها .

- الموضعُ الخامسُ : أن تقعَ ساكنةً غيرَ مُشدّدةٍ إثرَ كسرةٍ ؛ نحوُ : ميزانٍ منَ الوزنِ ، وميقاتٍ منَ الوقتِ ، وإيصاءٍ منَ الوصيّةِ .

- الموضعُ السادسُ : أن تقعَ لاماً لوصفٍ على وزنِ (فُعَلَى) بضمِّ الفاءِ ؛ كدُنْيَا منَ الدُنُوِّ ، وَعُلْيَا منَ العُلُوِّ .

وخالفَ أهلُ الحجازِ في قُصَوَى ، وتميمٌ يقولونَ : [قُضَيَا] على حكمِ القاعدةِ .

- الموضعُ السابعُ : أن تجتمعَ مع الياءِ ويكونَ السابقُ ساكناً واجبَ الوجودِ في كلمةٍ واحدةٍ ؛ كسَيِّدٍ منَ السُّؤْدُدِ ، وَعَلِيٍّ منَ العُلُوِّ ، وَعُصِيٍّ ، وكَطَيٍّ منَ طَوَيْتٍ ، وَلَيٍّ منَ لَوَيْتٍ ، وطَيَّانٍ وليَّانٍ .

- الموضعُ الثامنُ : أن تقعَ لامَ (مفعولٍ) لفعلٍ مكسورِ العينِ ؛ كرضيَ فهو مَرَضِيٌّ .

- الموضعُ التاسعُ : أن تقعَ لاماً لجمعٍ على فُعُولٍ ؛ كعُصِيٍّ ودَلِيٍّ ، أصلُهُما : عُصُوٌّ ودُلُوٌّ ، جمعُ عَصَاً ، أصلُها : عَصَوٌ ، ودَلُوٌّ .

- الموضعُ العاشرُ : أن تكونَ عيناً لجمعٍ على (فُعَلٍ) بضمِّ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ ؛ كصَيِّمٍ ونَيِّمٍ ، وذلكَ إبدالُ جائزٌ ، والتصحيحُ أفصحُ ؛ كصَوِّمٍ ونُوِّمٍ .

حرفُ الواوِ

يكونُ بدلاً عنِ الألفِ إذا اقتضى الحالُ ضمَّ ما قبلها ؛ كبُويَعٍ مجهولٍ بايَعٍ ، وضُويِرِبٍ مُصغَرٍ ضاربٍ .

ويكون بدلاً عن الياء في أربعة مواضع :

- الموضع الأول : أن تقع بعد ضمة ؛ كموقن من اليقين ، وموسر من اليسار ، إلا إذا كانت الكلمة جمعاً لنحو أبيض ؛ فإن الياء تبقى ، ولأجلها تُبدل الضمة كسرة ؛ فتقول : بيض ، بكسر الباء .

- الموضع الثاني : أن تقع لام كلمة بعد ضمة ؛ مثل : نهو من النهية ، وقضو المحول من (قضى يقضي) للتعجب وإلحاقه بالطباع .

- الموضع الثالث : أن تقع لاماً لاسم على وزن (فعلى) بفتح الفاء ؛ كتقوى وفتوى .

- الموضع الرابع : أن تقع عيناً لاسم على وزن (فعلى) بضم الفاء وما في حكم الاسم ؛ وهي الصيغة التفضيلية ؛ كطوبى من الطيب ، والكوسى من الكياسة .

حرف الألف

تكون الألف بدلاً عن الواو والياء إذا تحركتا تحركاً أصلياً وانفتح ما قبلهما من كلمتهما ، وتحرك ما بعدهما إن كانتا غير لام كلمة ، وإلا . . فالشرط ألا يقع بعدهما ألف ولا ياء مُشددة ، ولا [تُبدلان] إذا وقعتا عيناً في (فعل) الذي مصدره على (فعل) بفتحيتين ، وكذا في مصدره ؛ نحو : غيد غيداً ، وعور عوراً ، ولا تُبدل الواو إذا كانت عيناً ل (افتعل) الدال على التفاعل ؛ نحو : اجتوروا ، واشتوروا ، واعتوروا ، ولا يُبدلان أيضاً إذا وقع بعدهما حرفٌ أُعلُّ بإعلالهما ؛ كالهوى والجوى .

وكذلك إذا وقع بعدهما زيادة تُخصُّ الاسم ؛ كالألف والنون من [نحو] الجولان والطوفان والهيمان ، والألف في نحو : صورى وحيدى بفتحات .

حرفُ التاءِ

تكونُ التاءُ بدلاً مِنْ الواوِ والياءِ إذا وقعتا فاءً لصيغةِ (افتعل) نحوُ :
اتَّقَى ، واتَّكَل ، واتَّسَرَ ، أصلُهُ : اوتَّقَى واوتَّكَل وايتَّسَرَ .

حرفُ الطاءِ ، وحرفُ الدالِ

يكونانِ بدلاً مِنْ تاءِ الافتعالِ كما سبقَ تفصيلُهُ^(١) .

حرفُ الميمِ

يكون بدلاً مِنْ نونٍ ساكنةٍ وقعتْ قبلَ باءٍ .

الهمزةُ : إذا وقعتْ بعدَ همزةٍ في آخِرِ الكلمةِ .. قَلِبَتْ ياءً مطلقاً ، ثمَّ إنْ كانَ ما قبلُها مفتوحاً .. قَلِبَتْ أَلِفاً ، وإنْ كانَ مضموماً أو مكسوراً .. حُدِفَتْ في غيرِ النصبِ إذا وقعَ بعدها ساكنٌ ؛ لكونِ ما هيَ فيه صارَ منقوصاً ، وإنْ كانَ ما قبلُها ساكناً .. بقِيََتْ ياءً كما هو شأنُ مثلِها .

وإذا كانَ الهمزتانِ في أوَّلِ الكلمةِ ؛ فإنْ سَكَنْتْ ثانيتهما .. وجبَ إبدالُها مِنْ جنسِ حركةِ السابقةِ ؛ نحوُ : أثَرْتُ أوْثُرٌ إيثاراً ، وأمَنْتُ أوْمُنٌ إيماناً ؛ مِنْ الأثرةِ والأمنِ .

وإنْ تَحَرَّكَتْ ؛ فإنْ كانتْ مضمومةً أو مفتوحةً بعدَ ضَمَّةٍ أو فتحةٍ .. وجبَ قلبُها واواً .

وإنْ كانتْ مكسورةً أو مفتوحةً بعدَ كسرةٍ .. وجبَ قلبُها ياءً .

(١) تقدم (١/٢٠٦) .

وإذا كانتِ الهمزةُ الأولى همزةَ المضارعِ .. تَخَيَّرتَ بَيْنَ تحقيقِ الهمزةِ الثانيةِ وَبَيْنَ قَلْبِهَا ؛ عَلَى حَكْمِ القَاعِدَةِ ، وَعَلَيْكَ بِاسْتِخْرَاجِ الأمْثَلَةِ ورعايةِ تفصيلِ الحَكْمِ فيما يَرِدُ عَلَيْكَ مِنَ الكَلَامِ .

وَإِنْ كَانَتِ الهمزتانِ فِي أَثْناءِ الكَلِمَةِ .. أُدْغِمَتِ الأولى فِي الثانيةِ ؛ نَحْوُ : سَأَلَ وَرَأَسَ وَلَأَلَ .

فَهَذَا تَقْرِيبُ ضَوَابِطِ الإِبْدالِ الشائِعِ فِي اللِغَةِ العَرَبِيَّةِ ، وَهناكَ إِبْدالاتٌ تَطَّلِعُ عَلَيْها إِذا تَوَسَّعْتَ فِي مِطالعةِ كِتابِ اللِغَةِ .



الأمر الثالثُ

نقلُ الحركاتِ مِنْ مواضعِها ، وحذفُ بعضِ حروفِ الكلمةِ

متى تحرّكتِ الواوُ والياءُ وكانَ ما قبلَهُما ساكناً صحيحاً ، ولم تكنِ الكلمةُ فعلاً تعجيبياً ، ولا كأبيضَ وأسودَ ، ولا مضارعاً لنحوِ عَوَرَ ، ولا اسمَ آلهِ كالمَقُودِ والمِخْيَاطِ . . نُقِلَتْ حركتُهُما إلى الساكنِ قبلَهُما ، وبقيةِ ساكنيّنِ سكوناً مرسلأً إن كانَ قبلَ الواوِ ضمّةً ، وقبلَ الياءِ كسرةً ، وإلا . . قُلبتا أَلْفَيْنِ ؛ نحوُ : يقولُ ويبيعُ ، وأقامَ وأباعَ ، واستقامَ واستباعَ .

وتُحذفُ الألفُ مِنَ الإفعالِ والاستفعالِ ، ويُعوّضُ منها تاءٌ لازمةٌ كما تقدّمَ التنبيهُ عليه في بابِ المصدرِ^(١) ، ويُحذفُ لهذا الإعلالِ واوُ (مفعولٍ) نحوِ : مَصُونٍ ومِبيِعٍ ، بإبدالِ الضمّةِ كسرةً في نحوِ مبيعٍ .



(١) انظر (١/٢٢٢) .

الأمْرُ الرَّابِعُ : فِي الْإِدْغَامِ وَالْفَكِّ

اعلمُ : أَنَّهُ إِذَا تَوَالَى حُرْفَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ؛ كِبَاءَيْنِ أَوْ دَالَيْنِ فِي كَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ . . فَهُمَا مَوْضِعُ الْفَكِّ وَالْإِدْغَامِ ، وَاسْتِيفَاءُ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ مِنْ وَظِيفَةِ عِلْمِ الْقِرَاءَاتِ .

وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ الصَّرْفِيُّونَ عَلَى الْمِثْلَيْنِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ حَيْثُ كَانَ بَحْثُهُمْ عَنْ أَحْوَالِ الْمَفْرَدَاتِ ، فَوَجِبَ أَنْ نَسِيرَ مَعَ الْقَوْمِ .

فَنَقُولُ : إِذَا اجْتَمَعَ الْمِثْلَانِ فِي كَلِمَةٍ . . فَنَارَةٌ يَجِبُ الْفَكُّ ، وَنَارَةٌ يَجِبُ الْإِدْغَامُ ، وَنَارَةٌ يَجُوزُ كُلُّ مَنْهُمَا .

مَوَاضِعُ جَوَازِهِمَا : يَجُوزُ كُلُّ مَنْ الْفَكِّ وَالْإِدْغَامِ فِي نَحْوِ حَيٍّ مِنْ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاءِ ، وَعَيٍّ ؛ أَي : عَجَزَ عَنِ الْإِبَانَةِ ، فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ : [حَيٍّ وَعَيٍّ] ، وَفِي نَحْوِ تَتَابَعٍ فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ : اتَّابَعٍ ؛ بِجَلْبِ هَمْزَةِ الْوَصْلِ ، وَفِي نَحْوِ اسْتَتَرَ فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ : سَتَّرَ ؛ بِنَقْلِ الْفَتْحَةِ إِلَى السَّيْنِ ، وَكَسْرِ السَّيْنِ لُغَةً ، فَيُسْتَغْنَى عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ .

وَفِي الْمَضَارِعِ السَّاكِنِ الْآخِرِ لِلْجَزْمِ أَوْ الْوَقْفِ ، وَالْفَكُّ لُغَةُ الْحِجَازِ ، وَالْإِدْغَامُ لُغَةُ تَمِيمٍ ، وَبِكِلْتَيْهِمَا جَاءَ الْقُرْآنُ ، وَفِي الْأَمْرِ .

وَإِذَا أَدْغَمْتَ فِي الْمَضَارِعِ وَالْأَمْرِ . . وَجِبَ تَحْرِيكُ ثَانِي الْحَرْفَيْنِ لِلتَّخْلِصِ .

وَيَجِبُ الْفَكُّ فِي مَوَازِنِ (فُعَلٍ) بِضَمِّ فَتْحٍ ؛ كَصَفِّفٍ وَعُقَقِي ، وَفِي مَوَازِنِ (فِعَلٍ) بِكَسْرِ فَتْحٍ ؛ مِثْلُ : كَلَّلٍ وَحَبَبَةٍ ، وَفِي مَوَازِنِ (فُعَلٍ) بِضَمَّتَيْنِ ؛ كَذُلِّ وَسُرُرٍ ، وَفِي مَوَازِنِ (فَعَلٍ) بِفَتْحَتَيْنِ ؛ كَمَلَّلٍ وَلَبَّبٍ وَرَدَدَةٍ ، وَفِي صِيغَةِ

إِلْحَاقِيَّةٌ ؛ كَهَيْلَلٍ وَجَلَبَبٍ ، وَفِي (فُعَلٍ) بَضْمٍ أَوَّلِهِ وَفَتْحٍ ثَانِيهِ مُشَدَّدًا ؛ نَحْوُ :
جَسَسٍ فِي جَمْعِ جَاسٍ .

وَفِي الْأَفْعَالِ الْمَاضِيَةِ إِذَا اتَّصَلَتْ بِهَا الضَّمَاوِرُ الْمَرْفُوعَةُ الْبَارِزَةُ ؛ نَحْوُ :
حَلَلْتُ وَمَلَلْتُ وَصَبَبْتُ .

وَيَجِبُ الْإِدْغَامُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنْ كَانَ أَوَّلُ الْحَرْفَيْنِ سَاكِنًا . . فَذَاكَ ،
وَإِنْ كَانَ مُتَحَرِّكًا . . نُقِلَتْ حَرَكَتُهُ لِلْسَّاكِنِ قَبْلَهُ إِنْ كَانَ ؛ نَحْوُ : أَزِمَّةٌ تُشَدُّ ،
وَإِلَّا . . حُدِفَتْ ؛ كَحَلٍّ وَمَلٍّ وَصَبٍّ .

وَشَدَّتِ الْعَرَبُ بِالْفَلَكَ حَيْثُ يَجِبُ الْإِدْغَامُ ؛ فَقَالُوا : أَلِلَ السِّقَاءُ يَأْلُلُ ؛ أَي :
فَسَدَ ، وَدَبَبَ زَيْدٌ يَدِبُّ ؛ أَي : نَبَتَ الشَّعْرُ فِي جِبْهَتِهِ ، وَفِي كَلِمَاتٍ أُخَرَ مِنَ
الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ نَبَّهَتْ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ اللُّغَةِ .

مَسْأَلَةٌ

التَّاءُ إِنْ فِي أَوَّلِ الْمِضَارِعِ إِذَا ابْتَدَأَتْ بِهِ لَا يَجُوزُ فِيهِمَا الْإِدْغَامُ ، كَمَا لَا
يَجُوزُ فِي الْمَتَصَدِّرِينَ سِوَى مَا سَلَفَ ، وَيَكْثُرُ حَذْفُ إِحْدَى تَائِي الْمِضَارِعِ
تَخْفِيفًا ؛ نَحْوُ : تَلَطَّيْ وَتَيَّمَمُوا ، فَإِذَا لَمْ تَبْتَدِئْ بِالْمِضَارِعِ . . جَازَ الْإِدْغَامُ ،
فَلَكَ فِيهِ حَيْثُ ثَلَاثَةٌ أَوْجِهٌ ؛ تَقُولُ : لَا تَتَرَدَّدُ ، وَلَا تَرَدَّدُ ، وَلَا تَرَدَّدُ .

مَسْأَلَةٌ

النُّونُ السَّاكِنَةُ وَمِنْهَا التَّنْوِينُ لَهَا خَمْسَةٌ أَحْوَالٍ :

- الْأَوَّلُ : إِبْدَالُهَا مِنْ جَنْسٍ مَا بَعْدَهَا ، وَإِدْغَامُهَا فِيهِ بِلا غُنَّةٍ ؛ وَذَلِكَ حَيْثُ
تَلَاقِي الرَّاءَ وَاللَّامَ ؛ مِثْلُ : مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَنْ لَوْ .

- الثَّانِي : إِبْدَالُهَا مِنْ جَنْسٍ مَا بَعْدَهَا وَإِدْغَامُهَا فِيهِ بِغُنَّةٍ ، وَالغُنَّةُ : إِخْرَاجُ

الصوتِ مِنَ الْخَيْشُومِ فِي نَوْعِ تَرْتُّمٍ ؛ وَذَلِكَ حَيْثُ تَلَاقِي الْمِيمَ وَالْوَاوَ وَالْيَاءَ ،
إِلَّا إِذَا لَاقَتُهُمَا فِي كَلِمَةٍ ^(١) ؛ نَحْوُ : دُنْيَا وَصِنَوَانِ ، وَالْإِدْغَامُ بَغْنَةً حَكْمُهَا إِذَا
لَقِيَتْ مِثْلَهَا .

- الثَّالِثُ : إِبْدَالُهَا مِيمًا مَعَ غُنَّةٍ حَيْثُ تَلَاقِي الْبَاءَ كَمَا مَرَّ .

- الرَّابِعُ : إِظْهَارُهَا حَيْثُ تَلَاقِي حَرْفًا حَلْقِيًّا .

- الْخَامِسُ : إِخْفَاؤُهَا ؛ وَهُوَ حَالَةٌ بَيْنَ الْإِدْغَامِ وَالْإِظْهَارِ فِيمَا عَدَا الْحُرُوفَ
السَّابِقَةَ .



(١) أَي : لَاقَتِ الْيَاءَ وَالْوَاوَ .

[مخارج الحروف]

هذا ؛ واعلم : أن من وظيفة علم الصّرف إبانة مخارج الحروف ؛ أي :
مواضع خروجها وأوصافها ؛ لتعرف كيفية النطق بها ، وقد وضع بعض
العلماء في ذلك رسائل مُستقلة ، وسمّوه : علم تجويد القرآن ؛ لأنّ القارئ
يلزمه شدّة الحرص على إصابة النطق بحروفه .

هذا ؛ وقد سبق إطلاعك على أنّ لكلّ حرفٍ مخرجاً يَخُصُّه^(١) ، ولكنّ
العلماء مشوا مع الظاهر ، فشركوا بين الحروف في المخارج ؛ فلذلك عدّوها
سبعة عشر .

- أوّلها : الجوف : للألفِ وحرفي المَدِّ الآخريين ، واعتُبرَ الجوفُ أوّل
المخارج ، وجرى الترتيب على ما ترى ؛ لأنّ الصوت قائمٌ بالهواءِ الآخذِ من
الجوفِ إلى الخارج ، ولو اعتُبرَ وضع الإنسانِ وأنّ أوّلَهُ رأسُهُ . . كان أوّلها
الشفَتين .

- وثانيها : أقصى الحلقِ : للهمزة والهاء .

- وثالثها : وَسَطُهُ : للعين والحاء المهملتين .

- ورابعها : أدناه : للغين والحاء المعجمتين .

وهذه الأحرفُ الستة كما عرفت تُسمّى : الأحرفَ الحَلَقِيَّةَ .

- وخامسها : ما يلي الحلقِ : للقف .

(١) انظر (١/٩٩) .

- وسادسها : ما يلي ذلك : للكاف ، ويُنسب الحرفان إلى اللهاة التي هي الحدُّ بين الحلق والحَنك ، فيقال : الحرفان اللَّهَوِيَّانِ .

- وسابعها : وَسَطُ اللِّسَانِ وما فوقه مِنَ الحَنكِ : للجيم والشين والياء ، وتُسمَّى : الأحرف الشَّجَرِيَّةَ - بسكون الجيم - نسبةً لشجر الحَنكِ ؛ وهو ما انفتح منه بين اللَّحْيَيْنِ .

- وثامنها : إحدى حافتي اللِّسَانِ مع ما يليها مِنَ الأضراسِ : للضاد ، وأكثرُ الناسِ يستعملونَ اليسرى ، وَمَنْ قَدَرَ على استعمالِهما جميعاً . . يُسمَّى : أضبط ، وكذلك كانَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ تعالى عنه .

- وتاسعها : حافة اللِّسَانِ وما يليها واقعاً على الضَّاحكِ والنَّابِ والرَّبَاعِيَّةِ والثَّنِيَّةِ : للام ، وهو أوسعُ الحروفِ مخرجاً ، والثَّنِيَّةُ : إحدى الثنايا الأربع ؛ وهي الأسنانُ الوسطى ؛ اثنتانِ فوق ، واثنتانِ تحت ، ويليهما الرَّبَاعِيَّاتُ بفتح الراءِ وتخفيفِ الياءِ ، ويليهما الأنيابُ ، ويليهما مِنَ الأضراسِ : الضَّواحكُ الأربعةُ ، ويليهما الطَّواحنُ الاثنا عشرَ ، ويليهما النواجدُ المعروفةُ بأضراسِ العقلِ .

- وعاشرها : ما يلي حافة اللِّسَانِ واقعاً على الثَّنِيَّتَيْنِ : للنونِ الظاهرة .

- والحادي عشرَ : طرفُ اللِّسَانِ بينَ المخرجينِ السابقينِ : للراءِ المهملة .

- والثاني عشرَ : طرفُ اللِّسَانِ مُنطَبِقاً على نِطْعِ الحَنكِ : بكسرِ النونِ وسكونِ الطاءِ ؛ وهو ما وراءَ الثنيتينِ الفوقيتينِ للطاءِ والذالِ والتاءِ ، وتُسمَّى لذلكِ : الأحرفُ النِطْعِيَّةُ .

- والثالث عشرَ : طرفُ اللِّسَانِ ممَّا يلي الثنايا : للصاد والزاي والسينِ ، وتُسمَّى : الأحرفُ الأَسَلِيَّةُ ؛ نسبةً لأَسَلَةِ اللِّسَانِ بفتحِ السينِ وهي طرفه .

- والرابع عشرَ : طرفُ اللِّسَانِ مُنطَبِقاً على طرفِ الثنيتينِ : للطاءِ والذالِ .

فالمخارجُ المنسوبةُ للسانِ اثنا عشرَ ، وحروفُها ثمانية عشرَ .

- والخامسَ عشرَ : طرفُ الثنيتينِ موضوعاً على بطنِ الشِّفَةِ السُّفلى :
للفاءِ .

- والسادسَ عشرَ : الشِّفَتانِ مُنفتحَتينِ : للواوِ ، ومُنطَبِقَتينِ : للميمِ والباءِ ،
فالأحرفُ الشِّفويَّةُ أربعةٌ .

- والسابعَ عشرَ : الخيشُومُ : وهو ما وراءَ الأنفِ إلى الرأسِ ، لغنَّةِ النونِ
والميمِ في نحوِ : لَمَّا وعمَّا .

[صفاتُ الحروفِ]

هذا ؛ وأما أوصافُ الحروفِ . . فهي :

الهمسُ : وحروفُه يَجْمَعُها قولُ الجزريِّ رحمَهُ اللهُ تعالى : (فحَنَّهُ شخصٌ
سَكَتٌ) (١) ، ويقابلهُ الجهرُ ، وحروفُه ما عدا تلكَ الأحرفِ ، فيقالُ : الحروفُ
المهموسةُ والمجهورةُ ؛ لِمَا في الأولى مِنَ الخَفَاءِ بالنسبةِ للثانيةِ .

والشِدَّةُ ، والرِّخاوةُ ، والتَّوَسُّطُ :

فالشديدةُ : يَجْمَعُها قولُه : (أَجِدُ قَطِ بَكَتِ) .

والمُتوسِّطةُ : يَجْمَعُها قولُه : (لِنِ عَمْرٍ) .

والرِّخوةُ : ما عدا ذلكَ .

والاستعلاءُ : وأحرفُه : (خُصَّ ضَغَطِ قِظِ) ، ويقابلهُ : الاستفالُ .

والإطباقُ : وأحرفُه : الصادُ والطاءُ والضادُ والظاءُ ، ويقابلهُ الانفتاحُ ، ولا

يَخفَاكَ مناسبةُ التسميةِ إذا تأملتَ عملَ آلاتِ النطقِ .

(١) انظر « المقدمة الجزرية » (ص ٣) .

والدَّلَاقَةُ : وأحرفُها : (فَرَّ مِنْ لَبِّ) ويُقالُ : الأَحرفُ الدُّلُقُ ، ويقابلُها الإصماتُ ؛ وهو المنعُ ، قيلَ في وجهِ التسميةِ بالمصمتةِ : إنَّها ممنوعةٌ مِنْ الانفرادِ أصولاً في بناتِ الأربعةِ فما فوقُ ، ولذلكُ حكموا بأعجميَّةِ لفظِ العسجدِ .

والصَّفِيرُ : وأحرفُهُ : الصادُ ، والزايُ ، والسينُ .

والقَلْقَلَةُ : ويُقالُ : القَلْقَلَةُ ؛ وأحرفُها : (قُطِبَ جَدِّ) فإذا سَكَنَت هذِهِ الأَحرفَ .. مِلَّتْ بِهَا مَيْلاً خفيفاً نحوَ الفتحَةِ .

واللَّيْنُ : وحرفاهُ : الواوُ والياءُ إذا سَكَنتا وانفتحَ ما قبلَهُما .

والانحرافُ : وحرفاهُ : اللّامُ والراءُ ، ويُقالُ لهُما : المُنحَرِفانِ .

قيلَ : وَمِنْ الصِّفَاتِ : التَّكْرِيرُ ، وحرفُهُ الرَّاءُ ، ومعناهُ : أنَّها قابِلَةٌ للتَّكْرِيرِ ؛ لكونِها يَرْتَعِدُ بِهَا اللِّسَانُ ، لا أَنَّها تُكْرَرُ فِي النِّطْقِ ، بل يَجِبُ الاحْتِراسُ مِنْهُ .

والتَّفْشِي : وحرفُهُ كما ذَكَرَهُ جَمِيعُ المُؤَلِّفِينَ : الشَّيْنُ المَعْجَمَةُ ، وقالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ صِفَةُ الفَاءِ والثَّاءِ المِثْلَتِ والضَّادِ ؛ وهو انْتِشارُ الهَوَاءِ بِالحَرْفِ واتساعُهُ .

والاستطالةُ : وحرفُها : الضَّادُ ؛ لأنَّكَ إِذا مَكَّنْتَهَا فِي مَخْرَجِها .. وَجَدْتَهَا مُمْتَدَّةً زِيادَةً عَنِ سائِرِ الحُرُوفِ .

والتَّفْخِيمُ : وأحرفُهُ : المُسْتَعْلِيَةُ .

والتَّرْقِيقُ : وحرفُهُ : المُسْتَفِلَةُ ، وِبَعْضِ الحُرُوفِ - كالرَّاءِ واللامِ - تارَةٌ يُفْحَمُ ، وتارَةٌ يُرْقَقُ ؛ كذَكَرِ وفِرْعَوْنَ وصِراطِ وخَيْرِ .



فهذه صفات الحروف التي يلزمُ المحافظةُ عليها ، سيّما في تلاوة القرآنِ الشريفِ ؛ لتكونَ ممثلاً أمرَ الله تعالى في قوله : ﴿ وَرِزِيلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (١) ، سواءً قرأتَ بالترتيلِ ؛ وهو التأتّي ، أو الحذرِ ؛ وهو العجلةُ ، أو التدويرِ ؛ وهو التوسُّطُ ، قالتَ عائشةُ رضيَ اللهُ تعالى عنها : (كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا قرأَ .. تُعَدُّ حروفُهُ ، لا كما تُسْرَدونَهُ اليومَ) (٢) .

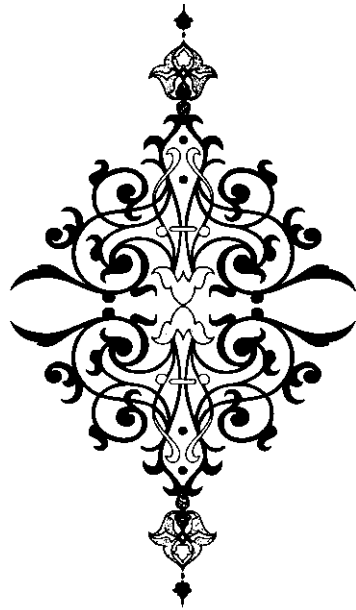
وينبغي للإنسانِ أن يروِّضَ آلاَتِ نطقِهِ ؛ لتكونَ ألفاظُهُ بيّنةً واضحةً دونَ تكلفٍ ؛ حتى يَخَفَّ على السمعِ ولا يَمُجُّهُ الطبعُ ، وباللهِ التوفيقُ .



(١) سورة المزمل : (٤) .

(٢) أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠١٧٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٢٣/٦) برقم (٥٨٢٣) .

القسم الثالث
قسم النحو



[وصية قبل البدء بمطالعة هذا العلم]

قبل المُضيِّ معَكَ في تقريرِ المسائلِ النُحويَّةِ التي بإتقانها تُعرَفُ كيفَ كانَ فُصحاءُ الأُمَّةِ العربيَّةِ يَنْطقونَ بِلِغَتِها ، ولمَ كانتَ هيئاتُ المُركَّباتِ القرآنيَّةِ على ما أنتَ واجدُها عليه . . لا بدُّ منَ دلالتِكَ على السلوكِ الواصلِ بكَ في المُدَّةِ اليسيرةِ إلى المنفعةِ التي هي غايةُ كلِّ سعيٍّ وطلبٍ ؛ لتلتزمهُ وتجتنبَ ما عداهُ ، فتكونَ مُمثلاً قولهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أحرصنَ على ما يَنْفَعُكَ ، وأستعينَ باللهِ ولا تَعْجزْ »^(١) ، ومُتحققاً منَ إصابةِ قولِ القائلِ^(٢) :

لِمَا نَافِعٍ يَسْعَى أَلَلِّيبُ فَلَا تَكُنْ لِسَيِّءٍ بَعِيدٍ نَفْعُهُ أَلَدَّهَرٍ سَاعِيَا
وذلكَ السلوكُ المُنَوَّهُ بِهِ والمدلولُ عليه . . هو أن تَجهدَ كلَّ اجتهادِكَ ، وتَصرفَ جميعَ همَّتِكَ وقتاً ما في تخليصِ الأحكامِ التي اشتملتَ عليها العلومُ الآليَّةُ منَ سواقطِ الشبهاتِ ، وتناقضِ العباراتِ ؛ حتى يسهلَ عليكَ ضبطُها وجودةُ حفظِها ، ويتهيأً لكَ ملاحظُها متى شئتَ ، حيثُ اعترفتَ أنَّها آلاتٌ وغيرها المقصودُ .



قالَ أحدُ أكابرِ عقلاءِ الأُمَّةِ ، وقدوةُ سائرِ الأممِ في إخراجِ التاريخِ عن كونهِ قصصاً وأحاديثٍ يُتَعَجَّبُ منها أو يُضحَكُ عليها ، إلى جعلِهِ أكبرَ مُرَبِّ للعقولِ ، وأجلَّ مظهرٍ للإنسانيةِ ؛ عبدُ الرحمنِ بنُ خلدونَ رحمهُ اللهُ تباركُ وتعالى عليه : (اعلمْ : أنَّ العلومَ المتعارفةَ بينَ أهلِ العُمرانِ على صِنْفَيْنِ :

(١) أخرجه مسلم (٣٤/٢٦٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر « مغني اللبيب » (٣٩١/١) .

علومٌ مقصودةٌ بالذاتِ ؛ كالشَّرْعِيَّاتِ مِنَ التفسيرِ ، والحديثِ ، والفقهِ ،
وعِلْمِ الكلامِ ، وكالطَّبِيعِيَّاتِ وَالإِلَهِيَّاتِ مِنَ الفِلسَفَةِ .

وعِلْمٌ هِيَ آلِيَّةٌ ووسيلةٌ لهذِهِ العِلْمِ ؛ كالعربيةِ والحسابِ وغيرِهِما
للشَّرْعِيَّاتِ ، وكالمنطِقِ للفِلسَفَةِ ، وربَّما كانَ آلَةً لِعِلْمِ الكلامِ ولأصولِ الفقهِ
على طريقةِ المُتأخِرِينَ .

فأمَّا العِلْمُ التي هِيَ مقاصدٌ . . فلا حرجٌ في توسعةِ الكلامِ فيها ، وتفرُّعِ
المسائلِ واستكشافِ الأدلَّةِ والأنظارِ ؛ فإنَّ ذلكَ يزيدُ طالبها تمكُّناً في
مَلَكتِهِ ، وإيضاحاً لمعانيها المقصودةِ .

وأمَّا العِلْمُ التي هِيَ آلاَتٌ لغيرِها ؛ مثلُ العربيةِ والمنطِقِ وأمثالِهِما . .
فلا ينبغي أن يُنظَرَ فيها إلاَّ مِنْ حيثُ هِيَ آلَةٌ لذلكَ الغيرِ فقط ، ولا يُوسَّعُ
فيها الكلامُ ، ولا تُفرَّغُ فيها المسائلُ ؛ فإنَّ ذلكَ مُخرِجٌ لها عن المقصودِ ؛ إذ
المقصودُ منها ما هِيَ آلَةٌ لَهُ لا غيرٌ .

فكلِّمًا خرجتْ عن ذلكَ . . خرجتْ عن المقصودِ ، وصارَ الاشتغالُ بها
لغواً ، مع ما فيه مِنْ صعوبةِ الحصولِ على مَلَكتِها ؛ بطولها وكثرةِ فروعِها ،
وربَّما يكونُ ذلكَ عائقاً عن تحصيلِ العِلْمِ المقصودِ بالذاتِ ؛ لطولِ
مسائلِها ، مع أنَّ شأنها أهمُّ ، والعمُرُ يقصُرُ عن تحصيلِ الجميعِ على هذه
الصورةِ ، فيكونُ الاشتغالُ بهذهِ العِلْمِ الآليَّةِ تضييعاً للعمُرِ ، وشغلاً بما
لا يعني .

وهذا كما فعلَ المُتأخِرُونَ بصناعةِ النحوِ والمنطِقِ وأصولِ الفقهِ ؛ فإنَّهُم
أوسعوا دائرةَ الكلامِ فيها ، وأكثرُوا مِنَ التفارِيعِ والاستدلالاتِ بما أخرجَها
عن كونِها آلَةً ، وصيَّرها مِنَ المقاصدِ ، وربَّما يقعُ فيها أنظارٌ لا حاجةَ بها في
العِلْمِ المقصودِ ؛ فهي مِنَ نوعِ اللُّغوِ ، وأنها مُضِرَّةٌ بالمُتعلِّمينَ على الإطلاقِ ؛

لأنَّ الْمُتَعَلِّمِينَ اِهْتِمَامُهُمْ بِالْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ أَكْثَرُ مِنْ اِهْتِمَامِهِمْ بِوَسَائِلِهَا ،
فَإِذَا قَطَعُوا الْعَمَرَ فِي تَحْصِيلِ الْوَسَائِلِ . . فَمَتَى يَظْفَرُونَ بِالْمَقَاصِدِ !؟
فلهذا يجبُ على المُتعلِّمينَ لهذهِ العلومِ الآليَّةِ ألاَّ يَتَبَحَّرُوا فِي شَأْنِهَا ،
وَيُنَبِّهُوا الْمُتَعَلِّمَ عَلَى الْغَرَضِ مِنْهَا ، وَيَقْفُوا بِهِ عِنْدَهُ ، فَمَنْ نَزَعَتْ بِهِ هِمَّتَهُ
إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَعُّلِ . . فَلْيَزِقْ لَهُ مَا شَاءَ مِنَ الْمَرَاقِي ، صَعْباً أَوْ سَهْلاً ، وَكُلُّ
مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ) (١) .

وقالَ في موضعٍ آخَرَ : كَانَتْ مُدَّةُ التَّلْمِيذِ فِي تُونِسَ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ ، وَفِي
فَاسَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَتْ الْمَنْفَعَةُ فِي أَهْلِ تُونِسَ كَثِيرَةً ، وَالتَّقَدُّمُ ظَاهِرًا ،
وَأَهْلُ فَاسَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ .

وسببُهُ : أَنَّ عِلْمَاءَ تُونِسَ جَرَتْ عَادَتُهُمْ أَنْ يَسْلُكُوا بِالتَّلَامُذَةِ مَسْلَكَ
التَّعَقُّلِ وَالتَّفَهُمِ لِمَا تَحْفَظُوهُ ، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ التَّعَلُّمِ . . خَرَجَ التَّلْمِيذُ
وَمَعَهُ مَحْصُولٌ مَعْقُولٌ مَفْهُومٌ يُرْشِدُهُ إِلَى تَحْصِيلِ مَا لَمْ يَكُنْ قَدْ حَصَلَ لَهُ ،
وَلَا يَعْجِزُ إِلَّا عَنِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ ؛ بَحِيثٌ مَتَى رَدَّدَ فِكْرَهُ أَوْ شَارَكَ بَعْضَ إِخْوَانِهِ
فِي مَا خَفِيَ عَلَيْهِ وَاسْتَصْعَبَ . . تَجَلَّى لَهُ وَانْقَادَ .

وَأَمَّا أَهْلُ فَاسَ . . فَكَانَتْ عَادَتُهُمْ أَنْ يَأْخُذَ التَّلَامُذَةُ بِحِفْظِ الْكُتُبِ الطَّوِيلَةِ ،
وَالعِبَارَاتِ الْعَوِيصَةِ ، وَاللُّغَاتِ الْحُوشِيَّةِ دُونَ تَعَقُّلِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّعَقُّلُ
قَهْرِيًّا بَدِيهِيًّا أَوْ شَبِيهًا بِهِ .

وبما شرحناه مِنَ السَّبَبِ وَأَشْبَاهِهِ تَفَاوَتَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَأَجْيَالِ الْأَعْصَارِ
فِي كَثْرَةِ الْعِلْمِ وَثَبَاتِهِ وَسُرْعَةِ تَحْصِيلِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ صَعُوبَةِ الْمُؤَلَّفَاتِ
وَتَقْصِيرِهَا وَكَثْرَةِ أَغْلَاطِهَا ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْأُمُورِ الْمُتَجَدِّدَةِ .

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٣٧) .

فتلاحق الأفكار وتفاوت الأنظار واختلاف الأذواق . . تسهل المؤلفات ،
ويظهر الصواب ، ويحصل الفائت ، حتى تكون بمنزلة الشمار التي بدا
صلاحها وتم نضجها ، فلسان حالها ينادي : تناولوني ، ولا تتركوني
تتلفوني .

ويُنْبَهُكَ على ذلك أنه لم يزل عمل المتأخرين لِمَا فِيهِ مِنَ المحاسنِ
يَنْسَخُ عمل مَنْ سبقَ بِهِمُ الزمَنُ .

ألا ترى إلى مؤلفات جمال الدين ابن مالك كيف أبطلت العمل بما سبق
من التأليف؟! بل المتأخر من مؤلفاته أبطل العمل بالمتقدم منها ، وعلى
ذلك القياس .

وبالجملة : فقد تصفت العلوم وتهدبت ، وأمكنت من نفسها ، فلا مُعْطِلَ
عن سرعة تحصيلها إلا سوء طريقة التعليم ، والغفلة عن المُعَوِّقات التي
يجب اجتنابها والحذر من الوقوع فيها .

فمن المُعَوِّقات : المناقشة قبل فهم الأصل ، وربما تسمع المعلم يقول :
قال المؤلف كذا وكذا ، فقبل أن يُفسر ألفاظه ويبيِّن الغرض منه . . يقول :
وفيه شيء ، أو بحث ، أو إشكال ، أو اعتراضات . . . إلى غير ذلك من
الألفاظ .

ومنها : نقل عبارات الكتب الكبيرة في الكتب الصغيرة عند تفهيمها ،
ويجمع الناقل تلك النقول في كتاب ويسميها : حاشية ، وربما صعب عليه
نفسه بعض ما ينقله ، فيكون التلميذ كمن يتعلم السباحة في نهر صغير ،
فيكلف أن يخرج إلى البحر يقطعُه بالسباحة !!

ومنها : كثرة التأليف في الفن الواحد ، وتكليف الطالب أن يقرأ جميع تلك المؤلفات ، فإنه مع كونه تكراراً . . مانع من تحصيل فن آخر ، وربما كان سبباً لضیاع الفن نفسه ؛ فإن الطالب إذا تكرر استماعه للمسألة الواحدة . . ملّ وانصرف ذهنه عن الحضور ، فلو فرضنا أن الكتاب الثاني والثالث والرابع كلُّ يشتمل على أمرٍ أو أمورٍ لم يشتمل عليها الآخر . . لم يكن ذلك مفيداً ؛ فإن نفس الطالب قد ملّت ، وذهنته قد انصرفت .

وأشدُّ من ذلك : أن الكتاب له شرح ، وللشرح شرح ، ولشرح الشرح شرح ، وهلمَّ جزأً ، يريدُ الشارحُ الأوَّلُ أن يوضِّح الكتاب ويفتح مقلِّفه ، فيعمدُ الشارحُ الثاني لإغلاقه ، ويزيده الثالث إغلاقاً .

وبالجملة : فالطالب يقع من كثرة الشروح المستعملة في وقت واحد في أمرٍ عظيمٍ وورطةٍ شديدةٍ ، وتستشعرُ نفسه اليأس من تحصيل العلم .

ومن المعوقات : حملُ المتعلِّم على التطبيق قبل المعرفة فضلاً عن جودتها اللازمة لذلك ؛ مثلاً : يحضرُ المبتدئُ الذي سمع كلمة النحو ليتعلَّمه ، فقبل أن يعرف شيئاً ما من النحو يسمع الشيخ يقول : باسمِ الله : الباءُ حرفٌ جرٌّ أصليٌّ ، ويشرُّعُ في تقريرِ الأصليِّ والزائدِ ، ونقلِ الخلافاتِ ، وتكثيرِ الأوجهِ بالعباراتِ الطويلةِ والاستدلالاتِ الدقيقةِ .

فالطالبُ الشديداً الذكاءِ يحفظُ تلك الألفاظَ ولا يتعقَّلُ لها معنىً ، ويبقى على ذلك مُدَّةً طويلةً يقرأ فيها كتباً عديدةً ، فبعد انقضاء سنواتٍ يكون قد تحصَّلَ معه ألفاظٌ كثيرةٌ ، وقد وصلَ لسنِّ الاحتياجِ وتمييزِ النافعِ من غيره ، فيبتدئُ أن يتعقَّلَ المرادَ من تلك الألفاظِ ، ويكون ذلك الوقتُ أوَّلَ طلبِهِ ومعرفتهِ .

وَيَنْقَسِمُ الطَّلَبُ حِينَئِذٍ قَسَمَيْنِ :

- أحدهما : إنسانٌ تذكَّرَ منفعةَ الاستكمالِ ، فيأخذُ في التفكيرِ والتعلُّمِ بنفسِهِ .

- وآخرُ : يقولُ : إِنِّي حَصَلْتُ مَلَكَةَ العِلْمِ ، فأفهمُ الكتبَ وأعلِّمُ الناسَ ، وأكونُ في درجةِ الفضلاءِ .

فيذهبُ الأوَّلُ صاعداً ، والثاني هابطاً ، حتى يستويا .

فيجبُ ديانةً وعقلاً تداركُ هذا الخللِ ، واختيارُ أقربِ الطَّرِقِ ومُثَلاها ؛ لتصلَ طَلَبَةُ العِلْمِ إلى حقيقةِ المعرفةِ ، ويعودَ لَهُم شرفُ العلماءِ ، ويظهرَ عليهم رُونَقُ التهذُّبِ وجمالُ السيادةِ ، ويكونوا قد حفظوا جوهرةَ العقلِ التي مَيَّرَتْهُم مِنْ بَيْنِ أنواعِ جنسِهِم ، واستعملوها فيما خُلِقَتْ لأجلِهِ ، ويقتطفَ ثمراتِ الامتثالِ بالدخولِ في المُخاطَبِينَ بقوله تعالى شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَخَّرُوا فِي الْمَجْلِسِ فَأَسْمِعُوا فَمَا يُسَمِعُ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اسْكُرُوا فَإِنَّكُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وامثلوا الأمرَ المُخاطَبَ به النبيُّ والمقصودُ الكلُّ ؛ وهو : ﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ (٢) .

وقد آن أن نمضي معك في تقريرِ المسائلِ النحويةِ على ترتيبِ « الخلاصةِ » لحسنِهِ ، وعمومِ استعمالِها ، والانتفاعِ بها شرقاً وغرباً ، منذُ نظَّمها ابنُ مالكٍ رحمَهُ اللهُ تعالى ؛ فلقد كانَ صادقَ النِّيَّةِ ، صحيحَ العزمِ ، شديدَ الاجتهادِ في

(١) سورة المجادلة : (١١) .

(٢) سورة الكهف : (٢٤) .

تأييد الإسلام ونفع المسلمين ، حتَّى إنَّ النَّاسَ بَعْدَهُ أَكثَرُوا مِنْ نَظْمِ أَلْفِيَّاتٍ
مُخْتَلِفَةٍ ، وَزَادُوا فِيهَا عَلَى « الْخُلَاصَةِ » ، وَلَمْ يُلْتَفَتْ إِلَيْهَا .

فَنَقُولُ : يَنْبَغِي أَنْ نَجْعَلَ الْكَلَامَ فِي النَّحْوِ مَنْقَسَمًا إِلَى :

- مُقَدِّمَةٌ .

- وَخَمْسَةٌ أَقْسَامٍ .

- وَخَاتِمَةٌ .



المُقَدِّمَةُ

[في بيان الإفرادِ والتركيبِ ومعنى الكلام]

اعلم: أَنَّ الإفرادَ: جعلُ الشيءِ فرداً ليسَ معه آخَرُ، ويقابلهُ التزويجُ؛ وهو جعلُ الشيءِ زوجاً يقارنُهُ زوجَ آخَرُ، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (١)، وقال: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (٢).

ثمَّ نقلهُ النحويونَ كما هو شأنُ أكثرِ الألفاظِ المستعملةِ في الفنونِ؛ فتارةً يريدونَ بالمفردِ: ما ليسَ مُركَّباً مِنَ الألفاظِ، وتارةً يقابلونَ بهِ المُثنى والجمعَ، وتارةً يقابلونَ بهِ الجملةَ، وطوراً يقابلونَ بهِ المضافَ والشبيهَ بهِ. وأنَّ التركيبَ وضعُ الشيءِ على الشيءِ، ونُقِلَ إلى جمعِ كلمتينِ فأكثرَ بحيثُ يفيدُ الاجتماعَ معنَى لم يكنِ قبلُ.

وقد عرفتَ: أَنَّ موضوعَ النحوِ.. المُركَّبُ؛ لكونِهِ يَبْحَثُ عن أحوالِ الكلماتِ، حيثُ تكونُ أجزاءً له؛ مِنَ الإعرابِ والبناءِ، والتقديمِ والتأخيرِ، والحذفِ والدِّكْرِ، ولذلك تَأَخَّرَتْ رتبتهُ عما سبقهُ من العلومِ العربيةِ؛ لكونِها تَبْحَثُ عنِ المفرداتِ.

وضابطُ المفردِ في هذا الموضوعِ: ما يكونُ إعرابهُ واحداً وإن كانَ قائماً مِنْ كلمتينِ يفيدُ كلُّ منهما معنَى؛ مثلُ: الرجلِ، وفاطمةَ، ومصريِّ.

وضابطُ المُركَّبِ: ما يتعدَّدُ فيه الإعرابُ وإن كانَ معناهُ واحداً؛ كعبِدِ اللهُ، والإنسانِ الكاملِ، عَلَمَيْنِ.

(١) سورة النساء: (١).

(٢) سورة الذاريات: (٤٩).

وعرفت : أَنَّ الكَلَامَ : هُوَ المُرَكَّبُ التَّامُ المُشْتَمِلُ عَلَى النِّسْبَةِ التَّامَّةِ الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ تُقْصَدَ إِفَادَتُهَا ، وَيَتَلَوَّهَا مَقْطَعٌ وَفَصْلٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا ، سِوَاءُ قُصِدَتِ الْإِفَادَةُ بِالْفِعْلِ أَمْ لَا ، وَسِوَاءُ زَاخَتْ جِهَالَةٌ وَحَصَلَتْ عِلْمًا أَمْ لَا ، وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ لَا يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا يُعْتَبَرُ إِلَّا إِذَا وَافَقَ الْحِكْمَةَ الْأَصْلِيَّةَ فِي تَشْرِيفِ الْخَالِقِ نَوْعًا بِمِزْيَةِ الْكَلَامِ ؛ وَهِيَ الْإِفَادَةُ وَالِاسْتِفَادَةُ .

وَشَكََّ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي تَفْسِيرِ الْكَلَامِ : هَلْ هُوَ مَسَاوِقٌ لِلْقَوْلِ وَالنُّطْقِ ، أَوْ هُوَ مَا اكْتَفَى بِنَفْسِهِ ، وَيُسْتَعْمَلُ مَوْضِعَ التَّكْلِيمِ كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ ^(١) : [من الوافر]
فَإِنْ تُمَسِّ أُنْبَةَ السَّهْمِيِّ مِنَّا بَعِيدًا مَا تُكَلِّمُنَا كَلَامًا
وَإِطْلَاقُ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي النَّفْسِيَّةِ الْمُتَعَرِّضَةِ لِلْعِبَارَةِ عَنْهَا . .
مَجَازٌ ، وَجَعَلَهَا الْأَخْطَلُ هِيَ الْجَدِيدَةَ بِاسْمِ الْكَلَامِ وَالْأَحَقُّ بِهِ حَيْثُ يَقُولُ ^(٢) :

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللَّسَانَ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا
وَأَرَادَ الْأَخْطَلُ بِهَذَا الْبَيْتِ : الرَّدْعَ وَالزَّجَرَ لِفَرِيقٍ ، وَالتَّسْلِيَةَ وَتَسْكِينَ
الْخَاطِرِ لِفَرِيقٍ آخَرَ .

وَبَيَانُ ذَلِكَ : أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا تَجَبَّرَ وَعَتَا ، وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهُ ، وَقُبِّحَتْ
أَفْعَالُهُ ، وَكَانَ مَعَهُ مِنَ الْقَهْرِ وَالسَّلَاطَةِ مَا يَحْبِسُ الْأَلْسَانَ . . فَهُوَ مُشْتَمٌّ
بِالضَّمِيرِ ، مَمْقُوتٌ بِالْقُلُوبِ ، مُتَمَنَّى الزَّوَالِ ، وَحَسْبُ امْرِئٍ جَهْلًا أَنْ يَعْرِفَ
بُغْضَ الْقُلُوبِ وَشَحْنَاءَ النُّفُوسِ وَيَتَمَادَى فِي غِيهِ .

وَأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ تَحَسَّنُ أَحْوَالُهُ ، وَتَطْيِبُ أَفْعَالُهُ ، وَتَمَلُّ الرِّحْمَةُ قَلْبَهُ ،

(١) انظر «الأغاني» (٤٧٢٢/١٣) ، والبيت لحاجز بن عوف الأزدي .

(٢) انظر «شرح شذور الذهب» (ص ٢٨) .

ثُمَّ يَمْنَعُ خَوْفٌ ضِدَّ غَشُومٍ مِنْ انْتِطَاقِ الْأَلْسَنِ بِتَقْرِيطِهِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَبِثِّ فِضَائِلِهِ ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ مَنْطُويَةً عَلَى حُبِّهِ ، نَاطِقَةٌ بِمَدْحِهِ وَشُكْرِهِ ، فَهَوَ يَقُولُ : إِنَّ الْعِبْرَةَ بِالْبُؤِاطِنِ ، فَعِنْدَهَا الْحَقَائِقُ .

وَخَصَّ النِّقْلَ الْكَلِمَةَ بِالْقَوْلِ الْمَفْرَدِ ، وَفِي اللُّغَةِ تُطْلَقُ عَلَى الْجُمْلَةِ ، وَمِنْهُ : الْكَلِمَةُ الْبَاقِيَةُ ؛ وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ ، وَعَلَى الْقَصِيدَةِ يَقُولُونَ مِثْلًا : قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ فِي كَلِمَتِهِ الْفَلَانِيَّةِ .

وَالْكَلِمَةُ : بِفَتْحِ الْكَافِ وَكَسْرِ اللَّامِ أَوْ سَكُونِهَا وَعَلَيْهِ تُفْتَحُ الْكَافُ وَتُكْسَرُ ، ثُمَّ إِنَّهَا بِمَعْنَى الْمَفْرَدِ : وَاحِدُ الْكَلِمِ الَّذِي هُوَ اسْمٌ جَنْسٍ جَمْعِيٌّ ، مَوْضُوعٌ لِيُسْتَعْمَلَ بِالْمَشِيئَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ فِي جَمِيعِ الْأَلْفَاطِ ، وَكَلَّ جَمَاعَةً مِنْهَا دُونَ الْاِثْنَيْنِ وَالْوَاحِدِ ، وَيُذَكَّرُ ، وَيُؤنَّثُ ، وَيُفْرَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ بِالتَّاءِ ، كَمَا هُوَ شَأْنُ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْأَسْمَاءِ ، فَتَقُولُ : الْكَلِمُ مِنْهُ كَلِمٌ طَيِّبٌ ، وَكَلِمٌ غَيْرُ طَيِّبٍ .

[عِلَامَاتُ أَنْوَاعِ الْكَلِمَةِ]

وَعَرَفْتَ تَنْوَعَ الْكَلِمِ ، وَتَمَيَّزَ أَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةَ بِالْحَقَائِقِ ، وَيُذَكَّرُ لِأَجْلِ التَّنْوِيرِ عَلَى الطَّالِبِ الْمُبْتَدِئِ وَإِرْشَادِهِ بِمُرْشِدٍ مَحْسُوسٍ خَوَاصُّ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا ؛ فَيُقَالُ لَهُ :

إِذَا سَمِعْتَ الْكَلِمَةَ مَخْفُوضَةً الْآخِرِ ؛ نَحْوُ : بِاسْمِ اللَّهِ ، أَوْ مَنَادِيٍّ مَعْنَاهَا مَطْلُوبُ الْإِقْبَالِ بِأَحَدِ الْأَحْرَفِ الْمَوْضُوعَةِ لِذَلِكَ ، أَوْ مَخْتُومَةً بِنُونٍ سَاكِنَةٍ تُلْفِظُ وَلَا تُكْتَبُ وَلَا يُكْتَبُ لَهَا بَدَلٌ غَالِبًا ، أَوْ مُفْتَتِحَةً بِ (أَل) التَّعْرِيفِيَّةِ ، أَوْ مَسْنَدًا إِلَيْهَا ، أَوْ مِضَافَةً ، أَوْ مُثَنًّا ، أَوْ مَجْمُوعَةً . . فَاَعْرِفْ أَنَّهَا اسْمٌ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الْكَلِمَةَ مَصْحُوبَةً بِتَاءٍ ؛ نَحْوُ : أَنَا كَتَبْتُ ، وَأَنْتَ كَتَبْتَ ، وَهَذَا كَتَبْتُ ، أَوْ يَاءٍ ؛ نَحْوُ : تَكْتَبِينَ يَا هِنْدُ ، وَاقْرَأِي ، أَوْ نُونٍ ؛ نَحْوُ : ﴿ لَيْسَ جَنَّاتٌ ﴾

وَلْيَكُونَا ﴿١﴾ ، و﴿لَاكِيدَنَّ﴾ ﴿٢﴾ ، و﴿لَسْفَعًا﴾ ﴿٣﴾ ، أو ب (قد) في نحو : قد قامت الصلاة ، و﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾ ﴿٤﴾ ، أو بالسين في نحو : سيقول ، أو ب (سوف) في نحو : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ ﴿٥﴾ . . فاعرف أنها فعلٌ .

وتعرف المضارع : بدخول (لم) عليه في نحو : ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ ﴿٦﴾ ، و (لَمَّا) في نحو : ﴿لَمَّا يَذُوقُوا﴾ ﴿٧﴾ ، واللام في نحو : ﴿لِيُنْفِقْ﴾ ﴿٨﴾ ، و (لا) في نحو : ﴿وَلَا تُلْقُوا﴾ ﴿٩﴾ .

وتمييز الماضي : بتاء ؛ نحو : أنا كتبت ، وهذا كتبت .
وعلامه فعل الأمر : دلالتُه على الطلب ، وتوكيده بنون التوكيد .

[أسماء الأفعال]

وهناك ألفاظٌ تدلُّ على معاني الأفعال ولا تصحبها سمات الأفعال وعلاماتها ، يُقال لها : أسماء الأفعال ؛ لأنها وُضعت ليُستغنى باستعمالها عن النطق بألفاظ الأفعال ، وهي مثل أفعالها في التعدي واللزوم غالباً ؛ فتقول : دراك زيداً ، كما تقول : أدركه ، ونزال يا عمرؤ ، كما تقول : انزل .
ومن النادر لفظ (آمين) ، فلا تقول : آمين دعاءنا ، كما تقول : استجب دعاءنا .

-
- (١) سورة يوسف : (٣٢) .
 - (٢) سورة الأنبياء : (٥٧) .
 - (٣) سورة العلق : (١٥) .
 - (٤) سورة النور : (٦٣) .
 - (٥) سورة الضحى : (٥) .
 - (٦) سورة البينة : (١) .
 - (٧) سورة ص : (٨) .
 - (٨) سورة الطلاق : (٧) .
 - (٩) سورة البقرة : (١٩٥) .

وهي أيضاً مثلُ أفعالِها ؛ في أنَّ فاعلَ بعضها ضميرٌ مستترٌ أبداً ، وبعضُها يكونُ فاعلُهُ ضميراً مستتراً تارةً ، وتارةً يكونُ اسماً ظاهراً ، وبعضُها في مقابلةِ أفعالٍ ماضيةٍ ، وبعضُها في مقابلةِ أفعالٍ مضارعةٍ ، وبعضُها - وهو الأكثرُ - في مقابلةِ أفعالٍ أمريةٍ .

ثمَّ إنَّها ثلاثةُ أقسامٍ :

- قسمٌ موضوعٌ مِنْ أَوَّلِ أمرِهِ اسمَ فعلٍ .

- وقسمٌ نُقِلَ عن ظرفٍ .

- وقسمٌ نُقِلَ عن مصدرٍ .

فَمِنَ الْأَوَّلِ : لِلْمَاضِي : هِيَهَاتَ ؛ أَي : بَعُدَ ، وَشَتَّانَ ؛ أَي : افْتَرَقَ ، وَسَرَعَانَ بَفَتْحَاتٍ ، وَوَشْكَانَ بَفَتْحٍ فَسْكَوَيْنَ ؛ أَي : أَسْرَعَ ، وَبُطَّانَ بَضَمِّ فَسْكَوَيْنَ ؛ أَي : أَبْطَأَ .

وَلِلْمُضَارِعِ : وَيَّيْ ؛ أَي : أَتَعَجَّبُ ، وَأَوْوَهْ ؛ أَي : أَتَوَجَّعُ ، وَأُفِّ ؛ أَي : أَتَضَجَّرُ ، وَبِخٍ بِخٍ بَفَتْحٍ بَاءَ يَهُمَا وَكَسْرِ الْخَاءِ فِي الْأُولَى مُنَوَّنَةٌ ؛ أَي : أَسْتَحْسِنُ وَأَتَعَجَّبُ .

وَلِلْأَمْرِ : تَيْدٌ بِسْكَوَيْنَ بَيْنَ فَتْحَتَيْنِ ؛ أَي : ارْفَقُ ، وَأَمِينٌ ؛ أَي : اسْتَجِبْ ، وَهَا ؛ أَي : خُذْ ، وَتَمَدُّ وَبِخَاطَبُ بِهَا الْوَاحِدُ وَغَيْرُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ، وَتَتَّصِلُ بِهَا كَافُ الْخَطَابِ مُتَّصِرَةً تَصْرُفَ الْكَافِ الضَّمِيرِ ، وَتُبَدَّلُ الْكَافُ هَمْزَةً ، وَمِنْهُ : ﴿ هَاؤُمْ أَقْرَبُوا كَلِمَةً ﴾ ^(١) ، وَهَيْتُ : كَتَيْدٌ ، وَهَيْتُ : كَشَيْتُ ، وَهِيََا بَفَتْحِ الْهَاءِ وَكَسْرِهَا وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ ، وَهَيْتُ : كَبَيْتُ ^(٢) ؛ أَي : أَسْرَعَ ، وَهَلُمَّ ؛

(١) سورة الحاقة : (١٩) .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها : (كحيث) .

أي : أقبِلْ ، وَحَيَّهَلَ مَثْلُ هَلُمَّ ، وَبُنَطَّقُ بِ (حَيٍّ) وَحَدَّهَا ، وَتُسْتَعْمَلُ فِي
استحاثاتِ العقلاءِ ، وَتُسْتَعْمَلُ (هَلَا) فِي اسْتِحَاثِ غَيْرِهِمْ غَالِباً ، وَمِنْ
النادرِ (١) :

[من الطويل]

أَلَا حَيَّيَا لَيْلَى وَقُولَا لَهَا هَلَا
وَمَهْيَمٌ : كَمَزَيْمٌ ؛ أَي : أَخْبِرُ (٢) .



وَمِنْ الْمُنْقُولِ عَنْ ظَرْفٍ : عَلَيْكَ زَيْدًا ؛ أَي : الزَّمُهُ ، وَإِلَيْكَ ؛ أَي : تَأَخَّرْ ،
وَإِلَيَّ ؛ أَي : أقبِلْ ، وَعِنْدَكَ ، وَدُونَكَ ؛ أَي : خُذْ ، وَمَكَانَكَ ؛ أَي : اثْبُتْ .



وَمِنْ الْمُنْقُولِ عَنْ مَصْدَرٍ لَمْ يُنْطَقْ لَهُ بِفِعْلٍ : بَلَّهَ ، بِسُكُونِ بَيْنَ فَتَحَتَيْنِ ،
قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ فِي ذِكْرِ السُّيُوفِ (٣) :

[من الكامل]

تَذَرُ الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا بَلَّهَ الْأَكْفَتَ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ
وَمَعْنَاهُ : اتركْ ، وَرُوَيْدَ مُصَغَّرَ إِرْوَادٍ مَصْدَرٍ أَرُوْدَ ؛ أَي : أَهْمَلْ ، تَصْغِيرَ
ترخيمٍ .

وَبَعْضُ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ قَدْ يُنَوَّنُ وَحِينَئِذٍ يَكُونُ نَكْرَةً ، وَيُسَمَّى تَنْوِينُهُ :
تَنْوِينُ التَّنْكِيرِ .

مثلاً : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْهِيَ جَلِيْسَكَ عَنْ حَدِيثٍ بَعِيْنِهِ مَبِيْحًا لَهُ غَيْرُهُ ..

(١) هذا صدر بيت للناطقة الجعدي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٣٣) والبيت بتمامه :

أَلَا حَيَّيَا لَيْلَى وَقُولَا لَهَا هَلَا فَكَيْدَ رَكِبَتْ أَمْرًا أَغْرَمُ حَجَلَا

(٢) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/٤) : (كلمة يستفهم بها ؛ أي : ما شأنك) .

(٣) انظر « خزنة الأدب » (٢١١/٦) .

قلت : صه ، دون تنوين ، معناها : اسكتِ السكوتَ المُتعلِّقَ بهذا الحديثِ ،
وحَدِّثِ ما شئتِ ، وإذا أردتِ أن تنهأهُ عن الحديثِ مطلقاً . . قلت : صه ،
بالتنوين ، ومعناه : اسكتِ سكوتاً مُتعلِّقاً بكلِّ حديثٍ .

وعلى ذلك : قياسُ ما يردُّ عليكِ مِنْ هذا النوعِ ؛ كمه ومه ؛ أي : انكفِ ،
وإيه وإيه ؛ أي : زدْ في الحديثِ .

ومن أسماء الأفعالِ ما يقومُ مقامَ جملةٍ : مثلُ : همهام ، ومخماخ ،
وحمحم ، وبخباخ ؛ بفتح فسكونٍ ، ساكنة الأواخرِ ؛ أي : لم يبقَ شيءٌ .

[أسماء الأصوات]

ويُذكرُ مع أسماء الأفعالِ ألفاظٌ يُقالُ لها : أسماء الأصواتِ ؛ وهي نوعانِ :

- الأوَّلُ : الألفاظُ التي تُخاطَبُ بها الحيواناتُ ؛ مثلُ (هَلَا) في زجرِ

الخيَلِ ، و(عَدَسْ) في زجرِ البغالِ .

- والثاني : الألفاظُ التي تُحكى بها الأصواتُ المسموعةُ مِنَ الحيواناتِ

وغيرها ؛ كقولهم في حكاية صوتِ الغرابِ : (غاقُ غاقُ) ، وفي حكاية صوتِ

الدُّبابِ (خازِ بازِ) ، وفي حكاية صوتِ السيفِ في الضَّرْبِ (قَبْ قَبْ) .

ومن أرادَ التوسُّعَ في معرفة أسماء الأفعالِ والأصواتِ . . فعليه بكتبِ

اللغةِ ؛ فإنها موضعُ ذلكِ ، وإنما يذكرها النحويُّ لتنبية المُتعلِّمينَ ، وحفظهم

من اعتقادِ كونها أفعالاً ؛ حيثُ دلَّتْ دلالتها وأفادتْ معانيها .

وبما أوردناه في هذا الموضعِ . . تستغني عن وضعِ بابِ لأسماء الأفعالِ .



القسمُ الأوَّلُ

في الإعرابِ والبناءِ ، والمُعَرَّبِ والمَبْنِيِّ

الإعرابُ : كلمةٌ مُشتركةٌ بينَ معانٍ كثيرةٍ ، منها الإبانةُ والإظهارُ ، وهو الأنسبُ بالمعنى المنقولِ إليه ، الذي هو الآثارُ المختلفةُ على آخِرِ الكلمةِ المُركَّبةِ حَسَبِ اختلافِ الاقتضاءِ ؛ لتمييزِ المعاني المتعاقبةِ على الكلمةِ مِنَ الفاعليةِ والمفعوليةِ وغيرِهما .

والبناءُ : وضعُ حجرٍ على حجرٍ بلاصقٍ بينهما ؛ لحفظِ الصورةِ المرادِ بقاؤها ، نُقِلَ إلى حالةِ آخِرِ الكلمةِ اللَّازمةِ التي لا تَبَدَّلُ معَ اختلافِ المقتضياتِ .

أنواعُ الإعرابِ أربعةٌ : رفعٌ ، ونصبٌ ، وخفضٌ ، وجزمٌ .

الرفعُ : ضمةٌ ، وألفٌ ، وواوٌ ، ونونٌ ، يُقالُ للضمَّةِ : أصلٌ ، وللأحرفِ الثلاثةِ : نائبةٌ عنها .

والنصبُ : فتحةٌ ، وألفٌ ، وياءٌ ، وكسرةٌ ، وحذفُ نونٍ ، كسابقِهِ : أصلٌ ، ونائبٌ .

والخفضُ : كسرةٌ ، وياءٌ ، وفتحةٌ كذلك .

والجزمُ : سكونٌ ، وحذفُ حرفِ عِلَّةٍ ، وحذفُ نونٍ ، أصلٌ ونائبانِ .

والبناءُ أربعةٌ أنواعٍ : سكونٌ ، وفتحٌ ، وضمٌّ ، وكسرٌ .

وينوبُ عنِ السكُونِ : حذفُ حرفِ عِلَّةٍ وحذفُ نونٍ ، وينوبُ عنِ الفتحِ :
ياءٌ وكسرةٌ ، وينوبُ عنِ الضمِّ : أَلِفٌ ، ولا ينوبُ عنِ الكسرِ شيءٌ ، وسيردُ
عليك مواضعُ ما ذُكِرَ ، فلتكنْ على ذُكْرٍ منه .



[أصنافُ المَبْنِيِّ]

المبنيُّ : موضعُ البناءِ ؛ وهو : جميعُ الحروفِ ، وجميعُ الأفعالِ الماضيةِ ، وجميعُ الأفعالِ الأمريةِ ، والفعلُ المضارعُ المُتَّصِلُ بإحدىِ نونَيِ التوكيدِ أو بنونِ الإناثِ .

ومِنَ الأسماءِ : الضَّمائِرُ ، وأسماءُ الإشارةِ ، وأسماءُ الاستفهامِ ، وأسماءُ الشرطِ ، وأسماءُ الأفعالِ ، والأسماءُ الموصولةُ ، والأعدادُ المُركَّبةُ مِنْ أحدِ عشرَ إلى تسعةَ عشرَ ، وما أُجْرِي مُجراها ؛ كبيتِ بيتَ ، وصباحَ مساءً ، وأوَّلَ أوَّلَ ، ويومَ يومَ .

والمُركَّباتُ المَزجِيَّةُ المختومةُ بـ (وَبِهِ) ، واسمُ (لا) والمنادى المفردانِ ، وحيثُ ، وإذ ، وإذا ، وبابُ قبلُ وبعْدُ .

ويَحسُنُ - ولا يجبُ - بناءُ أسماءِ الزمنِ المضافةِ إلى جملِ مُصدِّرةٍ بمبنيِّ .

ويجوزُ بناءُ كلمةٍ (غيرِ) و (مثلِ) و (شبهِ) إذا أُضيفتْ لمبنيِّ .
فما كانَ مِنَ المَبْنِيَّاتِ ساكناً . . فهو ساكنٌ أبداً ؛ كـ (لَمْ) و (مِنْ) و (كَمْ) ، وكذلك المفتوحُ والمضمومُ والمكسورُ ، كذلك اللغَةُ العربيةُ .

الفعلُ الماضي : إذا اتَّصَلَ بغيرِ الألفِ والواوِ مِنَ الضَّمائِرِ البارزةِ . . مبنيٌّ على السكونِ ، ومعِ الواوِ على الضمِّ ، وفي غيرِ ذلكِ على الفتحِ ظاهراً أو مُقدَّراً .

والأمرُ الصحيحُ الآخِرُ : في خطابِ الواحدِ وفي خطابِ جماعةِ الإناثِ . . مبنيٌّ على السكونِ ، وفي غيرِ ذلكِ على حذفِ النونِ .

والمُعْتَلُّ الآخِرِ : مَبْنِيٌّ بِحَذْفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ فِي خِطَابِ الْوَاحِدِ ، وَفِي خِطَابِ جَمَاعَةِ الْإِنَاثِ مَبْنِيٌّ بِالسَّكُونِ ، وَفِي غَيْرِهِمَا بِحَذْفِ النُّونِ .

والمُتَّصِلُ بِإِحْدَى نَوْنِي التَّوَكِيدِ : مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ .

والمضارعُ المُتَّصِلُ بِإِحْدَاهُمَا : مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ ، وَالمُتَّصِلُ بِنَوْنِ الْإِنَاثِ : مَبْنِيٌّ عَلَى السَّكُونِ .

وَمَا كَانَ مِنَ الْأَسْمَاءِ عَلَى صُورَةِ الْمُثَنَّى : مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَلْفِ فِي مَوَاضِعِ الرَّفْعِ ، وَعَلَى الْيَاءِ فِي مَوَاضِعِ النَّصْبِ وَالخَفْضِ .

وَيُبْنَى (الذَيْنَ) الدَّالُّ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِالْيَاءِ مُطْلَقًا .

وَجَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ حَيْثُ يَسْتَحِقُّ الْبِنَاءَ .. مَبْنِيٌّ عَلَى الْكَسْرِ .

والمُعْرَبُ غَيْرُ مَا ذُكِرَ .

وَحَيْثُ كَانَ الْغَرَضُ مِنَ الْإِعْرَابِ تَمْيِيزَ الْمَعَانِي الْمَتَوَارِدَةِ عَلَى الْكَلِمَةِ .. كَانَ حَقُّ الْأَسْمَاءِ أَلَّا يُبْنَى مِنْهَا شَيْءٌ ، وَلِذَلِكَ تَجَدُّ النُّحُوبِينَ يَلْتَمِسُونَ الْعِلَّةَ لِبِنَاءِ مَا بُنِيَ مِنْهَا ؛ فَيَقُولُونَ : إِنَّمَا بُنِيَتْ الضَّمَائِرُ لِأَمْرَيْنِ :

- الْأَوَّلُ : أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا كَائِنٌ مِنْ حَرْفٍ أَوْ حَرْفَيْنِ ، وَتِلْكَ حَالُ أَكْثَرِ الْحُرُوفِ ، وَمَا زَادَ مِنَ الضَّمَائِرِ مَحْمُولٌ عَلَى غَيْرِهِ ، وَيُسْمَوْنَ ذَلِكَ بِالشَّبَهِ الْوَضْعِيِّ .

- وَالثَّانِي : أَنَّ الضَّمَائِرَ أَنْوَاعٌ ، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا مُخْتَصٌّ بِبَابٍ ، فَلَمْ تَتَوَارَدْ عَلَيْهَا الْمَعَانِي .

مَثَلًا : التَّاءُ الْمَضْمُومَةُ فِي نَحْوِ (كَتَبْتُ) مُخْتَصَّةٌ بِالْفَاعِلِيَّةِ ، وَكَلِمَةُ (أَنَا) مُخْتَصَّةٌ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَهَكَذَا .

وَبُنِيَتْ أَسْمَاءُ الشَّرْطِ ؛ لِتَضْمِينِهَا مَعْنَى (إِنْ) .

وَأَسْمَاءُ الِاسْتِفْهَامِ ؛ لِتَضْمِينِهَا مَعْنَى الِهَمْزَةِ وَ (أَمْ) .

وَأَسْمَاءُ الْإِشَارَةِ ؛ لِتَضْمِينِهَا مَعْنَى (أَلِ) التَّعْرِيفِيَّةِ .

وَيُمْكِنُ اعْتِبَارُ ذَلِكَ فِي الضَّمَائِرِ أَيْضاً ، وَيُسَمُّونَ ذَلِكَ : الشَّبَهَ المَعْنَوِيَّ .

وَبُنِيَتْ أَسْمَاءُ الْأَفْعَالِ ؛ لِأَنَّهَا لَا يُؤَثِّرُ فِيهَا عَامِلٌ لَفْظِيٌّ ، وَهِيَ مُؤَثَّرَةٌ فِي غَيْرِهَا بِسَبَبِ نِيَابَتِهَا عَنِ الْفِعْلِ ، فَأَشْبَهَتْ (إِنَّ) الَّتِي مَعْنَاهَا : أَحَقِّقْ ، وَ (لَكِنَّ) الَّتِي مَعْنَاهَا : اسْتَدْرِكْ ، وَيُسَمُّونَهُ : الشَّبَهَ الِاسْتِعْمَالِيَّ .

وَبُنِيَتْ الْأَسْمَاءُ الْمُوصُولَةُ وَ (حَيْثُ) وَ (إِذِ) وَ (إِذَا) لِإِفْتِقَارِهَا فِي تَحْصُلِ عَيْنِ الْمَرَادِ بِهَا إِلَى ضَمِيمَةٍ جَمَلَةٍ ، كَمَا أَنَّ الْحَرْفَ لَا يَتَحَصَّلُ مَعْنَاهُ الْمَرَادُ إِلَّا بِضَمِيمَةٍ ، وَيُسَمُّونَهُ : الشَّبَهَ الْإِفْتِقَارِيَّ .

وَبُنِيَ الْعَدَدُ الْمُرَكَّبُ وَمَا أَشْبَهَهُ ؛ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى حَرْفِ الْعَطْفِ .

وَبُنِيَتْ (قَبْلُ) وَ (بَعْدُ) وَقَبِيلُهُمَا لِتَضْمِينِهَا مَعْنَى (أَلِ) التَّعْرِيفِيَّةِ .

وَأُثِبَتْ بَعْضُ النُّحُوْبِيْنَ مُوجِباً لِلْبِنَاءِ ، وَسَمَّاهُ : الشَّبَهَ اللَّفْظِيَّ ، وَجَعَلَ الْمَبْنِيَّ بِهِ لَفْظَ (لَدَى) وَ (عَلَى) وَ (عَنِ) وَالْكَافِ ؛ حَيْثُ اسْتُعْمِلَتْ (عَلَى) وَمَا بَعْدَهَا أَسْمَاءً .

وَلَا تَرْدُ لَفْظُهُ (إِلَى) بِمَعْنَى النِّعْمَةِ مَفْرَدَ الْأَلَاءِ ؛ لِكَوْنِهَا مَقْصُورَةً كَالْفَتْحِ وَالْعَصَا ، فَكَمَا تَقُولُ : فَتَاكَ وَفَتَى بِالْأَلْفِ وَالتَّنْوِينِ . . تَقُولُ : إِيَّاكَ وَإِلَى ، فَلَمْ تُشَبَّهْ (إِلَى) الْحَرْفِيَّةَ ، بِخِلَافِ (لَدَى) فَإِنَّهَا لَا تُنَوَّنُ ، وَإِذَا أَضْفَتْهَا . . قُلْتَ : لَدَيْكَ وَلَدَيْنَا ، كَمَا تَقُولُ : عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا .

أصنافُ المُعَرَّبِ

الاسمُ المفردُ وجمعُ التَكْسِيرِ المُنْصَرِفِ الصَّحِيحَا الآخِرِ : يُرْفَعَانِ بِضَمَّةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَيُنْصَبَانِ بِفَتْحَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَيُخَفَّضَانِ بِكَسْرَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَغَيْرُ الْمُنْصَرِفَيْنِ : يُخَفَّضَانِ بِفَتْحَةٍ ظَاهِرَةٍ نِيَابَةً عَنِ الْكَسْرِ .

والمُعْتَلَانِ بِالْأَلْفِ : تُقَدَّرُ فِيهِمَا الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ ؛ لِامْتِنَاعِ تَحْرِيكِ الْأَلْفِ .
والمُعْتَلَانِ بِالْيَاءِ الْمَكْسُورِ مَا قَبْلَهَا : يُقَدَّرُ فِيهِمَا مَا عَدَا الْفَتْحَةَ ؛ لِثِقَلِ تَحْرِيكِهَا بِغَيْرِهَا .

والمُعْتَلَانِ غَيْرِ الْمُنْصَرِفَيْنِ : تُقَدَّرُ فِيهِمَا الْحَرَكَتَانِ إِلَّا فَتْحَةَ النَّصْبِ فِي الْمَنْقُوصِ ، وَيُقَالُ : مَخْفُوضٌ بِفَتْحَةٍ مُقَدَّرَةٍ نِيَابَةً عَنِ الْكَسْرِ .

المُضَافُ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ : تُقَدَّرُ فِيهِ الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ ؛ لِاسْتِغْثَالِ آخِرِهِ بِالْكَسْرِ الْمَجْلُوبَةِ لِمُنَاسَبَةِ الْيَاءِ قَبْلَ جَعْلِ ذَلِكَ الْمُضَافِ جِزَاءً كَلَامٍ ، فَتَعَدَّرَتْ وَلَمْ تَمَكُنْ حَرَكَاتُ الْإِعْرَابِ .

وتُقَدَّرُ الْحَرَكَاتُ أَيْضاً فِي الْجَمَلِ الْمَجْعُولَةِ أَعْلَاماً ، وَفِي الْأَعْدَادِ الْمُرَكَّبَةِ الْمُسَمَّيِّ بِهَا إِذَا حَكَيْتَهَا وَلَمْ تُعَرِّبْهَا لَفْظاً ؛ لِجَوَازِ الْأَمْرَيْنِ فِيهَا .

أَبُوكَ ، وَأَخُوكَ ، وَحَمُوهَا ، وَفُوهُ ، وَذُو جَاهٍ : مُخْرَجَةٌ مِنْ حَكْمِ الْمَفْرَدَاتِ ، فَهِيَ مُعَرَّبَةٌ بِالْوَاوِ رَفْعاً ؛ نِيَابَةً عَنِ الضَّمَّةِ ، وَبِالْأَلْفِ نِصْباً ؛ نِيَابَةً عَنِ الْفَتْحَةِ ، وَبِالْيَاءِ خَفْضاً ؛ نِيَابَةً عَنِ الْكَسْرِ ، بِشَرَطِ الْأَلَّا تُصَغَّرَ ، وَلَا تُجْمَعُ ، وَلَا تُضَافَ لِلْيَاءِ ، وَلَا تُثَنَّى ، وَلَا تَقْطَعُ عَنِ الْإِضَافَةِ ، وَإِلَّا .. أُعَرِّبْتُ بِالْحَرَكَاتِ أَوْ بِإِعْرَابِ الْمُثَنَّى .

المُثَنَّى : إِعْرَابُهُ حَرْفَانِ : أَلِفٌ مَكْسُورٌ مَا بَعْدَهَا ؛ نِيَابَةً عَنِ الضَّمَّةِ ، وَيَاءٌ سَاكِنَةٌ مَفْتُوحٌ مَا قَبْلَهَا مَكْسُورٌ مَا بَعْدَهَا ؛ نِيَابَةً عَنِ الْفَتْحَةِ وَالْكَسْرِ .

وَأَلْحَقَ بِهِ : اثنانِ واثنتانِ ، وكِلا وِكِلتا مضافَتَيْنِ لضميرِ ، وإِلا . . فهُما مِنِ المقصورِ .

جمعُ المُذَكَّرِ السالمِ^(١) : إعرابُه حرفانِ : واوٌ مضمومٌ ما قبلها مفتوحٌ ما بعدها ؛ نيابةً عنِ الضمةِ ، وياءٌ ساكنةٌ سكوناً مرسلأً مكسوراً ما قبلها مفتوحٌ ما بعدها ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ والكسرةِ .

وَأَلْحَقَ بِهِ : بابٌ عشرينَ ، وأولو جأه ، وما شذوا بجمعه على هذه الصيغة ؛ كأرضينَ ، وسنينَ وبابه ؛ مِنْ جمعِ كلِّ كلمةٍ ثلاثيةٍ حُذِفَتْ لامُها وَعَوِضَ عنها تاءُ التانيثِ ؛ كعُضَيْنَ وَعِزَيْنَ ، وما سُمِّيَ به مِنْ ذلكِ .
جمعُ المُؤنَّثِ السالمِ : تنوبُ فيه الكسرةُ عنِ الفتحةِ ، فأعرابُه حركتانِ .

الفعلُ المضارعُ المُعَرَّبُ : له أربعةُ أحوالٍ :

- الأولى : أن يكونَ صحيحَ الآخرِ ، غيرَ مُتَّصِلٍ بأحدِ الضمائرِ الثلاثةِ التي هي : واوُ الجماعةِ ، وألفُ الاثنينِ ، وياءُ المخاطبةِ ، وإعرابُه إذاً : رَفَعُ بضمِّه ظاهرةً ، ونَصَبُ بفتحةٍ ظاهرةً ، وجرَمُ بسكونِ .

- الحالةُ الثانيةُ : أن يكونَ مُعتلَّ الآخرِ بالألفِ ؛ فيُرفَعُ بضمِّه مُقدَّرةً ، ويُنصَبُ بفتحةٍ مُقدَّرةً ، ويُجرَمُ بحذفِ الألفِ نيابةً عنِ السكونِ .

- الحالةُ الثالثةُ : أن يكونَ مُعتلَّ الآخرِ بالواوِ أوِ الياءِ ؛ فيُرفَعُ بضمِّه مُقدَّرةً لثقلِ تحريكِهما بها ، ويُنصَبُ بفتحةٍ ظاهرةٍ لخفِّفه ، ويُجرَمُ بحذفِها نيابةً عنِ السكونِ .

(١) يصح في كلمة (السالم) أن تكون نعتاً للمضاف ، وأن تكون نعتاً للمضاف إليه ، والأرجح : أن تكون نعتاً للمضاف إليه ؛ لأن السلامة في الحقيقة للمضاف إليه عند جمعه . انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (٨٠/١) .

- الحالة الرابعة : أن يتصل بأحد الضمائر الثلاثة ؛ فيرفعُ بالنون نيابةً عن الضمة ، ويُنصبُ ويُجرُمُ بحذفها نيابةً عن الفتحة والسكون ، وهذه فائدة تلك النون .

هذا ؛ ولقائل أن يقول : إنكم قلتم : إن الغرضَ من الإعرابِ تمييزُ المعاني المتواردة على الكلمة ، وكيف يحصلُ ذلك مع نيابة حركة عن حركة ، وحرفٍ واحدٍ عن حركتين ، ومع كون الإعرابِ تقديرياً ؟

فيقالُ له : إن الإنسانَ ينشأ خالي الذهن ، مطبوعاً فيه حبُّ المعرفة ، لكن في أول أمره يكونُ مشغولاً بالمحسوسات ، فرحاً بالإطلاع عليها ، طالباً لمعرفة أسمائها ، دون أن يسري في المعقولات ، فينبغي كما تقتضي الحكمة أن يكونَ تعريفُهُ في هذه الحالةِ بأمورٍ ظاهرةٍ وعلاماتٍ محسوسةٍ .

فإذا انتقلَ عن هذه الحالةِ ، وتراسختُ عندهُ المعاني ، وصارَ موكولاً إلى تعقلِهِ . . أُحيلَ في المعرفةِ على إدراكِ ارتباطِ الكلماتِ في التراكيبِ ، واستغنى بذلك عن العلاماتِ الظاهرةِ والتمييزِ بها .



القسمُ الثاني في الجملةِ الاسميَّةِ

الجملةُ الاسميَّةُ : هي المُصدَّرةُ بالاسم ، ويُقالُ لأحدِ جزأَيها : مبتدأٌ ،
وللجزءِ الآخرِ : خبرٌ ؛ نحوُ : العلمُ نافعٌ ، والأدبُ حسنٌ .

فالعلمُ والأدبُ : مبتدآنِ ، ونافعٌ وحسنٌ : خبرانِ .

المبتدأُ قسمانِ : مبتدأُ حقيقةً وصورةً ، ومبتدأُ صورةً فعلٌ حقيقةً .

ويُسمَّى القسمُ الأوَّلُ : المبتدأُ ذا الخبرِ ، ويُسمَّى القسمُ الثاني : المبتدأُ ذا
المرفوعِ المغني عن الخبرِ .



بيان المبتدأ ذي الخبر

هو اسمٌ ظاهرٌ ، صرِيحٌ أو مُؤوَّلٌ ، أو ضميرٌ يلحظُ العقلُ معناه أولاً ليحكم عليه بحالٍ مِنْ أحواله أو بحالٍ مِنْ أحوالٍ مُتعلِّقِهِ .

فالاسمُ الصَّرِيحُ : نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، والزيدانِ قائمانِ ، والزيدونَ قائمونَ ، والرجالُ قوِّمٌ ، وهندٌ قائمةٌ ، والهندانِ قائمتانِ ، والهنداتُ قائماتٌ ، والهِنودُ قوِّمٌ ، والفتى حاضرٌ ، وغلامي شاهدٌ ، والقاضي حاكمٌ .

والاسمُ المُؤوَّلُ : نحوُ : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ ^(١) ، وما تقرأ العلمَ حسنٌ ، ومُعتقدي أنك فاضلٌ .

وأما الضَّميرُ : فهوَ : أنا قائمٌ ، ونحنُ قائمانِ ، وقائمونَ ، وأنتَ قائمٌ ، وأنتِ قائمةٌ ، وأنتما قائمانِ ، أو قائمتانِ ، وأنتم قائمونَ ، وأنتنَّ قائماتٌ ، وهو قائمٌ ، وهي قائمةٌ ، وهما قائمانِ ، أو قائمتانِ ، وهم قائمونَ ، وهُنَّ قائماتٌ .

وهذه الضَّمائرُ تُسمَّى : ضمائرَ الرفعِ المُنفصلةً ؛ لأنها لا تقعُ إلا مبتدأً ، أو فاعلاً ، أو نائباً عنِ الفاعلِ ، والكلُّ مرفوعٌ .

وفي اللغةِ العربيةِ ضميرٌ يُسمَّى : ضميرَ الشأنِ أو القِصَّةِ ؛ وهو ضميرُ غائبٍ أو غائبةٍ لا يتقدَّمُ له مرجعٌ ، بل يكونُ عبارةً عن مضمونِ جملةٍ تُذكرُ بعدهُ ، وتُسمَّى : مُفسِّرةَ الضَّميرِ .

وذلكَ إنما يُستعملُ في الأخبارِ الخطيرةِ ؛ نحوُ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٢) ،

(١) سورة البقرة : (١٨٤) .

(٢) سورة الإخلاص : (١) .

فلفظُ (هو) ضميرٌ غائبٌ لم يَتَقَدَّمَ له مَرَجِعٌ ، بل هو عبارةٌ عن مضمونِ
الجملةِ بعده ؛ وهي : اللهُ أحدٌ ، فهي مُفسِّرتهُ ، ونحوُ^(١) : [من الطويل]

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ

ويؤتى بهذا الضميرِ مُذَكَّرًا ، ويُسمَّى ضميرَ الشَّانِ إن كانَ عمدةُ الجملةِ
بعدهُ مُذَكَّرًا ، ويؤتى به مُؤنَّثًا ويُسمَّى ضميرَ القصةِ إن كانَ عمدتها مُؤنَّثًا .

فالمبتدأُ ذو الخبرِ : اسمٌ صريحٌ ظاهرٌ ، أو اسمٌ مُؤوَّلٌ ، أو ضميرٌ معتادٌ ، أو
ضميرٌ شأنٌ ، وهذا القسمُ يجبُ أن يطابقهُ المرفوعُ الذي معه - وهو خبرُهُ -
إفراداً وتثنيةً وجمعاً ، وتأنيثاً وتذكيراً ، كما سبق في الأمثلةِ ، فلا يجوزُ أن
يُقَالَ : الزيدانِ قائمٌ ، مثلاً ، بل : قائمانِ .

بيانُ المبتدأِ ذي المرفوعِ المغني عن الخبرِ

هو كلُّ اسمٍ فاعلٍ أو اسمٍ مفعولٍ ولو تأويلاً ، نفيً أو استفهامٍ عنه ؛ نحوُ :
ما قائمُ الزيدانِ ، وما مضروبُ العمرانِ ، وأذاهبُ أخوك ؟ وهل أسدٌ هو ؟ ولا
مؤدَّبٌ غلامك ، وغيرُ ضائعٍ عملٌ مُخلصٌ ، و^(٢) :

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقُضِي بِالْهَمِّ وَالْمِحَنِ

و^(٣) :

غَيْرُ لَاهٍ عِدَاكَ فَاطْرِحِ اللَّهُ

وَوَلَا تَغْتَرِزْ بِعَارِضِ سَلْمٍ

ولا قائمٌ إلا زيدٌ .

(١) صدر بيت لعلي بن الجهم في «ديوانه» (ص ١٧٢) ، والبيت بتمامه :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَغْدِلُ

(٢) انظر «خزانة الأدب» (٣٤٥/١) .

(٣) انظر «مغني اللبيب» (٨٨٦/٢) .

وهذا القسم يُقالُ في إعرابه : الوصفُ مبتدأ ، والمرفوعُ بعدهُ فاعلهُ أغنى عن الخبرِ ، ونائبُ فاعلهِ كذلك ، ما لم يَخْرُجْ إلى بابِ آخرَ ، وإلا . . سُمِّيَ بالاسمِ الذي له في ذلكِ البابِ .

لكنْ إذا كانَ النافي اسماً . . جُعِلَ هوَ المبتدأ ، وأضيفَ للوصفِ .

وشرطُ تَعَيُّنِ هذا الإعرابِ في هذا القسمِ : ألا يَشْتَمِلَ الوصفُ على علامةٍ تشنيّةٍ ، أو علامةٍ جمعٍ ؛ لأنَّ الوصفَ حينئذٍ عُمِلَ لفظُهُ معاملةَ الفعلِ ، فأسندَ للمُثنى والجمعِ وهوَ بصورةٍ واحدةٍ ، كما أنَّ معناه معنى الفعلِ ؛ إذ عرفتَ أنَّه فعلٌ حقيقةً واسمٌ صورةً ، فلا يَصِحُّ أن يكونَ خبراً مقدّماً ، والمرفوعُ مبتدأً مؤخراً ؛ لعدمِ التطابقِ الواجبِ بينَ المبتدأِ ذي الخبرِ وخبره .

فلو طابقَ الوصفُ المرفوعُ في التشنيّةِ والجمعِ على حدِّ المُثنى . . تَعَيَّنَ أن يكونَ الوصفُ خبراً مقدّماً ، والمرفوعُ مبتدأً مؤخراً ؛ لوجودِ شرطه ؛ وهوَ التطابقُ ، ولعدمِ إجراءِ لفظِ الوصفِ مُجرى الفعلِ ؛ حيثُ كانَ فيه علامةُ التشنيّةِ وعلامةُ الجمعِ ؛ إذ الفعلُ يجبُ تجريدُهُ مِنَ العلامتينِ عندَ إسنادِهِ لغيرِ المفردِ .

وفي غيرِ موضعي تَعَيَّنَ أحدُ الإعرابينِ . . يجوزُ كلاهُما .

فللوصفِ المنفِي أو المُستفهمِ عنه معَ المرفوعِ بعدهُ ثلاثُ حالاتٍ : تَعَيَّنُ الابتداءُ والفاعليّةُ ، وتَعَيَّنُ الخبريّةُ والابتداءُ ، وجوازُ الأمرينِ .

فلو جاءَ الوصفُ بعدَ المرفوعِ ، أو لم يكنْ منفياً ولا مُستفهماً عنه . . وجبَ المطابقةُ بينهُ وبينَ المرفوعِ ، وكانَ مِنَ القسمِ الأوّلِ .

واعلم : أنْ مِنْ تراكيبِ هذا القسمِ كلمةُ التوحيدِ كما أشارَ إليه

الزمخشري^(١) ، حيث قال : الأصل : الله إله ، فقدم وأخر ، وبيانه : أن مثل هذا التركيب يُقال له : عبارة القصر والتخصيص ، ومفاده : حكم إجمالي يتفصل إلى حكمين : إثبات ونفي ؛ فتقول : لا إله إلا الله ، أصله : الله إله ، وغيره ليس بإله ، فإذا أردت تحويله إلى عبارة الاستثناء .. قلت : لا شيء إله إلا الله ، أو : لا إله شيء إلا الله ، على أن يكون التركيب من القسم الأول ، أو من القسم الثاني ، لكن الموجود معنا في عبارة القصر (لا إله) ، فتعين أن يكون من القسم الثاني .

فالمحذوف المُستثنى منه هو المرفوع بكلمة (إله) ، وذلك أنه ملحوظ في معناها الفاعل بالقدرة عن إرادته التابعة لعلمه ، فهو مثل : لا أسد إلا زيد ؛ فالمعنى : لا فاعل شيء من الأشياء الموجودة إلا الله ، فيكون هذماً قريباً لمعتقدات الباطل .



(١) في تأليف له مفرد في هذه المسألة ، كما ذكر ذلك ابن هشام في « مغني اللبيب » (٧٤٦/٢) .

بيان الخبر

الخبرُ : ما يَلْحَظُ العقلُ معناهُ ثانياً لِيَحْكَمَ بِهِ على المبتدأ ، أو لِيُفَسِّرَهُ وَيُبَيِّنَ المرادَ بِهِ .

وهو قسمان : خبرٌ حقيقيٌّ ، وخبرٌ سببيٌّ .

- فالحقيقيُّ : ما يكونُ حالاً مِنْ أحوالِ المبتدأ المُنتسِبةِ لَهُ نسبةَ الفاعليَّةِ ، أو نسبةَ المفعوليَّةِ ، أو مُبَيِّناً لحقيقتهِ ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، ومُكْرَمٌ ، وزيدٌ أَكْرَمٌ ، أو أَكْرَمٌ ، وأكْرَمُهُ عمروٌ ، وهذا القنديلُ ذهبٌ .

- والسببيُّ : ما يكونُ حالاً مِنْ أحوالِ شيءٍ لَهُ تَعَلُّقٌ بالمبتدأ ، فيكونُ الخبرُ مُنتسِباً لذلكِ المُتعلِّقِ ، لكنْ لكونِ الحالِ حالَ مُتعلِّقٍ بالمبتدأ يُخْبِرُ بها عنه ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ أبوهُ ، وركبتُ فرسهُ ، وجلسَ في دارِهِ .

ثمَّ الخبرُ :

- يكونُ مفرداً جامداً غيرَ مُؤوَّلٍ بِمُشتَقٍّ ، فلا يكونُ مُشتمِلاً على ضميرٍ ؛ نحوُ : هذا القنديلُ زجاجٌ ، وهذا الخاتمُ حديدٌ .

- ويكونُ مفرداً مُشتقاً ، فيكونُ مُشتمِلاً على ضميرٍ مُستترٍ يعودُ للمبتدأ إن لم يرفعَ ظاهراً ولا ضميراً مُنفصلاً ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، تَلَحَّظُ في قائمٍ معنَى (هو) ، وهندٌ قائمَةٌ ، تَلَحَّظُ معنَى (هي) ، والزيدانِ قائمانِ ، تَلَحَّظُ معنَى (هما) ، وهلكذا .

- ويكونُ مفرداً جامداً مُؤوَّلاً بِمُشتَقٍّ ، فيشتمِلُ على ضميرٍ كذلكِ ؛ نحوُ :

زيدٌ أسدٌ ، وعمرو ذئبٌ ، وخالدٌ سيفٌ ؛ إذ المعنى : شجاعٌ يُشبهُ الأسدَ ،
وختالٌ يُشبهُ الذئبَ ، وصارمٌ ماضٍ يُشبهُ السيفَ .

- ويكونُ جملةً فعليةً ، ماضويةً أو مضارعيةً أو أمريةً ، وجملةً اسميةً ،
ولا بدُّ أن تشتملَ على ضميرِ المبتدأ ليربطَها به ، ويُعيّن أنّها خبرُهُ ، ويكونُ
مذكوراً أو محذوفاً يدلُّ الكلامُ عليه ؛ نحوُ : زيدٌ جاء ، وعمرو ذهبَ أبوه ،
وخالدٌ يتكلّمُ ، وبكرٌ اضربه ، وحسنٌ غلامُهُ ظريفٌ ، والسّمْنُ منوانٍ بدرهمٍ ؛
أي : منوانٍ منه ، ويدلُّ الكلامُ عليه ، والمذكورُ مُستترٌ وبارزٌ كما رأيتَ .

فالخبرُ مفردٌ أو جملةٌ ، وجميعُ المُشتقّاتِ إن كانَ الملحوظُ فيها المعنى
الوصفيَّ .. لا تكونُ إلاّ أخباراً أو مبتدآتٍ صوريةً ، وإذا كانَ الملحوظُ فيها
الموصوفَ .. كانتُ مبتدآتٍ حقيقيةً وكانتُ أخباراً ؛ فنحوُ : (زيدٌ ضاربٌ)
معناه : يضربُ أو سيضربُ ، ف (ضاربٌ) بهذا المعنى لا يكونُ مبتدأً
حقيقياً ؛ لأنّ الملحوظَ فيه المعنى الوصفيُّ ، فهو بمنزلةِ الفعلِ الذي لا يكونُ
إلاّ مُسنّداً ، ونحوُ : (ضاربٌ زيدٌ هو ضاربٌ عمرو) معناه : الشخصُ الذي
ضربَ زيدا هو الشخصُ الذي ضربَ عمراً ، ف (ضاربٌ) هنا مبتدأٌ حقيقيٌّ
وخبرٌ ؛ لأنّ الملحوظَ فيه الموصوفُ ، فهو بمنزلةِ الموصولِ الذي يكونُ مُسنّداً
وُسنّداً إليه .

ونحوُ : (السّفْرُ الحميدُ في يومِ الاثنينِ) ، و (السيرُ الرفيقُ في الأرضِ
السّهلةِ) ، و (زيدٌ في الدارِ) ، و (عمرو عندَ خالدٍ) مِنْ كلِّ اسمٍ مِنْ أسماءِ
الأعيانِ الجواهرِ أو أسماءِ المعانيِ الأعراضِ ، أُخبرَ عنه بالكونِ والحصولِ
مِنْ غيرِ اعتبارِ حالٍ خاصّةٍ في مكانٍ أو زمانٍ مُختصّينِ .. جملةٌ تامّةٌ مُركّبةٌ
مِنْ مبتدأٍ وخبرٍ ، لكنّ اللّغةَ التزمَتْ أن تحذفَ منها شيئاً ؛ لأنّه يقربُ
جدّاً فهمُهُ مِنْ نفسِ الكلامِ ؛ فنحوُ : (زيدٌ في الدارِ) على معنى : زيدٌ

حاصلٌ أو كائنٌ أو ثابتٌ . . . إلى غير ذلك مِنَ الأفعالِ العامَّةِ ، أو حصلَ أو كانَ ، أو يَحْصُلُ أو يكونُ ، حَسَبَ ما تَريدُ مِنَ الأزمنةِ ؛ فإذا لاحظتَ (حاصلٌ) ونحوه . . . كانَ مِنْ قبيلِ الخبرِ المفردِ ، وإذا لاحظتَ (حصلَ) أو (يَحْصُلُ) . . . كانَ مِنْ قبيلِ الخبرِ الجملةِ ، لكنَّ ليسَ لك أن تَنطِقَ به ، بل عليك أن تلاحظهُ فقط .

لكنَّ أسماءَ الأعيانِ الجواهرِ لا يفيدُ الإخبارَ عنها بالكونِ والحصولِ في الأزمنةِ ؛ مثلاً : إذا قلتَ : (زيدٌ يومَ الخميسِ) أو (عمرٌو في شهرِ العيدِ) . . . لم يكنْ مفيداً فائدةً مطلوبةً ، فيكونُ كلاماً غيرَ مُعتدِّ به .

نعم ؛ قد يفيدُ ، كما تقولُ للناسي أو الغاوي : نحنُ في شهرِ رمضانَ ، لكنَّ الفائدةُ حينئذٍ ليستُ مِنْ مُجرَّدِ الإخبارِ بالكونِ في الزمانِ ، بل ممَّا يَسْتَتبعُهُ الكلامُ ؛ إذ معنى (نحنُ في شهرِ رمضانَ) : تَذَكَّرْ فلا تأكلُ ولا تشربُ ، أو احترمِ الشهرَ المُعظَّمَ فلا تفسُقْ ولا تَفجُرْ . واعتبرْ مثلَ ذلكِ .

وقد تكونُ الأعيانُ مُرتبطةً بالأزمنةِ تَحَدُّثٌ وتَزولُ مُتجدِّدةً ، فتشبهُ المعاني التي وضعها وفطرتها على التجددِ والتقضي بالارتباطِ بالأزمنةِ التي شأنها ذلكَ ، فيكونُ الإخبارُ عنها بالحصولِ في الزمنِ مفيداً ، كما تقولُ : (الهلالُ الليلةَ) أي : يكونُ ، و (الوَرْدُ في شهرٍ من السنةِ) أي : يَحْصُلُ ، و (الرُّطْبُ شهرينِ) ومنهُ : (اليومَ خمراً ، وغداً أمراً)^(١)

فاسمُ المعنى يُخَبِّرُ عنه بالكونِ في المكانِ ، ويُخَبِّرُ عنه بالكونِ في الزمانِ ، واسمُ العينِ يُخَبِّرُ عنه بالكونِ في المكانِ ، ولا يُخَبِّرُ عنه بالكونِ في الزمانِ إلاَّ حيثُ الإفادةُ كما رأيتَ ، والاعتمادُ على حصولِ الفائدةِ ؛ فمتى حصلتْ . . . كانَ الكلامُ مُعتدّاً به ، ومتى لم تَحْصُلْ . . . كانَ مِنْ لغوِ القولِ .

(١) كلمة لامرئ القيس . انظر خبره في « معاهد التنصيص » (١٠/١ - ١١) .

وإذا توالى مبتدآن مُذَكَّرَانِ أو مُؤَنَّثَانِ وأُخْبِرَ عن ثانيهما بحالِ أوَّلِهِمَا ؛
 بحيثُ تكونُ الحالُ مُنْتَسِبَةً للأوَّلِ نسبةً قويَّةً كنسبةِ الفاعليَّةِ ، ومُنْتَسِبَةً للثاني
 نسبةً ضعيفةً كنسبةِ المفعوليَّةِ . فتكونُ الحالُ حالَ الأوَّلِ وصفتهُ بسببِ قُوَّةِ
 نسبتِها إليه ، وَيَصِحُّ الإخبارُ بها عنِ الثاني لكونِها مُنْتَسِبَةً إليه ؛ نحوُ : زيدٌ
 عمروٌ ضاربُهُ ، أو ضربهُ ، أو يَضْرِبُهُ ، لا فرقَ بينَ الفعلِ وغيرِهِ ، ونحوُ : هندٌ
 دعدٌ ضاربتُها ، أو مضروبُتُها ؛ فزيدٌ مبتدأٌ ، وعمروٌ مبتدأٌ ثانٍ ، وكذا هندٌ
 ودعدٌ ، فإذا أردتَ أنَّ الضربَ حاصلٌ منَ زيدٍ وهندٍ ، واقعٌ بعمروٍ ودعدٍ . .
 فقد أُخبرتَ عنِ ثانٍ المبتدأَيْنِ بحالِ أوَّلِهِمَا ، وهذه إرادتُكَ ونيَّتُكَ ، لكنِ
 الكلامُ يأبى بظاهرِهِ أن يفيدَ ذلكَ ؛ إذ المتبادرُ للفهمِ : أن يكونَ الخبرُ صفةً
 المُخْبِرِ عنهُ وحالَهُ ، فيكونُ القريبُ للفهمِ : أنَّ فاعلَ الضربِ عمروٌ ودعدٌ ،
 ومفعولُهُ زيدٌ وهندٌ .

فالمَخْلَصُ منَ ذلكَ : أن تأتيَ بدلَ الضميرِ الذي كانَ واجبَ الاتصالِ
 والاستتارِ بضميرٍ منفصلٍ مُؤَخَّرٍ ؛ لأجلِ أن يَدُلَّ ذلكَ على أنَّ الحالَ التي
 أُخْبِرَ بها عنِ الثاني ليستَ لَهُ ، بل هي حالُ الأوَّلِ ؛ فتقولُ : زيدٌ عمروٌ
 ضاربُهُ هو ، وضربهُ هو ، وهندٌ دعدٌ ضاربتُها هي ، أو ضربتُها هي . . . إلى
 غيرِ ذلكَ .

فإذا كانَ المبتدآنِ مُخْتَلِفَيْنِ تذكيراً وتأنيثاً ؛ نحوُ : هندٌ زيدٌ ضاربُهُ ، وزيدٌ
 هندٌ ضاربُها . . كنتَ مستغنياً عن فصلِ الضميرِ ؛ لظهورِ المرادِ بالاختلافِ ،
 وأنَّ الصفةَ للمبتدأِ الأوَّلِ بعلامةِ التذكيرِ والتأنيثِ .

وحيثُ كانَ الغرضُ منَ إعطاءِ النوعِ الإنسانيِّ قُوَّةَ النطقِ أن يَفِيَدَ المُتَكَلِّمُ
 بكلامٍ سامعُهُ فائدةً لم تكنَ عندهُ . . كانَ تكلُّمُهُ بما يَعْرِفُ أنَّ مُخاطَبَهُ عارفٌ
 به ضائعاً لغواً لا يُعْتَدُّ به ؛ نحوُ : السماءُ فوقنا ، والأرضُ تحتنا ، والنارُ حارَّةٌ ،

والنخل طويلاً ، ورجلٌ جاء ، ودارٌ في البلدِ ، وهذا الغلامُ قائمٌ ، وهذا الفرسُ يأكلُ ؛ لَمَنْ يُبْصِرُ ذَلِكَ .

هذا ؛ وقد سبقَ لكَ أنَّ الأسماءَ : إمَّا مُعَيَّنَةٌ لأشخاصٍ ، وإمَّا مُعَيَّنَةٌ لأجناسٍ ، وأنَّ الأسماءَ المُعَيَّنَةَ للأجناسِ : إمَّا أن يُرادَ بها أنفُسُ الأجناسِ ، وإمَّا أن يُرادَ بها جميعُ أفرادِ الأجناسِ ، وإمَّا أن يُرادَ بها بعضُ منها مُعَيَّنٌ بواسطةِ عهدٍ أو حضورٍ ، أو بعضُ مُبْهَمٌ ؛ وذلكَ بِحَسَبِ الأحكامِ التي تريدُ إفادتها^(١) .

فأحكامُ الأشخاصِ غيرُ أحكامِ الأجناسِ ، وأحكامُ الأجناسِ غيرُ أحكامِ جميعِ الأفرادِ ، وهكذا .

مثلاً : إذا أردتَ أن تجعلَ زيداً مبتدأً . . كانَ المحكومُ عليه الشخصُ المُسمَّى بزیدٍ ، وإذا تحكَّمُ عليه بحالِهِ التي تَعْرِفُها لَهُ وتريدُ أن تفيدها مَنْ يَجْهَلُها ؛ فتقولُ : زيدٌ كاتبٌ ، وعمرو شاعرٌ ، وهكذا كلُّ لفظٍ تريدُ به شخصاً بعينه ؛ نحوُ : هذا الغلامُ طيبٌ ، والذي هو قائمٌ بينَ يديكَ يتكلمُ بكثيرٍ مِنَ الألسنةِ .

وإذا أردتَ أن تجعلَ لفظَ الإنسانِ مثلاً مريداً به نفسَ الجنسِ مبتدأً . . كانَ المحكومُ عليه نفسَ جنسِ الإنسانِ مِنْ غيرِ اعتبارِ أفرادِهِ رأساً ، وإذا تحكَّمُ عليه بالأحوالِ الثابتةِ للأجناسِ ؛ فتقولُ : الإنسانُ نوعٌ شريفٌ بفكرِهِ ونطقِهِ ، والحيوانُ منه مُتفَكِّرٌ ومنهُ غيرُ مُتفَكِّرٍ ، فأمثالُ هذا يكونُ المرادُ

(١) انظر (١١٥/١ - ١١٦) .

فيها نفسَ الجنسِ ؛ إذ لا يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ فردٍ مِنَ أفرادِ الإنسانِ نوعٌ ،
ولا بعضُ الأفرادِ ، ولا كلُّ حيوانٍ منه مُتفَكِّرٌ ومنه غيرُ مُتفَكِّرٍ ، ولا بعضُ
الأفرادِ .



وإذا أردتَ أن تجعلَ اسمَ الجنسِ ؛ كالإنسانِ ، والحيوانِ ، والغائبِ ،
والشاهدِ ، مريداً به جميعَ الأفرادِ مبتدأً . . كانَ المحكومُ عليه كلُّ فردٍ ؛
فتخبرُ بالأحوالِ العامَّةِ لكلِّ واحدٍ واحدٍ ؛ فتقولُ : الحيوانُ مُتَنَفِّسٌ مُتَقَيِّظٌ
نائمٌ ، يَصِحُّ وَيَمْرُضُ ؛ إذ يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ حيوانٍ كذلكِ .

وضابطُ ما يُرادُ به جميعُ الأفرادِ : صحَّةٌ وضعِ (كلِّ) معهُ ؛ نحوُ : الغائبِ
والشاهدِ معلومانِ لله ، يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ غائبٍ وشاهدٍ .

وضابطُ ما يُرادُ به نفسُ الجنسِ : ألا يَصِحَّ وضعِ (كلِّ) معهُ ؛ نحوُ :
النخلُ منه طويلٌ ومنه قصيرٌ ومنه مُتوسِّطٌ ، لا يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ نخلٍ .



وإذا أردتَ أن تجعلَ اسمَ الجنسِ مراداً به واحدٌ ما مبتدأً . . أخبرتَ
بالأحوالِ التي تحضُّلُ بأيِّ واحدٍ مِنَ أفرادِ الجنسِ ؛ كقولِ عمرَ حينَ استُفتِيَ
في فديةِ الجرادِ على قاتليها في الحجِّ ، فأفتى بالتصدُّقِ بتمرةٍ ، فرأى بعضُ
الناسِ يُقلِّلُ ذلكَ : (تمرَّةٌ خيرٌ من جرادَةٍ)^(١) ، فواحدٌ من آحادِ جنسِ التمرِ
يصلُّحُ للفديةِ ، وهو خيرٌ من الجرادَةِ .

فتلخَّصَ : أنَّ المحكومَ عليه الذي تجعلُ اسمَهُ مبتدأً . . هو ما يقتضيه

(١) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٨٢٤٦) .

الحال مِنْ واحدٍ مُعَيَّنٍ أو غيرِ مُعَيَّنٍ ، وَمِنْ نفسِ جنسٍ أو جميعِ أفرادِهِ ، وإنَّما المَدَارُ على حصولِ الفائدةِ .

وحيثُ كانَ المبتدأُ محكوماً عليه موصوفاً ، وكانَ الخبرُ محكوماً به صفةً . . كانَ المناسبُ أن يُقدَّمَ المبتدأُ في النطقِ ، لكنَّ أجازتِ اللغةُ تقديمَ الخبرِ فيه حيثُ لم يَحْضُرِ اختلالٌ ، فإذا حصلَ اختلالٌ بتقديمِ الخبرِ . . وجب تأخيرُهُ وإزالتهُ عن موضِعِهِ ، وإذا حصلَ اختلالٌ بتقديمِ المبتدأِ . . وجب تأخيرُهُ وإزالتهُ عن موضِعِهِ ، والاختلالُ الذي يَحْضُرُ مِنْ ذلكَ فسادٌ في المعنى الذي تريدُ أن تفيدهُ .

وقد استُقرَّتِ المواضعُ التي يَحْضُرُ فيها فسادُ المعنى بتأخيرِ المبتدأِ عنِ الخبرِ ، فوُجِدَتْ خمسةٌ ، والمواضعُ التي يَحْضُرُ فيها فسادُ المعنى بتأخيرِ الخبرِ عنِ المبتدأِ ، فوُجِدَتْ خمسةٌ أيضاً ؛ فأحوالُ المبتدأِ معِ الخبرِ ثلاثةٌ :

- جوازُ التقديمِ والتأخيرِ .

- وجوبُ التقديمِ .

- وجوبُ التأخيرِ .



مواضع وجوب تقديم المبتدأ

الأول: كلُّ جملةٍ مُركَّبةٍ مِنْ كَلِمَتَيْنِ تَصْلُحُ كُلُّ مِنْهُمَا لِأَنْ تَكُونَ مَبْتَدَأً ولأن تكون خبراً؛ فلا يتعيَّن المبتدأ لكونه مبتدأً، ولا يتعيَّن الخبر لكونه خبراً.. إلا بالرتبة بجعل المبتدأ أولاً في اللفظ والخبر آخرًا فيه؛ حتى يتبيَّن كون الأول محكومًا عليه، والثاني محكومًا به، فيفيد التركيب المعنى المراد، فلو عكست.. لتبادر إلى الفهم بحسب هذا الأصل المُقرَّر أن المُقدَّم مبتدأ محكومٌ عليه، والمؤخَّر خبرٌ محكومٌ به، ويفيد التركيب حينئذٍ معنى غير المقصود.

مثلاً: تُخاطِبُ إنساناً بقولك: (عدوي حبيبك) فهذا القول جملةٌ مُركَّبةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ تَصْلُحُ كُلُّ مِنْهُمَا لِأَنْ تَكُونَ مَبْتَدَأً وَكَوْنَهَا خَبِراً، ف (عدوي) مبتدأ، و (حبيبك) خبره، ولو قلت: حبيبك عدوي.. كان (حبيبك) [مبتدأ]، و (عدوي) خبراً، ولكلٌّ مِنَ التركيبيْن معنى يخالف معنى الآخر؛ فمعنى قولك: (عدوي حبيبك): أن الشخص الذي أعاديه تُحِبُّه أنت، فأنت عدوي؛ لأنَّ مُحِبَّ العدوِّ عدوٌّ.

فالخلاصة: أنك تريد بهذا التركيب أن ترمي مخاطبك الذي يدعي حُبَّك والصداقة لك بالكذب في دعواه، واتصافه بضدها.

ومعنى (حبيبك عدوي): أن الشخص الذي تُحِبُّه أنت أعاديه أنا؛ فأنا أبغضك وأكرهك.

فخلاصة الأمر من هذا التركيب: أن المتكلم يريد أن يُبعد المُخاطَبَ عن نفسه، ويصدّه عن وداده، ويُعرفه أنه مكروه له.

فهذان معنيان مختلفان ، كلُّ منهما مخصوصٌ بتركيبٍ من التركيبين ، ولا يُستفادُ أحدهما إلا بتعيين المحكومِ عليه ، وتعيين المحكومِ به ، وذلك لا يحصلُ إلا بتقديم المبتدأ وتأخير الخبرِ ، فوجبا ، فلو نطقت بأحد التركيبين مريداً به معنى التركيب الآخر . . كنتَ مخطئاً ؛ إذ لم تُفدْ مرادك لمخاطبك .

وهذا المعنى هو الذي يُعبَّرُ عنه النحويون بالإلباس الذي يجبُ اجتنابُه ؛ فالإلباسُ في الكلام : كونهُ يتبادرُ منه خلافُ المرادِ به .

ونظيرُ (عدوي حبيبك) : (أفضلُ مني أفضلُ منك) حيثُ تريدُ الاستعلاءَ على مخاطبك ، و(أفضلُ منك أفضلُ مني) حيثُ تريدُ الاستدناءَ عنه .

فإذا لم تصلحْ كلُّ من الكلمتين لأن تكونَ مبتدأً ولأن تكونَ خبراً ، بل تتعينُ إحداهما لأحدهما ، والأخرى للآخر . . لم يجبِ التقديمُ والتأخيرُ ، بل كانَ على أصلِ الجوازِ .

مثلاً : إذا أردتَ أن تُلحِقَ صغيراً معلوماً أنه الصغيرُ بكبيرٍ معلومٍ أنه الكبيرُ ، على وجه التشبيهِ بإسقاطِ أداة التشبيهِ ؛ للمبالغةِ في الإلحاقِ ، كما تقولُ : أبو يوسفَ أبو حنيفةَ ، على معنى : أن أبا يوسفَ التلميذُ مثلُ أبي حنيفةَ الشيخِ ، فتسقطُ لفظةُ (مثلِ) ، وتجعلُ الكلامَ مبتدأً وخبراً بلا واسطةٍ ؛ فتقولُ : أبو يوسفَ أبو حنيفةَ ، فيعلمُ أن المحكومَ عليه بالمشابهةِ واللُّحوقِ هو أبو يوسفَ ، فهو مُتعيَّنٌ لكونِهِ مبتدأً ، فلو قُدِّمَ أو أُخِّرَ . . لم يَختلِ المعنى ، ومنَ هذا قولُ الشاعرِ^(١) :

بُنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَائِنَا
بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ

(١) انظر «خزانة الأدب» (١/٤٤٤) .

الموضع الثاني : كلُّ جملةٍ يكونُ خبرٌ مبتدئها جملةٌ فعليةٌ فاعلُ فعلها ضميرٌ مُستترٌ ؛ نحوُ : كلُّ إنسانٍ لا يبلُغُ حقيقةَ الشكرِ . . فيجبُ في مثلِ هذهِ الجملةِ تقديمُ المبتدأ ؛ إذ لو أخرتهُ . . لتبادرَ كونهُ فاعلاً ، ويختلفُ المعنى ؛ إذ معنى (كلُّ إنسانٍ لا يبلُغُ . . .) : نفيُ البلوغِ عن جميعِ أفرادِ الإنسانِ ، ومعنى (لا يبلُغُ كلُّ إنسانٍ . . .) : نفيُ الكونِ للكلِّ ، فيُحتمَلُ النفيُ عن الجميعِ ، ويُحتمَلُ النفيُ عن البعضِ والإثباتُ للبعضِ .

ويتعيَّنُ الحملُ عليه ما لم تقمَ قرينةٌ على خلافِهِ ؛ لأنَّهُ القَدْرُ المُتيقَّنُ ، وتلكَ العبارةُ يَعُدُّها المنطقيُّ من أسوارِ الجزئيةِ ؛ لأنَّهُ لا يَعتبرُ غيرَ المُتيقَّنِ ، والغرضُ النصُّ على نفيِ البلوغِ عن الجميعِ ؛ وذلكَ على جعلِ (كلُّ إنسانٍ) مبتدأً ، فيجبُ تقديمُهُ لذلكِ .

فلو كانَ فاعلُ الفعلِ اسماً ظاهراً ، أو ضميراً بارزاً ؛ نحوُ : زيدٌ قامَ أبوهُ ، وزيدٌ قاما أخواهُ ، وزيدٌ قاموا إخوانُهُ . . جازَ تأخيرُ المبتدأ ؛ إذ لا يتبادرُ كونهُ فاعلاً ؛ لاستيفاءِ الفعلِ فاعلهُ ظاهراً .

الموضعُ الثالثُ : كلُّ جملةٍ تريدُ أن تقصُرَ معنى مبتدئها على معنى خبرها ، ويُسمَّى : قَصْرُ الموصوفِ على الصفةِ ؛ رَدًّا على مَنْ زعمَ اتصافَهُ بغيرِ المذكورِ ، ويُسمَّى : قَصْرُ قلبٍ ، أو زعمَ اتصافَهُ بالمذكورِ وغيرِهِ ؛ ويُسمَّى : قَصْرُ إفرادٍ ، أو قطعاً لشكِّ مَنْ تَرَدَّدَ في اتصافِهِ بالمذكورِ وغيرِهِ ؛ ويُسمَّى : قَصْرُ تعيينٍ .

والقصرُ حكمٌ إجماليٌّ يتضمَّنُ حكمينِ :

أحدهما : إثباتُ المذكورِ .

والثاني : نفي غيره .

نحو : إنما زيدٌ كاتبٌ ؛ معناه : زيدٌ مقصورٌ على الاتصافِ بالكتابة ، ليس مُتَّصِفاً بغيرها ، لا وحدهُ ولا معها ، وما زيدٌ إلا شاعرٌ ؛ أي : مقصورٌ على الاتصافِ بالشعرِ .

فلو أَخَرَتِ المبتدأَ فقلتَ : إنما قائمٌ زيدٌ . . لتبادَرَ كونهُ مِنْ قَصْرِ معنى الخبرِ على معنى المبتدأ ، ويُسمَّى : قَصْرَ الصفةِ على الموصوفِ ، فيكونُ المعنى : أنَّ القيامَ ثابتٌ لزيدٍ لا لعمروٍ وحدهُ أو مع زيدٍ ، فلو كانَ مرادكُ هذا المعنى . . كانَ التركيبُ مِنَ المواضعِ التي يجبُ فيها تقديمُ الخبرِ كما سيأتي .

الموضعُ الرابعُ : كلُّ جملةٍ أُجريتْ مبتدأها مُجرى الشرطِ ، وخبرها مُجرى الجزاءِ ، فأدخلتِ الفاءَ بينهما ؛ وذلك إذا كانَ المبتدأُ اسماً موصولاً بجملةٍ استقباليةٍ ، أو موصوفاً به ، أو مُضافاً لأحدهما ، أو نكرةً موصوفةً بجملةٍ استقباليةٍ ، أو مُضافاً إليها ؛ نحو : الذي يَدُلُّني علىِ مطلوبي فلهُ دينارٌ ، والرجلُ الذي يطيعُ اللهَ فلهُ الجنةُ ، وغلَامُ الذي يَعْقِلُ الأمورَ فهوُ مُؤدَّبٌ ، ورجلٌ يُصدِّقُني - أو كلُّ رجلٍ يُصدِّقُني - فهوُ حقيقٌ بالثناءِ ؛ إذ المعنى في هذه التراكيبِ هوَ المعنى الذي يُقصدُ بالجملةِ الشرطيةِ ، كأنك قلتَ : إن دَلَّني أحدٌ علىِ مطلوبي . . فلهُ دينارٌ .

الموضعُ الخامسُ : كلُّ جملةٍ يكونُ مبتدؤها كلمةً يجبُ تصديرُها في جملتها ؛ وهي كلماتُ الاستفهامِ ، وكلماتُ الشرطِ ، وضميرُ الشأنِ ، ومبتدآتُ الأمثالِ ، والمبتدأُ الذي تدخلُ عليه لامُ التأكيدِ التي تُسمَّى : لامُ

الابتداء ، يفيدُ بها المُتكلِّمُ جزمَهُ بمضمونِ الخبرِ ؛ نحوُ : مَنْ يكرهُ الحقَّ ؟
استفهاماً ، وَمَنْ تُكرِّمُهُ .. أَكْرِمُهُ ؛ شرطاً ، وهو اللهُ أحدٌ ؛ ضميرِ الشَّانِ ،
وطوبى لكَ ، والشرطُ أملكُ عليكَ أم لكَ ؛ مِنْ الأمثالِ (١) .

وتقديمُ المبتدأ في هذا الموضعِ التزامٌ لغويٌّ ، لا [فراژ] مِنْ فسادِ معنَى ،
إلا في ضميرِ الشَّانِ .

مواضعُ تقديمِ الخبرِ

خمسةٌ أيضاً :

الموضعُ الأوَّلُ : كلُّ جملةٍ يكونُ معَ مبتدئِها ضميرٌ يعودُ على شيءٍ في
الخبرِ ؛ نحوُ : في الدارِ صاحبُها ، ونحوُ (٢) :

لِفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ
لثلاً يلزمُ وجودُ ضميرِ غائبٍ لمَ يَسْبِقُ مُبَيَّنُهُ ، فَيَنْفِرَ السامِعُ .

الموضعُ الثاني : كلُّ جملةٍ يكونُ الخبرُ فيها واجبَ التصديرِ ؛ نحوُ : أينَ
زيدٌ ؟ وكيفَ عمرو ؟ وَمِنْ أَيِّ بابٍ دخولُكَ ؟

✽

الموضعُ الثالثُ : كلُّ جملةٍ تريدُ أن تَقْصُرَ معنَى خبرِها على معنَى
مبتدئِها ؛ نحوُ : إنَّما شاعرُ زيدٌ ، وما لنا إلاَّ الإسلامُ .

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٢٠٦/٢) .

(٢) البيت لطرفة بن العبد في «ديوانه» (ص ٨٠) .

الموضع الرابع : كلُّ جملةٍ تكونُ مثلَ : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ ﴾^(١) ، وفي كلِّ أرضٍ سعدٌ^(٢) .

الموضع الخامسُ : كلُّ جملةٍ يكونُ مبتدؤها (أن) وصلتها ؛ نحوُ : عندي أنك فاضلٌ ومرادي أنك تتعلمُ ؛ إذ لا يتعيَّن كونُ (أن) وصلتها مبتدأً إلا بتأخيرها وتقديم الخبرِ .

وحيثُ كانَ الكلامُ مُنبئاً عن أحدِ الجزأينِ لو حُذِفَ . . جازَ حذفُه ، وكانَ أولى من ذكرِه ؛ مثلاً : إذا سألكَ سائلٌ فقالَ : مَنْ عندك ؟ فجوابك : زيدٌ أو عمرو ؛ بالشخصِ الذي يكونُ عندك ، فزيدٌ في جوابك مبتدأً لم يُنطَقْ لهُ بخبرٍ ، والكلامُ لكونِه جوابَ سؤالٍ . . مُنبئٌ عن الخبرِ المحذوفِ ؛ إذ السائلُ المُخاطَبُ يفهمُ أنك نويتَ : زيدٌ عندي ، والمدارُ في الكلامِ على فهمِ المُخاطَبِ مرادَ المُتكلِّمِ .

وإذا سألكَ سائلٌ بـ (كيفَ زيدٌ) الذي معناهُ : أصححُ زيدٌ أو مريضٌ مثلاً . . فجوابك : (صححُ) فصححُ خبرٌ لم تنطِقْ بمبتدئِه ، والتقديرُ : زيدٌ صححُ ، والمُخاطَبُ يفهمُ ذلكَ ، فالعمدةُ في الحذفِ : أن يفهمَ المُخاطَبُ المحذوفَ بسببِ دليلٍ يدلُّ عليه .

وفي أربعةِ مواضعٍ يجبُ حذفُ المبتدأِ ، فيكونُ النطقُ بهِ خطأً .

وفي أربعةِ مواضعٍ يجبُ حذفُ الخبرِ ، فيكونُ النطقُ بهِ خطأً أيضاً .

(١) سورة الأنعام : (٦٧) .

(٢) مثل مشهور قاله الأصبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، رأى من أهله وقومه أموراً كرهها ، فرأى من غيرهم مثل ما رأى منهم ، فقال : (في كل أرض سعد بن زيد) انظر « مجمع الأمثال » (٥٣٠ / ٢) .

مواضع وجوب حذف المبتدأ

الموضع الأول: الأوصاف المذكورة لغرض المدح أو الذم أو الترحم إذا رُفِعَتْ ؛ نحو: زرتُ زيداَ الوليَّ ، وارفقُ بخالدِ المسكينِ ، فهو على تقدير: هوَ الوليُّ ، وهوَ المسكينُ ، وتمامُ القولِ في ذلك يأتي في بابِ النعتِ (١) .

الموضع الثاني: كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولك: (في ذمّتي لأفعلنَ كذا) على معنى اليمينِ ؛ فقولك: (في ذمّتي) خبرٌ لمبتدأ واجبِ الحذفِ ، تقديرُهُ: في ذمّتي يمينٌ أو قسمٌ أو حلفٌ ، كما تلاحظُ ، ونظيرُهُ: في ضمانِي وفي عُقُبي لأفعلنَ كذا ، على ذلك المعنى .

الموضع الثالث: كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولك: (نِعَمَ الرجلُ عمرو ، وبئسَ الإنسانُ خالدٌ) تمدحُ بـ (نِعَمَ) ، وتذمُّ بـ (بئسَ) مُعَبِّراً عن الممدوحِ والمذمومِ أولاً باسمِهِ العامِّ ، ثمَّ تُعَبِّرُ عنه باسمِهِ الخاصِّ على نيّةٍ مبتدأً يكونُ الاسمُ الخاصُّ خبراً عنه ؛ فقولك: (نِعَمَ الرجلُ) جملةٌ تامّةٌ يفهمُ منها المُخاطَبُ أنّك تمدحُ شخصاً مُعيّناً ، وَعَبَّرْتَ عنه باسمِهِ العامِّ ، فنفْسُهُ تَتَشَوَّقُ لذكرِ اسمِهِ الخاصِّ ، كأنَّهُ يقولُ: مَنْ هُوَ ذَلِكَ الرجلُ [الذي] تمدحُهُ ؟ فتقولُ: زيدٌ ، على تقديرٍ: هوَ زيدٌ ، فهذا المبتدأ لا يُنطَقُ به .

الموضع الرابع: نحو قولك: (سمعُ وطاعةٌ) جواباً لِمَنْ يَأْمُرُكَ بأوامرٍ ، مِنْ كُلِّ مصدرٍ يَصِحُّ وَضْعُ الفعلِ موضِعَهُ ؛ لأنَّ المقصودَ هوَ المعنى الفعليُّ ؛

(١) انظر (١/٤٨١) .

إذ معنى قولك : سمعُ وطاعةً : أسمعُ قولك وأطيعُ أمرك ، فَمَنْ يقولُ : سمعُ وطاعةً . . ينوي : أمري وحالي وشأني سمعُ وطاعةً ، فيجبُ حذفُ هذا المبتدأ .

كيفية وقوع هذا في المحاوره : يقولُ لك إنسانٌ تُعظِّمُهُ وتعتبرُهُ : افعَلْ كذا^(١) ، ولا تفعلْ كذا ، يأمرُك وينهاك ، فتقولُ : امثالُ لأمرِك ، واجتنابُ عن نهيك ؛ تعني : حالي أو صفتي امثالُ واجتنابُ ، يصحُّ أن تضعَ موضعهُ : امثالُ أمرِك ، وأجتنبُ نهيك .

مواضع وجوب حذف الخبر

الموضع الأولُ : كلُّ تركيبٍ تبدؤه بلفظٍ (لَعَمْرُكَ) أو (لَعَمْرُ اللهِ) أو (لَأَيُّمُنُ اللهُ) ، وهذان اللفطان مُستعملان في القَسَمِ ، لا يُستعملان في غيره ، فإذا قلت : لَعَمْرُكَ لَأَتَبَعَنَّ رَأْيَكَ . . فمعناه : لَعَمْرُكَ قَسَمِي وبميني ، فلفظُ (قَسَمِي) خيرٌ مبتدؤه (لَعَمْرُكَ) .

وعمرٌ بفتح العين وبضمِّها : مُدَّةُ الحياة ، لكن لم يقع في الحَلْفِ إلا المفتوح ، وكذلك : لَأَيُّمُنُ اللهُ لَأَقْتَدِينَ بِكَ ، فهو على ذلك المعنى ، فالخبرُ محذوفٌ وجوباً .

الموضع الثاني : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولك : (كلُّ إنسانٍ وعملهُ ، وكلُّ عاملٍ ونيتُهُ ، وكلُّ شخصٍ وحِرْفَتُهُ) فإنَّ معناه : كلُّ شخصٍ وحِرْفَتُهُ مصطحبان ، والواو الواقعة في التركيب تفيدهُ معنى (مصطحبان) الذي هو الخبرُ المحذوفُ من قولك : (كلُّ شخصٍ وحِرْفَتُهُ) الذي هو المبتدأ المذكورُ ،

(١) في الأصل زيادة : (وافعل) .

فلَمَّا كَانَتْ الْوَاوُ تَفِيدُ الْمَعْيَةَ وَالْمَصَاحِبَةَ قَطْعاً ، وَهُوَ مَعْنَى الْخَبْرِ . . وَجِبَ حَذْفُهُ .



الموضع الثالثُ : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ : (نصحي الإخوانَ قابلينَ ، وأخذي المالَ حلالاً ، وأكملُ ما يكونُ الإنسانُ مُتَّقِيًا رَبَّهُ ، وأقربُ ما يكونُ العبدُ منُ رَبِّهِ وَهُوَ ساجدٌ) إذِ المعنى : نصحي الإخوانَ إذا وجدْتُهُم قابلينَ ، وأكملُ ما يكونُ الإنسانُ إذا استمرَّ مُتَّقِيًا ، وهكذا .

وضابطُ هذا الموضعِ : أن يكونَ المبتدأُ مصدرًا صريحاً أو مؤوَّلاً عاملاً في اسمٍ يعودُ عليه الضميرُ منَ الخبرِ المحذوفِ ، أو اسمَ تفضيلٍ مضافاً إلى مصدرٍ كذلكَ ، فلفظُ (إذا) المُقدَّرُ في هذا التركيبِ هو الخبرُ ، حُذِفَ وجوباً لانفهامِ الكلامِ بدونه ؛ إذ معناهُ : نصحي الإخوانَ حاصلٌ في وقتِ وجدانِهِم قابلينَ للنصحِ ، فهذا المعنى مُنفهمٌ بلا تأمُّلٍ ولا بُعْدٍ من قولِكَ : نصحي الإخوانَ قابلينَ ؛ كأنَّكَ قلتَ : نصحي الإخوانَ في حالِ قبولِهِم ، وهو غيرُ خفيٍّ .



الموضعُ الرابعُ : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِهِ تعالى : ﴿ وَوَلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ^(١) ، وهي التراكيبُ المُفتتحةُ بـ (لولا) التي وضعتُها اللغةُ لتفيدَ انتفاءَ مضمونِ جملةٍ بسببِ ثبوتِ مضمونِ جملةٍ أخرى ، وتُسمَّى : لولا الامتناعيةُ .

ويقولُ النحويونُ : لولا : لامتناعِ الجوابِ لوجودِ الشرطِ ، فلا بدَّ بعدها منَ جملتينِ ينتفي مضمونُ ثانيتهما بسببِ ثبوتِ مضمونِ أولاهُما ، وتُسمَّى

(١) سورة البقرة : (٢٥١) .

الجملة الأولى : جملة الشرط ، والثانية : جملة الجواب والجزاء .

لكن الجملة الأولى يجب أن تكون جملة اسمية مُركبة من مبتدأ يُذكر وخبر يُحذف وجوباً إذا كان وصفاً من الأوصاف العامة التي هي : الكون والوجود والثبوت والحصول ؛ فمعنى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (١) : لولا الدفع موجودٌ وحاصلٌ وثابتٌ فيما بين الناس . . . لفسدت الأرض ، فانتفاء فساد الأرض لثبوت وجود الدفع .

فلو كان سبب انتفاء الجواب ثبوت صفة خاصة ، كما في قولك : لولا زيدٌ يُكرمُ عمراً ويُعظِّمُهُ . . . لأهانهُ الناسُ واحتقروهُ ، فلفظ (يُكرمُ) و (يُعظِّمُ) خبرٌ عن زيدٍ لا يفهمُ إلا بذكره . . . وجب ذكرهُ ولم يصحَّ حذفهُ إلا إذا دلَّ عليه دليلٌ .

وتحريرُ هذا الموضع الذي يجبُ فيه حذفُ الخبرِ : هو حيثُ يكونُ سببُ انتفاءِ مضمونِ الجوابِ مُجرَّدَ الكونِ والحصولِ ؛ فلو قلت : لولا زيدٌ لهلكَ عمرٌو . . . فهمُ المُخاطَبُ بسرعةٍ أنَّ المعنى : لولا زيدٌ موجودٌ ؛ فمتى كانَ خبرُ المبتدأ الواقعَ بعدَ (لولا) هذه كوناً عاماً . . . لم يُلفَظْ ، ومتى كانَ كوناً خاصاً ؛ فإن كانَ لو حُذِفَ فهمُ . . . صحَّ حذفهُ ، وإلا . . . وجبَ ذكرهُ ، ويتأملُ المثاليينِ يظهرُ الحالُ .

[تعدُّدُ الخبرِ]

ويتعدَّدُ الخبرُ فيكونُ اثنتينِ وأكثرَ ، والمبتدأُ واحدٌ في اللفظِ ؛ وهو على نوعينِ :

النوعُ الأوَّلُ : أن يكونَ المبتدأُ الواحدُ في اللفظِ واحداً في المعنى أيضاً ، وتعدُّدُ خبره يكونُ على ثلاثةِ أنواعٍ :

(١) سورة البقرة : (٢٥١) .

- النوع الأول : أن تُخبرَ عنه بوصفَيْنِ مُمتزَجَيْنِ قامَ منهما وصفٌ ثالثٌ ، فيجوزُ أن تُخبرَ بالوصفَيْنِ وأن تُخبرَ بذلك الوصفِ ؛ كقولِكَ : الرُّمَّانُ حُلُوٌّ حَامِضٌ ، والرُّمَّانُ مُرٌّ ؛ فالحلاوةُ والحُموضةُ وصفانِ مُمتزجانِ قامَ منهما وصفٌ واحدٌ يُسمَى : المُزوزةُ ؛ فلكَ أن تقولَ : حُلُوٌّ حَامِضٌ ، ولكَ أن تقولَ : مُرٌّ . ونظيرُهُ : هذا الماءُ حارٌّ باردٌ ؛ أي : فاترٌ ، وهذا الفرسُ أبيضٌ أسودٌ ؛ أي : أكهَبٌ .

ولا يصحُّ أن تُدخلَ بينَ الوصفَيْنِ المُمتزَجَيْنِ واوًّا ؛ فلا تقولُ : (حُلُوٌّ وحامضٌ) إلا إذا أثبتَّ الأمرَ المُتوسِّطَ بنفي الضدِّينِ ، كما تقولُ : هذا الرُّمَّانُ لا حُلُوٌّ ولا حامضٌ .

- النوعُ الثاني : أن تُخبرَ بوصفَيْنِ مُتجاوِرينِ مُتميِّزينِ ؛ كقولِكَ : هذا الفرسُ أبيضٌ أسودٌ ؛ أي : أبلقٌ ، وهذا يصحُّ بواوٍ وبدونها ، فتقولُ : أبيضٌ وأسودٌ ، وأبيضٌ أسودٌ .

- النوع الثالثُ : أن تُخبرَ بأوصافٍ لا امتزاجَ فيها ولا تجاورَ ؛ كقولِكَ : الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ ، وزينةٌ ومفاخراتٌ .



النوعُ الثاني : أن يتعدَّدَ المبتدأُ معنىً وهو واحدٌ لفظاً : وتعدُّدُ الخبرِ فيه يكونُ على نوعينِ :

- النوعُ الأولُ : أن يكونَ الوصفُ مُشترِكاً بينَ الجميعِ ؛ كقولِكَ : غلاما زيدٌ شاعرانِ كاتبانِ صانعانِ ، أو شاعرانِ وكاتبانِ وصانعانِ ، فهو كالواحدِ لفظاً ومعنىً .

- النوعُ الثاني : أن يكونَ لكلِّ واحدٍ وصفٌ يَحُصُّهُ ، فتجبُ الواوُ ؛

كقولك : أبناؤك كاتبٌ وشاعرٌ وتاجرٌ ، فجميعُ هذه الأخبارِ التي فيها التعدُّدُ يُقالُ فيها : خبرٌ أوَّلُ ، وخبرٌ ثانٍ ، وخبرٌ ثالثٌ ، وهكذا إن لم تكنِ الواوُ ، فإن كانتِ الواوُ . . قيلَ للأوَّلِ : خبرٌ ، وللباقِي : معطوفاتٌ ، وللواوِ : حرفٌ عطفٍ كما يُبيِّنُ في التوابعِ ، وإن كانتِ الكلُّ أخباراً بحسبِ المعنى .

وقد يكونُ لفظُ الخبرِ هوَ لفظُ المبتدأ ؛ حيثُ يُرادُ التعظيمُ أو التحقيرُ ؛ كقولِ الراجزِ^(١) :

أنا أبو النِّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي
وطريقُ التعظيمِ : أنَّ المُتكلِّمَ بمثلِ هذا الكلامِ يُخيَّلُ أنَّه لَمَّا ذَكَرَ المبتدأَ ليصفهُ بجمائلِ صفاتِهِ . . تحيَّرَ لكثرةِ توارُدِها عليه مع كونه ظاهرَ الشرفِ والكمالِ ، فهو يقولُ : لا حاجةَ لذكرِ صفاتِهِ ؛ لاستغنائِهِ بظهورِ كمالِهِ ، واضطرارِ المُطَّلِعِ عليه بالاعترافِ لَهُ بكمالِ رتبتهِ في بابِهِ .
ويقولُ الناسُ : العالمُ عالمٌ ، والجاهلُ جاهلٌ .

وقالَ الشاعرُ :
[من البسيط]
السَّبْعُ سَبْعٌ وَإِنْ كَلَّتْ مَخَالِبُهُ وَأَلْكَلِبُ كَلْبٌ وَإِنْ طَوَّقَتْهُ دَهَبًا
ويُحتملُ أن يكونَ مِنْ هذا القبيلِ قولُ اللهِ جلَّ ذكْرُهُ : ﴿ وَالسَّيِّدُونَ
السَّيِّدُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾^(٢) .

ونظيرُهُ مِنْ بابِ الشرطيَّةِ : قولُهُ عليه الصلاةُ والسلامُ : « فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ . . فَهِيْجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ »^(٣) .

(١) هو أبو النجم العجلي في « ديوانه » (ص ١٩٨) .

(٢) سورة الواقعة : (١٠ - ١١) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤) ومسلم (١٩٠٧) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

[أحوالُ المبتدأ والخبر]

هَذَا ؛ وَاَعْلَمُ : أَنَّ لِلْمَبْتَدَأِ وَالْخَبْرِ أَرْبَعَ أَحْوَالٍ :

الْحَالَةُ الْأُولَى : أَنْ تَنْطِقَ بِهِمَا مُجَرَّدَيْنِ :

وَحَكْمُهُمَا حَيْثُذُ : رَفَعُهُمَا لَفْظًا ، أَوْ تَقْدِيرًا ، أَوْ مَحَلًّا ، وَلَا يَفِيدُ التَّرْكِيبُ

إِلَّا مُجَرَّدَ الْحَكْمِ بِوُقُوعِ النِّسْبَةِ .

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ : أَنْ تَقْرُنَ بِهِمَا (كَانَ) أَوْ إِحْدَى أُخْوَاتِهَا :

وَحَكْمُهُمَا حَيْثُذُ : رَفَعُ الْمَبْتَدَأِ وَنَصْبُ الْخَبْرِ ، وَيَتَغَيَّرُ الْأِسْمُ ؛ فَيُقَالُ

لِلْمَبْتَدَأِ : (اسْمُ كَانَ) أَوْ إِحْدَى أُخْوَاتِهَا ، وَلِلْخَبْرِ : (خَبْرُ كَانَ) أَوْ إِحْدَى

أُخْوَاتِهَا ، وَيَفِيدُ التَّرْكِيبُ الْحَكْمَ بِوُقُوعِ النِّسْبَةِ مَعَ مَا لَتَلِكِ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْمَعَانِي

الْمُرَادِ بِهَا بَيَانُ زَمَانِ النِّسْبَةِ وَبَعْضِ أَحْوَالِهَا .

الْحَالَةُ الثَّلَاثَةُ : أَنْ تَقْرُنَ بِهِمَا أَحَدَ الْأَحْرَفِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي هِيَ (إِنَّ) وَ(أَنَّ)

وَأُخْوَاتُهُمَا :

وَحَكْمُهُمَا إِذَا : نَصْبُ الْمَبْتَدَأِ وَرَفَعُ الْخَبْرِ ، وَيُقَالُ لِلْمَبْتَدَأِ : (اسْمُ إِنَّ)

مِثْلًا ، وَلِلْخَبْرِ : (خَبْرُهَا) وَيَفِيدُ التَّرْكِيبُ الْحَكْمَ بِوُقُوعِ النِّسْبَةِ مُقْتَرِنًا بِمَعَانِي

تَلِكِ الْكَلِمَاتِ .

الْحَالَةُ الرَّابِعَةُ : أَنْ تَقْرُنَ بِهِمَا كَلِمَةً (ظَنَّ) أَوْ إِحْدَى أُخْوَاتِهَا :

وَحَكْمُهُمَا حَيْثُذُ : النِّصْبُ ، وَيُقَالُ لِلْمَبْتَدَأِ : (مَفْعُولٌ أَوَّلٌ) وَلِلْخَبْرِ :

(مَفْعُولٌ ثَانٍ) وَيَفِيدُ التَّرْكِيبُ الْحَكْمَ بِوُقُوعِ النِّسْبَةِ عَلَيَّ وَجِهِ الظَّنِّ أَوْ اليَقِينِ .

ولكون تلك الكلمات في الأبواب الثلاثة تُغَيَّرُ حكم المبتدأ والخبرِ
واسمَهُما . . يُسَمُّونَهَا : نواسخِ الابتداء ؛ مِنْ النَّسْخِ ؛ بمعنى : الإبطالِ
والإزالة .



بيانُ بابِ (كانَ)

(كانَ) وأخواتها إلا (كادَ) وصواحبها . . تدخُلُ على جملةِ الابتداءِ كيفَ كانتُ ، لكنْ لا يقعُ الأمرُ هنا خبراً ، وكذلك لا يقعُ الماضي خبراً ل (صارَ) و (ليسَ) وأفعالِ الاستمرارِ ؛ وذلكَ لأنَّ (صارَ) دالةٌ على الانتقالِ والتحوُّلِ إلى صفةٍ لها استمرارٌ ودوامٌ ؛ نحوُ : صارَ زيدٌ أسداً ، وشجاعاً ، ويصنعُ المعروفَ ، وهذا هو المانعُ مِنْ وقوعِهِ خبراً لأفعالِ الاستمرارِ .

وكذلكَ لا يقعُ خبراً ل (ما دامَ) إلا إذا كانَ ذا أثرٍ مُستمرٍّ ؛ نحوُ : واجبٌ عليكَ أن تفعلَ كيتَ وكيتَ ما دمتَ أعطيتَ به عهدَكَ والتزمتَ فعلَهُ .

وفيما عدا ذلكَ يقعُ خبراً ؛ لتحقيقِ الحصولِ أو الدلالةِ على تقادِميهِ ؛ فتقولُ :

كانَ زيدٌ قائماً ، وأصلُهُ : زيدٌ قائمٌ .

وكانَ الزيدانِ قائمينِ ، وأصلُهُ : الزيدانِ قائمانِ .

وكانَ الزيدونَ قائمينَ ، وأصلُهُ : الزيدونَ قائمونَ .

وكانَ أن تصوموا رمضانَ خيراً ، والأصلُ : أن تصوموا رمضانَ خيرٌ ؛ على تأويلِ : صومُكم رمضانَ خيرٌ .

وكانَ ما تحفظُ العِلْمَ حسناً ، وأصلُهُ : ما تحفظُ العِلْمَ حسنٌ ؛ على تأويلِ : حفظُك العِلْمَ حسنٌ .

وكانَ اللهُ أحدٌ ، والأصلُ : هو اللهُ أحدٌ ، على أن المبتدأَ ضميرُ الشأنِ مُفسِّراً بالجملةِ بعدهُ .

وأضحيتُ وأمسيْتُ مُرشداً ، والأصلُ : أنا مُرشِدٌ ، فحينَ دخلَ العاملُ

عليه . . جئت بضمير الرفع المتصل بدل ضمير الرفع المنفصل ؛ إذ لا يصح الفصل مع إمكان الوصل ، وكذلك بقيّة الضمائر ، ومع الاتصال يستتر .

وليس له لفظ في كانَ وكانتَ ويكونُ ، وهندُ تكونُ ، وأكونُ ، ونكونُ ، وتكونُ ، وكُنْ ، وكانَ زيدٌ يقومُ أبوهُ ، وكانَ زيدٌ أبوهُ قائمٌ .

وقال زهير^(١) :

وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُسْتَكِنَةٍ فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمَ

وقال آخر^(٢) :

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً عَشِيَّةً لَأَقِينَا جُدَامَ وَحَمِيرَا

في الخبر الجملة ، وكانَ زيدٌ في الدارِ ، وكانَ زيدٌ عندكُ ، في الخبر المُحتمل أن يكونَ جملةً ، وأن يكونَ مفرداً .

واعلم : أن تركيب (كنتُ أفعلُ) و (أكونُ أفعلُ) و (كُنِ أفعلُ) وهو نادرٌ . . للدلالة على تكرر الفعلِ ، والتحاقي بالعادةِ ، أمراً بذلك أو إخباراً عنه .

وطريقُ ذلك : أن الفعلَ القابلَ للاستمرارِ حينَ يُعلّقُ بالكونِ المُستمرِّ . . يدلُّ على إرادة الاستمرارِ ، فمعنى قولِ الشاعر^(٣) :

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَّةٍ حَتَّى أَلَمْتُ بِنَا يَوْمًا مُلِمَّاتٍ

أن حِسبانَهُ أخوةَ أبي عمروِ وصدافتهُ . . أمرٌ مُستمرٌّ إلى أن أظهرتِ الشِدَّةُ

(١) انظر « شرح شعر زهير » لثعلب (ص ٢٩) .

(٢) هو زفر بن الحارث ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (٧٩/١) .

(٣) هو أبو شبل الأعرابي ، كما في « معجم الأدباء » (٣٨٦/٢) .

فساد طويته وتمويه أخوته ، ومعنى قول الآخر^(١) :

وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكْرِي

ليكن تذكيرك إياي بالمكارم فعلاً مستمراً وعادة دائمة ، ولو قال لها :
ذكريني . . لكفى ؛ لامثال أمره التذكير مرة واحدة ، وتقول : إن دام هذا
الطالب كما أرى في الاجتهاد وتحقق الأحكام الأصلية . . فيكون يفهم في
عويصات المسائل .

وخبر (كان) لكونه أحد المنصوبات التي ستقف على عددها عند مرور
أبوابها عليك : يكون تارة ضميراً من ضمائر النصب المنفصلة ، التي هي :
إِيَّاي وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ وفروعها ، وتارة ضميراً من الضمائر المتصلة المشتركة بين
النصب والخفض ، قال الشاعر^(٢) :

بَبْدَلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى
وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيَّكَ يَسِيرُ

وقال صلى الله عليه وسلم لعمر حين همم بقتل ابن صائد الذي ظهر في
عهد الرسالة من اليهود على صورة المسيح الدجال الذي أنذرتة الأنبياء
أممها ، وكان يتحدث ببعض المغيبات : « إِنْ يَكُنْهُ . . فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا
يَكُنْهُ . . فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ »^(٣) ، ولا تدخل هذه الأفعال على جمل يجب
حذف مبتدأها ، ولا على مبتدآت ملازمة للابتدائية ؛ نحو : (ما) التعجبية ،
ونحو : سلام عليك ، ومبتدآت الأمثال .

ويجوز في هذا الباب : تقديم الأخبار على الأسماء ، ويجب : إن كان

(١) هذا صدر بيت ، انظر « خزنة الأدب » (٢٦٦/٩) ، والبيت بتمامه :

وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكْرِي
وَدَلِّي دَلَّ مَا جِدَّةَ صَنَاعِ

(٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢٧٠/١) .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٤) ، ومسلم (٢٩٣٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

مع الاسم ضميرٌ يعودُ على شيءٍ في الخبرِ ، أو اقترنَ بـ (إلاً) لفظاً أو تقديرًا ، أو كان نكرةً والخبرُ ظرفٌ ، أو كان (أن) وصلتها ، ويمتنعُ : إذا كان مقصوراً عليه .

ويجوزُ تقديمُ الأخبارِ على أنفسِ الأفعالِ ، إلا (دام) و(زال) وصواحبها ؛ لامتناعِ الفصلِ بينَ هذه الأفعالِ والأدواتِ التي يلزمُ أن تكونَ معها ، وإلا (ليس) على الأفصح ، ويمتنعُ تقديمُها على (ما) النافية وحدها ، أو مع هذه الأفعالِ ، ويجبُ تقديمُها إن كانت من المُتصدِّراتِ .

ويمتنعُ تقديمُ الأسماءِ على الأفعالِ ، كما يمتنعُ الفصلُ بينهما بغيرِ الظرفِ والجازِ والمجرورِ من معمولاتِ الخبرِ .

واختصَّت (كان) بورودها زائدةً لا يُفادُ بها غيرُ التوكيدِ ، ومُلغاةً لإفادةِ الزمنِ بلا عملٍ .

فالأولى : كقولِ الشاعرِ :
سَراةُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامِي عَلى - كَان - أَلْمُسَوِّمَةَ أَلْجِيَادِ
[من الوافر]
والثانية : نحو قولك : ما كان أصحَّ علمٍ من تقدّم ، ولا أرى موجباً لإلغائها في مثلِ هذا ، ويكونُ اسمُها ضميراً عائداً على (ما) ، والجملةُ بعدُ خبرٌ ، والتعجُّبُ من الأمورِ الماضيةِ ، وفي مثلِ : ما أحسنَ تقريرك وأقوى اجتهادك من الأمورِ الحاضرةِ .



واختصَّت (كان) أيضاً بجوازِ حذفِها مع اسمِها ويبقى خبرُها ، وهو جيّدٌ ، أو مع خبرِها ، وهو رديءٌ .

واشتهر الحذف مع (لو) ومع (إن) ، كقوله عليه الصلاة والسلام :
 « التَّمَسُّنُ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ » ^(١) ؛ أي : ولو كان الملتمس خاتماً ، وكقوله :
 « لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ » ^(٢) ؛ أي : ولو كانت الهدية
 فرسن . . . وكقول الشاعر ^(٣) :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا أَعْتَذَرُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا
 ومنه العبارة ذات الأوجه ؛ كقوله : كلُّ امرئٍ مَجْزِيٌّ بِعَمَلِهِ ؛ إن خيراً . .
 فخيرٌ ، وإن شراً . . فشرٌّ ؛ أي : إن كان عمله خيراً . . فجزاؤه خيرٌ ، وهو أرجح
 الأوجه .

والثاني - وهو رديئها - : رفعُ الأوَّلِ ونصبُ الثاني ؛ أي : إن كان في عمله
 خيرٌ . . فهو يُجْزَى خيراً ، وكان رديئاً ؛ لأنَّ فيه حذف الخبر مع (كان) ،
 وكثرة الحذف من الجزاء ، ولأنَّ فيه ضعفًا بحسبِ المعنى ؛ لأنَّ الغرض : إن
 كان عمله خيراً ، لا : إن كان بعضه وبعضه .

ورفعُهُما يلي الرديء ، ونصبُهُما يلي الجيد ، وإنَّما يجوزُ رفعُ الأوَّلِ حيثُ
 يمكنُ تقديرُ الخبرِ ، وإلَّا . . وجبَ النصبُ ؛ نحوُ : أنا ماضٍ مع زيدٍ إلى
 مقصده ؛ إن راكباً . . فراكبٌ ، وإن ماشياً . . فماشٍ .

[المقامة النحوية للحريري]

وعلى هذه المسألة بنى أبو محمد الحريري مقامته الرابعة والعشرين ،
 الموسومة بـ (المقامة النحوية) ^(٤) ، ورأيتُ إيرادها في هذا الموضع ،

(١) أخرجه البخاري (٥١٢١) ، ومسلم (١٤٢٥) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) ، ومسلم (١٠٣٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر « محاضرات الأدباء » (٥٧٢/٣) .

(٤) وسماها مؤلفها : المقامة القطيعية .

مُلْتَمِساً مِنَ الطَّلَبَةِ أَنْ يُنْعِمُوا أَنْظَارَهُمْ فِي كَيْفِيَةِ سِيَاقِهَا ، وَتَحْيِيلِ الْبَلْغَاءِ عَلَى إِيْرَادِ الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْأَسَالِيْبِ الْأَدْبِيَّةِ ؛ عَسَى أَنْ يَلْمَحُوا الْغَايَةَ الَّتِي لَهَا يَسْعَى مَنْ يَكُدُّ نَفْسَهُ وَيَتَحَامَلُ عَلَى قُوَاهُ ، وَيَصْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ عَمْرِهِ فِي تَعَلُّمِ الْفُنُونِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ وَهِيَ ^(١) :

(حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاشَرْتُ بِقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ ، فِي إِبَّانِ الرَّبِيعِ ، فَتِيَّةً وَجَوْهَهُمْ أَبْلَجُ مِنْ أَنْوَارِهِ ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْهَجُ مِنْ أَزْهَارِهِ ، وَالْفَاطَظُهُمْ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ أَسْحَارِهِ ، فَاجْتَلَيْتُ مِنْهُمْ مَا يُزْرِي عَلَى الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ ، وَيَغْنِي عَنْ رَنَاتِ الْمَزَاهِرِ ، وَكُنَّا تَقَاسِمْنَا عَلَى حِفْظِ الْوِدَادِ ، وَحَظَرِ الْإِسْتِبْدَادِ ، وَأَلَّا يَتَفَرَّدَ أَحَدُنَا بِالْتَذَاذِ ، وَلَا يَسْتَأْثِرَ وَلَوْ بَرْدَاذِ .

فَأَجْمَعْنَا فِي يَوْمٍ سَمَا دَجْنُهُ ، وَنَمَا حُسْنُهُ ، وَحَكَمَ بِالْإِصْطِبَاحِ مُرْنُهُ . . . عَلَى أَنْ نَلْتَهِيَ بِالْخُرُوجِ ، إِلَى بَعْضِ الْمَرْوِجِ ؛ لِنُسْرِخَ النِّوَاطِرَ ، فِي الرِّيَاضِ النِّوَاضِرِ ، وَنَصْقُلَ الْخَوَاطِرَ ، بِشِيمِ الْمَوَاطِرِ ، فَبِرْزْنَا وَنَحْنُ كَالشُّهُورِ عِدَّةً ، وَكَنْدَمَانِي جَذِيمَةً مَوْدَّةً ، إِلَى حَدِيقَةٍ أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَازْيَنْتَ ، وَتَنَوَّعَتْ أَزَاهِيرُهَا وَتَلَوَّنَتْ ، وَمَعَنَا الْكُمَيْتُ الشُّمُوسُ ، وَالسَّقَاةُ الشُّمُوسُ ، وَالشَّادِي الَّذِي يُطْرِبُ السَّامِعَ وَيُلْهِيهِ ، وَيَقْرِي كُلَّ سَمِعٍ مَا يَشْتَهِيهِ .

فَلَمَّا أَطْمَأَنَّ بِنَا الْجُلُوسُ ، وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكُؤُوسُ . . . وَغَلَّ عَلَيْنَا ذِمْرٌ ^(٢) ، عَلَيْهِ طِمْرٌ ، فَتَجَهَّمْنَاهُ تَجَهُّمَ الْغَيْدِ الشَّيْبِ ، وَوَجَدْنَا صَفْوَ يَوْمِنَا قَدْ شَيْبَ ، إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أَوْلِيِ الْفَهْمِ ، وَجَلَسَ يَفْضُّ لَطَائِمَ النَّثْرِ وَالنِّظْمِ ^(٣) ، وَنَحْنُ

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٦٩) ، وسيأتي المصنف بملحق فيه شرح بعض ألفاظها وأخبارها ، ونقل الفصل الشارح لأحاجيها وألغازها .

(٢) يعني : دخل علينا رجل شجاع .

(٣) اللطائم : جمع لطيمة ؛ وهي وعاء العطر ، أو المسك .

ننزوي من انبساطه ، وننبري لطي بساطه ، إلى أن غنى شاديننا المغرب ،
ومغردنا المطرب : [من الوافر]

إلام سعاد لا تصلين حبلي ولا تأوين لي ممأ ألامي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وهأنأ قد عزمت على أنتصاف أساقبي فيه خلي ما يساقي
فإن وضلاً ألد به فوصل وإن صزماً فصزماً كالطلاق

قال : فاستفهنا العابت بالمشاني^(١) ، لم نصب الوصل الأول ورفع
الثاني ؟ فأقسم بترية أبويه ؛ لقد نطق بما اختاره سيبيه ، فتشعبت حينئذ
آراء الجمع ، في تجويز النصب والرفع ؛ فقالت فرقة : رفعهما هو الصواب ،
وقالت طائفة : لا يجوز فيهما إلا الانتصاب ، واستبهم على آخرين الجواب ،
واستعر بينهما الاصطخاب ، وذلك الواغل يبيدي ابتسام ذي معرفة ، وإن لم
يفه بنت شفة ، حتى إذا سكنت الزماجر ، وصمت المزجور والزاجر . . قال :
يا قوم ؛ أنا أنبتكم بتأويله ، وأميز صحيح القول من [عليه] ؛ إنه ليجوز رفع
الوصلين ونصبهما ، والمغايرة في الإعراب بينهما ؛ وذلك بحسب اختلاف
الإضمار ، وتقدير المحذوف في هذا المضمار .

قال : ففرط من الجماعة إفراط في ممارته ، وانخرط إلى مباراته ، فقال :
أما إذا دعوتكم نزال ، وتلببتم للنضال . . فما كلمة هي إن شئتم حرف
محبوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب ؟

وأى اسم يتردد بين فرد حازم ، وجمع ملازم ؟
وأية هاء إذا التحقت . . أماطت الثقل ، وأطلقت المعتقل ؟

(١) أراد أوتار العود ؛ لكونها مثنى مثنى .

وَأَيْنَ تَدْخُلُ السَّيْنُ فَتَعَزِلُ الْعَامِلَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَجَامَلَ ؟
وما منصوبٌ أبداً على الظرفِ ، لا يَخْفِضُهُ سِوَى حَرْفٍ ؟
وَأَيُّ مِضَافٍ أَخْلَى مِنْ عُرَا الإِضَافَةِ بِعُرْوَةٍ ، وَاخْتَلَفَ حَكْمُهُ بَيْنَ مَسَاءٍ
وَعُدْوَةٍ ؟

وما العاملُ الَّذِي يَتَّصِلُ آخِرُهُ بِأَوَّلِهِ ، وَيَعْمَلُ مَعكُوسُهُ مِثْلَ عَمَلِهِ ؟
وَأَيُّ عَامِلٍ نَائِبُهُ أَرْحَبُ مِنْهُ وَكْرَأُ ، وَأَعْظَمُ مَكْرَأُ ، وَأَكْثَرُ لِلَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا ؟
وفي أَيِّ مَوْطِنٍ تَلْبَسُ الذُّكْرَانُ ، بِرَاقِعِ النِّسْوَانِ ، وَتَبْرُزُ رَبَّاتُ الحِجَالِ ،
بِعِمَائِمِ الرِّجَالِ ؟

وَأَيْنَ يَجِبُ حِفْظُ المَرَاتِبِ ، عَلَى المِضْرُوبِ وَالمِضْرَابِ ؟
وما اسْمٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِاسْتِضَافَةِ كَلِمَتَيْنِ ، أَوْ الإِقْتِصَارِ مِنْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ ،
وفي وَضْعِهِ الأَوَّلِ التَّنْزَامُ ، وفي الثَّانِي الإِزَامُ ؟
وما وَصَفٌ إِذَا أُرْدِفَ بِالنُّونِ . . نَقَّصَ صَاحِبُهُ فِي العُيُونِ ، وَقَوَّمَ بِالدُّونِ ،
وَخَرَجَ مِنَ الزُّبُونِ ، وَتَعَرَّضَ لِلهُونِ ؟
فهذه ثِنْتَا عَشْرَةَ مَسْأَلَةً وَفَقَّ عَدَدِكُمْ ، وَزَنَةَ لَدَدِكُمْ ، وَلَوْ زِدْتُمْ . . زِدْنَا ،
وَإِنْ عُدْتُمْ . . عُدْنَا .

قَالَ المُخَبِّرُ بِهذهِ الحِكَايَةِ : فوردَ عَلَيْنَا مِنْ أَحَاجِيهِ التِّي هَالَتْ لَمَّا انْهَالَتْ ،
مَا حَارَتْ لَهُ الأَفْكَارُ وَحَالَتْ ، فَلَمَّا أَعْجَزْنَا العَوْمُ فِي بَحْرِهِ ، وَاسْتَسَلَمَتْ
تَمَائِمُنَا لِسَحْرِهِ . . عَدَلْنَا مِنْ اسْتِثْقَالِ الرُّؤْيَةِ لَهُ ، إِلَى اسْتِنزَالِ الرُّوَايَةِ عَنْهُ ،
وَمِنْ بَغْيِ التَّبَرُّمِ بِهِ ، إِلَى ابْتِغَاءِ التَّعَلُّمِ مِنْهُ .

فَقَالَ : وَالَّذِي نَزَّلَ النُّحُورَ فِي الكَلَامِ ، مَنزِلَةَ المِلْحِ فِي الطَّعَامِ ، وَحِجَبَهُ عَنِ
بِصَائِرِ الطَّغَامِ ؛ لَا أَنْتَلِكُمْ مَرَامًا ، وَلَا شَفَيْتُ لَكُمْ غَرَامًا ، أَوْ تُخَوِّلَنِي كُلُّ يَدٍ ،

وَيَخْتَصِنِي كُلُّ مَنْكُم بِيَدٍ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا مَنْ أَدْعَنَ لِحَكْمِهِ ، وَنَبَذَ
إِلَيْهِ خُبَاءَ كُومِهِ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ تَحْتَ وَكَائِهِ . . أَضْرَمَ شُعْلَةَ ذَكَائِهِ ، فَكَشَفَ
حِينَئِذٍ عَن أَسْرَارِ أَلْغَازِهِ ، وَبَدَائِعِ إِعْجَازِهِ ، مَا جَلَا بِهِ صَدَأُ الْأَذْهَانِ ، وَجَلَّى
مَطْلَعُهُ بِنُورِ الْبُرْهَانِ .

قَالَ الرَّائِي : فَهَمْنَا ، حِينَ فَهَمْنَا ، وَعَجَبْنَا ؛ إِذْ أُجِنْنَا ، وَنَدَمْنَا ، عَلَى مَا
نَدَدْنَا ، وَأَخَذْنَا نَعْتَدُرُ إِلَيْهِ اعْتِدَارَ الْأَكْيَاسِ ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِ ارْتِضَاعَ الْكَاسِ ،
فَقَالَ : مَا رَبُّ لَا حِفَاوَةَ ، وَمَشْرَبٌ لَمْ يَبْقَ لَهُ عِنْدِي حِلَاوَةٌ ، فَأَطْلُنَا مِرَاوِدَتَهُ ،
وَوَالَيْنَا مِعَاوِدَتَهُ ، فَشَمَخَ بِأَنْفِهِ صَلْفًا ، وَنَأَى بِجَانِبِهِ أَنْفًا ، وَأَنْشَدَ : [مِنَ الْبَسِيطِ]

نَهَائِي الشَّيْبُ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاجِي وَهَلْ يَجُوزُ أَضْطَبَاجِي مِنْ مُعْتَقَةٍ
وَلَا أُكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ الشَّلَافِ يَدٌ أَلَيْتُ لَا خَامَرْتَنِي الْخَمْرُ مَا عَلَقْتُ
وَلَا صَرَفْتُ إِلَيَّ صِرْفٍ مُشْعَشَعَةٍ رُوحِي بِجِسْمِي وَالْفَاطِي بِإِفْصَاجِي
وَلَا نَظَّمْتُ عَلَى مَشْمُولَةٍ أَبَدًا وَلَا أَجَلْتُ قِدَاجِي بَيْنَ أَقْدَاحِ
مَحَا الْمَشْيِبِ مِرَاجِي حِينَ خَطَّ عَلَى هَمِّي وَلَا رُحْتُ مُرْتَاحًا إِلَيَّ رَاحِ
وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى [جَرِي] الْعِنَانِ إِلَيَّ شَمْلِي وَلَا أَخْتَرْتُ نَدْمَانًا سِوَى الصَّاحِي
وَلَوْ لَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبٌ لَخَبَا رَأْسِي فَأَبْغَضُ بِهِ مِنْ كَاتِبِ مَا حِي
قَوْمٌ سَجَايَاهُمْ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمْ مَلْهَى فَسُحْقًا لَهُ مِنْ لَائِحِ لَاجِي
ثُمَّ إِنَّهُ أَنْسَابَ أَنْسَابِ الْأَيْمِ ، وَأَجْفَلَ إِجْفَالَ الْغَيْمِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ سِرَاجُ
سَرُوجِ ، وَبَدْرُ الْأَدَبِ الَّذِي يَجْتَابُ الْبُرُوجَ ، وَكَانَ قُصَارَانَا التَّحْرُوقَ لِبُعْدِهِ ،
وَالْتَفَرُّقَ مِنْ بَعْدِهِ .

تفسير ما أُودِعَ هذه المَقَامَةَ مِنَ النُّكْتِ العربيةِ والأحاجي النحويَّةِ (١)
أما صدرُ البيتِ الأخيرِ مِنَ الأَغْنِيَةِ ، الذي هو : « فَإِنْ وَصَلًا أَلَدُّ بِهِ
فوصلٌ » .. فَإِنَّهُ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ : المرءُ مَجْزِيٌّ بِعَمَلِهِ ؛ إِنْ خَيْرًا .. فَخَيْرٌ ، وَإِنْ
شَرًّا .. فَشَرٌّ ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ أُودِعَهَا سِيبَوِيهِ « كِتَابُهُ » ، وَجَوَزَ فِي إِعْرَابِهَا
أَرْبَعَةَ أَوْجِهٍ :

أحدها - وهو أجودها - : أن تَنْصِبَ « خَيْرًا » الأَوَّلَ وترفعَ الثاني ، وتَنْصِبَ
« شَرًّا » الأَوَّلَ وترفعَ الثاني ، ويكونُ تَقْدِيرُهُ : إِنْ كَانَ عَمَلُهُ خَيْرًا .. فَجَزَاؤُهُ
خَيْرٌ ، وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ شَرًّا .. فَجَزَاؤُهُ شَرٌّ ؛ فَتَنْصِبُ الأَوَّلَ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ « كَانَ » ،
وترفعُ الثاني عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مَبْتَدَأً مَحذُوفٍ ، وَقَدْ حَذَفَتْ فِي هَذَا الْوَجْهِ « كَانَ »
وَأَسَمَهَا ؛ لِدَلَالَةِ حَرْفِ الشَّرْطِ الَّذِي هُوَ « إِنْ » عَلَى تَقْدِيرِهِمَا ، وَحَذَفَتْ أَيْضًا
الْمَبْتَدَأَ ؛ لِدَلَالَةِ الْفَاءِ الَّتِي هِيَ جَوَابُ الشَّرْطِ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَقَعُ بَعْدَهَا .
وَالْوَجْهُ الثَّانِي : أن تَنْصِبَهُمَا جَمِيعًا ، وَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ : إِنْ كَانَ عَمَلُهُ
خَيْرًا .. فَهُوَ يُجْزَى خَيْرًا ، وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ شَرًّا .. فَهُوَ يُجْزَى شَرًّا ؛ فَيَنْتَصِبُ
الأَوَّلُ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ « كَانَ » ، وَيَنْتَصِبُ الثَّانِي انْتِصَابَ الْمَفْعُولِ بِهِ .

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ : أن ترفعَهُمَا جَمِيعًا ، وَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ : إِنْ كَانَ فِي
عَمَلِهِ خَيْرٌ .. فَجَزَاؤُهُ خَيْرٌ ؛ فَيَرْتَفِعُ « خَيْرٌ » الأَوَّلُ عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ « كَانَ » ،
وَيَرْتَفِعُ « خَيْرٌ » الثاني عَلَى مَا بُيِّنَ فِي شَرْحِ الْوَجْهِ الأَوَّلِ ، وَقَدْ يَجُوزُ
أَنْ يَرْتَفِعَ « خَيْرٌ » الأَوَّلُ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ « كَانَ » ، وَتَجْعَلُ « كَانَ » الْمُقَدَّرَةَ
هَا هُنَا هِيَ التَّامَّةُ الَّتِي تَأْتِي بِمَعْنَى حَدَثٍ وَقَع ، فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى خَيْرٍ ؛
كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ (٢) ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٧٥) .

(٢) سورة البقرة : (٢٨٠) .

في المسألة: إن كانَ خَيْرٌ .. فجزاؤُهُ خَيْرٌ ؛ أي : إن حدثَ خَيْرٌ .. فجزاؤُهُ خَيْرٌ .

والوجهُ الرابعُ - وهوَ أضعفُها - : أن ترفعَ الأوَّلَ على ما تقدَّمَ شرحُهُ في الوجهِ الثالثِ ، وتنصِبَ الثانيَ على ما بيَّنَ ذكرُهُ في الوجهِ الثاني ، ويكونُ التقديرُ : إن كانَ في عملِهِ خَيْرٌ .. فهوَ يُجزى خيراً .

وعلى حَسَبِ هذا التقديرِ والمُقَدَّراتِ المحذوفةِ فيه يَجري إعرابُ البيتِ الذي غَنِيَّ به ، وممَّا يَنْتَظِمُ في هذا السِّلِكِ : قولُهُم : المرءُ مقتولٌ بما قَتَلَ به ؛ إن سِيفاً .. فسيفٌ ، وإن خَنْجِراً .. فخنَجِرٌ^(١) .



وأما الكلمةُ التي هي حرفٌ محبوبٌ ، أو اسمٌ لِمَا فيه حرفٌ حَلُوبٌ .. فهي « نعم » إن أردتَ بها تصديقَ الأخبارِ ، أو العِدَّةَ عندَ السؤالِ .. فهي حرفٌ ، وإن عنيَتَ بها الإبلَ .. فهي اسمٌ .

والنَّعْمُ تُذَكَّرُ وتُؤنَّثُ ، ويُطلَقُ على الإبلِ وعلى كلِّ ماشيةٍ فيها إبلٌ ، وفي الإبلِ الحَرْفُ ؛ وهي الناقَةُ الضَّامِرَةُ ، سُمِّيَتْ حَرْفًا ؛ تشبيهاً لها بحَرْفِ السيفِ ، وقيلَ : إنَّها الضَّخْمَةُ ؛ تشبيهاً لها بحَرْفِ الجبلِ .



وأما الاسمُ المُتَرَدِّدُ بينَ فردٍ حازمٍ وجمعٍ ملازمٍ .. فهوَ « سراويلٌ » قالَ بعضُهُم : هوَ واحدٌ ، وجمعهُ : سراويلاتٌ ، فعلى هذا القولِ هوَ فردٌ ، وكُنِيَ عن ضمِّهِ الخَصِرَ بأنَّهُ حازمٌ .

وقالَ آخرونَ : بل هوَ جمعٌ ، واحدهُ : سِرْوَالٌ ؛ مثلُ : شِمْلَالٍ وشماليلَ ،

(١) انظر « الكتاب » لسيبويه (١/٢٥٨) .

وسِرِبَالٍ وسِرَابِيلَ ، فهو على هذا القولِ جمعٌ ، ومعنى قوله : « ملازمٌ » ؛ أي : لا يَنْصَرِفُ ، وإنما لم يَنْصَرِفْ هذا النوعُ مِنَ الجمعِ ؛ وهو كلُّ جمعٍ ثالثُهُ أَلْفٌ وبعدها حرفٌ مُشَدَّدٌ أو حرفانِ أو ثلاثةٌ أوسطها ساكنٌ . . [لثقله] وتفردِهِ دونَ غيره مِنَ الجموعِ بأنَّهُ لا نظيرَ لَهُ في الأسماءِ الآحادِ (١) .

وأما الهاءُ التي إذا التحقتْ أَمَاطَتِ الثِقَلَ ، وأُطْلِقَتِ المُعْتَقَلِ . . فهي الهاءُ اللَّاحِقَةُ بالجمعِ المُقَدَّمِ ذَكَرُهُ ؛ كقولِكَ : صيارفَةٌ وصياقلَةٌ ، فيَنْصَرِفُ هذا الجمعُ عندَ التحاقِ الهاءِ بِهِ ؛ لأنَّها قد أَصَارَتْهُ إلى أمثالِ الآحادِ ؛ نحوُ : رفاهيةٍ وكراهيةٍ ، فَخَفَّتْ بهذا السببِ ، وَصُرِفَ لهذهِ العِلَّةِ ، وقد كُنِيَ في هذهِ الأَحْجِيَةِ عَمَّا لا يَنْصَرِفُ بِالْمُعْتَقَلِ ، كما كُنِيَ في التي قَبَلَهَا عَمَّا لا يَنْصَرِفُ بِالْمَلَازِمِ .

وأما السِّينُ التي تَعَزَلُ العاملَ مِنْ غيرِ أنْ تَجَامَلَ . . فهي التي تَدْخُلُ على الفعلِ المُسْتَقْبَلِ ، وَتَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ « أَنْ » التي كَانَتْ قَبْلَ دَخُولِهَا مِنْ أدواتِ النصبِ ، فيَرْتَفِعُ حينئذِ الفعلُ ، وَتَنْتَقِلُ « أَنْ » عن كونِها الناصِبَةَ للفعلِ إلى [أَنْ] تَصِيرَ المُخَفَّفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ ؛ وذلكَ كقولِهِ تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ﴾ (٢) ، وتقديرُهُ : علمَ أَنَّهُ سَيَكُونُ .

وأما المنصوبُ على الظرفِ ، الذي لا يَخْفِضُهُ سِوَى حرفٍ . . فهو « عندَ »

(١) زاد في « المقامات » (ص ١٧٧) : (وقد كُنِيَ في هذهِ الأَحْجِيَةِ عَمَّا لا يَنْصَرِفُ بِالْمَلَازِمِ ، كما كُنِيَ في التي قَبَلَهَا عَمَّا يَنْصَرِفُ بِالْمَلَازِمِ) .

(٢) سورة المزمّل : (٢٠) .

إِذْ لَا يَجْرُهُ غَيْرُ « مِنْ » خَاصَّةً ، وَقَوْلُ الْعَامَّةِ : ذَهَبْتُ إِلَى عِنْدِهِ .. لِحْنٍ .

وَأَمَّا الْمُضَافُ الَّذِي أَخْلَى مِنْ عُرَا الْإِضَافَةِ بِعُرْوَةٍ ، وَاخْتَلَفَ حُكْمُهُ بَيْنَ مَسَاءٍ وَغُدُوَةٍ .. فَهَوَ « لَدُنْ » وَلَدُنْ : مِنْ الْأَسْمَاءِ الْمَلَاذِمَةِ لِلْإِضَافَةِ ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بَعْدَهَا مَجْرُورٌ بِهَا إِلَّا غُدُوَةٌ ؛ فَإِنَّ الْعَرَبَ نَصَبَتْهَا بِـ « لَدُنْ » لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهَا فِي الْكَلَامِ ، ثُمَّ نَوَّنَتْهَا أَيْضاً لِتَبْيِينِ بَدَلِكَ أَنَّهَا مَنْصُوبَةٌ ، لَا أَنَّهَا مِنْ نَوْعِ الْمَجْرُورَاتِ الَّتِي لَا تَنْصَرِفُ .

وَعِنْدَ بَعْضِ النُّحَوِيِّينَ : أَنَّ « لَدُنْ » بِمَعْنَى « عِنْدَ » وَالصَّحِيحُ : أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقاً لَطِيفاً ؛ وَهُوَ أَنَّ « عِنْدَ » يَشْتَمِلُ مَعْنَاهَا عَلَى مَا هُوَ فِي مِلْكِكَ وَمُكْنَتِكَ مِمَّا دَنَا مِنْكَ وَبَعُدَ عَنكَ ، وَ« لَدُنْ » يَخْتَصُّ مَعْنَاهَا بِمَا حَضَرَكَ وَقَرَّبَ مِنْكَ .

وَأَمَّا الْعَامِلُ الَّذِي يَتَّصِلُ آخِرُهُ بِأَوَّلِهِ ، وَيَعْمَلُ مَعَكُوسُهُ مِثْلَ عَمَلِهِ .. فَهَوَ « يَا » ، وَمَعَكُوسُهَا : « أَيُّ » ، وَكِلْتَاهُمَا مِنْ حُرُوفِ النِّدَاءِ ، وَعَمَلُهُمَا فِي الْأَسْمِ الْمُنَادِي سَيِّانٍ ، وَإِنْ كَانَتْ « يَا » أَجُولَ فِي الْكَلَامِ ، وَأَكْثَرَ فِي الِاسْتِعْمَالِ ، وَقَدْ اخْتَارَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُنَادِيَ بِـ « أَيُّ » الْقَرِيبِ فَقَطْ كَالْهَمْزَةِ .



وَأَمَّا الْعَامِلُ الَّذِي نَائِبُهُ أَرْحَبُ مِنْهُ وَكُرّاً ، وَأَعْظَمُ مَكْرّاً ، وَأَكْثَرُ لِلَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا .. فَهَوَ بَاءُ الْقَسَمِ ، وَهَذِهِ الْبَاءُ هِيَ أَصْلُ حُرُوفِ الْقَسَمِ ؛ بِدَلَالَةِ اسْتِعْمَالِهَا مَعَ ظَهْوَرِ فَعْلِ الْقَسَمِ فِي قَوْلِكَ : أَقْسَمُ بِاللَّهِ ، وَلِدُخُولِهَا أَيْضاً عَلَى الْمَضْمَرِ ؛ كَقَوْلِكَ : بِكَ لِأَفْعَلَنَّ ، وَإِنَّمَا أُبْدِلَتِ الْوَاوُ مِنْهَا فِي الْقَسَمِ ؛ لِأَنَّهُمَا جَمِيعاً مِنْ حُرُوفِ الشَّفَةِ ، ثُمَّ لِقَرَابِ مَعْنِيَيْهِمَا ، لِأَنَّ الْوَاوَ تَفِيدُ الْجَمْعَ وَالْبَاءَ

تفيدُ الإلصاقَ ، والمعنيانِ متقاربانِ ، ثمَّ صارتِ الواوُ المبدلةُ مِنَ الباءِ أدورَ في الكلامِ ، وأُعلِقَ بالإقسامِ ، ولهذا أَلغزَ بِأَنَّها أَكثَرُ لِلَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا ، ثُمَّ إِنَّ الواوُ أَكثَرُ موطنًا مِنَ الباءِ ؛ لِأَنَّ الباءَ لا تَدْخُلُ إِلَّا على الاسمِ ، ولا تَعْمَلُ غيرَ الجِرِّ ، والواوُ تَدْخُلُ على الاسمِ والفعلِ والحرفِ ، وتَجُرُّ تارةً بالقسمِ ، وتارةً بإضمارِ رَبِّ ، وتَنْتَضِمُ أيضًا مع نواصبِ الفعلِ وأدواتِ العطفِ ، فلهذا وصفها بِرُحْبِ الوَكْرِ ، وَعِظَمِ المَكْرِ .

وأَمَّا الموطنُ الذي يلبَسُ فيه الذُكرانُ براقِعِ النسوانِ ، وتَبَرُّزُ فيه رَبَّاتُ الحِجَالِ بعمائمِ الرِّجالِ . . فهوَ أوَّلُ مراتبِ العددِ المُضَافِ ، وذلكَ ما بينَ الثلاثةِ إلى العشرةِ ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ معِ المُذَكَّرِ بالهاءِ ، ومعِ المُؤنَّثِ بحذفِها ؛ كقولهِ تَعَالَى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَنِيَةً أَيَّامًا ﴾ ^(١) ، والهاءُ في غيرِ هذا الموطنِ مِنْ خصائصِ المُؤنَّثِ ؛ كقولكَ : قائمٌ وقائمةٌ ، وعالمٌ وعالمةٌ ، فقد رأيتَ كيفَ انعكسَ في هذا الموضعِ حكمُ المُذَكَّرِ والمُؤنَّثِ ، حتى انقلبَ كلُّ منهما في ضِدِّ قَالِبِهِ ، وِبَرَزَ في بَرَّةِ صاحِبِهِ .

وأَمَّا الموضعُ الذي يجبُ فيه حفظُ المراتبِ على المضروبِ والضاربِ . . فهوَ حيثُ يَشْتَبُهُ الفاعلُ بالمفعولِ ؛ لتعَدُّرِ ظهورِ علامةِ الإعرابِ فيهِما ، وذلكَ إذا كانا مقصوريينِ ؛ مثلُ : موسى وعيسى ، أو مِنْ أسماءِ الإشارةِ ؛ نحوُ : ذاكَ وهذا ، فيجبُ حينئذٍ لإزالةِ اللَّبسِ إقرارُ كلِّ منهما في رتبتهِ ؛ ليعْرِفَ الفاعلُ منهما بتقدُّمِهِ والمفعولُ بتأخُّرِهِ .

(١) سورة الحاقة : (٧) .

وَأَمَّا الْأِسْمُ الَّذِي لَا يُفْهَمُ إِلَّا بِاسْتِضَافَةِ كَلِمَتَيْنِ أَوْ الْاِقْتِصَارِ مِنْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ .. فَهَوَ « مَهْمَا » ، وَفِيهَا قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ « مَه » الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى : اكْفَفَ ، وَمِنْ « مَا » .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي - وَهُوَ الصَّحِيحُ - : أَنَّ الْأَصْلَ فِيهَا « مَا » فَزِيدَتْ عَلَيْهَا « مَا » أُخْرَى ، كَمَا تَزَادُ « مَا » عَلَى « أَنْ » ، فَصَارَ لَفْظُهَا « مَامَا » ، فَثَقُلَ عَلَيْهِمُ تَوَالِي كَلِمَتَيْنِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ، فَأَبْدَلُوا مِنْ أَلِفِ « مَا » الْأُولَى هَاءً ، فَصَارَتَا « مَهْمَا » .
ومهما : مِنْ أَدْوَاتِ الشَّرْطِ ، وَمَتَى لَفِظْتَ بِهَا .. لَمْ يَتِمَّ الْكَلَامُ وَلَا عَقِلَ الْمَعْنَى إِلَّا بِإِيرَادِ كَلِمَتَيْنِ بَعْدَهَا ؛ كَقَوْلِكَ : مَهْمَا تَفْعَلُ .. أَفْعَلُ ، وَتَكُونُ حِينَئِذٍ مُلْتَزِمًا لِلْفِعْلِ ، وَإِنْ اِقْتَصَرْتَ مِنْهَا عَلَى حَرْفَيْنِ ؛ وَهِيَ « مَه » الَّتِي بِمَعْنَى : اكْفَفَ .. فَهِيَ الْمَعْنَى ، وَكَانَتْ مُلْزِمًا مَنْ خَاطَبْتَهُ أَنْ يَكْفَفَ .

وَأَمَّا الْوَصْفُ الَّذِي إِذَا أُرْدِفَ بِالنُّونِ نَقَصَ صَاحِبُهُ فِي الْعَيُونِ ، وَقَوِّمَ بِالذُّونِ ، وَخَرَجَ مِنَ الرَّبُّونِ ، وَتَعَرَّضَ لِلهُونِ .. فَهَوَ « ضَيْفٌ » إِذَا لَحِقَتْهُ النُّونُ .. اسْتِحَالَ إِلَى « ضَيْفَيْنِ » وَهُوَ الَّذِي يَتَّبِعُ الضَّيْفَ ، وَيَتَنَزَّلُ فِي النَّقْدِ مَنْزِلَةَ الرَّيْفِ (١) .

[خَبْرُ نَدْمَانِي جَدِيمَةَ الْأَبْرِشِ]

وَحَيْثُ أوردنا هذه المَقَامَةَ طلباً لتلك الفائدة .. فَمِنْ اللَّازِمِ لِاتِّمَامِهَا أَنْ نُلَمِّحَ بِكَيْفِيَةِ شَرْحِهَا ، وَنَذَكِّرَ مَا إِلَيْهِ أَشَارَ الْحَرِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قِصَّةِ نَدْمَانِي جَدِيمَةَ ، وَمَا يَحْسُنُ إِلْحَاقَهُ بِحَفِظِهَا مِمَّا يَكُونُ حِلْيَةً مِنْ حُلِيِّ الرِّجَالِ الْعُلَمَاءِ ، فَنَقُولُ :

(١) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي النُّقْلُ عَنِ الْعَلَامَةِ الْحَرِيرِيِّ مِنْ « مَقَامَاتِهِ » (ص ١٦٩ - ١٨١) .

المعاشرةُ : المخالطةُ ، واشتقاقه مِنْ لفظِ العشرة ؛ آخِرِ أُولَى مراتبِ العددِ ؛ وذلك أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَاتِ العربِ : أَنَّ القَوْمَ الذينَ يَجتمعونَ فِي معيشَةٍ أَن يَجلسوا على الجِفافِ عشرةَ عشرةً ؛ يُقالُ عَشَرْتُ القَوْمَ ؛ مِنْ بابِ نصرَ ؛ أَي : كَمَلْتُهمُ عشرةً بكوني معهم ، كما يُقالُ : تَسَعْتُهمُ وثَمَنْتُهمُ ... إلى غيرِ ذلك ، ومنهُ جاءتِ المفاعلةُ والتفاعلُ .

وقَطِيعَةُ الرَّبِيعِ : ناحيةٌ عندَ غربيةِ بغدادَ ، كانَ أَقْطَعها أبو جعفرِ المنصورُ ثاني الخلفاءِ مِنْ بني العباسِ وزيرَهُ أبا الفضلِ الرَّبِيعِ ، فبنى فيها ، وبنى الناسُ معه ، فصارتُ قريةً كبيرةً ، وإليه نُسِبَتْ ، يُقالُ : أَقْطَعَ السلطانُ بعضَ رعيَّتِهِ أرضَ كذا ؛ أَي : مَلَكَه إِياها لِيَتَنفَعَ بها كيفَ شاءَ وتُورَثَ عنه دونَ مقابلٍ ، وكانَ الموضعُ المحيطُ بجامعِ أحمدَ بنِ طُولونَ يُسَمَّى بالقطائعِ ؛ لأنَّهُ كانَ إِذِ ذاكَ فضاءً ، فمَلَكَه ذاكَ الوالي لبعضِ الناسِ ، فبنوا فيه ، وصارَ بلدًا كما تراه في وقتنا هذا مِنْ العِمارةِ الإسماعيليةِ .

والبَلَجُ : الوُضوحُ والظُّهورُ ، ومنهُ : [الحقُّ أبلجٌ] .

والأنوارُ : جمعُ نُورٍ بفتحِ النونِ ؛ وهو الأبيضُ مِنَ الأزهارِ ، وخُصَّتِ الأزهارُ بغيرِ الأبيضِ .

ويُقالُ : زرى عليه : مِنْ بابِ ضربٍ ؛ أَي : عابَهُ ، وأزرى به مِنَ المهموزِ ؛ أَي : نَقَصَهُ وكانَ غيرَ لائقٍ بهِ .

والمِرْهُرُّ كَمِنْبَرٍ : عُوْدُ الضَّرْبِ المُطَرَّبِ ، والإجماعُ على الأمرِ : العزمُ والتصميمُ .

وأما قِصَّةُ جَدِيمةَ وندْمانِيهَ - واسمُهُما مالكٌ وعَقيلٌ - . . . فهي أَنَّ جَدِيمةَ هذا كانَ مَلَكَ أيامَ الطَّوائِفِ بشاطِئِ الفِراتِ وما والاها إلى السَّوادِ ستينَ سنةً .

قال ابن الكلبي^(١) : جَذِيمَةُ أَوْلُ مَنْ مَلَكَ قُضَاعَةَ بِالْحِيرَةِ ، وَأَوْلُ مَنْ حَذَا النِّعَالَ ، وَأَدْلَجَ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَرُفِعَ لَهُ الشَّمْعُ .

وكان من أفضل ملوك العرب رأياً ، وأظهرهم حزمًا ، وهو أول من استجمع الملك له بأرض العراق ، وغزا بالجيوش ، وكان به برصٌ ، فكنت العرب عن البرص إعظاماً ، فقالت له : جَذِيمَةُ الْوَضَّاحُ ، وجَذِيمَةُ الْأَبْرَشُ ، وكان غزا طسماً وجديساً في منازلهم ، فصادف حسان بن تبيع قد أغار عليهما ، فانصرف جَذِيمَةُ ، وصادفت خيول تبيع سريةً له ، فقتلوهم ، فبلغ الخبر جَذِيمَةَ ، فقال : [من المديد]

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَزْفَعَنُ ثَوْبِي شَمَالَاتٍ
فِي [فُتُوْنَا] كَالِئْتُهُمْ مِنْ بَلَايَا غَزْوَةِ مَاتُوا
لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمْ نَحْنُ أَسْرَيْنَا وَهُمْ بَاتُوا^(٢)

وكان جَذِيمَةُ قد تنبأ وتكهن ، واتخذ صنمين ، وسماهما : [الضَيْرَيْنِ] ، ومكانهما بالحيرة معروفٌ ، وغزا إياداً بعين أبيغ ، فبعثوا قوماً منهم سرقوا منهم [الضَيْرَيْنِ] ، وأصبحوا بهما في إيادٍ ، فأرسلوا إليه : أَنْ صَنَمِيكَ أَصْبَحَا عِنْدَنَا ؛ زهداً فيك ، ورغبةً فينا ، فأعطنا عهداً ألا تغزونا وتزُدُّهُمَا إِلَيْكَ ، ففعل^(٣) .

وكان بلغه أن غلاماً من لحمٍ يُسمى عدِيَّ بن نصرٍ . . مقيمٌ في أخواله من إيادٍ ، وله ظرفٌ ولبٌ ، وإنه لحسنٌ أن يُنادمَ الملكَ ويقومَ بمجلسه ، فاشترط على إيادٍ أن يبعثوا مع الصنمينِ بعدِيَّ بن نصرٍ ، وكان له جمالٌ وظرفٌ ،

(١) انظر «الأغاني» (٥٦٥٨/١٦) .

(٢) انظر «تاريخ الطبري» (٦١٣/١) .

(٣) انظر «تاريخ الطبري» (٦١٤/١) .

فدفعوه إليه معهما ، فضمه إلى نفسه ، وكان ينادمه ، فتعشقتُه رقاشٍ أخت
جذيمة ، فبعثت إليه : إذا سقيت أخي واستنشى .. فاخطبني لك ، وأشهد
عليه ، ففعل ، فلما طربَ جذيمة .. خطبها ، فأنعم عليه ، وأشهد عليه ،
فقال له : عرسٌ بأهلك ، ففعل .

وأصبح على جذيمة مضرّجاً بالطيب ، فقال له : ما هذه الآثار ؟ فقال :
آثار العرس ، قال : وأيُّ عرسٍ ؟ قال : عرسُ رقاشٍ ، فأكبت جذيمة على
الأرض ، وفرَّ عدي ، وطلبه جذيمة فلم يدركه ، وقيل : ظفر به ، وقال
لرقاش : [من الخفيف]

حدّثيني رقاشٍ لا تكذّبيني أبحرّ زنيّت أم بهجين
أم بعبدٍ فأنت أهلٌ لعبدٍ أم بدونٍ فأنت أهلٌ لدونٍ
فقالَتْ له :

أنت زوّجتني وما كنتُ أدري فأتاني النساءُ للتزيينِ
ذاك من شربك المدامة صرّفاً وتماديك في الصّبا والمُجونِ
فحبسها في قصرها ، فاشتملت على حملٍ ، فأثت بسلام ، وسمّته عمراً ،
وربّته حتى ترعرع ، فجمّلته وأعطرتُه وألبستُه كسوة مثله ، ثمّ أزارته خاله ،
فأعجب به وألقيت عليه محبّته .

وخرج جذيمة في سنةٍ قد أكملت ، وبسط له في روضةٍ ، وعمرو مع
[غلّمة] يجتنون الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأةً طيبةً .. أكلوها ، وإذا
أصابها عمرو .. خبأها ، ثمّ أقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم يقول : [من الرجز]
هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَيَّ فِيهِ
فالتزمه جذيمة وحلّ منه بمكان .

ثُمَّ إِنَّ الْجِنَّ اسْتَهَوْتُهُ ، فَطَلَبَ زَمَانًا ، وَأَرْسَلَ فِيهِ فِي الْأَفَاقِ ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ
خَبْرًا .

ثُمَّ إِنَّ عَمْرًا أَوْفَى عَلَى مَالِكٍ وَعَقِيلِ ابْنِي فَارِجِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ
قَيْسِ بْنِ حَمِيرِ بْنِ قِضَاعَةَ وَقَدْ نَزَلَا مَنْزِلًا ، وَهُمَا مُتَوَجِّهَانِ إِلَى خَالِهِ جَذِيمَةَ ،
وَمَعَهُمَا فَيْنَةٌ يُقَالُ لَهَا : أُمُّ عَمْرٍو ، وَهِيَ تُغْنِيهِمَا وَتَسْقِيهِمَا ، فَرَأَتْ عَمْرًا وَقَدْ
تَلَبَّدَ شَعْرُهُ ، وَطَالَتْ أَظْفَارُهُ ، وَسَاءَتْ حَالُهُ ، فَاحْتَفَرْتُهُ ، فَرَمَتْ إِلَيْهِ بِكُرَاعٍ
مِنْ طَعَامِهِمَا ، وَنَاوَلَتْهُمَا ، وَأَوْكَأَتْ زِقَّهَا وَلَمْ تَنَاوُلْ عَمْرًا شَيْئًا ، فَقَالَ لَهَا
عَمْرُو^(١) :

صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا إِلَيْنَا
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَضْبَحِينَا
فَمَا شَرِبَ الشَّرَابَ كَمِثْلِ عَمْرٍو وَمَا نَالَ الْمَكَارِمِ فَأَضْبَحِينَا
فَإِلَّا تُنْكِرِي عَمْرًا فَإِنِّي أَنَا ابْنُ عَدِيٍّ حَقًّا فَأَعْرِفِينَا
وَخَالِي لَا أَبَا لَكَ ذُو الْمَعَالِي جَذِيمَةَ كَيْفَ وَيَحْكُ تُنْكِرِينَا

فَقَالَا لَهُ : مَنْ أَنْتِ يَا فَتَى ؟ قَالَ : أَنَا عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ ، فَضَمَّاهُ إِلَيْهِمَا ،
وَعَسَلَا رَأْسَهُ ، وَأَخَذَا مِنْ شَعْرِهِ ، وَقَلَّمَا أَظْفَارَهُ ، وَالْبَسَاهُ بَعْضَ الثِّيَابِ الَّتِي
كَانَتْ مَعَهُمَا ، وَقَالَا : مَا كُنَّا نُهْدِي جَذِيمَةَ أَنْفَسَ مِنْ ابْنِ أُخْتِهِ ، ثُمَّ وَرَدَا بِهِ
عَلَى جَذِيمَةَ ، فَسَرَّ بِهِ سُرورًا شَدِيدًا ، وَقَالَ لَهُمَا : تَمَنِّيَا ، فَسَأَلَاهُ أَنْ يَكُونَا
نَدِيمِيهِ مَا عَاشَ وَعَاشَا ، فَنَادَمَاهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، مَا أَعَادَا عَلَيْهِ حَدِيثًا ، فَضُرِبَ
بِهِمَا الْمِثْلُ فِي تَأْكِيدِ الْأَلْفَةِ^(٢) .

(١) انظر « شرح المعلقات » للتبريزي (ص ٢٥٤) فالبيتان الأولان من معلقة عمرو بن كلثوم .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (١ / ٦١٦) .

وقال مُتَمِّمُ بْنُ نُويرَةَ في مالِكِ أخيه حينَ قتلَهُ خالدُ بنُ الوليدِ في غزوةِ أهلِ الرِّدَّةِ ، وكان مُتَمِّمٌ أخوهُ أحدَ الصحابةِ ، ولَمَّا قُتِلَ مالِكُ أخوهُ . . جَزَعَ جَزَعاً شديداً ، وأكثرَ مِنْ قولِ الشعرِ في ذلكَ ، وقالَ لَهُ يوماً أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ : لیتَ أخي زیداً قیلَ في رثائِهِ مثلُ ما تقولُ في مالِكِ أخیکَ ، فقالَ : لو علمتُ أنَّ مالکاً ماتَ على الإسلامِ کزیدِ أخیکَ . . ما رثیتُهُ ، والبيتانِ الموردانِ في هذا الموضعِ مِنْ قصيدةِ طويلةٍ ^(١) : [من الطویل]

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَدِيمَةَ حِقْبَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصَدَعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

وقال أبو خراشِ الهذليُّ يرثي أخاه ^(٢) :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ غُرُوزَةٍ لَاهِيَا وَذَلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنْ قَدْ تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا خَلِيلاً صَفَاءِ مَالِكٍ وَعَقِيلُ

وغزا جَدِيمَةُ عمرو بنِ الظَّرِبِ بنِ حسانِ بنِ أُذينةَ [السَّمِيدَعِ] العَمَلِيَقِيَّ مِنْ العَمَالِيَقِ ؛ وهم قومٌ مِنْ حميرَ ، وكانَ ملكَ الجزيرةِ وملكَ الحضِرِ ؛ وهي مدينةٌ قديمةٌ بينَ دجلةَ والفراتِ ، فهزَمَ جَدِيمَةُ جيوشَ عمرو ، وقتلَهُ وفَرَّقَ جموعَهُ ، وقالَ في ذلكَ شاعرُهُم ^(٣) :

كَأَنَّ عَمْرَو بْنَ بَرْقِيٍّ لَمْ يَكُنْ مَلِكَا وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ الرَّاياتُ تَخْتَفِقُ
لَأَقَى جَدِيمَةَ فِي شَعْوَاءِ مُشَعَّلَةٍ فِيهَا حَرَّاشِفُ بِالنَّيِّرَانِ تَزْتَشِقُ

(١) انظرها في «المفضليات» (ص ٢٦٧) .

(٢) انظر «ديوان الهذليين» (١١٦/٢) .

(٣) انظر «تاريخ الطبري» (٦١٨/١) .

(٤) في «تاريخ الطبري» (٦١٨/١) : (ثربى) بدل (برقى) .

[خبرُ جديمةَ الزَّباءِ]

فملكت بعده الزَّباءُ ابنته ، واسمها نائلةٌ ، قال ابنُ الكلبيِّ : ولم يكن في عصرِ الزَّباءِ أجملُ منها جمالاً ، وأكملُ منها كمالاً ، وكان لها شعْرٌ إذا مشَتْ .. يتدلَّى وراءها ، وإذا نشرتهُ .. جلَّلها ، فسُمِّيَتِ : الزَّباءُ ؛ لكثرةِ شعرها ، فجمعت خيلَ أبيها ، وغزت بالجيوشِ مَنْ حوالِها مِنَ الملوكِ ، فذلَّلتهم ، فضربَ بها المثلُ ، فقولُ : أعزُّ مِنَ الزَّباءِ ، واشتهرَ عنها علُوُّ الهِمَّةِ ، وسُمُوُّ القدرةِ ، وقُوَّةُ المنعَةِ ، ومضاءُ العزمِ ، وبذلُ الأموالِ .

فلما استحکمَ ملكُها .. أرادت أن تغزو جديمةً لتُدركَ فيه ثارَ أبيها ، فنهتها أختها زبيبةٌ عن ذلك ، وقالت : لا طاقةَ لكِ به ، ولكن ابني أمرِكِ فيه على المكرِ والحيلِ ، فبعثت إلى جديمةَ تخطبُها على نفسها ؛ ليتصلَ ملكُها بملكِها ، فيصيرا بذلك أعزَّ الملوكِ ، وكان بلغه عن جمالِها ما أطمعه في الظفرِ بها ، فأخبرَ أربابَ دولتهِ بمخاطبتها إيَّاه ، فكلُّهم أشارَ عليه أن يتزوجها ، إلَّا قصيرَ بنَ سعدِ بنِ عمرو ، وكان لبيباً عاقلاً ، له عزمٌ وحزمٌ ، وكان خازنُه وعميدُ دولتهِ ؛ فإنه قالَ له : هذا رأيُّ فاترٍ ؛ لأنَّ الزَّباءَ قتلت أباها ، والدمُ لا ينامُ ، ولكِ في بناتِ الملوكِ الأكفأِ مُتَّسعٌ ، فقالَ له المَلِكُ : إنَّ النَّفسَ إلى ما تُحبُّ تواقَّةٌ ، وإن كانَ القَدْرُ قد جرى بشيءٍ .. فلا مَفَرَّ عنه .

وكتبت إليه الزَّباءُ تطلبُ منه قدمهَ عليها للِنكاحِ ، وقالتَ له : لولا أنَّ السعيَ في مثلِ هذا بالرجالِ أجملُ ، ولهمُ ألزَمُ .. لسرتُ إليك ، وأهدت مع كتابها مِنَ العبيدِ والسلاحِ والأموالِ والذهبِ هديَّةً سنيَّةً ، فلما وصلت .. أبهجتهُ ، وحسبَ أنَّ ذلكَ لفرطِ رغبتها فيه ، فشاوَرَ قومَه وابنَ أختِه عمراً ، فشجعوهُ على المسيرِ إليها ، واستخلفَ عمراً على ملكه ، وسارَ في خواصِّه ،

حتى نزلوا بالفرضية ، فشاوَرَ خَوَاصَّةً وَقَصِيْرًا فِي الْجَمَلَةِ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ
بِالْمَسِيْرِ إِلَّا قَصِيْرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ كُلُّ عَزْمٍ لَا يُؤَيِّدُ بِحَزْمٍ . . فَأَخِرُهُ
إِلَى فِسَادٍ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي عَلَى الْمَقْدُورِ . . لَعَزَمْتُ عَلَى الْمَلِكِ
أَلَّا يَفْعَلَ .

فَقَالَ جَدِيْمَةٌ : الرَّأْيُ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، فَقَالَ قَصِيْرٌ : أَرَى الْقَدَرَ سَابِقَ الْحَذَرَ ،
وَلَا يُطَاعُ لِقَصِيْرِ رَأْيٍ .

فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْ دِيَارِهَا . . أَرْسَلَ إِلَيْهَا يُعَلِّمُهَا بِمَوْضِعِهِ ، فَأَظْهَرَتِ الشُّرُورَ
بِهِ ، وَأَخْرَجَتْ لَهُ هَدَايَا وَأَنْوَاعًا مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ ، فَقَالَ لِقَصِيْرِ : كَيْفَ
تَرَى ؟ فَقَالَ قَصِيْرٌ : مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الْعَوَاقِبِ . . لَمْ يَأْمَنِ الْمَصَائِبَ ، فَاسْتَدْرِكِ
الْأَمْرَ قَبْلَ فَوْتِهِ وَارْجِعْ ؛ فَإِنَّ فِي يَدَيْكَ بَقِيَّةً تَسْتَدْرِكُ بِهَا الصُّوَابَ ، وَإِنْ كُنْتَ
لَا بَدًّا فَاعِلًا . . فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنْ تَلَقَّوْكَ غَدًا يَجِيءُ قَوْمٌ وَيَذْهَبُ قَوْمٌ ، فَلَا أَمْرُ فِي
يَدَيْكَ ، وَإِنْ تَلَقَّوْكَ صَفَّيْنِ ؛ فَإِذَا تَوَسَّطْتَهُمْ وَأَحْدَقُوا بِكَ . . فَقَدْ مَلَكُوكَ ،
وَهَذِهِ الْعَصَا - وَهِيَ فَرَسٌ لَجَدِيْمَةٍ - تَسْبِقُ الطَّيْرَ ، فَسَاعَرْضُهَا لَكَ ، فَارْكَبْهَا
لِتَسْلَمَ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهُ لَا يُشَقُّ غِبَارُهَا ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

فَلَمَّا كَانَ غَدًا . . لَقَّوهُ صَفَّيْنِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَهُمْ . . انْقَضُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ
لِقَصِيْرِ : صَدَقْتَ ، فَمَا الرَّأْيُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ تَرَكْتَ الرَّأْيَ ، وَهَذِهِ الْعَصَا ،
ارْكَبْهَا ، فَشَغَلَهُ الْأَمْرُ عَنْهَا ، فَلَمَّا رَأَى قَصِيْرَ الْجِيُوشِ تَسِيْرُ بِجَدِيْمَةٍ . . أَعْطَى
الْعَصَا عِنَانَهَا ، فَهَوَتْ بِهِ هَوِيًّا الرِّيحِ ، فَتَطَاوَلَ إِلَيْهِ جَدِيْمَةٌ يَنْظُرُهُ ، فَقَالَ : وَيْلٌ
لَهُ جَدِيْمَةٌ ، فَجَرَّتْ بِهِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (١) : لَمْ تَقْفَ حَتَّى جَرَتْ ثَلَاثِينَ مِيْلًا ، ثُمَّ
وَقَفَتْ فَبَالَتْ فَبَنِي عَلَى الْمَوْضِعِ بَرْجٌ يُسَمَّى : بَرْجَ الْعَصَا .

(١) كَمَا فِي « الْأَغَانِي » (١٦ / ٥٦٦٤) .

وأشرفَت الزَّبَاءُ مِنْ قَصْرِهَا تَنْظُرُ إِلَى جَدِيمَةٍ وَهِيَ يُسَاقُ ، فَقَالَتْ : مَا أَحْسَنَكَ مِنْ عَرُوسٍ يُرْفُ إِلَى ، فدخلوا به إليها وحوَّلَهَا أَلْفُ وَصِيفَةٍ لَا تُشْبِهُ وَاحِدَةً صَاحِبَتِهَا فِي خَلْقِي وَلَا زِيٍّ ، وَهِيَ بَيْنَهُنَّ كَالْقَمَرِ حُفَّتْ بِهِ النُّجُومُ ، فَأَمَرَتْ بِالْأَنْطَاعِ فُبْسِطَتْ ، وَقَالَتْ لِلْوَصَائِفِ : خَذْنَ بِيَدِ سَيِّدِكُنَّ وَبِعَلِّ مَوْلَاتِكُنَّ فَأَجْلَسَنَّهُ عَلَى الْأَنْطَاعِ ، ففعلنَ بِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ كَشَفَتْ لَهُ عَنْ شِعْرَتِهَا ، فَرَأَى شِعْرَهَا قَدْ طَالَ حَتَّى عَقَدَتْهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا جَدِيمَةُ ؛ أَشَوَارَ ذَاتِ عَرُوسٍ ؟ قَالَ : بَلِ شَوَارَ بَظْرَاءَ تَقْلَةٍ ، وَأَمَرَ غَدْرٍ قَدْ بَلَغَ الْمَدَى ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ ؛ مَا ذَاكَ مِنْ عَدَمِ الْمَوَاسِي ، وَلَكِنَّهَا شِيمَةُ أَنَاسِي .

ثُمَّ أَمَرَتْ بِهِ فَسُقِيَ الْخَمْرَ حَتَّى أَخَذَتْ فِيهِ ، وَكَانَتْ الْمَلُوكُ لَا تَضْرِبُ الْأَعْنَاقَ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، ثُمَّ أَمَرَتْ أَنْ تُقَطَعَ رَوَاهُشُهُ ، وَقَالَتْ : تَحْفَظَنَّ بَدْمِهِ ، لِأَنَّهُ إِنْ قَطَرَتْ مِنْ دَمِهِ قَطْرَةٌ فِي غَيْرِ الطَّسْتِ . . طُلِبَ بَدْمِهِ ، فَجَرَى دَمُهُ فِي طَسْتِ ذَهَبٍ ، فَلَمَّا ضَعَفَتْ يَدَاهُ . . سَقَطْنَا ، فَقَطَرَتْ عَلَى النَّطْعِ مِنْ دَمِهِ قَطْرَاتٌ ، فَقَالَتْ : لَا تُضَيِّعُوا دَمَ الْمَلُوكِ ، فَقَالَ لَهَا : لَا يَحْزُنُكَ دَمٌ ضَيَّعَهُ أَهْلُهُ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا .

فَقَالَتْ : إِنَّ دَمَاءَ الْمَلُوكِ شِفَاءٌ مِنَ الْكَلْبِ ، وَوَاللَّهِ ؛ مَا وَفَى دَمُكَ ، وَلَا شَفَى قَتْلُكَ ، ثُمَّ أَمَرَتْ بِهِ فَدُفِنَ .

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَدِيِّ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ لِبَعْضِ الْحِيرَةِ يَسْتَطْلِعُ أَمْرَ خَالِهِ ، فَنَظَرَ يَوْمًا إِلَى فَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ قَصِيرٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : سَعَى الْقَدَرُ بِالْمَلِكِ إِلَى حَتْفِهِ ، فَاطْلُبْ بِثَأْرِهِ ، فَقَالَ عَمْرُو : وَأَيُّ ثَأْرٍ يُطَلَبُ مِنَ الزَّبَاءِ وَهِيَ أَمْنَعُ مِنْ عُقَابِ الْجَوِّ ؟! فَقَالَ قَصِيرٌ : وَاللَّهِ ؛ لَا أَنَامُ عَنْ طَلَبِ دَمِهِ مَا لَاحَ نَجْمٌ ، فَاجْدِعْ أَنْفِي ، وَاضْرِبْ ظَهْرِي ، وَدَعْنِي وَإِيَّاهَا ، فَقَالَ عَمْرُو : مَا أَنْتَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ ، وَقَدْ عَلِمْتُ نَصْحَكَ لِخَالِي ، فَقَالَ : خَلِّ عَنِّي إِذَا .

فَجَدَعَ أَنْفَهُ ، فَلَحِقَ بِالزَّبَاءِ ، فَقَالَتْ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ فَأَشَارَ بِظَهْرِهِ وَأَنْفِهِ ،
 فَقَالَتْ الْعَرَبُ : لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ ، فَقَالَتْ : يَا قَصِيرُ ؛ وَبَيْنَا دَمٌ خَطِيرٌ ؟!
 فَقَالَ : يَا بِنْتَ الْمَلُوكِ الْعِظَامِ ؛ لَا تَأْرَ وَلَا قَوْدَ ، وَلَقَدْ أَتَيْتُ فِيهِ مَا يَأْتِي مِثْلِكَ
 فِي مِثْلِهِ ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَجِيرًا بِكَ مِنْ عَمْرٍو ؛ فَإِنَّهُ عَلِمَ أَنَّي أَشْرْتُ عَلَى
 خَالِهِ بِالْمَجِيءِ إِلَيْكَ ، فَجَدَعَ أَنْفِي وَأَذْنِي ، وَأَوْجَعَ ظَهْرِي ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ
 مَالِي وَوَلَدِي ، فَاسْتَجَرْتُ بِكَ لِعَلْمِي أَنِّي لَا أَكُونُ مَعَ أَحَدٍ أَثْقَلَ عَلَيْهِ مِنْكَ .
 فَقَالَتْ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا ، وَكَانَ يَبْلُغُهَا مِنْ رَأْيِهِ وَحَزْمِهِ ، فَاخْتَصَّتْهُ وَأَنْزَلَتْهُ
 وَاصْطَفَتْهُ .

فَلَمَّا وَثِقَتْ بِهِ . . أَخَذَتْ تَسْتَشِيرُهُ فِي أُمُورِهَا ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا : إِنَّ عَمْرًا
 يَطْلُبُكَ بِخَالِهِ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَتَّخِذِي نَفَقًا ؛ لَعَلَّكَ تَحْتَاجِينَ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ :
 إِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُهُ تَحْتَ سَرِيرِي ، وَخَرَجْتُ بِهِ تَحْتَ سَرِيرِ أُخْتِي ، وَكَانَ الْفِرَاتُ
 يَشُقُّ بَيْنَ قَصْرَيْهِمَا ، فَأَظْهَرَ لَهَا الشُّرُورَ .

ثُمَّ قَالَ لَهَا : إِنَّ لِي بِالْعِرَاقِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً تَصْلُحُ لِلْمَلُوكِ ، فَإِنْ جَهَّزْتَنِي
 بِمَالٍ لِلتَّجَارَةِ . . تَوَصَّلْتُ بِهِ إِلَى أَخِي تِلْكَ الدَّخَائِرِ ، وَنَقَلْتُهَا إِلَيْكَ ، فَجَهَّزْتُهُ ،
 فَاحْتَالَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَمْرٍو ، فَجَهَّزَهُ بِطُرْفٍ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْحَزْرِ وَالذَّبِجِ
 وَالْأَسْلِحَةِ ، فَرَجَعَ بِهَا .

فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ نَصَحَهُ . . أَرْسَلَتْهُ إِلَى الْعِرَاقِ ثَالِثَ سَفَرَةٍ ؛ لِيَضْرِبَ لَهَا بِهَا
 عِدَّةً مِنَ السَّلَاحِ ، وَيَشْتَرِيَ لَهَا خَيْلًا وَعَبِيدًا ؛ لِتُجَهَّزَ جَيْشًا إِلَى مَنْ حَوَالِيهَا
 مِنَ الْمَلُوكِ ، فَمَشَى فِيمَا أَمَرْتُهُ بِهِ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى عَمْرٍو ، وَقَالَ : قَدْ أَصَبَتْ
 الْفُرْصَةَ مِنَ الزَّبَاءِ ، فَقَالَ عَمْرٍو : قُلْ . . أَسْمِعْ ، وَمُرْ . . أَفْعَلْ ؛ فَأَنْتَ طَيِّبُ
 هَذِهِ الْقَرْحَةِ ، فَقَالَ : الرِّجَالُ وَالْمَالُ ، فَقَالَ : حَكْمُكَ فِيمَا عِنْدِي مُسَلِّطٌ ،
 فَعَمَدَ إِلَى أَلْفِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْقِتَالِ ، وَجَعَلَهُمْ فِي غَرَائِرِ سُودٍ ، وَجَعَلَ

سلاحَهُمُ السُّيُوفَ وَالْحَجَفَ^(١) ، وجعلَ رُؤُوسَ الغرائرِ مَربوطةً مِنْ دَخلِها ،
 وجعلَ عَمراً في الحَمَلَةِ ، وساقَ الخيلَ والعبيدَ ، فلَمَّا قاربَها . . بعثَ إليها
 البشيرَ بِسلامةٍ قصيرٍ وكلِّ ما جاءَ بِهِ ، فسألَتُ عَنِ العيرِ : أينَ نزلَ ؟ فقيلَ
 لها : بالغُوَيْرِ ، وكانَتُ تَنظُرُهُ مِنْ غيرِ طريقِ الغُوَيْرِ ، فقالتُ : عسى الغُوَيْرُ
 أبوساً .

وتقدَّمَ قصيرٌ ، فدخلَ عليها يَسُرُّها ، فرقيتُ سطحاً عالياً لتَنظَرَ مجيءَ
 الإبلِ ، فنظرتُ قوائمها تَسوِّخُ في الأرضِ لِمَا عليها مِنَ الأثقالِ ، فقالتُ :
 يا قصيرُ :
 [من الرجز]

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيهَا وَوَيْدَا
 أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدَا
 أُمَّ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدَا
 أُمَّ الرَّجَالِ جُنْمًا قُعُودَا

وكانَتُ قالتُ لجوارِئِها : إنِّي أرى الموتَ الأحمرَ في الغرائرِ السُّودِ ،
 فذهبتُ مثلاً ، فدخلتُ الجمالَ المدينةَ ، فجسَّ بوابُ بمُخَصَّرةٍ في يَدِهِ غِرارةً
 على آخِرِ بعيرٍ ، فأصابَتِ المِخَصَّرةُ خَاصِرةَ رجلٍ ، فضرطَ ، فصاحَ : الشرُّ
 الشرُّ ، فأظهروا علامةً كانتُ بيْنَهُم ، فحلُّوا رُؤُوسَ الجِوَالِقِ ، فخرجَ منها
 ألفا دارعٍ بألْفِي سيفٍ ، فصاحوا : يا لِثارِ المَلِكِ المقتولِ غَدراً ، وهربَتِ
 الرِّبَاءُ تَطْلُبُ النَفقَ إلى تحِثِ الفِراتِ ، فسبقَ عمروُ إلى بابِهِ معَ قصيرٍ ،
 وكانَتُ صورةُ عمروٍ مُصوَّرةً في جانبِها ، فعندما رأتهُ . . عرفتهُ ، وكانَتُ جعلتُ
 تحِثَ فصَّ خاتِمِها سَمَّ ساعةٍ ، فمصَّتِ الفَصَّ وقالتُ : بيدي لا بيدِ عمروٍ ،
 فسقطتُ وعمروُ وقصيرٌ يضرَبانِها بالسيفِ ، فماتتُ بينَ السَّمِّ والسيفِ .

(١) الحَجَفُ : جمع حَجَفَةٍ ؛ وهي الترس .

فاستباحوا بلدَها بما فيه ، واستولى عمرو على مملكتِها ، واتخذَ عمرو
الحِيرةَ دارَ ملكه ، وتوارثها بنوه واحداً واحداً إلى التُّعمانِ بنِ المنذرِ ، وهو
الذي أدركَ زمنَ المصطفى صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وقتلَهُ كسرى ، وهو
آخِرُهُم ، وكانَ مَقْتُلَ والدِ الرِّبَاءِ عندَ بعثِ عيسى عليه السلام .

وقال ابنُ دريدٍ^(١) :

لَقَدْ سَمَا عَمْرُو إِلَى أَوْتَارِهِ فَأَخْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِي الْمُنتَمَى
وَأَسْتَنْزَلَ الرِّبَاءَ قَسْرًا وَهِيَ مِنْ عُقَابِ لَوْحِ الْجَوْ أَعْلَى مُنْتَهَى

هذا ؛ وتجويزُ الحريري أن يكونَ المحذوفُ (كانَ) التامةَ التي بمعنى
حدث ، والمرفوعُ فاعلُها . . رَدَّه العلماءُ بعدمِ انسياقِ الفهمِ لها ؛ حيثُ لم
يكنُ معتاداً حذفُها .

[عودٌ للحديثِ عن (كانَ) وأخواتِها]

ول (كانَ) موضعٌ آخرٌ كَثُرَ حذفُها فيه ، وتعويضُ كلمةِ (ما) التأكيديةِ
عنها ؛ كقولِ الشاعرِ^(٢) :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ أَلْضَبُعُ

الأصلُ : أن كنتَ ؛ مثلُ قوله تعالى : ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ ﴾^(٣) ، فحُذِفَتْ
(كانَ) ، وحلَّتْ (ما) محلَّها ، وانفصلَ الضميرُ ، وحلَّ البيتُ : يا أبا خراشة ؛
لأجلِ أن كنتَ ذا نفرٍ وصاحبَ عشيرةٍ يحمونك ويدافعونَ عنكَ . . جزت
حدَّكَ ، وتعدَّيتَ طورَكَ ، وأدلتَ عليَّ كأنَّكَ ظننتني فريداً لستُ ذا عشيرةٍ

(١) المقصورة بشرح ابن خالويه (ص ٢٠٤) ، وفيها : (منتمى) بدل (منتهى) .

(٢) انظر « خزنة الأدب » (١٣/٤) .

(٣) سورة القلم : (١٤) .

مثلِ عَشِيرَتِكَ ؛ فَكَفُفْتُ مِنْ غَزْبِكَ ، وَالزَّمُّ أَدْبَكَ ، وَقَفْتُ عِنْدَ حَدِّكَ ؛ فَإِنَّ قَوْمِي
الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ .. لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ .

والمرادُ بالضَّبْعِ : الحيوانُ المعروفُ ، أوِ السَّنَةُ المُجْدِبَةُ ؛ إذْ كَانَ مِنْ
عَادَاتِهِمْ أَنْ يَتْرَكُوا الْقَتْلَى فِي الْحُرُوبِ حَتَّى تَأْكُلَهُمُ السَّبَاعُ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ حِينَ قُتِلَ حِمزَةُ عُمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةً - وَهِيَ
أَخْتُ حِمزَةَ - لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يُخَشَرَ مِنْ أَجْوَابِ السَّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطُّيُورِ » (١) .

وقال الشنفرى (٢) :

فَلَا تَقْبُرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْنِكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ
إِذَا حَمَلُوا رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثَمَّ سَائِرِي
هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْحَرَائِرِ

وأُمُّ عامِرٍ : كنيةُ الضَّبْعِ ، فكأنَّهُ قالَ : فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تُفْنِهِمُ الْحُرُوبُ حَتَّى
أَكَلْتَهُمُ السَّبَاعُ ، أوِ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَتَّبَعِ عَلَيْهِمْ أَيَّامُ قَحْطٍ وَجَدْبٍ حَتَّى أَفْنَاهُمُ
الْجَوْعُ .

وَمِنَ الضَّبْعِ بِمَعْنَى السَّنَةِ : قولُ أَبِي العِلاءِ المَعْرِيِّ (٣) :

إِذَا الضَّبْعُ الشَّهْبَاءُ حَلَّتْ بِسَاحَتِي نَضَوْتُ عَلَيْهَا كُلَّ مَوَازَةِ الضَّبْعِ

وَاخْتَصَّتْ أَيْضاً (كَانَ) بِجَوَازِ حَذْفِ نونِ مُضَارِعِهَا ، حَيْثُ يُجْزَمُ وَلَمْ
يَتَّصِلْ بِهِ سَاكِنٌ وَلَا ضَمِيرٌ .

(١) أخرجه أبو داوود (٣١٢٨) ، والترمذي (١٠١٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) انظر « ديوان الشنفرى » (ص ٥٨ - ٥٩) ، وفيه (بالجرائر) بدل (بالحرائر) .

(٣) انظر « شروح سقط الزند » (١٣٤٧/٣) .

وأفعالٌ هذا البابِ مِنَ الألفاظِ المُشترَكةِ ؛ فُتستعملُ تامَّةً مقصودةً المعاني
بالإفادَةِ ، كما تقولُ لصاحبِكَ : أمسيْتُ ؛ أي : دخلتُ في المساءِ ، إلَّا (فتيئ)
(ليس) و(زال) التي مضارعُها يَزَالُ .

[الحروفُ التي تعملُ عملَ (ليس)]

وأثبتَ النحويونَ إعمالَ أربعةِ أحرفٍ مِنْ حروفِ النفيِ إعمالَ (ليس)
وهي : (ما) و(إن) ، و(لا) و(لات) .

أمَّا كلمةُ (ما) .. فنسبوا إعمالَها لأهلِ الحجازِ ؛ فيقالُ : (ما)
حجازيةٌ ، ويُقالُ عندَ إهمالِها : تميميةٌ ، وباللُغتينِ وردَ قولهُ تعالى : ﴿ مَا هَذَا
بَشَرًا ﴾ ^(١) ، بنصبِ بشرٍ ورفعه ^(٢) ، وألطفَ الشاعرُ في قوله ^(٣) : [من الكامل]
وَمُهْفَهَفِ الأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ أَنْتَسِبَ فَأَجَابَ مَا قَتَلَ الْمُحِبِّ حَرَامُ
يقولُ : إنَّه انتسبَ إلى تميمٍ ؛ حيثُ تكلمَ بلغتهمِ .

ولكنَّ إعمالَها مشروطٌ بأربعةِ شروطٍ :

الأوَّلُ : إلَّا تصحبها (إن) مثلُ : ما إنِ الحقُّ خافِ .

الثاني : إلَّا يَنْتَقِضَ نفيها بـ (إلَّا) مثلُ : ما أنتِ إلَّا مجتهدٌ فبالعُ ،
أو متوانٍ فمحرومٌ ؛ لأنَّ إعمالَها إنَّما هوَ بجهةِ نفيها ، ولذلكِ إذا استدركتِ
أو أضربتِ بعدَ منصوبِها بإثباتِ مخالفِ .. رفعتِ ، وكانَ المرفوعُ جزءَ جملةٍ
حُذِفَ صدرُها ؛ مثلُ : ما زيدٌ كاتباً لكنَّ شاعرٌ ، أو : بل شاعرٌ ؛ أي : لكن
هو ، أو بل هو .

(١) سورة يوسف : (٣١) .

(٢) انظر « الدر المصون » (٢٦٢/١٠) .

(٣) انظر « نفع الطيب » (٢٢٧/٥) .

الثالثُ : أَلَّا يَتَقَدَّمَ معمولُ الخبرِ على المبتدأ ، وليسَ ظرفاً ولا صاحبهُ .

الرابعُ : أَلَّا يَتَقَدَّمَ الخبرُ على المبتدأ ، ولذلكَ حكموا بغَلَطِ التيميِّ - وهو أبو فراسٍ همامُ بنُ غالبِ المشهورُ بالفرزدقِ - حيثُ أرادَ أن يَتَكَلَّمَ بلغةٍ ممدوحه الحجازيِّ فقالَ ^(١) :

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشْرُ
فَنَصَبَ لَفْظَ (مِثْلِ) ، وَالصَّوَابُ رَفْعُهُ بِذَلِكَ الشَّرْطِ .



وَأَمَّا كَلِمَةُ (إِنْ) .. فَنَسَبُوا إِعْمَالَهَا لِأَهْلِ عَالِيَةِ نَجْدٍ خَاصَّةً ، قَالَ
شَاعِرُهُمْ ^(٢) :

إِنْ هُوَ مُسْتَوِلِيًّا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أضعفِ المَجَانِينِ
وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِهِمْ : إِنْ أَحَدٌ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْعَافِيَةِ ، وَلِقِلَّةِ مَنْ أَعْمَلَهَا
حَكَمَ النَحْوِيُّونَ بِقِلَّةِ إِعْمَالِهَا .



وَأَمَّا (لا) و (لَات) بزيادةِ التاءِ .. فلم يَنسُبُوا إِعْمَالَهَا لِأَحَدٍ ،
غَيْرَ أَنَّهُمْ نَقَلُوا اخْتِصَاصَ (لَات) بِالْعَمَلِ فِي أَسْمَاءِ الْأَزْمَنَةِ ؛ كَالْحَيْنِ
وَالوَقْتِ وَالْمُدَّةِ وَالْأَوَانِ ، وَأَنَّهُ يَلزَمُ حَذْفُ أَحَدٍ مَعْمُولِيهَا ، وَحَذْفُ الْمَرْفُوعِ
أَكثَرُ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ ^(٣) ، تَقْدِيرُهُ : وَلَاتِ الْحَيْنِ
حِينَ مَنَاصٍ .

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (٣١٦ / ١) .

(٢) انظر « أوضح المسالك » (٢٦١ / ١) .

(٣) سورة ص : (٣) .

وأثبت الكوفية أن بعض العرب يجزُّ بها على اختصاصها بأسماء الأزمنة ،
[من الخفيف] : (١) : شاهدُهُم على ذلك قولُ أبي فراسٍ (١) :

طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلَاتِ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ
وهي عندهم حينئذٍ مثلُ (رَبِّ) و(لعلَّ) ، وجرى على ذلك أبو الطيب ؛
حيث كانت الكوفة منشأة ، وبها تأدب ، فقال (٢) :

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتِ مُضْطَبِرٍ وَالْآنَ أَقَحَمُ حَتَّى لَاتِ مُفْتَحَمِ
وتفسيرُ البيتِ : تَصَبَّرْتُ إلى زمنٍ غيرِ زمنِ اصطبارٍ ، والآنَ أَقَحَمُ إلى زمنٍ
غيرِ زمنٍ اقتحامٍ .

ويظهرُ أنَّهم حكموا باسميَّتها وتصرَّفها تصرَّفَ كلمةٍ (غيرِ) ، فيكونُ
التقديرُ في قولِ أبي فراسٍ : طلبوا صلحنا وغيرُ أوانٍ صلحِ أوانٍ طلبِهِم ، وقد
نصُّوا على اسميَّةٍ (لا) في نحوٍ : جئتُ بلا زادٍ (٣) .

وأما (لا) : فقالَ البصريُّ .. إنَّها تعملُ بشروطٍ (ما) في النكراتِ
لا غيرُ ؛ كقولِهِ (٤) :

تَعَزَّ فَلَا شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ بَاقِيَا وَلَا وَزْرٌ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاقِيَا
وأثبت الكوفيةُ إعمالها في المعارفِ ، وعليه قولُ أبي الطيبِ (٥) : [من الطويل]
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُزْرَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا أَلْمَالُ بَاقِيَا
وإنَّما تعرَّضتُ في هذا الموضعِ لحكايةِ نقلِ الكوفيين ؛ ليعرفهُ الطَّلَبَةُ

(١) في « خزانة الأدب » (١٨٩/٤ - ١٩٠) أن البيت لأبي زيد الطائي .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥) .

(٣) يعني : الكوفيين . انظر « مغني اللبيب » (٣٢٢/١) .

(٤) انظر « أوضح المسالك » (٢٥٦/١) .

(٥) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٤) .

في كلام أبي الطيب المتنبى ، حيث يمرُّ بهم عند قراءته اللازمة لطلبية العلم ؛
ليعرفوا تفاوت الأقوال في البلاغة ، وحسن السياق ، واختيار العبارات ؛
إذ كان ذلك هو الطريق لمعرفة إعجاز القرآن .

[(كَادَ) وَأَخَوَاتُهَا]

وَأَمَّا (كَادَ) وَأَخَوَاتُهَا . . فَإِنَّهَا تَخْتَصُّ مِنْ بَيْنِ الْجُمَلِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ بِجُمْلَةٍ
يَكُونُ خَبْرُهَا فِعْلاً مُضَارِعاً رَافِعاً لِمُضْمِرِ الْمَبْتَدَأِ ؛ مِثْلُ : ﴿ وَإِن كَادُوا
لَيَقْتُلُونَكَ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَمَا كَادُوا
بِفَعْلُونَ ﴾ ^(٣) .

وَأَمَّا نَحْوُ ^(٤) :

فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيَباً وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقَتْهَا وَهِيَ تَصْفِرُ

وَنَحْوُ ^(٥) :

أَكْثَرَتْ فِي الْعَذْلِ مُلِحّاً دَائِماً

لَا تُكْثِرُنْ إِيَّيَ عَسَيْتُ صَائِماً

وَنَحْوُ : عَسَى الْغَوِيْرُ أَبْوْساً . . فَمَحْكُومٌ بِنَدْرَتِهِ ، وَعَدَمِ جَوَازِ اسْتِعْمَالِ

مِثْلِهِ .

لَكِنْ يَجِبُ اقْتِرَانُ خَيْرِ (حَرَى) وَ (اخْلَوْلَقَ) بِكَلِمَةِ (أَنْ) مِثْلُ : اخْلَوْلَقْتَ

(١) سورة الإسراء : (٧٣) .

(٢) سورة القلم : (٥١) .

(٣) سورة البقرة : (٧١) .

(٤) هو لتأبط شراً في « ديوانه » (ص ٩١) .

(٥) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٣٢٤/١) .

السَّمَاءُ أَنْ تُمَطِّرَ ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِي خَبِرِ (عَسَى) وَ (أَوْشَكَ) ، وَفِي خَبِرِ (كَادَ) وَ (كَرَبَ) الْأَكْثَرُ التَّجَرُّدُ مِنْهَا .

فَمِنْ الْكَثِيرِ : قَوْلُ الْعَرَبِ : كَادَ الْمُتَعَلِّعُ يَكُونُ رَاكِبًا ، وَكَادَ الْعَرُوسُ يَكُونُ مَلِكًا ، وَكَادَ الْحَرِيصُ يَكُونُ عَبْدًا ، وَكَادَ سَيِّئُ الْخُلُقِ يَكُونُ سُبُعًا ، وَكَادَ الْفَقْرُ يَكُونُ كَفْرًا ، وَكَادَ الْبَيَانُ يَكُونُ سِحْرًا ، وَكَادَ النَّعَامُ يَكُونُ طَيْرًا ، وَكَادَ الْبَخِيلُ يَكُونُ كَلْبًا .

وَمِنَ الْقَلِيلِ : مَا وَقَعَ فِي بَعْضِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَادَ الْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا » ^(١) ، وَ « كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا » ^(٢) ، وَ « كَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَسْبِقَ الْقَدَرَ » ^(٣) .

وَيَجِبُ التَّجَرُّدُ فِي أَخْبَارِ أفعالِ الشَّرْعِ .

وَلِ (عَسَى) وَ (اِخْلَوْلِقَ) وَ (أَوْشَكَ) اسْتِعْمَالُ آخِرٍ ؛ وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بَعْدَ الْأَفْعَالِ بِ (أَنْ) وَ مَدْخُولِهَا ، وَيُقَالُ : (أَنْ) وَ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَدَّتْ مَسَدَّ الْأَسْمِ وَالْخَبِرِ ؛ نَحْوُ : عَسَى أَنْ يَنْجَلِيَ الْحَقُّ ، وَأَوْشَكَ أَنْ يَحْسُنَ التَّحْصِيلُ .

وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَكَ فِي إِعْرَابِهِ وَجْهَانِ :

الْأَوَّلُ : أَنْ تَقُولَ : (أَنْ) وَ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِ الْأَسْمِ وَالْخَبِرِ ، وَسَادَّةُ مَسَدَّهُمَا .

وَالثَّانِي : أَنْ تَقُولَ : خَبِرٌ مُقَدَّمٌ ، وَاسْمٌ مُؤَخَّرٌ .

وَبِنَاءٍ عَلَى الْأَوَّلِ : تَقُولُ : عَسَى أَنْ يَقُومَ الزَّيْدَانِ ، وَعَسَى أَنْ يَقُومَ الزَّيْدُونَ ،

(١) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي « تَارِيخِ بَغْدَادِ » (٢ / ٣٨٠) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانظُرِ « الْمَقَاصِدَ الْحَسَنَةَ » (٧٨٨) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « شُعْبِ الْإِيمَانِ » (٦١٨٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) انظُرِ « الْمَقَاصِدَ الْحَسَنَةَ » (٧٨٧) .

وعسى أن تقوم الهندات ، وعسى أن تظهر الشمس ، وعسى أن يظهر الشمس ،
والزيدان عسى أن يقوما ، والزيدون عسى أن يقوموا ، والهندات عسى أن
يَقْمَنَ ، وهند عسى أن تقوم .

وبناءً على الثاني : تقولُ : عسى أن يقوما الزيدان ، وعسى أن يقوموا
الزيدون ، وعسى أن يَقْمَنَ الهندات ، وعسى أن تظهر الشمس ، لا غير ،
والزيدان عسياً أن يقوما ، والزيدون عسواً أن يقوموا ، والهندات عسينَ أن
يَقْمَنَ ، وهند عست أن تقوم .

وبعض العرب يكسِرُ سينَ (عسى) عند إسناده للضمائر البارزة ، وبه قرأ
نافع .



[بيان (بابِ إنَّ) وأخواتها]

بيانُ الأحرفِ الثمانية التي تنصبُ المبتدأَ ويُقالُ له: اسمُها، وترفعُ الخبرَ ويُقالُ له: خبرُها؛ وهي: (إنَّ) و(أنَّ) و(لكنَّ) و(كأنَّ) و(لعلَّ) و(ليتَ) و(لا) و(إلَّا) .

الأحرفُ الستةُ الأولى يمتنعُ تقديمُ أخبارِها على الأسماءِ ما لم تكنْ ظروفًا أو صوابها، ولتُفردَ كلُّ حرفٍ بالكلامِ عليه؛ فنقولُ:

الكلامُ على (إنَّ)

تكونُ في جملةٍ مستأنفةٍ، وجملةٍ صلةٍ، وجملةٍ جوابِ القسمِ، وجملةٍ حُكِيَتْ بقولٍ، وجملةٍ أُخبرَ بها عن اسمِ عينٍ، وجملةٍ أُضِيْفَتْ لها (حيثُ)، وجملةٍ وَقَعَتْ حالاً، وجملةٍ وَقَعَتْ بعدَ (حتَّى) الابتدائية؛ وهي التي لا يُقصدُ فيها معنى الغاية، بل يُقصدُ فيها معنى السببية؛ كقولك: أصلح زيدٌ أحواله، حتى إنَّ الناسَ مُتفقونَ على شكرِهِ .

وتصحُّبها لامُ الابتداءِ، فتُزحلقُ عن موضعها الذي كانَ لها؛ حيثُ كانَ اسمُ (إنَّ) مبتدأً . . إلى خبرِ إنَّ، فتدخلُ عليه، وعلى معمولِهِ المُتقدِّمِ عليه، وعلى الفضلِ في نحو: إنَّ زيداً لهو المُنطلقُ، وإنَّ هنداً لَهِيَ المُنطلقَةُ؛ تقريباً للامِ مِنْ موضعها حَسَبِ الإمكانِ، فلو تأخَّرَ الاسمُ عن المبتدأ . . صحبتهُ ولم تصحبِ الخبرَ؛ لزوالِ المنكرِ الذي هو اجتماعُ مُؤكِّدَينِ حرفَينِ شبيهَينِ بالزائدِ في الكلامِ .

وإذا كانَ خبرُ (إنَّ) مَنفياً، أو فعلاً ماضياً مُتصرِّفاً خالياً مِنْ (قد) . . امتنعتِ اللامُ .

وَتُخَفَّفُ (إِنَّ) بحذفِ النونِ الثانيةِ وبقائها [على] حرفينِ مُتَحَرِّكٍ وساكنينِ ، فيزولُ اختصاصُها بالاسمِ ، وتَدْخُلُ على الفعلِ ، ويكثرُ إهمالُها مع وجودِ الاسمِ بلصقِها ، وحينئذٍ تلزمُ اللّامُ معها ؛ لرفعِ اشتباهِها بـ (إن) النافيةِ ، فلو تَعَيَّنَتْ بدونِ اللّامِ .. لم تلزمْ ؛ كقولهِ ^(١) : [من الطويل]

إِنَّ الْحَقَّ لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ

وقولهِ ^(٢) : [من الطويل]

أَنَا ابْنُ أُبَاةِ الضَّيْمِ مِنْ آلِ مَالِكٍ وَإِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامَ الْمَعَادِنِ

إذ لا يَحْتَمِلُ الكلامُ النافيةِ ؛ لظهورِ فسادِ المعنى .

وإذا دخلتْ على الفعلِ فأكثرُ ما يكونُ فعلاً ماضياً ناسخاً ؛ نحوُ : إن كَادَ لِيَصُدُّنَا ، ﴿ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَسِيقِينَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ ^(٤) .

ودونهُ : أن يكونَ فعلاً مضارعاً ناسخاً ؛ نحوُ : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرِيْلُقُونَكَ وَإِنْ تَطَّلُكَ لَيَمَنَّ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٥) .

ودونهُ : أن يكونَ فعلاً ماضياً غيرَ ناسخٍ ؛ نحوُ : [من الكامل]

... إِنَّ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا

واختلفوا في صحةِ القياسِ عليه .

(١) انظر « مغني اللبيب » (٣٠٦/١) ، والبيت بتمامه :

إِنَّ الْحَقَّ لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَغْدَمْ خِلَافَ مُعَانِدِ

(٢) انظر « همع الهوامع » (٥١١/١) .

(٣) سورة الأعراف : (١٠٢) .

(٤) سورة البقرة : (١٤٣) .

(٥) سورة القلم : (٥١) .

(٦) انظر « مغني اللبيب » (٣٧/١) ، والبيت بتمامه :

سَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

ودونه : أن يكون فعلاً مضارعاً غير ناسخ ؛ نحو : إن يزينك لنفسك ، وإن يسينك لهية .

وأجمعوا على امتناع القياس عليه ^(١) ، والسرُّ في ذلك : أن وضعها على الاختصاص بالجملة الاسمية ، فحاولت اللُّغة عند تخفيفها ألا يزول اختصاصها بالمرّة ، فأصبحوها النواسخ التي هي مصاحبة دائماً لجملة المبتدأ والخبر ، فكأنها لم تُزل عمّا لها .

الكلامُ على (أن)

هي من الموصولات الحرفية كما سبق ^(٢) ، فالجملة بعدها مفردٌ مطلوبٌ لإتمام الكلام ، أو مُتعلِّقٌ من مُتعلِّقاته ؛ وذلك المفردُ مصدرٌ يُؤخذ من خبرها ويُضاف لاسمها إن كان الخبرُ مُشتقاً ، ونفسُ الخبرِ مصحوباً بياءِ التَّسبِ - التي تُسمّى بياءِ المصدرية - وتاءِ التَّأنيثِ إن كان الخبرُ جامداً ؛ فتقولُ في نحو : بلغني أن زيداً قائمٌ ؛ تقديرُهُ : بلغني قيامُ زيدٍ ، وفي نحو : بلغني أن زيداً أسدٌ ؛ تقديرُهُ : بلغني أسديّةُ زيدٍ ؛ أي : كونه أسداً .

وتقعُ فاعلاً كما مرَّ ، ومفعولاً ؛ نحو : علمتُ أن زيداً كاتبٌ ، ومجروراً ؛ نحو : قصدتُك أنك فاضلٌ ؛ أي : لأنك ، وتُثابُ في الآخرة بأنك تعملُ الخيرَ في الدنيا ، ولأجل أنك مستقيمٌ أحببكَ الناسُ ، ومبتدأً ؛ نحو : يقيني أن زيداً مُدركٌ ، وخبراً لمبتدأً هو اسمٌ معنَى غيرِ قولٍ ، ولا يكونُ خبرٌ (أن) صادقاً عليه ؛ بحيثُ يكونُ من أفرادِهِ ، وإلا . . . كان موضعَ المكسورة ؛ نحو : زيدٌ إنَّهُ فاضلٌ ؛ في الإخبارِ عن اسمِ العينِ ، وقولي إنَّهُ مستقيمٌ ، واعتقادي إنَّهُ حقٌّ ،

(١) انظر «مع الهوامع» (٥١٣/١) .

(٢) انظر (١٣٩/١) .

وخبرُ زيدٍ إنَّه صادقٌ ؛ [فلاعتقادُ] فردٌ من أفرادِ الحقِّ ، وخبرُ زيدٍ فردٌ من أفرادِ الصادقِ ؛ فلا يصحُّ : اعتقادي حقيتهُ ، ولا : خبرُ زيدٍ صدقُه ، والمثالُ الجامعُ للشروطِ : حالُ زيدٍ أنَّه يقولُ الحقَّ ، ومُعتقدي أنَّه شاعرٌ ؛ تقولُ : حالُه قولُ الحقِّ ، ومُعتقدي شعرُه .

وتقعُ معطوفةٌ على تلكَ الأشياءِ ، فالحاصلُ : أنَّ جملتها بالنسبةِ لأجزاءِ الكلامِ غيرُ مقصودةٍ الجمليَّةِ ، وإن كانتْ جمليتها بحسبِ المعنى مقصودةً ؛ إذ مركزُ التوكيدِ والتقويةِ هو نسبةُ الخبرِ للمبتدأ ، حتى إنَّه ليسَ معنى قولِ مَنْ يقولُ : أعجبني أنَّ زيدا قائمٌ ؛ على تقديرِ : أعجبني قيامُ زيدٍ . . أن نفسَ القيامِ الذي هو الانتصابُ هو الذي أعجبهُ من حيثُ سرعتُه أو مهلتُه مثلاً ، بل معناه : أنَّ الذي أعجبهُ صدورُ القيامِ وحصولُه من زيدٍ ، وهذا هو معنى الجملةِ .

وتُخَفَّفُ (أنَّ) فلا [يَزُولُ] اختصاصُها ، لكنَّها تلزمُ حالاً ؛ هي أنَّ اسمَها لا يُذكرُ ، وهو ضميرٌ شأنٍ إن لم يكنِ المَحَلُّ صالحاً لضميرِ عادةٍ ، وأنَّ خبرها يجبُ أن يكونَ جملةً اسميةً ، أو فعليةً فعلها جامدٌ أو دعاءٌ أو منفيٌّ ، أو مبتدأ ب (قد) أو مبتدأ بالسينِ أو (سوف) أو (لو) نحو : علمتُ أنَّ زيدٌ قائمٌ ، وبلغني أنَّ نعمَ زيدٍ ، ﴿ وَالْحَيْسَةُ أَنَّ عَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ (١) ، ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (٢) ، ﴿ عَلَوْا أَنْ سَيَكُونُ ﴾ (٣) .

وَأَعْلَمَ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا (٤)

(١) سورة النور : (٩) وهي قراءة نافع ، كما في «النشر في القراءات العشر» (٢/٣٣٠) .

(٢) سورة البلد : (٥) .

(٣) سورة المزمل : (٢٠) .

(٤) انظر «شرح ابن عقيل على الألفية» (١/٣٨٧) ، والبيت من السريع .

وسرّني أن قد قام زيدٌ ، ﴿ وَالْوَأَلُوْا اسْتَقَمُوْا عَلٰى الطَّرِيْقَةِ ﴾ (١) .

وهنالكَ أربعةُ مواضعٍ يجوزُ فيها على اختلافِ الملاحظةِ أن تأتيَ
بالمفتوحةِ وأن تأتيَ بالمكسورةِ :

الأوّلُ : حيثُ يقعُ التركيبُ بعدَ (إذا) الفجائيةِ ؛ كقولهِ : [من الطويل]

وَكُنْتُ أَرَى زَيْدًا كَمَا قِيلَ سَيِّدًا إِذَا أَنَّهُ عَبْدٌ أَلْفَا [وَاللَّهَازِمِ]

معنى البيتِ : كَانَ يُخَيَّلُ لِي سِيَادَةَ زَيْدٍ وَفَقَّ الْمَشْهُورِ عَنْهُ ، فَلَمَّا
اِخْتَبَرْتُهُ . . وَجَدْتُهُ مَبْذُولَ الْهِمَّةِ فِي تَسْمِينِ بَدْنِهِ ؛ فَهُوَ عَبْدٌ شَهْوَاتِهِ ، لَا
يَحْتَمِلُ مَكَارَهَ السِّيَادَةِ الْإِلَازِمَةَ لِمَنْ أَرَادَ الشَّرْفَ وَالرِّئَاسَةَ وَالتَّقَدُّمَ عَلَى الْغَيْرِ ،
قَالَ الْعَرَبِيُّ (٢) :

بَبْذُلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

وقال أبو الطيب (٣) :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

فإنَّ الواقعةَ بعدَ (إذا) يجوزُ فتحُها على أن المذكورَ أحدُ ركني الجملةِ ،
والآخرُ محذوفٌ ، والتقديرُ : فإذا عبوديتهُ لفقاهُ و [لهازمه] هي الواقعةُ ، ويجوزُ
الكسرُ على أن المذكورَ الجملةُ بتمامها .

الثاني : إذا وقعتْ بعدَ قَسَمٍ وليسَ معها لامٌ ؛ نحوُ : أَحْلِفُ
أَوْ أَقْسِمُ بِاللَّهِ ؛ إِنَّ الْيَقِيْنَ خَيْرٌ مِنَ الظَّنِّ ، فإذا كانَ التقديرُ : أَحْلِفُ

(١) سورة الجن : (١٦) .

(٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (١ / ٢٧٠) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٩) .

على أن اليقين خيرٌ . . فتحت (أن) وتكون حذفَ الجارِّ .



الثالث : إذا وقعت بعد فاءِ جوابِ الشرطِ ؛ نحوُ : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ، الفتحُ على تقديرِ :
فمغفرتهُ له ورحمتهُ إيَّاهُ واقعتانِ حَسَبَ ما تَفَضَّلَ بكتابتِهِ على نفسه جلَّ
ذكرُهُ .



الرابعُ : حيثُ يكونُ خبرُها يمكنُ أن يُؤخَذَ منه ما يصدُقُ على المبتدأ ؛
نحوُ : أوَّلُ كلامي وآخِرُهُ أني أشكرُ الله على تواترِ نعمائِهِ .
فالكسرُ على أن المقصودَ : أوَّلُ الكلامِ وآخِرُهُ هذا اللَّفْظُ ، والفتحُ على
أنَّ التقديرَ : أوَّلُ الكلامِ وآخِرُهُ شكرُ اللهِ .

[الكلامُ على (كَأَنَّ)]

وأما (كَأَنَّ) .. فإنَّها إذا حُفِفتُ .. لم تُهْمَلْ ، ويكونُ اسمُها مذكوراً ،
ومحذوفاً ، واسماً ظاهراً ، وضميراً ، وإذا كانَ خبرُها مضارعاً .. غلبَ كونهُ
منفياً ؛ نحوُ : ﴿ كَأَنَّ لَمْرَ قَتَنِ بِالْأَمْسِ ﴾ (٢) ، وإذا كانَ ماضياً .. كانَ مُقْتَرِناً
ب (قد) ؛ نحوُ (٣) :

كَأَنَّ قَدْ أَلَمَّا

(١) سورة الأنعام : (٥٤) .

(٢) سورة يونس : (٢٤) .

(٣) انظر « أوضح المسالك » (٣٣٨/١) ، والبيت بتمامه :

لَا يَهُولُنَّكَ أَضْطِلَاءُ لَطَى أَلْحَزَ بِ فَمَحْذُورُهَا كَأَنَّ قَدْ أَلَمَّا

ووقوعه مذكوراً؛ نحو^(١) :

[من الطويل]

وَيَوْمٌ تُؤَافِينَا بِوَجْهِ مُقَسَّمٍ كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ

[الكلامُ على (لَكَنَّ)]

وَأَمَّا (لَكَنَّ) .. فَإِنَّهَا إِذَا خُفِّفَتْ .. أَهْمَلْتُ فِي الْفَصِيحِ .

[الكلامُ على (لَيْتَ) و(لَعَلَّ)]

وَأَمَّا (لَيْتَ) و(لَعَلَّ) .. فَإِنَّهُمَا لَا يُخَفَّفَانِ .

وهذه الأحرف الستة تعقبها (ما) ، فيزول اختصاصها بالاسم ، وتدخل على الفعل ، فيجوز إعمالها حينئذ وإعمالها حيث تدخل على الاسم ، إلا (لَيْتَ) فلا يزول اختصاصها ، ولذلك كان إعمالها أكثر من إعمالها ، بل أوجبها بعضهم .

ودخولها على الفعل نحو : زيدٌ كأنما ينظرُ بعيني أسدٍ ، ونحو : إنما رأيتُه وهو ساكتٌ ، إلا (أَنْ) و(لَكَنَّ) و(أَنْ) إذا أتيت بعد استكمال جملتها من الاسم والخبر باسمٍ يشارك اسمها في حكمه .. جاز لك عطفه عليه ، وجاز لك رفعه بالابتداء والخبر محذوفٌ لدلالة السابق ، أو بالعطف على الضمير المستتر في خبر (إِنَّ) ، وحينئذ لا بد من الفصل بينه وبين حامل الضمير كما ستقف عليه عند القول في التوابع^(٢) ؛ نحو : إن زيدا قائمٌ وعمرو ؛ أي : كذلك ، وإن زيدا قائمٌ هو وعمرو .

(١) البيت لابن صريم الشكري ، كما في « الكتاب » لسبويه (١٣٤/٢) .

(٢) انظر (٤٨١/١) .

الكلامُ على (لا)

إذا أردت أن تُصَرَّ على انتفاء شيءٍ عن جنسٍ شيءٍ ؛ بحيثُ يكونُ الانتفاءُ عن جميعِ أفرادِهِ . . جئتُ بـ (لا) ، وتُسمَّى (لا) التبرئة ، و (لا) النافية للجنسِ .

ونصبتُ بها الاسمَ لفظاً : إن كانَ مضافاً ، أو رفعَ فاعلاً - ويُسمَّى هذا وما بعدهُ : شبيهاً بالمضافِ - أو نصبَ مفعولاً أو تعلقَ به ظرفٌ ؛ نحوُ : لا غلامَ خدمةٍ عندَ زيدٍ ، ولا ظريفاً طبعُهُ مذمومٌ ، ولا قارئاً علماً محرومٌ ، ولا رقيقاً بالناسِ مشتمومٌ ، ولا واقفاً عندَ حدِّه مزيفٌ .

ونصبتُهُ محلاً وبنيتُهُ على الفتحِ : إن كانَ غيرَ ذلك ؛ نحوُ : لا رجلَ قائلٌ ما تقولُ ، وعلى الياءِ في نحوِ : لا رجلينِ ، ولا غافلينِ ، وعلى الكسرِ في نحوِ : لا ذاكِراتِ ، نيابةً عن الفتحةِ .

وشاعَ في تركيبِ (لا) هذه تركُّ اللَّفْظِ بالخبرِ ؛ لانفهامِهِ ، ومنهُ قولُ القارئِ : لا أحدَ ، بعدَ قراءتِهِ : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ^(١) ، وقولُهُ تعالى : ﴿ لَا مَسَاسَ ﴾ ^(٢)

وربَّما أُريدَ بتركيبِها - الذي هو مِنَ الخبرياتِ - النهيُ ، فيصيرُ مِنَ الإنشائياتِ مثلُ هذا ، ومثلُ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » ^(٣) ، ولا بأسَ باستيفاءِ القولِ في (لا) في هذا الموضعِ .

قد عرفتُ أَنَّها مِنْ أَحرفِ النفيِ ، لكنَّها ذاتُ أحوالٍ مختلفةٍ :
فإذا دخلتْ على المضارعِ . . لم تعملْ شيئاً ، ولكَ تَكَرُّرُها وَعَدْمُهُ حَسَبِ

(١) سورة النساء : (٨٧) .

(٢) سورة طه : (٩٧) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٥٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

حاجتِكَ ؛ نحوُ : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ^(١) ، ونحوُ : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ
وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ ^(٢) .

وإذا دخلتُ على الفعلِ الماضي :

فإن كانتَ للدعاءِ .. فكذلك ؛ نحوُ : لا زالَ طالبُ الخيرِ يجدهُ ، ولا برحِ
باغي الشرِّ يهديه اللهُ ويصرفُه عنه .

وإن كانتَ للإخبارِ .. وجبَ تكرارُها ؛ نحوُ : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ ^(٣) ،
ولا راحَ ولا جاءَ .

وإذا دخلتُ على الجملةِ الاسميةِ :

فإن كانتَ أجزاءؤها نكراتٍ ، ولم تُفصلْ مِنَ المبتدأِ .. أعملتها عملَ
(إنَّ) حيثُ تريدُ النصَّ على النفيِ عن الجنسِ ، وأعملتها عملَ (ليسَ)
حيثُ تريدُ النفيِ عن الواحدِ ؛ نحوُ : لا رجلٌ يقولُ ذلكَ ، بل جميعُ أهلِ
المدينةِ ، ونحوُ : لا رجلٌ يقولُ ذلكَ ولا رجلانِ ، بل جميعُ الناسِ .

وإذا وردتْ عاملةً هذا العملَ ولا قرينةً على مرادٍ .. وجبَ الحملُ على
النفيِ عن الجنسِ ؛ إذ هو الظاهرُ ، ولا مقتضى للعدولِ عنه .

فإذا كانتَ أجزاء الجملةِ معارفَ أو نكراتٍ ، وفُصلتْ (لا) مِنَ المبتدأِ :
لم تعملَ شيئاً ، ولزمَ تكرارُها ؛ نحوُ : ﴿ لَا فِيهَا عَوَّلٌ وَلَا هُرٌّ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴾ ^(٤) ،
ونحوُ : لا زيدٌ في الحقِّ ولا عمرو .

(١) سورة الواقعة : (٧٩) .

(٢) سورة القيامة : (١ - ٢) .

(٣) سورة القيامة : (٣١) .

(٤) سورة الصافات : (٤٧) .

وتجيءٌ مُكرّرةً مع الأوصافِ : إمّا لإثباتِ الوَسَطِ ؛ نحوُ : لا حارٌّ ولا باردٌ ؛
 أي : فاترٌ ، ولا حلوٌ ولا حامضٌ ؛ أي : مُزٌّ ، وإمّا لغيرِ ذلك ؛ نحوُ : ﴿ لَا ظَلِيلٍ
 وَلَا يَغْنِي مِنَ اللَّهِ ﴾ (١) .

الكلامُ على (إلا)

هي مِنَ النواسخِ إذا كانتَ بمعنى (لكن) ، وجاءَ بعدها ما ليسَ مِنْ جنسِ
 ما قبلها ؛ بشرطِ أن يُتوَهَّمَ شمولُ الحكمِ لهُ ؛ حتى يَصِحَّ الاستدراكُ ، وإذا
 كانَ ما بعدها مِنْ جنسِ ما قبلها ، وحُكِمَ عليه بغيرِ نقيضِ الحكمِ السابقِ ؛
 نحوُ : خرجَ أهلُ البلدِ للنزهةِ إلا حماراً ، على معنى لكنَّ حماراً لم يخرج
 وبقي في البلدِ ؛ فإنَّ الكلامَ السابقَ يُوهَّمُ أنه لم يبقَ حيوانٌ مِنَ المُستعمَلاتِ
 في الركوبِ حيثُ كانَ الخروجُ عامّاً لأهلِ البلدِ .

ونحوُ : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
 الْأَكْبَرَ ﴾ (٢) على معنى : لستَ عليهم بمحافظٍ تُلجئُهُم إلى الدخولِ في
 الدِّينِ ، لكنَّ المتولِّيَ الكافرَ يُعَذِّبُهُ اللهُ ، والكلامُ السابقُ على (إلا) ربّما
 أوهمَ إهمالَهُم .

هذا ؛ وقد رأيتُ تأخيرَ الكلامِ على مفعولي الأفعالِ الإدراكيَّةِ والأفعالِ
 التصييريةِ اللّذينِ عرفتَ أنّهُما النوعُ الثالثُ مِنَ النواسخِ . . إلى بابِ المفعولِ
 به ؛ ليكونَ الكلامُ آخذاً بعضُهُ بحجَزِ بعضِ .



(١) سورة المرسلات : (٣١) .

(٢) سورة الغاشية : (٢٢ - ٢٤) .

القسم الثالث

في الجملة الفعلية

عرفت أن الجملة الفعلية هي المصدرة بالفعل .

الكلام على الفاعل ونائبه

الفاعل يرفع فعل المعلوم بما تضمنته من المعنى الذي تنسب إليه على وجه طلبه منه ، أو الإخبار بصدوره عنه ، فجميع ما دلّ دلالة فعل المعلوم يرفع الفاعل ؛ فيرفع : المصدر ، والأفعال ، واسم الفاعل ، والصفة ، واسم التفضيل ، والمصغر لالتحاقه بالصفات ، والمنسوب إن لاحظت في معناه : [ينتسب] ، والظروف المستقرّة بما فيها من معاني الأفعال ؛ نحو : أعجبتني كتابة العلم زيد ، وحرصه على الفائدة ، ونعم ما يصنع ، فأكرموه ؛ فإنه عالي الهمة ، حسن الصنع ، ولم أر رجلاً أجمل به الإكرام منه بطالب العلم ، وما في ذلك شك ، وهل عند أحد فيه ريبة ؟ وكلّ محمدٍ الطريقة مُصدّقٌ بذلك ، وهل مُسيكينٌ إلا من يجهل قيمة أعماله !؟

ويكون الفاعل : اسماً ظاهراً ، ويكون ضميراً مستتراً ؛ أي : ملحوظاً ليس له لفظ ، وبارزاً ، ومُتصلاً ، ومُنفصلاً .

يكون ضميراً مستتراً : في أمر الواحد ، وفي مضارع المتكلم الحاكي عن نفسه وحده ، والحاكي عن نفسه وغيره ، وفي مضارع مخاطب الواحد ، وفي فعل التعجب ، وفي أفعال الاستثناء ، وفي اسم التفضيل غير نحو ما في المثال السابق ^(١) .

(١) هو قوله المتقدم : لم أر رجلاً أجمل به الإكرام منه بطالب العلم .

ويكون ضميراً بارزاً: في غير ذلك ، وفي غير أفعال الغيبة .

ويكون ضميراً بارزاً تارةً واسماً ظاهراً تارةً: في أفعال الغيبة غير فعل الغائب الواحد والغائبة الواحدة ، وفيهما يكون اسماً ظاهراً تارةً وضميراً مستتراً تارةً .

وبسبب كون الفاعل في هذين الموضعين تارةً يكون ضميراً مستتراً ، وتارةً يكون اسماً ظاهراً . . . تسمع المُعْرِبِينَ يقولون في نحو: (زيدٌ عرفَ) : الفاعلُ فيه ضميرٌ مستترٌ جوازاً ، فالجوازُ صفةٌ مجموع كونه ضميراً مستتراً ؛ لِمَا عرفتَ أنَّ كونه ضميراً غيرُ لازم ، وفي المواضع التي لا يكونُ الفاعلُ فيها إلا ضميراً مستتراً ؛ نحو: أكرمَ زيداً . . . يقولون : الفاعلُ ضميرٌ مستترٌ وجوباً ؛ على معنى أنه لا يكون غير ضمير البتة .

ويكون ضميراً مُنفصلاً : إذا حُصِرَ فيه الفعلُ بـ (ما) و (إلا) ، أو بـ (إنَّما) ، أو فُصِّلَ بأداة التفصيل ، أو حُذِفَ فعلُهُ .

الأمثلة لذلك : أَعْرِفُ ، أَعْرِفُ ، نَعْرِفُ ، نَعْرِفُ ، مَا أَعْرِفُ زَيْدًا ، عُرِفَ الْقَوْمُ مَا خِلا زَيْدًا ، وَمَا عَدَاهُ ، وَحَاشَاهُ ، وَلَيْسَ ، وَلَا يَكُونُ ، وَهُوَ أَعْرِفُ مِنْ عَمْرٍو ، وَعَرِفْتُ ، وَعَرَفْنَا ، وَعَرَفْتَ ، وَعَرَفْتِ ، وَعَرَفْتُمَا ، وَعَرَفْتُمْ ، وَعَرَفْتَنَ ، وَتَعْرِفِينَ ، وَتَعْرِفَانِ ، وَتَعْرِفُونَ ، وَتَعْرِفَنَ ، وَاعْرِفِي ، وَاعْرِفَا ، وَاعْرِفُوا ، وَاعْرِفَنَ ، وَعَرَفَ وَيَعْرِفُ الرَّجُلَانِ ، وَالرَّجُلَانِ عَرَفَا ، وَيَعْرِفَانِ ، وَعَرَفْتُ ، وَتَعْرِفُ الْمَرْأَتَانِ ، وَالْمَرْأَتَانِ عَرَفْتَا ، وَتَعْرِفَانِ ، وَعَرَفَ وَيَعْرِفُ الرَّجَالُ ، وَالرَّجَالُ عَرَفُوا وَيَعْرِفُونَ ، وَعَرَفْتُ وَتَعْرِفُ النِّسَاءُ ، وَالنِّسَاءُ عَرَفْنَ وَيَعْرِفْنَ ، وَعَرَفَ وَيَعْرِفُ الرَّجُلُ ، وَالرَّجُلُ عَرَفَ وَيَعْرِفُ ، وَعَرَفْتُ وَتَعْرِفُ الْمَرْأَةُ ، وَالْمَرْأَةُ عَرَفْتُ وَتَعْرِفُ ، وَمَا عَرَفَ إِلَّا أَنْتَ ، وَإِنَّمَا عَرَفَ هُوَ ، وَيَقْرَأُ إِنَّمَا أَنَا وَإِنَّمَا أَنْتَ ، وَيَقُولُ إِنْسَانٌ : مَنْ قَرَأَ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا ، عَلَى مَلاحِظَةِ قَرَأْتُ ،

فحذفت الفعل ؛ اتكالا على فهمه بقرينة السؤال ، وفصلت الضمير .

ومما سلفت تعرّف أنّ الفعل متى أُسندَ إلى الأسماء الظاهرة . . كان على صورة فعل الغائب الواحد دائماً ؛ فلا تقول : عَرَفَا الزيدانِ ، ولا عَرَفُوا الرجالُ ، ولا عَرَفْنَ النساءُ ، بل تقول : عَرَفَ الزيدانِ ، وعَرَفَ الرجالُ ، وعَرَفَتِ النساءُ ، كما تقول : عَرَفَ زيدٌ ، وعَرَفَتْ هندٌ .

وهنالكَ لغةٌ رديئةٌ يُسمِّيها النحويون لغةً (أكلوني البراغيثُ) تُلحِقُ الفعلَ : الألفَ والواوَ والنونَ أحرفاً تدلُّ بها على الاثنينيَّة والجمعيَّة ، وذلك المثلُ المسموعُ من أهل تلك اللُّغة المشهورُ عنهم .

والأوصافُ الملحوظةُ ملاحظةُ الأفعالِ لها حكمُها ، ولذلك تقولُ كما عرفتَ : أقاتمُ الزيدانِ ؟ وما قاتمُ العمرونَ ، كما تقولُ : أقاتمُ زيدٌ ؟ وما قاتمُ عمرو ، فالتركيبُ مبتدأٌ صوريٌّ وفاعلٌ ، وإذا قلتَ : أقاتمانِ الزيدانِ ؟ وما قاتمونَ العمرونَ . . فالتركيبُ خبرٌ مُقدِّمٌ ومبتدأٌ مُؤخَّرٌ ، والوصفُ ومرفوعُهُ غيرُ جملةٍ إلَّا في مثلِ هذا التركيبِ .

وإذا كانَ الفاعلُ مُتصِلاً بالفعلِ ، وكانَ ضميرُ أنثى حقيقةً ، أو اعتباراً ، أو اسماً ظاهراً لأنثى حقيقةً ، أو جمعَ مؤنثٍ سالمٍ لم يُجرَ مُجرى جمعِ التكسيرِ ، وليسَ مُفردُهُ اسمَ ذكرٍ . . وجبَ لأجلِهِ تأنيثُ الفعلِ ، فتأتي معَ الماضي بتاءِ التأنيثِ الساكنةِ ، وتفتتحُ المضارعَ بالتاءِ ؛ فتقولُ : هندٌ كتبتُ وتكتبُ ، والشمسُ طلعتُ وتطلُعُ ، وقرأتُ وتقرأُ عمرةً .

وإذا فُصلَ ، أو كانَ اسماً ظاهراً لأنثى اعتباراً ، أو كانَ جمعَ غيرِ مُذكرٍ سالمٍ ، وغيرِ مؤنثٍ لم يُجرَ مُجرى المُكسَّرِ ، وليستَ آحادُهُ ذكوراً . . جازَ التأنيثُ على ملاحظةٍ معنى الجماعةِ في الجموعِ ، والتذكيرُ على ملاحظةٍ معنى الجمعِ فيها .

وَأَمَّا جَمْعُ الْمُذَكَّرِ السَّالِمِ . . فَيَجِبُ مَعَهُ تَذَكِيرُ الْفِعْلِ ، وَقَدْ سَلَفَ حَكْمُ
جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ ، وَالْأَحْسَنُ التَّأْنِيثُ مَعَ الْإِنَاثِ ، إِلَّا فِي نَحْوِ : ﴿ وَقَالَ
نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ^(١) ، وَالْأَحْسَنُ التَّذَكِيرُ فِي نَحْوِ : مَا قَامَ إِلَّا هِنْدٌ ، وَإِنَّمَا
كَتَبَ عَمْرُو ، وَنِعْمَ الْمَرْأَةُ هِنْدٌ .

وَيُحَذَفُ الْفِعْلُ جَوَازًا فِي نَحْوِ قَوْلِ الْمَرْأَةِ : إِلَّا حَظِيَّةٌ . . فَلَا أَلِيَّةٌ ؛ مَعْنَاهُ :
إِلَّا تَتَّفِقُ وَتَحْضُلُ حَالَةً أَحْظَى بِهَا . . فَلَا أَلُو ؛ أَي : أَقْصَرُ فِي أُمُورِ النِّسَاءِ ،
وَكَلَامُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ تُخْبِرُ بِهِ أَنَّهَا عَامِلَةٌ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ ^(٢) : [من الطويل]

عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْعَى لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ وَيَقْضِي إِلَهُ الْخَلْقِ مَا كَانَ قَاضِيَا
وَفِي رَوَايَةٍ ^(٣) :

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ الدَّهْرُ

وَفِي ثَالِثَةٍ ^(٤) :

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَتِمَّ الْمَطَالِبُ

وَمِنْ حَذْفِ الْفِعْلِ جَوَازًا قَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ نَهْيِكٍ ^(٥) : [من الطويل]

لِيُبْنَكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُضُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

أَمْرَ بَبْكَاءِ يَزِيدَ ، وَلَمْ يَذْكَرِ الْبَاكِيَّ ؛ فَإِنَّ الْفِعْلَ فِي (لِيُبْنَكَ يَزِيدُ) فِعْلٌ

(١) سورة يوسف : (٣٠) .

(٢) هو إبراهيم بن المهدي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٢) .

(٣) بهذه الرواية عند ابن المقري في « نفع الطيب » (٦٥٩/٢) ، والبيت بتمامه :

عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْعَى لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ الدَّهْرُ
(٤) انظر « نفاحة اليمن » (ص ١٧٦) ، والبيت بتمامه :

عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْعَى عَلَى الْخَيْرِ جَهْدَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَتِمَّ الْمَطَالِبُ
(٥) انظر « الكتاب » لسبويه (٢٨٨/١) .

مجهولٌ ، فاقتضى الحال السؤال عنه ، فكأنه قيل : مَنْ يَبْكِيهِ ؟ فقال : يَبْكِيهِ ضارعٌ ، فحذف الفعل ؛ اعتماداً على السؤال المُقدَّر .

ويُحذفُ وجوباً : في نحوِ : ﴿ وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ (١) ، وهل زيدٌ كتبَ ؟ مِنْ كَلِّ تَرْكِيبِ ذِكْرٍ فِيهِ مُفَسِّرٌ مَعَ مَا يَخْتَصُّ بِالْفِعْلِ ، وَلَا يُحذفُ الْفَاعِلُ أَصْلًا ، وَيُحذفَانِ مَعًا ، وَمِنْهُ الْحذفُ مَعَ أَحرفِ الْجوابِ ؛ نحوُ : هل قامَ زيدٌ ؟ فتقولُ : نعم ، أو : لا ؛ أي : قامَ زيدٌ ، أو لم يقم .

ولا يجوزُ تقديمُ الفاعلِ على الفعلِ .

وأما نائبُ الفاعلِ : فيرفعُهُ فعلُ المجهولِ ، واسمُ المفعولِ ، ومنهُ المنسوبُ إذا لاحظتَ معنى المنسوبِ والمعزِّي [والمُنمَى] .

وينوبُ عنِ الفاعلِ : المفعولُ بِهِ ، والمصدرُ الذي لم يلازمِ النصبَ ؛ نحوُ : الليلةَ قُرئتَ قراءةٌ جيدةٌ ، والمصادرُ الملازمةُ للنصبِ ؛ نحوُ : معاذَ اللهِ ، سبحانَ اللهِ .. غيرُ قابلةٍ لذلكِ .

وينوبُ عنه أيضاً : الظروفُ المُتصرِّفةُ ؛ نحوُ : تُصَدِّقَ الليلةَ على غنيٍّ ، تُصَدِّقَ الليلةَ على سارقٍ ، تُصَدِّقَ الليلةَ على بغيٍّ (٢) .

ومثلُ الظرفِ الجارِّ والمجرورِ ؛ نحوُ : بَيْعَ واشتري في المسجدِ ، وقُرئَ في الأسواقِ .

وإذا كانَ الفعلُ ذا مفعولينِ .. فالأفصحُ إنابةٌ أوْلِهِما ، ويجوزُ إنابةُ الثاني معَ وجودِ الأوَّلِ إذا لم يلزمْ لَبْسٌ ؛ نحوُ : كَسَيْتَ جُبَّةً زَيْدًا ، وَلَا يجوزُ : أُعْطِيَ سالمٌ غانمًا ؛ لِأَنَّهُ يَتبادَرُ : أَنَّ سالمًا هُوَ الآخِذُ ، وَغانمًا هُوَ المآخوذُ ، والقصدُ

(١) سورة التوبة : (٦) .

(٢) أصل هذه الأمثلة حديث مرفوع أخرجه البخاري (١٤٢١) ، ومسلم (١٠٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

خلاف ذلك ، فالواجبُ أُعطيَ غانمٌ سالماً ؛ لِيَفْهَمَ سامعُكَ مرادَكَ حَسَبَ
الغرضِ مِنَ الكلامِ .



والى هنا عرفت الأنواعَ المرفوعةَ مِنْ نِوَحِ الاسمِ ؛ وهى ستَّةُ : المبتدأُ ،
والخبرُ ، واسمُ بابِ (كانَ) ، وخبرُ بابِ (إنَّ) ، والفاعلُ ، ونائبُهُ ،
والمنصوباتُ منه عشرةُ أنواعٍ ، مضى منها اثنانِ ؛ هما خبرُ بابِ (كانَ) ،
واسمُ بابِ (إنَّ) ، وبقيةُ ثمانيةٍ ؛ وهى : المفعولُ بِهِ ، والمفعولُ المطلقُ ،
والمفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فِيهِ ، والمفعولُ مَعَهُ ، والمستثنى ، والحالُ ،
والتمييزُ .



الكلامُ على المفعولِ بهِ

المفعولُ بهِ : هو اسمُ الشيءِ الذي تَعَلَّقَ بِهِ الفِعْلُ على وجهِ التأثيرِ فيه .

ويكونُ صريحاً ؛ نحوُ : نقشتُ الخاتمَ ، وكتبتُ الكتابَ ، وبريتُ القلمَ ، ومؤوِّلاً ؛ نحوُ : أودُّ لو تحفظُ العِلْمَ ، ف (لو) موصولٌ حرفيُّ يُؤوِّلُ صلتهُ بمصدرِ هو المفعولُ بهِ ، فالتقديرُ : أودُّ حفظك العِلْمَ ، ونحوُ : أسألكَ أن تَجْتَهِدَ في التعلُّمِ ، تقديرُهُ : أسألكَ الاجتهادَ ، ونحوُ : بلَّغتُ زيدا أنكَ مجتهدٌ ، تقديرُهُ : بلَّغتُ زيدا اجتهادَكَ ، ونحوُ : أشكرُ ما تُكرِّمُ زيدا ؛ تقديرُهُ : أشكرُ إكرامَكَ .

ويكونُ ظاهراً كما مرَّ ، وضميراً مُتصِلاً ؛ وهو النوعُ المُشترِكُ بينَ مواضعِ النصبِ ؛ نحوُ : غلامي أعجبنى^(١) ، ومواضعِ الخفضِ ، ومُنْفَصِلاً ؛ وهو النوعُ المُختصُّ بمواضعِ النصبِ ؛ نحوُ : ﴿إِيَّاكَ تَقْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾^(٢) .
ويكونُ واحداً واثنينِ وثلاثةً كما عرفتُ^(٣) .

المفعولُ الواحدُ يكونُ لكلِّ فعلٍ لا يكفي في حصوله فاعلهُ ، بل يحتاجُ في حصوله لغيرِ فاعلهِ ؛ وهو المُتعدِّي والمُتجاوزُ ، فإن كفى في حصوله شيءٌ واحدٌ معَ الفاعلِ . . فهو المُتعدِّي لواحدٍ ؛ نحوُ : قرأتُ القرآنَ ، وحفظتُ المسائلَ ، وفهمتُ ما نطقتَ بهِ حينَ سمعتهُ .

فإذا كانَ المفعولُ الواحدُ ضميراً . . وجبَ أن يُؤتى بهِ مُتصِلاً بعامليهِ ،

(١) لعل الأنسب : أن يُؤخَّرَ لهذا المثالِ إلى ما بعد قوله : (ومواضعِ الخفضِ) .

(٢) سورة الفاتحة : (٥) .

(٣) انظر (١٧٣/١) .

إِلَّا إِذَا قَدِمْتَهُ عَلَيْهِ ، أَوْ حَصَرْتَ فِيهِ الْفِعْلَ ، أَوْ فَصَلْتَهُ بِ (إِمَّا) ، أَوْ حَذَفْتَ
عَامِلَهُ ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُؤْتَى بِهِ مُنْفَصِلاً فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ .

الْمُتَّصِلُ : أَكْرَمَنِي ، وَأَكْرَمَنَا ، وَأَكْرَمَكَ ، وَأَكْرَمَكَ ، وَأَكْرَمَكُمَا ، وَأَكْرَمَكُمُ ،
وَأَكْرَمَكُنَّ ، وَأَكْرَمَهُ ، وَأَكْرَمَهَا ، وَأَكْرَمَهُمَا ، وَأَكْرَمَهُمْ ، وَأَكْرَمَهُنَّ .

وَالْمُنْفَصِلُ : لِلتَّقْدِيمِ : إِيَّايَ أَكْرَمَ زَيْدٌ ، وَإِيَّانَا ، وَإِيَّاكَ ، وَإِيَّاكَ ، وَإِيَّاكُمَا ،
وَإِيَّاكُمُ ، وَإِيَّاكُنَّ ، وَزَيْدٌ إِيَّاهُ أَكْرِمُ ، وَهَنْدٌ إِيَّاهَا أَكْرِمْتُ ، وَإِيَّاهُمَا ، وَإِيَّاهُمْ ،
وَإِيَّاهُنَّ .

الْمُنْفَصِلُ : لِلْقَصْرِ : زَيْدٌ مَا أَكْرَمَ إِلَّا إِيَّايَ ، وَإِنَّمَا أَكْرَمَ إِيَّايَ . . . وَهَلُمَّ .
الْمُنْفَصِلُ : لِلتَّفْصِيلِ بِ (إِمَّا) نَحْوُ : أَنَا وَزَيْدٌ لَا نَجْتَمِعُ ؛ فَادْعُ إِمَّا إِيَّايَ ،
وَإِمَّا إِيَّاهُ .

الْمُنْفَصِلُ لِحَذْفِ الْعَامِلِ : إِيَّاكَ وَأَفْعَالَ الْأَرَادِلِ ؛ تَحْذِيرًا ، وَنَحْوُ : مَنْ ذَكَرَ
عَمْرًا وَبَخِيرًا ؟ فَتَقُولُ فِي جَوَابِهِ : إِيَّاكَ ، وَالْأَصْلُ : ذَكَرَكَ ، وَالْأَصْلُ فِي سَابِقِهِ :
أَحْذَرُكَ ، فَلَمَّا حُذِفَ الْعَامِلُ . . . لَمْ يَجِدِ الضَّمِيرُ مَا يَتَّصِلُ بِهِ ، فَانْفَصَلَ
ضُرُورَةً .

الْمَفْعُولَانِ اللَّذَانِ يَطْلُبُهُمَا بَابَا (أُعْطِيَ) وَ(ظَنَّ) : وَلِمَفْعُولِي كُلِّ مَنِ
الْبَابَيْنِ مَسَائِلُ تَتَعَلَّقُ بِهِمَا يَتَّعَيْنُ إِيرَادُهَا هُنَا .

مَفْعُولَا بَابِ (أُعْطِيَ)

قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ الْمَفْعُولَيْنِ لِبَابِ (أُعْطِيَ) يُسَمَّى أَحَدُهُمَا : مَفْعُولًا أَوَّلًا ،
وَضَابِطُهُ : أَنْ يَكُونَ لَهُ فَاعِلِيَّةٌ فِي الْمَعْنَى ، وَيُسَمَّى الْآخَرُ : مَفْعُولًا ثَانِيًا ،
وَضَابِطُهُ : أَلَّا يَكُونَ لَهُ فَاعِلِيَّةٌ فِي الْمَعْنَى ، بَلْ لَهُ الْمَفْعُولِيَّةُ الْخَالِصَةُ .

وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَهُ هُنَا : أَنَّهُ يَكْثُرُ حَذْفُهُمَا ، وَيَكُونُ الْفِعْلُ مُنْزَلًا مُنْزَلَةً

الأفعالِ اللَّازِمةِ ؛ حيثُ يكونُ الغرضُ الإخبارَ بنفسِ الفعلِ ؛ كقولِكَ : اللهُ هوَ الذي يُعطي ويمنعُ .

كما يكثرُ حذفُ المفعولِ الواحدِ ، ويكونُ فعلُهُ كذلكَ ؛ نحوُ : هوَ الذي يُحيي ويُميتُ ، ويضحكُ ويُبكي ، ويُغني ويُفقِرُ ؛ فهذه الأفعالُ مُنزَلةٌ مُنزَلةُ الأفعالِ اللَّازِمةِ ؛ إذ الغرضُ الإخبارُ بحصولِها أنفِسيها ، وذلكَ مفيدٌ كما رأيتَ .

ويجوزُ حذفُ أحدهما مِنْ غيرِ دلالةٍ عليه ، فيكونُ الفعلُ مُنزَلاً مُنزَلاً المُتعدِّي لواحدٍ ؛ حيثُ لا يتعلَّقُ الغرضُ بذكرِ المحذوفِ ؛ كقولِكَ : أعطى زيدٌ عمراً ؛ حيثُ لا يُقصدُ الإخبارُ بالشيءِ الذي أعطاهُ ، وكقولِكَ : أعطى زيدٌ دراهمَ ودنانيرَ ؛ حيثُ لا تقصدُ الإخبارُ بالأشخاصِ الذينَ أعطاهمُ ، ويُسمَّى هذا الحذفُ : الحذفَ اختصاراً .

وأما حذفُ أيِّ لفظٍ مِنَ الكلامِ اعتماداً على دليلٍ يدلُّ عليه ، فيكونُ المحذوفُ ملحوظاً ، غايةَ الأمرِ : أنَّكَ استغنيتَ عن ذكرِهِ بسببِ كونهِ مفهوماً مِنَ الدليلِ الذي يدلُّ عليه . . فإنَّهُ يُسمَّى : الحذفَ اختصاراً ، وهوَ جائزٌ في المفاعيلِ وغيرها .

وإذا كانَ المفعولانِ ضميرينِ ؛ فإنَ كانا مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كقولِكَ لعبيدِكَ : مَلَكْتُكَ إِيَّاكَ ، فيقولُ العبدُ : سيدي مَلَكَنِي إِيَّاي ، فتُخبرُ أنتَ عن ذلكَ فتقولُ : عبيدي مَلَكْتُهُ إِيَّاهُ . . وجبَ فصلُ الثاني ، فلا يصحُّ : مَلَكْتُكَ ، ولا مَلَكْنِي^(١) ، ولا مَلَكْتُهُوهُ ؛ للقبحِ الظاهرِ في غيرِ ضميرِ الغيبةِ ، وفيهما يَخِفُ الوصلُ خِفَةً ما ، سيِّما عندَ اختلافِهما تذكيراً وتأنيساً ، وإفراداً وتثنيةً

(١) إذا أصله : (مَلَكْنِي) الياءُ الأولى وهي ياءُ المتكلمِ المفعولِ الأولِ ، والياءُ الثانيةُ المفعولِ الثاني ؛ فأدغمتِ الأولى بالثانية .

وجمعاً ، فالأفصحُ فيهما الفصلُ ، وجاءَ الوصلُ ؛ قال ^(١) : [من الطويل]
 وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبٌ لِضَغْمَةٍ لِضَغْمِهِمَاهَا يَقْرَعُ الْعَظْمَ نَادِمَةٌ
 وإن لم يكونا من جنسٍ واحدٍ .. جازَ لك في الذي تجعلهُ ثانياً في اللَّفْظِ
 أن تأتي به مُنفصلاً ، وأن تأتي به مُتصلاً ؛ نحوُ : ﴿ أَلْزِمُكُمْوهَا ﴾ ^(٢) ، لكن
 لا يجوزُ أن تأتي به متصلاً إلا إذا كان سابقهُ أخصَّ منه .

والمرادُ بالأخصِّ مِنَ الضَّمائِرِ : الأعرْفُ والأبعدُ عن الاحتمالِ والاشتباهِ ؛
 فالأخصُّ : ضميرُ المُتكلِّمِ ؛ إذ لا شبهةَ فيمنَ يقولُ : (أنا) أَنَّهُ يَقْصِدُ
 شخصَهُ ، وأنزلُ منه : ضميرُ المُخاطَبِ ؛ إذ لو كانَ بينَ يديكَ اثنانِ وخاطبتِ
 أحدهما بـ (أنت) .. حصلَ اشتباهُ في مرادِكَ منهما ، ولذلكَ تَحْتَاجُ في رفعِهِ
 إلى التوجُّهِ إليه والإشارةَ حَسَبَ ما يُحْتَاجُ لتعيينِهِ .

فأنزلُ الضَّمائِرِ : ضميرُ الغَيْبَةِ ؛ لأنَّكَ تَعْتَمِدُ في تعيينِ المرادِ به مَرَجِعَهُ ،
 وربما خَفِيَ المَرَجِعُ بسببِ كونهِ التزامياً ، أو تضمينياً ، أو مُختلِطاً بأشياءَ
 تصلُحُ أن تكونَ مَرَجِعاً ، حتى إنَّه قد يُوجِبُ السؤالَ .

فالمَرَجِعُ الالتزاميُّ : كقولِهِ تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ^(٣) .

وكقولِ لبيدٍ ^(٤) : [من الكامل]

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا
 والتضمينُ : كقولِهِ تعالى : ﴿ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ ^(٥) ، وتقولُ : زيدُ

(١) هو مغلَس بن لقيط ، كما في « خزانة الأدب » (٣٠٣/٥) ، والرواية فيها وفي « الكتاب » (٣٦٥/٢) :
 (نأبها) بدل (نادمه) .

(٢) سورة هود : (٢٨) .

(٣) سورة ص : (٣٢) .

(٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٣١٦) .

(٥) سورة المائدة : (٨) .

خزَنَ مَالاً ، وصرفَ مَالاً ، ولو كَانَ صرفَهُ في وجوهٍ بَرٍّ . . لكَانَ لَهُ خَيْراً .

فتقولُ : الدرهمُ أعطيتُكَه ، وأعطيتُكَ إيَّاهُ ؛ مُخَيِّراً ، فإذا قلتَ : الدرهمُ أعطيتُهُ . . وجبَ الفصلُ ؛ فتقولُ : إيَّاكَ ، والمعروفُ سألتُهُ إيَّاكَ ، والجَبَّةُ كسوتُهَا إيَّاكَ ، فمتى قَدَمْتَ الأخصَّ . . جازَ لَكَ في المُؤخَّرِ الفصلُ والوصلُ ، ومتى أخَّرتَهُ . . وجبَ فصلُهُ .

كما أَنَّهُ يجوزُ الفصلُ في خبرِ (كَانَ) وأخواتِهَا إذا وقعَ ضميراً ، وكانَ الاسمُ ضميراً ؛ كقولِكَ : الصديقُ الحَصِيصُ كَننتُهُ ، وكنتَ إيَّاهُ ، والعدُوُّ البغيضُ زيدٌ كَانَهُ ، وكانَ إيَّاهُ .

[مفعولا بابِ (ظَنَّ)]

وكمفعولي (أعطى) إذا كانا ضميرين . . مفعولا (ظَنَّ) وأخواتِهَا ، ولمفعولي (ظَنَّ) وأخواتِهَا مسائلُ تَعَلَّقُ بِهَا :

الأولى : مفعولا (بابِ ظَنَّ) أصلُهُما المبتدأ والخبرُ كما سبقَ ^(١) ، وجميعُ صورِ المبتدأ والخبرِ والمبتدأ ذي المرفوعِ ومرفوعِهِ . . تقعُ بعدَ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي هي (ظَنَّ) وأخواتِهَا ؛ فتقولُ : ظننتُ زيداً قائماً ، وظننتُهُ قائمٌ ، وظننتُهُ يقومُ ، وظننتُهُ أبوهُ قائمٌ ، وظننتُهُ في الدارِ ، وظننتُهُ عندَكَ ، وظننتُهُ الأمرُ غيرُ هَيِّنٍ على زيدٍ .

لكنَّ الضَّمائرَ المُنفصلةَ المرفوعةَ تصيرُ ضمائرَ مُتصلةَ منصوبةً ؛ لأنَّكَ تجعلُ المبتدأ والخبرَ مفعولينِ لهذِهِ الأفعالِ ، ونحوُ : أظنُّ زيداً إن تُكرِمهُ . . يُكرِمُكَ ، وأظنُّ ما مستقيمُ الزيدانِ ، وعلمتُ أراضٍ أخواكَ .

وحيثُ كانَ مَفادُ هذا التركيبِ أَنَّ ظَنَّنَكَ أو علمَكَ تَعَلَّقَ بوقوعِ نسبةِ أمرٍ

(١) انظر (١/١٧٦) .

لأمرٍ في زمنٍ ما . . لم يمكن جعل الجملة التي يكون خبرها طلباً مُتعلّقاً للظنِّ أو العِلْمِ إلا على التأويلِ .

مثلاً : إذا قلتَ : زيدٌ ، وسكتَ . . قالَ سامعُك : ما له ؟ فإذا قلتَ : اضربه ، أو : لا تُهِنه ، أو : هل رضيَ أبوه عنه . . حصلتِ الإفادَةُ ، وانقطعَ تشوُّفُ السامعِ دونَ تأويلِ وإعمالِ فكرٍ ، بخلافِ ما إذا قلتَ : ظننتُ زيداً ؛ فإنَّ سامعَكَ يقولُ : ظننتَهُ ماذا ؟ فإذا قلتَ : أكرمه . . رجَعَ السامعُ بفكرِهِ إلى التركيبِ ، واستبانَ أنَّ مُرادَكَ بقولِكَ : ظننتُ زيداً أكرمه . . ظننتُ زيداً بسببِ كونه مستقيمِ الأحوالِ حسنِ السيرةِ طيِّبِ السريرةِ ؛ مُستحقّاً لأن تأمرَ بإكرامِهِ ، فحاصلهُ : أنَّ معنى كلامِكَ : ظننتُ زيداً خيراً ، ثمَّ تبينتَ خلافَ ذلكِ .



الثانيةُ : هذه الأفعالُ تتعلَّقُ في الحقيقةِ بنسبةِ الخبرِ للمبتدأ ؛ لأنَّكَ تفيدُ أنَّ أمراً مضموناً لكِ ، وأنَّ أمراً معلوماً لكِ ، فإذا قلتَ : علمتُ زيداً قائماً . . فليسَ غرضُكَ أن تفيدَ كونَ شخصِ زيدٍ معلوماً لكِ ، ولا أنَّ معنى القائمِ - وهو شيءٌ منسوبٌ له القيامُ - معلومٌ لكِ ، ولكنَّ تريدُ أن تفيدَ أنَّ ثبوتِ القائمِ لزيدٍ أمرٌ معلومٌ لكِ ، فالموصوفُ بالمعلوميةِ هو ثبوتُ الخبرِ للمبتدأ أو انتفاؤه عنه ، فهو المفعولُ في الحقيقةِ ، لكنَّ لما لم يمكن إبرازَ النسبةِ إلا بالتركيبِ . . أُوردَ التركيبُ ، وجُعِلَ النصبُ الذي هو علامةُ المفعوليةِ على المبتدأ والخبرِ اللَّذَيْنِ هما الطَّرَفَانِ للنسبةِ ؛ إذ النسبةُ هي الارتباطُ بينَ الشَّيْئَيْنِ على وجهِ ثبوتِ الثاني للأوَّلِ أو انتفائه عنه .



الثالثةُ : إذا قدَّمتَ الجزأينِ على الأفعالِ ، أو وسَّطتَ الأفعالَ بينهما . . جازَ لكِ أن تنصِبَهُما مفعولينِ ، وأن ترفعَهُما مبتدأً وخبراً ؛ فتقولُ : زيداً

أظنُّ قائماً ، أو زيدٌ أظنُّ قائمٌ ، وزيداً قائماً أظنُّ ، أو زيدٌ قائمٌ أظنُّ ، وتُسمَّى الأفعالُ عندَ الرفعِ : مُلغاةً .

الرابعةُ : إذا كانتَ جملةُ المبتدأ والخبرِ مُصدَّرةً بـ (ما) النافية ، أو بـ (إن) النافية ، أو بـ (لا) النافية ، أو مُصدَّرةً بقَسَمٍ ، أو مُصدَّرةً باستفهامٍ ، أو مُشتملةً على لامِ الابتداءِ مُصدَّرةً فيها ، أو مُزحلقةً لوجودِ (إن) في صدرِ الجملةِ . . وجبَ رفعُ الجزأينِ مبتدأً وخبراً ، ويُقالُ : إنَّ الجملةَ في محلِّ نصبٍ مُشتملةً على مفعوليَّ (ظنُّ) مثلاً ؛ كما إذا كانتَ الجملةُ شرطيةً ، وحينئذٍ تُسمَّى الأفعالُ : مُعلَّقةً عنِ العملِ ؛ حيثُ لم يكنْ لها تسلُّطٌ على لفظٍ ما بعدها بالنصبِ ؛ نحوُ : علمتُ ما زيدٌ قائمٌ ، وأظنُّ لا زيدٌ قائمٌ ولا عمرو ، وأرى إنَّ الأيامَ إلَّا مُخلفةً ما وعدتُ ، وعلمتُ واللهُ لزيدٌ قائمٌ ، وعلمتُ أ عندك زيدٌ أم عمرو ، وعلمتُ هل زيدٌ في الدارِ ، وتظنُّ أيَّ الرجلينِ أفضلُ ؟ وأنا ظانٌّ أو عالمٌ لزيدٌ قائمٌ ، واعلم إنَّ زيداً لقائمٌ .

فإذا وقعتِ (إن) بعدَ عِلْمٍ ولا لامَ معها . . وجبَ فتحها ، وحينئذٍ يُقالُ : (أن) وصلتها في تأويلِ مفرِدٍ مصدرٍ سادٍّ مَسَدَّ مفعوليَّ نحوِ : علمتُ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، والتقديرُ : علمتُ قدرةَ الله على كلِّ شيءٍ ، ونحوِ : علمتُ إنَّ يقيمُ زيدٌ . . يقيمُ عمرو ، وتعلَّمُ مهما يُريدُ الله . . يكنُ .

فلا يكونُ المفعولُ جملةً إلَّا في (بابِ ظنُّ) وقد عرفتُ أنَّ المفعولَ في الحقيقةِ هو النسبةُ ، فجعلُ الجملةَ مفعولاً . . مشيئاً مع الظاهرِ .

المسألةُ الخامسةُ : يندُرُ حذفُ المفعولينِ أو أحدهما في هذا البابِ

اقتصاراً ؛ لعدم الفائدة في الإخبار بأنَّ عندك ظناً أو علماً غالباً ، فإذا قلت :
أظنُّ أو أعلمُ ؛ تفيدُ أنَّ عندك ظناً أو علماً . . لم يكن مسموعاً منك ، بخلاف :
زيدٌ يعطي ويتفضَّلُ ؛ فإنَّ له فائدةً ظاهرةً .

وَمِنَ النَّادِرِ : قَوْلُهُمْ : مَنْ يَسْمَعُ . . يَخْلُ ، وَهُوَ مَفِيدٌ ، وَتَقُولُ مِثْلًا : خُلِقَ
الإنسانُ يَعْلَمُ وَيُظَنُّ وَيَتَخَيَّلُ وَيَشْكُ وَيَتَوَهَّمُ ، فَكَيْفَ تُكَلِّفُنِي تَرْكَ مَا هُوَ
خَاصَّةٌ نَوْعِي ؟! فَيَكُونُ مَفِيداً كَذَلِكَ .

وقد عرفت أنَّ الاعتمادَ في جميع الكلام على حصول الفائدة التي لم
تكن عند المخاطبِ ، وإلا . . كان لغواً .

تكملة

[في أنَّ القولَ قد يتعلَّقُ باللفظِ]

القولُ يتعلَّقُ باللفظِ ، فيكونُ مفعولُهُ اللفظُ المحكيَّ بعده مُفاداً أنَّه
المنطوقُ به ؛ فتقولُ : قلتُ كلمةً ؛ أي : هذا اللفظُ ، أو لفظاً آخرَ عَبَّرتَ عنه
بالكلمةِ ؛ كزيدٍ أو عمرو ، وقلتُ زيدا ؛ أي : هذا اللفظُ ، وقلتُ : زيدٌ قائمٌ ،
وهكذا ، فالمفعولُ به للقولِ وما تصرَّفَ منه : هو الألفاظُ .

والمفعولُ به لبابِ (ظنَّ) : هو النسبةُ ، والمفعولُ به لبقيةِ الأفعالِ : هو
الأشياءُ التي تعلَّقتْ بها الأفعالُ على وجهِ التأثيرِ فيها .

وحيثُ عرفتَ أنَّ معنى الفعلِ منسوبٌ يلحظُ أولاً ، ونسبةٌ تلحظُ ثانياً ،
ومنسوبٌ إليه يلحظُ ثالثاً ، وكانتْ نسبةُ الفعلِ إلى فاعلهِ سابقةً في التعقُّلِ
عن نسبتهِ إلى مفعولهِ ، ونسبتهِ إلى مفعولهِ الأوَّلِ كذلك . . فالمناسبُ أن
يكونَ اللفظُ على هذا الترتيبِ ؛ تقولُ : كتبَ زيدٌ كتاباً ، وأعطى بكرٌ أباهُ
داراً ، ولكن تارةً يقتضي الحالُ خلافَ ذلك .

أَمَّا الْفَاعِلُ : فَلَا يَتَقَدَّمُ عَلَى الْفِعْلِ أَصْلًا ، وَأَمَّا غَيْرُهُ ؛ فَإِنْ كَانَ كَلِمَةً لَهَا صَدْرُ الْكَلَامِ . . وَجِبَ تَقْدِيمُهُ ؛ نَحْوُ : مَا تَكْتُبُ ؟ وَمَنْ تُخَاطِبُ ؟ وَمَنْ تُكْرِمُ . . أَكْرِمَ ، وَمَنْ تُهِنُ إِنْ زِيدًا وَإِنْ غَيْرَهُ . . أَهِنُ .

وَإِنْ كَانَ الْفَاعِلُ ضَمِيرًا ، أَوْ كَانَ هُوَ وَالْمَفْعُولُ غَيْرَ ظَاهِرِي الْإِعْرَابِ ، أَوْ كَانَ الْمَفْعُولُ مَقْصُورًا عَلَيْهِ فَعَلُ الْفَاعِلِ . . وَجِبَ تَأْخِيرُ الْمَفْعُولِ عَنِ الْفَاعِلِ ؛ نَحْوُ : أَكْرَمْتُ زَائِرًا ؛ لِأَنَّ تَقْدِيمَهُ عَلَيْهِ يُوجِبُ فَصْلَهُ مَعَ إِمْكَانِ وَصْلِهِ ، وَهُوَ مَمْتَنَعٌ ، وَمِنْهُ تَفْهَمُ أَنَّ الْغَرَضَ عَدَمُ تَقْدِيمِهِ عَلَى الْفَاعِلِ فَقَطْ ، وَالْفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِعْلِ ، فَيَتَقَدَّمُ عَلَى الْفِعْلِ حَيْثُ لَا مَانِعَ .

وَنَحْوُ : أَسَاءَ ذَلِكَ هَذَا ، وَأَكْرَمَ عَيْسَى مُوسَى ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَمَيَّزُ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ إِلَّا بِالْمَوْضِعِ ؛ لِصَلَاحِيَةِ كُلِّ لَأَن يَكُونُ فَاعِلًا ، وَلَأَن يَكُونُ مَفْعُولًا ، وَلَا ظَهْوَرَ لِلْإِعْرَابِ .

فَلَوْ تَعَيَّنَ كُلٌّ لِكُلِّ بغيرِ الْمَوْضِعِ . . لَمْ يَلْزَمَ ذَلِكَ ؛ نَحْوُ : أَكَلَ الْكُمَثْرِيُّ هَذَا الْفَتَى ، وَسَبَقَ عَيْسَى مُوسَى بِأَلْفِ سَنَةٍ ، وَنَحْوُ : إِنَّمَا قَصَدَ زَيْدٌ دَارَكَ ؛ أَي : قَصَدَ دَارَكَ وَلَمْ يَقْصِدْ دَارَ غَيْرِكَ .

وَأَجَازَ النُّحُوِيُونَ هُنَا أَنَّ يَتَقَدَّمُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ بـ (إِلَّا) مَعَهَا ؛ نَحْوُ : مَا قَصَدَ إِلَّا دَارَكَ زَيْدٌ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ بـ (إِنَّمَا) إِلَّا بِالْمَوْضِعِ ، بِخِلَافِ الْمَقْصُورِ عَلَيْهِ بـ (مَا) وَ(إِلَّا) .

وَإِذَا كَانَ الْمَفْعُولُ ضَمِيرًا ، أَوْ كَانَ الْفَاعِلُ مَقْصُورًا عَلَيْهِ بـ (إِنَّمَا) ، أَوْ كَانَ مَعَ الْفَاعِلِ ضَمِيرٌ مَرْجِعُهُ الْمَفْعُولُ . . وَجِبَ تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ عَلَى الْفَاعِلِ ؛ نَحْوُ : أَكْرَمَنِي زَيْدٌ ، وَإِنَّمَا أَهَانَ عَمْرًا زَيْدٌ ، وَزَانَ الشَّجَرَ نَوْرُهُ .

وَاجْعَلِ الْمَفْعُولَ الْأَوَّلَ فَاعِلًا ، وَأَعْمَلْ فِكْرَكَ فِي قِيَاسِهِمَا عَلَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ ؛ لِتَسْتَخْرِجَ أَحْكَامَهُمَا ؛ نَحْوُ : أَعْطَيْتَكَ عَبْدًا ، وَأَعْطَى زَيْدٌ

سالمًا غانمًا ، وإنَّما كسا زيدٌ عمراً جُبَّةً ، وإنَّما كسا بكرٌ جُبَّةً خالدًا ،
وهكذا .

وقد سمعتَ غيرَ مرَّةٍ : أنَّ كلَّ لفظٍ يُفهمُ معناه دونَ ذكرِهِ لدلالةِ قرينتهِ
لفظيةِ أو حاليةِ عليه .. جازَ لك حذفُهُ ؛ كما قالَ (١) :
[من الرجز]
وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ ...

وسمعتَ أيضاً : أنَّ بعضَ الألفاظِ يجبُ حذفُهُ ، وبعضُها يجبُ ذكرُهُ ،
فيجبُ ذكرُ المفعولِ بهِ كغيرِهِ إذا كانَ جواباً ، أو مقصوراً عليه ، أو مُتَعَجِّباً
مِنَ صفتِهِ ، ما لم يكنِ في معطوفٍ ؛ كقولِكَ : أكتبُ جواباً ، لَمَنْ يَسأَلُكَ :
ماذا تكتبُ ؟ ولا أقصدُ إلاَّ إبانةَ الحقِّ ، وما أحسنَ زيداُ وأجملَ !!

[مواضع وجوبِ حذفِ ناصبِ المفعولِ بهِ]

ويجبُ حذفُ ناصبِ المفعولِ بهِ في خمسةِ مواضعٍ بإنابةِ شيءٍ عنه
وبدونها :

الموضعُ الأوَّلُ : تراكيبٌ معدودةٌ مسموعةٌ ، وهي الأمثالُ وما جرى
مَجراها ؛ مِنْ ذَلِكَ قولُهُ تعالى : ﴿ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ (٢) ؛ أي : انتهوا عنِ
التثليثِ وأتوا خيراً ، ومثلهُ قولُهُم : حَسْبُكَ خيراً [لك] وقولُ أبي الأسودِ :
وراءَكَ أوسعَ لك ، والقرينةُ : ذكرُ ما يُؤمَّرُ بهِ لملائمتهِ وموافقتهِ عقبَ النهيِ
عن غيرِهِ .

ومنها قولُهُم : امرأٌ ونفسُهُ ؛ أي : دعِ امرأً ونفسَهُ أو معَ نفسِهِ ؛ نهياً عنِ

(١) هو ابن مالك في « ألفيته » ، كما في « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢٤٣/١) ، والبيت بتمامه :

وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا تَقُولُ زَيْدٌ بَعْدَ مَنْ عِنْدَكُمَا

(٢) سورة النساء : (١٧١) .

التعريض بالنصيحة لغير قابلٍ وربّما استعقبت شراً ، وفي الحديث : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا .. فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ .. فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ .. فَبِقَلْبِهِ » (١) .

ولبعض الشعراء (٢) :

لَا تَرْجِعُ الْأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرُ
وَلَا خَرَّ : [من المتقارب]

إِذَا مَا هَدَيْتَ أَمْرًا مُخْطِئًا أَضَلَّ السَّبِيلَ إِلَى قَضِيهِ
وَلَمْ تَرَهُ سَامِعًا قَابِلًا فَحَسِنَ لَهُ الْمَشْيَ فِي ضِدِّهِ
أَي : إِنْ اضْطُرِرْتَ لذلِكَ ، وَمَنْ جَرَّبَ .. عَرَفَ ، ولأبي الطيّب (٣) : [من الخفيف]

إِنَّمَا تُنَجِّحُ الْمَقَالَءُ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَقَتْ هَوَى فِي الْفَوَادِ
ومنها قولهم : أهلاً وسهلاً ومرحباً ؛ أي : لقيت أهلاً لا أجانب ، وصادفت مكاناً سهلاً ، وحللت موضع رحب ؛ أي : سعة ، [مِنْ] رَحْبَتْ دَارُكَ ؛ أي : كانت رَحْبَةً ، بسكون الحاء ؛ وصف المؤنث مِنْ رَحْبٍ ؛ فهو رَحْبٌ ؛ مِنْ البابِ الخامسِ .

ومنها قولهم : هذا ولا زعماتِكَ ؛ تقوله إذا رميت مخاطبتك بحكاية الأكاذيب عند سماعكم خبراً عليه سيما الصدق ؛ أي : هذا أقبِلْ وأصدقْ وأزعمْ ولا أسمعْ زعماتِكَ ولا أقبِلْها ولا أعتبرْها ، وَقَدِّرْ ما يناسبُ الحالِ .
ومنها قولهم : عذيرك مِنْ فلانٍ ، وعذيري منه ؛ تقوله لِمَنْ أساء شخصاً

(١) أخرجه مسلم (٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) انظر « المستطرف » (٣/٣٥٤) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥٠) .

يظهرُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الإِسَاءَةَ عِتَاباً ، أَوْ يَسْتَحِقُّ ثَنَاءً ؛ أَي : اذْكَرْ عَذْرَكَ أَوْ عَاذْرَكَ ؛ أَي : الحَالِ الَّتِي بِهَا تَعْذُرُ ، أَوْ أَعْلَمُ أَنَا عَذْرَكَ ، أَوْ الحَالِ الَّتِي بِهَا تَعْذُرُ .

ومنها قولُهُم : الكلابُ على البقرِ ؛ أصلُهُ في الصَّيْدِ ، وهوَ موردُ المثلِ ، وتَقَوْلُهُ لِإِرْشَادِ صَاحِبِكَ إِلَى مِتَارِكَةِ النَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ .

ومنها قولُ العَرَبِيِّ لِغَيْرِهِ : أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ ؛ أَي : ائْتِ أَهْلَكَ مَعَ اللَّيْلِ ، أَوْ ائْتِ أَهْلَكَ نَهَاراً وَاسْبِقِ اللَّيْلَ ؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ تَنْتَشِرُ فِيهِ السَّبَاعُ وَالْحَشْرَاتُ وَاللِّصُوصُ .

ومنها قولُهُم : عَمَّرَكَ اللهُ ، بِنَصْبِ الكَلِمَتَيْنِ ؛ أَي : سَأَلْتُ اللهُ تَعْمِيرَكَ وَمَدَّ أَيَامِكَ ، بِحَذْفِ زِيَادَتِي المَصْدَرِ .

وهذا أُنْمُوذَجٌ يُنْبِئُكَ عَلَى التَّقَادِيرِ المُنَاسِبَةِ فِيمَا يَرِدُ عَلَيْكَ مِنَ الأَمْثَالِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا ؛ فَإِنَّكَ مُطَالِبٌ بِمَا فِيهِ زِيَادَةٌ مَنفَعَتِكَ ؛ مِنَ الإِطْلَاعِ عَلَى أَمْثَالِ العَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ؛ حَيْثُ كَانَتِ الأَمْثَالُ أَحْرَارَ الكَلَامِ ، وَمُسْتَقَرَّةَ البَلَاغَةِ ، وَيُنَابِغِ الحِجْمِ ، مِنْهَا تَسْتَفِيدُ ، وَبِهَا تَتَأَدَّبُ ، وَعَلَيْهَا تَعْتَمِدُ .

المَوْضِعُ الثَّانِي : تَرَكَيبُ النِّدَاءِ ، بَضْمٍ أَوَّلِهِ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ صَوْتِي ، وَبِكُسْرِهِ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مَفَاعِلَةٌ ؛ فَالْمَنَادِيُّ مَفْعُولٌ بِهِ لَا يُذَكَّرُ نَاصِبُهُ مَعَ إِقَامَةِ أَحْرَفِ النِّدَاءِ مُقَامَهُ .

غَيْرَ أَنَّ لَهُ أَحْوَالاً بِحَسَبِهَا تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهُ :

الحَالَةُ الأُولَى : أَنْ يَكُونَ مَفْرُداً ، مَعْرِفَةً - إِفْرَادُهُ وَتَعَرُّفُهُ اللَّذِينَ عَرَفْتَهُمَا - مَنَادِيٌّ مَطْلُوبِ الإِقْبَالِ فَقَطْ .

وحكمه في هذه الحالة : البناء على ما يُرْفَعُ بِهِ لو كان مُعْرَباً ؛ فيبنى على الضَّمِّ الظاهرِ في نحوِ : يا زيدُ ، ويا رجلُ ، والمُقَدَّرِ في نحوِ : يا هذا ، ويا أنتَ ، ويا إِيَّاكَ على لغةٍ مَنْ قَالَ : يا إِيَّاكَ قد كَفَيْتُكَ ، ويا سيبويه ، ويا فتى ، ويا قاضي ؛ لامتناعِ ظهورِهِ أو ثقلِهِ ، وعلى الألفِ في المُثَنَّى ، وعلى الواوِ في جمعِ المُذَكَّرِ السالمِ ، وهو في موضعِ نصبٍ ؛ لكونِهِ مفعولاً بهِ لفعلٍ ملتزمِ الحذفِ ، تقديرُهُ : (دعوتُ) بلفظِ الماضي ؛ لأنَّهُ صارَ إنشَاءً ، والمعهودُ نقلُهُ إلى الإنشاءِ هو الماضي ؛ كبعثُ واشتريتُ .

نعم ؛ إذا كانَ المنادى عَلَمًا ، موصوفاً بابنٍ أو ابنةٍ ، مُتَّصِلِينَ بِهِ ، مضافينِ لَعَلَمِ أَبِيهِ أو أُمِّهِ . . جازَ لكَ ضمُّ المنادى ، وفتحهُ ؛ وهو المختارُ للتخفيفِ ، ولهذه العِلَّةُ يُحذفُ تنوينُهُ وأَلِفُ (ابنِ) و(ابنةِ) مِنَ الحَطِّ إن لم تكنِ أوَّلَ سطرٍ .

وقولُهُ^(١) :

[من الرجز]

جَارِيَةٌ مِنْ قَيْسِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ

شاذٌ .

وإذا كانَ مكرَّراً ، والثاني مضافٌ ؛ كقولِ الشاعرِ^(٢) :

[من البسيط]

يَا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُلْفِيَنَّكُمْ فِي سَوْءَةِ عُمَرُ

وقولِ الآخرِ^(٣) :

[من الرجز]

يَا زَيْدُ زَيْدَ أَلْيَعْمَلَاتِ أَلذُبَّلِ

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيَّكَ فَأَنْزِلِ

(١) انظر « خزنة الأدب » (٢٣٦/٢) .

(٢) انظر « خزنة الأدب » (٢٩٨/٢) .

(٣) انظر « خزنة الأدب » (٣٠٣/٢) .

جَازَ لَكَ ضَمُّهُ لِكَوْنِهِ مِنَ الْمُنَادَى ذِي الْحَالَةِ الَّتِي نَحْنُ فِي إِبَانَةِ
حُكْمِ صَاحِبِهَا ، وَجَازَ لَكَ نَصْبُهُ إِغْضَاءً عَنِ الثَّانِي ، وَكَأَنَّهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ ،
فِي كَوْنِ الْمُنَادَى حِينَئِذٍ لَيْسَ مِنَ الْمُنَادَى ذِي الْحَالَةِ الَّتِي نَحْنُ فِي
إِبَانَةِ حُكْمِهَا ، وَعَلَيْهِ تَقُولُ : يَا غَلَامَانَ غَلَامِي صَاحِبِي ، أَوْ يَا غَلَامِي
غَلَامِي صَاحِبِي ، وَيَا زَيْدُونَ زَيْدِي [اليعملات] ، وَيَا زَيْدِي زَيْدِي
اليعملات .

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنَادِيَ بِالِاسْمِ الْمُفْتَتِحِ بِـ (أَل) : وَجِبَ أَنْ تَفْصِلَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ حَرْفِ النِّدَاءِ بِكَلِمَتِي (أَيُّهَا) فِي الْمَذْكَرِ وَ (أَيُّهَا) فِي الْمُنْثَّثِ ؛ فَكَلِمَةُ
(أَيُّ) اسْمٌ مُبْهَمٌ بِمَعْنَى شَيْءٍ فَسَرَ بِالْمُنَادَى ، فَالْمُفْتَتِحُ بِـ (أَل) هُوَ الْمُنَادَى
فِي الْحَقِيقَةِ ، لَكِنَّ الصَّنَاعَةَ تُلْزِمُكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ كَلِمَةَ (أَيُّ) هِيَ الْمُنَادَى
الْمَبْنِيُّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ ، وَهَا : حَرْفُ تَنْبِيهِ ، وَمَا بَعْدَهَا صِفَةٌ
لَيْسَ لَهَا حُكْمٌ تَابِعِ الْمُنَادَى الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْكَ تَفْصِيلُ أَحْكَامِهِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى
التَّوَابِعِ .

وَمِثْلُ (أَيُّ) فِي هَذَا اسْمُ الْإِشَارَةِ ، وَرَبَّمَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا ؛ نَحْوُ : ﴿ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ ﴾ ^(١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي ﴾ ^(٣) ،
يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، يَا أَيُّهَا الْمَرْأَةُ ، وَلِبَعْضِهِمْ ^(٤) : [من السريع]

أَيُّهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ أَذْهَبِي فَحُبُّهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
مُفَضَّضُ الثَّغْرِ لَهُ نُقْطَةٌ مَسْكِيَّةٌ فِي خَدِّهِ الْمَذْهَبِ
أَيُّسَنِي التَّوْبَةُ فِي حُبِّهِ طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرِبِ

(١) سورة الانفطار : (٦) .

(٢) سورة الفجر : (٢٧) .

(٣) سورة الحجر : (٦) .

(٤) هو ابن طلحة الصقلي ، كما في « وفيات الأعيان » (٢٩١ / ١) .

وأجازت ضرورة الشعر أن يجمع الشاعر بين (يا) و(أل)، فلا يجوز في الكلام إلا إذا كان المنادى جملة جعلت علماً؛ نحو: يا المنطلق زيد، وإلا إذا كان لفظ الجلالة؛ فتقول: يا الله، بقطع الهمزة على الأفتح، والأحسن: اللهم، بتعويض الشديدة عن (يا)، ولمكان التعويض شدة جمعهما في الشعر؛ كقوله^(١):

إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثَ أَلْمَا أَقُولُ يَا [أَلَّهُمَّ] يَا [أَلَّهُمَا]
ولضرورة الشعر يُنَوَّنُ هذا المنادى، وهو باقٍ على ضمِّ بنائه في أصحِّ القولين.

الحالة الثانية: ألا يكون المنادى مطلوب الإقبال فقط، بل يكون مع طلب إقباله مُستغاثاً مطلوباً أن يكون غوثاً مُنقِذاً من شدة، ويُذكر بعده صاحب الشدة، وتارة يكون هو المستغيث، وتارة يكون غيره، أو يُذكر بعده نفس الشدة، وحينئذ يُسمى المنادى: مُستغاثاً، وصاحب الشدة: مُستغاثاً لأجله، والشدة: مُستغاثاً منه.

وحكمه حينئذ: أن يُخفَضَ بلام مفتوحة؛ لأنَّ المنادى واقع موقع كاف الخطابِ الضمير، ومع الضمائر تُفتح اللام؛ وهي لام الاختصاص، مُتعلِّقة بالفعل المُقدَّر وإن كان مُتعدياً؛ لضعفه بالحذف، ويُخفَضُ المُستغاث لأجله بلام مكسورة كما يُخفَضُ بها المعطوف، إلا إذا كَثُرَتْ (يا) لكونه مُستغاثاً مُستقلاً، فتفتح معه اللام وتخفَضُ المُستغاث منه بـ (من) نحو: يا لزيد لعمرو، ويا ل بكر لي، ويا لهشام ولخالد، ويا لهشام ويا لخالد، ويا لخالد من جور الأحكام.

(١) انظر «خزانة الأدب» (٢٩٥/٢).

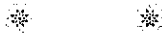
وَلَكَّ أَنْ تَحْدِفَ لَامَ الْمُسْتَعَاثِ وَتُعَوِّضَ مِنْهَا بَعْدَ آخِرِهِ أَلِفًا ؛ نَحْوُ : يَا زَيْدًا لِعَمْرٍو .

ومثلُ المُستعَاثِ : المُهدِّدُ والمُتَعَجِّبُ مِنْهُ فِي كَيْفِهِ أَوْ كَمِّهِ ؛ نَحْوُ^(١) :

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُؤْلِيَا يَا لَبَكْرٍ أَيِّنَ أَيِّنَ الْفِرَارِ
فِي التَّهْدِيدِ .

وكقولِ العَرَبِيِّ حَيْثُ يَنْتَهِي إِلَى مَاءٍ كَثِيرٍ نَمِيرٍ صَافٍ ، وَعَشْبٍ كَثِيرٍ رِيَّانٍ نَاضِرٍ : يَا لَلْمَاءِ ، وَيَا لَلْعَشْبِ .

ومنهُ : يَا عَجَبَا ، وَكثِيرًا مَا يَغْلُطُ الْقَارِئُ فَيَقُولُ : (يَا عَجَبًا) بِالتَّنْوِينِ .
فحُكْمُ المُهدِّدِ والمُتَعَجِّبِ مِنْهُ .. حُكْمُ المُستعَاثِ .



الحَالَةُ الثَّلَاثَةُ : أَلَّا يَكُونَ الْمَنَادِيُّ مَفْرَدًا مُعْرَفًا ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِضَافًا وَمَا يِضَارِعُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ نَكْرَةً :

وَحُكْمُهُ حَيْثُئِذٍ : النَّصْبُ لِفِظًا أَوْ تَقْدِيرًا ؛ نَحْوُ : يَا أَخَا فِهْمٍ ، وَيَا فَتَى الْفَتِيَانِ ، وَالْمَرَادُ بِمَا يِضَارِعُ الْمِضَافَ : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ :

- أَحَدُهَا : الْإِسْمُ الْعَامِلُ ؛ نَحْوُ : يَا حَسَنًا وَجْهَهُ ، وَيَا مُحْسِنًا أَعْمَالَهُ ، وَيَا بَصِيرًا بِأَمْرِهِ .

- الثَّانِي : الْإِسْمُ الْمَوْصُوفُ بِجُمْلَةٍ أَوْ ظَرْفٍ ؛ كَقَوْلِهِ^(٢) :

أَعْبُدَا حَلًّا فِي شُعْبَى غَرِيبَا أَلْؤُمَا لَا أَبَالَكَ وَأَغْتَرَابَا

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة في «ديوانه» (ص ٣٥) .

(٢) تقدم (١/٢٤٥) .

وكقوله^(١) :

[من الطويل]

أَيَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمِ مِثْلُهُ جَرِيْرٌ وَلَكِنْ فِي كُْلَيْبٍ تَوَاضَعُ

وكقوله^(٢) :

[من الطويل]

أَدَارًا بِحُزْوَى هِجَتِ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَزْفَضُ أَوْ يَتَرَفَّرُ

- الثالث : العددُ المُشتمِلُ على العطفِ ؛ كأحدِ وعشرين ، واثنين وعشرين .

وكلُّ ذلكِ يُستعملُ في مُعيَّنٍ ، وفي غيرِ مُعيَّنٍ ، ويظهرُ ذلكِ في الأوصافِ .
فعلى الأوَّلِ : تقولُ : يا غلامَ خدمةِ الماهرِ ، يا حسناً وجههُ المحسنَ ،
ويا ثلاثةً وثلاثينَ الأذكياءَ .

وعلى الثاني : تقولُ : ماهراً ، ومحسناً ، وأذكياءَ .

غيرَ أنَّ الموصوفَ بجملَةٍ أو ظرفٍ لا يُوصَفُ بعدُ بالمعرفةِ ، كأنهمُ
استنكروا صفةَ المعرفةِ بعدَ صفةِ النكرةِ .

والصحيحُ : جوازُ نداءِ النكراتِ ؛ وهي ما لا يُقصدُ بها مُعيَّنٌ ، موصوفةٌ
وغيرَ موصوفةٍ ؛ نحوُ : يا غافلينَ وقد ترادفتِ المُذَكِّراتُ ، ونحوُ : يا رجلاً
يرجو رحمةَ ربِّهِ ويخافُ غضبَهُ .

هذا ؛ ومنَ المنادى : أسماءُ الأشياءِ التي يتوجَّعُ منها ، أو يتفجَّعُ عليها ،
ويُسَمَّى نداؤها : ندبةً ، ويسمَّى المنادى : مندوباً .

ولا يُندَبُ إلا معرفةً بالعلميةِ ، أو بالإضافةِ إلى مُعيَّنٍ ، أو بصلَةٍ مشهورةِ
فيما بينَ الناسِ ؛ نحوُ : وا زيدُ ، بضمِّ آخرِهِ مُتفجَّعاً عليه ، ونحوهُ : وا كبيرَ

(١) الفائل هو الصلتان العبدى ، كما في « خزنة الأدب » (١٧٤/٢) .

(٢) الفائل هو ذو الرُمة في « ديوانه » (٤٥٦/١) .

البلد ، وا عظيم الكرماء ، وا غلامي ، وا غلامك ، وا غلامك . . . إلى آخر الضمائر ، وا من حفر بئر زمزم ؛ ندبة لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لكونه اشتهر في ذلك الأوان بمضمون هذه الصلة ، وا من وضع علم النحو ؛ لأبي الأسود الدؤلي ؛ لاشتهاره بذلك ، وا من بنى القاهرة ؛ ندبة لجوهر القائد مملوك المعز لدين الله ، أول ملوك الفاطم بمصر لذلك .

ولك أن تزيد بعد ما تنطق به في الندبة ألفاً ، وتحذف لأجلها ما قبلها من تنوين أو ألف ؛ فنحو : (وا موسى) يحتمل أن تكون الألف آخر المندوب ، أو زائدة وأخره محذوف ، وتقلب ضمة المضموم وكسرة المكسور فتحة لأجل الألف التي تزيدها ، وتسميها : ألف الندبة ، إلا إذا كانت الضمة مميزة شيئاً من شيء ؛ فإنك تزيد بعدها عوض الألف واوا ؛ نحو : وا غلامه ، فالضمة تميز ضمير المذكر من ضمير المؤنث ، فلو زدت ألفاً وقلت : وا غلامها . . لالتبس بضمير الأنثى .

وإلا إذا كانت الكسرة مميزة شيئاً من شيء ، فإنك تزيد بعدها ياء ؛ نحو : وا غلامكي ، خطاباً لأنثى ؛ فإنك لو قلت : وا [غلامكا] . . لالتبس بخطاب الذكر .

ولك أن تزيد وقفاً هاء سكت ؛ فتقول وا زيده ، وا غلامكي ، وا غلامهوه . ولك أن تأتي بالمندوب مجرداً من المد والهاء كما رأيت .

وقد حذف العرب تخفيفاً من آخر المنادى غير المندوب ، وغير المستغاث ، وغير ذي الإضافة وشبهها ، وغير ذي التركيب الإسنادي ، وسماه النحويون : ترخيماً .

فإذا كان المنادى مختوماً بتاء التانيث . . رُخِمَ بحذفها فقط .

وإذا لم يكن مختوماً بها . . حُذِفَ آخِرُهُ إِنْ كَانَ عَلَماً زَائِداً عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ ؛ ك (يَا سَعَا) فِي سَعَادَ .

وَيُحَذَفُ مَعَ الْآخِرِ مَا قَبْلَهُ إِنْ كَانَ أَلِفًا زَائِدَةً ، أَوْ وَاوًا قَبْلَهَا ضَمَّةً ، أَوْ يَاءً قَبْلَهَا كَسْرَةً ، وَكَانَتِ الْأَحْرَفُ الثَّلَاثَةُ مُسْبِقَةً بِثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ ؛ نَحْوُ : (يَا مَرْؤُ) فِي مِرْوَانَ ، وَ (يَا سَلْمُ) فِي سَلْمَانَ ، وَ (يَا أَسْمُ) فِي أَسْمَاءَ ، وَ (يَا مِسْكُ) فِي مِسْكِينَ عِلْمًا ؛ كَمِسْكِينَ الدَّارِيِّ ، وَ (يَا مَنْصُ) فِي مَنْصُورٍ .
وَإِنْ كَانَ الْمُنَادَى مُرَكَّبًا مُزْجِيًّا . . رُجِّمَ بِحَذْفِ عَجْزِهِ ؛ نَحْوُ : (يَا بَعْلُ) فِي بَعْلِيكَ ، وَ (يَا مَعْدِي) فِي [مَعْدِيكَرَبٌ] .

وَإِذَا حُذِفَتْ مِنَ الْمُنَادَى مَا حُذِفَتْ تَرْخِيمًا . . فَلِكَ فِيمَا بَقِيَ وَجْهَانِ :
الْأَوَّلُ : أَنْ تَبْقِيَهِ عَلَى صَوْرَتِهِ قَبْلَ الْحَذْفِ ، فَيَكُونُ الْمَحذُوفُ مَلْحُوظًا بِحَالَتِهِ ، وَيُسَمَّى : لُغَةً مَنْ يَنْتَظِرُ ؛ أَي : يَنْتَظِرُ الْمَحذُوفَ .

الْوَجْهُ الثَّانِي : أَنْ تَجْعَلَهُ مُنَادَى مُسْتَقِلًّا ، وَتَقَطَعَ النَّظَرَ عَنِ الْمَحذُوفِ ، فَتَضُمَّ آخِرَ مَا بَقِيَ مَعَكَ ، وَيُسَمَّى : لُغَةً مَنْ لَا يَنْتَظِرُ .

وَإِذَا حَصَلَ بَعْدَ الْإِنْتِظَارِ اشْتِبَاهٌ . . وَجِبَ الْإِنْتِظَارُ ، فَإِذَا رَخِمْتَ نَحْوُ : (مُسْلِمَةٌ) . . وَجِبَ أَنْ تَقُولَ : يَا مُسْلِمَ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ ؛ إِذْ لَوْ ضَمِمْتَ . . لَاشْتَبَهَ بِنِدَاءِ مَنْ اسْمُهُ مُسْلِمٌ بِلَا تَاءٍ .

وَإِذَا حَصَلَ لُغَةً مَنْ لَا يَنْتَظِرُ مَا بَقِيَ مُعَامِلَةَ الْأَسْمَاءِ التَّامَّةِ ، فَأَعْطَتْهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ حَسَبَ مَا أَفَادَتْكَ الْقَوَاعِدُ الصَّرْفِيَّةُ .

مِثْلًا : إِذَا نَادَيْتَ (ثَمُودَ) وَرَخِمْتَهُ . . لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اسْمًا آخِرُهُ وَاوٌ قَبْلَهَا ضَمَّةً ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ غَيْرَ مَوْجُودٍ فِي اللُّغَةِ ، فَوَجِبَ لِذَلِكَ قَلْبُ الْوَاوِ يَاءً ، وَإِبْدَالُ الضَّمَّةِ كَسْرَةً ؛ فَتَقُولُ : يَا ثَمِي ، وَيَصِيرُ مِنَ الْمَنْقُوصِ .

وإذا ناديت نحوَ (حَلَاوَة) و(هِدَايَة) . . قلت : يا حَلَاءُ ويا هِدَاءُ ، بإبدالِ الواوِ والياءِ همزةً ، كما عرفت في نظائره ؛ كسماءٍ وشراءٍ ، ومَنْ استحضَرَ ما عرفَ . . لم يَصْغُبْ عليه اعتبارُ ما يلزمُ .

وبعضُ الأسماءِ لا تُستعملُ في الكلامِ إلا مناداةً ؛ وهي : نَوْمَانُ ؛ فتقولُ : يا نَوْمَانُ ؛ سبًّا بالكسليِّ والبلادةِ والوخامةِ ، ولُؤْمَانُ بضمِّ أولِهِ ، ومَلَأْمَانُ بفتحة ؛ سبًّا بقوة اللؤمِ ، ومَلَكْعَانُ كمَلَأْمَانٍ ؛ سبًّا بالرخاوةِ ، ومَكْدَبَانُ ومَحْبَثَانُ ، ومَكْرَمَانُ ومَطْيَبَانُ ؛ مدحاً بهما .

فهذه الأسماءُ لا تُستعملُ في غيرِ النداءِ ، ولا يُقاسُ عليها ، كما أنَّ (فُلٌ) كنايةٌ عن ذَكَرٍ ، و(فُلَةٌ) كنايةٌ عن أنثى . . مُختصَّانِ بالنداءِ ، ولا يُستعملانِ في غيرِ شعرٍ .

ولك أن تُحوِّلَ كلَّ اسمٍ فاعليِّ ثلاثيٍّ يَدُلُّ على معنى يُسَبُّ به إلى وزنِ (فَعَالٍ) ، ويختصُّ بالنداءِ في سبِّ الإناثِ ؛ فتقولُ : يا حَبَابِ ؛ مُحوِّلاً عن خبيثةٍ ، ويا فَجَارِ ؛ مُحوِّلاً عن فاجرةٍ ، ويا غَدَارِ ؛ مُحوِّلاً عن غادرةٍ ، وليس لك أن تُحوِّلَ في سبِّ الذكورِ .

وقد وردَ التحويلُ في سبِّهم إلى وزنِ (فَعَلٍ) ، فتقتصرُ على ما وردَ منه ؛ نحوُ : يا غَدْرُ ، ويا لُكْعُ ، ويا فُسْقُ ؛ مُضِيّاً بالحكمِ مع الكثرةِ والقِلَّةِ ، وقد وردَ حذفُ (يا) نحوُ : ﴿ عَاذِرُ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ﴾ ^(١) في قراءةٍ ضمِّ الراءِ ، ونحوُ : ﴿ يُوْسُفُ أَعْرَضَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ يُوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ ^(٣) .



(١) سورة الأنعام : (٧٤) ، برفعِ الراءِ ، وهي قراءة يعقوب ، كما في « النشر في القراءات العشر » (٢٥٩/٢) .

(٢) سورة يوسف : (٢٩) .

(٣) سورة يوسف : (٤٦) .

الموضع الثالث : تراكيب يُقال لها : تراكيب الاختصاص ؛ وهي كلُّ تركيبٍ مُشتمِلٍ على اسمٍ يُذكرُ في أثناءِ جملةٍ أو بعدها ؛ لتبيينِ الموضعِ الذي يُخصُّ به حكمُ الجملةِ ، ويكونُ مطابقاً للمحكومِ عليه فيها ؛ كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَحْنُ - مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ - لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةٌ »^(١) ، فلفظةُ (معاشر) اسمٌ ذَكَرَ في أثناءِ جملةٍ ؛ لبيانِ الموضعِ المخصوصِ بحكمِ الجملةِ الذي هو ثبوتُ عدمِ الإرثِ ، وكونُ المتروكِ صدقةً ، المُعبَّرُ عنه بـ (نحنُ) ، وهو مطابقٌ للمحكومِ عليه وهو (نحنُ) ، والفعلُ الناصبُ المحذوفُ وجوباً : أَخَصُّ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ .

ونظيره : قولُهُم : نحنُ - العربُ - أقرى الناسِ للضيِّفِ ، وفي ذكرِ هذا الاسمِ رفعُ بهامةٍ في (نحنُ) ، وقد يكونُ لمُجرَّدِ التعاضُّمِ ؛ نحوُ : أنا - فتى الفتیانِ - أَكْرِمُ الضيُوفِ ، وَأَسْتَعْمِلُ السِیُوفَ ، وكونُهُ بعدَ ضميرِ مُتَكَلِّمٍ .. أكثرُ مِنْ كونهِ بعدَ ضميرِ خطابٍ .

وقد يُوتى بلفظِ (أَيِّ) و(أَيَّة) مُفسِّراً باسمٍ هو المُختصُّ في الحقيقةِ ، فيلزمُهُما الضَّمُّ ، ويُقالُ : إنَّهُما في محلِّ نصبٍ ، والجملةُ الاختصاصيةُ جملةٌ اعتراضيةٌ فائدتها ما سبقَ أو حاليةٌ .

الموضعُ الرابعُ : تراكيبُ الإغراءِ والتحذيرِ ، ويُسمَّى المفعولُ فيها : مُغرئٌ به ، أو مُحذراً منه ؛ نحوُ : الغزالَ الغزالَ ، ونحوُ : سَهْمَكَ والغزالَ ، ونحوُ : إن لم تكذبْ .. فشأنك ومَدْحُ الناسِ ؛ إغراءً على تقديرِ اطلبِ الغزالَ ، وخذْ [سَهْمَكَ] واطلبِ الغزالَ ، وانظرْ شأنك وقلْ مدحِ الناسِ .

(١) انظر « البدر المنير » (٣١٤/٧) ، وأصله عند البخاري (٣٠٩٣) عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه .

ونحو: الأسدَ الأسدَ ، ورأسكَ والسيفَ ؛ تحذيراً على تقديرٍ : احذرِ
الأسدَ ، وقِ رأسكَ وتجنّبِ السيفَ .

لكن شرطُ وجوبِ حذفِ الفعلِ تكرارُ الاسمِ أو العطفُ كما رأيتَ ، إلا
إذا ذكرتَ في عبارة التحذيرِ لفظةً (إِيَّاكَ) فإنه يجبُ الحذفُ بلا شرطٍ ؛
نحو: إِيَّاكَ الجدَلَ في غيرِ حقٍ .

وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبٌ^(١)
وَإِيَّاكَ وفعلَ الأراذلِ ، وإِيَّاكُمْ أن تعتمدوا على غيرِ الله ؛ على تقديرٍ : إِيَّاكَ
أَحْذِرُ الجدَلَ ، وإِيَّاكَ أَحْذِرُ وتجنّبِ فعلَ الأراذلِ .



الموضعُ الخامسُ : تراكيبُ الاشتغالِ ، وصورتها أن تذكرَ اسماً تأتي بعدهُ
بفعلٍ أو اسمٍ فاعلٍ أو اسمٍ مفعولٍ مُتصِلاً بهِ أو مُنفصِلاً عنه ، وتشغلهُ بضميرِ
ذلكَ الاسمِ أو بما يشتملُ على ضميره ، وحينئذٍ يُسمَى المحذوفُ : المضمَرُ
على شريطةِ التفسيرِ ، ويُسمَى المذكورُ مِنَ الفعلِ وصاحبهُ : مُفسِّراً .

ولمكانِ التفسيرِ وجبَ حذفُ المُفسِّرِ لذكرِ المُفسَّرِ ؛ إذ لا يجتمعُ العوضُ
والمُعوضُ ، لكن يُلزَمُ في الأوصافِ المستعملةِ في هذه التراكيبِ أن تكونَ
مُعتمدةً على مبتدأ يُذكرُ قبلَ المفعولِ المحذوفِ ناصبُهُ أو بعدهُ ، أو على
نفيٍ أو استفهامٍ ؛ نحو: زيدٌ هنداً مُكرِّمها ، وعمراً أنتَ مُحسِنٌ إليه ، وما زيداً
صاحبهُ أخواه ، وأزيداً مُربيه أبواه ؟

فكلُّ ذلكَ صحيحٌ ، [ولو] وضعتَ فيه الفعلَ موضعَ الأوصافِ .. لم يكنِ
الحكمُ مختلفاً ؛ تقول: زيدٌ هنداً يُكرِّمها ... وهكذا ، بخلافِ [ما إذا] لم

(١) البيت من الطويل ، وهو من شواهد « الكتاب » لسيبويه (٢٧٩/١) .

يَعْتَمِدِ الوَصْفُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ فِي هَذِهِ التَّرَاكِيِبِ كَمَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ
الْفِعْلِ ؛ تَقَوْلُ : زَيْدًا يُكْرِمُهُ أَصْحَابُهُ ، وَلَا تَقَوْلُ : زَيْدًا مُكْرِمُهُ أَصْحَابُهُ .

هَذَا ؛ وَالْمُضْمَرُ عَلَى شَرِيْطَةِ التَّفْسِيْرِ إِنْ أَمَكْنَ تَقْدِيْرُهُ مِنْ مَادَّةِ الْمُفْسِّرِ . .
فَذَاكَ ، وَإِلَّا . . قَدَّرْتَ مَا يَنَاسِبُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ ؛ فَتَقَوْلُ فِي نَحْوِ : طَرِيْقَ الْحَقِّ
سَلَكْتَهَا ، التَّقْدِيْرُ : سَلَكْتَ طَرِيْقَ الْحَقِّ ، وَفِي نَحْوِ : مَذْهَبَ الْخَيْرِ أَنْتَ رَافِعٌ
مَنَارُهُ ، التَّقْدِيْرُ : أَوْضَحْتَ وَبَيَّنْتَ مَذْهَبَ الْخَيْرِ ، وَفِي نَحْوِ : زَيْدًا اشْتَرَيْتَ
غَلَامَةً : بَايَعْتَ أَوْ لَابَسْتَ زَيْدًا ، وَفِي نَحْوِ : زَيْدًا مَرَرْتَ بِهِ إِلَى الْحَاكِمِ :
أَذْهَبْتَ زَيْدًا .

وَبَاعْتَبَارِكَ هَذِهِ الْأَمْثَلَةَ لَا يَصْعَبُ عَلَى ذَوْقِكَ وَلَا يَبْعُدُ عَنِ إِدْرَاكِكَ تَقْدِيْرُ
مَا يَنَاسِبُ فِي نَحْوِ : زَيْدًا ضَرَبْتَ عَمْرًا وَأَخَاهُ ، وَشَتَمْتَ رَجَالًا يَصْحَبُونَهُ .

هَذَا ؛ وَاعْلَمْ : أَنَّ هَذَا الْاسْمَ الَّذِي نَحْنُ فِي إِبَانَةِ كَوْنِهِ مَفْعُولًا وَاجِبًا
حَذْفُ عَامِلِهِ . . لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ إِلَّا فِي بَعْضِ التَّرَاكِيِبِ ، وَلِذَلِكَ
تَنْقَسِمُ التَّرَاكِيِبُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى هَذَا الْاسْمِ أَرْبَعَةً أَقْسَامٍ : قَسْمٌ يَتَعَيَّنُ فِيهِ
نَصْبُ الْاسْمِ الْمَذْكُورِ ، وَقَسْمٌ يَتَرَجَّحُ فِيهِ النَّصْبُ ، وَقَسْمٌ يَسْتَوِي فِيهِ النَّصْبُ
وَالرَّفْعُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَقَسْمٌ يَتَرَجَّحُ فِيهِ الرَّفْعُ .

- الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : كُلُّ تَرْكِيْبٍ وَقَعَ فِيهِ الْاسْمُ بَعْدَ مَا يَخْتَصُّ بِالْفِعْلِ ؛
كَأَدْوَاتِ الشَّرْطِ وَالتَّحْضِيْضِ وَ(هَل) نَحْوُ : إِنْ زَيْدًا أَكْرَمْتَهُ . . أَكْرَمَكَ ، وَهَلَّا
زَيْدًا تُكْرِمُهُ ، وَهَلْ زَيْدًا اخْتَبَرْتَهُ .

- الْقِسْمُ الثَّانِي : كُلُّ تَرْكِيْبٍ وَقَعَ فِيهِ الْاسْمُ بَعْدَ مَا يَغْلِبُ صَحْبَتَهُ لِلْفِعْلِ ؛
كَهَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ ؛ نَحْوُ : أَزَيْدًا أَكْرَمْتَهُ ؟ وَحَيْثُ ؛ [نَحْوُ] : أَجْلَسُ حَيْثُ زَيْدًا
وَجَدْتَهُ ، أَوْ قَبْلَ فِعْلِ ذِي طَلْبٍ ؛ نَحْوُ : زَيْدًا أَكْرَمْتَهُ ، وَعَمْرًا لَا تُهْنُهُ ، أَوْ عَطِفَ
ذَلِكَ التَّرْكِيْبِ عَلَى جُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ ؛ نَحْوُ : ﴿ حَخَّقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَفْثَةِ فَإِذَا هُوَ خَصِيْرٌ

مُيِّنٌ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ... ﴿١﴾ ، أو كَانَ نَصَبُ الْاسْمِ الْوَاقِعِ فِيهِ يُعَيِّنُ
المَقْصُودَ ، وَالرَّفْعُ يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ ؛ نَحْوُ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ﴿٢﴾ ؛ فَإِنَّ
المَقْصُودَ الْحَكْمَ بِأَنَّ خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ ، لَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمَخْلُوقَةَ بِقَدَرٍ .

- الْقِسْمُ الثَّلَاثُ : كُلُّ تَرْكِيْبٍ وَقَعَ بَعْدَ جَمَلَةٍ اسْمِيَّةٍ وَالْخَبْرُ فِيهَا جَمَلَةٌ
فَعَلِيَّةٌ ؛ نَحْوُ : زَيْدٌ كَرُمَتْ شَمَائِلُهُ وَالْإِحْسَانُ تَحَقَّقَتْهُ مِنْهُ .

- الْقِسْمُ الرَّابِعُ : مَا عَدَا تِلْكَ التَّرَاكِيْبِ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَفْعُولُ فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ مُخْتَصًّا بِأَحْكَامٍ مُفْصَلَةٍ فِي
مَسَائِلَ . . تَرْجَمَ النُّحَوِيُّونَ لِكُلِّ جَمَلَةٍ مُتَنَاسِبَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَسَائِلِ ؛ فَقَالُوا :
بَابُ النِّدَاءِ ، وَبَابُ الْإِحْتِصَاصِ ، وَبَابُ الْإِغْرَاءِ وَالتَّحْذِيرِ ، وَبَابُ الْإِسْتِغَالِ .



(١) سورة النحل : (٤ - ٥) .

(٢) سورة القمر : (٤٩) .

المفعول المطلق

مصدرٌ ، يُذكرُ بعدَ مشتقٍّ يكونُ ناصباً له ؛ لأحدِ أغراضٍ ثلاثةٍ :

توكيدٌ معنَى ناصبهِ : ليفيدَ أنَّ معناه هو المرادُ باللفظِ ، وليسَ المرادُ معنَى آخَرَ عُبِّرَ عنه بلفظه مبالغةً ؛ نحو قولك : ضربتُ زيداً ضرباً ، وأنا مهينُهُ إهانةً ؛ فلفظُ (ضرباً) مصدرٌ أكَّدتْ به معنَى (ضرب) لتفيدَ أنَّ الحاصلَ منك ضربُ زيدٍ لا نوعٌ من أنواعِ الأذيةِ ؛ كالشتمِ ، عَبَّرتَ عنه بالضربِ مبالغةً .

وبيانٌ نوعِهِ : نحوُ : ضربتُ زيداً ضرباً شديداً أو ضعيفاً ، وتكلَّمَ عمروٌ تكلُّماً حسناً ، وسارَ سيراً طويلاً .

أو بيانٌ عددٍ : نحوُ : وثبتُ وثبةً ، وقامَ قومةً ، وتكلَّمَ زيدٌ تكلِّمينِ : تكلُّماً أعجبَ ، وتكلُّماً لم يُعجِبْ ، وشربَ بكرةً شرباتٍ .

[ما ينبوُ عن المصدرِ]

وينبوُ عن المصدرِ أشياءٌ فتُسمَى : مفعولاً مطلقاً بالنيابةِ ؛ وهي أربعةٌ عشرَ :

- لفظَةُ (كلِّ) أو (بعضِ) مضافتينِ إليه ؛ نحوُ : اجتهدَ زيدٌ كلَّ الاجتهادِ ، وتوانى عمروٌ بعضَ التواني ؛ وذلكَ لبيانِ النوعِ ؛ إذ المعنى : اجتهداً كاملاً ، وتوانياً قليلاً .

- والإشارةُ إليه ؛ نحوُ : زجرتهُ ذلكَ الزجرَ فلم يُفدْ فيه ؛ لبيانِ النوعِ أيضاً ؛ إذ المعنى : الزجرَ الشديدَ الذي اطلعتَ عليه .

- وعددهُ ؛ نحوُ : مررتُ به عشرينَ مرَّةً .

- وأداة السُّؤالِ عن عددهِ ؛ نحوُ : كم مرَّةً مررتَ بهِ ؟

- والسُّؤالُ عن نوعِه ؛ ك: أيِّ وصفٍ وصفتَ زيداً ؟ على معنى : أوصفاً
حسناً وصفتَ زيداً أم وصفاً غيرَ حسنٍ ؟

- ومصدرُ فعلٍ غيرِ فاعلِه على التشبيهِ بهِ بعدَ حذفِ أداةِ التشبيهِ ؛
نحوُ : قرأَ زيدٌ قراءةَ العلماءِ ؛ على تقديرِ : قراءةً مثلَ قراءةِ العلماءِ .

- ومصدرُ فعلٍ فيه معنى فعلِه ؛ نحوُ : فرحَ زيدٌ بكذا جَدَلاً ؛ إذ الجَدَلُ
الفرحُ الشديدُ ، وسكتَ صمتاً ؛ إذ الصَّمْتُ السكوتُ المقصودُ لخيريَّةِ
السكوتِ .

- واسمُ عينٍ مِنْ مادَّةِ الفعلِ ؛ نحوُ : ﴿ أَتَيْتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (١) .

- واسمٌ بمعناه يُقالُ لهُ : اسمُ المصدرِ ؛ نحوُ : أعطى زيدٌ عطاءً ؛ بمعنى :
إعطاءً .

- وضميرُهُ ؛ نحوُ : أعجبتني القولُ الذي قلتهُ ؛ أي : النطقُ الذي نطقتهُ .

- وصفتهُ ؛ نحوُ : سرتُ طويلاً ؛ أي : سيراً ، ولبشنا قليلاً ؛ أي : لبناً .

- وآلتهُ ؛ نحوُ : ضربتهُ سوطاً ، أو عَصَوَيْنِ ، وفي هذا مع بيانِ آلةِ الفعلِ
بيانُ عددهِ ، أليسَ المعنى : ضربتهُ ضربةً بسوطٍ ، وضربتَينِ بعضاً ؟!

- وألفاظُ وُضِعَتْ لبيانِ أنواعِ أفعالٍ ؛ نحوُ : رجَعَ القهقريُّ ؛ أي : بظهيرهِ
إلى خَلْفٍ ، وقعدَ القُرْفُصَاءَ ، واشتمَلَ الصَّمَاءَ ، واعتمَمَ القَفْدَاءَ ؛ أي : التفَتَّ
بشوبهِ ، ولم يُرسلْ مِنْ [عِمَامَتِهِ] شيئاً ، وهذه الثلاثةُ ممدودةٌ ، وعدا الجَمَزِيِّ ،
والمَرَطِيِّ ، والبَسَكِيِّ ؛ أي : عدواً شديداً ، ومشى الحمارُ حَيْدِيَّ ؛ أي : مُتَلَوِيّاً
إلى يمينِ مرَّةٍ وإلى شِمَالِ مرَّةٍ ، في أَلْفَاظٍ أُخَرَ .

(١) سورة نوح : (١٧) .

ولأبي الطيّب^(١) :

[من المتقارب]

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبَى
فالهِدَبَى : نوعٌ من مشي الإبل ، والخَيْزَلَى : نوعٌ من مشي النساء ؛ يقولُ :
ترك الهزل وأخذ في الجدِّ ، فهو يفدي النوق بالنساء .

والمصدرُ المؤكِّدُ تكررٌ للفعلِ ؛ فمن قال : ضربتُ ضرباً .. كأنَّهُ قالَ :
ضربتُ ضربتُ ، ولذلك لا يُثنى ولا يُجمعُ ، بخلافِ المُبينِ للنوعِ والمُبينِ
للعددِ ؛ تقولُ : سرتُ سيرِي الغاوي والراشدِ .

ويُحذفُ ناصبُ المفعولِ المُطلقِ إذا دلَّ عليه دليلٌ ، ويجبُ حذفُهُ :

إذا أُقيمَ المصدرُ مقامَهُ في الطَّلَبِ ؛ نحوُ : قراءةً للعلمِ ؛ أي : اقرأ العلمَ ،
فهو بدلُ الفعلِ ، ولذلك يُؤكِّدُ ويُبينُ نوعَهُ وعددهُ ؛ فتقولُ : ضرباً زيداً ضرباً ،
وضربَ تاديبٍ ، وضربَاتٍ .

وإذا كانَ بعدَ استفهامٍ توبيخيٍّ ؛ نحوُ : أتوانياً وقد جدَّ الناسُ؟! أي :
أتوانى؟!

وإذا فصلَ بـ (إمَّا) نحوُ : ﴿ فِيمَا مَتَّ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾^(٢) ؛ أي : فِيمَا تَمْتُونُ ،
وإِمَّا تَفْدُونَ .

وإذا كُرِّرَ وكانَ عاملُهُ خبراً عن اسمٍ لا يكونُ المصدرُ خبراً عنه إلا مجازاً ،
وإذا كانَ مقصوراً عليه كذلك ؛ نحوُ : أنتَ سيراً سيراً ؛ أي : تسيرو ، وما
أنتَ إلا سيراً ، وإنَّما أنتَ سيرةُ الحكماءِ ، وإنَّكَ حفظاً حفظاً ، ويجوزُ أن

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٨٢) ، وفيه : (الهيدبي) بدل (الهيدبي) وهما بمعنى .

(٢) سورة محمد : (٤) .

يكونَ منه : ما كنتَ إِلَّا اشتغالاً بالخيرِ ، وما وجدتُكَ إِلَّا حرصاً على الفائدةِ
وابتهاجاً بالنادرة .

كما يجوزُ أن يكونَ مُحدَّثاً به خبراً في الأوَّلِ ، ومفعولاً به في الثاني ، كما
لورفعتَ المصدرَ في سابقِهِ .

وإذا كانَ بعدَ جملةٍ مُشتمِلةٍ على معناه قطعاً ، ويُسمَّى حينئذٍ : مُؤكِّداً
لنفسِهِ ؛ نحوُ : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ ﴾ ^(١) ، ف (وعدَ اللهُ) مفعولٌ
مطلقٌ محذوفُ العاملِ وجوباً ، يُسمَّى : مُؤكِّداً لنفسِهِ ؛ لكونِهِ واقعاً بعدَ جملةٍ
تضمَّنَت معنى الوعدِ قطعاً ؛ وهي : (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) فإنَّها إخبارٌ بأنَّ اللهَ
سيحيي الخلقَ ويُعيدُهُم ويرجعونَ إلى حسابِهِ ، وهو وعدٌ منه ، ونحوُ : لزيدٍ
عليَّ ألفٌ إقراراً .

وإذا كانَ بعدَ جملةٍ مُتضمِّنةٍ معناه لا حتماً ، ويُسمَّى : مُؤكِّداً لغيرِهِ ؛
نحوُ : أنا ناصحٌ لك صدقاً ؛ فإنَّ (أنا ناصحٌ لك) خبرٌ يحتمِلُ الصدقَ .

وإذا كانَ واقعاً بعدَ مصدرٍ في جملةٍ تامَّةٍ على معنى التشبيهِ ؛ نحوُ : لزيدٍ
صوتٌ صوتَ حمارٍ .

وإذا بيَّنَ فاعلٌ فعلِهِ أو مفعولِهِ بذكرِهِ بعده مُضافاً إليه أو مجروراً بلامٍ ؛
نحوُ : بُعداً لزيدٍ ؛ أي : بُعدَ زيدٍ بُعداً ، وحُكْمَ اللهُ ؛ أي : حَكَمَ اللهُ حُكْماً ،
وسقياً لك ، ورعياً لك ؛ الأصلُ : سقاكَ اللهُ سقياً ، ورعاًكَ ، وحفظَكَ ورعايتَكَ
كذلكَ .

فيُحذفُ وجوباً في تسعةِ مواضعَ ، وجوازاً في غيرها : إذا دلَّ عليه دليلٌ ،
كما إذا قيلَ لك : أضربتَ زيداً ؟ فتقولُ : ضرباً ، كما يجوزُ حذفُ المصدرِ

(١) سورة يونس : (٤) .

كَذَلِكَ ؛ كَأَنَّ يُقَالَ لَكَ : هَلْ ضَرَبْتَ زَيْدًا ضَرْبَ التَّأْدِيبِ عَلَيَّ مَا صَدَرَ مِنْهُ ؟
فَتَقُولُ : ضَرَبْتُهُ ؛ أَيْ : ضَرَبْتُهُ ضَرْبَ التَّأْدِيبِ ، كَمَا يُحَدِّثُ هُوَ وَعَامِلُهُ لَوْ
أَجَبْتَ بِـ (نَعَمْ) أَوْ (لَا) .

وَيَتَقَدَّمُ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ وَيَتَأَخَّرُ حَسَبَ الْاِقْتِضَاءِ حَيْثُ لَا مَانِعَ .

واعلم : أَنَّ الْفِعْلَ مِنْ حَيْثُ الْحَدِيثُ يَتَضَمَّنُ مَعْنِيَيْنِ : مَعْنَى مُشْتَرَكٌ بَيْنَ
جَمِيعِ الْأَفْعَالِ وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْإِيجَادِ وَالْإِيقَاعِ وَالْفِعْلِ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَعْنَى
خَاصٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ ذَلِكَ الْمَعْنَى .

أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَفْهَمُ مِنْ قَوْلِنَا : ضَرَبَ زَيْدٌ ، وَقَامَ عَمْرٌو : أَوْجَدَ زَيْدٌ ضَرْبًا ،
وَأَوْقَعَ عَمْرٌو قِيَامًا ؟!

فَالْمَعْنَى الْخَاصُّ : هُوَ الْمَفْعُولُ ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الدَّالُّ عَلَيْهِ مَفْعُولًا دُونَ
تَقْيِيدِ بـ (فِيهِ) أَوْ (مَعَهُ) كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي كُلِّ مَا يُسَمَّى مَفْعُولًا ، وَيُوضَّحُ
لَكَ ذَلِكَ : أَنَّهُ رَبَّمَا اعْتَبِرَ الْمَعْنَى الْعَامَّةُ فِي الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّيِّ فَلَزِمَ ؛ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ الْخَلَّةِ ﴾^(١) ؛ أَيْ : أَوْجَدِي الْهَرَّ بِهِ وَأَوْقِعِي فِيهِ ،
وَقَوْلِ الْعَرَبِيِّ^(٢) :

..... يَجْرُخُ فِي عَرَاقِيبِهَا نَضْلِي

أَيْ : يَفْعَلُ الْجَرْخَ بِهَا .



(١) سورة مريم : (٢٥) .

(٢) هو ذو الرُّمَّة . فِي « دِيْوَانِهِ » (١٥٦ / ١) ، وَالْبَيْتُ بِتَمَامِهِ :

وَإِنْ تَعْتَدِرُ بِالْمَحَلِّ عَنْ ذِي ضُرُوعِهَا إِلَى الْأَصْنَفِ يَجْرُخُ فِي عَرَاقِيبِهَا نَضْلِي

المفعولُ لأجله

وهو اسمٌ ، يُذكرُ لبيانِ العِلَّةِ الباعثةِ على الفعلِ أو الغرضِ المُترتّبِ عليه ؛ وهو ما يكونُ مُتقدِّماً في التصوُّرِ وتصوُّرُهُ باعثٌ على الفعلِ ، ومُتأخِّراً في الوجودِ ؛ نحوُ : أكرمتُك لإكرامِكِ إِيَّايَ ، أو أكرمتُك لتشكرَني .

وإنَّما يُنصَبُ : إذا كانَ مصدرًا ، وقتُّه ووقتُ فعلِه واحدٌ ، وفاعلُهُما كذلك ؛ نحوُ : قامَ زيدٌ إجلالاً لعمرو ؛ فمتى تخلَّفَ شرطٌ مِنَ الشُّروطِ الثلاثةِ . . لم يُنصَبْ ؛ نحوُ : سافرَ زيدٌ للشِّتاءِ ؛ فليسَ مصدرًا ، وأكرمتُ عمراً لإكرامِه إِيَّايَ ؛ فليسَ الفاعلُ واحداً ، وأكرمتُ زيداَ اليومَ لإهانتي له أمسِ ؛ فليسَ الوقتُ واحداً .

ومنهُ : أزورُ زيداَ مِنْ أجلِ لطافتِه ، و« دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ »^(١) ؛ أي : بسببِ هِرَّةٍ .

ويجوزُ في المستوفي للشُّروطِ ألا يُنصَبَ ؛ فتقولُ : قامَ زيدٌ لإجلالِ عمرو ، فليسَ المفعولُ لأجلِه مِنَ المنصوباتِ وجوباً .



(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ مقارب .

المفعولُ فيه

ويُسَمَّى : ظرفاً ؛ لاشتمالِهِ على الفعلِ وإِحاطَتِهِ بِهِ اشتمالَ الظُّروفِ على مَظروفَاتِهَا وإِحاطَتِهَا بِهَا .

قد سلفَ لكَ أنَّ جميعَ الألفاظِ التي يَربِطُهَا بالأفعالِ حروفُ الإِضافةِ تُسَمَّى : مفعولاً بِهِ غيرَ صريحٍ ، ومفعولاً بِهِ بواسطةٍ ، ويُقالُ حينئِذٍ للأفعالِ : إنَّهَا مُتَعَدِّيَةٌ إِلَيْهَا بِالوَاسِطَةِ ، في مِقابِلَةِ المفعولِ بِهِ الصَّرِيحِ ^(١) .

فعلِي هَذَا تَقولُ في نحوِ : أَنَا جالِسٌ هُنَا لانتظارِ زَيْدٍ ، وخرَجْتُ لِلنزهَةِ في يَوْمِ الجُمُعَةِ ، وجَلِستُ في مَجَلِسِ فلانٍ أَحَدِثُهُ وَيُحَدِّثُنِي : إنَّ لفظَ (لانتظارِ) ولفظَ (في يَوْمِ) ولفظَ (في مَجَلِسِ) منصوبَةٌ الموضعِ ؛ لكونِهَا مفاعيلَ غيرِ صريحةٍ ، لكن [أَطْرَدَ] حذفُ الخافِضِ في بعضِ المواضعِ ، والتزَمَ في بعضِهَا ، وَمِنَ تلكَ المواضعِ : المفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فِيهِ ، وتراكيبُ (أَن) بفتحِ النونِ المُشَدَّدَةِ ، و(أن) بسكونِ النونِ ، وتلكَ المواضعُ هي التي يكونُ حذفُ حرفِ الإِضافةِ فِيهَا قياسياً مُطَرِّداً حَسَبَ ما تَقَرَّرَ في بابِ حروفِ الإِضافةِ ^(٢) .

فانَّضَحَ لكَ أَنَّ المفعولَ لأجلِهِ والمفعولَ فِيهِ مُنتَظِمَانِ في المفعولِ بِهِ ، لكن [لاِطْرَادِ] حذفُ الخافِضِ مِنْهُمَا والتزامِهِ في بعضِهُمَا .. جعلَهُمَا النحويونَ نوعينِ مُستَقِلَّينِ مِنْ أنواعِ المنصوباتِ ، وترجموا لمسائلِهِمَا ، نظيرُ ما فعلوا في النداءِ وما مَعَهُ .

(١) انظر (١/١٧٨) .

(٢) انظر (١/١٢٦) .

[ضابطٌ لحذفِ الخافضِ وانتصابِ المخفوضِ على الظرفيةِ]

هذا ؛ والذي علينا أن نَعْرِفَهُ في هذا الموضعِ : أنَّ حذفَ الخافضِ وانتصابِ المخفوضِ على الظرفيةِ .. مُطَرِّدٌ في جميعِ أسماءِ الأزمنةِ ، فنذكرُ بعدَ ما فيه معنى الفعلِ لتعيينِ الزمنِ الذي وقعَ فيه الفعلُ نوعاً ما مِنَ التعيينِ ؛ نحوُ : سرتُ شهراً ، وأقمتُ سنةً . . . إلى غيرِ ذلكِ مِنْ أسماءِ الأزمنةِ وما أُضيفَ إليها ممَّا يفيدُ الاستغراقَ أو التبويضَ ؛ نحوُ : انتظرتُك كلَّ اليومِ ، ويوماً ، وبعضَ آخرَ ، وأكثرَ النهارِ .

وأما أسماءُ الأمكنةِ . . . فما كانَ منها لمحدودِ ذي صورةٍ قارٍ في موقعِهِ ؛ كالمدينةِ والبلدِ والدارِ والطريقِ . . . فلا يَطَّرِدُ فيها ذلكُ إلاَّ معَ (دخلتُ) و(سكنتُ) و(نزلتُ) تقولُ : دخلتُ دارَ زيدٍ ، وسكنتُ مصرَ ، ونزلتُ بغدادَ .

ويَطَّرِدُ في غيرِ ذلكِ ؛ كأسماءِ الجهاتِ التي هي : فوقَ ، وتحتُ ، وأمامَ ، وقُدَّامَ ، ووراءَ ، وخَلْفَ ، ويمنَّةُ ، ويسرةُ ، ويمينُ ، ويسارُ ، وأسماءِ المُقدَّراتِ ؛ كفسخِ ، وميلِ ، وشبْرِ ، وأسماءِ الأمكنةِ التي سبقَ لكَ أنَّها مِنَ المُشتقاتِ ، على تفصيلٍ فيها حاصلُهُ : أنَّ أسماءَ الأمكنةِ المُشتقةِ مِنَ الأفعالِ ؛ إن كانتَ مأخوذةً مِنْ أفعالٍ دالَّةٍ على الاستقرارِ والكونِ في مكانٍ . . . فإنَّها كما تُنصبُ بأفعالِها تُنصبُ بما تضمنَ ذلكَ المعنى ؛ نحوُ : جلستُ مَجْلِسَ زيدٍ ، وأقمتُ مَجْلِسَهُ . . . وهكذا ؛ كالمكانِ ، والمَقامِ ، والمسكنِ ، والموقفِ ، والمَقِيلِ ، والمَبِيتِ ، وإن لم تكنَ على هذا الحدِّ . . . لم تُنصبْ إلاَّ بأفعالِها ، وَمِنَ المسموعِ فلا يُقاسُ عليه نصبُ أسماءِ الأمكنةِ الدالَّةِ على القربِ أو البعدِ ؛ نحوُ : زيدٌ منك مَزَجَرَ الكلبِ ، وَمَنَاطُ الثُّرَيَّا ، ومَقَعَدَ الخاتِنِ ، ومَقَعَدَ القابِلةِ ، ومَقَعَدَ الإزارِ .

[الظروف المتصرفة وغير المتصرفة]

ثم إن بعض الظروف لم تستعمل إلا منصوبةً أو مخفوضةً بـ (إلى) أو (حتى)، أو بـ (إلى) فقط؛ نحو: حتى متى؟ وإلى متى؟ وإلى أين؟ أو مخفوضةً بـ (من) التي هي للابتداء أو الظرفية نيابةً عن (في) حسب ما يقتضيه ذوقك، وينساق إليه فهمك؛ نحو: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(١)؛ أي: في الزمن السابق، وفي الزمن اللاحق، ونحو: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾^(٢)، ﴿وَعَلَّمْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾^(٣)، و﴿خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾^(٤).

وهذه الظروف التي لهذا شأنها تسمى: ظروفًا غير متصرفية، وما عداها يُسمى: ظروفًا متصرفية، فمعنى كونها متصرفية: أنها تخرج عن الظرفية وما ألحق بها، لا أن وصف التصرف ثابت لها مع كونها ظروفًا؛ تقول: يوم الجمعة يومٌ مباركٌ، على الابتداء والإخبار، ولا ظرفية.

ويتوب عن أسماء الأزمنة: مصادِرٌ، فتُنصبُ بدلها؛ نحو: آتيتك خُفوقِ النجم، وطلوعِ الشمسِ، وقُدومِ الحاجِّ؛ أي: وقتِ خُفوقِ وطلوعِ وقُدومِ.

ومن المصادِرِ النائية عن اسمِ زمنٍ، فيكون منصوباً على الظرفية بالنيابة: المصدرُ المؤوَّلُ ملاحظةً من مشتقِّ بسابك (ما) التي تسمى مصدريةً ظرفيةً؛ نحو: أنا مُنتظرُك ما دامَ هذا النجمُ، فهو على تأويلِ (دوامِ هذا النجم)، فـ (دوام) منصوبٌ على الظرفية بالنيابة، والأصل: وقتِ دوامِ.

ومنه: (رَيْثَمَا) في نحو قولك: انتظرني رَيْثَمَا تقرأ سورةً وسطى؛ إذ رَيْثَ

(١) سورة الروم: (٤).

(٢) سورة مريم: (٥).

(٣) سورة الكهف: (٦٥).

(٤) سورة محمد: (١٦).

مصدرُ راثٌ ؛ بمعنى : بَطُؤٌ ، و(ما) التي بعدها مصدريةٌ فقط ، والتقديرُ :
ريثُ قراءةٍ ، على معنى : وقتَ بطءِ قراءةٍ .

وقلَّ إنابةُ المصدرِ عن ظرفِ المكانِ ؛ نحوُ : جريثُ رميةِ نُشابةٍ ؛ أي :
مسافةَ رميها ، وفي الحديثِ : أقطعَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الزبيرَ
حُضْرَ فرسِهِ (١) ؛ أي : مسافةَ حُضْرِها ، والحُضْرُ - بضمِّ فسكونٍ - : العَدُوُّ ،
وأريدَ به في الحديثِ العَدُوُّ حُبْسَةَ نَفْسٍ .



(١) أخرجه أبو داوود (٣٠٦٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

المفعولُ معهُ

هو اسمُ الشيء الذي فُعِلَ الفعلُ بِمَعِيَّتِهِ وصَحْبَتِهِ ومقارنتِهِ ، يُذَكَّرُ مسبقاً بواوٍ بعدَ الفعلِ المُنْبِئِ على أَنَّهُ حصلَ ووقعَ بمقارنتِهِ ؛ تقولُ : سرتُ والجبلَ حتى وصلتُ لأقصى الصَّعِيدِ ، فمعناهُ : أَنكَ فعلتَ السيرَ والجبلَ مقارناً ومصاحباً لكَ طولَ سيرِكَ ، وتقولُ لِمَنْ سَأَلَكَ عن موضعٍ : امشِ وهذا الطريقَ لا تَنحرفَ لا يَمَنَةً ولا يَسْرَةً .. تَصِلُ إلى مقصودِكَ .

[أحوالُ المفعولِ معهُ مشاركاً في الفعلِ أو لا]

ثمَّ المفعولُ معهُ : تارةً يكونُ مشاركاً في الفعلِ ، وتارةً لا يكونُ مشاركاً فيه ، غايةُ الأمرِ : أَنَّهُ مُصَاحِبٌ للفاعلِ حالةَ الفعلِ في الوجودِ والموضعِ .

وَمِنْ حيثُ إِنَّ المفعولَ معهُ يكونُ مشاركاً تارةً وغيرَ مشاركٍ تارةً ؛ فمتى كانَ مشاركاً .. كانَ عطفُهُ على الفاعلِ أفصحَ وأرجحَ ، إلَّا إذا أضعفَ العطفُ مُضعِفٌ ، كما إذا كانَ لفظُ الفاعلِ ضميراً مُتصِلاً لم يُفصَلْ بينَهُ وبينَ الواوِ بفاصلٍ ؛ نحوُ : سرتُ وزيدٌ وزيداً إلى بلدِ كذا ؛ فإنَّ النصبَ على كونهِ مفعولاً معهُ أرجحُ ؛ وذلكَ لأنَّ الضَّميرَ المرفوعَ المُتصِلَ لا يُعطفُ عليه إلَّا إذا وُجِدَ فاصلٌ بينَهُ وبينَ الواوِ ، فإذاً يكونُ العطفُ أرجحَ في نحوِ : سرتُ أنا وزيدٌ ، وفي نحوِ : سرتُ إلى بلدِ كذا وزيدٌ ، وأرجحيةُ العطفِ : لكونِهِ نصّاً في المشاركةِ في الفعلِ ؛ إذ قد عرفتَ أَنَّ المفعولَ معهُ تارةً يكونُ مشاركاً ، وتارةً يكونُ غيرَ مشاركٍ ، فلا نصَّ فيه على المشاركةِ .

ومتى لم يكن المفعول معه مشاركاً . . وجب نصبه وامتنع العطف ؛ نحو :
سرت والطريق ، فالطريق غير سائر .

ومتى كان الفعل من الأفعال الاشتراكية التي لا تحصل إلا من اثنين
فصاعداً . . امتنع المفعول معه ووجب العطف ؛ كاختصم زيد وعمرو ،
واصطف خالد و بكر ورجل ؛ إذ وضع الباب على أن يكون الفاعل يستقل
بالفعل ، وهذه الأفعال لا يمكن استقلال الواحد بها .

وكما أنك تنبه على مقارنة فاعلية الفعل للمفعول معه . . تنبه على
مقارنة مفعولية الفعل به ؛ نحو : علفتها تبناً وماء ؛ حيث يكون الماء حاضراً
وقت العلف لا مسقياً ، وإلا . . كان نصب الماء على تقدير : وسقيتها ؛ كقول
الشاعر^(١) :

[عَلَفْتُهَا] تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا
[من الوافر] وقوله^(٢) :

إِذَا مَا أَلْغَانِيَاثُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا
أَي : كَحَلَنَ الْعُيُونَ .

[وجوب نصب المفعول معه بفعل محذوف]

ونصبت العرب المفعول معه بفعل محذوف وجوباً بعد (كيف) و (ما)
الاستفهاميتين ؛ فقالوا : كيف أنت وقصعة من ثريد ؟ الأصل : كيف تكون
وقصعة . . . ، فكيف : خبر مقدم لـ (تكون) ، واسمه ضمير المخاطب
المتصل المستتر ، فلما حذف الفعل . . برز الضمير وانفصل ، كما هو

(١) انظر « خزنة الأدب » (١٣٩/٣) .

(٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢٤٢/٢) .

العادة ، ومعنى العبارة : أقادراً تكونُ على التهامِ القصعةِ أم عاجزاً عنه ؟
أجاب بعضهم فقال : أكلها وأقول : هل مِنْ مزيدٍ ؟ فذلك حُطْمَةٌ لَهُمَّةٌ ،
ونحوُ : ما أنتَ وهذا ؟ لِمَنْ يَتَعَرَّضُ لِمَا لا خبرةَ لَهُ به ؛ أي : ما تكونُ وهذا
فعلٌ به ما ذُكِرَ .



المُستثنى

وهو اسمُ شيءٍ تُنْبِي وَصُرِفَ عَنْهُ حَكْمٌ شَامِلٌ لَهُ بِأَدَاةٍ مَخْصُوصَةٍ ؛ نَحْوُ :
خَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ إِلَّا زَيْدًا ؛ فزَيْدٌ : اسمُ شَخْصٍ صُرِفَ عَنْهُ حَكْمٌ وَرَدَّ عَلَى أَهْلِ
الْبَلَدِ الشَّامِلِ لِمُسَمَّى زَيْدٍ ؛ وَهُوَ الْخُرُوجُ .

[أحوال المستثنى]

وإنما يجبُ نصبُهُ : إذا كانَ بعدَ كلامٍ مُثَبَّتٍ تامٍّ كالمثالِ ، أو كانَ معَ
كلامٍ مَنْفِيٍّ تامٍّ وَقُدِّمَ عَلَى المُسْتَثْنَى مِنْهُ ؛ نَحْوُ : ما خَرَجَ إِلَّا زَيْدًا أَهْلُ الْبَلَدِ ،
فلو لم يكنْ مُتَقَدِّمًا عَلَى المُسْتَثْنَى مِنْهُ . . لم يجبِ نصبُهُ ، بل جازَ لكِ
فيه أمرانِ : أنْ تَنْصِبَهُ مُسْتَثْنَى ، وأنْ تَجْعَلَهُ تابِعًا لِلْمُسْتَثْنَى مِنْهُ فِي إِعْرَابِهِ ،
وَيُسَمَّى حَيْثُئِذٍ : بدلًا ، كما ستَعْرِفُ فِي شَرْحِ التَّوَابِعِ ^(١) .

فإذا لم يكنِ الكلامُ تامًّا ؛ بأنْ حُذِفَ المُسْتَثْنَى مِنْهُ . . قامَ المُسْتَثْنَى
مَقَامَهُ ، وَعُومِلَ بِما يَقْتَضِيهِ الْعَامِلُ ؛ فإنْ كانَ المُسْتَثْنَى مِنْهُ مَرْفُوعًا . . رَفَعْتَ
المُسْتَثْنَى ؛ لِقِيَامِهِ مَقَامَهُ ؛ نَحْوُ : ما قامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ ؛ فَتَقُولُ : ما قامَ إِلَّا
زَيْدٌ ، وإذا كانَ مَنْصُوبًا . . نَصَبْتَ المُسْتَثْنَى ؛ نَحْوُ : ما رأيتُ أَحَدًا إِلَّا زَيْدًا ؛
فَتَقُولُ : ما رأيتُ إِلَّا زَيْدًا ، فَتَنْصِبُهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ ، وإذا كانَ مَجْرُورًا . .
جَرَرْتَ المُسْتَثْنَى ، وَنَقَلْتَ إِلَيْهِ الْخَافِضَ ؛ نَحْوُ : ما مررتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدٍ أَوْ
زَيْدًا ؛ فَتَقُولُ : ما مررتُ إِلَّا بِزَيْدٍ ، وَهَذِهِ عِبَارَةُ الْقَصْرِ .

وَيُقَالُ لِهَذَا النِّوعِ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ : الْإِسْتِثْنَاءُ الْمُفْرَعُ ؛ يَعْنِي : الْإِسْتِثْنَاءَ الَّذِي
فُرِعَ فِيهِ الْعَامِلُ عَنِ الْإِسْتِغَالِ بِالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ ، وَشُغِلَ بِالْمُسْتَثْنَى ؛ لِعِلْمِكَ أَنَّهُ

(١) انظر (١/٤٨١) .

أَقِيمَ مَقَامَهُ ، وأكثرُ ما يكونُ التفرِيعُ في النفي ؛ لأنَّ أكثرَ الإثباتِ لا يَصِحُّ فيها التفرِيعُ ؛ مثلاً : إذا قلتَ : رأيتُ إلَّا زيداً .. كانَ معناهُ : رأيتُ كلَّ أحدٍ إلَّا زيداً ، وهوَ فاسدٌ ، بخلافِ قولِكَ : ما رأيتُ إلَّا زيداً ، فإنَّ معناهُ : ما رأيتُ أحداً إلَّا زيداً ، وهوَ صحيحٌ ؛ لإمكانِهِ .

والتفرِيعُ الصحيحُ في الإثباتِ .. نحوُ : قرأتُ إلَّا سورةَ (الرَّعْدِ) فإنَّ معناهُ : قرأتُ كلَّ القرآنِ إلَّا سورةَ (الرَّعْدِ) وهوَ صحيحٌ ، وضابطُهُ : أن يكونَ ثبوتُ الفعلِ لكلِّ أفرادِ جنسِ المُستثنى ممكناً .

[الاستثناءُ بغيرِ (إلَّا)]

ويكونُ الاستثناءُ بحرفِ هوَ (إلَّا) ، وباسمَينِ هما (غيرِ) و (سوى) ، وبأربعةِ أفعالٍ هيَ : (ليسَ) ، و (خلا) ، و (عدا) ، [و (حاشى)] ، وبكلمةٍ مُركَّبةٍ مِنْ فعلٍ وحرفٍ هيَ (لا يكونُ) .

فإذا كانَ الاستثناءُ بـ (غيرِ) و (سوى) .. كانَ المُستثنى مجروراً دائماً بالإضافةِ ، وكانَ حكمُ المُستثنى بـ (إلَّا) مِنْ وجوبِ نصبٍ وجوازِ نصبٍ واتباعٍ ومعاملةٍ بما يقتضيه العاملُ .. ثابتاً لكلمتَي (غيرِ) و (سوى) .

وإذا كانَ الاستثناءُ بـ (ليسَ) .. كانَ المُستثنى منصوباً أبداً على أَنَّهُ خبرٌ لـ (ليسَ) ، واسمُها ضميرٌ مستترٌ وجوباً يَعُودُ على بعضِ الشاملِ للمُستثنى ؛ فإذا قلتَ : خرجَ أهلُ البلدِ ليسَ زيداً .. فهوَ على إضمارِ ضميرٍ في (ليسَ) يَعُودُ على بعضِ أهلِ البلدِ ؛ فالمعنى : ليسَ بعضُ أهلِ البلدِ المحكومُ لَهُم بالخروجِ زيداً ، ومثلُ (ليسَ) : (لا يكونُ) .

وإذا كانَ الاستثناءُ بـ (خلا) و (عدا) ؛ فإنَّ أتيتَ قبلَهُما بـ (ما) المصدريةِ .. وجبَ نصبُ المُستثنى على أَنَّهُ مفعولٌ بهِ للفعليْنِ ، وفاعلُهُما

ضميرٌ مستترٌ وجوباً يعودُ على بعضِ الشاملِ ، كما في (ليس) و(لا يكونُ) ، وإن لم تأتِ بـ (ما) المصدرية . . جازَ لك نصبُ المُستثنى على ما سبقَ ، وجازَ جرُّه بـ (خلا) و(عدا) على أنَّهُما حرفا جرٍّ ؛ لأنَّهُما يُستعملانِ فعلينِ ويُستعملانِ حرفينِ ، كما أنَّ (حاشا) كذلكَ ، فيجوزُ نصبُ مستثناها وجرُّه على الرعايتينِ .

فالمُستثنى ليسَ مِنَ المنصوباتِ دائماً ، وبعضُهُ مِنَ أنواعِ المنصوباتِ السابقةَ ، خلا أنَّ عباراتِهِ ملحوظٌ فيها معنى (إلا) مخصوصةٌ بحالٍ لم تكنِ قاصرةً عليه في غيرِ الاستثناءِ .

[أحوالُ المُستثنى مع تكرارِ (إلا)]

هذا ؛ وقد وردتِ (إلا) مُكرَّرةً : فإن كانَ المُستثنى مُتعدداً في اللفظِ ، واحداً في المعنى ؛ بأن عَبَّرتَ عن شيءٍ باسمينِ مِنْ أسمائِهِ ؛ نحو : إلا الفتيَّ إلا العلاءَ ، و : إلا أبا حفصٍ إلا عمرَ . . كانتِ (إلا) الثانيةُ مُؤكِّدةً للأولى تأكيداً لفظياً ، وكانَ الاستثناءُ واحداً ، وإذا كانَ مُتعدداً لفظاً ومعنى . . كانتِ الاستثناءاتُ مُتعددةً أيضاً ، وكانتِ (إلا) مُؤسِّسةً .

وتفصيلُ القولِ حينئذٍ :

أنَّهُ إذا كانَ الاستثناءُ مُفْرَغاً ؛ فإذا كانتِ الاستثناءاتُ مِنْ مُستثنى منه واحدٍ . . أعطيتِ العاملَ واحداً مِنَ المُستثنياتِ ، والأرجحُ الأوَّلُ ، [ونصبتِ الباقيَ ؛ نحو : ما أقبلَ إلا زيدٌ إلا عمراً إلا بكرأ ، وإذا كانَ لكلِ مُستثنى مُستثنى منه على حِدَةٍ . . تَعَيَّنَ إعطاءُ الأوَّلِ للعاملِ ، ونصبتِ الباقيَ ؛ نحو : لا تُكْرِمُ إلا الحكماءَ إلا الفسقةَ منهم إلا التائبَ إلا مَنْ لا تُؤثِّرُ التوبةُ في جنائتِهِ .

وإذا لم يكن مُفَرَّغاً ؛ فَإِنَّ تَقَدَّمَ المُسْتَثْنَاثُ . . وَجِبَ نَصْبُهَا بِحَكْمِ مَا سَلَفَ ، وَإِنْ تَأَخَّرَتْ ؛ فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ إِيجَابِيًّا . . وَجِبَ النِّصْبُ كَمَا سَلَفَ أَيْضًا ، وَإِنْ كَانَ سَلْبِيًّا . . تَخَيَّرَتْ فِي وَاحِدٍ ؛ بَيْنَ إِتْبَاعِهِ لِلْمُسْتَثْنَى مِنْهُ - وَهُوَ الْأَرْجَحُ - وَبَيْنَ نَصْبِهِ ، وَنَصَبَتِ الْبَاقِي إِذَا كَانَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَاحِدًا .

وها هنا تركيبٌ وقع فيه اختلافٌ انبنى عليه الاختلافُ في حكمٍ شرعيٍّ ؛ وهو نحو قولك في الإقرار : له عليّ عشرةٌ إلا أربعةً إلا ثلاثةً .

فبعضُ الفقهاء يقولُ : الاستثناءُ ان من العشرة ، فيكونُ المُقَرَّرُ به ثلاثةً ؛ لأنَّهُ أَخْرَجَ الْأَرْبَعَةَ وَالثَّلَاثَةَ - وَهِيَ سَبْعَةٌ - مِنْ الْعَشْرَةِ ، فَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ تَكُونُ هِيَ الْمُقَرَّرُ بِهِ .

وبعضُهُم يقولُ : إِنَّ اسْتِثْنَاءَ كُلِّ مِمَّا قَبْلَهُ ، فَيَكُونُ الْمُقَرَّرُ بِهِ تِسْعَةً .

وبعضُهُم يقولُ : إِنَّ التَّرْكِيبَ مُحْتَمِلٌ ، فَيَرْجِعُ لِاسْتِفْسَارِ الْمُقَرَّرِ .

وكلُّ ذَلِكَ إِذَا أَمَكْنَ الْأَمْرَانِ ، وَإِلَّا . . كَانَ اسْتِثْنَاءُ كُلِّ مِمَّا قَبْلَهُ ؛ فَلَوْ قَالَ الْمُقَرَّرُ : لَهُ عَلَيَّ عَشْرَةٌ إِلَّا تِسْعَةً إِلَّا ثَمَانِيَةً . . . وَهَكَذَا إِلَى الْوَاحِدِ . . كَانَ الْمُقَرَّرُ بِهِ خَمْسَةً عَلَى رَأْيِ مَنْ يَقُولُ بِالِاحْتِمَالِ ^(١) وَمَنْ يَقُولُ : إِنَّ اسْتِثْنَاءَ كُلِّ مِمَّا قَبْلَهُ ، وَبَاطِلٌ لِأَنَّ عِنْدَ غَيْرِهِمْ .



(١) الذي يقول بالاحتمال . . فإنه يرجع إلى استفسار المقر ، إلا إذا كان هذا المثال مما لا يحتمل غير الخمسة عنده ، والله تعالى أعلم .

الحالُ

وهو اسمٌ أو ما يقع موقعه من جملةٍ ، يُذكرُ لبيانِ الهيئةِ التي يكونُ عليها
الفاعلُ حالَ فاعليتهِ للفاعلِ أو المفعولُ حالَ مفعوليتهِ له ، ويكونُ الفعلُ مُقيِّدَ
الحصولِ بها ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ راكباً .

ف (راكباً) : اسمٌ ذُكِرَ لبيانِ هيئةِ زيدِ الفاعلِ للمجيءِ التي هو عليها حالةُ
فاعليتهِ للمجيءِ ، ونحوُ : أكرمَ زيداً مجتهداً في طلبِ العلمِ .

ف (مجتهداً) : اسمٌ ذُكِرَ لبيانِ هيئةِ زيدِ المفعولِ التي هو عليها حالَ
المفعوليةِ ، وأفادتُ أنَّ إكرامَهُ لا يحصلُ إلاَّ حالةَ اجتهادهِ .

فحصولُ الفعلِ مُقيِّدٌ بوجودِ الاجتهادِ ؛ فلو قلتَ : (أكرمَ زيداً) ولم تَرِدْ .
كانَ المعنى : أنَّ إكرامَكَ له يحصلُ مطلقاً غيرَ مُقيِّدٍ بشيءٍ .

[أحوالُ صاحبِ الحالِ وعاملِها]

وللحالِ صاحبٌ هو المُتصِفُ بها ، وعاملٌ هو رافعُ صاحبِها أو ناصبُها
مثلاً .

وأكثرُ ما يكونُ صاحبُ الحالِ معرفةً ، ويكونُ نكرةً إن سبقَ : بنفيٍ ،
أو نهْيٍ ، أو استفهامٍ ، أو وصفيٍّ ، أو تقدّمتُ عليه الحالُ .

فالمعرفةُ : نحوُ : جئتُكَ زائراً ؛ فصاحبُ الحالِ تاءُ المُتكلِّمِ ، وهو
معرفةٌ .

والنكرةُ : نحوُ قولِكَ : ما جاءَ رجلٌ ماشياً ولا راكباً ، ولا يَغْتَبُ أحدٌ أحداً

مُحْتَقِرًا إِثْمَ الْغِيْبَةِ ، وَأَعْقَلَ النَّاسِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ عَامِلًا بَعْلِمِهِ دَاعِيًا لِدِينِهِ لَاطِفًا
بِحَزْبِهِ ^(١) ، وَقَوْلِهِ ^(٢) :

[من مجزوء الوافر]

لَمَيَّةٌ مُوَجِّشًا طَلَّلُ

ولا يكونُ صاحبُ الحالِ مُضَافًا إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُضَافُ جِزْءًا مِنْهُ أَوْ
مِثْلَ الْجِزْءِ ؛ نَحْوُ : خَذُ بِيَدِ الْمَظْلُومِ مُسْتَعِيثًا بِكَ ، وَنَحْوُ : ﴿ أَنْ أَتَيْتَ مَلَّةً
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ ^(٣) ، وَإِلَّا إِذَا كَانَ الْمُضَافُ عَامِلًا فِيهِ عَمَلُ الْفِعْلِ وَلَوْ بِالتَّوْبِيلِ
وَمِلَاحِظَةِ الْمَعْنَى ؛ نَحْوُ : أَنَا مُكْرِمٌ زَيْدٍ بِأَدْلَى هِمَّتُهُ فِيمَا يَعْنِي ، وَنَحْوُ : أَنْتَ
حَسَنُ الْوَجْهِ نَافِعًا لِلنَّاسِ ، وَنَحْوُ قَوْلِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ رَسْمَ بَابٍ كَبِيرٍ لِدَارٍ صَغِيرَةٍ :
هَذَا بَابُ الدَّارِ كَبِيرَةٌ ، عَلَيَّ مَعْنَى : هَذَا يَنَاسِبُ الدَّارَ كَبِيرَةً .

وعاملُ الحالِ : كُلُّ مَا فِيهِ رَائِحَةُ الْفِعْلِ مِلَاحِظَةً ؛ كَحَرْفِ التَّنْبِيهِ ، وَاسْمِ
الإِشَارَةِ ، وَأَدَاةِ التَّشْبِيهِ ، وَحَرْفِ التَّمْيِينِ ، وَمَا عَدَا الْفِعْلَ وَفُرُوعَهُ يُسَمَّى : عَامِلًا
مَعْنَوِيًّا ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَ بِالمَعْنَى الْفِعْلِيَّةِ الْمَلْحُوظِ مَعَهُ ؛ نَحْوُ : ﴿ وَهَذَا بَعْلِي
سَيِّئًا ﴾ ^(٤) ؛ أَيْ : أُتْبِهْتُمْ لِرُؤْيَيْتِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، أَوْ أَشِيرُ إِلَيْهِ فِيهَا ؛ لِأَجْلِ
أَنْ تَتَحَقَّقُوا إِمْكَانَ بَشْرَاكُم ، وَنَحْوُ : كَأَنَّ زَيْدًا جَبَلٌ مُزَاجِمًا شَدَائِدَ الْأُمُورِ .

[مواضع وجوب حذف عاملِ الحالِ]

ويُحذفُ عاملُ الحالِ وجوباً في أربعةِ مواضعٍ :

الأوَّلُ : إِذَا كَانَتْ مُؤَكِّدَةً لِمَعْنَى جُمْلَةٍ ، وَسَيَّاتِي ^(٥) .

(من البسيط)

(١) ومثال النكرة المسبوقة باستفهام قول الشاعر :

يَا صَاحِ هَلْ حُمَّ عَيْشٌ بِأَقْيَأَ فَتَرَى لِنَفْسِكَ أَلْعُدْرَ فِي إِنْعَادِهَا الْأَمَلَا

(٢) صدر بيت لكثير عزة ، كما في « ديوانه » (ص ٥٠٦) ، والبيت بتمامه :

لَمَيَّةٌ مُوَجِّشًا طَلَّلُ يَلُوحُ كَأَنَّه جَلَّلُ

(٣) سورة النحل : (١٢٣) .

(٤) سورة هود : (٧٢) .

(٥) انظر (٤٥٣ / ١) .

الثاني : إذا كانت سادّة مسدّ خيرٍ حُدِفَ وجوباً ، وسبق^(١) .

الثالثُ : إذا كانت لبيانِ زيادةٍ أو نقصٍ ؛ نحوُ : هذا يساوي ألفَ درهمٍ فصاعداً أو فنازلاً ؛ أي : فيذهبُ العددُ صاعداً ، وللصّاحِبِ بهاءِ الدينِ زهير^(٢) :

[من مجزوء الخفيف]

لَعَنَ اللَّهُ صَاعِداً وَأَبَاهُ فَصَاعِداً
وَبَنِيهِ فَنَازِلاً وَاحِداً ثُمَّ وَاحِداً

الرابعُ : إذا وقعت في التوبيخِ بالاستفهامِ ؛ نحوُ : أعاصياً وقد أطاعَ الناسُ؟! أي : أتبقى عاصياً ، ومنه : أتميمياً مرّةً وقيسياً أخرى؟! وفي غير ذلك يكونُ كبقية الألفاظِ التي يجوزُ حذفُها ؛ اعتماداً على القرائن .

ويجوزُ تقديمُ الحالِ على صاحبِها وعلى عاملِها : إن كانَ فعلاً مُتصِرفاً ، أو اسمَ فاعِلٍ ، أو اسمَ مفعولٍ ، لا غيرُ ، إلّا إذا كانَ العاملُ اسمَ تفضيلٍ وكانَ المُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليه كلُّ منهما صاحبَ حالٍ ، أو شيئاً واحداً فُضِّلَ على نفسه باعتبارِ حالينِ :

فالأوّلُ : كقولك : زيدٌ مُنفرداً أنفعُ من عمرو مُصطحباً جيشاً ؛ ذ (مُنفرداً) و (مُصطحباً) : حالانِ ؛ الأوّلَى لزيدٍ ، والثانيةُ لعمرو ، والعاملُ فيهما لفظُ (أنفعُ) الذي هو اسمُ تفضيلٍ ، وقُدِّمَت أُولَى الحالينِ عليه .

والثاني : كقولك : هذا البلحُ بُسراً أطيبُ منه رطباً ؛ ذ (بُسراً) و (رطباً) : حالانِ للبلحِ ، والعاملُ فيهما لفظُ (أطيبُ) الذي هو اسمُ تفضيلٍ ، وقُدِّمَت

(١) انظر (٣٥٢/١) .

(٢) انظر « ديوان بهاء الدين زهير » (ص ٨٩) .

الأولى عليه ، والمُفَضَّلُ والمُفَضَّلُ عليه هُوَ البَلْحُ باعتبارِ كونه بُسْراً وباعتبارِ كونه زُطْباً .

وتعدَّدُ الحالُ وصاحبُها واحدٌ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ راكباً لابساً أحسنَ ثيابه مُتقلِّداً سلاحَهُ ، وتعدَّدُ وصاحبُها مُتعدِّدٌ ؛ فإذا كانتَ مِنْ لفظٍ واحدٍ . . ثنَّيتَ وجمعتَ بحسَبِ الحالِ ؛ نحوُ : لقيتُ زيداً راكبينِ ، ولقيتُ العلماءَ مُتذاكرينَ ، فإن لم يكونا مِنْ لفظٍ واحدٍ ، بل اختلفا في ذاتِهِما ، أو بحسَبِ ما يتعلَّقُ بهما . . أتيتَ بكلِّ مِنَ الحالينِ على جِدَّةٍ ؛ نحوُ : لقيتُ راكباً زيداً ماشياً ، ولقيتُ زيداً راكباً ماشياً ، وفي هذا تكونُ الحالُ الأولى للاسمِ الثاني ، والحالُ الثانيةُ للاسمِ الأوَّلِ ، أو بالعكسِ ؛ حسَبَ ما تعطيه القرائنُ ، ونحوُ : لقيتُ راكباً حماراً زيداً راكباً فرساً ، ورأيتُ زيداً راكباً حماراً راكباً فرساً . . كذلكَ .

[أقسامُ الحالِ]

وإذا لم يُفهمَ معنى الحالِ مِنْ لفظٍ مِنَ الألفاظِ المذكورةِ معها . . سُمِّيَتْ : حالاً مُؤَسَّسةً .

وإذا فهمَ معناها مِنْ عاملِها . . سُمِّيَتْ : مُؤَكِّدةً لعاملِها ؛ نحوُ : ﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ^(١) ؛ فإنَّ العُتُوَّ معناهُ الإفسادُ ، فلفظُ (مفسدينَ) حالٌ مُؤَكِّدةٌ للفظِ (تعنوا) الذي هُوَ عاملُها .

وإذا فهمَ معناها مِنْ صاحبِها . . سُمِّيَتْ : مُؤَكِّدةً لصاحبِها ؛ نحوُ ﴿ لَأَمِّنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(٢) ، ف (جميعاً) : حالٌ صاحبِها لفظُ (مَنْ)

(١) سورة البقرة : (٦٠) .

(٢) سورة يونس : (٩٩) .

الموصول بلفظ (في الأرض) ، المؤكّد بـ (كلُّهم) فهم منه معنى الإحاطة
والشُّمول والعموم ، وأفيدَ هذا المعنى بلفظ (جميعاً) ، فهي حالٌ مؤكّدةٌ
لصاحبها .

وتكونُ مؤكّدةٌ لمعنى تضمّنته جملةً اسميةً مُنعقدةً من اسمين جامدين ،
وتُسمّى : مؤكّدة الجملة ؛ نحو : زيدٌ أبوكُ شُفوقاً عليك ، وعمروُ أخوكُ
مساعداً لك ؛ وذلك حيثُ تكونُ الجملةُ معطيةً معنى الحالِ التزاماً حسَبَ
ما تحكّم به العادةُ ، وهذه الحالُ في بابها نظيرةُ المصدرِ المؤكّدِ لنفسِه
في بابِه .

وهذا من مواضع وجوب حذفِ عاملِ الحالِ كما سبقَ الوعدُ به (١) ،
وتقديرُه : خلقه اللهُ وأودعه طباعه وأظهر نتائجها شُفوقاً عليك .

وأثبتَ بعضُ العلماءِ للحالِ عاملاً غيرَ ما سَلَفَ ؛ وهو نسبةُ الخبرِ للمبتدأ
وثبوتهُ له ، وبه رُدُّ منعِ سبويه مجيءِ الحالِ من المبتدأ ، مُعللاً ذلكَ بعدمِ ما
تكونُ الحالُ قيداً له ، فإنها حينئذٍ تكونُ قيداً للمعنى الفعليّ الذي يُشَمُّ من
نسبةِ الخبرِ للمبتدأ ، والرّدُّ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ الحالَ تكونُ حينئذٍ من ضميرِ
المبتدأ المحمولِ لذلكَ الفعلِ الملحوظِ ، وعلى هذا تكونُ الحالُ المؤكّدةُ
للجملةِ المذكورةِ ليستَ محذوفةً العاملِ .

وإذا كانتِ الحالُ من الأوصافِ الثابتةِ لصاحبها دائماً . . . سُمِّيَتْ : حالاً
لازمةً ، وحينئذٍ لا تفيدُ تقييدَ العاملِ ؛ إذ معنى تقييدهِ أنّه يحصلُ ويوجدُ
وقتَ وجودها ، وينتفي حصولُه وقتَ انتفائها وعدمِها ، والحالُ اللازمةُ
ليسَ لها انتفاءٌ ؛ نحو : سألتُ اللهَ عالماً بحالِ السائلينَ ، فالعلمُ صفةٌ ثابتةٌ

(١) انظر (٤٥٠/١) .

دائماً لله تعالى الذي هو صاحبُ الحالِ ، وليستْ مُقيّدةً لحصولِ السُّؤالِ ؛
فإنَّكَ لا تَلَحَّظُ أَنَّكَ تَسْأَلُهُ فِي حَالِ ثَبوتِ العِلْمِ لَهُ دونَ حَالِ انتفائِهِ عَنْهُ ،
فإنَّهُ لا يَنْتَفِي ، وَمِنَ اللَّازِمَةِ نَحْوُ : خَلَقَ اللهُ الرَّأْفَةَ يَدَيْهَا أَطولَ مِنْ رَجليهَا ،
وَاليَرْبوعَ رَجليهِ أَطولَ مِنْ يَدَيْهِ .

وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الأوصافِ التي تَثْبُتُ حِيناً وَتَنْتَفِي حِيناً ؛ كَرُكوبِكَ وَمَشِيكَ
وَعُودِكَ . . سُمِّيَتْ : حَالاً مُنْتَقِلَةً ، وَهَذِهِ هِيَ التي يُقْصَدُ بِهَا تَقْيِيدُ العَامِلِ ،
فِإِذَا قُلْتَ : اضْرِبْ زَيْداً مَسِيئاً . . فَمَعْنَاهُ : أَطْلُبُ مِنْكَ ضَرْبَ زَيْدٍ فِي حَالِ
كُونِهِ مَسِيئاً ، فِإِذَا انْتَفَتَّ إِسْأَلُهُ وَصَارَ مَحْسَناً . . فلا أَطْلُبُ مِنْكَ ضَرْبَهُ .

ولا تَكُونُ الحَالُ إِلا نَكْرَةً : فِإِذَا جَاءَتْ مَعْرِفَةً فِي اللَّفْظِ . . فَهِيَ نَكْرَةٌ
بِحَسَبِ المَعْنَى المَلْحُوظِ ؛ نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَحَدَهُ ، فَلَفْظُ (وَحَدَهُ) حَالٌ ، وَهُوَ
مَعْرِفَةٌ بِإِضَافَتِهِ لِلضَّمِيرِ ، لَكِنْ مَعْنَاهُ : جَاءَ زَيْدٌ مُنْفَرِداً ، فَهُوَ نَكْرَةٌ بِحَسَبِ
المَلاحِظَةِ ؛ إِذِ الغَرَضُ مِنَ الحَالِ بَيانُ هَيْئَةِ صاحِبِها وَصِفَتِهِ ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ
بِلَفْظِ النَكْرَةِ ، فلا غَرَضُ فِي التَّعْرِيفِ .

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : أَقْبَلَتِ الخَيْلُ بَدَادٍ ؛ كَفَجَّارٍ ، عَلِمَ جَنسٌ لِلتَّبَدُّدِ ؛ أَي : مُتَبَدِّدَةٌ
غَيْرَ مُجْتَمِعَةٍ ، وَقَوْلُهُمْ : أَرْسَلَهَا العِرَاكُ ؛ أَي : مُعْتَرِكَةٌ ، وَهَذَا مِنْ تَرَاكِبِ
وَرَدَتْ عَنْهُمْ مُشْتَمَلَةٌ عَلَى مَصْدَرٍ مَنْصُوبٍ يُتَبَادَرُ مِنْ فَحْوَى الكَلَامِ أَنَّهُمْ
اعْتَبَرُوهُ حَالاً ؛ نَحْوُ : طَلَعَ بَغْتَةً ، وَأَقْبَلَ رَكْضاً ، وَبِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ النَحْوِيِّينَ
حَاكِماً بِشَدُوذِهِ ، غَيْرَ مُجَيِّزِ القِيَّاسِ عَلَيْهِ ، وَأَجَازُهُ بَعْضٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ
مَفْعُولاً مُطْلَقاً ؛ أَي : طُلُوعَ بَغْتَةٍ ، وَمَجِيءَ رَكْضٍ .

وَأَكْثَرُ ما تَكُونُ الحَالُ مِنَ المُشْتَقَّاتِ صِراحَةً : حَيْثُ عَرَفَتْ أَنَّها وَصْفٌ ،

وجاءت مُشْتَقَّةً بالتأويل والملاحظة كما جاء أخوها الخبر كذلك ؛ نحو : بيع
 البُرُّ إردبًا بدينار ؛ أي : مُسْعَرًا ، وكَلَّمْتُهُ فاهُ إلى فيِّي ؛ أي : مشافهةً ، وبعهُ كذا
 يدأ بيد ؛ أي : مناقدةً ، وكرَّرَ زيدٌ أسدًا ؛ أي : مُشْبِهًا [له] .

[جملةُ الحالِ وروابطُها]

ثمَّ إنَّ الحالَ تكونُ مفردةً كما رأيتَ ، وتكونُ جملةً خبريةً ؛ اسميةً أو
 فعليةً ، ماضيةً أو مضارعيةً ، مثبتةً أو نافيةً ، ولا بدَّ لها من رابطٍ يربطُها
 بصاحبها ، وربطُها : إمَّا ضميرٌ يعودُ على صاحبها ، أو واوٌ تُفتتحُ بها الجملةُ ؛
 نحوُ : جاء زيدٌ يتبسَّمُ ؛ ف (يتبسَّمُ) : جملةٌ فعليةٌ مضارعيةٌ حالٌ من زيدٍ ،
 مُرتبطةٌ بالضميرِ المُستترِ في الفعلِ العائدِ على زيدٍ ، ونحوُ : جئتُك والشمسُ
 طالعةٌ ؛ ف (الشمسُ طالعةٌ) : جملةٌ اسميةٌ حالٌ من ضميرِ المُتكلمِ أو من
 ضميرِ المُخاطبِ ، مُرتبطةٌ بالواوِ الداخلةِ عليها .

ويكونُ الرابطُ الواوَ وحدها إن لم يكن في الجملةِ ضميرٌ كما رأيتَ ،
 ويكونُ الرابطُ الضميرَ وحدهُ كما رأيتَ أيضاً ، وقد يجتمعان ؛ نحوُ : جاء زيدٌ
 وهو ضاحكٌ السنن .

[مواضعُ اقتصارِ الربطِ على الضميرِ]

لكنَّ تَمَنَعُ الواوِ ، ويجبُ الاقتصارُ في الربطِ على الضميرِ في ستة
 مواضعَ :

الأوَّلُ : إذا كانت جملةُ الحالِ مُؤكِّدةً لمضمونِ جملةٍ ؛ نحوُ : هو الحقُّ لا
 شكَّ فيه ، و ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة : (٢) .

الثاني : إذا كانتِ الجملةُ ماضويةً عَطِفَتْ فيها بـ (أو) التعميمية ؛ نحوُ :
لَأَكْرِمَنَّ زَيْدًا أَحْسَنَ أَوْ أَسَاءَ ، معناه : مُتَّصِفًا بِأَيِّ صِفَةٍ .

الثالثُ : إذا وَقَعَتْ بعدَ عاطفٍ ؛ نحوُ : ﴿ بَيْتًا أَوْ هَمَّ قَائِلُونَ ﴾ ^(١) .

الرابعُ : إذا كَانَ مضارعُها مَنفِيًّا بـ (ما) نحوُ : عهدتُكَ ما تصبو .

الخامسُ : إذا كَانَ مضارعُها مُثْبِتًا ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ يَتَبَسَّمُ .

السادسُ : إذا كَانَ مضارعُها مَنفِيًّا بـ (لا) نحوُ : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ ﴾ ^(٢) .

وتتعيَّنُ الواوُ لربطِ المضارعِ المسبوقِ بـ (قد) : نحوُ : ﴿ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ
تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) .



(١) سورة الأعراف : (٤) .

(٢) سورة المائدة : (٨٤) .

(٣) سورة الصف : (٥) .

التمييزُ

اسمٌ يذكُرُهُ الْمُتَكَلِّمُ ؛ لِتَبَيِّنِ بِهِ عَيْنَ مَرَادِهِ مِنْ اسْمٍ سَابِقٍ يَصْلُحُ لِأَنْ يُرَادَ بِهِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ :

النوعُ الْأَوَّلُ : أَنْ يُذَكَّرَ الْأِسْمُ الصَّالِحُ لِأَنْ يُرَادَ بِهِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ أَوْلَى ، ثُمَّ يُذَكَّرَ الْأِسْمُ الَّذِي نُسِّمِيهِ تَمْيِيزًا لِذَلِكَ الْغَرَضِ .

النوعُ الثَّانِي : أَنْ يُلْحَظَ الْأِسْمُ الصَّالِحُ لِلْأَشْيَاءِ أَوْلَى وَلَا يُلْفَظُ ، ثُمَّ يُذَكَّرَ التَّمْيِيزُ لِذَلِكَ الْغَرَضِ .

[تَمْيِيزُ الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ وَالْعَدَدِ وَالْمِسَاحَةِ]

شَرَحَ النَّوْعَ الْأَوَّلَ : أَسْمَاءُ الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ وَالْعَدَدِ وَالْمِسَاحَةِ ؛ مِثْلًا : تُذَكَّرُ فَيُعْلَمُ شَيْءٌ مَا مَكِيلٌ أَوْ موزونٌ أَوْ معدودٌ أَوْ ممسوحٌ ؛ فَإِذَا قُلْتَ : عِنْدِي إِرْدَبٌ ، أَوْ عِنْدِي قِنطَارٌ ، أَوْ عِنْدِي ذِرَاعٌ ، أَوْ عِنْدِي عَشْرَةٌ . . فَمَعْنَاهُ : عِنْدِي مَكِيلٌ إِرْدَبٌ ، وَموزونٌ قِنطَارٌ ، وَممسوحٌ ذِرَاعٌ ، وَمعدودٌ عَشْرَةٌ ؛ فَمَكِيلٌ إِرْدَبٌ يَصْلُحُ لِأَنْ يُرَادَ بِهِ قَمَحٌ^(١) ، أَوْ شَعِيرٌ ، أَوْ رَزٌّ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي اعْتَادَ النَّاسُ كَيْلَهَا ، وَكَذَلِكَ موزونٌ قِنطَارٌ يَصْلُحُ أَنْ يُرَادَ بِهِ عَسَلٌ موزونٌ قِنطَارٍ ، أَوْ سَمْنٌ ، أَوْ زَيْتٌ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي اعْتَادَ النَّاسُ وَزْنَهَا ، وَهَلْكَذَا فِي الْمَمْسُوحِ وَالْمَعْدُودِ .

وَحَيْثُذِ عَلِمْتَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ لَا تَفِيدُ مُخَاطَبَكَ مُرَادَكَ مِنْهَا ، فَصَارَتْ مُبْهَمَةً ؛ أَيُ : مُبْهَمًا مُرَادَكَ غَيْرَ مُتَعَيِّنٍ فِي ضَمَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَصْلُحُ لِإِرَادَتِهَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ ، فَتَذَكَّرُ اسْمَ الشَّيْءِ الَّذِي تَرِيدُهُ ، وَيُسَمَّى : تَمْيِيزًا ؛ لِتَفْيِيدِ

(١) فِي الْأَصْلِ زِيَادَةٌ : (مَكِيلٌ إِرْدَبٌ) .

مُخَاطَبَكَ مُرَادَكَ ؛ فتقولُ : عندي إردبٌ بُرّاً ، أو قِنطارٌ عسلاً ، وذراعٌ قماشاً ،
وعشرةٌ عبيدٌ ؛ ف (برّاً) ومثلهُ هو الذي يُسمّى تمييزاً ؛ لأنّه ميّزَ مُرَادَكَ مِنَ
الأشياء التي كان مُختلطاً بها .

لكن تمييزُ الكيلِ والوزنِ والمِساحَةِ لا يجبُ نصبُهُ ، بل يجوزُ ، ويجوزُ
جرُّهُ بإضافةِ اسمِ الكيلِ وغيرهِ إليه ، ويجوزُ جرُّهُ بكلمةِ (مِنْ) ، فلكَ فيه ثلاثةُ
أوجهٍ ؛ تقولُ : عندي إردبٌ بُرّاً بالنصبِ ، وعندي إردبٌ بُرٌّ ؛ بجرِّ الإضافةِ ،
وعندي إردبٌ مِنْ بُرٍّ ؛ بجرِّ (مِنْ) ، فليسَ تمييزُ هذهِ الأسماءِ مِنَ المنصوبِ
وجوباً .

وأما تمييزُ العددِ .. فتمييزُ ثلاثةٍ إلى عشرةٍ وتمييزُ مئةٍ سواءً كانتَ وحدَها
أو مُركَّبةً معَ ثلاثةٍ إلى تسعةٍ ، أو مُثناةً ، وتمييزُ ألفٍ .. يجبُ جرُّها ، إلا أنَّ
تمييزَ الثلاثةِ إلى العشرةِ يكونُ بلفظِ جمعٍ ، وتمييزُ المئةِ والألفِ بلفظِ مفردٍ ،
وتمييزُ أحدَ عشرَ إلى تسعةَ عشرَ ، وتمييزُ عشرينَ إلى تسعةَ وتسعينَ ..
يجبُ نصبُهُما ، فليسَ تمييزُ العددِ منصوباً كليّاً ، بل هو على هذا التفصيلِ ؛
تقولُ : عندي ثلاثةُ أثوابٍ ؛ بجرِّ إضافةِ اسمِ العددِ إلى اسمِ المعدودِ ، وهكذا
أربعةُ عبيدٍ ، وعشرةُ أسيافٍ ، ومئةُ درهمٍ ، ومئتا دينارٍ ، وثلاثُ مئةٍ عبدٍ ،
وألفُ رجلٍ ، وأحدَ عشرَ بيتاً ، [وعشرونَ] داراً ، وتسعُ وتسعونَ نَعْجَةً .

فلو قلتَ : عندي عشرونَ ألفَ رأسٍ مِنَ الغنمِ .. ف (أَلْف) : تمييزُ
ل (عشرينَ) منصوبٌ وجوباً ، و (رأسٍ) : تمييزُ ل (أَلْف) مجرورٌ وجوباً .

﴿ تَلَكَّ مِائَتَ سِنِينَ ﴾ ^(١) : طريقٌ أخرى غيرُ طريقِ التمييزِ ، سُلِكَتْ لزيادةِ
التعجيبِ مِنْ هذهِ الحادثةِ الغريبةِ ، على معنى : أردتُ بالعددِ سنينَ ، لا أيّاماً
ولا شهوراً .

(١) سورة الكهف : (٢٥) .

[تَمْيِيزُ النِّسْبَةِ]

شرح النوع الثاني من التمييز: هو أن تَلَحَّظَ اسماً صالحاً لأن يُرادَ به أشياء كثيرةٌ ولا تَلَفِظُهُ ، ولكنْ تكونُ هذه الأشياءُ الكثيرةُ مُتَعَلِّقَةً بشيءٍ فتذكرُ ذلكَ الشيءَ الذي لَهُ تلكَ الأشياءُ انتساباً وتَعَلُّقاً بِهِ ، ناسباً إليه أمراً بحَسَبِ الظاهرِ ، وفي الملاحظةِ والاعتبارِ هوَ منسوبٌ للاسمِ المُبْهَمِ الملحوظِ ، ثمَّ تَذَكُرُ اسمَ مُرَادِكَ بعدُ تمييزاً .

مثال ذلك : أن تقولَ : طابَ زيدٌ ؛ فلفظُ (طابَ) يَدُلُّ على حصولِ الطيبِ الذي هوَ مقابلُ الرِّداءِ ، أو الطيبِ الذي هوَ مقابلُ الثُّفَالَةِ ، قاصداً أنَّ شيئاً منَ الأشياءِ المُنتسِبةِ لزيدٍ هوَ الموصوفُ بالطيبِ ، لكنْ لم تَذَكُرْ لفظَ الشيءِ ، ونسبتَ (طابَ) إلى (زيدٌ) ، فالتقديرُ : طابَ شيءٌ منَ الأشياءِ المُتَعَلِّقَةِ بزيدٍ ، وزيدٌ يَتَعَلَّقُ بِهِ رَائِحَتُهُ ، ونفْسُهُ ، وأهلُهُ ، وغِلْمَانُهُ ، ودُورُهُ ، ودَوَابُّهُ . . . إلى غيرِ ذلكَ ، ومُرَادُكَ شيءٌ منَ تلكَ الأشياءِ بعينِهِ ، فتذكرُهُ بعدَ زيدٍ تمييزاً ؛ فتقولُ : طابَ زيدٌ رائحةً ؛ أي : عَطَرْتُ ولم تخبثُ ، وخبثُ الرائحةِ هوَ معنى الثُّفَالَةِ ، أو طابَ زيدٌ داراً ، أو طابَ غلاماً ، أو أباً . . . إلى غيرِ ذلكَ منَ الأشياءِ المُتَعَلِّقَةِ بِهِ ، وتريدُ أن تصفَها بالطيبِ .

ومنه : زيدٌ أعلى الناسِ منزلةً .

ومنه : ما أكرمَ زيداَ صاحباً ؛ حيثُ تريدُ مدحَ صاحبهِ دونهُ .

ومنه : لله زيداَ فُروسيَّةً أو فارساً ، وبعضُهُم يُعربُ (فارساً) : حالاً ، وهوَ ظاهرٌ ، كما إذا أردتَ مدحَ زيدٍ بقولك : ما أكرمهُ صاحباً ، فتعربُ (صاحباً) : حالاً ، قال جريرٌ^(١) :

لَا تَطْلُبَنَّ حُؤُولَةَ فِي تَغْلِبِ فَالزَّنَجُ أَكْرَمُ مِنْهُمُ أَحْوَالاً

(١) انظر « ديوان جرير » (٦٥ / ١) .

فأخوالاً : يُعَرَّبُ حالاً ، لا تمييزاً ؛ فإنَّكَ تَمَدُّحُ الزَّنَجِ وَخُوُولَتُهُمْ ، ولا تريدُ أن تَمَدِّحَ أخوالَهُمْ حتى تكونِ أردتَ شيئاً يُنَسَّبُ للزَّنَجِ ثمَّ بينتَهُ بعدُ كما هو شأنُ التمييزِ .

ومنه : ضربتُ زيداَ ظهراً وبطناً .

وما يكونُ مُفسِّراً لفاعلٍ يُسمَّى : تمييزَ الفاعلِ ، وما يكونُ مُفسِّراً لمفعولٍ يُسمَّى : تمييزَ المفعولِ ، وهذا النوعُ مِنَ التمييزِ منصوبٌ وجوباً ، وناصبٌ التمييزِ الاسمُ المُفسَّرُ به .

والنحويونُ يُسمُّونَ النوعَ الأوَّلَ : تمييزَ المفردِ ، ويُسمُّونَ النوعَ الثانيَ : تمييزَ النسبةِ و تمييزَ الجملةِ ؛ لأنَّ البهامةَ بحسبِ الظاهرِ في نسبةِ الفعلِ التي هي روحُ الجملةِ .

وتحقيقُ القولِ : أنَّ التمييزَ مُفسِّرٌ لمفردٍ مُبهمٍ دائماً ، غايةُ الأمرِ : أنَّه ملفوظٌ أو ملحوظٌ .

ولا يكونُ التمييزُ إلا نكرةً ، ولا يتقدَّمُ على عاملِ المُفسَّرِ .

[أحكامُ تمييزِ العددِ]

هذا ؛ وإذا جرى ذكرُ العددِ في هذا الموضعِ .. فلا بأسَ أن نُلخِّصَ لك بقيةَ أحكامِهِ ، فنقولُ :

اعلمُ : أنَّ الواحدَ والاثنينِ لا يُمَيِّزانِ ؛ فلا تقولُ : واحدٌ رجلٌ مثلاً ، استغناءً بإفادَةِ لفظِ رجلٍ وامرأةٍ الوحدَةِ ، ولفظِ رجلينِ وامرأتينِ الاثنينيَّةِ ، بخلافِ نحوِ رجالٍ ، فلا دلالةَ له على عددٍ بعينه ، فيُذكرُ العددُ المقصودُ ، ويُميِّزُ بالمعدودِ ، وأنَّه قد خُوِّلَفَ بألفاظِ العددِ مِنْ ثلاثةٍ إلى عشرةٍ مُفردةٍ أو مُركَّبةٍ طريقُ التأنيثِ والتذكيرِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ بعضَ الألفاظِ المُشتركةِ بينَ الإناثِ

والذُكُورِ تَلَحُّقُهَا التَّاءُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْأُنْثَى ، وَفِي الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ التَّاءُ مَعَ الْمَذْكُورِ ، وَالْعَبْرَةُ فِي التَّأْنِيثِ وَالتَّذْكِيرِ بِاللَّفْظِ ؛ فَتَقُولُ : ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ إِنْثَاءً ، وَثَلَاثُ أَنْفُسٍ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ ذُكُوراً .

وَقَدْ جَاءَ اعْتِبَارُ الْمَعْنَى ، قَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ^(١) : [مِنْ الطَّوِيلِ]
وَكَانَ مِجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثَلَاثَ شُخُوصٍ كَاعِبَانَ وَمُعَصِرُ
وَالْأَفْصَحُ : ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ كَمَا عَرَفْتَ .

وَإِذَا تَعَدَّدَ التَّمْيِيزُ وَكَانَ مُذَكَّرًا وَمُؤَنَّثًا ؛ فَإِنْ فَصَلْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدَدِ بِكَلِمَةٍ (بَيْنَ) أَوْ بِكَلِمَةٍ (مِنْ) فِي غَيْرِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، أَوْ كَانَ الْمَذْكُورُ عَاقِلًا . .
فَالْعَبْرَةُ بِالْمَذْكُورِ ؛ تَقُولُ : مَلَكَتُ خَمْسَةَ بَيْنَ عَبْدٍ وَجَارِيَةٍ ، أَوْ بَيْنَ جَارِيَةٍ وَعَبْدٍ ، وَمِنْ عَبْدٍ وَجَارِيَةٍ ، وَعَكْسِهِ ، وَتَقُولُ : لَقِيتُ خَمْسَةَ عَشَرَ امْرَأَةً وَرَجُلًا .

وَإِذَا لَمْ تَفْصِلْ وَلَمْ يَكُنِ الْمَذْكُورُ عَاقِلًا . . فَالْعَبْرَةُ بِالسَّابِقِ .
وَإِنْ كَانَ الْمُتَمَيِّزُ يَوْمًا وَلَيْلَةً . . فَالْعَبْرَةُ بِاللَّيْلَةِ ؛ فَإِنَّ اعْتِبَارَ التَّارِيخِ عِنْدَ الْعَرَبِ بِاللَّيَالِي ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ^(٢) .

وَفِي الْحَادِي وَالثَّانِي وَالثَّلَاثِ تَرْجِعُ لِلْأَصْلِ ؛ فَتَقُولُ : الْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ ، وَالبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ ، وَمَوَازُنُ فَاعِلٍ هَذَا تَارَةً يُسْتَعْمَلُ اسْمُ فَاعِلٍ ، وَيُضَافُ لِمَا يَلِيهِ مِنَ الدَّرَجَةِ فِي الْعَدَدِ ، أَوْ يَنْصِبُهُ ؛ فَتَقُولُ : خَرَجْتُ إِلَى الْجَهَةِ الْفُلَانِيَةِ عَاشِرَ تِسْعَةِ رِجَالٍ ، أَوْ عَاشِرًا تِسْعَةَ رِجَالٍ ، وَتَارَةً يُسْتَعْمَلُ لِفِظًا دَالًّا عَلَى الْوَاحِدِ مِنَ الْعَدَدِ ، فَيُضَافُ لَهُ فَقَطُ ؛ فَيُقَالُ : خَرَجَ فُلَانٌ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ ، وَجَاءَ خَامِسَ خَمْسَةٍ ؛ أَيْ : بَعْضَ أَرْبَعَةٍ ، وَبَعْضَ خَمْسَةٍ .

(١) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ١٢٧) .

(٢) سورة البقرة : (٢٣٤) .

وإذا أردت تعريف العدد ولم يكن مضافاً . . أدخلت عليه (أل) ، فتقول :
 هاتِ الخمسة عشر درهماً ، وإذا كان مضافاً . . فالفصيح إدخال (أل) على
 المضاف إليه ، قال الشاعرُ في يزيد بن المهلب^(١) :

مَا زَالَ مُذْ عَقَدْتَ يَدَاهُ إِزَارَهُ فَسَمَا فَأَدْرَكَ خَمْسَةَ الْأَشْبَارِ
 يُدْنِي كَتَائِبَ مِنْ كَتَائِبِ تَلْتَقِي فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ أَلْعَجَاجِ مُثَارِ

وبعضُ العربِ يُدخِلُ (أل) على الجزأينِ في المضافِ والمُرَكَّبِ .

هذا ؛ وتقولُ : أعطيتُ فلاناً كذا ، أو كذا كذا ، أو كذا وكذا ، كنايةً عن
 عددٍ ؛ فتميزُهُ بمُمَيِّزٍ تَنْصِبُهُ ، أو تَخْفِضُهُ بـ (مِنْ) ، فتقولُ : كذا درهماً ، ومِنْ
 درهمٍ ، ومثُلُ (كذا) في هذا الحكمِ . . كلمةُ (كَأَيِّنُ) و (كَمْ) الخبيريَّةُ التي
 يُفَادُ بها التَّكْثِيرُ ؛ نحوُ : كم يد لي عندك ؛ تارةً تُسْتَعْمَلُ كالعشرة ، فتميزُ
 بجمعٍ مخفوضٍ بالإضافة ، وتارةً تُسْتَعْمَلُ كالمئة .

و (كَمْ) الاستفهاميةُ ؛ نحوُ : كم كتاباً ملكت ؟ يجبُ نصبُ تمييزِها إلا
 إذا خُفِضَتْ هي بحرفٍ ؛ نحوُ : بكم درهماً اشتريتُ هذا ؟ فإنه حينئذٍ يجوزُ
 خفضُهُ بالإضافة ، وإلا إذا فُصِّلَتْ ، فيجوزُ جرُّه بـ (مِنْ) نحوُ : ﴿ سَلِّ بَيْتِ
 إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَاتِنَا ﴾^(٢) .



(١) هو الفرزدق في « ديوانه » (٤٩٨/١) .

(٢) سورة البقرة : (٢١١) .

الكلام على المضاف إليه وعلى عوامل مُعَرَّبِ الأفعالِ ، وعلى التوابِعِ

المُضَافُ إِلَيْهِ : هُوَ الاسمُ الصَّرِيحُ أَوِ الْمُؤَوَّلُ ، المَخْفُوضُ بِأَحَدِ حُرُوفِ
الإِضَافَةِ مَلْفُوظًا أَوْ مَلْحُوظًا .

[المَخْفُوضُ بِحَرْفِ مَلْفُوظٍ]

فَالأَوَّلُ : تَتِمُّمُ الكَلَامِ عَلَيْهِ : أَنَّ المَخْفُوضَ بِـ (مَدُّ) وَ (مَنذُّ) لَا يَكُونُ إِلا
اسمَ وَقْتٍ ظَاهِرًا .

والمَخْفُوضُ بِـ (رُبَّ) لَا يَكُونُ إِلا نَكْرَةً ، وَالمَخْفُوضُ بِالكَافِ وَالمَوَاوِ
(وَحَتَّى) لَا يَكُونُ إِلا ظَاهِرًا ، وَالتَّاءُ مُخْتَصَّةٌ بِلَفْظِ الجَلَالَةِ وَلِفْظِ (رَبِّ) .

وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ^(١) :

رُبُّهُ فِثْيَةٌ دَعَوْتُ إِلَى مَا يُورِثُ الْمَجْدَ دَائِبًا فَأَجَابُوا

وقولِ الرَّاجِزِ^(٢) :

وَلَنْ تَرَى بَعْلًا وَلَا حَلَالًا كَهَوِّ وَلَا كَهُنِّ إِلا حَاطِلًا

شَادُّ ، وَبَعْضُ العَرَبِ يَخْفِضُ بِـ (مَتَى) ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى (مِنْ) ، قَالَ
شَاعِرُهُمْ^(٣) :

شَرِبْنَا بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ مَتَى لَجَجِ خُضْرٍ لَهْنٍ نَسِيَجُ

(١) تقدم (١٤٤/١) .

(٢) انظر « ديوان رؤبة بن العجاج » (ص ١٢٨) .

(٣) انظر « ديوان الهذليين » (٥٢/١) وهو لأبي ذؤيب الهذلي .

وبعضُ آخَرَ يَخْفِضُ بـ (لَعَلَّ) ، قَالَ شَاعِرُهُمْ ^(١) : [من الطويل]
 فَعَلْتُ أَدْعُ أُخْرَى وَأَرْفَعُ الصَّوْتِ جَهْرَةً لَعَلَّ أَبِي الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ
 و (لَعَلَّ) في هذه اللُّغَةِ . . مثلُ (رَبِّ) المَخْفُوضِ بِهَا جِزْءُ الكَلَامِ الوَاقِعِ
 بَعْدَهَا ، فَهُوَ مُعْرَبُ اللَّفْظِ وَالْمَحَلِّ بِإِعْرَابَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ .

وقد وردَ : لولا أنا ، ولولايَ ، ولولا نحنُ ، ولولانا . . . إلى آخِرِ الضَّمَائِرِ ،
 وعرفتَ أَنَّ هذا النوعَ مِنَ الضَّمَائِرِ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ النِّصْبِ وَالخَفْضِ ؛ نَحْوُ :
 غلامُكَ أَكْرَمُكَ ^(٢) ، فقالَ سيبويه : إنَّ (لولا) إذاً مثلُ (رَبِّ) ، وقالَ آخرونَ :
 هُوَ مِنْ إِنْابَةِ ضَمِيرٍ عَنِ ضَمِيرٍ ^(٣) ؛ كالإِنْابَةِ فِي قَوْلِهِمْ : ما أَنَا كَأَنْتَ ، ولا
 أَنْتَ كَأَنَا .

وإذا اتصَلتْ (ما) بـ (رَبِّ) والكافِ . . عَمِلًا ، ولم يعمَلًا ، وإذا لم
 يعمَلًا . . دخلا على الجملتينِ ، وتُسمَّى حينئذٍ كَلِمَةً (ما) الزائِدَةُ : كَأَنَّ
 مُهَيَّئَةً ؛ لكفِّهِمَا عَنِ العَمَلِ ، وتَهَيَّئَتِهُمَا لِلدُّخُولِ عَلى الجَمَلِ ، كما تُسمَّى
 بهذا الاسمِ إذا أَبطلتْ عَمَلِ (إنَّ) وأخواتِها .

[المَخْفُوضُ بِحَرْفٍ مَلْحُوظٍ]

النوعُ الثاني مِنَ المُضَافِ : هُوَ المَخْفُوضُ بِحَرْفٍ يُلْحَظُ ولا يُلْفَظُ أَصلاً ؛
 وذلكَ الحَرْفُ هُوَ : لامُ المَلِكِ وشَبهِهِ ؛ نَحْوُ : غلامُ زَيْدٍ ؛ أَي : الغلامُ المَمْلُوكُ
 لزيدٍ ، ونَحْوُ : سَرَجُ الفَرَسِ ، وَبِرِذْعَةِ الحِمَارِ .

(١) هو كعب بن سعد الغنوي في «خزانة الأدب» (٤٢٦/١٠) .

(٢) انظر (٣٦١/١) .

(٣) انظر «مغني اللبيب» (٣٧٧/١) .

والغرض مِنَ الإِضَافَةِ : تَعْيِينُ المُضَافِ ؛ بِإِضَافَتِهِ إِلَى مُعَيَّنٍ إِنْ كَانَ
المُضَافُ إِلَيْهِ مِنَ المَعَارِفِ ، وَتَخْصِيصُهُ بِإِضَافَتِهِ إِلَى مَخْصُوصٍ إِنْ كَانَ
المُضَافُ إِلَيْهِ مِنَ النِّكَرَاتِ .

فَالأَوَّلُ : كَقَوْلِكَ : هَذَا غَلَامِي ، وَغَلَامُنَا ، وَغَلَامُكَ . . . إِلَى آخِرِ الضَّمَائِرِ ،
فَالمرَادُ : بـ (غَلَام) تَعْيِينَ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الضَّمِيرِ الَّذِي مَدْلُولُهُ مُتَعَيَّنٌ ، وَهَكَذَا
بَقِيَةُ المَعَارِفِ .

وَالثَّانِي : كَقَوْلِكَ : هَذَا غَلَامُ رَجُلٍ ؛ فَمَدْلُولُ (غَلَام) صَارَ مَخْصُوصاً
بِإِضَافَتِهِ إِلَى مَخْصُوصٍ ؛ وَهُوَ جِنْسُ الرَّجُلِ ، فَإِنَّكَ لَوْ قُلْتَ : غَلَامٌ . .
يَتَنَاوَلُ غَلَامَ الرَّجُلِ وَغَلَامَ المَرَأَةِ ، فَلَمَّا أَضْفَتَهُ . . تَخَصَّصَ بِأَحَدِ
الجِنْسَيْنِ .

[أنواع الإِضَافَاتِ]

وَبَعْضُ الإِضَافَاتِ قَدْ تَكُونُ بَيْنَ مَظْرُوفٍ وَظَرْفٍ ، فَيُتَخَيَّلُ أَنَّهَا عَلَى مَعْنَى
(فِي) كَقَوْلِكَ : سِيرَ اللَّيْلِ مَبْرُوكٌ^(١) ، وَنَوْمَ الظَّهْرِ مَدْرُوبٌ ، فَمَعْنَاهُ الحَقِيقِيُّ :
السَّيْرُ المَنْسُوبُ لِلَّيْلِ بِسَبَبِ وَقُوعِهِ فِيهِ ، وَالنَّوْمُ المَنْسُوبُ لِلظَّهْرِ بِذَلِكَ .

وَبَعْضُهَا يَكُونُ بَيْنَ شَيْءٍ وَجِنْسِهِ الَّذِي اتَّخَذَ مِنْهُ ، فَيُتَخَيَّلُ أَنَّهَا عَلَى مَعْنَى
(مِنْ) كَقَوْلِكَ : خَاتَمٌ ذَهَبٍ ، وَبَابٌ سَاجٍ ، وَثُوبٌ حَرِيرٍ ، فَمَعْنَاهُ : خَاتَمٌ
مَنْسُوبٌ لِلذَّهَبِ بِسَبَبِ كَوْنِهِ مُتَّخِذاً مِنْهُ ، وَهَكَذَا .

وَهَذَا النُّوعُ مِنَ الإِضَافَةِ يُسَمَّى : إِضَافَةً بَيَانِيَةً ، وَضَابِطُهَا : أَنْ يَكُونَ
المُضَافُ إِلَيْهِ جِنْساً لِلْمُضَافِ .

(١) كَذَا فِي الأَصْلِ .

وهنالك إضافة تُسمَّى بالإضافة للبيان ؛ نحو : شجرُ الأراكِ ، وضابطُها :
أن يكونَ المُضَافُ إليه نوعاً مِنَ المُضَافِ .

فالنسبةُ في الإضافةِ البيانيَّةِ : العمومُ والخصوصُ مِنْ وجهِ ، وفي الإضافةِ
للبيانِ : العمومُ والخصوصُ المطلقانِ .

وتُسمَّى هذه الإضافةُ : إضافةً معنويَّةً .

وثمَّ إضافةٌ تُسمَّى : إضافةً لفظيَّةً ؛ وهي إضافةُ اسمِ الفاعلِ أو اسمِ
المفعولِ أو الصفةِ المُشبَّهةِ لمعمولٍ مِنْ معمولاتيها ؛ فيكونُ المُضَافُ إليه
مُتعلِّقاً بالمُضَافِ تَعَلُّقُ الفاعليَّةِ لهُ أو المفعوليَّةِ بهِ ، ويكونُ المُضَافُ مُتعلِّقاً
بالمُضَافِ إليه تَعَلُّقُ الحصولِ منهُ أو الوقوعِ بهِ ؛ كقولِكَ : أنا راکبُ الفرسِ
غداً ، ومسابقُ الفرسانِ ، وزيدٌ عظيمُ الأملِ فيكَ ، وهو مُروِّعُ القلبِ .

فلفظُ (راکبِ) : اسمُ فاعلٍ تَعَلَّقَ بالفرسِ تَعَلُّقُ الوقوعِ بهِ ، ولفظُ
(الفرسِ) مُتعلِّقٌ بـ (راکبِ) تَعَلُّقُ المفعوليَّةِ ؛ إذ يَصِحُّ أن تقولَ : أنا راکبُ
الفرسِ ؛ بنصبِ الفرسِ على المفعوليَّةِ .

وكذلكَ : مسابقُ الفرسانِ ، وزيدٌ عظيمُ أملهُ ؛ برفعِ الأملِ فاعلاً ، ومُروِّعُ
قلبهُ ؛ برفعِ القلبِ نائبِ فاعلٍ ، فليستْ هذه الإضافةُ حقيقيَّةً ، ولذلكَ
سُمِّيَتْ : لفظيَّةً .

وفائدتهاُ : التخفيفُ بحذفِ تنوينِ الوصفِ المُفْرَدِ ، ونونِ المُثنَّى والجمعِ
على حدِّه ، ولا يستفيدُ المُضَافُ بها تعيُّناً وهو ظاهرٌ ، ولا اختصاصاً ؛ لأنَّه
حاصلٌ بتَعَلُّقِ الفاعليَّةِ أو المفعوليَّةِ ، كما يَظْهَرُ لك عندَ الرجوعِ للأصلِ مِنْ
نصبِ المفعولِ ورفعِ الفاعلِ .

ثُمَّ إِنَّ الإِضَافَةَ تَوْجِبُ : حَذَفَ تَنْوِينِ المُضَافِ ، وَحَذَفَ نَوْنَهُ إِنْ كَانَ مُثَنًى
أَوْ جَمَعَ مُذَكَّرٍ سَالِمٍ ، وَتَمَنَعُ أَنْ تَدْخُلَ (أَل) عَلَى المُضَافِ ، لَكِنَّ المُضَافَ
فِي الإِضَافَةِ اللَّفْظِيَّةِ يَجُوزُ أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهِ (أَل) إِنْ كَانَ مُثَنًى أَوْ جَمَعَ مُذَكَّرٍ
سَالِمٍ بِلَا شَرْطٍ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُمَا . . فَجَوَازُهُ مُشْرُوطٌ بِكَوْنِهِ مُضَافاً إِلَى مَا
فِيهِ (أَل) أَوْ مُضَافاً إِلَى مُضَافٍ لِمَا فِيهِ (أَل) نَحْوُ : هَذَا الرَّكَابُ فَرَسٍ ،
وَالطَّالِعُ جَبَلٍ ، وَالْحَسَنُ الْوَجْهِ ، وَالضَّارِبُ رَأْسِ الْجَانِي .

[مَا يَكْتَسِبُهُ المُضَافُ مِنَ المُضَافِ إِلَيْهِ]

ثُمَّ إِنَّ المُضَافَ : كَمَا يَكْتَسِبُ التَّعَيَّنَ مِنَ المُضَافِ إِلَيْهِ الْمَعْرِفَةَ بِسَبَبِ
إِضَافَتِهِ إِلَيْهِ ، وَالتَّخْصُّصَ مِنَ المُضَافِ إِلَيْهِ النِّكَرَةَ بِسَبَبِ إِضَافَتِهِ إِلَيْهِ . .
يَكْتَسِبُ الظَّرْفِيَّةَ مِنْهُ إِذَا كَانَ ظَرْفًا بِسَبَبِ إِضَافَتِهِ إِلَيْهِ ؛ نَحْوُ : أَجِيئُكَ كُلَّ
حِينٍ ، وَبَعْضَ الْأَحْيَانِ ، وَذَاتَ يَوْمٍ ، وَذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَقَمْتُ كُلَّ مَقَامٍ لَزِيدٍ ،
وَجَلَسْتُ بَعْضَ مَجَالِسِ عَمْرٍو .

وَيَكْتَسِبُ الْمَفْعُولِيَّةَ الْمُطْلَقَةَ إِذَا أُضِيفَ لِمَصْدَرٍ يَكُونُ لَوْلَا المُضَافُ
مَفْعُولًا مُطْلَقًا ؛ نَحْوُ : مَشَيْتُ كُلَّ مَشْيٍ ، وَقَرَأْتُ أَحْسَنَ الْقِرَاءَةِ ، وَوَقَفْتُ
بَعْضَ الْوُقُوفِ ، وَيَكُونُ مَدْلُولٌ لَفْظَةً (كُلِّ) فِي مِثْلِ هَذَا : جَمِيعَ أَفْرَادِ جَنْسٍ
مَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ ، وَمَعْنَى (بَعْضٍ) : بَعْضَ أَفْرَادِهِ ، وَمَعْنَى (أَحْسَنَ) - وَمِثْلِهِ
مِنْ كُلِّ اسْمٍ تَفْضِيلٍ - : الْفَرْدَ الزَّائِدَ مِنْ أَفْرَادِ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ فِي الصِّفَةِ
الْمَدْلُولِ عَلَيْهَا بِلَفْظِهِ .

وَكَذَلِكَ يَكْتَسِبُ وَجُوبَ تَصَدُّرِهِ فِي الْجُمْلَةِ إِنْ كَانَ المُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ
الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ تَصَدُّرُهَا ؛ كَالْمُضَافِ لِاسْمِ اسْتِفْهَامٍ ، أَوْ اسْمِ شَرْطٍ ؛ نَحْوُ :
غَلَامٌ مَنْ صَحَبْتَ ؟ وَكُتَابٌ أَيِّ شَخْصٍ اسْتَعَرْتَ ؟ وَغَلَامٌ مَنْ تُكْرِمُ . . أَكْرِمُ .
وَكَذَلِكَ يَكْتَسِبُ مِنْهُ التَّأْنِيثَ إِنْ كَانَ المُضَافُ مُذَكَّرًا ، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ

مُؤَنَّثًا ، وَيَكْتَسِبُ التَّذْكِيرَ إِنْ كَانَ بِالْعَكْسِ ، وَلَكِنْ شَرْطُ هَذَا الْاِكْتِسَابِ :
 أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ بِحَيْثُ لَوْ حُذِفَ . . لَبَقِيَ الْحَكْمُ لَهُ صِحَّةٌ ، أَمَا إِذَا لَوْ حُذِفَ
 فَسَدَ الْحَكْمُ . . اِمْتَنَعَ هَذَا الْاِكْتِسَابُ .

[من البسيط] صورة الصحة : قولك ^(١) :

إِنَارَةٌ أَلْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوَى

الإِنَارَةُ مُؤَنَّثٌ مُضَافٌ لِلْعَقْلِ الْمُذَكَّرِ ، اِكْتَسَبَ الْمُؤَنَّثُ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ
 التَّذْكِيرَ ، وَلِذَلِكَ قُلْتَ : مَكْسُوفٌ ، وَلَمْ تَقُلْ : مَكْسُوفَةٌ ، وَالشَّرْطُ حَاصِلٌ ؛
 فَإِنَّكَ لَوْ حَذَفْتَ لَفْظَ الْإِنَارَةِ ، وَقُلْتَ : الْعَقْلُ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوَى . . بَقِيَ
 الْحَكْمُ صَحِيحًا ، وَنَظِيرُهُ ^(٢) :

رُؤْيَةٌ أَلْفِكْرِ مَا يَأْوُلُ لَهُ الْأَمُّ رُ مَعِينٌ عَلَى أَجْتِنَابِ التَّوَانِي
 وَقَوْلِكَ : قُطِعَتْ بَعْضُ أَصَابِعِ زَيْدٍ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ
 نَفْسٍ ﴾ ^(٣) .

صورة الفساد : قولك : جاءت فتاة زيد ، لا يصح أن تقول : جاء فتاة
 زيد ؛ لامتناع الاكتناب فيه ؛ إذ لو حذف لفظ (الفتاة) المضاف . . لفسد
 الحكم ؛ فإن المجيء لم يتعلّق بزويد أصلاً ، بخلاف القطع في (قُطِعَتْ
 بعضُ الأصابع) مثلاً ؛ فإن القطع الواقع على البعض واقع على الأصابع
 في الجملة ، فلو قلت : قُطِعَتْ الأصابع ؛ بمعنى : أن القطع تعلّق بالأصابع
 وحصل فيها من غير ملاحظة العموم . . كان الحكم صحيحاً .

(١) انظر « مغني اللبيب » (٦٦٥/٢) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

إِنَارَةٌ أَلْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوَى وَعَقْلٌ عَاصِي الْهَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرًا

(٢) انظر « همع الهوامع » (٥١٢/٢) .

(٣) سورة آل عمران : (٣٠) .

[أسماء ملازمة للإضافة]

ثمَّ إِنَّ مِنَ الْأَسْمَاءِ أَسْمَاءً تَقْتَضِي بِطَبِيعَةِ مَعْنَاهَا أَنْ تَكُونَ مُضَافَةً ،
فَلَا زَمَتِ الْإِضَافَةَ ؛ وَهِيَ لَفْظٌ (كَلٌّ) وَ (بَعْضٌ) ، وَرَبَّمَا حُذِفَ مَا أُضِيفَا إِلَيْهِ
مَلْحُوظًا ، وَلَفْظَةٌ (وَحْدٌ) ، وَلَا تُضَافُ إِلَّا إِلَى ضَمِيرٍ ؛ كَوَحْدِي ، وَوَحْدَكَ ،
وَوَحْدَهُ ، وَمِثْلُ وَحْدَكَ : (لَبَيْكَ) - تَثْنِيَّةٌ (لَبَّ) مَحذُوفِ زَوَائِدِ التَّلْبِيَةِ - فِي
الْجَوَابِ ، وَ (سَعْدَيْكَ) وَ (دَوَالِيكَ) فِي الدَّعَاءِ بِالسَّعْدِ وَالدَّوَلَةِ ، وَ (حَنَائِكَ)
فِي الْاسْتِعْطَافِ ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(١) :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضَنَا حَنَائِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وَ (هَذَاذِيكَ) فِي طَلْبِ الْإِسْرَاعِ ، وَلَفْظَةٌ (حَيْثُ) مِنْ أَسْمَاءِ الْأَمْكَنَةِ ،
وَلَفْظَةٌ (إِذْ) مِنْ أَسْمَاءِ الزَّمَنِ الْمَاضِي ، وَلَا يُضَافَانِ إِلَّا إِلَى جُمْلَةٍ ، وَكَثُرَ
تَعْوِيضُ التَّنْوِينِ عَنْهَا مَعَ (إِذْ) ، وَلَفْظَةٌ (إِذَا) مِنْ أَسْمَاءِ الزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ،
وَلَا تُضَافُ إِلَّا إِلَى جُمْلَةٍ فَعَلِيَّةٍ ، وَيُعَوِّضُ عَنْهَا التَّنْوِينُ أَيْضًا ، وَلَفْظَةٌ (لَدُنْ) ،
وَتُضَافُ لِمَفْرَدٍ وَجُمْلَةٍ ؛ نَحْوُ : ﴿ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ^(٢) ، وَنَحْوُ ^(٣) :

صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرَقْنَهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ الْأَذْوَابِ

وَنَصَبُوا بِهَا (غَدْوَةٌ) تَمْيِيزًا ، وَلَفْظَةٌ (عِنْدَ) وَلَفْظَةٌ (مَعَ) ، وَلَا يُضَافَانِ
إِلَّا لِمَفْرَدٍ ، وَتَسْكُنُ عَيْنُ (مَعَ) ، وَإِذَا وَلِيَهَا سَاكِنٌ . . كُسِرَتْ أَوْ فُتِحَتْ ،
وَتُنْصَبُ حَالًا ؛ نَحْوُ : (أَقْبَلْنَا مَعًا) فَلَا تُضَافُ .

وَلَفْظَةٌ (كَلَا) وَ (كَلْتَا) ، وَلَا يُضَافَانِ إِلَّا لِلْفِظِّ يَدُلُّ عَلَى اثْنَيْنِ أَوْ اثْنَتَيْنِ ؛
نَحْوُ : كَلَا الرَّجْلَيْنِ ، وَكَلْتَا الْمَرَأَتَيْنِ ، وَكَلَاهُمَا ، وَكَلْتَاهُمَا .

(١) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ١٧٢) .

(٢) سورة النساء : (٦٧) .

(٣) هو للقطامي في « ديوانه » (ص ٢٨٠) .

ولفظة (أي) ، ولا تُضافُ إلَّا لِمَا يُلحَظُ فِيهِ التَّعَدُّدُ ؛ لِأَنَّ المَقْصُودَ
مِنْهَا كَيْفَ اسْتَعْمَلْتِ وَاحِدٌ مِنْ أَحَادٍ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ ، لَكِنْ إِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا
مَوْصُولَةً .. وَجِبَ أَنْ تُضَافَ لِمَعْرِفَةٍ ؛ نَحْوُ : يَعْجُبُنِي أَيُّهُمْ هُوَ يَتَّقِي اللَّهَ ،
عَلَى مَعْنَى الَّذِي مِنْهُمْ هُوَ يَتَّقِي اللَّهَ .

وَإِذَا كَانَتْ صِفَةً أَوْ حَالًا .. وَجِبَ إِضَافَتُهَا إِلَى نَكْرَةٍ ؛ نَحْوُ : زَيْدٌ رَجُلٌ أَيُّ
رَجُلٍ ، وَهَذَا زَيْدٌ أَيُّ إِنْسَانٍ .

وَإِذَا كَانَتْ اسْتِفْهَامِيَّةً أَوْ شَرْطِيَّةً .. جَازَ إِضَافَتُهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ وَإِلَى نَكْرَةٍ ؛
نَحْوُ : أَيُّ الرِّجَالِ عِنْدَكَ ؟ وَأَيُّ رَجُلٍ عِنْدَكَ ؟ [وَنَحْوُ] : أَيُّ الرِّجَالِ تُكْرِمُ ..
أَكْرِمُ ، وَأَيُّ رَجُلٍ تُكْرِمُ .. أَكْرِمُ .

ولفظة (غير) و(قبل) و(بعد) و(تحت) و(فوق) و(أمام) و(قُدَامِ)
و(وراء) و(خلف) و(أسفل) و(دون) و(أول) و(من على) ، ولهذه
الألفاظُ أربعةُ أحوالٍ :

الأولُ : إِضَافَتُهَا لَفْظًا كَمَا هُوَ مَقْتَضِي طَبِيعَةِ مَعْنَاهَا .

الثاني : أَنْ يُحَدَفَ مَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ مَلْحُوظَ اللَّفْظِ ، فَتَبْقَى عَلَى صَوَرَتِهَا
عِنْدَ وَجُودِهِ .

الثالثُ : أَنْ يُحَدَفَ غَيْرَ مَلْحُوظٍ أَصْلًا ، وَتَكُونُ الكَلِمَاتُ مُسْتَعْمَلَةً
نَكَرَاتٍ ، فَتُعْرَبُ حَسَبَ الاقْتِضَاءِ .

الرابعُ : أَنْ تُسْتَعْمَلَ مَعَارِفَ مَلْحُوظًا فِيهَا تَعَيُّنُ المَدْلُولِ ، فَتَكُونُ مُتَضَمِّنَةً
مَعْنَى (أل) كَمَا سَبَقَ فِي قِسْمِ المُعْرَبِ وَالمَبْنِيِّ ^(١) .

تَقُولُ : جَاءَ زَيْدٌ قَبْلَ عَمْرٍو ، وَجَاءَ زَيْدٌ وَجَاءَ عَمْرٌو بَعْدَ ؛ أَي : بَعْدَهُ

(١) انظر (١/٣٢٥) .

[من الوافر]

بنصبيها كما كانت ، ونحو^(١) :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا

أي : في زمنٍ سابقٍ ، ونحو : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٢) ؛ أي :
السابق واللاحق ، وحينئذٍ تُبنى على الضمِّ ، وتسمَّى [هذه] الظُّروفُ :
غاياتٍ ؛ لأنها صارت إذا غاياتٍ بعد أن كان الغايةَ غيرها .

ثم كثيراً يُحذفُ المُضَافُ ، فيقومُ المُضَافُ إليه مقامه في وظيفته من
الكلام . ويُحذفُ المُضَافُ إليه ، ويبقى المُضَافُ على صورته ؛ بشرط أن
يُعطفَ عليه لفظٌ مُضَافٌ لمثل ما حُذِفَ منه ؛ نحو قولك : قطعوا يدَ ورجلَ
القاطعِ ، فالأصلُ : يدَ القاطعِ ورجلَهُ ، فحُذِفَ المُضَافُ إليه ل (يدِ) ، فلم
يبقَ مرجعٌ للضميرِ في (رَجُلِ) ، فجاءَ بالاسمِ الظاهرِ ، فدلَّ على المحذوفِ
من الأولِ .

ثم لا يفصلُ المُضَافُ من المُضَافِ إليه إلا بمعمولِ المُضَافِ ، فإنه
يجوزُ ، والأحسنُ تركُهُ ؛ كقولك : زيدٌ معطي درهماً عمرو ، والأحسنُ :
معطي عمرو درهماً .

[أحوالُ المُضَافِ لِياءِ المُتَكَلِّمِ]

ثمَّ المُضَافُ لِياءِ المُتَكَلِّمِ : إن كان آخِرُهُ صحيحاً أو مُلحقاً به .. ووجب

(١) انظر «خزانة الأدب» (٤٢٦/١) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَعَصُ بِنُقْطَةِ الْمَاءِ الْحَمِيمِ

(٢) سورة الروم : (٤) .

كسْرُهُ ، وَجَازَ لَكَ فَتْحَ الْيَاءِ وَتَسْكِينُهَا ؛ كَغَلَامِي وَغَلَامِي ، وَدَلْوِي وَدَلْوِي ،
وَظَبِي وَظَبِي .

وَإِنْ كَانَ آخِرُهُ أَلِفًا . . . بَقِيَتِ الْأَلِفُ بِصَوْرَتِهَا ، وَتَعَيَّنَ فَتْحُ الْيَاءِ ؛ كَفَتَايَ
وَغَلَامِي .

وَإِنْ كَانَ آخِرُهُ يَاءً سَاكِنَةً . . . وَجَبَ إِبْقَاؤُهَا بِصَوْرَتِهَا وَإِدْغَامُهَا فِي يَاءِ
الْمُتَكَلِّمِ مَفْتُوحَةً وَجُوبًا ؛ كَغَلَامِي وَزَيْدِي ، جَمَعَ مُذَكَّرِ السَّلَامِ .

وَإِذَا كَانَ آخِرُهُ يَاءً مُشَدَّدَةً . . . جَازَ إِبْقَاؤُهَا بِصَوْرَتِهَا مَعَ إِسْكَانِ الْيَاءِ ، وَجَازَ
حَذْفُ ثَانِيَةِ الْيَاءَيْنِ مَعَ فَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ؛ كَقَوْلِكَ : هَذَا بُنْيَى مُصَغَّرًا ، وَبُنْيَى ،
وَهَذَا كَرْسِيٌّ وَكَرْسِيٌّ .

وَإِنْ كَانَ آخِرُهُ وَاوًا . . . وَهُوَ جَمْعُ الْمُذَكَّرِ السَّلَامِ إِذَا كَانَ بِالْوَاوِ . . . وَجَبَ
قَلْبُ وَاوِهِ يَاءً وَإِدْغَامُهَا فِي يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ، فَإِنْ كَانَ مَا قَبْلَ الْوَاوِ ضَمَّةً . . . أُبْدِلَتْ
كسْرَةً ، وَإِنْ كَانَ فَتْحَةً . . . بَقِيَتْ ؛ نَحْوُ : هَلْوَائِ زَيْدِي وَهُمْ مُصْطَفِيٌّ ؛ بِفَتْحِ
الْفَاءِ ، وَكسْرِ الدَّالِ .

وَإِذَا كَانَ الْمُضَافُ لِيَاءِ الْمُتَكَلِّمِ مَنَادِيٌّ صَحِيحًا أَوْ مُلْحَقًا بِهِ . . . جَازَ لَكَ
إِبْقَاءُ الْيَاءِ سَاكِنَةً ، وَمَفْتُوحَةً ، وَحَذْفُهَا ، وَقَلْبُهَا أَلِفًا وَفَتْحُ مَا قَبْلَهَا لِأَجْلِهَا ،
وَحَذْفُ الْأَلِفِ وَإِبْقَاءُ الْفَتْحَةِ ؛ نَحْوُ : يَا غَلَامِي ، وَغَلَامِي ، وَغَلَامٍ بِالْكَسْرِ ،
وَغَلَامًا ، وَغَلَامٍ بِالْفَتْحِ ، وَنَحْوُ : (يَا بُنْيَى) مُحْتَمِلٌ .

وَجَازَ فِي خُصُوصِ لَفْظَةِ (أَبِ) وَلَفْظَةِ (أُمِّ) حَذْفُ الْيَاءِ وَتَعْوِيضُ
تَاءٍ مِنْهَا ؛ فَتَقُولُ : يَا أَبَتِ وَيَا أُمَّتِ ، مَكَانَ أَبِي وَأُمِّي ، فَلَا يَجُوزُ
أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، وَلَكَ فَتْحُ التَّاءِ عَلَى أَنَّ الْمَحذُوفَ الْمُعْوَضَ
عَنْهُ هُوَ الْأَلِفُ الْمُنْقَلِبَةُ عَنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَلَكَ كسْرُهَا بِنَاءً عَلَى
أَنَّ الْمَحذُوفَ الْيَاءَ .

والتزمت العربُ في : يا بِنَ أُمِّ ، وابنةَ أُمِّ ، وابنَ عَمِّ ، وابنةَ عَمِّ . . حذفَ ياءِ المُتَكَلِّمِ دونَ إبدالِها أَلِفًا فَيَبْقَى ما قبلُها مكسوراً ، وبعدَ إبدالِها أَلِفًا فَيَبْقَى مفتوحاً .

[الممنوعُ مِنَ الصَّرْفِ]

هَذَا ؛ وقد عرفتُ أَنَّ الأسماءَ التي لا تَنْصَرِفُ - أي : لا تُنَوِّنُ تنوينَ التَمَكِينِ الذي يُسَمَّى صَرْفًا - تُخَفَّضُ بالفتحةِ نيابةً عنِ الكسرةِ ، إِلَّا إذا أُضِفَتْ أو عُرِفَتْ بـ (أَل) ، فَإِنَّهَا حينئذٍ تُخَفَّضُ بالكسرةِ .

وهذه أنواعُ ما لا يَنْصَرِفُ ؛ وهي :

كُلُّ جَمْعٍ لا نَظِيرَ لَهُ في الأَحَادِ ، والمُنْقَوصُ مِنْ هَذَا النِّوعِ - نَحْوُ : دَوَاعٍ وَسَوَارٍ - تُحَدَفُ يَأْوُهُ في حَالَتِي الرِّفْعِ والخَفْضِ ، وَيُعَوَّضُ عنها تَنْوِينٌ يُقَالُ لَهُ : تَنْوِينُ العَوَاضِ .

وَكُلُّ مُؤَنَّثٍ بِأَحَدِ الأَلْفَيْنِ .

وَكُلُّ وَصْفٍ يَوازِنُ (فَعْلَانٌ) بفتحِ الفاءِ ؛ بشرطِ أن يَكُونَ مُؤَنَّثُهُ على وَزَنِ (فَعْلَى) كسُكْرَانٍ ، سَكْرَى .

وَكُلُّ وَصْفٍ أَتى على زَنَةِ خَاصَّةٍ بِالفِعْلِ أو غَالِبَةٍ فِيهِ ، وَلَمْ يُؤَنَّثْ بِالتَّاءِ ، وَكَانَ أَصْلِيُّ الوَصْفِيَّةِ .

وَكُلُّ وَصْفٍ مَعْدُولٍ عن أَصْلٍ ؛ كَمَوْحَدٍ وَأَحَادٍ . . . إلى آخِرِ ما وَرَدَ ، وَأَخَرَ المَعْدُولِ عنِ الآخِرِ ؛ إِذْ قد عرفتُ أَنَّ اسمَ التَفْضِيلِ لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ إِلَّا حيثُ يُعَرَّفُ ، فَإِذا قَلَّتْ : بِنِساءِ أُخَرَ . . كانَ حَقُّهُ بِنِساءِ آخَرَ ؛ أَي : أَشَدَّ تَأخُّراً .

وَكُلُّ عَلمٍ مُرَكَّبٍ تَركِيباً مَزْجِيًّا بغيرِ (وَينِه) .

وكلُّ عِلْمٍ زَيْدٌ فِي آخِرِهِ أَلِفٌ وَنُونٌ ؛ كحَسَّانَ وَعَفَّانَ مِنَ الحِيسِ وَالعِفَّةِ ،
لا مِنَ الحُسْنِ وَالعُفُونَةِ .

وكلُّ عِلْمٍ مُؤَنَّثٌ بِالتَّاءِ ، وکلُّ أعلامِ الإناثِ .

وكلُّ عِلْمٍ أَعْجَمِيٌّ ، غيرِ ثَلَاثِيٍّ ، ساکنِ الوَسْطِ .

وكلُّ عِلْمٍ جاءَ على زِنَةٍ تَخُصُّ الفِعْلَ أو تَغْلِبُ فِيهِ .

وكلُّ عِلْمٍ آخِرُهُ أَلِفٌ إلِحاقِ .

وكلُّ عِلْمٍ مَعْدُولٍ عَنِ أَصْلِهِ ؛ كَعَمَرَ المَعْدُولِ بِهِ عَنِ عامِرٍ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ
جَرَتْ العِادَةُ أَنْ يَسْمُوا عامِرًا تَفَاوُلًا بِالعِمارةِ ، ثُمَّ يُعَدَّلُ بِهِ لِتِلْكَ الصِّيغَةِ .

ولِفظِ (سَحَرَ) الَّذِي أَرَدَتْ بِهِ سَحَرَ يَوْمِكَ ، (وَقَطَامٌ) وَمَا أَشْبَهُهُ مِمَّا لا
يَنْصَرِفُ فِي لُغَةِ تَمِيمٍ ، وَمَبْنِيَّةٌ عَلَى الكَسْرِ فِي لُغَةِ الحِجَازِ كَمَا سَلَفَ ^(١) .

وَإِذَا نُكِرَتْ الأَعْلَامُ .. صُرِفَتْ ، وَكَذا إِذا صُغِرَتْ ، ما لَمْ تَخْرُجْ إِلى نِوعِ
آخَرَ مِنْ أَنْواعِ ما لا يَنْصَرِفُ ؛ كَأَعورَ ، إِذا صَغُرَتْ .. قَلْتُ : أُعَيورُ ، فَيُوازِنُ :
أَبْيَطِرُ .

وَيُنَوَّنُ ما لا يَنْصَرِفُ لِضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، وَيُسَمَّى التَّنوينُ : تَنوينَ الضَّرُورَةِ ،
وَلِلتَّناسِبِ ؛ نَحْوُ : ﴿ سَلَسِلًا وَأَغْلَلًا ﴾ ^(٢) ، وَيُسَمَّى : تَنوينَ التَّناسِبِ .

وَإِذَا نُونَ ما لا يَنْصَرِفُ لِلضَّرُورَةِ .. خُفِضَ بِالكَسْرِ .

[تَنوينُ بِما مَرَّ مِنَ الأَلْفاظِ العَامِلَةِ عَمَلِ الأَفْعالِ]

هَذَا ؛ وَمِمَّا سَلَفَ لَكَ عَرَفْتَ أَنَّ الأَلْفاظِ العَامِلَةَ عَمَلِ الأَفْعالِ ؛ مِنَ المَصْدَرِ

(١) انظر (١/٣٦٩ - ٣٧٠) .

(٢) سورة الإنسان : (٤) ، وهي قراءة نافع والكسائي ، بالتَّنوينِ فِي (سَلَسِلًا) انظر « النشْر فِي القِراءاتِ
العِشر » (٢/٣٩٤) .

وغيره .. قد يُضاف لبعض معمولاته^(١)؛ مثلاً: تقول: يعجبني حفظ زيد لطائف الأشعار، بإضافة (حفظ) ل (زيد)، وبدونها ويُنون، وحفظ لطائف الأشعار زيد، وتقول: معطٍ عمراً درهماً، ومُعطى عمرو درهماً، ومُعطى درهمٍ عمراً.

[بعض أحكام الصفة المُشَبَّهَة]

غير أن للصفة المُشَبَّهَة أحكاماً تحتاج لتفصيلها.

وحاصلُهُ: أنك إذا أجريت صفة شيء على صاحبه إخباراً بها عنه أو نعتاً له بها؛ نحو: زيدٌ حسنُ الوجه، وهو رجلٌ سليمُ القلب؛ فالحسن والسلامة صفتا الوجه والقلب، أجريتهما على صاحبيهما؛ إخباراً في الأوّل، ونعتاً في الثاني .. فقد نطقت بتركيبٍ يجوزُ أن يكونَ على صورِ شتّى .

والضَّبْطُ أن تقولَ: إنَّ الصفةَ: إمّا أن تكونَ ب (أل) أو بدونها، واسمُ موضعِ الصفةِ ب (أل) أو بدونها، مُضافاً إلى ضميرِ صاحبه أو لا، واسمُ موضعِ الصفةِ مرفوعٌ أو منصوبٌ أو مخفوضٌ، فهذه ثمانِي عشرة صورةً .

منها صورتانِ باطلتانِ ؛ هما: الحسنُ وجهه، والحسنُ وجهه، بخفضِ الوجهِ فيهما .

ومنها ثلاثٌ مُمتنعةٌ في السَّعةِ ؛ وهي: الحسنُ وجهه، وحسنُ وجهه بالنصبِ، وحسنُ وجهه بالخفضِ .

ومنها صورتانِ غيرُ قبيحتينِ ؛ وهما: الحسنُ الوجه، وحسنُ الوجه، بالنصبِ فيهما على التشبيهِ بالمفعولِ به .

(١) انظر (١/٤٦٦) .

ومنها صورتان قبيحتان ؛ وهما : الحسنُ الوجهُ ، وحسنُ الوجهُ ، بالرفعِ
فيهما .

ومنها صورتان أقبحُ من هاتين ؛ وهما : الحسنُ وجهُ ، وحسنُ وجهُ ،
بالرفعِ فيهما .

ومنها صورةٌ مُتوسِّطةٌ ؛ وهي : حسنُ وجهٍ بالجرِّ .

وما عدا ذلكَ فصيحٌ جيدٌ سائرُ الاستعمالِ ؛ وهي : الحسنُ وجهُ بالرفعِ ،
والحسنُ الوجهُ بجرِّ الإضافةِ ، والحسنُ وجهاً بنصبِ التمييزِ ، الأُولى أصلٌ ،
والثنتانِ فرعاها ، وحسنُ وجهُ ، وحسنُ الوجهِ ، وحسنُ وجهاً كذلك .

ومتى رفعتِ الصفةُ اسمَ موضعِها . . لم يكن فيها ضميرُ صاحبِها ، فهي
تطابقُ اسمَ الموضعِ ؛ تقولُ : هندٌ حسنٌ وجهُها ، وزيدٌ حسنٌ أخلاقُه ، ومتى
لم ترفعهُ . . كانت مُشتملةً على ضميرِ صاحبِها ، فهي تطابقُه ؛ نحوُ : هندٌ
الحسنةُ وجهاً والوجهِ ، وزيدٌ حسنٌ أخلاقاً والأخلاقِ .



بيان عوامل مُعَرَّبِ الأفعالِ

مُعَرَّبُ الأفعالِ كما سلفَ لكَ هُوَ المضارعُ^(١)؛ فيكونُ مرفوعاً حيثُ يَتَجَرَّدُ مِنْ ناصِبٍ وجازِمٍ ، ويكونُ منصوباً إذا دخلَ عليه ناصِبٌ ، ومجزوماً إذا دخلَ عليه جازِمٌ .

بيانُ نواصبِهِ

هي: (لن) ، والفعلُ مَعَهَا لا يكونُ إِلَّا مُسْتَقْبَلاً ؛ ولذلك يُقالُ فيها : إنَّها حرفُ نفيٍ ونصبٍ واستقبالٍ .

و(إذاً) ، بشرطِ تَصَدُّرِها واستقبالِ منصوبِها ، واتصالِها بها ، ولا يَضُرُّ الفصلُ بقسَمٍ أو نداءٍ .

و(كي) ، مسبوقَةٌ باللامِ وغيرَ مسبوقَةٌ .

و(أن) ثلاثة أحوالٍ : وجوبُ ذكرِها ، ووجوبُ حذفِها ، وجوازُ الأمرينِ .

فيجبُ ذكرُها : إذا تَوَسَّطَتْ بينَ اللامِ و(لا) ؛ نحوُ : ﴿ لِعَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾^(٢) .

ويجبُ حذفُها : بعدَ لامِ الجُحودِ ؛ وهو أشدُّ الإنكارِ ، وتكونُ مسبوقَةٌ بـ (ماكانَ) أو (لم يكن) مثلاً ؛ نحوُ : ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ ﴾^(٣) ، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾^(٤) ، وأفادتِ العبارةُ الجحدَ بسببِ أنَّه قد

(١) انظر (٣٣١/١) .

(٢) سورة الحديد : (٢٩) .

(٣) سورة النساء : (١٣٧) .

(٤) سورة الأنفال : (٣٣) .

نُفِيَّ الفِعْلُ بِنَفْيِ الاستعدادِ لَهُ ؛ فَمَنْ يَقُولُ : مَا كُنْتُ لِأَكْتَمَ عِلْمًا . . يريدُ :
أَنِّي لَمْ أَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَحْوَالِ الكُونِيَّةِ التي تَدْخُلُ تَحْتَ
الاستِطَاعَةِ .

وبعدَ (أو) التي تُفَسِّرُ بـ (إلى أن) إذا وَقَعَتْ بعدَ فِعْلٍ لَهُ امتدادٌ وبقاءً ،
وبـ (إلا أن) إذا وَقَعَتْ بعدَ غيرِ مُمتدٍّ ؛ نحوُ^(١) :

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا أَنْقَادَتِ الْأَمَالَ إِلَّا لِصَابِرٍ
فَاسْتَسْهَلُ الصَّعْبِ أَمْرٌ يَمْتَدُّ مَعَ الْأَزْمَنِ ، فَتُفَسِّرُ (أو) بـ (إلى أن) .

ونحوُ : لَأَقْتُلَنَّ الْمُرْتَدَّ أَوْ يَتُوبَ ، فَالْقَتْلُ لَيْسَ لَهُ امتدادٌ ، فَتُفَسِّرُ (أو)
بـ (إلا أن) .

وبعدَ (حتى) الغائِيَةِ الخافِضَةِ ، فَمَا بعدَهَا مُسْتَقْبَلٌ لِمَا قَبْلَهَا ، لا
الابتدائية التي تَفِيدُ السَّبِيَّةَ ، وَمَا بعدَهَا حَالِيٌّ ؛ نحوُ : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَكُمُ^(٢) ﴾ ، أَي : إِلَى تَبَيُّنِ الخِيَطِ ، وَالابتدائية كَقَوْلِكَ : وَأَنْتَ دَاخِلٌ
مَكَّةَ : سَرْتُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ العَدَدِ حَتَّى أُدْخِلُ مَكَّةَ ؛ أَي : فَهَأَنَّا ذَا أُدْخِلُهَا .

وبعدَ فاءِ تَفِيدُ سَبِيَّةً سَابِقَهَا لِلاحِقِهَا ، فَتُسَمَّى : فَاءَ السَّبِيَّةِ .

وبعدَ واوِ تَفِيدُ تَعْلُقَ الحِكمِ بِالجَمعِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، فَتُسَمَّى : واوِ المَعِيَّةِ .

ولا يُسْتَعْمَلانِ إِلَّا بعدَ نَفْيٍ ، أَوْ طَلِبٍ ؛ مِنْ أَمْرٍ ، وَنَهْيٍ ، وَاسْتِفْهَامٍ ،
وَتَمَنٍّ ، وَعَرَضٍ ، وَحَضٍّ ؛ كَقَوْلِهِ^(٣) :

يَا بَنَ الْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَأَيْ كَمَنْ سَمِعَا

(١) انظر « أوضح المسالك » (١٥٧/٤) .

(٢) سورة البقرة : (١٨٧) .

(٣) انظر « همع الهوامع » (٣٨٩/٢) .

وقوله : لا تُعْنَ بالجفاءِ وتمدَحَ عمرأ .

وإذا حذفَت الفاءَ بعدَ الطَّلِبِ . . جزمَتَ الفعلَ بـ (إن) التي يتضمَّنُ الكلامُ معناها ، مثلاً : تقولُ : أعطني ما سألتُكَ فتجدني مسارعاً إلى هوائِكَ ، تحذفُ الفاءَ فيصيرُ : أعطني . . تجدني ، فمعناهُ : إن تعطني .

وهذه الكلماتُ التي هي الواوُ والفاءُ و(أو) . . هي أحرفُ العطفِ ، لكنَّ عطفها يعتمدُ ملاحظةَ المعنى ، فالمعطوفُ عليه مصدرٌ ملحوظٌ من الفعلِ السابقِ ؛ فقولكُ : لأطلبنَّ أو أبلغُ المنى . . تأويلُهُ : ليكنْ مني طلبٌ أو بلوغٌ .

ويجوزُ حذفُ (أن) باقيةَ العملِ بعدَ لامِ التعليلِ ، وبعدَ عاطفٍ على اسمٍ ؛ نحوُ : أزوركُ لتزورني ، أو لأنْ تزورني ، ونحوُ : [من الوافر]

وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ
ونحوُ : حالُ الفقراءِ وأبلغُ المجددِ خيرٌ .

فإذا حذفَت (أن) في غيرِ هذا . . وجبَ رفعُ الفعلِ ، قالَ (١) : [من الطويل]
أَلَا [أَيَهَذَا] الرَّاجِرِي أَحْضُرُ أَلْوَعِي وَأَنْ أَشْهَدَ أَلَلذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي
أي : أنْ أحضِرْ ، فحذفَ ورفعَ .

بيانُ جوازِمِه

هي (لم) ، و(لَمَّا) ، و(لا) الناهيةُ ، ولامُ الأمرِ ، و(إن) الشرطيَّةُ ، وما تضمَّنَ معناها من الأسماءِ ، و(إذما) .

ف (لم) تجزِمُ المضارعَ وتنفي حصوله في الأوقاتِ الماضيةِ ، فيخرجُ عن أصلِ وضعِهِ ، ولذلك تسمِعُهُم يقولونَ : (لم) : حرفُ نفيٍّ وجزمٍ وقلبٍ .

(١) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٣١) .

وبينها وبين (لَمَّا) فرقٌ ؛ وذلك : أن (لَمَّا) يَنْسَحِبُ نفيها على حالِ
التكلم ، ولا تُستعملُ إلا مع مُنتظرِ الحصولِ ، فهيّ مقابلةٌ لـ (قد) في
الإثباتِ ، مثلاً : تكونُ مُنتظراً إقامة الصلاة خارجَ المسجدِ بحيثُ يسمعُك
بعضُ مَنْ فيه ؛ فتقولُ : هل أقاموا الصلاةَ ؟ فيجيبُك : لَمَّا يقيموها ، فإذا
أقاموها .. أجابك بـ : قد أقاموها ، ولذلك يُقالُ : قد : حرفُ توقُّعٍ ؛ أي :
تصحَّبُ المُتوقِّعُ المُنتظرُ .

والفعلُ الماضي مع (إن) في موضعِ جزمٍ ، يظهرُ ذلك في العطفِ عليه ؛
تقولُ : إن أرضاك زيدٌ ويسعُ في أغراضِك .. وجبَ إكرامُهُ ؛ لأنَّ الماضي إذا
مستقبلاً في المعنى ، فللماضي حالةُ إعرابٍ .



بيان التوابع

خمسة أشياء من أجزاء التركيب تُسمى : توابع ؛ لأنها تكون دائماً تابعة في إعرابها لما قبلها ، فيكون متبوعاً لها ؛ وهي : النعت ، والتوكيد ، وعطف البيان ، وعطف النسق ، والبدل .

[النعت وأقسامه]

والنعت ينقسم باعتبار الغرض منه أربعة أقسام :

- القسم الأول : نعت يكون الغرض منه تعيين متبوعه وتمييزه عن سائر ما عداه ؛ فإن كان متبوعه نوعاً من الأنواع . . سُمي النعت : مُعرِّفاً ووصفاً كاشفاً ؛ كقولك : الإنسان الحيوان الناطق . . نوع شرفه الله تعالى بالعقل ، وصرفه فيما على الأرض ، فقولك : (الحيوان الناطق) نعت للإنسان يُميزه عن سائر الأنواع ، فهو مُعرِّف له ، ووصف كاشف عن حقيقته .

وهذا النوع من النعت يصح أن تضع بينه وبين منوعته كلمة (أي) ، وهي حرف تفسير ؛ لكون النعت مُفسِّراً ومُبيِّناً ومُفصِّلاً لمجمل ؛ فتقول : الإنسان ؛ أي : الحيوان الناطق .

وضابط هذا : أن يكون النعت أمراً مُشترَكاً بين سائر أشخاص نوع مُنفردة به ؛ بحيث يُعيّن جميع الأشخاص ويُعرِّفها لمن أطلع عليه ، ويميّزها من غيرها ، والغالب فيه أن يُؤتى به على صورة خبر لمبتدأ هو المنعوت ، فيقال : الإنسان : حيوان ناطق ؛ حيث يكون الغرض مُجرّد التعريف .

- القسم الثاني : نعت يكون الغرض منه تعيين شخص أو جماعة

أشخاص ، وتمييزه مِنْ مشاركٍ في اسمٍ ، أو في اسمٍ ووصفٍ مثلاً ، ويُسمَّى :
 نعتاً مُقَيِّداً ؛ نحوُ : جاءني زيدُ التاجرُ ؛ حيثُ يكونُ في معلومك على ما فهم
 المُتكلِّمُ أشخاصٌ كلُّهم مُسمَّونَ بزيدٍ ، إلَّا أنَّ زيداَ منهم عالمٌ ، وزيداَ آخرَ
 تاجرٌ ، وزيداَ آخرَ زراَعٌ ، فتقولُ : (زيدُ التاجرُ) تمييزاً له مِنْ مشاركيه في
 الاسم ، مُقَيِّداً له بوصفه .

وتقولُ : جاءني زيدُ التاجرُ العالمُ ؛ حيثُ يكونُ ثمَّ زيدُ تاجرٌ فقط ،
 وزيدُ عالمٌ فقط ، وزيدُ تاجرٌ عالمٌ ، فيتعدَّدُ النعتُ بسببِ حاجةِ التمييزِ حتى
 يحضُلَ .

- القسمُ الثالثُ : نعتٌ يُذكرُ لغرضِ مدحِ منوعتهِ بفضيلةٍ أو ذمِّه برذيلةٍ ،
 وإنَّما يكونُ ذلكُ إذا كانَ المنعوتُ مُتعيِّناً مُتميِّزاً بدونِ النعتِ ؛ لأجلِ أن
 ينصرفَ ذهنُ المُخاطَبِ إلى أنَّ الغرضَ هوَ المدحُ أو الذمُّ ؛ كقوله تعالى :
 ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ^(١) ، فامرأةُ أبي لهبٍ - أحدِ أعمامه صَلَّى اللهُ عليه
 وسلَّم - معلومٌ أنَّها أمُّ جميلٍ أختُ أبي جهلٍ ، فلم تكنْ مُفتقرةً إلى التعيينِ
 والتمييزِ ، فعلمنا أنَّ ذكرَ (حمالةِ الحطبِ) نعتاً إنَّما هوَ لذمِّها بذلكِ ،
 والحطبُ الذي كانتْ تحملهُ هوَ حطبٌ شائكٌ ، كانتْ تلمُّه ثمَّ تلقيه وتفرِّقه
 في مسالكِ النبيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - تؤذيه بذلكِ .

وكقولك : جاءنا والي البلدِ الهمامُ .

ونظيرُ ذلكِ : الأوصافُ التي تُذكرُ للترحمِ والتعطفِ ؛ نحوُ : اللهمَّ ؛ إني
 عبدك المسكينُ الضعيفُ .

(١) سورة المسد : (٤) .

- القسم الرابع : نعتٌ يُذكرُ لغرضٍ تأكيدٍ معنًى يتضمَّنُهُ متبوعُهُ ؛ كقولهم :
أبعدُ مِنْ أَمْسِ الدَّابِرِ ، وأقربُ مِنْ الغَدِ المُقْبِلِ .

وجميعُ أقسامِ النعتِ تفيدهُ معنًى في المتبوعِ ، لكنَّ ليستَ إفادتهُ هي الغرضُ بتبعيتهُ دائماً ؛ لما عرفتُ .

[النعتُ الحقيقيُّ والسببيُّ]

ويتنقسمُ باعتبارِ كونهِ صفةً لمتبوعِهِ ، أو صفةً لشيءٍ مِنْ مُتعلقاتِ متبوعِهِ إلى قسمينِ :

القسمُ الأوَّلُ : يُسمًى : نعتاً حقيقياً .

القسمُ الثاني : يُسمًى : نعتاً سببياً ؛ لأنَّ وصفَ الغيرِ إنَّما جُعِلَ وصفاً للمنعوتِ في الكلامِ بسببِ كونِ صاحبِ الوصفِ مُنتسباً ومُرتبطاً بالمنعوتِ .
فالأوَّلُ : كقولك : زيدُ العالمُ ، فالعلمُ صفةٌ زيدٍ حقيقةً .

والثاني : كقولك : زيدُ العالمُ أبوهُ ، فالعلمُ صفةٌ للأبِ ، ونُعتَ بها زيدٌ لكونِ الأبِ مِنْ مُتعلقاتِ زيدٍ ، فليسَ العلمُ صفةً زيدٍ ، بل صفةً أبيه ، لكنَّ مِنْ حيثُ كونهُ صفةً أبيه حصلَ لزيدٍ صفةٌ ؛ وهي كونهُ عالمَ الأبِ .

وللأوَّلِ حكمٌ : وهو أنَّه يجبُ أن يكونَ موافقاً لمتبوعِهِ في إعرابهِ رفعاً ونصباً وجرّاً ، وفي تعريفِهِ وتنكيرِهِ ، وفي إفرادهِ وتثنيتهِ وجمعهِ ، وفي تذكيرهِ وتأنيثِهِ .

ومِنْ هنا سُمِّيَ : تابعاً ؛ فلا تُوصَفُ معرفةً بنكرةٍ ، ولا بالعكسِ ، ولا مُفردٌ بغيرِهِ ؛ فتقولُ : زيدُ الفاضلُ ، ورجلٌ صالحٌ ، والزيدانِ الفاضلانِ ، ورجلانِ فاضلانِ ، والزيدونَ الفاضلونَ ، ورجالٌ فضلاءُ ، وهنَّ الفاضلةُ ، وامرأةٌ فاضلةٌ . . . إلى غيرِ ذلك .

فَيُقَالُ فِيهِ : إِنَّهُ يَتَّبِعُ مَنْعَوْتَهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ مِنْ عَشْرَةٍ ؛ هِيَ : الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ وَالجَرُّ ، وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ ، وَالْإِفْرَادُ وَالتَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ ، وَالتَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ .

وَاللثَّانِي حَكْمٌ : وَهُوَ [أَنَّهُ] يَجِبُ أَنْ يُوَافِقَ مَتَّبِعَهُ فِي إِعْرَابِهِ ، وَفِي تَعْرِيفِهِ وَتَنْكِيرِهِ فَقَطْ ، وَأَمَّا تَذْكِيرُهُ وَتَأْنِيثُهُ ، وَإِفْرَادُهُ وَتَثْنِيَتُهُ وَجَمْعُهُ . . فَبِحَسَبِ مَا بَعْدَهُ ؛ وَهُوَ صَاحِبُ الْوَصْفِ الْمَذْكُورِ حَقِيقَةً ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ تَابِعٌ لِمَنْعَوْتِهِ فِي شَيْئَيْنِ مِنْ خَمْسَةٍ ؛ هِيَ : الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ وَالجَرُّ ، وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ ؛ فَتَقُولُ : زَيْدٌ الْقَائِمَةُ أُمُّهُ ، وَهَذَا الْقَائِمُ أَبُوهَا ، وَرَجُلٌ ذَاهِبَةٌ جَارِيَتُهُ .

وَلِكُونَ الْوَصْفِ الرَّافِعِ لِلْفَاعِلِ أَوْ نَائِبِهِ فِي الْحَقِيقَةِ فِعْلاً . . تُجَرِّدُهُ مِنْ عِلْمِيَّةِ التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ وَإِنْ اِكْتَفَيْتُهُ التَّثْنِيَةَ ، مِثْلًا : تَقُولُ : رَأَيْتُ الزَّيْدَيْنِ الْكَاتِبَ أَبُوهُمَا ، عَلِيٌّ مَعْنَى : اللَّذَيْنِ يَكْتُبُ أَبُوهُمَا ، فَلَا تَقُلِ : الْكَاتِبَيْنِ ، وَلَا اللَّذَيْنِ يَكْتُبَانِ .

لَكِنْ إِنَّمَا يَجِبُ إِتْبَاعُ النَّعْتِ مَنْعَوْتَهُ فِي إِعْرَابِهِ إِذَا لَمْ يَتَّعَيْنِ بَدُونَ النَّعْتِ ، فَإِذَا تَعَيَّنَ بَدُونِهِ . . جَازَ لَكَ الْإِتْبَاعُ ، وَجَازَ لَكَ قَطْعُ النَّعْتِ بِإِعْرَابِ وَحْدِهِ تَجْعَلُهُ بِذَلِكَ جَمَلَةً مُسْتَقَلَّةً مُشْتَمِلَةً عَلَيَّ ذِكْرِ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِ شَيْءٍ سَبَقَ فِي جَمَلَةٍ أُخْرَى .

وَإِذَا كَانَ الْغَرَضُ الْمَدْحُ أَوْ الذَّمُّ أَوْ التَّرْحُمُ . . وَجِبَ حَذْفُ صَدْرِ الْجَمَلَةِ الَّتِي فِيهَا الْوَصْفُ ؛ كَقَوْلِكَ : جَاءَنِي زَيْدٌ السَّهْلُ الطِّبَاعِ ، الْحَمِيدُ الْخِصَالِ ، بِنَصْبِ (السَّهْلِ) وَ(الْحَمِيدِ) عَلَيَّ نِيَّةً (أَذْكَرُ السَّهْلَ وَأَمْدَحُهُ) ، وَكَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ زَيْدًا الْمَسْكِينُ ؛ تَرْحُمًا ، أَوْ الْخَبِيثُ الشَّقِيُّ ؛ ذَمًّا ، عَلَيَّ تَقْدِيرٍ : هُوَ ؛ فَمِنْ (أَذْكَرُ . . .) إِلَى آخِرِهِ ، وَمِنْ (هُوَ . . .) إِلَى آخِرِهِ . . جَمَلَةً مُسْتَقَلَّةً حُذِفَ مِنْهَا الْفِعْلُ وَالْفَاعِلُ أَوْ الْمَبْتَدَأُ ذُكِرَتْ لِمَنْعَوْتِهِ الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ

أو الترحُّم ، وإذا لم يكنِ الغرضُ ذلكَ .. لم يجبِ حذفُ صدرِ الجملةِ ؛ كما تقولُ : زارني اليومَ أميرُ البلدِ المُتصَرِّفُ في أمورِ الناسِ وأنفسِهِم ، مُخاطباً مَنْ يَجترئُ عليكِ ؛ تريدُ بذلكَ التهوِيلَ عليه وإزاحةَ غفلتِهِ ، فلكَ أن تذكُرَ صدرَ الجملةِ ، فتقولُ : أعني المُتصَرِّفَ ، أو هو المُتصَرِّفُ .

[انقسامُ النعتِ إلى مفردٍ وجملةٍ]

ويَنقسمُ إلى مُفردٍ وجملةٍ ، لكن لا يُوصَفُ بالجميلِ إلا النكرةُ ؛ فلو وقعتْ جملُ الأوصافِ بعدَ المعارفِ .. أعربتْ أحوالاً ، وإذا وقعتْ بعدَ معرفةٍ فيها تنكيرٌ أو نكرةٌ مُخصَّصةٌ .. جازَ لك الأمرانِ ؛ كقولك : جاءني رجلٌ يقرأُ العِلْمَ ؛ فجملةٌ (يقرأُ) صفةٌ لـ (رجلٌ) النكرةُ ، وجاءني زيدٌ يتكلَّمُ بما يُعجِبُ ، فـ (يتكلَّمُ) حالٌ مِنْ (زيدٌ) المعرفةِ .

وكقولك : ادخلِ السُّوقَ يُباعُ فيه اللَّحْمُ فاشترِ كذا ؛ حيثُ لم يكنِ بينك وبينَ مُخاطبكِ معهوديةٌ سُوقِ بعينه ، بل الغرضُ مِنَ التعريفِ الإشارةُ إلى الماهيةِ المُتعيِّنة المُتحقِّقة في آحادِها ، فمعناها : ادخلْ واحداً مِنْ تلكَ الآحادِ المتساويةِ الأقدامِ في استحقاقِ اسمِ السُّوقِ ، فهو معرفةٌ في اللَّفْظِ ، نكرةٌ في المعنى ، فإن راعيتِ اللَّفْظَ .. جعلتَ الجملةَ حالاً ، وإن راعيتِ المعنى .. جعلتها صفةً .

وكقولك : رأيتُ رجلاً صالحاً يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ ، فـ (رجلاً) نكرةٌ مُخصَّصةٌ بالصفةِ ، فلكَ في الجملةِ أن تجعلها صفةً ثانيةً ، فيكونَ التقديرُ : رجلاً صالحاً أمراً ناهياً ؛ أي : جامعاً بينَ الأوصافِ الثلاثةِ ، وأن تجعلها حالاً ، فيكونَ المعنى : رأيتُ رجلاً مُتَّصِفاً بالصِّلاحِ في حالِ أمرِهِ ونهيهِ .

وإن تعدد النعت لمُتعدِّدٍ ؛ فإن كان النعتُ أوصافاً متخالفةً .. وجبَ ذكرُ كلِّ نعتٍ على حِدَةٍ بعطفِ اللَّاحِقِ على السابقِ ؛ كقولِكَ : جاءني الزيدون العالمُ والتاجرُ والصانعُ .

وإن كانت من جنسٍ .. ثنَّيتَ وجمعتَ ؛ فتقولُ : الزيدانِ الفاضلانِ ، والزيدونِ الفاضلونِ ، والهنداتُ الفاضلاتُ .

وإذا تفرَّقَ المنعوتُ بهذا النعتِ في جملتَينِ ؛ فإن اتفقَ عاملاهُما لفظاً ومعنىً .. جازَ لك الإتيانُ ، وجازَ لك القطعُ بشرطِهِ ؛ نحوُ : جاءني زيدٌ وجاءني عمروُ العالمانِ ؛ بالإتيانِ ، [والعالمينِ] ؛ بالقطعِ ، على تقديرِ : اذكرِ العالمينِ .

فإن اختلفَ العاملانِ لفظاً ؛ نحوُ : جاءَ وأتى ، أو معنىً ؛ نحوُ : تكلمَ ؛ أي : نطقَ ، وتكلمَ ؛ أي : تجرَّحَ .. وجبَ القطعُ ؛ كقولِكَ : تكلمَ فأفصحَ زيدٌ وتكلمَ فسألَ دمهُ عمروُ الشُّجاعينِ ، وجاءَ زيدٌ وأتى عمروُ الفاضلينِ ، كما إذا كانَ أحدُ المنعوتَينِ مرفوعاً والآخرُ منصوباً مثلاً ؛ لتعذرِ الإتيانِ إذاً . وما سمعتَ في تعدُّدِ الخبرِ تجريبه بعينه في الحالِ وفي النعتِ ؛ حيثُ كانَ الغرضُ العامُّ في الأنواعِ الثلاثةِ هو إثباتُ الأوصافِ ونسبَتها إلى موصوفاتها ، بيدَ أنَّ اختلافَ الأغراضِ الخاصَّةِ أوجبَ اختلافَ الكيفياتِ والمغايرةَ بين الألقابِ ، فكما تقولُ : هذا الرُّمَّانُ حُلُوٌّ حامضٌ ، أو لا حُلُوٌّ ولا حامضٌ .. إلى آخرِهِ ؛ تقولُ : آكلُ الرُّمَّانَ حُلُوًّا حامضاً ، واشتريتُ فرساً أبيضَ أسودَ .

وقد جاءَ الإخبارُ والنعتُ والتقييدُ الحاليُّ بالمصدرِ ؛ مبالغةً في تحقُّقِ الوصفِ للموصوفِ ؛ نحوُ : هذا الرجلُ صِدْقٌ ، وهذانِ الرجلانِ عدلٌ ؛ بإفرادِ المصدرِ وتذكيره ، على معنى : أنَّه تكوَّنَ من العدلِ ، وليسَ شيئاً آخرَ وراءَهُ .

قَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي صِفَةِ نَاقَةٍ فَقَدَتِ وَلَدَهَا ، فَهِيَ لَا تَزَالُ تُقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي
الْبَحْثِ عَنْهُ^(١) :

[من البسيط]

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
وَلَيْسَ عَلَى التَّأْوِيلِ ، وَلَا تَقْدِيرٍ مُضَافٍ كَمَا قِيلَ ؛ إِذْ هُوَ خُرُوجٌ عَنِ
الْغَرَضِ ، وَلَعَلَّ حَكْمَ النُّحُوِّيْنَ بِشَذُوذِ وَقُوْعِ الْمَصْدَرِ حَالاً . . مِنْ جِهَةِ إِحْدَائِهِ
كَيْفِيَّةً فِي التَّرْكِيبِ ، وَإِلَّا . . فَهُوَ مَجَازٌ سَائِعٌ مَسْمُوعٌ نَوْعِ الْعِلَاقَةِ ، كَمَا هُوَ
شَرْطُ الْمَجَازِ عَلَى مَا أَوْضَحَ أَهْلُ الْبَيَانِ .

[أَحْكَامٌ مُتَّفَرِّقَةٌ لِلنَّعْتِ وَالْمَنْعَوْتِ]

وَلَا يَتَقَدَّمُ النَّعْتُ عَلَى الْمَنْعَوْتِ ؛ فَإِذَا تَقَدَّمَ نَعْتُ النُّكْرَةِ . . جُعِلَ حَالاً ،
وَإِذَا تَقَدَّمَ نَعْتُ الْمَعْرِفَةِ . . جُعِلَ الْمَنْعَوْتُ عَطْفَ بَيَانٍ ، وَخَرَجَ إِذَا عَنِ
كُونِهِ نَعْتاً .



وَلَا يُفْصَلُ بَيْنَ النَّعْتِ وَالْمَنْعَوْتِ بِأَجْنِبِيَّيْنِ عَنْهُمَا ؛ نَحْوُ : إِنَّ رَجُلًا عَلَى أَبِيهِ
مُجْتَرِبًا ، وَلَأُمِّهِ مُهِينًا . . لِرَجُلٍ سَوِّءٍ ، وَإِنَّ مُكْرِمًا أَبَاهُ رَاحِمًا لَهُ ، بَارًا بِأُمِّهِ . .
لِرَجُلٍ خَيْرٍ وَبِرٍّ .

فَنَحْوُ قَوْلِكَ : قِرَاءَةُ زَيْدٍ لَا تَعْجِبُنِي الدَّرَجُ . . لَا يَصِحُّ ، بَلْ يَجِبُ : قِرَاءَةُ
زَيْدِ الدَّرَجِ لَا تَعْجِبُنِي ؛ لِأَنَّ خَبَرَ الْمَبْتَدَأِ لَيْسَ مُتَعَلِّقًا بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ، فَهُوَ
أَجْنِبِيٌّ مِنَ النَّعْتِ وَالْمَنْعَوْتِ .



(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٣) ، وهو عجز بيت ، والبيت بتمامه :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا أَدَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

وَيَكْثُرُ حَذْفُ الْمَنْعُوتِ ، فيقومُ النعتُ مقامَهُ ، وربّما التزمَ حيثُ اشتَهَرَتِ
الصفةُ لموصوفِها ، كما في قولِهِ تعالى : ﴿ وَمَلَأْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ (١) ؛
أي : سفينة ذاتِ ألواحٍ ومساميرَ ، فلا تذكُرُ الموصوفَ في مثله ، وكقولِهِ :
﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ ﴾ (٢) ؛ أي : ذروعاً سابغاتٍ .

وها هنا نكتةٌ بلاغيّةٌ ؛ وهي الاقتصارُ في العبارة على موضعِ العجبِ ؛ كأنَّ
الكلامَ يناديكَ : انظرْ أيُّها الإنسانُ هدايةَ مولاكَ الذي ألهمَكَ هذه الأعمالَ
حتى استخرجتَ مِنَ الخشبِ والحديدِ هذا الشكلَ الذي سلكتَ به البحورَ
كما تسلكُ في البرورِ ، وكيفَ وصلتَ إلى إلانةِ الحديدِ حتى صارَ كشمعٍ
تُصوِّرُ منه ما شئتَ ، وتعملُ منه ما تعملُ مِنَ الكَتَّانِ وشبهه ثياباً سابغةً تقيكُ
البأسَ ، فلو قالَ : (سفينة) و (ذروعاً) .. لمضى الذهنُ وما اعتادَ ، فلم
يتأمَّلْ في حُسْنِ صنعِ الله الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ ، وفي كلِّ شيءٍ عجبٌ .

ولا يُحذفُ منعوُثُ الجملةِ إلا إذا كانَ بعضاً مِنْ مجرورٍ بـ (مِنْ) أو
(فِي) ، نحوُ : القومُ منهمُ ظعنَ ومنهمُ أقامَ ؛ أي : منهمُ فريقٌ ظعنَ ومنهمُ
فريقٌ أقامَ ، والناسُ فيهمُ اجتهدَ في تحصيلِ العِلْمِ ، وفيهمُ كَسِلَ واتبعَ
الهوى ؛ أي : فيهمُ جمعٌ اجتهدَ وجمعٌ كَسِلَ .

ويَقِلُّ حذفُ النعتِ ؛ نحوُ : رأيتُ زيدا الصالحَ وعمراً ومنَ العجبِ
اجتماعَهُما ؛ تريدُ وعمراً الفاسقَ ؛ بدلالةِ الحالِ وإشعارِ المقالِ .



(١) سورة القمر : (١٣) .

(٢) سورة سبأ : (١١) .

التوكيدُ

لفظٌ يُذَكَّرُ بعدَ ذكرِهِ أَوَّلًا ، وَيُسَمَّى : توكيداً لفظياً ؛ كقولِكَ : قامَ قامَ زيدٌ ،
في تأكيدِ المحكومِ بِهِ ، وكقولِكَ : قامَ زيدٌ زيدٌ ، في توكيدِ المحكومِ عليه ،
وكقولِكَ : قامَ زيدٌ قامَ زيدٌ ، في توكيدِ الحكمِ .

وتوكيدُ الضَّمائِرِ المُنفصلةِ بإعادةِ ألفاظِها ؛ نحوُ : (أنتَ أنتَ) في
قولِهِ :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يُبَاعُ بِدِرْهَمٍ وَكَفَاكَ شَاهِدُ مَنْظِرِي عَنِ مَخْبَرِي
إِلَّا صَبَابَةٌ مَاءٍ وَجْهٍ صُنْتُهَا مِنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَنْتَ أَنْتَ الْمُشْتَرِي
ونحنُ نحنُ السَّاعُونَ فِي حَاجَتِكَ ، وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ قَصَدْتُ .

والضَّمائِرُ المُتصلةُ تُؤكِّدُ بإعادةِ ألفاظِها مَعَ ما اتصلتْ بِهِ ؛ نحوُ : أكرمتُ
أكرمتُ زيداً ، ولهُ لَهُ تَوَجَّهْتُ .

أو بضميرِ رفعٍ مُنفصلٍ ؛ نحوُ : كنتَ أنتَ ، وكنا نحنُ ، وإنا نحنُ ، وإني
أنا .

وحيثُ يُؤكِّدُ منصوباً أو مخفوضاً .. فهوَ مِنْ وضعِ ضميرِ مكانِ
ضميرِ .

ولا يُؤكِّدُ مِنَ الحروفِ إِلَّا أَحرفُ الجوابِ ؛ كقولِهِ ^(١) : [من مجزوء الرجز]

نَعَمْ نَعَمْ مَحَضُّهُمْ صِدْقَ [أَلَوْلَا] تَطْوُلَا
فَمَارَعَوْا عَهْدًا وَلَا مَـ_____وَدَّةً وَلَا وَلَا

(١) انظر « خلاصة الأثر » للمجيبى (٤/٤٨٣) .

وبقية الحروف تُعادُ مع ما اتصلت به ؛ نحوُ : لزيدٍ لزيدٍ قصدتُ ،
وقوله^(١) :

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً
وقوله^(٢) :

لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَائِقًا وَعُهُودًا
مِنَ الشُّذُوزِ بِمَكَانٍ .

[التوكيد المعنوي والفاظه]

أو لفظٌ مخصوصٌ يلاقي لفظاً ذكراً أولاً في المعنى ، ويُسمى : توكيداً
معنوياً .

والفاظه : النفسُ ، والعينُ ، وكلا ، وكلتا ، وكلُّ ، وأجمعُ ، وجمعاءُ ،
وأجمعونَ ، وجمَعُ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ نفسهُ ، ومررتُ بعمرو عينيهِ ، وجاءَ
الزيدونَ أنفسهمُ ، ورأيتُ العَمْرِينَ أنفسهمُ ، ومررتُ بهندٍ عينيها ، وبالهنداتِ
أعينيهنَّ ، وجاءَ الزيدانِ أنفسهما أو أعينُهُما ؛ بجمعِ التأكيدِ ، وهو الأفتحُ ،
ويجوزُ : الزيدانِ نفساهُما وعيناهُما بالثنائيةِ ، ونفسُهُما وعينُهُما بالافرادِ .

ولا بدُّ من اتصالِ النفسِ والعينِ بضميرِ المؤكِّدِ المُطابِقِ لهُ تذكيراً
وتأنيثاً ، وإفراداً وثنائيةً وجمعاً ، كما رأيتُ ، ولكَ أن تُدخِلَ باءً على النفسِ
والعينِ ، فتقولُ : جاءني زيدٌ بنفسِهِ ، ولهذا متاعي بعينيهِ ، وتقولُ : جاءَ
الزيدانِ كلاهُما ، والهندانِ كلتاهُما ، ورأيتُ الزيدينِ كليهما ، ومررتُ بهما
كليهما ، وهكذا .

(١) انظر «خزانة الأدب» (٣٠٨/٢) .

(٢) انظر «خزانة الأدب» (١٥٩/٥) .

وتقول: جاء الرجال كلُّهم وأجمع، والنساء جمعاء وجمع، والأحسن أن تكون بعد (كلّ).

ولا بدّ من اتصال (كلّ) و(كلا) و(كلتا) بالضمير المطابق.

ولا تُؤكِّد نكرة إلا إذا كانت محدودة بطرفين، فتؤكِّد لإفادة الشمول؛ نحو: انتظرتك يوماً أجمع.

والغرض من التوكيد: دفع توهم مخاطبك أنك سهوت أو غلطت أو تجوّزت عن شيء بذكر متعلِّقه؛ إذ يجوز أن تقول: جاءني زيد، وكنت تريد أن تقول: جاءني عمرو، فسهوت أو غلطت، وتقول: هذا كتابك؛ لنسخة نقلت منه تجوّزاً، ولذلك تقول: هذا كتابك بعينه.

وللتوكيد أغراض أخرى، موضع شرحها علم المعاني كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى^(١).

فاللفظ المؤكِّد يكون تابِعاً لمؤكِّده في إعرابه رفِعاً ونصباً وجرّاً وجزماً إن كان مؤكِّده مُعرباً، وما سوى النَّفس والعين لتوكيد الإحاطة والشمول وعموم الحكم، وقد أكدوا بلفظ (عامّة) فقالوا: جاء القوم عامتهم، وأكدوا بـ (جميعاً) و(طراً) و(قاطبة) و(كافة) منصوبات على الحال.



(١) انظر (٦٨/٢).

عطف البيان

اسمٌ ، فيه خصوصٌ ، يُذكرُ بعدَ اسمٍ يَعُمُّ معنى الاسمِ الذي تذكُرُهُ بياناً وغيره ، فيكونُ مُبَيَّنًا لخصوصِ مُرادِكِ مِنَ العامِ .

فالبَيانُ : إمَّا شخصٌ مِنْ أشخاصِ اشتمَلَ عليها الأوَّلُ ، أو جنسٌ مِنْ أجناسٍ كذلك ، فيكونُ المعطوفُ والمعطوفُ عليه نكرتَيْنِ ؛ نحوُ : ﴿ مِنْ شَجَرَةٍ [مُبْرَكَةٍ] زَيْتُونَةٍ ﴾ ^(١) ، وجاءني اليومَ إنسانٌ رجلٌ ، أو إنسانٌ امرأةً ، ومعرفتَيْنِ ؛ نحوُ : قَدِمَ صديقُكَ خالدٌ .

ومِنَ عطفِ البَيانِ : الاسمُ الواقِعُ بعدَ اسمِ الإشارةِ ، المُبَيَّنِ جنسَ المُشارِ إليه حيثُ يكونُ اشتباهً ، كما إذا كانَ بينَ يديكَ كتابٌ وقلَمٌ ؛ فتقولُ : خذْ هذا الكتابَ ، أو خذْ هذا القلمَ .

ومنهُ : الأسماءُ والألقابُ الواقعةُ بعدَ الكنيِ ؛ نحوُ : أبو حفصٍ عمرٌ ، وأبو يزيدَ معاويةً ، وأبو الحسنِ عليٌّ ؛ فلولا ما تَدَكَّرُ مِنَ البَيانِ . . لم يُعْرَفْ مرادُكُ ؛ لعمومِ الاسمِ الأوَّلِ وشمولِهِ للبَيانِ وغيره .

وكلُّ موصوفٍ قَدَّمَ عليه صفتهُ . . صارَ عطفَ بيانٍ ؛ فلو قلتَ : رأيتُ زيداً التاجرَ . . كانَ لفظُ (التاجرَ) صفةً ، فإذا قلتَ : رأيتُ التاجرَ زيداً . . كانَ عطفَ بيانٍ .

[حرفانٍ للتفسيرِ]

ويُستعملُ عطفُ البَيانِ بكلمةِ (أي) التفسيريةِ فاصلةً بينَهُ وبينَ المعطوفِ عليه ، وبدونها ؛ تقولُ : عندَ زيدٍ عسجدٌ ؛ أي : ذهبٌ ، وهذا هو الغضنفرُ ؛

(١) سورة النور : (٣٥) .

أَيُّ : الأَسَدُ ، أو : عَسَجْدٌ ذَهَبٌ ، والغَضَنفَرُ الأَسَدُ ، وتُسَمَّى (أَي) حَرْفَ
عَطْفٍ بَيَانِيٍّ ، فَعَطْفُ البَيَانِ تَابِعٌ لِّلْمَعطُوفِ عَلَيْهِ مُبَيَّنٌ فِي إِعْرَابِهِ وَتَعْرِيفِهِ
وَتَنْكِيرِهِ .

وهنالِكَ لِلتَّفْسِيرِ وَالبَيَانِ حَرْفٌ آخَرٌ بِمَنْزِلَةِ (أَي) غَيْرَ أَنَّهُ فِي مَوْضِعِهِ
لَا زِمٌّ لَا يَسُوغُ حَذْفُهُ ؛ وَهُوَ (أَنْ) التَّفْسِيرِيَّةُ ، وَلَا تَقَعُ إِلَّا بَيْنَ جُمْلَةٍ مُفَسِّرَةٍ
وَمُفْرَدٍ مُفَسَّرٍ يُذَكَّرُ وَيُحذَفُ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنْ
أَقْذِفِيهِ ﴾ ^(١) ، وَقَوْلِهِ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ ﴾ ^(٢) ، فَلِلتَّفْسِيرِ حَرْفَانِ .



(١) سورة طه : (٣٨ - ٣٩) .

(٢) سورة المؤمنون : (٢٧) ، والذي في كتب النحو : أَنَّ الجُمْلَةَ المُفَسِّرَةَ هِيَ المُسَبَّوْقَةُ بِجُمْلَةٍ فِيهَا مَعْنَى
القَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ . انظُر « شَرْحَ الأَشْمُونِيِّ عَلَيَّ أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ » (٢٨٥/٣) .

عطف النسق

هو تابعٌ بواسطةِ حرفٍ ، يجعلُ الكلمتينِ شبهَ خرزتينِ مُنتسقتينِ ؛ أي : منتظمتينِ .

وأحرفُهُ المُتَّفِقُ عليها : تسعةٌ ؛ وهي : (الفاءُ ، وثُمَّ ، والواوُ ، وحتى ، وأو ، وأم ، ولكنْ ، ولا ، وبل) .

وهذه الأحرفُ وإن سبقَ القولُ فيها لا بأسَ بالتكلمِ عليها في هذا الموضعِ ؛ لتكونَ على ثقةٍ منْ كيفيةِ استعمالِها وحفظِ أحكامِها ؛ فنقولُ :

الكلامُ على (الفاءِ)

الفاءُ : إن عطفتُ ما لهُ إعرابٌ على ما لهُ إعرابٌ ؛ بأن عطفتُ مفرداً على مفردٍ ، أو عطفتُ جملةً واقعةً موقعَ مفردٍ على جملةٍ مثلها . . شَرَّكَتَ بينهما في الحكمِ والإعرابِ ، مع إفاضةِ الاتصالِ الزمانيِّ ، وترتيبِ اللاحقِ مع السابقِ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ فعمروُ . . فمعناه : أنَّ زيداً وعمراً اشتركا في المجيءِ ، ومجيءِ عمرو واقِعٌ بعدَ مجيءِ زيدٍ على الفورِ ، ولذلك يُقالُ : الفاءُ للترتيبِ والتعقيبِ .

وإذا قلتَ : زيدٌ يحضرُ أبوهُ فيسافرُ أخوهُ . . فجملةُ (يسافرُ أخوهُ) وجملةُ (يحضرُ أبوهُ) واقعتانِ موقعَ مفردَيْنِ ؛ لكونِهما خبراً لمبتدأٍ ؛ فالمعنى : زيدٌ حاضرٌ أبوهُ فمسافرُ أخوهُ ، فأفادتِ الفاءُ الاشتراكَ والتعقيبَ والترتيبَ .

وإذا عطفتُ ما لا إعرابَ لهُ على مثلهِ ؛ بأن عطفتُ جملةً ليستَ واقعةً

موقع مفردٍ على مثلها . . أفادتِ اشتراكَهُما في الحصولِ والترتيبِ والتعقيبِ ،
وفي عطفِ الجملِ ربّما أُفيدَ بها سببيةُ السابقِ لِلاحقِ ؛ تقولُ : جاءَ زيدٌ
فذهبَ عمرو .

الكلامُ على (ثم)

ثمّ : كالفاءِ في التشريكِ والترتيبِ وعطفِ المفرداتِ والجملِ ، إلا أنّها
تفيدُ المهلةَ والتراخيَ ، وتلحقُها التاءُ ؛ فيقالُ : ثمّت ، وإذا تختصُّ بعطفِ
الجملِ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ ثمّ عمرو . . فمعناهُ : أنّ زيداً وعمراً اشتركا في
المجيءِ ، وأنّ مجيءَ عمرو بعدَ مجيءِ زيدٍ ، ولكنْ بينَ المجيئينِ مُدَّةٌ طالتْ
أو قصُرتْ ، بحيثُ لا يحكُمُ العُزفُ معها باتصالِهما .

الكلامُ على (الواو)

الواوُ : لإفادَةِ الاشتراكِ مطلقاً عنِ التقييدِ بترتيبِ واتصالِ أو تراخٍ ؛
فأيُّ واحدٍ حصَلَ ولم يكنِ الغرضُ إفادَتَهُ بخصوصِهِ . . تُستعملُ فيه
الواوُ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ وعمرو . . فمعناهُ : أنّهما اشتركا في المجيءِ فقط ،
ثمّ تارةً يكونانِ جاءا معاً ، أو مُرتباً باتصالِ ، وبدونِهِ ، فالعاطفُ بالواوِ غيرُ
مُتعرِّضٍ لشيءٍ مِنْ ذلكِ .

وتعطفُ الواوُ المفرداتِ والجملِ على ما سبقَ في الفاءِ .

ولكونِ هذهِ الأحرفِ الثلاثةِ مُشركَةً جامعةً بينَ الشئيينِ إذا وقعتْ بينَ
جملتينِ . . جعلتُهما جملةً واحدةً ؛ بحيثُ متى وقعتا في المواضعِ المحتاجةِ
للربطِ . . كفى وجودُ الرابطِ في المعطوفةِ ، كما إذا وقعتا صلةً أو صفةً أو حالاً

أو خبراً ؛ كقولك : (الذي أفرح فيفرح . . زيد) ، فجملة (أفرح) ليس فيها ضمير يعود على (الذي) ، ولا محذور في ذلك ؛ لأنها ليست صلة مُستقلّة ، بل جزء صلة ؛ لأنّ الفاء جعلتها وجملة (يفرح) المُشمّلة على ضمير الموصول العائد الذي لا بدّ منه لربط الصلة بالموصول جملة واحدة ، فيكون المعنى : الذي يعقب فرحهُ فرحي ويتسبّب عنه . . زيد ، فأنت ترى بتبيين المعنى أنّ الجملتين صارتا جملة واحدة .

وكذا البيان في نحو قولك : رأيت رجلاً يفرح زيد فيغضب ، وقولك : رأيت زيدا يغضب عمرو فيفرح ، وقولك : زيد يشتدّ الحرب فيزداد إقداماً ، وكقولك : زيد يقعد عمرو ثم يقعد ، وقولك : زيد يجيء عمرو ويذهب ، والبيان . . البيان .

ولكون الواو لا تفيّد تعقيباً ولا ترتيباً ، فُتستعمل في اشتراك المعية والمصاحبة . . اختصّت بالعطف مع الأفعال التي لا تحصل إلا من متعدّد ؛ نحو : اصطف زيد وعمرو ، واختصم بكرٌ وخالدٌ ، وتشاجر هذا وذاك ، ومن ثمّ اختصّت بالوقوع بعد (بين) نحو : اجلس بين زيد وعمرو .

الكلام على (حتى)

حتى : كالواو في إفادة اشتراك الشئيين ، لكن لا تعطف إلا اسماً ظاهراً يكون بعضاً من المعطوف عليه أو بمنزلة بعضه .

ولا بدّ أن يكون بين أبعاض المعطوف عليه ترتب عقلي في الوجود أو الشرف والخسة ؛ ليكون المعطوف ب (حتى) غاية للمعطوف عليه ؛ كقولك : سرّت الليلة حتى آخرها ؛ فالليلة ذات أجزاء ترتبت عقلاً في الوجود ، والآخِر بعضها وغايتها ، فمعناه : سرّت الليلة وآخرها أيضاً .

وكقولك : ماتَ الناسُ حتَّى الأنبياءُ ؛ فالناسُ أشخاصٌ مُرتَّبَةٌ في الشرفِ ،
والأنبياءُ غايَتُهُم فيه .

وكقولك : قَدِمَ الحُجَّاجُ حتَّى المُشاةُ ، وأعجبتني الجاريةُ حتَّى حديثها ؛
فالحديثُ ليسَ بعضَ الجاريةِ ، لكنَّهُ بمنزِلتِهِ ؛ لِشِدَّةِ الاتِّصالِ .
وما بعدَ حتَّى مُشارِكُ ما قبلها في الحكم كما رأيت .

الكلامُ على (أو)

أو : لإفادةِ أحدِ الأمرينِ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ أو عمرو .. فمعناه : أنَّ أحدَ الشخصينِ ثبتَ له
المجيءُ ، ولم يجتمعا فيه .

فإذا وقعتَ بينَ أمرينِ لا يجتمعانِ عقلاً أو شرعاً .. سُمِّيَتْ : (أوِ التخييرية)
لكونها للتخييرِ بينَ الشيئينِ ؛ كقولك : اجعلْ هذا الثوبَ أسوداً أو أحمرَ ،
وتزوِّجْ هنداً أو أختها ؛ فالسَّوادُ والحمرَةُ لا يجتمعانِ عقلاً ، وهندٌ وأختها لا
يجتمعانِ شرعاً .

وإذا وقعتَ بينَ أمرينِ يجتمعانِ .. سُمِّيَتْ : (أوِ الإباحية) نحو : جالسِ
العلماءِ أو الحكماءِ ، ولا تجالسِ الجهَّالَ ، فمعناه : [حَظْرُ] مجالسةِ الجهَّالِ ،
وإباحةُ مجالسةِ العلماءِ والحكماءِ .

وإذا [وقعتَ] بينَ أقسامِ شيءٍ .. سُمِّيَتْ : التقسيمية ، وتصلُحُ مكانها
الواوُ ؛ نحو : الكلمةُ : اسمٌ ، أو فعلٌ ، أو حرفٌ ، يصحُّ : اسمٌ وفعلٌ ...
ويستعملُها الشاكُّ والمُشكِّكُ .

وتكونُ (أو) للإضرابِ والإعراضِ ؛ نحو : صلُّتُك أقاربَكَ حسنةً

أو واجبةً ، أَعْرَضَتْ عن إثباتِ الحُسْنِ إلى إثباتِ الوجوبِ ، وهو معنى (بل)
الآتي بيانها .

وقد سلفَ لكَ أنَّها تكونُ قائمةً مقامَ (إلى أن) أو (إلا أن) (١) .

الكلامُ على (أم)

أم : حرفٌ يَسْتَعْمِلُهُ المُسَوِّي بينَ أمرينِ بكلمةٍ (سواءٍ) ، ويقعُ بينَ جملتينِ
لفظاً ، مفردينِ لحظاً ، ويأتي في صدرِ جملتها همزةٌ تُسَمَّى : همزةُ التسوية ،
وتُحَدَفُ تارةً ؛ نحوُ : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ (٢) ، وتقديرُهُ : إنذاركَ
وعدمُ إنذارِكَ سواءً ؛ أي : متساويانِ .

فالجملتانِ اللَّتانِ تكتنفانِ (أم) هذه .. مُنْسَبَتانِ في الملاحظةِ
بمصدرينِ ؛ مبتدأً ومعطوفٍ عليه ، مُخْبِرٍ عنهُما بـ (سواءٍ) ، فـ (أم) في هذا
الاستعمالِ بمعنى : الواوِ .

وقد وردَ التركيبُ مُصَرَّحاً فِيهِ بِالْمُسَوِّي بينهما مفردينِ والعطفُ بالواوِ ،
قَالَتْ بَثِينَةُ العُذْرِيَّةُ (٣) :

سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلَ ابْنِ مَعْمَرٍ إِذَا مِتَّ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلَيْنَهَا
وتقولُ : سواءً كانَ لي زيدٌ أم كانَ عليّ ، فلا تَذَكُرُ الهمزةَ ، وتقديرُهُ : كونُ
زيدٍ لي وكونُهُ عليّ سواءً ؛ أي : لا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ .

ويَسْتَعْمِلُهَا طالِبُ التَّصَوُّرِ بهمزةِ الاستفهامِ على ما سلفَ بيانُهُ ، ولذلك
تُسَمَّى (أم) في هذَيْنِ الاستعمالَيْنِ : (أمِ المُنْصَلَةِ) ، و (أمِ المُعَادِلَةِ) لأنَّها

(١) انظر (٤٧٨/١) .

(٢) سورة البقرة : (٦) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٣٩٨/١) .

كما رأيت لا تقع إلا بين شيئين لا بدّ منهما ، فشيئها بمنزلة العدلين ؛ أي :
شقي الحمل .

وهي في الاستعمال الثاني ك (أو) في كونها لأحد الشيئين ، إلا أن (أو)
لا تصح في موضعها ؛ لأنك إذا قلت : أزيد قائم أو عمرؤ ؟ فمعناه : هل
أحد الشخصين قائم ؟ فتكون لم تعلم حصول أمرٍ وجهلت تعينته ، فهو طلب
لأصل النسبة ، فجوابه : نعم أو لا ، فإذا أجبت ب (نعم) .. كان المعنى : قام
أحد الشخصين ، وإذا أجبت ب (لا) .. كان معناه : لم يقم أحد الشخصين ،
ومتى أجبت ب (نعم) .. علمت بوقوع النسبة من أحد الشخصين ، وحينئذ :
فلك أن تطلب تعيينه ، فتسأل بالهمزة و (أم) المتصلة فتقول : أزيد قام
أم عمرؤ ، أو : من القائم منهما ؟ والمعنى .. المعنى ، فيقال بتعيين أحد
الشخصين ، فتقول : (زيد) إن كان الفاعل ، وتقول : (عمرؤ) إن كان إيّاه ،
فالسؤال بالهمزة و (أم) لا يكون إلا من عالمٍ بامرٍ وجاهلٍ بآخر ، والسؤال
بالهمزة و (أو) لا يكون إلا من جاهلٍ محضٍ .

فمرتبة السؤال بالهمزة و (أم) بعد مرتبة السؤال بالهمزة و (أو) ، وربما
يظنُّ ظانُّ أن أحد الأمرين واقعٌ اعتماداً على أماره ، ويكون الواقع خلاف ما
ظن ، فيسأل بالهمزة و (أم) ، فيجاب ب (لا) كما في حكاية غيلان ذي الرمة
والعجوز ، التي ساقها في قوله ^(١) :

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحًا عَلَيَّ بِأَبِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَعَادِيَا
أَدُو زَوْجَةٍ بِالْمِضِرِّ أَمْ دُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بِالْبُضْرَةِ أَلْعَامِ ثَاوِيَا
فَقُلْتُ لَهَا لَا إِنَّ أَهْلِي جِيرَةٌ بِمَنْزِلَةِ الدَّهْنَا جَمِيعاً وَمَالِيَا
وَمَا أَنَا مُذْ أَبْصَرْتَنِي فِي خُصُومَةٍ أَرَا جُعُ فِيهَا يَا بِنَّةَ أَلْعَمِ قَاضِيَا

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٣١١/٢) ، وفيه (القرم) بدل (العم) .

الكلام على (لكن)

لكن : حرفٌ يَسْتَعْمِلُهُ المُسْتَدْرِكُ على كَلامٍ سَبَقَ مِنْهُ ؛ لِيَرَفَعَ وَهَمًّا غَيْرَ صَاحِحٍ يَنْشَأُ مِنْ كَلامِهِ السَّابِقِ ، وَلا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا بَعْدَ نَفْيٍ أَوْ نَهْيٍ ، وَلا تَكُونُ عَاطِفَةً إِلَّا إِذَا تَجَرَّدَتْ مِنْ وَاوٍ تَسْبِقُهَا ، فَإِذَا لَمْ يَسْبِقْهَا نَفْيٌ وَلا نَهْيٌ . . كَانَتْ لِمُجَرَّدِ الاسْتِدْرَاكِ ، وَسُمِّيَتْ : حَرفَ ابْتِدَاءٍ ، وَلَمْ تَكُنْ عَاطِفَةً ، وَكَذَلِكَ إِذَا سُبِقَتْ بِوَاوٍ فَتَكُونُ الْوَاوُ لِلْعَطْفِ ، وَهِيَ لِمَحْضِ الاسْتِدْرَاكِ .

فَالعَاطِفَةُ : كَقَوْلِكَ : مَا جَاءَ زَيْدٌ لَكُنْ أَخُوهُ ، وَلا تَضْرِبْ زَيْدًا لَكُنْ أَخَاهُ .
بَيَانُ مَعْنَى الاسْتِدْرَاكِ فِيهِ : أَنَّكَ لَمَّا قُلْتَ : مَا جَاءَ زَيْدٌ ، وَمِنْ العَادَةِ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَجِئْ أَحَدُ الْأَخْوَيْنِ لَمْ يَجِئِ الْآخَرُ . . فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ عَدَمَ مَجِيئِ الْآخَرِ بِمُقْتَضَى العَادَةِ ، فَيَسْتَدْرِكُ الْمُتَكَلِّمُ وَيَرَفَعُ هَذَا الوَهْمَ وَيَقُولُ : لَكُنْ أَخُوهُ .

وَضَابِطُهَا : أَنَّكَ تَنْفِي أَحَدَ أَمْرَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ فِي العَادَةِ ، فَيَنْصَرِفُ ذَهْنُ الْمُخَاطَبِ إِلَى أَنَّ النَفْيَ تَعَلَّقَ بِالمُتَلَازِمَيْنِ ، وَالمُواقِعُ خِلافُهُ ، فَتَسْتَدْرِكُ وَتَرَفَعُ الوَهْمَ .

وَالابْتِدَائِيَّةُ : كَقَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ لَكُنْ عَمْرُو لَمْ يَجِئْ .
وَإِذَا قُلْتَ : مَا جَاءَ زَيْدٌ وَلَكُنْ عَمْرُو . . فَالعَاطِفُ الْوَاوُ ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : وَعَمْرُو جَاءَ ، أَقْحَمْتَ كَلِمَةَ (لَكُنْ) لِمَكَانِ الاسْتِدْرَاكِ .

الكلام على (لا)

لا : حَرفٌ لِنَفْيِ حَكْمٍ مَا قَبْلَهُ عَمَّا بَعْدَهُ ، وَلا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ أَمْرٍ ، أَوْ نِداءٍ ، أَوْ خَبَرٍ مُثَبِّتٍ ؛ نَحْوُ : أَكْرَمُ زَيْدًا لا عَمْرًا ، وَنَحْوُ : يَا زَيْدُ لا عَمْرُو ، وَنَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ لا عَمْرُو .

الكلامُ على (بل)

بل : إذا وقعتْ بعدَ نفيٍ أو نهيٍ . . كَانَتْ لتقريرِهِ وإعطاءِ ما بعدها خلافةً .
 فإذا قلتَ : ما جاءَ زيدٌ بل عمرو . . فمعناهُ : أنْ انتفاءَ المجيءِ عن زيدٍ
 مُتَقَرِّراً ، لكنِ المجيءُ ثابتٌ لعمرو ، وكذلك إذا قلتَ : لا تُهِنْ زيداً بل عمراً .
 وإذا وقعتْ بعدَ أمرٍ أو إثباتٍ . . كَانَتْ للإعراضِ عنِ السابقِ ، وتَنقُلُ
 حكمَهُ لِلآخِقِ ، ويُسمَّى إضراباً إبطالياً ، وما قبلُهُ يُسمَّى : إضراباً انتقالياً ؛
 نحوُ : اضربْ زيداً بل عمراً ، فمعناهُ : غلطتُ في الأمرِ بضربِ زيدٍ ، ومطلوبِي
 ضربِ عمرو ، ونحوُ : جاءَ زيدٌ بل عمرو ، معناهُ أيضاً : إظهارُ الغلطِ والتداركِ
 بالصَّوابِ .

وإذا جاءَ بعدَ (بل) جملةٌ . . لم تكنْ عاطفةً ، وسُمِّيَتْ : حرفَ ابتداءٍ ؛
 ك (لكنْ) إذ ما بعدهما يكونُ كلاماً مُبتدأً .

وتُسَمَّعَلُ (أو) و (أم) لهذا الاستعمالِ كما سلفَ ، فُتَسَمَّى (أم) :
 (أمِ المُنْقَطِعَةِ) ، وتُفَسَّرُ بلفظةِ (بل) فقط إن كانَ بعدها (هل) نحوُ : ﴿ هَلْ
 يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ سَتَوَى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ ^(١) فمعناهُ : بل هل تستوي . . . ،
 وهو انتقالٌ مِنْ ضربٍ مثلٍ إلى ضربٍ مثلٍ آخَرَ .

وتُفَسَّرُ بـ (بل) والهمزة إن لم تكنْ بعدها (هل) وكانَ المعنى على
 الاستفهامِ ؛ نحوُ : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ ﴾ ^(٢) ، فمعناهُ : بل أكنتم شهداءَ .

وربَّما اسْتُعْمِلَتْ (بل) في التدرُّجِ في النفيِ أو الإثباتِ أو الأمرِ ، ويُسمَّى :
 الترقِّي ؛ فتقولُ : ما جاءَ زيدٌ بل عمرو ؛ تعني : أَنَّهُ انتفى مجيءُ زيدٍ ، بل

(١) سورة الرعد : (١٦) .

(٢) سورة البقرة : (١٣٣) .

انتفى مجيء عمرو ؛ حيث يكون انتفاء مجيء عمرو أبعَدَ مِنْ انتفاء مجيء زيد ، وتنبه على ذلك ، كما تقول : ما حضر زيد بل عمرو الذي يحضر كلَّ مَأْدُبَةٍ وإن لم يُدعَ إليها ، وتقول : جاء الوزير بل السلطان ، وتقول : أهن زيدا بل أباه .

والأحسن في هذا توسيط الواو بين (بل) ومدخولها ، فتقول : جاء الوزير بل والسلطان ؛ لذلك الغرض .

وأما المُخْتَلَفُ في أنه حرف عطفٍ أو لا . . فهي كلمة (إِمَّا) التفصيلية التي تقع مقابلة ل (إِمَّا) مثلها ؛ نحو : المُنْطَلِقُ إِمَّا زيدٌ وإِمَّا عمرو ، فقل : (إِمَّا) الثانية حرف عطفٍ ، والصَّحِيحُ أَنَّ (إِمَّا) وأختها حرفا تفصيلٍ يفيدان ما تفيده (أو) وإن كان بينهما وبينها فرقٌ دقيقٌ ؛ وذلك أن (أو) للتردد في المحمول ، وهما للتفصيل ، والسياق مُخْتَلِفٌ ، والعطف مع (إِمَّا) على الصَّحِيحِ للواوِ المصاحبة لها .

وأثبت بعضهم أن كلمة (ليس) تكون عاطفةً ، فتقول : جاء زيدٌ ليس عمرو ؛ كما تقول : لا عمرو .

ويعطف اسمٌ ظاهرٌ على اسمٍ ظاهرٍ ؛ نحو : زيدٌ وعمرو ، وضميرٌ مُنْفَصِلٌ على ضميرٍ مُنْفَصِلٍ ؛ نحو : أنا وأنت ، وإيائي وإيالك قصد عمرو ، ويعطف ظاهرٌ على ضميرٍ وبالعكس ؛ نحو : أنا وزيدٌ ذاهبان ، وزيدٌ وأنا مقيمان .

إلا أنه لا يُعْطَفُ على ضميرٍ مرفوعٍ مُتَّصِلٍ إلا بعد أن تَفْصِلَ بينه وبين العاطفِ بضميرٍ مُنْفَصِلٍ يُؤْتِي به للتوكيد ، أو بفواصلٍ آخَرَ ؛ نحو : سرْتُ أنا

وزيدٌ ، وسلكتُ الطريقَ وعمرو ، فنحوُ : سرْتُ وزيدٌ . . نادرٌ لا يُستعملُ ،
فَيَنْصَبُ ما بعدَ الواوِ مفعولاً معه .

وإذا عطفتَ على ضميرٍ مخفوضٍ ؛ فإن كانَ المعطوفُ ضميراً . .
وجبَ إعادةُ الخافضِ ؛ نحوُ : بي وبك ، وغلامي وغلأمك ، وإلّا . . كانتِ
الأفصحُ .

وكما يُعطفُ الفعلُ على الفعلِ في نحوِ قولك : لم يطعَ ويستقمَ زيدٌ . .
يجوزُ أن يُعطفَ الفعلُ على وصفٍ بمعناه ؛ نحوُ : ﴿ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ
وَأَقْرَبُونَ اللَّهَ ﴾ ^(١) ، فهو على معنى : إنَّ الذينَ تصدَّقوا واللواتي تصدَّقنَ
وأقرضوا ، وضميرُ جماعةِ الذكورِ فيه عائِدٌ على الذكورِ والإناثِ بتغليبِ
الأشرفِ .

ونحوُ : زيدٌ راكبٌ فرسهُ غداً ويسابقُ الفرسانَ ، فهو في معنى : زيدٌ يركبُ
ويسابقُ ، ويجوزُ عكسهُ ؛ نحوُ : زيدٌ يركبُ فرسهُ غداً فمسابقٌ ، فلكَ في مثلِ
هذا التركيبِ أربعةٌ أوجهٍ : راكبٌ فمسابقٌ ، يركبُ فيسابقُ ، راكبٌ فيسابقُ ،
يركبُ فمسابقٌ .

وقد يُحذفُ مِنَ الكلامِ اعتماداً على القرينةِ الفاءِ ومعطوفُها ، والواوُ
ومعطوفُها ؛ نحوُ : ﴿ أَضْرِبْ بَعْضَكَ الْحَجِرَ فَأَنْفَجَرْتَ ﴾ ^(٢) ؛ أي : فضربهُ
فانفجرتُ ، ونحوُ : راكبُ الناقةِ طليحانٍ ^(٣) ؛ أي : راكبُ الناقةِ والناقةُ .

وقد يُحذفُ عاملُ معطوفٍ بالواوِ وتبقى الواوُ ومعمولُ المحذوفِ ؛ نحوُ :

(١) سورة الحديد : (١٨) .

(٢) سورة البقرة : (٦٠) .

(٣) طليحان : مثنى طلح ؛ بمعنى : متعب ومجهد .

﴿ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾^(١) ؛ أي : وألّفوا الإيمان ؛ لأنَّ الدارَ تُسكَنُ والإيمانَ لا يُسكَنُ ، ويظهر أن لا تقديرَ ولا حذفَ في الآية ، ويكونُ التَّبَوُّءُ مُتَعَلِّقًا بِالدارِ والإيمانِ ؛ فإنَّ لفظَ (الإيمانِ) في لسانِ الشرعِ لا يُقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى ملاحظةِ معنى التصديقِ ، بل يُلحَظُ هُوَ وَالآثارُ المُترتبةُ عَلَيْهِ ؛ مِنْ وَقوعِ الأَمَنِ بَيْنَ الناسِ ، وارتفاعِ المَخافاتِ التي كانتْ لا تَبْرُحُ قائِمةً إِذْ ذاكَ ، وَمِنْ الاشتراكِ فِي المَنافِعِ ، والمحافظةِ عَلَى الحَقوقِ ، وعمومِ ارتفاعِ البَعْضِ بِالْبَعْضِ ؛ حتَّى تَكُونَ الأُمَّةُ فِي حالَةٍ جامِعَةٍ ، فهيَ بِمَنْزِلَةِ الأهلِ بَيْنَ آبائِ وَأَبنائِ ، فتلكَ الحالَةُ تُعْتَبَرُ اِعْتِبارَ الظُّروفِ ، فكأنَّهُ قِيلَ : جَمَعْتُهُمْ وَأَحاطَتْ بِهِمْ واشتمَلَتْ عَلَيْهِمُ الدارُ وتلكَ الأحوالُ ؛ فهوَ مِنْ عمومِ المِجازِ .

ولا يَتَقَدَّمُ المَعطوفُ عَلَى المَعطوفِ عَلَيْهِ .



(١) سورة الحشر : (٩) .

البدلُ

أربعة أقسام :

- قسمٌ يُسمَّى : بدلَ الكلِّ مِنَ الكلِّ ، وتَأَدَّبَ الْمُتَأَخَّرُونَ حيثُ لاحظوا وقوعه في أسماءِ اللهِ تعالى وتقدَّسَ عن كلِّ وبعضٍ ، فسَمَّوهُ : البدلَ المُطابِقَ .
- وقسمٌ يُسمَّى : بدلَ البعضِ مِنَ الكلِّ .
- وقسمٌ يُسمَّى : بدلَ الاشتمالِ .
- وقسمٌ يُسمَّى : بدلَ الغلَطِ .

البدلُ المُطابِقُ

لفظٌ يُرادُ به معنى أُريدَ بلفظٍ سابقٍ ؛ نحوُ : رأيتُ صديقَكَ خالدًا ، وراحمَ أخاكَ زيدًا ، وسَمِّيَ بدلَ الكلِّ مِنَ الكلِّ ؛ لأنَّه أُريدَ بلفظِ (البدلِ) كلُّ ما أُريدَ بلفظِ المُبدلِ منه .

وأمثلةُ هذا القسمِ مِنَ البدلِ تشبهُه بأمثلةِ عطفِ البيانِ ؛ فربَّما تَخَيَّلَ مُتَخَيِّلٌ أَنَّ أحدهما يغني عن الآخرِ ، فلا حاجةَ إلى إثباتِ تابعينِ يُخَصُّ كلُّ منهما باسمٍ ، وهو تَخَيُّلٌ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ بينَ عطفِ البيانِ وبينَ هذا القسمِ مِنَ البدلِ فرقينِ : فرقاً معنويّاً ، وفرقاً صناعيّاً .

أمَّا الفرقُ المعنويُّ . . فهو أنَّ عطفَ البيانِ إنَّما يُدكِّرُ لبيانِ المرادِ مِنَ المعطوفِ عليه فحَسُبُ .

وأمَّا البدلُ . . فإنَّه يُدكِّرُ لبيانِ خصوصيةِ بمعناه اقتضتِ الحكمَ السابقَ المربوطَ بالمُبدلِ منه ربطاً غيرَ قارٍ ، بلِ الغرضُ منه السلوكُ به إلى المرادِ بالبدلِ

ملحوظاً فيه خصوصيةً ، ومن هنا يقول النحويُّ : إنَّ البدلَ تابعٌ هو المقصودُ بالحكم ، فلا يكونُ المُبدلُ منه مقصوداً به ، بل يقولُ : في نيّة الطّرح ، ويقولُ أيضاً : إنّه على نيّة تكرارِ العاملِ ؛ فمَنْ يَنْطِقُ بالبدلِ مع المُبدلِ منه . . نَطَقَ بجملتينِ ، غاية الأمرِ أنّه حذفَ مِنَ الجملةِ الثانيةِ بعضُها ؛ اعتماداً على ذكرِ مثله في الجملةِ السابقة .

وبيان ذلك : أنّك إذا قلتَ : تَوَسَّلَ إلى زيدٍ بحبيبه خالدٍ ؛ فإن كنتَ لاحظتَ أنّ التوسُّلَ إلى زيدٍ وإفادته ما ترجوه منه يَحْصُلُ بتوسُّطِ الحبيبِ مِنْ جهةِ كونه حبيباً ، لا مِنْ جهةِ خصوصيةِ في شخصِ خالدٍ ، حتّى لو كان حبيبه غيرَ خالدٍ كنتَ آمراً بالتوسُّلِ به ، وكان مفيداً . . كانَ لفظُ (خالدٍ) عطفَ بيانٍ تُعَلِّمُ به مُخاطَبَكَ الشخصَ الذي أردته بلفظِ (الحبيبِ) الذي هو المعطوفُ عليه .

فإذا كانَ التوسُّلُ لخصوصيةِ في خالدٍ ؛ بأن يكونَ أعزَّ الأحبّةِ ، فلا يفيدُ التوسُّلُ إلّا به ؛ إذ ليسَ مُجرَّدُ المَحَبَّةِ كافياً في ذلك . . كانَ لفظُ (خالدٍ) بدلاً ؛ كأنّك قلتَ : تَوَسَّلَ إليه بخصوصِ خالدٍ الذي لا يفيدُ التوسُّلُ إلّا به ، فكانَ لفظُ (الحبيبِ) كأنّه لم يُذكَرْ .

وربّما أفادَ البدلُ كشفاً وبياناً ، لكنّه غيرُ مقصودٍ به .

وكذلك تقولُ : ارحمَ أخاكَ زيداً المسكينَ الضَّعيفَ العاجزَ ، تجعلُ عِلَّةَ طلبِ رحمتهِ كونهُ خصوصَ زيدٍ بمسكنتِهِ وِضعفه وعجزه ؛ كأنّك تقولُ : لو لم يكنْ زيدٌ أخاكَ . . لكانَ ينبغي أن يُرَحَمَ .

وبتأمُّلِ هذا يُعرَفُ أنّ البدلَ هو المقصودُ بالحكم ، وأنّه على نيّة تكرارِ العاملِ ، وأنّه لا يغني عنه عطفُ البيانِ .

وأما الفرقُ الصناعي . . فهو أنك تضيفُ لفظاً مُصدراً بـ (أل) إلى لفظٍ كذلك ، فتجوزُ الإضافةُ ؛ كقولك : رأيتُ الحسنَ الوجهِ ، فإذا أتبتَ المُضافَ إليه بلفظٍ خالٍ مِنْ (أل) كقولهِ^(١) :

[من الوافر]
أنا ابنُ التَّارِكِ الْبَكْرِيِّ بِشِرِّ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وَقُوعَا
تَعَيَّنَ فِي ذَلِكَ التَّابِعِ الْخَالِي مِنْ (أل) كونهُ عطفَ بيانٍ ، ولا يجوزُ أن يكونَ بدلاً ؛ لأنَّهُ يلزمُ حينئذٍ إضافةُ ما فيه (أل) إلى خالٍ منها ؛ إذ هو على نيَّةِ تكررِ العاملِ كما عرفتَ ، وهو غيرُ جائزٍ ، فلفظُ (بشِرِّ) عطفُ بيانٍ للمرادِ بلفظِ (البكري) .

وتقولُ : يا رجلُ ، نداءً لمقصودِ العينِ مُوجَّهاً إليه الكلامَ ، والمُنَادَى الذي هذا شأنُهُ وليسَ مُضافاً ولا شبيهاً به يُبنى على الضمِّ كما سبق^(٢) ، وهو في محلِّ نصبٍ ، فإذا عطفتَ عليه بياناً . . جازَ لك نصبُهُ رعايةً للمحلِّ ، وجازَ لك رفعُهُ رعايةً للفظِ كما ستعرفُهُ في تفصيلِ تابعِ المنادى^(٣) ، فإذا جعلتهُ بدلاً . . وجبَ ضمُّه بناءً ؛ لكونِهِ منادىً مُستقِلاً ، فتقولُ على العطفِ : يا رجلُ خالدُ بالرفعِ ، وخالدُ بالنصبِ ؛ على الرعايتينِ ، وعلى البدلِ : يا رجلُ خالدُ بالضمِّ بلا تنوينٍ ، كأنَّكَ قلتَ : يا رجلُ يا خالدُ ، وسيأتي لهذا مزيدُ بيانٍ^(٤) .

ومِنْ هذا القسمِ مِنَ البدلِ : بدلُ التفصيلِ ؛ كقولك : جاءَ الرجالُ زيدٌ وعمروٌ وبكراً .

(١) هو المرار الفقعي ، كما في «خزانة الأدب» (٢٨٤/٤) .

(٢) انظر (٤١٩/١) .

(٣) انظر (٥١٠/١) .

(٤) انظر (٥١٠/١) .

بدلُ البعضِ مِنَ الكلِّ

لفظٌ يكونُ المرادُ بهِ بعضَ المرادِ بلفظِ المُبدلِ منه ؛ نحوُ : قرأ زيدٌ الكتابَ أكثرَهُ ، وسرنا الليلَ مُعظَمَهُ ، ولم يفهمَ زيدٌ العِلْمَ شيئاً منه .

وهذا البدلُ يجبُ أن يصحبهُ ضميرُ المُبدلِ منه كما رأيتَ ، ونحوُ : رأيتُ الرجلينِ أكبرَهُما .

ولا يُستعملُ هذا البدلُ بلاغَةً إلا حيثُ يكونُ البعضُ هو المُعتَبَرُ حتى كأنَّهُ الكلُّ ، وتقريبُهُ : أنَّ إنساناً يقولُ لصاحبهِ : فلانٌ شربَ الماءَ ، فيقولُ لهُ صاحبهُ : أشربهُ كلَّهُ ؟ فيقولُ : أكثرَهُ ، فلمَّا كانَ المشروبُ أكثرَ الماءِ . . ساغَ للمُخبرِ أن يقولَ : شربَ فلانٌ الماءَ ، كأنَّ الباقيَ عدمٌ بعدَ الذاهِبِ .

بدلُ الاشتمالِ

لفظٌ يكونُ المرادُ منه شيئاً لهُ تعلقٌ وارتباطٌ بالمرادِ مِنْ لفظِ المُبدلِ منه ؛ كأوصافِهِ ، ومملوكاتِهِ ، وأهلِهِ ، ومظروفاتِهِ ؛ نحوُ : أعجبتني زيدٌ كلامُهُ ، ونفعني بكرٌ علمُهُ ، وطابَ خالدٌ أبوهُ ، ونحوُ : لا يجوزُ يومُ العيدِ صيامٌ فيه .

وهذا البدلُ أيضاً يجبُ أن يصحبهُ ضميرُ المُبدلِ منه ، ولا يُستعملُ بلاغَةً إلا حيثُ يكونُ معنى البدلِ كأنَّ المُبدلِ منه ليسَ شيئاً وراءَهُ ؛ فمَنْ يقولُ : أعجبتني زيدٌ كلامُهُ . . كأنَّهُ يقولُ : ليسَ زيدٌ شيئاً وراءَ كلامِهِ .

بدلُ الغلطِ

لفظٌ يُذكرُ لإفادةِ أنَّ ذكرَ المُبدلِ منه كانَ غلطاً أو سهواً ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ خالدٌ ، وخذِ الكتابَ الفرسَ ، واستعمالُهُ بـ (بل) أحسنُ .

وَيُسْتَعْمَلُ هَذَا النُّوعُ مِنَ الْبَدْلِ عِنْدَ تَغْيِيرِ النِّيَّةِ ، وَيُسَمَّى : بَدْلَ الْبَدَاءِ ،
 مثلاً : إِذَا أَمَرْتَ خَادِمَكَ بِإِحْضَارِ الْحَمَارِ ، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ نِيَّتُكَ إِلَى الْفَرَسِ ،
 فَقُلْتَ : أَحْضِرِ الْحَمَارَ الْفَرَسَ . . فَهُوَ بَدْلُ الْبَدَاءِ ؛ أَيِ : الظُّهُورِ ؛ لِأَنَّهُ ظَهَرَ لَكَ
 مَا لَمْ يَكُنْ ظَاهِراً .

وَلَا يُبَدَّلُ اسْمٌ ظَاهِرٌ مِنْ ضَمِيرٍ مُتَكَلِّمٍ ، وَلَا مِنْ ضَمِيرٍ مُخَاطَبٍ . . إِلَّا
 حَيْثُ يُنْبَهُ بِهِ عَلَى الْإِحَاطَةِ وَالشُّمُولِ ؛ كَقَوْلِكَ : يَا بَنِي عُدْرَةَ ؛ إِنَّ الْعِشْقَ
 فِيكُمْ أَوْلَكُمْ وَأَحْرِكُمْ ، وَإِنَّا كَبَارَنَا وَصَغَارَنَا رَاغِبُونَ إِلَى اللَّهِ .

وَيُبَدَّلُ الْأِسْمُ الظَّاهِرُ مِنْ ضَمِيرِ الْغَائِبِ بَدْلَ كَلٍّ ، وَمِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ بَدْلَ
 بَعْضٍ وَاشْتِمَالٍ وَغَلَطٍ ؛ نَحْوُ : انْتَفَعْتُ بِهِ زَيْدٌ ، وَأَعْجَبْتَنِي كَلَامُكَ .

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُبَدِّلَ مِنْ اسْمٍ شَرْطِ أَوْ اسْمِ اسْتِفْهَامٍ . . وَجِبَ أَنْ تَذَكَّرَ مَعَ
 الْبَدْلِ مِنْ اسْمِ الشَّرْطِ كَلِمَةً (إِنْ) ، وَمَعَ الْبَدْلِ مِنْ اسْمِ الْاسْتِفْهَامِ هَمْزَتَهُ ؛
 تَقُولُ : مَنْ عِنْدَكَ أَزِيدٌ أَمْ عَمْرُو ؟ وَمَا تَرِيدُ أَذْهَاباً أَمْ بَقَاءً ؟ وَمَنْ ذَا تَطْلُبُ أَزِيداً
 أَمْ عَمراً ؟ أَوْ : أَزِيدٌ أَمْ عَمْرُو وَهَكَذَا ، وَمَنْ يَأْتِيكَ إِنْ زَيْدٌ وَإِنْ عَمْرُو . .
 فَأَكْرَمُهُ ، وَمَا تَفْعَلُ إِنْ خَيْراً وَإِنْ شَرّاً . . تُجْزَى بِهِ .

وَيُبَدَّلُ الْفِعْلُ مِنَ الْفِعْلِ ؛ نَحْوُ : ﴿ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعَامُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعِيمِ
 وَبَيْنَ ﴾ ^(١) ، وَنَحْوُ : نَعْبُدُ اللَّهَ ؛ نَصَلِّي وَنُصُومُ ، وَنَرْجُو ثَوَابَهُ وَنَخَافُ
 عِقَابَهُ .

فَهَذِهِ التَّوَابِعُ يَكُونُ إِعْرَابُهَا إِعْرَابَ مُتَبَوِّعَاتِهَا ، وَالْعَامِلُ فِي مُتَبَوِّعَاتِهَا هُوَ
 الْعَامِلُ فِيهَا ، إِلَّا الْبَدَلَ .

(١) سورة الشعراء : (١٣٢ - ١٣٣) ، وَلَعَلَّ مُرَادَ الْمُؤَلِّفِ بِإِبْدَالِ الْفِعْلِ مِنَ الْفِعْلِ : إِبْدَالِ الْجُمْلَةِ مِنَ
 الْجُمْلَةِ ، كَمَا فِي « أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ » (٣٦٢/٣) .

لكن لكلٍ مِنْ تَابِعِي المُنَادِي واسم (لا) التبرئة تفصيلاً ؛ لأنَّ فِيهِمَا نوعٌ مخالفَةٌ ، فلا بدَّ مِنْ إيرادِهِ ، فنقولُ :

تابعُ المُنَادِي

إن كَانَ بدلاً أَوْ معطوفاً عطفَ نسقٍ لم يُصدَّرْ بـ (أَل) .. كَانَ كَمُنَادِيٍّ مُستَقِلٍّ ؛ لكونِ البَدَلِ على نِيَّةِ تَكَرُّرِ العاملِ ، ولنيابةِ العاطفِ عن حرفِ النداءِ ، فَيُبْنَى على ما يُرْفَعُ بِهِ إن كَانَ مقصودَ العينِ غَيْرَ مُضَافٍ وَلَا شبيهِ بِهِ ، وَيُنصَبُ إن كَانَ أَحَدَهُمَا ، سواءً كَانَ المُنَادِي متبوعُهُ مبنياً أَوْ منصوباً ؛ نحوُ : يا غلامُ بشرُ ، ويا أبا عبدِ اللهِ بشرُ ، ويا زيدُ وعمروُ ، ويا أبا الفضلِ وعمروُ .

وإن كَانَ التَّابِعُ غَيْرَ بَدَلٍ وَغَيْرَ معطوفٍ كذَلِكَ ؛ فإن كَانَ نعتَ (أَيْ) أَوْ اسمَ إشارةٍ .. كَانَ مبنياً على ما يُرْفَعُ بِهِ ؛ نحوُ : يا أَيُّها الرَّجُلُ ، ويا أَيُّهَا المرأةُ ، ويا أَيُّها الرَّجُلانِ ، ويا أَيُّها المؤمنونَ ، ويا هَذَا الإنسانَ ، ويا تانِ المرأتانِ ، ويا هؤلاءِ الفاضلونَ .

فإن لم يكن نعتاً لـ (أَيْ) وَلَا اسمَ إشارةٍ ؛ فإن كَانَ متبوعُهُ منصوباً .. كَانَ منصوباً ، وإن كَانَ متبوعُهُ مبنياً ؛ فإن كَانَ مُضَافاً .. وَجِبَ نصبُهُ ، إِلَّا إذا كَانَ المُضَافُ نعتاً مُصدِّراً بـ (أَل) ، فَإِنَّهُ يجوزُ رَفْعُهُ رعايَةً لِللفظِ ، وَنصبُهُ رعايَةً لِلْمَحَلِّ .

كما أَنَّ بَقِيَّةَ التَّوابعِ إذا لم تُضَفْ كذَلِكَ فِي جوازِ الوجهَيْنِ ؛ نحوُ : يا زيدُ حسنَ الوجهِ نعتاً ، ويا زيدُ نفسَكَ توكيداً ، ويا زيدُ أبا عمرو عطفَ بيانٍ ، ويا زيدُ الحسنُ الوجهِ بالرفعِ ، أَوْ : الحسنُ الوجهِ بالنصبِ ، نعتاً مُصدِّراً بـ (أَل) ، ويا تميمُ أجمعونَ أَوْ أجمعينَ توكيداً ، ويا غلامُ بشرُ أَوْ بشرأ عطفَ

بيان ، ويا زيدُ والظَّريفَ الطِّباعِ أو والظَّريفُ الطِّباعِ ، معطوفاً عطفتَ نسقٍ مُصدراً بـ (أ ل) .

تابع اسم (لا)

إذا أتبعْتَ المبنِيَّ بِمُتَّصِلٍ بِهِ نعتاً أو تأكيداً أو بياناً .. جازَ لكَ فتحُ التابعِ بناءً لتركيبِهِ معَ متبوعِهِ ، ونصبُهُ رعايةً لِمَحَلِّ متبوعِهِ ، ورفعُهُ رعايةً لِمَا كانَ لَهُ ؛ حيثُ كانَ مبتدأً كما وردَ في اللغةِ .

وإذا أتبعتهُ بها مُنفصلةً أو بمعطوفٍ عطفتَ نسقٍ لم تُكْرَرْ معه (لا) .. جازَ النصبُ والرفعُ دونَ الفتحِ ؛ لامتناعِ التركيبِ إذاً ، فإن كَرَّرتَ (لا) معَ المعطوفِ نَسَقاً .. جازتَ فيه الأوجهُ الثلاثةُ ؛ وذلكَ حيثُ يكونُ التابعُ مفرداً ، وإلا .. فهو كالْمُنْفَصِلِ ، وتابعُ الْمُعْرَبِ لَهُ حكمُ سائرِ التوابعِ ، والبدلُ جملةً مُستقلةً .

[التنازعُ في العملِ]

هَذَا ؛ وَمِنَ التَّرَاكِيِبِ تَرْجِمَ النَحْوِيُونَ لِبَيَانِ أَحْكَامِهِ بِالتَّنَازُعِ فِي الْعَمَلِ ، هَذَا مَوْضِعُ بَيَانِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِمَا سَلَفَ مِنْ الْأَبْوَابِ .

فَاعْلَمْ : أَنَّهُ مَتَى كَانَ تَرْكِيْبٌ .. فَأَلْبَتَهُ يَكُونُ مُشْتَمِلاً عَلَى : عَامِلٍ ، وَمَعْمُولٍ ، وَعَمَلٍ ، وَمَقْتَضِيٍّ لِذَلِكَ الْعَمَلِ ، وَبَعْضُهُمْ قَسَمَ النَحْوَ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ لِذَلِكَ ، وَنِعْمَ مَا صَنَعَ .

فَالْعَمَلُ : هُوَ مَا نُسَمِّيهِ إِعْرَاباً .

وَمَقْتَضِيهِ : طَالِبُ التَّمْيِيزِ مِنَ الْفَاعِلِيَةِ وَالْمَفْعُولِيَةِ وَغَيْرِهِمَا .

وَالْمَعْمُولُ : هُوَ الْمُعْرَبُ .

والعاملُ : هو ما تَنَسَّبَ إليه إيجادُ العملِ وإحداثُهُ ، فهو عندهم بمنزلةِ العِلَّةِ الفاعليَّةِ .

وَمِنَ المعقولِ : أَنَّهُ لا يَمكُنُ تأثيرُ مُؤثِّرَيْنِ في أثرٍ واحدٍ ؛ فَمِنَ ثَمَّ إِذا وُجِدَ عاملانِ بَعْدَهُما مَعْمولٌ . . وَجِبَ أَنْ تَعْطِيَهُ لأحَدِهِما ، وَتُقَدِّرَ لِلآخِرِ ، وَهَذَا هُوَ صِوْرَةُ التَّرْكِيبِ المَذْكُورِ .

حاصِلُهُ : أَنْ تَذَكَرَ عاملَيْنِ مِنَ الأفعالِ وشبهِها فقط ، وتَعقِبَهُما بمَعْمولٍ مِنَ المرفوعاتِ أو المنصوباتِ أو المخفضاتِ ، فيكونُ المَعْمولُ لأحَدِهِما ، والثاني أَوْلَى بِهِ عِنْدَ البصريَّةِ ؛ لِاتصالِهِ بِهِ ، والأوَّلُ عِنْدَ الكوفيَّةِ ؛ لِسَبْقِ طَلِبِهِ .

وعلى ملاحظة ما روي من أن الصَّيْدَ لِمَنْ قَنَصَهُ ، لا لِمَنْ أَثَارَهُ^(١) . . فالرأي مع البصريَّةِ .

فإن كانَ المَعْمولُ فَضْلَةً ؛ فإن أَعْمَلتَ الثاني . . أَضْمَرْتَ للأوَّلِ ضميراً مُطابِقاً للمَعْمولِ المَذْكُورِ ، وَحذَفْتَهُ وَجوباً ، وإن أَعْمَلتَ الأوَّلَ . . أَضْمَرْتَ في الثاني ، وَذَكَرْتَهُ وَجوباً ؛ نَحْوُ : أَكْرَمْتُ وَحَبَوْتُ زَيْدًا ، التَّقْدِيرُ : أَكْرَمْتُهُ ، فَحُذِفَ الضَّمِيرُ على إعمالِ الثاني ، وَتَقُولُ : أَكْرَمْتُ وَحَبَوْتُهُ زَيْدًا ، ذَاكِرًا لِلضَّمِيرِ على إعمالِ الأوَّلِ ، وَتَقُولُ : مَرَرْتُ وَطُفْتُ بِزَيْدٍ ؛ أَي : مَرَرْتُ بِهِ ، وَمَرَرْتُ وَطُفْتُ بِهِ بِزَيْدٍ ، وَخَرَجَ زَيْدٌ وَسَافَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ ؛ أَي : خَرَجَ فِيهِ ، وَخَرَجَ وَسَافَرَ فِيهِ يَوْمَ الجُمُعَةِ .

(١) انظر « الدراية في تخريج أحاديث الهداية » (٢٥٦/٢) .

وعلى هذا القياس ، وجاء نادراً ما يخالف ذلك ، قال^(١) : [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ تُرْضِيهِ وَيُرْضِيكَ صَاحِبٌ جِهَاراً فَكُنْ فِي الْغَيْبِ أَحْفَظَ لِلوُدِّ

فذكر ما الحكم وجوب حذفه ، وقال آخر في صفة

سيف^(٢) : [من مجزوء الكامل]

بِعُكَاظٍ يُعْشِي النَّاطِرِيْبَ نَ إِذَا هُمْ لَمَحُوا شَعَاعَةَ

أي : لمحوه ، فحذف ما الحكم وجوب ذكره .

ومتى كان المعمول عمدة ؛ بأن كان فاعلاً ، أو كان مبتدأ ، أو خبراً بحسب

الأصل ؛ بأن كان العوامل من النواسخ . . وجب الإضمار للمهمل ، ووجب ذكر

الضمير مطلقاً ، مستتراً في مواضع الاستتار ، وبارزاً في مواضع البروز .

تقول : أصبح زيد وأمساء قارئاً ، وأصبحه زيد وأمسى قارئاً ، وطننيه زيد

وظننته أخاً ، وطنني زيد وظننته إياه أخاً .

وعلى هذا القياس ، وفصل الضمائر ووصلها على ما سلف لك شرحه .

ومتى لم يطابق المفسر مفسره . . امتنع الإضمار ووجب الإظهار ، وفي

هذا التركيب يعود ضمير على متأخر لفظاً ورتبةً ، وهو أحد مواضع ستة

يعود فيها الضمير على المتأخر لفظاً ورتبةً ، ويقال : إن مرجع الضمير تقدم

حكماً ، فأقسام تقدم المرجع ثلاثة : تقدم لفظي ، وتقدم رتبي ، وتقدم

حكمي .

بقية المواضع المذكورة هي : تركيب (نعم) و (بس) ، و تركيب (ربه

(١) انظر « مغني اللبيب » (٤٣٨/١) .

(٢) القائل هو السيدة عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله عنها ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي

(١٣٠/٢) .

فتى) ، وتركيب (مررتُ به زيد) ، وتركيب ضمير الشأن ، وتركيب نحو
قولك^(١) :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ
وقولك : هِيَ الْعَرَبُ تَقُولُ مَا شَاءَتْ ، على أَنَّ كَلِمَتِي (الْفَرْسُ) وَ(الْعَرَبُ)
خَبْرَانِ .



(١) تقدم (٣٣٥/١) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ

القسم الرابع في الجملة الشرطيّة

الجملة الشرطيّة: هي المُصدّرةُ بأداةِ شرطٍ ؛ حرفٍ أو اسمٍ ضَمَّنَ معناه ، وقد سلفَتْ (١) ، والغرضُ هنا : بيانُ مَفَادِ الجملةِ الشرطيّةِ ، وما يعملُ مِنْ الأدواتِ وما لا يعملُ . . . إلى غيرِ ذلكِ مِنَ الأحكامِ المُتعلّقةِ بها ، فنقولُ :

أَمَّا مَفَادُ الجملةِ الشرطيّةِ . . فهو ارتباطُ وقوعِ النسبةِ التي تَضَمَّنَهَا جملةُ الجزاءِ بوقوعِ النسبةِ التي تَضَمَّنَهَا جملةُ الشرطِ ، على وجهِ توقُّفِهِ عليه توقُّفَ المُسبِّبِ على السببِ ، أو المشروطِ على الشرطِ ؛ فوقوعُ نسبةِ جملةِ الشرطِ . . سببٌ أو شرطٌ لوقوعِ نسبةِ الجزاءِ .

فالنسبةُ التي يَتعلَّقُ بها الحكمُ في الجملةِ الشرطيّةِ . . مُستقرُّها بينَ جملتي الشرطِ والجزاءِ ، وهما طرفاها ، فهما بمنزلةِ المحمولِ والموضوعِ في الجملةِ الخبريّةِ ، فلا حكمَ فيهما ، إلَّا أَنَّهُ إذا كَانَ الجوابُ طلباً . . فَإِنَّهُ يَكُونُ موضعَ الحكمِ ، والشرطُ قيدٌ لمُسندِهِ ، وهذا هو المذهبُ الأَخيرُ الذي انحطَّ عليه رأيُ المُحقِّقينَ بعدَ اختلافٍ أُطيلتْ فيه الاعتراضاتُ والأجوبةُ ؛ فكانَ بعضُ العلماءِ المُتقدِّمينَ على أَنَّ الحكمَ في الجزاءِ والشرطِ قيدٌ لمُسندِهِ ، وبعضُ المُتوسِّطينَ - كالشريفِ الجرجانيِّ وشيعتِهِ - على أَنَّ الحكمَ بينَ الشرطِ والجزاءِ مطلقاً .

[أدواتُ الشرطِ]

وأَمَّا العاملُ مِنْ أدواتِ الشرطِ . . فهي حرفانِ : (إن) و (إذما) ، وعشرةٌ

(١) انظر (١/٣٤٨) .

أسماءٍ : (مَنْ) و (ما) و (أيُّ) و (مهما) و (متى) و (أيَّانَ) و (أينَ)
و (حيثُما) و (أنى) و (كيفَما) .

ف (كيفَما) منها منصوبةٌ على الحالِّيةِ أبداً ، وأسماءُ الأمكنةِ والأزمنةِ
منها منصوبةٌ على الظرفيةِ ، وغيرها مُعرَّبةٌ حَسَبَ الاقتضاءِ ، وناصبُ
المنصوبِ منها : هو فعلُ الشرطِ كما يظهرُ لك بحلِّ التركيبِ لإبانةِ صريحِ
المعنى .

مثلاً : إذا قلتَ : كيفَما يُصَلِّ الإمامُ يُصَلِّ المأمومُ . . فحلُّهُ لذلكَ : إن
يُصَلِّ الإمامُ مُسرِعاً . . يُصَلِّ المأمومُ مُسرِعاً ، ومُبطِئاً إن مُبطِئاً ، ومُتوسِّطاً إن
مُتوسِّطاً .

وإذا قلتَ : أينَ تجلسنَ أجلسنَ . . فحلُّهُ : إن تجلسنَ داخلَ المسجدِ . .
أجلسنَ داخلَهُ ، وخارجَهُ إن خارجَهُ .
وإن قلتَ : ما تصنعُ أصنع . . فحلُّهُ : إن تصنعُ معروفاً . . أصنعهُ ، ومُنكرأ
إن مُنكرأ .

وغيرُ الحالِ والظُروفِ : كما يكونُ منصوباً - مثلَ ما رأيتَ - يكونُ
مرفوعاً ومخفوضاً ؛ نحوُ : مَنْ تزرُهُ . . أزرُهُ ، وحلُّهُ : كلُّ شخصٍ إن تزرُهُ . .
أزرُهُ ، مبتدأً والجملةُ الشرطيةُ خبرٌ ، ونحوُ : غلامٌ أيَّهمُ تُكرِّمُهُ . . أُكرِّمُهُ ،
وحلُّهُ : غلامٌ كلِّ شخصٍ إن تُكرِّمُهُ . . أُكرِّمُهُ ، ونحوُ : بمنَ تثقُ . . أثقُ ،
وحلُّهُ : إن تثقُ بزيدٍ . . أثقُ بهِ ، وبعمرٍ إن بعمرٍ ، وهكذا ، مَنْ أعملَ
الفكرَ . . ينلُ ما يطلُّهُ .

[أحوالُ الشرطِ والجزاءِ]

هكذا ؛ وأمَّا الشرطُ والجزاءُ . . فتارةً يكونانِ مضارعينِ ، وتارةً ماضيينِ ،

وتارةً يكون الشرط ماضياً والجزاء مضارعاً ، وتارةً يكون الشرط مضارعاً والجزاء ماضياً ، وهو قليل ، وتارةً يكون الجزاء جملةً .

والأوّل هو الأصل ؛ لموافقته مقتضى تعليق ما ليس حاصلًا على مثله ، وظرف الحصولين المستقبل ؛ ولذلك يكون الماضي الواقع شرطاً هو ماضٍ في اللَّفْظِ فقط ، أوقع موقع المضارع لغرضٍ يُبيِّنُ في علم المعاني .

الأمثلة : ﴿ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ﴾ ^(١) ، ﴿ إِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا ﴾ ^(٢) ، ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ ^(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا .. غُفِرَ لَهُ » ^(٤) .

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ أسيْفٌ ؛ متى يقيم مقامك .. رَقَّ) ^(٥) .

وقال العربي ^(٦) :

مَنْ يَكِدْنِي بِسَيْئٍ كُنْتُ مِنْهُ كَالسَّجَا بَيْنَ حَلْقِهِ وَالْوَرِيدِ
وَأَخْرُ ^(٧) :

إِنْ تَضَرَّمُونَا وَصَلْنَاكُمْ وَإِنْ تَصَلُّوْا مَلَأْتُمْ أَنْفُسَ الْأَعْدَاءِ إِزْهَابًا

(١) سورة الأنفال : (١٩) .

(٢) سورة الإسراء : (٨) .

(٣) سورة الشورى : (٢٠) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٥) ، ومسلم (٧٦٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٨٤) .

(٦) انظر « خزانة الأدب » (٧٦/٩) .

(٧) انظر « همع الهوامع » (٥٥١/٢) .

وَأَخْرُ^(١) :

[من البسيط]

إِنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِي وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وَأَخْرُ^(٢) :

[من البسيط]

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أَدَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَّبُوا

وحكم الشرط والجزاء الجزم لفظاً أو محلاً ، ولا إعراب للماضي كما عرفت في غير هذا الموضع ، لكن إذا كان الشرط ماضياً .. جاز رفع الجزاء المضارع ، قال زهير يمدح هرم بن سنان^(٣) :

[من البسيط]

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرْمٌ

وإذا كانت جملة الجزاء : جملة اسمية ، أو طلبية ، أو مُصدرةً بفعلٍ جامدٍ ، أو ب (قد) ولو مُقدرةً ، أو ب (ما) النافية ، أو ب (لن) ، أو بالسين ، أو ب (سوف) .. كانت كما يحكم به الوجدان آيةً عن الربط الشرطي ، فأوجبت اللغة مساعدة الأداة بفاء السببية الملاقية لها معنىً ، وأجازت ذلك حيث يكون مضارعُ الجزاء منفياً ب (لا) ، وحيث يكون ماضياً مقصوداً به الوعد أو الوعيد ، ولا تجوز الفاء في غير ذلك ، وما ورد على خلافه مؤولٌ بتقدير ما يجعل الجملة من مواضع الفاء ؛ نحو : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ﴾^(٤) ، تقديره : فهو ينتقم ، وحذف الفاء حيث وُجدت .. ضرورةً ؛ كقوله^(٥) : [من البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا

(١) انظر « مغني اللبيب » (٢ / ٩٠٨) .

(٢) انظر « عيون الأخبار » (٢ / ٢٨) .

(٣) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ١٢٠) .

(٤) سورة المائدة : (٩٥) .

(٥) انظر « الكتاب » لسبويه (٣ / ٦٥) ، و« خزانة الأدب » (١١ / ٣٥٧) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ وَمَثَلَانِ

وقد وردَ بعدَ (إن) خاصَّةً إقامَةً (إذا) الفجائية مُقامَ الفاءِ ؛ حيثُ يكونُ الجوابُ جملةً اسميةً غيرَ طلبيةٍ ولا مُصدِّرةً بـ (إن) المُؤكِّدةِ ولا بأداةِ نفيٍ ؛ نحوُ : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ ﴾ (١) ، وقد وردَ الربطُ بـ (إذا) مكانَ الفاءِ ، وبهما معاً بعدَ (إذا) مِنَ الأدواتِ غيرِ العاملةِ ؛ نحوُ : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٢) .

وإذا جئتَ بعدَ الجزاءِ بمضارعٍ مسبوقةٍ بفاءٍ أو واوٍ .. جازَ لكَ جزمُهُ على العطفِ ، ورفعُهُ على الاستئنافِ ، ونصبُهُ بـ (أن) مضمرةً بعدَ واوِ المَعِيَّةِ وفاءِ السببيةِ ، ويُزادُ هذا على مواضعِهِما السالفةِ ، وبثلاثةِ الأوجهِ يُروى قولُهُ (٣) :

فَإِنْ يَهْلِكَ أَبُو قَابُوسٍ يَهْلِكُ رَيْبِعُ النَّاسِ وَالْبَلَدُ الْحَرَامُ
وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ
الذَّنَابُ : ككتابٍ ، والسَّنَامُ : كسحابٍ ، وإذا وَسَطَتْهُ .. لم يجزِ الرفعُ .



ويجوزُ حذفُ الجزاءِ ؛ نحوُ : ﴿ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا ... ﴾ الآية (٤) ؛ أي : فافعلُ ، ونحوُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سَوَّرَتْ بِهِ أَلْبَابُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَ بِهِ أَلْمُوقَى ﴾ (٥) ؛ أي : لكانَ (٦) .

(١) سورة الروم : (٣٦) .

(٢) سورة الأنبياء : (٩٦ - ٩٧) .

(٣) هو النابغة الذبياني في «ديوانه» (ص ١٠٥) .

(٤) سورة الأنعام : (٣٥) .

(٥) سورة الرعد : (٣١) .

(٦) أي : لكان هذا القرآن ، وقدره ابن هشام في «معني اللبيب» (٨٤٩/٢) : لما آمنوا به .

ويجب إذا كان الشرط ماضياً ولو معنىً ، وتقدّم على الأداة أو اكتنفها ما يصلح أن يكون جواباً ، أو تقدّمها قسم لم يصحبه طالب خبر ؛ نحو :
 أجلس إن جلس زيد ، أو : إن لم يجلس ، وأنا إن لم يجلس جالس ،
 ونحو : أحلف إن خرج زيد لأخرجن ، قال تعالى : ﴿ وَإِن أَطَعْتُمْوهُ إِن كُرِهْتُمْ لَسُرُّوْكُمْ ﴾^(١) ، فإن تأخّر القسم أو صحبه طالب خبر .. لم يكن الجواب محذوفاً .

[الجواب إن توالى شرطان]

وإذا توالى شرطان ؛ فإذا عطف بالواو .. كان الجواب المذكور لهما معاً ، وإذا عطف بـ (أو) .. أجبت أحدهما وأضمرت للآخر ؛ نحو : إن زارك زيد أو إن زارتك هند .. فأكرمه ، أو فأكرمها ، وفي نحو : إن جاء زيد فإن جاء عمرو .. فأكرمه ؛ الجواب : الفاء ومدخولها ، وإذا لم تعطف .. فالجواب للأول ، وجواب الثاني مُقدّرٌ بجملة قائمة من الشرط الأول وجوابه ؛ كقولك^(٢) :

إِن تَسْتَغِيثُوا بِنَا إِن تَدْعُرُوا تَجِدُوا مِمَّا مَعَاقِلَ عَزَّ زَانَهَا كَرُمٌ
 فالتقديرُ : إن تدعروا ؛ فإن تستغيثوا بنا .. تجدوا .

وحذف كل الشرط قليل جداً ؛ كقوله^(٣) :
 مَتَى تُؤْخَذُوا قَسْرًا بِظَنَّةٍ عَامِرٍ وَلَا يَنْجُ إِلَّا فِي الْأَصْفَادِ يَزِيدُ
 تقديرُهُ : متى تُثَقِّفُوا ، فعلٌ مجهولٌ ؛ أي : تُوجدوا ، والظنّة بكسر الظاء :
 التُّهْمَةُ ، والصفادُ : جمعُ صَفَدٍ ، واحدُ الأصْفَادِ ؛ وهو القيْدُ .

(١) سورة الأنعام : (١٢١) .

(٢) انظر « خزنة الأدب » (٣٥٨ / ١١) .

(٣) انظر « همع الهوامع » (٥٦٣ / ٢) .

[من الوافر]

وحذفُ بعضِهِ كثيرٌ ؛ كقولِهِ ^(١) :

فَطَلَّقَهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُفٍّ وَإِلَّا يَعْجَلُ مَفْرَقَكَ أَلْحُسَامُ

أي : وإلَّا تُطَلِّقْهَا ، وقولِ الناسِ : إمَّا لا ؛ أي : افعلْ هذا إلَّا تفعلْ ذلك ،
ونحو : ﴿ وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ ^(٢) ، وإن خيراً .. فخيرٌ ، وقد
سلفَ أنَّ كلمةَ (إن) مُقَدَّرَةٌ مَعَ الطَّلَبِ الذي جَزَمْتَ ما يَدُلُّ على الحاصلِ
المُرْتَبِّ على امْتِثَالِهِ ^(٣) .



(١) هو الأحوص الأنصاري في «ديوانه» (ص ٢٣٨) .

(٢) سورة التوبة : (٦) .

(٣) انظر (٣٦٠/١) .

القسمُ الخامسُ

في بيانِ الجملِ الإنشائيةِ ، والجملِ التي لها محلٌّ مِنَ الإعرابِ
والجملِ التي لا محلَّ لها منه

[الجملُ الخبريةُ والإنشائيةُ]

عرفتُ أنَّ المُركَّبَ التامَّ : إن كانَ حكايةً عمَّا له وقوعٌ وحصولٌ . . فهو
الخبرُ والقضيةُ ، وإن لم يكنْ كذلك . . فهو الإنشاءُ .

فالخبرُ : مُركَّبٌ تامٌّ مفيدٌ بهيئتهِ التركيبيةِ الحكمَ بثبوتِ أمرٍ لأمرٍ أو انتفائهِ
عنه ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، وقامَ زيدٌ ، ويقومُ عمروُ ، وما قامَ عمروُ ، وليسَ خالدٌ
بقائمٍ ، ويُسمَّى هذا النوعُ مِنَ الخبرِ : خبراً حملياً .

أو مُركَّبٌ تامٌّ يفيدُ استلزامَ وقوعِ نسبةٍ وقوعَ نسبةٍ أخرى ؛ وهو الخبرُ
الشرطيُّ .

فالخبرُ : إمَّا حمليٌّ ، وإمَّا شرطيٌّ .

وأمَّا الجملةُ التي يُسمِّيها أهلُ المنطقِ الشرطيةَ المُنفصلةَ في مقابلةِ
الشرطيةِ المُتصلةِ السابقةِ . . فهي عندَ النحويينِ داخلَةٌ في الحمليةِ ؛ فإنَّ
قولكُ : الشيءُ إمَّا أن يكونَ وإمَّا ألا يكونَ . . بمنزلةِ قولكُ : الشيءُ كائنٌ أو
غيرُ كائنٍ ، فهو مبتدأٌ وخبرٌ .

وبينَ هذينِ التركيبينِ مِنْ جهةِ التعقُّلِ فرقٌ دقيقٌ ؛ وذلكُ أنَّ الحكمَ
في الأولِ بالعنادِ والتنافرِ بينَ وقوعي النسبتينِ ، ولذلكُ تلاحظُ أنَّه في
تقديرِ شرطيتينِ مُتصلتينِ يستلزمُهُما ؛ وهما إن كانَ الشيءُ كائناً . . لم

يَكُنْ غَيْرَ كَائِنٍ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ كَائِنٍ . . لم يكنْ كائناً ، وبهذه الملاحظة
سَمَّيْتِ الْمُنْفَصِلَةَ شَرْطِيَّةً ، وَالْحَكْمُ فِي الثَّانِي بِثَبُوتِ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ
فَحَسْبُ ، وَلَيْسَ لِلْمُلَاحَظَةِ عَمَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَيُسَمَّى عِنْدَهُمْ : الْمَحْمُولُ
الْمُرَدَّدُ .

والإنشاء هو :

الأمر ؛ نحو : أكرم زيداً .

والنهي ؛ نحو : لا تهنِ عمراً .

والتمني ؛ نحو : ليت الحبيب حاضرٌ .

والحضُّ ؛ نحو : هَلَا أَوْ أَلَا أَوْ لَوْلَا أَوْ لَوْمَا تَفْعَلُ أَوْ فَعَلْتَ ؛ وَهُوَ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ بِمَعْنَى : يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ ، وَفِي الْمَاضِي بِمَعْنَى : مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ
تَفْعَلَ ، قِيلَ : وَهُوَ طَلَبٌ لِتَدَارِكِ مَا يُمْكِنُ تَدَارِكُهُ ، وَيَسْتَعْمَلُهُ الزَّاجِرُ ؛ لِأَنَّ
الْحَضَّ كَمَا عَرَفْتَ يَكُونُ بِشِدَّةٍ وَعَنْفٍ .

وَالعَرَضُ ؛ نَحْوُ : أَلَا تَفْعَلُ ، وَيَسْتَعْمَلُهُ الْمُسْتَعِظُ الْخَاضِعُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ
أَصْلَهُ الْاسْتِفْهَامُ ، فَهُوَ طَلَبٌ لِرَأْيِ الْمُخَاطَبِ ، وَلِذَلِكَ صُدِّرَ بِأَدَاةِ النِّفْيِ ،
فَكَأَنَّهُ قَالَ : هَلِ الْأَحْسَنُ بَقَاءَ الشَّيْءِ عَلَى الْإِنْتِفَاءِ ؟ وَالْمَقْصُودُ : أَنَّ
الْأَحْسَنَ كَوْنُهُ وَحْصُولُهُ ، وَلِذَلِكَ يُرْتَّبُ عَلَيْهِ السَّبَبُ فِي الْحَكْمِ بِحَسْنِهِ ؛
كَقَوْلِهِ ^(١) :

يَا بَنَ الْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَأَيْ كَمَنْ سَمِعَا
وَالْاسْتِفْهَامُ ، وَسَبَقَ تَفْصِيلُهُ ^(٢) .

(١) انظر «مع الهوامع» (٣٨٩/٢) .

(٢) انظر (١٦٣/١) .

والتعجُّبُ ؛ نحوُ : لِلَّهِ أَنْتَ ، وَلِلَّهِ دَرْكٌ ، وَلَهُ صِيغَتَانِ مَشهُورَتَانِ يَبْحَثُ
النحويُّ عنهُما :

- إحداهُما : فعلٌ ثلاثيٌّ مهموزٌ يقبلُ معناه الشِدَّةَ والضعفَ ، مسبوقٌ
بكلمة (ما) التي معناها : شيءٌ عظيمٌ ، وهي مبتدأٌ ، وفاعلُ الفعلِ المذكورِ
ضميرٌ واجبٌ الاستتارِ يعودُ على (ما) نحوُ : ما أحسنَ زيداً ، وما أجملَ
عمرأ ، وما أطفَ خالدأ .

(١)
مَا أَقْدَرَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِي عَلَيَّ شَحْطِ مَنْ دَارُهُ الْحَزَنُ مِمَّنْ دَارُهُ صَوْلُ
معناه : شيءٌ عظيمٌ صَيَّرَ اللهُ قادراً (٢) ، وشيءٌ عظيمٌ صَيَّرَ زيداً جميلاً ،
نُقِلَ هذا التركيبُ مِنْ هذا المعنى الخبريِّ المشروحِ لإنشاءِ التعجُّبِ مِنْ قُوَّةِ
الوصفِ وشِدَّتِهِ .

وكيفية السلوكِ للانتقالِ : هي أَنْ الْمُتَكَلِّمَ لَمَّا جَعَلَ حُسْنَ زَيْدٍ حُسْنًا
خارجاً عن العادة . . جعلَ لَهُ مُوجِداً مُبْهَماً غَيْرَ معلومٍ ، غَيْرَ المُوجِدِ الذي
عُلِمَ أَنَّهُ يَخْلُقُ الأوصافَ ، ولذلك يَجْعَلُ بعضُ النحويينَ كلمةَ (ما) فيه
استفهاميةً ، وهذه المعاني مُحالَةٌ في أنفُسِها باطلَةٌ ، ألا ترى أَنَّ قدرةَ اللهِ
جَلَّ وَعَزَّ لَيْسَتْ بِإيجادِ موجدٍ ولا بتصييرِ مُصَيِّرٍ حتى يُقالَ : (ما أقدرَ اللهُ)
بذلك المعنى ؟! بل معناه : أتعجَّبُ مِنْ قُوَّةِ قدرةِ اللهِ تعالى ، وهو معنى
صحيحٌ .

- الصِّيغَةُ الثانيةُ : فعلٌ ثلاثيٌّ مهموزٌ بهمزة الصَّيرورة ، محمولٌ مِنْ صورةِ
الماضي إلى صورةِ الأمرِ ؛ نحوُ : أَنْعِمْ بزيدٍ ، وَأَكْرِمْ بِهِ ، وَأَحْسِنْ بِخالدٍ ،

(١) من البسيط ، والبيت لحندج بن حندج المري ، كما في « شرح الحماسة » (١٦١/٤) .

(٢) وسيردُ المؤلفُ هذا المعنى قريباً ، وذكر الإمام السيوطي في « همع الهوامع » (٣٢١/٣) : (والمعنى
في « ما أعظمَ اللهُ » : أنه في غاية العظمة ، ومعنى التعجب فيه أنه لا يُنكر ؛ لأنه مما تُحار فيه العقولُ ،
وإعظامه تعالى وتعظيمه : الثناء عليه بالعظمة واعتقادها ، وكلاهما حاصل ، والموجب لهما أمر عظيم) .

وأظرف به ، أصله : أحسن زيد ؛ أي : صار ذا حُسنٍ ، يتكلم بهذا المتكلمِ
المتعجب مع مَنْ يعلم حُسنَ زيدٍ ، فلا يحتاج لأن يُخبر به فيعلم المُخاطبون
أنه متعجب ، والباء بعده زائدة ، والاسم بعدها في محل رفع هو الفاعل .

يُقال : أحسنَ زيدٌ : فعلٌ ماضٍ تعجُّبيٌّ جيءَ به على صورة الأمر ، والفعلُ
الثلاثيُّ الذي تهمزُه ليصيرَ فعلاً تعجُّبياً هو فعلٌ من باب (كَرَمَ) بالأصالة ؛
مثل : حَسَنَ ؛ مِنْ الحُسْنِ ، ونَعَمَ ؛ مِنْ النِّعْمَةِ بفتح فسكونٍ ؛ أي : التَّرفِ ، أو
بالتحويلِ ؛ كضُرِبَ وفتحُه المُحوّلينِ عن ضَرَبَ وفتحُه بفتح عينيهما .

ولك - كما سلفَ ويأتي - أن تستعملَ أفعالَ هذا البابِ للتعجبِ ، وأن
تهمزها لتحصيلِ تينِكَ الصِّغَتَيْنِ ، والفعلُ المُتعدِّي يصيرُ بتحويله لازماً كما
هو شأنُ البابِ .

وإذا أردتَ أن تذكرَ مفعولَهُ . . أوصلتهُ إليه بلامِ التعدية ، وليسَ لها موضعٌ
سواهُ ؛ تقولُ : ضُرِبَ زيدٌ لعمرو ، وفتحُه لمسائلِ الكلامِ .

ثمَّ إنَّ فعلَ التعجبِ لا يُصاغُ إلا ممَّا يُصاغُ منه اسمُ التفضيلِ ، وما
توصلتَ به إلى التفضيلِ حيثُ تمتنعُ الصِّغَةُ . . تتوصلُ به إلى التعجبِ ،
والبيانُ . . البيانُ .

ومِنَ الإنشاءِ : (نِعَمَ) للمدحِ و (بئسَ) للذمِّ وما جرى مجراهُما مِن كلِّ
فعلٍ ثلاثيٍّ على (فَعَلْ) بضمِّ العينِ ، حيثُ يُرادُ به المدحُ والتعجبُ مِن قُوَّةِ
الوصفِ في صاحبه .

وهذا الفعلُ الذي يُمدحُ به أو يُذمُّ . . يرفعُ فاعلاً مُفتتحاً بـ (أَلِ) ، أو
مُضافاً لمُفتتحِ بها ؛ نحوُ : نِعَمَ المُتقي رَبَّهُ ، و﴿ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾^(١) ، و﴿ فَنَسَسَ

(١) سورة الرعد : (٢٤) .

الْقَرِينُ ﴿١﴾ ، أو ضميرٌ واجب الاستتارٍ مُذَكَّرٌ ، ولك تأنيثُهُ مَعَ الْمُؤنَّثِ كما سَلَفَ ، مفردٌ دائماً ، ويُفَسَّرُ بِاسْمٍ يُذَكَّرُ بَعْدَهُ مَنْصُوباً عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَهَذَا الْاسْمُ الْنَكْرَةُ الَّذِي يُجْعَلُ تَمْيِيزاً مُفَسِّراً لِلضَّمِيرِ . . هُوَ الَّذِي يُجْعَلُ فَاعِلاً مُفْتَتِحاً بِاللَّامِ أَوْ مُضَافاً لِمُفْتَتِحِ بِهَا ، وَمَعْنَى هَذَا الْاسْمِ هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَقَعُ الْمَدْحُ أَوْ الذَّمُّ مِنْ جِهَتِهِ وَأَجْلِيهِ ؛ وَهُوَ اسْمٌ جَنْسٍ ، وَالشَّخْصُ الْمُعَيَّنُ الَّذِي سِيقَ الْكَلَامُ لِمَدْحِهِ أَوْ ذَمِّهِ . . فَرَدُّ لِدَلِّكَ الْجَنْسِ ، فَيُذَكَّرُ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ مُبْتَدَأً ، وَالْجُمْلَةُ خَبْرُهُ .

وقيل : إذا تَأَخَّرَ . . كَانَ خَبِراً لِمُبْتَدَأٍ وَاجِبِ الْحَذْفِ ، وَالْجُمْلَةُ مِنْهُ وَمِنْ الْمَحذُوفِ مُسْتَأْنَفَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى سَوَالٍ يَلْزَمُ نَفْسَ الْمُخَاطَبِ ؛ نَحْوُ : زَيْدٌ نِعَمَ الرَّجُلُ ، وَنَحْوُ : نِعَمَ الْفَارِسُ عَمْرُو ، ف (عَمْرُو) عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي : خَبْرٌ ل (هُوَ) مُقَدَّرٌ ، كَأَنَّ الْمُخَاطَبَ لَمَّا سَمِعَ الْمُتَكَلِّمَ يَقُولُ : نِعَمَ الْفَارِسُ . . سَأَلَ : مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ الْمُتَكَلِّمُ : عَمْرُو ؛ أَي : هُوَ عَمْرُو .

ويقعُ بَعْدَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ كَلِمَةُ (مَا) نَحْوُ : نِعَمَ مَا يَصْنَعُ زَيْدٌ .

فإن لاحظت أن المعنى : نِعَمَ الشَّيْءِ الَّذِي يَصْنَعُهُ زَيْدٌ ، عَلَى كَوْنِ (مَا) مَوْصُولَةً . . كَانَتْ فَاعِلاً .

وإن لاحظت أن المعنى : نِعَمَ شَيْئاً يَصْنَعُهُ زَيْدٌ ، عَلَى كَوْنِهَا نَكْرَةً مَوْصُولَةً بِالْجُمْلَةِ . . كَانَتْ تَمْيِيزاً ، وَالْفَاعِلُ : الضَّمِيرُ الْمُسْتَتَرُ .

وعلى كلِّ يَذَكَّرُ الْمَقْصُودُ بِالْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ ، مِثْلًا : تَقُولُ : نِعَمَ مَا يَصْنَعُ زَيْدٌ ؛ تَكَلُّمُهُ فِي مَوْضِعِ الْكَلَامِ ، وَصَمْتُهُ فِي مَوْضِعِ الصَّمْتِ .

والأفعال التي تُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ هِيَ : (نِعَمَ) و (بِئْسَ) و (سَاءَ)

(١) سورة الزخرف : (٣٨) .

و (حُبَّ) ، وسائر الأفعالِ الثلاثيةِ الآتيةِ على (فَعَلَ) بضمِّ العينِ وضعاً أو تحويلاً؛ فيقال: شُرِفَ الرجلُ زيدٌ، ونَبِهَ المرءُ خالدٌ، وظَرَفَتِ المرأةُ دعدُ، وطابَتِ الفتاةُ هندٌ، وأصلُهُ: طَوَّبَ بواوٍ مضمومةٍ قَلَبَتِ أَلْفًا.

وقالوا: حَبَّبَا مدحاً، ولا حَبَّبَا ذمّاً، فجعلوا الفاعلَ اسمَ إشارةٍ مُذَكَّرًا مفرداً دائماً كما أفردوا الضَّميرَ الفاعلَ دائماً؛ فيقال: حَبَّبَا زيدٌ والزيدانِ والزيدونَ، وحَبَّبَا هندٌ، كما يُقال: نِعَمَ رجلينِ [ورجالاً]، وقالوا: حُبَّ الرجلُ زيدٌ، وحَبَّتِ المرأةُ هندٌ بضمِّ الحاءِ، وحُبَّ بزيدٍ عالماً، وحُبَّ بهندي عفيفةً.

والاسمُ الخاصُّ الذي سيقَ له المدحُ أو الذمُّ يُسمَّى: المخصوصَ بالمدحِ أو الذمِّ.

ومِنَ الإنشاءِ: صيغُ العقودِ والحلولِ؛ نحوُ: بعْتُ، واشتريتُ، وحَبَسْتُ، وَسَبَلْتُ، وفسخْتُ، وطلَّقتُ، وأنتِ طالقٌ، وأنتِ حرٌّ؛ إذ لا يُقصدُ بها الحكايةُ.

ومِنَ الإنشاءِ: الدُّعاءُ؛ نحوُ: أصلحَ اللهُ حالَكَ، وأطالَ بقاءَكَ، ولا زلتَ معَ الحقِّ، و[نحوُ]:

لَنْ تَرَأُوا كَذَلِكَمُ ثُمَّ لَا زِلَّ
تُ لَكُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ^(١)
لعدمِ قصدِ الحكايةِ أيضاً.

(١) هو الأعشى الكبير في «ديوانه» (١٢٥/١).

وأما الجملُ التي لا يَخْرُجُ الكلامُ عنها ، ومنها : ما لهُ مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ ،
ومنها : ما لا مَحَلَّ لَهُ مِنْهُ .. فهيَ خمسَ عشرةَ جملةً ؛ سبعٌ لها مَحَلٌّ مِنَ
الإعرابِ ، وثمانٍ لا مَحَلَّ لها .

[الجملُ التي لها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ]

فذواتُ المَحَلِّ :

- جملةُ الخبرِ عمَّا له خبرٌ ؛ مِنْ مبتدأً وناسخ .

- وجملةُ المفعولِ في (بابِ ظَنَّ) إذا وَقَعَتْ مفعولاً ثانياً أو سادَّةً مَسَدَّ
المفعولين ؛ حيثُ يُعَلِّقُ الفعلُ عن نصبِ الأجزاءِ بإحدى المُعلِّقاتِ ، وبقيةُ
الأفعالِ الإدراكيةِ التي لم تُعاملْ مُعاملةَ (ظَنَّ) لعدمِ استحقاقِها ذلكَ بحَسَبِ
معناها .. يَدْخُلُها التعليلُ ، فالجملةُ بعدها مفعولٌ ؛ نحوُ : ذَكَرْتُ أَقَامَ
زَيْدٌ أَمْ لَمْ يَقَمْ ، وشَكَكْتُ هَلْ قَالَ ما نسبوا لهُ ، ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ
نُشِرْهَا ﴾ ^(١) ، وفي هذا وَجْهٌ آخَرٌ ؛ وَهُوَ أَنَّ (كَيْفَ) اسمٌ لم يُضْمَنَّ معنى
الهمزة ، فَهُوَ المفعولُ ، وَمِنْهُ : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ^(٢) .

- وجملةُ الحالِ .

- وجملةُ النعتِ .

- والجملةُ المُضَافُ إليها .

- وجملةُ الجِزَاءِ المُفْتَتِحَةُ بِالفَاءِ ^(٣) .

- والجملةُ المعطوفةُ على إحدى هذهِ الجملِ .

(١) سورة البقرة : (٢٥٩) .

(٢) سورة البقرة : (٢٦٠) .

(٣) أو المفتتحة بـ (إذا) الفجائية .

كلُّها في محلِّ إعرابٍ ؛ لأنَّها واقعةٌ موقعَ مفرداتٍ - وذلك ضابطُها - لو
ذُكرتْ . . لكأنَّتْ مُعرَبةٌ لفظاً .

مثلاً : زيدٌ أبوهُ قائمٌ ، (زيدٌ) : مبتدأ ، و (أبوهُ) : مبتدأ ، و (قائمٌ) : خبرُ
المبتدأ الثاني ، و الجملةُ في محلِّ رفعِ خبرِ المبتدأ الأوَّلِ واقعةٌ موقعَ (قائمٌ)
الأبِ) ، فلفظُ (قائمٌ) يكونُ خبراً مرفوعاً بضمِّه ظاهرةً ، وعليةِ القياسِ .

[الجملُ التي ليسَ لها محلُّ منَ الإعرابِ]

والتي لا محلَّ لها :

- جملةُ فعلِ الشرطِ .

- وجملةُ جزاءِ الشرطِ التي لم تصحبها فاءٌ^(١) .

- وجملةُ جوابِ القسمِ .

- وجملةُ الصِّلةِ لاسمٍ أو حرفٍ : وصلةُ الاسمِ جملةٌ خبريةٌ ضرورةً

كونها مسوقةٌ لتعيينِ المرادِ بسببِ عهدِ المُخاطَبِ وسببِ شعورهِ بحصولِ
مضمونها .

ويجبُ أنْ تشتمِلَ - كما هو شأنُ جميعِ الجملِ المُتعلِّقةِ بغيرِها تعلقاً
شديداً - على رابطةٍ بمعنى الموصولِ ، ويُسمَّى : العائدُ ، ويجبُ كونهُ
مُطابِقاً للموصولِ في الإفرادِ وفرعيهِ ، والتذكيرِ وفرعيهِ ، إلَّا في الموصولاتِ
المُشترَكةِ ، فيجوزُ فيها اعتبارُ اللَّفظِ ، فيُفردُ ويُذكَّرُ ، ويكونُ مرفوعاً ومنصوباً
ومخفوضاً ، ويجوزُ حذفُه مرفوعاً إن لم يكنْ فاعلاً وطالَّتِ الصِّلةُ في غيرِ
(أيِّ) لدفعِ البِشاعةِ ، ومنصوباً بفعلٍ أو وصفٍ تامِّينِ ، ومخفوضاً بمُضافٍ

(١) أو لم تصحبها (إذا) الفجائية .

وصفٍ أو حرفٍ ، وشرطُ الحذفِ تَعَيُّنُهُ ؛ بحيثُ يكونُ عَيْنَ المرادِ بَيِّنًا ،
والفصيحُ في صلةِ (آل) كونها وصفاً جارياً مَجْرَى الفعلِ .

وفي الصِّلَةِ والعائِدِ تَلَطَّفَ شرفُ الدينِ ابنُ عَنِينٍ حيثُ كانَ مريضاً وخاطَبَ
سلطانَ ديارِ الشَّامِ في وقتِهِ عيسى المُعظَّمُ الأيوبيُّ بقولِهِ : [من الكامل]

أُنظِرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُولِي النَّدَى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَا فِي
أَنَا كَالَّذِي أَحْتَا جُ مَا يَحْتَا جُهُ فَأَغْنَمَ ثَوَابِي وَالْجَزَاءَ الْوَافِي
وأحسنَ السُّلطانُ - رحمَ اللهُ الجميعَ - جوابَهُ ؛ حيثُ زارَهُ بنفسِهِ ومَعَهُ
بدرَةُ دنانيرَ ، وقالَ : (هذه الصِّلَةُ ، وأنا العائِدُ) (١) .

- وجملَةُ التفسيرِ .

- والجملةُ الاعتراضيةُ : وهي الواقعةُ بينَ أجزاءِ الكلامِ لغرضٍ مِن
الأغراضِ التي محلُّ بيانها عِلْمُ المعاني ؛ نحوُ : زيدٌ - والإكرامُ عادتهُ -
أكرمَنِي ، وتقعُ بالواوِ والفاءِ وبدونِهِما ؛ نحوُ : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ
مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢) .

- والجملةُ الاستئنافيةُ : وهي الواقعةُ في افتتاحِ النطقِ ؛ نحوُ : زيدٌ قارئٌ ،
أو بعدَ انتهاءِ الكلامِ جواباً عن سؤالٍ مُقدَّرٍ ؛ نحوُ : أكرمُ زيداً ؛ إِنَّهُ عالمٌ ، أو
غيرَ جوابٍ ؛ نحوُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٣) ، وأهلُ البيانِ
يَخْصُونَ اسْمَ الاستئنافيةِ بالواقعةِ جواباً (٤) .

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤٩٦/٣) ، وفي « ثمرات الأوراق » لابن حجة الحموي (ص ٤٤) : (فحضر
إليه المعظمُ بنفسه ومعه ثلاث مئة دينار ، وقال له : أنت « الذي » ، وأنا « العائد » ، وهذه « الصلة ») .

(٢) سورة النحل : (٥٧) .

(٣) سورة الإسراء : (٨١) .

(٤) وهو ما يُعبَّرُ عنه بالاستئناسِ البياني .

- والجملة التابعة لإحدى هذه الجمل .

فَتَلَخَّصَ : أَنَّ الْكَلِمَ الْعَرَبِيَّ مِنْ حَيْثُ يَبْحَثُ النُّحَوِيُّ عَنْهُ . . هُوَ الْمُرَكَّبَاتُ
المتمايزة بالضوابط ، فلا بحث له عن المفرد إلا من حيث كونه جزء كلام ،
ولذلك عَرَفَهُ بما يكون إعرابه واحداً ؛ إذ الألفاظ قبل التركيب لا تُوصَفُ
بإعراب ولا بناء ؛ لأنك قد عرفت أن الإعراب والبناء تأثير مؤثر مُتَحَصِّلٍ
مُصَاحِبٍ وَعَدْمُهُ^(١) .

وَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنِ الْمُرَكَّبَاتِ مِنْ جِهَاتٍ خَاصَّةٍ ؛ وَهِيَ كَوْنُ الْكَلِمَاتِ - الَّتِي
هِيَ أَجْزَاءُ التَّرْكِيبِ - مُعْرَبَةً لَفْظاً وَمَوْضِعاً إِعْرَاباً ظَاهِراً أَوْ مُقَدَّراً ، أَوْ مُعْرَبَةً
مَوْضِعاً مَبْنِيَةً لَفْظاً ، أَوْ مَبْنِيَةً لَفْظاً وَمَوْضِعاً ، وَأَنَّهَا وَاقَعَتْ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي
يَقْتَضِيهَا لَهَا التَّرْتُّبُ التَّعْقِلِيُّ لِلْمَعَانِي أَوْ لَا ، التَّزَاماً لِذَلِكَ وَدُونَهُ ، وَأَنَّهَا
مَلْفُوظَةٌ بِأَسْرِهَا أَوْ لَا كَذَلِكَ .

وَالْأَغْرَاضُ الْمُتَرْتِّبَةُ عَلَى إِيرَادِ التَّرَاكِيْبِ فِي تِلْكَ الصُّوْرِ . . هِيَ مَبَاحِثُ
عِلْمِ الْمَعَانِي ، وَلِكُونِ تِلْكَ الصُّوْرِ فِي نَظَرِ صَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي لِأَغْرَاضٍ . .
لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ صُورَةً غَيْرَ مُلْتَزِمَةٍ ، وَالنُّحَوِيُّ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَاحِثاً عَنِ تِلْكَ
الْأَغْرَاضِ ، وَرَأَى التَّرْكِيبَ تَارَةً وَتَارَةً . . أَثْبَتَ الْجَوَازَ ؛ فَتَتَبَعَ أَجْزَاءَ التَّرَاكِيْبِ
بِضَبْطِهَا ضَبْطاً نَوْعِيّاً ، وَمَيَّزَ كُلًّا بِاسْمٍ مَنَاسِبٍ يَخُصُّهُ ، فَخَرَجَتْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ
أَبْوَابٌ وَفُصُولٌ ، ثُمَّ كَمَا تَتَبَعَ أَجْزَاءَ التَّرَاكِيْبِ . . تَتَبَعَ أَنْفَسَ التَّرَاكِيْبِ بِالْكِيفِيَّةِ
الَّتِي تَتَبَعَ بِهَا الْأَجْزَاءَ .

وعلى ذلك تم له فن ضبط به اللغة العربية ضبطاً أصلياً لازماً ؛ إذ به

(١) انظر (١/٣٢٩) .

تبقى اللُّغَةُ التي بها وصلَ إِيْنَا دِينُنَا مَحْفُوظًا مَحُوطًا أَن يَدْخُلَهُ شَائِبَةٌ تَغْيِيرِ
أَوْ زَحْزَحَةٌ عَن مُسْتَقَرِّ .

فَرَحَمَ اللهُ أَوْلِيَّكَ المَجْتَهِدِينَ فِي تَأْيِيدِ هَذَا الدِّينِ المَتِينِ ، صَلَوَاتُ اللهِ
وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَي مَنْ جَاءَ بِهِ وَعَلَى تَابِعِيهِ أَجْمَعِينَ .



[الإخبارُ بـ (الذي) والألفِ واللامِ]

وقد جرث عادةُ النحويينَ أن يضعوا باباً لاختبارِ حافظَةِ الطَّلَبَةِ وتمرينهم على استعمالِ تلكِ القوانينِ التي صرفوا لتحصيلِها صدرأً مِنْ نَفْسِ أعمارِهِمْ ، واحتملوا لَهُ بعضَ الخروجِ عن مألوفِ النفوسِ ، وسمَّوهُ : الإخبارُ بـ (الذي) والألفِ واللامِ .

وصورةُ ذلكَ : أن يسألَكَ سائلٌ : كيفَ تُخبرُ بـ (أل) أو بـ (الذي) عن (زيدٍ) مِنْ : مررتُ بزيدٍ ؟ فتجيبُهُ : الممرورُ بِهِ لي زيدٌ ، أو الذي مررتُ بِهِ زيدٌ .

وبيانُ ذلكَ : أن غَرَضَ السائلِ أن يأتيَ بتركيبٍ ما ، ويطلبُ منك أن تُحوِّلَهُ إلى صورةِ التركيبِ الذي تُخبرُ فيه عن الموصولاتِ .

وضابطُهُ : أن تأتيَ بأحدِ الموصولاتِ حَسَبَ الاقتضاءِ وتَجعلُهُ مبتدأً ، وتجعلَ الاسمَ الذي قيلَ : (كيفَ تخبرُ عنه) خبراً عن ذلكِ المبتدأِ ، بعدَ أن تضعَ موضِعَهُ ضميراً مُطابقاً يكونُ خلفاً منه .

فيظهرُ لكَ حينئذٍ : أن قولَهُمْ : (أخبرُ بـ « الذي » عن زيدٍ) فيه قلبٌ ، ووجهُهُ : أخبرُ عنِ (الذي) بزيدٍ ، وَمِنَ التكلُّفِ أن تُجعلَ الباءَ للآلةِ ، وأنَّ الإخبارَ في الحقيقةِ عن ذلكِ الاسمِ ؛ لأنَّ ذلكَ التركيبَ الذي يُرادُ التحويلُ إليه في هذا البابِ تركيبٌ مقصودٌ ، جُعِلَ فيه المُسنَدُ إليه مِنَ الموصولاتِ لأحدِ الأغراضِ المُبيِّنَةِ لَهُ في عِلْمِ المعاني .

فإذا عرفتَ أن الغَرَضَ تأخيرُ اسمٍ مِنَ التركيبِ لتجعلهُ خبراً ، وأن تضعَ مكانَهُ ضميراً ، وأن تأتيَ بموصولٍ تُصدِّرُهُ وتَجعلهُ مبتدأً .. أطلقتَ فكرَكَ

في القواعد التي حفظتها ، فقلت في نفسك : إن تأخير الاسم يُوجِبُ ألا يكون من الأسماء التي يجب تصديرها ، وأن رفعة خبراً يُوجِبُ ألا يكون من الأسماء التي تُلزِمُ حالةً واحدةً ؛ كالمصادر الملازمة للنصب ، والظروف غير المُتصَرِّفة ، وألا يكون جزءاً مُركَّبٍ ذي معنى واحدٍ ، وأن وضع الضمير موضعه يُوجِبُ ألا يكون من أجزاء التراكيب التي يجب أن تكون نكراتٍ أو أسماء ظاهرة ، وأن يكون بحيث يصحُّ وضع الضمير موضعه ؛ بالألا يكون مُضافاً ، ولا موصوفاً ، ولا مصدرًا عاملاً ؛ إذ الضمير لا يُضاف ، ولا يُوصف ، ولا يعمل ، وألا يحصل بذلك العمل فسادٌ في التركيب ؛ بحيث لا يكون مفيداً ، وأن الإتيان بالموصول ليكون مبتدأً يُوجِبُ أن تكون الجملة التي يُطلب فيها إجراء ذلك صالحةً لأن تكون صلةً ، وأن يمكن صوغ صلة منها ل (أ ل) حيث يكون الإخبار عنها .

فحينئذ متى سألك سائلٌ : كيف تُخبر عن كذا ، وكان اسم استفهام ، أو اسم شرط ، أو ضمير شأن ، أو مبتدأ ، أو مثل : معاذ الله ، وعند ولدئ ، أو حالاً ، أو تمييزاً ، أو مخفوضاً بـ (رُبُّ) أو بـ (حتى) أو بـ (مذ) . . . إلى غير ذلك مما تمنع القواعد أن يكون عليه التركيب الذي تُحوَّلُ إليه المركَّب الذي يُطلب منك تحويله . . قلت : لا يمكن الإخبار ؛ للمانع الذي هو كذا .

مثلاً : يُقال لك : أخبر عن الصديق الخَصِيصِ والعدوِّ البغيضِ مِنْ قولِكَ : كان زيدُ الصديقِ الخَصِيصِ والأَيامِ باسمه ، ثم صارَ العدوُّ البغيضَ وهي كاشرةٌ . . فتقولُ : الذي كانه - أو إيَّاهُ - زيدٌ والأَيامُ باسمه . . الصديقُ الخَصِيصُ ، ثم الذي صارهُ - أو إيَّاهُ - وهي كاشرةٌ . . العدوُّ البغيضُ .

ويُقال لك : أخبر عن رجلٍ مِنْ قولِكَ : رُبَّ رجلٍ يَعْرِفُ فضلَ العِلْمِ

والتهدُّبَ وحُسْنَ السيرة .. فتقولُ : لا يمكنُ ؛ لأنَّ التركيبَ يصيرُ هكذا :
الذي رُبُّهُ يَعْرِفُ ... رجلٌ ، فيلزمُ أن يكونَ مخفوضُ (رُبُّ) معرفةً ، وهو
غيرُ سائغٍ .

وعليكَ بالفكرِ في القياسِ واستخراجِ ما يمكنُ فيه ذلكَ العملُ وما لا
يمكنُ ، وقد التزمتُ شدَّةَ الاختصارِ في هذا الموضعِ ؛ إبقاءً لفكرِكَ بسطه
وتفصيله حَسَبَ ما تحصَّلَ معَكَ مِنَ الأحكامِ ومعرفةِ العملِ في هذا البابِ .
وبعضُ النحويينَ أوردَ هذا البابَ عندَ الكلامِ على المبتدأ والخبرِ ،
وبعضُهُم عندَ الكلامِ على الموصولِ ؛ مخالفةً لوضعِ المُتقدِّمينَ له في هذا
الموضعِ ، ونعمَ ما صنعَ المُتقدِّمونَ ؛ فإنَّ الغرضَ بهِ - كما عرفتَ - اختبارُ
حفظِكَ لسائرِ قواعدِ الفنِّ .

مسألة

[في الطَّلَبِ بكلمتي (أيِّ) و (مَنْ)]

كلمتا (أيِّ) و (مَنْ) إذا طلبتَ بهما مِنَ المُخاطَبِ تعيينَ مرادِهِ بنكرةٍ
أوردَها في كلامِهِ .. حكيتَ بالأولى وصلًا ووقفًا صورةً تلكَ النكرةِ مِنَ الأفرادِ
والتذكيرِ وفروعِهِما ، وحَرَكْتَ آخِرَها ، وبالثانيةِ وقفًا فقط .

فتقولُ : أيُّ وأيَّةُ بثلاثِ الحركاتِ ، وأَيَّانِ وأَيَّتَانِ وأَيِّينِ وأَيَّتَيْنِ ، وأَيَّاتُ ؛
حيثُ تكونُ النكرةُ جمعًا لا يصلحُ أن يوصَفَ بجمعِ مُذكَرٍ سالمٍ ، وأَيُّونَ
وأَيِّينَ ؛ حيثُ تكونُ النكرةُ جمعَ مُذكَرٍ سالمٍ ، أو جمعًا يصلحُ وصفُهُ بهِ ،
مُوزَعًا ذلكَ حَسَبَ ما عرفتَ .

وتقولُ : مَنُو ومَنَّا ومَنِي ، بثلاثِ الحركاتِ وإشباعِها ، ومَنَّانُ ومَنِّينُ ومَنُونُ
ومَنَّه بفتحِ النونِ ، ومَمَّتَانُ ومَمَّتِينُ بسكونِ النونِ ، ومَمَّاتُ .

و (أَيُّ) على إعرابها ، و (مَنْ) على بنائها ، فلواحق الثانية مِنْ الحركات والحروف للحكاية اتفاقاً ، وفي لواحق الأولى خلافاً ، وعلى القول بكونها إعراباً يكون الخافض عند حكاية الخفض محذوفاً ، وعلى القول بكونها للحكاية فضمةً (أَيُّ) مُقدَّرةٌ ؛ لكونها حينئذٍ مبتدأً .

وإذا أوردَ مخاطبك في كلامه علماً مُشترِكاً وطلبت تعيينه بـ (مَنْ) دونَ أن تَقْرُنْها بـ (واوٍ) أو (فاءٍ) ، وجئت بعدها بلفظ العَلَمِ غيرِ متبوعٍ إلا بعطفٍ نسقٍ أو وصفٍ بابنٍ أو ابنةٍ . . . جازَ لك أن تَنطِقَ به على صورته في كلامِ المُخاطَبِ ، فضمته مُقدَّرةٌ ؛ لكونه مبتدأً أو خبراً ، والأفصحُ أن تَنطِقَ به حَسَبَ الاقتضاءِ .



الخاتمة

[في خلاصة ما تقدم]

قد عرفت أنّ إفادة الكلام ما يُرادُ به مُرتبطةٌ بهيئتهِ الصّحيحة ، وذلك لا يُخصُّ لغةً دونَ لغةٍ ، ولذلك احتاجتْ كلُّ لغةٍ لوضعِ فنونٍ لضبطِ صورها الصّحيحة ، وكانتِ اللغةُ العربيّةُ أشدَّ احتياجاً لذلك ؛ بسببِ الإعرابِ والبناءِ وغيرهما .

ولم يكنْ للعربِ خلا عربِ اليمنِ علماً بالكتابة ، وإنّما دخلتْ فيهم بعدَ ورودِ الإسلامِ الذي جمعَ بينَ الأممِ ، وأوجبَ اختلاطَ الكافّةِ ، فاحتاج كلُّ لمعرفةٍ كلٍّ ، فكتبتِ العربُ أحرفاً دالةً على مادّةِ اللفظِ دونَ صورتهِ ؛ لاستغنائهم بصحّةِ لغتهم .

ثمّ تنبّهَ الحجاجُ بنُ يوسفَ ، فنقطَ المصحفَ ؛ حيثُ دخلَ الاشتباهُ ، وحصلَ اللحنُ بالسببِ الذي سبقَ شرحُهُ ، وجرى العملُ على الكتابةِ دونَ شكلٍ يُعرّفُ صورَ الألفاظِ ، فاشتدّتِ الحاجةُ لتحصيلِ طريقةٍ بمعرفتها تُضبطُ صورةَ اللغةِ ، ولو اشتملتِ الكتابةُ على ما يدُلُّ على صورِ الألفاظِ . . لَبقيتْ لغةُ العربِ صحيحةً ، ولم يدخُلها كلُّ ذلكِ التغييرِ المشهودِ في لسانِ مَنْ يتكلّمُ باللغةِ العربيّةِ ؛ وهم - كما سلفَ - أهلُ مصرَ ومغربها والشّامِ والحجازِ واليمنِ ^(١) ، ولم يطلُ فنُّ النحوِ هذا الطّولَ .

ولكنّ لما لم يكنْ ذلكَ . . قامتْ طائفةٌ منْ عقلاءِ الأمّةِ مجتهدينَ في تحصيلِ الطّرقِ التي تُضبطُ بها اللغةُ العربيّةُ منْ كلِّ وجهٍ ، فتحصّلتْ

(١) انظر (١٠٦/١) .

العلوم العربية المُسمَّاة بالفنون الأدبيَّة نسبةً إلى الأدب ؛ وهو تعويدُ
المتحرِّك بالإرادة على الحركات المُستحسنة الموافقة لِمَا جُعِلَ ذلك
المتحرِّكُ له .

فلا تظنَّ أنَّ الأدب - كما توهمه الشهرة - هو الأشعارُ والنوادرُ والحكاياتُ
وما أشبه ذلك ، ولا أنَّ الأدب خاصٌّ بالإنسانِ ، بل هو كما يقتضيه تعريفُهُ
عامٌّ لكلِّ حيٍّ ؛ فلكلِّ حيٍّ أدبٌ يليقُ به .

فأدبُ الإنسانِ : تَعَوُّدُهُ الأحوالِ التي يصيرُ بها نافعاً لنفسِهِ ولأهلِ الأرضِ
المنفعةَ التي يمكنُهُ القيامُ بها في طائفَتِهِ المُشاركةِ له في ذلك ، حَسَبَ
الأوضاعِ الإلهيَّةِ ، حيثُ خلقَ كلَّ نوعٍ وخصَّه بأعمالٍ ، وجعلَ نوعَ الإنسانِ
هو النوعَ الرئيسَ المُدبِّرَ لبقيةِ الأنواعِ ، فكثُرَت أعمالُهُ ، واقتضى الحالُ
تقسيمَهُ طوائفَ مُوزَّعةً عليها أنواعُ الأعمالِ ، مربوطاً بذلك حفظَ حياتِهِم
وحسنُ معيشتِهِم ، ولهذا المعنى الإشارةُ بقوله جلَّ ذكرُهُ : ﴿ تَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ
مَعِيشتَهُمْ ﴾ (١) .

وأدبُ الجَمَلِ : تَعَوُّدُهُ البروكِ حيثُ يُرادُ منه ، ونهوضُهُ بالأثقالِ المحمولةِ
عليه ، وانقيادُهُ بتلكِ السَّلاسةِ . . . وهكذا .

وأدبُ حِمَارِ الرُّكوبِ : التصافُّهُ بِسَلَمِهِ ، وامتنالُهُ لتحريكِ اللَّجَامِ . . .
وهلمَّ .

إلَّا أنَّ للأدبِ أصولاً هي بمنزلةِ الأغذيةِ ، وفروعاً هي بمنزلةِ الفواكهِ ،
ولكِ التشبيهُ بصورةِ الإنسانِ مثلاً ؛ فوجودُهُ حيّاً بعِظامِهِ وعُروقهِ وجميعِ ما
لا بدُّ منه في الحياةِ ، وجمالهُ بأمورٍ لا تزولُ الحياةُ بزوالِها ؛ كالشَّعرِ الأسودِ

(١) سورة الزخرف : (٣٢) .

الأبيث المُسترسِلِ ، واللونِ الوَسَطِ ، وتناسُبِ الأَعْضَاءِ . . . إلى غيرِ ذلكِ مِنَ
الأُمُورِ المشروحةِ في الغزْلِ .

فأصولُ الأدبِ لطائفةِ النَّجَّارِ مثلاً : معرفةُ إمساكِ القَدُومِ والمِنْشَارِ
والفأرةِ والمِخْرَازِ والمِنْقَرَةِ ، واستعمالُ تلكِ الآلاتِ لتحصيلِ ما بهِ الوقايةُ
مِنَ الحرِّ والبردِ والأمنِ مِنَ اللَّصِّ وخروجِ الحيوانِ . . . إلى غيرِ ذلكِ ،
وفروغُهُ : النقوشُ ، والتحليةُ ، والعملُ على الحسابِ ، ورعايةُ التناسُبِ بينَ
أنواعِ مصنوعاتِهِ ؛ فالشُّبَّاكُ العالِي يناسبُهُ ما لا يناسبُ الشُّبَّاكُ السافلِ ،
وبابُ الدارِ لا يكونُ كبابِ أحدِ بيوتِها ، وبابُ القاعةِ الكبيرةِ غيرُ بابِ
المبيتِ .

وعليكِ الفكرُ ؛ فعلى ذلكِ تعرفُ أنَّ أصولَ أدبِ طائفةِ العلماءِ : أن
يَعْرِفُوا الكتابةَ والقراءةَ ، وصحةَ الكلامِ مادَّةً وصورةً ، وَيَتَعَقَّلُوا كيفيةَ تحصيلِ
المعاني الأصليةِ التي تفيدها أنفُسُ التراكيبِ ؛ وذلكَ بمعرفةِ ما قبلَ علومِ
البلاغةِ ومقاصدها مِنْ علومِ العربيةِ ، وهو ما سبقَ تلخيصُهُ .



وكانَ العملُ في تعليمِ تلكِ الفنونِ وتعلُّمِها في صدرِ الإسلامِ : أن يَنْتخبَ
الشيخُ بعضَ الأشعارِ والحُطَبِ والمحاوِراتِ ، ويلقيها لتلامذتهِ يَتَحَقَّقُ طَوْنَهَا
ويَتَصَوَّرُونَ هيئاتِها الإفراديةَ والتركيبيةَ عملاً مُستمرّاً ، حتى يَحْضُلَ للتلميذِ
صورةٌ خياليةٌ تكونُ له معياراً وقانوناً بما تقتضيه ، يتكلَّمُ حكايةً وإنشاءً
وإنشاداً .

ولم يكنْ ذلكَ كافياً للضَّبْطِ المطلوبِ ؛ لِما فيه مِنَ الاعتمادِ على
الحافظةِ التي هي عُرضَةٌ لتغييراتِ حوادثِ الأيامِ ، فَجَهَدُوا في وضعِ
القواعدِ .

وابتداء ذلك - كما سلف - لأمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه ، واستعمل
أبا الأسود الدؤليّ في البناء على ما أسس له ، فعمل ما يَسَّرَ اللهُ له .

ثم أخذ الناس في تميم ذلك ؛ مثل أبي عمرو ، وعبد الملك الأصمعيّ ،
حتّى وضع عمرو بن بشر المشهورُ بسبويه^(١) كتابه الذي صار الإمام في
ذلك الفنّ ، وصار « الكتاب » له علماً بالعلبة ، فأقبل الناس على قراءته
وشرحه وبيان معانيه .

ومع ذلك لم يتركوا الحال الأولى ، بل جمعوا بين معرفة القواعد وحفظها
واستعمالها ، وقراءة دواوين العرب ومحاوراتهم ، متفاوتين في ذلك حسب
الاقتضاء ؛ فمن يسعى ليكون مُعلِّماً . . لا يكون كأولاد الملوك ، ومن يسعى
ليكون في إحدى الخدم السلطانيّة . . لا يكون كمن يريد التفقه في الدين
ليجتهد في تحصيل مذهب يستخرجه من أصول الدين المجملّة ، التي
يحتاج من يريد استخراج أحكام الحوادث منها إلى إعمال فكر ، ودقّة نظر ،
وتحصيل علوم شتى ، أو ليتولّى إفتاء أو قضاء . . . وهلمّ .

ونعم ما كانوا يصنعون ، وعلى ذلك جرى عمل الناس ، حتى بلغ العلم
غاية قوّته ، ثم أخذ الناس في الاقتصار على معرفة بعض القواعد دون
استعمال ، ونظروا إلى الآلات نظر المقاصد ، واقفين عند ذلك الحدّ ،
فصارت علومهم بمنزلة حبوب تُخزّن في أماكن صالحة لذلك أو غير
صالحة ؛ حتى تصير تراباً ، وينقلب بعضها حشرات وهواماً بشعة المناظر ،
رديئة الأعمال ، مؤذية بلدغها وتثّن روائحها ، فما يستحقّه ذلك من اللوم
والتعنيف والمقت من الله والناس . . يستحقّه أولئك الناس الذين يتظاهرون
بدعاوى غير مدلّلة .

(١) في « سير أعلام النبلاء » (٣٥١/٨) : (عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر) .

وَالدَّعَاوَى مَا لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءُ^(١)



فَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى - كما سبق تنبيهك عليه وإرشادك له^(٢) - : أن يتدعَّى الطالبُ بتحصيلِ الفنونِ الأصليَّةِ صافيةً نقيَّةً مِنَ الشُّبُهَاتِ والاعتراضاتِ ، وإيرادِ العباراتِ المنقوِضةِ ؛ تحفُّظاً لها ، وعملاً بها فيما يردُّ عليه أثناء ذلكَ مِنَ الكُتُبِ التي يتعلَّمُ بها ، والأشعارِ المُضمَّنةِ فيها .

فإذا أتقنَ ذلكَ واعتادَ لسانُهُ أن يَنطِقَ بالكَلِمِ العربيَّةِ كما كانتِ العربُ تَنطِقُ بها . . انتقلَ إلى معرفةِ الفنونِ البلاغيَّةِ التي يستفيدُ بها دقائقِ المعانيِ الإشاريَّةِ الملحوظةِ وراءَ المعانيِ الأصليَّةِ ؛ ليلبِّغَ بذلكَ درجةَ إتقانِ الإنشاءِ حَسَبَ اقتضاءِ الأحوالِ ، فارقاً بينَ كلِّ مقامٍ وغيرِهِ ؛ فخطبةُ المنبرِ غيرُ خطبةِ عقْدِ الصُّلحِ ، وهما غيرُ خطبةِ رفعِ المُهادنةِ ونبذِ العهدِ ، وهي غيرُ خطبةِ الإملاكِ ، والعباراتُ عن صيغِ العقودِ والشهاداتِ والمشاركاتِ . . غيرُ عباراتِ التعزياتِ والتهنئاتِ والبشاراتِ . . . وهكذا .

وطريقُ الوصولِ إلى ذلكَ : معرفةُ الفنونِ البلاغيَّةِ ، وكثرةُ القراءةِ في منشآتِ المُتقدِّمينَ على اختلافِ أنواعِها ؛ بتعمُّلٍ لسياقاتِها ومساكنِها ، ومبدايها وأوساطِها وغاياتِها ، معَ الصبرِ على ذلكَ والتأنيِّ في تعمُّلِهِ ، كما قيلَ^(٣) :

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا

(١) من الخفيف ، وانظر « ديوان البوصيري » (ص ٦٣) .

(٢) تقدم (٥٣٩/١) .

(٣) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٤٠/٤) .

وقيل^(١) :

[من الطويل]

وَمَنْ يَضْطَبِرُ لِلْعِلْمِ يَظْفَرُ بِنَيْلِهِ وَمَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ يَصْبِرُ عَلَى الْبَذْلِ
وَمَنْ لَمْ يُدِلَّ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَا يَسِيرًا يَعِشُ دَهْرًا طَوِيلًا أَخَا ذُلِّ

وكما قيل^(٢) :

[من السريع]

أُطْلِبَ وَلَا تَضْجَرَ مِنْ مَطْلَبٍ فَآفَةُ الطَّالِبِ أَنْ يَضْجَرَ
أَمَا تَسْرَى الْحَبْلَ بِتَكَرَّارِهِ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ قَدْ أَثْرَا

وقيل^(٣) :

[من المنسرح]

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِي هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هُمَا حَيَاةُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَفَقْدُهُ لِحَيَاةِ الْيَقُ بِهِ

وزمنُ التحصيلِ هو زمنُ أنفَسِ العَمْرِ ؛ حيثُ تكونُ الشَّيْبَةُ مشبوبةً ،
والقُوَى مُستَكَمَلَةً ، والرُّوحُ فَرِحاً بامْتِثَالِ أمرِهِ ونهْيِهِ ؛ وذلك يُوجِبُ الإِعْرَاضَ
عَنِ الشَّهَوَاتِ ، والإِعْمَاضَ عَنِ كَثِيرِ مِنَ اللَّذَاتِ ، كما كَانَ يَقُولُ أَحَدُ شَيْخِي
الحَدِيثِ مُسَلِّمُ بْنُ الْحَجَّاجِ النِّيْسَابُورِيِّ بَعْدَ كَتْبِهِ مَا يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْ نَتَائِجِ
أَعْمَالِهِ وَفَرَائِدِ مَكَابِدَاتِهِ : (لَا يُنَالُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسْمِ)^(٤) .

فِيَحْصُلُ الطَّالِبُ الْمُجْتَهِدُ عَلَى ذَلِكَ الْحَدِّ عَلَى أَمْرٍ قَلَّمَا يَكُونُ فِي
حِسَابِهِ وَتَحْتَ نَظَرِهِ ؛ وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا مَسَّهُ بَعْضُ الضَّعْفِ اللَّازِمِ لِخَلْقَةِ الْحَيَوَانِ ،
وَاحْتِيَاجِ إِلَى سَكُونِ رَاحَةٍ ، وَتَحْفَظَ مِنْ آلامِ أُمُورٍ لَمْ تَكُنْ تُؤَثِّرُ فِيهِ أَيَّامَ التَّهَابِ

(١) البيتان لابن هشام الأنصاري ، كما في « بغية الوعاة » (٦٩/٢) .

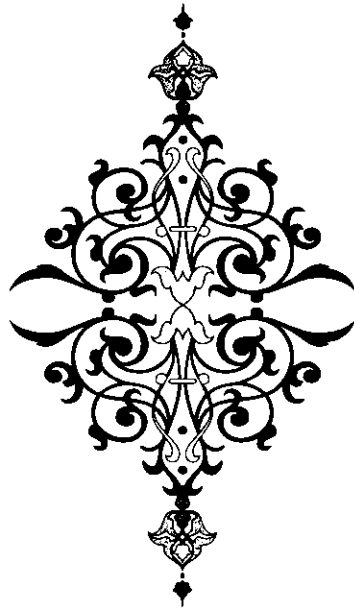
(٢) انظر « المزهرة » (٣٠٣/٢) .

(٣) انظر « معجم الأدباء » (٧٠/١) .

(٤) صحيح مسلم (١٧٥/٦١٢) عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى من قوله بلفظ : (لا يستطاع العلم ...) .

شيبته تأثيرها فيه أيام تخامدها واستيلاء ضدها عليه ؛ من يابس البرد ، وبلة الرطوبة . . وجد مأوى كافياً ، وملبساً واقياً ، وخدمة مريحة ، وما يعينه على عبادة ربه وسداد رأيه الذي يكون إذ ذاك وظيفته المرادة منه ، بها ينتفع وينفع أُمَّته ، ويكون في تلك الحالة مُستقراً في الرتبة النبوية التي ليس وراءها رتبة شرف .

وبالله التوفيق لأقوم طريق



خاتمة الطبع

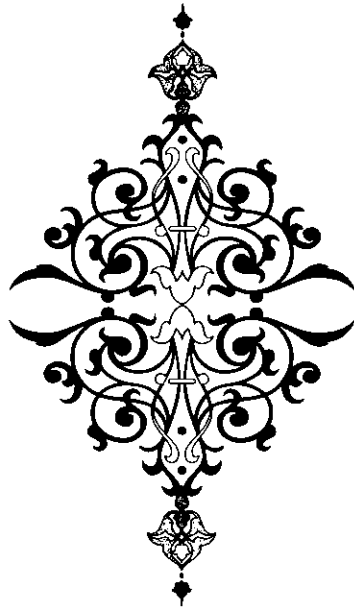
يقول المفتقرُ إلى أطفافِ ربِّه المَنَّانِ ، عبده أحمدُ مروانَ :

قد تمَّ بحمدِ اللهِ الجزءُ الأوَّلُ مِنْ « الوسيلةِ الأدبيةِ للعلومِ العربيةِ » (١) ،
ويليه الجزءُ الثاني ؛ أولُهُ : المقصدُ الثالثُ في فنونِ البلاغةِ ، تأليفُ الفاضلِ
الأمجدِ ، والأستاذِ الأوحِدِ ؛ حضرةِ العَلَّامةِ الشيخِ حسينِ المَرَضَفِيِّ ؛ وذلك
في عهدِ نظارةِ صاحبِ المعارفِ السنيةِ ؛ دولتو محمد طوسون باشا ، ناظرِ
عمومِ المدارسِ والأوقافِ المصريةِ ، ومستشاريةِ الإمامِ الجليلِ سعادةِ حسن
باشا راسم .

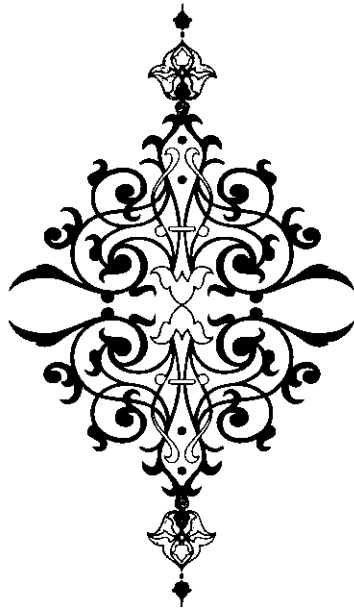
وصارَ لهذا الطبعِ بملاحظةِ حائزِ قصبِ السبقِ في ميادينِ البراعةِ ، ناظرِ
قلمِ الروضةِ ومطبوعاتِ المعارفِ علي فهمي رفاعه ، بمطبعةِ المعارفِ
الملكيةِ ، سنةَ ألفٍ ومئتينِ واثنَينِ وتسعينَ هجريةَ .
وأزكى الصلاةِ وأنتمُ السلامِ ، على النبيِّ وآلهِ وأصحابِهِ الأئمَّةِ الأعلامِ ،
أمين .



(١) كذا في نسخة الأصل ، وقد أثبت فيها عنوان الجزء الأول : « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية »
بإثبات (إلى) بدل اللام ، فليتنبه .



تمّ المجلد الأول
ويليه المجلد الثاني
وأوله : (المقصد الثالث في فنون البلاغة)



محتوى المجلد الأول

١٣	طليعة الكتاب
١٩	بين يدي الكتاب
٢٢	ترجمة المؤلف
٣٦	لمحات مضيئة عن الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية
٤١	وصف النسخة المعتمدة
٤٣	منهج العمل في الكتاب
٤٥	صور من النسخة المعتمدة
٥١	« الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية »
٥٣	خطبة المؤلف
٥٩	تمهيد : في تعريف الأدب
٦٢	- أمثلة معرفة لمحاسن الأشياء ومواقعها
٦٢	- المثال الأول : في التخلق ببعض الأخلاق
٦٣	- المثال الثاني : التكلم بصحيح اللغة أمر حسن ، واللحن غير حسن
٦٤	- المثال الثالث : الشعر كان زائد الحسن
٧٣	- خلاصة القول في ذلك
٧٥	المقصد الأول : في العقل وبيان أصناف المعقول

- ٧٧ بيان معنى كلمة العقل
- ٧٨ مراتب العقل
- ٧٩ أحد عشر صنفاً يتعلق بها العقل فتكون معقولة
- ٧٩ الصنف الأول : ذات ثابت ثبوتاً أزلياً
- ٧٩ الصنف الثاني : أعيان الكائنات
- ٨٢ الصنف الثالث : أحوال تُسمَّى كَمَا
- ٨٢ الصنف الرابع : أحوال تُسمَّى كيفاً
- ٨٣ الصنف الخامس : حال يُسمَّى أيناً
- ٨٣ الصنف السادس : حال يُسمَّى متى
- ٨٣ الصنف السابع : حال يُسمَّى إضافة
- ٨٣ الصنف الثامن : حال يُسمَّى وضعاً
- ٨٤ الصنف التاسع : حال يُسمَّى ملكاً وجدة ووجداً
- ٨٤ الصنف العاشر : حال يُسمَّى فعلاً
- ٨٤ الصنف الحادي عشر : حال يُسمَّى انفعالاً
- ٨٥ • التكلم عن أنواع المعقول ضمن مسائل
- ٨٥ - المسألة الأولى : في صور المعقول وأوجه تعقل النسب التصديقية
- - المسألة الثانية : في انقسام التعقل إلى نظري وبديهي ، وأنواع
- ٨٦ البديهيّات
- ٨٧ - المسألة الثالثة : في انقسام المعقول إلى كلي وجزئي

٨٧ - المسألة الرابعة : في انقسام المعقول إلى كلٍّ وجزءٍ

٨٨ - المسألة الخامسة : في الكلّيات الخمسة

٨٨ - المسألة السادسة : في النسبة بين مفهومين

..... - المسألة السابعة : في بيان القياس الحملّي ، والشرطي المتصل
والمنفصل ٨٩

٩١ - المسألة الثامنة : في أنواع الحدود

٩١ - المسألة التاسعة : في أنواع النسب ، والخبر والإنشاء

٩٢ - المسألة العاشرة : في أنواع القضايا

٩٣ - المسألة الحادية عشرة : في انقسام القضايا إلى ضرورية وممكنة

٩٣ - المسألة الثانية عشرة : في أدلة صدق القضايا

٩٤ * الاستقراء

٩٤ * التمثيل

٩٤ * القياس

*

٩٧ المقصد الثاني : في حدّ اللغة ودواعي وضعها

٩٩ تعريف اللغة وأقسام علومها

١٠١ • لمحة عن أمة العرب

١٠١ - مساكنهم

١٠١ - عوائلهم

١٠٦ لسانهم -

١٠٨ فشو اللحن سبب لوضع علم النحو -

القسم الأول في فن اللّغة

١١٣

• تقاسيم الكلمة

١١٥

التقسيم الأول : اللفظ

١١٥

١١٧

• قسم العلم

١٢٠

• قسم المعارف بالواسطة ستة

١٢٠ - الصنف الأول : الضمائر

١٢٠

- الصنف الثاني : أسماء الإشارة

١٢١

- الصنف الثالث : الأسماء الموصولة

١٢٢

- الصنف الرابع : المحلّى بـ (أل)

١٢٣

- الصنف الخامس : المضاف لشيء من المعارف

١٢٣

- الصنف السادس : الاسم المقرون بـ (يا)

١٢٤

• قسم اسم الجنس الجوهري الجامد

١٢٥

• قسم المصدر

١٢٦

• قسم الحروف

١٢٦

* أحرف الإضافة

- ١٢٦ - الكلام في (مِنْ)
- ١٢٧ - الكلام في (إِلَى)
- ١٢٨ - الكلام في (عَنْ)
- ١٢٨ - الكلام في (عَلَى)
- ١٢٨ - الكلام في (عدا وحاشا وخلا)
- ١٢٨ - الكلام على (فِي)
- ١٢٩ - الكلام في الكاف
- ١٢٩ - الكلام في اللام
- ١٢٩ - الكلام في الباء
- ١٣٠ - الكلام في (مِذ وَمِنْذ)
- ١٣٠ - الكلام في (حَتَّى)
- ١٣٠ - الكلام في (كِي)
- ١٣٠ * أحرف المعاني
- ١٣٠ - الكلام في حرفي التشبيه
- ١٣٠ - الكلام في أحرف التوكيد
- ١٣١ - الكلام في أحرف النفي
- ١٣١ - الكلام في أحرف الجواب
- ١٣١ - الكلام في أحرف النداء
- ١٣٢ - الكلام في حرف العرض

١٣٢ - الكلام في أحرف التخصيص

١٣٢ - الكلام في حرفي الاستفهام

١٣٢ - الكلام في همزة التسوية

١٣٢ * أحرف الشرط

١٣٢ - (إن)

١٣٣ - (لو)

١٣٥ - (أما)

١٣٥ - (لولا)

١٣٥ - (لمّا)

١٣٥ * أحرف التنبيه

١٣٦ * أحرف التشريك بين شيئين في حكم أو حصول

١٣٦ * حرف الترديد (أو)

١٣٧ * حرف الإضراب والإعراض (بل)

١٣٧ * حرف التفصيل (إما)

١٣٧ * حرف النهي (لا)

١٣٨ * حرف الأمر اللام

١٣٨ * حرف الاستثناء (إلا)

١٣٨ * أحرف التعليل

١٣٨ * أحرف الاستقبال

* الأحرف المصدرية ، أو الموصولات الحرفية ، أو الأحرف السوابك ١٣٨

* حرف الردع والزجر (كلا) ١٣٩

* حرفا التفسير (أي وأن) ١٣٩

* حرفا التوكيد الفعلي وأحوالهما ١٤٠

تكملة : للكلام على قسم الحروف ١٤٢

التقسيم الثاني من تقاسيم فقه اللغة : في الخاص والمشارك ١٤٦

- المشارك ولطائفه ١٤٨

- من أغراض اشتراك المعاني في اللفظ الواحد ١٤٨

- ألفاظ وأضدادها من المشارك ١٤٩

- الجناس التام من لطائف المشارك ١٥١

- ألباز فقهية من لطائف المشارك ١٥٥

التقسيم الثالث : في الأسماء المتباينة والمترادفة والمتكافئة ١٦١

- فائدة المترادف ١٦١

التميم : في ذكر أربعة أنواع من الأسماء العامة ١٦٣

- أسماء الشرط ١٦٣

- أسماء الاستفهام ١٦٣

- ١٦٤ - أسماء الزمان
- ١٧٠ - الضمائر
- ١٧٣ • الكلام العام على الأفعال
- ١٧٣ - تقسيم الفعل إلى لازم ومتعدٍ
- ١٧٣ - أقسام الفعل المتعدي
- ١٧٨ تقسيم آخر للفعل : إلى تام وناقص

القسم الثاني قسم الصرف

- ١٨١
- ١٨٣ تعريف الصرف ومحاور البحث
- ١٨٤ المقدمة : في التمهيد لعلم الصرف
- ١٨٤ - الاشتقاق ، والميزان الصرفي
- ١٨٥ - أنواع الزيادة في الكلمات
- ١٨٧ المقالة الأولى : في الكلام على الفعل
- ١٨٧ تقاسيم الفعل
- ١٨٧ • التقسيم الأول : من حيث الزمن
- ١٨٨ • التقسيم الثاني : من حيث الصحة والاعتلال
- ١٩٠ • التقسيم الثالث : باعتبار مادته وعدد حروفه

• الكلام على أبواب الثلاثي ١٩١

- الباب الأول : باب (نصر) ١٩١

- الباب الثاني : باب (ضرب) ١٩٣

- الباب الثالث : باب (فتح) ١٩٤

- الباب الرابع : باب (فرح) ١٩٤

- الباب الخامس : باب (كُرم) ١٩٥

- الباب السادس : باب (حَسِب) ١٩٥

• الكلام على أبواب الرباعي ١٩٧

صيغة المهموز يكثر استعمالها في ستة معانٍ ١٩٧

أحدها : تصيير شيء فاعلاً فاعلاً ١٩٧

ثانيها : سلب شيء وإزالته عن شيء ١٩٨

ثالثها : مصادفة الشيء على صفة ١٩٨

رابعها : صيرورة شيء ذا شيء بكونه مالكا له ١٩٨

خامسها : حينونة الشيء للشيء ١٩٩

سادسها : تعريض الشيء لشيء ١٩٩

- صيغة المضعف تشارك المهموز في معنيين ١٩٩

أحدهما : تصيير الشيء فاعلاً ١٩٩

ثانيهما : السلب والإزالة ٢٠٠

- صيغة المضعف تنفرد بستة معانٍ ٢٠٠

- أحدها : صيرورة الشيء شبه شيء ٢٠٠
- ثانيها : نسبة شيء لشيء باعتقاد أو دونه ٢٠٠
- ثالثها : الحضور إلى شيء ٢٠٠
- رابعها : النطق بألفاظ تأخذ منها الصيغة ٢٠٠
- خامسها : قبول شيء وتحصل الغرض منه ٢٠٠
- سادسها : التكثير ٢٠٠
- صيغة (فاعل) تأتي لمعنيين ٢٠١
- أحدهما : أن شيئاً فعل فعلاً مع شيء آخر ، فقابله ذلك الشيء الآخر
بمثله ٢٠١
- ثانيهما : تصيير الشيء ذا صفة ٢٠٢
- الكلام على أبواب الخماسي ٢٠٣
- بيان المعاني التي تأتي لها تلك الصيغ ٢٠٣
- صيغة (انفعال) تأتي لمعنى واحد وهو المطاوعة ٢٠٣
- صيغة (افعال) تأتي لمعنى واحد هو قوة اللون أو العيب ٢٠٣
- صيغة (تفاعل) تأتي لأربعة معانٍ ٢٠٣
- أحدها : تشارك شيئين فأكثر ٢٠٣
- ثانيها : التظاهر بالفعل دون حقيقة ٢٠٤
- الثالث : حصول الشيء تدريجاً ٢٠٤
- الرابع : مطاوعة (فاعل) ٢٠٤

- ٢٠٤ - صيغة (تَفَعَّل) تأتي لخمسة معانٍ
- ٢٠٤ أحدها : تكلف الشيء ومحاولة أن يحصل
- ٢٠٤ ثانيها : تجنب الشيء
- ٢٠٥ ثالثها : اتخاذ الشيء شيئاً
- ٢٠٥ رابعها : تحصيل الشيء تدريجاً
- ٢٠٥ خامسها : مطاوعة (فَعَّلَ) مضعف العين
- ٢٠٥ - صيغة (افْتَعَلَ) تأتي لسته معانٍ
- ٢٠٥ أحدها : الاتخاذ
- ٢٠٥ ثانيها : الاجتهاد
- ٢٠٥ ثالثها : التشارك في الفعل
- ٢٠٥ رابعها : إظهار الشيء
- ٢٠٦ خامسها : القوة
- ٢٠٦ سادسها : مطاوعة ثلاثي كثيراً ، ومطاوعة غيره قليلاً
- ٢٠٧ - صيغة (تَفَعَّل)
- ٢٠٨ • الكلام على أبواب السداسي
- ٢٠٨ - صيغة (اسْتَفَعَلَ) تأتي لسته معانٍ
- ٢٠٨ أحدها : طلب الشيء حقيقة أو مجازاً
- ٢٠٨ ثانيها : اعتقاد الشيء
- ٢٠٨ ثالثها : صيرورة الشيء

٢٠٨

رابعها : المصادفة والوجدان

٢٠٩

..... خامسها : النطق بكلام أخذ منه الفعل

٢٠٩

..... سادسها : القوة

٢٠٩

تكملة فيها مسائل

٢٠٩

- المسألة الأولى : في همزتي الوصل والقطع في الأفعال

٢١٠

..... - المسألة الثانية : في أحرف المضارعة

- المسألة الثالثة : في حركة الحرف الواقع قبل آخر المضارع من غير

٢١١

..... الثلاثي

- المسألة الرابعة : في اشتمال المضارع على أحرف الماضي وما يستثنى

٢١١

..... من ذلك

٢١١

- المسألة الخامسة : في أحوال النطق بالفعل الماضي

٢١٣

..... - المسألة السادسة : في أحوال النطق بالفعل المضارع

٢١٤

..... • التقسيم الرابع : في بنائه للفاعل والمفعول

٢١٥

..... • التقسيم الخامس : في انقسامه إلى متصرف وجامد

٢١٦

..... المقالة الثانية : في الكلام على الاسم

٢١٦

• تقاسيم الاسم

٢١٦

..... - التقسيم الأول : في الجامد والمشتق

٢١٧

• بيان المصدر

٢١٧ - النوع الأول : مصادر الثلاثي

٢١٧ * القياسي

٢١٧ * السماعي

٢٢١ * المصدر الميمي

٢٢٢ - النوع الثاني : مصادر الأفعال الرباعية

٢٢٢ * لمهموز الثلاثي

٢٢٣ * لمضعف العين

٢٢٣ * ل (فاعَل)

٢٢٣ - النوع الثالث : مصادر الخماسي

٢٢٣ * ل (تفعلل)

٢٢٣ * ل (تفَعَّل)

٢٢٤ * ل (تفاعَل)

٢٢٤ * ل (انفعل)

٢٢٤ * ل (افتعل)

٢٢٤ * ل (افعلَّ)

٢٢٤ - النوع الرابع : مصادر السداسي

٢٢٤ * ل (استفعل)

٢٢٥ * لنحو (اخشوشن)

٢٢٥ * ضابط لمصادر الأفعال المبدوءة بهمزة الوصل

- ٢٢٥ تكملة : في صيغتي المرة والهيئة
- ٢٢٧ • بيان اسم الفاعل
- ٢٢٧ - الغرض من اسم الفاعل
- ٢٢٨ - اسم الفاعل من غير الثلاثي
- ٢٢٩ • بيان اسم المفعول
- ٢٣٠ - ألفاظ على وزن (فعيل) بمعنى أوزان أخرى
- ٢٣١ • بيان الصفة المشبهة
- ٢٣١ - الأوصاف من باب (كَرَمَ)
- ٢٣٢ - الأوصاف من باب (فَرِحَ)
- ٢٣٣ • بيان اسم الزمان والمكان
- ٢٣٥ • بيان اسم الآلة
- ٢٣٦ • بيان اسم التفضيل
- ٢٣٧ - حالات اسم التفضيل من جهة نطقه ومن جهة معناه
- ٢٣٨ - استعمال اسم التفضيل
- ٢٣٩ تكملة : في صيغ المبالغة
- ٢٤١ - التقسيم الثاني : المذكر والمؤنث
- ٢٤٢ - علامات التأنيث
- ٢٤٢ * الكلام على التاء
- ٢٤٣ * الكلام على الألفين

- ٢٤٣ * أبنية الألف المقصورة
- ٢٤٤ * أبنية الألف الممدودة
- ٢٤٥ * الأبنية المشتركة بين المقصورة والممدودة
- ٢٤٧ - التقسيم الثالث : المجرد والمزيد
- ٢٤٧ * بيان أوزان الثلاثي المجرد
- ٢٤٧ * بيان أوزان الرباعي المجرد
- ٢٤٨ * بيان أوزان الخماسي المجرد
- ٢٤٨ * أدلة الزيادة في الاسم تسعة
- ٢٥٠ * ضوابط الزيادة
- ٢٥٣ - التقسيم الرابع : المقصور والممدود والمنقوص
- ٢٥٤ - التقسيم الخامس : المفرد والمثنى والجمع
- ٢٥٤ * الكلام على المثنى
- ٢٥٥ * الكلام على جمع تصحيح الذكور
- ٢٥٥ * الكلام على جمع المؤنث السالم
- ٢٥٦ تنبيه : على أن المراد بالاسم في الجموع ما يقابل الصفة
- ٢٥٦ * الكلام على جمع التفسير
- ٢٥٧ * صيغ جمع القلة
- ٢٥٩ * صيغ جموع الكثرة
- ٢٦٦ * تفصيل أوزان منتهى الجموع

- خاتمة فيها مسائل ٢٦٩
- المسألة الأولى : في ضوابط الجمع بصيغة منتهى الجموع ٢٦٩
- المسألة الثانية : في جمع الجمع ٢٧٠
- المسألة الثالثة : في الجمع واسم الجمع واسم الجنس الجمعي ٢٧١
- المسألة الرابعة : في كيفية جمع المركبات والمثنى والجمع ٢٧٢
- المسألة الخامسة : في زيادة ياء لصيغة منتهى الجموع التي حُذفت منها ٢٧٢
- المسألة السادسة : في أنّ صيغة منتهى الجموع تلحقها تاء التانيث ٢٧٢
- المسألة السابعة : في الأفصح من صيغ الجمع عند تعددها ٢٧٣
- التقسيم السادس : في المكبّر والمصغّر ٢٧٥
- * بيان صيغه ٢٧٥
- مسائل في أحكام التصغير ٢٧٥
- * المسألة الأولى : في أحوال الحرف الثاني بعد التصغير ٢٧٥
- * المسألة الثانية : في أحوال الحرف التالي لياء التصغير ٢٧٧
- * المسألة الثالثة : في تنمة أحوال الحرف التالي لياء التصغير ٢٧٧
- * المسألة الرابعة : في تصغير الاسم الزائد على أربعة أحرف ٢٧٨
- * المسألة الخامسة : في تصغير الاسم الباقي على حرفين ٢٧٨
- * المسألة السادسة : في تصغير الأسماء المؤنثة الثلاثية ٢٧٩
- * المسألة السابعة : في تصغير الترخيم ٢٧٩

* المسألة الثامنة : في شذوذ تصغير الأفعال والحروف والأسماء المبنية ٢٨٠

٢٨١ • النسب

- مسائل في أحكام المنسوب ٢٨١

* المسألة الأولى : في النسب لما آخره ياء مشددة ٢٨١

* المسألة الثانية : في النسب للاسم المقصور والمنقوص ٢٨٢

* المسألة الثالثة : في النسب إلى الاسم المختوم بتاء التانيث ٢٨٣

* المسألة الرابعة : في النسب إلى المركبات ٢٨٣

* المسألة الخامسة : في النسب إلى فعلٍ بثلاث أوله ٢٨٤

* المسألة السادسة : في النسب إلى الممدود ٢٨٥

* المسألة السابعة : في المنسوب الثلاثي إن بقي منه حرفان ٢٨٥

* المسألة الثامنة : في النسب إلى الثنائي وضعاً ٢٨٧

* المسألة التاسعة : في النسب إلى الجمع ٢٨٧

* المسألة العاشرة : في النسب إلى الحرفِ ٢٨٧

الخاتمة : في أمور لا تخصُّ بعض أنواع الكلمة ٢٨٩

• الأمر الأول : أحكام الوقف ٢٨٩

• الأمر الثاني : الإبدال ٢٩٢

* أحرف الإبدال ٢٩٢

- حرف الهاء ٢٩٣

٢٩٣ - حرف الهمزة

٢٩٤ - تنبيه : إبدال الهمزة من الواو والياء

٢٩٥ - حرف الياء

٢٩٦ - حرف الواو

٢٩٧ - حرف الألف

٢٩٨ - حرف التاء

٢٩٨ - حرف الطاء وحرف الدال

٢٩٨ - حرف الميم

٢٩٨ - الهمزة

٣٠٠ • الأمر الثالث : نقل الحركات من مواضعها وحذف بعض حروف الكلمة

٣٠١ • الأمر الرابع : في الإدغام والفتك

٣٠٢ - مسألة : التاءان في أول المضارع

٣٠٢ - مسألة : أحوال النون الساكنة والتنوين

٣٠٤ - مخارج الحروف

٣٠٦ - صفات الحروف

القسم الثالث

قسم النحو

٣٠٩

٣١١ وصية قبل البدء بمطالعة هذا العلم

المقدمة : في بيان الإفراد والتركيب ومعنى الكلام ٣١٨

- علامات أنواع الكلمة ٣٢٠

- أسماء الأفعال ٣٢١

- أسماء الأصوات ٣٢٤

القسمُ الأوَّلُ : في الإعرابِ والبناءِ والمعربِ والمبنيِّ ٣٢٥

- أصناف المبني ٣٢٧

- أصناف المعرب ٣٣٠



القسمُ الثاني : في الجملةِ الاسميةِ ٣٣٣

• بيان المبتدأ ذي الخبر ٣٣٤

- بيان المبتدأ ذي المرفوع المغني عن الخبر ٣٣٥

• بيان الخبر ٣٣٨

• مواضع وجوب تقديم المبتدأ ٣٤٥

- مواضع تقديم الخبر ٣٤٩

- مواضع وجوب حذف المبتدأ ٣٥١

- مواضع وجوب حذف الخبر ٣٥٢

- تعدد الخبر ٣٥٤

- أحوال المبتدأ والخبر ٣٥٧

٣٥٩ • بيان باب (كان)

٣٦٣ - المقامة (النحوية) للحريري

٣٦٨ - تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية ...

٣٧٣ - خبر ندماني جذيمة الأبرش

٣٧٩ - خبر جذيمة الزبائ

٣٨٤ - عود للحديث عن (كان) وأخواتها

٣٨٦ - الحروف التي تعمل عمل (ليس)

٣٨٩ - كاد وأخواتها

٣٩٢ • بيان باب (إنَّ) وأخواتها

٣٩٢ - الكلام على (إنَّ)

٣٩٤ - الكلام على (أنَّ)

٣٩٧ - الكلام على (كأنَّ)

٣٩٨ - الكلام على (لكنَّ)

٣٩٨ - الكلام على (ليت) و(لعلَّ)

٣٩٩ - الكلام على (لا)

٤٠١ - الكلام على (إلاَّ)

٤٠٢ القسم الثالث : في الجملة الفعلية

٤٠٢ • الكلام على الفاعل ونائبه

- ٤٠٨ • الكلام على المفعول به
- ٤٠٩ - مفعولا باب (أعطى)
- ٤١٢ - مفعولا باب (ظنَّ)
- ٤١٥ تكملةً : في أن القول قد يتعلق باللفظ
- ٤١٧ - مواضع وجوب حذف ناصب المفعول به بإنابة شيء وبدونها
- ٤١٧ * الموضوع الأول : تراكيب معدودة مسموعة
- ٤١٩ * الموضوع الثاني : تراكيب النداء
- ٤٢٨ * الموضوع الثالث : تراكيب الاختصاص
- ٤٢٨ * الموضوع الرابع : تراكيب الإغراء والتحذير
- ٤٢٩ * الموضوع الخامس : تراكيب الاشتغال
- ٤٣٢ • المفعول المطلق
- ٤٣٢ - ما ينوب عن المصدر
- ٤٣٧ • المفعول لأجله
- ٤٣٨ • المفعول فيه
- ٤٣٩ - ضابط لحذف الخافض وانتصاب المخفوض على الظرفية
- ٤٤٠ - الظروف المتصرفه وغير المتصرفه
- ٤٤٢ • المفعول معه
- ٤٤٢ - أحوال المفعول معه مشاركاً في الفعل أو لا
- ٤٤٣ - وجوب نصب المفعول معه بفعل محذوف

- ٤٤٥ • المستثنى
- ٤٤٥ - أحوال المستثنى
- ٤٤٦ - الاستثناء بغير (إلا)
- ٤٤٧ - أحوال المستثنى مع تكرار (إلا)
- ٤٤٩ • الحال
- ٤٤٩ - أحوال صاحب الحال وعاملها
- ٤٥٠ - مواضع وجوب حذف عامل الحال
- ٤٥٢ - أقسام الحال
- ٤٥٥ - جملة الحال وروابطها
- ٤٥٥ - مواضع اقتصار الربط على الضمير
- ٤٥٧ • التمييز
- ٤٥٧ - تمييز الكيل والوزن والعدد والمساحة
- ٤٥٩ - تمييز النسبة
- ٤٦٠ - أحكام تمييز العدد
- الكلام على المضاف إليه وعلى عوامل معرب الأفعال وعلى
- ٤٦٣ التوابع
- ٤٦٣ • المضاف إليه
- ٤٦٣ - المخفوض بحرف ملفوظ
- ٤٦٤ - المخفوض بحرف ملحوظ

- ٤٦٥ - أنواع الإضافات
- ٤٦٧ ما يكتسبه المضاف من المضاف إليه
- ٤٦٩ أسماء ملازمة للإضافة
- ٤٧١ أحوال المضاف لياء المتكلم
- ٤٧٣ - الممنوع من الصرف
- ٤٧٤ - تنويه بما مر من الألفاظ العاملة عمل الأفعال
- ٤٧٥ - بعض أحكام الصفة المشبهة
- ٤٧٧ • بيان عوامل معرّب الأفعال
- ٤٧٧ - بيان نواصبه
- ٤٧٩ - بيان جوازمه
- ٤٨١ • بيان التوابع
- ٤٨١ • النعت وأقسامه
- ٤٨٣ - النعت الحقيقي والسببي
- ٤٨٥ - انقسام النعت إلى مفرد وجملة
- ٤٨٧ - أحكام متفرقة للنعت والمنعوت
- ٤٨٩ • التوكيد
- ٤٩٠ - التوكيد المعنوي وألفاظه
- ٤٩١ - الغرض من التوكيد
- ٤٩٢ • عطف البيان

٤٩٢ حرفان للتفسير -

٤٩٤ عطف النسق •

٤٩٤ الكلام على (الفاء) -

٤٩٥ الكلام على (ثمَّ) -

٤٩٥ الكلام على (الواو) -

٤٩٦ الكلام على (حتى) -

٤٩٧ الكلام على (أو) -

٤٩٨ الكلام على (أم) -

٥٠٠ الكلام على (لكن) -

٥٠٠ الكلام على (لا) -

٥٠١ الكلام على (بل) -

٥٠٢ المختلف في أنه حرف عطف أو لا

٥٠٥ البديل •

٥٠٥ البديل المطابق -

٥٠٨ بديل البعض من الكل -

٥٠٨ بديل الاشتمال -

٥٠٨ بديل الغلط -

٥١٠ تابع المنادى -

٥١١ تابع اسم (لا) -

٥١١ - التنازع في العمل

٥١٥ القسم الرابع : في الجملة الشرطية

٥١٥ - أدوات الشرط

٥١٦ - أحوال الشرط والجزاء

٥٢٠ - الجواب إن توالى شرطان

القسم الخامس : في بيان الجمل الإنشائية والجمل التي لها محل من

٥٢٢ الإعراب والجمل التي لا محل لها منه

٥٢٢ - الجمل الخبرية والإنشائية

٥٢٨ - الجمل التي لها محل من الإعراب

٥٢٩ - الجمل التي ليس لها محل من الإعراب

٥٣٣ • الإخبار بالذي والألف واللام

٥٣٥ مسألة : في الطلب بكلمتي (أي) و (من)

٥٣٧ الخاتمة : في خلاصة ما تقدم

٥٤٥ - خاتمة الطبع

٥٤٩ محتوى المجلد الأول



الوسيلة إلى الأديب

إلى العلوم العربية

تأليف

المؤلفه القوي الناقد الأديب

جُسيين بن أحمد بن جُسيين المرصفي

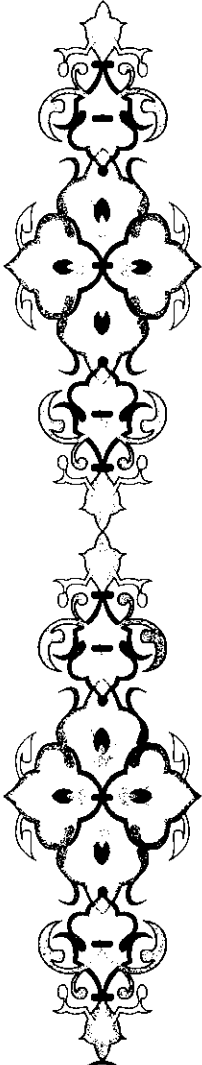
مدرّس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الحديثية المصرية

رحمه الله تعالى

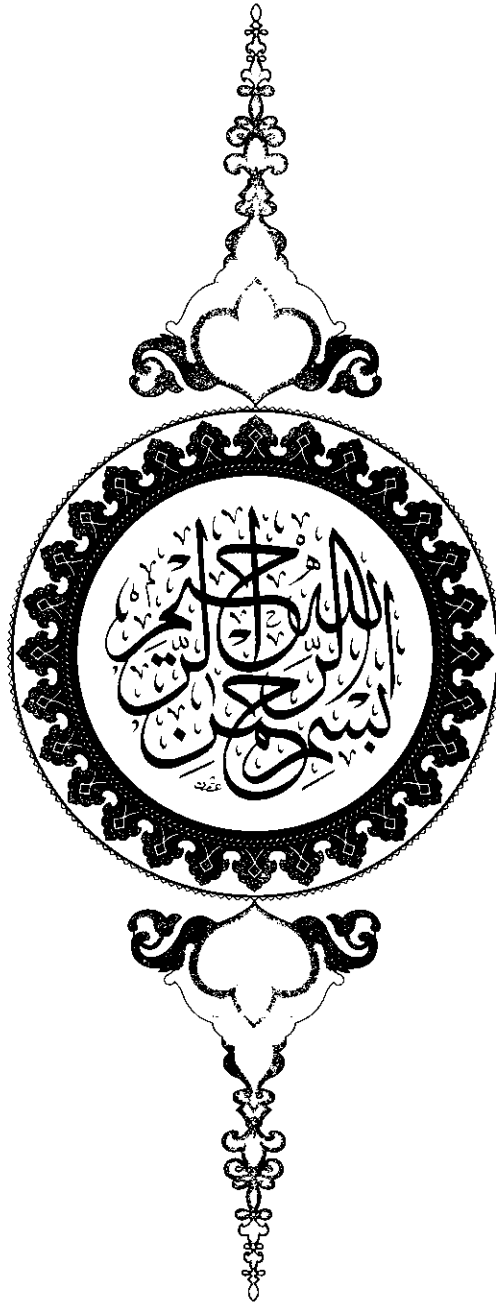
(ت ١٣٧٠ هـ / ١٨٩٠ م)

لجلاء الثاني

دار الحديثية



الوسيلة للإتقان
إلى العلوم العربية



الوسيلة إلى بيت

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حُسيَيْن بن أَحْمَد بن حُسيَيْن المرصفي

مدرّس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل



الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م
جميع الحقوق محفوظة للنَّاشِر

دار المنهاج للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - جدة
حي الكندرة - شارع الملك فهد - جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 00966 12 6326666

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص. ب 22943 - جدة 21416

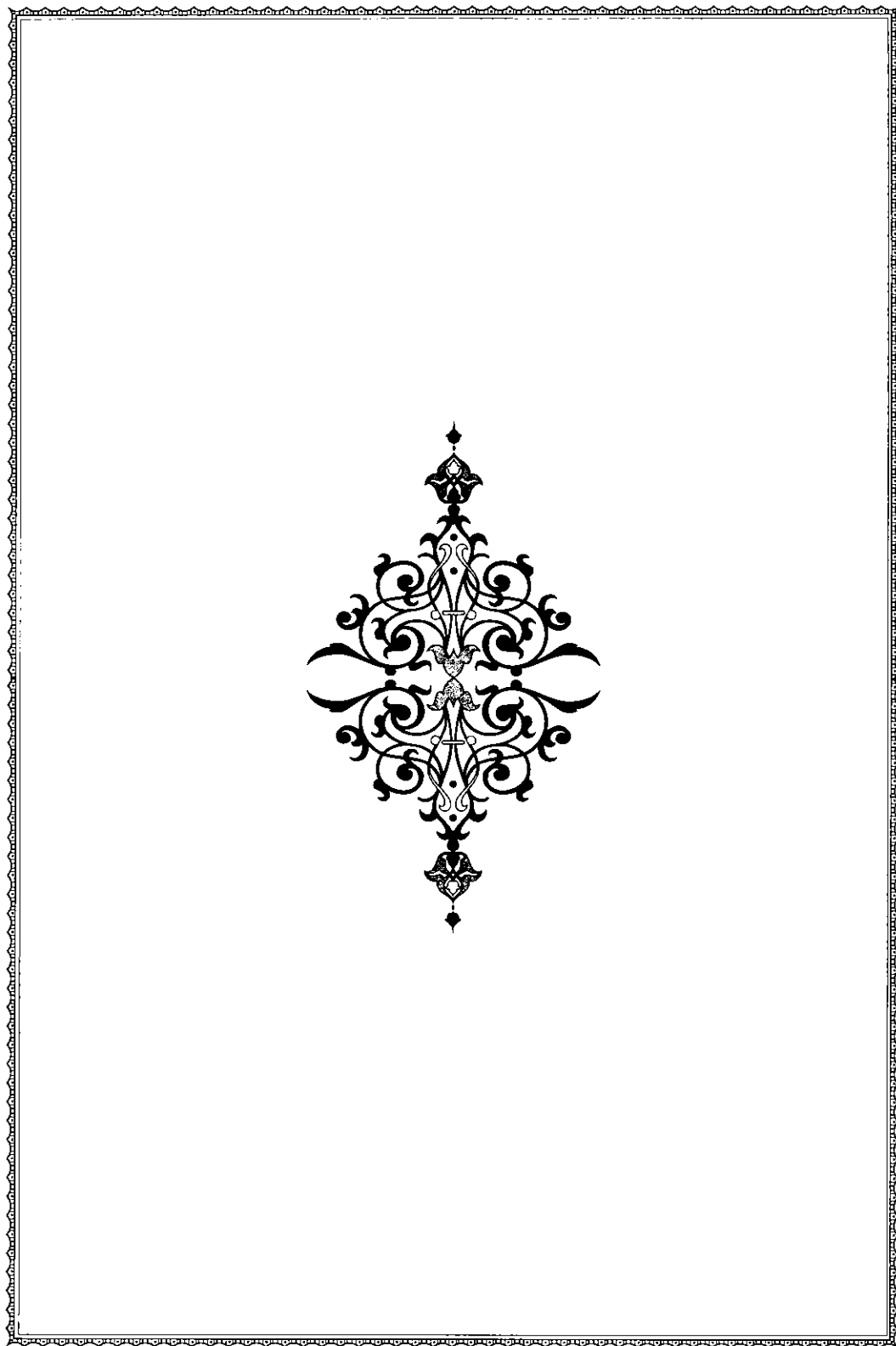
www.alminhaj.com

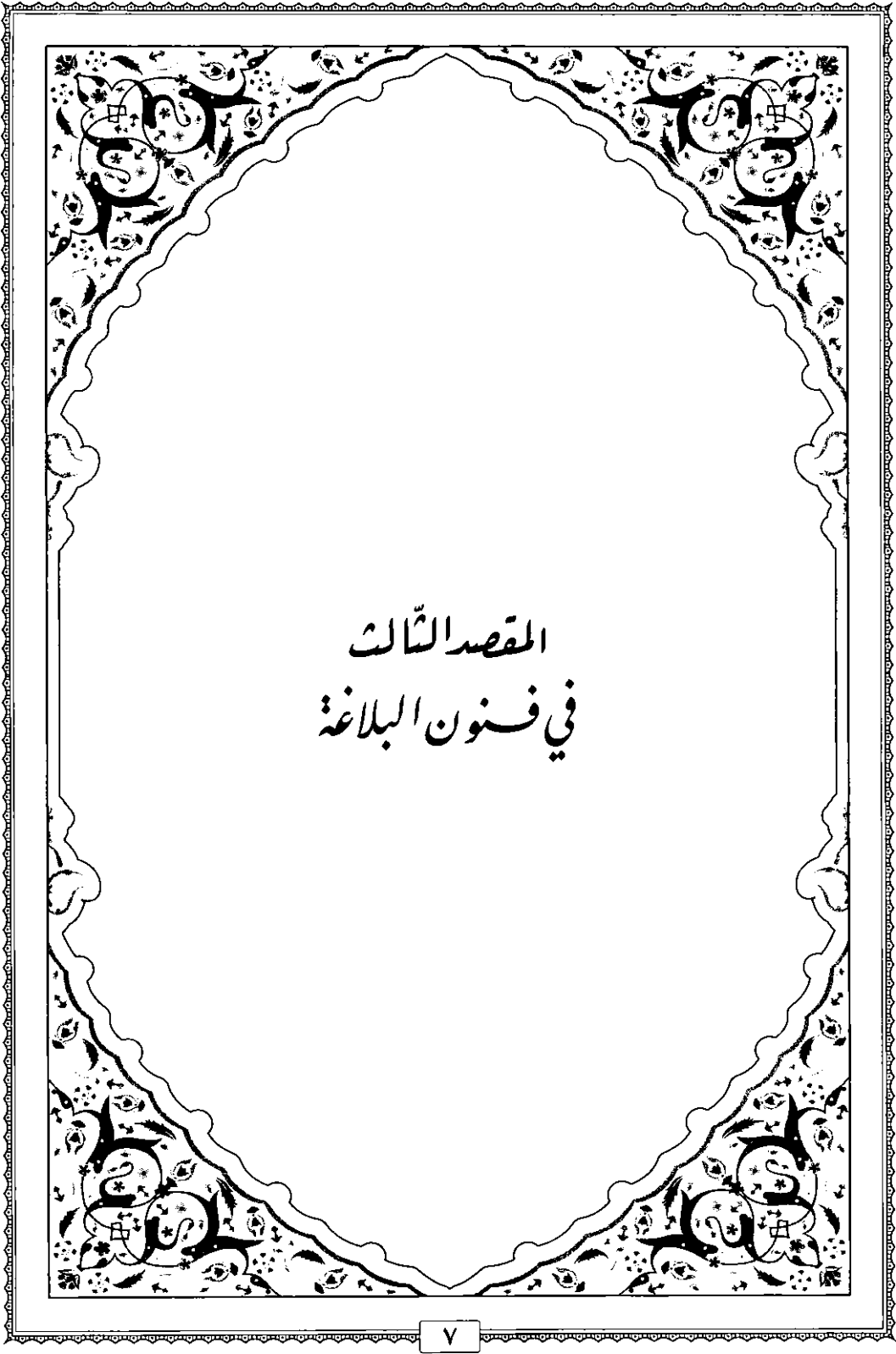
E-mail: info@alminhaj.com

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

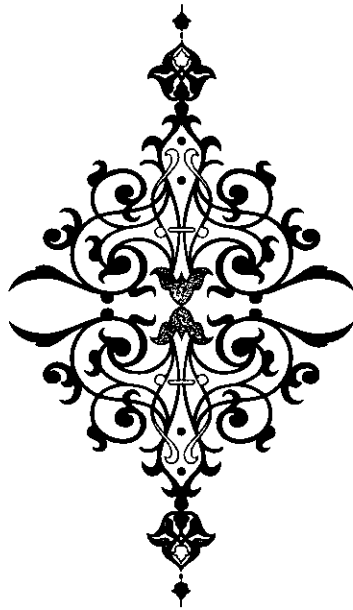
«الوسيلة الأدبية» أنشأت أكثر من شوقي وحافظ
وبعثت الشعر من مرقد
وأحييت للأدب العربي دولةً جديدة

الأمير شكيب أرسلان





المقصد الثالث
في فنون البلاغة



[توطئة]

[في تاريخ تدوين فنون البلاغة]

اعلم: أن هذه الفنون وغيرها من علوم العربية كما سبقت الإشارة إليه . .
إنما تحصلت لباذلي همهم في تحصيلها ؛ بتتبع الكلم العربي ، يسمعونه
منهم ، ويرؤونه عنهم .

وأول من تنبّه لاستخراج هذه الفنون واتخاذها معياراً لصناعة الكلام
حسب ما تقتضيه . . الشاعران الشهيران : مسلم بن الوليد ، وأبو تمام
حبيب بن أوس الطائي ، ولكن لم يدونها ، وإنما كانا يتحدثان بها ،
ويسميانها : البديع ، ولما أكثرنا من استعمال مقتضياتها ، وتبعهما بعض
شعراء ذلك العصر غالب ميلهم مع زخرفة الألفاظ كما سينكشف لك في
فن البديع إن شاء الله تعالى . . أخذ الشعر هيئة غير هيئته العربية ، حتى إن
فحول الشعراء إذ ذاك كانوا يقولون : قد أفسد هؤلاء الشعر بذلك الشيء
الذي يسمونه البديع ^(١) .



ولم يزل يتزايد الحديث في ذلك إلى أن جاء عبد الله بن المعتز وقُدّامة
الكاتب ، فوضع كل منهما موضوعاً لطيفاً ، ثم اتسع القول فيه بعد ، وأقبل
عليه كُتاب الإنشاء ، وسمّوه البيان .



(١) كذا في « الأغاني » (٧٢٦٤ / ٢١) .

وهذا أنموذج تأليف الأوائِل في هذه الفنون :

ابتدأ بعضهم كتابه بقوله : (البلاغة على عشرة أقسام : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان)^(١) ، ثم أخذ في بيان كل منها ، والاستشهاد عليه ، وذكر تفاوت البلغاء فيه .

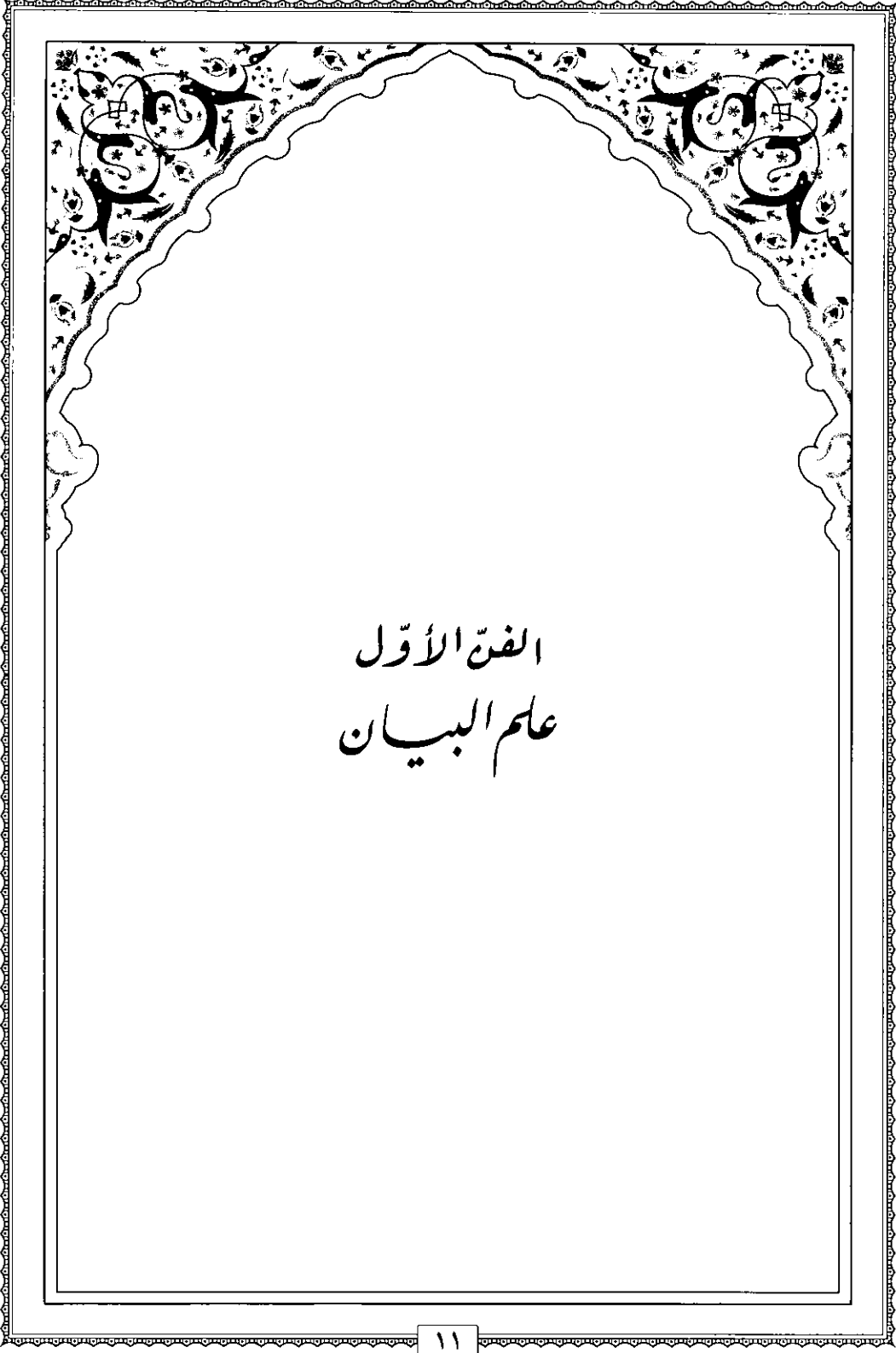
ولما اتسعت دائرة القول في العلوم الفلسفية بين المسلمين ، حتى أفضى بهم التكلم في تخليص العقائد الإسلامية وإزاحة الشبه عنها ، إلى كشف حقيقة النبوة وبيان جهة إعجاز القرآن . . رأى الناس نفع هذه الفنون في معرفة إعجاز القرآن ، الذي هو برهان الدين الحق ، فصار من العلوم الدينية ، واشتغل بها طائفة من الناس ، وأكثروا فيها من التأليف ، وأولهم الشيخ عبد القاهر .

وبحسب اختلاف جهات البحث ميّزوا الفنون وخصّوها كلاً بقلب ؛ وهي ثلاثة فنون : فنّ يبحث عن الألفاظ من حيث كونها مستعملة في معانيها التي وُضعت لها أو فيما يناسبها اعتماداً على المناسبات ، وسَمَّوه : فنّ البيان ، وفنّ يبحث عن المركّبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الأغراض منها ، وسَمَّوه : فنّ المعاني ، وفنّ يبحث عن أحوال تعرض للكلام فتكسبه حسناً ، وسَمَّوه : البديع .

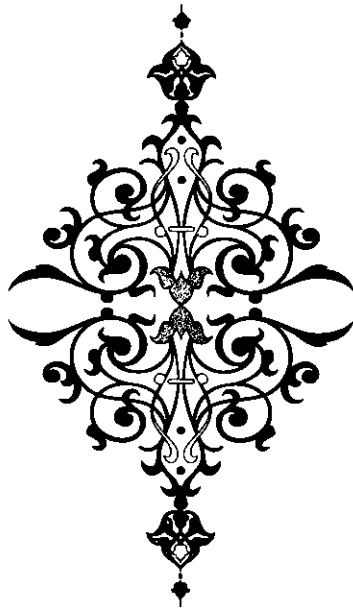


ولنبداً بفنّ البيان ؛ لأنّ في علم المعاني إحالة عليه ، والبديع تابع لهما ، فنقول :

(١) هو العلامة الرمّاني . انظر « النكت في إعجاز القرآن » ضمن « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن » (ص ٧٦) .



الفنّ الأوّل
علم البيان



[مدخلٌ إلى علم البيان]

إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيْنَا ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً . . أَنْ وَهَبَنَا هَذَا الصَّوْتَ ،
نُصُورَهُ حُرُوفًا ، نَصَوْعُ مِنْهَا كَلِمًا نُعَيِّنُهَا لِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَتَنَاوَلُهَا تَعَقُّلُنَا ،
تَنَاوَلُهَا الْحِسُّ أَمْ لَا ؛ لِنَحْضِرَهَا بِهَا عِنْدَ الْمُدْرَكَاتِ مَتَى احْتَجْنَا لِذَلِكَ ، فَتِلْكَ
الْأَشْيَاءُ حَيْثُ نُنْزِلُ تَسْمِيَّ : مَعَانِي ، وَتَعْيِينُ الْكَلِمِ لَهَا يُسَمَّى : وَضْعًا ، وَإِحْضَارُهَا
إِيَّاهَا يُسَمَّى : دَلَالَةً .

[الدلالة الوضعية اللفظية ثلاثة أقسام]

ثَمَّ إِنَّ الشَّيْءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ يَتَعَلَّقُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ أُمُورٌ : إِمَّا دَاخِلَةٌ فِيهِ ؛ وَهِيَ
أَجْزَاؤُهُ ، وَإِمَّا خَارِجَةٌ عَنْهُ ؛ كَأَسْبَابِهِ وَمُسَبِّبَاتِهِ وَمَشَابِهَاتِهِ ، وَالْكَلِمَةُ الْمُعَيَّنَةُ
لَهُ تُحْضِرُهُ بِجَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ جَلِيَّةٌ مُفْضَلَةٌ عِنْدَ الْعَالِمِ بِهَا ؛ فِإِحْضَارُ الْكَلِمَةِ
إِيَّاهُ يُسَمَّى : دَلَالَةَ الْمَطَابَقَةِ ، وَإِحْضَارُهَا أَجْزَاءَهُ يُسَمَّى : دَلَالَةَ التَّضْمَنِ ،
وَإِحْضَارُهَا مَا عَدَا الْأَجْزَاءَ مِنَ الْمُتَعَلِّقَاتِ يُسَمَّى : دَلَالَةَ الْإِلْتِزَامِ ؛ وَلِذَلِكَ
يُقَالُ : إِنَّ الْكَلِمَةَ الْمَوْضُوعَةَ لِلشَّيْءِ مَوْضُوعَةٌ لِأَجْزَائِهِ وَسَائِرِ مُتَعَلِّقَاتِهِ وَضْعًا
تَبَعِيًّا .

وَإِذَا ؛ يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ كُلَّ مَا يُحْضِرُهُ اللفظُ عِنْدَ مُدْرِكِكَ يَكُونُ لَهُ مَعْنَى وَلَكِ
أَنْ تَرِيدَهُ بِهِ ، وَتَقْصِدَ فَهَمَّ مُخَاطَبِكَ إِيَّاهُ مِنْهُ حَيْثُ تَرِيدُ الْحَدِيثَ عَنْهُ وَالْحَكْمَ
عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَهُ الرُّتْبَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَلَاخِظَةِ عِنْدَ الْوَضْعِ . . هُوَ
الَّذِي يُتَبَادَرُ إِلَى الْفَهْمِ ، وَيُوجِبُ حَكْمَ الْمُخَاطَبِ أَنَّهُ مُرَادُكَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ
عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ الْحَكْمَ ، وَغَيْرُهُ إِنَّمَا يَحْكُمُ الْمُخَاطَبُ أَنَّهُ مُرَادُكَ إِذَا أَصْحَبَتْ
اللفظَ بِأَمْرٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُرَادُكَ .



فالألفاظُ باعتبارِ الأوضاعِ الأصليَّةِ والمعانيِ الأولىِّ .. تُسمَّى : حقائقٌ ،
وباعتبارِ الأوضاعِ التبعيَّةِ والمعانيِ الثانويَّةِ .. تُسمَّى : مجازاتٍ ؛ فاللفظُ : إمَّا
حقيقةً ، وإمَّا مجازٌ .

والحقيقةُ : إن وقفتُ بها الملاحظةُ عندَ معناها الأولىِّ لكونه المقصودَ
بالإفادَةِ ، ولم تجعلهُ وسيلةً لإفادَةِ بعضِ المعانيِ بنصبِ دليلٍ على ذلك ..
سُمِّيَتْ : حقيقةً صريحةً ، وإلا .. سُمِّيَتْ : حقيقةً كنايةً ، والمجازُ والكنايةُ
- كما سبقَتِ الإشارةُ إليه^(١) - هما موضوعُ هذا الفنِّ .



(١) انظر (٥٦/١) .

الكلامُ على المجاز

لفظُ (المجازِ) اسمُ مكانٍ مِنْ : جازَ الطريقَ ؛ إذا قطعَ جوزهُ ؛ أي : وَسَطَهُ ، وانتهى لغايته ؛ تقولُ : هذا الطريقُ مجازٌ لكذا ، تُسمِّيه مجازاً باعتبارِ أنك تنتهي منه وتخرُجُ عنه إلى غيره .

واللفظُ المُسمَّى مجازاً : مَسَلِكٌ تَخْرُجُ الملاحظةُ مِنْ معناه الأصليِّ إلى المعنى المناسبِ له ، الذي تريدُ إفادتهُ وتُفهِمُ المُخاطَبَ إيَّاهُ ، ومِنْ هذا يمكنكُ أن تَحُدَّ المَجَازَ : بأنَّه اللفظُ الذي تَعْتَمِدُ في تفهيمِ مُرادِكَ بهِ العَلاقةُ والقرينةُ المانعةُ لمُخاطَبِكَ أن يفهمَ غيرَ مُرادِكَ .

والقرينةُ : هي الأمرُ الذي يَصَحَبُ لفظَ المَجَازِ مِنْ حالٍ أو لفظٍ آخَرَ .

والعَلاقةُ : هي المناسبةُ والارتباطُ بينَ المعنى الأصليِّ والمعنى المرادِ .

وقد بحثَ العلماءُ عنِ العَلاقاتِ التي لاحظَها العربُ في مجازاتها ، وحصروها باستقصاءِ التتبعِ ، وحكموا بأنَّه لا يَصِحُّ أن يُتَجَوَّزَ بلفظٍ ؛ اعتماداً على غيرِ تلكِ العَلاقاتِ حيثُ كانَ الغَرَضُ التكلُّمَ باللغةِ العربيةِ ، وإلا . . . فلا حَجَرَ على المُتخاطِبِينَ أن يَعْتَبِرُوا ما شأؤوا ، وغايةُ الأمرِ : أَنَّهُمْ يكونونَ قد تكلَّمُوا بغيرِ اللغةِ العربيةِ ، بيدَ أَنَّهُ لا يَلْزَمُ إلا سماعُ نوعِ العَلاقةِ ؛ مثلاً : سَمِعَ مِنْهُم تسميةَ الشيءِ بِاسمِ آلتِهِ ، فلنا أن نُسمِّيَ كلَّ شيءٍ بِاسمِ آلتِهِ وإن لم يكنْ مسموعاً مِنْهُم .

ثمَّ إنَّ المَجَازَ لكونِهِ خلافَ الأصلِ لا يُصارُ إليه إلا لفائدةٍ كلاميةٍ تختصُّ بهِ لا تعطيها الحقيقةُ .

[علاقات المجازِ عشرون]

ثمَّ مَرَجِعُ جميع تلكَ العلاقاتِ المُعتَبَرة - كما يعطيه تقسيمُ الدلالة -
هو الكليَّةُ ، والجزئيَّةُ ، أو التلازمُ بينَ المعنيتينِ ، لكنِ اختلافُ جهةِ التلازمِ
أوجبَ تعدُّدَ العلاقاتِ وأسمائها ؛ وهي باستقصاءِ التتبعِ مِنْ أئمَّةِ الفنِّ
رحمَهُمُ اللهُ تعالى عشرون :

اثنتانِ مأخوذُهُما التلازمُ بينَ السببِ ومُسبَّبِهِ ؛ وهُما : السببيَّةُ إن كانَ
المجازُ لفظَ السببِ ، والمُسبَّبيَّةُ إن كانَ لفظَ المُسبَّبِ .
ومأخذُ اثنتينِ بينَ العامِّ وخاصِّهِ ؛ وهُما : العمومُ إن كانَ لفظَ العامِّ ،
والخصوصُ إن كانَ لفظَ الخاصِّ .

وهكذا البيانُ في بقيةِ العلاقاتِ التي هي : الآليَّةُ ، والكليَّةُ والجزئيَّةُ ،
والإطلاقُ والتقييدُ ، والحائيَّةُ والمَحليَّةُ ، والمُجاورةُ ، والبدليَّةُ والمُبدليَّةُ ،
واعتبارُ ما كانَ وما يؤولُ إليه الشيءُ ، والمَلزوميَّةُ واللازميَّةُ ، والتعلُّقيَّةُ ،
والمُشابهةُ .

[بعضُ فوائِدِ المجازِ]

الأمثلةُ معَ بيانِ بعضِ فوائِدِ المَجازِ :

قالَ بعضُ الشعراءِ^(١) :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

الضَّميرُ مِنْ (رَعيناهُ) يعودُ للسَّمَاءِ ؛ وهو المَطَرُ ، فكأنَّهُ قالَ : رَعينا

المَطَرَ ، والمَرعيُّ هو النَباتُ الذي سببهُ المَطَرُ ، قالَ تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾^(٢) ، والإِسامةُ هي إرسالُ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٦٠) .

(٢) سورة النحل : (١٠) .

البهائم للرعي ، وهي سائمة ، فاستعملَ لفظَ السبِّ في المُسبِّبِ ؛ فالعلاقةُ السببيةُ .

وفائدةُ هذا المجازِ : توصلُ الشاعرُ به إلى وصفِ قومِهِ بأنَّهُم بلغوا مِنَ القُوَّةِ غايَتها ، وَمِنَ السَّلاطَةِ نهايتَها ، فَهُم سادَةُ الناسِ ، والناسُ لَهُم تَبَعٌ ؛ وذلكَ أَنَّ معنَى قولِهِ : إِنَّا السابقونَ إلى الانتفاعِ بِمَنافعِ الأرضِ ، لا يُعارضُنا أَحَدٌ في ذلكَ ، ولا يُمَنِّيهِ نَفْسُهُ ، فسوائِمْنا على آثارِ الأمطارِ راعيةٌ أَنفِ النَّباتِ في أولِ نَشأتِهِ وأوانِ نَضرتِهِ ، والناسُ في انتظارِ إِذِنائِنا ؛ فلو قالَ : رعينِنا نباتَ كُلِّ أرضٍ وَإِن غضِبَ أَهلُها . . لم يكنْ مفيداً كُلَّ ذلكَ .

وقد أفرغَ بعضُهُم هذا المعنى في قالبِ آخَرَ حيثُ يقولُ ^(١) : [من الطويل]

أَرى كُلَّ قومٍ قارَبُوا قَيدَ فَحْلِهِم وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيدَهُ فَهُوَ سارِبٌ

وقالَ تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُم أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُم فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ ^(٢) ، ذُرِّيَّةُ الناسِ : أولادُهُم ، والمحمولُ في الشِّفنِ إلى أرضِ العربِ . . هو الأَطعمَةُ وما بهِ حفظُ الحياةِ ومنها نماؤُهُم والتولُّدُ مِنْهُم ، فاستعملَ لفظَ المُسبِّبِ في سببِهِ .

وفائدتُهُ : بيانُ أَنَّ المِنَّةَ عليهم ، والاحتفاءُ بِهِم ، وكونُهُما في الدرجةِ التي ليسَ وراءَها مُنتظرٌ مِنَ الظُّهورِ ؛ بحيثُ تكونُ الغفلةُ عن ملاحظتِهِما ، وَقِلَّةُ الشُّكرِ عليهِما ، والخروجُ عن حَيِّزِ اختصاصِهِ بالعبوديةِ لَهُ ، وتنزيهُهُ عن تشبيهِ بعضِ مخلوقاتِهِ بِهِ . . أمورٌ تجعلُ أصحابِها أسوأَ حالاً مِنَ البهائمِ ؛ كما قالَ : ﴿ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ ^(٣) .

وفيه معَ التنبيةِ على موضعِ عِظَمِ المِنَّةِ وسلطانِ الدلالةِ . . ذكرُ جميعِ

(١) هو الأخنس بن شهاب بن شريق ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١٢٦/٢) .

(٢) سورة يس : (٤١) .

(٣) سورة الفرقان : (٤٤) .

المنافع الحيوانية والإنسانية بأخصر عبارة ؛ لأن لفظ (الذرية) يذكُر جميع مُقدّماتها ، كما يبعثُ تعقُّل حِكَمِ الله تعالى في إنشاء هذه الأنواع وترتيبها في سلسلة الشُّهود الوجوديِّ بعد الغيبة العدمية ، وإرسالِ الأصولِ في تربية الفروعِ إلى الحدِّ الذي أرادَهُ والغاية التي قدَّرَهَا ، وعبارة الحقيقة لا تفيدُ كلَّ هذا كما يظهرُ لمن يستعملُ فكرَهُ فيما خُلِقَ لأجلِهِ .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ ^(١) ، والمُرَادُ : محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعَبَّرَ عَنْهُ بِاسْمِهِ الْعَامِّ لَهُ وَلغَيْرِهِ ، وَمِنْ [فوائده] : تسليمُ المحكِّي عنه مِنْ تناولِ ألسنةِ أعدائه إيَّاهُ ، والإشارةُ إلى أَنَّ الحسدَ قبيحٌ تعلقَ بِمَنْ كَانَ ؛ حيثُ ربطَهُ بالاسمِ العامِّ ، وَأَنَّ الفضلَ المحسودَ عَلَيْهِ هُوَ مَنْفَعُ الكافَّةِ ؛ الحاسدينَ وغيرِهِمْ ، ورميَهُمْ بالغبَاوةِ أو فَرْطِ العِنَادِ حيثُ لم يَعْرِفُوا مَنْفَعَهُمْ أو عرفوا وتركوا .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ ^(٢) ، فأفادَ هذا المجازُ أَنَّ المؤمنينَ - مع كونِ أعدائِهِمْ يداً واحدةً في الإيقاعِ بِهِمْ متى قدرُوا ، وألسنتُهُمْ مُنطلقَةً بتهديدِهِمْ والإرجافِ بِهِمْ - على غايةٍ مِنْ اليقينِ وثباتِ الجَنانِ وصدقِ العزيمةِ ، لا يبالونَ بأعدائِهِمْ ما كانوا ؛ فلو قيلَ : الذينَ قَالَ لَهُمْ نعيمُ بنُ مسعودٍ .. لم يُفدَ ذلكُ .

وأسماءُ القبائلِ ؛ كتميمٍ وقريشٍ وتيمٍ .. مِنْ استعمالِ الاسمِ الخاصِّ عامّاً ، وكانَ تقولُ في أحزابِ ذوي رُؤساءَ : فَرَّقَ هذا على زيدٍ ، وهذا على خالدٍ .

وقال تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ ^(٣) ، تسميةٌ للأناملِ أصابعٍ .

(١) سورة النساء : (٥٤) .

(٢) سورة آل عمران : (١٧٣) .

(٣) سورة البقرة : (١٩) .

ويقولُ أميرُ الجيشِ لجواسيسِهِ وَدَيْدَبَانَاتِهِ^(١) : إِنَّمَا أَنْتُمْ عِيُونُنَا ، إِلَيْكُمْ نَجَاتُنَا ، وَهَذِهِ أوطَانُكُمْ مسكونَةٌ بأهْلِكُمْ وَعِيَالِكُمْ ، فِيسْمِيهِمْ عِيُونًا ؛ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ الْجِزءُ هُوَ الْمَقْصُودَ مِنَ الشَّيْءِ ، وَكَأَنَّ الشَّيْءَ لَيْسَ إِلَّا ذَلِكَ الْجِزءَ .

وقالَ تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾^(٢) ، تسميةٌ لِلذِّكْرِ الْحَسَنِ وَالشَّئَاءِ الْجَمِيلِ بِاسْمِ آلَتِهِ .

وَمِنْ اسْتِعْمَالِ الْمُطْلَقِ فِي الْمُقَيَّدِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾^(٣) ، وَالْمُرَادُ : رَقِيقٌ مُؤْمِنٌ .

وَمِنْ اسْتِعْمَالِ الْمُقَيَّدِ فِي الْمُطْلَقِ : مِثْلُ قَوْلِكَ : جَحْفَلَةُ زَيْدٍ ؛ وَالْجَحْفَلَةُ : شَفَّةُ الْخَيْلِ .

واعتبارُ ما كانَ : مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَءَاتُوا آلِيكُمْ مِمَّا كَفَرَ ﴾^(٤) .

واعتبارُ ما يؤولُ لَهُ الشَّيْءُ : مِثْلُ قَوْلِكَ : أعطِ رجالَ هذا المَكْتَبِ كذا ، وَنِساءَهُ كذا .

وَاسْتِعْمَالُ اسْمِ الْحَالِ فِي الْمَحَلِّ : مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾^(٥) .

وَمُقَابَلُهُ : مِثْلُ قَوْلِهِ : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾^(٦) ؛ وَالنَّادِي : مَجْلِسُ الْقَوْمِ فِيهِ يَتَحَدَّثُونَ .

(١) الديدبانان : الرقيب .

(٢) سورة الشعراء : (٨٤) .

(٣) سورة المجادلة : (٣) .

(٤) سورة النساء : (٢) .

(٥) سورة آل عمران : (١٠٧) .

(٦) سورة العلق : (١٧) .

وَمِنْ اسْتِعْمَالِ اسْمِ الْمُبَدَّلِ مِنْهُ فِي الْبَدَلِ : قَوْلُ الشَّاعِرِ^(١) : [من الطويل]

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرْعُكَ بِضَرَّةٍ

أي : دية ، وكان من العارِ عندهم أخذُ الدية ، ولم يكن إلا في العاجزين
عن الثأر .

ومقابلُهُ مثلُ قولِكَ : في ملكِ فلانٍ ألفُ دينارٍ ؛ لمتاعٍ يساوي ذلك .

وعلاقةُ اللزومِ حيثُ لا يكونُ هنالكَ معنىً خاصُّ يُؤخذُ منه اسمٌ ؛

كاستعمالِ الشمسِ في الضوءِ في قولِكَ : دخلتِ الشمسُ من هذه الكوةِ ،

واستعمالِ الضوءِ في الشمسِ ، واستعمالِ المصدرِ في معنى المُشتقِّ وعكسِهِ ،

قيلَ : العلاقةُ فيه التعلُّقُ ، وهو يدخلُ في الكليةِ والجزئيةِ .

هذا ؛ والمجازُ المرسلُ ربَّما فاتَ على الملاحظةِ في درجةِ الكلامِ ،

وربَّما خفيتِ الفائدةُ فيه ، فهو يحتاجُ إلى دقَّةِ نظرٍ .

وأما علاقةُ المشابهةِ التي نَوَّعتِ المَجازَ إلى استعارةٍ ؛ وهو ما كانتِ

علاقتهُ ، وإلى مَجازٍ مرسلٍ ؛ وهو ما علاقتهُ غيرها . . فإنَّها تُظهرُ المَجازَ

حيثُ كانتِ الأشياءُ المتشابهةُ أجنبياً بعضها عن بعضٍ ؛ ولذلك ترى مَنْ

خَصَّ عِلْمَ الْبَدِيعِ بِالتَّأْلِيفِ يشرحُ الاستعارةَ ويَعُدُّها مِنْ أنواعِهِ .



(١) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (١٧٦/٤) ، والبيت بتمامه :

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرْعُكَ بِضَرَّةٍ بَعِيدَةً مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ

القول في الاستعارة

اعلم: أنه متى اشترك أمران في معنى أو أكثر على تفاوت بينهما فيه .. فتم معنى مقصوداً بالإفادة وسمى بالعبرة عنه أهل البيان: عبارة التشبيه؛ وعرفوه: بأنه إلحاق أمرٍ بأمرٍ في صفةٍ بأداةٍ لغرض؛ فالأمران المُلحَق والمُلحَق به هما: المُشَبَّه، والمُشَبَّه به، والصفة المُشتركة هي: وجه الشبه، والأداة: هي الألفاظ المفيدة لذلك.

مثل: وجه زيدٍ كالقمرِ، وكأنه قمرٌ، وتخاله قمرًا، وتحسبه، وتقول إنه، وهو مثل ...

ثم إن عبارة التشبيه تُوردُ على صورٍ مختلفة:

تقول: زيدٌ كالبحرِ، وزيدٌ بحرٌ بحذف الأداة، ويُسمى حينئذٍ: تشبيهاً بليغاً؛ أي: بالغاً غايةً لم يبلغها الأول؛ فإن العبارة الأولى منادية بالفرق بين الطرفين، والعبارة الثانية ناطقة بالاتحاد.

وتقول: رأيتُ اليومَ قمرًا بديعَ الشَّمائلِ، ساحرَ الطَّرفِ، دُرِّي اللفظ؛ بحذف الأداة وأحد الطرفين، وحينئذٍ يجيء اسمُ الاستعارة؛ فالاستعارة: تشبيهٌ أبلغ؛ حيثُ تركت العبارة المُشعرة بالاثنيَّة مع الفرق أو دعوى الاتحاد، فليس معنا إلا أمرٌ واحدٌ نخبرُ عنه ونحكي في شأنه.

[أقسامُ الاستعارة]

وتنقسمُ الاستعارةُ حسبَ اعتباراتٍ: إلى مُصرَّحةٍ ومَكْنِيَّةٍ، وإلى أصليَّةٍ وتبعيَّةٍ، وإلى مُرَّشحةٍ ومُجرَّدةٍ ومُطلَّقةٍ، وإلى تملِيحيَّةٍ وتهكُّميَّةٍ، وإلى تمثيليَّةٍ وغير تمثيليَّةٍ.

فإن كَانَ المُستعارُ اسمَ جنسٍ جامداً ولو تأويلاً ؛ كالأعلامِ المُشتهرةِ أصحابُها بأوصافٍ ؛ كحاتمِ المُشتهرِ بالجُودِ ، ومادِرِ المُشتهرِ بالبخلِ ، وباقِلِ المُشتهرِ بالعِيِّ ، وكانَ هُوَ المذكورَ . . فالاستعارةُ هي المُصرَّحةُ الأصليَّةُ .

وإن كَانَ غيرَ اسمٍ جنسٍ جامدٍ فعلاً أو حرفاً أو مُشتقاً . . فهي التبعيَّةُ .

وإن كَانَ المذكورُ لفظَ المُستعارِ له . . فهي المَكْنِيَّةُ .

وإن كَانَتِ الاستعارةُ مقرونةً بما يناسبُ المُشبَّهَ به . . فهي المُرشَّحةُ ، وإن

كَانَتْ مقرونةً بما يناسبُ المُشبَّهَ . . فهي المُجرَّدةُ ، والمُطلَّقةُ غيرُهُما .

وإن كَانَ المُستعارُ لفظَ أحدِ الضِدِّينِ لِلاخِرِ ؛ فإن كَانَ على سبيلِ

الاستهزاءِ . . فهي التهكميَّةُ ، وإن كَانَ على سبيلِ التلطفِ والتحسينِ . . فهي

التمليحيَّةُ .

وإن كَانَ التشبيهُ بينَ هيئَتينِ مُنتزعتينِ مِنْ عِدَّةِ أمورٍ . . فهي الاستعارةُ

التمثيليَّةُ .

والتفاوتُ بينَ طرفي التشبيهِ . . في المعنى المُشترَكِ بينهما ؛ وهُوَ المُسمَّى

وجهَ الشَّبهِ في غيرِ الاستعارةِ ، والجامعُ بينَ الطرفينِ فيها باعتبارِ كونهِ في

المُشبَّهِ بِهِ أقوى أو أعرفَ .

والغايةُ في التشبيهِ : إفادةُ المساواةِ بينَ أمرينِ ، أو قُوَّةِ المعنى في المُشبَّهِ ؛

بحيثُ يَحسُنُ ادعاءُ تساوي الطرفينِ فيه .

والاستعارةُ التبعيَّةُ : هي التي تقَعُ تبعاً لاستعارةٍ تسبَّقتها في الملاحظةِ ،

فتكونُ السابقةُ أصليَّةً ، وتكونُ اللاحقةُ تبعيَّةً .

وبيانُ ذلكَ : أنَّ الاستعارةَ إذا جرثُ في المُشتقَّاتِ وقد عرفتَ أَنَّ أصلها

التشبيه . . فالغرض إنما هو تشبيه المعاني المستقلة التي تضمنتها المشتقات غالباً ، مثلاً : إذا قلت : ركب فلان كتفي غريمه فلان . . فقد شبّهت شدّة لزومه إيّاه ومقهوريّته له ، فكأنك قلت : لزومه إيّاه كركوب كتفيه ، فاستعرت الركوب للزوم ، فيكون هذا الأصل مستعملاً في غير ما وُضِعَ له ، فجميع الفروع تكونُ مُستعارةً تبعاً له .

وكما تكونُ الاستعارةُ في المُشتقاتِ باعتبارِ المادّة . . تكونُ باعتبارِ الهيئة ، فُستعارُ الهيئةُ الدالّةُ على الزمنِ الماضي للزمنِ الآتي ؛ بجامعِ تحقُّقِ ما يحصلُ فيهما والإيقانِ به ، قال تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، فبعثُ الناسِ للحسابِ وفصلِ القضاءِ بينهم ، وإيصالِ كلِّ إلى مَقَرِّهِ المَعْدِلِ له . . أمرٌ يقعُ في الزمنِ الآتي ، فعبارتهُ الدالّةُ عليه : (يأتي أمرُ الله) ، فلكونه مُتَحَقِّقاً يقينياً قيل : أتى أمرُ الله .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) ؛ أي : المُتَلَبِّسِينَ بالتقوى ؛ وهي اجتنابُ ما نُهوا عنه وامتثالُ ما أُمرُوا به عندَ استماعِ الأمرِ والنهي ، فاستُعيرَ ما يدلُّ على التلبُّسِ بالفعلِ لِمَا سَيَحْصُلُ التلبُّسُ به .

وربّما كانتِ الاستعارةُ في موضوعِ الصفةِ ، كما إذا قلت : فلانُ يرى مَضْرَبَهُ كَمَقْتَلِهِ ، فهو يَفْرَعُ مِنْ ذَلِكَ فِرْعَهُ مِنْ هَذَا .

وإذا جرتِ الاستعارةُ في الحروفِ . . فالتشبيهُ يكونُ في المعاني الكليّةِ ، مثلاً : تقولُ : تَرْتُبُ عاقِبَةَ الشَّيْءِ عَلَيْهِ مِثْلُ تَرْتُبِ المَعْلُولِ عَلَى عِلَّتِهِ ، فيكونُ كلُّ تَرْتُبٍ جزئياً مُشَبَّهاً لِتَرْتُبِ جزئياً ، فُستعارُ حينئذٍ الحروفُ الدالّةُ على الترتُّباتِ الجزئيةِ العِلِّيَّةِ لِتَرْتُّباتِ العاقبةِ .

(١) سورة النحل : (١) .

(٢) سورة البقرة : (٢) .

قال تعالى: ﴿فَأَلْتَقَطَهُ آءَالٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١) ، فالغرضُ من التقاطِ موسى الانتفاعُ به كما يُنتفعُ بالأبناءِ ، ولكنْ ترتبَ على التقاطِهِ عداوتهُ لَهُم وإحزانهُ إِيَّاهُم ، فوقعتِ العاقبةُ موقعَ الغرضِ ، فعُبِّرَ عنها بعبارةِهِ .

والاستعارةُ بالكنايةِ أو المكنيةِ - أي : المستورةُ - لا تكونُ مذكورةً في الكلامِ ، وإنما يُذكرُ معَ المُستعارِ له بعضُ خواصِّ المُستعارِ منه ، فيدلُّ عليها ؛ وهو قرينةُ الاستعارةِ ، وتارةً يكونُ لفظُ القرينةِ مُستعاراً أيضاً ، وتارةً لا يكونُ مُستعاراً ، ومع ذلكِ يُسمَّى في الاصطلاحِ استعارةً تخيليةً .

قال تعالى: ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾^(٢) ، فالعهدُ مُشبَّهٌ بالحبلِ ؛ فإنَّ الدِّينَ يعصمُ القلوبَ من افتراقِ الأهواءِ ما بقيَ على حالِهِ . . كما يمنعُ الحبلُ الحُزْمَةَ من تفرُّقِ عيدانِها ما بقيَ على متانتِهِ والتواءِ بعضِ طاقِهِ على بعضٍ ؛ فالحبلُ المُستعارُ لم يُذكرْ ، وذكِرَ النقصُ الذي هو تفرُّقُ طاقاتِ الحبلِ وإزالةُ صورتهِ ، وهو مُستعارٌ لتفريقِ الدِّينِ وإبطالِ صورتهِ ؛ فقرينةُ المكنيةِ فيه . . استعارةٌ تصرُّحيةٌ تبعيةٌ .

وفي قولِ لبيدٍ^(٣) :

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقَرَّةَ
قَدْ أَضْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا
تشبيهُ الشَّمَالِ والبُرْدِ بإنسانٍ وناقيةِ أمسكٍ بزِمَامِهَا ، فهو يُقبَلُ بها تارةً ويُدبِرُ تارةً ؛ فاليدُ والزِمَامُ غيرُ مُستعارينِ لشيءٍ غايتهُ أَنَّهُ يُوقَعُ في الخيالِ للقرَّةِ زِمَاماً وللشَّمَالِ يداً .

(١) سورة القصص : (٨) .

(٢) سورة البقرة : (٢٧) .

(٣) انظر « ديوان لبيد رضي الله عنه » (ص ٣١٥) .

والترشيحُ : التقويةُ ، والمُرشحةُ مُقوَّاةٌ بذكرِ ما يلائمُ المُشَبَّهَ بِهِ ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ تِجَارَتُهُمْ ﴾ (١) ، فحديثُ ربحِ التجارة يُقوِّي استعارةَ الاشتراءِ .

والتمثيلُ : جعلُ مثالٍ للشيءِ يكونُ على صورتهِ وهيئتهِ ؛ جملتهُ كجملتهِ ، وأجزاؤه كأجزائه ، والاستعارةُ التمثيليةُ كذلك ؛ فَمَنْ قَالَ (٢) : [من الوافر] أَرَى مَاءً وَبِي ظَمًا شَدِيدًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ مَكَانَ أَنْ يَقُولَ : أَعْلَمُ أَنَّ الْحَبِيبَ وَرَاءَ هَذِهِ الْجُدْرَانِ الْعَالِيَةِ ، ودونَهُ هَذَا الْحَرَسُ الشَّدِيدُ ، فَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ حَرَارَةِ الشَّوْقِ وَشِدَّةِ الْوَلَعِ لَا يُمَكِّنُنِي الْوَصُولُ إِلَى مَغَازِلَتِهِ وَالرَّاحَةِ بِالْمَحَادِثَةِ مَعَهُ ؛ فَقَدْ شَبَّهَ حَالَةَ الْمُحِبِّ هَذِهِ بَهَيْئَةِ ظَمَانٍ شَدِيدِ الظَّمِّ واقِفٍ عَلَى رَأْسِ جِدَارٍ عَالٍ تَحْتَهُ مَاءٌ ، وَلَيْسَ لَهُ دَرَجٌ ، فَهَذِهِ الصُّورَةُ مِثَالُ تِلْكَ الصُّورَةِ .

ولمَّا كَانَ فِي التَّشْبِيهِ مِنْ تَصْوِيرِ الْحَالِ وَالتَّأثيرِ فِي النُّفوسِ مَا لَا تَبْلُغُهُ الْعِبَارَاتُ الْأصْلِيَّةُ . . كَثُرَ فِي الْكَلَامِ كَثْرَةً بِالغَةِ ، لَا تَكَادُ قِصَّةً مِنَ الْكَلَامِ الْعَالِي تَخْلُو مِنْهُ ، وَكَلَّمَا كَانَ التَّشْبِيهُ أَغْرَبَ وَأَكْثَرَ مَعَانِي . . كَانَتِ النُّفوسُ لَهُ أَمِيلَ ، وَبِهِ أَبْهَجَ ، وَسُنُورْدُ عَلَيْكَ لَهُ أَمْثَلَةٌ تَكُونُ بِمَنْزِلَةِ رِيَاضِ نَضْرَةِ تُنَزَّهُ فِيهَا خَاطِرَكَ وَتَرْتَاخُ إِلَيْهَا نَفْسُكَ :

قال تعالى : ﴿ وَطُوفُوا عَلَيْهِمْ وَلِيَانًا مُخْلِذُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا ﴾ (٣) ، فَإِنَّ تَصْوِيرَ حَالِ الْوِلْدَانِ ؛ مِنْ كَوْنِهِمْ فِي الْجَمَالِ وَالْمَلَاحَةِ مُتَشَابِهِينَ ، لَا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، بِحَيْثُ لَا تَتَنَاوَلُ الْعَيْنُ إِلَّا مَلَاحَةً ، وَلَا تَجِدُ النُّفوسَ

(١) سورة البقرة : (١٦) .

(٢) هو ابن الرومي في « ديوانه » (٨٠٤/٢) .

(٣) سورة الإنسان : (١٩) .

إِلَّا بِهَجَّةٍ بِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْشُورِ . . لا يَكُونُ بَأَن يُقَالَ : وَلِدَانٌ حِسَانٌ رَائِعُونَ يُشْبِهُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْجَمَالِ .

وقال : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ ^(١) ؛ أي : اللؤلؤ في صدفيه ،
أو المحفوظ عمّا يُعَيَّرُ نَصَارَتَهُ وَيُكَدِّرُ صَفَاءَ مَائِيَّتِهِ .

ولمّا كَانَتِ الْحُورُ مَقْصُورَاتٍ فِي الْخِيَامِ ، وَكَانَ الْوِلْدَانُ مُتَرَدِّدِينَ فِي
وِظَائِفِ [خِدْمَتِهِمْ] . . كَانَ اللَّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ مِثْلَ الْحُورِ ، وَكَانَ مِثْلَ الْوِلْدَانِ
اللُّؤْلُؤُ الْمَنْشُورُ ^(٢) .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلْتُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الْظَّالِمَانُ مَاءً حَاقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْرٌ
بِحَدِّهِ شَيْئًا ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلْتُمْ كِرْمَادٍ اسْتَدَّتْ
بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَلَافٍ ﴾ ^(٤) ، وقال : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً
مَّنْثُورًا ﴾ ^(٥) .

أَعْمَالُ الْكُفَّارِ ؛ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فِي الْعَرَبِ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي مَا لَا يَضُرُّ
مِنْهَا [وَلَا] يَنْفَعُ ، وَعِبَادَةِ الْهُنُودِ النَّارَ وَالْمَاءَ وَالْبَقَرَ وَالْكَوَاكِبَ ، وَمَعَانَاتُهُمْ
الشَّدَائِدَ فِي ذَلِكَ . . أَعْمَالٌ بَاطِلَةٌ لَا تَسْتَعْقِبُ خَيْرًا ، غَيْرَ أَنَّهَا فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ
أَعْمَالٌ بَرٌّ وَانْقِيَادٌ ، وَتَسْلِيمٌ أَنْفُسٍ وَأَمْوَالٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، فَضَرَبَ لَهَا الْمَثَلَ
مِنْ حَيْثُ ظَاهِرُهَا الْمُطْمَعُ وَبِاطِنُهَا الْمُحْسِرُ بِالسَّرَابِ ، وَضَرَبَ الرَّمَادَ - وَهُوَ
مَا يَبْقِيهِ إِحْرَاقُ النَّارِ حَيْثُ تَطِيرُ بِهِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ - مِثْلًا لِيَأْسِهِمْ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ

(١) سورة الواقعة : (٢٢ - ٢٣) .

(٢) كذا العبارة في الأصل ، ولعل فيها قلباً ، وتقديرها : (كان الحور مثل اللؤلؤ المكنون ، وكان الولدان
مثل اللؤلؤ المنشور) .

(٣) سورة النور : (٣٩) .

(٤) سورة إبراهيم : (١٨) .

(٥) سورة الفرقان : (٢٣) .

بها ، وكذلك الهباء المنثور ، ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرُبْحٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ (٢) .

اعلم : أن الخالق البارئ المصور قد أودع كل نوع من أنواع مخلوقاته سراً إليه ينسب جميع ما يظهر صدوره منه في مسكنه نسبة الفعل إلى الفاعل ، وبإزاء ذلك السِّرِّ ومسكنه يوضع اسم النوع .

مثلاً : نوع الإنسان نوعٌ مستوي القامة ، عريض الأظفار ، ماشٍ على رجليه ، عاملٌ بيديه ، دائمُ الفكرة في الماضي والحاضر ونتائجهما الآتية . . . إلى غير ذلك من الخصائص الإنسانية ، فهي منسوبةٌ لذلك السِّرِّ المُسمَّى إنساناً ، وله باعتباراتٌ مُختلفةٌ عدَّةُ أسماءٍ ؛ فباعتبارٍ لطفه ومشابته الريح يُسمَّى : رُوْحاً ، وباعتبارٍ استضافة الأجزاء التي يزدادُ بها حجمُ مسكنه يُسمَّى : غاذياً ونامياً ، وباعتبارٍ إفاضته الصورة يُسمَّى : قُوَّةً مُصوِّرةً ، وباعتبارٍ حفظِ الصُّورِ والمعاني يُسمَّى : عقلاً .

وهكذا بقيَّةُ الأسماءِ واعتباراتها ؛ فاسمُ الزَّرْعِ : موضوعُ بإزاء السِّرِّ الذي يذهبُ بأعضاءِ النباتِ مُمتداً إلى الجهاتِ المختلفةِ على الحدودِ المُعينةِ إلى الغايةِ التي له ، والشَّطْطُ : هو المادَّةُ الحافظةُ له في الحَبَّةِ والنَّوَاةِ وغيرِهما ؛ فمتى أسكنتِ الحَبَّةُ رَحِمَ الأرضِ معَ استيفاءِ شرائطِ النباتِ . . وَجَدَ ذَلِكَ السِّرُّ مَسَاغاً لتمديد ما معه ، واستضافَ الأجزاءَ المتناسبةَ ، مُورِعاً لها على أحيائها الطالبةِ لها ، حتى يكونَ شخصٌ تامُّ قائمٌ على صورتهِ

(١) سورة البقرة : (١١٢) .

(٢) سورة الفتح : (٢٩) .

الخاصّة به ، فيكون شيئاً واحداً إذا أجزأ مؤتلفه مُنظمة الأعمال على نهج واحد .

ضربَ الزرعُ مثلاً لأمةٍ سرّها الدّينُ الحقُّ الذي بدأها بواحدٍ ، ثمّ لم يزل يستضيفُ الواحدَ إلى الواحدِ والجملةَ إلى الجملةِ حتى قامتْ أمةٌ مؤتلفةٌ القلوبِ ، مُجمعةُ الألسنةِ ، ساعيةٌ في طريقِ واحدةٍ إلى غايةٍ ينظرُ إليها الكلُّ على السّواءِ ، فأنتَ تجدُ التمثيلَ لها بالزرعِ مفيداً مع الاختصارِ مِنَ الارتباطِ ووحدَةِ المقصودِ ما لا يعطيه أن يُقالَ : أمةٌ مؤتلفةٌ إلى آخرِ ما يُقالُ مِنَ العبارةِ عنِ المعاني التي يحضُرُها عندَ فكركِ التمثيلُ بالزرعِ .

وفي هذا المعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » (١) .

وقوله : « الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ لِلْجَسَدِ » (٢) .

وقوله : « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ » (٣) .

[أمثلة من التشابه الرائقة]

هذا ؛ وعليك بإطلاقِ الفكرِ في سائرِ التشابهِ القرآنيّةِ التي هي بمنزلةِ الشّمسِ مِنَ التشابهِ ؛ إذ كانتَ صادرةً عن اللّطيفِ الخبيرِ الذي لا تخفى عليه خافيةٌ .

وقال عليه الصّلاة والسلامُ : « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ » (٤) .

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٠/٥) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٤٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال : « أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ » (١) .

وقال : « أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ ؛ بِأَيْهِمْ أَفْتَدَيْتُمْ . . أَهْتَدَيْتُمْ » (٢) .

وقال : « مَا أَنْتُمْ فِي غَيْرِكُمْ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ » (٣) .

وقال : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ . . كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً ؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً ؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » (٤) .

وقال : « أَلْعَالِمُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ » (٥) .

فأى عناية تَلَزَمُ طالب الأدب باعتبار مقاصد التشبيه الذي شَرَفَهُ بالاستعمال الكلام المقدس الصادر عن الحضرة الإلهية ، والصادر عن حضرة الرسالة؟! ثم إن الشعراء لهجوا قديماً وحديثاً باستعماله على تفاوتٍ عظيمٍ بينهم ؛ في توقيعه في مواقعِهِ ، وتزيينه بقرائنٍ يناظرُ بعضها بعضاً في الملاحظة ، حتى إنهُ ربّما كان التشبيه من المبتذلات ، فتجعلهُ القرينة اللطيفة من المُستغربات ؛ كقول أبي الطيب (٦) :

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِهِ
إِلَّا بِوَجْهِهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٧٢/٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٧٦٠) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٧٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٥) انظر « المقاصد الحسنة » (٦٠٩) .

(٦) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٩٧) .

كَثُرَ عَلَى أَلْسِنَةِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمًا التَّشْبِيهُ بِالشَّمْسِ ؛ قَالَ النَّابِغَةُ
الذُّبْيَانِيُّ (١) :

[من الطويل]

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ
وقال العباس بن الأحنف (٢) :

[من المتقارب]

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفُقَادَ عَزَاءً جَمِيلاً
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ

فأحسن أبو الطيب التصرّف فيه ؛ حيث أثبت ونفى ، ورفع وخفض .

وإذا كان وجه التشبيه خفيًا . . . وجب ذكره ، وإلا . . . فالأحسن حذفه ، حتى
لو زاد ظهوره . . . كانت الاستعارة أحسن من التشبيه ؛ فالأحسن لمن حصل
علمًا ، وانزاحت عنه شبهة . . . أن يقول : قد انزاحت عن قلبي ظلمة وامتلا
نورًا ، دون أن يقول : شبهة كالظلمة وعلمًا كالنور .

قال الطُّغْرَائِيُّ (٣) :

[من الكامل]

أُبْذُلُ فَإِنَّ الْمَالَ شَعْرٌ كُلَّمَا أَوْسَعْتَهُ حَلَقًا يَزِيدُ نَبَاتًا
فتشبيه المال بالشعر في أن إزالة كلِّ توجب تكاثره . . . من التشابيه الغريبة
التي لا تؤهلها إلا الفطنة بعد الفطنة .

[أنموذج من اختلاف الشعراء في تشبيه الثريا]

ومما ينتهي بك إلى غاية معرفة ما بين الشعراء من التفاوت . . . الأمر
الواحد يتناول تشبيهه العدد الكثير منهم ، وهذا أنموذج ذلك :

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤) .

(٢) انظر « ديوان العباس بن الأحنف » (ص ٢٢١) .

(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ١٠٤) .

الثُّرَيَّا : مُصَغَّرُ ثُرَوَيْ بِالْقَصْرِ ، امْرَأَةٌ ثُرَوَيْ : كَثِيرَةُ الْمَالِ ؛ وَهِيَ اسْمُ الْكَوْكَبِ
الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ اسْمُ النِّجْمِ ، كَمَا تَعْرِفُهُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِيِّ : (إِذَا طَلَعَ النِّجْمُ
عِشَاءً .. ابْتَغَى الرَّاعِي كِسَاءً)^(١) ، وَهُوَ مَجْمُوعُ كَوَاكِبِ صَغَارٍ مُتْقَارِيَةٍ ، مِنْهَا
سِتَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَالسَّابِعُ خَفِيٌّ يَخْتَبِرُ النَّاسُ بِهِ حِدَّةَ الْبَصَرِ ، وَكَانَ أَكْمَلَ النَّاسِ فِي
جَمِيعِ أَحْوَالِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. يَعُدُّ الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا^(٢) .

أَكْثَرَ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ تَشْبِيهَهُ ؛ قَالَ الْهَيْثُمُ بْنُ عَدِيٍّ أَحَدَ عِلْمَاءِ
الْأَدَبِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ^(٣) : كُنَّا عِنْدَ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ فَقَالَ : أَنْشَدُونِي أَحْسَنَ
بَيْتٍ فِي تَشْبِيهِ الثُّرَيَّا ، فَقَالَ قَائِلٌ : بَيْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ - كَأَمِيرٍ - مِنْ
شُعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ :

وَقَدْ لَاحَ فِي الْغُورِ الثُّرَيَّا كَأَنَّمَا بِهِ رَايَةٌ بَيْضَاءُ تَخْفِقُ لِلطَّغْنِ
فَقَالَ صَالِحٌ : أَرِيدُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ، فَقِيلَ : بَيْتُ امْرِئِ
الْقَيْسِ^(٤) :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْضَلِ
فَقَالَ : أَرِيدُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ، فَقِيلَ : بَيْتُ ابْنِ الطَّيْرِئَةِ :
إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا جُمَانٌ وَهِيَ مِنْ سِلْكِهِ فَتَسْرَعَا
فَقَالَ : أَرِيدُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ الْحَاضِرُونَ : مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ !! فَقَالَ
صَالِحٌ : بَيْتُ أَبِي قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ :

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لِمَنْ رَأَى كَعُنُقُودٍ مُلَاحِحِيَّةٍ حِينَ نَوْرًا

(١) أوردته الزمخشري في « ربيع الأبرار » (١٢١/١) .

(٢) انظر « شرح الزرقاني على المواهب » (٢٧١/٥) .

(٣) انظر الخبر في « معاهد التنصيص » (٢٨/٢) .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٤) .

فهؤلاء من شعراء العرب ؛ جاهليان ؛ أبو قيس ، وامرؤ القيس ، وأمويان ؛
يزيد بن الطثريّة ، وعبد الله بن الزبير .

وإنما كان تشبيه ابن الأслت أحسن ؛ لكونه تضمّن جميع أحوال النجم ؛
من شكل المجموع ، وشكل الأجزاء ، ومقاديرها في رأي العين ، وهيئاتها
الوضعيّة ، وقرارها في موضعها ، فقد أمعن النظر قبل التشبيه ، ولذلك افتخر
بقوله : (لِمَنْ رَأَى) ، فليست حشواً .

والملاحية - بضم الميم وتخفيف اللام أو تشديدها - : نوع من العنب
الأبيض ، في حبه طول ، وامرؤ القيس فاته بعض ذلك ، مع اشتغال بيته على
ما ليس له دخل في التشبيه ، فإن مخلص لفظ التشبيه : الثريا كقطعة من
وشاح مفصل .

وفي بيت ابن الطثريّة : الحركة في المُشَبَّه به مفسدة للتشبيه ، وأنزل هذه
التشابه تشبيه ابن الزبير .

ويروى بيت ابن الطثريّة :

[من الطويل]

جَمَانٌ وَهِيَ مِنْ سِلْكِهِ فَتَبَدَّدَا

[من الطويل]

وهو أحسن ، قال ذو الرمة ^(١) :

عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلِّقٌ

وَرَدْتُ أَعْتَسَافاً وَالْثُرَيَّا كَأَنَّهَا

[من المنسرح]

ومن تشابه المولدين للثريا : قول ابن المعتز ^(٢) :

بَشَّرَ سُقْمُ الْهَيْلَالِ بِالْعِيدِ

قَدْ أَنْقَضَتْ دَوْلَةَ الصِّيَامِ وَقَدْ

يَفْتَحُ فَاهُ لِأَكْلِ عُنُقُودِ

يَتَلَوُ الثُّرَيَّا كَفَاغِرِ شَرِّهِ

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (١ / ٤٩٠) .

(٢) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢ / ١٩٠) .

وقوله^(١) :

[من الخفيف]

وَالثَّرِيًّا فِي الْغَرْبِ كَالْعُنُقُودِ
بَاتَ يُجَلِّي عَلَى غَلَائِلِ سُودِ

زَارَنِي وَالذُّجَى أَحْمُ الْحَوَاشِي
وَهَلَالُ السَّمَاءِ طَوْقُ عَرُوسِ

وقوله^(٢) :

[من الطويل]

بِصَفْرَاءَ لَمْ تَفْسُدْ بِطَبَخِ وَإِحْرَاقِ
جَنَى نَرْجِسٍ حَيًّا أَلْدَامَى بِهِ أَلْسَاقِي

أَتَانِي وَالْإِضْبَاحُ يَزْفُلُ فِي الذُّجَى
فَنَاوَلَنِيهَا وَالثَّرِيًّا كَأَنَّهَا

وقول أبي الفرج الببغا من شعراء « اليتيمة » المتكسبين

بالشعر^(٣) :

[من البسيط]

وَالدَّهْرُ مُنْصَرِفٌ وَالْعَيْشُ مُنْقَبِضُ
وَفِي أَلْمُدَامَةِ مِنْ شَمْسِ الْأُضْحَى عَوْضُ
مَبْسُوطَةٌ لِلْعَطَايَا لَيْسَ تَنْقَبِضُ

خُذُوا مِنَ الْعَيْشِ فَأَلْعَمَارُ فَانِيَةٌ
فِي حَامِلِ الْكَأْسِ مِنْ بَدْرِ الذُّجَى خَلْفُ
كَأَنَّ نَجْمَ الثَّرِيَّا كَفْتُ ذِي كَرَمِ

وقول الصنوبري^(٤) :

[من المنسرح]

قُرْطٌ وَفِي أَوْسَطِ السَّمَاءِ قَدَمُ

فِي الشَّرْقِ كَأَنَّ فِي مَعَارِبِهَا

[من الطويل]

لَتَنْظُرَ طَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَدْ تَعَرَّضَا
يُقَاسُ بِشِبْرِ كَيْفَ يُرْجَى لَهُ أَنْقِضَا

ولبعضهم في شكاية طول الليل^(٥) :

كَأَنَّ الثَّرِيًّا رَاحَةً تَشْبُرُ الذُّجَى
عَجِبْتُ لِلَّيْلِ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (٨٨/٢) .

(٢) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢٣٨/٢) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢٠/٢) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٢١/٢) .

(٥) انظر « معاهد التنصيص » (٢٤/٢) .

وقول الأشهبِ ابنِ رميلة^(١) :

وَلَا حَتَّ لِسَارِيهَا الثُّرَيَّا كَأَنَّهَا لَدَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسَلْسَلٌ
فهذا أحسنُ ما قيلَ في تشبيهِ الثُّرَيَّا .

قال بشارُ بنُ بردٍ - وهو من شعراءِ الدولتينِ الأمويَّةِ والعباسيَّةِ - : ما زلتُ
منذُ سمعتُ قولَ امرئِ القيسِ في تشبيهِ شيئينِ بشيئينِ^(٢) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي
أعملُ نفسي في تشبيهِ شيئينِ بشيئينِ ، حتى قلتُ^(٣) :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

وتشبيهُ بشارٍ هذا من أحادِ التشابيهِ ، يُحكى : أنَّه قيلَ لبشارٍ :
مِنْ أَيْنَ جَاءَكَ هَذَا التَّشْبِيهُ وَلَمْ تَرَ الدُّنْيَا قَطُّ ؟! فَإِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى ، فَقَالَ :
إِنَّ عَدَمَ الْاِشْتِغَالِ بِالْمَنْظُورَاتِ يُوفِّرُ الْحِسَّ ، وَيُقَوِّي الذِّكَاءَ ، وَأَنْشَدَ
لنفسِهِ^(٤) :

عَمِيْتُ جَنِينًا وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْتِلًا
وَعَاضَ ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِدًا لِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا
وَشِعْرٍ كَنُورِ الرُّؤُوسِ لَأَمْتُ بَيْنَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلًا

وقد استعملَ بشارٌ هذا التشبيهَ ونزلَ فيه درجةً في قوله مُخَاطَبًا : [من الطويل]

[خَلَقْنَا] سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا سِيُوفًا وَنَقَعًا يَقْبِضُ الطَّرْفَ أَقْتَمَا

(١) انظر «خزانة الأدب» (٥٠/١١) .

(٢) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ٢٨) .

(٣) انظر «ديوان بشار بن برد» (١/٣٣٥) ، و«معاهد التنصيص» (٢/٣٠) .

(٤) الخبر والشعر في «معاهد التنصيص» (٢/٣٠) .

ثُمَّ إِنَّ الشُّعْرَاءَ مَشَوْا عَلَى أَثْرِ بَشَارٍ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ ؛ قَالَ مَنْصُورٌ
النَّمِيرِيُّ ^(١) :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ
وقال مسلم بن الوليد ^(٢) :

فِي عَسْكَرٍ تُشْرِقُ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ بِهِ كَاللَّيْلِ أَنْجُمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْلُ
وقال ابن المعتز وترك الليل والنجوم ^(٣) :

إِذَا شِئْتُ أَوْقَرْتُ أَلْبِلَادَ حَوَافِرًا وَسَارَتْ وَرَائِي هَاشِمٌ وَنِزَارُ
وَعَمَّ السَّمَاءَ النَّقْعُ حَتَّى كَانَهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرَّمَاحِ شَرَارُ
وقال المتنبّي ^(٤) :

فَكَأَنَّمَا كُوسِي النَّهَارُ بِهَا دُجَا لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرَّمَاحُ كَوَاكِبَا
فهؤلاء فحول الشعراء المعدودون ، ينبغي أن تتأمل كيف حالهم في
المشي على أثر ذلك الشاعر الفريد ، وقد ضربت صفحاً عن كثير تناولوا ذلك
التشبيه كيفما [تناولوه] ، وبيت بشار المذكور من قصيدة موجود بعضها في
الكتب ، وهي من الشعر الرّصين الذي يعرب عن نفسه بدرجة براعته ، فرأيت
إثبات ما وجدت منها ؛ ليتخذهُ طلاب الأدب سراجاً يمشون في ضوئه ،
قال ^(٥) :

جَفَا وَدَّهُ فَازُورٌ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ وَأَزْرَى بِهِ أَلَّا يَزَالَ يُعَاتِبُهُ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣١/٢) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٣١/٢) .

(٣) انظر « ديوان ابن المعتز » (٦٥/١) .

(٤) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٨٢) .

(٥) انظر « ديوان بشار بن برد » (٣٢٥/١) .

خَلِيلِي لَا تَسْتَكْثِرَا لَوْعَةَ الْهَوَى
إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى
رُوَيْدًا تَصَاهَلُ بِالْعِرَاقِ جِيَادِنَا
ومنها :

وَسَامٍ لِمَرْوَانَ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا
أَحَلَّتْ بِهِ أُمَّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لِسُخْطِنَا
رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُثَقَفٍ
وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْحَصَى
ومنها :

غَدُونَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِذْرِ أُمَّهَا
بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ
ومنها :

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ إِنَّا
فَرَاخُوا فَرِيْقٌ فِي الْأَسَارَى وَمِثْلُهُ
إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ

وَلَا سَلْوَةَ الْمَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهُ
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
ظَمِئَتْ وَأَيُّ النَّاسِ تَضْفُو مَشَارِبُهُ
كَأَنَّكَ بِالضَّحَّاكِ قَدْ قَامَ نَادِبُهُ^(١)

وَهَوُلٌ كَلَجِ الْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ
بِأَسْيَافِنَا إِنَّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهُ
وَرَأَقَبْنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهُ
وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي الدِّمَاءَ مَضَارِبُهُ
وَبِالسُّوْكِ وَالْخَطِي حُمْرًا تُعَالِبُهُ

تُطَالِعُهَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهُ
وَتُذْرِكُ مَنْ نَجَى الْفِرَارُ مَثَالِبُهُ

بَنُو الْمَوْتِ خَفَاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ
قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَادَ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ
مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهُ

(١) هذا البيت ليس في « ديوانه » ، وهو زيادة من « معاهد التنقيص » (٢٩/٢) .

قال بعض رُجَّازِ الْعَرَبِ^(١) :

[من الرجز]

وَالشَّمْسُ كَالْمِرَاةِ فِي كَفِّ الْأَشْلُ

ومنهُ أَخَذَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ قَوْلَهُ^(٢) :

[من الكامل]

سَيْفًا صَقِيلًا فِي يَدِ رَعَشَاءِ

وَالشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ الْأَرَائِكِ قَدْ حَكَتْ

[من البسيط]

وَالشَّهَابُ التَّلْعَفَرِيُّ قَوْلَهُ^(٣) :

أَخْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الدَّهْشِ

أَفْدِي الَّذِي زَارَنِي فِي اللَّيْلِ مُسْتَتِرًا

مِرَاةً تَبْرِ بَدَتْ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

وَلَا حَتَّ الشَّمْسُ تَحْكِي عِنْدَ مَطْلَعِهَا

[من المديد]

وإدريسُ بنُ اليمانيِّ العبدِيُّ قَوْلَهُ :

أَذْهَبَتْ مَا بِي مِنَ الْعَطَشِ

قُبْلَةً كَانَتْ عَلَى دَهْشِ

لَوْ عَدَّتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَعِشِ

وَلَهَا فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ

خِلَعًا مِنْ جِلْدَةِ الْحَبَشِ

طَرَقْتَنِي وَالذُّجَالَ بَسِ

دِزْهَمٌ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

وَكَأَنَّ النَّجْمَ حِينَ بَدَا

[مِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ]

وَمِنْ التَّشْبِيهِ نَوْعٌ سَمَّوْهُ تَشْبِيهًا ضَمْنِيًّا أَوْ مَكْنِيًّا عَنْهُ ، كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ

[من الوافر]

يُخَاطَبُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ ابْنَ حَمْدَانَ^(٤) :

كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالِ

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا

(١) هو الشماخ الذبياني رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ٣٩٤) .

(٢) انظر « ديوان القاضي الفاضل » (ص ٤٤٠) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٣/٢) .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٠٧) .

فَإِنَّ تَفْوقَ الْأَنَامِ وَأَنْتَ مِنْهُمُ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
فقد تَضَمَّنَ احتِجَاجُهُ لدَعْوَاهُ تشبِيةَ الممدوحِ بالمِسْكِ في أنْ كَلَّأَ مَبَايِنُ
لأَصْلِهِ بخصائصَ جعلتهُ حَقِيقَةً منفردةً ، واستعملَ هَذَا التَّشْبِيةَ مَرَّةً ثَانِيَةً في
نَفْسِهِ حيثُ يَقُولُ (١) :

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامِ
وَمِنَ الطَّرَائِفِ : مَا يُحْكِي : أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَالَ لِأَبِي الطَّيِّبِ : إِنَّ الْقَافِيَةَ
الْجَائِثَكَ إِلَى مَقَابِلَةِ الْمُسْتَقِيمِ بِالْمُحَالِ ، وَإِنَّمَا يَقَابِلُهُ الْمُعَوِّجُ ، وَمَاذَا كُنْتَ
تَقُولُ فِي قَافِيَةِ الْبَيْتِ الثَّانِي لَوْ قُلْتَ فِي الْأَوَّلِ : كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي اعْوِجَاجٍ ؟
فَقَالَ : كُنْتُ أَقُولُ : فَإِنَّ الْبَيْضَ بَعْضُ دَمِ الدَّجَاجِ .

ثُمَّ إِنَّ الْمَقَابِلَةَ صَاحِبَةٌ ؛ إِذِ الْمُحَالُ فِي اللُّغَةِ : هُوَ الْمَصْرُوفُ عَنْ جِهَةٍ
قَصْدِهِ ، فَهُوَ مُعَوِّجٌ ، وَالْمُحَالُ بِمَعْنَى الْمَمْتَنَعِ . . اسْتِعْمَالَ اصْطِلَاحِيٍّ بَيْنَ
أَهْلِ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَلَيْسَ لُغَوِيًّا .

ومثل قول محمد بن وهب (٢) :

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَهُ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُمْتَدِّحُ
يُسَمَّى : التَّشْبِيةَ الْمَقْلُوبِ .

ومثل قول أبي الطيب (٣) :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عُنْبَرًا وَرَنْتَ غَزَالًا
التَّشْبِيةَ الْمَفْرُوقِ .

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٧٣) .

(٢) هو محمد بن وهيب الحميري ، كما في « شعراء عباسيون » (٦٩/١) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٠٧) .

[من الطويل]

ومثلُ قولِ امرئِ القيسِ^(١) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ ...

التشبيهُ الملفوفُ .

[من الطويل]

ومثلُ قوله^(٢) :

حَمَلْتُ زُدَيْنِيَا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

تشبيهُ التفصيلِ .

وقد يُتْرَكُ التشبيهُ إلى الحُكْمِ بالتشابهِ ؛ فِرَاراً مِنْ تَرْجِيحِ أَحَدِ الْمَتَسَاوِيَيْنِ

في رأيِ المُتَكَلِّمِ ، مثلُ قولِ الصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ عَبَّادٍ^(٣) : [من الكامل]

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ

فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ وَكَأَنَّمَا قَدْحٌ وَلَا خَمْرُ

وعن هذا المعنى عَبَّرَ بعضُ المغاربةِ بقوله^(٤) :

خَفِيَتْ عَلَى شُرَابِهَا فَكَأَنَّمَا يَجِدُونَ رِيّاً مِنْ إِنَاءٍ فَارِغٍ

ومثلُ قولِ أبي إسحاقِ إبراهيمَ بنِ هلالِ الصَّابِئِ^(٥) : [من الطويل]

تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَبِالْخَمْرِ أَسْبَلْتُ جُفُونِي أَمْ مِنْ عَبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ

(١) تقدم تخريجه قريباً (٣٤/٢) ، والبيت بتمامه :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ زَطْباً وَيَابِئاً

(٢) كذا في « معاهد التنصيص » (٩٢/٢) .

(٣) انظر « ديوان الصاحب » (ص ١٧٦) .

(٤) هو جعفر المصحفي ، كما في « نفع الطيب » (٥٩٤/١) .

(٥) انظر « معاهد التنصيص » (٥٩/٢) .

وَمِنَ الْمُشَبَّهِ بِهِ : مَا يَكُونُ أَمْرًا وَهَمِيًّا يَحْضُلُ بِهِ غَرَضُ التَّشْبِيهِ ؛ كَقَوْلِ
امْرِئِ الْقَيْسِ فِي تَشْبِيهِ النَّبَالِ (١) :

وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

يُحْكِي : أَنَّ بَعْضَ الْمُلْحَدِينَ الَّذِينَ يَتَهَالَكُونَ فِي طَلَبِ مَثَلَبَةٍ يَمِيلُونَ بِهَا
إِلَى الْقُرْآنِ . . قَالَ فِي مَجْلِسِ بَعْضِ الْمُلُوكِ : مَا حُسْنُ التَّشْبِيهِ بِمَا لَا يَعْرِفُهُ
النَّاسُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيْطَانِ ﴾ !؟ (٢) .

فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْحَاضِرِينَ : انصَبُوا لِي مِنْبَرًا أَجِيبُ فَوْقَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ
هَذَا ، فَلَمْ يَزِدْ حِينَ عَلَاهُ أَنْ أَنْشَدَ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ هَذَا ، فَحَرَسَ الْمُلْحِدُ ،
وَفَرَخَ الْمَجْلِسُ .

وَقَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمْ بِأَمْرِ اخْتِرَعُهُ ؛ كَقَوْلِ الصَّنُوبَرِيِّ (٣) : [من مجزوء الكامل]

وَكَأَنَّ مُخَمَّرَ الشَّقِيهِ قِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ
أَعْلَامُ يَأْقُوتِ نُشِرِ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدِ

وَقَوْلِ الْقَاضِي التَّنُوحِيِّ وَهُوَ مِنْ الْعِبَارَاتِ النَّيِّرَةِ (٤) : [من المتقارب]

وَرَاخٌ مِنَ الشَّمْسِ مَخْلُوقَةٌ تَضَمَّنَهَا قَدْحٌ مِنْ نَهَارِ
هَوَاءٌ وَلَكِنَّهُ جَامِدٌ وَمَاءٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ جَارِ
كَأَنَّ الْمُدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا مَالَ بِالشَّرْبِ أَوْ بِالْيَسَارِ

(١) انظر « ديوانه » (ص ٣٣) والبيت بتمامه :

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي

(٢) سورة الصافات : (٦٥) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٤/٢) .

(٤) انظر « يتيمة الدهر » (٣٩٧/٢) .

وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

تَدْرَعُ ثَوْباً مِنْ أَلْيَاسِمِينَ لَهُ فَرْدٌ كُمْ مِنْ أَلْجُلْنَارِ

وهذا وإن كان حسناً للكثرة ليس في الفضلِ مثل قولِ

ابن الرومي^(١) :

وَلَا زَوْرِدِيَّةٌ تَزْهُو بِزُرْقَتِهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ اليَوَاقِيتِ

كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتِ ضَعْفَنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتِ

فالتشبيهُ بين الأشياءِ المُحَقَّقةِ أدلُّ على النَّباهِ ، وأعجبُ للنفوسِ ، ووقع

هذا التشبيهُ لشاعرٍ آخَرَ ، ولكنَّ لَيْسَتْ عِبَارَتُهُ فِي سَلَاةِ عِبَارَةِ ابْنِ الرُّومِيِّ ،

قَالَ^(٢) :

بَتَفْسِخٍ بِذِكِّي الْمِسْكِ مَحْضُوصٌ مَا فِي زَمَانِكَ إِنْ [وَافَاكَ] تَنْغِيصُ

كَأَنَّمَا شَعَلُ الْكِبْرِيتِ مَنْظَرُهُ أَوْ خَدُّ أَعْيَدَ بِالتَّخْمِيشِ مَقْرُوصُ

[مِنْ شَوَاهِدِ التَّشْبِيهِ]

هذا ؛ وليسَ كُلُّ ما فِيهِ الكَافُ أو (كَأَنَّ) .. يُعَدُّ فِي نَظَرِ أَهْلِ صِنَاعَةِ

الكلامِ العارفينَ بِها الواقفينَ على أسرارِها الملتفتينَ إلى دقائقِها ، وإنَّما

التشبيهُ ما جَلَّتْ فائِدَتُهُ ، وَحَسُنَ مَوْقَعُهُ مِنْ غَرَضِهِ ، واعتبرُ هذا بتشبيهاتِ

نَخْتِمُ بِها شَوَاهِدَ التَّشْبِيهِ ؛ قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ^(٣) :

وَلَمَّا بَدَا لِي مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ الْعِدَا عَلَيَّ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكَ بَدِيلُ

صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمِي تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلُ

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (٣٩٤/١) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٥٧/٢) .

(٣) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (١٤٤/٣) .

ولراشد ابن حَكِيمَةَ الكَاتِبِ حَيْثُ انْتَهتْ بِهِ السِّنُّ إِلَى ضَعْفِ عَضْوِ
التَنَاسُلِ^(١) :

يَنَامُ عَلَى كَفِّ الْفَتَاةِ وَتَارَةً لَهُ حَرَكَاتٌ لَا يُحْسِنُ بِهَا الْكَفُّ
كَمَا يَزْفَعُ الْفَرْخُ ابْنُ يَوْمَيْنِ رَأْسَهُ إِلَى أَبِيهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الضَّعْفُ
ولم يبقَ في أيدي الناسِ إذ ذاكَ مِنْ شعرِ راشِدٍ هَذَا . . . إِلَّا شعْرُهُ فِي
هَذَا المعنى ، وهو كثيرٌ ، وفيه محاسنٌ ، وتناقله المؤلّفون في كتبِ
الأدب .

وقال ابنُ الرُّومِيِّ^(٢) :

مَا أَنْسَى لَا أَنْسَى خَبَازًا مَرَزْتُ بِهِ مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كُرَةً
يَذُحُو الرُّفَاقَةَ وَشُكَّ اللَّحْمِ بِالْبَصْرِ وَمَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا قَوْزَاءَ كَالْقَمَرِ
فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُلْقَى فِيهِ بِالْحَجَرِ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ
وقال ابنُ رَشِيقٍ^(٣) :

وَمُهْفَهْفٍ يَحْمِيهِ عَن نَّظْرِ الْوَرَى أَوْ مَا إِلَيَّ أَنْ أُتِنِّي فَأَتَيْتُهُ
عَيْرَانُ سُكْنَى الْمَلِكِ تَحْتَ قِبَابِهِ وَالْفَجْرُ يُنْظَرُ مِنْ خِلَالِ [نِقَابِهِ]^(٤)
فَضَمَّمْتُهُ لِلصَّدْرِ حَتَّى [أَسْتَوْهَبْتُ] مَنِّي ثِيَابِي [بَعْضَ] طَيْبِ ثِيَابِهِ
وَكَأَنَّ قَلْبِي مِنْ وَرَاءِ ضُلُوعِهِ

(١) انظر « ثمار القلوب » (٣٦٧/١) ، و« فوات الوفيات » (١٨/٢) وفيه : (راشد بن إسحاق . . . بلقب
أبا حَكِيمَةَ) .

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (١١١٠/٣) .

(٣) انظر « ديوان ابن رَشِيق » (ص ٤٦ - ٤٧) .

(٤) في الأصل : (سحابه) .

وَمِنْ أَحْسَنِ التَّشَابِيهِ فِي خَفْقَانِ الْقَلْبِ : قَوْلُ مَنْ قَالَ ^(١) : [من الطويل]

وَلِي كَبِدٌ حَرَّى وَنَفْسٌ كَأَنَّهَا بِكَفِّ عَدُوٍّ مَا يُرِيدُ سَرَاحَهَا

كَأَنَّ عَلَى قَلْبِي قَطَاةً تَذَكَّرْتُ عَلَى ظَمًا وِرْدًا فَهَزَّتْ جَنَاحَهَا

والتشبيه الذي يكون المُشَبَّه به فيه مُرَكَّبًا ، فيكون وجه الشبّه مُنْتزِعًا مِنْ

المجموع .. يُسَمَّى : تشبيه التمثيل ؛ فمتى حذفت منه المُشَبَّه والأداة .. صار

استعارة تمثيلية ، ومتى صَلَحَ لأن يُسْتَعْمَلَ في مواضع كثيرة استشهاداً أو

استرواحاً وتأسيّاً .. سُمِّيَ : مَثَلًا ، قال ^(٢) : [من الطويل]

كَمَا أُبْرِقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ فَلَمَّا رَأَوْهَا أَفْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ

وقال آخر ^(٣) : [من الوافر]

هَجَرْتُكَ لَا قَلِيَّ مِنِّي وَلَكِن رَأَيْتُ بَقَاءً وُدِّكَ فِي الصُّدُودِ

كَهَجَرِ الْحَائِمَاتِ الْوِرْدَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الْمَنِيَّةَ فِي الْوُرُودِ

تَفِيضُ نَفُوسَهَا ظَمًا وَتَخْشَى حِمَامًا فَهِيَ تَنْظُرُ مِنْ بَعِيدِ

فلو قلت : هجرت الحائمات الورد حين رأيت الأرصاء ، فهي تنظر سبب

حياتها وتخشى سبب موتها .. كان استعارة تمثيلية ، كما قيل أخذاً من

هذا : [من الوافر]

أَرَى مَاءً (البيت) ^(٤) .

(١) هو ديك الجن في « ديوانه » (ص ١٠٢) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٥١/٢) .

(٣) انظر كتاب « المحب والمحبوب » للسري الرفاء (٧٠/٢ - ٧١) .

(٤) تقدم (٢٥/٢) ، والبيت بتمامه :

أَرَى مَاءً وَيِي ظَمًا شَدِيدٌ وَلَكِن لَّا سَبِيلَ إِلَيَّ الْوُرُودِ

[مِنْ أَمْثَلَةِ الْإِسْتِعَارَةِ]

وكفالك هذا القدرُ مِنْ أَمْثَلَةِ التَّشْبِيهِ مِيعَاراً تَعْرِفُ بِهِ جُودَةَ مَا يَرِدُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، ولنمضِ بِكَ حَيْثُذِي فِي أَمْثَلَةِ الْإِسْتِعَارَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) .

الباطلُ : هُوَ الْأَحْكَامُ الَّتِي مِنْ جَهْتِهَا يَدْخُلُ الْفَسَادُ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي هِيَ صَلَاحُ الْكَافَّةِ ، وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ ؛ فَالْحَقُّ خِلَافُ الْبَاطِلِ ، وَزَهُوقُ نَفْسِ الْحَيِّ مَفَارِقَتُهَا بَدَنُهُ ، وَالْبَاطِلُ لَيْسَ حَيَوَانًا ، فَيَكُونُ لَفْظُ الزُّهُوقِ مُسْتَعْمَلًا فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ ؛ وَهُوَ اِضْمَحْلَالُ الْبَاطِلِ وَذَهَابُهُ مِنَ الْكُونِ ، فَيَعْرِفُنَا هَذَا أَنَّ الْبَاطِلَ قَدْ شَبَّهَ بِذِي رُوحٍ يَكُونُ بِهِ حَيًّا يَعْمَلُ أَعْمَالَهُ الَّتِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِعَمَلِهَا ، وَتَفَارِقُهُ فَلَا يَسْتَطِيعُ عَمَلًا ؛ فَالْإِسْتِعَارَةُ مَكْنِيَّةٌ حَيْثُ كَانَ الْمَذْكُورُ فِي الْكَلَامِ مِنْ طَرَفِي التَّشْبِيهِ هُوَ الْمُشَبَّهَ ، وَالْمُشَبَّهُ بِهِ غَيْرُ مَذْكُورٍ ، مَشَارًّا إِلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ خَاصَّةً ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْمُسَمَّى : قَرِينَةُ الْمَكْنِيَّةِ .

ويظهرُ لك مِنَ التَّقْرِيرِ : أَنَّهُ هُنَا اسْتِعَارَةٌ تَحْقِيقِيَّةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ تَبَعِيَّةٌ ، وَهَذَا الْكَلَامُ مَعَ شِدَّةِ اِخْتِصَارِهِ يَفِيدُ بِسَبَبِ الْإِسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ مَا لَا تَفِيدُهُ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ (ذَهَبَ الْبَاطِلُ) ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمَ أَسْرَارِ الصَّنَاعَةِ الْكَلَامِيَّةِ .. يُخَيَّلُ لَهُ أَنَّ الْكَلَامَ لَوْ كَانَ (جَاءَ الْحَقُّ وَذَهَبَ الْبَاطِلُ) .. كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى حَسَنِ (الْمَطَابَقَةِ) الَّتِي هِيَ مِنَ الْوَجْهِ الَّتِي تَكْسُو الْكَلَامَ حَسَنًا ، كَمَا يُعْرَبُ عَنْهُ فَنُ الْبَدِيعِ ، وَيَكُونُ كَقَوْلِهِ قَبْلُ : ﴿ أَدْجَلِي مُدْخَلٌ صِدْقٍ وَأَخْرَجِي مُخْرَجٌ صِدْقٍ ﴾ (٢) .

وبيانُ ما تَفِيدُهُ الْإِسْتِعَارَةُ الْمَكْنِيَّةُ : هُوَ تَصْوِيرُهَا لِفِكْرِ الْمُتَعَقِّلِ الْبَاطِلَ فِي

(١) سورة الإسراء : (٨١) .

(٢) سورة الإسراء : (٨٠) .

صورة وقوة الحق الذي يبطلها ويزيلها ، وأنه يجب أن يكون إلهياً ، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِرَبِّكَ فَلَوْ هَمَّ وَوَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ (١) ، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَوَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (٢) .

وطريق تصوير الباطل في صورته : أنه لما شبَّهه بذي روح دون تخصيص حيوانٍ . . أوجب أن يلتفت فكرك إلى سائر أنواع الحيوان وخواص كل نوع ، وحينئذ تقول : الباطل مثل السباع العادية افتراساً مجاهرة أو ختلاً أو بالمكر والحيلة ، فتشبهه باطلاً بأسد ، وباطلاً بذئب ، وباطلاً بثعلب ، وباطلاً بغراب وحداة ، وباطلاً بشور وحمار . . . إلى غير ذلك ، وأشد الباطل وأنكره ما يكون شبه الإنسان ؛ حيث كان الإنسان جامعاً لسائر خصائص جميع الأنواع ؛ فالبعض يعمل بالقهر والعدوان والسلطة ، والبعض بالمكر والحيلة والتملق ، والبعض بالاختلاس والاختتال والاختطاف .

مثلاً : قبيلة طييء أو قبيلة نَمير كثر فيها العَدَدُ والعُدُدُ ، وقبائل أخرى دونها ، فكان من أحكامها الباطلة التي تُنفذها بالقهر والسلطة فتشبه السبع . . أنه إذا قتل واحد من القبيلة الضعيفة واحداً من القبيلة القويّة ؛ فإنما أن يطلبوا منهم للقتل في ثأر قبيلتهم عشرة أو عشرين ، فإن سلّموا وإلا . . صبّحتهم الخيل بالغارة ، فقتلوا الرجال ، وسبوا النساء جوارى ، والأولاد عبيداً ، فربما أفنت قبيلة قبيلة ، وأن حُرَّ الضعيفة وإن لم يكن القاتل بعبد القويّة ، وأن الشيء المغصوب يُسترَدُّ مضاعفاً . . . إلى غير ذلك من الأحكام التي تُطلِعُك عليها تواريخ تلك الأمة .

ومن الباطل الذي يحسن تشبيهه بحيوانات المكر والحيلة والختل : ما

(١) سورة الأنفال : (٦٣) .

(٢) سورة الأنفال : (١٧) .

يَصْدُرُ عَنِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ ، فَيَدَّعُونَ أَنَّهُ تَعَالَى شَأْنُهُ اخْتَصَّصَهُمْ بِأَسْرَارِ أَهْلَتَهُمْ لِيَكُونُوا رُؤَسَاءَ يَنْظُرُونَ فِي مَصَالِحِ جَمْعٍ مِنَ النَّاسِ وَتَكْمِيلِ أَرْوَاحِهِمْ ، وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ طَرِيقَةً إِلَى أَغْرَاضِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ بِاسْتِعْبَادِ ذَلِكَ الْجَمْعِ وَتَسْيِيرِهِ فِي تَحْصِيلِهَا مُخْتَلِينَ لَهُمْ أَنَّهُمْ فِي طَاعَةِ خَالِقِهِمْ ، وَمِنْ بَاطِلٍ بَعْضٍ هَؤُلَاءِ مَا يَحْسُنُ تَشْبِيهُهُ بِالْإِنْسَانِ .

وَأَمَّا الْبَاطِلُ الَّذِي يَحْسُنُ تَشْبِيهُهُ بِأَغْبِيَاءِ الْحَيَوَانَاتِ : فَهُوَ بَاطِلٌ أَوْلَتْكَ النَّاسِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِالْإِنْحِيَاظِ إِلَى بَعْضِ الظُّلْمَةِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْعَامَ بَازًا لِصَيْدِهِ تَصَيَّدَهُ الضَّرْعَامُ فَيَمَنْ تَصَيَّدًا (١)

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْدَرَ كَلَامَ اللَّهِ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَيَعْرِفَ مَقَاصِدَ الْبَلَاغِ الْمَعْدُودِينَ . . . لَزِمَهُ أَلَّا يَنْصَرِفَ بِالنَّظَرَةِ الْحَمَقَاءِ ، بَلْ يُكْرِّرَ الْفِكْرَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَوَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، حَتَّى يَقِفَ عَلَى أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ .

قَالَ صَاحِبُ « الْمَثَلِ السَّائِرِ » : (كُنْتُ أَقْرَأُ فِي الْيَوْمِ خْتَمَةً ، ثُمَّ فِي الشَّهْرِ ، ثُمَّ فِي السَّنَةِ ، ثُمَّ هَلَانَا أَقْرَأُ فِي خْتَمَةٍ مِنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَلَمْ أَفْرُغْ مِنْهَا ، وَكَلَّمَا أَعَدْتُ النَّظَرَ . . . ظَهَرَ لِي مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ظَهَرَ) .

وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْاسْتِعَارَةُ مَقْرُونَةً بِأُخْرَى فِي قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (٢) .

فِيهِ اسْتِعَارَتَانِ مَكْنِيَّتَانِ ، مِنْ جِهَتَيْهِمَا يَخْرُجُ بِكَ الْفِكْرُ إِلَى تِلْكَ الْمَعَانِي ، فَتَفَاوُتُ الْبَاطِلِ الَّذِي هُوَ كَتَفَاوُتِ الْحَيَوَانَاتِ . . . يُوجِبُ التَّفَاتُكَ إِلَى التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْأَحْجَارِ الْمَقْدُوفَةِ ؛ فَالْفِيلُ لَا يَدْمَعُهُ الْحَجَرُ الَّذِي يَدْمَعُ الثَّعْلَبُ .

(١) من الطويل ، وهو للمتنبي في « ديوانه » (ص ٢٨١) .

(٢) سورة الأنبياء : (١٨) .

وبما تَقَرَّرَ تَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْاِقْتِصَارُ عَلَيَّ أَنْ تَقُولَ : شَبَّهَ كَذَا بِكَذَا ،
وَاسْتَعِيرَ كَذَا لِكَذَا .

وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

كلمة (الشفاء) التي معناها زوال المرض تخبرنا أنَّ في الآية استعارتين :
فإن كان المعنى : ونزل من القرآن آيات تشفي الجهلاء المؤمنين ..
فالاستعارتان مَكْنِيَّتَانِ ؛ الأولى : أصلية ، والثانية : تبعية .
وإن كان المعنى : ونزل من القرآن أدوية تشفي المرضى المؤمنين ..
فالاستعارتان مُصَرَّحَتَانِ ؛ أصلية ، وتبعية .

وفيه - كما صار لا يخفى عليك - التنبية على تفاوت الجهالات والبراهين
كتفاوت الأمراض والأدوية ؛ فمن الجهل ما يزول بالإشارة ، ومنه ما يحتاج
زواله إلى العبارة ، وربما لم يجد إلا تضافر الأدلة .

ويُنَوِّرُ عَلَيْكَ هَذَا النَّظَرَ إِلَى مَبْدَأِ تَحْصُلِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا
عَلَى أَكْمَلِ مَا يَكُونُ مِنْ خِصَائِصِ الْإِنْسَانِيَةِ قَامَ يَدَّعِي أَنَّ أَمْرًا سَمَاوِيًّا جَاءَهُ
بِغْتَةً يُعَلِّمُهُ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ وَيُرْشِدَهُمْ إِلَى مِصَالِحِهِمْ ، فَارْتَاعَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
أَخْبَرَ بِمَا رَأَى السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ ، فَآمَنَتْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهَا ،
قَائِلَةً : كَلَّا وَاللَّهِ ؛ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ،
وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَهَذِهِ السَّيِّدَةُ وَأَشْبَاهُهَا مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ اِكْتَفَوْا فِي تَصْدِيقِ دَعْوَاهُ بِتَصَوُّرِ أَنَّ مَنْ كَانَ مِنَ الْكِمَالَاتِ فِي تِلْكَ
الدرجَةِ .. لَا يَكُونُ أَمْرُهُ شَيْطَانِيًّا .

وغير هؤلاء احتاجوا إلى إبانات وتنويرات مختلفة حسب ما يظهر لك

(١) سورة الإسراء : (٨٢) .

مِنَ الاِطِّلاَعِ عَلَى تَوَارِيخِ إِسْلَامِ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى قِيلَ : أَقْلُ الْإِيمَانِ فَضلاً
الْإِيمَانُ عَنِ الْمَعْجَزَةِ .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَيْكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

على : حرفٌ موضوعٌ لِيُستعملَ في ارتباطاتٍ جزئيةٍ بينَ شيءٍ وما قرَّرَ
فوقَهُ ؛ الجبالُ على الأرضِ ، وجدارٌ على أساسٍ ، وإنسانٌ على دابَّةٍ ، والهُدَى
هنا : هو الأمرُ الذي كانَ سبباً في جزمِ المؤمنِ بحقيَّةِ ما أمرَ به مِن اعتقادٍ
وقولٍ وعملٍ ، وإنَّ ذلكَ يصلُ بِهِ مِنَ السَّعَادَةِ إلى الغايةِ التي أُعدَّتْ لَهُ .

فإن كانَ الغرضُ : تشبيهُ ارتباطِ المؤمنِ بذلكَ السببِ الذي هو البرهانُ
أو العيانُ الكشفيُّ ، بالارتباطِ بينَ الجبلِ والأرضِ مثلاً . . فالاستعارةُ
تبعيَّةٌ ؛ فإنَّ فكرَكَ يقولُ : الارتباطُ كالارتباطِ ، وهذا الارتباطُ المطلقُ
الذي جرى فيه التشبيهُ ليسَ معنى الحروفِ ، ولكنَّ جزئياتهُ ، وإذا جرى
تشبيهُ المطلقِ بالمطلقِ . . فألبتةً يَحْضُلُ تشبيهُ الجزئياتِ بالجزئياتِ ،
فالحاصلُ مدحُ المتقينَ الذينَ يؤمنونَ بالغيبِ . . . إلى آخرِهِ بالثباتِ وتَمَامِ
الاستقرارِ ، كما هو صفةُ الجبالِ ، ولا يَذْهَبُ عليك ملاحظةُ الإشارةِ إلى
التفاوتِ .

وإن كانَ الغرضُ : تشبيهُ الهدى الذي يصلُ بصاحبه إلى تلكَ الغايةِ ،
بالمطيَّةِ التي تصلُ براكبها إلى مقصدهِ . . فالاستعارةُ مكنيَّةٌ ، ومِن قبيلِ
هذه الاستعارةِ قولُهُم : ركبَ مطيَّةَ الجهلِ وغوى ، واقتعدَ غاربَ الهوى ،
وقوله (٢) :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعُغْرِي أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاجِلُهُ

(١) سورة البقرة : (٥) .

(٢) هو زهير بن أبي سلمى في «ديوانه» (ص ١٠١) .

وقال تعالى : ﴿ حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً ﴾ (١) .

الختم والطبع يدلُّ على تشبيه القلوبِ بصناديقٍ مثلاً ؛ ففي الكلامِ استعارةٌ مكنيةٌ ، قرينتها لفظُ (حتم) ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ أولئك بمنزلةِ الجماداتِ ؛ بحيثُ إنَّها لو كانَ فيها شيءٌ . . لم تكن مُنتفِعةً به ، وقد جُعِلتْ بحيثُ لا يمكنُ أن يَدْخُلَ فيها شيءٌ ، فلا يَطْمَعُ طامعٌ في إيمانِهِمْ .

وعلى تشبيهِ القلوبِ بالمُستودعاتِ أو المساكنِ مثلاً قوله تعالى : ﴿ وَكَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلامُ : « لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ » (٣) .

إذا قلتَ : أدخلَ فلانٌ يدهُ في جُحْرٍ ، فلدغتهُ لادغةٌ ، ثمَّ أعادها فلدغتهُ مرَّةً ثانيةً . . فتلك استعارةٌ تمثيليةٌ ؛ أصلُها : أن تُشَبَّهَ بهذهِ الحالةِ حالةٌ مَنْ يُصابُ بمكروهٍ مِنْ أمرٍ ، ثمَّ يَحْمِلُهُ فَرَطُ الشَّهْوَةِ وَالطَّمَعِ عَلَى مُغَالِطَةِ نَفْسِهِ ، فيعودُ فيُصابُ بما أصابَهُ .

مثلاً : يأكلُ إنسانٌ طعاماً يَسْتَلِدُّهُ ، فلا يوافقُ مِزاجَهُ ، فيمرضُهُ ، فتحمِلُهُ اللدَّةُ منه على أن يقولَ : ذلكَ الوقتُ كانَ حارًّا ، وقد بردَ الزمنُ ، أو كانَ ذلكَ الانحرافُ عن الاعتدالِ بسببِ آخرَ .

يُحكى : أنَّ الجاحظَ كانَ على مائدةٍ بعضِ الأُمراءِ ومَعَهُمْ حَكِيمٌ ، فنهى الجاحظُ عن الجمعِ بينَ اللَّبَنِ وَالسَّمَكِ ، فقال الجاحظُ : إن كانا حارَّينِ أو باردَينِ . . فالأكلُ منهما كالإكثارِ مِنْ أحدهِما ، وإن كانا مُختلفَينِ . . عدَّلَ بعضُهُما بعضاً ، فقالَ الحَكِيمُ : أعرفُ أنَّ هذا

(١) سورة البقرة : (٧) .

(٢) سورة الحجرات : (١٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٣) ، ومسلم (٢٩٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

يَحْصُلُ عَنْهُ فِي الْعَادَةِ الْفَالِحُ ، وَلَسْتُ خَطِيباً ، فَأَصْبَحَ الْجَا حِظُّ مَفْلُوجاً
عفا الله عنه^(١) .

والاستعارة في كلام الله تعالى وفي كلام نبيه تجاوز حد الكثرة ،
وبمعرفتك معاني الألفاظ الأول ؛ فمتى وردت عليك الكلمة غير مُستعملة في
معنى أولي لها . . لزمك أن تقارن بين المعنيين مُتفكراً في الأمور المُشتركة
بين المعنيين ؛ لتعرف الغرض من الاستعارة .

[أمثلة للاستعارة من أشعار البلغاء]

وهذه أمثلة للاستعارة من أشعار البلغاء : قال امرؤ القيس^(٢) : [من الطويل]

وَبَيْضَةِ خِذْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلٍ
شَبَّهَ الْحَسَنَاءَ الْمَصُونَةَ فِي النَّضْرَةِ وَطِيبِ الْمَلَمَسِ بِالْبَيْضَةِ الْمَحْضُونَةِ ،
فَالِاسْتِعَارَةُ مُصْرَحَةٌ مُجْرَدَةٌ ، وَفِي قَوْلِهِ : (لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا) وَصَفَ نَفْسَهُ
بِغَايَةِ الشَّجَاعَةِ ، وَنَهَايَةِ الْجَسَارَةِ ، وَعَدَمِ الْمِبَالَةِ بِمَا يَكُونُ كَيْفَمَا يَكُونُ ؛
فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ خِبَاءَهَا مَمْنُوعٌ ، حَوْلَهُ الْحَرَسُ مُعْتَقِلِينَ الرِّمَاحَ ، قَابِضِينَ
عَلَى السَّيُوفِ ؛ بِحَيْثُ لَا يَرُومُهُ وَيَطْلُبُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَقَدْ وَصَلْتُ
إِلَيْهِ وَقَضَيْتُ مِنْهُ مَا رَبِي عَلَى مَهَلَةٍ وَاطْمَئِنَّا ، كَمَا صَرَخَ بِبَعْضِ ذَلِكَ فِي
قَوْلِهِ^(٣) :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

وهذا من الكناية كما ستقف عليه عند شرحها ، وقال^(٤) : [من الطويل]

(١) انظر « عيون الأنبياء » (ص ٢٥٣) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣) .

(٣) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٢) .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٨) .

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِضُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَرَادَ أَنْ يَصِفَ حَالَهُ مِنْ أَنَّ وَسَاوَسَ الْأَفْكَارِ وَبِلَابِلِ الْهُمُومِ لَمْ تَزَلْ تَشْتَدُّ
فِي تَقْلِيْبِهِ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ ، فَأَوْدَعَ ذَلِكَ فِي مَوْجِ الْبَحْرِ ، وَأَرَادَ أَيْضاً
أَنْ يَصِفَ اللَّيْلَ بِالطُّوْلِ كَمَا هُوَ حَالُهُ مَعَ الْعُشَاقِ وَالْمَهْمُومِينَ ، فَجَعَلَهُ قَارِئاً
ثَابِتاً غَيْرَ مُتَحَرِّكٍ ؛ حَيْثُ شَبَّهَ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ لِلْبَقَاءِ وَاللَّبْسِ ، فَاسْتَعَارَ
إِرْحَاءَ السُّدُولِ لِإِحَاطَةِ الظُّلْمِ بِهِ ، كَمَا اسْتَعَارَ لَهَا - وَالغَرَضُ وَاحِدٌ - بُرُوكَ
الْبَعِيرِ الْعَظِيمِ الْخَلْقِ الثَّقِيلِ الْجِسْمِ ، وَالسُّدُلُ - بضم أوله وكسره - السِّتْرُ ،
وَالكَلْكَلُ : الصَّدْرُ .

وَمِنْ اسْتِعَارَةِ بُرُوكِ الْجَمَلِ لِلثَّبَاتِ وَالْقَرَارِ . . قَوْلُ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَقَدْ
قِيلَ لَهُ : أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَغْيِيرِ الشَّيْبِ : ذَلِكَ وَالِدَيْنِ قُلٌّ ، فَأَمَّا
وَقَدْ ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ . . فَاْمَرُوْهُ وَنَفْسُهُ (١) .

جِرَانُ الْبَعِيرِ - بِكسْرِ أَوْلِهِ - : مَا أَمَامَ صَدْرِهِ ، وَيَضْرِبُ الْبَعِيرُ بِجِرَانِهِ حَيْثُ
يَأْخُذُ تَمَامَ رَاحَتِهِ .

وَقَالَ زَهَيْرٌ (٢) :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ
شَاكِي السَّلَاحِ : تَأْمُهُ ، فَاسْتِعَارَةُ الْأَسَدِ مُرْشِحَةً بِاللِّبَدِ وَالْأظْفَارِ ، وَلِبْدَةُ
الْأَسَدِ : شَعْرُهُ الْمُتَلَبِّدُ عَلَى كَتْفَيْهِ ؛ حَيْثُ يَكُونُ فِي شَبِيْبَتِهِ وَأَوْسَطِ سِنِّهِ ،
وَلَفْظُ (السَّلَاحِ) جَرَى اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَخَالِبِ وَالْأَنْيَابِ وَالْقُرُونِ . . . إِلَى

(١) انظر « التذكرة الحمدونية » (٢٨/٦) .

(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٣٠) .

غير ذلك من الأشياء التي خلقها الله للحيوانات تدافع بها عن نفسها ،
فلا يكون (شاكي السلاح) تجريداً ، ويكون قوله : (أظفاره لم تُقَلِّم)
بمنزلة التفسير ، كأنه قال : لدى أسدٍ صحيح الأظفار والأنياب في أوانٍ
شِدَّة قُوَّتِهِ ، وقال كثيرٌ عزةً أو غيره^(١) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
الأباطحُ تسيلُ بالماءِ ، والمأخوذُ بأطرافه نحو الرداءِ ، فأئِيّ تصويرِ تُصَوِّرُ
هاتانِ الاستعارتانِ مواصلةً الأحاديثِ بينَ الأحبَّةِ ، وأنها مع غايةِ فَرَحٍ وَأُنْسٍ
وملاعبةٍ ، وسهولةٍ سيرِ الإبلِ واندفاعها فيه ، وحسنِ هيئةِ اجتماعها على
كثرتها وملئها الأودية .

ومِنِ الاستعارةِ الأخيرةِ أَخَذَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ قَوْلَهُ - وقد فاتتُه سَلَاةُ هَاتِيكَ
العبارَةِ - فِي رَئِيسِ أَحَبَّتِي [وَأَعْوَانِهِ]^(٢) :

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارُهُ بِوُجُوهِ كَالدَّنَائِرِ
وفي كلمة (على) ما ليسَ في كلمةِ (إلى) ، وزيادةُ العربيِّ لفظَ الأَعْنَاقِ
التي هي مظهرُ الحركةِ أفادَ بها ابتهاجَهُمُ بِذَلِكَ المنظرِ .

وقال القطاميُّ مِنْ قَصِيدَتِهِ التي يقولُ في نسيبِها^(٣) :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثِ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بِأَدِي

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٣٤/٢) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١٣٥/٢) .

(٣) انظر « ديوان القطامي » (ص ٢٠٥) .

فَهَنَّ يَنْبُذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي

نَقْرِيهِمْ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ

الْقِرَى: طعامُ الضَّيْفِ، وَمَنْ قَرَى ضَيْفَهُ . . فقد أكرمَهُ، وحفظَ عليه حياته،
وَشَدَّ مِنْ قُوَاهُ، والمحاربُ مُهَيَّنٌ لأعدائه، مزيلٌ حياتَهُمْ، هادمٌ قُوَاهُمْ،
فالاستعارةُ التبعيَّةُ التصريحيَّةُ تهكميَّةٌ، وأصلُ هذه الاستعارةُ لعمرِو بنِ
كلثومٍ في «مُعَلَّقَتِهِ» (١):

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعَجَلْنَا الْقِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا

المِرْدَاةُ: اسمُ آلةٍ مِنْ: ردئٍ كرميٍّ وزناً ومعنى؛ وهي مِنَ الصَّخْرِ
الصُّلْبِ .

وَمِنَ التَّهْكَمِيَّةِ: قولُ بشارٍ السَّابِقُ (٢):

مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهُ

أصلُ العِتَابِ: معالجةُ الجلدِ بالدِّبَاغِ حتى يَصْلُحَ فراشاً ولباساً، وفي
المثلي: (إِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشْرَةِ) (٣)؛ يُضْرَبُ فِي النِّهْيِ عَنِ تَأْدِيبِ
مَنْ لَا يَخَافُ عَلَى عِرْضِهِ، وَلَا يَبَالِي بِفُوتِ شَرَفِهِ، نُقِلَ العِتَابُ إِلَى مَلَاطِفِ
الإخوانِ فِي التَّماسِ أَعْدَارِهِمْ عَمَّا يَصْدُرُ مِنْ هَفْوَاتِهِمْ؛ لتعودَ نقاوةُ أحوالِهِمْ
وطهارةُ ذاتِ بَيْنِهِمْ، وَأَيْنَ المُلَاطِفَةُ مِنْ طَعْنِ الرِّمَاحِ وَضَرْبِ السُّيُوفِ وَسَلْبِ
الأرواحِ!؟

(١) انظر «ديوان عمرو بن كلثوم» (ص ٩٨).

(٢) تقدم (٣٦/٢).

(٣) انظر «مجمع الأمثال» (١٤٦/١).

وقولُ بعضهم^(١) :

[من الوافر]

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ صَرَبٌ وَجِيعٌ

والسراج المنيرُ في التهكمية قوله جلَّ ذكره: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

ومن شريف الاستعارة وغريبها: قولُ يزيد بن مسلمة بن عبد الملك في

[من الكامل]

صفة فرسه^(٣) :

عَوَّدْتُهُ فِيمَا أَزُورُ حَبَائِبِي إِهْمَالُهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطِرِ

وَإِذَا أَحْتَبَبْتِي قَرَبُوسُهُ بِعِنَانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ

القَرَبُوسُ - بفتححتين - : قائمة السرج ، والشكيمُ : واحدهُ شكيمةٌ ؛ وهي

الحديدة في حنك الفرس العربي ، ليس عندهُ جدارٌ يُسندُ إليه ظهره ولا

وسادة ، فكان يقعدُ ناصباً فخذيه وساقيه ويدخلُ في جماله سيفه أو غيرها

مائلاً إلى خلفٍ ، فذلك استنادهُ ؛ وهو الاحتباءُ ، ومن كناياتهم : فلانٌ تحلُّ

له الحبا ؛ أي : هو شريفٌ يُقامُ له ، والحبوةُ : الاسمُ ، وفتح الحاء أكثرُ من

ضمِّها ، وقال كثيرٌ في المدح بكثرة العطاء^(٤) :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً غَلِقَتْ لِضِحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

الرداءُ : صاحبُ الإزار ، ومجموعُهُما الحُلَّةُ ، والغمْرُ كما يُقالُ للماءِ

الكثيرِ يُقالُ للشوبِ التامِ الشاملِ : ماءٌ غمْرٌ ، ورداءٌ غمْرٌ ، فليس الغمْرُ

كما قيلَ : ملائماً للعطاءِ وحدهُ حتى تكونَ استعارةُ الرداءِ له مُجرّدةً ،

(١) قيل : هو عمرو بن معديكرب رضي الله عنه . انظر «ديوانه» (ص ١٤٩) ، والبيت بتمامه :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلِ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ صَرَبٌ وَجِيعٌ

(٢) سورة آل عمران : (٢١) .

(٣) انظر «معاهد التنصيص» (١٣٢/٢) .

(٤) انظر «ديوان كثير عزة» (ص ٢٨٨) .

وقد استعارَ بعضُ العربِ الرداءَ للسياقِ في قوله^(١) :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو زُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بْنِ بَكْرِ
لِي الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي فَذُونَكَ فَأَعْتَجِرُ مِنْهُ بِشَطْرِ

ولأبي الوليدِ الشاطبيِّ في استعارةِ الرداءِ^(٢) :

فَوْقَ خَدِّ الْوَرْدِ دَمْعٌ مِنْ عُيُونِ الشُّحْبِ يُذْرَفُ
بِرِداءِ الشَّمْسِ أَضْحَى بَعْدَ مَا سَالَ يُجَفَّفُ



هذا ؛ وأمكنُ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّ أَحْسَنَ التَّشْبِيهِ وَالِاسْتِعَارَةِ مَا وَقَعَ مَوْقَعَهُ ؛
مِنْ غَرَضِ تَصْوِيرِ حَالِ الْمُشَبَّهِ وَالْمُسْتَعَارِ لَهُ ، وَالِإِبَانَةِ عَنْهَا بِجَزِيلِ
الْعِبَارَةِ وَلَطِيفِ السِّيَاقِ ؛ بَحَيْثُ لَا يَكُونُ قَصْدُ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى مُجَرَّدِ التَّشْبِيهِ
وَالِاسْتِعَارَةِ كَمَا هُوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّدِينَ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَبِرَ مَوَاقِعَهَا
بِإِطَالَةِ الْفِكْرِ ، وَإِمْعَانِ النَّظْرِ فِي كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ، وَفِي كَلَامِ مَنْ يَرِدُ
عَلَيْكَ بَعْضُ كَلَامِهِ مِنْ شِعْرَاءِ الْعَرَبِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ وَاقْتَفَى أَثْرَهُمْ مِنْ
الْمُؤَلِّدِينَ ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ لَكَ بِمَنْزِلَةِ الْمِحْكِ تَعْرِفُ بِهِ الزُّيُوفَ مِنَ الصِّحَاحِ
الْخِلَاصِ .

فَمِنْ جَيِّدِ كَلَامِ الْمُؤَلِّدِينَ : مِثْلُ قَوْلِ أَبِي طَاهِرِ الْبَغْدَادِيِّ^(٣) :

خَطَرْتُ تَكَادُ الْوُزُقُ تَسْجَعُ فَوْقَهَا إِنَّ الْحَمَامَ لَمَوْلَعٌ بِالْبَانَ
مِنْ مَعْشَرٍ نَشَرُوا عَلَى هَامِ الرُّبَى لِلطَّارِقِينَ ذَوَائِبَ النَّيْرَانِ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٠/٢) .
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٠/٢) .
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٩/٢) .

وهو مأخوذٌ مِنْ قولِ العربيِّ (١) :

[من الطويل]

مَنْ الزَّادِ فَضَلَاتُ تُعَدُّ لِمَنْ يُقْرَى
مِنَ النَّارِ فِي الظُّلْمَاءِ أَلْوِيَّةً حُمْرَا

يَبِيْتُونَ فِي الْمَشْتَى خِمَاصاً وَعِنْدَهُمْ
إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ طَارِقٌ رَفَعُوا لَهُ

ومثلُ قولِ المجدِّ الأربليِّ (٢) :

[من الكامل]

مُسْتَفْهِمًا عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالٍ
مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ الْعُدَالِ

أُضْغِي إِلَيَّ قَوْلِ الْعُدُولِ بِجُمْلَتِي
لِتَلْقُطِي زَهْرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُمْ

وهو مأخوذٌ مِنْ قولِ أَبِي الشَّيْصِ (٣) :

[من الكامل]

مَتَّأخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمَ
حُبًّا لِيَذْكُرِكَ فَلْيَلْمِنِي أَلْوَمٌ
مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرَمُ

وَقَفَ أَلْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي
أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٌ
وَأَهْنَتِنِي فَأَهْنَتْ نَفْسِي صَاغِرًا

ومِنْ قولِ أَبِي طَاهِرِ السَّابِقِ : قولُ بَعْضِهِمْ وَزَادَ إِحْسَانًا (٤) : [من الخفيف]

هَيَفِي قُلْتُ يَا رَشِيْقَ الْقَوَامِ
لَكَ لَغْنَتْ عَلَيْهِ وَزُقُ الْحَمَامِ

قَالَ لِي أَكْحَلُ اللَّوَاْحِظِ صِيفِ لِي
لَكَ قَدْ لَوْلَا جَوَارِحُ عَيْنَيْ

وكانَ الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَّادٍ كَثِيرًا ما يَتَمَثَّلُ بِقولِ عَصْرِيَّةِ عبدِ اللهِ

[من الوافر]

السلاميِّ :

وَجَدْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْأَثَامِ لَمَّا

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٩/٢) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٩/٢) .

(٣) انظر « ديوان أبي الشيص الخزاعي » (ص ١٠١) .

(٤) انظر « فوات الوفيات » (٢٧٧/٣) .

ويقول : ما درى قائله : أي دُرّة رمى بها ؟! وأي غرّة سيرها وخلدّها ؟! (١) .

وأقول : استحسان كل شيء حسب موافقة الهوى ، كما قيل (٢) : [من الخفيف]

إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوَى فِي الْفُرُودِ

وأراد السلامي : أنه لولا الذنوب . . لم يكن تحقق مُسمى العفو ، وتحقيقه

واجب حيث كان من الكمالات الإلهية ، ولكن الذنوب تُثمر أيضاً العقاب ،

كما ترى أن أكثر الشهوات كما تُثمر اللذة تُثمر الألم ، وقد استلب السلامي

قوله لهذا من قول الحسن بن هانئ الحكمي المشهور بأبي نواس شاعر

الرشيد (٣) :

فإِنَّكَ وَاجِدُ رَبًّا غَفُورًا

وَتَلْقَى سَيِّدًا مَلِكًا كَبِيرًا

تَرَكْتَ مَخَافَةَ النَّارِ الشُّرُورًا

تَكَثَّرَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا

سَتُبْصِرُ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ عَفْوًا

تَعَضُّ نَدَامَةً كَفَيْكَ مِمَّا

ولكن السلامي أوجز وأبدع .

[من الكامل]

قال مسلم بن الوليد في رثاء (٤) :

حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ دَارُوا

وَأَسْتَرْجَعَتْ نُزَاعَهَا الْأَمْصَارُ

أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

سَلَكْتَ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعَلَا

نَفَضْتَ بِكَ الْأَمَالَ أَخْلَاسَ الْمُنَى

فَأَذْهَبَ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ

هذا الشعر في أرفع طبقة وصل إليها شاعر !! مثل حال الممدوح

(١) كذا في « معاهد التنصيص » (١٥٧/٢) .

(٢) انظر « يتيمة الدهر » (٢٥٧/١) .

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (٢٠٤/٥) طبعة (فاغندر) .

(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣١٣ - ٣١٤) .

وَأَتْبَاعُهُ ؛ مِنْ اسْتِدَامَةِ تَحْصِيلِ الْكِمَالَاتِ وَاقْتِدَائِهِمْ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَمَّدَتْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ يَهْتَدِ الْعَرَبُ بَعْدَهُ إِلَى مَا كَانَ يُفْطِنُهُمْ لَهُ . . بِحَالِ قَوْمِ ذَوِي رَيْسٍ ، قَصَدُوا عَلَى أَثَرِهِ جِهَةً شَرِيفَةً ، فَلَمَّا غَابَ عَنْهُمْ سَيِّدُهُمْ . . رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَالْمُنْيَةَ - وَهِيَ مَا يُحِبُّ الْإِنْسَانُ وَيَتَمَنَّاهُ - لَمَّا كَانَتْ تَحْمِلُ صَاحِبَهَا عَلَى مَوَاصِلَةِ أَعْمَالِهِ وَتَجَدُّدِ آمَالِهِ . . حَسَنَ تَشْبِيْهِهَا بِالْمَرْكُوبِ ، وَالْحِلْسِ - بِكَسْرِ فَسْكَوَيْنِ - : كَسَاءٌ يُجْعَلُ تَحْتَ الْبِرْدَعَةِ ، وَنَفْضُ الْحِلْسِ : كِنَايَةٌ عَنِ الْإِقَامَةِ وَتَعْطِيلِ الدَّوَابِّ حَيْثُ لَمْ تَبْقَ لِلسَّفَرِ جَدْوَى ؛ كَالْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِمْ : (أَلْقَى عَصَا التَّسْيَارِ) ، وَفِي قَوْلِهِ : (فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ) مِنْ التَّفْجُوعِ وَالتَّأْسُفِ مَا لَا يَبْلُغُهُ قَوْلٌ ؛ أَي : مُشْكُورًا لِكُلِّ مَكَانٍ ، مَحْمُودًا بِكُلِّ لِسَانٍ .

وَمِنْ أَرْصَنِ الشَّعْرِ وَأَشَدِّهِ قَوْلُ عَرَبِيٍّ فِي الْمَحَاجَاةِ ^(١) :

وَدَاهِيَةَ دَاهِيٍّ بِهَا الْقَوْمَ مُفْلِقٍ شَدِيدٍ بِعَوْرَاءِ الْكَلَامِ أَرْوْمَهَا
أَصْحَتْ لَهَا حَتَّى إِذَا مَا وَعَيْتُهَا رَمَيْتُ بِأُخْرَى يَسْتَدِيرُ أَمِيمَهَا
تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَا مُطْرِقِينَ كَأَنَّمَا تَسَاقَوْا بِكَأْسٍ مَا يُبْلُ سَلِيمَهَا
فَلَمْ تَرْنِي فَهَاءً وَلَمْ تَرِ حُجَّتِي مُلْجَلَجَةً أَبْغِي لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا
السَّلِيمُ : اللَّدِيغُ ، وَأَبْلٌ مِنْ مَرَضِهِ : بَرِيٌّ ، وَالْأَرْوَمُ : الْعَضْرُ
وَأَمْسَاكُ الشَّيْءِ بِالْأَسْنَانِ ، وَمَفْلَقٌ : ذَاتُ فَلَاقٍ ؛ أَي : عَجَبٌ ، وَدَاهِيَةٌ :
أَذْهَلُهُ وَحَيَّرَهُ وَأَدْهَشَهُ ، وَعَلَيْكَ بِاسْتِخْرَاجِ الاسْتِعَارَاتِ وَنَسْبَتِهَا إِلَى
أَجْنَاسِهَا .

وَحَيْثُ كَانَ حَذْفُ الْأَدَاةِ مِنْ تَرْكِيبِ التَّشْبِيْهِ وَسِيلَةً إِلَى الْمَبَالِغَةِ بِدَعْوَى

(١) انظر «الكامل» للمبرد (١/١٤٠ - ١٤١) .

الاتحاد ، والاستعارة كما عرفت في ذلك الغرض أقوى .. تسمع مثل قول
العباس بن الأحنف^(١) :

[من المتقارب]

هِيَ الشَّمْسُ [مَسْكُونَهَا] (البيتَيْن) .

وقول ابن العميد^(٢) :

[من الكامل]

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبِ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

وقول بعضهم^(٣) :

[من المنسرح]

لَا تَعَجَّبُوا مِنْ بَلَى غِلَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

الغِلالَةُ : القميصُ ، ويُقالُ : إِنَّ القمَرَ يبلي ثيابَ الكَثَّانِ .

وقول أبي تمام^(٤) :

[من المتقارب]

وَيَضَعْدُ حَتَّى يَظُنُّ الْجَهْلُ بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ



(١) تقدم (٣٠/٢) ، والبيتان بتمامهما :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُونَهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءَ جَمِيلًا

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولًا

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١١٣/٢) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١٢٩/٢) .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٣٤/٤) .

القولُ في الكناية

حدُّ الكنايةِ على التحقيقِ : لفظُ أريدَ به لازمٌ معناه ، مع جوازِ إرادتهِ أيضاً ، فيكونُ المرادُ إفادتهما جميعاً ، وحينئذٍ يُقالُ : إنَّها حقيقةٌ غيرُ منفردةٍ ، وتقابلُها الحقيقةُ المُجرَّدةُ .

[أقسام الكناية باعتبار المكني عنه]

وتنقسمُ الكنايةُ باعتبارِ المكني عنه إلى ثلاثة أقسامٍ :

[الكناية عن صفة]

القسمُ الأوَّلُ : كنايةٌ يكونُ المكنيُّ عنه فيها صفةً ؛ كقولِ الخنساء^(١) :

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا
فقولُها : (طویلُ النَّجَادِ) المرادُ به : طویلُ القامةِ ؛ مدحاً ببسطِ الجسمِ ، كما مدحَ بها تعالى في قوله : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(٢) .

وقولُها : (رفیعُ العِمَادِ) معناه : كبيرُ البيوتِ المرتفعةِ السماواتِ ؛ وذلكِ إنَّما يكونُ للِسَادَةِ الأشرافِ ؛ أي : هو سيّدٌ شريفٌ .

وقولُها : (كثيرُ الرَّمَادِ) أي : هو كريمٌ مضيافٌ .

ونظمُ الكنايةِ على طريقِ البرهانِ : أن تقولَ : كلُّ مَنْ كَانَ كَرِيمًا

(١) انظر «ديوان الخنساء» رضي الله عنها (ص ١٤٣) ، والرواية فيه :

رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النَّجَا دَسَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا

(٢) سورة البقرة : (٢٤٧) .

مِضِيفاً .. كَانَ كَثِيرَ الضُّيُوفِ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ كَثِيرَ الضُّيُوفِ .. كَانَ كَثِيرَ
 الخَبِزِ وَالطَّبْخِ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ كَثِيرَهُمَا .. كَانَ كَثِيرَ إِحْرَاقِ الخَشَبِ ، وَكُلُّ
 مَنْ كَانَ كَثِيرَهُ .. كَانَ كَثِيرَ الرَّمَادِ ؛ فَكَثْرَةُ الرَّمَادِ كِنَايَةٌ عَنِ الكَرَمِ بِهَذِهِ
 الوَسَائِطِ .

وَكَقَوْلِ الخَنْسَاءِ أَيْضاً وَقَدْ أَرَادَ أَحْوَاهَا مُعَاوِيَةَ أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنْ دُرَيْدِ بْنِ
 الصِّمَّةِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ غَرَضِهَا ^(١) :

تُبَاكِرُنِي حَمِيدَةٌ كُلَّ يَوْمٍ بِمَا يُؤَلِي مُعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو
 إِذَا لَمْ أُعْطَ مِنْ نَفْسِي خِيَاراً لَقَدْ أَوْدَى الزَّمَانُ إِذَا بِصَخْرٍ
 أَتُكْرِهُنِي هُبِلَتْ عَلَيَّ دُرَيْدٍ وَقَدْ حَرَمْتُ سَيْدَ آلِ بَدْرِ
 مَعَاذَ اللَّهِ يَرْضَعُنِي حَبْرَكَي قَصِيرُ الشَّبْرِ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ

فَقَدْ اسْتَعَاذَتْ مِنْ تَزْوُجِهِ كَانِيَةً بِالْغَايَةِ عَنِ الْبَدَايَةِ ؛ فَإِنَّهَا إِذَا تَزَوَّجَتْ ..
 أُتِيَتْ ، وَإِذَا أُتِيَتْ .. حَمَلَتْ ، وَإِذَا حَمَلَتْ .. وَضَعَتْ ، وَإِذَا وَضَعَتْ ..
 أَرْضَعَتْ .

[الكِنَايَةُ عَنِ نَسَبِيَّةٍ]

القِسْمُ الثَّانِي : كِنَايَةٌ بِكَوْنِ المَكْنِيِّ عَنْهُ فِيهَا نَسَبَةٌ ؛ كَقَوْلِ زِيَادِ
 الأَعْجَمِ فِي أَحَدِ الأَمْرَاءِ لِبَنِي أُمَيَّةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَشْرَجِ أَمِيرِ خِرَاسَانَ
 إِذْ ذَاكَ ^(٢) :

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمُرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَيَّ ابْنِ الحَشْرَجِ
 كَانَتْ القِبَابُ لَا تُضْرَبُ إِلَّا عَلَيَّ خِيَامِ الأَمْرَاءِ ، فَالْمَكْنِيُّ عَنْهُ نَسَبَةُ الإِمَارَةِ

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٧١) ، و« زهر الأكم » (١٩١/٣) .

(٢) انظر « شعر زياد الأعجم » (ص ٧٧) .

والسماحة ؛ أي : ابن الحشرج سمحٌ كريمٌ ذو مروءةٍ ، وهي كمالُ الرجوليَّةِ ،
وَمِنْ هَذَا أَخَذَ أَبُو تَمَامٍ قَوْلَهُ ^(١) :

[من الكامل]

لَوْلَا بَنُو جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ فِيكُمْ كَانَتْ حَيَامُكُمْ بِغَيْرِ قَبَابِ
أي : بنو جُشَمَ سادتُكم وأمرؤُكم .

وَابْنُ رَشِيقٍ قَوْلَهُ ^(٢) :

[من الكامل]

وَمُهَفَّفٍ يَحْمِيهِ (البيت) .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : المجدُّ بينَ ثوبيه ، والكرمُ تحتَ ردايه .

[الكنايةُ عن موصوفٍ]

القسمُ الثالثُ : كنايةٌ يكونُ المكنيُّ عنه فيها غيرَ صفةٍ ولا نسبةٍ ؛ كقوله
كنايةٌ عنِ القلوبِ ^(٣) :

[من الكامل]

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أبيضٍ مِخْدَمٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ

[أقسامُ الكنايةِ باعتبارِ الوسائطِ واللوازمِ]

ثمَّ الكنايةُ : إن قلَّتْ فيها الوسائطُ ، أو لم تكنْ ووَضَحَتْ .. سُمِّيَتْ :
إيماءً وإشارةً .

وإن خفيتْ .. سُمِّيَتْ : رمزاً ؛ كالكنايةِ بعريضِ الوسادةِ ، وعريضِ
القفا ، وعظيمِ الهامةِ .. عن الأبله ، وبالسَّمِينِ الرخوِ عن الغبيِّ البليدِ ،

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١ / ٨٩) .

(٢) تقدم (٤٢ / ٢) ، والبيت بتمامه :

وَمُهَفَّفٍ يَحْمِيهِ عَن نَّظَرِ الْوَرَى غَيْرَانُ سَكْنَى الْمُلْكِ تَحْتَ قَبَابِهِ

(٣) هو عمرو بن معديكرب رضي الله عنه . انظر « ديوانه » (ص ١٧٤) .

وبمُتناسِبِ الأَعْضَاءِ المُكْتَنَزِ اللَّحْمِ البَسيطِ القَامَةِ . . عنِ الذِكيِّ الشَّجَاعِ
ذِي الهِمَّةِ .

[التَعْرِيفُ وَأَنْوَاعُهُ]

وهناك نوعٌ دلالةٌ للكلامِ يُعْتَمَدُ فيها على السِّياقِ والحالِ تُسمَّى :
تَعْرِيفاً ؛ وهو إمالةُ الكلامِ إلى عُرْضِ بضمِّ أوْلِهِ ؛ أي : نَاحِيَةٍ ؛ كقولِكَ
روايةً لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ تُخَاصِمُ إِنْسَاناً : « أَلْمُسْلِمُ : مَنْ سَلِمَ
أَلْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ » ^(١) ، وهذا الكلامُ معناه الكِنَائِيُّ : المؤذِي غيرُ
مسلمٍ ، والمُعْرَضُ بِهِ إِلَيْهِ : أَنْتَ غيرُ مسلمٍ .



والتَعْرِيفُ يَكُونُ بِالحَقَائِقِ والمَجَازَاتِ والكنائياتِ ، وبعْدَ قولِ زيادِ
السَّابِقِ : (إِنْ أَلْسَمَاحَةً . . .) يَقُولُ ^(٢) :

مَلِكٌ أَغْرُ مُتَوَجِّحٌ ذُو نَائِلٍ لِلمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ الْمَنَابِرَ بِالتَّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُتَحَرِّجِ
لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِئاً لِنَوَالِكُمْ أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُزْتَجِ

[إِجْمَالُ مَا سَبَقَ وَتَلْخِيصُهُ]

فمُلَخَّصٌ ما تَعْرِفُهُ وَيَبْقَى مَعَكَ أَصْلاً تَعْتَبِرُ بِهِ ما يَرِدُ عَلَيْكَ فِي الكَلَامِ :
أَنَّ اللَّفْظَ مُرَكَّباً كَانَ أَوْ جِزْءَ مُرَكَّبٍ ؛ إِمَّا أَنْ تَعْتَمِدَ فِي تَفْهِيمِ مُرَادِكَ بِهِ مُجْرَدَ
الوَضِعِ الأَوَّلِيِّ بِالأَصَالَةِ أَوْ بِالنَّقْلِ ؛ وَهِيَ الحَقَائِقُ ، وإِمَّا أَنْ تَعْتَمِدَ مَعَ الوَضِعِ

(١) أخرجَه البخاري (١٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) انظر « شعر زياد الأعجم » (ص ٧٧) .

علاقةً وقرينةً مانعةً مِنْ إرادة المعنى الحقيقيّ ؛ وهي المجازاتُ ، أو غير مانعةٍ ؛ وهي الكنایاتُ .

وَأَنَّ المَجَازَاتِ : إِنْ كَانَتْ عِلَاقَتُهَا المِشَابَهَةَ . . فَهِيَ المَجَازَاتُ بِالِاسْتِعَارَةِ ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَهَا . . فَهِيَ المَجَازَاتُ المَرْسَلَةُ ، وَأَنَّ الِاسْتِعَارَةَ أَصْلُهَا التَّشْبِيهُ ، وَأَنَّ التَّشْبِيهَ تَارَةً تُذَكِّرُ أَرْكَانَهُ ، وَتَارَةً يُحَذَفُ بَعْضُهَا ، وَذَكَرَ الوَجْهَ وَحَذَفَهُ لَا يُغَيِّرُ الِاسْمَ ، وَحَذَفَ الأَدَاةَ مَعَ ذِكْرِ الطَّرْفَيْنِ يُغَيِّرُهُ إِلَى التَّشْبِيهِ البَلِيغِ ، وَمَعَ حَذْفِ أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ إِلَى الِاسْتِعَارَةِ ، وَفِي الِاسْتِعَارَةِ وَالتَّشْبِيهِ البَلِيغِ دَعْوَى الِاتِّحَادِ ، وَبِنَاءٍ عَلَيْهَا كَانَ مَا عَرَفْتَ .

وَأَنَّ الِاسْتِعَارَةَ تَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ المَذْكُورِ وَالمَحذُوفِ مِنَ الطَّرْفَيْنِ إِلَى مُصَرَّحَةٍ وَمَكْنِيَةٍ ، وَبِاعْتِبَارِ جِنْسِ المُسْتَعَارِ إِلَى أَصْلِيَّةٍ إِنْ كَانَ اسْمَ جِنْسٍ وَلَوْ تَأْوِيلًا ، وَإِلَى تَبْعِيَّةٍ إِنْ كَانَ غَيْرَهُ ، وَبِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا فِي الهَيْئَاتِ المُنْتَزَعَةِ مِنْ مُتَعَدِّدٍ أَوْ فِي غَيْرِهَا إِلَى تَمثِيلِيَّةٍ وَغَيْرِ تَمثِيلِيَّةٍ ، وَبِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا فِي الأَضْدَادِ أَوْ فِي غَيْرِهَا إِلَى مَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ تَهْكِمِيَّةً أَوْ تَمْلِيحِيَّةً وَإِلَى غَيْرِهَا ، وَبِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا مَقْرُونَةً بِمَا يَلَائِمُ أَحَدَ الطَّرْفَيْنِ أَوْ بِمَا يَلَائِمُهُمَا إِلَى مُرْشَّحَةٍ وَمُجَرَّدَةٍ وَمُطْلَقَةٍ ، وَأَنَّ قَرِينَةَ المَكْنِيَّةِ إِنْ كَانَتْ اسْتِعَارَةً لِشَيْءٍ مِنْ تَوَابِعِ المُسْتَعَارِ لَهُ . . كَانَتْ تَحْقِيقِيَّةً ، وَإِلَّا . . فَهِيَ تَخْيِيلِيَّةٌ .

وَأَنَّ الكِنَايَةَ تَنْقَسِمُ بِحَسَبِ المَطْلُوبِ بِهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ، وَلَهَا بِاعْتِبَارِ الوَاسِطَةِ أَسْمَاءٌ .

عَلَى الطَّالِبِ أَنْ يَجِدَ ضَبْطَ هَذَا ، ثُمَّ يَأْخُذَ فِي التَّطْبِيقِ عَلَيْهِ ، يَنْفَعُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

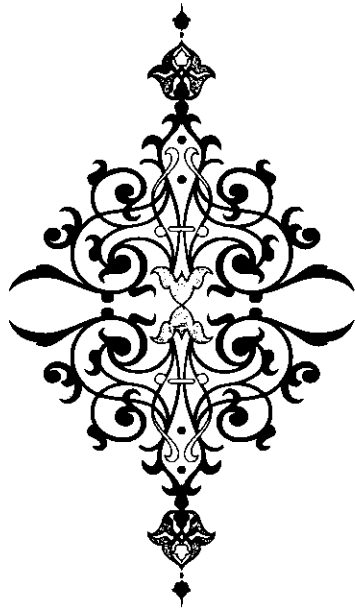
ثُمَّ الحَقِيقَةُ وَالمَجَازُ السَّالِفُ تَقْرِيرُهُمَا يُسَمِّيَانِ الحَقِيقَةَ وَالمَجَازَ اللِّغَوِيَّ ،

وَتَمَّ حَقِيقَةٌ وَمَجَازٌ يُسَمَّيَانِ : حَقِيقَةٌ وَمَجَازٌ عَقْلِيَّيْنِ ؛ وَهُمَا إِسْنَادُ أَمْرٍ لِأَمْرٍ
وَنَسْبَتُهُ لَهُ .

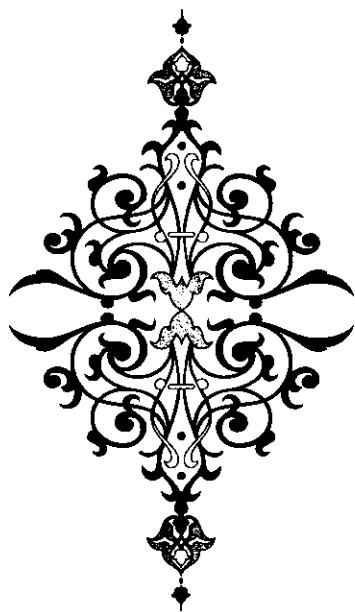
فَإِنْ كَانَ الْإِسْنَادُ إِسْنَادَ الشَّيْءِ لِمَا هُوَ لَهُ فِي الْمَتَعَارِفِ ؛ كِإِسْنَادِ فِعْلِ
الْمَعْلُومِ إِلَى الْفَاعِلِ ، وَإِسْنَادِ فِعْلِ الْمَجْهُولِ إِلَى الْمَفْعُولِ .. سُمِّيَ : حَقِيقَةٌ
عَقْلِيَّةٌ .

وَإِنْ كَانَ إِسْنَادُهُ لغيرِ مَا هُوَ لَهُ ؛ اعْتِمَاداً عَلَى عِلَاقَةٍ ، مَدْلُولاً عَلَيْهِ بِالْقَرِينَةِ
لِبَعْضِ الْاِعْتِبَارَاتِ الْكَلَامِيَّةِ وَالنَّكْتِ الْبَلَاغِيَّةِ .. سُمِّيَ : مَجَازاً عَقْلِيّاً ؛ كَنَسْبَةِ
فِعْلِ الْمَعْلُومِ إِلَى الْمَفْعُولِ بِجَعْلِهِ فَاعِلاً ؛ نَحْوُ : عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ ؛ أَي : مَرْضِيَّةٌ ،
وَحَالٌ مُبْتَهَجَةٌ ، وَنِعْمَةٌ مُغْتَبَطَةٌ ، وَكَنَسْبَةِ فِعْلِ الْمَجْهُولِ إِلَى الْفَاعِلِ فَيُجْعَلُ
مَفْعُولاً ؛ نَحْوُ : سَيْلٌ مُفْعَمٌ ، وَنَعَمٌ مَسْرُورَةٌ ، وَكَنَسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَى زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ
وَسَبَبِهِ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : نَامَ لَيْلُ زَيْدٍ ، وَنَشِطَ نَهَارُهُ ، وَسَعَدَتْ أَوْقَاتُهُ ، وَطَابَتْ
أَمْكَنَةُ زَيْدٍ ، وَخَبِثَتْ مَجَالِسُ عَمْرٍو ، وَخَرَجَتِ الْمَدِينَةُ لِشُكْرِ السُّقْيَا ، وَأَكْرَمْتِكَ
أَخْلَاقُكَ ، وَاحْتَرَمْتِكَ فِضَائِلُكَ ، وَغَزَا السُّلْطَانُ بِلَادَ كَذَا ، وَكَذَلِكَ يُنْسَبُ
الْفِعْلُ إِلَى مَصْدَرِهِ ؛ نَحْوُ : جَدَّ جِدُّهُ ، وَخَشَعَ خَشَوْعُهُ ، وَاطْمَأَنَّ اطْمِئْنَانُهُ .





الفئة الثاني
عام المعاني



[موضوع علم المعاني]

عرفت أن هذا العلم يُبين الأغراض المترتبة على إيراد التركيب في صورهِ المختلفة^(١) ، فموضوعهُ : المُركبات مِن حيث تَخْتَلِفُ صُورُها لاختلافِ الدواعي .

ثمَّ إنَّ دواعي صُورِ التراكيبِ لم تَدْخُلْ تحتَ حصرٍ ، فما يُذكرُ منها في هذا الفنِّ إنّما هو كالمثالِ نُصِبَ لك ؛ لتحذوْ عليه إذا استعملتَ ذوقك ودقَّةَ نظركَ في طلبِ ما يمكنُ اعتباره عندَ قراءتِكَ لكلامِ ربِّ العالمينَ ، وروايتِكَ لأحاديثِ سيِّدِ المرسلينَ ، ومطالعةِ الآثارِ الصادرةِ عن بلغاءِ صحابتهِ ومَن اقتفى آثارهُم ممَّن جاءَ بعدهم ، وإنشادِ ما يردُّ عليك مِن الأشعارِ للجاهليينَ والإسلاميينَ .

وبعدُ : فمدارُ البحثِ في هذا الفنِّ . . على إبانةِ صُورِ التراكيبِ ودواعيها ؛ رسماً للطريقِ الذي تسلكُ منه إلى اعتبارِ اللطائفِ الكلاميةِ التي بها يُسمَّى كلُّ مِن الكلامِ والمُتكلِّمِ به : بليغاً .

[تعريفُ الفصاحةِ والبلاغةِ]

وقبلَ الشُّروعِ في المقصودِ لا بدَّ مِن تعريفِ الفصاحةِ والبلاغةِ وما يتعلَّقُ بذلكَ ، والتنبيهِ على ما يُوجبُ قسمةَ هذا الفنِّ إلى أقسامِهِ التي ينقسمُ إليها .

الفصاحةُ : كلمةٌ تُنبئُ استعمالَها عن معنى الصِّفاءِ والخُلوصِ والظهورِ ، قالوا : يومٌ فصْحٌ - بكسرِ الفاءِ - : ليسَ فيه غيمٌ ولا قَرٌّ ، وأفصحُ

(١) تقدم في مقدمة الكتاب (٥٦/١) .

اللَّبَنُ : زَالَتْ عَنْهُ رَغْوَتُهُ ، وَأَفْصَحَتِ الشَّاةُ ؛ أَي : خَلَصَ لِبْنُهَا وَصَفَا ...
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَعَرَّفَهَا الْعُلَمَاءُ حَيْثُ تُوصَفُ بِهَا الْكَلِمَةُ ؛ بِكُونِهَا سَالِمَةً : مِنْ تَنَافَرِ
الْحُرُوفِ الْمُوجِبِ ثِقَلِ النُّطْقِ بِهَا ، كَمَا فِي لَفْظِ (مُسْتَشْرَزَاتٌ) مِنْ قَوْلِ امْرِئِ
الْقَيْسِ ^(١) :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرَزَاتٌ إِلَى الْعُلَا
وَمِنَ الْغَرَابَةِ الْمُوجِبَةِ فَوَاتَهَا عَلَى أَهْلِ الْعِنَايَةِ بِنَقْلِ اللَّغَةِ
وَإِدَاعِهَا فِي مُؤَلَّفَاتٍ ؛ كَغَرَابَةِ لَفْظِ (مُسْرَجٌ) مِنْ قَوْلِ رُؤْبَةَ فِي صِفَةِ
الْأَنْفِ ^(٢) :

..... وَمَرْسِنًا مُسْرَجًا

أَي : يَشْبَهُ السَّرَاجَ فِي الْبَرِيقِ وَاللِّمَعَانِ ، أَوِ السَّيْفَ الشَّرِيجِيَّ فِي الدَّقَّةِ
وَالِاسْتَوَاءِ .

وَمِنْ مَخَالَفَةِ نَهْجِ الْإِسْتِعْمَالِ الْمُبَيَّنِّ بِعِلْمِ الصَّرْفِ ؛ كَالْمَخَالَفَةِ فِي قَوْلِ
أَبِي النُّجُمِ ^(٣) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ

حَيْثُ فَكٌّ ، وَنَهْجُ الْإِسْتِعْمَالِ الْإِدْغَامِ .

وَحَيْثُ يُوصَفُ بِهَا الْكَلَامُ ؛ بِكُونِهِ مُؤَلَّفًا مِنْ الْكَلِمَاتِ الْفَصِيحَةِ ،

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٧) ، والبيت بتمامه :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرَزَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثْنَى وَمُرْسَلِ

(٢) كذا قال في « معاهد التنصيص » (١٤/١) .

(٣) انظر « ديوان أبي النجم العجلي » (ص ٣٣٧) .

سالمًا مِنْ تَنَافُرِ الكَلِمَاتِ ؛ كما في قولِ أَبِي تمامٍ ^(١) : [من الطويل]
كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ

وَمِنْ ضَعْفِ التَّأْلِيفِ بِمُخَالَفَةِ القَوَانِينِ النُّحَوِيَّةِ ؛ كَتَقْدِيمِ ما يَجِبُ تَأخِيرُهُ ،
وَتَأخِيرِ ما يَجِبُ تَقْدِيمُهُ ، وَحَذْفِ ما يَجِبُ ذِكْرُهُ ، وَذِكْرِ ما يَجِبُ حَذْفُهُ .

وَمِنْ التَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ ؛ بِإِدْخَالِ بَعْضِ أَجْزَاءِ جُمْلَةٍ بَيْنَ أَجْزَاءِ أُخْرَى ؛
بِحَيْثُ يَوْجِبُ عَسَرَ الفَهِمِ ؛ كما في قولِ الفَرَزْدَقِ يَمْدَحُ خَالَ هِشَامِ بْنِ
عَبْدِ المَلِكِ ^(٢) : [من الطويل]

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَأَ أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وَوَجْهَ الكَلَامِ : وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يُقَارِبُهُ . . . إِلَّا مُمَلَّكَأَ أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ .
وَمِنْ التَّعْقِيدِ المَعْنَوِيِّ ؛ بِاسْتِعْمَالِ مَجَازَاتٍ وَكُنَايَاتٍ لَا يُفْهَمُ المَرَادُ بِهَا ،
فَتَكُونُ إِغْزَاؤًا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

وَحَيْثُ يُوصَفُ بِهَا المُتَكَلِّمُ : بِكُونِهِ دَرَبًا ، ذَا قُوَّةٍ وَاقْتِدَارٍ عَلَى اسْتِعْمَالِ
الكَلَامِ الفَصِيحِ مَتَى أَرَادَ .



والبلاغة : مصدرٌ (بَلَّغَ) مِنْ بَابِ (كَرَّمَ) مُحوَّلًا عَنِ (بَلَّغَ) مِنْ بَابِ
(نَصَرَ) بِمَعْنَى : وَصَلَ إِلَى حَدٍّ ؛ يُقَالُ : بَلَّغَ الرَّجُلُ ، فَهُوَ بَلِيغٌ ، وَبَلَّغَ بَفَتْحِ
أَوَّلِهِ وَكَسْرِهِ ، وَبَلَاغًا بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَضَمِّهِ مَقْصُورًا ، إِذَا كَانَ يَبْلُغُ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ
مَرَادِهِ ، هَذَا كَلَامُ أَهْلِ اللُّغَةِ .

(١) انظر «ديوان أبي تمام» (١١٦/٢) ، والبيت بتمامه :

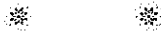
كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ وَالنَّوْرِيُّ مَعِي وَمَتَى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَخَدِي

(٢) تقدم أول الكتاب (٧٠/١) .

وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي تَفْسِيرِ الْبَلَاغَةِ : (الْبَلَاغَةُ :
الْبَصْرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفُرْصَةِ ، وَمِنْ الْبَصْرِ بِالْحُجَّةِ : أَنْ تَدَعَ
الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقَةً ، وَكَانَتِ الْكِنَايَةُ
أَبْلَغَ فِي الدَّرَكِ وَأَحَقَّ بِالظَّفْرِ) (١) .

فهذا كلامٌ شريفٌ ، تفسيره لا يكفي فيه كلُّ ما سُرحَ في عِلْمِ الْبَلَاغَةِ .
وعرّفها أهلُ هذا الفنِّ حيثُ يُوصَفُ بها الْمُتَكَلِّمُ : بأنّها مُرونةٌ وَقُوَّةٌ نَفْسِهِ
على تَأْلِيفِ الْكَلَامِ الْبَلِغِ فِي الْأَعْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ كالتأديبِ ، والوعظِ ،
والتحريضِ ، والاستعطافِ ، والعتابِ ... إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الْمَعَانِي .

وحيثُ يُوصَفُ بها الْكَلَامُ : بأنّها مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ ؛
وَالْحَالُ - وَيُسَمَّى بِالْمَقَامِ أَيْضاً - : هُوَ الْأَمْرُ الدَّاعِي لِإِيرَادِ التَّرْكِيبِ عَلَى
بَعْضِ صُورِهِ الْمُمْكِنَةِ فِيهِ ، وَمَقْتَضَى الْحَالِ - وَيُسَمَّى بِالاعتبارِ الْمُنَاسِبِ
أَيْضاً - : هُوَ تِلْكَ الصُّورُ الْحَاصِلَةُ بِسَبَبِ الذِّكْرِ وَالْحَذْفِ ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ ،
وَالإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ ، وَوَصَلَ بَعْضِ الْجُمْلِ بِبَعْضِ الْعَطْفِ وَفصلِهَا بِتَرْكِهِ ،
وَالإيجازِ وَالإطنابِ وَالْمساوَاةِ ، وَاشْتِمَالِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَجَازَاتِ وَالكِنَايَاتِ
الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْوُضُوحِ عِنْدَ خُطَابِ الْفُطُنَاءِ ، وَكُونِهِ مِنَ الْحَقَائِقِ الصَّرْفَةِ
وَالعِبَارَاتِ السَّهْلَةِ عِنْدَ خُطَابِ غَيْرِهِمْ .



وحيثُ كَانَتْ مَسَائِلُ الْفَنِّ ؛ مِنْهَا : مَا يَتَعَلَّقُ بِالْجُمْلَةِ وَأَجْزَائِهَا ، وَمِنْهَا :
مَا يَتَعَلَّقُ بِالْجُمْلَتَيْنِ فَأَكْثَرُ ، وَمِنْهَا : مَا هُوَ مُشْتَرِكٌ .. نَاسِبٌ قَسَمْتُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ
أَبْوَابٍ :

(١) انظر «البيان والتبيين» (١/٨٨) ، وفيه أنه لبعض أهل الهند .

[البابُ الأوَّلُ]

بابُ الجملةِ وأجزائها

الجملةُ الخبريةُ

أصلُ المقصودِ بها : إعلامُ السامعِ بمعناها ، أو بأنَّ المُتكلِّمَ يَعْلَمُها ،
ويُسَمَّى الأوَّلُ : فائدةَ الخبرِ ، والثاني : لازمها ؛ كما تقولُ لصاحبِكَ : أنعمَ اللهُ
عليكَ بما زادنا لكَ فرحاً ، واللهُ فيكَ شكراً .

ثمَّ يَخْرُجُ عَنِ الإعلَامِ لِأغراضٍ شتى ؛ كقولِكَ لإظهارِ الفرحِ بمُقبِلِ
والشَّماتَةِ بمُدبِرِ : جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ ، ولتوبيخِ العائِرِ : الشمسُ طالعةٌ ،
وللتأسَفِ ؛ كقولِهِ (١) :

هَوَايَ مَعَ الرِّكْبِ أَلَيْمَانِينَ مُضْعِدٌ جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ

[أَضْرَبُ الخَبِرِ]

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الكلامِ الإفادةَ . . فحقُّهُ : أن يُقتصرَ منه على قدرِ
الحاجةِ ؛ فإنَّ الزيادةَ عنه تُعدُّ مِنَ الفُضولِ .

فإذا كانَ الخطابُ معَ خالي الذَّهْنِ . . ألقِيَ إليه الخَبْرُ مُجرِّداً عن
مُؤكِّدِ .

وإذا كانَ معَ مَنْ يَشعُرُ بِهِ وهو مُنكِرٌ أو شاكٌّ ، ولإدراكِ أحدِ الأمرينِ
طالبٌ . . ألقى إليه الكلامُ مُؤكِّداً بحسبِ الحاجةِ .

وشاهدُ ذلكَ : قولُهُ تعالى حكايةً عن رسلِ الحقِّ لأهلِ الباطلِ بعدَ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٢٠/١) .

التكذيبِ الأوَّلِ : ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ ^(١) ، وبعدَ الثاني : ﴿ رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ^(٢) .

[مُؤَكِّدَاتُ الْخَبْرِ]

وأدواتُ التوكيدِ : إِنَّ ، وَأَنَّ ، ولأَمْ الابتداءِ ، وأحرفُ التنبيهِ ، والقَسَمُ ، والتكريرُ ، والحروفُ الزائدةُ ، وقد ، ونونا التوكيدِ ، وأَمَّا الشرطيَّةُ .

[كَيْفِيَّةُ إِلقاءِ الْمُتَكَلِّمِ الْخَبَرَ لِلْمُخاطَبِ]

وقد يُنزَلُ العالمُ منزلةَ الجاهلِ ؛ لعدمِ جريهِ على ما يناسبُ علمه ؛ كقولك : العدلُ حسنٌ ، والظلمُ قبيحٌ .

وقد يُنزَلُ خالي الذهنِ منزلةَ السائلِ ؛ وذلكَ حيثُ يسبقُ ما يشيرُ إلى جنسِ الخبرِ ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ بعدَ قوله حكايةً : ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ﴾ ^(٣) ، المشيرِ إلى أنَّ المُتَكَلِّمَ سيخبرُ عن النفسِ بشيءٍ من إساءتها .

وقد يُجعلُ غيرُ المُنكرِ مُنكرًا ؛ وذلكَ حيثُ يلوحُ عليه ما يلوحُ على المُنكرينَ ؛ كقولِ العربيِّ ^(٤) :

جَاءَ شَقِيقُ عَارِضاً رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ

أي : جاءَ [واضعاً] رُمحَهُ على صورةِ الآمنِ الذي ليسَ يَخشى حرباً ، كأنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ أعداءَهُ عَزَلٌ ليسَ معهم سلاحٌ ، ولا هُم أهلُ قتالٍ .

(١) سورة يس : (١٤) .

(٢) سورة يس : (١٦) .

(٣) سورة يوسف : (٥٣) .

(٤) البيت للحجل بن نضلة ، كما في « معاهد التنصيص » (٧٢/١) .

كما يُجَعَلُ الْمُنْكَرُ غَيْرَ مُنْكَرٍ إِذَا كَانَ مَعَهُ مِنْ دَلَائِلِ الْعِلْمِ وَمُوجِبَاتِ
المعرفةِ وهو لها طارحٌ ، وعن استعمالِ فكرِه فيها مُعرِضٌ .

يُحْكِي : أَنَّ بَعْضَ الْعَجَمِ قَالَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ : إِنَّ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ فُضُولاً
وَأَلْفَاظاً زَائِدَةً ؛ تَارَةً يَقُولُونَ : عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ ، وَتَارَةً : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ ، وَتَارَةً :
إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لِقَائِمٌ !! فَقَالَ لَهُ : إِنَّ لِكُلِّ مَوْضِعاً يَقْتَضِيهِ ، وَكَانَ هَذَا مِنْ أَسْبَابِ
إِقْبَالِ الْعُلَمَاءِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ .

الجملةُ الاسميَّةُ : للثبوتِ وضعاً ، وللدوامِ استعمالاً بالقرينةِ ؛ وذلك إذا
لم يكن في خبرها فعلٌ .

الجملةُ الفعليةُ : للتجددِ والزمانِ باختصارٍ ، وقد يُفَادُ بِالْمَضَارِعِ الاستمرارُ
التجدديُّ بمَعُونَةِ الْمَقَامِ وَقرينةِ تَنْصِبُ لذلكِ .

[أغراض بناء الفعل للمفعول]

وُيْنَى الْفِعْلُ لِلْمَفْعُولِ : لجهلِ الْفَاعِلِ ، أو عِلْمِ السامِعِ بِهِ ، فيكونُ ذِكْرُهُ
كَالْعَبَثِ ، أو تعظيمِهِ والأدبِ فِي حَقِّهِ ، تَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَا
لَا نَذْرَى أَشْرُ أُرِيدَ بَيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَهْمَهُمْ رَشَدًا ﴾ (١) ، فحيثُ ذُكِرَ الْخَيْرُ . .
صُرِّحَ بِالْفَاعِلِ ، وَفِي مَقَابِلِهِ بُنِيَ الْفِعْلُ لِلْمَفْعُولِ ، أو تحقيرِ الْفَاعِلِ ، أو
الْخَوْفِ مِنْهُ أو عَلَيْهِ .

وَتَقْيِيدُ الْأَفْعَالِ حَيْثُ تَكُونُ الْقِيُودُ مَحَطَّ الْفَائِدَةِ وَمُتَعَلِّقَ الْأَغْرَاضِ الْإِشَارِيَّةِ ؛
كَمَا تَقُولُ : رَكِبَ زَيْدٌ الْيَوْمَ فَرَساً ، وَزَارَكَ فَلَانٌ مَاشِياً عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَكَرَّمَ
زَيْدٌ أَصْلاً ، تَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ لِعَرَضِ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ ، أو التَّحْقِيرِ وَالْإِهَانَةِ ،
أو التَّعَجُّبِ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا ، فَتَجِدُ الْقِيُودَ فِي الْجُمْلَةِ هِيَ مُتَعَلِّقَ ذَلِكَ ،

(١) سورة الجن : (١٠) .

والنواسخ في جملها هي قيود المسند ؛ بما لها من الأزمنة والمعاني التي سلف بيانها (١) .

ويوضع الماضي موضع المضارع ؛ للتنبيه على التحقق أو قرب الحصول ، ويوضع المضارع موضع الماضي لحكاية الحال ؛ حيث يكون المعنى غريباً ينبغي تأملُهُ والنظر فيه ، فتحضر صورته في الخيال لذلك ؛ مثل : ﴿ أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِ سَحَابًا ﴾ (٢) .

وقد يقصدُ به إفادة الاستمرار في الأوقات الماضية ؛ نحو : زيدٌ يشربُ ويَطْرَبُ ، ويلهو ويلعبُ ، حتى أضعَ طريقَهُ وتليدهُ ، فهو الآنَ عبرةٌ لمن يَعتَبِرُ ، وذكرى لمن يريدُ أن يذكَّرَ .



(١) انظر (٣٥٧/١) .

(٢) سورة فاطر : (٩) .

الجملة الشرطية

عرفت مفادها في النحو ، وما بين أدوات الشرط من الاختلاف ، والذي يَخْصُّ هذا الفنَّ : أن (لو) قد يُؤتى معها بلفظ المضارع لإفادة معنى الاستمرار في الأوقات الماضية ؛ مثل : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ ^(١) ، فمعناه : انتفى عننكم وحصول ما يسوءكم بسبب استمرار امتناع عمله على رأيكم حيث كانت نتيجة الخير في مخالفته .

(إن) و (إذا) لكونهما للتعليق في المستقبلات فحَقُّهُمَا أن يُؤتى معهُمَا بالمضارع الذي هو العبارة عن المستقبل ، ولكن كَثُرَ أن يُؤتى معهُمَا بالماضي ؛ للإبراز في مَعْرِضِ الحاصل ؛ لقُوَّةِ الأسبابِ ، أو التفاؤلِ ، أو إظهارِ الرغبة ؛ نحوُ : (إن ظفرت بحسن العاقبة . . .) فإنَّ الطالب إذا عَظُمَت رغبته في مطلوبه . . . يكثرُ تصوُّره إيَّاه ، فربَّما يتخيَّله حاصلاً ، أو للتعريض ؛ نحوُ : ﴿ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ^(٢) ، فجيءَ بالماضي إبرازاً للإشراك في مَعْرِضِ الحاصلِ على سبيلِ الفَرَضِ ؛ تعريضاً للمشركين بأنَّهُ قد حَبِطَتْ أعمالُهُم .

ونظيره في التعريض : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٣) ؛ قصداً لإسماحِ الحقِّ على وجهٍ لا يزيدُ غضبَ المُخاطَبينَ ، حيث لم يُصرِّحْ بنسبتهم إلى الباطلِ ، وهذا أدخلُ في إمحاضِ النصحِ لهم ؛ لإشعاره بأنَّهُ لا يريدُ لهم إلا ما يريدُ لنفسِهِ ، ويُسمَّى هذا : كلامَ المُنصِفِ ، ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى

(١) سورة الحجرات : (٧) .

(٢) سورة الزمر : (٦٥) .

(٣) سورة يس : (٢٢) .

هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ؛ حَيْثُ رَدَّدَ الضَّلَالَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ : إِنَّا عَلَى هُدًى ، وَأَنْتُمْ فِي ضَلَالٍ ؛ تَحَاشِيًا عَنِ التَّصْرِيحِ بِنَسَبَتِهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ .

وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ (إِنْ) فِي غَيْرِ الْمَشْكُوكِ ؛ لِلتَّجَاهِلِ ، أَوْ جَهْلِ السَّمْعِ ، أَوْ تَجْهِيلِهِ ؛ أَيُ : تَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ ؛ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُوْذِي أَبَاهُ : إِنْ كَانَ هَذَا أَبَاكَ . . فَلَا تُؤْذِهِ .

الذِّكْرُ

يَجِبُ عِنْدَ عَدَمِ الْقَرِينَةِ ، وَيَتَرَجَّحُ مَعَهَا لِكُونِهِ الْأَصْلَ وَلَا صَارْفَ ، أَوْ قِلَّةَ الثِّقَةِ بِالْقَرِينَةِ ؛ لَضَعْفِهَا ، أَوْ ضَعْفِ فَهْمِ السَّمْعِ ، أَوْ زِيَادَةِ التَّقْرِيرِ وَالْإِيضَاحِ ، أَوْ التَّعْرِيفِ بِغَبَاوَةِ السَّمْعِ ، أَوْ التَّبَرُّكِ ، أَوْ التَّلَذُّذِ ، أَوْ إِيْهَامِهِمَا ، أَوْ التَّعَجُّبِ إِذَا كَانَ الْحُكْمُ غَرِيبًا ؛ نَحْوُ : زَيْدٌ يَقَاوِمُ الْأَسَدَ ، أَوْ التَّعْظِيمِ ، أَوْ الْإِهَانَةِ ، كَمَا فِي بَعْضِ الْأَلْقَابِ الْمَحْمُودَةِ وَالْمَذْمُومَةِ ، أَوْ بَسْطِ الْكَلَامِ لِفَائِدَةٍ فِي مَقَامِ الْإِفْتِخَارِ وَنَحْوِهِ ؛ كَمَا يُقَالُ لَكَ : مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَتَقُولُ : نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ حَبِيبُ اللَّهِ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، أَوْ لثَلَا يَتِمَكَّنُ السَّمْعُ مِنْ ادْعَاءِ عَدَمِ التَّنْبِيهِ ، أَوْ لَتَعْيُنِ كَوْنِ الْمَسْنَدِ اسْمًا أَوْ فِعْلًا أَوْ ظَرْفًا لِيَدُلَّ عَلَى الثَّبُوتِ أَوْ التَّجَدُّدِ ، وَهَذَا الْوَجْهُ لَذِكْرِ الْمَسْنَدِ ، وَالْبَاقِي مُشْتَرَكٌ بَيْنَ ذِكْرِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ وَغَيْرِهِ .

الحذف

أَمَّا الْوَاجِبُ مِنْهُ عَلَى مَا شَرِحَ فِي النَّحْوِ . . فَوْجُوبُهُ عَلَيْكَ لِاتِّبَاعِ الْإِسْتِعْمَالِ ، وَالَّذِي دَعَا الْعَرَبَ لَهُ وَضَوْحِ الْمَحذُوفِ وَظُهُورُهُ جَدًّا ، وَقَصْدُهُمْ : الْإِيْجَازُ .
وَرَبَّمَا كَانَ الْحَذْفُ أَعْوَنَ عَلَى تَفْهِيمِ الْغَرَضِ مِنَ الْكَلَامِ ؛ مِثْلًا : تَقُولُ : لَا

(١) سورة سبأ : (٢٤) .

أزال أتبركُ بخدمه فلان العالم الفاضل المُتمسِكُ ؛ بقطعِ النعتِ ، فاحذفُ
أدخلُ في إفادة أن الغرضَ المسوقَ إليه الكلامُ هو المدحُ ، والمدحُ بالاعتقادِ
وزعمِ المادحِ ، فلا يحتملُ الجدلَ ، فلو صرَّحَ بالمبتدأ .. لاحتملَ أنه دعوى
يحاولُ إثباتها ، فيفتحُ للمُخاطَبِ بابَ المنازعةِ .

وأما الجائزُ في حكمهم .. فيوجبُه البليغُ لما يذكرُ من دواعيه ؛ كضيقِ
المَقامِ ؛ مِنْ تَوَجُّعٍ ونحوه ؛ مثلُ (١) :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ
أَي : أنا عليلٌ ، وحالي سهْرٌ دائمٌ ، فحذفَ لضيقِ المَقامِ ؛ للتوجُّعِ
أو الحزنِ .

أو للاحترازِ عن العبثِ ظاهراً ؛ نحوُ : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
رِجَالٌ ﴾ (٢) على قراءةِ المجهولِ ، فكأنه قيلَ : مَنْ يُسَبِّحُ لَهُ ؟ فقالَ : رجالٌ ؛
أَي : يُسَبِّحُ لَهُ رجالٌ ، فحذفَ للاحترازِ عن العبثِ ؛ نظراً إلى ظاهرِ القرينةِ ،
لا العبثِ في الحقيقةِ ؛ لأنَّ ذكرَ المسندِ والمسندِ إليه لا يكونُ عبثاً حقيقةً
أصلاً ، وفيه تكثيرُ الفائدةِ بنيابتهِ عن ثلاثِ جملٍ ؛ أَي : في هذا النظمِ على
هذه القراءةِ تكثيرُ الفائدةِ بكونِ المذكورِ نائباً عن ثلاثِ جملٍ : إحداها :
المذكورةُ ، والثانيةُ : مَنْ يُسَبِّحُ لَهُ ؟ والثالثةُ : يُسَبِّحُ رجالٌ ، بخلافه على
قراءةِ المعلومِ ؛ إذ لا حذفَ حينئذٍ ولا تقديرَ سؤالٍ ، وبكونِ المُسَبِّحِ لَهُ
عمدةً ؛ لأنه لما كانَ قوله (لَهُ) نائبَ الفاعلِ .. فقد جعلَ المُسَبِّحُ لَهُ عمدةً
في الكلامِ ، بخلافِ القراءةِ الأخرى ، وبكونه تفصيلاً بعدَ إجمالٍ ، وهو أوقعُ
في النفسِ .

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٠٠ / ١) .

(٢) سورة النور : (٣٦ - ٣٧) ، وهي قراءة ابن عامر .

ولهذه الوجوه تُرَجَّحُ روايةُ المجهولِ على روايةِ المعلومِ في قوله^(١) :

[من الطويل]

لِيُبْنِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ

أو لتخييلِ العدولِ إلى أقوى الدليلين : عقليّ ولفظيّ ؛ فإنّ الاعتمادَ عندَ الذِّكْرِ . . على دلالةِ اللفظِ ، وعندَ الحذفِ . . على دلالةِ العقلِ ؛ وهو أقوى .

أو لاختبارِ تَنَبُّهِ السامعِ أو قَدْرِ تَنَبُّهِهِ ؛ فالأوّلُ : هل يَتَنَبَّهُ بالقرينةِ أو لا ، والثاني : هل يَتَنَبَّهُ بالقرينةِ الخفيةِ أو لا .

أو لصونهِ عن لسانِكَ ، أو عكسِهِ ، أو إيهامِهِما ؛ فالأوّلُ : للتعظيمِ ، والثاني : للتحقيرِ ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ الحياءُ مِنَ التصريحِ ؛ كقولِ عائشةَ رضي اللهُ تعالى عنها : (ما رأى مِنِّي ، ولا رأيتُ مِنْهُ)^(٢) ؛ تعني : العورةَ .

أو لتعيُّنِهِ ولو ادّعاءً ؛ نحوُ : خالقُ كلِّ شيءٍ ؛ فإنّ الخلقَ مخصوصٌ بالباري تعالى ، أو للإخفاءِ ، أو ليتمكنَ الإنكارُ ، أو لتكثيرِ الفائدةِ باحتمالِ أمرينِ ؛ نحوُ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾^(٣) ؛ أي : فأمرِي أو أجملُ ؛ يعني : أنّه يُحتمَلُ كونهُ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ ؛ أي : فأمرِي صَبْرٌ جميلٌ ، وكونُهُ مبتدأً محذوفَ الخبرِ ؛ أي : فصبرٌ جميلٌ أجملٌ وأولى ، ونحوُ : ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٤) ؛ أي : فليكنْ أو فالأمرُ .

(١) تقدم (٤٠٥/١) ، والبيت بتمامه :

وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

لِيُبْنِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ

(٢) انظر «مرقاة المفاتيح» (٦/٢٦٣ - ٢٦٤) .

(٣) سورة يوسف : (٨٣) .

(٤) سورة البقرة : (١٧٨) .

أو للتعميم باختصار ؛ نحو : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ ^(١) ؛ أي : يدعو العبادَ كلَّهم ؛ إذ الدعوةُ عامَّةٌ ، وهذا التعميمُ وإن أمكنَ بذكرِ المفعولِ على صيغةِ العامِّ لكنْ يفوتُ الاختصارُ حينئذٍ .

أو للتناسبِ ؛ نحو : ﴿ وَمَا قَلَى ﴾ ^(٢) ؛ إذ لو قيلَ : وما قلاكَ . . فاتَ شبه السَّجَعِ .

وقد يُحذفُ المفعولُ نسيّاً ، فلا يكونُ منويّاً مُقدَّراً ، ولا يُلاحظُ تعلقُ الفعلِ به أصلاً ؛ لمُجرَّدِ إثباتِ الفعلِ أو نفيه ، فيُنزَلُ منزلةَ اللازمِ ؛ نحو : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) ؛ فإنَّ الغرضَ مُجرَّدُ إثباتِ العِلْمِ ونفيه من غيرِ ملاحظةِ تعلقِهِ بمعلومٍ عامٍّ أو خاصٍّ ، والمعنى : لا يستوي مَنْ تَبَّتْ لَهُ حَقِيقَةُ العِلْمِ وَمَنْ لا تَبَّتْ ، ولا يُقدَّرُ له مفعولٌ ، وإلا . . فاتَ هذا الغرضُ .

التقديم

اقتصروا في تعليلِ واجبه على اتباعِ الاستعمالِ ، وهم مُطالبونَ بالتماسِ أسبابِ الاستعمالِ كما هو مقتضى وظيفة مَنْ نصبَ نفسه لبيانِ موجباتِ اختلافِ هيئاتِ التراكيبِ العربيةِ .

وأما الجائزُ : فقالوا : إنَّه للاهتمامِ به من المُتكلِّمِ أو السامعِ ولو ادِّعاءً ، قالَ الشيخُ عبدُ القاهرِ ^(٤) : لا بدَّ في تعليلِ تقديمِ اللفظِ - أي : النطقِ به أولاً - وإن كانَ موضعهُ الطبيعيَّ بعدَ الاهتمامِ به والعنايةِ ؛ من ذكرِ جهةٍ خاصَّةٍ تُوجِبُ الاعتناءَ ؛ بأن يُقالَ : لكونه الأصلَ ولا صارفَ ، أو للتشويقِ

(١) سورة يونس : (٢٥) .

(٢) سورة الضحى : (٣) .

(٣) سورة الزمر : (٩) .

(٤) انظر « دلائل الإعجاز » (ص ١٠٦) .

إلى الخبرِ لتمكينه في ذهنِ السامع ، وهذا إذا كانَ المسندُ إليه مُشعراً بغرابةِ الخبرِ ؛ نحو^(١) :

وَأَلْسَدِي حَارَتِ أَلْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحَدَثٌ مِنْ جَمَادٍ
أَوْ لَتَعْجِيلِ الْمَسْرَةِ أَوْ لِمَسَاءَةِ تَفَاوُلًا أَوْ تَطْيِيرًا إِذَا كَانَ اللَّفْظُ صَالِحًا لَهُمَا ؛
نحوُ : سعدٌ في دارِكَ ، والسَّفاحُ في دارِ صديقِكَ ، ونحوُ : العفوُ عن فلانٍ
صدرَ به الأمرُ ، ونحوُ : إذا ابتسمَ لكَ ثغرُ الأيامِ .. فنحنُ مقترحونَ عليكَ ما
نشأ .

أو لإيهامِ أَنَّهُ لا يزولُ عنِ خاطرٍ ؛ إظهاراً لِقُوَّةِ المَحَبَّةِ ؛ لأنَّ اسمَ المحبوبِ
كثيراً ما يُوجِبُ بدلَ العَلْطِ ، والتبرُّكِ ، أو التلذُّذِ ، أو كونه مَحَزَّ التعجُّبِ
والاستبعادِ ، أو مقطعَ الحكمِ ومركزَ العنايةِ ؛ نحوُ : ﴿ وَلاَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ ﴾^(٢) ، ترتيبُ الكلامِ : ولم يكنَ أحدٌ كفوًّا له ؛ فمركزُ العنايةِ نفِي الكونِ
له ، ثمَّ الموضعُ الثاني للفظِ (الكفء) ، ونحوُ : أبعدَ طولِ التجربةِ تنخدعُ
بهذه الزخارفِ؟! أو : أتخدعُ بعدَ طولِ التجربةِ ، أو : أبهذه الزخارفِ ، هذا
حَسَبَ ما تجدُّه موضعَ التعجُّبِ والإنكارِ .

أو لبيانِ اتسامِهِ بالخبرِ ، واشتهارِهِ بمعناه ، وكونِهِ صارَ له عادةً ، كما تقولُ
في جوابِ : (كيفَ الخطيبُ ؟) : الخطيبُ يشربُ ويَطْرَبُ ، ليسَ غرضُكَ
أنْ تخبرَ بحصولِ الشربِ منه في أيِّ زمنٍ ، فلا يصحُّ في الجوابِ : يشربُ
الخطيبُ .

أو الكنايةِ بلفظِ (مثلٍ) و(غيرٍ) نحوُ : مثلكَ لا يبخلُ ، وغيرُكَ لا يجودُ ؛
أي : أنتَ لا تبخلُ ، وأنتَ تجودُ .

(١) انظر « شروح سقط الزند » (٣ / ١٠٠٤) ، والبيت لأبي العلاء المعري .

(٢) سورة الإخلاص : (٤) .

أو للنصّ على عموم السلب في نحو: كلُّ ذلك لم يكن، فلو أُخِّرَ لفظُ
(كلِّ) ولو رتبةً؛ بأن كان معمولاً قَدِمَ على عاملِهِ مع النفي . . [لم يُفدْ
ذلك] (١).

أو للتقوية في الخبرِ الفعليِّ لتكرُّرِ الإسنادِ؛ نحو: زيدٌ قامَ، والحقُّ
وضَحَ؛ أي: لتقوية الحكمِ إذا كان الخبرُ فعلاً؛ فإنَّهُ حينئذٍ يكونُ المسندُ
إليه مبتدأً، والفعلُ مسنداً إلى ضميره، فيتكرَّرُ الإسنادُ فيتقوى الحكمُ،
بخلافِ ما لو أُخِّرَ؛ فإنَّهُ يكونُ حينئذٍ فاعلاً أُسِنِدَ إليه الفعلُ، فلا يتكرَّرُ
الإسنادُ، وتقوى الحكمُ حيثُ يكونُ الخبرُ مُشتقاً غيرَ فعلٍ . . أنزلُ
منهُ حيثُ يكونُ فعلاً؛ لأنَّ ضميرَ المُشتقِّ لكونِهِ لا يتغيَّرُ . . كانَ بمنزلةِ
المفقودِ .

وأمثلةُ التقديمِ لتقوية الحكمِ . . تُستعملُ للتخصيصِ بقريضةِ الحالِ،
فـنحوُ: (زيدٌ فهمٌ) يكونُ لتقوية الحكمِ؛ فمعناه: زيدٌ فهمٌ يقيناً، وأنا من
غيرِهِ في شكِّ مثلاً، ويكونُ للتخصيصِ؛ فمعناه: زيدٌ فهمٌ وغيرُهُ لم يفهمُ،
ونحوُ: رجلٌ جاءَ؛ للتخصيصِ بالجنسِ أو الواحدِ؛ أي: لا امرأةً، أو لا
أكثرَ .

والتقديمُ في نحو: ما أنا قلتُ؛ للتخصيصِ قطعاً، ومعناه: أن نفي
فاعليةِ الفعلِ الحاصلِ مُختصٌّ بي، فيكونُ الفعلُ ثابتاً، وإنَّما النزاعُ في
فاعليهِ، فالمُتكلِّمُ يقولُ: لستُ الفاعلُ له، بل غيري، فانظرَ مَنْ هوَ، أو: هوَ
فلانٌ، فلا يصحُّ: ما أنا فعلتُ هذا ولا غيري، ولا: ما أنا ضربتُ إلا زيدا؛
فإنَّهُ حينئذٍ يكونُ تفريراً في الإثباتِ حيثُ لا يمكنُ؛ فإنَّ المعنى: غيري
ضربَ كلِّ أحدٍ إلا زيدا .

(١) ما بين معقوفين ليس في الأصل، وانظر « حاشية الصبان » (٧٥/٣) .

والتقديمُ في نحو^(١) : [من الطويل]

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِّنَ الدَّهْرِ
للتحرُّزِ مِنِ احتمالِ الوصفيةِ .

وفي نحو^(٢) : [من البسيط]

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
لتشويقِ نفسِ السامعِ إلى المؤخِّرِ .

وعلى أمثالِ هذه الدواعي يدورُ أمرُ التقديمِ ، وبابُ الاعتبارِ مفتوحٌ
لذوقِ المُتكلِّمِ ، وما ذُكِرَ مِنَ الدواعي كافٍ لترشيحِهِ وتربيةِ فطنتِهِ إلى اعتبارِ
محاسنِ المقاصدِ الكلاميةِ .

التعريفُ

حيثُ يكونُ غرضُك أن تتكلَّمَ على ما يَعْرِفُهُ المُخاطَبُ بسببِ حضورِهِ ،
أو عهدهُ ، أو سبقِ ذِكْرِ لهُ ، وحينئذٍ تورِدُ بعضَ المعارفِ ، لكنْ لكلِّ معرفةٍ
موضعٌ .

فالعَلَمُ : لإحضارِ الشخصِ بالاسمِ الخاصِّ المعروفِ وضعُهُ لهُ ؛ نحوُ :
﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾^(٣) ، و﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾^(٤) ، ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ
عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾^(٥) ، ﴿ يَلْمِزِيَهُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيئًا ﴾^(٦) .

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٠٨/١) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢١٥/١) ، وعزاه لمحمد بن وهيب .

(٣) سورة الفتح : (٢٩) .

(٤) سورة الأحزاب : (٤٠) .

(٥) سورة آل عمران : (٥٢) .

(٦) سورة مريم : (٢٧) .

أو للتبرُّك ، أو التلذُّذ ، أو التعظيم ، أو الإهانة ؛ كما في الألقابِ الصالحةِ
لمدحِ أو ذمِّ ؛ نحوُ : أبو الخيرِ ، وأبو الفضلِ ؛ فتقولُ حيثُ تستحسنُ شعراً
لأحمدَ بنِ الحسينِ المشهورِ بالمتنبي : قالَ أبو الطيبِ ؛ تلاحظُ فيه الإشارةَ
إلى جودةِ ما تنشدهُ له وطيبه ، كذلكَ تقولُ : قالَ حبيبُ بنُ أوسٍ ؛ تعني :
أبا تمامٍ ، وحيثُ تنشُدُ للبحرِيِّ بعضَ ما لا تستحسنُ مِنْ كلامِهِ .. تقولُ :
قالَ الوليدُ .

ومنْ هذهِ الملاحظةِ ملاحظةُ أحمدَ بنِ سليمانَ المشهورِ بأبي العلاءِ
المعريِّ ، حيثُ شرحَ دواوينَ هؤلاءِ الشعراءِ الثلاثةِ ، فسَمَّى شرحاً بـ « ذكرى
حبيبٍ » ، وشرحاً : بـ « عبثِ الوليدِ » ، والثالثَ بـ « معجزِ أحمدَ » .



والضميرُ : لأغراضٍ تتعلَّقُ بكلمةِ (أنا) و(أنتَ) مثلاً ؛ تقولُ : أنا
رجوتُك في هذا الأمرِ ، وأنتَ كلمتني فكيفَ أغفلُ؟! وفلانٌ هو سعى لك .
وسوقُ الضميرِ الذي يتأخَّرُ مرجعُهُ لفظاً ورتبةً .. للتفخيمِ والتعظيمِ
والإبهامِ والتفسيرِ ، وأصلُ الخطابِ : أن يكونَ معَ مُعيَّنٍ ، وقد يكونُ لنكتةٍ
معَ غيرِ مُعيَّنٍ ، كما في قولك : اللئيمُ : مَنْ إذا أحسنتَ إليه .. أساءَ إليك ،
والكريمُ : مَنْ إذا أسأتهُ .. أحسنَ بك ، واجتهدَ في إصلاحِك ؛ فتعميمُ
الخطابِ ليصيرَ نفسَ الفعلِ هوَ المُحقِّقَ لحقيقةِ الكريمِ وحقيقةِ اللئيمِ .

وحيثُ يكونُ المُتكلمُ حاكياً عن نفسه .. فالمَقامُ لضميرِ المُتكلمِ ، وحيثُ
يكونُ الكلامُ مُلقىً إلى مخاطبٍ .. فالمَقامُ لضميرِ المُخاطبِ ، وحيثُ يُرادُ
ذكرُ الشيءِ بعدَ تقديمِ ما يُشعرُ به .. فالمَقامُ لضميرِ الغائبِ ، وقد يُعدَّلُ
عن مقتضى ظاهرِ المَقامِ والحالِ إلى مقتضى الحالِ ، فيوضَعُ الظاهرُ موضعَ
الضميرِ لغرضٍ يتعلَّقُ به ؛ كقولِ الأميرِ لتابعه : أميرُك أمرُك بكذا ، دونَ أن

يقول : أنا أمرتكَ بكذا ؛ تعيناً لجهةِ المَخَافَةِ المُوَجِّبَةِ للتحَرُّزِ بالامْتِثَالِ ،
والمسارعةِ إلى القيامِ بالوظائفِ .

وقال تعالى : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ^(١) ؛ أي : هو الله الذي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ..
كفاهُ المُوَئِنَ ، حيثُ لا مُعَقِّبَ [لِحُكْمِهِ] ، ولا تَنْفِذُ خِزَائِنُ إِمْدَادِهِ ، وأمثلةٌ
وضع الظاهرِ موضعَ الضميرِ في القرآنِ .. كثيرةٌ .

يُحكى : أن بعضَ الناسِ حينَ سمعَ قولَ ابنِ الروميِّ بحضرةِ الصَّاحِبِ
ابنِ عبادٍ ^(٢) :

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السِّيفِ وَالسِّيفُ مُنْتَضِيٌّ وَحِلْمٍ كَحِلْمِ السِّيفِ وَالسِّيفُ مُغْمَدٌ
استهجنهُ ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكْرِيرِ ، فقال الصَّاحِبُ : إِنَّهُ لَوْ قَالَ : (وهو) لا
أقولُ : إِنَّهُ يَنْكَسِرُ البَيْتُ ، وَلَكِنْ أَقولُ : إِنَّهُ يَنْكَسِرُ القَلْبُ ؛ يعني : أنَّ حَسَنَ
هذهِ العبارةِ مِنَ الجَهِةِ التي منها الاستهجانُ ؛ فَإِنَّ الغَرَضَ تَرْبِيَةَ الرُّوعَةِ ،
وإبقاءُ الاستهالةِ متزايدةً في نفوسِ الأعداءِ ، ألا ترى أَنَّكَ في مَقَامِ التهديدِ
تُكثِرُ مِنْ ذِكْرِ المرهوباتِ ، كما أَنَّكَ في مَقَامِ التبشيرِ وبسطِ النفوسِ تُكثِرُ مِنْ
ذِكْرِ المرغوباتِ !؟

واسمُ الإشارةِ : للاحتياجِ إليه ، أو لكمالِ العنايةِ بالمَحَكِّيِ عنه ؛ كقولِ
ابنِ الروميِّ ^(٣) :

هَذَا أَبُو الصَّفْرِ فَرَدًّا فِي مَحَاسِنِهِ مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّمْرِ

(١) سورة آل عمران : (١٥٩) .

(٢) انظر «ديوان ابن الرومي» (٥٩٠/٢) .

(٣) كذا أورد البيت في «معاهد التنصيص» (١٠٧/١) ، وفيه : (السلم) بدل (السمر) ، والبيت في

«ديوان ابن الرومي» (٢٤٢٥/٦) :

أُضْحَى أَبُو الصَّفْرِ فَرَدًّا لَا تَظْيِيرَ لَهُ بَعْدَ النَّبِيِّ وَمَنْ وَالَّتْ حُرَّاسَانُ

أَوْ لِإِظْهَارِ الْإِسْتِغْرَابِ وَالتَّعَجُّبِ ؛ كَقَوْلِ الْقَائِلِ ^(١) : [من البسيط]
 كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٌ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٌ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقًا
 هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النِّخْرِيرَ زَنْدِيقًا
 أَوْ لِإِيْهَامِ بِلَادَةِ الْمُخَاطَبِ ، أَوْ فَطْنَتِهِ .

وَتَوْضُوعُ إِشَارَةِ الْقَرِيبِ مَكَانَ إِشَارَةِ الْبَعِيدِ وَبِالْعَكْسِ ؛ لِإِظْهَارِ التَّعْظِيمِ أَوْ
 التَّحْقِيرِ ، وَالْإِشَارَةُ لِلْمُبْصِرَاتِ الْحَاضِرَةِ ، وَيُنزَلُ الْمَعْقُولُ مَنْزَلَةَ الْمَحْسُوسِ ،
 وَغَيْرُ الْمُبْصِرِ مَنْزَلَةَ الْمُبْصِرِ ، وَالْغَائِبُ مَنْزَلَةَ الْحَاضِرِ ، لِأَمْثَالِ تِلْكَ الدَّوَاعِي
 الْمَذْكُورَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ مَا ذَا
 أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ ^(٣) ، ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ^(٤) ، ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ
 لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَلِيَأْسَ
 التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرًا ﴾ ^(٧) .



وَالْمَوْصُولُ : لِعَدَمِ الْعِلْمِ بِمَا يَخْصُهُ سِوَى الصَّلَةِ ؛ نَحْوُ : مَنْ دَخَلَ هَذَا
 الْحِصْنَ . . فَلَهُ كَذَا ، أَوْ لِلْإِخْفَاءِ ، أَوْ اسْتِهْجَانِ التَّصْرِيحِ بِالْإِسْمِ ، أَوْ التَّشْوِيقِ
 إِلَى مَا يَرُدُّ لِمُتَمَكِّنِهِ فِي الذَّهْنِ ، وَهَذَا إِذَا كَانَ مِثْلُ الصَّلَةِ حِكْمًا غَرِيبًا ؛
 نَحْوُ ^(٨) :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ (الْبَيْتِ) .

(١) البيتان لابن الراوندي كما في « معاهد التنصيص » (١٤٧/١) .
 (٢) سورة البقرة : (٢٥٥) .
 (٣) سورة البقرة : (٢٦) .
 (٤) سورة الفرقان : (٤١) .
 (٥) سورة البقرة : (٢) .
 (٦) سورة الشورى : (٤٣) .
 (٧) سورة الأعراف : (٢٦) . (٨) تقدم قريباً (٨٢/٢) .

أو زيادة التقرير ؛ نحوُ : ﴿ وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾ ^(١) ؛ أي راودت زليخا يوسف عليه السلام ، والكلام مسوق لنزاهة يوسف عليه السلام ، وكونه في بيتها أدل على نزاهته ، فيكون تقريراً للغرض المسوق له الكلام ، وقيل : لتقرير المرادة بدلالة كونه في بيتها على كثرة الخلطة وزيادة الألفة .

أو التفتيح ؛ نحوُ : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ﴾ ^(٢) ؛ أي : غطاهم وسترهم موجعاً عظيماً لا يمكن وصفه ، أو التحقير ؛ نحوُ : ومن لم يدر حقيقة الحال . . قال ما قال ؛ أي : قال قولاً لا يعتد به ، وتحقيقهما : أن في التعبير بالموصول إبهاماً ، والإبهام إمّا للإشعار بأنه لا يوصف لعلو مرتبته عن الفهم ، فيفيد التفتيح ، وإمّا للإشعار بأنه لا يوصف لدنو منزلته عن أن يلتفت إليه ، فيفيد التحقير .

أو التنبيه على الخطأ ؛ نحوُ ^(٣) :
 إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ
 يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُضْرَعُوا
 [من الكامل]
 أو تحقيق الحكم ؛ نحوُ ^(٤) :
 إِنَّ الَّتِي ضَرَبْتَ بَيْتاً مُّهَاجِرَةً
 بِكُوفَةِ الْجُنْدِ غَالَتْ وَدَّهَا غُولُ
 [من البسيط]
 أو تعظيم المحكوم به ؛ نحوُ ^(٥) :
 إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا

(١) سورة يوسف : (٢٣) .

(٢) سورة طه : (٧٨) .

(٣) البيت لعبدة بن الطبيب رضي الله عنه ، كما في « معاهد التنصيص » (١٠٠/١) .

(٤) البيت لعبدة بن الطبيب رضي الله عنه ، كما في « المفضليات » (ص ١٣٦) .

(٥) هو للفرزدق في « ديوانه » (٣١٨/٢) .

يريدُ : بيتَ العزِّ والشرفِ بالحسبِ والنسبِ ؛ أي : فهو في الرفعةِ وعلوِّ الشانِ مِنْ جنسِ السماءِ .

أو تعليلهِ ؛ نحوُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ ^(١) ، فإنَّ الإيمانَ وعملَ الصالحاتِ سببٌ للجَنَّاتِ ورفعِ الدرجاتِ .



وذو الأداةِ : حيثُ تكونُ الحكايةُ عن جنسٍ أو معهودٍ مِنْ أفرادِهِ أو جميعِ أفرادِهِ على ما سَلَفَ تقريرُهُ في النحوِ ^(٢) ، وحيثُ يكونُ ذو الأداةِ خبراً . . . كَانَ الكلامُ مِنْ عباراتِ التخصيصِ ؛ نحوُ : زيدٌ هوَ المنطلقُ ، والكرمُ التقوى ، وذلكَ هوَ الرجلُ ؛ فالتخصيصُ : حقيقيٌّ أو ادِّعائيٌّ .



والمُضَافُ : لتعيينهِ بالإضافةِ ، أو تخصيصهِ ، أو تشريفهِ ، أو تشریفِ المُضَافِ إليه ، أو الاختصارِ ؛ نحوُ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ ^(٤) ، وديننا الإسلامُ ، ونبينا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونحوُ : أَنْتَ تَعْرِفُ رَغْبَةَ فُلَانٍ ، واعتمدتُ على هِمَّتِكَ .

التنكيرُ

للإفرادِ ؛ شخصاً أو نوعاً ؛ نحوُ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ ^(٥) ؛ أي : كلِّ

(١) سورة الكهف : (١٠٧) .

(٢) انظر (١٢٢/١) .

(٣) سورة الإسراء : (١) .

(٤) سورة الفرقان : (٦٣) .

(٥) سورة النور : (٤٥) .

فردٍ أو نوعٍ منها ، مِنْ فردٍ أو نوعٍ منه ، أو لَأَنَّهُ لا يُعْرَفُ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ الْقَدْرُ ولو
إِدْعَاءً ؛ كما تقولُ وقد أُسْمِعْتَ شعراً : هو كلامٌ ؛ أي : ليسَ إِلَّا لفظاً مُرَكَّباً
مفيداً بالوضع ، تُجَرِّدُهُ عَنِ الْوِزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ وَالصَّنَاعَةِ .

أو للإخفاء ، أو للتكثير ، أو للتقليل ، أو التعظيم ، أو التحقير ؛
نحو^(١) :

لَهُ حَاجِبٌ عَن كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَن طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ
فَتَى لَا يُبَالِي الْمُدْلِجُونَ بِنَارِهِ إِلَيَّ بَابِهِ إِلَّا تُضِيءُ أَلْكَوَاكِبُ
يَصَّمُ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَتَّى كَانَتْهُ إِذَا ذُكِرَتْ عَن مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبُ

أي : لَهُ حَاجِبٌ عَظِيمٌ ، وَلَيْسَ لَهُ أَدْنَى حَاجِبٍ ، وَهُوَ فَتَى أَيُّ فَتَى !! وَفِي
الشعرِ مَا يُذَكِّرُكَ بِكَثِيرٍ مِمَّا مَضَى ، وَنحو^(٢) :

وَلِلَّهِ عِنْدِي جَانِبٌ لَا أُضِيعُهُ وَلِلَّهِ عِنْدِي وَالْخَلَاعَةَ جَانِبُ

[التقييدُ]

التقييدُ ببعضِ التوابعِ لما سلفَ تقريرُهُ في النحوِ .. لم يذكروا في هذا
الفنِّ زيادةً عنه ، غيرَ أَنَّ عطفَ البيانِ يكونُ كالنعتِ للمدحِ ؛ نحوُ : الكعبةُ
البيْتُ الحرامُ .

وإنَّ الفاءَ وَ(ثُمَّ) كما يكونُ معناهما بحسبِ الزمانِ .. يكونُ بحسبِ
المرتبةِ وَالتفاوتِ فيها ؛ مثلُ أَنَّ التفسيرَ يناسبُ أَنْ يعقبَ المُفسِّرَ ؛ نحوُ :
﴿ جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴾^(٣) .

(١) الأبيات لابن أبي السمط ، كما في « معاهد التنصيص » (١٢٧/١) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١٢٧/١) .

(٣) سورة يس : (٨) .

والتراخي بحَسَبِ التَّفَاوُتِ وَالبَعْدِ بَيْنَ الحَالَتَيْنِ تَفهَمُهُ مِنْ آيَةِ خَلْقِ
الإنسانِ : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ (١) .

الفصلُ بلفظِ (هو) للتخصيصِ ، أو لتأكيدِهِ حيثُ يُستفادُ مِنْ غيرِهِ .

القصرُ

ويُقالُ : الحَصْرُ والتخصيصُ : يكونُ بعطفِ (لا) قيلَ : ويختصُّ بقصرِ
القلبِ ، وبعطفِ (لكنْ) قيلَ : ويختصُّ بالافرادِ ، ويكونُ بأداةِ نفيٍ و(إلا) ،
ويكونُ بـ (إنما) ولا يُعرفُ المقصودُ معها إلا بتأخيرِهِ ، فوجبَ ، ويكونُ
بالتقديمِ اعتماداً على القرينةِ ، لا بالوضعِ كسابقِهِ ، ويكونُ بالفصلِ كما
سبقَ (٢) ، وبقولِكَ : فقط ، أو وحدهُ .

والقصرُ حقيقيٌّ وإضافيٌّ ؛ أي : بالنسبةِ إلى صفةٍ أُخرى ، أو موصوفٍ
آخَرَ ، والحقيقيُّ في قصرِ الموصوفِ على الصفةِ . . نادرٌ جداً ، حتى قيلَ :
إنَّهُ مُتَعَدِّرٌ ؛ نحوُ : إنما اللهُ كاملٌ ، فليسَ وراءَ الكمالِ صفةٌ .



(١) سورة المؤمنون : (١٤) .

(٢) انظر (٤٠٩/١) .

الجمَلُ الإنشائيُّ

يُخَصُّهَا مِنَ الْكَلَامِ أَنَّهَا تَخْرُجُ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي مَعَانِيهَا الْأَصْلِيَّةِ - الَّتِي عَرَفْتَهَا ^(١) - لَهَا فِي النَّحْوِ إِلَى مَرَادَاتٍ يَلْزَمُ تَنْبِيهُكَ لَهَا ، تَلَحُّظُهَا فِي كَلَامِ الْعَامَّةِ فَضْلاً عَنْ كَلَامِ الْخَاصَّةِ ؛ مِثْلُ كَوْنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يُرَادُ بِهِمَا نَحْوُ التَّهْدِيدِ : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ^(٢) ، وَالْإِهَانَةِ : ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ حَلَقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ ^(٣) ، وَالتَّعْجِيزِ : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ^(٤) ، وَالتَّسْوِيَةِ : ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ ^(٥) .

وإنَّ عِبَارَاتِ الاسْتِفْهَامِ تَكُونُ لِصِرْفِ الْإِنْكَارِ ، فَتَكُونُ كِعِبَارَاتِ النَّفْيِ ؛ نَحْوُ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٧) ، وَلِلتَّوْبِيخِ ، وَالتَّعْجَبِ ، وَالتَّعْجِيبِ ، وَالتَّقْرِيرِ ؛ أَي : حَمَلِ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُنْبِئُهُ الْمَقَامُ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ عَلَى اعْتِبَارِهِ .

وَالشَّيْءُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ الاسْتِفْهَامُ وَمَا يَتَوَلَّدُ مِنْهُ يَكُونُ وَالِيًّا لِلْهَمْزَةِ ؛ تَقُولُ : أَمَا شَيْئاً جَاءَ زَيْدٌ ؟ حَيْثُ يَكُونُ الاسْتِفْهَامُ مُتَعَلِّقاً بِالْحَالِ ، وَهَكَذَا كَمَا سَلَفَ تَقْرِيرُهُ عِنْدَ بَيَانِ كَوْنِ الاسْتِفْهَامِ لَطَلْبِ التَّصْدِيقِ أَوْ طَلْبِ التَّصَوُّرِ ^(٨) .

وَالكَلَامُ الْعَامُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : أَنَّكَ إِذَا وَجَدْتَ الْعِبَارَةَ مَدْلُولاً عَلَى أَنَّهَا

(١) انظر (٥٢٢/١) وما بعدها .

(٢) سورة فصلت : (٤٠) .

(٣) سورة الإسراء : (١٧ - ١٨) .

(٤) سورة البقرة : (٢٣) .

(٥) سورة الطور : (١٦) .

(٦) سورة الرحمن : (٦٠) .

(٧) سورة آل عمران : (١٣٥) .

(٨) تقدم (١٣٢/١ ، ١٦٣) .

غَيْرُ مُسْتَعْمَلَةٍ فِي مَعْنَاهَا الْأَصْلِيَّ الَّذِي عَرَفْتُهُ لَهَا . . طَلَبْتَ الْمِرَادَ مِنْهَا بِإِعَانَةِ الْقِرَائِنِ وَسِيَاقِ الْكَلَامِ مِنْ جِنْسِ تِلْكَ الدَّوَاعِي الَّتِي عَرَفْتَهَا ؛ حَيْثُ تَقَرَّرَ عِنْدَكَ أَنَّ الدَّوَاعِيَّ الْمَذْكُورَةَ فِي هَذَا الْفَرْقِ . . إِنَّمَا هِيَ أَنْمُودَجٌ يُنْبَهُكَ عَلَى اعْتِبَارِ مَا يَحْسُنُ فِي الذُّوقِ اعْتِبَارُهُ .

وكلمة (ما) مِنْ أَدْوَاتِ الْاسْتِفْهَامِ . . يُطَلَّبُ بِهَا تَفْسِيرُ اللَّفْظِ ؛ نَحْوُ : مَا الْعِنْقَاءُ ؟ وَشَرْحُ الْمَاهِيَّةِ ؛ نَحْوُ : مَا هُوَ الْهَوَاءُ ؟ وَمَا هِيَ النَّارُ ؟ وَالْإِعْلَامُ بِحَالِ الْمَذْكُورِ مَعَهَا ؛ نَحْوُ : مَا أَنْتَ ؟ فَتَقُولُ : رَسُولُ فَلَانٍ إِلَيْكَ فِي أَمْرٍ كَذَا .

وكلمة (هل) إِنْ كَانَ الْاسْتِخْبَارُ بِهَا عَنْ وُجُودِ الشَّيْءِ . . سُمِّيَتْ : الْبَسِيطَةَ ، وَإِنْ كَانَ عَنْ غَيْرِهِ . . سُمِّيَتْ : الْمُرَكَّبَةَ ، وَعَلَيْهِ يَقُولُ أَهْلُ الْمَنْطِقِ : الْهَلِّيَّةُ الْبَسِيطَةُ ، وَالْهَلِّيَّةُ الْمُرَكَّبَةُ .

وبقية الأدوات سبق لك إبانة وظائفها .

[إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر]

هذا ؛ وإجراء الكلام على ما تقتضيه ظواهر الأحوال حسب المتعارف . . يُسَمَّى : إِخْرَاجَ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ ، وَإِجْرَاؤُهُ عَلَى خِلَافِهَا يُسَمَّى : إِخْرَاجَ الْكَلَامِ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ .

مثلاً : إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ إِنْسَانًا يَعْرِفُ مَضْمُونَ خَبْرٍ . . فَمُقْتَضَى ظَاهِرِ الْحَالِ أَلَّا تُخْبِرَهُ بِهِ ؛ حَفْظًا لِلْوَقْتِ مِنَ الضَّيَاعِ ، بَلْ تُخْبِرُهُ بِمَا تَعْرِفُ جَهْلَهُ بِهِ ؛ اسْتِزَادَةً فِي عِلْمِهِ ، لَكِنْ إِذَا رَأَيْتَهُ عَامِلًا عَلَى خِلَافِ عِلْمِهِ . . حَسُنَ أَنْ تُنْزِلَهُ مَنَزَلَةَ الْجَاهِلِ ؛ تَأْدِيبًا لَهُ ، وَتَنْفِيرًا عَنْ غَيْرِ الْحَسَنِ ، فَتُخْبِرُهُ بِالْخَبْرِ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى هَذَا الْحَالِ .

فمنه : تَنْزِيلُ الْعَالِمِ مَنَزَلَةَ الْجَاهِلِ وَعَكْسِهِ ، مَثَلًا : تَقُولُ لِتَلْمِيزِكَ وَأَنْتَ

تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبَ : أَسْمَعْنِي مَا كَتَبْتَ ، كَأَنَّكَ تَجْهَلُ عَدَمَ كِتَابَتِهِ ؛ لِيَكُونَ هُوَ الذَّاكِرُ لَجَنَائِتِهِ .



ومنه : وضع الظاهر موضع الضمير ، والماضي موضع المضارع وعكسه :
لِمَا سَلَفَ .

ومنه : وضع الخبر موضع الإنشاء ؛ للتفاوت في نحو : هَذَا اللَّهُ لِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ ، أَوْ لِإِظْهَارِ الرَّغْبَةِ ، أَوْ لِلتَّأْدُبِ مَعَ الْمُخَاطَبِ بِتَرْكِ الْأَمْرِ ؛ كَمَا تَقُولُ : يَنْظُرُ مَوْلَايَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَةِ ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيَّ بِرَأْيِهِ فِيهَا ، بَدَلًا : (انظر)
وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ .

ومنه : تجاهل العارف إظهاراً لشدة الوله ؛ كقول أخت ابن طريف حين
ترثي أباها ^(١) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
أَوْ الْفَخْرِ بِالسَّارِعَةِ إِلَى الْخَيْرِ ؛ نَحْوُ : أَيُّنَا كَتَبَ وَحَفِظَ وَفَهَمَ ؟



ومنه : التعليل ، فيُعَبَّرُ عَنِ الْمَغْلُوبِ بِعِبَارَةِ الْغَالِبِ ؛ نَحْوُ : ﴿ وَكَانَتْ مِنْ الْقَلْبَيْنِ ﴾ ^(٢) ، تَغْلِيْبًا لِلذُّكُورِ ، وَنَحْوُ : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) ، تَغْلِيْبًا لِلْعُقَلَاءِ ، وَنَحْوُ : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ^(٤) ، تَغْلِيْبًا

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٩/٣) .

(٢) سورة التحريم : (١٢) .

(٣) سورة الفاتحة : (٢) .

(٤) سورة الحجر : (٣٠) .

للكثير ، ونحوُ : (العُمَرَانِ) لأبي بكرٍ وعمرَ ؛ تغليباً للأخفِ ؛ كالحسنينِ ،
و(الأبوانِ) و(القمرانِ) تغليباً للمذكَرِ .



ومنهُ : الالتفاتُ : كأن تكونَ في الإخبارِ عن شخصٍ بأمورٍ تُعَدُّها عليه
وهو حاضرٌ ، ثمَّ تلتفتُ للكلامِ إلى خطابهِ بأن تقولَ شاكياً منه إلى مَنْ مَعَهُ
المكالمةُ : إني دللتُهُ على رشادِهِ ، وأبنتُ لَهُ وجوهَ المنفعةِ فيما أمرتُهُ بِهِ ،
وأريتهُ جهاتِ الضررِ في خلافِهِ . تُظهِرُ أَنَّهُ قَدْ اشْتَدَّ بِكَ الغضبُ ، وآلَتْ بِكَ
الحالُ إلى تبدُّلِ الرحمةِ بالقسوةِ ، كما قيلَ ^(١) :

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَيَّ مَنْ يَزَحْمُ
فتلتفتُ إلى خطابهِ قائلاً : فماذا أصنعُ بكِ؟! أعاملكِ معاملةَ البهائمِ ،
أم أخليكِ نعمةً على نفسكِ وعاراً على بيتكِ!؟

فالالتفاتُ : أن تخالفَ الظاهرَ بالإخبارِ بعدَ الخطابِ ؛ نحوُ : ﴿ حَتَّى إِذَا
كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ ^(٢) ، والخطابِ بعدَ الإخبارِ ؛ نحوُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٣) ، فلا بدَّ مِنْ عبارتينِ تخالفُ الثانيةُ الأولى في التكلُّمِ
والخطابِ والغيبةِ ، أو المداوُ على مخالفةِ الظاهرِ ، رأيانِ .

فقولُ الشاعرِ ^(٤) :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمُدِ

(١) انظر « نهاية الأرب » (٢٩١/٧) .

(٢) سورة يونس : (٢٢) .

(٣) سورة الفاتحة : (٥) .

(٤) هو لامرئ القيس في « ديوانه » (ص ١٨٥) ، والبيت بتمامه :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمُدِ وَنَسَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ تَزُقْ دِ

خطاباً لنفسه مِنَ الالتفاتِ على أحدِ الرأيين ، كأنَّهُ نظرَ إلى ما حقُّهُ أن يُعبَّرَ به ، فأعرضَ عنه والتفتَ إلى غيره .

والمَداوُ في نِكاتِ الالتفاتِ ما تستحسنُهُ الأذواقُ ، ويصلُحُ أن يكونَ داعياً لتغييرِ الأسلوبِ ومخالفةِ الظاهرِ ، مثلاً : الالتفاتُ في ﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾ (١) للتنبيهِ على أنَّ مرتبةَ التوجُّهِ إلى شيءٍ بالعبادةِ وطلبِ المعونةِ . . إنما هي بعدَ معرفتِهِ بكونِهِ المُبدِعِ الحافظَ المُحسنِ بتبليغِ العابدِ المستعينِ إلى حالِ كمالِهِ ، مُقبِلاً عليه بآتمِ رحمةٍ وأسبغِ نعمةٍ ، وهو المُتصرِّفُ في جميعِ أحوالِهِ ، لا مُعقَّبٌ لحُكمِهِ ، فيتضمَّنُ هذا تعليمَ العبادِ أَنَّهُ لا ينبغي الإقدامَ على طلبِ ثمرةٍ مِنْ شيءٍ إلاَّ بعدَ معرفةِ الطريقِ الموصلةِ إليها ، وما يلزمُ مِنَ العملِ .

والنكتةُ في نحوِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (٢) : التمكنُ مِنْ ذكرِ الجهةِ التي يسهلُ على كلِّ أحدٍ ملاحظتها ، داعياً للشكرِ بامثالِ ما أمروا به ، واجتنابِ ما نُهوا عنه ؛ وهي التريبةُ ، وأنَّ الترتيبَ بهذا العنوانِ يكونُ مُشتملاً على بسطِ نفسِ المُخاطبِ بوعدِهِ التمكينِ مِنْ ثمرةِ الشجرةِ ، كأنَّهُ قالَ : أعطيناك وسنوصلُك إلى جميعِ منافعِ ما لك أعطينا .
وعليك بالتأملِ ؛ لتستخرجَ محاسنَ ما يردُّ عليك مِنَ الالتفاتِ بالقياسِ على هذا .

[الأسلوبُ الحكيمُ وقصةُ سيِّدنا خالدٍ معَ حكيمِ الحيرةِ]

ومنهُ : الأسلوبُ الحكيمُ : وهو تلقِّي المُخاطبِ بغيرِ ما هو يترقَّبُهُ جواباً عن كلامِهِ لغرضٍ ؛ كالتنبيهِ على محلِّهِ مِنَ المعرفةِ ، ودرجتهِ مِنَ الاعتبارِ .
يُحكى : أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ رضيَ اللهُ عنه لَمَّا وصلَ بجيشِ الجهادِ وهو

(١) سورة الفاتحة : (٥) .

(٢) سورة الكوثر : (١ - ٢) .

أَمِيرُهُ إِلَى الْحَيْرَةِ ، وَتَحَيَّرَ أَهْلُهَا . . كَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ مُعَمَّرٌ ذُو رَأْيٍ وَطَوَّلِ تَجْرِبَةٍ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ الْمَسِيحِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْحَيْرَةِ ؛ مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَ هُنَا ، فَإِنْ وَجَدْتُهُمْ عَلَى حَقِّي . . فَلَا خَيْرَ فِي خِلَافِهِمْ ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرُ ذَلِكَ . . فَهَذَا إِذْ قَدْ اسْتَصْحَبْتُ سُمَّاً أَتَنَاوَلُهُ إِذْ ذَاكَ ، وَشَأْنَكُمْ وَمَا تَرَوْنَ .

فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَ خَالِدٍ . . كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَهُ : مِنْ أَيْنَ ؟ فَأَجَابَ : مِنْ صَلْبِ أَبِي ، فَقَالَ : فِيمَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فِي ثِيَابِي ، فَقَالَ : عَلَامَ أَنْتَ ؟ قَالَ : عَلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ : كَمْ سَنُكَ ؟ قَالَ : اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ ، فَقَالَ خَالِدٌ : أَسَأَلُكَ عَنِ الشَّيْءِ فَتَجِيبُ بِغَيْرِ جَوَابِهِ !! فَقَالَ : لِمَ أَفْعَلُ ، إِنَّمَا أَجَبْتُكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَ ، فَقَالَ خَالِدٌ : دَعْنِي مِنْ هَذَا ، مَا أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي ، وَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَى يَدِهِ فَوَجَدَهُ قَدْ أَطْبَقَهَا عَلَى شَيْءٍ ، فَقَالَ : مَا بِيَدِكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ سُمٌَّ وَمَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ ، فَتَنَاوَلَ خَالِدٌ السَّمَّ مِنْ يَدِهِ وَابْتَلَعَهُ ، فَغَابَ هُنَيْهَةً وَضَرَبَ بِلَحِيَّتِهِ عَلَى صَدْرِهِ وَتَصَبَّبَ عِرْقاً ثُمَّ أَفَاقَ وَكَلَّمَ عَبْدَ الْمَسِيحِ ، فَأَسْلَمَ^(١) ، وَهَذِهِ مِنْ مَعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ مَعْجَزَاتٌ لِأَنْبِيَائِهِمْ .

وَيُحْكِي : أَنَّ شَاعِراً يُقَالُ لَهُ الْقَبْعُورِيُّ فِي أَيَّامِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، كَانَ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي بَسْتَانٍ ، فَجَرَى ذَكَرُ الْحَجَّاجِ ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ ؛ سَوِّدْ وَجْهَهُ ، وَاقْطَعْ عُنُقَهُ ، وَاسْقِنِي مِنْ دَمِهِ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ ، فَأَحْضَرَهُ وَذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ الْعَنْبَ ، فَأَخَذَ يَتَهَدَّدُهُ ، فَكَانَ مِنْ كَلَامِهِ : لِأَحْمَلَنَّكَ عَلَى الْأَدْهِمِ ؛ يَرِيدُ : الْقَيْدَ ، فَقَالَ الْقَبْعُورِيُّ : مِثْلُ الْأَمِيرِ مَنْ حَمَلَ عَلَى الْأَدْهِمِ وَالْأَشْهَبِ ، فَقَالَ : أَرَدْتُ الْحَدِيدَ ، فَقَالَ : لِأَنَّ يَكُونُ حَدِيداً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَلِيداً ، فَقَالَ :

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٣٧ / ٣٦٤ - ٣٦٥) .

احملوه ، فتلا : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا ﴾ ^(١) ، فقال : اطرحوه ، فتلا :
 ﴿ مِنْهَا حَلَقَاتُكُمْ وَفِيهَا بُعْدُكُمْ ﴾ ^(٢) ، فصَفَحَ عَنْهُ ^(٣) ، وكانت تلك عادة الحجاج ،
 يَهَبُ جنایاتِ الشخصِ لِأدابه .

فالغرضُ تنبيهُ المُخاطَبِ على خطئِهِ ، وأنَّ الأليقَ بِإمارتِهِ وقدرتِهِ أن يُصَفِدَ
 ويعطي ، لا أن يَصَفِدَ وَيُقَيِّدَ ^(٤) .

والنورُ المبينُ في الأسلوبِ الحكيمِ : قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ
 قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيَجِ ﴾ ^(٥) ، فمطلوبُ السائلينَ : إبانةُ سببِ تشكُّلِ
 القمرِ في أشكالِهِ ، حيثُ كانَ سؤالُهُم : ما بالُ الهلالِ يبدو دقيقاً ، ثمَّ
 يتزايدُ حتى يصيرُ بدرأ ، ثمَّ يتناقصُ حتى يعودُ كما بدا ؟ فحَمَلَ سؤالُهُم
 على أن مطلوبَهُمُ إبانةُ الحِكمِ المُرتبَةِ على ذلك ، فأجيبوا على وَفْقِهِ ؛
 تنبيهاً على أَنَّهُ الأولى بِهِم ؛ إذ كانَ هوَ الذي يُهْمُهُمُ في أعمالِ دنياهُم
 وأخرتِهِم .

[القلبُ نوعٌ من خلافِ الظاهرِ]

ومِنَ خلافِ الظاهرِ : القلبُ ؛ كما في قولِهِم : عرضتُ الناقةَ على
 الحوضِ ، وأدخلتُ الخاتمَ في إصبعي ، ووجهُ الكلامِ : عرضتُ الحوضَ ،
 وأدخلتُ إصبعي ؛ فإنَّ العَرَضَ أن تُحَضِرَ ما لا يَخْتارُ إلى ما يَخْتارُ تنظُرُ ؛
 هل يفعلُ ؛ تقولُ : عرضتُ الماءَ على الفرسِ غيرَ مرَّةٍ فلم يشربْ ؛ كأنَّهُ جَزِيءٌ
 بَرَطِبَ الخَلَاءِ عَنِ الماءِ .

(١) سورة الزخرف : (١٣) .

(٢) سورة طه : (٥٥) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٧٠ / ٢) .

(٤) يصفد الأولي : بمعنى : يعطي ، والثانية : بمعنى : يقيد .

(٥) سورة البقرة : (١٨٩) .

وهل القلبُ مقبولٌ داخلٌ في بابِ البلاغةِ؟ ثالثُ الأقوالِ : أَنَّهُ
إنِ اشتملَ على نكتةٍ تُحسِّنُهُ .. فهو مقبولٌ ، قالَ القطاميُّ في صفةِ
ناقتِهِ (١) :

فَلَمَّا أَنْ جَرَى سِمَنْ عَلِيَّهَا كَمَا طَيَّنْتَ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا
الفَدَنُ : القَصْرُ ، والسِّيَاعُ : هو الطينُ الذي يُبَسِّطُ على ظاهرِ الجدرانِ
لتسويتِها وتحصيلِ مَلاستِها ، والسِّمَنْ : الشَّحْمُ .

وترتيبُ الحيوانِ : العظمُ وغطاؤه اللحمُ ، وغطاءُ اللحمِ الشحمُ ، والغطاءُ
الأخيرُ الجلدُ ، فالشحمُ بمنزلةِ السِّياعِ ، وفي المثلِ : قيلَ للشحمِ : أينَ
تذهبُ؟ فقالَ : أُسْوِي العِوَجَ ، فكانَ وجهُ الكلامِ : كما طَيَّنْتَ الفَدَنَ بالسِّياعِ ،
ولكنْ لَمَّا أَرَادَ المبالغةَ ليفيدَ كثرةَ الشَّحْمِ .. قَلَبَ في الكلامِ ؛ وذلكَ أَنَّ
العادةَ أن يكونَ الجِدَارُ غليظاً ، والسائرُ إنمَّا هو طبقةٌ رقيقةٌ ، فجعلَ السائرَ
مستوراً ، والمستورَ سائراً ؛ نقلاً للغلظِ والرِّقَّةِ عن موضعَيْهِما ، فجاءتِ
المبالغةُ .

ثُمَّ إِنَّ القَلْبَ لم يَكْثُرْ في كلامِ العربِ ، ولم يَرِدْ في أبلغِ الكلامِ ، فهذا
هو سببُ الاختلافِ في قبُولِهِ ، ويُقبَلُ منه مثلُ أن تقولَ : ما زلتُ أعظُّ لساني
به فلم ينفعَ ، ثمَّ ضربتُ هذه العِصَابَةَ حتى تكسَّرتْ فلم يَنْجَعْ ، فقلتُ : لا
تهدي مَنْ أَحْبَبْتَ .



(١) انظر «ديوان القطامي» (ص ٢٧٠) ، وفيه : (بطنت) بدل (طينت) .

[البابُ الثَّانِي]

بابُ الجملَتَيْنِ فأكثرَ

[الفصلُ والوصلُ]

وترجموا له بالفصلِ والوصلِ ، والمرادُ بالوصلِ : العطفُ ، وبالفصلِ : تركُّهُ ، والمقصودُ بالبحثِ في هذا البابِ : إنّما هو العطفُ بالواوِ ؛ وذلكَ أنّ الواوَ كما عرفتَ لا تفيدُ إلاّ مجرّدَ الجمعِ بينَ شيئينِ في حكمٍ إن كانتَ في عطفِ المفرداتِ أو الواقعِ موقعها منَ الجملِ ، وفي مُجرّدِ الكونِ والحصولِ إذا كانتَ في عطفِ الجملِ التي ليستَ واقعةً موقعَ المفرداتِ .

وإنَّكَ لا ترى نفسَكَ تَقنَعُ بهلذه الفائدةِ للعطفِ ، فإنَّكَ تقولُ : لو ذُكِرَتِ الجملُ بدونِ عطفٍ .. فهُمَ أنّها مُشتركةٌ في الكونِ والحصولِ .

وأما بقيّةُ حروفِ العطفِ .. فهي ظاهرةُ الفائدةِ بما لها منَ المعاني ، فوجبَ أن يمضيَ بكَ التعلِيمُ لتقفَ على أسرارِ البلاغةِ إلى إبانةِ مواضعِ فصلِ الجملِ بعضها عن بعضٍ ومواضعِ وصلها .



مواضعُ فصلِ الجملِ

الموضعُ الأوَّلُ : الجملُ المتباينةُ بالخبريةِ والإنشائيةِ معنَى ؛ نحوُ : (أكرمُ زيداً) و (زيدٌ رجلٌ عالمٌ) ، فإنَّكَ تجدُ مِنْ طَبْعِكَ نَفْرَةً عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْجَمَلَتَيْنِ ؛ لِحُلُوِّهِ عَنِ الْفَائِدَةِ ، بخلافِ : أكرمُهُ فهوَ فاضِلٌ ، ونحوُ : أكرمَنِي زيدٌ أكرمَهُ اللهُ .

لكنْ إذا كانَ الفصلُ لهذا السببِ مُوهِماً خلافَ المقصودِ .. وجبَ الوصلُ ؛ لتعارضِ المانعِ والمقتضي إذاً ، وليسَ وراءَ الفصلِ إلاَّ الوصلُ .
يُحكى : أنَ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنه كانَ في محاورَةٍ معَ أعرابيٍّ ، فقالَ الأعرابيُّ أثناءَ كلامِهِ : لا ، رحِمَكَ اللهُ ، فقالَ الصِّدِّيقُ : إِنَّهُ لو حَسَنَ اعتقادُكُمْ .. لأنارِثَ عقولُكُمْ ، ألا قلتَ : لا ، ورحِمَكَ اللهُ؟! (١) .

فكلمةُ (لا) خبرٌ ، و (رحِمَكَ اللهُ) إنشَاءٌ ، والوصلُ يُعَيِّنُ دعاءَ اللامِ ، والفصلُ يُوهِمُ دعاءَ (على) ، وكلامُ الصِّدِّيقِ يستدعي إبانةً ، فربَّ قاصِدٍ يقولُ : ما لحسنِ الاعتقادِ وإنارةِ العقولِ ؛ فإنَّها بالمعارفِ؟! فتقولُ لهُ : إنَّ حسنَ الاعتقادِ عبارةٌ عن كمالِ الإيمانِ المستدعي التخلُّقِ المأمورِ بهِ في قولِهِ : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ » (٢) ، والتأدبُ بأدابِ أنبيائِهِ والراسخينِ في العلمِ ، وذلكَ إنَّما يكونُ بمعرفةِ ذلكَ ، ومَدخلُكَ إليها مِنْ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي » (٣) .

(١) انظر « ربيع الأبرار » (٢٦٣/٥) .

(٢) أخرج ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٧) عن سيدنا عثمان رضي الله عنه مرفوعاً : « لله مئة وسبعة عشر خُلُقاً ، من جاء بخلُقٍ منها .. أدخله اللهُ الجنة » ، وقال سبحانه : ﴿ كُذِّبَتْ رَيْبِيحٌ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

(٣) أخرجه السمعي في « أدب الإملاء والاستملاء » (١) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

وُحِكِي : أَنَّ الصَّاحِبَ ابْنَ عِبَادٍ قَالَ حِينَ سَمِعَ مِنْ بَعْضِ مُخَاطِبِيهِ أَوَّلَ مَا سَمِعَ :
لا ، وَأَيَّدَكَ اللَّهُ : هَذِهِ الْوَاوُ أَحْسَنُ مِنْ وَاوَاتِ الْأَصْدَاغِ ، عَلَى خُدُودِ الْمِلَاحِ (١) .

الموضع الثاني : الجملُ التي فُقدتِ المناسبةُ بينها ، والجهةُ الجامعةُ التي
سيردُ عليك شرحُها وتفصيلُها ؛ نحوُ : (زيدٌ فاضلٌ) و(الكلبُ نجسٌ العينِ
في رأيٍ) ، ومن هنا أخذوا على أبي تمامٍ في قوله (٢) :

رَعَمَتْ هَوَاكَ عَفَا أَلْغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا [طُلُوءٌ] بِاللَّيْلِيِّ وَرُسُومُ
لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمُ
مَا حِلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوِدَادِ وَلَا غَدَتْ نَفْسِي عَلَى إلفِ سِوَاكَ تَحُومُ

حيثُ عطفَ في واسطِ الأبياتِ دونَ مناسبةٍ بينَ الجملتينِ ، وحاشى
أبا تمامٍ أن يَشُدَّ عليه مثلُ هذا وهو إمامُ البلاغةِ !!

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْتُهُ مِنْ أَلْفِهِمِ السَّقِيمِ
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْفُهْمِ (٣)

وبيانُ الجهةِ المُحسِنَةِ للوصلِ في قوله بعدَ أن تَعَلَّمَ أن هُنْوَلاءِ الشُّعْرَاءِ
كَانَ تَعْيِشُهُمْ مِنْ جَوَائِزِ مَدْحِ الْأَمْرَاءِ إِذْ ذَاكَ ، وَكَانَتْ الْأَمْرَاءُ مَتَبَاعِدَةَ الْأَمْكَنَةِ
فِي أَقْطَارِ الدَّوْلَةِ ، فَكَانَ الشَّاعِرُ مِنْهُمْ يَقْصِدُ الْأَمِيرَ بِمِصْرَ مِنْ بَغْدَادَ ، وَالْأَمِيرَ
بِخِرَاسَانَ مِنَ الشَّامِ ، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ (٤) :

تَقُولُ الَّتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَحْمَلِي عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاكَ تَسِيرُ

(١) انظر «ربيع الأبرار» (٢٦٤/٥) .

(٢) انظر «ديوان أبي تمام» (٢٨٩/٣ - ٢٩٠) .

(٣) البيتان من الوافر ، وهما للمتنبي في «ديوانه» (ص ١٨٠) .

(٤) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٢٨٦) .

أَمَّا دُونَ مِصْرَ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبٌ بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ الْغِنَى لَكَثِيرٌ
فَقُلْتُ لَهَا وَأَسْتَعْجَلْتَهَا بَوَادِرٌ جَرَتْ فَجَرَى فِي إِثْرِهِنَّ عَبِيرٌ
دَعِينِي أَكْثَرَ حَاسِدِيكَ بِرِحْلَةٍ إِلَى بَلَدٍ فِيهَا الْخَصِيبُ أَمِيرٌ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَسْذُورُ
فَمَا جَارَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

وهذه القصيدة هي التي يقول في براعة الانتهاء منها :

وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ فِيكَ جَدِيرٌ
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورٌ

يُقَالُ : إِنَّ الْخَصِيبَ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ . . تَحَيَّرَ فِي جَائِزَةِ الشَّاعِرِ ،
فَرَأَى فِي نَوْمِهِ قَائِلًا : أَجْزِهِ بِنَبْحَةِ كَلْبٍ ، فَأَوَّلَهَا بِلَفْظَةِ (أَلْفٍ) ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ
حِشًا فَمَهُ دُرًّا ، فَكَانَ الشَّاعِرُ كَمَا تَرَى يَصِفُ بَعْدَهُ عَنِ وَطَنِهِ ، وَمِفَارِقَتَهُ أَهْلَهُ
وَعَشِيرَتَهُ وَأَحْبَابَهُ وَمَرَاتِعَ أَنْسِهِ إِجَابًا لِلْحَقِّ عَلَى مَنْ قَصَدَ ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ :
جُودُكَ يَزِدُّنِي إِلَى وَطَنِي ، وَيَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبَّتِي فِي قَرَارِ عَيْنٍ وَسُكُونِ
خَاطِرٍ .

وقد كشف هذا المعنى أبو نواس في قوله^(١) :

سَأَشْكُو إِلَى الْفُضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكِ لَعَلَّ الْفُضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ^(٢) :

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى دُلِّيَ فَيَسْفَعُ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٦٤) .

(٢) انظر « ديوان الممتنبي » (ص ١١) .

وقد عيبَ على هذَّينِ الشاعرينِ مِنْ جهةِ المعنى ، لا مِنْ جهةِ البلاغةِ الشعريةِ ، حيثُ كانَ طلبُ الجمعِ بتلكِ العبارةِ لِمَا فيها مِنْ ملاحظةِ القيادةِ ، فأرادَ أبو تمامٍ أن يذكرَ هذا المعنى بعبارةٍ سالمةٍ مِنْ ذلكِ النقدِ ؛ فمعنى قوله : إنَّ نوى الأُحبةِ مُرٌّ كالصَّبِرِ ، وقربُهُم حُلُوٌّ كالشَّهيدِ ، وإنَّ أبا الحسينِ قادرٌ عليه وإنَّهُ كريمٌ غيرٌ بخيلٍ ، فهذهِ الجملةُ متناسقةٌ ، وصلُّها حسنٌ كما ترى .

ومن شواهدِ الفصلِ لعدمِ المناسبةِ : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) بعدَ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ^(٢) ، فالجملةُ الأولى مَسوقَةٌ لمدحِ الكتابِ ، والجملةُ الثانيةُ مَسوقَةٌ لذمِّ الكفرةِ .

الموضعُ الثالثُ : جملةٌ سَبَقَتْها جملتانِ ؛ أولاهما صالحةٌ للعطفِ عليها ، والثانيةُ في العطفِ عليها فسادٌ ، فلدفعِ الوهمِ يُنزلُ الوصلُ ، وشاهدُهُ : قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ ^(٣) ، يصلحُ عطفُها على قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ ^(٤) ، ولكنْ يقومُ وَهْمٌ أَنَّها معطوفةٌ على قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، وليسَ مِنْ مقولِ قولِهِم ، أو على ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ ^(٥) ، وليسَ الاستهزاءُ بِهِم مشروطاً .

ولبعضِ الشعراءِ ^(٦) :

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

(١) سورة البقرة : (٦) .

(٢) سورة البقرة : (٢) .

(٣) سورة البقرة : (١٥) .

(٤) سورة البقرة : (١٤) .

(٥) سورة البقرة : (١٤) .

(٦) انظر « معاهد التنصيص » (٢٧٩/١) .

يَحْسُنُ عَطْفُ (أراها) على (وتظنُّ) لكن يُتوَهَّمُ عَطْفُهُ على (أبغى بها) .



الموضع الرابعُ : الجملُ المُتحدَّةُ مقصوداً ؛ بأن تكونَ الثانيةُ مُؤكِّدَةً للأولى ، أو بياناً لها ، أو بدلاً منها .

فالمُؤكِّدَةُ : كقولِهِ تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، وقولِهِ : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، فهما مُؤكِّدتانِ لقولِهِ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ^(١) على وجهِ مِنَ الإعرابِ ؛ بأن يكونَ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ مبتدأ وخبراً .

ومعناهُ : ذلكَ البعيدُ الرتبةُ ، العالِي المنزلةُ هوَ الكتابُ الكاملُ في بابِ الهدايةِ ، فربَّما يُتوَهَّمُ أن هذا الكلامَ لِمَا فِيهِ مِنَ المبالغةِ ممَّا يُرمى بِهِ جُزافاً ، فتأكيدهُ بـ ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ فِيهِ تأكيدٌ معنويٌّ ، وتأكيدهُ بـ ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ تأكيدٌ لفظيٌّ ، فلا يَصِحُّ (ولا ريبَ فِيهِ ، وهو هدى) كما لا يَصِحُّ في قولِكَ : زيدٌ زيدٌ قصدك ، وزاركَ زيدٌ نفسُهُ : أن تقولَ : زيدٌ وزيدٌ ، وزيدٌ ونفسُهُ .

والبيانُ : كقولِهِ تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ سِوَى الْعَذَابِ يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ ^(٢) .

وربَّما عَطِفَ ما يَصْلُحُ بياناً لملحوظِ آخَرَ ؛ كالإشارةِ إلى كونِ الموصولِ جنساً آخَرَ مُنفرداً لِشِدَّةِ الفِطَاعَةِ فِيهِ ، كما في آيةِ (الحجرِ) : ﴿ وَيُذَيِّحُونَ ﴾ ^(٣) .

والبَدَلُ : كقولِهِ تعالى : ﴿ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ أَمَدَّكُمْ بِاتِّعَامِ وَنَيْنِ ﴾ ^(٤) ،

(١) سورة البقرة : (٢) .

(٢) سورة البقرة : (٤٩) .

(٣) هي في سورة إبراهيم : (٦) .

(٤) سورة الشعراء : (١٣٢ - ١٣٣) .

وهو بمنزلة بدل البعض في المفردات ، ولبعضهم^(١) : [من الطويل]

أَقُولُ لَهُ أَرْحَلُ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَإِلَّا فَكُنْ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا

وهذا بمنزلة بدل الاشتمال ، فالأمر بالرحيل لا يُعَيِّنُ الكراهة والبغض ؛
فإنَّكَ تقولُ لصاحبِكَ : ارحلْ في طلبِ المجدِ والعلَا ، وقولُهُ : (لا تقيمَنَّ
عندنا) صريحٌ في إبانة المقصودِ ونصٌّ عليه .

الموضع الخامسُ : جملةٌ يُجابُ بها عن سؤالٍ ينشأُ مِنْ جملةٍ سابقةٍ ،
ويُسمَّى هذا الفصلُ : استئنافاً ، واشتهرَ بالاستئنافِ البيانيِّ .

والاستئنافُ النحويُّ أعْمُ منه ، وشاهدُهُ : قولهُ تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ رِجَالٌ ﴾^(٢) ، كأنَّهُ قيلَ : مَنْ يُسَبِّحُهُ ؟ فأجيبَ : يُسَبِّحُهُ رجالٌ كما
سلف^(٣) .

ومن هذا البابِ قولهُ^(٤) :

لِيُبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

وفي قوله^(٥) :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ

كأنَّهُ قيلَ : ما سببُ ذلكَ ؟ فأجيبَ : سببُهُ سهرٌ دائمٌ .

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٧٨/١) .

(٢) سورة النور : (٣٦ - ٣٧) ، وهي قراءة ابن عامر .

(٣) تقدم (٧٩/٢) .

(٤) تقدم (٤٠٥/١) .

(٥) تقدم (٧٩/٢) .

وفي قوله^(١) :

[من الكامل]

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّي فِي غَمْرَةٍ صَدَّقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي

كَأَنَّهُ قِيلَ : هل صدقوا ؟

وتقولُ : أحسنتُ إلى زيدٍ ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسانِ ، وأحسنتُ إلى خالدٍ

صديقي ، الصدوقُ أولىٌ بمعروفي .



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٨١/١) .

الوصلُ

له موضعانٍ سبقَ أحدهما^(١) .

والآخَرُ : الجملُ المتفقَةُ اسميةٌ وفعليةٌ ، ولا يَحْسُنُ المخالفةُ بينهما
إلا لنكتةٍ ؛ كأن يكونَ المَقَامُ داعياً لجمعٍ مُستمرٍّ وغيره ؛ كقوله تعالى :
﴿ ادْعُوهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ أَوْ أُمَّاتِهِمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾^(٢) .

ومع اتفاقِ الجملتينِ مثلاً في الاسميةِ والفعليةِ لا بدُّ أن يتناسبا تناسباً
تاماً ؛ بحيثُ يتولَّدُ مِن اجتماعِهما معنى واحدٌ يجعلُ الجملتينِ جملةً
واحدةً ، ولثَلَفْتُ لذلكِ في عبارةٍ عاديةٍ أوردُها عليكِ ؛ مثلاً : إذا كنتِ في
مجلسٍ نظمتكِ وبعضَ أصحابكِ ، فطراً عليكمِ مَنْ تکرهونَ حضورَهُ معكمِ
ليأخذَ منكمِ مَنْ لا يَتِمُّ إلا بهِ أنسُكمِ ، ولم يَجِدْ بُدّاً مِنَ الذهابِ معه ، فإنه
يَدْخُلُ عليكمِ لذلكِ مِنَ الوَجْدِ والأسفِ ما تألمُ له نفوسُكمِ ، فواحدٌ منكمِ
واقفٌ بالبابِ ؛ إذا بالمحبوبِ قد رجَعَ ، فأسرعَ يُبَشِّرُ الأصحابَ بقوله : رجَعَ
زيدٌ وذهبَ عمرو ؛ أي : جاءَ الحبيبُ وذهبَ البغيضُ .

فأنتِ ترى أنَّ التناسبَ قرناً بينَ هاتينِ الجملتينِ حتى تولَّدَ منهما معنى
واحدٌ جعلَ الجملتينِ جملةً واحدةً ؛ وذلكِ المعنى : هو الفرخُ والشُرورُ
بذهابِ البغيضِ ومجيءِ الحبيبِ ، فكأنَّ ذلكَ المُبَشِّرُ يقولُ : ليذهبَ أسفُكمِ ،
وليراجعْكمِ أنسُكمِ وفرحُكمِ .

وعليكِ بتأمُّلِ كلِّ وصلٍ في الكتابِ العزيزِ .. تجدِ العجبَ العجيبَ ،

(١) في الموضع الأول من مواضع الفصل . انظر (١٠١/٢) .

(٢) سورة الأعراف : (١٩٣) .

قَالَ : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ (١) ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) .

والمناسبة الجامعة للجملتين عند مُفكِّرتك بحيث يحكم عقلك بحسن الجمع بينهما . . يُسمِّيها أهل المعاني : الجامعة بين الجملتين فأكثر ؛ فإن كانت المناسبات ملحوظة للعقل بلا واسطة وهم ولا خيال ؛ كالجمع بين المتماثلات والمتضاديات . . يُسمَّى : الجامع العقلي ، وإن كان بواسطة الوهم . . يُسمَّى : الوهمي ، وإن كان بواسطة الخيال . . يُسمَّى : خيالياً ، فالوهم يجعل الأشياء المتشابهة والأضداد متناسبة متماثلة .

[إتقان مواضع الفصل والوصل]

فعلى من يحاول أن يعرف البلاغة لكلام ينشئه أو عبارات بلاغية يفهمها : أن يتقن معرفة مواضع الفصل والوصل ، ويؤمن النظر في الجهة الجامعة الموجبة لوصل الجمل فيما يرد عليه من كلام الله جل ذكره ، وكلام بلغاء الناس ؛ من الشعراء والكتّاب ، وليخص الجامع الخيالي بفضيل فكر ؛ فإنه مختلف باختلاف عرف طوائف الناس ، حتى تجتلي بصيرته حسن العروس المجلوة على أرفع مرتبة من مراتب البلاغة في قوله تعالى في مقام الاستدلال وطلب النظر من خطاب الأعراب : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٣) .

فإن هذه الأشياء لا تزال حاضرة متعاقبة في خيالات الأعراب ، فإن سبب حياتهم وتمام تمتعهم بها إنما هو المواشي ، وأعظم أنواعها عندهم الإبل ، لا

(١) سورة التوبة : (٨٢) .

(٢) سورة الأنفال : (٢) .

(٣) سورة الغاشية : (١٧ - ٢٠) .

يَعُدُّونَ غَيْرَهَا مَالاً ، حتى إذا أُطْلِقَ لَفْظُ الْمَالِ عِنْدَهُمْ . . لا يَنْصَرِفُ إِلَّا إِلَيْهَا ،
وَهُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَى الْإِنْتِقَالِ بِهَا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ حَسَبَ وَجُودِ الْمُرَاعِي
الَّتِي سَبَبُهَا الْغَيْثُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَحُصُونُهُمْ عِنْدَ خَوْفِهِمُ الْجِبَالَ ، فَتِلْكَ
الْأَشْيَاءُ لَا تَحْضُرُ فِي ذَهَنِ الْحَضَرِيِّ حُضُورَهَا فِي ذَهَنِ الْبَدْوِيِّ وَلَا قَرِيباً مِنْهُ .
فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَحْوَالِ النَّاسِ نَظَرَ تَعَلُّمٍ وَتَعَرُّفٍ ، حَتَّى يُمْكِنَهُ أَنْ يِرَاعِي
الْمُنَاسَبَاتِ فِي خُطَابِ كُلِّ صَنْفٍ ، وَمُحَاوَرَةِ كُلِّ فَرِيقٍ .

وقد أوردَ صاحبُ « المِفْتَاحِ » أمثلةً في معنَى واحدٍ على ألسنةِ أشخاصٍ
اختلفتْ حِرْفَتُهُمْ وَأَلَاثُ صِنَاعَاتِهِمْ . . تُرْشِدُكَ إِلَى مَا أَنْتَ بِصَدَدِهِ ، فَقَالَ :
(وَصَفُ جَوْهَرِيٍّ لِأَحْسَنِ الْكَلَامِ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ : مَا ثَقَبَتْهُ الْفِكْرَةُ ، وَنَظَمَتْهُ
الْفِطْنَةُ ، وَفُضِّلَ جَوْهَرُهُ مَعَانِيهِ فِي سَمَطِ الْأَفَاظِ ، فَحَمَلَتْهُ نُحُورُ الرِّوَاةِ .

ووصفُ الصَّيْرِفِيِّ : خَيْرُ الْكَلَامِ : مَا نَقَدَتْهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ ، وَجَلَّتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَّةِ ،
ووزنُهُ مِيعَارُ الْبَلَاغَةِ ، فَلَا يُنْطَقُ فِيهِ [بَزَائِفٍ] ، وَلَا يُسْمَعُ فِيهِ بِبَهْرَجٍ .

ووصفُ الصَّائِعِ : خَيْرُ الْكَلَامِ : مَا أَحْمِيَتْهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرَةِ ، وَسَبَكَتْهُ بِمِشَاعِلِ
النَّظَرِ ، وَخَلَّصَتْهُ مِنْ خَبَثِ الْإِطْنَابِ ، فَبَرَزَ بَرُوزَ الْإِبْرِيْزِ ، مُرَكَّباً فِي مَعْنَى وَجِيزٍ .

ووصفُ الْحَدَّادِ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ : مَا نَصَبَتْ عَلَيْهِ مِنْفَاخَ الرُّوِيَّةِ ، وَأَشْعَلَتْ
فِيهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْهُ مِنْ فَحْمِ الْإِفْحَامِ ، [وَرَقَّقَتْهُ] بِفِطْيَسِ الْإِفْهَامِ ؛
الْفِطْيَسُ عَلَى وَزْنِ سَكِّينٍ : الْمِطْرَقَةُ الْكَبِيرَةُ .

ووصفُ الْخَمَّارِ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ : مَا طَبَخَتْهُ مَرَاجِلُ الْعِلْمِ ، وَضَمَّتْهُ دِنَانُ
الْحِكْمَةِ ، وَصَفَّاهُ [رَاوُوقٌ] ^(١) الْفَهْمِ ، فَتَمَشَّتْ فِي الْمَفَاصِلِ عَذُوبَتُهُ ، وَفِي
الْأَفْكَارِ رِقَّتُهُ ، وَفِي الْعَقْلِ [حِدَّتُهُ] .

(١) الراووق : المصفاة .

ووصفُ البرَّازِ : أحسنُ الكلامِ : ما صدقَ رَقْمُ ألفاظِهِ ، وحَسَنَ رَسْمُ معانيهِ ، فلم يستعجمَ عندَ نشرِ ، ولم يستبهمَ عندَ طَيِّ .

ووصفُ الكَحَّالِ : كما أنَّ الرمدَ قذى العينِ . . كذا الشبهَةُ قذى البصائرِ ، فاكحلُ عينِ اللُّكْنَةِ بمِيلِ البلاغَةِ ، وأجلُ رَمَصِ الغفلةِ بمرودِ اليقظةِ .

ولجَمَّالٍ يصفُ بليغاً : البليغُ : مَنْ أخذَ بِخطامِ كلامِهِ ، فأناخَهُ في مَبْرِكِ المعنى ، ثمَّ جعلَ الاختصارَ لَهُ عِقالاً ، والإيجازَ لَهُ مجالاً ، فلم يَبْدُ عن الأذهانِ ، ولم يَشُدَّ عن الآذانِ (١) .

[مِنْ محاسنِ الواوِ ومزيَّتها]

هذا ؛ والكلامُ في أمرِ الواوِ يُنبِّهُكَ على مزيَّتها ، ويدعوكَ إلى اعتبارِ مواقعِها في نحوِ : كُلُّ أمرَةٍ وعملَةٍ ، وفي نحوِ (٢) :

لَا تَنَّهُ عَن خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وفي نحوِ : ما أنتَ ومطارحُ الأنظارِ ، وكيفَ زيدٌ ومسارحُ الأفكارِ ، وفي نحوِ : اطلبِ العلمَ ولو بالصَّيْنِ .

ومِنْ مواقعِها : بعضُ الجملِ التي تريدُ أن تجعلَها حالاً على ما عرفتَ تفصيلُهُ في النحوِ ، فإنَّكَ إذا اعتبرتَ الجملَ بأنواعِها . . وجدتَ بعضها آبياً عن الارتباطِ الحاليِّ ، مُتبادراً إلى ذهنِكَ استئنافُهُ ، مثلاً : إذا سمعتَ : عَثَرَ زيدٌ ، الشمسُ مضيئةٌ مواقعَ الأقدامِ . . تبادرَ إلى فهمِكَ أنَّ الجملةَ مَسوقَةٌ على طريقِ الاستئنافِ ؛ لتوبيخِ زيدٍ بنفِي عذره ، ونسبتهِ لإهمالِ التحرُّزِ واستعمالِ

(١) مفتاح العلوم (ص ٣٦٤ - ٣٦٥) .

(٢) نُسِبَ لأبي الأسود الدؤلي في «ديوانه» (ص ٤٠٤) .

آلة الحفظ ، وَيَنْدَفِعُ ذَلِكَ بِالْوَاوِ ، فَتَفْهَمُ : عَثَرَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَكَيْفَ بِهِ فِي غَيْرِهَا ؟!

وأشدُّ الجملِ افتقاراً إلى الواوِ : الجملةُ الاسميَّةُ ، حتَّى قيلَ بوجوبِها فيها ، وما وردَ بدونِها ضعيفٌ ساقطٌ ، إلَّا أنَّ بعضَ الجملِ الاسميَّةِ تكونُ في حكمِ المفردِ ، فلا يكونُ خُلُوها مِنَ الواوِ ضعيفاً ؛ كقولِهِم : كَلَّمْتُهُ فَوَهُ إِلَى فِيٍّ ؛ أَي : متشافهينِ ، وقولِهِ ^(١) :

إِذَا أَتَيْتَ أَبَا مَرْوَانَ تَسَأَلُهُ وَجَدْتَهُ حَاضِرًا أَلْجُودُ وَأَلْكَرَمُ

والماضي المثبت قريب في الافتقار إلى الواوِ مِنَ الجملةِ الاسميَّةِ ، حتَّى قيلَ : إِنَّهُ لَا تُجْعَلُ جَمَلْتُهُ حَالًا إِلَّا بِ (قد) والواوِ ، وَيُرْدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُورُهُمْ ﴾ ^(٢) ، ولا معنى لكونِهِ على تقديرِ الواوِ و (قد) ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ حُكْمًا دِينِيًّا تَجِبُ الْمَحَافِظَةُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْوَاوِ وَ (قد) لِأَجْلِ أَنْ تُقَرَّبَ لِفَهْمِكَ إِرَادَةَ الْحَالِ ، فَإِنَّ الْفِعْلَ الْمَاضِيَ بِطَبِيعَتِهِ يَصْرِفُ ذَهْنَكَ إِلَى أَنَّ الْغَرَضَ إِفَادَةُ مَضْمُونِ جَمَلْتِهِ ، لَا أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهَا ، مُرْتَبِطَةٌ بِهِ قِيْدًا لَهُ ، فَإِذَا سَمِعْتَ : لَقِيتُ زَيْدًا رَكِبَ فَرَسَهُ الشَّقْرَاءَ . . رَبَّمَا تَسَارَعَ لِفَهْمِكَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ آخَرَ تَرِيدُ أَنْ تَفِيْدَهُ بَعْدَمَا أَنْهَيْتَ ذَلِكَ وَأَعْرَضْتَ عَنْهُ ، فَإِذَا سَمِعْتَ : لَقِيتُ زَيْدًا وَقَدْ رَكِبَ . . فَإِنَّكَ لَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِكَ إِلَّا أَنَّ الْمَرَادَ : ثَابِتًا رَكُوبُهُ مُتَحَقِّقًا ، فَحَالِيَّةُ الْجَمَلَةِ مُعْتَمِدَةٌ عَلَى الْوَاوِ وَمَعْنَى (قد) ، وَهَذَا مَرَادُ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ : إِنَّ (قد) تُقَرَّبُ الْمَاضِيَ مِنَ الْحَالِ ، لَا يَرِيدُ الْحَالَ الزَّمَانِيَّ ، بَلْ يَرِيدُ الْحَالَ الْمُقَيَّدَةَ لِلْفِعْلِ بِمَا سَمِعْتَ مِنَ التَّأْوِيلِ وَبَيَانِ الْمَعْنَى .



(١) هو الأخطل في «ديوانه» (ص ٢٣) ، وفيه : (والحسب) بدل (والكرم) .

(٢) سورة النساء : (٩٠) .

الباب الثالث

فيما يتعلّق بالجملة وجزئها والجميل وهو الإيجازُ والإطنابُ والمساواةُ

فإنّها عبارةٌ عن زيادةٍ في الألفاظِ ، وما يقابلها ، والزائدُ مفردٌ أو جملةٌ أو أكثرُ ، وكذلك المحذوفُ .

[حدُّ المساواةِ ، والإيجازِ ، والإطنابِ]

أمّا المُساواةُ .. فهي كونُ العبارةِ مساويةً لِمَا تريدُ أن تفيدهُ ؛ كعبارتِ
أوساطِ الناسِ ، الذين لم يرتقوا إلى درجةِ البلغاءِ ، ولم ينحطّوا إلى موضعِ
أهلِ الحَصْرِ والعِي .

والاعتمادُ في تحقيقِ المُساواةِ .. على عرفِهم في المُحاوراتِ ؛ لتفاضي
أغراضِهم ، وتفهمِ ضمائرِهم ، لا على ما تقتضيه صناعةُ النحوِ ، ولذلك صحَّ
التمثيلُ للمساواةِ بقوله جلّ ذكره : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (١) ،
فلا يُقالُ : قد حُذِفَ المُستثنى منه ، ومن وادي هذا المعنى قولُ الناسِ : النيةُ
الخبیثةُ ما تضرُّ إلا صاحبَها .

وبالقياسِ إلى عباراتِ الأوساطِ يُعرَفُ الإيجازُ والإطنابُ ذاهبين في
مراتبِهِما .

فحدُّ الإيجازِ : كونُ العبارةِ أقلَّ مِنْ عبارةِ المُتعارَفِ مُتدرِّجاً إلى أن تكونَ
العبارةُ لو اختصرتْ .. لاختلَّت ولم تُفهم المرادُ .

(١) سورة فاطر : (٤٣) .

وحدُّ الإطنابِ : كونُها أكثرَ منها لفائدةً ، وإلاَّ . . . كانَ تطويلاً ؛

مثلُ (١) :

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْنَا

أو حشواً ؛ كقولِهِ (٢) :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ

قيلَ : ومنهُ قولُ أبي الطيبِ (٣) :

وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شَعُوبِ

فقيلَ : لفظُ (الندى) حشوٌ مُفسدٌ ، وبَيَّنَ ذلكَ بأنَّ الشجاعةَ لو لم يكنْ

فيها تعريضُ الحياةِ للزوالِ وما يَقْرُبُ منه . . . لم تكنْ فضيلةً ، والصَّبْرُ عنِ

المحبوبِ أو على المكروهِ وفي مواطنِ البأسِ نوعٌ مِنَ الشجاعةِ ، وأمَّا الندى

- وهو الجودُ وبذلُ المالِ - . . . فما لَهُ ولشعوبٍ؟! بل يرى أنَّ المرءَ لو عرفَ

الخلودَ . . . كانَ بالمالِ أضحَنَ ، وليسَ كما قيلَ ، فبالمالِ حفظُ الحياةِ وكمالُ

الانتفاعِ بها .

حَيَاةٌ بِلَا مَالٍ حَيَاةٌ ذَمِيمَةٌ وَعِلْمٌ بِلَا جَاهٍ كَلَامٌ مُضَيِّعٌ (٤)

فجودُ المرءِ بمالهِ صدقةٌ أو فتوةٌ لبقاءِ الذِّكْرِ واغتنامِ الأجرِ ، عالماً أنَّه لو

فُقِدَ فَقَدْ . . . بَيَّنَّ التعلُّقَ بينَ الشجاعةِ والصَّبْرِ .

(١) هو لعدي بن زيد العبادي في « ديوانه » (ص ١٨٣) ، والبيت بتمامه :

وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِزَاهِشِيهِ وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْنَا

(٢) هو لزهير بن أبي سلمى في « ديوانه » (ص ٣٥) ، والبيت بتمامه :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي عَدِ عَمِي

(٣) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٢٤٦) .

(٤) أورده الدلجعي في « الفلاحة والمفلوكون » (ص ٤٠) من غير عزو ، وهو من بحر الطويل .

[أنواع الإيجاز]

ثمَّ الإيجازُ نوعانِ : إيجازُ قصرٍ ، وإيجازُ حذفٍ ، ويُسمَّى : اختصاراً .

والأوَّلُ هوَ كَدُّ البلغاءِ ، ومِحْكُ الأذكياءِ ، ومنه قولُه تعالى : ﴿ وَكَفِّرْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوَةً ﴾ ^(١) ، فهذا أوجزُ كلامٍ في هذا المعنى وأحكمُه وأسلسُه ، فإنَّكَ لو ذهبتَ تشرُحُه .. كنتَ تقولُ :

ولكُم في مشروعِيَةِ الحُكْمِ بأنَّ مُتعمِّدَ القتلِ يجبُ أن يُسلِّمَه السُّلطانُ بنفسِه أو نائبِه إلى أولياءِ المقتولِ يَشُدُّونَ وثاقَه بحضرةِ أحبِّه وأعدائِه ؛ فمِنْ باكٍ عليهٍ راحمٍ له باذلٍ عنه ديةً أو ديتينِ إلى عشرٍ ، كما وقعَ مِنْ أميرِ المؤمنينَ معاويةَ رضيَ اللهُ عنه في بعضِ مَنْ تَوَجَّهَ عليهِ الحُكْمُ به ، ومِنْ شامتٍ مُويِّخٍ ضاحكٍ . . . إلى غيرِ ذلكَ ممَّا هوَ أشدُّ على النفوسِ - ولا سيَّما العربِ - مِنْ الموتِ ، فرَبَّما قتلَ بعضُ الناسِ نفسَه فراراً مِنْ ذلكَ ، فارتدَعَ الأقوياءُ عنِ الاجتراءِ ، وشيمَتِ السُّيوفُ إلَّا في جهادٍ ، فاستوى الناسُ ، وعمَّ الأمنُ ، وأقبلَ كلُّ على عملِه ، وانتفعَ بعضُهُم ببعضِ ، فطالَتِ الأعمارُ ، وكثُرَتِ الذُرِّيَّةُ ، ونما المالُ ، فظَهَرَتِ حياةٌ كثيرةٌ عظيمةٌ آمنَةٌ مطمئنةٌ يتزايدُ خيرُها .

ويزيدُكَ معرفةً بفضلِ هذا الكلامِ : أنَّه لا يمكنُكَ أن توازنَه بما كانتِ العربُ ترى أنَّه أوجزُ كلامٍ في هذا المعنى ؛ وهو قولُهُم : القتلُ أنْفى للقتلِ ، لا في اللفظِ ولا في المعنى .

ومِنْ « الكَلِمِ النوابِغِ » للزمخشريِّ رحمَه اللهُ تعالى فيما يبني العاقلُ عليه أمرُه في معاشرَةِ الناسِ : (استندُ أو استفدُ) ^(٢) ، فهاتانِ الجملتانِ المُنتسِقتانِ

(١) سورة البقرة : (١٧٩) .

(٢) الكلم النوابغ (ص ٢٣) .

- لا أذكرُ دُرّاً ولا جوهراً ولا ما كان مِنْ نفائس هذه الدنيا - يغنيانك عن كتاب حافلٍ في النصائح والآدابِ ، وتأمّلِ التفاوتَ بينهما باعتبارِ الوجازة والنزاهة ، وبين قولٍ مَنْ قال شعراً^(١) :

يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ أَوْصِيكُمْ وَصِيَّةَ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ
لَا تَنْقُلُوا الْأَقْدَامَ إِلَّا إِلَى مَنْ تَزَجَّيَ مِنْ عِنْدِهِ فَائِدَةٌ
إِمَّا لِعِلْمٍ تَسْتَفِيدُونَهُ أَوْ لِكَرِيمٍ عِنْدَهُ مَائِدَةٌ
وَمِنْ إيجازِ القصرِ في المفردِ : مثلُ أن تقولَ : معقولٌ ، ومحسوسٌ ،
ومجلودٌ ، ومكثورٌ ، بدلَ : مُدْرِكٌ بالعقلِ ، ومُدْرِكٌ بالحسِّ ، ومضروبٌ بالجلدِ ،
وكثيرةٌ أعداؤه عليه .



وإيجازُ الحذفِ : يكونُ بحذفِ مفردٍ ، أو جملةٍ ، أو أكثرٍ ؛ مثلُ قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُوكُ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾^(٢) فاصبروا ؛ أي : فاصبر وتأس ، وقولِهِمْ : ﴿ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾^(٣) ؛ أي : إِنْ ذُكِّرْتُمْ تَرْجَمُونَ ، وَيَمْسُنَا مِنْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وهل يَصْلُحُ ذَلِكَ دَاعِيَا فتكونوا مصيبين ؟ لا ، بل أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ، وقولِهِ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا يُوسُفَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾^(٤) ؛ أي : فأرسلوه ، فجاءه ، فبلَّغَهُ عَنْهُمْ ، ثم حضرَ ، فقالوا : يا يوسفُ .

وَمِنْ أمثلِهِمْ لِذَلِكَ قَوْلُ أَبِي العلاء^(٥) :

طَرِبْنَا لِضَوْءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي بِبَغْدَادَ وَهَنَا مَا لَهْنٌ وَمَالِي

(١) انظر « حياة الحيوان » للدميري (٧٦/٤) .

(٢) سورة فاطر : (٤) .

(٣) سورة يس : (١٩) .

(٤) سورة يوسف : (٤٥ - ٤٦) .

(٥) انظر « معجم الأدباء » (٤١٩/٥) .

أي : طرينَ ، فأخذتُ أُسْكِنُهَا وهي لا تسكنُ ، ثم أعاودُها وتدافعُني ، إلى أن قضيتُ العَجَبَ مِنْ كَثْرَةِ معاودتي وشِدَّةِ مدافعتِها .

[دواعي الإيجاز]

والداعي إلى الإيجاز : تسهيلُ الحفظِ ، وتقريبُ الفهمِ ، وضيقُ المَقامِ ، وإخفاءُ الأمرِ عَمَّنْ لا تُحِبُّ إطلاعهُ عليه ، وسأمةُ المحادثةِ ، والإشارةُ للنفرةِ . . . إلى غيرِ ذلكَ ممَّا سبقَ تنبيهُكَ لبعضِهِ ، وليسَ يُعجزُكَ بعدُ اعتبارُ الأمثالِ .

والإطنابُ : مثلُ قوله تعالى في مقامِ الاستدلالِ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾ الآية (١) ، وإيجازُهُ : إنَّ في الممكنِ معَ تساوي طرفيه آيةٌ .

وقوله في مقامِ الشكوى وطلبِ الإشكاءِ : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (٢) ، وإيجازُهُ : شِخْتُ ، وبينَ العبارتينِ عباراتٌ ؛ مثلُ : وهنَ عظمي ، وشابَ رأسي .

وقد يُعتَبَرُ الإيجازُ والإطنابُ بتفاوتِ المَقاماتِ ؛ فقد يقتضي مقامُ كثرةِ الكلامِ لاستقصاءِ الصفةِ ؛ كالأنسِ على ذهابِ الشبابِ ، والتضجُّرِ مِنْ حُلُولِ المَشيبِ ، وَمِنْ هنا تَسْمَعُهُمْ يقولونَ : الحُطْبُ والفخرُ محلُّ إطنابٍ ، وكانَ يُقالُ : المدحُ أيضاً محلُّ إطنابٍ ، حتى قالَ ابنُ الرومي (٣) : [من الكامل]

وَإِذَا أَمْرٌ مَدَحَ أَمْرًا لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَرَادَ [هِجَاءَهُ]
لَوْ لَمْ يُقَدِّرْ فِيهِ بُعْدَ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوُزُودِ لَمَّا أَطَالَ [رِشَاءَهُ]

(١) سورة البقرة : (١٦٤) .

(٢) سورة مريم : (٤) .

(٣) انظر « ديوان ابن الرومي » (١١١/١) .

وَمِنَ الْإِطْنَابِ : التخصيصُ بعدَ التعميمِ ؛ نحوُ : ﴿ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ ^(١) ؛
أي : جبريلُ ، خَصَّهُ بِالذِّكْرِ مَعَ دَخُولِهِ تَحْتَ عَمُومِ الْمَلَائِكَةِ ؛ تَكْرِيماً لَهُ ،
كَأَنَّهُ جِنْسٌ آخَرٌ .

وَمِنْهُ : التكريرُ ؛ نحوُ : ﴿ كَلَّا سَيَعْمُونَ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴾ ^(٢) ؛ للدلالةِ
بـ (ثُمَّ) عَلَى أَنَّ الْإِنذَارَ الثَّانِيَّ أْبْلَغُ .

وَمِنْهُ أَشْيَاءٌ خُصَّتْ بِأَسْمَاءٍ ؛ كَالْإِيغَالِ ، وَالتَّمِيمِ ، وَالتَّذْيِيلِ ، وَالتَّكْمِيلِ ،
يَأْتِي بَيَانُهَا فِي فَنِّ الْبَدِيعِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) .

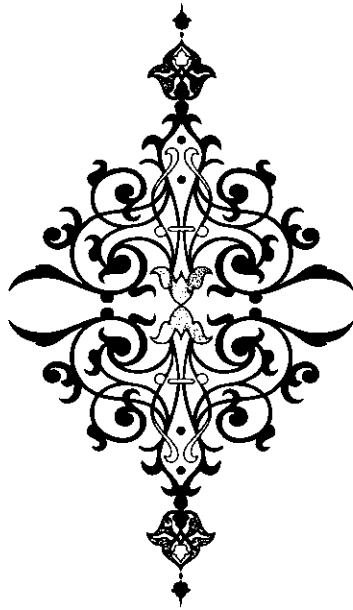


(١) سورة القدر : (٤) .

(٢) سورة النبأ : (٤ - ٥) .

(٣) انظر (٢١٧/٢ ، ٢١٨ ، ٢٢١) .

الفرة الثالثة
فنّ البديع



[تمهيدٌ في ترتيبِ الفنونِ]

اعلمُ : أنَّ العملَ بهذا الفنِّ إنّما هوَ بعدَ العملِ بسابقِهِ ، كما أنَّ العملَ بفنِّ البيانِ بعدَ العملِ بفنِّ المعاني .

وبيانُ ذلكَ : أنّكَ تنظرُ أوَّلَ ما تنظرُ إلى المعنى الذي تريدُ أن تُعبِّرَ عنه ، وأينَ تضعُ العبارةَ ، فحافظُك إذاً مِنَ الخطأِ في تعيينِ العبارةِ حَسَبَ الموضوعِ . . هوَ فنُّ المعاني .

ثمَّ إنّكَ تنظرُ إلى الألفاظِ ، فتختارُ منها ما تعرفُ أنّه يُبيِّنُ مرادَكَ ، ويجلو صورةَ المعنى الذي شَخَّصْتَهُ أولاً للبصائرِ ؛ كما تجلو المرآةَ الصقيلةَ صورةً ما يقابلُها ، وحافظُك إذاً مِنَ الخطأِ . . فنُّ البيانِ .

ثمَّ إذ أردتَ أن تُزيِّنَ عبارتكَ حتى تكونَ بهيجةً مُفرحةً كالصورةِ المنقوشةِ بنقوشٍ مُحَكِّمةٍ متناسبةٍ بعدَ أن أخذتِ الأعضاءَ متانتها وكمالها كما يليقُ بنوعِها . . جاءَ العملُ بهذا العلمِ .

وليكنْ على ذُكْرِكَ تمثيلُ الكلامِ الذي تريدُ إنشاءَهُ بالبيتِ الذي تريدُ أن تَسْكُنَهُ مِنَ أوَّلِ ما تريدُ أن تبنيه .



وقد أفرَدَ المُتأخِّرونَ هذا الفنَّ بالتأليفِ ، وأدخلوا فيه كثيراً مِنْ مباحثِ الفنِّينِ ؛ كأنَّهُم قَدَّروا كفايتهَ لمعرفةٍ مِنْ أينَ يَسميُّ كلامٌ عن كلامٍ ، وتشرُفُ عبارةٌ عن عبارةٍ ، وفصلوهُ إلى أنواعٍ يزيدُ المُتأخِّرُ فيها على المُتقدِّمِ ، حتى بلغتْ عدداً كثيراً .

ولم يزلِ المُشتغلونَ بمعرفةِ المحاسنِ الكلاميةِ يَعُثرونَ على أمورٍ إذا

قِيَسَتْ لِمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ هَذَا الْفَنِّ . . كَانَتْ مُسْتَحِقَّةً لِنَظْمِهَا فِي سَلَكِهِ ،
وَتَسْمِيَّتِهَا بِمَا يَنَاسِبُهَا .

هَذَا ؛ وَالْأَحْوَالُ الْمَبْحُوثُ عَنْهَا فِي هَذَا الْفَنِّ تَنْقَسِمُ إِلَى لَفْظِيَّةٍ ، وَإِلَى
مَعْنَوِيَّةٍ .

اللفظيُّ منها : ما يعودُ حسنهُ على الألفاظِ ؛ كالجناسِ والطِّبَاقِ .
والمعنويُّ : ما يتعلَّقُ بالمعنى ؛ كالمبالغةِ والغُلُوِّ ، وها هي تلكَ أنواعُ
البديعِ على ترتيبِ التآليفِ المُستقلَّةِ .



حسنُ الابتداءِ

ويُقَالُ : بَرَاعَةُ الْمُطَّلِعِ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْمُتَكَلِّمِ أَنْ تَزِيدَ عَنَائِيَّتُهُ وَيَكْثُرَ اهْتِمَامُهُ بِأَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ ، وَإِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَرَّى الْأَجُودَ فِي سَائِرِهِ : أَوَّلُ الْكَلَامِ ، وَآخِرُهُ ، وَمَكَانُ التَّخْلُصِ مِنْ فَنِّ إِلَى فَنٍّ ، وَمَوْضِعُ الطَّلَبِ .

فَقَالُوا : بَرَاعَةُ الْمُطَّلِعِ ، وَحَسَنُ التَّخْلُصِ ، وَحَسَنُ الطَّلَبِ ، وَحَسَنُ الْخِتَامِ .
فِبَرَاعَةِ الْمُطَّلِعِ : بِأَنْ تَكُونَ الْأَفَاظُهُ مَخْتَارَةً سَالِمَةً عَمَّا يَنْفِرُ مِنْهُ السَّامِعُ ، أَوْ يَتَعَلَّقُ بِهِ نَقْدًا ، وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ شِعْرًا أَوْ نَشْرًا مُسَجَّعًا . . لَزِمَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ الشُّطْرَيْنِ أَوْ الْقَرِينَتَيْنِ مُسْتَقِلًّا بِالْإِفَادَةِ مَعَ شِدَّةِ التَّنَاسُبِ بَيْنَهُمَا .

[بَرَاعَةُ الْاسْتِهْلَالِ]

وَعَلَى الْمُتَكَلِّمِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ كَلَامِهِ مُشْتَمِلًا عَلَى إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ إِلَى مَقْصُودِهِ مِنَ الْكَلَامِ ، وَسَمَّوْا ذَلِكَ : بَرَاعَةَ الْاسْتِهْلَالِ ، وَسَنُورِدُ عَلَيْكَ مَطَالِعَ تُحَذِّرُ أَمْثَالَهَا ، رَمَتْ بِأَصْحَابِهَا إِذْ ذَاكَ خَلْفَ الْإِعْتِبَارِ ، عَلَى أَنَّهُمْ مَنْ هُمْ .

قَالَ غِيْلَانُ ذُو الرُّمَّةِ يَمْدُحُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ بَعَيْنِيهِ
عِلَّةٌ^(١) :

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا أَلْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ
الْكُلْيَةِ - بَضْمٌ فَسَكُونٌ - هُنَا : رُقْعَةٌ تُخَرَّزُ فِي الْقَرْبَةِ تَحْتَ الْعُرْوَةِ ، فَجَرَى
الشَّاعِرُ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي ذِكْرِ الْعَشْقِ وَأَحْوَالِهِ ؛ مِنَ السَّهْرِ وَالْبِكَاةِ وَحَرَارَةِ الْقَلْبِ

(١) انظر «ديوان ذي الرمة» (٩/١) .

وانفطار الكبد... إلى غير ذلك ، ولم يلتفت إلى حال من معه الخطاب ،
فكان جزاؤه أن قال له : ما لك وهذا يا بغيض ؟!

وافتح جريراً بقول^(١) :

أَتَضْحُوْ أَمْ فُوْأَدُكَ غَيْرُ صَاحٍ
فَقَالَ مَمْدُوْحُهُ : بَلِ فُوْأَدُكَ .

وقال إسحاق الموصلي في أول تهنئة بقصر بناءه ملكه^(٢) :

يَا دَارُ غَيْرِكَ أَلْبَلَى وَمَحَاكِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَلْذِي أَبْلَاكِ
فَأَمَرَ بِهِدْمِهِ لِسَاعَتِهِ .

ولبعضهم يُخاطِبُ عظيمًا يَرجو إِيَابَتَهُ^(٣) :

مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدُ

فَقَالَ : [بَلِ] أَحْبَابُكَ وَلَكَ الْمَثَلُ السُّوْءُ .

وقال مرة ثانية في تهنئة بيوم المهرجان :

لَا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانُ
غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمِهْرَجَانِ
فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ خَمْسِينَ وَقَالَ : إِصْلَاحُ أَدْبِهِ أَحْسَنُ مِنْ إِيَابَتِهِ .

وقال أبو تمام^(٤) :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبِ

(١) انظر « ديوانه » (٨٧/١) ، والبيت بتمامه :

أَتَضْحُوْ أَمْ فُوْأَدُكَ غَيْرُ صَاحٍ
عَشِيَّةَ هَمِّ صَحْبِكَ بِالرَّوَّاحِ

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢٣٠/٤) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢٢٩/٤) ، والرجز لابن مقاتل الضرير .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١٩٨/١) ، والبيت بتمامه :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبِ
أَذْيَلْتُ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ

فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَدَحْتُ السُّلْطَانَ بِقَصِيدَةٍ ، وَقَبَلَ عَرَضَهَا عَلَيْهِ أَطْلَعْتُ
كثيْرًا مِنْ حُدَاقِ الْأَصْحَابِ عَلَيْهَا ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ قَدَحَ فِكْرَهُ فِي نَقْدِهَا
وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيَّ مِنْهَا فِي شَيْءٍ ، ثُمَّ عَرَضْتُهَا عَلَى الْمَمْدُوحِ ، فَصَادَفَتْ قَبُولًا ،
وَكَانَ مَطْلَعُهَا :

دَعَهَا وَلَا تَحْسِنَ زِمَامَ الْمَقْدُودِ تَطْوِي بِأَيْدِيهَا بِسَاطَ الْأَفْدَفِدِ
وَكَنْتُ بِهَا مُعْجَبًا ، فَأَسْمَعْتُهَا يَوْمًا لِبَعْضِ شُبَّانِ أَعْيَانِ الْعَسْكَرِ ، فَقَالَ : (مَا
كَانَ يُؤَمِّنُكَ أَنْ يَقُولَ حِينَ يَتَنَاوَلُ دَرَجَهَا فَيَجِدَ فِي صَدْرِهِ « دَعَهَا » : قَدْ فَعَلْتُ ،
وَيُرْمِي بِهَا ، أَمَا كُنْتَ تَخْجَلُ ؟ ! فقلتُ : بلى ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ وَقَى) (١) .

وَيُحْكِي : أَنَّ صَالِحَ بْنَ حَسَانَ قَالَ يَوْمًا لِلْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ : أَنْشُدْنِي بَيْتًا
صَدْرُهُ أَعْرَابِيٌّ فِي شَمْلَةٍ ، وَعَجْرُهُ مُخَنَّتٌ مِنْ مُخَنَّتِي الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : لَا
أَعْرِفُهُ ، فَقَالَ : أَجَلْتُكَ حَوْلًا ، فَقَالَ : وَلَوْ أَجَلْتَنِي عَشْرًا ، فَقَالَ : كُنْتُ أَحْسَبُكَ
أَذْكِي مِنْ هَذَا ، وَأَنْشَدَهُ بَيْتَ جَمِيلٍ (٢) :

أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُّوَا
هَذَا أَعْرَابِيٌّ فِي شَمْلَةٍ .

(٣)
أَسَائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ

[من الطويل]

ولمسلم بن الوليد (٤) :

أَدِيرَا عَلَيَّ الرَّاحَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي
وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي دَخْلِي

(١) انظر « أنوار الربيع » (٧٣ / ١ - ٧٤) .

(٢) ديوان جميل بثينة (ص ٢٥) .

(٣) انظر الخبر في « وفيات الأعيان » (٤٣٨ / ١) .

(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٣) .

فهذه المطالعُ كافيةٌ لإرشادِك إلى ما يجبُ احتراشُك مِنْ مثله .

وأزِيدُك ما حُكِي : أن شاعراً مغربياً سمعَ شعرَ الصَّاحِبِ بهاءِ الدينِ زهيرِ المصريِّ ، فحملَهُ ذلكَ على أن يقصدَ مصرَ ليتعلَّم رِقَّةَ الشعرِ مِنْ ذلكَ الوزيرِ ، فلمَّا لقيَهُ وعَرَّفَهُ الحالَ . . قالَ لَهُ الصَّاحِبُ : إنَّ ذلكَ أمرٌ لا يُعرَفُ بطريقةِ تعليمِ علميِّ ، وإنَّما يصرفُ الشاعرُ فكرَهُ فيما يردُّ عليه مِنْ لطائفِ الأشعارِ ، ويتأملُ مِنْ جهاتِ اللطفِ فيها حتى تأخذَ مِنْ طبعِهِ مكاناً ، وحينئذٍ يجهدُ في محاكاتها ، فعليكِ بإدمانِ قراءتها على ذلكَ الحدِّ ، والآنَ ألقى عليكِ صدراً لتعملَ لَهُ عَجْزاً وتطلعني لأخبرك بحالِهِ ، فأنشدهُ :

[من مجزوء الكامل]

يَا بَانَ وَاوِي الْأَجْرِعِ

فأخذهُ المغربيُّ وانصرفَ يَكُدُّ فكرَهُ في تميمِهِ ، ثمَّ جاءَ صبيحةَ ليلتهِ إلى الصَّاحِبِ فأنشدهُ :

يَا بَانَ وَاوِي الْأَجْرِعِ سُقِيتَ غَيْثَ الْأَذْمُعِ

فقالَ الصَّاحِبُ : الصَّدْرُ يَطْلُبُ غيرَ هذا ، وأتمَّهُ بقوله :

هَلْ مِلتَ مِنْ طَرِبِ مَعِي^(١)

فأنتَ ترى أن الميلَ مأخوذاً مِنَ البانِ ، وتعليقه بطربِ المساعدةِ للعاشقِ ومجانستهِ إيَّاهُ في العشقِ ، فمثلُ هذا ينبغي أن تكونَ المطالعُ ، ومِنْ جِياذِ المطالعِ قولُ النابغةِ الذبيانيِّ^(٢) :

[من الكامل]

رَحَلتْ سُمَيَّةُ عُذْوَةَ أَجْمالِهَا غَضَبِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (٢٣٥/١٤) .

(٢) ذكر البغدادي في « خزانة الأدب » (٢٥٩/٤) أنها للأعشى الكبير .

وقول القطامي^(١) :

[من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا اللَّاحِي كَفَاكَ عِتَابَا وَنَفْسَكَ وَفَقَّ مَا أَسْتَطَعْتَ صَوَابَا

[من الطويل]

ولأبي تمام في استهلال مَرثِيَّة^(٢) :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُدْرُ

[من البسيط]

ولبعضهم في استهلال تهنئة بمولود^(٣) :

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْأَقْبَالَ مَا وَعَدَا وَكَوَكَبَ أَلْسَعِدِ فِي أَفْقِ الْعُلَا صَعَدَا

هذا في براعة الاستهلال ، وحسن قوله فيها :

لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا إِلَّا مُبَالِغَةً فِي صِدْقِ تَوْحِيدٍ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا



(١) انظر « ديوان القطامي » (ص ٣١٢) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٧٩/٤) .

(٣) انظر « يتيمة الدهر » (٢٧٧/٣ - ٢٧٨) .

الجِنَاسُ والتجَنِيسُ ، والمجانسةُ والتجانسُ

ألفاظٌ يَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ هَذَا الْفَنِّ لِنَوْعٍ لَفْظِيٍّ يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ عَلَى مَا حَدَّهُ الْمُطَرِّزِيُّ فِي « شَرْحِ الْمَقَامَاتِ » حَيْثُ يَقُولُ : (إِنَّ أَنْوَاعَ الْجِنَاسِ لَا تُسْتَحْسَنُ حَتَّى يَسَاعِدَ اللَّفْظُ الْمَعْنَى ، وَلَا تُسْتَلَدُّ حَتَّى تَكُونَ عَذْبَةً الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ ، سَهْلَةً سِلْسَلَةَ الْمَقَادِ ، وَلَا تَبْرُعُ حَتَّى يَسَاوِيَ مَطْلَعُهَا مَقْطَعَهَا ، وَلَا تَمْلُحُ حَتَّى يُوَازِيَ مَصْنُوعُهَا مَطْبُوعَهَا ، مَعَ مِرَاعَاةِ النَّظِيرِ ، وَتَمَكُّنِ الْقِرَائِنِ ، وَإِلَّا . . . فَمَا قَلِقَ فِي أَمَاكِنِهِ ، وَنَبَا عَنْ مَوَاقِعِهِ . . . فَبِمَعْزَلٍ عَنِ الرِّضَاءِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ ، وَبِمَكَانٍ مِنَ الْبَشَاعَةِ لَدَى أَرْبَابِ النُّثْرِ وَأَصْحَابِ النِّظْمِ .

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَوْفِيَ أَقْسَامَ الْمَحَاسَنِ ، وَتَجْتَنِبَ أَنْوَاعَ الْمَشَايِنِ . . . فَارْسَلِ الْمَعَانِيَّ عَلَى سَجِيَّتِهَا ، وَدَعَهَا تَطَلُّبُ لَأَنْفِسِهَا الْأَلْفَاظَ ؛ فَإِنَّهَا إِذَا تُرِكَتْ وَمَا تَرِيدُ . . . لَمْ تَكْتَسِ إِلَّا مَا يَلِيْقُ بِهَا ، وَلَمْ تَلْبَسْ مِنَ الْمَعَارِضِ إِلَّا مَا يَزِينُهَا ، فَأَمَّا أَنْ تَضَعَ فِي نَفْسِكَ أَنَّه لَا بَدَّ لَكَ مِنْ تَجْنِيسٍ وَتَسْجِيعٍ بِلَفْظَيْنِ مَخْصُوصَيْنِ . . . فَهَوَ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُ بِمَعْرِضِ الْاسْتِكْرَاهِ عَلَى خَطَرٍ مِنَ الْخَطَرِ ، فَإِنْ سَاعَدَكَ الْجَدُّ كَمَا سَاعَدَ طَاهِرًا الْبَصْرِيَّ فِي قَوْلِهِ ^(١) :

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاظِرَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بِمَا أَوْدَعَانِي
وَأَبَا تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ ^(٢) :

وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِنْهَامِ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجِدِ
. . . فَذَاكَ ، وَإِلَّا . . . أَطْلَقْتَ لِسَانَ الْعَنْبِ ، وَأَرَخَيْتَ عَنَانَ الدَّمِّ ، وَأَفْضَى بِكَ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢١١/٣) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١١٠/٢) .

طلبُ الإحسانِ مِنْ حيثُ لم تُحسِنهُ إلى أشنعِ القبحِ ، وأوقَعَكِ الوُلوعُ بالثناءِ
عليكِ في ورطَةِ القدحِ ، وانقلبَ إحسانُكَ إساءَةً ، وتحوَّلَ سرورُكَ مَساءَةً)
انتهى كلامُ المُطرزيِّ (١) .

وقالَ ابنُ رشيقيِّ في الجِناسِ : (هو مِنْ أنواعِ (٢) الفراغِ ، وقِلَّةِ الفائدةِ ،
وممَّا لا شكَّ في تكلفِهِ ، وقد أكثرَ منه هؤلاءِ السَّاقَةُ المُتَعَقِبُونَ في نظمِهِم
ونثرِهِم ، حتى رَكَ وبردَ) (٣) .

وأقولُ : صدقَ ابنُ رشيقيِّ ؛ فإنَّ الجِناسَ لا يخلو مِنْ أن يَحيدَ بصاحِبِهِ
عَنِ الجادَّةِ ، ولأهلِ دِقَّةِ النظرِ مِنَ الشعراءِ والكُتَّابِ نقدٌ ليسَ يَدْرِكُهُ العلماءُ ؛
فالمُطرزيُّ رحمهَ اللهُ يقولُ : إنَّ الجَدَّ - أي : الحَظَّ والبَحْثَ - ساعدَ طاهرًا
البصريِّ ، وذلكَ لا يقولُهُ أولئكُ ؛ فإنَّ بيتي طاهرٍ جائرانِ عن سبيلِ الإحسانِ
وإن كانَ ظاهرُهُما خادعًا ، ألا ترى أنَّ للشاعرِ أن يقولَ قولَهُ (٤) : [من الخفيفِ]

قُلْتُ لِقَلْبِ مَا دَهَاكَ أَجْبَنِي قَالَ لِي بَائِعُ الْفَرَانِي فَرَانِي

لفظُ (فراني) كلمةٌ نازلةٌ ، ولأجلِها نَقَّصَ كلمةَ (الفراني) حقَّها ؛ وهي
بتشديدِ الياءِ جمعُ فُرَيْيَّةٍ ، نسبةً إلى الفُرَيْنِ ؛ لنوعِ خبزٍ ، وقولُهُ : [من الخفيفِ]

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاظِرَاهُ أَوْ دَعَايَ أُمْتُ بِمَا أَوْدَعَايَ

فِيهِ الرِّضَاءُ بِإِدْخَالِ المَحْبُوبِ تَحْتَ أَسْرِ الاحتِجَاجِ ، وتكُلُّفِ الإجابةِ ،
وليسَ هوَ الجاني ، وهبَ هما ناظراهُ .. أفكانَ يَسَلِّمُ ويعيشُ بعدَ أن انفري
قلْبُهُ !؟ ثمَّ الودائعُ مردودةٌ ، ثمَّ الكلامُ ينادي على نفسه أن إنشأهُ والقصدُ إليه

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٢٢/١ - ٢٢٣) .

(٢) في « العمدة » (٥٤٥/١) : (أبواب) .

(٣) العمدة (٥٤٥/١) .

(٤) هو لشمسويه المصري ، كما في « معاهد التنصيص » (٢١٠/٣) .

إِنَّمَا هُوَ قَرْنُ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ ، وَلِذَلِكَ لَا تَرَى الْجِنَاسَ فِي بَلِيغِ الْكَلَامِ إِلَّا نَادِرًا ،
 وَحَيْثُ كَانَ رَأْيَتُهُ ثَابِتًا فِي مَوْضِعِهِ ، مُتَمَكِّنًا مِنْهُ ، أَوْجِبَهُ الْمَعْنَى ، مِثْلًا : قَوْلُهُ
 تَعَالَى : ﴿ يَهَيِّجُونَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ ﴾ ^(١) ، رَبِّمَا تَقُولُ : إِنَّ لَفْظَ (يَنَآوَنَ) أَتَى بِهِ لِأَجْلِ
 الْجِنَاسِ ، وَإِلَّا . . فَلَظْفُ (يَبْعُدُونَ) يَقُومُ مَقَامَهُ ، لِكُنَّ إِذَا أُعْطِيَتِ الْأَلْفَاظُ
 حَقَّهَا مِنَ النَّظَرِ . . رَأْيَتِكَ لَا تَقُولُ لِشَيْءٍ : (بَعُدَ) إِلَّا حِينَ يَجَاوِزُ مَوَاضِعَ
 الْقَرَبِ ، وَأَمَّا التَّأْيِي . . فَهُوَ الْإِنْفِصَالُ عَنِ الشَّيْءِ لِقَصْدِ الْبَعْدِ مِنْهُ وَالتَّنْفِرَةِ عَنْهُ ،
 فَمُخَالَفَتُهُمْ مُتَّصِلَةٌ بِفَعْلِهِمْ ، وَالْمَذْمَةُ لِاحْتِقَاقِهِمْ مِنْ حَيْثُ يَنْهَوْنَ .

وَبَعْدُ : فَقَدْ قِيلَ فِي فَائِدَةِ الْجِنَاسِ : إِنَّهُ يَسْتَدْعِي مِيلَ السَّامِعِ وَإِصْغَاءَهُ
 إِلَى الْكَلَامِ حَيْثُ تَعَوَّدُ اللَّفْظَةُ الَّتِي سَمِعَهَا ، فَيَأْخُذُهَا ضَرْبًا مِنَ الْإِسْتِغْرَابِ ،
 وَيَسْتَحْسِنُ الْمُكْرَّرَ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَعْنَى .

[أَنْوَاعُ الْجِنَاسِ]

وهو أنواع :

التام

وَيَكُونُ بِإِيرَادِ الْأَلْفَاظِ الْمَشْتَرَكَةِ لِلْمَعَانِي الْمَخْتَلِفَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَرَدَّ
 فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ : ﴿ وَوَمَرَّ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوَ غَيْرُ
 سَاعَةٍ ﴾ ^(٢) ، ﴿ يَكَاذُ سَتَا بَرِّقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَرِ ﴾ ^(٣) ، وَيَحْسُنُ مِنْهُ مِثْلُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ ^(٤) : [مِنَ السَّرِيعِ]
 إِذَا رَمَاكَ الدَّهْرُ فِي مَعْشَرٍ قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى بُغْضِهِمْ

(١) سورة الأنعام : (٢٦) .

(٢) سورة الروم : (٥٥) .

(٣) سورة النور : (٤٤ - ٤٥) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٢١٠/٣) ، وعزاه لابن فضالة المجاشعي .

فَدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ
وقول آخر^(١) :

وَحَزُّ الْأَسِنَّةِ وَالْحُضُوعُ لِنَاقِصٍ أَمْرَانِ فِي رَأْيِ النَّهْيِ مُرَّانِ
وَالرَّأْيُ فِيمَا دُونَهُ الْأَمْرَانِ أَنْ تَخْتَارَ وَقَعَ أَسِنَّةُ الْمُرَّانِ

وهذا الجنس إذا كان ركناه من جنس واحد ؛ كفعلين أو اسمين ..
سُمِّيَ : متماثلاً ، وإن اختلفا .. سُمِّيَ : مستوفى .

الجناسُ المطلقُ

يكون بتوافق ركنيه في الحروف وترتيبها دون أن يجمعهما اشتقاق ؛
كقوله صلى الله عليه وسلم : « أَسْلَمَ سَأَلَهَا اللَّهُ ، وَغَفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ،
وَعُصَيْتُ عَصَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ »^(٢) .

فإن جمعهما اشتقاق ؛ مثل : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا
أَعْبُدُ ﴾^(٣) .. فقيل : يُسَمَّى : جناس اشتقاق ، وقيل : هو غير جناس .

الجناسُ المُذَيَّلُ ، والجناسُ المُطَرَّفُ

يكون الأوَّلُ بزيادة أحد ركنيه في آخره ، والثاني بها في أوله ؛ مثل قول
أبي تمام^(٤) :

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاصٍ قَوَاصِمٍ

(١) هما لإبراهيم الغزي ، كما في « وفيات الأعيان » (٥٩/١) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٣) ، ومسلم (٢٥١٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) سورة الكافرون : (٢ - ٣) .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٠٦/١) .

وقول الخنساء^(١) :

[من مجزوء الكامل]

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا ءُ مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

وقول الشيخ عبد القاهر^(٢) :

[من الطويل]

وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَيَّ عَوَارِفُ ثَنَائِي عَلَى تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَارِفُ

وَكَمْ غَرَّرَ مِنْ بَرِّهِ وَلَطَائِفِ لَشُكْرِي عَلَى تِلْكَ اللَّطَائِفِ طَائِفُ

الجناسُ المُضارعُ ، والجناسُ اللاحقُ

يكونُ الأوَّلُ باختلافِ ركنيهِ في حرفينِ لم يتباعدا مخرجاً ؛ مثلُ : ينهونَ
وينأونَ ، والثاني في متباعدين ؛ مثلُ : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ
لَشَدِيدٌ ﴾^(٣) .

الجناسُ اللفظيُّ

يكونُ باختلافِ ركنيهِ بالضَّادِ والظَّاءِ ، أو التاءِ والهَاءِ ، أو التنوينِ والنونِ ؛
مثلُ : ﴿ وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(٤) .

[من البسيط]

ومثلُ قولِ بعضهم^(٥) :

إِذَا جَلَسْتَ إِلَى قَوْمٍ لِتُؤَنَسَهُمْ بِمَا تُحَدِّثُ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِ

فَلَا تُعِيدَنَّ حَدِيثًا إِنْ طَبَعَهُمْ مُوَكَّلٌ بِمُعَادَاةِ الْمُعَادَاتِ

(١) انظر «ديوان الخنساء» رضي الله عنها (ص ٣٢٩) .

(٢) كذا في «أنوار الربيع» (١/١٧٦) .

(٣) سورة العاديات : (٧ - ٨) .

(٤) سورة القيامة : (٢٢ - ٢٣) .

(٥) هما لأبي الفتح البستي في «ديوانه» (ص ٥٢) .

وقولِ آخَرَ^(١) :

[من الرجز]

أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا وَفَمَا إِنَّ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالْحُسْنِ فَمَنْ
حَكَى الْغَزَالَ مُقْلَةً وَلَفْتَةً مَنْ ذَا رَأَهُ مُقْبِلًا وَلَا أَفْتَتَنُ

الجِنَاسُ الْمُحَرَّفُ

يكونُ باختلافِهما في حركةٍ ؛ مثلُ الضَّلالِ والظِّلالِ ، والكَلِمِ والكَلِمِ ،
ومنهُ : جُبَّةُ البُرْدِ . . جُنَّةُ البُرْدِ .

الجِنَاسُ الْمُصَحَّفُ

يكونُ بكلماتٍ لو زالَ إعجامُها . . لم تَمَيِّزْ ؛ كقولِ بعضهم : (عَرَكَ عِرْكَ ،
فصارَ قِصارُ ذَلِكَ ذَلِكَ ، فاحشَ فاحشَ فعِلْكَ ، فعَلْكَ بهذا تُهدى)^(٢) .

الجِنَاسُ المُرَكَّبُ ، والجِنَاسُ المُلَقِّقُ

يكونُ الأوَّلُ باختلافِ ركنَيْهِ إفراداً وتركيباً ، فإن كانَ مِنْ كلمةٍ وبعضِ
أخرى . . سُمِّيَ : مرفوعاً ؛ كقولِ الحريريِّ^(٣) :

[من الطويل]

وَلَا تَلَّهُ عَن تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَأَبْكَهِ بِدَمْعٍ يُحَاكِي الْمُنْزَنَ عِنْدَ مَصَابِهِ
وَمَثَلِ لِعَيْنَيْكَ الْحِمَامِ وَوَقَعَهُ وَرَوْعَةَ مَلَقَاةٍ وَمَطْعَمَ صَابِهِ

وإن كانَ مِنْ كلمتَيْنِ ؛ فإن اتفقَ الركنانِ خطأً . . سُمِّيَ : مقروناً ؛ كقولِهِ^(٤) :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَةٍ فَدَعُهُ فَذَوْلَتْهُ ذَاهِبَةٌ

(١) هما للشباب الظريف في « ديوانه » (ص ٢٣٣) .

(٢) انظر « تاج العروس » (٤٣٣/١٣) مادة (ق ص ر) .

(٣) مقامات الحريري (ص ١٤٦) .

(٤) هو أبو الفتح البستي في « ديوانه » (ص ٤٠) ، والبيت من المتقارب .

وإلا . . . سُمِّيَ : مَفْرُوقًا ؛ كَقَوْلِهِ ^(١) :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ الرُّوَاةَ قَصِيدَةً مَا لَمْ تَكُنْ بَالِغَتْ فِي تَهْذِيبِهَا

فَإِذَا عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مَهْذَّبٍ عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَا

وَيَكُونُ الْمُتَّفَقُ بِتَرْكِيْبِ الرِّكْنَيْنِ جَمِيعًا ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ ^(٢) :

وَلَيْتَ أَلْحَكَمَ خَمْسًا وَهِيَ خَمْسٌ لَعَمْرِي وَالصِّبَا فِي الْعُنْفُوانِ

فَلَمْ تَضَعْ الْأَعَادِي قَدْرَ شَانِي وَلَا قَالُوا فَلَانٌ قَدْ رَشَانِي

وقولِ آخَرَ ^(٣) :

أَرَى مَجْلِسَ السُّلْطَانِ تُفْضِي عَفَاتُهُ إِلَى رَوْضِ جُودٍ بِالْعَطَاءِ مُجَوِّدٍ

فَكَمْ لِحِبَاهِ الرَّاغِبِينَ لَدَيْهِ مِنْ مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودٍ

جناسُ القلبِ

يكونُ باختلافِ ركنيه في ترتيبِ الحروفِ ؛ كَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ ؛ استرُ عوراتنا ،
وَأَمِنْ روعاتنا .

الجناسُ المعنويُّ

نوعانِ : جناسُ إضمارٍ ، وِجناسُ إشارةٍ .

الأوَّلُ : أن تأتي بلفظٍ يُحْضِرُ في ذهنِكَ لفظًا آخَرَ بِمرادفةٍ أو بطريقِ

أخرى ، وذلكَ اللفظُ المُحْضَرُ يُرادُ به غيرُ معناه بدلالةِ سياقِ الكلامِ ؛ كَقَوْلِ

الشريفِ ابنِ طباطبا العلويِّ ^(٤) :

مُنَعَّمٌ أَلْجِسْمُ تَحْكِي الْمَاءِ رِقَّتُهُ وَقَلْبُهُ قَسْوَةٌ يَحْكِي أَبَا أَوْسٍ

(١) هو للمطوعي ، كما في « معاهد التنصيص » (٢٢٢/٣) .

(٢) هو القاضي عبد الباقي بن أبي حصين ، كما في « معاهد التنصيص » (٢٤٠/٣) .

(٣) هو أبو القاسم عبد الصمد الطبري ، كما في « يتيمة الدهر » (١٩٣/٥) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٣٨٣) .

أوسٌ : شاعرٌ مشهورٌ مِنْ شعراءِ العربِ ، واسمُ أبيه : حَجْرٌ ، فلفظُ
(أبي أوسٍ) يُحْضِرُ في ذهنِكَ اسمَهُ ؛ وهو لفظُ (حَجْرٍ) ، والمرادُ به بدلالةِ
قولِهِ : (وقلْبُهُ قسوةٌ) : الحَجْرُ المعروفُ .

وحيثَ ظهرَ استعمالُ هذا النوعِ . . استنكرَهُ الأدباءُ ، حتى قالَ مسلمٌ بنُ
بحرٍ يُخاطِبُ الشريفَ المذكورَ^(١) :

أَبَا حَسَنِ حَاوَلْتَ إِيرَادَ قَافِيَةِ مُصَلَّبَةِ الْمَعْنَى فَجَاءَتْكَ وَاهِيَةٌ
وَقُلْتَ أَبَا أَوْسٍ تُرِيدُ كِنَايَةً عَنِ الْحَجْرِ الْقَاسِي فَأَوْرَدْتَ دَاهِيَةَ
فَإِنْ جَاَزَ هَذَا فَأَكْسِرْنَ غَيْرَ صَاغِرٍ فَمِي بِأَبِي الْقَزَمِ الْهُمَامِ مُعَاوِيَةَ
ثُمَّ اسْتَحْسَنَهُ الْمُتَأَخَّرُونَ وَأَكثَرُوا مِنْهُ ، فَمِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ^(٢) : [من الطويل]

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَأْسٌ مُدَامَةٌ أَتْنَا بِطَعْمِ عَهْدِهِ غَيْرُ ثَابِتِ
حَكَتْ بِنْتُ بَسْطَامَ بْنِ قَيْسِ صَبِيحَةً وَأَمَسَتْ كَجِسْمِ الشَّنْفَرِيِّ بَعْدَ ثَابِتِ
بِنْتُ بَسْطَامَ : اسمُها صهباءُ ، وقولُهُ : (كجسمِ الشنفرى) يشيرُ إلى
قولِهِ^(٣) :

فَأَسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلٌّ
يقولُ : أصبحتُ خمرًا ، وأمستُ خلًّا ، ولهباءُ الدينِ زهيرٍ^(٤) : [من الرجز]

وَجَاهِلٍ طَالَ بِهِ عَنَائِي
لَأَزْمَنِي وَذَاكَ مِنْ شَقَائِي

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٨٣) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٠٩/١) .

(٣) انظر « ديوان الشنفرى » (ص ١٢٠) .

(٤) انظر « ديوان بهاء الدين زهير » (ص ١٨) .

أَبْغَضُ لِلْعَيْنِ مِنَ الْأَقْدَاءِ
أَثْقَلُ مِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ
فَهُوَ إِذَا رَأَتْهُ عَيْنُ الرَّائِي
أَبُو مُعَاذٍ وَأَخُو الْخَنْسَاءِ^(١)

ويكون جناسُ الإشارةِ بذكرِ أحدِ الركنينِ والإشارةِ للآخرِ بما يدلُّ عليه ؛
وذلك حيثُ يمنعُ الشعرُ مِنَ التصريحِ به ، فلا يكونُ في المنثورِ ، وأصلُهُ :
قولُ امرأةٍ عربيةٍ مِنْ عَقِيلٍ^(٢) :

فَمَا مَكُنْنَا دَامَ الْجَمَالُ عَلَيْنَا بِئِهْلَانَ إِلَّا أَنْ تُشَدَّ الْأَبَاعِرُ
كَأَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ : (تُشَدُّ الْجَمَالُ) لِجَنَاسِ (الْجَمَالُ) جِنَاسِ
التَّحْرِيفِ ، فَأَبَتْ عَلَيْهَا الْقَافِيَةُ .

وأكثرُ المُتَأَخِّرُونَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :
وَتَحَتَّ الْبَرَاقِعِ مَقْلُوبُهَا تَدْبُّ عَلَى وَرْدِ حَدِّ نَدِيٍّ



(١) أراد : جبلاً وصخراً .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢١٩/١) .

الاستطرادُ

هُوَ أَنْ يَخْرُجَ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ الْفَنِّ الَّذِي هُوَ مُتَرَسِّلٌ فِيهِ إِلَى مَعْنَى
يَذْكُرُهُ بِاسْتِدْعَاءِ مَنْاسِبَةٍ قَوِيَّةٍ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى تَتْمِيمِ مَا كَانَ فِيهِ ؛ كَقَوْلِ
السَّمُوعِلِ (١) :

وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا وَاحِدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

فسياق القصيدة للفخر ، وتنسيق المآثر ، استطراد منه إلى هجاء عامرٍ
وسلول ، ثم عاد إليه .

والاستطرادُ كثيرٌ في القرآن ، وفي أشعار العرب ، ترى الشاعرَ ماضياً في
سنين ، فيعترضه شيءٌ يستدعي الصِّفَةَ ، فيصِفُه ، فإذا أتمَّ .. عادَ .

[أصلُ معنى الاستطرادِ]

وأصلُ معنى الكلمة : أَنَّ الْفَارِسَ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ قَرْنِهِ ، فَيُظْهِرُ أَنَّهُ انْهَزَمَ
وَيَفِرُّ ، فَيَطْلُبُهُ عَادِيًا خَلْفَهُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَشْعَرَ صَاحِبُ الْمَكِيدَةِ أَنَّ تَابِعَهُ قَدْ
أَفْرَعُ قُوَّتَهُ ، وَبَطَلَ اسْتِعْدَادُهُ ، وَصَارَ فِي أَسْرِ مِيلِ الطَّلَبِ .. عَطَفَ عَلَيْهِ
الْمَطْلُوبُ ، فَكَانَ الطَّالِبُ قَاتِلَ نَفْسِهِ .



(١) انظر «ديوان السموعل» (ص ١٢ - ١٣) .

وَمِنْ شَوَاهِدِ النُّوعِ : قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ فِي صِفَةِ فَرَسٍ^(١) :

يَهْوِي كَمَا هَوَتْ الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ أَنْتِصَابَ الْأَجْدَلِ
مَا إِنْ يِعَافُ قَذَى وَلَوْ أَوْرَدَتْهُ يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوْنِهِ الْأَحْوَلِ
جَذْلَانَ يَسْنُفُضُ عُذْرَةَ فِي غُرَّةِ يَقَقِي تَسِيلُ حُجُولُهَا فِي جَنْدَلِ



(١) انظر « ديوان البحتري » (١٧٤٥/٣) .

المقابلة

هي أن تذكر معنيين فأكثر ، ثم تقابل كلاً بضده .

وأكرم شاهد لها : قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى

فَسَنِّيَرُهُ لِلشَّرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْتَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿ (١) .

وَمَنْ اسْتَغْنَى .. فقد عصى ولم يتَّقِ ، وقوله : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا

كَبِيرًا ﴾ (٢) .

ثم قوله صلى الله عليه وسلم : « لَمْ يَكُنِ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا [زَانَهُ] ، وَلَمْ

يَكُنِ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا [شَانَهُ] » (٣) .

[من الطويل]

وَمِنَ الشَّعْرِ : قَوْلُ بَعْضِهِمْ (٤) :

وَفِي رِجْلِ رَجُلٍ حُرٍّ قَيْدُ ذَلِّ يَشِينُهُ

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجٍ عَزَّ يَزِينُهُ

[من البسيط]

وقول الطغرائي (٥) :

بِشِدَّةِ الْبَاسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزَلِ

حُلُوُ الْفُكَاهَةِ مُرُّ الْجِدِّ قَدْ مُرِجَتْ

[من البسيط]

ولأبي الطيب (٦) :

وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي

(١) سورة الليل : (٥ - ١٠) .

(٢) سورة التوبة : (٨٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣٢٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٢١٠/٢) .

(٥) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣) .

(٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٩) .

وأخذه منه بعضهم فقال^(١) :

[من الكامل]

وَأَظْلُ أَنْتَظِرُ الظَّلَامَ الدَّامِسَا

أَقْلِي النَّهَارَ إِذَا أَضَاءَ صَبَاحُهُ

وَاللَّيْلُ يَرْتِي لِي فَيُدْبِرُ عَابِسَا

فَالصُّبْحُ يَشْمَتُ بِي فَيُقْبِلُ ضَاحِكَا



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٠٩/٢) .

الاستخدام

هُوَ أَنْ تَذَكَرَ لَفْظاً وَتَعِيدَ عَلَيْهِ ضَميراً تَريِدُ بِهِ مَعْنَى آخَرَ لِذَلِكَ اللَّفْظِ ، أَوْ تَعِيدَ عَلَيْهِ ضَميرينِ تَريِدُ بِثانِيهِمَا غَيْرَ مَا أَرَدْتَ بِأَوَّلِهِمَا .

فَمِنَ الْأَوَّلِ : قَوْلُهُ ^(١) :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

ولابنِ نباتَةَ المِصرِيِّ ^(٢) :

إِذَا لَمْ تَفِضْ عَيْنِي أَلْعَقِيقَ فَلَا رَأَتْ مَنَازِلَهُ بِالسَّفْحِ تُزْهِى وَتُزْهِرُ

وَإِنْ لَمْ تُوَاصِلْ عَادَةَ السَّفْحِ مُقْلَتِي فَلَا عَادَهَا عَيْشٌ بِمَغْنَاهُ أَخْضُرُ



وَمِنَ الثَّانِي : قَوْلُ البِحرِيِّ ^(٣) :

فَسَقَى أَلْغَضَا وَالسَّاكِنِيهِ [وَإِنْ هُمْ] شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ

الغضا : اسمٌ لمكانينِ معروفينِ ، واسمُ شَجَرٍ نارُهُ شَدِيدَةٌ لِصَلَابَتِهِ ؛ يُقَالُ :
إِنَّ نارَهُ تَمَكُّتُ تَحْتَ التُّرابِ المُطْفِئِ عَادَةً لِلنَّارِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ .

[نَوْعٌ آخَرَ مِنَ الِاسْتِخْدَامِ]

وَتَمَّ اسْتِخْدَامُ آخَرَ أَثْبَتَهُ بَعْضُهُمْ ؛ وَهُوَ أَنْ تَذَكَرَ كَلِمَةً ذَاتَ مَعْنِيَيْنِ وَتَريِدُهُمَا

(١) تقدم (١٦/٢) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢٧١/٢) .

(٣) انظر « ديوان البحري » (٢٤٦/١) .

جميعاً ، ناصباً في الكلام لكلٍ منهما دليلاً ؛ كقول بعضهم ^(١) : [من السريع]
دَعِ الْهُوَيْنَى وَأَنْتَصِبْ وَأَكْتَسِبْ وَأُكْدَخْ فَتَنْفُسُ الْحَرِّ كَدَّاحَةٌ
وَكُنْ عَنِ الرَّاحَةِ فِي مَعَزِلٍ فَالْصَّفْحُ مَوْجُودٌ مَعَ الرَّاحَةِ
ومنه في الكتاب العزيز : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ ^(٢) .
ومن الاستخدام الأول فيه قوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ
ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾ ^(٣) في أحد التفسيرين .



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٧١/٢) ، وعزاهما للسراج الوراق .

(٢) سورة الرعد : (٣٨ - ٣٩) .

(٣) سورة المؤمنون : (١٢ - ١٣) .

الافتنانُ

هو أن يجمعَ المُتكلِّمُ بينَ فنَّينِ مِنَ المعاني ؛ مثلُ الغزْلِ والحِمْاسَةِ ،
والمدحِ والهجاءِ ، والتهنئةِ والتعزيةِ ، قالَ تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى
وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ^(١) ، صدرُ الآيةِ تسليةٌ لعامةِ الناسِ وتعزيةٌ ، وبيانُ
موضعِ التأسِّي ؛ فإنَّ الأمرَ متى عمَّ . . هانَ ، وعجزُها تمدُّحٌ بالانفرادِ بالبقاءِ
والجلالِ ؛ أي : العظمةِ ، والإكرامِ ؛ أي : الإعظامِ ، فهما له لذاته ، وما كانَ
منهُما لغيره . . فبإحسانِهِ وإفضالِهِ .

[تعزيةٌ وتهنئةٌ]

ويُحكى : أنَّه لما أجابَ أميرُ المؤمنينَ معاويةَ رضيَ اللهُ عنه داعيَ ربِّه ،
وخلفهُ ابنهُ يزيدُ . . دخلَ عليهِ الناسُ يومَ جلوسِهِ لهم ، فلم يَتكلَّمْ أحدٌ
بشيءٍ ؛ حيرةً بينَ المصيبةِ السالفةِ والنعمةِ الخالفةِ ، حتى دخلَ عبدُ اللهِ بنُ
همامِ السَّلُوليِّ ، فقالَ : آجبرَكَ اللهُ على الرزيَّةِ ، وباركَ لك في العطيَّةِ ،
وأعانَكَ على الرعيَّةِ ، فقد رُزئتَ عظيماً ، وأُعطيْتَ جسيماً ، فاشكرِ اللهُ على
ما أُعطيْتَ ، واصبرْ على ما رُزيتَ ؛ فقد فقدتَ الخليفةَ ، وأُعطيْتَ الخلافةَ ،
ففارقتَ خليلاً ، ووُهبَتَ جليلاً ، ثمَّ أنشدَ :

إصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَأشْكُرُ جِبَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَضْفَاكَ
لَا رُزءَ أَضْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ نَعْلَمُهُ كَمَا رُزئتَ وَلَا عُفْبِي كَعُفْبَاكَ ^(٢)
ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

(١) سورة الرحمن : (٢٦ - ٢٧) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣٢١/١) .

كما يُحكى : أن أعرابيةً لقيت أبا جعفر المنصور - ثاني خلفاء بني العباس - في طريق الحجاز وقد حج بالناس أول حجة بعد موت أخيه السفاح أولهم ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ؛ قد أحسن الله إليك في الحاليتين ، وأعظم النعمة عليك في المنزلتين ، سلبك خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ، فاحتسب عند الله ما سلبك ، واشكر له ما وهبك ، وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وبارك لك في إمرة المؤمنين .

ثم دخل الناس بعد من هذا الباب ، فقالوا وأحسنوا ؛ كأبي نواس وأبي تمام ومن جاء بعدهم ^(١) .

ومن الافتنان بالجمع بين الغزل والحماسة : قول ذي اليمينين عبد الله بن طاهر ^(٢) :

نَحْنُ قَوْمٌ تُذِيبُنَا الْأَعْيُنُ النَّجْدُ لُ عَلَى أَنَّنَا نُذِيبُ الْأَحْدِيدَا
طَوْعُ أَيْدِي الْغَرَامِ تَقْتَادُنَا الْغِيءِ دُ وَنَقْتَادُ بِالطَّعَانِ الْأَسْوَدَا
نَمْلِكُ الصَّيْدَ ثُمَّ تَمْلِكُنَا الْبَيْدِ ضُ الْمَصُونَاتُ أَعِينَا وَخُدُودَا
تَتَّقِي سُخْطَنَا الْأَسْوَدُ وَنَخْشَى سَخْطَةَ الْخِشْفِ حِينَ يُبْدِي الصُّدُودَا
فَتَرَانَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَحْرَا رَا وَفِي السِّلْمِ لِلْحِسَانِ عَبِيدَا

وإذا جمع المتكلم بين معانٍ كثيرة . . خص من بين الافتنان باسم التمريج ؛ أي : جعل الكلام مثل المزج يشتمل على أنواع النباتات المختلفة .



(١) انظر «ربيع الأبرار» (٤/٤١٣) .

(٢) كذا في «أنوار الربيع» (١/٣٢٤) .

اللف والنشر

هو أن تذكر متعدداً بلفظ واحد ، ثم تذكر متعدداً آخر مفصلاً بالفاظ ؛ لكل واحدٍ من الأول واحدٍ من الثاني ، مُعتمداً في ذلك على فهم المخاطب ، أو تذكر متعدداً بالفاظ ، ثم تعقبه بمثله على ذلك .

فَمِنَ الْأَوَّلِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ﴾ ^(١) ، فالواو في (وقالوا) عبارة عن اليهود والنصارى ؛ فالمعنى : قال اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، وتفهم ذلك بعلمك أن كلا من الأمتين تكفر صاحبتهما .

ومنه : قول ابن حيوس ^(٢) :

ثَمَانِيَةٌ لَمْ تَفْتَرِقْ مُذْ جَمَعْتَهَا فَلَا أَفْتَرَقْتُ مَا ذَبَّ عَنِ نَاطِرِ شُفْرِ
يَقِينُكَ وَالْتَّقْوَى وَجُودُكَ وَالْغِنَى وَلَفْظُكَ وَالْمَعْنَى وَعَزْمُكَ وَالنَّصْرُ



وَمِنَ الثَّانِي : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(٣) ، ومنه : قول علي بن الرومي في المدح ^(٤) :

أَرَأَيْتُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومَ
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِحُ تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَّاتِ رُجُومَ

(١) سورة البقرة : (١١١) .

(٢) انظر « ديوان ابن حيوس الغنوي » (٢٤٢/١) .

(٣) سورة القصص : (٧٣) .

(٤) انظر « ديوان ابن الرومي » (٢٣٤٥/٦) .

ومنه في الغرامي : قولُ حمْدونة الأندلسيَّة^(١) :

وَلَمَّا أَبِي الْوَأْشُونَ إِلَّا فِرَاقَنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ نَارِ
وَشَنُّوا عَلَيَّ أَسْمَاعِنَا كُلَّ غَارَةٍ وَقَلَّ حُمَاتِي عِنْدَ ذَلِكَ وَأَنْصَارِي
عَزَوْتُهُمْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَذْمَعِي وَمِنْ نَفْسِي بِالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ

وحمدونة هذه من كُبْرِيَاتِ الأدباء ، وكان يُقال لها : خنساء المَغْرِبِ ، وهي صاحبة الأبيات المنسوبة غلطاً لأبي نصر المنازي ، وقد ذُكِرَتْ في ترجمتها لمعاصريها قبل مولد المَنَازِيِّ بحين ، وهي قولها^(٢) : [من الوافر]

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَّا عَلَيْنَا حُنُوَ الْمُرْضِعَاتِ عَلَيَّ الْفَطِيمِ
وَأَرْشَفْنَا عَلَيَّ ظَمًا زُلَالًا أَلَدَّ مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يَصُدُّ الشَّمْسَ أَتَى وَاجَهْتَنَا فَيَحْجُبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
تَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعِدَارِي فَتَلْمَسُ جَانِبَ الْعِقْدِ النَّظِيمِ

وقد أُخْبِرَتْ في شعرها عن شعرها حيثُ قالتُ : (وقلَّ حُماتي عند ذلك) ، فتلك من عبارات النساء ، وحديث الرِّضَاعِ والفِطَامِ والحَلِيِّ أليقُ شيءٍ بشعرِ امرأةٍ .

[أمثلة من محاسن الأدب]

ومن محاسن الأدب : أن يشير المُتكلِّمُ في شعره أو نثره بحالِهِ ، ومنه :

قولُ عليِّ بنِ بشرٍ الكاتبِ من شعراءِ « اليتيمة »^(٣) : [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ يَمُرُّ وَلَا تَمُرُّ بِهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْفَرْقِ

(١) انظر « نفع الطيب » (٢٨٧/٤) .

(٢) انظر « نفع الطيب » (٢٨٨/٤) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٣٥٠/١ - ٣٥١) .

بِعِمَامَةٍ مِنْ خَدِهِ أَوْ خَدُهُ مِنْهَا أُسْتَرَقَ
فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا قَمَرٌ تَعَمَّمُ بِالشَّفَقِ
فَإِذَا بَدَا وَإِذَا أَنْثَنِي [وَإِذَا] شَدَا وَإِذَا نَطَقَ
شَغَلَ الخَوَاطِرَ وَالْجَوَا رِحَ وَالْمَسَامِعَ وَالْحَدَقَ
وعارضه ابن خفاجة الأندلسي بقوله^(١) : [من مجزوء الكامل]

وْمُهْفَهْفِ طَاوِي الْحَشَا خَنِثِ الْمَعَاطِفِ وَالنَّظَرِ
مَلَأَ الْعُيُونَ بِصُورَةٍ ثَلِيثِ مَحَاسِنُهَا سُورِ
فَإِذَا رَنَا وَإِذَا مَشَى وَإِذَا شَدَا وَإِذَا سَفَرِ
فَضَحَ الْغَزَالَةَ وَالْغَمَا مَةَ وَالْحَمَامَةَ وَالْقَمَرِ



ويكون النشرُ على ترتيب اللَّفِّ ، الأَوَّلُ للأَوَّلِ وهكذا ، ويكون غير ذلك ،
وحسنُ هذا النوع إذا سلم من العقادة ، ولم يتبين كونُ القصدِ إليه فقط ، وما
كان من بعض الشعراء من القصدِ إليه بتكثيرِ العددِ . . . إنما هو لاختبارِ القُوَّةِ ،
وتقييدِ النكتةِ ؛ كقول بعضهم^(٢) :

يُقَطِّعُ بِالسِّكِّينِ بِطِيخَةَ ضُحَى عَلَى طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ لِأَصَاحِبِهِ
كَبَدْرِ بَبْرَقٍ قَدْ شَمَسَا أَهْلَةً لَدَى هَالَةٍ فِي الْأَفْقِ بَيْنَ كَوَاكِبِهِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (١/٣٥٠) .
(٢) هو نجم الدين البارزي ، كما في « معاهد التنصيص » (٢/٢٧٦) .

الاستدراكُ

هو - كما عرفت - رفعٌ وهم ينشأ من الكلام بـ (لكن) وما بعدها ، خلا أنه لا يعدُّ من البديع إلا إذا اشتمل على نكتة زائدة يعترف بها الدوق ؛ كقول أبي دويدة يُخاطبُ رجلاً أودع قاضياً [وديعةً] ^(١) فادّعى ضياعها ^(٢) :

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْني لَوْ تَعِي
أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْعِ
ولصدر الدين بن الوكيل ^(٣) :

وَبِي مَنْ قَسَا قَلْباً وَلَانَ مَعَاظِفاً إِذَا قُلْتُ أَدْنَانِي يُضَاعِفُ تَبْعِيدِي
أَقْرُبِرِقِّ إِذْ أَقُولُ أَنَا لَهُ وَكَمْ قَالَهَا يَوْمًا وَلَكِنْ لِتَهْدِيدِي
ولبعضهم :

يَحْجُونَ بِالْمَالِ الَّذِي يَجْمَعُونَهُ حَرَاماً إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُحَرَّمِ
وَيَزْعُمُ كُلُّ أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُمْ تُحَطُّ وَلَكِنْ فَوْقَهُمْ فِي جَهَنَّمَ



(١) ليست في الأصل .

(٢) كذا في « أنوار الربيع » (٣٨٩/١) ، وفي « معاهد التنصيص » (١٨٥/٣) : (ابن الدويدة) بدل (أبي الدويدة) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١٨٢/٣) .

الإبهامُ

هو أن تأتي بعبارةٍ تحتملُ مقصدينِ على السَّواءِ ؛ كهجاءِ ومديحٍ ؛ لتبلغَ مِنْ غَرَضِكَ بما لا يُمَسِّكُ عليك .

قالَ محمدُ بنُ حزمٍ يُخاطِبُ المأمونَ حينَ تزوَجَ بابنةِ الحسنِ بنِ سهلٍ بُورانَ التي تُنسَبُ إليها الأَطِخَةُ البُورانيَّةُ^(١) : [من مجزوء الخفيف]

بَارَكَ اللهُ لِحَسَنٍ وَلِبُورَانَ فِي الْخَتَنِ
يَا إِمَامَ الْهُدَى ظَفِرُ ت وَلَكِن بِبِنْتِ مَنْ
فهذا يحتملُ التعظيمَ والتحقيقَ ؛ أي : بنتِ مَنْ بلغَ فِي العِظَمِ إلى حدِّ
خرجَ عنِ التصوُّرِ ، أو فِي الحَقارةِ .

[فطنةُ ابنِ الجوزيِّ رحمَهُ اللهُ]

ومنه : ما يُحكى : أن سائلاً عجمياً سألَ ابنَ الجوزيِّ الواعظَ : أيُّ الرجلينِ أفضلُ : أبو بكرٍ أم عليٌّ ؟ فقالَ : مَنْ كانتِ ابنتُهُ تحتَهُ ، فالضَّميرُ الأوَّلُ إن عادَ علي (مَنْ) . . فهو تفضيلٌ لأبي بكرٍ ، وابنتُهُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها ، فالضَّميرُ الثاني يَرِجِعُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وإن عادَ الضَّميرُ الثاني علي (مَنْ) . . فهو تفضيلٌ لعليِّ ، وهذا النوعُ هو ما يُسمِّيهِ النحويونَ إجمالاً حيثُ يتكلمونَ على الإلباسِ .



(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٣٩/٣) .

المُطابِقةُ

هي الجمعُ بينَ ضدَّينِ ؛ فإنَ كانَ أحدُ اللَّفظينِ مَجازاً .. سُمِّيَتِ : المُطابِقةُ الإِبهاميَّةُ ، وإنَ كانتِ الألفاظُ مِنْ أَلِفاظِ الأَلوانِ .. سُمِّيَتِ : تَدبيجاً .

وقد تكونُ المُطابِقةُ بِحَسَبِ المَعنى أوِ الاستلزام ؛ كقولِهِ تعالى : ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ مَعَ قولِهِ : ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ^(١) ؛ مَعناه : إِنَّا صادِقُونَ ، وقولِهِ : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ ﴾ ^(٢) ، فالرُحمةُ تستلزمُ اللَّينَ .

فَمِنَ المُطابِقةِ : مِثْلُ قولِهِ تعالى : ﴿ نُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ نَشَاءٍ وَنَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ نَشَاءٍ وَنُعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَنُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ ﴾ ^(٣) .

وَمِنَ المُطابِقةِ : الجَمْعُ بَينَ إثباتِ شيءٍ ونفيهِ ؛ مِثْلُ : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا ﴾ ^(٤) .

وأحسَنُ المُطابِقةِ : ما صحبها نوعٌ آخَرُ مِنَ البديعِ يكسوها جمالاً ؛ كقولِ فخرِ الدينِ ابنِ مَكَانِسَ ^(٥) :

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ إِنَّ أَنْاساً قَدْ تَوَلَّوْكَ بِالسَّعَادَةِ فَازُوا
أَنْتَ لِلْعِلْمِ فِي الْحَقِيقَةِ بَابٌ يَا إِمَامِي وَمَنْ سِوَاكَ مَجَازُ



(١) سورة يَسَ : (١٥ - ١٦) .

(٢) سورة الفتح : (٢٩) .

(٣) سورة آلِ عمران : (٢٦) .

(٤) سورة الروم : (٦ - ٧) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٥٣/٢) .

إرسال المثل والكلام الجامع

هما نوعان ، فَرَّقَ بينهما أهلُ البديعِ بكونِ الأوَّلِ بعضَ بيتٍ ، والثاني بيتاً كاملاً ؛ كقولِ أبي الطيبِ في إرسالِ المثلِ ^(١) :

فَإِنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ

وقولِ امرئِ القيسِ في الكلامِ الجامعِ ^(٢) :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِحَزَانٍ

وحيثُ كَانَ المقصودُ منهما واحداً . . . فالأحسنُ : جعلُهُما نوعاً واحداً ، والضَّابِطُ : أن يكونَ الكلامُ صالحاً لأن يُتمثَّلَ به في مواطنَ كثيرةٍ لغرضٍ ؛ كتسليِّ المحزونِ ، وتشجيعِ الجبانِ ، وتخميديِ الفتنةِ ، وتسكينِ سورةِ الغضبِ ، وتبكييتِ الخصمِ ، وتحليةِ العتابِ ، وتحسينِ الشكرِ ، وتصبيرِ الجازعِ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ المقاصدِ .

وأهلُ الحماساتِ يترجمونَ للشعرِ المُشتمِلِ على مثلِ هذا بـ (بابِ الآدابِ) ، ومثلُ هذا الكلامِ هو المعنيُّ بقولهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأُعْطِيَتْ جَوَامِعُ أَلْكَلِمِ » ^(٣) ؛ يعني : الكلامَ القليلَ الألفاظِ الكثيرِ المعنى ، الذي يُؤثِّرُ في النفوسِ ؛ بما فيه مِنَ الحِكَمِ المُعَرِّفَةِ المنافعِ التي تَطْلُبُهَا النفوسُ ، والمَضَارِّ التي تهربُ منها .

وقد أَكثَرَ النَّاسُ مِنَ التَّأْلِيفِ فِي الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الشَّعْرِ وَغَيْرِهِ ،

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٩) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩٠) .

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وللطَّبَاعِ استراحةٌ إلى الأمثالِ ؛ فإنَّكَ تجدُها في سائرِ أجناسِ الناسِ يجعلونها في أحاديثهم منتهى الحُجَّةِ ، وموضعِ الحِكمِ ، وذريعةَ الإذعانِ والاعترافِ .

قال الزمخشريُّ : (ولضربِ العربِ الأمثالَ واستحضارِهِم المثلَ والنظائرَ . . . شأنُ ليسَ بالخفيِّ في إبرازِ خبيثاتِ المعاني ، ورفعِ الأستارِ عنِ الحقائقِ ، حتى تريكَ المَخِيلَ في صورةِ المُحَقِّقِ ، والمُتوهِّمِ في مَعْرِضِ المُثَبِّتِ ، والغائبِ كأنَّهُ مشاهدٌ ، وفيه تبيكيتٌ للخصمِ الألدِّ ، وقمعٌ لسورةِ الجامعِ الأبويِّ ، ولأمرٍ ما أكثرَ اللهُ تعالى في كتابهِ المبينِ وفي سائرِ كتبه الأمثالَ ، وفشتٌ في كلامِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ ، وكلامِ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ ، والحكماءِ ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (١) ، ومن سُوَرِ الإنجيلِ سورةُ الأمثالِ .

ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسييرِ ولا جديراً بالقبولِ . . . إلا قولاً فيه غرابةٌ من بعضِ الوجوهِ ، ومن ثمَّ حُوْفِظَ عليه ، وحُمِيَ عن التغييرِ) انتهى (٢) .

[أمثالٌ من القرآنِ الكريمِ]

وقد عقدَ جعفرُ ابنُ شمسِ الخلافةِ في كتابِ « الآدابِ » باباً في ألفاظِ من القرآنِ جاريةٍ مَجْرَى الأمثالِ ، وأوردَ من ذلكَ قولهُ تعالى :

- ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٣) .

- ﴿ أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ ﴾ (٤) .

(١) سورة العنكبوت : (٤٣) .

(٢) تفسير الكشاف : (١٠٩/١) .

(٣) سورة آل عمران : (٩٢) .

(٤) سورة يوسف : (٥١) .

- ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ (١) .
- ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٢) .
- ﴿الَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٣) .
- ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٤) .
- ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفَرٌّ﴾ (٥) .
- ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (٦) .
- ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ (٧) .
- ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (٨) .
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٩) .
- ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (١٠) .
- ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (١١) .
- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (١٢) .

(١) سورة الحج: (١٠) .

(٢) سورة يوسف: (٤١) .

(٣) سورة هود: (٨١) .

(٤) سورة سبأ: (٥٤) .

(٥) سورة الأنعام: (٦٧) .

(٦) سورة فاطر: (٤٣) .

(٧) سورة الإسراء: (٨٤) .

(٨) سورة البقرة: (٢١٦) .

(٩) سورة المدثر: (٣٨) .

(١٠) سورة المائدة: (٩٩) .

(١١) سورة التوبة: (٩١) .

(١٢) سورة الرحمن: (٦٠) .

- ﴿ كَرَّمِنَ فِقَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِقَّةَ كَثِيرَةٍ ﴾ ^(١) .
- ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ ^(٢) .
- ﴿ وَلَا يَبْتَئْتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ ﴾ ^(٣) .
- ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ^(٤) .
- ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ ^(٥) .
- ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٦) .
- ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ ^(٧) .
- ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(٨) . انتهى ^(٩) .

قال الماوردي : (سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول : سمعت أبي يقول : سألت الحسين بن الفضل فقلت : إنك تُخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد في كلام الله : « خير الأمور أوسطها » ؟ قال : نعم ، في أربعة مواضع :

قوله : ﴿ لَا فَاْرِضُ وَلَا يَكْرَهُ عَوَانًا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ ^(١٠) .

(١) سورة البقرة : (٢٤٩) .

(٢) سورة الحشر : (١٤) .

(٣) سورة فاطر : (١٤) .

(٤) سورة المؤمنون : (٥٣) .

(٥) سورة سبأ : (١٣) .

(٦) سورة البقرة : (٢٨٦) .

(٧) سورة المائدة : (١٠٠) .

(٨) سورة الأنعام : (١٦٤) .

(٩) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة (ص ٦١ - ٦٣) .

(١٠) سورة البقرة : (٦٨) .

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (١).

وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٢).

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (٣).

قلت: فهل تجد في كتاب الله: « احذر شر من أحسنت إليه »؟ قال:

نعم، ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَنْعَمَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٤).

قلت: فهل تجد في كتاب الله: « من جهل شيئاً .. عاده »؟ قال: نعم،

في موضعين:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَالَمِهِ ﴾ (٥).

﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْفَاكٌ قَدِيمٌ ﴾ (٦).

قلت: فهل تجد: « ليس الخبر كالعيان »؟ قال: في قوله: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالِ

بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْظْمِينَ قَلْبِي ﴾ (٧).

قلت: فهل تجد: « في الحركات بركات »؟ قال: في قوله: ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (٨).

قلت: فهل تجد: « كما تدين تُدان »؟ قال: في قوله: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا

يُجْزَ بِهِ ﴾ (٩).

(١) سورة الفرقان: (٦٧).

(٢) سورة الإسراء: (٢٩).

(٣) سورة الإسراء: (١١٠).

(٤) سورة التوبة: (٧٤).

(٥) سورة يونس: (٣٩).

(٦) سورة الأحقاف: (١١).

(٧) سورة البقرة: (٢٦٠).

(٨) سورة النساء: (١٠٠).

(٩) سورة النساء: (١٢٣).

قلتُ : فهل تجدُ فيه : « لا يُلدغُ المؤمنُ من جُحرٍ مرَّتَيْنِ » ؟ قال : ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمُ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (١) .

قلتُ : فهل تجدُ : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا .. سُلِطَ عَلَيْهِ » ؟ قال : ﴿ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢) .

قلتُ : فهل تجدُ فيه قولهم : « لا تُلدُ الحيَّةُ إِلَّا الحيَّةَ » ؟ قال : ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا ﴾ (٣) .

قلتُ : فهل تجدُ فيه : « لِلجِيْطَانِ آذَانٌ » ؟ قال : ﴿ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ ﴾ (٤) .

قلتُ : فهل تجدُ فيه : « الجاهلُ مرزوقٌ ، والعالمُ محرومٌ » ؟ قال : ﴿ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ (٥) .

قلتُ : فهل تجدُ فيه : « الحلالُ لا يأتِيكَ إِلَّا قُوتًا ، والحرامُ يأتِيكَ جِزَافًا » ؟ قال : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ انتهى (٦) .

ويُقالُ لهذه الأمثالِ : كوامنُ القرآنِ ، تتمثلُ بالمثلِ منها وتُتبعهُ بأن تقولَ : وتصديقُ ذلكُ في كتابِ الله تعالى حيثُ يقولُ كذا .

مثلاً : يقتضي الحالُ أن تتمثلَ بـ (خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا) ، فتقولُ : خَيْرُ

(١) سورة يوسف : (٦٤) .

(٢) سورة الحج : (٤) .

(٣) سورة نوح : (٢٧) .

(٤) سورة التوبة : (٤٧) .

(٥) سورة مريم : (٧٥) .

(٦) أورده الإمام السيوطي في «الإتقان» (٥/١٩٣٩ - ١٩٤١) ، والآية من سورة (الأعراف) :

(١٦٣) .

الأمور أوسطها ، وتصديق ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا
وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (١) ، وهكذا .



واعلم : أنه يجب الحذر من التمسك ببعض الأمثال كما قال فخر
الدين ابن مكنس في أرجوزة نصيحة في فصل منها يُبين به آداب زيارة
الأصحاب (٢) :

وَلَا تُطْفِلْ ذَقْنَكَ وَلَا تَزُرْهُمْ وَأَبْنَكَ
وَلَا تَقُلْ لِمَنْ تُحِبُّ ضَيْفُ الْكِرَامِ يَضْطَجِبُ
فَهَذِهِ أَمْثَالُ غَالِبُهَا مُحَالُ

الأصحاب المؤتلفون : الذين ارتفعت من بينهم كلفة الاحتشام ، يجدون
في اجتماعهم راحة نفوسهم ، وسرور قلوبهم ؛ حيث يرسلون أنفسهم على
سجاياها ، يقولون ما يقولون ، ويفعلون ما يفعلون ؛ استراحة من كد الجِدِّ
إلى فراغ الهزل وقتاً ما من أوقاتهم ، كما قال بعضهم (٣) :

فِي أَنْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا لَأَقِيْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

فإذا طراً عليهم من لا يعرفون .. كدّر عليهم صفاء وقتهم ، وألزمهم
العود إلى وضع أنفسهم في أصفاد الوقار والحشمة ، كما هو مقتضى
الاحتراس اللازم للمحافظة على أسباب الأمن وتوفير الأعراض وتزكية

(١) سورة الفرقان : (٦٧) .

(٢) انظر « مطالع البدور في منازل السرور » (١٧٠/١) للأديب علاء الدين الغزولي .

(٣) هو ابن كناسة ، كما في « أنوار الربيع » (٦٥/٤) .

الناموس ، فلا يَسُوغُ لصاحبٍ أن يَعْتَمِدَ على المثلِ القائلِ : (ضيفُ الكرامِ يَصْطَحِبُ) .

كما أن ما يُقالُ مِنْ بعضِ الناسِ في بابِ التشكِّي : (الجاهلُ مرزوقٌ ، والعالمُ محرومٌ) وهو بابٌ واسعٌ أكثرُ الناسِ فيه مِنَ الكلامِ شعراً وغيرَ شعراً ، وهو كلامٌ غيرُ صحيحِ المعنى ، ولا يقوله عالمٌ حقيقيٌّ ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى قسمَ المعيشةَ على حَسَبِ أسبابِها التي عَيَّنَها لها ، وحاصلُ الأسبابِ : التجارةُ ، والزراعةُ ، والصناعةُ ؛ فالتاجرُ يُرزقُ رزقَ تجارتهِ على حَسَبِها ، فمتى كانت في الأمورِ التي تُشَدُّ حاجةَ الناسِ إليها . . كان كثيرَ المبادلةِ سريعها ؛ فتظهرُ أرباحُها ، ويكثرُ مالهُ ، وإذا كانت في أمورٍ مستغنى عنها ، أو الحاجةُ إليها نادرةً . . كانت على خلافِ ذلكَ ، والطمعُ والحرصُ يوجبُ شكايَةَ هذا مِنْ عدمِ بلوغِهِ حالَ ذلكَ ، ولو نظرَ . . وجدَ نفسهُ إنما أُتِيَتْ مِنْ قَبْلِها ؛ حيثُ لم يَسعَ سعيَ ذلكَ ، فكانتْ شكواهُ مِنْ جهلهِ ؛ فإذا يُقالُ : (الجاهلُ محرومٌ) ، وهكذا القولُ في سائرِ الأسبابِ على اختلافِ أنواعِها ، وما فيها مِنَ المنافعِ المطلوبةِ .

فإذا ؛ يَتَبَيَّنُ لك أن مَنْ صرفَ جميعَ أوقاتهِ في تحصيلِ المعارفِ . . لم يكنْ له وقتٌ يَصْرِفُهُ في استعمالِ سببٍ مِنْ أسبابِ الدنيا ، فلم يكنْ في أوقاتِ تحصيلِهِ كاسباً ، ثمَّ إذا حصلتْ له معارفُهُ ، وبلغَ كمالها الذي لمثلها ؛ بحيثُ تمكَّنَ مِنْ استعمالِها في أغراضِها وغاياتِها ، فإذا كانت مِنَ الأمورِ التي يَحْتَاجُها الناسُ ، فبعدَ كونِها تُكسِبُهُ الجاهُ والشرفَ وعِظَمَ الرتبةِ التي تكونُ دونها رتبةُ الملكِ ؛ فإنَّ المعارفَ تجعلُ صاحبها في رتبةِ الأنبياءِ . . تُكسِبُهُ مِنَ الدنيا ما يعطيه راحةً نفسهِ ، ورَفاهةً سرِّه مع الاحترامِ والإجلالِ مِنَ الكافَّةِ .

وختلاصةُ الكلامِ : أنَّ الناسَ لا ينفعونَ إنساناً إلا بقدرِ انتفاعِهِم بِهِ ،

فعليك أن تتحقق بأنه لا دخل للعلم في الحرمان أصلاً ، وإنما ذلك سببه الجهل .

[أمثال من الحديث الشريف]

هذا ؛ ولنعد للكلام في إرسال المثل والكلام الجامع من كلامه صلى الله عليه وسلم :

- « آفةُ ألعلمِ النسيانُ ، وإضاعتهُ أن تُحدِثَ به غيرَ أهلهِ » (١) .
- « الحزمُ سوءُ الظنِّ » (٢) .
- « الحياءُ من الإيمانِ » (٣) .
- « لا ضررَ ولا ضرارَ في الإسلامِ » (٤) .
- « الظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامةِ » (٥) .
- « طائرٌ كلُّ إنسانٍ في عنقهِ » (٦) .
- « ذو الوجهين لا يكونُ عندَ اللهِ وجيهاً » (٧) .
- « الحكمةُ ضالةُ المؤمنِ » (٨) .
- « المرءُ مع من أحبَّ » (٩) .

(١) أخرجه الدارمي في « سننه » (٦٤٨) عن الأعمش رحمه الله تعالى يرفعه .

(٢) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٢٤) عن عبد الرحمن بن عائذ رحمه الله تعالى يرفعه .

(٣) أخرجه البخاري (٢٤) ، ومسلم (٣٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥١٨٩) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٧٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه أحمد (٣٦٠/٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٧) أخرجه البخاري (٦٠٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « تجد من شر الناس يوم

القيامة عند الله ذا الوجهين » .

(٨) أخرجه الترمذي (٢٦٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٩) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

- «الْصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى» (١) .

- «الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ» (٢) .

- «الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ» (٣) .

- «حَلِيفُ الْقَوْمِ مِنْهُمْ» (٤) .

- «الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ كَفَاعِلِهِ» (٥) .

[أمثال من كلام سيدنا علي كرم الله وجهه]

ومن كلام علي كرم الله وجهه ، وكلامه في هذا البحر الزخار (٦) :

- لا يَعدَمُ الصَّبْرُ الظَّفَرَ وإن طال به الزمانُ .

- لكلِّ أمرٍ عاقبةٌ ؛ حُلوةٌ أو مرَّةٌ .

- المنيَّةُ ولا الدنيَّةُ .

- صحَّةُ الجسدِ . . مِنْ قِلَّةِ الحسدِ .

- قد أضاءَ الصُّبْحُ لذي عَيْنَيْنِ .

- كم أكلةٍ تمنعُ أكَلاتٍ .

- المرءُ مخبوءٌ تحتَ لسانِهِ .

- قِلَّةُ العِيَالِ أحدُ اليسارينِ .

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣) ، ومسلم (٩٢٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد (٨٣/١) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٩٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٥٧٠) عن سيدنا عمرو بن عوف رضي الله عنه .

(٥) انظر «فيض القدير» (١٦٦/٣) .

(٦) انظرها مجموعة في «أنوار الربيع» (٦١/٢) .

- الهمُّ نصفُ الهرمِ .
- إضاعةُ الفرصةِ غُصَّةٌ .
- قيمةُ كلِّ امرئٍ .. ما يُحسِنُ .
- فَقَدْ الأحبَّةِ .. غُربةٌ .
- مَنْ حَدَّرَكَ .. كَمَنْ بَشَّرَكَ .
- مَنْ أطالَ الأملَ .. أساءَ العملَ .
- رَبُّ قولٍ .. أنفذَ مِنْ صَوْلٍ .
- الغِيبَةُ .. جهْدُ العاجزِ .
- مَنْ لم يعطِ قاعداً .. لم يعطِ قائماً .
- مَنْ طلبَ شيئاً .. نالَهُ أو بعضَهُ .

[أمثالٌ مِنْ شعرِ المتنبي]

هذا ؛ وأما الكلامُ الذي يُتمثَّلُ بِهِ مِنَ الأشعارِ أبياتاً وأبعاضَ أبياتٍ ..
فلنوردُ لك منه جملةً تكونُ حليةً لأدبِكَ .
فَمِنْ ذَلِكَ : أبياتُ أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّيِّ .
وقد استخرجها الوزيرُ إسماعيلُ بنُ عبَّادِ المشهورُ بالصَّاحِبِ ، لسلطانِهِ
فخرِ الدولةِ ابنِ بويهِ .
وحينَ اطلعَ السلطانُ على تلكَ الرسالةِ التي ضمَّنَها ذلكَ الوزيرُ تلكَ
الأمثالَ .. وضعَ فوقَ بعضِ الأبياتِ خاءً يشيرُ بها إلى انتخابِ ما وقعَ مِنْ
استحسانِهِ موقِعاً .

وهذا لفظُ الرسالةِ بما فيها مِنَ العلامةِ^(١) :

الحمدُ لله الذي ضربَ الأمثالَ للناسِ ، لا يستحيي أن يضربَ مثلاً ما بعوضةٌ فما فوقها ، وصلىَ اللهُ على أفصحِ العربِ ، وسرَّ عبدِ المُطلبِ ، صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ أختيارِ الأممِ ، وأنوارِ الظلمِ .

كم مثلٍ ضربَ !! فيه الحُجَّةُ البالغةُ ، والحكمةُ الواضحةُ .

ثمَّ إنَّ اللهُ تعالى قد أحيا بالأمرِ السيدَ شاهنشاهِ فخرِ الدولةِ وملكِ الأُمَّةِ - أطالَ اللهُ بقاءَهُ ونصرَ لواءَهُ - دائرَ العلومِ والآدابِ ، وأقامَ برأيه ورايتهِ أسواقَهُما وكانتُ في يدِ الكسادِ بلِ الذهابِ ، فهو يُقدِّمُ على المعرفةِ ، ويُقرِّبُ على التبصرةِ ، لا كالمُلوِكِ الذين يُقالُ لهم^(٢) : [من البسيط]

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَنْهَضَ لِْبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

وَمِنْ نَعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ، أدامَ اللهُ النعمَ لديه : أنَّ اللهُ قرَنَ ألفاظَهُ بِفَضْلِ المَقالِ ، ووَسَّحَ كلامَهُ بِضَرْبِ الأمثالِ ، وسمعتُهُ - أعزَّ اللهُ نصرَهُ - يَتَمَثَّلُ كثيراً بِفصوصٍ مِنْ شعرِ المُنْتَبِي ، هِيَ لُبُّ اللَّبِّ ، يَضَعُ فيها الهِناءَ موضعَ النَّقْبِ ، وهذا الشاعرُ معَ تمييزِهِ وبراعتهِ وتبريزِهِ في صناعتهِ لَهُ في الأمثالِ خصوصاً مذهبٌ سبقَ بِهِ أمثالُهُ ، فأمليتُ ما صدرَ عن « ديوانِهِ » مِنْ مَثَلٍ واقعٍ في فِتْيهِ ، بارِعٍ في معناهُ ولفظِهِ ، يكونُ تذكراً في المجلسِ العالِي ، تَلَحُّظُها العَيْنُ العالِيَةُ ، وتعيها الأذنُ الواعِيَةُ .

ثمَّ إنَّ أمرَ - أعلى اللهُ أمرَهُ - أملتُ بِمَشِيئَةِ اللهِ ما وقعَ مِنَ الأمثالِ في كلِّ ديوانِ جاهليٍّ أو مخضرمٍ أو إسلاميٍّ ، فما أجدُ مِنَ الأدباءِ مَنْ عَمِلَ في ذلكِ

(١) انظر « الأمثال السائرة من شعر المتنبي » للصاحب ابن عباد (ص ٢١ - ٧٦) .

(٢) تقدم (٦٥/١ - ٦٦) .

كتاباً مُقْنِعاً ، وجمعاً مُشْبِعاً ، قَرَنَ اللهُ السَّعَادَةَ بِأَيَّامِهِ ، وَالْمَنَاجِحَ بِأَعْلَامِهِ ،
إِنَّهُ فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ .

فَعُدَّ بِهَا لَا عَدِمْتُهَا أَبَدًا خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا ^(١)



صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكْرُمًا إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورٌ

يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّةٍ إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْبِعَادِ يَزُورُ ^(٢)



فَمَوْتِي فِي الْوَعَى عَيْشِي لِأَتِي رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِي أَرْبِ النَّفُوسِ ^(٣)



أَهْوَنُ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالْتَلَفِ خ
وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دَلْفِ

لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيهِ مَنْقَصَةً خ
لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِي خ
وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأَسْوَدَ بِالْجِيفِ ^(٤)



إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْجِلْمِ مَوْضِعٌ خ
وَجِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ ^(٥)



(١) ديوان المتنبي (ص ٧) ، وهو من المنسرح .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٥١) ، وهما من الكامل .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٨) ، وهو من الوافر .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٣٥) ، والأبيات من المنسرح .

(٥) ديوان المتنبي (ص ٣١) ، وهو من الطويل .

يَفْنَى الْكَلَامَ وَلَا يُحِيطُ بِوَضْفِكُمْ أَيَحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَنْقُدُ^(١)

يَفْدِي بَنِيكَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ بِجَبْهَةِ الْعَيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ^(٢)

خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَاوِي الْخَرَابَ وَيَسْكُنُ النَّاؤُوسَا^(٣)

وَمَا أَلْغَضِبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى وَإِنَّ الْجُرْحَ يَفْثَأُ بَعْدَ حِينٍ بِمُنْتَصِفِ مِنَ الْكَرَمِ التَّلَادِ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادِ^(٤)

❖

يَجْنِي الْغِنَى لِلثَّامِ لَوْ عَقَلُوا مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسُنَّ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُرْحُ يَلْتَمِ^(٥)

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُنْتُ ضِحَامٌ وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خَلِّي وَإِنْ كَثُرَ التَّجْمُلُ وَالْكَلامُ تَجَنَّبَ عُنُقَ صَيْقَلِهِ الْحُسَامُ وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاظِ بِغَيْرِ عَقْلِ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥) ، وهو من الكامل .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٦) ، وهو من البسيط .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٤٢) ، وهو من الكامل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٦٢) ، وهما من الوافر .

(٥) ديوان المتنبي (ص ٦٧) ، وهما من المنسرح .

وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ
تَعَالَى الْجَيْشُ وَأَنْحَطَّ الْقَتَامُ
ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِينِهِ ظَلَامُ
وَلَا كُلُّ عَلِيٍّ بُخْلٍ يُلَامُ
وَمَنْ يَعْشَقُ يَلْدُ لَهُ الْغَرَامُ
وَقَبِضُ نَوَالٍ بَعْضِ الْقَوْمِ دَامُ
هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ^(١)

إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجْزُ لِي التَّيْمُمُ^(٢)

حَتَّى كَأَنَّ مَغِيبَهُ الْأَقْدَاءُ^(٣)

يَزِيدُ عَلَيَّ مَرَّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ

وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ^(٤)

وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ

وَشِبَهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ
وَلَوْلَمْ يَغْلُ إِلَّا ذُو مَحَلِّ
وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي
وَمَا كُلُّ بِمَعْدُورٍ بِبُخْلِ
تَلَدُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِي
وَقَبِضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزُّ
أَقَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أَيْادِ

وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحْرُجُ

وَلِكُلِّ عَيْنٍ فُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ

وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصَّفَا

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ

فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ

(١) ديوان المتنبي (ص ٧٣) ، والأبيات من الوافر .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٨٦) ، وهو من الطويل .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٩٤) ، وهو من الكامل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ١٦٢) ، وفيه (الصبا) بدل (الصفاء) ، وهما من الطويل .

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ أَلْطَّ (١) بَعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ أَلْزَلُّ (١)

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرِّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ أَلْمَاءَ أَلْزُلَا (٢)

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ أَلْمَعَالِي نَافِذَا فِيهَا وَلَا كُلُّ أَلرِّجَالِ فُحُولًا (٣)

أَلْحُبُّ مَا مَنَعَ أَلْكَأَمَ أَلْأَلْسِنَا خ وَالذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا

وَأَنَّهُ أَلْمُشِيرَ عَلَيْنِكَ فِي بَضَلَةٍ خ وَأَلْحُرُّ مُنْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ أَلزِنَا

وَمَكَأِيدُ أَلشَّفَهَاءِ وَأَقَعَةٌ بِهِمْ خ وَعَدَاوَةُ أَلشُّعْرَاءِ بِئْسَ أَلْمُقْتَنَى

لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ أَللَّيْمِ فَإِنَّهَا (٤) ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ أَلنَّدَامَةِ ضَيْفَنَا

وَأَنفَسُ مَا لِفَتَى لُبُّهُ وَذُو أَللَّبِّ يَكْرَهُ أَلنَّفَاقَةَ (٥)

لَا أَفْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ أَلذَّلِيلَ بِعَيْشٍ خ رَبِّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ أَلْحِمَامُ

(١) ديوان المتنبي (ص ١٠٣) ، وهما من المنسرح .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٠٩) ، وهو من الوافر .

(٣) ديوان المتنبي (ص ١١٥) ، وهو من الكامل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ١١٦) ، والأبيات من الكامل .

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٢٣) ، وهو من المتقارب .

خ
كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ أَفْتِدَارٍ
مَنْ يَهُنُّ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ
إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيبِ هُرَاءُ
حُجَّةٌ لَأَجِيءُ إِلَيْهَا اللَّيَامُ
مَا لِحُجْرٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ
لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامُ^(١)

وَرُبَّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانَ مُهَجَّتَهُ
يَوْمَ الْوَعَى غَيْرَ قَالَ خَشِيَةَ الْعَارِ^(٢)

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِيذَا الزَّمَنِ
فَقَرُّ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلِ إِلَى آدِبٍ
لَا تُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنَ بَزْتِهِ
يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ
فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ
وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جُودَةُ الْكَفَنِ^(٣)

إِنْعَمَ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوْاخِرُ
وَإِذَا أَتَتْكَ مَدْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ
فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ^(٤)
أَبْدأُ كَمَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ

خ
فِي النَّاسِ أَمْثَلَةٌ تَدُورُ حَيَاتُهَا
كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا^(٥)

(١) ديوان المتنبي (ص ١٢٥) ، والأبيات من الخفيف .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٢٩) ، وهو من البسيط .

(٣) ديوان المتنبي (ص ١٣١) ، والأبيات من البسيط .

(٤) ديوان المتنبي (ص ١٣٨) ، وهما من الكامل .

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٤٧) ، وهو من الكامل .

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ خ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ
وَلَا يَنْفَعُ الْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ خ
وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا الْأَكْفُفُ الْقَنَا الشُّمْرُ (١)

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبًا *
فَاعْذَرُهُمْ أَشْفُهُمْ حَبِيبًا (٢)

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى خ
وَأَكْبَرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَغِيبَةٍ
فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةَ الْعُلَا
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدْ
وَكُلُّ أَعْتِيَابٍ جُهْدٌ مَنْ لَا لَهُ جُهْدُ
وَلَا فِي طِبَاعِ الثَّرْبَةِ الْمِسْكَ وَالنَّدْ (٣)

مِنْ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ خ
إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ (٤)

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ خ
فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي كِرَامَ الْمَنَاصِبِ (٥)

وَاللَّهُمَّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَخَافَةَ

(١) ديوان المتنبي (ص ١٤٨) ، وهما من البسيط .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٥١) ، والبيت من الوافر .

(٣) ديوان المتنبي (ص ١٥٥) ، والأبيات من الطويل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ١٦٥) ، وهو من الطويل .

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٧٦) ، وهو من الطويل .

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ
وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ فَمُطْلَقٌ
لَا تَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوِّ دَمْعَةٌ
لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ
وَمِنْ أَلْبَلِيَّةِ عَدْلٌ مَنْ لَا يَزْعَوِي
وَالذُّلُّ يُظْهِرُ فِي الدَّلِيلِ مَوَدَّةً
وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
أَفْعَالٌ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامَ كَرِيمَةٌ

خ

خ

وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
يَنْسَى الَّذِي يُوَلَّى وَعَافٍ يَنْدَمُ
وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوِّ تُرَحِّمُ
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
ذَا عِقْفَةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
وَأَوْدٌ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الْأَرْقَمُ
وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
وَفِعَالٌ مَنْ تَلِدُ الْأَعَاجِمُ أَعْجَمُ^(١)



وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ

خ

بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْغَمَامَا^(٢)



فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ
يَرَى الْجُبْنَاءَ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ [تُغْنِي]
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا

خ

خ

خ

خ

كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ
وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ
وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي حَكِيمٍ
وَأَفْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

(١) ديوان المتنبي (ص ٤٢٨) ، والأبيات من الكامل .
(٢) ديوان المتنبي (ص ١٨٢) ، وهو من الوافر .

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذْهَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْفُهْمِ^(١)



كَلَامٍ أَكْثَرَ مَنْ تَلَقَى وَمَنْظَرُهُ مِمَّا يَشْتَقُّ عَلَى الْأَذَانِ وَالْحَدَقِ^(٢)

إِلْفٌ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْأَنْفِ أَنْ الْحِمَامَ مُرُّ الْمَذَاقِ

وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ

وَالْغِنَى فِي يَدِ اللَّيْمِ قَبِيحٌ قَدْرَ قُبْحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ^(٣)



وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ خ وَالْدُرُّ دُرٌّ بِرَغْمٍ مَنْ جَهْلُهُ

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدُهُ مَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلٌّ مَنْ حَمَلَهُ^(٤)

وَقَدْ يَتَزَيَّأُ بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ وَيَضْطَجِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَائِمُهُ^(٥)

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَاراً خ تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوْقِي فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوْقِي^(٦)

(١) ديوان المتنبي (ص ١٨٠) ، والأبيات من الوافر .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٨١) ، وهو من البسيط .

(٣) ديوان المتنبي (ص ١٨٤) ، والأبيات من الخفيف .

(٤) ديوان المتنبي (ص ١٩٢) ، وهما من المنسرح .

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٩٧) ، وهو من الطويل .

(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٠١) ، وهما من الخفيف .

(١) وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلٌ

خ
وَلَوْ جَاَزَ الْخُلُودُ خَلَدَتْ فَرْدًا



وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ وَصَالِ

خ
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ

نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ

خ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبِ

لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

خ
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا

وَلَا التَّذْكِيرُ فَخَرُّ لِهَالِ

خ
وَمَا التَّأْنِيثُ لِأَسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ

(٢) فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْعَرَالِ

خ
فَإِنَّ تَفُوقَ الْأَنْثَاءِ وَأَنْتَ مِنْهُمُ



وَلَا رَأْيِي فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ

خ
إِلَّامَ طَمَاعِيَّةِ الْعَاذِلِ

وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

خ
يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانُكُمْ

(٣) فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِي الْعَاجِلِ

خ
خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَأَغْنَمُوا



وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّهِنَّ كَالْقُبْلِ

خ
أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ

وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعُ مُهْجَةِ الْبَطْلِ

خ
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُغْيَتَهُ

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٠٤) ، وهو من الوافر .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٠٤) ، والأبيات من الوافر .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٠٧) ، والأبيات من المتقارب .

بِذِي الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرُّرٌ كَمَا تَضُرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَعَلِ^(١)

إِذَا مَا تَأَمَّلتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبٌ مِنَ الْقَتْلِ

هَلِ الْوَلَدُ الْمَخْبُوبُ إِلَّا تَعَلَّةٌ وَهَلِ خَلْوَةُ الْحَسَنَاءِ إِلَّا أَدَى الْبُعْلِ

وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ يُؤَمَّلَ عِنْدَهُ حَيَاةٌ وَأَنْ يُشْتَقَّ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ^(٢)

وَرُبَّمَا قَالَتِ الْعُيُونُ وَقَدْ يَضدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظْرُ

أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ سِهَامِهِمْ وَمُخْطِئٍ مَنْ رَمِيَهُ الْقَمَرُ^(٣)

وَإِذَا وَكَلْتِ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ فِي الْجُودِ بَانَ مَدِيْقُهُ مِنْ [مَحْضِهِ]^(٤)

دُونَ الْحَلَاوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةٌ لَا تُخْتَطِئُ إِلَّا عَلَى أَهْوَالِهِ^(٥)

وَهَلْ تُغْنِي الرِّسَائِلُ فِي عَدْوٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ ظَبِي رِقَاقًا^(٦)

(١) ديوان المتنبي (ص ٢١٢) ، والأبيات من البسيط .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢١٧) ، والأبيات من الطويل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢١٨) ، والبيتان من المنسرح .
(٤) ديوان المتنبي (ص ٢١٨) ، وهو من الكامل .
(٥) ديوان المتنبي (ص ٢٢٢) ، وهو من الكامل .
(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٢٥) ، وهو من الوافر .

أَحْمَدُ حَالِيهِ غَيْرُ مَحْمُودِ^(١)

فَمَا تَرَجَى النُّفُوسُ مِنْ زَمَنِ



أَوْ يُبْصِرِ الْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمِ الرَّمَا^(٢)

مَنْ يَعْرِفِ الشَّمْسَ لَا يُنْكِرُ مَطَالِعَهَا



وَلَكِنَّ صَدَمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ^(٣)

خ

وَمَا ذَاكَ بِخُلِّ بِالنُّفُوسِ عَلَى الْقَنَا



وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ [الْعَيِّ] مَا يَزَعُ

أَهْلُ الْحَفِيظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ

خ

فَلَيْسَ تَأْكُلُ إِلَّا أَلْمِيَّتَ الضُّبُعُ

لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ

خ

فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ

خ

وَقَدْ يُظَنُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ زَمَعُ

فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعًا مَنْ بِهِ خَرَقُ

وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ^(٤)

إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ يَحْمِلُهُ



وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَهُ الْفَتَى أَمْنَا^(٥)

وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى



إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

خ

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٢٦) ، وهو من المنسرح .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٢٨) ، وهو من البسيط .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٣٣) ، وهو من الطويل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٣٧) ، والأبيات من البسيط .

(٥) ديوان المتنبي (ص ٢٤٢) ، وهو من الطويل .

مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
وَإِنْ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ^(١)

وَأَعْيَا دَوَاءُ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ
وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضْرِبِ^(٢)

عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبًا
يَكُنْ لَيْلُهُ ضَبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبًا^(٣)

أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمَنْ شَحْمُهُ وَرَمَ
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمَ
فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
فَمَا لِحَرْحِ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَمُ
وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ

بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
فَإِنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحُ

وَقَدْ فَارَقَ النَّاسَ الْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا قَلِيلًا تَقَلَّبَتْ
وَمَنْ تَكُنِ الْأَسَدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ

خ

أَعْيَدَهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ
خ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً
خ
إِنْ كَانَ سَرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةٌ
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٤٢) ، والأبيات من الطويل .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٤٥) ، وهما من الطويل .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٤٨) ، وهما من الطويل .

(١)

شَهْبُ الْبُرَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخْمُ

وَشَرُّ مَا قَنَصْتَهُ رَاحَتِي قَنَصٌ



(٢)

مَحَا الذَّنْبُ كُلُّ [الْمَحْوِ] مَنْ جَاءَ تَائِبًا

وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ



مِنَ اللَّقَاءِ كَمُشْتَقٍ بِلاَ أَمَلٍ

وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَقٍ عَلَى أَمَلٍ

أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ

وَالْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أَرَاقِبُهُ

فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ رُحْلِ

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ

مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ

إِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِأَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَ بَدَلُوا

وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

لَعَلَّ عَثْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ

لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ

لَأَنَّ جِلْمَكَ جِلْمٌ لَا تَكَلَّمُهُ

(٣)

وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ

وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمِ



(٤)

إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

خ

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ



وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمُ الْبَحْرَ يَغْرَقُ

خ

وَمَا كَمَدُ الْحَسَادِ شَيْءٌ فَصَدْتُهُ

- (١) ديوان المتنبي (ص ٢٥٣) ، والأبيات من البسيط .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٥٦) ، وهو من الطويل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٥٦) ، والأبيات من البسيط .
(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٦١) ، وهو من الوافر .

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ خ إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقٍ^(١)

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِيُّ خ لَا يَقْبَلُ الدُّرَّ إِلَّا كِبَارًا^(٢)

لِيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولٌ طَوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلٌ^(٣)

أَيُّدِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وَهَلْ تَزَقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخُطُوبُ^(٤)

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ^(٥) خ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ أَيْدَا

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً^(٦) وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا^(٦)

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٦٤) ، وهما من الطويل .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٧٨) ، وهو من المتقارب .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٦٩) ، وهو من الطويل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٧٥) ، وهو من الوافر .

(٥) المعنى : من عفا عن حِرِّ . . صار كأنه قتله ؛ لأنه يسترقه بالعفو ، قال بعضهم : غلَّ يداً مطلقها ، واسترق رقبةً معتقها !!

(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٨١) ، والأبيات من الطويل .

وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ وَأَغْيِظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ^(١)



وَمَا تَرَكَوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ
تَرَفَّقَ أَثْبَهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ

خ

وَمَا جَهَلْتَ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ
وَكَمْ ذَنْبٍ مُؤَلِّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مُؤَلِّدُهُ أَقْتِرَابُ

خ

وَجُزْمٍ جَرَّهُ سَفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلٍّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ^(٢)

خ



عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
تُفِيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ [أَخَذْتَهُ] وَهَنَّ لِمَا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَارِمُ

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ
أَيْنِكُرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفْتَ رِيحَ اللَّيْثِ الْبِهَائِمِ^(٣)



وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامَ وَلَا الْقَنَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الدِّمَامَ طَوَاعَةً فَعَوِذُ الْأَعَادِي بِالْكَرِيمِ ذِمَامُ

وَشَرُّ الْحِمَامَيْنِ الزُّوَامَيْنِ عَيْشَةٌ يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ^(٤)

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٨٥) ، وهو من الطويل .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٨٧) ، والأبيات من الوافر .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٩٠) ، والأبيات من الطويل .
(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٩٤) ، والأبيات من الطويل .

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ
وَلَا أَهْلُهُ الْأَذَنُونَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ
كَمَا يُوجِعُ الْحِزْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ^(١)

بِعَثْثُهُ رِعَايَةَ فَاسْتَهَلَّا
ذَاتُ حِذْرِ تَمَنَّتِ الْمَوْتَ بَعْلًا
سِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى
حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلًّا
فَإِذَا وَلِيَا عَنِ الْمَرْءِ وَلَّى
يَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُحْلًا
فَظْ عَهْدًا وَلَا تُتَمِّمْ وَضَلَّا^(٢)

زَوَالًا وَلِلسُّمْرَادِ أَنْتِقَالًا
طَلَبَ الطَّغْنَ وَخَدَّهُ وَالنِّزَالَ
طَالَمَا غَرَّتِ الْعُيُونُ الرَّجَالَ
يَتَفَارِسْنَ جَهْرَةً وَأَغْتِيَالًا

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ أَلْفَتَى شَرَفٌ لَهُ
وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمَوَافِقِ
وَمَا يُوجِعُ الْحِزْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمِ

إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَيْنَا لَدَمْعٍ
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْمًا
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ لِلنَّفِّ
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفٍ فَمَا مَلَّ
آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابُ
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنَى
وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْ

خ
خ

وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحَدِّثُ لِلظَّنِّ
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ
أَقْسَمُوا لَا رَأُوكَ إِلَّا بِقَلْبِ
إِنَّمَا آنَسَ الْأَنْيَسَ سِبَاعُ^(٣)

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٩٦) ، والأبيات من الطويل .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٠٦) ، والأبيات من الخفيف .

(٣) في « ديوان المتنبي » (ص ٣١٢) : (إنما أنفس ...) .

مَنْ أَرَادَ التَّمَّاسَ شَيْءٍ غَلَابًا
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّيْ

وَأَغْتَصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالًا
أَنْ يَكُونَ الْغَضُنْفَرُ الرَّثْبَالًا^(١)



وَرَفَلْتِ فِي حُلَلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا

عَدَمُ الثَّنَاءِ نَهَايَةُ الْإِعْدَامِ^(٢)



خ

الرَّأْيِ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ

هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي

خ

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ

بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ

لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ

أَدْنَى إِلَى شَرْفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوُغَى وَالطَّعْنَ فِي الْأُ

هَيْجَاءٍ غَيْرِ الطَّعْنِ فِي الْمِيدَانِ^(٣)



عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى [عُقْبَى] الْوُغَى نَدْمٌ

مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ^(٤)



وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ

فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلٌ^(٥)



وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ [الْغَلْبَاءُ] عُنُصْرَهَا

فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣١١) ، والأبيات من الخفيف .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٢٢) ، وهو من الكامل .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣١٣) ، والأبيات من الكامل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٣١٦) ، وهو من البسيط .

(٥) ديوان المتنبي (ص ٣٢٤) ، وهو من الخفيف .

إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ
إِذَا ضَرَبْنَ كَسْرَنَ النَّبَعِ بِالْغَرْبِ
فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرْبِ
وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ
وَلَا أَنْتَهَى أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبِ
أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ^(١)

فَلَا تَسْتَعِدَّنَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا
وَلَا تُتَّقِي حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا
إِذَا كُنَّ إِثْرَ الْغَادِرِينَ جَوَارِيَا
فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا
أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أُمَّ تَسَاخِيَا
لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا^(٢)

وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
فَقَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ^(٣)

وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَثْرُوكِ تَارِكُهُ
فَلَا تَنَلْكَ اللَّيَالِي إِنْ أَبَيْدِيهَا
وَلَا [تُعِينُ] عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ
وَإِنْ [سَرَزْنَ] بِمَخْبُوبٍ فَجَعَنْ بِهِ
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ
وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ
فَمَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوِيِّ
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذْرٌ بِرَبِّهَا
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى
وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى
خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا



حُسْنُ الْحِضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةِ
فَمَا الْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٢٨) ، والأبيات من البسيط .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٣٤) ، والأبيات من الطويل .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٤٠) ، وهما من البسيط .

فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ
تَكَلَّفْتُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ
وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُّهُ
وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ [مَجْدُهُ]
وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَالشُّوبُ جِلْدُهُ
إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النَّجَادُ وَعَمْدُهُ^(١)

أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيراً
وَأَتَعَبُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ



إِذَا لَمْ أَبْجَلْ عِنْدَهُ وَأُكْرِمَ
وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْهَمِ
وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالْتَكَلَّمَ
مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ
وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
مَوَاطِرٍ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يُظَلِّمِ
وَأَيَّمَنْ كَفَّ فِي الْوَرَى كَفَّ مُنْعِمِ
وَأَكْثَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ
سُرُورٍ مُحِبِّ أَوْ إِسَاءَةِ مُجْرِمِ^(٢)

وَمَا مَنْزِلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلِ
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ
وَأَحْلُمُ عَنْ خَلِيٍّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلِ
وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَلِكَ وَمَنْ يُرِدْ
فَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنِ
وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةَ
لِمَنْ تَطَلَّبَ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا

خ

خ



(١) ديوان المتنبي (ص ٣٤٢) ، والأبيات من الطويل .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٤٦) ، والأبيات من الطويل .

ءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوَى فِي الْفُرَادِ
هَذَا وَيُسْوِي الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ
لَمْ يُحَلِّمْ تَقَدُّمَ الْمِيْلَادِ
عَةً لَيْسَتْ خَلَائِقَ الْأَسَادِ
وَقَعَ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصِّعَادِ
ضَيِّقٍ عَنِ أَتْيِهِ كُلُّ وَاِدِ^(١)

وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجَرِّبُ
وَلَبَّاتِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ
فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ
وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ
وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ
لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ^(٢)

وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ

إِنَّمَا تُنَجِّحُ الْمَقَالََةَ فِي الْمَمَزِ
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمَشِيرُ وَلَمْ يَجِدْ
وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعِ
وَاطَّاعَتِكَ أَسْدُ دَهْرِكَ وَالطَّا
وَإِذَا كَانَ فِي الْأَنْسَابِ خُلْفُ
كَيْفَ لَا يُتْرَكَ الطَّرِيقُ لِسَيْلِ

خ

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا
لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبِ
وَكَوْلُ أَمْرِي يُوَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبُ
وَلَوْ جَارَ أَنْ يَحُورُوا عَلَاكَ وَهَبَّتْهَا
وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا
وَقَدْ يَتْرَكَ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ

فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ
يَا مَنْ نُعِيْتُ عَلَيَّ بَعْدَ بِمَجْلِسِهِ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥٠) ، والأبيات من الخفيف .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٥٣) ، والأبيات من الطويل .

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ^(١)



غَيْرَ أَنْ أَلْفَتْنِي بِلَاقِي الْمَنَايَا كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَ
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَى لِحَيِّي لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا

خ

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّغْبِ فِي الْأَزْدِ نَفْسٍ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا^(٢)



فَإِنَّ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَايَا غَايَةُ الْحَيَوَانِ^(٣)



قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَسْمَعَهُ إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَدَالُ
الْقَاتِلِ السِّيفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَلِلشُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ
يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَغْتَالُ
لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي وَصْلِي وَتَكْرِمَتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمَالُ
إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكُ الْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥٦) ، والأبيات من البسيط .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٥٨) ، والأبيات من الخفيف .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٥٩) ، وهو من الطويل .

ذِكْرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ



وَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ حَبًّا
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ
وَأَنْفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا
وَمَنْ يَجِدِ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
وَلَمْ أَرْ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا
وَيَصْذُقُ وَعَدُّهَا وَالصِّدْقُ شَيْنٌ

مَا فَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ^(١)

جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بِابْتِسَامِ
لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ
إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنْ الْكِرَامِ
عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ
فَلَا يَذُرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ
كَتَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكَزْبِ الْعِظَامِ^(٢)

وَلِلْسِرِّ مَتِي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ
وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ
وَعَيْرُ فُؤَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا ظَهْرُ سَابِحِ
أَيَا أَسْدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَيِّعِمِ
وَقَدْ تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً
إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ

نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ
يُعْرِضُ قَلْبُ نَفْسَهُ فَيُصَابُ
وَعَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وَكَمِ أَسَدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ
وَتَنْعَمِرُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يَبَابُ
وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثَّرَابِ تُرَابُ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٦٧) ، والأبيات من البسيط .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٦٤) ، والأبيات من الوافر .

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ^(١)



لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلِ لَهُ ذَكَرٌ تَقْوَدُهُ أُمَّةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمٌ^(٢)



إِذَا أَتَتِ الإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ وَلَمْ أَلَمْ المُسِيءَ فَمَنْ أَلُومٌ^(٣)



مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكِ مِنْهُ مَحْسُودٌ

خ

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الأَجُودُ

العَبْدُ لَيْسَ لِحَرِّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الحَرِّ مَوْلُودُ

لَا [تَشْتَرِ] العَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ العَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَآكِيدُ

إِنَّ أَمْرًا أُمَّةٌ حُبَلِي تُدَبِّرُهُ لِمُسْتَضَامٍ سَخِينُ العَيْنِ مَفُودُ

خ

مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرَمَةً أَقَوْمُهُ البِيضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ

خ

أَمْ أذُنُهُ فِي يَدِ النَّحَّاسِ دَامِيَةٌ أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالفَلَسِينِ مَزْدُودُ

خ

وَذَاكَ أَنَّ الفُحُولَ البِيضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الجَمِيلِ فَكَيْفَ الخِصْيَةُ السُّودُ^(٤)



(١) ديوان المتنبي (ص ٣٦١) ، والأبيات من الطويل .

(٢) انظر « معجز أحمد » (١٦٠/٤) ، وهو من البسيط .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٧٩) ، وهو من الوافر .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٣٨١) ، ومعجز أحمد (١٧٤/٤) ، والأبيات من البسيط .

وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى
وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى
لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْخَصِي
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ
وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى
وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى
لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْخَصِي
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ

خ

خ

وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ
وَتَحْسُنُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجَعُ
وَيَلِمُ بِي عَتَبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ
عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ
وَيَسُومُهَا طَلَبُ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ
فَحَشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ
مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَضْرَعُ
حِينًا وَيُذْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبَعُ^(١)

خ

خ

الْحُزْنَ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَزِدُّعُ
إِنِّي لِأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً
تَضْفُو الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقِيقَةِ نَفْسَهُ
وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ
تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا



(١) ديوان المتنبي (ص ٣٨٤) ، ومعجز أحمد (١٩٨/٤) ، والأبيات من المتقارب .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٧٠) ، والأبيات من الكامل .

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجِهِنَا
وَكَانَ حَالَهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً
هَوْنَ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مِنْظَرُهُ
وَلَا تَشَكَّ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِئْتُهُ
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ
غَاضَ الْوَفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَّةِ

خ

وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ
لَوْ أَحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكْمِ
الْمَجْدِ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ
فَإِنَّمَا يَقْطَعُ الْعَيْنِ كَالْحُلْمِ
شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعُقْبَانِ وَالرَّحِمِ
وَلَا يَغْرُكَ مِنْهُمْ نَعْرُ مُبْتَسِمِ
وَأَعُوذُ الصِّدْقُ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقَسَمِ^(١)

✽

ذَرِينِي أَنْلُ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَا
تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدْعِي الشُّوقَ قَلْبُهُ

فَصَعِبُ الْعُلَا فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ
وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ
وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ^(٢)

✽ ✽

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ لَعُذْرًا
مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ الْعَطَايَا

وَاضِحاً أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَاؤُهُ
وَأَشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهُ^(٣)

✽

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٧٣) ، والأبيات من البسيط .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٨٨) ، ومعجز أحمد (٢٦٨/٤) ، والأبيات من الطويل .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٩٦) ، والبيتان من الخفيف .

وَعَيْظٌ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا خ
وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقِدِّ

وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذِّئْبِ شِيمَةً خ
(١) وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

لَوْ أَفَكَرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى
(٢) حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ

هذه أكثر أمثال شعر أبي الطيب المتنبي ، وكان للناس بها ولعٌ عظيم ؛
لما وجدوه من نفعها في تحليل رسائلهم المنشأة في مختلفات أغراضهم ،
وتفصيل أحاديثهم في مجالسهم ، كما قال أبو منصور الثعالبي في كتابه
المُلَقَّبِ « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » عند ترجمة المتنبي : (ليس
اليوم مجالسُ الدرسِ أعمَرَ بشعرِ أبي الطيبِ مِنْ مجالسِ الأنسِ ، ولا أقلامُ
كُتَّابِ الرسائلِ أجرى به مِنْ ألسِنِ الخُطباءِ في المحافلِ ، ولا لحونُ القوَّالينِ
والمُغَنِّينِ أشغلَ به مِنْ كُتُبِ المؤرِّفينِ والمُصنِّفينِ) انتهى (٣) .

[أمثال لشعراء آخرين]

ولطرفة بن العبد (٤) :

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْقَوْمِ فَهُوَ ذَلِيلٌ
وَإِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حِصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٩٨) ، وهما من الطويل .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٤١٧) ، وهو من السريع .

(٣) يتيمة الدهر (١/١٤٠) .

(٤) انظر « ديوان طرفه بن العبد » (ص ٨٤ - ٨٥) .

ولجرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس من شعراء
الجاهلية^(١) :

[من الوافر]

قَلِيلُ الْمَالِ تَضِلُّهُ فَيَبْقَى وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ
وَحِفْظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ فَنَاءِهِ وَجَوْلُ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
ولليد^(٢) :

[من الرمل]

اِكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلِ
وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلاً فَارْتَحِلْ وَأَعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيْمُ الْكَسَلِ
ولكعب بن زهير^(٣) :

[من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا وَلِحْسَانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤) :

[من الخفيف]

رَبِّ جِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ
مَا أَبَالِي أَنْتَبَّ بِالْحُزْنِ تَيْسُنُ أَمْ لِحَانِي بَظْهَرِ غَيْبِ لَيْمِ
وللنجاشي الحارثي^(٥) :

[من البسيط]

إِنِّي أَمْرٌ قَلَّمَا أَثْنِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَرَى بَعْضَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
لَا تَمْدَحَنَّ أَمْرًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ [يَبْلُهُ] الْخَبْرُ

(١) انظر «ديوان المتلمس الضبعي» (ص ١٧٢ - ١٧٣) .

(٢) انظر «ديوان لبيد» رضي الله عنه (ص ١٨٠) .

(٣) انظر «ديوان كعب بن زهير» رضي الله عنه (ص ٢٥٧) .

(٤) انظر «ديوان حسان بن ثابت» رضي الله عنه (٤٠/١) .

(٥) انظر «أنوار الربيع» (٨١/٢) .

وللكميتِ بنِ زيدٍ^(١) :

[من الطويل]

فَيَا مُوقِداً نَاراً لِغَيْرِكَ ضَوْءُهَا

وَيَا حَاطِباً فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطُبُ

ولهُ أيضاً^(٢) :

[من الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ الْأَسِنَّةِ مَزَكَباً

فَلَا رَأَى لِلْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا

ولعديّ بنِ الرقاعِ العامليّ^(٣) :

[من الكامل]

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي

ضَنْناً بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ

وَالْقَوْمُ أَشْبَاهُ وَبَيْنَ حُلُومِهِمْ

بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ الْأَشْيَاءِ

بَلْ مَا رَأَيْتُ جِبَالَ أَرْضٍ تَسْتَوِي

فِيمَا غَشِيَتْ وَلَا نُجُومَ سَمَاءِ

وَالْبَرْقُ مِنْهُ وَابِلٌ مُتَتَابِعٌ

جَوْدٌ وَآخِرٌ لَا يَجُودُ بِمَاءِ

ولكثيرِ عَزَّةَ^(٤) :

[من الطويل]

وَمَنْ لَا يُغَمِّضُ عَيْنَهُ عَن صَدِيقِهِ

وَعَن بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبٌ

وَمَنْ يَتَتَبَّعُ جَاهِداً كُلَّ عَشْرَةٍ

يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الْذَهْرُ صَاحِبٌ

ولإبراهيمِ الصُّولِيّ^(٥) :

[من البسيط]

أُولَى الْبَرِيَّةِ طُراً أَنْ تُوَاسِيَهُ

عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي وَافَاكَ فِي الْحَزَنِ

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا

مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ

(١) انظر «ديوان الكميت بن زيد الأسدي» (ص ٥٣٥).

(٢) انظر «أنوار الربيع» (ص ٩٢/٢).

(٣) انظر «أنوار الربيع» (ص ٩٢/٢).

(٤) انظر «ديوان كثير عزة» (ص ١٥٤).

(٥) انظر «الطرائف الأدبية» (ص ١٧٧) المشتمل على «ديوان الصولي» ومختارات أخرى، وانظر

«وفيات الأعيان» (٤٦/١).

يُحْكِي : أَنْ تَاجِرًا كَانَ لَهُ مَمْلُوكٌ نَبِيَّةٌ ، وَكَانَ مَعَهُ فِي سَعَةِ مِنَ الْعَيْشِ ،
فَلَمْ تَزَلْ بِهِ الْأَيَّامُ حَتَّى افْتَقَرَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَمْلُوكُ أَنْ يَبِيعَهُ وَيَنْتَفِعَ
بِشْمَنِهِ ، فَبَعَدَ طَوِيلَ امْتِنَاعٍ مِنْ ذَلِكَ . . . لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْهُ .

ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ حِينٍ مِنَ الزَّمَانِ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي بَاعَ فِيهَا ذَلِكَ الْمَمْلُوكُ ،
فَوَجَدَهُ قَدِ ارْتَقَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ حَتَّى صَارَ أَمِيرًا كَبِيرًا ، وَلَمْ يَتِمَّكَّنْ مِنْ لِقَائِهِ ،
فَكَتَبَ لَهُ بَيْتَيْنِ وَهُمَا :

[من البسيط]

كُنَّا جَمِيعِينَ فِي بُؤْسِ نُكَابِدُهُ وَالْقَلْبُ وَالطَّرْفُ مِنَّا فِي أَدَى وَقْدَى
وَالآنَ أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِمَا تَهْوَى فَلَا تَنْسِنِي إِنْ الْكِرَامَ إِذَا
ولعليّ بن الجهم^(١) :

[من الطويل]

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَتَحَمَّلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ
وَلَا عَارَ أَنْ زَلْتِ عَنِ الْحُرِّ نِعْمَةٌ وَلَكِنَّ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّجْمُلُ
ولابن شبلي البغدادي^(٢) :

[من الخفيف]

صِحَّةُ الْمَرْءِ لِلْسَّقَامِ طَرِيقٌ وَطَرِيقُ الْفَنَاءِ هَذَا الْبَقَاءُ
بِالَّذِي نَعْتَدِي نَمُوتُ وَنَحْيَا أَقْتَلُ الدَّاءَ لِلنُّفُوسِ الدَّوَاءُ
مَا لَقِينَا مِنْ غَدْرِ دُنْيَا فَلَا كَا نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذَهَا وَالْعَطَاءُ
رَاجِعٌ جُودُهَا إِلَيْهَا فَمَهْمَا يَهَبِ الصُّبْحُ يَسْتَرِدُّ الْمَسَاءُ
صَلَفٌ تَحْتَ رَاعِدٍ وَشَرَابٌ كَرَعَتْ فِيهِ مُومِسٌ خَرْقَاءُ

(١) تقدم (٣٣٤/١) .

(٢) انظر « معجم الأدباء » (٢٣/٤) ، و« مختصر شرح لامية العجم » للدميري (ص ٢٣٠) .

لَيْتَ شِعْرِي حُلْمًا تَغُرُّ بِهِ الْأَيِّدُ أَمْ أَمْ لَيْسَ تُغْقَلُ الْأَشْيَاءُ
مِنْ فَسَادٍ يَكُونُ فِي عَالَمِ الْكَوْ نِ فَمَا لِلنُّفُوسِ مِنْهُ اتِّقَاءُ
وَقَلِيلًا مَا تَضَحَّبُ الْمُهْجَةُ الْجِسْدِ مَ فَفِيمَ الشَّقَا وَفِيمَ الْعِنَاءُ
قَبَّحَ اللَّهُ لَذَّةَ لِسْقَانَا نَالَهَا الْأُمَّهَاتُ وَالْأَبَاءُ
نَحْنُ لَوْلَا الْوُجُودُ لَمْ نَأْلَمِ الْفَقْدَ دَ فَايَجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ

وفي هذا القدر كفاية ، وطالب الأدب لا يهدأ من الاطلاع والبحث في
كلام أسلافه ؛ حتى يصير هلاله بدرأ ، وهنالك يكمل جماله ، ويعم الناس
فضله وأفضاله .



التخييرُ

تقفيةُ البيتِ بأمكنِ قوافٍ ممكنةٍ أن تُتِمَّ البيتَ دونَ خَلَلٍ ؛ كقولِ
الحريريِّ^(١) :

إِنَّ الْعَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّلِيلَ مُمْتَهَنٌ فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوْتُ
يَمَكُنُ أَنْ يَتِمَّ الْبَيْتُ : مَا لَهُ مَالٌ ، أَوْ نَسَبٌ ، وَلَكِنْ : مَا لَهُ قُوْتُ . . أَمَكُنُ ؛
رعايةً لِعَرَضِ الشُّكُوئِ وَصِفَةِ الْفَاقَةِ .

والمشهورُ في التمثيلِ لهذا النوعِ قولُ عبدِ السلامِ الحمصيِّ المعروفِ
بديكِ الجنِّ^(٢) :

قَوْلِي لِطَيْفِكَ يَنْثَنِي عَنْ مَضْجَعِي عِنْدَ الْمَنَامِ
عِنْدَ الرُّقَادِ عِنْدَ الْهُجُوعِ عِنْدَ الْهُجُودِ عِنْدَ الْوَسَنِ
فَعَسَى أَنَامٌ فَتَنْطَفِي نَارٌ تَأَجَّجُ فِي الْعِظَامِ
فِي الْفُقُودِ فِي الضُّلُوعِ فِي الْكُبُودِ فِي الْبَدَنِ
جَسَدٌ تُقَلِّبُهُ الْأَكْفُ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ سَقَامِ
مِنْ قَتَادٍ مِنْ دُمُوعِ مِنْ وَفُودٍ مِنْ حَزَنِ
أَمَّا أَنَا فَكَمَا عَلِمَ تِ فَهَلْ لِي وَصْلِكَ مِنْ دَوَامِ
مِنْ مَعَادٍ مِنْ رُجُوعِ مِنْ وَجُودٍ مِنْ نَمَنِ



(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ٣٨١) .

(٢) انظر « ديوان ديك الجن الحمصي » (ص ٢٠٤) .

النزاهة

البعْدُ عَمَّا تَنْفِرُ مِنْهُ النُّفُوسُ ، وَأَرَادَ بِهِ أَهْلُ الْبَدِيعِ : أَنْ يَسْلَمَ شِعْرُ الْهَجَاءِ مِنْ الْإِفْحَاشِ ، وَالْأَحْسَنُ : أَنْ تُفَسَّرَ بِسَلَامَةِ الْكَلَامِ فِي أَيِّ مَعْنَى كَانَ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَكْرَهَةِ .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : (خَيْرُ الْهَجَاءِ : مَا تُنْشِدُهُ الْعِذْرَاءُ فِي خِدْرِهَا فَلَا تَسْتَحِي مِنْهُ)^(١) ، وَاسْتَشْهَدُوا لِذَلِكَ بِقَوْلِ أَوْسٍ^(٢) : [من الطويل]

إِذَا نَاقَةُ شُدَّتْ بِرَحْلِ وَنُمْرُقٍ إِلَى حَسَنِ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَالَهَا
وقول جرير^(٣) : [من الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغِبَابًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

[أقسامُ الهجاء]

وقال ابنُ بسَّامٍ في « الذَّخِيرَةِ » - وكانَ عفا اللهُ عنه هَجَاءً - : (الهجاءُ ينقسمُ قسَمَيْنِ :

فقسَمٌ يُسْمَوْنَ هِجَاءَ الْأَشْرَافِ ؛ وَهُوَ مَا لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَكُونَ سَبَابًا مُقَدِّعًا ، وَهَجَوًّا مُسْتَبْشَعًا ؛ وَهُوَ طَائِفٌ قَدِيمًا مِنَ الْأَوَائِلِ ، وَثَلَّ عُرُوشَ الْقَبَائِلِ ، إِنَّمَا هُوَ تَوْبِيخٌ وَتَعْيِيرٌ ، وَتَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ .

والقسَمُ الثَّانِي أَكْثَرُ مِنْهُ جَرِيرٌ وَطَبَقْتُهُ ، وَتَبَعَهُ النَّاسُ فِيهِ بَعْدُ ، وَكَانَ يَقُولُ :

(١) انظر « أنوار الربيع » (١٥٩/٢) .

(٢) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ١٠٠) .

(٣) تقدم (٦٧/١) .

إذا هجوتم . . فأضحكوا ، وهذا النوع لم يهدم قط بيتاً ، ولا عيرت به قبيلة)
انتهى (١) .

[من البسيط]

مثال الأول : قول الحطيئة (٢) :

وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَزْحَلْ لِبُغْيَتِهَا

[من الكامل]

ومثال الثاني : قول جرير (٣) :

حَكَ أَسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَ

وَالْتَّغْلِبِي إِذَا تَنَحَّحَ لِلْقِرَى

[من الوافر]

ولجرير من القسَمين (٤) :

وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ

وَتَيْمًا قُلْتَ أَيُّهُمْ الْعَبِيدُ

وَإِنَّكَ إِنْ لَقِيتَ عَبِيدَ تَيْمٍ

وذمّ أعرابي قوماً فقال : هم أقلُّ الناسِ ذنباً إلى أعدائِهِم ، وأكثرُهُم

جُزماً إلى أصدقائِهِم ، يصومون عن المعروف ، ويفطرون على المنكر ، السنة

مملوءة بالوعد ، وقلوبُ خربةٌ من المجد .



(١) الذخيرة في محاسن الجزيرة (٤٢٠/١) ، وانظر « أنوار الربيع » (١٦٢/٢) .

(٢) تقدم (٦٥/١ - ٦٦) .

(٣) انظر « ديوان جرير » (٥٢/١) .

(٤) انظر « ديوان جرير » (٣٣٢/١) .

التَهْكُمُ وَالْهَزْلُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ

هذان النوعان متشابهان ، والفرق بينهما : أن الأول ظاهره الجِدُّ ، وباطنه الاستهزاء ، والثاني عكسه .

فَمِنَ الْأَوَّلِ : مثلُ قولِهِ تعالى : ﴿ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (١) .

وقولِهِ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٢) .

وقولِهِ : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

وحاصلُ تعريفِهِ : أَنَّهُ ذَكَرَ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةَ عَلَى مَا يَلَائِمُ النُّفُوسَ ؛ مِنْ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّبَشِيرِ وَالتَّهْنِئَةِ عَلَى سَبِيلِ السُّخْرِيَّةِ ، مَدْلُولاً عَلَى ذَلِكَ بِقَرِينَةٍ .

وَمِنَ الثَّانِي : مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَبِيلِ الْمُدَاعِبَةِ - وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَاعِبُ ؛ أَي : يَمَازُحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا - لِعَجُوزِ : « إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ » ، فَضَاقَتْ لَذَلِكَ ، فَتَبَسَّمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَخْبَرَهَا أَنَّ الْمَرَادَ كَوْنُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا شَبَابًا (٤) .

وقد اشتمل على ما يصلح للنوعين شعرُ أبي نواسٍ حينَ حبسهُ الفضلُ بنُ الربيعِ يستتبيهُ (٥) ؛ وهو :

أَنْتَ يَا بَنَ الرَّبْرِيعِ عَلَّمْتَنِي الْخَيْدَ رَ وَعَوَّدْتَنِيهِ وَالْخَيْرُ عَادَةٌ

(١) سورة الرعد : (١١) .

(٢) سورة الدخان : (٤٩) .

(٣) سورة آل عمران : (٢١) .

(٤) أخرجه الترمذي في « الشمائل » (٢٤٦) عن الحسن رحمه الله تعالى مراسلاً .

(٥) ديوان أبي نواس (ص ٢٦٢ - ٢٦٣) .

مُ وَأَخَذْتُ تَوْبَةً وَزَهَادَةً
وَأَضْفِرَارٍ مِثْلِ أَضْفِرَارِ الْجَرَادَةِ
حَفْتُ فِي لَبَّتِي مَكَانَ الْقِلَادَةِ
وَتَأَمَّلْ بِعَيْنِكَ السَّجَادَةَ
تُوقِنُ النَّفْسُ أَنَّهُ مِنْ عِبَادَةِ
لَأَشْتَرَاهَا يُعِدُّهَا لِلشَّهَادَةِ
أَدْرَكَتْنِي عَلَى يَدَيْكَ السَّعَادَةَ

فَأَزَعَوْتُ بَاطِلِي وَرَاجَعَنِي الْحَدُّ
مِنْ خُشُوعِ أَزِينُهُ بِنُحُولِ
السَّابِيحِ فِي ذِرَاعِي وَالْمُضَى
فَأَدْعُ بِي لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي
تَرَ أَثْرًا مِنَ الصَّلَاةِ بِوَجْهِهِ
لَوْ رَأَاهَا بَعْضُ الْمُرَائِينَ يَوْمًا
وَلَقَدْ طَالَ مَا أَبَيْتُ وَلَكِنْ



القول بالموجب

هو نوعان : أحدهما : أن يقع في كلام أحد إثبات صفة لشيء ، وترتيب حكم عليها ، فينقل السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء ساكتاً عن الحكم ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

أثبت المنافقون لأنفسهم صفة الأعزّة ، وللمؤمنين صفة الأذليّة ، ورتّبوا على ذلك الإخراج من المدينة ، فنقلت صفة العزّ للمؤمنين ، وأبقيت للمنافقين صفة الذلّ .

وثانيهما : أن يثبت المتكلّم أمراً ، فيوافقه المخاطب ، ولكن يصرّفه إلى غير مقصوده ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (٢) .
يُقَالُ : فلان أُذُنٌ ؛ أي : يسمع كل ما يُقال ، ويعمل على موجبِه دون فكرٍ ورويةٍ وتمييزِ المقبولِ من غيره ، فوافقهم في إثباتِ أَنَّهُ أُذُنٌ ، وصرّفه عن مقصودِهِمْ ؛ أي : هو أُذُنٌ لكن ليس أُذُنٌ سَوِيٌّ كما قصدتم ، بل هو أُذُنٌ خَيْرٌ .

ومن شواهدِهِ : قولُ بعضهم (٣) :

لَقَنْتُهُ الْعُذْرَ عَنْ تَر
كِ حَاجَتِي لَوْ تَصَوَّرَ
فَقُلْتُ أَنْسَيْتَهَا وَالنِّ
سَيَانُ أَمْرٌ مُقَدَّرُ

(١) سورة المنافقون : (٨) .

(٢) سورة التوبة : (٦١) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١٨٣/٣) ، وعزى الأبيات للسراج الوراق .

فَقَالَ لَسْتُ بِنَاسٍ فَقُلْتُ مَوْلَايَ أَخْبِرْ

[الأسلوب الحكيم]

وقول آخر^(١): [من الخفيف]

قُلْتُ لِلأَهْيَفِ الَّذِي فَضَحَ الغُضَّ نَ كَلَامُ الوُشَاةِ مَا يَنْبَغِي لَكَ

قَالَ قَوْلُ الوُشَاةِ عِنْدِي رِيحٌ قُلْتُ أَخْشَى يَا غُضْنُ أَنْ يَسْتَمِيلَكَ

وهذا النوع إذا كان الغرض منه التنبيه على ما هو الأولى والأليق ..

سُمِّيَ : الأسلوب الحكيم .



(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٨٣/٣) .

التسليم

هو أن تنفي شيئاً ، ثم تفرض ثبوته ، وتبين أنه لا فائدة فيه ؛
كقوله^(١) :

إِذَا أَنَا عَاتَبْتُ الْمَلُولَ فَإِنَّمَا أَخْطُ بِأَقْلَامِي عَلَى الْمَاءِ أَحْرُفًا
وَهَبْهُ أُرْعَوِي بَعْدَ الْعِتَابِ أَلَمْ تَكُنْ مَوَدَّتُهُ طَبْعاً فَصَارَتْ تَكْلُفًا
فإنَّ معناه : أن المملول النافر عن المودة لا يعطفه العتاب إليها ، ولو
عطفه . . لم يكن مفيداً .



(١) هو أبو الحسن الناشئ الأصغر ، كما في « التذكرة الحمدونية » (٥٢/٥) .

الاقْتَبَاسُ

هُوَ أَنْ يُزَيَّنَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ بِعِبَارَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ يَظْهَرُ أَنَّهَا مِنْهُ ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ وَيَكُونُ مَقْبُولاً إِذَا وَطَّنَ لَهَا فِي الْكَلَامِ ؛ بَحِيثٌ تَكُونُ مِنْدَرَجَةً فِيهِ دَاخِلَةً فِي سِيَاقِهِ دَخُولاً تَامّاً ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْمَقَامَاتِ الشَّرِيفَةِ ؛ كَالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ وَالزَّهْدِ وَالمَدَائِحِ النُّبُوِّيَّةِ وَمَا وَالِيَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْاِقْتَبَاسُ فِي الْمَوَاضِعِ الْخَسِيسَةِ . . فَبَعْدَ كَوْنِهِ مِنْ إِسَاءَةِ الْأَدَبِ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مُجْمَعاً عَلَى حَرَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْصَرَّ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ ؛ كَقَوْلِ الْقَائِلِ ^(١) :

[من مجزوء الرمل]

رُبَّ فَلَاحٍ مَلِيحٍ قَالَ يَا أَهْلَ الْفُتُوَّةِ
كَفَلِي أضعفَ خَضْرِي فَأَعِينُونِي بِقُوَّةِ

وَإِنَّمَا يَكُونُ اقْتَبَاساً إِذَا لَمْ يَكُنْ إِيرَادُ مَا يُورَدُ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ ، وَإِلَّا . . . كَانَتْ اسْتِدْلَالاً وَاسْتِشْهَاداً ، كَمَا يُقَالُ بَعْدَ حِكَايَةِ كَلَامٍ : فَاللَّهُ يَقُولُ كَذَا ، أَوْ قَالَ كَذَا ، أَوْ اقْرؤُوا إِنْ شِئْتُمْ كَذَا .

[أمثلةٌ من الاقْتَبَاسِ الْحَسَنِ]

فَمِنَ الْاِقْتَبَاسِ الْحَسَنِ : مَا وَقَعَ لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْأَصْبَهَانِيِّ فِي مَقَالَتِهِ الَّتِي سَمَّاهَا : « أَطْبَاقُ الذَّهَبِ » كَقَوْلِهِ مِنْ مَقَالَةٍ ^(٢) : (وَاعْلَمْ : أَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ضَرَّتَانِ ، لَكَ إِلَيْهِمَا كَرَّتَانِ ، إِحْدَاهُمَا حُرَّةٌ خَرِيدَةٌ ، وَالْآخِرَى أُمَّةٌ مَرِيدَةٌ ، فَاجْعَلْ لِلْحُرَّةِ يَوْمَيْنِ ؛ فَإِنَّ لَهَا قَسْمَيْنِ ، وَلِلْأُمَّةِ قَسْماً ؛ فَإِنَّ لَهَا فِي كِتَابِكَ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٤٣/٤) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٢٧/٢) .

اسماً ، وأضعِف نصيبَ العُقبي ، ولا تنسَ نصيبَكَ مِنَ الدنيا ، واحفظِ القسمةَ العادلةَ ، ولا تكنْ ممَّنْ يُحِبُّونَ العاجلةَ ، فالويلُ كُلُّ الويلِ ، أن تميلوا كُلَّ الميلِ ، واتقِ الميلَ بالقلبِ ، فكلُّ أولئك كانَ عنه مسؤولاً ، وإن كانَ ولا بدَّ . . فلأخرةَ خيرٌ لكِ مِنَ الأولى ، فإن نفيَتَ الزَّيغِ . . فطلِّقِ الدُّنيا ؛ فإنَّها زائدةٌ ، وإن خفتُم ألا تعدلوا . . فواحدةٌ) .

ولابنِ معصومٍ في التذكيرِ والوعظِ : (انتبه يا نائمٌ ، فقد هبَّتِ النَّسائمُ ، ودعِ المَنامَ ، فقد انقشعَ الظلامُ ، هذا الصُّبحُ قد لاحَت تباشيرُهُ ، وهذا النَّجْحُ قد وافاك بشيرُهُ ، فالامَ هذه الغفلةُ والغرَّةُ؟! وحتَّامَ هذه الفضيحةُ والمعرَّةُ؟! أُركوناً إلى الدنيا الدنيَّةِ ، واشتغالاً عنِ المَنِيَّةِ بالأُمْنِيَّةِ؟! وما أراكِ إلا قد تورَّطتِ ، فبادرِ نفسَكَ قبلَ أن تقولَ : يا حسرتا على ما فرَّطتُ ، ودَرِ الكِبَرِ والزَّهْوِ ، فما الحياةُ الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ ، فتبَّأ لِمَن نسيَ وفاتهُ ، حتى ذهبَ أمرُهُ وفاتهُ ، وطوبى لِمَن عملَ لغدِهِ ، ولم يرضَ مِنَ العيشِ برغدِهِ ، فكم هذا التسويفُ يا ماطلُ ، والحقُّ لا يدركُ بالباطلِ؟! فلا يغرَّنكَ قومٌ أعرضوا عنِ العلمِ والعملِ ، ذرَّهم يأكلوا ويتمتَّعوا ويلههَمُ الأملُ ، إنَّ الذين آمنوا لا يُسَوِّفونَ مِن يومٍ إلى يومٍ ، ومن عامٍ إلى عامٍ ، والذين كفروا يتمتَّعونَ ويأكلونَ كما تأكلُ الأنعامُ) (١) .

ولهُ : (مِن عجيبِ أمرِ الإنسانِ وكلِّ أمرِهِ عجيبٌ : أن يدعوَ فيرجوَ الإجابةَ ويدعى فلا يجيبُ !! أليسَ كما يدينُ يُدانُ؟! وهل يُجزى إلا بما دانَ؟! عقلٌ في قفارِ الجهالةِ هائمٌ ، وقلبٌ في تيارِ الضلالةِ عائمٌ ، يرجو ولا يخافُ ، إيمانٌ ظاهرٌ وكفرٌ خافٍ ، والخوفُ والرجاءُ للمؤمنِ كالجنَّاحينِ للطَّيرِ ، متى قُصَّ أحدهما . . هوى في هوةِ الضَّيرِ .

(١) أنوار الربيع (٢٢٧/٢ - ٢٢٨) .

فيا أيُّها المغرورُ بأَمَلِهِ ، المسرورُ بِعَمَلِهِ ؛ إِنَّكَ في حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ واقِعٌ ،
 أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازَعٌ؟! فَانظُرْ لِحَالِكَ ، قَبْلَ تَرَحُّالِكَ ، وَاَعْمَلْ في يَوْمِكَ
 لَعَدِكَ ، قَبْلَ فَوَاتِ الأَمْرِ مِنْ يَدِكَ ، وَلَا تَكُنْ عَنِ الآخِرَةِ بِاللَّاهِ ، وَإِمَّا يَنْزَعَنَّكَ
 مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ . . فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، وَلَا يُعْجِبَنَّكَ أَمْرٌ قَوْمِ رَضُوا مِنَ الدُّنْيَا
 الدُّنْيَا بِالذُّونِ ، إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
 مَهْتَدُونَ) (١) .

ولهُ : (لِلَّهِ دَرُّ عَصَابَةٍ ، هُمْ أَهْلُ الإِصَابَةِ ، ذَاقُوا شَهْدَ الدَّهْرِ وَصَابَهُ ،
 وَقَاسُوا مِحْنَةَ وَأَوْصَابَهُ ، فَنَبَذُوا الدُّنْيَا وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا ، وَامْتَطَّوْا مِنْ عَزْمِهِمْ
 جَمَلًا مَهْرِيًّا ، يَرُونَ بِبَصَائِرِهِمْ مَا لَا يَرُونَ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَيَنْتَصِرُونَ بِاللَّهِ
 سَبْحَانَهُ لَا بِأَنْصَارِهِمْ ، هُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى وَمَعَالِمُهُ ، وَأَرْكَانُ التَّوْحِيدِ
 وَدَعَائِمُهُ ، أَنْفُسُهُمْ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ سَائِحَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ فِي غِمَارِ الرَّهْبِوتِ
 سَابِحَةٌ ، نَطَقُهُمْ حِكْمَةٌ وَذِكْرٌ ، وَصَمْتُهُمْ عِبْرَةٌ وَفَكْرٌ ، إِذَا خُوطِبُوا . .
 أَحْسَنُوا السَّمْعَ ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ . . تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ
 مِنَ الدَّمْعِ ، أَكْفُهُمْ بِالْبَذْلِ مَبْسُوطَةٌ ، وَأَوْصَافُهُمْ بِالْفَضْلِ مَنُوطَةٌ ، يَبْذُلُونَ
 مِنَ المَالِ خِلَاصَهُ ، وَيؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خِصَاصَةٌ ،
 يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ، وَيَصُدُّونَ عَنِ البَاطِلِ وَعَنْهُ يَعْدِلُونَ ، يَأْمُرُونَ
 بِالصُّلْحِ وَهُمْ المَصْلِحُونَ ، أَوْلَيْكَ عَلَى هَدَىٍّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ هُمْ
 المَفْلِحُونَ) (٢)

[الاقتباسُ مِنَ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ]

ثُمَّ إِنَّ الاقْتِبَاسَ كَمَا يَكُونُ مِنَ الْقُرْآنِ . . يَكُونُ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، وَمِنْ

(١) أنوار الربيع (٢/٢٢٨ - ٢٢٩) .

(٢) أنوار الربيع (٢/٢٢٩) .

سائرِ الفنونِ [العلمِيَّةِ] ؛ كقولِ الصَّاحِبِ في الحديثِ ^(١) : [من مجزوء الرمل]
 قَالَ لِي إِنَّ رَقِيْبِي سَيِّئُ الْخُلُقِ فَدَارِهِ
 قُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ أَلْجَدُّ نُهُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ
 ولفظُ الحديثِ : « حُفَّتِ أَلْجِنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ
 بِالشَّهَوَاتِ » ^(٢) .

وكقولِ تقيِّ الدينِ بنِ دقيقِ العيدِ مِنْ أصولِ الفقهِ ^(٣) : [من السريع]
 قَالُوا فُلَانٌ رَجُلٌ عَالِمٌ فَأَكْرَمُوهُ مِثْلَ مَا يَزْتَضِي
 فَقُلْتُ لِمَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا تَعَارَضَ الْمَانِعُ وَالْمُفْتَضِي
 وقولِ ابنِ العفيفِ ^(٤) :

قُضَاةَ الْحُسْنِ مَا صُنِعِي بِطَرْفِ
 تَمَنَّى مِثْلَهُ الرَّشَاءُ الرَّيْبُ
 رَمَى فَأَصَابَ قَلْبِي بِأَجْتِهَادِ
 صَدَقْتُمْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبُ
 ولابنِ العفيفِ مِنَ الْمَنْطِقِ ^(٥) :

لِلْمَنْطِقِيِّينَ أَشْتَكِي أَبَدًا
 عَيْنَ رَقِيْبٍ فَلَيْتَهُ هَجَعَا
 رَاقِبَهَا مَنْ أَحْبَبَهُ فَأَبَى
 أَنْ نَخْتَلِي سَاعَةً وَنَجْتَمِعَا
 كَيْفَ غَدَتْ دَائِمًا وَمَا أَنْفَصَلَتْ
 مَانِعَةُ الْجَمْعِ وَالْخُلُوفِ مَعَا

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٢/٢) .

(٢) أخرجه بلفظه هنا مسلم (٢٨٢٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٢١٤/٩) ، وفيها : (لم يكن ذا تقي) بدل (لم يكن عالماً) .

(٤) انظر « ديوان ابن العفيف التلمساني » (ص ٣٣) .

(٥) انظر « ديوان ابن العفيف التلمساني » (ص ١٤٧) .

ولبعضهم (١) :

[من الكامل]

تَاللَّهِ مَا لِمُعَذِّبِي فِي حُسْنِهِ شَبَّهَ فَأَيُّ حَسَاءٍ عَلَيْهِ لَمْ يَهْمُ
لَا مِ الْعِذَارِ وَمِيمٌ مَبْسُومِهِ عَلَى مَا أَدَّعِي مِنْ حُسْنِهِ بُزْهَانٌ لِمِ

[من السريع]

ولأبي المحاسن الشَّوَاءِ مِنَ النُّحُورِ (٢) :

هَاتِيكَ يَا صَاحِ رُبَا لَعْلَعِ نَاشِدْتُكَ اللَّهُ فَعَرَّجَ مَعِي
وَأَنْزَلَ بِنَا بَيْنَ بُيُوتِ النَّقَا فَكَذَّغَدَتْ أَهْلَةَ الْمَرْبَعِ
حَتَّى نُطِيلَ الْيَوْمَ وَقَفَا عَلَى السِّدِّ لَكِنِ أَوْ عَطْفَا عَلَى الْمَوْضِعِ

[من الكامل]

ولبعضهم مِنَ الْبَيَانِ (٣) :

قَدْ قُلْتُ لِلْبَدْرِ التَّمَامِ مُنْزَهَا عَنْهُ مُعَذِّبٌ مُهَجَّتِي تَنْزِيهَا
أَشْبَهَتْهُ لَمَّا اسْتَعْرَتْ جَمَالَهُ وَالْإِسْتِعَارَةُ تَقْتَضِي التَّشْبِيهَا
ولصاحبِ هَذَا الْبَيْتَيْنِ - واسمُهُ عَبْدُ عَلِيِّ بْنِ رَحْمَةَ - مِنْ

[من الوافر]

الْبَدِيعِ :

وَحَوْرَاءُ الْعُيُونِ إِذَا تَجَلَّتْ لِحَيْشِ الْهَمِّ آذَنَ بِالشَّتَاتِ
إِذَا أَلْتَفَتَتْ أَفَادَتْنِي نَشَاطَا وَذَلِكَ وَجْهُ حُسْنِ الْإِلْتِفَاتِ

[من الرمل]

ولأبي إسحاق الغزويِّ مِنْ عِلْمِ الْهَيْئَةِ :

لَسْتُ أَنْسَى قَوْلَ سَلَمَى ذَاتَ يَوْمٍ مَا لِهَذَا الْمُنْحَنِي الظُّهْرِ وَمَا لِي
أَنَا شَمْسٌ فِي الضُّحَى وَهُوَ هِلَالٌ وَكُسُوفُ الشَّمْسِ مِنْ قُرْبِ الْهِلَالِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٧٧/٢) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٧٩/٢ - ٢٨٠) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٨٩/٢) .

المواربةُ

هي أن يجعلَ المُتكلِّمُ كلامَهُ بحيثُ يمكنُهُ أن يُغيِّرَ معناه بتحريفٍ أو تصحيفٍ ؛ ليسلمَ مِنَ المؤاخِذَةِ ، فيكونَ قد وصلَ إلى غرضِهِ مَعَ سلامَةِ العاقِبَةِ .

[قصَّةُ أبي المنهالِ مَعَ عبدِ الملكِ]

يُحكى : أنَّ أبا منهالٍ عِثبانَ ابنَ وصيلةَ وكانَ مِنْ قومٍ خرجوا في أيامِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، ثمَّ انقادوا ، فوفدَ عليه بعدَ أن بلغَهُ عنهُ قولُهُ :

وَأَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً وَذُو النُّصْحِ لَوْ يُدْعَى إِلَيْهِ قَرِيبُ
فَلَا نُصَحَ مَا دَامَتْ مَنَابِرُ أَرْضِنَا يَقُومُ عَلَيْهَا مِنْ ثَقِيفَ خَطِيبُ
وَإِنَّكَ إِلَّا تُرْضِ بِكَرْبَنَ وَائِلٍ يَكُنْ لَكَ يَوْمَ بِالْعِرَاقِ عَصِيبُ
فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مَرْوَانُ وَأَبْنُهُ وَعَمَرُوا وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبُ
فَمِنَّا حُصَيْنٌ وَالْبَطِينُ وَقَعْنَبُ وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ

فقالَ : ألسَتَ القائلَ يا عدوَّ اللهِ : ومِنَّا أميرُ المؤمنينَ . . . ؟! فقالَ : إنَّما قلتُ : أميرَ المؤمنينَ ، فنصبَ ما كانَ مرفوعاً ، فأفردَهُ بالإمارةَ بعدَ أن أشركَ فيها شبيباً ، أو خصَّهُ بها ، وإثباتها أولاً لعبدِ الملكِ يكونُ على زعمِهِ (١) .

[القاضي وقاضي القضاة والأترجة]

ودخلَ الخطيرُ أسعدُ بنُ مَمَّاتي القاضي على عبدِ الرحيمِ الفاضلِ وكانَ

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤٥٦/٢) .

في عصره قاضي القضاة وصاحب الكلمة ، لا يُصدِرُ سلطانهُ يوسفُ صلاحُ الدينِ أمراً إلا عن رأيه ، فكان مهيباً جداً مخشياً ، فوجدَهُ جالساً وبينَ يديه أترجةٌ كبيرةٌ مساويةٌ لرأسه ، وكان الفاضلُ أحذب ، فأخذ يُندِرُ على نفسه بمقارنة تلك الأترجة مسابقةً بما يخطرُ في أنفسِ المشاهدين لتلك الحالة وهو يقولُ لأسعدَ : كأنَّ هذا يُمُرُ بفكرِكَ؟! فقالَ له : لا يا سيدي أعزَّكَ اللهُ ، وإتْمأ حضرني وأنشد :

لِللّهِ بَلِّ لِلْحُسْنِ أُتْرَجَةٌ تُذَكِّرُ النَّاسَ بِأَمْرِ النَّعِيمِ
كَأَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ نَفْسَهَا مِنْ هَيْبَةِ الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ
فلَمَّا خرج .. قالَ لَهُ بعضُ مَنْ كَانَ حاضراً : أمَّا خشيتُ أن يَتَنَبَّهَ الرجلُ
لقولِكَ : (مِنْ هَيْبَةٍ) التي تصحيفُها (مِنْ هَيْبَةٍ) أي : بإبدالِ الباءِ همزةً ،
فيكونَ الكلامُ تنديراً؟! فقالَ أسعدُ : ما قصدتُ ذلكَ ، وسَلَّمَ اللهُ^(١) .
فمِنَ الواجبِ على مَنْ يخافُ الانتقادَ في خطابٍ : أن يُفتِّشَ ألفاظَهُ ؛
حذراً مِنْ مثلِ ذلكِ .

[المواربةُ بغيرِ التصحيفِ والتحريفِ]

وتكونُ المواربةُ بغيرِ التصحيفِ والتحريفِ ، والمدارُ فيها على تأويلٍ قريبٍ يصرفُ الكلامَ عن المعنى المكروه .
يُحكى : أنَّ المُتوكِّلَ رمى عُصفوراً فأخطأ ، فقالَ بعضُ حاضريه : أحسنتُ يا سيدي ، فغضبَ ، فقالَ [له] : إلى العُصفورِ ، فسَرِّيَ عنه وضحك^(٢) .



(١) انظر « أنوار الربيع » (١٩١/٢ - ١٩٢) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣٠٣/٢) .

وَيُحْكِي : أَنَّ رَافِضِيًّا وَقَعَ فِي أَيْدِي سُنِّيِّينَ ، فَقَالَ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ
وَعِثْمَانَ وَعَلِيًّا مَنْ أَبْغَضَ وَاحِدًا مِنْهُمْ . . فَهُوَ كَافِرٌ ، وَامْرَأَتُهُ طَالِقٌ ، فَخَلَصَ
مِنْهُمْ ، وَمَرَادُهُ بِالوَاحِدِ عَلِيٌّ ^(١) .



(١) انظر « أنوار الربيع » (٣٠٣/٢) .

التفويفُ

هو أن يأتي الشاعرُ بجُمَلٍ متناسقةٍ متتابعةٍ ، وحسنُهُ : إذا سَلِمَ مِنَ الرَّكَاعَةِ
المُؤَدِّيَةِ لِثِقَلِ النِّطْقِ ؛ كَقَوْلِ ابْنِ زَيْدُونَ^(١) :

بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضِعْ سِرٌّ إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ لَمْ يَذِعْ
يَا بَائِعاً حَظَّهُ مِنِّي وَلَوْ بُذِلْتَ لِي الْحَيَاةُ بِحَظِّي مِنْهُ لَمْ أَبِعْ
يَكْفِيكَ أَنَّكَ إِنْ حَمَلْتَ قَلْبِي مَا لَا يَسْتَطِيعُ قُلُوبَ النَّاسِ يَسْتَطِيعُ
تَهَ أَحْتَمِلُ وَأَسْتَطِيعُ أَضْبِرُ وَعِزُّ أَهْنُ وَوَلِّ أَقْبِلُ وَمُزُّ أَسْمَعُ وَقُلُّ أَطْعُ

وهذا يُقالُ لهُ : التفويفُ بِالْجُمَلِ الْمُتَوَسِّطَةِ ، وهنالكُ تفويفُ بِالْجُمَلِ
الطَوِيلَةِ ، وتفويفُ بِالْجُمَلِ الْقَصِيرَةِ ، وذلكُ أحسنُها ، وليسَ يخلو الثالثُ
مِنْ تَعَسُّفٍ وَإِنْ تَهَاوَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ كَأَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ بِهِ الْاِقْتِدَارَ ؛ كَقَوْلِ
الْمُتَنَبِّي^(٢) :

أَقْبَلْ أَنْبِلْ أَقْطِعْ أَحْمِلْ عَلِيَّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هِشَّ بِشَّ تَفَضَّلْ أَدِنْ سُرَّ صِلِ
مِنْ : أَقَالَ عَشْرَتُهُ ؛ أَي : سَامَحَهُ ، وَأَنَالَهُ ؛ أَي : أَعْطَاهُ ، وَأَقْطَعَهُ : مَلَّكَهُ
قِطْعَةً أَرْضٍ يَنْتَفِعُ بِهَا ، وَحَمَلَهُ : أَعْطَاهُ فِرْسًا ، وَعَلَى قَدْرَهُ ؛ أَي : رَفَعَ شَأْنَهُ ،
وَسَلَّاهُ ؛ أَي : أَفَادَهُ السَّلَاوَةَ عَنْ فَائِتٍ لِنَفْسِهِ بِهِ تَعَلُّقٌ ، وَأَعَادَ ؛ أَي : كَرَّرَ لَهُ
مَسْئُولَهُ وَزَادَهُ خَيْرًا ، وَهَشَّ وَبَشَّ ؛ أَي : أَظْهَرَ الْبَشَرَ وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ ، وَأَدْنَاهُ :
قَرَّبَهُ ، وَسَرَاهُ ؛ أَي : أَعْطَاهُ جَارِيَةً لِلْفَرَاشِ ، فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ
لَيْسَتْ إِلَّا تَكْمِيلًا لِلْعَدَدِ .

(١) انظر «ديوان ابن زيدون» (ص ١٨٨) ، وفيه : (وقل أسمع وقل أطع) .

(٢) انظر «ديوان المتنبّي» (ص ٢٥٩) .

المراجعةُ

حكايةُ ما جرى بين مُتخاطِبَيْنِ بـ (قَالَ) و (قُلْتُ) مثلاً ، ومِلاحِظُهَا : إذا كَانَتِ العِبَارَةُ رَشِيقَةً ، وَالتَّنَسُّقُ مُسْتَعْرَبًا ؛ كَقَوْلِ البَحْتَرِيِّ (١) : [من الخفيف]

وَنَدِيمِ حُلُوِ الشَّمَائِلِ كَالدَّيْدِ نَارِ مَحْضِ النَّجَارِ عَذْبِ الْمُصَفَّى
بِتُّ أَسْقِيهِ صَفْوَةَ الرَّاحِ حَتَّى وَضَعَ الْكَأْسَ مَائِلًا يَتَكَفَّى
قُلْتُ عَبْدُ الْعَزِيزِ تَفْدِيكَ نَفْسِي قَالَ لَبَّيْكَ قُلْتُ لَبَّيْكَ أَلْفَا
هَاكِهَآ قَالَ هَاتِهَآ قُلْتُ خُذَهَا قَالَ لَا أَسْتَطِيعُهَا ثُمَّ أَغْفَى
وَقَوْلِ بَعْضِ أَجْوَادِ الْعَرَبِ (٢) :

قَالَتْ أَمَا تَزَحَلُ تَبْغِي الْغِنَى قُلْتُ فَمَنْ لِلطَّارِقِ الْمُعْتِمِ
قَالَتْ فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ لَهُ قُلْتُ نَعَمْ جَهْدُ الْفَتَى الْمُعْدِمِ
فَكَمْ وَحَقِّ اللَّهِ مِنْ لَيْلَةٍ قَدْ طَعِمَ الضَّيْفُ وَلَمْ أَطْعَمِ
إِنَّ الْغِنَى بِالنَّفْسِ يَا هَذِهِ لَيْسَ الْغِنَى بِالثُّوبِ وَالذَّرْهَمِ

وشرطُ حَسَنِ هَذَا النُّوعِ : أَنْ يَتِمَّ الْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ الْمَحَاوِرَةُ .



(١) انظر « ديوان البحتري » (١٤٢٨/٣) .

(٢) انظر « المستطرف » (٥٦١/١) .

المناقضة

هي تعليق الشيء على ممكن يُقدَّم ، وغير ممكن يُؤخَّر ؛ كقول النابغة في
الهجاء^(١) :

وَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَاهَى إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ
أي : سوف يكون لك حلم ؛ أي : عقل ، أو تتظاهر بالنهي إدراكاً لفضيلة
العقل ، فكثيراً ما يتعاضد غير العاقل ، وهذا النوع حسنه لما فيه من الهزل
أو الإطماع والتبئيس .



(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٠٩) .

المغايرةُ

هي مدحُ الشيءِ بعدَ ذمِّهِ وعكسُهُ ، وفيهِ الإبانةُ عن نباهةِ المُتكلِّمِ وقُوَّةِ حفظِهِ وفهمِهِ ؛ إذ يكونُ أدركَ مِنَ الشيءِ محاسنَهُ ومساويهُ .

[مِنْ أَدَبِ الْخَلِيلِ وَهُوَ غَلَامٌ]

يُحكى : أَنَّ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ قَالَ لِلنَّظَامِ يَوْمًا وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَبُوهُ لَهُ فِي صَغَرِهِ لِيُعَلِّمَهُ ، وَكَانَ بِحَضْرَتِهِمَا قَدْحُ زَجَاجٍ : يَا بَنِي ؛ صِفْ لِي هَذَا الْقَدْحَ ، فَقَالَ : مَدْحًا أَوْ ذَمًّا ؟ قَالَ : مَدْحًا ، فَقَالَ : يَرِيكَ الْقَدْحُ ، وَلَا يَقْبَلُ الْأَذَى ، وَلَا يَسْتُرُ مَا وِرا ، قَالَ : فَذُمَّهُ ، قَالَ : سَرِيعُ الْكَسْرِ ، بَطِيءُ الْجَبْرِ .

وَكَانَ هُنَاكَ نَخْلَةٌ ، فَقَالَ : صِفْ هَذِهِ مَدْحًا وَذَمًّا ، فَقَالَ : حُلُوُّ مَجْتَنَاهَا ، بَاسِقُ مَنْتَاهَا ، نَاضِرٌ أَعْلَاهَا ، صَعْبَةٌ الْمَرْتَقَى ، بَعِيدَةٌ الْمَجْتَنَى ، مَحْفُوفَةٌ بِالْأَذَى ، فَقَالَ الْخَلِيلُ : يَا بَنِي ؛ نَحْنُ أَحْوَجُ إِلَى التَّعَلُّمِ مِنْكَ ^(١) .

[غِيلَانُ وَنَهْرُ الْكُوفَةِ]

وَيُحكى : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ أَيَّامَ إِمَارَتِهِ عَلَى الْكُوفَةِ حَفَرَ نَهْرًا ظَهَرَتْ مَنَافِعُهُ لِأَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ مَرَّ ذَاكَ الْأَمِيرُ يَوْمًا وَمَعَهُ غِيلَانُ الضَّبِّيُّ ، فَقَالَ : مَا أَنْفَعَ هَذَا النَّهْرَ يَا غِيلَانُ !! فَقَالَ : نَعَمْ ؛ هُوَ سُقْيَا الْبَلَدِ ، وَفِيهِ تَصِلُ إِلَيْهِمْ مِيرَتُهُمْ ، وَتَتَعَلَّمُ السَّبَاحَةَ صَبِيَانُهُمْ .

ثُمَّ زَالَتْ عَنِ الْكُوفَةِ إِمَارَتُهُ وَخَلَفَهُ زِيَادٌ ، وَتَوَلَّعَ بِإِزَالَةِ آثَارِهِ ، وَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ طَمِّ النَّهْرِ وَكَانَ بَغِيئَةً ، فَمَرَّ يَوْمًا مَعَ غِيلَانَ الْمَذْكُورِ ، فَقَالَ : مَا أَضَرَ هَذَا

(١) انظر « التذكرة الحمدونية » (٣٦٣/٥ - ٣٦٤) .

النهرَ يا غيلانُ !! فقالَ : نعم ، أصلحَ اللهُ الأميرَ ؛ إِنَّهُ مُخِلٌ بِأَسَاسِ الدُّورِ ، وبِهِ
يَكثُرُ البَعوضُ فِي البَلَدِ ، وبِهِ تَغرقُ الوِلدانُ^(١) .

[المَغَايرَةُ فِي الهَلالِ لِبعضِ الظُّرفاءِ]

قِيلَ لِبعضِ ظُرفاءِ الكُتَّابِ وَكانَ ساكِناً فِي دارِ كِراءٍ : انظُرْ لِلهَلالِ ، فقالَ :
لا أنظُرُهُ ؛ لِبغضِي لَهُ ، قِيلَ : ولِمَ ؟ فقالَ : لِعيوبِ لو كانَتْ فِي حمارٍ ..
لرُؤدِّ ، فَسُئِلَ بِبانِها ، فقالَ : إِنَّهُ يَهْدِمُ العَمَرَ ، وَيُقَرِّبُ الأَجَلَ ، وَيُجِلُّ الدِّينَ ،
وَيُوجِبُ كِراءَ المَنزِلِ ، وَيَقْرِضُ الكُتَّابَ ، وَيُشجِبُ الأَلوانَ ، وَيُسجِنُ المَاءَ ،
وَيُفسِدُ اللَحْمَ ، وَيَعِينُ السارقَ ، وَيَفْضَحُ العاشِقَ الطارقَ^(٢) .

وَإِذا وَصَلتَ مِنْ «مَقاماتِ الحَريرِيّ» إِلى صِفَةِ الدِينارِ ، وَنعتِ الكاتِبِينَ
كَاتِبِ الحِسابِ وَكَاتِبِ الإِنشاءِ ، وَذَكَرِ البِكرِ وَالثِيبِ .. رأيتَ الغَريبَ مِنْ
هَذا النواعِ .

[المَغَايرَةُ فِي الشِّعْرِ]

وَقالَ أبو تَمامٍ^(٣) :

نَقَلُ فُؤادَكَ ما اسْتَطَعْتَ مِنْ الهَوَى
مَما أَلحِبُّ إِلا لِحَبِيبِ الأَوَّلِ
كَمَ مَنزِلِ فِي الأَرْضِ يَألِفُهُ الأَفْتَى
وَحَنِينُهُ أبدأً لِأَوَّلِ مَنزِلِ
فَغايرَهُ آخِرُ فقالَ^(٤) :

نَقَلُ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئتَ فَلنُ تَرى
كَهَوَى جَدِيدِ أَوْ كَوَضِلِ مُقْبِلِ

(١) انظر «أنوار الربيع» (٢٠/٣) .

(٢) انظر «أنوار الربيع» (٢١/٣) .

(٣) انظر «ديوان أبي تمام» (٢٥٣/٤) .

(٤) هو ديك الجن في «ديوانه» (ص ١٩٦) .

مَا لِي أَحِنُّ إِلَى خَرَابٍ مُقْفِرٍ دَرَسْتُ مَعَالِمُهُ كَأَن لَمْ يُؤْهَلِ
وراعى آخرُ الجهتين فقال^(١) :

أَنَا مُبْتَلَى بِبَلِيَّتَيْنِ مِنَ الْهَوَى
فَسِمَ الْفُؤَادُ لِحُزْمَةٍ وَلِلدَّةِ
يشيرُ إلى المثلِ المشهورِ : لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ ، ولكلِّ قديمٍ حرمةٌ .

وَعَيْنُ الرِّضَا عَن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا^(٢)
كَانَ النَّاسُ لِسَانًا وَاحِدًا فِي تَقْرِيبِ بَنِي بَزْمَكٍ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فِي كَلَامِهِمْ
وَأَشْعَارِهِمْ ، حَيْثُ كَانُوا إِذْ ذَاكَ غَايَةً فِي جَلَالِ الْمَحَلِّ وَكِرَمِ الْفِعَالِ .

وَهُم يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي رَبَّى الرَّشِيدَ ، وَكَانَ يُسَمِّيهِ أَبَاهُ ، وَابْنَاهُ :
الْفَضْلُ ، وَجَعْفَرُ أَصْغَرُهُمَا وَأَحْظَاهُمَا عِنْدَ الرَّشِيدِ ، حَتَّى كَانَ أَيَّامَ إِقْبَالِ
الْأَيَّامِ عَلَيْهِ وَشَغَفِهِ بِهِمْ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ جَعْفَرًا أَفْصَحُ مِنْ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ ،
وَأَشْجَعُ مِنْ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، وَأَسْوَسُ مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَكْتَبُ مِنْ
عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى ، وَأَعْفُ مِنْ يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ .

فَلَمَّا تَحَوَّلَتْ بِهِمُ الْأَحْوَالُ ، وَآلَ أُمَّرُهُمْ إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَالَ
قَائِلُهُمْ :

سَأَلُونَا عَن حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ مَن هَوَى عَرْشُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ
نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابْنَا عَنَتُ الدَّهْرِ رِ فَظَلْنَا لِحُكْمِهِ نَسْتَكِينُ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٣٧) .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لعبد الله بن معاوية ، كما في «عيون الأخبار» (٧٦/٣) .

.. غَايِرَ النَّاسِ فِيهِمُ الْقَوْلَ ، وَطَلَبُوا لَهُمُ الْمَثَالَِبَ ، قَالَ
أَبُو نُوَّاسٍ ^(١) :

قَالُوا أَمْتَدَّخَتْ فَمَا أُعْطِيَتْ قُلْتُ لَهُمْ خَزَقُ النَّعَالِ وَأَخْلَاقُ السَّرَاوِيلِ
قَالُوا فَسَمِّ لَنَا هَذَا فَقُلْتُ لَهُمْ نَعْتِي لَهُ يَعْدِلُ التَّفْسِيرَ فِي الْقَبِيلِ
ذَلِكَ الْأَمِيرُ الَّذِي طَالَتْ عَلاوَتُهُ كَأَنَّهُ نَاطِرٌ فِي السَّيْفِ بِالطُّوْلِ

فندعوك ربنا بما دعاك به نبيك عليه أفضل صلواتك وأشرف تسليماتك :
« اللَّهُمَّ ؛ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ » ^(٢) .



(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٤٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٣) عن سيدنا عبد الله بن سرجس رضي الله عنه .

التوشيحُ

هُوَ كَوْنُ فَاتِحَةِ الْكَلَامِ دَالَّةً بِمَعْنَاهَا عَلَى خَاتَمَتِهِ .

وشاهدُهُ : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ، وجميعُ القرآنِ شواهدٌ لذلك .

وهذا النوعُ يرشدكُ إلى أَنَّهُ ينبغي أن يكونَ الكلامُ مِنْ قُوَّةِ التلاوَمِ وشِدَّةِ الائتلافِ يبعثُ بعضُهُ الفهمَ إلى بعضٍ ، وذلكَ يستدعي صفاءَ فكرٍ ، وقُوَّةَ ذوقٍ ، ولطفَ رعايةٍ .

ومِنْ أمثلتهِ : قولُ أبي فراسٍ الحارثِ بنِ حمدانٍ فِي ابنِ عمِّه سيفِ الدولةِ عليّ :

فَلَمَّا نَارَ سَيْفُ الدِّينِ نُزْنَا كَمَا هَيَّجَتْ آسَادًا غِضَابَا
أَسِنَّةُ إِذَا لَاقَى طِعَانَا صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَى ضِرَابَا
دَعَانَا وَالْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتُ فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَا



(١) سورة آل عمران : (٣٣) .

التذييلُ

وهو بعضُ أنواعِ الإطنابِ المُلقَّبَةِ التي سبقَ بها الوعدُ^(١)؛ وهو تعقيبُ جملةٍ تامَّةٍ بجملةٍ تشتمِلُ على معناها منطوقاً أو مفهوماً؛ لتقريره وتمكينه من قلوبِ السامعينَ .

[أقسامُ التذييلِ]

وهو إمَّا أن يكونَ مُستقِلاً خارجاً مخرجِ المثلِ ، ومن شواهدِه : قوله تعالى : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(٢) .

ومن أمثلتهِ : قولُ النابغة^(٣) :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَيَّ شَعَثٍ أَيُّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ

وقولُ جرّول^(٤) :

تَزُورُ فَتَى يُعْطِي عَلَيَّ الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطِ أُنْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ



ومن غيرِ المُستقِلِّ : مثلُ قولِ الحماسي^(٥) :

وَدَعَا نَزَالٍ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

(١) انظر (١١٨/٢) .

(٢) سورة الإسراء : (٨١) .

(٣) انظر «ديوان النابغة الذبياني» (ص ٧٤) .

(٤) انظر «ديوان الحطيئة» (ص ٨٠) ، وجرول : هو جرول بن أوس العبسي .

(٥) هو ربيعة بن مقروم الضبي ، كما في «شرح الحماسة» للتبريزي (٣٣/١) .

[من البسيط]

وقول ابن نباتة السعدي^(١) :

فَدَّ جُدَّتْ لِي بِاللُّهَّا حَتَّى ضَجِرْتُ بِهَا وَكَذْتُ مِنْ ضَجْرِي أَتْنِي عَلَى الْبُخْلِ
لَمْ يُبْقِ جُودَكَ لِي شَيْئاً أَوْمِلُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

[التكميلُ من ضروبِ الإطنابِ]

ومنْ ضروبِ الإطنابِ المذكورةِ : التكميلُ ، ويكونُ بجملةٍ وبغيرِ جملةٍ ؛
لرفعِ وَهْمٍ فيما يَسْبِقُهُ مِنَ الكلامِ .

والسابقُ على موضعِ الوَهْمِ لدفعِهِ قبلَ حصولِهِ .. يُسَمَّى : احتِراساً ؛

[من الكامل]

كقولِهِ^(٢) :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةَ تَهْمِي
وأوجَزَ هذا مهيارٌ في قولِهِ^(٣) :

[من الرمل]

بَكَرَ الْعَارِضُ تَخْدُوهُ النُّعَامَى فَسَقَاكَ الرَّيِّ يَا دَارَ أَمَامَا

[الإيغالُ]

والإيغالُ : ويكونُ في الفواصلِ والقوافي بكلمةٍ أو جملةٍ لغرضِ التحقيقِ

[من البسيط]

والتوكيدِ والمبالغةِ في المعنى ؛ كقولِ الخنساءِ^(٤) :

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

(١) انظر « ديوان ابن نباتة السعدي » (٢٠٧/١ - ٢٠٨) ، واللُّهَّا : العطايا الجزيلة .

(٢) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٩٧) .

(٣) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٣٤٣/٢) .

(٤) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٦) .

[من البسيط]

وقولها وقد استنشدها أمير المؤمنين عمر^(١):

تُرَى الْأُمُورُ سَوَاءً وَهِيَ مُقْبِلَةٌ وَفِي عَوَاقِبِهَا تَبْيَانُ مَا أَلْتَبَسَا
تَرَى الْجَلِيسَ يَقُولُ الْقَوْلَ تَحْسَبُهُ نُضْحًا وَهَيْهَاتَ مَا نُضْحًا بِهِ أَلْتَمَسَا
فَأَسْمَعُ مَقَالَتَهُ وَأَحْذَرُ عِدَاوَتَهُ وَالْبَسَنَ لَهُ ثُوبَ شَكِّ مِثْلَ مَا لَبَسَا



(١) انظر «زهر الأكم» (١٨٧/٣).

تشابه الأطراف

هو جعلُ عَجْزِ جَمَلَةٍ صَدَرَ تاليتها ، أو قافية بيتِ صدر ما يليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) .

وفي مديح ليلى الأخيلية للحجاج بن يوسف (٣) :

إِذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَّبَعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا دِمَاءَ الْمَارِقِينَ وَعَلَّهَا إِذَا جَمَحَتْ يَوْماً وَحَفَّ أَذَاهَا



(١) سورة النور : (٣٥) .

(٢) سورة الروم : (٦ - ٧) .

(٣) انظر « ديوان ليلى الأخيلية » (ص ١٢١) ، وفيه : (وخيف) بدل (وحفّ) .

التتميم

هو زيادة كلمة أو أكثر تزيد المعنى تماماً ، وتفيد الكلام حسناً ؛ بحيث تراه لو طرحت منه . . لصار مُبتدلاً ، قال ابن المعتز^(١) :

وَحَيْلٍ طَوَّاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا أَنْابِيْبُ سُمْرٍ مِنْ قَنَا الْحَطِّ ذُبْلُ
صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَزْجُلُ
وقال زهير^(٢) :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
وقال أبو العلاء في مدح عربٍ بالبادية^(٣) :

الْمُوقِدُونَ بِنَجْدِ نَارِ بَادِيَةِ لَا يَحْضُرُونَ وَفَقْدُ الْعِزِّ فِي الْحَضْرِ
إِذَا هَمَى الْقَطْرُ شَبَّهَا عَيْدُهُمْ تَحْتَ الْغَمَائِمِ لِلْسَّارِينَ بِالْقَطْرِ



(١) انظر «ديوان ابن المعتز» (٩٦/١) .

(٢) انظر «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص ٥٠) .

(٣) انظر «شروح سقط الزند» (١٤٢/١) .

الهجؤ في معروض المدح

هو أن يكون الهجؤ بالعبارات التي تُستعمل في المدح مقرونة بما يصرفها إلى الهجاء ؛ كقول الحماسي^(١) :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبْلِي
بَنُو اللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ
إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرَ خُشْنٍ
عِنْدَ الْحَفِيْظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَأَنَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَ
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً
وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشُّوءِ إِحْسَانًا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ
سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْ سَانَا
فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكَبُوا
شَنُّوا الْإِغَارَةَ رُكْبَانًا وَفُرْسَانَا

وقول النجاشي^(٢) :

إِذَا اللَّهُ جَازَى أَهْلَ لُؤْمٍ بِذِمَّةٍ
فَجَازَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ
قُبَيْلَةٍ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ
وَلَا يَطْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَزْدَلِ
وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً
إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ
وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ
حُذِ الْقَعْبُ وَأَحْلِبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَأَعْجَلِ
أَوْلَيْكَ أَبْنَاءُ الْهَجِيْنِ وَأُسْرَةُ الدِّ
عِيْمِ وَرَهْطُ الْعَاجِزِ الْمُتَذَلِّلِ

(١) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٥/١) ، وهو قريب بن أنيف .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦١/٣ - ٦٢) .

تَعَاثُ السَّبَاعُ الضَّارِيَاتُ لِحُومِهِمْ

ولبعضهم (١) :

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ

وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حُقُوقًا

وللسري الرفاء (٢) :

وَشَيْخٍ طَابَ أَخْلَاقًا فَأَضْحَى

لَهُ دَارٌ إِذَا اسْتَخْفَيْتَ فِيهَا

طَرَقْنَاهُ وَقِنْدِيلُ الثُّرَيَّا

فَرَحَّبَ وَأَسْتَمَالَ وَقَالَ حُطَّتْ

وَحَضَّ عَلَى الْمُنَاهِدَةِ النَّدَامَى

وَقَالَ تَيَمَّمُوا الْأَبْوَابَ مِنْهَا

فَهَذَا قَالَ قِدْرٌ مِنْ طَعَامٍ

وَهَذَا قَالَ رِيحَانٌ وَنَقْلٌ

وَسَمَّحُ الْقَوْمِ مَنْ سَمَحَتْ يَدَاهُ

فَتَمَّ لَهُمْ بِذَلِكَ يَوْمٌ لَهُوَ

إِذَا أَلْعَبَهُ الثَّقِيلُ تَوَزَعَتْهُ

وَتَأْكُلُ مِنْ أَشْلَاءِ كَعْبٍ وَنَهْشَلٍ

[من الوافر]

وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ

عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ

[من الوافر]

أَحَبُّ إِلَى الشَّبَابِ مِنَ الشَّبَابِ

أَمِنْتُ فَلَمْ تَنَلْكَ يَدُ الْطِلَابِ

يَحُطُّ وَفَارِسُ الظُّلْمَاءِ كَابِي

رِحَالِكُمْ بِأَفْنِيَةِ رِحَابِ

بِالْفَاطِ مُهَذَّبَةِ عِدَابِ

فَكُلُّ جَاءٍ مِنْ تِلْقَاءِ بَابِ

وَهَذَا قَالَ دَنْ مِنْ شَرَابِ

وَتَلْجُ مِثْلُ رَفْرَاقِ السَّرَابِ

بِحَدِّ غَرِيرَةٍ بِكْرِ كَعَابِ

غَرِيبِ الْحُسْنِ عَذْبِ مُسْتَطَابِ

رِقَابِ الْقَوْمِ خَفَّ عَلَى الرِّقَابِ



(١) هو محمد بن حمزة السلمي ، كما في « أنوار الربيع » (٦٣/٣) .

(٢) انظر « ديوان السري الرفاء » (ص ٧٥) .

الاكتفاء

هُوَ الْاِقْتِصَارُ مِنْ كَلِمَةٍ عَلَى بَعْضِهَا ، أَوْ مِنْ كَلَامٍ عَلَى جِزْءٍ مِنْهُ ، اِقْتِصَارًا يَشْبَهُ الْاِقْتِصَارَ عَلَى بَعْضِ الْكَلِمَةِ .

وَنَقَلَ أَهْلُ هَذَا الْفَنِّ نَدْرَةَ وَقُوعِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَرَوَوْا فِيهِ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَفَى بِالسَّيْفِ شَأً » ^(١) ؛ أَي : شَاهِدًا ، وَأَكْثَرَ مِنْهُ الْمُتَأَخِّرُونَ ؛ كَابْنِ نِبَاتَةَ الْمَصْرِيِّ وَأَهْلِ عَصْرِهِ وَمَنْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ .

وَأَحْسَنُ الْاِكْتِفَاءِ : مَا كَانَ فِيهِ بَعْضُ الْكَلِمَةِ الْمُقْتَصَرُ عَلَيْهِ كَلِمَةً تَامَةً ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ بِذَلِكَ مُشْتَمِلًا عَلَى التَّوْرِيَةِ ؛ [كَقَوْلِ]
بَعْضِهِمْ ^(٢) :

نَزَلَ الْطَّلُ بُكْرَةً وَسُرُورِي تَجَدَّدَا
وَالنَّدَامَى تَجَمَّعُوا فَأَجَلُ كَأْسِي عَلَى النَّدَا
فَلَفِظَ (النَّدَا) مِنْ (النَّدَامَى) ، وَرَشَّحَ لِلتَّوْرِيَةِ بِقَوْلِهِ : (نَزَلَ الطَّلُ) .

وَشَاهَدُ النُّوعِ الْآخِرِ : قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
لَا أَنْتَهِيَ لَا أَرْعَوِي لَا أَنْثِي مَا دُمْتُ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَلَا إِذَا



(١) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٧٩١٨) عن الحسن رحمه الله تعالى مرسلًا ، وانظر « البدر المنير » (١٠/٩) .

(٢) هو ابن مكناس ، كما في « أنوار الربيع » (٨٨/٣ - ٨٩) .

الاحتباكُ

هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْاِخْتِصَارِ ، وَلِخُصُوصِ هَيْئَتِهِ عُدَّ مِنَ الْمُحْسِنَاتِ وَأُفْرِدَ بِالاسْمِ .
وَضَابِطُهُ : أَنْ يُجْعَلَ الْكَلَامُ شَطْرَيْنِ ، وَيُحَدَفَ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا نَظِيرُ مَا يَثْبُتُ
فِي الْآخِرِ .

وَشَاهِدُهُ مِنَ الْقُرْآنِ : ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنِ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾^(١) ؛ أَي :
إِنْ شَاءَ فَلَا يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فَلَا يُعَذِّبُهُمْ .

وَمِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْعَرَبِ^(٢) :

وَأِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكِ هِرَّةٌ كَمَا أَنْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ
أَي : هِرَّةٌ وَأَنْتَفَاضٌ كَمَا اهْتَزَّ وَأَنْتَفَضَ .

وَمِنَ الْقُرْآنِ أَيْضاً : ﴿ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ ﴾^(٣) ،
﴿ وَأَدَّجِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجُ بَيْضَةً ﴾^(٤) ، وَهُوَ فِيهِ كَثِيرٌ .



(١) سورة الأحزاب : (٢٤) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » (٣/٢٥٤) .

(٣) سورة هود : (٣٥) .

(٤) سورة النمل : (١٢) .

اتصالُ النتائجِ

هو مثلُ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ .. كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ .. كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ .. كَانَتْ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ » (١) .

وقول عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : (مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ .. كَثُرَ خَطْوُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ خَطْوُهُ .. قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ .. قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ .. مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ .. دَخَلَ النَّارَ) (٢) .

ولبعضِهِم : [من المتقارب]

تَأْمَلْ بِعَيْنَيْكَ كَيْفَ أَلْذَهَابُ فَإِنَّ لِكُلِّ حَيَاةٍ مَمَاتًا
فَمَنْ عَاشَ شَبًّا وَمَنْ شَبَّ شَابًا وَمَنْ شَابَ شَاخًا وَمَنْ شَاخَ مَاتَا

ولبعضِهِم (٣) : [من المتقارب]

قُرَيْشٌ خِيَارُ بَنِي آدَمِ وَخَيْرُ قُرَيْشٍ بَنُو هَاشِمِ
وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدٌ رَسُولُ الْإِلَهِ إِلَى الْعَالَمِ



(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٣٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٢٨٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٤٩/٣) .

رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصِّدْرِ

هُوَ تَكْرِيرُ كَلِمَةٍ فِي الشُّطْرَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ الْفَقْرَتَيْنِ مِنَ السَّجْعِ ؛ كَقَوْلِ
بَعْضِهِمْ^(١) :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ أَلْعَمِّ يَلْطَمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعِ
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .



(١) هو للأقشير، كما في «خزانة الأدب» (٤/٤٨٨).

الاستثناء

هو المعروف ، وإنما يُعَدُّ مِنَ البَدِيعِ إِذَا كَانَ مِثْلَ قَوْلِ التَّمِيرِيِّ حَيْثُ
يُخَاطَبُ الحَجَّاجَ وَكَانَ فَرَّ خَائِفًا مِنْهُ وَلَمْ يَجِدْ فِرَارَهُ نَافِعًا^(١) : [من الطويل]
فَهَاكَ يَدِي ضَاقَتْ بِي الْأَرْضُ رَحْبَهَا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ طَوَّفْتُ كُلَّ مَكَانٍ
فَلَوْ كُنْتُ كَالْعَنْقَاءِ أَوْ فِي أُطُومِهَا لَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَائِي
فإنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى تَأْكِيدِ المَبَالِغَةِ فِي صِفَتِهِ ؛ بزيَادَةِ القُدْرَةِ ، وَقُوَّةِ السُّلْطَانِ ،
وَشِدَّةِ الضَّبْطِ ؛ يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَفُوتُهُ فَائِتٌ ، وَلَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَّا مَنْ اخْتَارَ نَجَاتَهُ ،
فَلَا بَدَّ أَنْ يَشْتَمِلَ الاستثناءَ عَلَى مَرْيَّةٍ مِنْ جِنْسِ مَا يُذَكَّرُ فِي عِلْمِ البَلَاغَةِ مِنْ
دَوَاعِي صُورِ التَّرَاكِيِبِ .



(١) انظر « أنوار الربيع » (١١٠/٣) .

مُرَاعَاةُ النُّظِيرِ

هِيَ أَنْ يُذَكَّرَ الشَّيْءُ وَمَا هُوَ مِنْ وَادِيهِ ؛ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ فِي صِفَةِ إِبْلِ
أَنْحَلَهَا السَّيْرُ^(١) :

يَتَرَفَّرَقْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ نَنْ غَمَاراً مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بَلِ الْأَسَدِ هُمْ مَبْرِيَّةٌ بَلِ الْأَوْتَارِ
فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَتَرَقَّى فِي تَصْوِيرِ نُحُولِهَا . . لَمْ يَخْرُجْ عَنِ وَادِي الْقَوْسِ .

وَلِلشَّرِيفِ الرَّضِيِّ^(٢) :

هُنَّ الْقِسِيُّ مِنَ النُّحُولِ فَإِنْ سَمَا طَلَبْتُ فَهِنَّ مِنَ النَّجَاءِ الْأَشْهُمِ
وَلَأَبِي الْعَلَاءِ^(٣) :

إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ أَفْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى مَكَارِمَ لَا تُكْرَى وَإِنْ كَذَبَ الْحَالُ
الْمُرَادُ بِالْجَدِّ : الْحِظُّ وَالْبَحْتُ ، وَبِالْعَمِّ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وَبِالْحَالِ : الظَّنُّ .
وَمَتَى سَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ فِي الْعِبَارَةِ . . فَالانْحِرَافُ عَنْهُ بِكَلِمَةٍ أَعْجَبِيَّةٍ يُعَدُّ
عَيْباً ؛ كَمَا وَقَعَ لِأَبِي نُوَّاسٍ فِي قَوْلِهِ^(٤) :

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِيناً مَبْرُورَةً لَا تُكْذَبُ
بِرَبِّ زَمْزَمَ وَالْحَحْوِ ضِرِّ وَالصَّفَا وَالْمُحَصَّبِ
وَلَوْ قَالَ : (وَالْبَيْتِ) . . لَسَلِمَ مِنْ ذَلِكَ .

(١) انظر «ديوان البحتري» (٩٨٧/٢) .

(٢) انظر «ديوان الشريف الرضي» (٣٤٢/٢) .

(٣) انظر «شروح سقط الزند» (١٢٦٢/٣) .

(٤) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٣٨٤) .

التوجيه

هُوَ أَنْ يُعَبَّرَ بِالْفَافِ هِيَ أَسْمَاءٌ لِنَاسٍ أَوْ غَيْرِهِمْ ، مِثْلُ قَوْلِ
بَعْضِهِمْ^(١) :

وَمَا حُسْنُ بَيْتٍ لَهُ زُخْرُفٌ تَرَاهُ إِذَا زُلْزَلَتْ لَمْ يَكُنْ
وقول الوداعي^(٢) :

مَنْ أُمَّ بَابِكَ لَمْ تَبْرَحْ جَوَارِحُهُ تَزْوِي أَحَادِيثَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ مِثْنِ
فَالْعَيْنُ عَنِ قُرَّةٍ وَالْكَفُّ عَنِ صَلَّةِ وَالْقَلْبُ عَنِ جَابِرٍ وَالْأُذُنُ عَنِ حَسَنِ



(١) هو الشريف تقي الدين الحسيني ، كما في « أنوار الربيع » (١٥١/٣) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٤٤/٣ - ١٤٥) .

التمثيلُ

هو تقريرُ المعنى بذكرِ نظائره ، وفيه تشبيهٌ ضمانيٌّ ؛ كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشخصٍ رآه قد أنهك نفسه بالعبادة : « إِنَّ هَذَا الَّذِي مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بَرْفِقٍ ؛ فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ ، وَلَا [ظَهْرًا] أَبْقَى » ^(١) ، مَثَلُ حَالِ ذَلِكَ الْعَابِدِ بِحَالِ مَسَافِرٍ قَدِ اسْتَجَادَ دَابَّتَهُ ، فَتَرَكَ الرَّفَاقَ ، وَاشْتَدَّ فِي السَّيْرِ ، حَتَّى كَلَّتْ رَاحِلَتُهُ ، فَلَا هُوَ وَصَلَ الْمَقْصِدَ ، وَلَا أَبْقَى رَاحِلَتَهُ .

وكقولِ حبيبٍ ^(٢) :

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهِهِ عَنِ سَجِيَّتِهِ وَالنَّارَ قَدْ تَنْتَضَى مِنْ نَاصِرِ السَّلَامِ
أَوْطَأْتُمُوهُ عَلَى جَمْرِ الْعُقُوقِ وَلَوْ لَمْ يُخْرِجِ أَلَيْتُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْأَجَمِ

يُخَاطَبُ بِهَذَا الْكَلَامِ قَوْمًا أَغْضَبُوا رِئِيسَهُمْ بِالتَّوَرُّطِ فِي مَخَالَفَاتِهِ ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى مَفَارِقَةِ سَجَايَاهُ ؛ مِنْ الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ ، وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ ، وَإِصْلَاحِ أحوَالِهِمْ ؛ إِلَى تَأْدِيبِهِمْ بِمَا يَعِيدُهُمْ إِلَى مَا هُوَ لَهُمْ صَلَاحٌ .



(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٠٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها .
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١٨٩/٣) وحبیب : هو أبو تمام ، حبیب بن أوس الطائي .

القَسَمُ

هُوَ مِنَ الْمُؤَكِّدَاتِ كَمَا عَرَفَتْ فِي الْمَعَانِي ^(١) ، وَيَكُونُ الْقَسَمُ بِعِبَارَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَحْسَنُهُ : مَا كَانَ مُوَافِقًا لِلغَرَضِ الْمَسْئُوقِ لَهُ الْكَلَامُ ، وَتَعْرِفُ ذَلِكَ فِي أَقْسَامِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ؛ فَإِنَّهَا فِي حَيِّزِ الْاِسْتِدْلَالِ لِإثْبَاتِ عَقَائِدِ الْإِسْلَامِ ، وَتَرَاهَا مُتَضَمِّنَةً ذَلِكَ .

وَمِنَ الْمُنْبَغِيِّ أَنْ يُتَجَنَّبَ : الْقَسَمُ بِمَا يَنْفِرُ عَنْهُ سَمْعُ الْمُسْلِمِ ؛ مِثْلُ : بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْهَدْيِ ، كَمَا وَقَعَ لِبَعْضِ الْمُسْتَهْتَرِينَ ، وَلِيَكُنْ مِثْلَ قَوْلِ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ عَلَيَّ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : (الْأَشْتَرُ لِي كَمَا كُنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ^(٢) : [من الكامل]

بَقِيْتُ وَفَرِي وَأَنْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلَا وَلَقِيْتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسِ
إِنْ لَمْ أَشَنَّ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةً لَمْ تَخُلْ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسِ
خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالِيِّ شُرْبًا تَعْدُو بِبِيضٍ فِي الْكَرِيهَةِ شُوسِ
حَمِي الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُمْ وَمَضَانُ بَرْقٍ أَوْ شِعَاعِ شُمُوسِ

[قصيدتانِ مشتملتانِ على القَسَمِ]

وَلَقَدْ أَحْسَنَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْبَدِيعِيَّاتِ عِنْدَ التَّمثِيلِ لِلْقَسَمِ بِمَا صَدَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْمُنِيرِ الْمَشْهُورِ بِمُهَذَّبِ الدِّينِ الشَّيْعِيِّ فِي إِيرَادِ قَصِيدَتَيْهِ الْمُشْتَمَلَتَيْنِ عَلَى الْقَسَمِ ، فَلَا بَأْسَ بِاتِّبَاعِهِ فِي ذَلِكَ .

(١) انظر (٧٤/٢) .

(٢) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٧٥/١) .

وسبب القصيدة الأولى^(١) : أنه كان أهدى لنقيب الأشراف في عصره ببغداد من بلده طرابلس الشام عبداً أسوداً ، فكتب له الشريف : لو رأيت عدداً أقل من الواحد ولوناً شراً من السواد . . لأهديته ، يُداعبه بذلك ، فحجّل ابن المنير من ذلك ، وجَهَّز له هدية وأرسلها مع مملوك له كان شقيق روحه ، واسمُه : تتر ، فظنّه الشريف بعض الهدية ، وطلبه ابن منير ، وعلم الشريف شدة شغفه به ، فتوانى عن إرساله على سبيل المزح ، فكتب له بهذه القصيدة :

[من مجزوء الكامل]

عَذَّبْتَ طَرْفِي بِالسَّهْرِ	وَأَذْبَتَ قَلْبِي بِالْفِكَرِ
وَمَزَجْتَ صَفْوَ مَوَدَّتِي	مِنْ بَعْدِ بُغْدِكَ بِالْكَدْرِ
وَمَنْحْتَ جُثْمَانِي الضَّنَى	وَكَحَلْتَ عَيْنِي بِالسَّهْرِ
وَجَفَوْتَ صَبَّأَ مَالَهُ	عَنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مُضْطَبَّرَ
يَا قَلْبُ وَنَحَكَ كَمْ تُخَا	دِعْ بِالْغُرُورِ وَكَمْ تَغُرُّ
وَالْأَمَ تَكْلَفُ بِالْأَغْنِ	مِنَ الظُّبَاءِ وَبِالْأَغْرُ
رِيْمٍ يُفَوِّقُ إِنْ رَمَا	كَ بِسَهْمِ نَاطِرِهِ النَّظْرُ
تَرَكَتْكَ أَعْيُنُ تُزَكِّيهَا	مِنْ بَأْسِهِنَّ عَلَى خَطْرُ
وَرَمَتْ فَأَصَمَّتْ عَنْ قِسِي	لَا يُنْسَاطُ بِهَا وَتَرُ
جَرَحَتْكَ جُرْحاً لَا يُخَيِّ	طُ بِالْخُيُوطِ وَلَا الْإِبْرُ
تَلْهُو وَتَلْعَبُ بِالْعُقُو	لِ عُيُونِ أَبْنَاءِ الْحَزْرُ
فَكَأَنَّهِنَّ صَوَالِجُ	وَكَأَنَّهِنَّ لَهَا أَكْرُ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٢٣/٣ - ٢٢٩) .

تُخْفِي الْهَوَىٰ وَتُسِرُّهُ
أَفْهَلُ لِيُوجِدِكَ مِنْ مَدَىٰ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِشَادِنِ
عَذَلِ الْعَذُولِ وَمَا رَأَىٰ
قَمَرٌ يُزَيِّنُ ضَوْءَ صُبُ
وَتَرَىٰ اللَّوَا حِظَّ خَدَّهُ
هُوَ كَالْهَلَالِ مُلْتَمَأً
وَيَلَاهُ مَا أَخْلَاهُ فِي
نَوْمِي الْمُحَرَّمُ بَعْدَهُ
بِالْمَشْعَرَيْنِ وَبِالصَّفَا
وَبِمَنْ سَعَىٰ فِيهِ وَطَا
لَيْنِ الشَّرِيفِ الْمَوْسَوِيِّ
أَبْدَىٰ الْجُحُودَ وَلَمْ يَرُدَّ
وَالَيْتُ آلَ أُمَيَّةَ الْطُّ
وَجَحَدْتُ بَيْعَةَ حَيْدَرِ
وَإِذَا جَرَىٰ ذِكْرُ الصَّحَا
قُلْتُ الْمُقَدَّمُ شَيْخُ تَيْ
مَا سَلَ قَطُّ ظُبَىٰ عَلَيَّ
كَأَلَا وَلَا صَدَّ الْبَثُو

وَخَفِي سِرِّكَ قَدْ ظَهَرَ
يُفَضِّلِي إِلَيْهِ فَيُنْتَظَرُ
أَنَا مِنْ هَوَاهُ عَلَىٰ خَطَرُ
هُ وَحِينَ عَايَنَهُ عَذَرَ
حِجِّ جَبِينِهِ لَيْلَ الشَّعَرُ
فَيُرَىٰ لَهُنَّ بِهِ أَثَرُ
وَالْبَدْرِ حُسْنًا إِنْ سَفَرُ
قَلْبِي الشَّجِي وَمَا أَمَرُ
وَرَبِيعُ لَذَاتِي صَفَرُ
وَالْبَيْتِ أَقْسِمُ وَالْحَجَرُ
فَ بِهِ وَلَبَّيْ وَأَعْتَمَرُ
أَبْنُ الشَّرِيفِ [أَبِي] مُضَرُ
إِلَيَّ مَمْلُوكِي تَنَزَرُ
هَرَّ الْمَيَامِينِ الْغُرَرُ
وَعَدَلْتُ عَنْهُ إِلَىٰ عُمَرُ
بَةِ بَيْنَ قَوْمٍ وَأَشْتَهَرُ
مِ ثَمَّ صَاحِبُهُ عُمَرُ
آلِ النَّبِيِّ وَلَا شَهَرُ
لَ عَنِ الثُّرَاثِ وَلَا زَجَرُ

وَأَتَابَهَا الْحُسْنَى وَلَا
وَبَكَيْتُ عُثْمَانَ الشَّهِيدَ
وَشَرَحْتُ حُسْنَ صَلَاتِهِ
وَقَرَأْتُ مِنْ أَوْزَاقِ مُضَى
وَرَثَيْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ
وَأَزُورُ قَبْرَهُمَا وَأَزُورُ
وَأَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَفْتِ عَلِيَّ جَمَلٍ لِثُصْ
وَأَتْتُ لِتُضْلِحَ بَيْنَ جَيْدِ
فَأَتَى أَبُو حَسَنِ وَسَلَّ
وَأَذَاقُ إِخْوَتَهُ الْرَدَى
مَا ضَرَّهُ لَوْ كَانَ كَفَّ
وَأَقُولُ إِنَّ إِمَامَكُمْ
وَأَقُولُ إِنَّ أَخْطَا مُعَا
هَذَا وَلَمْ يَغْدِرْ مُعَا
بَطَلٌ بِسَوْءَتِهِ يُقَا
وَالْأَشْعَرِيُّ بِمَا يُو
قَالَ أَنْصِبُوا لِي مِنْبَرًا
فَعَلَا وَقَالَ خَلَعْتُ صَا

شَقَّ الْكِتَابَ وَلَا بَقَرُ
دُبُكَاءَ نِسْوَانِ الْحَضَرُ
جُنْحَ الظَّلَامِ الْمُعْتَكِرُ
حَفِيهِ (بَرَاءةً) وَ(الزُّمَرُ)
رَبِّ كُلِّ شَعْرٍ مُبْتَكِرُ
جُرِّ مَنْ نَهَانِي أَوْ زَجَرُ
نَ عُقُوقُهَا إِحْدَى الْكُبَرُ
بِحَ مِنْ بَنِيهَا فِي زَمَرُ
شِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى غَرَرُ
حُسَامَهُ وَسَطَا وَكَرُ
وَبَعِيرَ أُمِّهِمْ عَقَرُ
وَعَفَّ عَنْهُ إِذْ قَدَرُ
وَلَى بِصِفِّينَ وَفَرُ
وَيْةٌ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ
وَيْةٌ وَلَا عَمَرُو مَكْرُ
تِلْ لَا بِصَارِمِهِ الْذَكَرُ
لِ إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا شَعْرُ
فَأَنَا الْبَرِيُّ مِنْ الْخَطَرُ
حَبِّكُمْ وَأَوْجَرَ وَأَخْتَصَرُ

صِبِّ مَا تَتَمَّرَ وَأَخْتَمَرُ
 نَ عَلَى عَلِيٍّ مُغْتَفَرُ
 فِي النَّهْرَوَانِ وَلَا أَنْزُ
 شَرِبَ الْخُمُورَ وَلَا فَجَزُ
 أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ أَمْرُ
 مَا اسْتَطَالَ مِنَ الشَّعْرُ
 وَصِيَّامَ أَيَّامٍ أُخْزُ
 بِ لِمَلَابِسٍ يُدْخَرُ
 بِ مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى السَّحَرُ
 فِخْ مَنْ لَقِيْتُ مِنَ الْبَشَرُ
 قِ أَقْصُ شَارِبٍ مَنْ عَبَرُ
 لِ بِلَخْمٍ جَرِي الْحَفَرُ^(١)
 كِلِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْخُضْرُ
 وَمَسَحْتُ خُفِّي فِي السَّفَرُ
 قَ كَمَنْ بِهَا قَبْلِي جَهْرُ
 رِ لِكُلِّ قَبْرِ يُخْتَفَرُ
 رِ أَقُولُ مَا صَحَّ الْخَبَرُ
 بِسِ مَا أَضْمَحَلَّ وَمَا دَنْزُ

وَجَنَيْتُ مِنْ ثَمَرِ النَّوَا
 وَأَقُولُ ذَنْبُ الْخَارِجِي
 لَا نَائِرٌ بِقِتَالِهِمْ
 وَأَقُولُ إِنَّ يَزِيدَ مَا
 وَلَجَيْشِهِ بِالْكَفِّ عَن
 وَحَلَقْتُ فِي عَشْرِ الْمُحَرِّ
 وَنَوَيْتُ صَوْمَ نَهَارِهِ
 وَلَبِسْتُ فِيهِ أَجَلَ ثَوِي
 وَسَهَرْتُ فِي طَبَخِ الْحُبُوبِ
 وَغَدَوْتُ مُكْتَجِلاً أَصَا
 وَوَقَفْتُ فِي وَسْطِ الطَّرِي
 وَأَكَلْتُ جِرْجِيرَ الْبُقُوبِ
 وَجَعَلْتُهَا خَيْرَ الْمَا
 وَغَسَلْتُ رِجْلِي ظِلَّةً^(٢)
 وَأَمِينَ أَجْهَرُ فِي الصَّلَا
 وَأَسْنُ تَسْنِيمِ الْقُبُوبِ
 وَإِذَا جَرَى ذِكْرُ الْغَدِيدِ
 وَلَبِسْتُ فِيهِ مِنَ الْمَلَا

(١) في « ثمرات الأوراق » (ص ٣٣١) : (جوني الجفر) .

(٢) في « أنوار الربيع » (٢٢٨/٣) : (ضلة) بدل (ظلة) .

وَسَكَنْتُ جُلَّتْ وَأَقْتَدَيْتُ
 وَأَقُولُ مِثْلَ مَقَالِهِمْ
 مُضْطَّيْحَتِي مَكْسُورَةٌ
 بَقَرْتُ تَرَى بِرِئْسِهِمْ
 وَخَفِيفُهُمْ مُسْتَثْقَلٌ
 وَطِبَاعُهُمْ كَجِبَالِهِمْ^(١)
 مَا يُدْرِكُ أَتَشْبِيبُ تَغَى
 وَأَقُولُ فِي يَوْمٍ تَحَا
 وَالصُّحُفُ يُنْشَرُ طَيْهَا
 هَذَا الشَّرِيفُ أَضْلَلَنِي
 فَيُقَالُ خُذْ بِيَدِ الشَّرِيفِ
 لَوَاحَةٌ تَسْطُوفَمَا
 وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِلْمُسي
 إِلَّا لِمَنْ جَحَدَ الْوَصِي
 فَأَخْشَ الْإِلَآةَ بِسُوءِ فِعْ
 وَالْيَكْهَابِ دَوِيَّةً
 شَامِيَّةً لَوْ شَامَهَا
 حَبَزْتُهَا فَغَدَّتْ كَزَهْ

تٌ بِهِمْ وَإِنْ كَانُوا بَقَرُوا
 بِالْفَاشِرِيَّا قَدْ فَشَرُوا
 وَفَطِيرَتِي فِيهَا قِصْرُ
 طَيْشِ الظَّلِيمِ إِذَا نَفَرُوا
 وَصَوَابُ قَوْلِهِمْ هَذَا
 جُبِلَتْ وَقَدَّتْ مِنْ حَجْرُ
 رِيدِ الْبَلَابِلِ بِالسَّحَرُ
 رُ لَهُ الْبَصِيرَةُ وَالْبَصْرُ
 وَالنَّارُ تَزْمِي بِالشَّرْرُ
 بَعْدَ الْهَدَايَةِ وَالنَّظْرُ
 فِ فَمُسْتَقَرُّ كَمَا سَقَرُوا
 تُبْقِي عَلَيْهِ وَلَا تَذُرُ
 إِذَا تَنْصَلَّ وَأَعْتَذُرُ
 وَلَاءُهُ وَلِمَنْ كَفَرُوا
 لِكَ وَأَخْتَذِرُ كُلَّ الْخَذُرُ
 رَقَّتْ لِرِقَّتِهَا الْحَضْرُ
 قُسُ الْفَصَاحَةِ مَا أَفْتَحُرُ
 رِ الرُّوضِ بَاكَرُهُ الْمَطْرُ

(١) في «أنوار الربيع» (٣/٢٢٨): (كجبالهم) بدل (كجبالهم).

وَإِلَى الشَّرِيفِ بَعَثْتَهَا لَمَّا قَرَاهَا وَأَبْتَهَزْ
رَدَّ الْغُلَامَ وَمَا اسْتَمَرَ عَلَى الْجُحُودِ وَلَا أَصْرُ
وَأْتَابَنِي وَجَزَيْتُهُ شُكْرًا وَقَالَ لَقَدْ صَبَرَ

هذه القصيدة وأمثالها من الشعر ؛ كأشعار الصَّاحِبِ بهاءِ الدينِ زهيرٍ يُقالُ له : السَّهْلُ الممتنعُ ؛ وذلكُ أَنَّهُ يُحَيِّلُ لقارئه القدرةَ على مثله ، فمتى ذهبَ يطالبُ طبعه بحكايته .. وجدَهُ يَنكُصُ ويأبى عليه .

والقصيدةُ الثانيةُ : قوله^(١) :

مَنْ رَكَّبَ الْبَدْرَ فِي صَدْرِ الرَّدِينِي وَمَوَّهَ السِّحْرَ فِي حَدِّ الْيَمَانِي
وَأَنْزَلَ النَّيِّرَ الْأَعْلَى إِلَى فَلَكَ مَدَاوِهُ فِي الْقَبَاءِ الْخُسْرُوَانِي
طَرَفٌ رَنَا أَمْ قَرَابٌ سُلَّ صَارِمُهُ وَأَغْيَدٌ مَاسَ أَمْ أَعْطَافُ خَطِي
أَدْلَنِي بَعْدَ عِزِّ وَالْهَوَى أَبْدَأُ يَسْتَعْبِدُ اللَّيْثَ لِلظَّنْبِي الْكِنَاسِي
أَمَا وَذَائِبِ مِسْكِ مِنْ ذَوَائِبِهِ عَلَى أَعَالِي الْقَضِيبِ الْخَيْرَانِي
وَمَا يُجِنُّ عَقِيقِي الشِّفَاهِ مِنَ الرِّ يَقِ الرَّحِيقِي وَالشَّغْرِ الْجَمَانِي
لَوْ قِيلَ لِلْبَدْرِ مَنْ فِي الْأَرْضِ تَحْسُدُهُ إِذَا تَجَلَّى لِقَالَ ابْنُ الْفُلَانِي
أَرَبِي عَلَيَّ بِشْتَى مِنْ مَحَاسِنِهِ تَأَلَّفَتْ بَيْنَ مَسْمُوعٍ وَمَرْئِي
إِبَاءُ فَارِسَ مَعَ لَيْنِ الشَّامِ مَعَ الظِّ زِفِ الْعِرَاقِي وَالنُّطْقِ الْحِجَازِي
وَمَا الْمُدَامَةُ بِالْأَلْبَابِ أَفْتَكُ مِنْ فَصَاحَةِ الْبَدْوِ فِي الْفَاطِ تَرْكِي



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٣١/٣) .

حَسْنُ التَّخْلِصِ

جرث عادةُ الشعراءِ قديماً أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْدُحُوا . . افتتحوا الكلامَ بنوعٍ مِنَ الغزلِ وغيرِه لمقاصدَ :

منها : إِدخالُ الشُّرورِ على الممدوحِ ، وتفريخُ قلبِه ، واستحضارُ نشاطِه بتذكيرِه محاسنِ المِلاحِ وأحوالِ الغرامِ . . . إلى غيرِ ذلكِ مِنَ الأمورِ التي تكونُ بها قلوبُ أَهلِ القدرةِ بها أَشغفَ ، وإلى التفكُّه بِشمراتها أَميلَ .

ومنها : شكُّو الشاعرِ انقطاعِ الوسائلِ الواصلةِ بينَه وبينَ أَحَبِّتِه ، حتى أَلجأَه ذلكُ إلى اقتحامِ المفاوزِ ومواصلةِ الأسفارِ ومعاناةِ الشدائدِ ، يبعثُ بِذلكِ رحمةَ الممدوحِ ، ويوجبُ الحقَّ عليه ، وغيرُ ذلكِ .

فإذا أَرَادُوا أَنْ ينتقلوا مِنْ ذلكِ إلى المقصودِ . . فذلكَ مكانُ التَّخْلِصِ .

وقالَ أَهلُ البديعِ : ينبغي أن تزيدَ العنايةُ به زيادتها بالمطلعِ والمقطعِ وموضعِ الطلبِ ، وذلكَ يكونُ بحسنِ التحيُّلِ في إِدخالِ ابتداءِ المديحِ في غضونِ انتهاءِ الغزلِ ، حتى ينتقلَ السامعُ دونَ شعورٍ وكأَنَّهُ لم يزلْ في استماعِ المعنى الأوَّلِ ، فيُسَمَّى حينئذٍ : حسنَ التَّخْلِصِ .

وكانَ يَقَعُ للمُتقدِّمينَ على سبيلِ الاتفاقِ ، وهو الذي نَبَّهَ المُتأخِّرينَ على اعتبارِ ذلكِ وقصدهِ وإدخالِه في الصِّناعةِ ، وغيرُ ذلكِ يُسَمَّى : اقتضاباً ، وهو الغالبُ في شعرِ أبي تمامٍ والبحرِيِّ وَمَنْ قبلَهُم .

حتى كانَ الصَّاحِبُ ابنُ عبادٍ يقولُ : البحرِيُّ يسقطُ مِنَ السطحِ إلى المدحِ .

ولبعض الشعراء^(١) :

[من مجزوء الكامل]

يَغْتَابُنِي فَإِذَا أَلْتَفْتُ أَبَانَ عَنْ مَحْضِ صَحِيحِ

وُثْبًا كَوُثْبِ الْبُخْتَرِيِّ مِنَ النَّسِيبِ إِلَى الْمَدِيحِ

وَيَحْسُنُ الْاِقْتِضَابُ إِذَا أَنْهَى الشَّاعِرُ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ ؛ بَحِيثٌ لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَا

تَشَوَّفُ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَيَقُولُ الْعَارِفُ بِصِنَاعَةِ الشَّعْرِ : إِنَّهُ لَا تَمَكُنُ الزِّيَادَةُ عَلَى

ذَلِكَ ؛ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْبَ ، وَذَمَّ آثَارَهُ ، وَتَوَجَّعَ مِنْ صَحْبَتِهِ ،

وَاسْتَرْسَلَ فِي ذَلِكَ حَتَّى خْتَمَهُ بِالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ فَقَالَ^(٢) :

لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَزَتْهُ الْوِلْدَانُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا

فَكَأَنَّهُ يَسْتَحْضِرُ السَّمْعَ لِأَن يَتَلَقَّى فِينَا آخَرَ مِنَ الْكَلَامِ ، فَكَأَنَّهُ ابْتَدَأَ الْمَدِيحَ

ابْتِدَاءً وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ مُقَدِّمَةً .

[استحسانُ حسنِ التخلُّصِ]

ومع ذلك فقد وقع الاتفاقُ على استحسانِ ما سَمَّوهُ : حسنَ التخلُّصِ ؛

فَمِنْ ذَلِكَ فِي شِعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَوْلُ زَهِيرٍ^(٣) :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَا كِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ

وقولُ ربيعةَ بنِ مقرومِ الضَّبِّيِّ^(٤) :

وَجَسْرَةَ أَجْدٍ تَدْمَى مَنَاسِمُهَا [أَعْمَلْتُهَا] بِي حَتَّى تَقَطَّعَ الْبِيدَا

كَلَّفْتُهَا فَرَأَتْ حَثْمًا تَكَلَّفَهَا ظَهِيرَةً كَأَجِيحِ النَّارِ صِيخُودًا

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٦٧/٤) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١٦١/١) .

(٣) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ١١٩) .

(٤) انظر « ديوان ربيعة الضببي » (ص ٢٩) ، والأجد : القوية ، والصيخود : الشديدة الحر .

فِي مَهْمِهِ قُدْفٍ يُخْشَى الْهَلَاكَ بِهِ أَصْدَاؤُهُ لَا تَنِي بِاللَّيْلِ تَغْرِيدًا
لَمَّا تَشَكَّتْ إِلَيَّ الْأَيْنُ قُلْتُ لَهَا لَا تَسْتَرِيحِينَ مَا لَمْ أَلْقَ مَسْعُودًا
ولا يتجاوزُ مثلَ هذا ما تَأْتَقُ فِيهِ الْمُتَأَخِّرُونَ إِلَّا يَسِيرًا إِنْ كَانَ كَقَوْلِ لِسَانِ
الدينِ بنِ الخطيبِ^(١) :

شِمْتُ الْمُنَى وَحَمِدْتُ إِذْ لَاحَ الشَّرَى وَزَجَرْتُ لِأَمَالٍ كُلِّ سَنِيحِ
فَكَأَنَّمَا لَيْلِي نَسِيبُ قَصِيدَتِي وَالصُّبْحُ فِيهِ تَخْلُصِي لِمَدِيحِي
ولبديعِ الزمانِ الهمداني^(٢) :

أَبَى الْمُقَامِ بَدَارِ الذَّلِّ لِي كَرَمٌ وَهَمَّةٌ تَصِلُ التَّخْوِيدَ وَالْخَبَبَا
وَعَزْمَةٌ لَا تَزَالُ أَلْذَهْرَ ضَارِبَةً دُونَ الْأَمِيرِ وَفَوْقَ الْمُشْتَرِي طَنَبَا
وجميعُ انتقالاتِ الكتابِ العزيزِ شواهدٌ على أحسنِ حُسنِ تَخْلُصٍ .



(١) انظر «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٤٦٣/٤) .

(٢) انظر «ديوان بديع الزمان الهمداني» (ص ٣٣) ، والتخويد : سرعة السير .

الاطْرَادُ

هو أن يذكر اسم شخصٍ فينسبهُ بذكرِ أبيه وجده ، وذلك يزيدُ حسنهُ في الشعرِ ؛ لأنه معَ حكمِ الوزنِ إذا كانَ سهلاً سلسلاً مُنحدرًا يُشبهُ الماءَ في اطْرادهِ وجريانهِ . . وردَ على نفسِ السامعِ مُستغرباً مُتعجباً منه .

وهو في غيرِ الشعرِ : كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ : يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » ^(١) .

وفي الشعرِ : كقولِ بعضِ العربِ ^(٢) :

إِنْ يَفْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشُهُمْ بَعْتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

وقولِ دريدِ بنِ الصِّمَّةِ ^(٣) :

قَتَلْنَا بِعَوْنِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنَ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

وقولِ الأعشى ^(٤) :

أَقْبَسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجُو بَقَاءَكَ وَائِلُ

وقوله أيضاً ^(٥) :

فَنِعْمَ أَخُو الْجَلِيِّ وَمُسْتَنْبِطُ النَّدَى وَمَلَجَأُ مَحْزُونٍ وَمَفْزَعُ لَاهِثِ

عِيَادُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ غَانِمِ بُو بِنِ زَيْدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثِ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) انظر « يتيمة الدهر » (٣٠٨/٥) .

(٣) انظر « ديوان دريد بن الصمة » (ص ٣٦) ، وفيه : (بعبد) بدل (بعون) .

(٤) انظر « ديوان الأعشى » (٢٦/٢) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٣٢٧/٣) ، وفيه أنه لابن دريد .

جعل البيت كله اطراداً .

وكقول السراجِ الوراقِ مِنَ المتأخِرِينَ^(١) :

فَلَهُ الْجَمَالُ غَدًا بِغَيْرِ مُنَازَعٍ وَلِيَّ الْجَوَى فِيهِ بِغَيْرِ قَسِيمِ
وَكَذَا الْعَلَا لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِليِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمِ
بتنوين (علي) لإقامة الوزن .

وزاد بعضهم في حدِّ الاطرادِ : لزومَ ذكرِ كنيةِ الشخصِ ولقبهِ معَ نسبهِ
وقبيلته ، أو ما أمكنَ مِنْ ذَلِكَ ، فلا يُعدُّ ذكرُ النسبِ وحدهُ اطراداً ؛ كقولِ
بعضهم^(٢) :

إِلَى الشَّيْخِ الْجَلِيلِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ ابْنِ عَيْسَى الدَّامِغَانِيِّ
وقولِ آخَرَ^(٣) :

إِنَّ الزَّوَايَةَ وَالذِّرَايَةَ خَاتَمٌ حَقًّا أَقُولُ وَلَسْتُ فِيهِ بِزَاعِمِ
وَأَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ الْجُشَمِيِّ فَصُّ الْخَاتَمِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٣٢٩/٣) .

(٢) هو أبو القاسم الأيماني ، كما في « أنوار الربيع » (٣٣١/٣) .

(٣) هو أبو محمد الحسين الزيادي ، كما في « أنوار الربيع » (٣٣٣/٣) .

العكسُ

هو مثلُ قولهم : عاداتُ الساداتِ ساداتُ العاداتِ ، وكتبُ الأحبابِ أحبابُ
الكتبِ ، وكلامُ الأميرِ أميرُ الكلامِ ، وكقولِ بعضِ شعراءِ العربِ ^(١) : [من الوافر]
رَمَى الْجِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَزْبٍ بِمِقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُودًا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ الشُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا
الجِدْثَانُ - بكسرِ فسكونٍ - : مِنْ أَسْمَاءِ مَا جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ بِنِسْبَةِ الْأَفْعَالِ
لَهُ ؛ كَالدَّهْرِ وَالزَّمَنِ .
وكقولِ بعضهم وقد سُئِلَ عَنِ الشَّعْرِ : هُوَ أَدْنَى مَرِوَةِ السَّرِيِّ ، وَأَسْرَى
مَرِوَةِ الدَّنِيِّ .

[العكسُ الاتِّفَاقِيُّ]

وَمِنَ الْعَكْسِ الْإِتِّفَاقِيِّ : قَوْلُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : لَا سَرَفَ فِي الْخَيْرِ ، وَقَدْ
قِيلَ لَهُ : لَا خَيْرَ فِي السَّرَفِ .
وقولُ أبي تمامٍ - وقد أنشدَ ابتداءً مِنْ ابتداءِ الوَعْرَةِ ، [فقالَ أحدهمُ
مُنْكَرًا] : لِمَ لَمْ تَقُلْ مَا يُفْهَمُ ؟ - : لِمَ لَمْ تَفْهَمْ مَا يُقَالُ ؟!



(١) انظر « خزانة الأدب » (٢ / ٢٦٤) .

الترديدُ

[هو] تَكريرُ اللفظِ مختلفِ التعلُّقاتِ ؛ كقولهِ تعالى في سورة (الرحمن) وسورة (المرسلات) وسورة (الشعراء) ، ويكونُ المُردَّدُ جملةً ومفرداً ، اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وأقلُّهُ : تَكريرُ الكلمةِ مرتينِ ؛ كقولِ أبي نُواسٍ^(١) :

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانَ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ

وهذا النوعُ تَعرِفُ حَسنَهُ بتأمُّلِ مواقِعِهِ واعتبارِ آثارِهِ .



(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥٣) .

المناسبة

هي أن يأتي المتكلم بألفاظ متوازنة ، وأحسنها : مُقَفَّأها ؛ كقول مروان بن
[أبي] حفصة^(١) :

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزَلُوا



(١) انظر « ديوان مروان بن أبي حفصة » (ص ٨٨) .

الجمعُ

هو أن يذكُر أمرين أو أكثرَ ليَجعلَ المُتعدِّدَ مُتَّحِداً بِمعنى مُشتركٍ ؛ كقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ ﴾ ^(١) .

ومنه قولُ أبي العتاهية ^(٢) :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ



(١) سورة الكهف : (٤٦) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢٨٣/٢) .

الانسجام

يُقَالُ : انسجمَ الغيثُ ؛ إذا اتصلَ انهمالُهُ في سهولةٍ ، وهذا النوعُ مِنَ البديعِ حاصلُهُ : أن يكونَ الكلامُ حسنَ التآليفِ حروفاً وَكَلِمًا ؛ بحيثُ لا يجدُ المُتكلِّمُ بِهِ عُسْرًا ما على آتِ النطقِ حتى كأنَّهُ لسلاستِهِ يمضي وحدهُ معَ النفسِ دونَ عملٍ .

وسببُ ذلكَ : هوَ السببُ الذي مِنْ جهتهِ تَمَيُّزُ الشعرِ ؛ حيثُ كانتَ عبارتهُ مُفصَّلةَ الحركاتِ والسَّكَنَاتِ على أوضاعٍ معينةٍ ، فإذا قَوِيَتْ مراعاةُ ذلكَ التفصيلِ ؛ بكونِ الحروفِ متلائمةً مُفصَّلةً حركاتها بالسكَنَاتِ على حدِّ التناسبِ ، ممدودةً بأحرفِ المدِّ . . . إلى غيرِ ذلكَ ممَّا يُوجِبُ سهولةَ النطقِ . . أخذَ الكلامُ هيئةً لا تختلفُ النفوسُ في استحسانِها ، وتلكَ الهيئةُ هي المُسمَّاةُ بالانسجامِ .

وجميعُ الكتابِ العزيزِ شاهدٌ لهذا النوعِ ، واعتبرُ ذلكَ بقراءةِ القُرَّاءِ إذا مدُّوا أصواتَهُمْ في قراءتِهِ ، فإنَّكَ لا تجدُ ذلكَ يتفقُ في كلامٍ ، ولا يمكنُ أن يعطيَهُمْ الحالةَ التي يعطيها القُرَّانُ إيَّاهُمْ .

ومنِ إساءةِ الأدبِ وقِلَّةِ التحفِظِ بنقصانِ المعرفةِ : ما وقعَ في هذا الموضعِ لبعضِ المُتكلِّمينِ في فنِّ البديعِ مِنْ قولِهِ : إنَّ الكلامَ بانسجامِهِ يصيرُ شعراً دونَ قصيدٍ ، حيثُ جعلَ المَرَجِعَ إلى موافقةِ الشعرِ ، معَ أنَّ الشعرَ قليلٌ فيه المُنسجمُ ، ولذلكَ بحثوا عن أبياتٍ مِنْ قصائدٍ في العصورِ المتتابعةِ ليجعلوها أمثلةً للانسجامِ ، ومتى كانَ المَرَجِعُ في أمرِ الانسجامِ إلى اختبارِ نطقِكَ بالكلامِ ، ولم تكنْ مِنْ أهلِ العِيِّ . . لم تكنْ مُفتقراً إلى اعتبارِهِ بشعرٍ أو غيرهِ .

وممّا لا يَسْتَحْسِنُهُ الْأَدَبُ أَنْ يُقَالَ : قَوْلُهُ تَعَالَى كَذَا هُوَ مِنَ الْبَحْرِ
 الْفُلَانِي ، وَيَعْتَدُونَ فِي تَنْزِيهِ الْقُرْآنِ عَنِ الشَّعْرِ بِكَوْنِ الْوِزْنِ غَيْرِ مَقْصُودٍ ،
 وَإِذَا كَانَ الشَّعْرُ مُحَدُودًا بِالْكَلَامِ الْمَوْزُونِ الْمُقْفَى . . فَلَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بَيْتٌ
 كَامِلٌ ، فَلَسْتَ مُحْتَاجًا لِذَلِكَ الْإِعْتِذَارِ ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يُشْبِهُ
 بَيْتًا أَصْلًا .

[ذَكَرُ أَمْثَلَةٍ مِنَ الْإِنْسِجَامِ]

هَذَا ؛ وَلِأَجْلِ أَنْ تَنْظَرَ الْإِنْسِجَامَ فِي كَلَامِ النَّاسِ نَوْرُدُّ عَلَيْكَ أَشْيَاءَ مَمَّا
 مَثَّلُوهُ بِهِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ : قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ^(١) :

[من الكامل]

فَظَلِلْتُ فِي دِمَنِ الدِّيَارِ كَأَنِّي
 نَشْوَانٌ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ
 وَقَوْلُ الْمُنَخَّلِ الْيَشْكُرِيِّ ^(٢) :

[من مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا
 وَالْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَزُ
 فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ
 وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ
 فَدَنْتُ وَقَالَتْ يَا مُنَحَّ
 مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّ
 يَقُولُ فِيهَا :

وَأَحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي
 وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١١٥) .

(٢) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٤٧/٢) .

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنْ أَلْمُدَا
فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي
يَا رَبِّ يَوْمٍ لِمُنَحَّ

مَةَ بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ
رَبُّ الْخَوَزَنَقِ وَالسَّدِيرِ
رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ
لِ قَدْ لَهَا فِيهِ قَصِيرِ

وَمِنْ نَوَاحِيَاتِ الْخَنَسَاءِ . . مَا هُوَ غَايَةٌ فِي الْإِنْسَجَامِ ؛

كَقَوْلِهَا (١) :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَوَادَ الْجَمِيلَ
طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا
إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا أَيَادِيَهُمْ
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
يُحْمِلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ
إِذَا ذُكِرَ الْمَجْدُ الْفَيْتَهُ

أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
دِسَادَ عَشِيرَتِهِ أُمْرَدَا
إِلَى الْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا
مَنْ الْمَجْدِ ثُمَّ مَضَى مُضِعِدَا
وَإِنْ كَانَ أَضْغَرَهُمْ مَوْلِدَا
تَأَزَّرَ بِالْمَجْدِ ثُمَّ أُرْتَدَى

وَلِسَحِيمِ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ (٢) :

أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمْضِ لِي غَيْرُ سَاعَةٍ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى مَالِكًا أَنْ يَبِيعَنِي
أَخُوهُمْ وَمَوْلَاهُمْ وَحَافِظُ سِرِّهِمْ

فَكَيْفَ إِذَا خَبَّ أَلْمَطِيُّ بِنَا عَشْرًا
بِشَيْءٍ وَإِنْ أَضَحَّتْ أَنْامِلُهُ صِفْرًا
وَمَنْ قَدْ تَوَى فِيهِمْ وَعَاشَرَهُمْ دَهْرًا

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ١٤٣) .

(٢) انظر « ديوان سحيم » (ص ٥٦) .

[من عيون شعر الفرزدق في مدح سيدنا زين العابدين]

يُحكى : أنَّ هشامَ بن عبد الملك حجَّ قبل أيامِ إمارته ، فلمَّا أرادَ أن يطوف . . وجدَ المطافَ شديدَ الازدحامِ ، فوُضِعَ له كرسيٌّ ناحيةً ينتظرُ خِفَّةَ الزحمةِ ومعَهُ أتباعُهُ مِنْ أهلِ الشامِ وغيرِهِم ، وفيهِم أبو فراسٍ همَّامُ بنُ غالبِ المشهورُ بالفرزدقِ ، فبينما هُم كذلك . . إذا دخلَ زينُ العابدينَ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، فانفرجَ له الزحامُ ، واحترمهُ الناسُ ، فقال بعضُ أهلِ الشامِ : مَنْ هذا الذي هابهُ الناسُ هذهَ المَهابةَ ؟! فقالَ هشامُ : لا أعرفُهُ ، تجاهلُهُ خوفاً أن يميلَ له أهلُ الشامِ ، فقالَ الفرزدقُ : لكن أنا أعرفُهُ ، فقيلَ له : مَنْ هو يا أبا فراسٍ ، فارتجلَ قصيدةً هي مِنْ أكرمِ شواهدِ هذا النوعِ ، وإذا قرنتها بسائرِ شعرِهِ . . وجدتَ الماءَ والصَّخرَ ؛ وهي هذه^(١) :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائَتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِجْلُ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا النَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْهُ فُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يَنْمِي إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ عَنِ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِزْفَانُ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ وَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
اللَّهُ شَرَّفَهُ قَدَمًا وَفَضَّلَهُ جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ

(١) انظر «ديوان الفرزدق» (٢/٣٥٣) .

الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَزَتْ وَالْعَجَمُ
 يَزِينُهُ أَثْنَانِ حُسْنُ الْخَلْقِ وَالْكَرَمُ
 حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَخْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
 رَحْبُ الْفِنَاءِ أَرِيْبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ
 كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمُ
 أَوْ قَيْلٍ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قَيْلَ هُمْ
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
 وَالْأَسْدُ أَسْدُ الشَّرِّ وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ
 سِيَانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
 وَيُسْتَرَبُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ
 فِي كُلِّ بَدءٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ
 حَيْمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنَّدَى هُضْمُ
 لِأَوْلِيَّةِ هَذَا أَوْلَاهُ نَعَمُ
 وَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

فَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
 حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فُدِحُوا
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ
 مِنْ مَعْشَرِ حُبُّهُمْ دِينَ وَيُبْغِضُهُمْ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ الثَّقَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ
 هُمْ الْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزَمَةُ أَزَمَتْ
 لَا يُنْقِصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
 يُسْتَدْفَعُ الشُّوْءُ وَالْبَلَاؤُ بِحُبِّهِمْ
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الدَّمُ سَاحَتَهُمْ
 أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
 مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ دَا

[قصيدةٌ لكثير عزةٍ من هذا الباب]

[من الطويل]

قَلُوصِيكُمْ مَا نَمَّ أَبِكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ
 وَلَا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ

ولكثير عزة (١):

خَلِيلِي هَذَا رُبْعُ عَزَّةٍ فَاعْقِلَا
 وَمَا كُنْتُ أَدرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا أَلْبُكََا

(١) انظر «ديوان كثير عزة» (ص ٩٥).

فَلَا يَحْسَبِ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي
فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَا حَلَّ قَبْلَهَا
وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا
وَكَأَنْتَ لِقَطْعِ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ
أَبَاحَتْ حِمِّي لَمْ يَزِعْهُ النَّاسُ قَبْلَهَا
أُرِيدُ ثَوَاءً عِنْدَهَا وَأُظْنُّهَا
فَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ
يُكَلِّفُهَا الْعَيْرَانُ شَتْمِي وَمَا بِهَا
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّ وِرَاءَنَا
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ
فَمَا أَنَا بِالِدَّاعِي لِعِزَّةِ بِالرَّدَى
وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعِزَّةِ بَعْدَمَا
لَكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا غَمَامَةٌ مُنْحَلٍ
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ
صَفُوحًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ

بِعِزَّةِ كَأَنْتَ غِرَّةٌ فَتَجَلَّتِ
وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خِلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتِ
وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّتِ
كَنَادِرَةٌ نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتِ
إِذَا وُطِنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ
وَحَلَّتِ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حَلَّتِ
إِذَا مَا أَطْلَنَّا عِنْدَهَا أَلْمُكْتَ مَلَّتِ
لِهَجْرِي وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتِ
هُوَانِي وَلَكِنْ لِلْمَلِكِ اسْتَدَلَّتِ
لِعِزَّةِ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ
وَحَقَّتْ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتِ
مَهَامَةٌ إِنْ سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ كَلَّتِ
لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ
وَلَا شَامِتٍ إِنْ نَعَلُ عِزَّةٍ زَلَّتِ
تَخَلَّتِ عَنْهَا بُزْهَةٌ وَتَخَلَّتِ
تَبَوُّاً مِنْهَا لِلْمَقِيلِ أَضْمَحَلَّتِ
رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ اسْتَهَلَّتِ
مِنْ الْعُضْمِ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُضْمُ زَلَّتِ
فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ النَّيْلَ مَلَّتِ

إِلَيَّ وَأَمَّا بِالنَّوَالِ فَضَنَّتِ
 وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطِنْتَ كَيْفَ زَلَّتِ
 فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا شَدَدْتُ وَحَلَّتِ
 فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبَتُ وَزَلَّتِ
 فَقُلْ نَفْسُ حُرِّ سُلَيْتِ فَتَسَلَّتِ
 وَلِلْقَلْبِ وَسَوَاسٍ إِذَا أَلْعَيْنُ مَلَّتِ
 وَأُخْرَى رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ
 بِحَبْلِ ضَعِيفٍ بَانَ عَنْهَا فَضَلَّتِ
 وَكَانَ لَهَا بَاغٍ سِوَايَ فَسَلَّتِ
 رَأَيْتُ الْمَنَايَا شُرْعًا قَدْ أَظَلَّتِ
 وَجُنَّ اللَّوَاتِي قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ
 لَهَا كُلُّ حِينٍ مُقْبِلٍ حَيْثُ حَلَّتِ

فَمَا أَنْصَفَتْ أَمَّا النِّسَاءَ فَبَغَّضَتْ
 فَوَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اغْتِرَّازُهُ
 وَكُنَّا عَقَدْنَا عُقْدَةَ الْوَضْلِ بَيْنَنَا
 وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صُعُودٍ مِنَ الْهَوَى
 فَإِنْ تَسَأَلَ الْوَأَشُونَ كَيْفَ سَلَوْتَهَا
 وَلِلْعَيْنِ تَذَرَاتُ إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا
 فَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَاحِحَةٍ
 فَلَيْتَ قَلُوصِي عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدَتْ
 وَأَصْبَحَ فِي الْقَوْمِ الْمُقِيمِينَ رَحَلْنَا
 تَمَنِّيْتُهَا حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَهَا
 أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كَانَ يَبْغِي لَهَا الرَّدَى
 عَلَيْهَا نَحِيَّاتُ السَّلَامِ هَدِيَّةٌ

[أمثلة أخرى للانسجام]

[من الطويل]
 فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدًّا عَلَيَّ وَجِدِي
 عَلَيَّ فَنَنْ غَضِرَ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ
 جَزُوعًا وَأَبْدَيْتِ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
 يَمَلُّ وَأَنَّ الْبُعْدَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ

ولا بن الدُّمَيْنَةِ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْعَرَبِ^(١) :
 أَلَا يَا صَبَا نَجِدِ مَتَى هِجَتِ مِنْ نَجِدِ
 أَلِنْ هَتَفْتُ وَرَفَاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
 بَكَيْتِ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ
 وَقَدْ رَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا

(١) انظر «ديوان ابن الدُّمَيْنَةِ» (ص ٨٥).

بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشَفَّ مَا بِنَا

عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعِ

وليزيد بن الطَّحْرِيَّةِ مِنْهُمْ أَيْضاً^(١) :

بِرَغْمِي أُطِيلُ الصَّدَّ عَنْهَا وَإِنْ نَأَتْ

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى

ولبشار بن برد^(٢) :

عَبْدُ إِتْيِ إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ

أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْ

عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ

إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِنِي وَدِّ

[من الطويل]

أَحَاذِرُ أَسْمَاعاً عَلَيْهَا وَأَعِينَا

فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكَّنَا

[من الخفيف]

لِتَلَّاقِ وَكَيْفَ لِي بِتَلَّاقِ

كَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ

وعبدة : اسم حبيبة له كثيراً ما يهتف بها في شعره ؛ كقولهِ^(٣) : [من الرمل]

وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ أَلَمِّ

أَنْنِي يَا عَبْدُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمِّ

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ

رَوْحِي يَا عَبْدُ عَنِّي وَأَعْلَمِي

ولمسلم بن الوليد ، وهو عصريُّ أبي نُوَاسٍ ، وكان الناسُ مختلفين في

المفاضلة بينهما ، وأهل فنِّ الكتابة على تفضيل مسلم^(٤) : [من الطويل]

وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلِي دَخْلِي

وَلَكِنْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَجِلُّ لَهَا قَتْلِي

فَلَمْ يَدْرِ مَا بِي وَأَسْتَرْخْتُ مِنَ الْعَدْلِ

أَدِيرَا عَلَيَّ الْكَأْسَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي

فَمَا جَزَعِي أَنْيَ أُمُوتُ صَبَابَةً

كَتَمْتُ تَبَارِيحَ الصَّبَابَةِ عَاذِلِي

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٣٧٠ / ٦) .

(٢) انظر « ديوان بشار بن برد » (١٣٧ / ٤) .

(٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (١٨٧ / ٤) .

(٤) انظر « مصارع العشاق » (٣٧ / ١) .

أَحِبُّ أَلَّتِي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا
 دَعْوُهُ أَلْتُرِيَا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصَلِي
 أَمَاتَتْ وَأَخِيَتْ مُهَجَّتِي فَهِيَ عِنْدَهَا
 مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ الْمَوَاعِيدِ وَالْمَطَلِ
 سَأَنْقَادُ لِلذَّاتِ مُنْبَعِثُ الْهَوَى
 لِأَمْضِي هَمًّا أَوْ أُصِيبَ فَتَى مِثْلِي
 هَلِ الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصَّبَا
 وَتَغْدُو صَرِيحَ الْكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ النَّجْلِ
 يُقَالُ : إِنَّ الرُّشِيدَ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ عِنْدَ إِنْشَادِ الْقَصِيدَةِ . . لَقَّبَ مُسَلِّمًا :
 صَرِيحَ الْغَوَانِي .

ولعليّ بن الجهم وهو عصريّ أبي عبادة الوليد البحرّي^(١) : [من الطويل]
 عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجَسْرِ
 جَلْبَنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ نَدْرِي وَلَا نَدْرِي
 أَعَدَنْ لِي الشُّوقَ الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ
 سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنْ جَمْرًا عَلَيَّ جَمْرٍ
 سَلِمَنْ وَأَسَلِمَنْ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا
 تُشَكُّ بِأَطْرَافِ الْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
 خَلِيلِي مَا أَحَلَى الْهَوَى وَأَمْرُهُ
 وَأَعْرَفَنِي بِالْحُلُومِ مِنْهُ وَبِالْمُرِّ
 كَفَى بِالْهَوَى شُغْلًا وَبِالشَّيْبِ زَاجِرًا
 لَوْ أَنَّ الْهَوَى مِمَّا يُنْهَنهُ بِالزَّجْرِ
 بِمَا بَيْنَنَا مِنْ حُزْمَةٍ هَلْ عَلِمْتُمَا
 أَرَقَّ مِنَ الشُّكُوى وَأَقْسَى مِنَ الْهَجْرِ
 وَأَفْضَحَ مِنْ عَيْنِ الْمُحِبِّ لِسِرِّهِ
 وَلَا سِيَّمَا إِنْ أَطْلَقْتَ عَبْرَةً تَجْرِي
 وَمَا أَنْسَمِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَمَ قَوْلُهَا
 لِجَارَتِهَا مَا أَوْلَعَ الْحُبَّ بِالْحَرِّ
 فَقَالَتْ لَهَا الْأُخْرَى فَمَا لِصَدِيقِنَا
 مُعَتَى وَهَلْ فِي قَتْلِهِ لَكَ مِنْ عُذْرٍ
 صِلِيهِ لَعَلَّ الْوَصْلَ يُخَيِّيه وَأَعْلَمِي
 بِأَنَّ أَسِيرَ الْحُبِّ فِي أَعْظَمِ الْأَسْرِ

(١) انظر « ديوان علي بن الجهم » (ص ١٣٥) .

فَقَالَتْ أَدُوْدُ النَّاسِ عَنْهُ وَقَلَّمَا
وَأَيَقَنَتَا أَنِّي سَمِعْتُ فَقَالَتَا
فَقُلْتُ فَتَىٰ إِن شِئْتُمَا كَتَمَ الْهَوَىٰ
عَلَىٰ أَنَّهُ يَشْكُو ظُلُومًا وَيُخْلَهَا
فَقَالَتْ هُجِينَا قُلْتُ قَدْ كَانَ بَعْضُ مَا
فَقَالَتْ كَأَنِّي بِالْقَوَافِي سَوَائِرًا
فَقُلْتُ أَسَاتِ الظَّنِّ بِي لَسْتُ شَاعِرًا
صَلِيٍّ وَسَلِيٍّ مَنْ شِئْتَ يُخْبِرُكَ أَنَّنِي
وَمَا أَنَا مِمَّنْ سَارَ بِالشِّعْرِ ذِكْرُهُ
وَلِلشِّعْرِ أَتْبَاعٌ كَثِيرٌ وَلَمْ أَكُنْ
وَلَكِنَّ إِحْسَانَ الخَلِيفَةِ جَعْفَرَ
فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَلَوْ جَلَّ عَنْ شُكْرِ الصَّنِيعَةِ مُنْعَمٌ
وَمَنْ قَالَ إِنَّ القَطْرَ وَالبَحْرَ أَشْبَهَا
وَلَوْ قُرِنْتَ بِالبَحْرِ تِسْعَةُ أَبْحُرِ

يَطِيبُ الْهَوَىٰ إِلَّا لِمُنْهَتِكَ السِّرِ
مَنْ الطَّارِقُ الْمُضْغِي إِلَيْنَا وَلَا نَذْرِي
وَالَّا فَخَلَّاعُ الأَعِنَّةِ وَالْعُدْرِ
عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ البَشَاشَةِ وَالبِشْرِ
ذَكَرْتَ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْفَعُ بِالشَّرِّ
يَرْدَنَ بِنَا مِضْرًا وَيَضْدُرْنَ عَنْ مِضْرِ
وَإِنْ كَانَ أَحْيَانًا يَجِيشُ بِهِ صَدْرِي
عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ نِعَمَ مُسْتَوْدَعِ السِّرِّ
وَلَكِنَّ أَشْعَارِي يُسَيِّرُهَا ذِكْرِي
لَهُ تَابِعًا فِي حَالِ عُسْرٍ وَلَا يُسْرِ
دَعَانِي إِلَىٰ مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ الشِّعْرِ
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ
لَجَلَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الشُّكْرِ
نَدَاهُ فَقَدْ أَتْنَىٰ عَلَى القَطْرِ وَالبَحْرِ
لَمَا بَلَغْتَ جَدْوَىٰ أَنَامِلِهِ العَشْرِ



وَمِنَ القِصَائِدِ الَّتِي يَنْبَغِي لِكُلِّ مُتَأَدِّبٍ رَوَايَتُهَا : قَصِيدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ زُرَيْقٍ

البغدادِي .

وكان قصد الأندلس في طلب الغنى ، فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه^(١) :

[من البسيط]

قَدْ قُلْتِ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
مَنْ حَيْثُ قَدَرْتِ أَنَّ اللَّوْمَ يَنْفَعُهُ
مِنْ عُنْفِهِ فَهُوَ مُضْنَى الْقَلْبِ مُوجَعُهُ
فَضِيْقَتْ بِخُطُوبِ الْبَيْنِ أَضْلَعُهُ
مِنَ النَّوَى كُلِّ يَوْمٍ مَا يُرْوَعُهُ
رَأَيْتِ إِلَى سَفَرٍ بِالْعَزْمِ يَجْمَعُهُ
مُوكَّلٌ بِفَضَاءِ الْأَرْضِ يَذْرَعُهُ
وَلَوْ إِلَى السِّنْدِ أَضْحَى وَهُوَ يُزِمُّعُهُ
لِلرِّزْقِ كَدًّا وَكَمْ مِمَّنْ يُودِّعُهُ
رِزْقًا وَلَا دَعَاةُ الْإِنْسَانَ تَقْطَعُهُ
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مَخْلُوقًا يُضَيِّعُهُ
مُسْتَرْزَقًا وَسِوَى الْغَايَاتِ يُفْنِعُهُ
بَغْيِي أَلَا إِنَّ بَغْيِي الْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
يَوْمًا وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْمِعُهُ
بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلِعُهُ
صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنْبِي لَا أُوَدِّعُهُ
وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشْفِقُهُ

لَا تَغْدِيلِيهِ فَإِنَّ الْعَدَلَ يُولِعُهُ
جَاوَزْتِ فِي لَوْمِهِ حَدًّا أَضْرَبِيهِ
فَأَسْتَعْمِلِي الرِّفْقَ فِي تَأْنِيْبِهِ بَدَلًا
قَدْ كَانَ مُضْطَلِعًا بِالْخَطْبِ يَحْمِلُهُ
يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ التَّفْنِيدِ أَنَّ لَهُ
مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ حِلٍّ وَمُزْتَحَلٍّ
إِذَا الزَّمَاعُ أَرَاهُ فِي الرَّحِيلِ غَنِيٍّ
تَأْبَى الْمَطَامِعُ إِلَّا أَنْ تُجَشِّمَهُ
وَمَا مُجَاهِدَةُ الْإِنْسَانَ تُوَصِّلُهُ
وَاللَّهُ فَسَمَ بَيْنَ الْخَلْقِ رِزْقَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مَلِئُوا حِرْصًا فَلَسْتَ تَرَى
وَالسَّغْيُ فِي الرِّزْقِ وَالْأَزْرَاقُ قَدْ قُسِمَتْ
وَالدَّهْرُ يُعْطِي الْفَتَى مَا لَيْسَ يَطْلُبُهُ
أَسْتُوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمْرًا
وَدَّعْتُهُ وَبِوَدِّي لَوْ يُودِّعُنِي
وَكَمْ تَشْفَعُ أَيْبِي لَا أَفَارِقُهُ

(١) انظر « أنوار الربيع » (١٧٨/٤) .

وَكَمْ تَشَبَّتْ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضُحَى
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ نَوْبَ الْعُذْرِ مُنْخَرِقٌ
إِنِّي أَوْسَعُ عُذْرِي فِي جِنَايَتِهِ
أَعْطَيْتُ مُلْكَاً فَلَمْ أَحْسِنِ سِيَاسَتَهُ
وَمَنْ غَدَا لَابِساً نَوْبَ التَّعِيمِ بِلَا
إِعْتَضْتُ عَنْ وَجْهِ خَلِيٍّ بَعْدَ فُرْقَتِهِ
كَمْ قَائِلٍ لِي ذَنْبُ الْبَيْنِ قُلْتُ لَهُ
هَلَا أَقَمْتَ فَكَانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُهُ
إِنِّي لَأَقْطَعُ أَيَّامِي وَأُنْفِذُهَا
بِمَنْ إِذَا هَجَعَ النُّوَامُ بِتُّ لَهُ
لَا يَطْمَئِنُّ لِحَنِّي مَضْجَعٌ وَكَذَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يُفْجَعُنِي
حَتَّى جَرَى الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدِ
بِاللَّهِ يَا مَنْزِلَ الْقُصْفِ الَّذِي دَرَسَتْ
هَلِ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فَيْكَ لَدَّتْنَا
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَضْبَحَتْ مَنْزِلَهُ
مَنْ عِنْدَهُ لِي عَهْدٌ لَا يُضَيِّعُهُ
وَمَنْ يُصَدِّعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا
لَأُضْبِرَنَّ لِدَهْرٍ لَا يُمَتِّعُنِي
عِلْماً بِأَنَّ أَصْطِبَارِي مُعَقَّبٌ فَرَجاً

وَأَذْمَعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَذْمَعُهُ
عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أَرْقَعُهُ
بِالْبَيْنِ عَنْهُ وَقَلْبِي لَا يُوسِّعُهُ
كَذَاكَ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يَخْلَعُهُ
شُكْرَ الْإِلَهِ فَعَنَّهُ اللَّهُ يَنْزِعُهُ
كَأْساً أُجْرَعُ مِنْهَا مَا أُجْرَعُهُ
الذَّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي لَسْتُ أَدْفَعُهُ
لَوْ أَنَّ بِي يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ أَتْبَعُهُ
بِحَسْرَةٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي تُقَطِّعُهُ
بِلَوْعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ
لَا يَطْمَئِنُّ لَهُ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ
بِهِ وَلَا أَنَّ بِي الْأَيَّامُ تَفْجَعُهُ
عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِي وَتَمْنَعُهُ
آثَارُهُ وَعَفَتْ مُذْ غِبْتُ أَرْبَعُهُ
أَمْ اللَّيَالِي الَّذِي أَمْضَتْهُ تُرْجَعُهُ
وَجَادَ غَيْثٌ عَلَيَّ [مَغْنَاكَ] يُمْرِعُهُ
كَمَا لَهُ عَهْدٌ صِدْقٍ لَا أُضَيِّعُهُ
جَرَى عَلَيَّ قَلْبِي ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ
بِهِ وَلَا بِي فِي حَالٍ يُمَتِّعُهُ
وَأَضَيِّقُ الْأَمْرَ إِنْ فَكَّرْتُ أَوْسَعُهُ

عَلَّ اللَّيَالِي أَلَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ
وَأِنْ تَنَلْ أَحَدًا مِنَّا مَنِيَّتُهُ فَمَا الَّذِي بِقَضَاءِ اللَّهِ يَصْنَعُهُ
يُحْكِي : أَنَّ بَعْضَ مَلُوكِ مِصْرَ مِنَ الْعَبِيدِينَ الْفَوَاطِمِ جُلِبَتْ لَهُ جَارِيَةٌ مُغْنِيَةٌ
مِنْ جَوَارِي بَغْدَادَ وَكَانَتْ مِنْ أَظْرَفِهِنَّ ، فَاشْتَدَّ بِهَا إِعْجَابُهُ ، وَتَاهَ فِيهَا لُبُّهُ ،
فَكَانَ أَوَّلَ مَا غَنَّتْ (١) :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ . . .

فوردَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّرِبِ مَا أَذْهَلَهُ حَتَّى قَالَ لَهَا : تَمَنِّي عَلَيَّ ، فَقَالَتْ : كَائِنَا
مَا كَانَ ؟ فَقَالَ : كَائِنَا مَا كَانَ ، فَقَالَتْ : أَغْنِي هَذَا الصَّوْتُ بِبَغْدَادَ .
فَبِهَتْ لِذَلِكَ سَاعَةً ، ثُمَّ التَفَتَ لِشَيْخٍ كَانَ لَهُ سَمِيرًا وَبِهِ خَصِيصًا يُقَالُ لَهُ :
أَبُو عَلِيٍّ الْأَسْكَرِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتَ مَا نَزَلَ بِنَا ، وَلَا بَدَّ مِنَ الْوَفَاءِ ، وَلَا
أَثَقُ بِغَيْرِكَ ، فَتَجَهَّزْ لِلْحَجِّ وَخُذْهَا مَعَكَ ، فَإِذَا فَرَعْتَ . . فَاجْعَلْ طَرِيقَكَ عَلَى
بَغْدَادَ ، فَإِذَا بَلَغْتَ أَمْنِيَّتَهَا . . فَاسْرِعِ الْإِنْحِدَارَ إِلَيْنَا .

فَكَانَ ذَلِكَ ، حَتَّى وَصَلَ بِهَا إِلَى مَحَلٍّ يُسَمَّى (الْقَادِسيَّة) ، وَهُوَ أَوَّلُ
سَوَادِ بَغْدَادَ ، وَكَانَ الْحُجَّاجُ يَنْزِلُونَ بِهِ فِي ذَهَابِهِمْ وَإِيَابِهِمْ ، فَلَمَّا مَضَى شَطْرُ
مِنَ اللَّيْلِ . . رَفَعَتْ تِلْكَ الْجَارِيَةُ صَوْتَهَا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي هِيَ غَايَةٌ فِي
الْإِنْسِجَامِ ، وَهِيَ لِمُوسَى الْكَاتِبِ الْأَصْبَهَانِيِّ : [من مجزوء الكامل]

لَمَّا وَرَدْنَا الْقَادِسيَّةَ لَمَّا وَرَدْنَا الْقَادِسيَّةَ
وَشِمِمْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَا وَشِمِمْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَا
أَيَقَنْتُ لِي وَلِمَنْ أَحِبُّ أَيْقَنْتُ لِي وَلِمَنْ أَحِبُّ
وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَحِ اللَّقَا وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَحِ اللَّقَا

(١) أحد أبيات قصيدة ابن زريق المأثرة .

لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا تَجَشُّهُمُ هَذِهِ السَّبْعِ الْبَوَاقِي
حَتَّى يَطُولَ حَدِيثُنَا بِصِفَاتِ مَا كُنَّا نَلَاقِي

فلَمَّا فرغَتْ . . ضجَّ الحجيُّ وقالوا : بالله يا صاحب الصوت ؛ أعد ،
فلم تفعل ، وبعد ساعة جاءتْ خادمتُها إلى أبي عليٍّ وقالتْ : إنَّ سيدتي
ليستْ في هودجها ، فأطالوا البحثَ عنها ، ولم يقفوا لها على خبرٍ ، وعادوا
بحسرتها إلى الملكِ ، فلم ينتفعْ بحياته بعدُ .



وشرُّ مهيَّارِ الديلميِّ تلميذِ الشريفِ محمدِ الرضيِّ . . أكثرُهُ مُتمكِّنٌ في
هذا البابِ ، وهو وإن لم يبلغْ تجويدَ أستاذه فلقد بلغَ مِنَ الإحسانِ منزلةً لم
يحلُّها أحدٌ بعدهُ ، وقلَّ مَنْ ألمَّ بها قبلهُ ، فمن ذلك - والقطرةُ تشهدُ لسائرِ
البحرِ - قوله^(١) :

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ كَاطِمَةٍ شَدَّ مَا هَجَّتَ الْجَوَى وَالْبُرْحَا
مَنْ عَذِيرِي يَوْمَ شَرْقِيِّ الْجَمَى مِنْ هَوَى جَدَّ بِقَلْبِ مَرْحَا
الصِّبَا إِنْ كَانَ لَا بُدَّ الصِّبَا إِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي أَرْوَحَا
يَا نَدَامَايَ بِسَلْعٍ هَلْ أَرَى ذَلِكَ الْمُغْبَقَ وَالْمُضْطَبَّحَا
أُذْكَرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ رَبِّ ذِكْرِي قَرَّبَتْ مِنْ نَرْحَا
فَأَرْحَمُوا صَبًّا إِذَا غَتَّى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدْحَا
وقوله^(٢) :

بَطْرَفِكَ وَالْمَسْحُورُ يُقْسِمُ بِالسِّحْرِ أَعْمَدًا رَمَانِي أَمْ أَصَابَ وَلَا يَدْرِي

(١) انظر « ديوان مهيَّارِ الديلميِّ » (١٧٧/١) .

(٢) انظر « ديوان مهيَّارِ الديلميِّ » (٤١٩/١) .

تَعَرَّضَ لِي فِي الْقَانِصِينَ مُسَدِّدَ الْ
رَنَا اللَّحْظَةَ الْأُولَى فَقُلْتُ مُجَرَّبٌ
فَهَلْ ظَنَّ مَا قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ دَمِي
بِنَجْدٍ وَنَجْدٌ دَارُ جُودٍ وَذِمَّةٍ
وَسَمْرَاءَ وَذَّ الْبَدْرُ لَوْ حَالَ لَوْنُهُ
خَلِيلِي هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ وَالْتِفَاتَةٍ
وَهَلْ مَا أَرَانَا الْحَجَّ بِالْخَيْفِ عَائِدٌ
وَلِلَّهِ مَا أَوْفَى الثَّلَاثَ عَلَى مِنِّي
لَقَدْ كُنْتُ لَا أُوْتِي مِنَ الصَّبْرِ قَلَّةً
وَكَُنْتُ الْوَمُ الْعَاشِقِينَ وَلَا أَرَى
فَأَعْدِي إِلَيَّ الْحُبُّ صُحْبَةَ أَهْلِهِ
أَيْشُرُدُ لُبِّي يَا غَزَالَةَ حَاجِرٍ
خُذِي لِحْظَ عَيْنِي فِي الْغُصُونِ إِضَافَةً
وقوله^(١) :

إِشَارَةَ مَذْلُولِ السِّهَامِ عَلَى النَّحْرِ
فَكَرَّرَهَا أُخْرَى فَأَخَسَسْتُ بِالشَّرِّ
مُبَاحًا لَهُ أَمْ نَامَ قَوْمِي عَنِ الْوَتْرِ
مِطَالٌ بِلَا عُسْرِ وَبُخْلٌ بِلَا عُدْرِ
إِلَى لَوْنِهَا فِي صِبْغَةِ الْأَوْجِهِ السُّمْرِ
إِلَى الْقُبَّةِ السَّوْدَاءِ مِنْ جَانِبِ الْحَجْرِ
إِلَى مِثْلِهَا أَمْ عَدَّهَا حِجَّةَ الْعُمْرِ
لِأَهْلِ الْهَوَى لَوْ لَمْ تَحُلْ لَيْلَةَ النَّفْرِ
فَهَلْ تَعْلَمَانِ الْيَوْمَ أَيَّنَ مَضَى صَبْرِي
مَزِيَّةً مَا بَيْنَ الْوَصَالِ إِلَى الْهَجْرِ
وَلَمْ يَدْرِ قَلْبِي أَنَّ دَاءَ الْهَوَى يَسْرِي
وَأَنْتِ بِيذَاتِ الْبَنَانِ مَجْمُوعَةُ الْأَمْرِ
إِلَى الْقَلْبِ أَوْ رُدِّي فُوَادِي إِلَى صَدْرِي
[من الرمل]

بَكَرَ الْعَارِضُ تَحْدُوهُ النَّعَامِي
وَتَمَشَّتْ فِيكَ أَرْوَاحُ الصَّبَا
أَجْتَدِي الْمُزْنَ وَمَاذَا أَرِي
وَقَلِيلًا قَبْلَ أَنْ أَدْعُو لَهَا

فَسَقَاكَ الرَّيِّ يَا دَارَ أَمَامَا
يَتَأَرَّجْنَ بِأَنْفَاسِ الْخُرَامِي
أَنْ تَجُودَ الْمُزْنَ أَطْلَالًا رِمَامَا
مَا رَأَيْتُ اللَّهَ أَسْتَجِدِي الْغَمَامَا

(١) انظر «ديوان مهيبار الديلمي» (٣٤٣/٢) .

أَحْجَازًا أَوْطَنُوهَا أَوْ شَامَا
بِهِمْ أَيْدِي الْمَرَامِي تَتَرَامِي ^(١)
وَالضَّنِينَاتِ وَمَا كُنَّ لِئَامَا
فَقَضَيْنَاهُ أَسْتِلَامَا وَالْتِثَامَا
بِالْحَمَى وَأَقْرَأَ عَلَيَّ قَلْبِي السَّلَامَا
إِنَّ قَلْبًا سَارَ عَنْ جِسْمٍ أَقَامَا
طِيبِ عَيْشٍ بِالْغَضَى لَوْ كَانَ دَامَا
وَقُصَارَى الْوَجْدِ أَنْ أَسْلَخَ عَامَا
قَبْلَ أَنْ تَحْمَلَ شِيحًا وَثَمَامَا
إِنْ أَذِنْتُمْ لِحُفُونِي أَنْ تَنَامَا
أَفِيْقُضِي وَهُوَ لَمْ يَشْفِ أُوَامَا
مَنْعَكُنَّ الْمَاءَ عَنْهُ وَالْمُدَامَا
شَمَلَ الدَّاءَ فَمَنْ يُبْرِي السَّقَامَا

أَيْنَ سُكَّانِكَ لَا أَيْنَ هُمْ
صُدِعُوا بَعْدَ الْتِثَامِ فَغَدَتْ
يَا لُؤَاةَ الدِّينِ عَنْ مَيْسِرَةِ
قَدْ وَقَفْنَا بَعْدَكُمْ فِي رَبِّعِكُمْ
وَبَجْرَعَاءِ الْحَمَى قَلْبِي فَعُجْ
وَتَرَحَّلَ ^(٢) فَتَحَدَّثَ عَجْبًا
قُلْ لِحَيْرَانِ الْغَضَى آهًا عَلَيَّ
تَصِلُ الْعَامَ وَمَا أَنْسَاكُمْ ^(٣)
حَمَلُوا رِيحَ الصَّبَا نَشْرُكُمْ
وَأَبْعَثُوا أَشْبَاحَكُمْ لِي فِي الْكَرَى
وَقَفَ الظَّامِي عَلَيَّ أَبْوَابِكُمْ
مَا يُبَالِي مَنْ سَقَيْتُنَّ اللَّمَى
أَشْتَكِيكُمْ وَإِلَى مَنْ أَشْتَكِي



[من الطويل]

ولابن الخياطِ الدمشقي ^(٤) :

فَقَدْ كَادَ رِيَّاهَا تَطِيرُ بِلَبِّهِ

خُدُوا مِنْ صَبَا نَجِدِ أَمَانًا لِقَلْبِهِ

(١) في «ديوان مهيار الديلمي» (٣٤٤/٢) : (المومني) وهي الصحاري .

(٢) في «ديوان مهيار الديلمي» (٣٤٤/٢) : (وترجّل) بدل (وترحل) .

(٣) في «ديوان مهيار الديلمي» (٣٤٤/٢) : (نصل) بدل (تصل) .

(٤) انظر «ديوان ابن الخياط الدمشقي» (ص ١٧٠) .

وَإِيَّاكُمْ ذَاكَ النَّسِيمَ فَإِنَّهُ
 خَلِيلِي لَوْ أَحْبَبْتُمَا لَعَلِمْتُمَا
 تَذَكَّرَ وَالذِّكْرَى تَشَوْقُ وَذُو الْهَوَى
 غَرَامٌ عَلَى يَأْسِ الْهَوَى وَرَجَائِهِ
 وَفِي الرِّكْبِ مَطْوِيٍّ الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى
 إِذَا خَطَرَتْ مِنْ جَانِبِ الرَّمْلِ نَفْحَةٌ
 وَمُحْتَجِبٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مُعْرِضٍ
 أَعَارُ إِذَا آنَسْتُ فِي الْحَيِّ أَنَّهُ
 مَتَى هَبَّ كَانَ الْوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
 مَحَلَّ الْهَوَى مِنْ مُغْرَمِ الْقَلْبِ صَبِّهِ
 يَتَوْقُ وَمَنْ يَعْلَقُ بِهِ الْحُبُّ يُضْبِهِ
 وَشَوْقٌ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَقُرْبِهِ
 مَتَى يَدْعُهُ دَاعِي الْغَرَامِ يُلَبِّهِ
 تَضَمَّنَ مِنْهَا دَاءَهُ دُونَ صَحْبِهِ
 وَفِي الْقَلْبِ مِنْ إِعْرَاضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ
 حَذَارًا وَخَوْفًا أَنْ تَكُونَ لِحُبِّهِ



هذا ؛ وإنما جلبت لك هذا القدر ، وأمسكت عن الزيادة . . ليكون باعثاً
 لك على طلب مثله ، والاعتناء بتحفظه ، والتروي بعدوية موارده ، حتى
 تضرب صفحاً عن التغلغل في وُجراتِ الصُّعوباتِ ، وإذا انتهى بنا القولُ إن
 شاءَ اللهُ تعالى في الشعرِ . . فهنالك يحسنُ إيرادُ ما يُختارُ منه عصراً فعصراً ،
 ومنَ اللهُ نستمدُّ ، وعلى معونته نعتمدُ .



ائتلافُ المعنى مع المعنى

هو أن يُقرَنَ بالمعنى ما يناسبُه ويشتدُّ ارتباطُه به ، وتارةً لا يكونُ الملائمُ المذكورُ مُزاحماً بملائمٍ آخَرَ ، وتارةً يكونُ مُزاحماً بملائمٍ آخَرَ يظهرُ في بادئِ الرأي أَنَّهُ الأوَّلِي ، وعندَ التحقيقِ يُعَلَمُ أَنَّ المذكورَ هو الملائمُ .

فَمِنَ القِسْمِ الأوَّلِ : قولُ أبي الطيبِ ^(١) :

فَالْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكُذْرِيِّ طَائِرَةٌ وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ
فقرنَ بينَ العربِ الذينَ بلادُهُم في المفاوزِ والسهولِ مِنَ الأَرْضِ التي هِيَ مساكنُ القِطَا ، وقرنَ بينَ الرُّومِ الذينَ مساكنُهُم الجبالُ التي هِيَ مساكنُ الحَجَلِ ، وبينَ ما يناسبُ كلاً مِنَ الفريقيينِ ؛ يعني : أَنَّ وقائعَ الممدوحِ ورهبتَهُ عَمَّتِ السهَلَ والجبلَ .



وَمِنَ الثَّانِي : قولُ امرئِ القيسِ ^(٢) :

كَأَنِّي لَمْ أَزَكِبْ جَوَاداً لِلدَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبَأْ الرِّقَّ الرُّوِيَّ وَلَمْ أَقْلُ لِحْيَلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
وقولُ أبي الطيبِ ^(٣) :

وَقَفَّتْ وَمَا فِي أَلْمُوتِ شَكٌّ لِيَوَاقِفِ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَتَغْرُكَ بِأَسْمِ

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٨) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٥) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٩١ - ٢٩٢) .

[بين المتنبي وسيف الدولة]

يُقَالُ : إِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَلِيَّ بْنَ حَمْدَانَ لَمَّا سَمِعَ قَصِيدَةَ هَذَا بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ . . .
 طَرَبَ لَهَا وَأَعْجَبَ بِهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي الطَّيِّبِ : إِنِّي أَنْتَقِدُ عَلَيْكَ فِي
 قَوْلِكَ : (وَقَفْتُ . . .) الْبَيْتَيْنِ ، بِمِثْلِ مَا أَنْتَقَدَ بِهِ عَلَيَّ امْرَأُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ :
 (كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ . . .) وَهُوَ أَنَّ الْمَلَاءِمَةَ بَيْنَ الْمَعَانِي تَقْتَضِي تَصْدِيرَ كُلِّ
 مِّنَ الْبَيْتَيْنِ بِصَدْرِ صَاحِبِهِ ، فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : لَيْسَ الْمُنْتَقِدُ عَلَيَّ امْرَأُ الْقَيْسِ
 أَعْلَمَ مِنْهُ بِالشَّعْرِ ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْبِزَازِ بِالشُّوبِ لَيْسَتْ كَمَعْرِفَةِ نَاسِجِهِ ، أَرَادَ امْرَأُ
 الْقَيْسِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ مَرْكَبِي اللَّذَّةِ ؛ وَهِيَ خَيْلُ الصَّيْدِ وَالنِّسَاءِ ، وَبَيْنَ الْكِرْمِ
 وَالشُّجَاعَةِ ، وَلَوْ جَمَعَ بَيْنَ الصَّيْدِ وَالشُّجَاعَةِ ، وَبَيْنَ الْكِرْمِ وَالنِّسَاءِ . . . لَقَالَتْ
 لَهُ الصَّنَاعَةُ : دَعْنِي ، فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِي ، وَأَنَا لَمَّا أَرَدْتُ ذَكَرَ الثَّبَاتِ وَصَدَقَ
 الْعِزْمِ وَحَسَنَ الطَّمَأِينَةَ . . . ضَرَبْتُ الْمِثْلَ فِي الْإِحَاطَةِ وَالْأَمْنِ وَعَدَمِ الْمِبَالَاةِ
 بِالْكُونِ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ ، وَلَمَّا ذَكَرْتُ مَرُورَ الْكَلْمَى الْمَهْزُومِينَ وَهُمْ
 الْعَاسُونَ الْبَاكُونَ . . . طَابَقْتُ بِذِكْرِ وَضَاحَةِ الْوَجْهِ وَالِابْتِسَامِ ، فَعِنْدَ التَّأْمُلِ صَارَ
 الْمَلَائِمُ الظَّاهِرُ غَيْرَ مَلَائِمِ .

وهذا النوع في الكلام من المداحض يستدعي من مريد الإنشاء
 أو فهم كلام الغير شدة فكر ودقة نظر؛ ليعرف حسن الملاءمة في مثل
 قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوِّنِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾ (١)؛ حيث
 وصف المؤمنين بأنهم لا يزالون ملاحظين في أعمالهم الخير المحض
 والرحمة الصرفة، فهم لا يخشون ويخافون بعلة كونه جباراً شديداً
 العقاب، بل هم مجلئون له معظموه مستحضراً لهم بصفات الحنان
 والرحمة .

(١) سورة يس: (١١) .

وفي مثل قوله : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا جُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ وَأَنْتَ لَا تَقْلَمُوا فِيهَا وَلَا
تَصْحَى ﴿ (١) .

وُيَبِّينُ لَكَ هَذَا حَقَّ الْإِبَانَةِ مَا يُحْكِي : عن بهاء الدين زهيرِ المصريِّ مع
الشاعرِ المَغرَبِيِّ الذي قصدهُ مِنْ بِلَادِهِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ الرِّقَّةَ المَشْرِقِيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ تَعْلِيمُهُ بِالْقَوَاعِدِ ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِإِدْمَانِ مَطَالَعَةِ كَلَامِ الْبُلْغَاءِ ،
مَعَ التَّأَمُّلِ فِي تَأْلِيفِهِ ، وَلَكِنْ سَأَلْتَنِي عَلَيْكَ صَدْرَ بَيْتٍ وَأَنْتَ تَجْتَهِدُ فِي
تَكْمِيلِهِ ، فَسَمِعَ مِنْهُ قَوْلُهُ (٢) :

يَا بَانَ وَادِي الْأَجْرِعِ

فجاءهُ مِنَ الْغَدِ وَأَنْشَدَهُ :

يَا بَانَ وَادِي الْأَجْرِعِ سُقِيَتْ غَيْثَ الْأَذْمَعِ
يَخْطُرُ بِالْبَالِ عِنْدَ ذِكْرِ الشَّجَرِ أَنَّهُ يَحْتَاجُ لِلسَّقِيِّ ، وَأَنَّهُ إِذَا سُقِيَ الْكُفَايَةَ . .
كَانَ أَنْصَرَ لَهُ وَأَنْمَى ، وَمِنْ حَيْثُ كَوْنُ الْمَقَامِ مَقَامَ ذِكْرِ الْعَشْقِ وَالْغَرَامِ . . جَعَلَ
السُّقْيَا لِذَلِكَ الْبَانَ مِنْ دَمُوعِهِ ، وَلَمْ يَتَذَكَّرْ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِهَذَا الدَّعَاءِ ؛ فَإِنَّهُ
يَسْتَلْزِمُ دَوَامَ بَكَائِهِ أَوْ كَثْرَتَهُ وَتَتَابِعَ أَحْزَانِهِ ، وَأَنْ انْتِفَاعَ الشَّجَرِ بِالْمَاءِ الْعَذْبِ ،
لَا بِدَمُوعِهِ الْمَلْحَةِ ، فَقَالَ لَهُ الصَّاحِبُ زَهِيرٌ : هَلَّا قَلْتَ :

يَا بَانَ وَادِي الْأَجْرِعِ هَلْ مِلْتَ مِنْ طَرَبِ مَعِي
فَصَفَّقَ الْمَغْرِبِيُّ وَكَادَ يَطِيرُ فَرِحًا ، وَقَالَ : ذَلِكَ مَا لَا يَتَأْتَى لِمِثْلِي .



(١) سورة طه : (١١٨) .

(٢) تقدم مع الخبر (١٢٦/٢) .

المبالغة ، ويُقال : التبليغُ

هي والإغراقُ والغُلُوُّ ثلاثُها مُشتركةٌ في أنَّها المجاوزةُ بالصِّفَةِ حدَّها الذي لها في نفسها ، كنايةً عن كثرتها أو قُوَّتِها أو غير ذلك ؛ كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فُلَانًا لَا يَضَعُ أَلْعَصَا »^(١) ، كنايةً عن إدامةِ السَّفَرِ ؛ أي : هو مديمُ السَّفَرِ ، لا يقيمُ ، وهو كنايةٌ عن كثرتِه جدًّا حتى صارتِ الإقامةُ لِقَلَّتِها لا يُلتَفَتُ إليها ولا تُعَدُّ قاطعةً للسَّفَرِ ؛ فالمعنى الكِنائِيُّ أو المجازيُّ هو مَحَطُّ الصِّدْقِ والكذبِ ، ومُتعلِّقُ البِرِّ والحِنثِ .

[المبالغةُ والإغراقُ والغُلُوُّ]

لكنَّ إذا كانتِ المجاوزةُ المذكورةُ بما يمكنُ عقلاً وعادةً . . فهي المبالغةُ . وإن كانتِ بما يمكنُ عقلاً لا عادةً . . فهي الإغراقُ ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرَقُ يَخَطُّفُ أَبْصَرَهُمْ ﴾^(٢) ، ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾^(٣) ، ولا يَصِحُّ التمثيلُ بمثلِ هذا للغُلُوِّ كما فعلَ بعضُ علماءِ البديع^(٤) ؛ فإنَّ على مذهبنا : مِنَ الممكنِ عقلاً أن يَخْلُقَ اللهُ في الزيتِ الإضاءةَ ، مَسَّتْهُ نَارٌ أو لم تَمَسَّهُ . وإن كانتِ بما لا يمكنُ لا عقلاً ولا عادةً . . فهي الغُلُوُّ ؛ كقولك : يكادُ فلانٌ بفطنتهِ يعلمُ الغيوبَ .

ومِنَ الغُلُوِّ : ما أوقعَ بعضَ الشعراءِ فيما هو فسقٌ أو كفرٌ ، ويُعبَّرُ عنه

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠) عن السيدة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

(٢) سورة البقرة : (٢٠) .

(٣) سورة النور : (٣٥) .

(٤) انظر « أنوار الربيع » (٢٢٩/٤) .

حينئذٍ بالتعجرفِ ؛ كقولِ عليِّ بنِ جبلةَ المشهورِ بالعكوكِ في مدحِ بعضِ
الناسِ (١) :

وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ
إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَأَنْ أَمَرَ المَأْمُونَ بِسَلِّ لِسَانِهِ
مِنْ قَفَاهُ ، وَاللَّائِقُ فِي هَذَا المَعْنَى مِنْ وَصْفِ مَلِكٍ بِالْجَلَالَةِ وَقُوَّةِ السُّلْطَانِ
قَوْلُ شَاعِرٍ آخَرَ (٢) :

لَهُ نَظَرَاتٌ عَن حِجَافِي سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ
وَكَقُولِ ابْنِ هَانِيءِ الأَنْدَلِسِيِّ (٣) :

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الأَقْدَارُ فَأَحْكُمِ فَإِنَّتِ الأَوَاحِدُ الأَقْهَارُ
فَكَأَنَّمَا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَكَأَنَّمَا أَنْصَارُكَ الأَنْصَارُ
عَامِلُهُ اللهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ ، مَا هَذَا التَّفَاوُتُ ؟! رَفَعَ مَمْدُوحَهُ ذَلِكَ الرَّفْعَ ، ثُمَّ
هُوَ بِهَذَا الهَوِيِّ ، وَقَوْلِهِ (٤) :

أَتَبَعْتُهُ فِكْرِي حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ غَايَاتِهَا بَيْنَ تَضْوِيبٍ وَتَضْعِيدِ
رَأَيْتُ مَوْضِعَ بُزْهَانٍ يَبِينُ وَمَا رَأَيْتُ مَوْضِعَ تَكْيِيفٍ وَتَحْدِيدِ
فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْطَّ مِنْ دِينِهِ لِيَرْفَعَ مِنْ مَمْدُوحِهِ ، وَالرِّضَا بِذَلِكَ مِنَ
المَمْدُوحِينَ أَنْكَرٌ وَأَفْظَعٌ ، وَبِحِصُولِ ذَلِكَ مِنَ المَسْلَمِينَ وَالسُّكُوتِ عَلَيْهِ . .

(١) انظر «ديوان العكوك» (ص ٩٥) .

(٢) هو ابن هرمة ، كما في «عيون الأخبار» (١/٢٩٤) .

(٣) انظر «ديوان ابن هانئ الأندلسي» (ص ١٨١) .

(٤) انظر «ديوان ابن هانئ الأندلسي» (ص ١٠١) .

لحقوا بمن قيل فيهم : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ ﴾ (١) ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا سَلَّطَ ، وَأَوْهَنَ مِنْهُمْ مَا أَوْهَنَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .



وحاصلُ القولِ : أنَّ المبالغةَ وأخويها مجازاً وكنايةً ينبغي أن تكونَ عبارتها نزهةً عمّا يُوجِبُ القَدْحَ ، وحسنُها : هو حسنُ المجازِ والكنايةِ .



(١) سورة المائدة : (٧٩) .

التفريقُ

هو أن تذكُر شيئين متشابهين ، وتُفَرِّقَ بينهما بحالين مختلفين ، ذهاباً بذلك لتفضيلِ أحدهما على الآخر ؛ كقولِ بعضهم ^(١) :

مَا نَوَالِ الْغَمَامِ يَوْمَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَحَاءِ
فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بَدْرَةَ عَيْنِ وَنَوَالِ الْغَمَامِ قَطْرَةَ مَاءِ
وقولِ آخَرَ :

قَاسُوكَ بِالْبَانِ فِي التَّثْنِي قِيَاسَ جَهْلٍ بِلَا أَنْتِصَافِ
هَذَا كَغُضَنِ الْخِلَافِ يُدْعَى وَأَنْتَ غُضْنٌ بِلَا خِلَافِ
وقولِ آخَرَ ^(٢) :

مَنْ قَاسَ جَذْوَاكَ يَوْمًا بِالسُّحْبِ أَخْطَأَ مَذْحَكَ
فَالسُّحْبُ تُعْطِي وَتَبْكِي وَأَنْتَ تُعْطِي وَتَضْحَكُ



(١) هو رشيد الدين الوطواط ، كما في « أنوار الربيع » (٢٥٩/٤) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٣٠١/٢) .

التلميح

هو أن يشير المُتكلِّم في كلامه : لآية ، أو حديث ، أو شعر مشهور ، أو مثل سائر ، أو قصّة ؛ كقول بعضهم ^(١) :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَحْبَاباً فُجِعْتُ بِهِمْ بَانُوا فَمَا زَوَّدُونِي غَيْرَ تَعْذِيبِ
بَانُوا وَلَمْ يَفْضِ زَيْدٌ مِنْهُمْ وَطَرّاً وَلَا أَنْقَضَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبِ
وَلَاخَرَ ^(٢) :

مَا فِي الصِّحَابِ وَقَدْ سَارَتْ حُمُولُهُمْ إِلَّا مُجِبُّ لَهُ فِي الرِّكْبِ مَحْبُوبُ
كَأَنَّمَا يُوسِفُ فِي كُلِّ رَاحِلَةٍ وَالْحَيُّ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ يَعْقُوبُ
وَلَاخَرَ ^(٣) :

[أهل بدر اعملوا ما شئتم]

يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَاؤُوا وَعَلَّ مُوَكَّالُ التَّجْرِي
وَقَبَّحُوا لَكَ وَضَلِي وَحَسَّنُوا لَكَ هَجْرِي
فَلْيَضَنَّعُوا مَا أَرَادُوا فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرِ

يشير بذلك إلى حديث ، حاصله : أن صحابياً ممن غزا غزوة بدر يُقال له : حاطب بن أبي بلتعة . . كان ذا مالٍ بمكّة ، ولم يكن له هناك عشيرة تحميه له من الأعداء ، فأراد أن يتخذ له يداً عندهم ، حتى يحصل على

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٦٧/٤) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٦٨/٤) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢٠٠/٤) .

ماله ، فتأوّل في نفسه جواز أمرٍ صنعَه ؛ وذلك أنّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسرَّ إلى أصحابه أنّه يريدُ النهوضَ إلى مَكَّةَ ، فكتبَ لَهُم بذلكَ حاطبٌ ، فلمّا اطّلعَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلكَ وسألَ حاطباً وقبلَ اعتذاره . . قَالَ عمرُ : دعني يا رسولَ الله أضربَ عنقَ المنافقِ ، فقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا يُذْرِيكَ يَا عَمْرُ لَعَلَّ اللهُ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » (١) .

[التلميحُ بينَ المحاربيِّ والهلاليِّ]

ومنَ الإشارةِ إلى الشعرِ المشهورِ (٢) : ما يُحكى : أنّ عبدَ الله بنَ ثعلبةَ المحاربيِّ دخلَ على عبدِ الملكِ بنِ يزيدِ الهلاليِّ أمينِ أرمينيةَ إذ ذاكَ ، فقالَ لَهُ : ماذا لقينا البارحةَ مِنْ شيوخِ محاربٍ ، منعونا النومَ بضوضائِهِم ولغَطِهِم ، فقالَ لَهُ عبدُ الله : أعزَّ اللهُ الأميرَ ، إنَّهُم أضلُّوا بُزُقَعاً ، فكانوا في طلبِهِ ، أشارَ الأميرُ لِمَا قيلَ في محاربٍ :

تَكشُّ بِلا شَيْءٍ شَيْوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
ضَفَادِعُ فِي ظُلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ
وأشارَ عبدُ الله لِمَا قيلَ :

لِكُلِّ هِلَالِيٍّ مِنَ اللَّؤْمِ بُزُقَعٌ وَلَا بُنِ يَزِيدٍ بُزُقَعٌ وَجَلالُ

[النميريُّ والفزاريُّ]

وكانَ سنانُ بنُ أحمرِ النميريِّ يسايرُ الأميرَ عمرَ بنَ هبيرةَ الفزاريِّ وهو

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٧٦/٤) .

على بغلة له ، فتقدّمت البغلة على فرس الأمير ، فقال : اغضض بغلتك يا سنان ، فقال : إنها مكتوبة أصلح الله الأمير ، فضحك وقال : قاتلك الله ، ما أردت ذلك ، قال : ولا أنا ^(١) ، أراد ابن هبيرة قول جرير ^(٢) : [من الوافر]

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا
وأراد سنان قول الأخطل ^(٣) :
[من البسيط]

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَازِيًّا خَلَوْتُ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتُبُهَا بِأَسْيَارِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٧٦/٢ - ٢٧٨) .

(٢) تقدم (٦٧/١) .

(٣) البيت لسالم ابن دارة ، هجا ثابت بن رافع الفزازي فقتله ، انظر « الشعر والشعراء » لابن قتيبة

(٤٠١/١) ، و« مجمع الأمثال » (٣٠٥/١) .

العنوان

هو أن يذكر المُتكلِّمُ لمناسبةِ أغراضِهِ ما يَدُلُّ على أخبارِ شهيرةٍ ؛ لأجلِ التَّأسيِّ أو الاستشهادِ أو الافتخارِ أو غيرِ ذلكِ مِنَ المقاصدِ ، وأكثرُ الناسِ استعمالاً لهذا النوعِ شعراءُ المغاربةِ ومُنشئُوهم ، لا يكادُ كلامٌ مِنْ كلامِهِمْ يخلو مِنْهُ .

[قصَّةُ شبيبِ رأسِ الخوارجِ]

قالَ الحارثُ الحمدانيُّ المشهورُ بأبي فراسٍ وقد كتبَ إليه بعضُ أصحابِهِ أيامَ أسره في بلادِ الرومِ يأمرُهُ بالصَّبْرِ ويحثُّهُ على الثباتِ^(١) : [من الطويل]

نَدَبْتَ لِحُسْنِ الصَّبْرِ قَلْبَ نَجِيبٍ وَنَادَيْتَ لِلتَّسْلِيمِ خَيْرَ مُجِيبٍ
وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ قَلْبٍ مُشِيعٍ وَعُودٍ عَلَى نَابِ الزَّمَانِ صَلِيبٍ
وَقَدْ عَلِمْتَ أُمِّي بِأَنَّ مَنِيَّتِي بِحَدِّ سِنَانٍ أَوْ بِحَدِّ قَضِيبٍ
كَمَا عَلِمْتَ مِنْ قَبْلُ أَنَّ يَهْلَكَ ابْنُهَا بِمَهْلَكَةِ فِي الْمَاءِ أُمَّ شَبِيبٍ

ففي هذا البيتِ الإلمامُ بخبرِ شبيبِ أحدِ رؤوسِ الخوارجِ في إمارةِ الحجاجِ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وكانَ الحجاجُ مُتولياً قتالَ شبيبِ هذا ، ولقيَ مِنْهُ بلاءً عظيماً ، وكانَ غريباً في الشجاعةِ ، رأَتْ أُمُّهُ وهيَ حاملٌ بِهِ أَنَّهَا وَلَدَتْ ناراً ، فطارَتْ في الجوّ ، وانتشرَتْ في الآفاقِ ، ثم سقطَتْ في ماءٍ فطفئتْ ، فكانَتْ ترى أَنَّ ابْنَهَا لا يموْتُ إِلَّا غريباً ، فإذا قيلَ لها : قُتِلَ أَوْ ماتَ . . لم تُصدِّقْ ، حتى قيلَ لها : قد غرقَ ، فناحَتْ عليه ؛ وذلكَ أَنَّ فرسَهُ وثبَ بِهِ في نهرٍ .

(١) انظر «ديوان أبي فراس الحمداني» (ص ٦٧ - ٦٨) .

يُقَالُ : إِنَّ عَسْكَرَ الْحَجَّاجِ غَاصُوا عَلَيْهِ وَأَخْرَجُوهُ ، وَشَقُّوا عَنْ قَلْبِهِ ، فَوَجَدُوهُ فِي صَلَابَةِ الْحَجْرِ ، ثُمَّ فَتَحُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ قَلْبًا آخَرَ عَلَى شَكْلِ الْكُرَّةِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَوْلُهُ :

تَحَمَّلْتُ خَوْفَ الْعَارِ أَعْظَمَ خُطَّةٍ وَأَمَلْتُ نَضْرًا كَانَ غَيْرَ قَرِيبِ
وَلِلْعَارِ خَلَّى رَبُّ غَسَّانَ مُلْكَهُ وَفَارَقَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ مُصِيبِ

أوماً في هذا إلى خيرِ جبلةَ بنِ الأيهمِ آخرِ ملوكِ غَسَّانَ بالشامِ ؛ وذلكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عَهْدِ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْمَدِينَةَ لِلإِسْلَامِ فِي خَمْسِ مِائَةِ فَارَسٍ مِنْ رِجَالِهِ ، فَأَسْلَمُوا ، وَفَرِحَ بِهِمُ الْمَسْلُومُونَ ، وَأَكْرَمَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا كَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ . . خَرَجَ مَعَ النَّاسِ لِلْحَجِّ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ . . وَطِئَ رَجُلٌ عَلَى إِزَارِهِ ، فَانْحَلَّ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ مَغْضَبًا وَلِطْمَهُ ، فَتَرَفَعَ مَعَهُ الرَّجُلُ إِلَى عَمَرَ ، فَقَالَ لَهُ : إِمَّا أَنْ تَرْضِيَهُ ، وَإِمَّا أَنْ أُقِيدَهُ مِنْكَ ، فَقَالَ : أَتُقِيدُهُ مِنِّي وَهُوَ سُوقَةٌ وَأَنَا مَلِكٌ ؟! فَقَالَ : ذَلِكَ حَكْمُ اللَّهِ ، لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ ، وَقَدْ سَوَّى بَيْنَهُمُ الْإِسْلَامُ ، فَقَالَ : دَعْنِي أَنْظُرَ فِي أَمْرِي اللَّيْلَةَ ، فَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ . . خَرَجَ ابْنُ الْأَيْهِمِ فِي قَوْمِهِ ، وَلِحَقِّ بَقِيصِرِ الرُّومِ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَنْزَلَهُ مَنْزِلًا شَرِيفًا ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ مَا يَلِيْقُ بِالْمَلُوكِ ، ثُمَّ كَانَ ابْنُ الْأَيْهِمِ بَعْدُ يَتَأَسَّفُ عَلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي أَطَعْتُ عَمَرَ .

يَقُولُ أَبُو فَرَّاسٍ : إِنَّ خَوْفَ الْعَارِ وَشَرَفَ النَّفْسِ مِمَّا يَقْدَفُ بِصَاحِبِهِ فِي الْمَهَالِكِ ، وَشَاهِدُ ذَلِكَ : مَا كَانَ مِنْ جِبَلَةَ .



التسهيم ، ويُسمى : الإِرصادَ

وهو أن يجعلَ الكلامَ ؛ بحيثُ يدلُّ أولُهُ على آخِرِهِ مِنْ جهةٍ لفظِهِ ، أو مِنْ جهةٍ معناه .

[من الطويل]

فَمِنَ الْأَوَّلِ : قَوْلُ بَعْضِهِمْ ^(١) :

وَلِي فَرَسٌ بِالْجَهْلِ لِلْجَلْمِ مُسْرَجٌ

وَلِي فَرَسٌ بِالْجَهْلِ لِلْجَهْلِ مُلْجَمٌ

فَمَنْ رَامَ تَقْوِيْمِي فَإِنِّي مُقَوِّمٌ

هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَقُولُ بَعْدَهُ :

وَمَنْ رَامَ تَغْوِيْجِي فَإِنِّي مُعَوِّجٌ

[من الكامل]

وقول ابن هانئ الأندلسي ^(٢) :

وَإِذَا ظَعَنْتَ فَكُلْ وَإِذَا مَاحِلٌ

فَإِذَا حَلَلْتَ فَكُلْ وَإِذَا مُمْرِعٌ

وَإِذَا بَعُدْتَ فَكُلْ شَيْءٌ نَاقِصٌ

هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَقُولُ :

وَإِذَا قَرُبْتَ فَكُلْ شَيْءٌ كَامِلٌ



[من المتقارب]

ومِنَ الثَّانِي : قَوْلُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ^(٣) :

وَلَلْدَارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

تَشْطُّ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٥٦) ، وفيه أن الشعر لصالح بن جناح اللخمي .

(٢) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٣٠٤) .

(٣) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ٩٨) .

يُحكى : أن عمرَ لما أنشدَ صدرَ البيتِ لعبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي اللهُ
عنهُما . . سبقهُ بإنشادِ العجزِ ، فقالَ : كذلكَ قلتُ ، فقالَ : هكذا ينبغي أن
يُقالَ^(١) .

وقولُ عديِّ بنِ الرقاعِ العامليِّ في صفةِ الغزاةِ وولدها مِن قصيدتهِ التي
مطلعُها^(٢) :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُمًا فَأَعْتَادَهَا
تُزجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا
يُحكى : أنه حينَ كانَ يُنشدُ هذهِ القصيدةَ . . عرضَ للملكِ شغلٌ ، فقطعَ
الإنشادَ على صدرِ البيتِ ، وكانَ الفرزدقُ وجريراً حاضرينِ ، فقالَ الفرزدقُ
لجريرٍ : ما تراه يُتَمِّمُ البيتَ ، فقالَ : لعلُّهُ يستلِبُ مثلاً ، فقالَ الفرزدقُ : أراهُ
يقولُ : قَلَمٌ أَصَابَ . . .^(٣) .

وهذا لا يسهلُ في درجِ الكلامِ إلا على مَنْ أكثرَ مزاولةَ المعاني والعباراتِ
عنها ، فعرفَ أن كلَّ ابتداءٍ له انتهاءٌ ، وأنَّ الأشياءَ يستتبعُ بعضها بعضاً .



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٣٨/٢) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢٣٨/٢) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٤٥٧/٤ - ٤٥٨) .

التشريعُ

هو أن تجعلَ الكلامَ على سجعَتينِ في النثرِ ، وعلى قافيتينِ في الشعرِ ،
أو أكثرَ من ذلكَ ؛ بحيثُ لو وقفتَ على سجعةٍ من السوابقِ ، أو على قافيةٍ
منها . . . لتمَّ الكلامُ أو بيتٌ من الشعرِ .

فمن مشهور ذلك : قولُ الحريريِّ^(١) :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدًا تَبًا لَهَا مِنْ دَارِ
وَإِذَا أَظْلَلَّ سَحَابُهَا لَمْ يَنْتَقِعْ مِنْهُ صَدَى لِجَهَامِهِ الْغَرَارِ

فالقافيةُ الأولى بهذه الأبياتِ هي في قوله : (الردى) و (غداً) و (صدئ)
تنشدها قصيدةٌ ثانيةٌ فتقولُ^(٢) :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدًا
وَإِذَا أَظْلَلَّ سَحَابُهَا لَمْ يَنْتَقِعْ مِنْهُ صَدَى



(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٥٩ - ١٦٠) .

(٢) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٦١) .

المذهب الكلامي

هو إيراد الحجج في الكلام على الطريقة التي استعملها المتكلمون في مواضع الاستدلال .

فمنه : قول النابغة يخاطب النعمان وكان غضب عليه بسبب مدحه لملوك غسان بالشام^(١) :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِمَرْءٍ مَذْهَبٌ
لَعِنَ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلِغِكَ الْوَأَشِي أَعَشُّ وَأَكْذِبُ
وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبٌ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبٌ
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ أَحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا

فحاصل الاحتجاج : لو كان مادحو من أحسن إليهم في رأيك مذنبين ..
لكان مادحوك مذنبين فيه ، لكنتهم غير مذنبين ، فمادحو من أحسن إليهم
غير مذنبين .

ولبعضهم^(٢) :

دَعِ النُّجُومَ لِطَرْقِيَّيَ يَعِيشُ بِهَا وَبِالْعَرَائِمِ فَانْهَضْ أَيُّهَا الْمَلِكُ
إِنَّ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَ النَّبِيِّ نَهَوَا عَنِ النُّجُومِ وَقَدْ أَبْصَرْتَ مَا مَلَكَوْا



(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٢ - ٧٣) .

(٢) انظر « المحاضرات » لليوسي (١ / ٢٤٥) .

نَفْيُ الشَّيْءِ بِإِيجَابِهِ

هُوَ أَنْ تَقْصِدَ إِلَى أَثَرِ شَيْءٍ يَظْهَرُ فِي الْكَلَامِ ثُبُوتُهُ فَتَنْفِيهِ ؛ لِيَكُونَ نَفْيُهُ نَفْيًا لِلشَّيْءِ عَلَى طَرِيقِ الْكِنَايَةِ ، مِنْ بَابِ نَفْيِ الْمَلْزُومِ بِنَفْيِ الْإِجْرَامِ ، وَالاعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَعُونَةِ الْمَقَامِ وَقِرَائِنِ الْأَحْوَالِ ؛ كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ ^(١) : [من الطويل]

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ

ظَاهِرُ الْكَلَامِ : أَنَّ اللَّاحِبَ لَهُ مَنَارٌ ، فَلَمَّا نَفَى الْإِهْتِدَاءَ بِهِ . . نَفَاهُ ؛ إِذْ لَوْ كَانَ . . لَكَانَ الْإِهْتِدَاءُ بِهِ .

وَمِنْهُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ^(٢) ، النَّفْيُ مُنْصَبٌّ عَلَى الْقَيْدِ ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ : لَا يُطَاعُ لَهُمْ شَفِيعٌ ؛ أَي : لَا شَفِيعَ لَهُمْ ؛ إِذْ لَوْ كَانَ . . لِأَطِيعَ ، وَتَقَوْلُ : لَا يُنْتَفَعُ فِي هَذَا الْبَلَدِ بِعَاقِلٍ ؛ أَي : لَيْسَ فِيهِ عَاقِلٌ ؛ إِذْ لَوْ كَانَ . . لِانْتَفَعَ بِهِ .

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا النَّوْعِ : التَّفَادِي مِنَ التَّصْرِيحِ بِحَقِيقَةِ الْمَقْصُودِ ؛ تَقْلِيلًا لِسُورَةِ الْجَفَاءِ .



(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٦٦) ، والبيت بتمامه :

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيَّ جَزَجْرًا

(٢) سورة غافر : (١٨) .

الرجوعُ

هو أن يحكم بحكم يرى أنه الواقع ، ثم يرجع عنه إظهاراً لقوة المعنى الذي يريد إفادته بالكلام ؛ من رضاءٍ بأمرٍ ، أو افتخارٍ ، أو صفةٍ عشقٍ وشوقٍ ، أو غير ذلك .

تقولُ : فلانٌ لا يُحسِنُ القراءةَ والكتابةَ ، بلى هو أقرأ من فلانٍ ، وأكتب من فلانٍ ، لا يُبارى في معارفه وحسنِ صناعتهِ .

ومن أصولِ شواهدهِ : قولُ زهيرٍ^(١) :

قِفْ بِالذِّيارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُها الْقِدْمُ بَلَى وَغَيَّرَها الْأَرْواحُ وَالذِّيمُ
كَأَنَّه قالَ : هل هي التي لم يعفها القدم ؟ بلى هي التي عفاها القدم
وغَيَّرَها الأرواحُ والذِّيمُ ، ففي ذلك إطالةُ النفسِ في شكوى تغيُّرِ الأحوالِ
المُوجِبِ للتأسُّفِ والتوجُّعِ .



(١) انظر «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص ١١٦) .

التوريةُ

هي لفظٌ يَحْتَمِلُ معنيتين ؛ قريبٌ يتبادرُ فهمُهُ مِنَ الكلامِ ، وبعيدٌ هو المرادُ بالإفادة .

[أقسامُ التورية]

وهي باعتبار ما يقارنُها مِنْ ملائِماتِ المعنيتين تنقسمُ :
إلى مُجرّدةٍ ؛ وهي المقرونةُ بملائِمينِ كلُّ واحدٍ منهما لواحدٍ مِنَ المعنيتين ، أو لم تُقرنْ بملائِمِ أحدهما .
وإلى مُرشّحةٍ ؛ وهي المقرونةُ بملائِمِ المعنى القريبِ ، يُذكرُ بعدها أو قبلها .

وإلى مبينةٍ ؛ وهي المقرونةُ بما يلائِمُ المعنى البعيدَ كذلك إن لم يكن تحقُّقُ التورية موقوفاً عليه ، وإلا . . . سُمّيتْ : مهياًةً .

[أمثلةُ التورية من شعرِ الوراقِ]

وهذه أمثلةٌ تُورَدُ عليك ، تستعملُ ذَهَنَكَ في ردِّ كلِّ توريةٍ إلى جنسِها حَسَبَ ما عَيَّنْتَهُ لَكَ تلكَ الضَّوابطُ ، لسراجِ الدينِ عمرِ الوراقِ ، مِنْ شعراءِ مصرَ ، وكانتِ الوراقَةُ حرفتَهُ ، وكانَ لهجاً بالتوريةِ في لقبِهِ وحرفتِهِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ^(١) :

إِلْهِهِ لَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَشُكْرًا لِنُعْمَاكَ الَّتِي لَيْسَ تُكْفَرُ
وَعُمِّرْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَأَزْدَدْتُ بِهِجَةً وَنُورًا كَذَا يَبْدُو السِّرَاجِ الْمُعَمَّرُ

(١) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢٠٠/٣) .

وَعَمَّمَ نُورَ الشَّيْبِ رَأْسِي فَسَرَّنِي
وقوله^(١) :

بُنَيَّ أَقْتَدَى بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ
فَمَا قَالَ لِي أَفَّ مُذْ كَانَ لِي
وقوله^(٢) :

وَكُنْتُ حَبِيباً إِلَى الْغَانِيَاتِ
وَكُنْتُ سِرَاجاً بَلِيلِ الشَّبَابِ
وقوله^(٣) :

بِكُتْبِكَ رَاجٍ لِي أَمْلِي وَقَضِي
وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُزْفَعِ مَنَارِي
وقوله^(٤) :

أَمْوَلَانَا ضِيَاءَ الدِّينِ دُمٌ لِي
فَلَوْلَا أَنْتَ مَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً
وقوله^(٥) :

يَا خَجَلْتِي وَصَحَائِفِي مُسَوَّدَةٌ
وَمُؤَبَّخٌ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلٌ

وَمَا سَاءَ نِي أَنِّي السِّرَاجُ الْمُنَوَّرُ
[من المتقارب]

وَرَاخٍ لِبِرِّي سَغِيماً فَرَاجاً
لِكُونِي أَباً وَلِكُونِي سِرَاجاً
[من المتقارب]

فَأَلْبَسَنِي الشَّيْبُ هَجْرَ الْحَبِيبِ
فَأَطْفَأَ نُورِي نَهَارُ الْمَشِيبِ
[من الوافر]

وَفِي يَدِكَ النَّجَاحُ لِكُلِّ رَاجٍ
وَلَا عَرَفَ الْوَرَى قَدْرَ السِّرَاجِ
[من الوافر]

وَعِشْ فَبَقَاءِ مَوْلَانَا بَقَائِي
وَمَا يُغْنِي السِّرَاجُ بِلَا ضِيَاءِ
[من الكامل]

وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
أَكْذَا تَكُونُ صَحِيفَةُ الْوَرَّاقِ

- (١) انظر «خزانة الأدب» للحموي (١٩٩/٣).
- (٢) انظر «خزانة الأدب» للحموي (١٩٩/٣).
- (٣) انظر «خزانة الأدب» للحموي (١٩٩/٣).
- (٤) انظر «خزانة الأدب» للحموي (١٩٨/٣).
- (٥) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢٠٢/٣).

وقوله^(١) :

[من الكامل]

نَصَبَ الْحَشَا غَرَضًا فَقَرَطَسَ أَوْ رَمَى
وَسَأَلْتُهُ وَضَلًّا فَقَالَ بِحُجَّةٍ
وَلَهُ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ^(٢) :

أَصُونُ لِقَاءَ وَجْهِهِ عَنِ أَنْاسٍ
وَرَبُّ الشِّعْرِ عِنْدَهُمْ بَغِيضٌ
وقوله^(٣) :

وَمُتَهَفَفٍ عَنِّي يَمِيلُ وَلَمْ يَمِلْ
لِمَ لَا تَمِيلُ إِلَيَّ يَا غُضْنَ النَّقَا
وقوله^(٤) :

وَأَحْمَقِي ضَيِّفْنَا بِبَقْلَةٍ
فَمَنْ أَقْلُ أَدْبَاءٍ مِنْ سَفْلَةٍ
لِنِسْبَةٍ بَيْنَهُمَا وَوُضِلَتْ
قَدْ مَدَّ فِي وَجْهِ الضُّيُوفِ رِجْلَهُ

[من الرجز]

[أمثلةٌ أخرى]

يُقَالُ لِلخُضْرَاءِ المشهورة بالترجلة : البقلة الحمقاء ؛ لكونها تنبت في
مجاري السُّيُولِ ومواطئ الأقدام ، فلا تتخيَّرُ موضعاً يصونها ، فحمقوها
لذلك .

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٢/٣) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٣/٣) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٧/٣) .

(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٤/٣) .

ولأبي الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزارِ حرفةٌ ، مِنْ شعراءِ مصرَ أيضاً^(١) :

إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ سَفْكَ الدِّمَاءِ لَهُمْ
تُضِيءُ بِالدَّمِ إِشْرَاقاً عَرَاضُهُمْ
وَلَهُ^(٢) :

أَيَا عَلمَ الدِّينِ الَّذِي جُودُ كَفِهِ
لَعِنُ أَمَحَلَّتْ أَرْضُ الكِنَافَةِ إِنَّنِي
وَلَهُ^(٣) :

تَزَوَّجَ الشَّيْخُ أَبِي شَيْخَةَ
لَوْ بَرَزَتْ صُورَتُهَا فِي الدُّجَى
كَأَنَّهَا فِي فَرَشِهَا رَمَّةٌ
وَقَائِلِ لِي قَالَ مَا سِنَّهَا
وَلنصيرِ الدِّينِ الحَمَّامِي^(٤) :

لِي مَنزِلٌ مَعْرُوفَةٌ
أَقْبَلُ ذَا العُذْرَ بِهِ
وَلَهُ^(٥) :

أَصْبَحْتُ مِنْ أَعْنَى الوَرَى
وَطَائِرًا بِالفَرَحِ

(١) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢١٠/٣) ، والبيت من البسيط .

(٢) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢١٢/٣) .

(٣) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢١٣/٣) .

(٤) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢١٤/٣) .

(٥) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢١٤/٣ - ٢١٥) .

عِنْدِي خَمْرٌ ذَهَبٌ أَكْتَالُهُ بِأَلْقَدَحِ

وللأمير ناصر الدين حسن بن النقيب^(١) : [من الوافر]

أَقُولُ لِنُوبَةِ الْحُمَى أَتْرُكِينِي وَلَا تَكِ مِنْكِ لِي مَا عِشْتُ أَوْبَهُ
فَقَالَتْ كَيْفَ يُمَكِّنُ تَرْكَ هَذَا وَهَلْ يَبْقَى الْأَمِيرُ بغيرِ نُوْبِهِ
وله^(٢) [من مجزوء الكامل]

جُودُوا لِنَسْجَعِ بِالْمَدِيدِ حِجِّ عَلَيَّ عُلَاكُمُ سَرْمَدَا
فَالطَّيْرُ أَحْسَنُ مَا يُغَرِّ دُعْنَدَمَا يَقَعُ النَّدَى
ولمحيي الدين بن عبد الظاهر^(٣) : [من مجزوء الكامل]

شُكْرًا لِنَسْمَةِ أَرْضِكُمْ كَمْ بَلَّغْتَ عَنِّي تَحِيَّه
لَا غَرَوْ أَنْ حَفِظْتُ أَحَا دِيكَ الْهُوَى فَهِيَ الذِّكْيَه
وللشيخ عبد العزيز الأنصاري الحموي^(٤) : [من السريع]

لَا تَنْسَ وَجْدِي بِكَ يَا شَادِنَا بِحُبِّهِ أَنْسِيْتُ أَحْبَابِي
مَا لِي عَلَى هَجْرِكَ مِنْ طَاقَةٍ فَهَلْ إِلَيَّ وَضَلِكِ مِنْ بَابِ
ولبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي^(٥) : [من الكامل]

وَحَدِيقَةٍ مَطْلُولَةٍ بَاكَرْتُهَا وَالشَّمْسُ تَرْشِفُ رِيْقَ أَزْهَارِ الرُّبَى
يَتَكَسَّرُ الْمَاءُ الزُّلَالُ عَلَى الْحَصَى فَإِذَا جَرَى بَيْنَ الرِّيَاضِ تَشَعَّبَا

(١) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢١٦/٣).

(٢) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢١٨/٣).

(٣) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢٢٢/٣).

(٤) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢٣٣/٣).

(٥) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢٥٨/٣).

وله :

[من السريع]

قَدْ نَمَّقَتْ أَزْهَارَهَا السُّحْبُ
وَجَدُولُ الْمَاءِ بِهَا صَبُّ

أَدِرْ كُؤُوسَ الرِّاحِ فِي رَوْضَةٍ
الطَّيْرُ فِيهَا شَيْقُ مُغْرَمٍ

وله :

[من مجزوء الرجز]

بَيْنَ النَّدَامَى قَدْ نَشَطُ
فَهَلْ رَأَيْتَ الْبَدْرَ قَطُّ

وَذِي قَوَامٍ أَهْيَيْفٍ
قَامَ يَقُطُّ شَمْعَةَ

وله :

[من مجزوء الكامل]

أَبْلَيْتَهُ صَدًّا وَهَجْرًا
فَرَدَدْتَهُ فِي الْحَالِ نَهْرًا

رِفْقًا بِصَبِّ مُغْرَمٍ
وَأَتَاكَ سَائِلُ دَمْعِهِ

ولبدرِ الدِّينِ الصَّاحِبِ^(١) :

[من السريع]

وَالسَّعْدُ فِي الْأَقْسَامِ مَكْتُوبُ
كِلَاكُمَا لِلخَطِّ مَنْسُوبُ

فَاخَرْتِ الْأَقْلَامَ سُمْرَ الْقَنَا
فَقُلْتُ لِلخَطِّ لَا تَسْتَطِلْ

ولشهابِ الدِّينِ [الْحَاجِبِيِّ]^(٢) :

[من السريع]

لِلَّهِ أَيَّامُ النَّجَا وَالنَّجَاخِ
ظَفِرْتُ فِيهِ بِحَبِيبٍ وَرَاخِ

لَمْ أَنْسَ أَيَّامَ الصِّبَا وَالْهَوَى
ذَلِكَ زَمَانٌ مَرَّ حُلُوَ الْجَنَى

ولبعضِهِمْ^(٣) :

[من مجزوء الرمل]

فَاطَّرِحَ قَيْلًا وَقَالَ

كَانَ مَا كَانَ وَزَالَ

(١) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٤٤٣/٣).

(٢) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٤٥٩/٣).

(٣) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٢٧٣/٣).

أَيُّهَا الْمُغْرَضُ عَنَّا حَسْبُكَ اللَّهُ تَعَالَى

وهذه الأمثلة التي أُورِدَتْ للتورية اتفق على التمثيل بها مشاهير أهل
البديعيات .

وإذا كانت التورية لفظاً يَحْتَمِلُ معنيينِ كُلُّ منهما يَحْتَمِلُهُ الكلامُ ، غيرَ
أَنَّ قُوَّةَ القرينةِ تَصْرِفُ للمرادِ .. فأرى بعضَ هذه الأمثلةِ غيرَ منطبقٍ على
هذا الحدِّ ، فمثلُ قوله : (تعالى) ، وقوله : (حبيبٌ وراخ) .. لا شبهةً في
كونه توريةً ، وحيثُ تَحَقَّقَتْ مِنَ الضَّابِطِ .. لم يعسرَ عليك تمييزُ المضبوطِ
مِنْ غيرِهِ .



الاعتراضُ

هو أن يفصل المتكلم بين أجزاء الكلام أو الكلامين المتصلين معني ،
بعطفٍ أو بيانٍ أو بدليّةٍ أو غير ذلك ، بجملةٍ فأكثر ، لغرضٍ ؛ كالاستعجالِ
بالتنزيه ، وتقريع المخطئ حال ذكرِ خطائِهِ ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ
الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (١) .

وبيان سبب الأمر الغريب مبادرةً بدفع الاستغراب عن نفس المخاطب ؛
كقول الشاعر (٢) :

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو فِيهِ الْيَأْسِ رَاحَةً وَلَا وَضْلُهُ يَضْفُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ
فإنَّ تمنّي المُحبِّ أن يبدو صرْمُ الحبيبِ وهجرُهُ .. أمرٌ
مستغربٌ ، فاستعجل بيان السبب حيثُ قال : (فإنَّ اليأسَ إحدى
الراحتين) .

وشدة الاحتراس من انصراف الفهم عن هجو مهجّو أو مدح ممدوح ؛
كقول بعضهم (٣) :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ
وقول آخر :

فَأَيُّهُ طَرِبَةٌ لِلْعَفْوِ إِنَّ أَلَّ كَرِيمٍ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ طَرُوبٌ
فلو قال الأولُ : (لو أنَّ الباخلينَ رأوكَ .. تعلّموا) ، والثاني : (إنَّ الكريمَ

(١) سورة النحل : (٥٧) .

(٢) هو ابن ميادة في « ديوانه » (ص ٢٢٥) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (١٣٧/٥) .

طروبٌ) . . لفهم أن المخاطب في الأول : بخيلٌ ، وفي الثاني : كريمٌ ، لكن ربّما يُتوهّم أن المطال بسبب غير البخل ، وأن الطرب للعفو وقع اتفاقاً ، وأن الطرب صفة الكرام .

ويكون الاعتراض مقروناً بالواو وبالفاء ، ومُجرّداً ، ويُقال للحرفين الواو والفاء : الاعتراضيتان .

ولبعضهم : أن الاعتراض يكون بعد الكلام ، ومن أمثله على رأيه : قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) .

ومعنى الاعتراض على هذا : أنه فصل بين الكلام وبين ما يترقبه السامع من كلام آخر ، فكأنه وصل بين الكلام المذكور وما يؤمله ، فاعترض المتكلم بذكر ما يتعلّق بالكلام السابق .

وربّما يشتهب الاعتراض بالحال ، فعلى المتفهم أن يلاحظ أن المعنى إن كان يستدعي التقييد ، وللتقييد غرضٌ صحيحٌ . . فالجملة حالٌ ، وإلا . . فاعتراضٌ .

[أمثلة للاعتراض من الشعر]

وهذه أمثلة للاعتراض من الشعر :

[من المنسرح]

قال العباس بن الأحنف (٢) :

قَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَكُنْتُ رَاضِيَةً حَذَارَ هَذَا الصُّدُودِ وَالْغَضَبِ
إِنْ تَمَّ ذَا الْهَجْرِ يَا ظُلُومَ وَلَا تَمَّ فَمَالِي فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبِ

(١) سورة الإسراء : (٨١) .

(٢) انظر « ديوان العباس بن الأحنف » (ص ٣٣) .

ولأبي الوليد محمد بن يحيى بن حزم^(١) :

أَتَعَجَبُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْتَ سَكَبْتَهُ
وَمِنْ نَارِ أَحْشَائِي وَأَنْتَ لَهَيْبُهَا
وَتَزْعُمُ أَنَّ النَّفْسَ غَيْرَكَ عُلِقَتْ

وللشريف محمد الرضي^(٢) :

لَا تَحْسَبِيهِ وَإِنْ أَسَأْتَ بِهِ
يُضْرِي أَلُوشَاةَ وَيَقْبَلُ الْعَذْلَا
لَوْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مُهَجَّتُهُ
وَإِشِي هَوَاكَ إِلَيْهِ مَا قَبِلَا

وللتهامي^(٣) :

إِنِّي لِأَطْرَفُ طَرْفِي عَنْ مَحَاسِنِهَا
تَكَرَّمَا وَأَكْفُتُ أَلْكَفَ عَنْ أَمِّمِ
وَلَا أَهْمُ وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا سَاعَةَ الْحُلْمِ

وقد نزل التهامي حالاً عن المتنبي حيث يقول^(٤) :

يَرُدُّ يَدَا عَن ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ
وَيَعْصِي أَلْهُوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ
ولبعضهم^(٥) :

سَعَادُ تَسْبُنِي ذُكْرَتْ بِخَيْرٍ
وَأَنَّ مَوَدَّتِي كَذِبٌ وَمَيْنٌ
وَلَيْسَ كَذَا وَلَا رَدُّ عَلَيْهَا
وَأَنِّي بِأَلَّذِي أَهْوَى بِثُوثٍ
وَلَكِنَّ الْمَلُولَ هُوَ أَلْنَكُوثُ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٢/١) .

(٢) انظر « ديوان الشريف الرضي » (٢٢٩/٢) .

(٣) انظر « ديوان التهامي » (ص ٣٣٦) .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٢) .

(٥) هو ريسم بن شادلوويه ، كما في « معاهد التنصيص » (٣٧٤/١) .

رَأَتْ شَغَفِي بِهَا وَنُحُولَ جِسْمِي

ولابن النبيه^(١) :

سَقِيًّا لِأَيَّامِنَا أَلَّتِي سَلَفَتْ

لَوْبِيعَ يَوْمٍ مِنْهَا وَكَيْفَ بِهِ

وللسيد عز الدين المرتضى^(٢) :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَمْضِي ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ

وَمَا إِنْ أَرَى شَمْسَ الضُّحَى قَمَرَ الدُّجَى

نَأَى لَا نَأَى لَمَّا دَنَا الْهَجْرُ لَا دَنَا

وللسراج الوراق^(٣) :

إِنَّ عَيْنِي وَهُوَ عَضُو دَنْفٍ

مَا كَفَّاهَا بُعْدَهَا مِنْكَ إِلَيَّ

وللفقيه عمارة اليميني^(٤) :

لَهُ رَاحَةٌ يَنْهَلُ جُودُ بِنَانِهَا

يَرَى الْحَقَّ لِلزُّوَارِ حَتَّى كَأَنَّهُ

فَصَدَّتْ هَكَذَا كَانَ الْحَدِيثُ

[من المنسرح]

كَانَتْ بِطِيبِ الْحَيَاةِ مُقْتَرِنَةً

كُنْتُ بِعُمْرِي مُسْتَرْخِصًا ثَمَنَهُ

[من الطويل]

وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ بَعْدَهُنَّ ثَمَانٌ

وَلَا هُوَ حَاشَاهُ الْخُسُوفُ يَرَانِي

فَيَا لَيْتَ ذَا نَاءٍ وَذَلِكَ دَانٍ

[من الرمل]

مَا عَلَيَّ مَا كَابَدْتُهُ جَلْدُ

أَنْ دَهَاهَا وَكُفَيْتَ الرَّمْدُ

[من الطويل]

وَوَجْهُهُ إِذَا قَابَلْتَهُ يَتَهَلَّلُ

عَلَيْهِمْ وَحَاشَا قَدْرَهُ يَتَطَفَّلُ



(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٢٦) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٤٢/٥) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٣/١) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٢/١) .

ولا بنِ اللبانيةِ في ناصرِ الدولةِ صاحبِ ميورقةِ مِنَ الأندلسِ^(١) : [من الكامل]
وَعَمَرَتْ بِالْإِحْسَانِ أَفَقَ مَيُورِقَةَ وَبَنَيْتَ فِيهَا مَا بَنَى الْإِسْكَانِدْرُ
فَكَأَنَّهَا بَغْدَادُ أَنْتَ رَشِيدُهَا وَوَزِيرُهَا وَلَهُ السَّلَامَةُ جَعْفَرُ



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٣/١) .

حصْرُ الجزئيِّ وإلحاقُهُ بالكلِّيِّ

أرادوا بمُسَمَّى هذا الاسم : أن يقصدَ المُتَكَلِّمُ إلى [جمع] أنواعٍ تجمُعُها ملاحظةٌ تحتَ جامعٍ ؛ بحيثُ تكونُ تلكَ الأنواعُ هي أقسامَ ذلكَ الجامعِ ، فيحصُرُها في بعضِ جزئياتِها لغرضِ التعظيمِ أو غيرِه ؛ بمعنى : أَنَّهُ يدَّعي أن ليسَ للكلِّيِّ فردٌ غيرَ ذلكَ المخصوصِ .

ومثال ذلكَ : قولُ عبدِ اللهِ السَّلامِيِّ ^(١) :

إِلَيْكَ طَوَى عَرْضَ الْبَسِيطَةِ جَاعِلًا قُصَارَى الْمَطَايَا أَنْ يَلُوحَ لَهَا الْقَصْرُ
فَسِرْتُ وَعَزَمِي فِي الظَّلَامِ وَصَارِمِي ثَلَاثَةُ أَشْبَاحٍ كَمَا اجْتَمَعَ النَّسْرُ
فَبَشَّرْتُ آمَالِي بِمُلْكٍ هُوَ الْوَرَى وَدَارٍ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمَ هُوَ الدَّهْرُ

فقد جمعَ أنواعَ العالمِ مِنَ الأشخاصِ والأمكنةِ والأزمنةِ وحصَرَها في الملكِ والدارِ ويومِ اللُّقيا .

وقد أعارَ عليه الأَرَجَانِي في ذلكَ وَقَصَّرَ تقصيراً بيّناً مع انحطاطِ درجةِ العبارةِ في قوله ^(٢) :

يَا سَائِلِي عَنْهُ لَمَّا جِئْتُ أَمْدَحُهُ هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الْعَارِي مِنَ الْعَارِ
رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ النَّاسَ فِي رَجُلٍ وَالْدَّهْرَ فِي سَاعَةٍ وَالْأَرْضَ فِي دَارِ

فلفظُ (الناسِ) ليسَ كلفظِ (الوريِّ) ، ولفظُ (الأرضِ) ليسَ كلفظِ (الدنيا) .

(١) انظر « يتيمة الدهر » (٤٧٣/٢) .

(٢) انظر « ديوان الأَرَجَانِي » (٧٨٥/٢) .

والفاتح لهذا المعنى أبو نؤاسٍ في قوله يمدحُ الفضلَ بنَ يحيى ويُخاطبُ

الرشيدَ^(١) :

[من السريع]

أَنْتَ عَلَيَّ مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ فَلَسْتَ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاجِدِ

لَيْسَ عَلَيَّ اللَّهُ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ



(١) انظر « ديوان أبي نؤاس » (ص ٢٦٢) .

الجمع والتفريق

هُوَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي مَعْنَى ثُمَّ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا بَعْدَ ، وَهُوَ يَزِيدُ عَلَى التَّفْرِيقِ الْمَاضِي بِسَبْقِ الْجَمْعِ ، وَيُخَالِفُهُ أَيْضاً بِأَنَّ التَّفْرِيقَ هُنَا لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهُ تَفْصِيلَ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ .

مثاله : قول مهيار^(١) :

حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ قَضَى مَا قَضَى خَفَّتْ مَعَ الْفَجْرِ خُطَاهَا الْثِقَالُ
أَبْكِ وَتَبْكِ غَيْرَ أَنَّ الْأَسَى دُمُوعُهُ غَيْرُ دُمُوعِ الدَّلَالِ
وقول البحترى^(٢) :

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَائِي الدَّرِّ مِنَّا وَلَا قِطْهُ
فَمِنْ لَوْلُو تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

الجمع مع التقسيم

هُوَ أَنْ يَذْكَرَ مَجْمَلاً ثُمَّ يَقْسِمُهُ ، أَوْ يَذْكَرُ مُفْصَلاً ثُمَّ يُجْمِلُهُ فِي مَعْنَى ؛ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ فِي الْأَوَّلِ^(٣) :

حَتَّى أَقَامَ عَلَيَّ أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ
لِلْسَبِيِّ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا
فقد أثبت أولاً شقاء الروم ، وشقاؤهم بما يلحقهم من الشدائد ،

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٢٠٩/٢) .

(٢) انظر « ديوان البحترى » (١٢٣٠/٢) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٣٨) ، و « أنوار الربيع » (١٧٣/٥) .

وتلك الشدائدُ هي السبيُّ والقتلُ والنهبُ والإحراقُ .

وقولِ حَسَّانَ رضيَ اللهُ تعالى عنه في الثاني^(١) :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةً تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا أَلْبَدَعُ

الجمعُ معَ التفريقِ والتقسيمِ

هو أن يجمع مُتعدداً في معنى ، ثم يُفَرِّقُ بينهما بالصفة ، ثم يضيف لكلِّ ما أراد أن يثبت له ويخصه به .

وشاهدُ ذلك : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... ﴾^(٢) ، جمعَ الأنفسِ في السكوتِ حتى يصدَرَ الإذنُ بالكلامِ ، ثم فَرَّقَهُم شَقِيئاً وسعيداً ، ثم نصَّ ما أعدَّ لكلِّ .

ولابنِ شرفِ القيروانيِّ^(٣) :

لِمُلْتَمِسِ الْحَاجَاتِ جَمْعُ بَبَابِهِ فَهَذَا لَهُ فَنٌّ وَهَذَا لَهُ فَنٌّ
فَلِلْحَامِلِ الْعُلْيَا وَلِلْمُعْدِمِ الْغِنَى وَلِلْمُذْنِبِ الرَّحْمَى وَلِلْحَائِفِ الْأَمْنُ



(١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١٠٢/١) .

(٢) سورة هود : (١٠٥) .

(٣) انظر « ديوان ابن شرف القيرواني » (ص ٩٩) .

التوسيعُ

هُوَ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِيبُ مَعَهُ خَصَلَتَانِ : الْحِرْصُ ، وَطُولُ الْأَمَلِ » ^(١) .

وقوله : « مِنْهُمَا مَنْ لَا يَشْبَعَانِ : طَالِبٌ عِلْمٍ ، وَطَالِبٌ دُنْيَا » ^(٢) .

ولتاج الدّين بن أبي الحسين الكنديّ البغداديّ ^(٣) : [من البسيط]

دَعِ الْمُنْجِمَ يَكْبُوفِي ضَلَالَتِهِ إِنَّ أَدْعَى عِلْمٍ مَا يَجْرِي بِهِ الْفَلَكَ
تَفَرَّدَ اللَّهُ بِالْعِلْمِ الْقَدِيمِ فَلَا أَلْ إِنْسَانٌ يَشْرِكُهُ فِيهِ وَلَا الْمَلَكُ
أَعَدَّ لِلرِّزْقِ مِنْ إِشْرَاكِهِ شَرَكًا فَبِئْسَتِ الْعُدَّتَانِ الشِّرْكَ وَالشَّرْكَ



(١) انظر «ميزان الاعتدال» (١٥٦/٤) ، وأخرج البخاري (٦٤٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين : في حب الدنيا ، وطول الأمل » .
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٩٢/١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .
(٣) انظر «وفيات الأعيان» (٣٤١/٢) .

التكميلُ

هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ بِالْمَعْنَى تَامًا ، ثُمَّ يَعْقِبُهُ بِمَعْنَى يَزِيدُهُ كَمَالًا ؛ كَقَوْلِ
سَعْدِ بْنِ كَعْبٍ الْغَنَوِيِّ ^(١) :

حَلِيمٌ إِذَا مَا أَلْجَلْمُ زَيْنَ أَهْلَهُ مَعَ أَلْجَلْمِ فِي عَيْنِ الرَّجَالِ مَهِيْبُ
وَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ ^(٢) :

هَلِ أَلْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِفْنَا أَلنَّوَى بَوَضِلِ سُعَادٍ أَوْ يُسَاعِدَنَا أَلدَّهْرُ
عَلَى أَنَّهَا مَا عِنْدَهَا لِمُوَاصِلِ وَصَالٌ وَلَا عَنْهَا لِمُضْطَبِرِ صَبْرُ



(١) انظر « خزانة الأدب » (٤٣٥/١٠) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٨٤٤/٢) .

الاحتراسُ

هو أن يأتي المُتكلِّمُ بزيادةٍ على الكلامِ لدفعِ فسادٍ في معناه ولو احتمالاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَةٍ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ ﴾ ^(١) ، فاليدُ تكونُ بيضاءَ بعلةِ البهقِ ، وقوله : ﴿ لَا يَحِطُّمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٢) ، فنسبةُ الفعلِ توهمُ القصدَ ، ومن ناله الأذى يعترضُ على مَنْ قصده دونَ مَنْ لم يشعر به ، وهو في القرآن كثيرٌ .

ومن شواهدِ الاحتراسِ : قولُ الفرزدقِ مِنْ هجائه لجرير ^(٣) : [من الكامل]
لَعَنَ أَلِالَةَ بَنِي كَلَيْبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونَ لِجَارِ
فقوله (لا يَغْدِرُونَ) معناه : متى أخذَ عليهم عهدٌ . . عَجَزُوا عن نقضِهِ ولو نَابَتْهُمْ بسببِهِ النوائِبُ ، والقرينةُ على ذلك : ما سبقَ مِنَ اللَّعْنِ ، لكنْ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ اسْتثنَى لَهُمْ صِفَةً مِنْ صفاتِ الكرمِ ، فاحترسَ بقوله : (ولا يفون) ، وقوله : (لجارٍ) مِنَ الإيغالِ .

وقال طرفة ^(٤) : [من الكامل]

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي
وقد فاتَ هذا الاحتراسُ المتنبّي حيثُ يقولُ ^(٥) : [من الكامل]

وَإِذَا أَرْتَحَلْتَ فَشَيِّعَتْكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ أَتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مَذْرَأُ

(١) سورة النمل : (١٢) .

(٢) سورة النمل : (١٨) .

(٣) انظر « ديوان الفرزدق » (٥٨١/١) .

(٤) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٩٧) .

(٥) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٢١٤) .

وقد استعارَ بعضُ كُتَّابِ المغربِ هذا الكلامَ في رسالةٍ توديعيَّةٍ يُخاطِبُ
فيها سلطانهُ ، وانتقدَ على المتنبّي حيثُ يقولُ^(١) :

سِرَّ حَلَّ حَيْثُ تَحَلُّهُ النُّوَارُ وَأَرَاكَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمِقْدَارُ
وَإِذَا أُرْتَحَلْتَ فَشَيِّعَتْكَ سَلَامَةٌ وَغَمَامَةٌ لَا دِيَمَةَ مِدْرَارُ
تَنْفِي أَلْهَجِيرَ بِظِلِّهَا وَتُنِيمُ بِالرِّ شَنِ الْقَتَامِ وَكَيْفَ شِئْتَ تُدَارُ
وَقَضَى أَلِإِلَهَ بِأَنْ تَعُودَ مُظْفَرًا وَقَضْتَ بِسَيْفِكَ نَحْبَهَا أَلْكَفَارُ

هذا ما تَمَنَّاهُ الوليُّ ، لا ما تَمَنَّاهُ الجعفيُّ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : (حيثُ ارتحلت
وديمةٌ . . .) ، وما تكادُ تنعقدُ معها عزيمةٌ ، وإذا سفحتُ على ذي سفرٍ . . فما
أحراها بأن تُعَوِّقَ عن الظفرِ ، ونعتها بـ (مدرارِ) ، فكانَ أبلغَ في الاضطرارِ .



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٨٦/٦ - ٢٨٧) ، والبيتان الأولان مقتبسان من قصيدة للمتنبّي في « ديوانه »
(ص ٢١٤) بتصرف .

الإيغالُ

هو أن يأتي المُتكلِّمُ بعدَ تمامِ الكلامِ بلفظٍ يزيدُ في معناه ؛ كقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

فقوله : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ إيغالٌ لتمام الكلام قبله وزيادة فيه .

وقوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ آتِيعُوا الْمُرْسَلِينَ آتِيعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

ومن كلام الناس كقول الخنساء (٣) :

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فقولها : (في رأسه نارٌ) وردَ بعدَ تمامِ المعنى ليزيدَ فيه .

وقول امرئ القيس (٤) :

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ

قال الأصمعي : (عيونُ الطِّبَاءِ والبقرِ إذا كانت حيةً . . لم يظهرَ فيها

البياضُ ، فإذا ماتت . . ظهرَ) (٥) ، والشعرُ في ذكرِ يومِ صيدٍ ، فهو يقولُ في

كثرةِ الصيدِ : حتى إنَّ عيونَ الوحشِ صارتْ منتثرةً حولَ رجالِهِم في صورةِ

(١) سورة البقرة : (١٦) .

(٢) سورة يس : (٢٠ - ٢١) .

(٣) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٦ - ٣٨٧) .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٥٣) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٣٣٤/٥) .

الجَزَعُ ؛ وَهُوَ خَرَزٌ فِيهِ بِيَاضٌ وَسَوَادٌ يُجَلَبُ مِنَ الْيَمَنِ ، وَقَوْلُهُ : (لَمْ يُثَقَّبِ)
زِيَادَةٌ لِتَحْقِيقِ التَّشْبِيهِ ؛ كَقَوْلِ زَهِيرٍ ^(١) :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلَتْ بِهِ حَبُّ الْفَنَّا لَمْ يُحَطِّمْ



(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٢٢) .

شجاعة الفصاحة

قال مثبتة أبو الفتح عثمان بن جني : (هو حذف شيء من لوازم الكلام ثقة بفهم السامع)^(١) ، ومثّل له بأمثلة يرجع فيها ضمير الغائب على ما يلزم علمه من الكلام دون ذكره ؛ كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾^(٢) ، بعد قوله : ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَيْتِ ﴾^(٣) .

وكقول لبيد^(٤) :

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا



(١) انظر «أنوار الربيع» (١٩٢/٥) .

(٢) سورة ص : (٣٢) .

(٣) سورة ص : (٣١) .

(٤) انظر «ديوان لبيد» رضي الله عنه (ص ٣١٦) .

الفرائدُ

هذا النوعُ عبارةٌ عن كلماتٍ رائعةٍ ظاهرةٍ الفصاحةِ يكونُ لها تميُّزٌ بين قرائنها ، فثُشِبَ الجوهرَةُ الفريدةُ في العِقدِ المِتمائِلِ ، ومَثَلُوا لَهُ بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ (١) .

وقوله : ﴿يَعْلَمُ خَائِبَتَهُ الْأَعْيُنُ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (٣) .

ومن الشعرِ : قولُ أبي كبيرِ الهذليِّ (٤) : [من الكامل]

وَمُبْرَأٌ مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ وَفَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغِيلٍ
فقوله : (غُبْرٍ) بضم الغين : من الفرائدِ ، لا يقومُ مقامها عقبُ حيضةٍ ،
(و كلِّ) في هذا البيتِ داخلةٌ على المعدودِ بعدها ؛ أي : هو مُبرَأٌ من كلِّ
ما يُوجبُ ضعفاً ونقصاً في الخلقِ ، و(المُغِيلُ) : اسمٌ فاعلٍ من (أُغِيلَ) ،
يُقَالُ : أُغِيلَتِ المرأةُ ولدها دونَ إعلالٍ ، وأغالتهُ بالإعلالِ ، فهي مُغِيلٌ
وَمُغِيلٌ ؛ إذا أرضعتهُ وهي حاملٌ ، جعله صفةً للداءِ مبالغةً في شناعتهِ ؛
كأنَّ المرأةَ إذا أرضعتْ ولدها وهي حاملٌ . . لم تكن هي المرضعةُ ، وإنما
المرضعُ داءً .

والمراءُ بفسادِ المرضعةِ : ألا تكونَ من ذواتِ اللَّبنِ الجيدِ ، فإنَّ النساءَ

(١) سورة يوسف : (٥١) .

(٢) سورة غافر : (١٩) .

(٣) سورة البقرة : (١٨٧) .

(٤) انظر « ديوان الهذليين » (٩٣/٢) ، و« أنوار الربيع » (٢٦٨/٥) ، وفيه الشرح الآتي .

وبقية الإناث من الحيوانات متفاوتة الألبان تفاوتاً عظيماً ، فهو فسادٌ أصليٌّ ،
وفسادٌ المغيلِ عارضٌ ، فلا يغني أحدهما عن الآخر .

وهذا البيئُ شاهدٌ للعربِ بكَمالِ النَّباهةِ وجودةِ الالتفاتِ واعتبارِ
التجاربِ ؛ فإنَّ المرأةَ بعدَ الحيضِ لا تكونُ قد صَفَتْ مِنَ الخبثِ وبرئَتْ
مِن الضَّعْفِ وتمَّتْ سورُتها لقبولِ البَدْرِ ، فهي كالأرضِ النديَّةِ التي لم تبلغِ
الصَّلاحيةَ لقبولِ الحَبِّ وحسنِ الفعلِ ، فهو يخرجُ ضعيفاً ، وقوَّةُ الغذاءِ باللَّبَنِ
لها ما بعدها ، وكانتِ العربُ قد عرَفَتْ بعضَ القبائلِ بجودةِ اللَّبَنِ ، فكانوا
يُرضعونَ فيهمِ أولادَهُم .

وفي معنى حديثِ : « مَا لِي لَا أَكُونُ أَفْصَحَ الْعَرَبِ وَأَنَا مِنْ قُرَيْشٍ ،
وَأَسْتَرْضِعْتُ فِي بَيْتِي سَعْدِ !؟ »^(١) ، فأنتَ تراه نفيَ التعجُّبِ مِنْ قُوَّةِ الفصاحةِ
بإثباتِ ما يُوجِبُها ؛ وهو سببان :

أحدهما : حسنُ الرِّضاعةِ لاستتباعِهِ قُوَّةَ البنيةِ وجودةَ استعدادِ الأعضاءِ
لتتميمِ أعمالِها .

والسببُ الآخرُ : كونهُ مِنْ قريشٍ الذينَ هُم أهلُ المجالسِ التي كانتِ
العربُ تتحاكَمُ إليها في موسمِ الحجِّ .

وتلكَ مقاماتُ أنواعِ الكلامِ ، ومواضعُ إمكانِ الاختيارِ ، كما سبقتِ الإشارةُ
إليه في الكلامِ على اللغَةِ^(٢) .

وأما الغيلةُ : فذلكَ حكمُها بمقتضى التجربةِ ، وعليه قالَ صَلَّى اللهُ عليه
وسَلَّمَ : « هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ فَارِسَ وَالرُّومَ يَفْعَلُونَ

(١) انظر « البدر المنير » (٢٨١/٨) .

(٢) انظر (١٠٧/١) وما قبلها وما بعدها .

ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّهُمْ» (١) ، فمعناه : أَنَّهُ هَمَّ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لِدَفْعِ الْحَرَجِ فِيهِ تَرَكَ إِلَى التَّجْرِبَةِ ، فَمَنْ وَجَدَ فِيهِ ضَرراً . . كَانَ مِنْهياً عَنْهُ بِعَمُومِ النَّهْيِ عَنِ الْأَذَى .



(١) أخرجه مسلم (١٤٤٢) عن السيدة جدامة بنت وهب الأسدية رضي الله عنها .

الاشتقاقُ

قالَ مثبتُهُ أبو هلالٍ العسكريُّ : (هُوَ أَنْ تَشْتَقَّ مِنْ الْأَسْمِ الْعَلَمِ مَعْنَى فِي غَرَضٍ مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ) (١) .

وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ : قَوْلُ ابْنِ دَرِيدٍ فِي هَجَاءِ نَفْطَوِيهِ النَّحْوِيِّ (٢) : [مِنْ السَّرِيعِ]

لَوْ أَوْحَى النَّحْوُ إِلَى نِفْطَوِيَّةٍ مَا كَانَ هَذَا النَّحْوُ يُغْدَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِضْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ ضَرَاخًا عَلَيْهِ

وللصاحبِ ابنِ عبَّادٍ وقدِ استأذَنَ حاجِبُهُ لِلطَّرْسُوسِيِّ ، [فَقَالَ] مَدَاعِبَةٌ :
الطَّرُّ فِي لِحِيَّتِهِ ، وَالسُّوسُ فِي حَنْطَتِهِ (٣) .

ودخَلَ مُحَمَّدُ الْعَبَّاسِيُّ الْمُلَقَّبُ أَبُو الْعَبْرِ - وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْهَزْلِ وَلَهُ نَوَادِرُ
ظَرِيفَةٌ - عَلَى رَجُلٍ يُسَمَّى (كَلْثُومٌ) فَسَأَلَ مُحَمَّدًا عَنِ اسْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ : (كُلُّ
بِصَلٍّ) فَقَالَ : مَا مَعْنَى هَذَا الْأَسْمِ ؟ فَقَالَ : مَعْنَاهُ مَعْنَى (كَلْثُومٌ) (٤) .

وَكَتَبَ ابْنُ سُكَّرَةَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَلْقُبُ الْمِلْحَجِيَّ (٥) : [مِنْ الْخَفِيفِ]

يَا صَدِيقًا أَفَادَنِيهِ زَمَانٌ فِيهِ ضَنٌّْ بِالْأَصْدِقَاءِ وَشُخٌّ
بَيْنَ شَخْصِي وَبَيْنَ شَخْصِكَ بَعْدُ غَيْرَ أَنَّ الْخَيَالَ بِالْوَضْلِ سَمْحٌ
إِنَّمَا بَاعَدَ التَّأْلَفَ مِنَّا أَنَّنِي سُكَّرٌ وَأَنَّكَ مِلْحٌ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤٨) ، و« أنوار الربيع » (٢٧٦/٥) .

(٢) انظر « ديوان ابن دريد الأزدي » (ص ١١١) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤١٣/١) .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (١٢٣/٤) ، ففيه خبر قريب منه .

(٥) انظر « وفيات الأعيان » (٤١١/٤) .

فكتب يجيبه :

[من الخفيف]

هَلْ يَقُولُ الْإِخْوَانُ يَوْمًا لِخَلِيٍّ شَابَ مِنْهُ مَحْضَ الْمَوَدَّةِ قَدْحُ
بَيْنَنَا سُكَّرٌ فَلَا تُفْسِدْنَاهُ أَوْ غَدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مِلْحُ

وفي هذا الجواب تفضيل الملح ، لا رفع المنافرة بين النوعين .

ولابن الرومي^(١) :

[من الطويل]

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِدًا رَأَى كَيْفَ يَرْقَى فِي الْمَعَالِي وَيَصْعَدُ



(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (٥٩١/٢) .

السَّلْبُ وَالْإِيجَابُ

هُوَ إِثْبَاتُ شَيْءٍ وَنَفْيُهُ مِنْ جِهَتَيْنِ ؛ كَقَوْلِهِ ^(١) :

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرَمَةٍ فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا

رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا

وَقَوْلِ آخَرَ ^(٢) :

لَا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحِفْظِ جَوَارِهِ فُطْنٌ

وَلَا يَلْزُمُ التَّصْرِيحُ بِالْجَزَائِيْنَ ، فَيَعْدُّ مِنْهُ قَوْلُ الْخَنْسَاءِ ^(٣) : [من الطويل]

وَمَا بَلَغْتَ كَفِّ أَمْرِي مُتَنَاوَلًا مِنْ الْمَجْدِ إِلَّا وَالَّذِي نَلْتَ أَطْوَلُ

وَلَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ لِلنَّاسِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فِيْنَهُ عَلَى تَقْدِيرِ : بَلَغَ النَّاسُ مُتَنَاوَلًا مِنَ الْمَجْدِ ، وَمَا بَلَغُوا مَا بَلَغْتَ ، وَبَلَغَ

الشُّعْرَاءُ مَدَحَ الْأَجْوَادِ ، وَمَا بَلَغُوا مَدْحَكَ .



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٨٢/٥) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٨١/٥) .

(٣) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٢٠) .

المُشَاكَلَةُ

هي ذكرُ الشيء بلفظٍ غيره لوقوعه في صحبته مجازاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَنِ
أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلُ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (١)

وقوله : ﴿ وَجَزَأُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا ﴾ (٢) .

وقد يكونُ المُشَاكِلُ ملحوظاً غيرَ موجودٍ في الكلام ، فتُسمَّى المُشَاكَلَةُ
تقديريةً ؛ كقولِ بعضِ الشعراءِ وقد نظرَ إلى أميرِ يَغْرِسُ فَسَيْلاً (٣) : [من الكامل]

إِنَّ الْوِلَايَةَ لَا تَدُومُ لِوَاحِدٍ إِنَّ كُنْتَ تُنْكِرُهُ فَأَيْنَ الْأَوَّلُ

فَأَغْرِسْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ غَرَائِساً فَإِذَا عَزَلْتَ فَإِنَّهَا لَا تُعَزَلُ

كَأَنَّهُ قَالَ : أَنْتَ تَغْرِسُ نَخْلاً ، فَأَغْرِسْ فِعْلاً .



(١) سورة البقرة : (١٩٤) .

(٢) سورة الشورى : (٤٠) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٨٦/٥) .

ما لا يستحيل بالانعكاس

هو عبارة عن لفظ يُقرأ مِنْ آخِرِهِ لِأَوَّلِهِ كما يُقرأ مِنْ أَوَّلِهِ لِآخِرِهِ ، كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ رَبَّكَ فَكَّرَ ﴾ ^(٢) .

ومِنْ كلامِ الناسِ : (كُنْ كما أمكنك) .

ومِنْ النوادرِ : أنَّ العمادَ الكاتبَ كانَ يسائرُ القاضيَ الفاضلَ ، فقالَ العمادُ : (سِرْ فلا كبا بِكَ الفرسُ) ، فأجابَهُ القاضيَ بديهَةً بقوله : (دامَ عَلَا العمادِ) .

وللقاضي الأرجاني ^(٣) :

أحِبُّ الْمَرْءَ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ
مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوٍ وَهَلْ كُتِلَ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ
وشرطُ حسنِهِ : أن يكونَ سلساً ، ليسَ فيه تكلفٌ .



(١) سورة يس : (٤٠) .

(٢) سورة المدثر : (٣) .

(٣) انظر « ديوان الأرجاني » (١٢٣٣/٣ - ١٢٣٤) .

التقسيم

هو على نوعين :

أحدهما : أن يذكر قسمة ذات جزأين أو أكثر ، ويضيف لكل ما يليق به .

والثاني : أن يستوفي جميع الأقسام الممكنة .

[من البسيط]

إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتِدُ
وَذَا يُشْجُ فَلَا يَزْثِي لَهُ أَحَدُ

[من الطويل]

يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَغْرَبِ بْنِ حَاتِمِ
فَتَى الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مَسَالِمِ
وَهُمُ الْفَتَى الْقَيْسِيَّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ

فَمِنَ الْأَوَّلِ : قَوْلُ الْمُتَمَلِّسِ ^(١) :

فَمَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ

وقول ربيعة الرقي ^(٢) :

لَشْتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى
يَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمُ الْمَالِ وَالْفَتَى
فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيَّ إِتْلَافُ مَالِهِ



ومن الثاني : قوله تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَرَ

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً ۗ ﴾ ^(٣) .

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ٢٠٨ - ٢١١) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣٢٣/٦) .

(٣) سورة الشورى : (٤٩ - ٥٠) .

[قصة عمرو بن عبيد مع الحسن البصري]

ويُحكى : أنَّ الحسنَ البصريَّ كانَ يقولُ : لا تُقبَلُ توبةُ قاتلِ المؤمنِ عمداً ،
فدسَّ إليه عمرو بنُ عبيدٍ رجلاً يقولُ له : لا يخلو أن يكونَ مؤمناً أو كافراً
أو منافقاً أو فاسقاً .

فإن كانَ مؤمناً .. فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يقولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا
إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (١) .

وإن كانَ كافراً .. فإنَّه تعالى يقولُ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَدْتَهُمْ يُعْطَرْ
لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٢) .

وإن كانَ منافقاً .. فإنَّه تعالى يقولُ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ (٣) .

وإن كانَ فاسقاً .. فإنَّه تعالى يقولُ : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا ﴾ (٤) .

فقالَ الحسنُ للرجلِ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ قَالَ : شيءٌ اختلجَ في صدري ،
فقالَ : محالٌّ ، اصدُقْني ، فقالَ : عمرو بنُ عبيدٍ ، فقالَ الحسنُ : عمرو وما
عمرو ؛ إذا قامَ بأمرٍ .. قعدَ به ، وإذا قعدَ بأمرٍ .. قامَ به (٥) .



وحُكِيَ : أنَّه قَدِمَ وفدٌ مِنَ العِراقِ على هشامِ بنِ عبدِ الملكِ وفيهم رجلٌ

(١) سورة التحريم : (٨) .

(٢) سورة الأنفال : (٣٨) .

(٣) سورة النساء : (١٤٥ - ١٤٦) .

(٤) سورة النور : (٤ - ٥) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٢٩٤/٥ - ٢٩٥) .

مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَصَابَتْنا سِنُونَ ثَلَاثٌ ؛ أُمَّا الْأَوْلَى . .
فَأَذَابَتِ الشَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّانِيَةَ . . فنَحَضَتِ اللَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّالِثَةَ . . فهاضَتِ
العِظْمَ ، وفي أَيْدِيكُمْ فَضُولُ أَمْوَالٍ ؛ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ . . فبَثُّوها فِي عِبَادِ اللَّهِ ،
وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ . . فلا تَمْنَعُوهُمْ إِيَّاهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ . . فَتَصَدَّقُوا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

فَقَالَ هِشَامٌ : ما تَرَكَ لَنَا فِي واحِدَةٍ عِذْراً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : قد قَلَّتْ فِي
حاجَةِ العامَّةِ ، فقلُّ فِي حاجَةِ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : ما لي حاجَةٌ فِي خاصَّةِ دُونَ
عامَّةِ^(١) .

ولأبي تمامٍ فِي مجوسِيٍّ أُحْرِقَ^(٢) :
صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتاً وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْكُفَّارِ
ولعمرو بنِ الأَهِمِّ^(٣) :
إِشْرَبَا ما شَرِبْتُمَا فَهُذَيْلٌ مِنْ قَتِيلٍ أَوْ هَارِبٍ أَوْ أُسِيرٍ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٩٥/٥) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٠٣/٢) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٩٦/٥) .

الإشارة

هو عبارة عن إيجاز في العبارة مع كثرة المعنى ، كأنه يشير إليه إشارة ، ولم تتناول العبارة ؛ كقوله تعالى في صفة الجنة : ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ فَأَصْدَعَ بِمَا أُؤْمَرُ ﴾ (٣) .

ولامرئ القيس (٤) :

فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَدِيدٌ بِنِعْمَةٍ فَقَلَّ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيَّبُ
فهذه عباراتٌ وجيزةٌ أريد بها أشياء كثيرةٌ .



(١) سورة الزخرف : (٧١) .

(٢) سورة النازعات : (٣١) .

(٣) سورة الحجر : (٩٤) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٣٥٦/١) ، و« الصحاح » (١٧٦/١) ، مادة : (غ ي ب) .

الترتيبُ

قالَ مُستخرِجُه شرفُ الدِّينِ التيفاشيُّ : (هوَ ذكْرُ أوصافٍ لموصوفٍ واحدٍ مرتبةً على الترتيبِ الطبيعيِّ) ^(١) ؛ كقولِ مسلمِ بنِ الوليدِ ^(٢) : [من البسيط]
هَيْفَاءُ فِي فَرْعِهَا لَيْلٌ عَلَيَّ قَمَرٍ عَلَيَّ قَضِيبٌ عَلَيَّ حِقْفٌ أَلْنَقَا أَلدَّهْسِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٣١٧/٥) .

(٢) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٢٥) .

المشاركة

ويُقَالُ : الاشتراكُ ؛ وهو أن يأتِيَ بلفظٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ لِيُوهِمَ السَامِعَ أَنَّهُ أَرَادَ أَحَدُهُمَا ؛ لِكَوْنِهِ جَعَلَ الْكَلَامَ بَحِيْثًا يَتْبَادَرُ مِنْهُ وَهُوَ يَرِيدُ الْآخَرَ ، فَيُعَقِبُ الْكَلَامَ بِمَا يُحَقِّقُ مَرَادَهُ ؛ كَقَوْلِ كَثِيرٍ عَزَّةَ (١) :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيْرَةٍ إِلَيَّ وَلَمْ تَعْلَمْ بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنْتِ قَصِيْرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ قِصَارَ الْخُطَا شَرُّ النَّسَاءِ الْبَحَائِرُ
الْبَحَائِرُ : جَمْعُ بُحْتَرٍ بَضْمٌ فَسَكُونٌ ؛ الْقَصِيْرُ الْمُجْتَمِعُ الْخَلْقِ .



(١) انظر «ديوان كثير عزة» (ص ٣٦٩) .

التوليدُ

هو على نوعين : أحدهما : لفظي ، والآخر : معنوي .

فاللفظي : أن يستحسن الشاعرُ أو الناثرُ لفظاً من كلامٍ غيره في معنى فيستلبه ويضعه في معنى آخر ، فإن كان استعماله إيّاه أجود ، وكان الموضع الذي وضعه فيه به أليق . . انتظم في المقبول المُستحسن ، وإلا . . عدّ من المردود أو المُستردل ؛ كقول أبي تمام^(١) :

لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّوَظِرِ لَمْ يَزَلْ يَرُوحُ وَيَعْدُو فِي خُفَارَتِهِ الْحُبُّ

كلمة (القيد) مُستلَبَةٌ مِنْ قول امرئ القيسِ في صفةِ الفرسِ^(٢) : [من الطويل]

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

الأوابد : جمعُ أبدة ؛ وهي الوَحْشُ ، ومعناه : أن هذا الفرسَ شديدُ السُرعة ؛ بحيثُ متى طُلبَ عليه صيدٌ . . أدركه ومنعه من الحركة ، فهو بمنزلةِ القيدِ له ، فأنت ترى أنه استعملَ لفظَ (القيد) مع الحيوانِ الذي هو موضعه ، وبلغَ به غرضه ، وأبو تمامٍ استلبه واستعمله مع النواظِرِ ، فكان في غيرِ موضعه .

والمعنوي : هو أن يجد الشاعرُ أو الناثرُ معنى لغيره ، فيأخذه ليزيد فيه ويحسن العبارة عنه ، فيعدُّ بديعاً لما فيه من التنبُّه والنقدِ الذي يحصلُ بمثله التعليمُ والدلالةُ على الأدبِ ؛ كقول أبي الطيبِ^(٣) :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يُغري بي

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١٨٠/١) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٩) .

[من البسيط]

توليداً مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ^(١) :

لَا تَلْقَ إِلَّا بَلِيلٍ مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالْشَّمْسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادٌ

فالنميمة : هي نقل الكلام عن الغائب ، وليس فعل الشمس ، والإغراء : هو تحريض حاضر على حاضر ، وهو فعل بياض الصبح .

واستعمال الشفاعة التي تقتضي صحبة الإعانة مع شرف اللفظ .. أحسن من استعمال القيادة .

[من الطويل]

وكتقول أبي الطيب أيضاً^(٢) :

هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْغَمْدَ سَيْفُهُ وَعَايْنَتُهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّضْلُ

[من الطويل]

توليداً مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ^(٣) :

يَمْدُونُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيَا فَهِنَّ سَوَاءٌ وَالسُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ

فانظر تفاوت ما بين البيتين !!

[من الطويل]

وكتقول الأخطل^(٤) :

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لَكَالِدَّهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

[من البسيط]

توليداً مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ^(٥) :

وَعَيَّرْتَنِي بَنُو دُبْيَانَ خَشِيَّتَهُ وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشَاهُ مِنْ عَارٍ

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (١٧٣/١) .

(٢) انظر « ديوان المتنبلي » (ص ٣٠) .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٥٨٩/٤) .

(٤) كذا في « أنوار الربيع » (٣٢٥/٥) .

(٥) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٨) .

وكقول بعضهم^(١) :

[من الطويل]

فَلَا تَغُلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَأَقْتَصِدْ كَلَّا طَرَفِي كُلِّ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ

توليداً من قول آخر^(٢) :

[من البسيط]

عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ طَالِبُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي بَعْدَهُ الْخُلُقُ

توليداً من قول القطامي^(٣) :

[من البسيط]

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأْتِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وهو عقد لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَأْتَى .. أَصَابَ أَوْ كَادَ ، وَمَنْ
أَسْتَعْجَلَ .. أَخْطَأَ أَوْ كَادَ »^(٤) .



(١) انظر « وفيات الأعيان » (٢١٥/٢) ، وفيه : (قصد) بدل (كل) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » (٣٥٠/١) .

(٣) انظر « ديوان القطامي » (ص ١٩٣) .

(٤) انظر « المقاصد الحسنة » (٣١٢) .

الإبداع

بالباء الموحدة؛ هو أن يكون البيت من الشعر، أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة.. مُشتملاً على عدّة ضروب من البديع .

[ثلاثة وعشرون نوعاً من البديع في آية واحدة]

ولم يُوجد في هذا النوع من الكلام مثل قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

فإنها اشتملت على ثلاثة وعشرين نوعاً من البديع ؛ وهي سبع عشرة لفظة :

الأول : المناسبة التامة بين ﴿ ابْلَيْ ﴾ و ﴿ أَقْلِي ﴾

الثاني : الاستعارة فيهما .

الثالث : الطباق بين (الأرض) و (السماء) .

الرابع : المجاز في قوله : ﴿ وَيَسْمَأْ ﴾ ، فإن الحقيقة : (يا مطر السماء) .

الخامس : الإشارة في ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾ ، فإنه عبّر به عن معانٍ كثيرة ؛ لأن

الماء لا يغيض حتى يُقلع مطر السماء ، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء ، فيغيض الحاصل على وجه الأرض من الماء .

السادس : الإرداف في قوله : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ ، فإنه عبّر عن

استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى .

(١) سورة هود : (٤٤) .

السابع : التمثيلُ في قوله : ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ، فإنه عَبَّرَ عن هلاكِ الهالكينَ وِنجاةِ الناجينَ بلفظٍ بعيدٍ عن الموضوع .

الثامنُ : التعليلُ ؛ فإنَّ غَيْضَ الماءِ علَّةُ الاستواءِ .

التاسعُ : صحَّةُ التقسيمِ ؛ فإنه استوعبَ أقسامَ الماءِ حالةَ نقصِهِ ؛ إذ ليسَ إلاَّ احتباسَ ماءِ السماءِ والماءِ النابعِ مِنَ الأرضِ ، وَغَيْضَ الماءِ الذي على ظهرِها .

العاشرُ : الاحتراسُ في قوله : ﴿ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ، إذ الدعاءُ يُشعرُ بأنَّهم مُستحقُّو الهلاكِ احتراساً مِنْ ضعيفٍ يتوهمُ أنَّ الهلاكَ لعمومِهِ ربَّما شملَ غيرَ مُستحقِّ .

الحادي عشرُ : المساواةُ ؛ لأنَّ لفظَ الآيةِ لا يزيدُ على معناها .

الثاني عشرُ : حسنُ النسقِ ؛ فإنه تعالى قصَّ القصةَ وعطفَ بعضها على بعضٍ بحسنِ الترتيبِ .

الثالث عشرُ : ائتلافُ اللفظِ مع المعنى ؛ لأنَّ كلَّ لفظةٍ لا يصلحُ معها غيرُها .

الرابع عشرُ : الإيجازُ ؛ فإنه تعالى أمرَ فيها ، ونهى ، وأخبر ، ونادى ، ونعت ، وسمَّى ، وأهلكَ وأبقى ، وأسعدَ وأشقى ، وقصَّ مِنَ الأنبياءِ ما لو شُرِّحَ . . لَجَفَّتِ الأقلامُ .

الخامس عشرُ : التسهيمُ ؛ لأنَّ أوَّلَ الآيةِ يدلُّ على آخِرِها .

السادس عشرُ : التهذيبُ ؛ لأنَّ مفرداتها موصوفةٌ بصفاتِ الحسنِ ، كلُّ لفظةٍ سهلةٌ مخارجِ الحروفِ ، عليها رونقُ الفصاحةِ ، سليمةٌ عن التنافرِ ، بعيدةٌ عن البشاعةِ وعقادةِ التركيبِ .

السابع عشر: حسن البيان؛ لأن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكّل عليه شيء منه.

الثامن عشر: الاعتراض؛ وهو قوله: ﴿وَعِضَ الْمَاءِ﴾، ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾.

التاسع عشر: الكناية؛ فإنه لم يُصرّح بمن غاص الماء، ولا بمن قضى الأمر وسوى السفينة، ولا بمن قال: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾، كما لم يُصرّح بقائل: ﴿يَأْرَضُ أَبْلَى﴾، ﴿وَنَسَمَاءَ أَقْلَى﴾ في صدر الآية؛ سلوكاً في كل واحد من ذلك سبيل الكناية؛ إن تلك الأمور العظام لا تتأتى إلا من ذي قدرة قهار لا يُغالب، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلت عظمته قائل: يا أرض ويا سماء، ولا أن يكون غائض ما غاص ولا قاضي مثل ذلك الأمر الهائل غيره.

العشرون: التعريض؛ فإنه تعالى عرّض لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً، وأن الطوفان وتلك الصور الهائلة ما كانت إلا لظلمهم.

الحادي والعشرون: التمكين؛ لأن الفاصلة مستقرة في محلها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة ولا مستدعاة.

الثاني والعشرون: الانسجام؛ لأن الآية بجملتها منسجمة كالماء الجاري في السلاسة.

الثالث والعشرون: الإبداع الذي هو شاهد هذا النوع.

وفي هذه الآية الكريمة تفرعات أخر؛ مثلاً: أن الاستعارة منها في موضعين وأمثال ذلك مما يُستنبط بقوة النظر والاستقراء بمعرفة الناقد البصير، وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف.

وفي «العجائب» للكزمانبي: (أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر
عن الإتيان بمثل هذه الآية، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم، فلم
يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها، وحسن نظمها، وجودة معانيها في تصوير
الحال، مع الإيجاز من غير إخلال) انتهى من لفظ ابن معصوم رحمة الله
عليه^(١).



(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٧/١)، أنوار الربيع (٣٣٠/٥).

النوادرُ

وكانَ قدامهُ يُسمِّيهِ : الإغرابَ بالغينِ المعجمةِ ؛ وهو أن يقصدَ المُتكلِّمُ إلى معنى قدِ ابتذلتهُ الشُّهرةُ وكثرةُ الاستعمالِ ، فيُبْرِزُهُ في صورةٍ يتخيَّلُها ، فتكسوهُ غرابَةً ، وكأنَّهُ لم يكنْ مُستعملاً ؛ كقول أبي الطيبِ المتنبّي في التشبيهِ بالشمسِ ^(١) :

[من الكامل]

لَمْ تَلَقْ هَذَا أَلْوَجَةَ شَمْسُ نَهَارِهِ إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ
وكقولِ القاضي الفاضلِ عبدِ الرحيمِ البيسانيِّ في التشبيهِ بالقمرِ ^(٢) :

[من الطويل]

تَرَاءَى وَمِرَاةَ السَّمَاءِ صَقِيلَةً فَأَثَّرَ فِيهَا وَجْهَهُ صَفْحَةَ أَلْبَدْرِ
ولأبي الفتحِ البستيِّ فيه إغرابٌ آخرٌ ^(٣) :

[من الكامل]

أَرَأَيْتَ مَا قَدْ قَالَ لِي بَدْرُ الدُّجَى لَمَّا رَأَى طَرْفِي يُدِيمُ سُهُودًا
حَتَّامَ تَرْمُقُنِي بِعَيْنِي سَاهِرٍ أَقْصِرُ فَلَسْتُ حَبِيبَكَ أَلْمَفْقُودًا
ومِنَ المعاني المشهورةِ : دعوى أَنَّ الطَّيْرَ تَتَّبِعُ الجَيْشَ لاعتيادِها الوقوعَ على قتلاه لكثرتهِ وقائعِهِ ونصرتِهِ فيها .
قالَ النابغةُ ^(٤) :

[من الطويل]

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

(١) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٩٧) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣٣٨/٥) .

(٣) انظر « ديوان أبي الفتح البستي » (ص ٢٣٧) .

(٤) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٢) .

وتبعه مسلم بن الوليد بقوله^(١) :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَّنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ

وأكثر الشعراء في ذلك بعباراتٍ قريبٍ بعضها من بعض ، حتى قال

المتنبي فأغرب^(٢) :

يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادُ عَلَى هَامَاتِهِمْ تَقَعُ



(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١٢) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٣٨) .

التطريزُ

هو على معنيين :

أحدهما : أن يُوتى بأمورٍ متقابلةٍ ؛ على حدِّ قولِ أبي تمام^(١) : [من الكامل]

أَعْوَامَ وَضَلَّ كَادَ يُنْسِي طَيْبَهَا ذَكَرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ أَنْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ أَعْقَبَتْ بُؤْسًا فَخِلْنَا أَنَّهَا أَعْوَامٌ
ثُمَّ أَنْقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونَ وَأَهْلَهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامٌ



والآخرُ : أن يُبتدأ بمتعديٍّ ثمَّ يُخبر عنه بصفةٍ واحدةٍ مُتكرِّرةٍ ، على حدِّ

قولِ ابنِ الروميِّ^(٢) :

أُمُورُكُمْ بَنِي خَاقَانَ عِنْدِي عِجَابٌ فِي عِجَابٍ فِي عِجَابٍ
فُرُونَ فِي رُؤُوسٍ فِي وُجُوهِ صِلَابٌ فِي صِلَابٍ فِي صِلَابٍ
وقولُ ابنِ لنككِ البصريِّ^(٣) :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالرَّاحِ رُوحٌ لِجِسْمِ الْكَأْسِ فِي كَفِّ النَّدِيمِ
وَقَدْ حَبَسَ الدُّجَى عَنَّا بَوَاكٍ [تَسِيلُ] نُفُوسُهَا فَوْقَ الْجُسُومِ
شُمُوعَكَ وَالْكَؤُوسَ مَعَ النَّدَامَى نُجُومٌ فِي نُجُومٍ فِي نُجُومِ



(١) انظر «ديوان أبي تمام» (١٥١/٣ - ١٥٢) .

(٢) انظر «ديوان ابن الرومي» (٣٥٣/١) .

(٣) انظر «يتيمة الدهر» (٤١٧/٢) .

التنكيثُ

هُوَ أَنْ يَخُصَّ الْمُتَكَلِّمُ شَيْئاً بِالذِّكْرِ لَا يَسْتَحِقُّ الْاِخْتِصَاصَ لِدَاتِهِ ، بَلْ هُوَ
وغيرُهُ سِوَاءٌ ؛ لِكَوْنِهِ دَلٌّ عَلَى أَمْرٍ انْفَرَدَ بِهِ ، وَلِذَلِكَ يُطَلَّبُ عِنْدَ سَمَاعِهِ فَيُقَالُ :
لِمَ خُصَّ هَذَا بِالذِّكْرِ ؟ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾ ^(١) ، وَهُوَ رَبُّ
كُلِّ شَيْءٍ ، فَيُقَالُ : لِمَ اخْتَصَّ الشَّعْرَى بِالذِّكْرِ ؟

وَالأَمْرُ الَّذِي أَوْجَبَ لَهَا ذَلِكَ : هُوَ أَنَّ أُمَّةً مِنَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَعْبُدُهَا ،
وَإِمَامُهُمْ فِي ذَلِكَ رَجُلٌ كَانَ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ، قِيلَ : وَهُوَ الْمَرَادُ فِي
قَوْلِ أَهْلِ مَكَّةَ حِينَ كَانُوا يَسْتَسْخِرُونَ : أَمْرَ أَمْرِ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ ^(٢) ؛ تَشْبِيهًا
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ فِي مَفَارِقَةِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَقِيلَ : نَسْبُوهُ إِلَى
بَعْضِ أَجْدَادِهِ لِأُمَّةٍ .

وَمِنْ شَوَاهِدِ التَّنْكِيتِ . . . قَوْلُ الْخَنْسَاءِ ^(٣) :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
خَصَّتِ الْوَقْتَيْنِ لِكَوْنِهِمَا وَقْتَ إِطْعَامِ الطَّعَامِ ، وَتَلْقِي الْمَسَاكِينِ
وَالضَّيْفَانِ .

وَلَأَبِي تَمَامٍ مِنَ التَّنْكِيتِ قَوْلُهُ ^(٤) :

تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التَّيْنِ وَالْعَنِيبِ
مِنْ قَصِيدَةٍ لَهَا خَبْرٌ يُعْرَفُ مِنْهُ نَكْتَةُ اخْتِصَاصِ التَّيْنِ وَالْعَنِيبِ بِالذِّكْرِ ،

(١) سورة النجم : (٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٧) عن سيدنا ابن عباس عن سيدنا أبي سفيان رضي الله عنهما من حديث طويل .

(٣) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٢٦) .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٦٩/١) .

حتى اعترضَ عليه مَنْ لم يَعْرِفِ الخَبَرَ ؛ وذلكَ أَنَّهُ بلغَ المعتصمَ وهو في مجلسِ شرايِهِ أَنَّ في بَلَدٍ يُقالُ لها : عَمُورِيَّةٌ - بتشديدِ الميمِ - مِنْ بلادِ الرومِ أسيرةٌ هاشمِيَّةٌ تصرُخُ : وا معتصماه ، فقالَ المعتصمُ : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ، وأمرَ بالختِمِ على الكأسِ ، وحلفَ ألاَّ يشربَهُ إلاَّ بعدَ فتحِ البلدِ وإنقاذِ الأسيرةِ ، فقالَ المُنجِمُونَ : إنَّ هذا الوقتَ غيرُ صالحٍ للغزوِ ، فلمَ يحفلُ بكلامِهِمْ ، وخرجَ ، وكانَ المُنجِمُونَ يقولونَ أيضاً : إذا لم تُفتحِ البلدُ قبلَ أوانِ نضجِ التينِ والعنبِ . . لم تُفتحَ أبداً ، فقدَرَّ اللهُ سبحانهُ وتعالى أَنَّهُ وصلَ إلى البلدِ وفتحها واستنقذَ الأسيرةَ ، فقامَ أبو تمامٍ وأنشدهُ قصيدةَ البيتِ ، وأولُها :

السَّيْفُ أَضدَقُ أَنبَاءٍ مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ
 بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُوْدُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 وهي مِنْ جيدِ شعرِ أبي تمامٍ .



حَسَنُ الْاِتِّبَاعِ

هوَ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَقْصِدَ الشَّاعِرُ إِلَى مَعْنَى سَبَقَهُ بِهِ غَيْرُهُ ، فَيَأْخُذُهُ لِيُخْرِجَهُ فِي صُورَةٍ أَحْسَنَ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا حَتَّى يَسْتَحِقَّهُ وَكَأَنَّهُ لَمْ يُسَبِّقْ بِهِ .

وَلِذَلِكَ يُقَالُ : مَنْ سَرَقَ وَاسْتَرَقَ .. فَقَدْ اسْتَحَقَّ ؛ كَقَوْلِ بشارٍ^(١) :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ الْلَهْجِ

فَأَخَذَهُ تَلْمِيذُهُ سَلْمُ الْخَاسِرِ ، فَاخْتَصَرَ وَبَالَغَ حَيْثُ يَقُولُ^(٢) : [من مخلص البسيط]

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورِ

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ^(٣) :

وَتَحْتَ زَنَانِيرِ شَدَدَنْ عُقُودَهَا زَنَانِيرُ أَعْكَانٍ مَعَاقِدُهَا الشُّرُزِ

فَأَخَذَهُ التَّهَامِيُّ فِي قَوْلِهِ^(٤) :

لَوْلَاهُ لَمْ يَقْضِ فِي أَعْدَائِهِ قَلَمٌ وَمِخْلَبُ اللَّيْثِ لَوْلَا اللَّيْثُ كَالظُّفْرِ

مَا صَرََّ إِلَّا وَصَلَّتْ بِيضُ أَنْصَلِهِ فِي أَلْهَامٍ أَوْ أَطَّتِ الْأَرْمَاحُ فِي الثَّغْرِ

وَعَادَرَتْ فِي الْعِدَا طَعْنًا يَحْفُتُ بِهِ صَرَبٌ كَمَا حُفَّتِ الْأَعْكَانُ بِالشُّرْرِ

(١) انظر « ديوان بشار بن برد » (٥٦/٢) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣٥٢/٢) .

(٣) انظر « ديوان ابن المعتز » (١٩٣/٢) .

(٤) انظر « ديوان التهامي » (ص ١٨٦ - ١٨٧) .

وقال جرير^(١) :

[من الوافر]

حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْنِكَ بَنُو تَمِيمٍ

[من السريع]

وتبعه أبو نواسٍ بقوله^(٢) :

أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ

[من الكامل]

وقال البحتري^(٣) :

مَا بَيْنَنَا تِلْكَ أَلَيْدُ الْبَيْضَاءِ

أَخْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَدَتْ

عَجَبًا وَبِرَّ رَاحٍ وَهُوَ جَفَاءِ

صِلَةٌ غَدَتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ قَطِيعَةٌ

[من البسيط]

فتبعه أبو العلاء بقوله^(٤) :

وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

لَوْ أُخْتَصِرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُمْ

وَمَنْ يقرأ الأشعار . . يجد شيئاً كثيراً مِنْ ذَلِكَ .



(١) انظر «ديوان جرير» (٨٢٣/٢) .

(٢) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٢٦٢) .

(٣) انظر «ديوان البحتري» (٢١/١ - ٢٢) .

(٤) انظر «سقط الزند» (١٢٠/١) .

التفريعُ

هو نوعان :

أحدهما : أن يحكمَ لمتعلقي أمرٍ بحكمِ عليٍّ وجهٍ يُشعرُ بتفريعِ الأولِ
على الثاني ؛ كقولِ العربيِّ ^(١) :

أَخْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ
قيلَ : إنَّ الكَلْبَ تعتريه حالةٌ كالجنونِ ، فإذا عضَّ إنساناً في هذه
الحالةِ .. جُنَّ ، ويُقالُ : كَلِبَ كَلْباً مِنْ بَابِ فَرِحَ ، فدواؤُهُ : أن يشربَ مِنْ دمِ
شريفٍ ، وأنكرَ ذلكَ بعضُ الأدباءِ ، وأنه المرادُ في البيتِ ، وقالَ : إنَّ معنى
البيتِ مدحُهم بالشرفِ والسُّؤددِ ، وأنَّهم إذا أُصيبوا في أخذِ الثَّأْرِ .. كانوا
شفاءً مِنَ الغمِّ والحقدِ وحرارةِ القلبِ على القتلى ، حتى يُقالَ : هو ثَأْرٌ مُنِيمٌ ؛
إذ كانتِ العربُ لا تعتدُّ في أخذِ الثَّأْرِ بقتلِ الأوضاعِ .



والثاني مِنْ نوعي التفريعِ : هو نفيُّ زيادةِ شيءٍ موصوفٍ بصفاتٍ على
شيءٍ آخرٍ ؛ كقولِ كثيرٍ ^(٢) :

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلُ
يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوَكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهَلُ
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأُصْلُ



(١) انظر « أنوار الربيع » (١١١/٦) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١١٢/٦) ، وفيه أنها للأعشى .

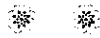
التدبيحُ

هو عبارة عن ذكرِ عِدَّةِ ألوانٍ ؛ كقولهِ تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ ﴾ (١) .

[أمثلةٌ من الشعرِ والنثرِ]

وَمِنَ الشَّعْرِ : كقولِ حَسِينِ بْنِ مُطَيْرٍ (٢) :

مُخَصَّرَةٌ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَكْثَرِ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
بِضْفَرٍ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٍ أَكْفُهَا وَسُودٍ نَوَاصِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا



وقولِ ابنِ حَيُّوسٍ (٣) :

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالٍ
تَلَقَّ بِيضَ الْوُجُوهِ سُودَ مَثَارِ الدِّ قَعِ خُضْرَ الْأَكْنَافِ حُمْرَ النَّصَالِ



وَمِنَ النِّثْرِ : كقولِ الحَرِيرِيِّ : (فَمُذِ اغْبَرَ العَيْشُ الأَخْضَرَ ، وَازوَرَ المَحْبُوبُ الأَصْفَرَ .. اسودَّ يَوْمِي الأَبْيَضُ ، وَابْيَضَ فَوْدِي الأَسْوَدُ ، حَتَّى رَثِي لِي العَدُوُّ الأَزْرَقُ ، فَحَبِذا المَوْتُ الأَحْمَرُ) (٤) .

(١) سورة فاطر : (٢٧) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١١٩ / ٦) .

(٣) انظر « ديوان ابن حيوس الغنوي » (٤٦٠ / ٢) .

(٤) مقامات الحريري (ص ٨٩ - ٩٠) .

ولآخَرَ فِي ذِكْرِ وَقْعَةٍ : (فَأوردنا الحديدَ الأخضرَ ، في دمِ الوريدِ الأحمرِ ،
مِنَ عدوِّ اللهِ الأزرقِ ، مِن بني الأصفرِ)^(١) .



(١) انظر « وفيات الأعيان » (٣٨/٧) .

التفسيرُ ويُقالُ : التبيينُ

هو عبارةٌ عن أن يأتي المُتكلِّمُ في أوَّلِ كلامِهِ بما فيه إبهامٌ ، ولا يَسْتَقِلُّ الفهمُ بمعرفةِ المقصودِ منه ، فيعقبُهُ بما يكشفُهُ ويبيِّنُ الغرضَ منه ؛ كقولِ بعضهم^(١) :

صَالُوا وَجَادُوا وَضَاؤُوا وَاحْتَبُوا فَهُمْ أَشَدُّ وَمُزْنٌ وَأَقَمَارٌ وَأَجْبَالٌ
لو وقفَ على قولِهِ : (واحتبوا) .. لم يكنِ الغرضُ مِنَ الكلامِ مفهوماً ؛ وهو مدحُهُم بتمامِ الشجاعةِ والسخاءِ وسماحةِ الوجوهِ ورجاحةِ الأحلامِ .

وكقولِ ابنِ الروميِّ^(٢) :

أَرَأَيْتُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسَيُوفَكُمْ فِي الْأَحَادِيثِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومَ
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِحُ تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَاتِ رُجُومَ
فلو وقفَ على قولِهِ : (دجون) .. لم يكنِ مقصودُهُ مفهوماً ، فبيَّنَهُ بأنَّها تشبهُ النجومَ ، ثمَّ فسَّرَ بما للنجومِ مِنَ الخصائصِ على سبيلِ التقسيمِ .

وقولِ محمدِ بنِ [وهيب]^(٣) :

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
يَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ أَلْغَيْتُ وَاللَّيْتُ وَالصَّمْصَامَةُ الذَّاكِرُ



(١) انظر « أنوار الربيع » (١٢٣/٦) .

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٢٣٤٥/٦) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (١٢٥/٦) .

سياقة الأعدادِ ويُقالُ : التعديدُ

هو عبارة عن ذكر مفرداتٍ على نسقٍ ، فإن اقرنت بمُحسِنٍ آخَرَ ؛ كازدواجٍ أو مقابلةٍ . . كان أتمَّ كقولهِ تعالى : ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) .



[من البسيط]

ومن الشعر : كقولِ أبي الطيب (٢) :

وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي

[من الكامل]

وكقولِ محمدِ بنِ هانئ (٣) :

حَتَّى اسْتَوَى اللَّوْمَاءُ وَالْكُرْمَاءُ

لِلنَّاسِ إِجْمَاعٌ عَلَى تَفْضِيلِهِ

قُرَبَاءُ وَالْخُصَمَاءُ وَالشُّهَدَاءُ

وَاللُّكْنُ وَالْفُصْحَاءُ وَالْبُعْدَاءُ وَالْأُ

وَعَدِيدُهُ وَالْحَزْمُ وَالْأَرَاءُ

فِي النَّاسِ يَسْرِي جُودُهُ وَجُنُودُهُ

وَأَطَاعَهُ الْإِضْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ

نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِنَضْرِهِ

وَالْغَزْوُ فِي الدَّامَاءِ وَالْدَّامَاءُ

وَالْفُلُكُ وَالْفَلَكَ الْمُدَارُ وَسَعْدُهُ

وَالنَّاسُ وَالْخَضْرَاءُ وَالْغَبْرَاءُ

وَالدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ فِي تَضْرِيْفِهَا



(١) سورة البقرة : (١٥٥) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٤) .

(٣) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ١٩ - ٢٠) .

حسن النسق

هو على نوعين :

أحدهما : سردُ أوصافٍ لموصوفٍ ؛ كقوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ [عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ] الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ... ﴾ الآية (١) ، وما أشبهها من الآيات .



والثاني : عطفُ عددٍ من الألفاظِ المتلائمةِ معناها ؛ كقوله تعالى : ﴿ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ... ﴾ الآية (٢) .

ومن الشعرِ : قولُ ابنِ هانئِ الأندلسيِّ (٣) :

قَدْ جَالَتْ الْأَوْهَامُ فِيكَ وَدَقَّتِ أَلْ
أَلْبَابُ عَنْكَ وَجَلَّتِ الْأَلَاءُ
فَعَنْتَ لَكَ الْأَمْصَارُ وَأَنْقَادَتْ لَكَ أَلْ
أَقْدَارُ وَأَسْتَحْيَتْ لَكَ الْأَنْوَاءُ



(١) سورة الحشر : (٢٢) .

(٢) سورة هود : (٤٤) .

(٣) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٢١) ، و« أنوار الربيع » (١٣٤/٦) .

حَسَنُ التَّعْلِيلِ

هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ تَعْلِيلِ صِفَةٍ شَيْءٍ بِعِلَّةٍ ادْعَائِيَّةٍ فِيهَا غَرَابَةٌ .

[أَنْوَاعُهُ وَأَمْثَلُهَا]

وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ :

إِمَّا ثَابِتَةٌ .

أَوْ غَيْرُ ثَابِتَةٍ يُدَّعَى ثُبُوتُهَا .

وَالثَّابِتَةُ : إِمَّا أَلَّا يَظْهَرُ لَهَا عِلَّةٌ فِي الْعَادَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَظْهَرَ .

وَأَمَّا الْغَيْرُ الثَّابِتَةُ : إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُمْكِنَةً الثَّبُوتِ ، أَوْ غَيْرَ مُمْكِنَةٍ .



فَالأَوَّلُ : كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ^(١) :

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبَّيْبُهَا الرُّحَضَاءُ

فَارْسَالُ السَّحَابِ الْمَطْرَ ثَابِتٌ لَا يَظْهَرُ لَهُ عِلَّةٌ فِي الْعَادَةِ ، وَادَّعَى تَعْلِيلَهُ بِاحْتِمَالِهَا مِنْ حَسَدِ مَمْدُوحِهِ وَغَيْظِهَا مِنَ الْقُصُورِ عَنْهُ ، حَتَّى عَرَقَتْ وَانصَبَتْ عَرَقُهَا ؛ وَهُوَ الرُّحَضَاءُ .

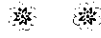
وَكَقَوْلِ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ^(٢) :

زَعَمَ الْبِنْفَسُجُ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ حُسْنًا فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٧) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٣٦/٦) .

فخروجُ ورقةٍ مِنَ البنفسجِ إلى خلفِهِ . . ثابتٌ لا تَظْهَرُ لَهُ عِلَّةٌ ، وادَّعَى أَنَّ
عِلَّتَهُ الافتراءُ .



والثاني : كقولِ أبي الطيبِ ^(١) :

[من الرمل]

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَزْجُو الذِّئَابُ
فَالْقَتْلُ ثَابِتٌ ، وَعِلَّتُهُ عداوَةُ المقتولِ وإزالةُ ضرره .

فادَّعَى لَهُ عِلَّةٌ غَيْرَ تِلْكَ ؛ وَهِيَ اتِّقَاؤُهُ وَتَحَاشِيهِ مِنْ إِخْلَافِ مَا رَجَتْهُ الذِّئَابُ
عِنْدَ رُؤْيَةِ خُرُوجِهِ بِالجيشِ مِنْ حِصُولِ مَا اعتادَتْهُ مِنَ الشَّيْءِ عَلَى إِثْرِ قُفُولِهِ
مِنْ غَزَاوَاتِهِ .

وكقولِ ابنِ المعتزِّ فيمنْ أصابه الرمدُ ^(٢) :

[من المنسرح]

قَالُوا أَشْتَكْتُ عَيْنَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ
حُمَرْتُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَا قَتَلْتُ
مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصْبُ
وَالدَّمُ فِي النَّضْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ

وكقولِ بعضهم ^(٣) :

[من المتقارب]

أَتَّنِي تُوْنِبِي فِي الْبُكَاءِ
تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ
فَأَهْلًا بِهَا وَيَتَأْنِبِيهَا
أَتْبِكِي بَعَيْنِ تَرَانِي بِهَا
أَمَرْتُ الدُّمُوعَ بِتَأْدِيبِهَا



(١) انظر «ديوان المتنبي» (ص ١١٠) .

(٢) كذا في «أنوار الربيع» (١٣٩/٦) .

(٣) انظر «أنوار الربيع» (١٣٩/٦ - ١٤٠) .

[من البسيط]

والثالثُ : كقولِ مسلمِ بنِ الوليدِ^(١) :

يَا وَاشِيًّا حَسُنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّى حِدَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ
فحسُنُ إِسَاءَةِ الْوَاشِيِ غَيْرُ ثَابِتٍ ، فَأَثْبَتُهُ وَعَلَّلَهُ .

والرابعُ : كقولِ الخطيبِ القزوينيِّ ترجمةً لشعرِ فارسيِّ : [من البسيط]

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوَازِاءِ خِدْمَتَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ



(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٢٨) .

التعطفُ

هو أن يأتي بلفظ في صدر البيت ، ثم يأتي في العجز به أو شيء من مشتقاته ؛ كقول أبي الطيب^(١) :

فَسَاقَ إِلَيَّ الْعُزْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إِلَيْهِ الْمَدْحَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ

ومما أنشد الأصمعي للرشيد وقد سأله التذكير^(٢) :

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيَّ أَحَدٍ بِظُلْمٍ فَإِنَّ الظُّلْمَ مَزْتَعُهُ وَخَيْمُ

وَلَا تَفْحَشْ وَإِنْ مِلَّتْ غَيْظًا عَلَيَّ أَحَدٍ فَإِنَّ الْفُحْشَ لَوْمُ

وَلَا تَقْطَعْ أَخَا لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ فَإِنَّ الذَّنْبَ يَغْفِرُهُ الْكَرِيمُ

وَلَا تَجْزَعْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ وَأَضْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا سَلِيمُ



(١) انظر «ديوان المتنبي» (ص ٣٤٩) ، وفيه : (مجمجم) بدل (مذمم) .

(٢) انظر «أنوار الربيع» (١٤٥/٦) .

الاستبأغ

وسمأه بعضٌ : التعليق ، وبعضٌ : المضاعفة ، وبعضٌ : التوجيه ؛ وهو عبارة عن أن يتضمن الكلام في أوله نوعاً من المدح أو غيره ، وفي آخره نوعاً آخر منه ؛ كقول أبي الطيب^(١) :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا [لَوْ] حَوَيْتَهُ لَهَيْئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ
فأول الكلام : يتضمن مدحه بنهاية الشجاعة وعُلُوِّ الهمة ، وآخره : يتضمن مدحه بأن ذلك ليس عدواناً وظلماً ؛ إنما هو لإصلاح الأرض وإزالة الفساد وتحصيل الفرح العام ، حتى إن أهل الدنيا يهنتون بتخليده .

وكقول ابن هانئ في الذم^(٢) :

إِنَّ لَفْظاً تَلُوْكَهُ لَشَبِيهُ بِكَ فِي مَنْظَرِ الْجَفَاءِ الْجَلِيْفِ



(١) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٢٤٥) .

(٢) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٢٢٠) .

التمكينُ

هو جعلُ قافيةِ البيتِ أو قرينةِ السَّجعِ في مكانِها الذي يُقالُ عندَ سماعِها :
إنَّهَ لها ، وهو السببُ الأكبرُ في حسنِ الكلامِ ومثابتهِ ، فليسَ أشدُّ على مَهْرَةِ
الشُّعراءِ مِنْ سماعِ القوافي القلقةِ .

والطَّرِيقُ التي يَسْلُكُها الشاعرُ أو الناثرُ لأجلِ التمكينِ : هي أن يَسْتَحْضِرَ
أولاً الألفاظَ التي يريدُ أن يجعلَها نهاياتٍ ، ثم يأخذُ في إحضارِ المعاني
اللَّائقةِ بمعناها ، واختيارِ العباراتِ المناسبةِ لها ، فمتى تَهَيَّأَ لَهُ ذَلِكَ . . تَمَّ
لَهُ التَّمْكِينُ ، وأشبهَ كلامُهُ بعضُهُ بعضاً ، وكانَ آخِرُهُ مفهوماً مِنْ أَوَّلِهِ ؛ كقولِ
[عدي] ابنِ الرقاعِ العامليِّ مِنْ قصيدتهِ التي أوَّلها^(١) : [من الكامل]

عَرَفَ أَلْدِيَارَ تَوْهُمًا فَأَعْتَادَهَا

في صفةِ غزاليةِ :

تُزْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدُّوَاةِ مِدَادَهَا

وأكثرُ أشعارِ مَنْ اشتهرتْ أشعارُهُم بالجودةِ على ذلك .



(١) تقدم (٢/٢٧٨) .

تأكيد المدح بما يُشبه الذم ويُقَالُ : المدحُ في مَعْرِضِ الذمِّ

هو عبارة عن ذكرِ صفةٍ مدحٍ ثم الاستثناء منها صفةٌ مدحٍ أخرى ؛ بحيث يُوهِمُ أنه يريدُ الاستدراكَ بإثباتِ صفةٍ ذمٍّ ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاً وَلَا تَأْتِيماً إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴾ (١) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ ، بَيِّنَدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ » (٢) .



وَمِنَ الشَّعْرِ : قَوْلُ النَّابِغَةِ الذَّبْيَانِيَّةِ (٣) :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقولُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيَّةِ (٤) :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا



(١) سورة الواقعة : (٢٥ - ٢٦) .

(٢) تقدم (٣٠٧/٢) .

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٤) .

(٤) انظر « ديوان النابغة الجعدي » رضي الله عنه (ص ١٨٨) .

الإيضاح

هو أن يأتي بمُبهم مفرداً أو جملة ، ثم يوضحه ويبيّنه ؛ كقوله تعالى :
﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحَاتٍ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الْأَنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ إذا مسّه الشرُّ جزوعًا وإذا مسّه الخيرُ منوعًا ﴿ (٢) .



ومن الشعر : كقولِ أوس^(٣) :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّ
نَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقولِ أبي الطيب^(٤) :

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدِي مِنْ يَدِ
وَقَاكَ أَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ
تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ
وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبُ

المانويّة : نسبةٌ إلى ماني ؛ وهو إمام مذهب الزنادقة الذين يقولون
بإلهين ؛ هما : النور ؛ وهو إله الخير ، والظلمة ؛ وهو إله الشر .



(١) سورة الحجر : (٦٦) .

(٢) سورة المعارج : (١٩ - ٢١) .

(٣) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٥٣) .

(٤) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٣٥٢) .

التوهيمُ

هو أن يأتي المُتكلِّمُ بكلمةٍ عقبَ لفظٍ يُوهِمُ غيرَها لفظاً أو إعراباً أو معنى ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ ^(١) ، فلفظُ ﴿ أَشَاءُ ﴾ جيءٌ بها بعدَ ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ ﴾ ، فالكلامُ يُوهِمُ أنها (أساء) مِنَ الإساءة .
 [وكقوله] : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ ^(٢) ، الكلامُ يُوهِمُ : (ثمَّ لا يُنصروا) بالجزمِ عطفاً ، والغرضُ ابتداءُ الإخبارِ .
 وكقوله : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ ^(٣) ، المراد بالنجم : الزرعُ .

وبعضُ أمثلةِ التوهيمِ تُشبهُ التوريةَ ، غيرَ أنَّ أحدَ المعنيينِ في التوهيمِ يكونُ فاسداً لا يصحُّ أن يُرادَ ؛ كقولِ الصَّفِيِّ الحَلِيِّ ^(٤) :
 وَسَاقٍ مِنْ بَنِي الْأَثْرَاكِ طِفْلٍ أَتَيْهِ بِهِ عَلَى جَمْعِ الرَّفَاقِ
 أَمَلِكُهُ قِيَادِي وَهُوَ رَقِي وَأَفْدِيهِ بِعَيْنِي وَهُوَ سَاقِي



(١) سورة الأعراف : (١٥٦) .

(٢) سورة آل عمران : (١١١) .

(٣) سورة الرحمن : (٥ - ٦) .

(٤) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٣١٨) .

الإلغازُ

عدُّوا هذا النوعَ مِنَ البديعِ ، وجعلهُ فنّاً مُستقِلاً أليقُ ؛ لأنَّهُ عبارةٌ عن مؤلِّفاتٍ يُسلِّكُ فيها طرقٌ في العباراتِ حتَّى يَعُسَّرَ فهمُ المرادِ منها ، وقد خُصَّ بالتأليفِ لبيانِ تلكِ الطرقِ ، ثمَّ لأهلِ النَّباهةِ بَعْدُ قُوَّةً على اختراعِ طرقٍ في الإلغازِ غيرِ ما ذُكِرَ ، ومنهُ ما تَسْتَعِمِلُهُ العامَّةُ مِنَ الحوازيرِ .

وَمِنْ أمثلتهِ : قولُ يحيى بنِ أَكثَمَ في العينِ ^(١) :

وَبَاسِطَةً بِلا نَصَبٍ جَنَاحاً وَتَسْبِيقُ مَا يَطِيرُ وَلَا تَطِيرُ
إِذَا أَلْقَمَتَهَا الْحَجَرَ أَطْمَأَنَّتْ وَتَجَزَعُ أَنْ يُبَاشِرَهَا الْحَرِيرُ

وقولُ آخَرَ في الضُّرسِ ^(٢) :

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيِي مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَمُذْ وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَيْهِ تَفَارَقْنَا إِلَى الأَبَدِ

ولآخرَ في قَصَبِ السُّكَّرِ ^(٣) :

وَذِي هَيْفٍ كَأَلْغُصْنِ قَدًّا إِذَا بَدَا يُفُوقُ أَلْقَنَا حُسْنًا بِغَيْرِ سِنَانِ
وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ يَرَى النَّاسُ أَكَلَهُ مُبَاحاً قُبَيْلَ الْعَصْرِ فِي رَمَضَانَ



(١) انظر «أنوار الربيع» (٤٠/٦ - ٤١) .

(٢) انظر «وفيات الأعيان» (١٩٨/١ - ١٩٩) .

(٣) انظر «أنوار الربيع» (٤٢/٦) .

الإردافُ

هُوَ بَعْضُ أَنْوَاعِ الْكِنَايَةِ الْمُبَيَّنَّةِ فِي (عِلْمِ الْبَيَانِ) ^(١).



(١) انظر (٦٠/٢) عند الكلام على الكناية عن صفة.

الاتساعُ

هو أن يأتي المُتكلِّمُ أثناءَ كلامِهِ بما يَحتمِلُ أن يُفسَّرَ بكثيرٍ مِنَ المعاني ؛
لصلاحيهِ لكلِّ منها ، ومثَّلوا لَهُ بقوله تعالى : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ ^(١) .

[اتساعُ أقوالِ العلماءِ في معنى هذه الآية]

فقد أمكنَ تفسيرُها بثلاثةٍ وعشرينَ معنىً جُعِلَتْ أقوالاً للعلماءِ ^(٢) :

الأولُ : قالَ أبو مسلمٍ : الزوجُ والفرْدُ ؛ وهوَ تذكيرٌ بالحسابِ لعِظَمِ نفعِهِ
وما يُضبطُ بِهِ مِنَ المقاديرِ ، وهوَ قولُ الحسنِ البصريِّ .

الثاني : قالَ ابنُ زيدٍ والجُبَّائيُّ : جميعُ الخلقِ ؛ لكونِها زوجاً أو فرداً .

الثالثُ : الشَّفْعُ : الخَلْقُ ؛ لكونِهِ أزواجاً ؛ كالسماءِ والأرضِ ، والليلِ
والنهارِ ، والبرِّ والبحرِ ، والإنسِ والجنِّ ، والكفرِ والإيمانِ ، والوترُ : اللهُ ؛ وهوَ
مرويٌّ مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ ^(٣) .

الرابعُ : [الشَّفْعُ] : صفاتُ الخَلْقِ ؛ لكونِها قدرةً وَعَجْزاً ، وحياةً وموتاً ،
وعلماً وجهلاً . . . إلى غيرِ ذلكَ ، والوترُ : صفاتُ اللهِ .

الخامسُ : الصلاةُ ، وهوَ مرويٌّ مِنْ حديثِ عمرانَ بنِ حصينٍ ^(٤) .

السادسُ : الشَّفْعُ : يومُ النحرِ ، والوترُ : يومُ عرفةَ ؛ أي : شفْعُ الليالي العشرِ
ووترُها .

(١) سورة الفجر : (٣) .

(٢) ساقها بتمامها في « أنوار الربيع » (٥٣/٦ - ٥٥) .

(٣) انظر « تفسير البغوي » (٤٨١/٤) .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٢) .

السابع : يومُ الترويةِ ، ويومُ عرفةَ ، وهو مروى عن جعفرِ الصادقِ وأبيه محمدِ الباقرِ .

الثامن : شفعُ العشرِ الأخيرةِ مِنْ رمضانَ ، ووترها .

التاسعُ : الليالي والأيامُ ، ويومُ القيامةِ .

العاشرُ : الشَّفْعُ والوَتْرُ لليالي العشرِ التي أتمَّ اللهُ بها ميقاتَ موسى .

الحادي عشرَ : الصَّفا والمروةُ ، والكعبةُ .

الثاني عشرَ : يوما منى ، أو ثلاثتها ؛ فَمَنْ تَعَجَّلَ في يومينِ . . فلا إثمَ عليه .

الثالثَ عشرَ : آدمُ وحواءُ ، واللهُ تعالى .

الرابعَ عشرَ : آدمُ وحواءُ ، وآدمُ قبلَ حواءَ .

الخامسَ عشرَ : صلاةُ المغربِ ؛ ركعتانِ ، وركعةُ .

السادسَ عشرَ : درجاتُ الجنةِ ثمانِ ، ودركاتُ النارِ سبعةُ .

السابعَ عشرَ : هما اللهُ تعالى ، ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ... ﴾ الآية (١) .

الثامنَ عشرَ : مسجدا مكةَ والمدينةِ ، والأقصى .

التاسعَ عشرَ : قرآنُ الحجِّ والتمتعُ ، والإفرادُ .

العشرونَ : الفرائضُ والسننُ .

الحادي والعشرونَ : الأعمالُ والنيةُ .

(١) سورة المجادلة : (٧) .

الثاني والعشرون : العبادة المُتَكَرِّرَةُ ؛ مِنْ صَوْمٍ وَصَلَاةٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَغَيْرُ
المُتَكَرِّرَةِ ؛ كَالْحَجِّ .

الثالث والعشرون : الرُوحُ وَالْجَسَدُ ، وَالرُوحُ وَحَدَهُ .

[أَمْثَلَةٌ مِنَ الشَّعْرِ]

هذا ؛ وَمِنَ الشَّعْرِ : كَقَوْلِ الْحَمَاسِيِّ ^(١) :
[مِنَ الْبَسِيطِ]
بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
فَالاتِسَاعُ فِي قَوْلِهِ : (بِيضٌ مَفَارِقُنَا) ، فَقِيلَ : أَرَادَ بِذَلِكَ الطَّهَارَةَ وَالْعِفَافَ ؛
كَقَوْلِهِمْ : أَبْيَضُ الْعَرِضِ وَالشِّيمِ وَالْحَسَبِ .
وقيلَ : أَرَادَ أَنَّهُمْ كُهولٌ وَمَشَايخٌ قَدْ حَنَكَتْهُمُ التَّجَارِبُ ، وَلَيْسُوا بِالْأَعْمَارِ .
وقيلَ : أَرَادَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بَعْبِيدٍ ؛ لِأَنَّ [مَفْرِقَ] الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ أَبْيَضَ . . كَانَ
جَمِيعُ جَسَدِهِ أَبْيَضَ .

وقيلَ : أَرَادَ انْحِسَارَ الشَّعْرِ عَنِ مُقَدِّمِ رُؤُوسِهِمْ ؛ لِمَدَاوِمَتِهِمْ لُبْسَ الْبَيْضِ
وَالْمَغَافِرِ .

وقيلَ : مَعْنَاهُ : نَحْنُ أَصْحَابُ حُرُوبٍ ، فَقَدْ شَابَتْ مَفَارِقُنَا مِنْ كَثْرَةِ
الشَّدَائِدِ .

وقيلَ : مَعْنَاهُ : نَحْنُ كِرَامٌ نَكَثُرُ اسْتِعْمَالَ الطَّيِّبِ ، فَابْيَضَتْ مَفَارِقُنَا لِذَلِكَ ،
وَيُقَالُ : مَنْ أَكْثَرَ اسْتِعْمَالَ الطَّيِّبِ . . أَسْرَعَ الشَّيْبُ إِلَيْهِ .

وقيلَ : مَعْنَاهُ : نَحْنُ مَكْشُوفُو الرُّؤُوسِ ، لَا عَيْبَ فِينَا ، فَعَبَّرَ عَنِ النِّقَاءِ
بِالْبَيَاضِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي مَدْحِ الرَّجْلِ : أَبْيَضُ .

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٥٣/١) .

وقيلَ : معناهُ : نحنُ كرامٌ ، فشابتَ مفارقنا دونَ القفا ؛ لأنَّ شيبَ الكرامِ
يبدو في المفارقِ ، كما قيلَ^(١) :

فَشَيْبُ لِيَامِ النَّاسِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا وَشَيْبُ كِرَامِ النَّاسِ يَغْلُو الْمَفَارِقَا

وقيلَ : المفارقُ هنا الطرقُ ؛ يقولُ : قد ابيضَّت مفارقُ الطرقِ التي
تؤدِّي إلى رحالنا لكثرة ما يأتينا من العفاة ، فهي بيضٌ لائحةٌ لم تعف
لكثرة سالكيها ، وهذا الوجهُ أولى ؛ لمشاكلته ما بعده وهو قوله : (تغلي
مراجلنا) ، والمَراجِلُ : القُدورُ الكبارُ من نحاسٍ ، ذكرَ ذلك أبو عبدِ الله
محمدُ بنُ عبدِ الله الخطيبُ في « شرح كتابِ الحماسة »^(٢) .

وقالَ الصنعانيُّ في كتابِ « الجملةِ والذيلِ والصلةِ » : (قد قيلَ في البيتِ
المذكورِ مثنى قولٍ)^(٣) ، وقد أُفردَ لتفسيره كتابٌ .

وأقربُ الأقوالِ لِمَا هو المتبادرُ من لفظِ (المفارقِ) : أنَّه كنايةٌ عن
الشرفِ والسُّوددِ ، فمعنى الكلامِ : نحنُ قومٌ أشرافٌ ، نَعمرُ مجالسنا
للمؤانسةِ والمحادثةِ والمنادمةِ ، وهذه الخَدَمُ مُتردِّدةٌ حولنا في أعمالِهِمْ ،
لا نباشرُ عملاً ولا نتردِّدُ في مهنةِ ، فنحنُ نظافٌ ليسَ على مفارقنا غبارٌ
كما هو شأنُ من يباشرُ أعمالَ الخدمةِ ، والمتكفلُ بإفادةِ ذلكَ قولهُ : (تغلي
مراجلنا) .



(١) انظر « أنوار الربيع » (٥٦/٦) .

(٢) كذا في « أنوار الربيع » (٥٦/٦) ، وكذا ورد فيه اسم الخطيب .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٥٦/٦) .

جَمْعُ الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ

هُوَ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ شَخْصَيْنِ فِي الْمَدْحِ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُفْضِلَ أَحَدَهُمَا ،
فَيَسْأَلُكَ لِذَلِكَ سَبِيلًا لَا يَنْقُصُ فِيهِ الْآخَرَ ؛ كَقَوْلِ الْخَنْسَاءِ تُفْضِلُ أَخَاهَا عَلَيَّ
أَبِيهَا وَقَدْ تَسَابَقَا ^(١) :

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا	يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً أَلْحُضِرِ
فَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا	صَفْرَانِ قَدْ حَطَّأَ إِلَيَّ وَكُرِ
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ	لَزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْعُذْرِ
وَعَلَا هَتَافُ النَّاسِ أَيُّهُمَا	قَالَ الْمُصِيبُ هُنَاكَ لَا أَدْرِي
بَرَزَتْ صَفِيحَةً وَجْهِهِ وَالِدِهِ ^(٢)	وَمَضَى عَلَيَّ غُلُوبُهُ يَجْرِي
أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ	لَوْلَا جَلَالُ أَلْسِنِ وَالْكَبْرِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٧٠/٦) .

(٢) في « أنوار الربيع » (٧٠/٦) : (صحيفة) .

الإيداعُ ويُقالُ : التضمينُ

هو أن يُضمّنَ الشاعرُ كلامه مصراعاً أو أكثرَ من كلامِ غيره ، وربّما خصَّ اسماً لتضمينِ المِصرَعِ .

[من أغراضِ الإيداعِ]

وهو لأغراضٍ :

منها : دلالةُ الشاعرِ على أنه يُعارضُ قصيدةَ المُضمّنِ ؛ كقولِ النواجيِّ في آخرِ قصيدتهِ التي يتابعُ فيها قصيدةَ كعبِ رضي الله تعالى عنه :
[من البسيط]

إِنْ لَمْ أَفْزُ بِقَبُولِ فِي مُتَابَعَتِي بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي أَلْيَوْمَ مَثْبُولُ
ولبعضِ أعيانِ العصرِ ، سامي القَدْرِ والشعرِ ، مِنْ قصيدةِ يُعارضُ بها لاميةَ الطُّغرائيِّ المشهورةَ بـ (لاميةِ العجم) :

إِنِّي أَمْرُؤُ حَلَبَ الْأَيَّامِ أَشْطَرَهَا وَشَدَّ فَحَلَ الْهَوَى فِي أَوْثِقِ الْعُقْلِ
مَا زِلْتُ أَبْغِي الصِّبَا حَتَّى إِذَا أُكْتَمَلْتُ أَصَالَهُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطْلِ
فَإِنْ يَكُنْ مَرَّ لِي عَصْرٌ أَطَعْتُ بِهِ حُكْمَ التَّصَابِي فَإِنِّي أَلْيَوْمَ ذُو جَدَلِ

ومنها : الانتقادُ على صاحبِ المُضمّنِ بأنه وضعَ الكلامَ في غيرِ موضعهِ .
ومنها : الزيادةُ في المُضمّنِ .

ومنها : نقلُهُ إلى غيرِ معناه ، كما يتبينُ ذلكَ في أمثلهِ .

وأكثرُ المُتأخِّرينَ تضميناً وقد أتى فيه بالعجيبِ الغريبِ .. مجيزُ الدينِ

ابن تميم ، ولذلك يقول^(١) :

[من الوافر]

وَلَمْ أَزْجُرْ عَنِ التَّضْمِينِ طَيْرِي
فَشِعْرِي نِصْفُهُ مِنْ شِعْرِ غَيْرِي

أَطَالِعُ كُلَّ دِيْوَانٍ أَرَاهُ
أَضْمِنُ كُلَّ مَعْنَى مُسْتَجَادٍ

فَمِنْ تَضْمِينِهِ قَوْلُهُ^(٢) :

[من الكامل]

أَعْطَا فِيهِ وَلِجِسْمِهِ لِأَلَاءِ
سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ

لَوْ كُنْتُ فِي الْحَمَامِ وَالْحِنَّا عَلَيَّ
لَرَأَيْتَ مَا يَسْبِيكَ مِنْهُ بِقَامَةٍ

وقوله تضميناً لهذا الشطر أيضاً^(٣) :

[من الكامل]

فِي كَأْسِهَا وَلِضَوْئِهَا لِأَلَاءِ
سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ

لَوْ كُنْتُ شَاهِدِنَا وَقَدْ جُلَيْتَ لَنَا
لَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مَا يُرَى مِنْ أَكْوَسٍ

وهذا الشطر ؛ وهو : (سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ) مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي فِي

مدح [أبي] علي بن هارون ، وكان أقام في بلد أيام الشتاء وقد جمد الماء

[من الكامل]

بالثلج ، وبيت الشطر^(٤) :

سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ

وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلَدَةٍ

فَأَنْتَ تَرَى أَنْ قَوْلُهُ : (وَقَامَ الْمَاءُ) لَا يَدْخُلُ فِي جِزَاءِ الشَّرْطِ ، وَتَصْحِيحُهُ :

أَنْ تَجْعَلَ الْجُمْلَةَ حَالًا ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : أَنَّ الْمَمْدُوحَ يَكْثُرُ إِنْفَاقَهُ وَإِحْسَانَهُ

[من الرمل]

حَالَ اشْتِدَادِ الْبَرْدِ ، وَيَكُونُ كَقَوْلِ الْعَرَبِيِّ^(٥) :

لَا تَرَى الْأَدَبَ مِنَّا يَنْتَقِرُ

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى

(١) انظر « أنوار الربيع » (٧٩/٦) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٤١/٤) .

(٣) انظر « مطالع البدور » (١٧٩/١) .

(٤) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٩٤) .

(٥) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٦٥) .

وكذلك يَخْصُونَ الشتاءَ بظهورِ جودِ الجوادِ ؛ لكونه الوقتَ الذي يُعَوِّقُ
المسكينَ عنِ الضربِ في البلادِ في ابتغاءِ فضلِ اللهِ تعالى ، وقد أجادَ مجيرُ
الدينِ في تضمينهِ ، وله في تضمينِ قولِ المتنبي أيضاً في بيتِ يتخلَّصُ منه
إلى المدحِ ^(١) :

لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانَا
[قَالَ] :

وَمَعَشَرَ عَدَلُوا لَمَّا رَكِبْتُ عَلَى أَخَوِي مَحَاسِنُهُ فَبَحَنَ فِعْلَهُمْ
دَعَّ يَعْذُلُوا مَا اسْتَطَاعُوا إِنِّي رَجُلٌ لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ

[قِصَّةُ الْحَيْصِ بَيْصَ مَعَ الْجُرُوحِ]

ومِنَ ظريفِ التضمينِ : ما حكاَهُ القاضي شمسُ الدينِ ابنُ خَلِّكَانَ في
« تاريخِهِ » ^(٢) : أَنَّ الْحَيْصَ بَيْصَ الشاعِرِ خَرَجَ لَيْلَةً مِنْ دَارِ الْوَزِيرِ شَرَفِ
الدِّينِ بْنِ طَرَادِ الزينبيّ ، فنبَحَ عليه جرؤُ وكانَ مُتَقَلِّداً سيفاً ، فوَكَّزَهُ بعقبِ
السيفِ فماتَ ، فبلغَ ذلكَ أبا القاسمِ هبةَ اللهِ بنَ المفضلِ المعروفَ بابنِ
القطانِ الشاعِرِ ، فنظَمَ أبياتاً وضمَّنَهَا بيتينِ لبعضِ العربِ قتلَ أخوهُ ابناً لَهُ ،
فقدِمَ إليه لِيُقْتَادَ منه ، فألقى السيفَ وأنشدهُما ، والبيتانِ المذكورانِ
يوجدانِ في البابِ الأوَّلِ مِنْ كِتَابِ « الحماسةِ » ^(٣) ، ثمَّ إنَّ ابنَ المفضلِ
المذكورَ جعلَ الأبياتَ في ورقةٍ وعلَّقَهَا في عنقِ كلبِةٍ لها جِراءٌ ، ورتَّبَ
مَعَهَا مَنْ يطرُدُها وأولادَها إلى بابِ الوَزيِرِ المذكورِ كالمستغيثةِ ،

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٤٢) .

(٢) وفيات الأعيان (٥٤/٦ - ٥٥) .

(٣) شرح الحماسة للتبريزي (١١٠/١) .

فَأَخَذَتِ الْوَرْقَةَ مِنْ عُنُقِهَا وَعُرِضَتْ عَلَى الْوَزِيرِ ، فَإِذَا فِيهَا : [من البسيط]

يَا أَهْلَ بَغْدَادَ إِنَّ الْحَيْصَ بَيَّضَ أَتَى بِفَعْلَةٍ أَلْبَسْتُهُ الْخَزْيَ فِي الْبَلَدِ
أَبْدَى شَجَاعَتَهُ بِاللَّيْلِ مُجْتَرِئاً عَلَى جُرْيٍ ضَعِيفِ الْبَطْشِ وَالْجَلَدِ
وَلَيْسَ فِي يَدِهِ مَالٌ يَدِيهِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِبَوَاءٍ عَنْهُ فِي الْقَوَدِ
فَأَنْشَدَتْ جَعْدَةً مِنْ بَعْدِ مَا أَخْتَسَبَتْ دَمَ الْأَبْيَلِقِ عِنْدَ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابْتَنِي وَلَمْ تُرِدِ
كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وللشيخ عز الدين الموصلي^(١) : [من الكامل]

نَادَمْتُ قَوْمًا لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَلَا مَيْلٌ إِلَى طَرْبٍ وَلَا سُمَّارِ
يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهِيْقِ حِمَارِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأُوتَارِ

البيت الثاني لبعض العرب يهجو قوماً بالجبين ، وأنهم لا يقدرُونَ على أخذ ثاراتهم ؛ وهي الأوتارُ ، ونقلها الشيخُ إلى أوتارِ العِيدَانِ .



(١) انظر « أنوار الربيع » (٨١/٦) .

الالتزامُ ويُقالُ : لزومُ ما لا يلزمُ

هو أن يلتزم الشاعرُ أو الناثرُ قبلَ حرفِ الانتهاءِ حرفاً أو أكثرَ ؛ كقولِ
الطُّغْرَائِيّ فِي مَطْلَعِ (الْلامِيَّةِ) ^(١) :

وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْني لَدَى الْعَطْلِ
وَكَقُولِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ^(٢) :

بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ رَضِيتَ بِهَا
وَلِعَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَاهِلِيِّ ^(٣) :

وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَجْعَلْ لِعَرْضِكَ جُنَّةً
وَلِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَاسِطِيِّ ^(٤) :

بِرَانِي أَلْهَوَى بَرِي الْمَدَى وَأَذَابِنِي
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا

ولأبي العلاء ديوان شعرٍ كلُّهُ مِنْ هَذَا النِّوعِ ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ الْإِلْتِزَامُ إِذَا

(١) انظر «ديوان الطغرائي» (ص ٣٠١) .

(٢) انظر «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ص ٣٧٤ - ٣٧٥) .

(٣) انظر «أنوار الربيع» (٩٥/٦) .

(٤) انظر «أنوار الربيع» (٩٧/٦) .

حَسُنَ مَعَهُ الْكَلَامُ ، وَإِلَّا . . . اسْتَحَقَّ صَاحِبُهُ مَا قَالَ الْأَبْيُورُذِيُّ^(١) : [من السريع]
شِعْرُ الْمَرَاغِيِّ وَحُوشِيَّتُمْ كَعَقْلِهِ أَشْلَمُهُ أَسْقَمُ
يَلْزَمُ مَا لَيْسَ لَهُ لَازِمًا لَكِنَّهُ يَتْرُكُ مَا يَلْزَمُ



(١) انظر « ديوان الحسن بن علي الواسطي » (١٥٨/٢) ، وفيه : (أسقمته ، يلزمته) .

المُزَاجَةُ

هُوَ أَنْ يُرْتَبَ فِعْلاً وَاحِداً مُخْتَلِفاً الْمُتَعَلِّقِ عَلَى شَرْطِ وَجْزَائِهِ ؛ كَقَوْلِ
الْبَحْتَرِيِّ ^(١) :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِيَ فَلَجَّ بِي الْهُوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَأَشِيِّ فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ
وَقَوْلِهِ ^(٢) :

إِذَا أَحْتَرَبْتُ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا



(١) انظر « ديوان البحتري » (٨٤٤/٢) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٢٩٩/٢) .

التجريدُ

هو أن تُجَرِّدَ مِنْ شَيْءٍ .. آخَرَ لِلْمَبَالِغَةِ فِي الْمَعْنَى ؛ كَقَوْلِ

[من الطويل]

القائل :

تَرَى مِنْهُمْ الْأَسَدَ الْغَضَابَ إِذَا سَطَوْا وَتَنْظُرُ مِنْهُمْ فِي الْإِلْقَاءِ بُدُورًا

ويكونُ بـ (مِنْ) كهذا .

وبالباء ؛ مثلُ : (إِنَّكَ لَتَلْقَى بِفُلَانٍ الْبَحْرَ) .

وـ (فِي) كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَهْمُ فِيهَا دَارُ الْقَلْدِ ﴾ ^(١) .

[من المنسرح]

وبغيرِ ذَلِكَ ؛ كَقَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ ^(٢) :

يَا خَيْرَ مَنْ يَزْكَبُ الْمَطِيَّ وَلَا يَشْرَبُ كَأَسَا بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

كَأَنَّهُ قَالَ : هُوَ يَشْرَبُ بِكَفِّ كَرِيمٍ .

وَمِنَ التَّجْرِيدِ : مَا فِي خُطَابِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ؛ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ ^(٣) : [من البسيط]

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ



(١) سورة فصلت : (٢٨) .

(٢) انظر « ديوان الأعشى » « ٩٣/٢ » .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » « ص ٣٦٦ » .

إيهام التوكيد

هو تكرير لفظ لتأسيس المعاني ، فيوهم التوكيد ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَمَسَّجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ ﴾ (١) .

ومِنَ الشعرِ : كقولِ عليِّ بنِ أحمدَ [الزوزني] (٢) :

لَقَدْ حَلَّ بِي عَجَبٌ عَاجِبٌ تَقَاصَرَ وَضْفِي عَنِ كُنْهِهِ
رَأَيْتُ الْهَيْلَالَ عَلَى وَجْهِ مَنْ رَأَيْتُ الْهَيْلَالَ عَلَى وَجْهِهِ

وكقولِ آخرَ : [من الرجز]

قَالَتْ لِتِزْبٍ مَعَهَا مُنْكَرَةٌ لِوَقْفَتِي هَذَا الَّذِي نَرَاهُ مَنْ
قَالَتْ فَتَى يَشْكُو الْهَوَى مُتَيِّمٌ قَالَتْ بِمَنْ قَالَتْ بِمَنْ قَالَتْ بِمَنْ



(١) سورة التوبة : (١٠٨) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٦٠/٦) .

الترصيعُ

هو أن يجعلَ الشاعرُ أو الناثرُ جميعَ ألفاظِ الشطرينِ أو الفقرتينِ على نهايةٍ واحدةٍ سوى لفظةِ الضربِ في الشعرِ ؛ كقولِ الحريريِّ في المقامةِ الأولى : (يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَواهِرِ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَواجِرِ وَعْظِهِ) (١) .

ولرشيدِ الدِّينِ العمريِّ المشهورِ بالوطواطِ قصائدُ مِنْ هذا النوعِ ، منها قوله (٢) :

جَنَابُ ضِيَاءِ الدِّينِ لِلْبِرِّ مَزْتَعٌ	وَيَابُ ضِيَاءِ الدِّينِ لِلْحُرِّ مَزْبَعٌ
وَسِيرَتُهُ الزَّهْرَاءُ لِلْحَقِّ مَعْلَمٌ	وَسُدَّتُهُ السَّمَاءُ لِلخَلْقِ مَجْمَعٌ
فَجَدَدَ مِنْهُ لِلْمَرَاشِدِ أَرْسَمٌ	وَشَيْدَ مِنْهُ لِلْمَحَامِدِ أَرْبَعٌ
وَعَلِيَّاهُ فِيهَا لِلخَوَاطِرِ مَسْرَحٌ	وَلُقْيَاهُ فِيهَا لِلنَّوَاطِرِ مَزْتَعٌ
فَمَنْهَلٌ مَنْ يَزْوِي ثَنَاءَكَ مُفْعَمٌ	وَمَنْزِلٌ مَنْ يَنْوِي جَفَاءَكَ بَلْقَعٌ
وَصَوْلُكَ لِلأَشْرَارِ مُنَوِّ وَمُتْلِفٌ	وَطَوْلُكَ لِلأَخْيَارِ مُزَوِّ وَمُشْبِعٌ

وجاءَ منه في الكتابِ العزيزِ مثلُ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (٤) .



(١) مقامات الحريري (ص ٩) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٦٣/٦ - ١٦٤) .

(٣) سورة الانفطار : (١٣ - ١٤) .

(٤) سورة الغاشية : (٢٥ - ٢٦) .

الحذف

هو التزام إخلاء الكلام من حرفٍ أو أكثر، أو من نوعٍ كالمُعْجَم ؛ فيكونُ الكلامُ من الحروفِ المهملةِ ، أو المُهمَلِ ؛ فيكونُ من المعجمةِ ، وللحريريِّ في « المَقَامَاتِ » من هذَينِ النوعينِ كلامٌ طويلٌ .

[الخطبةُ المونقةُ لسيدنا عليٍّ رضي الله عنه]

ومن المَرَوِيِّ : أَنَّهُ اجتمعَ ناسٌ من أصحابِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيهِمْ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، فتذاكروا أكثرَ الحروفِ دوراناً ، فقليلَ : الألفُ ، فحَطَبَهُمُ رضي اللهُ عنهمُ خُطبةً أخلاها منها ، وتُسَمَّى : (المونقة) ؛ وهي هذه ^(١) :

حمدتُ مَنْ عَظَمْتَ مِنَّتَهُ ، وَسَبَعْتَ نِعْمَتَهُ ، وَسَبَقْتَ رَحْمَتَهُ ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، وَنَفَذْتَ مَشِيئَتَهُ ، وَبَلَغْتَ حُجَّتَهُ ، وَعَدَلْتَ قَضِيَّتَهُ ، حَمَدْتُهُ حَمْدَ مُقَرَّرٍ بِرَبُوبِيَّتِهِ ، مُنْخَضِعٍ لِعِبُودِيَّتِهِ ، مُتَنَصِّلٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ ، مُعْتَرِفٍ بِتَوْحِيدِهِ ، مُؤَمِّلٍ مِنْ رَبِّهِ مَغْفِرَةً تَنْجِيهِ يَوْمَ يَشْغَلُ عَنْ فَصِيلَتِهِ وَبَنِيهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَرْشُدُهُ ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ .

وشهدتُ لَهُ بِضَمِيرٍ مُخْلِصٍ مَوْقِنٍ ، وَفَرَّدْتُهُ تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ [متيقنٍ] ، وَوَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مَذْعَنٍ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فِي صَنْعِهِ ، جَلَّ عَنْ مَشِيرٍ وَوَزِيرٍ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مِثْلِ وَنَظِيرٍ .

عَلِمَ فَسْتَرَ ، وَبَطَنَ فَخَبَرَ ، وَمَلَكَ فَفَهَرَ ، وَعُصِيَ فَغَفَرَ ، وَحَكَمَ فَعَدَلَ ، لَمْ يَزُلْ وَلَنْ يَزُولَ ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٤٠/١٩ - ١٤٣) .

رَبُّ مُتَفَرِّدٌ بَعَزَّتِهِ ، مُتَمَكِّنٌ بِقُوَّتِهِ ، مُتَقَدِّسٌ بَعُلُوهِ ، مُتَكَبِّرٌ بِسُمُوهِ ، لَيْسَ يُدْرِكُهُ بَصَرٌ ، وَلَمْ يُحِطْ بِهِ نَظْرٌ ، قَوِيٌّ مَنِيعٌ ، بَصِيرٌ سَمِيعٌ ، عَلِيٌّ حَكِيمٌ ، رَوْوْفٌ رَحِيمٌ .

عَجَزَ فِي وَصْفِهِ مَنْ يَصِفُهُ ، وَضَلَّ فِي نَعْتِهِ مَنْ يَعْرِفُهُ .

قُرْبٌ فَبَعُدَ ، وَبَعُدَ فَقُرْبَ ، يَجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ ، وَيَرْزُقُ عَبْدَهُ وَيُحِبُّهُ ، ذُو لَطْفٍ خَفِيِّ ، وَبَطْشٍ قَوِيٍّ ، وَرَحْمَةٍ مُوسِعَةٍ ، وَعَقُوبَةٍ مُوجِعَةٍ ، رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ عَرِيضَةٌ مُؤَبِّقَةٌ ، وَعَقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مُؤَصَّدَةٌ مُؤَبِّقَةٌ .

وَشَهِدْتُ بِبَعْثِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، وَصَفِيهِ وَحَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ ، وَفِي حِينِ فِتْرَةٍ وَكُفْرٍ ؛ رَحْمَةً لِعَبِيدِهِ ، وَمِنَّةً لِمُرِيدِهِ ، خَتَمَ بِهِ نُبُوتَهُ ، وَقَوَّى بِهِ حُجَّتَهُ ، فَوَعظَ وَنَصَحَ ، وَبَلَّغَ وَكَدَحَ ، رَوْوْفٌ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَلِيٌّ سَخِيٌّ ، زَكِيٌّ رَضِيٌّ ، عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وَتَسْلِيمٌ ، وَبَرَكَةٌ وَتَكْرِيمٌ ، مِنْ رَبِّ غَفُورٍ رَحِيمٍ ، قَرِيبٍ مَجِيبٍ .

وَصَيِّتُكُمْ مَعَشَرَ مَنْ حَضَرَنِي بِتَقْوَى رَبِّكُمْ ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تُسَكِّنُ قُلُوبَكُمْ ، وَخَشْيَةً تُذَرِّي دُمُوعَكُمْ ، وَتَقِيَّةً تَنْجِيكُمْ قَبْلَ يَوْمٍ [يَذْهَلُكُمْ] وَيَبْلِيكُمْ ، يَوْمٌ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقَلَ وَزُنُ حَسَنَتِهِ ، وَخَفَّ وَزُنُ سَيِّئَتِهِ ، وَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ مَسْأَلَةً ذُلٍّ وَخُضُوعٍ ، وَشُكْرٍِ وَخُشُوعٍ ، بِتَوْبَةٍ وَنُزُوعٍ ، وَنَدَمٍ وَرُجُوعٍ .

وَلِيغْتَنِمَ كُلُّ مُغْتَنِمٍ مِنْكُمْ صَحَّتَهُ قَبْلَ سَقَمِهِ ، وَشَبِيبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ عَدَمِهِ ، وَخَلُوتَهُ قَبْلَ شَغْلِهِ ، وَحَضْرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ ، قَبْلَ هُوَ يَكْبُرُ وَيَهْرُمُ ، وَيَمْرَضُ وَيَسْقُمُ ، وَيَمْلَأُهُ طَبِيبُهُ ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ ، وَيَنْقَطِعُ عَمْرُهُ ، ثُمَّ قَبْلُ هُوَ مَوْعُوكٌ ، وَجَسْمُهُ مِنْهَوَكٌ ، ثُمَّ جَدَّ فِي نَزْعِ شَدِيدٍ ، وَحَضْرَهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، فَشَخَّصَ بِبَصَرِهِ ، وَطَمَحَ بِنَظَرِهِ ، وَرَشَّحَ جَبِينَهُ وَجَذَبَتْ

نَفْسُهُ ، وَنَكَبَتْ عِرْسُهُ ، وَحُفِرَ رَمْسُهُ ، وَوُتِّمَ وَلَدُهُ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَدَدُهُ ، وَقُسِمَ
 جَمْعُهُ ، وَذَهَبَ بَصْرُهُ وَسَمْعُهُ ، وَغَمِضَ وَمُدِدَ ، وَوَجَّهَ وَجْرَدَ ، وَغَسَلَ وَنُشِفَ
 وَسَجَّى ، وَبُسِطَ لَهُ وَهَيْبَى ، وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَقْنُهُ ، وَقَمِصَ وَعَمِمَ ،
 وَلَفَّ وَسَلِمَ ، وَحُمِلَ فَوْقَ سَرِيرٍ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ ، وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مَزْخَرَفَةٍ ،
 وَقُصُورٍ مُشَيَّدَةٍ ، وَحُجِرٍ مُنْجَدَةٍ ، فَجُعِلَ فِي ضَرْيَحٍ مَلْحُودٍ ، وَلِحْدٍ صَيِّقٍ
 [مَرْصُودٍ] ^(١) ، بَلَيْنٍ مَنْضُودٍ ، يُسْقَفُ بِجُلْمُودٍ ، وَهَيْلٍ [عَلَيْهِ] حَفْرُهُ ، وَحُحِّي
 عَلَيْهِ مَدْرُهُ ، فَتَحَقَّقَ حَذْرُهُ ، وَنُسِيَ خَبْرُهُ ، وَرَجَعَ عَنْهُ وَلِيَّهُ وَنَسِيْبُهُ ، وَتَبَدَّلَ
 بِهِ قَرِيْبُهُ وَحَبِيْبُهُ ، وَصَفِيْهُ وَنَدِيْمُهُ ، فَهَوَّ حَشُوْ قَبْرِ ، وَرَهِيْنُ قَفْرِ ، يَسْعَى فِي
 جَسْمِهِ دَوْدُ قَبْرِهِ ، وَيَسِيْلُ صَدِيْدٌ مِنْ مَنَخِرِهِ ، وَيُسْحَقُ بَدَنُهُ وَلِحْمُهُ ، وَيُنْشَفُ
 دَمُهُ ، وَيَرْمُ عَظْمُهُ ، حَتَّى يَوْمِ حَشْرِهِ ، فَيُنْشَرُ مِنْ قَبْرِهِ ، حَتَّى يُنْفَخَ فِي صُورٍ ،
 وَيُدْعَى لِحْشِرٍ وَنَشُورٍ .

فَثَمَّ بُعِثَتْ قُبُورٌ ، وَحُصِّلَتْ سَرِيْرَةٌ صَدُورٍ ، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِدِيْقٍ ،
 وَشَهِيدٍ مِنْطِيْقٍ ، وَتَوَحَّدَ لِفَصْلِ عِنْدَ رَبِّ قَدِيْرٍ ، بِعَبِيْدِهِ خَبِيْرٍ بَصِيْرٍ ، فَكَمَّ
 مِنْ زَفْرَةٍ تُفْنِيهِ ، وَحَسْرَةٍ تُنْضِيهِ ، فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ عَظِيْمٍ ، وَمَشْهَدٍ جَلِيْلِ
 جَسِيْمٍ ، بَيْنَ يَدَيِ مَلِكٍ كَرِيْمٍ ، بِكُلِّ صَغِيْرَةٍ وَكَبِيْرَةٍ عَلِيْمٍ ، حِيْنَئِذٍ يُلْجِمُهُ
 عَرْفُهُ ، وَيَحْفِزُهُ قَلْقُهُ ، عَبْرَتُهُ غَيْرُ مَرْحُومَةٍ ، وَصَرَخَتُهُ غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ ، وَحُجَّتُهُ
 غَيْرُ مَقْبُولَةٍ ، وَنُؤِلَ صَحِيْفَتُهُ ، وَتَبَيَّنَ جَرِيْرَتُهُ ، وَنَطَقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْهُ بِسُوءِ
 عَمَلِهِ ، فَشَهِدَتْ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ ، وَيَدُهُ بِبَطْشِهِ ، وَرِجْلُهُ بِخَطْوِهِ ، وَجَلَدُهُ بِمَسِّهِ ،
 وَفَرَجُهُ بِلَمْسِهِ .

وَيُهَدِّدُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيْرٌ ، وَكَشَفَ عَنْهُ بَصِيْرٌ ، فَسُلْسِلَ جِيْدُهُ ، وَغُلَّتْ يَدُهُ ،
 وَسِيْقٌ يُسْحَبُ وَحَدَّةٌ ، فَوْرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ شَدِيْدٍ ، وَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيْمٍ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : (مَرْصُودٌ) .

وَسُقِي شَرِبَةً مِنْ حَمِيمٍ ، تَشْوِي وَجْهَهُ ، وَتَسْلُخُ جِلْدَهُ ، يَضْرِبُهُ زَبَانِيَّتُهُ بِمِقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ ، يَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نَضْجِهِ بِجِلْدٍ جَدِيدٍ ، يَسْتَعِيثُ فَتُعْرَضُ عَنْهُ خَزَنَةٌ جَهَنَّمَ ، وَيَسْتَصْرِخُ فَيَلْبَثُ حِقْبَةً يَنْدُمُ .

نَعُودُ بَرِّ قَدِيرٍ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ ، وَنَسْأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ ، وَمَغْفِرَةَ مَنْ قَبَلَ مِنْهُ ، فَهَوَّ وَلِيَّ مَسْأَلَتِي ، وَمُنْجِحُ طَلِبَتِي ؛ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ تَعْدِيبِ رَبِّهِ . . . سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقَرْبِهِ ، وَخُلِدَ فِي قِصُورٍ مُشِيدَةٍ ، وَمُكِّنَ مِنْ حُورٍ عِينٍ وَحَفَدَةٍ ، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ ، وَسَكَنَ حَظِيرَةَ [قُدُوسٍ] ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ ، وَشَرِبَ مِنْ عَيْنِ سَلْسِيلٍ ، مَمْرُوجَةٍ بِزَنْجَبِيلٍ ، مَخْتُومَةٍ بِمِسْكِ وَعَبِيرٍ .

مَسْتَدِيمٌ لِلْحُبُورِ ، مُسْتَشْعِرٌ لِلشُّرُورِ ، يَشْرَبُ مِنْ خُمُورٍ ، فِي رَوْضٍ مُشْرِقٍ مُغْدِقٍ ، لَيْسَ يُصَدَّعُ مَنْ شَرِبَهُ ، وَلَيْسَ يُنْزَفُ .

هَذِهِ مَثُوبَةٌ مَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ، وَحَدَرَ نَفْسَهُ ، وَتَلَّكَ عَقُوبَةٌ مَنْ جَحَدَ [مَشِيئَةَ] مُنْشِيهِ ، وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مَعْصِيَةَ مُبْدِيهِ .

ذَلِكَ قَوْلٌ فَصْلٌ ، وَحُكْمٌ عَدْلٌ ، خَيْرٌ قَاصِصٍ قُصِّ ، وَوَعِظٌ نُصِّ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، نَزَلَ بِهِ رُوحٌ قَدِيسٍ مَبِينٍ ، عَلَى قَلْبِ نَبِيِّ مَهْتَدٍ مَكِينٍ ، صَلَّتْ عَلَيْهِ رَسَلٌ سَفَرَةٌ ، مُكْرَمُونَ بَرَّةٌ ، عَذْتُ بِرَبِّ رَحِيمٍ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ رَجِيمٍ ، فَلْيَتَضَرَّعْ مُتَضَرِّعُكُمْ ، وَلْيَبْتَهِلْ مُبْتَهِلُكُمْ ، فَاسْتَغْفِرْ رَبَّ كُلِّ مَرْبُوبٍ لِي وَلَكُمْ . انْتَهَتْ .

وَفِي سَلُوكِ هَذِهِ [الطَّرِيقِ] دَلَالَةٌ عَلَى سَعَةِ الْحَفِظِ ، وَقُوَّةِ الْاسْتِحْضَارِ ، وَأَكْثَرُ الْكَلَامِ الطَّوِيلِ جَاءَ مِنَ الْمُهْمَلِ ؛ لِسَعَتِهِ ، وَلِبَعْضِهِمْ تَفْسِيرٌ عَلَى الْقُرْآنِ كُلُّهُ مُهْمَلٌ !!



التسميطُ

هُوَ نَوْعَانِ :

الأوّلُ : أن يجعلَ البيتَ على ثلاثة أجزاءٍ مِنْ رُوِيٍّ واحدٍ ، ثمَّ القافيةُ ؛
كقولِ جنوبٍ [الهذليّة] ^(١) :

وَحَرْبٍ وَرَدَّتْ وَثَغْرِ سَدَدَتْ وَعِلْجٍ شَدَدَتْ عَلَيْهِ الْحَبَالَا
وَمَالٍ حَوَيْتَ وَخَيْلٍ حَمَيْتَ وَضَيْفٍ قَرَيْتَ يَخَافُ الْوَكَالَ

والثاني : هُوَ التخميسُ المعروفُ ؛ كقولِ امرئِ القيسِ ^(٢) : [من الطويل]

وَمُسْتَلِيمٍ كَشَفْتُ بِالرُّمَحِ ذَيْلَهُ أَقَمْتُ بِعَضْبٍ ذِي شَقَائِقَ مَيْلَهُ
فَجَعْتُ بِهِ فِي مُلْتَقَى الْكَرِّ خَيْلَهُ تَرَكْتُ عِتَاقَ الطَّيْرِ تَحْجُلُ حَوْلَهُ
كَأَنَّ عَلَى سِرْبَالِهِ نَضَحَ جِرْيَالِ

وعلى هذا المثالِ هذا مَنْ يَعْمُدُ إِلَى الْأَبْيَاتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ ، فيضيفُ لها
ثلاثةَ أشطارٍ ؛ ليكونَ شعراً مُخَمَّساً .

ومن حيثُ إنَّه يلزمُ فيه أن يكونَ الكلامُ متلائماً ، جديداً المعاني ، مُنْسَجِماً
مع الأصلِ .. كَانَ الْإِحْسَانُ فِيهِ قَلِيلاً .

يُحْكِي : أَنَّ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ الْمَجِيدِينَ خَطَرَ عَلَى بَالِهِ وَهُوَ فِي الرُّوضَةِ
الشَّرِيفَةِ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ أَنْ يُخَمِّسَ هَمْزِيَةَ أَبِي سَعِيدِ الْأَبُوصَيْرِيِّ ،

(١) انظر « أنوار الربيع » (١٩٠/٦) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٩٥/٦ - ١٩٦) .

فَأَسْعَفَهُ اللَّهُ بِالْفَاتِحَةِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ :

[من الخفيف]

بِابْنِ عِمْرَانَ شُرِّفَتْ سِينَاءُ وَيَا إِدْرِيسَ وَالْمَسِيحَ السَّمَاءُ
وَلَكَ الْعَرْشُ مَوْطِنٌ وَوِطَاءُ كَيْفَ تَزَقَّى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ

يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلْتَهَا سَمَاءُ

ثُمَّ أَخَذَتْهُ سِنَّةٌ ، فَرَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ : حَسْبُكَ ؛ فَإِنَّهُ
مَا كَانَ يُقَدِّرُ أَنْ يُسْتَمَرَ عَلَى هَذَا النَّمْطِ .



التجزئة

هي أن يُجزأ البيتُ أجزاءً عروضيةً مسجوعةً برويينِ مختلفينِ ؛ أحدهما :
يوافقُ القافيةَ ، والآخَرُ : يخالفُها ؛ كقولِ القائلِ ^(١) :

هِنْدِيَّةٌ لَحَظَاتُهَا خَطِيئَةٌ خَطَرَاتُهَا دَارِيَّةٌ نَفَحَاتُهَا



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٠١/٦) .

سلامة الاختراع

هو عبارة عن أن يُبدع الشاعرُ أمراً شعرياً لم يسبقه أحدٌ إليه ،
وموضع ذلك الطبقات المتأخرة عن الطبقات الأولى التي آخزها طبقة
بشار .

وتحصيل سلامة الاختراع لا يصل إلى اليقين إلا بعد معرفة كل ما قيل ،
وإن كان المعنى مُخترعاً بحسب عدم اطلاع صاحبه عليه . . فلا يُعدُّ سارقاً ،
ولكن لا يُقال : إنه مُخترعٌ ، بل توارد خاطرُهُ وخاطرُ سابقه .

فمن المذكور شاهداً لسلامة الاختراع من كلام المتأخرين : قول
ابن الرومي من أهل القرن الثالث^(١) :

تَوَدَّدْتُ حَتَّى لَمْ أَدَعِ مُتَوَدِّدًا وَأَفْنَيْتُ أَفْلَامِي عِتَابًا مُرَدِّدًا
كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِكَ ابْنَ حَنِيَّةٍ إِذَا النَّزْعُ أَدْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدًا

وكقول أبي الطيب من أهل القرن الرابع في مدح كافور الإخشيدي وكان
أسود^(٢) :

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانُ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَاقِيَا
وقوله^(٣) :

صَدَمْتَهُمْ بِحَمِيسٍ أَنْتَ عُرْتُهُ وَسَمَّهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ
فَكَانَ أَثْبَتُ مَا فِيهِمْ جُسُومَهُمْ يَسْقُطَنَّ حَوْلَكَ وَالْأَزْوَاحُ تَنْهَزِمُ

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (٧٧٠ / ٢) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٥) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣١٩) .

[من الوافر]

أَوَّلُ الْبَيْتَيْنِ مِنْ قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ (١) :

فَلَوْ أَنَا شَهِدْنَاكُمْ نُصِرْنَا بِذِي لَجَبٍ أَزْبَ مِنْ أَلْعَوَالِي

الأزبُ مِنَ الإِبْلِ : كثيرُ شعرِ الوجه ، وَعَبَّرَ مَكَانَهُ الْمُتَنَبِّي بِالْغَمِّ .

[من البسيط]

ولأبي العلاء (٢) :

وَالنَّجْمُ تَسْتَضْغِرُ الأَبْصَارُ طَلَعَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلْعَيْنِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الأَصْغَرِ

[من البسيط]

ولابن القيسراني :

هُوَ الَّذِي سَلَبَ العُشَّاقَ نَوْمَهُمْ أَمَا تَرَى عَيْنَهُ مَلَأَى مِنْ أَلْوَسَنِ

المُخْتَرَعُ لَهُ : حَسَنُ التَّعْلِيلِ ، وَإِلَّا . . فالوسنُ فِي الأَعْيُنِ مِنَ المَعَانِي

[من الكامل]

الأول ، مِنْ لَطِيفِهِ فِي كَلَامِ العَرَبِ (٣) :

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ [جاسم]

وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ التُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ



(١) انظر « شرح الحماسة » للمرزوقي (٥١٩/١) .

(٢) انظر « شروح سقط الزند » (١٦٢/١) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٣٦/١) .

اتِّلاَفُ اللَّفْظِ مَعَ الْمَعْنَى

هُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ مُوَافِقَةً لِلْمَعَانِي ؛ فَتَخْتَارُ الْأَلْفَاظَ الْجَزَلَةَ وَالْعِبَارَاتِ الشَّدِيدَةَ لِمَعَانِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسِ ، وَالْكَلِمَاتِ الرَّقِيقَةَ وَالْعِبَارَاتِ اللَّيِّنَةَ لِلغَزْلِ وَالنَّسِيبِ ، وَصِفَةِ الْكَأْسِ وَالسَّاقِي ، وَالنَّدِيمِ وَالْمُغْنِي وَمَجْلِسِ الشَّرَابِ ، كَمَا قِيلَ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ .

[مَحَاوِرَةٌ بَيْنَ خِلَادٍ وَبِشَارِ بْنِ بَرْدٍ]

وِيرشُدُكَ لِدَلِّكَ مَا حُكِي : أَنْ خِلَادًا قَالَ لِبِشَارِ بْنِ بَرْدٍ (١) : إِنَّكَ لِتَجِيءُ بِالشَّيْءِ الْمُتَفَاوِتِ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : بَيْنَمَا تَقُولُ شِعْرًا تُثِيرُ بِهِ النِّقْعَ ، وَتَخْلَعُ بِهِ الْقُلُوبَ ؛ مِثْلَ قَوْلِكَ :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِبَةً هَتَكُنَّا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا
إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرِّي مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
إِلَى أَنْ تَقُولَ :

رَبَابَةٌ رَبَّةٌ أَلْبَسِيَتْ تَصُبُّ أَلْخَلَ فِي الرِّبِيَتْ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

فَقَالَ : لِكُلِّ شَيْءٍ وَجْهٌ وَمَوْضِعٌ ، فَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ جَيِّدٌ ، وَهَذَا قَلْتُهُ فِي جَارِيَتِي رِبَابَةً ، وَأَنَا لَا أَكُلُّ الْبَيْضَ مِنَ السُّوقِ ، فَرِبَابَةٌ هَذِهِ لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ ، فَهِيَ تَجْمَعُ لِي الْبَيْضَ وَتَحْفَظُهَا ، فَهَذَا مِنْ قَوْلِي عِنْدَهَا أَحْسَنُ مِنْ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

فَمَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

(١) انظر الخبر في « معاهد التنصيص » (٢٩٤/١ - ٢٩٥) .

[وصيةٌ للشاعرِ والكاتبِ]

ومِنْ كتابِ « الوساطةِ » للقاضي أبي الحسنِ عليّ بنِ عبدِ العزيزِ الجرجانيّ . . قولهُ في وصيةِ الشاعرِ والكاتبِ ؛ فهو يعلمُكَ مواقعَ أنواعِ الكلامِ : (لا أمركَ بإجراءِ أنواعِ الشعرِ كِلِه مُجرىً واحداً ، ولا أن تذهبَ بجميعِه مذهبَ بعضِه ، بل أرى لك أن تقسمَ الألفاظَ على مراتبِ المعاني ، فلا يكونَ غزلكَ كافتخاركَ ، ولا مديحكَ كوعيدكَ ، ولا هجاؤكَ كاستبطائكَ ، ولا هزلُكَ بمنزلةِ جدكَ ، ولا تعريضُكَ مثلَ تصريحكَ ، بل تُرتبُ كلاً مرتبتهُ ، وتوفيه حَقَّهُ ، فتتلطفُ إذا تغزّلتَ ، وتُفخِمُ إذا افتخرتَ ، وتُتصرّفُ للمديحِ تُصرّفَ مواقعِه ؛ فإنَّ المدحَ بالشجاعةِ والبأسِ يَتميّزُ عن المدحِ باللِّبابةِ والظِّرفِ ، ووصفَ الحربِ والسلاحِ ليسَ كوصفِ المجلسِ والندامِ ^(١) ، ولكلِّ واحدٍ مِنَ الأمرينِ نهجٌ هو أملكُ به ، وطريقٌ لا يشاركُه الآخرُ فيه .

وليسَ ما رسمتهُ لك في هذا البابِ بمقصودٍ على الشعرِ دونَ الكتابةِ ، ولا يَخْتصُّ بالنظمِ دونَ النثرِ ، بل يجبُ أن تكونَ كتابتُك في الفتحِ أو الوعيدِ خلافَ كتابتِك في الشوقِ أو التهنيةِ ، وخطابُك إذا حذرتَ وزجرتَ أفخمَ منه إذا وعدتَ وميّتَ) انتهى ^(٢) .

وإذا تأملتَ الكتابَ العزيزَ في تصرّفِ العباراتِ للوعيدِ والوعيدِ ، وخطابِ الحضريِّ والأعرابِ ، والتذكيرِ ونصِّ الأحكامِ . . . إلى غيرِ ذلكِ مِنَ الأنواعِ . . مرَّ بك ذلكَ في المَحَجَّةِ البيضاءِ ، وإنَّ ائتلافَ اللفظِ مع المعنى هو أعظمُ أركانِ البلاغةِ ، ومِنْ جهتهِ يَنحطُّ شأنُ البليغِ أو يرتفعُ .



(١) كذا في « أنوار الربيع » (٢١٩/٦) ، وفي « الوساطة بين المتنبّي وخصومه » (ص ٣٠) : (المدام) .
(٢) الوساطة بين المتنبّي وخصومه (ص ٣٠) .

ائتلافُ اللفظِ معَ الوزنِ

هو أن يكونَ الكلامُ المنظومُ بمنزلةِ الكلامِ المنثورِ ؛ بحيثُ لا يضطرُّ
الوزنُ الشاعرَ إلى تقديمٍ وتأخيرٍ يُبعِدُ فهمَ المعنى ، ولا إلى مخالفةِ لغةٍ أو
إعرابٍ ، كما وقعَ للفرزدقِ في قوله ^(١) :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وكقولِ المتنبي ^(٢) :

أَنْنَى يَكُونُ أَبَا الْبَرَايَا آدَمَ وَأَبُوكَ وَالثَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ
أي : وأبوكَ محمدُ ، والثَّقْلَانِ أَنْتَ .
وكقولِ الكميِّ ^(٣) :

لَا كَعَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ كَوَلِيدِ أَوْ سُلَيْمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهَشَامِ
أي : عبدِ الملكِ .



فَالْخُلَاصَةُ : أَلَّا يَحِيلَ الشَّاعِرُ عَلَى ضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، فَإِذَا لَزِمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ
لَضَعْفِهِ . . وَجِبَ أَنْ يَتَرَكَ حَتَّى يَقْوَى ؛ لِيَسْتَرِيحَ وَيُرِيحَ .



(١) تقدم أول الكتاب (٧٠/١) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥) .

(٣) انظر « ديوان الكميِّ » (ص ٤٩٧) .

ائتلافُ الوزنِ معَ المعنى

أرادَ البديعيُّونَ أن يسلمَ الشعْرُ مِنَ القلبِ الكائنِ في مثلِ قولِ
القطاميِّ^(١) :

كَمَا طَيَّنْتَ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا

وقد سبقَ القولُ في القلبِ في فنِّ المعاني^(٢) .



(١) تقدم (٩٩/٢) ، والبيت بتمامه :

فَلَمَّا أَنْ جَرَى سَمْنٌ عَلَيْهَا

(٢) انظر (٩٨/٢ - ٩٩) .

ائتلافُ اللفظِ مع اللفظِ

هو عبارةٌ عن كونِ الفاظِ العبارةِ مِنْ وادٍ واحدٍ في الغرابةِ والتأهّلِ ؛ كقوله تعالى : ﴿ تَأَلَّه تَفْتَوُؤُا تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾ ^(١) ، لَمَّا أتى بالتاءِ التي هي أغربُ حروفِ القسمِ . . أتى معها بـ ﴿ تَفْتَوُؤُا ﴾ الذي هو أغربُ أفعالِ الاستمرارِ ، وجاوزَهُما بقوله : ﴿ حَرَضًا ﴾ .

وكذلك : ﴿ وَتَأَلَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴾ ^(٢) مكانَ :
واللهِ ؛ لأكسرنَ أصنامكم بعدَ أن تذهبوا .



(١) سورة يوسف : (٨٥) .

(٢) سورة الأنبياء : (٥٧) .

الموازنة

هو أن يجعل أجزاء البيت العروضية كقول امرئ القيس^(١) : [من المتقارب]

أَفَادَ فَسَادَ وَقَادَ فَزَادَ وَسَادَ فَجَادَ وَعَادَ فَأَفْضَلَ

وقول ابن هانئ^(٢) : [من الكامل]

وَعَوَانِسُ وَقَوَانِسُ وَكَوَانِسُ وَأَوَانِسُ وَقَنَابِلُ



(١) كذا في « أنوار الربيع » (٢٢١/٦) .

(٢) انظر « ديوان محمد بن هانئ الأندلسي » (ص ٢٩٦) .

السَّجْعُ

هو تقييدُ الكلامِ المنشورِ علىِ نهاياتٍ متماثلةةٍ .

قيلَ : ولا يُقالُ في القرآنِ : سجعٌ ، بل يقالُ : فواصلٌ .

وأحسنُ السَّجْعِ : ما كانتَ ألفاظُهُ على ترتيبٍ معانيه ؛ بحيثُ لا يظهرُ لأجلِهِ تكلفٌ بتقديمٍ وتأخيرٍ ، وما قصُرَتْ فيه القرائنُ أحسنُ ممَّا طالتَ فيه ، وكذلكَ تساوي القرائنُ أحسنُ من طولِ الثانيةِ عن الأولى ، وعكسُهُ غيرُ حسنٍ .

قيلَ للصَّاحِبِ ابنِ عبادٍ : ما أحسنُ السَّجْعِ ؟ قالَ : ما خفَّ على السمعِ ، قيلَ : مثلُ ماذا ؟ قالَ : مثلُ هذا^(١) .

[أمثلةٌ من كلامِ رؤساءِ الصناعاتِ]

ولنوردُ لك بعضَ فصولٍ من كلامِ رؤساءِ الصناعاتِ ؛ لتكونَ لك مثلاً تتمكَّنُ به من معرفةِ محاسنِ السَّجْعِ ؛ كتبَ الصَّاحِبُ ابنُ عبادٍ إلى القاضي أبي بشرٍ الفضلِ بنِ محمدِ الجرجانيِّ ، وقد بلغه أنَّه وافدٌ عليه ، وأرسلَ بها معَ غلامٍ بريديٍّ ليعودَ إليه بتعيينِ يومٍ وصولِهِ : [من الوافر]

تَحَدَّثْتَ الرِّكَّابِ بِسَيْرِ أَرْوَى إِلَى بَلَدٍ حَطَطْتُ بِهِ خِيَامِي
فَكِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهَا بِقَادِمَةٍ كَقَادِمَةِ الْجِمَامِ

أفحقُّ ما قيلَ من أمرِ القادمِ ، أم ظنُّ كأمانيِّ الحالمِ ، لا واللهِ ، بل هو دَرَكُ العِيَانِ ، وأنَّه ونيلَ المنى سيَّانِ ، فمرحباً براحتِكَ ورحلكَ ، وأهلاً بك

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٢/٦) .

وبجميع أهلك ، ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من ريبك ، فحث المطي . . [تزل] علتني بلقياك ، وتبرد غلتي بسقياك ، ونصرت على يوم الوصول . . نجعلهُ عيداً مشرفاً ، ونتخذهُ موسماً ومُعرِفاً ، وزد الغلام ، أسرع من رجح الكلام ؛ فقد أمرته أن يطير على جناح نسرٍ ، وأن يترك الصبا في عقابٍ أسيرٍ ، والسلام^(١) .

وكتب مهنئاً بمولودة : أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأضرار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون .

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
وَمَا التَّانِيثُ لِأَسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِنَهْلَالِ
فادع اغتباطاً ، وتهن نشاطاً ؛ فالدنيا مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة ، وبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها يُنعم المرسلون ، فهنيئاً مريئاً ، ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت^(٢) .



ولبديع الزمان الهمذاني : انظر إلى الكلام وقائله ؛ فإن كان ولياً . . فهو الولاء وإن خشن ، وإن كان عدواً . . فهو البلاء وإن حسن ، ألا ترى إلى العرب تقول : قاتله الله ، ولا يريدون الذم ، ولا أباله ، في الأمر إذا تم^(٣) .

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٤/٦ - ٢٥٥) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٥/٦ - ٢٥٦) ، والبيتان السابقان من بحر الوافر .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٦/٦) .

وله : فائدة الاعتقاد أفضل في الانتقاد ، والسَّمَاخُ يكسر الرِّمَاحَ ، والصفْحُ يُفْلُ الصفَاحَ ، والجُودُ أنصرُ مِنَ الجنودِ ، وكشفُ الضَّرِّ عن الحرِّ . . أجملُ مِنْ كشفِ الصَّدْفِ عَنِ الدَّرِّ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْمَنْحِ . . قُصِدَ بِالْمَدْحِ .

وخيرُ الإخْوَانِ . . مَنْ لَيْسَ بِخَوَّانٍ ، وَدُهُ مَيْمُونٌ ، وَغَيْبُهُ مَأْمُونٌ ، فَهَوَ يَحَالِفُكَ وَلَا يَخَالِفُكَ ، وَيِرَافِقُكَ وَلَا يَفَارِقُكَ ، وَيُؤَافِقُكَ وَلَا يِنَافِقُكَ ، إِذَا حَضَرَتْ . . حَنَا عَلَيْكَ ، وَإِذَا غَبَتْ . . حَنَّ إِلَيْكَ ^(١) .

وله : ما أشبه وعدَ الشيخِ في الخِلافِ . . إِلَّا بِشَجْرِ الخِلافِ ؛ [خضرةٌ] فِي العَيْنِ ، وَلَا ثَمْرَةَ فِي البَيْنِ ، فَمَا يَنْفَعُ الوَعْدُ ، وَلَا إِنجَازَ مِنْ بَعْدُ ، وَمِثْلُ الوَعْدِ مِثْلُ الرِّعْدِ ، لَيْسَ لَهُ خَطَرٌ ، إِنْ لَمْ يَتْلُهُ مَطَرٌ .

وله : كِتَابِي مِنْ هَرَاةٍ وَلَا هَرَاةٍ ؛ فَقَدْ طَحَنَتْهَا المِحْنُ كَمَا يُطْحَنُ الدَّقِيقُ ، وَقَلَّبَتْهَا كَمَا يُقَلَّبُ الرَّقِيقُ ، وَبَلَعَتْهَا كَمَا يُبْلَعُ الرِّيقُ ، وَقَدْ خَدَمْتُ الشَّيْخَ سَنِينَ ، وَاللَّهُ لَا يَضِيْعُ أَجْرَ المَحْسِنِينَ ، وَنَادَمْتُهُ وَالمَنَادِمَةُ رِضَاعٌ ثَانٍ ، وَمَالِحَتُهُ وَالمَمَالِحَةُ نَسَبٌ دَانٍ ، وَسَافَرْتُ مَعَهُ وَالسَّفَرُ وَالأَخْوَةُ رِضِيْعَا لِبَانٍ ، وَقَمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالقِيَامُ وَالصَّلَاةُ شَرِيكَا عِنَانٍ ، وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ وَالثَّنَاءُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ ، وَأَخْلَصْتُ لَهُ وَالإِخْلَاصُ مَحْمُودٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ^(٢) .

يشيرُ بقولِهِ : (وَالثَّنَاءُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ) إِلَى مَا وَرَدَ : « لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَلْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ » ^(٣) .

وله : لِلشَّيْخِ مِنَ الصُّدُورِ مَا لَيْسَ لِلْفُؤَادِ ، وَمِنَ القُلُوبِ مَا لَيْسَ لِلأَوْلَادِ ، كَأَنَّمَا اشْتَقَّ مِنْ جَمِيعِ الأَكْبَادِ ، وَوُلِدَ بِجَمِيعِ البِلَادِ ، سِوَاءِ الحَاضِرِ فِيهِ وَالبَادِ ،

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٦/٦) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٦/٦ - ٢٥٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٣٤) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

فكُلُّ أفعالِهِ غُرَّةٌ فِي ناصِيَةِ الأيَامِ ، وَزَهْرَةٌ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ ، إِلاَّ أَنْ ما أَحَبَّهُ لِفِلانٍ ^(١) رَوْضٌ أَنا وَسَمِيئُهُ ، وَغَصَنٌ أَنا قُمْرِيئُهُ ، وَعودٌ جَمْرُهُ لِساني ، وَجودٌ شَكَرُهُ ضَماني ^(٢) .

ولهُ : المرءُ جَزوعٌ لِكَنَّهُ حَمولٌ ، وَالإنسانُ فِي النوائِبِ شَموسٌ ثمَّ ذلولٌ ، وَلقد عَشْتُ بَعَدَ الشَّيخِ لِكُنْ عيشَةَ الحوتِ فِي البَرِّ ، وَبقيْتُ لِكُنْ بقاءَ الثلجِ فِي الحَرِّ ^(٣) .

ولهُ : كتابي إِلى البَحْرِ وَإِن لَمْ أرَهُ ، فَقَد سَمِعْتُ خِبرَهُ ، وَاللَّيْثُ وَإِن لَمْ أَلْقَهُ ، فَقَد تَصَوَّرْتُ خَلْقَهُ ، وَالمَلِكُ وَإِن لَمْ أَكُنْ لِقِيئُهُ ، فَقَد لَقِينِي صِيئُهُ ، وَمَنْ رَأَى مِنَ السَّيْفِ أَثرَهُ . . فَقَد رَأَى أَكثَرَهُ ، وَهذِهِ الحَضْرَةُ وَإِن احتاجَ إِليها المَأْمُونُ ، وَلَمْ يَسْتَغِنِ عَنها قارونُ ، فَإِنَّ الأَحَبَّ إِليَّ أَنْ أَقصدَها قَصْدَ موالٍ ، لا قَصْدَ سَؤالٍ ، وَالرَّجوعُ عَنها بِجمالٍ . . أَحَبُّ إِليَّ مِنَ الرَّجوعِ عَنها بِمالٍ ، قَدِمْتُ التَّعريفَ ، وَأنا أَنتظِرُ الجوابَ الشَّريفَ ^(٤) .

ولهُ : حَضْرَتُهُ التي هِيَ كَعْبَةُ المَحْتاجِ ، إِذ لَمْ تَكُنْ كَعْبَةَ الحَاجِّ ، وَمشعرُ الكرامِ ، إِذ لَمْ تَكُنْ المَشعَرَ الحَرَامِ ، وَمُنَى الضَّيْفِ ، إِذ لَمْ تَكُنْ مِنى الخِيفِ ، وَقِبْلَةُ الصَّلَاتِ ، إِذ لَمْ تَكُنْ قِبْلَةَ الصَّلَاةِ .

ولهُ : حَرَسَ اللهُ هَذهِ الدنانيرَ ، وَرَزَقَنَا مِنها الكَثيرَ ؛ إِنَّها لِتَفْعَلُ ما لا تَفْعَلُ التوراةُ وَالإنجيلُ ، وَتَغني ما لا يَغني التَّنزيلُ وَالتَّأويلُ ، وَتُصَلِّحُ ما لا يُصَلِّحُ جَبْريلُ [وَميكائيلُ] ^(٥) .

(١) فِي « أنوار الربيع » : (ما أوجه لفلان) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦) .

(٤) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦) .

ولهُ : هذا الذي تاه علينا بحسنِ قَدِّهِ ، وزها علينا بورِدِ خَدِّهِ ، قد نسخَ
الدهرُ آيةَ حسِنِهِ ، وأقامَ مائلَ غصنِهِ ، وانتصرَ لنا منهُ بشعراتِ كسفتِ هلالِهِ ،
وأكسفتِ بالهُ ، ومسختِ جمالهُ ، وغَيَّرتِ حالهُ .

فَمَنْ لَكَ بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيْكَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَنْظُرُ
أَيامَ كُنْتَ تَتَلَفَّتُ ، والأكبادُ تَتَفَتَّتُ ، فاقصرِ الآنَ عمَّا صارَ وكانَ ؛
فإنَّهُ سوقُ كسدَ ، ومتاعُ فسَدَ ، ودولةٌ أعرَضتْ ، وأيامٌ انقضتْ ، ويومٌ
صارَ أمسِ ، وحسرةٌ بقيتْ في النفسِ ، فحتِّمًا تدلُّ وإلامهُ ؟ وكم تحتمِلُ
وعلامهُ ؟^(١) .



ولأبي بكرٍ محمدِ بنِ أحمدَ اليوسفيِّ : الشوقُ الذي أقاسي ، والذي مرَّ
براسي . . يَهْدُ الجبالَ الرواسيَ ؛ مِنْ نواكبِ أوهتِ المناكبِ ، وعوارضِ شيبتِ
العوارضِ ، ومحنِ عظامِ ، أثرتِ في العظامِ ، وللأيامِ دولٌ متعاقبةٌ ، وللصِّبرِ
الجميلِ أحمدٌ عاقبةٌ^(٢) .



وللقاضي أبي أحمدَ منصورِ بنِ محمدِ الهرويِّ ، وكتبَ إلى صديقِ أهداهُ
وردةً : وصلتِ الوردةُ الفردةُ ، لا زالَ ذكرُهُ كريًاها عَزْفًا ، ودهرُهُ [كفضْلِها]
ظَرْفًا ، وحالُ أوليائِهِ كأغصانِها خضرةٌ ، ووجوهُ أعدائِهِ كلونها صفرةٌ ، فسرتِ
القلبَ ، وسرتِ الكربَ ، وأدَّتِ الأربَ ، وأهدتِ الطربَ ، ودعتِ إلى الرسمِ
المألوفِ ، وأمَّرتِ بالمُنكرِ المعروفِ .

وافتنا والليلُ قد حطَّ رِواقُهُ ، وحلَّ نِطاقُهُ ، والصُّبحُ قد بسطَ رداءَهُ ، ورفعَ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٨/٦) ، والبيت المأزُ من بحر الطويل .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٨/٦) .

لواءه ، والندى طل ، والنسيم مبتل ، والمزن منسجم ، وثغر الصبح مبتسم ،
 ونحن نبوح بما في الصدور ، ونطير بأجنحة الشور ، فوضعت الوردة على
 الرؤوس ، وأديرث مع الكؤوس ، ونطقت الأوتار ، وصدحت الأطيار ، ولكل
 ذي فطنة فتنه ، ولكل ذي توبة أوبة ، وعند كل لفته حيرة ، ومع كل دورة
 سكرة .

وله يهنئ من عادت له الوزارة :

والشمس في راد الضحى
 والشمس في راد الضحى
 والماء في حر الصدى
 والماء في حر الصدى
 والمزن تضحك في الرى
 والمزن تضحك في الرى
 والصبح تقدمه الصبا
 والصبح تقدمه الصبا
 والقرب صب على النوى
 والقرب صب على النوى
 والطرز غالزه الكرى
 والطرز غالزه الكرى
 والحلى في ثغر الدمى
 والحلى في ثغر الدمى
 وعهود سعدى باللىوى
 وعهود سعدى باللىوى
 والبزء في عقب الضنى
 والبزء في عقب الضنى
 والبشر يتبعه الندى
 والبشر يتبعه الندى
 والود في أثر القلا
 والود في أثر القلا
 والعنب يمحوه الرضا
 والعنب يمحوه الرضا
 ومذاكرات ذوى النهى
 ومذاكرات ذوى النهى
 والجذ ساعد وأغلى
 والجذ ساعد وأغلى

بها وبما لها مِنَ الأمثالِ ، سَارَتْ سَوَائِرُ الأمثالِ ، فيما يوافقُ النفوسَ
والطباعَ ، ويؤنسُ الأبصارَ والأسماعَ ، وأحسنُ مِنْ كَلِّ هذا التمثيلِ ، أيامُ
الشيخِ الجليلِ ، وقد أتاهُ اسمٌ لم يزلُ معناهُ .

فَيَا حُسْنَ الزَّمَانِ وَقَدْ تَحَلَّى بِهِذَا الْفَخْرِ وَالْإِقْبَالِ صَدْرُهُ
وَكَانَ الدَّهْرُ يَغْدُرُ بَعْدَ هَذَا فَحُلَّ وَفَاؤُهُ وَأُنْحَلَ غَدْرُهُ
تَصَدَّرَ لِلْوِزَارَةِ مُسْتَحِقُّ تَسَاوَى قَدْرُهَا أَبَدًا وَقَدْرُهُ
فَقُلْ فِي النَّضْلِ وَافِقَهُ نِصَابٌ وَقُلْ فِي الْأَفْقِ أَشْرَقَ فِيهِ بَدْرُهُ^(١)

والحمدُ لله الذي زانَ الشجرَ بالثمرِ ، وحلَّى البرجَ بالقمرِ ، وأنسَ العرينَ
بالأسدِ ، وأهدى الروحَ إلى الجسدِ ، ولم أنسَ - أدامَ اللهُ علُوَّ مولانا - رسمَ
التصديرِ ، وما يجبُ مراعاتُهُ على الصغيرِ والكبيرِ ، ولكنَّ التهنئةَ المرسومةَ
يتهاداها الأكفاءُ ، ويتعاطاها النظراءُ ، فأما الخدمُ مع الصدورِ ، والنجومُ
التالياتُ مع الأهلةِ والبدورِ . . فالعادةُ [فيها الوفاةُ]^(٢) ، ثمَّ إنَّ تَعَدَّرَتِ
الإرادةُ ، ولم تساعدِ السعادةُ . . فالدعاءُ موصولاً منشوراً ، والثناءُ منظوماً
منشوراً ، وعلى هذه الجملةِ عملتُ ، وإلى هذا الجانبِ عدلتُ ، فأصدرتُ
كلمةً نتجها الودُّ الصَّريحُ ، ونسجها الولاءُ الصحيحُ .

فَجَاءَتْ تُؤَدِّي وَجُوهَ الرِّيَا ضِ أضحكها العَارِضُ الهَامِعُ
وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُ عَيْنِ الرِّضَا لَدَيْكَ ذِمَامٌ وَلَا شَافِعُ^(٣)

وللفاضلِ عبدِ الرحيمِ في صفةِ القلمِ : وقد أثمرَ هذا القلمُ أكرمَ الثمرِ

(١) الأبيات من الوافر .

(٢) الزيادة من « يتيمة الدهر » (٢٣٦/٥) .

(٣) البيتان من المتقارب ، وانظر « أنوار الربيع » (٢٥٩/٦) .

وهو يابسٌ ، وأبَرَّ جوداً على أخضرِ المغارسِ ، وآتى أكله كلَّ حينٍ ووقتٍ ،
وطالَ وإن كان القصيرَ فقَصَّرَ عنه كلُّ نعتٍ (١) .

[رسالة القلم للجلالِ الدَّوَّانِي]

وعلى ذكرِ القلمِ قد عنَّ لي أن أوردَ هنا « رسالة القلم » لخاتمةِ المُحقِّقينِ
جلالِ الدينِ الدَّوَّانِي ؛ لِمَا اشتملتْ عليه مِنَ المعانيِ الغريبةِ ، التي هي بمنزلةِ
الرياضِ الخصبيةِ ، تريكَ نتائجِ الأفكارِ ، وتجلو عليكِ عرائسَ الأسجاعِ في
أرقِّ شعارٍ ، رحمَ اللهُ مَنْ أنشأها ، وهدى بها مَنْ قرأها ؛ وهي :

(﴿ تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ ﴾ (٢) ، إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، يَا مَنْ فَاقَ
في البراعةِ ؛ سألتني عَنْ وصفِ البراعةِ ، فاستمعَ لِمَا يُتلى عليكِ ، ذلكَ
مِنَ أنبياءِ الغيبِ نوحيه إليك : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّ كَانُوا مِنْ
ءَايَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٣) ، إِنَّهُ فَتَى مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ، نَشَرَ لَهُ رَبُّهُ
مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَهَيَّأَ لَهُ مَرْفَقًا ، وَوَقَعَ (٤) لَهُ بِخَطِّ مُسْتَقِيمٍ ، نَبِيٌّ بُعِثَ مِنْ
سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ ، وَأَيَّدَ بِفَصَاحَةٍ أَبَكَّتْ مِصَاقِعَ الْبُلْغَاءِ ، كَلِمٌ خُصَّ بِالطُّورِ ،
وَالكِتَابِ الْمَسْطُورِ ، وَالرِّقِّ الْمَنْشُورِ ، سَفِيرٌ بَلِيغٌ نَذِيرٌ ، قَدْ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبْرِ وَالكِتَابِ الْمَنِيرِ .

قد بلغَ مِنْ ذرْوَةِ الشرفِ منتهاهُ ، وَمِنْ سَنَامِ المعاليِ أعلاه ، يُنمى في
شجرةِ النسبِ إلى أَوَّلِ ما خلقَ اللهُ ، ﴿ وَذَا التُّورِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٦٣/٦) .

(٢) سورة القلم : (١) .

(٣) سورة الكهف : (٩ - ١٠) .

(٤) في « أنوار الربيع » (٢٦٤/٦) : (ورفع) بدل (ووقع) .

لَنْ تَقْدَرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ ، يقول إذا برز من بطن النون ، وشرع في الزبور : ﴿ اللَّهُ وَكَيْ
الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ﴿٢﴾ ، ألف يقارن نوناً ، وإلف يؤلف
درأً مكنوناً ، إذا شددت به .. أن ، وإن لنت به .. اطمأن ، عالم من أهل
الكتاب علا كعبه في الأحبار ، مرّ على سائر الكتب السماوية من الصحف
والأسفار ، ذو القرنين يسيّر المغرب والمشرق في أقصر ساعة ، استولى على
الأقاليم كلها ومدّ فيها باعّه ، فصيح جزل الكلام ، لكن لا ينفك كلامه عن
الإبهام ، وإشراقي في طريق التعلم والتعليم ، لكثته من المشائين بنميم ،
منتصب القامة بادي البشرة أسود الراس ، ناطق [فصيح] ماش على قدميه
لكن ليس من الناس .

أرى قدمه أراق دمه ، ولسانه مهّد عدمه ، كف نفسه عن الراحة ، وزاحم
بالركب أهل الفصاحة ، حتى صار يضرب به المثل بين [الأماثل] ، ويذعن
لنظمه ونثره الأفاضل ، ذو اللسانين وذو البيانين ، قد هدي النجدين ، واقتحم
العقبين ، وجمع بين العلم والعين ، مهندس ينقش الخطوط على السطوح
للتعاليم ، منجم يصلح الرّيجات والتقويم ، ينقص بالأصابع ظلّ الأقدام ،
ويرقّم على الرّخامات دقائق الليالي والأيام ، لا يأبى السلاطين ما رسمه ، ولا
تتجاوز الأساطين عمّا رقمه .

أعجم يعرف اللغات كلها ، أدهم قد طوى المقامات جلّها ، يقول حين
يبرز في نادي البيان : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

صوفيّ قطع المنازل وبلغ الغايات ، ورجع القهقريّ لتصحيح البدايات ،

(١) سورة الأنبياء : (٨٧) .

(٢) سورة البقرة : (٢٥٧) .

إِنْ لَمْ يُقَطَّعْ لِسَانُهُ . . لَمْ يُفْصِحْ بَيَانُهُ ، وَإِنْ لَمْ يُشَقَّ رَأْسُهُ . . لَمْ يَنْطِقْ لِسَانُهُ .

عَرَبِيٌّ وَاسْطِيٌّ ، أَصْلُهُ هِنْدِيٌّ زَنْجِيٌّ ، نَسْلُهُ طُوْطِيٌّ ، أَسْوَدُ الْمِنْقَارِ ، كَأَنَّ مِيقَارَهُ مِنْ قَارٍ ، ذُو ذُوَابَةٍ يُعَلِّمُ مِنْ مَسِيرِهِ طَوْلَ حُلُولِ الْأَجَالِ ، وَيُفْهَمُ مِنْ ظُهُورِهِ انْتِقَالَ الدَّوْلَةِ وَتَدَاوُلَ الْأَقْيَالِ وَتَحَوُّلَ الْأَحْوَالِ ، أَحْرَزَ قِصَبَاتِ السَّبْقِ فِي مِضْمَارِ الْبَيَانِ ، حَتَّى صَارَ بَحِيثٌ تَشِيرُ إِلَيْهِ الْمَهْرَةُ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ بِالْبَنَانِ ، كَأَنَّهُ عَصَا مُوسَى ، وَقَدْ أُلْفِيَتْ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ، أَبُو قَلَمُونَ يَتَقَلَّبُ فِي الْأَطْوَارِ ، وَيَتَحَوَّلُ مِنْ شِعَارٍ إِلَى شِعَارٍ ، طَوْرًا تَرَاهُ يَنْظِمُ الْقَوَافِي وَالْأَشْعَارَ ، وَتَارَةً تَلْقَاهُ يَنْثُرُ لَأَلَى الْحِكْمِ وَالْأَسْرَارِ ، سَاعَةً تَبْصُرُهُ أَنْيَسَ الْأَعْلَامِ ذَوِي الْبِرَاعَةِ ، وَكَرَّةً تُصَادِفُهُ سَمِيرَ أَهْلِ الْمُجُونِ وَالْخَلَاعَةِ .

سَحَّارٌ يَأْتِي بِالْغَرَائِبِ ، مَكَّارٌ يُرِي النَّاطِرِينَ الْعَجَائِبَ ، كَاتِبٌ شَهِيدٌ ، وَحَاسِبٌ عَتِيدٌ ، تَجَرَّعَ مَرَارَةَ مِذَاقِ الْكِدِّ حَتَّى تَضَلَّعَ مِنْ فَنُونِ الْعُلُومِ ، وَتَحَمَّلَ الصَّبْرَ عَلَى اسْتِنشَاقِ دَخَانِ السَّرَاجِ حَتَّى بَرَعَ بَيْنَ الْفُضْلَاءِ ذَوِي الْفَهْمِ ، لَا يَزَالُ رَطَبَ اللِّسَانِ فِي شُكْرِ بَارِيهِ ، عَذَبَ الْبَيَانَ بِذِكْرِ أَيَادِيهِ .

مُحَدِّثٌ تُحَدِّثُ عَنْهُ الْأَثَارُ ، وَتُنْقَلُ عَنْهُ الْأَخْبَارُ فِي الْأَقْطَارِ ، بَازِيٌّ يَمْتَنِي أَيْدِي الصَّنَادِيدِ ، لَا يَطِيرُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَصِيدُ ، لَهُ إِشَارَةٌ مُبْهِمَةٌ ، وَعِبَارَةٌ مُفْهِمَةٌ ، انْقَطَعَ عَنْ عَتْرَتِهِ ، لَنِيْلٍ طَلْبَتِهِ ، حَتَّى بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ ، وَنَالَ مِنَ الشَّرَفِ مَا نَالَ ، فَحَقَّ أَنْ يُنْشَدَ فِيهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : [مِنْ الْكَامِلِ]

وَرِثَ النَّجَابَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرَّمْحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبِ
حَكِيمٌ تَنْطَوِي إِشَارَاتُهُ عَلَى تَلْوِيحَاتِ إِلَى قَانُونِ الشِّفَاءِ ، وَتَحْتَوِي تَعْلِيْقَاتُهُ
عَلَى تَنْبِيهَاتِ لِمَنَاهِجِ النِّجَاةِ عَنْ دَرَكِ الْجَهْلِ وَالشَّقَاءِ ، لَهُ مَوَاقِفٌ يُحَقِّقُ فِيهَا
مَقَاصِدَ الْكَلَامِ ، وَعَوَارِفُ مَعَارِفَ يَكْشِفُ بِهَا عَنْ وَجُوهِ الْفَرَائِدِ اللَّثَامَ ، يُقْرِضُ

ذات الشمال وهو من أهل اليمين ، ويصدق في أكثر الأقوال ولكنه قد يمين ،
لا تنظم مصالح الأنام إلا بحسن مساعيه ، ولا تنضب حوادث الأيام إلا
بئمن مراعيه .

أجوف وهو مصدر المثال ، مهموز سالم من الاعتلال ، لفيف مفروق
من إخوانه ، خفيف ناقص من أوزانه ، أصل واحد تصدُر عنه الأمثلة لمعان
مقصودة لا تحصل إلا به ، نصل شاهد لا [يصاب] غرض المطالب إلا بنايه ،
نموم يسعى في هتك الأستار ، غشوم تعود كشف الأسرار ، تقى لا يزال مولعاً
بافتضاض أبقار بنات الأفكار ، خضر خاض الظلمات حتى ارتوى من ماء
الحياة ، مستوف قد أحاط بأبواب حواصل الأقاليم جمعاً وخرجاً ، وزير قد
نظم غوامض أمور الممالك هرجاً ومرجاً ، مشير ذوي النهى في النوائب
ومؤانسهم ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو
سادسهم ، رشيق القد ، أسيل الخد ، أليف الكد ، طويل المد ، قد جاوزت
شمائله حد العد ، ألفت ممدود لا يمنع الصرف ، سالك مرتاض لكته يعبد
الباري على حرف ، تعمم بشعار آل العباس ، وأقام أمر النجدة والباس ،
فقال : يا أيها الناس :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني (١)

أجوف لا يحفظ السر في قلبه ، لا فرق في لغة العجم بين اسمه وقلبه ،
له أسماء في لغة العرب ، تقالبيها كلها مستعملة ، وذلك من خصاله التي
قلما يتفق فيها شريك له .

آلة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ والنسيان ، ينبؤ عن اللسان في
البيان ، وعن السنن المحدد بالسنن ، إذا رقى البنان . . فهو ملك لكته

(١) هو لسحيم بن وثيل ، انظر « خزانة الأدب » (٢٥٥ / ١) .

يُسْتَكْتَبُ ، فإذا أَدَّى نجومَ الكتابةِ . . خَلِي سَبِيلَهُ أينَ يذهبُ ، نَسَخَ مُحَقَّقٌ
توقيعاتَهُ على الرَّقَاعِ أدرَاجِ الياقوتِ ، قد أَقَرَّ بِريحانِ قامَتِهِ عيونَ ابنِ مُقَلَّةَ
وياقوتِ ، شكَلُهُ أُسطوانِيٌّ وهوَ مخروطٌ ، شابُّ مُترعرعٌ لكَتَّةَ مخطوطٌ ، يُجِبُّهُ
الناسُ ويراودونَهُ ، لكنْ إذا ظهرَ الشعرُ على عذارِهِ . . طَوَّأوا الكَشْحَ دونَهُ .

مسافرٌ يسفرُ عن أخبارِ المشارِقِ والمغربِ ، عارفٌ محيطٌ بجميعِ الأذواقِ
والمشارِبِ ، لسانُهُ نضناضٌ ، وبيانهُ فضفاضٌ ، وحكمُهُ ماضٍ في السوادِ
والبياضِ ، يقضي فيهما ما هوَ قاضٍ ، جاريةٌ تجري في البحرِ بإذنِ الباري ،
فتأتي بدررٍ معانٍ كأنها غَرَزُ الدَّراري ، ولقد أحسنَ مَنْ قالَ فيه مُلغِزاً ، ولبعضِ
أوصافِهِ الغريبةِ مُبرِزاً^(١) :

وَمَا غَلَامٌ زَاكِعٌ سَاجِدٌ أَخُو نُحُولٍ دَمْعُهُ جَارِ
مُلَازِمٌ أَلْخَمْسِ لِأَوْقَاتِهَا مُغْتَكِفٌ فِي خِدْمَةِ أَلْبَارِي
كَأَنَّهُ وَهُوَ فِي يَدِ السُّلْطَانِ ابْنِ السُّلْطَانِ ، أَبِي المظفرِ يعقوبَ خانَ . .
قصبُ الشُّكْرِ وقد نبتَ على ساحلِ عُمانَ ، عمُّ الوريِّ نائلُهُ ، وأوى السائلينَ
ساحلُهُ ، كَلَّا إِنَّ نوالَ البحرِ إلى فيضِ كَفِّهِ نَزَرٌ ، ليسَ لَهُ قدرٌ ، كيفَ لا ولهُ
مَدٌّ لا يُعقِبُهُ جزرٌ؟!

فَلَنْ أَشْبَهَهُ بِأَلْبَحْرِ إِنَّ لَهُ مَدًّا يُعاقِبُهُ جَزْرٌ بِأَرْجَاءِ^(٢)
أَوْ هُوَ - والحالَةُ هذه - خَطٌّ تُخِيلُ فِي نواظِرِ الأوهامِ ، مِنْ قَطْرَةٍ نازِلَةٍ مِنْ
غَمامٍ وَأَيِّ غَمامٍ ، يَدُرُّ بِدُرِّ نوالِهِ على عواطفِ الأنامِ ، مِنْ الخواصِّ والعوامِ ،
وَتَغْمُرُ مِنْحُهُ الجِسامَ ، رياضَ آمالِ الأفاضلِ الأعلامِ ، بكلِّ مَقامٍ ، أينَ جودُ
الغَمامِ مِنْ جودِهِ العميمِ؟! أمَ أينَ مدارُهُ مِنْ مدارِ كَرَمِهِ الجسيمِ!؟

(١) انظر «خزانة الأدب» للحموي (١٦٧/٤) .

(٢) البيت من بحر البسيط .

مَا نَوَالِ الْغَمَامِ وَقْتِ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ وَقْتِ سَخَاءِ
فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بَدْرَةَ مَالٍ وَنَوَالِ الْغَمَامِ قَطْرَةَ مَاءٍ^(١)

اللهم ؛ خلد نفاذ أرقام أعلامه على صفحات الأقاليم ما دام القلم الأعلى ،
ونفذ مراد أعوان دولته بامتداد زمان صولته ما دامت نقوش الأنقاس^(٢) في
صحائف القراطيس تُتلى ، ومآثر السلاطين الكبار على صفحات الأوراق
تُروى ، بحق من نسخ الكتب السالفة ولم يركب بنانه قلم ، وهدى الحائرين
إلى أقوم لقم بعدما وقب غواسق الظلم (انتهت^(٣)) .



(١) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٤٧٨/٢) ، والبيتان من بحر مجزوء الخفيف .

(٢) الأنقاس : جمع نِقْس ؛ وهو المداد .

(٣) الرسالة القلمية (ق/٢٣٧ - ٢٣٨) ضمن مجموع .

السُّهولةُ

هذا النوعُ ربَّما تَخَيَّلَ متخَيَّلَ الاستغناءَ عنه بالانسجامِ ، وبينَهُما بعدُ ؛ فالانسجامُ : عبارةٌ عن سلاسةِ اللفظِ بحيثُ لا يَتَعَثَّرُ اللسانُ عندَ النطقِ بهِ ، سواءً كانَ غريباً أو أهلياً ، وكانَ معناه خفياً أو جلياً .

وأما السُّهولةُ : فهي عبارةٌ عن كونِ الألفاظِ أهليَّةً أو قريبةً منها ، جليَّةً المعاني ، سهلةً المُتناوَلِ على الخاصَّةِ والعامَّةِ ، تُطمِعُ المُفحَمَ في أن يحاكيها ، وتَقَعُدُ بالماهرِ وقد أخذهُ الطَّرِبُ عن أن يعاني أن يضاهاها ، وإذا كانت في كلامٍ . . فهو المعنيُّ باسمِ السَّهْلِ المُمتنعِ .

[من الوافر]

فَمِنْ أَمْثَلِيهِ : قولُ عربيٍّ (١) :

إِذَا مَا تُبْتُ [عَنِ] لَيْلَى تَتُوبُ
فَمَا لَكَ كُلَّمَا ذُكِرَتْ تَذُوبُ

أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ أَتِي
فَهَأَنَّا تَائِبٌ عَنِ حُبِّ لَيْلَى

[من البسيط]

وللحكمِ بنِ عمرو الشاري (٢) :

وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعًا
حُسْنًا أَوْ أَلْبَدُرُ مِنْ أَرْزَارِهِ طَلَعًا
مِنْهُ أَلْدُنُوبُ وَمَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا
مِنْ أَلْقُلُوبِ وَجِيهٍ حَيْثُمَا شَفَعَا

وَيْلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ وَأَمْتَنَعَا
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ أَعْطَافِهِ لَمَعَتْ
مُسْتَقْبِلُ بِالَّذِي تَهَوَّى وَإِنْ كَثُرَتْ
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٧١/٦) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٧١/٦) .

وَمِنْ بَدَائِهِ أَبِي الْفَتْحِ ابْنِ الْأَسْتَاذِ ابْنِ الْعَمِيدِ وَقَدْ جَرَى
فِي مَجْلِسِ أَبِيهِ إِنْشَادُ أَبِياتٍ اسْتَحْسَنُوا وَزَنَّتْهَا وَطَرَزَهَا ،
أَوْلَهَا^(١) :

لَسَيْنُ كَفَفْتِ وَإِلَّا شَقَقْتُ مِنْكَ ثِيَابِي
وأبو الفتح مصغٍ إليهم وهو في حداثة سنِّه . . قوله :

يَا مُوَلِّعًا بَعْدَ أَبِي يَأْمَا رَجَمْتَ شَبَابِي
تَرَكْتَ قَلْبِي جَرِيحًا نَهَبَ الْأَسَى وَالْتَصَّابِي
إِنْ كُنْتَ تُنَكِّرُ مَا بِي مِنْ لَوْعَتِي وَأَكْتِيَابِي
فَأزْفَعُ قَلِيلًا قَلِيلًا عَنِ الْعِظَامِ ثِيَابِي

ولأبي الفرج المعروف بالوَأَوَاءِ الدمشقي^(٢) :

بِاللَّهِ رَبِّكُمَا عُوْجًا عَلَى سَكْنِي وَعَاتِبَاهُ لَعَلَّ الْعَتْبَ يَعْطِفُهُ
وَعَرَضَا بِي وَقُولَا فِي حَدِيثِكُمَا مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهَجْرَانِ تُثْلِفُهُ
فَإِنْ بَدَا لَكُمَا مِنْ سَيِّدِي غَضَبٌ فَعَالِطَاهُ وَقُولَا لَيْسَ نَعْرِفُهُ
وَإِنْ تَبَسَّمْ قُولَا فِي مُلَاطَفَةٍ مَا ضَرَّ لَوْ بِوَصَالٍ مِنْكَ تُسْعِفُهُ

ولمؤيد الدولة أسامة بن مرشد^(٣) :

شَكَا أَلَمَ الْفِرَاقِ النَّاسُ قَبْلِي وَرُوعَ بِالنَّوَى حَيِّي وَمَيِّتُ
وَأَمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي فَإِنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٥/٢ - ١٢٦) .

(٢) انظر « ديوان الوأواء الدمشقي » (ص ١٤٦) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٧٦/٦) .

[من نسيم شعر البهاء زهير]

وهذا النوعُ يَتَفَقُّ للشعراء اتفاقاً ، ولا يكونُ شعرُ شاعرٍ كلُّهُ على هذا النمطِ ، خلا صاحبَ بهاءِ الدِّينِ زهيراً المصريَّ ؛ فَإِنَّهُ قد انقادَ له هذا النوعُ انقياداً في سائرِ شعرِهِ ، كأنَّكَ عندَ استماعِهِ في محادثةِ إنسانٍ ظريفٍ مِنْ لطفاءِ المصريِّينَ ، وهوَ وإن كانَ ديوانُهُ مشهوراً في الأيدي لا أحبُّ أن أخليَ الكتابَ مِنْ تحليتهِ ببعضِ فرائدِهِ ، فَمِنْ نسيمِ شعرِهِ قوله^(١) :

وَمُدَامٍ مِنْ رُضَابٍ بِحَبَابٍ مِنْ ثَنَائِيَا
كَانَ مَا كَانَ وَمِنُّهُ بَعْدُ فِي النَّفْسِ بَقَائِيَا
ومنه^(٢) :

إِنَّ أَمْرِي لَعَجِيبٌ مَا يُرَى أَعْجَبُ مِنْهُ
كُلُّ أَرْضٍ لِي فِيهَا غَائِبٌ أَسْأَلُ عَنْهُ
ومنه^(٣) :

شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدٌ كَمَا عَلِمْتَ وَأَزِيدُ
وَكَيْفَ تُنْكِرُ شَيْئاً بِهِ ضَمِيرُكَ يَشْهَدُ
ومنه^(٤) :

أَوْحَشْتَنِي وَاللَّهِ يَا مَالِكِي قَطَعْتُ يَوْمِي كُلَّهُ لَمْ أَرَكَ

(١) انظر «ديوان البهاء زهير» (ص ٢٩٥) .

(٢) انظر «ديوان البهاء زهير» (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) .

(٣) انظر «ديوان البهاء زهير» (ص ٨٨) .

(٤) انظر «ديوان البهاء زهير» (ص ١١٧) .

هَذَا جَفَاءٌ مِنْكَ مَا أَعْتَدْتُهُ
ومنه^(١) :

فَلَيْتَنِي أَعْرِفُ مَنْ غَيَّرَكَ
[من مجزوء الرمل]

سَيِّدِي قَلْبِي عِنْدَكَ
أَتُرَى تَذْكُرُ عَهْدِي
أَتُرَى تَخْفَظُ وُدِّي
قُمْ بِنَا إِنْ شِئْتَ عِنْدِي
أَنَا فِي دَارِي وَخَدِي
ومنه^(٢) :

سَيِّدِي أَوْحَشْتَ عَبْدَكَ
مِثْلَمَا أَدْكُرُ عَهْدَكَ
مِثْلَمَا أَحْفَظُ وُدَّكَ
مُسْرِعاً أَوْ شِئْتَ عِنْدَكَ
فَتَفْضَلْ أَنْتَ وَخَدَكَ
[من المجنث]

هَذَا كِتَابٌ مُجِيبٌ
أَضْنَاهُ فَرَطُ أَشْتِيَاقٍ
أَمَا تَرَى كَيْفَ أَضْحَى
ومنه^(٣) :

قَدْ زَادَ فِيكَ غَرَامُهُ
فَرَقَ حَتَّى كَلَامُهُ
مِثْلَ النَّسِيمِ سَلَامُهُ
[من المنسرح]

كَلَّمَنِي وَالْمُدَامُ فِي فَمِهِ
وَمَا سَ كَالْغُضَنِ فِي تَمَائِلِهِ
بِاللَّهِ يَا بَرْقُ هَلْ تُحَدِّثُهُ
وَهَلْ نَسِيمٌ سَرَى يُبَلِّغُهُ

قَدْ نَفَحَتْ مِنْ حَبَابِ مَبْسَمِهِ
سَكْرَانٌ يَشْتَطُ فِي تَحَكُّمِهِ
عَنْ نَارِ وَجْدِي وَعَنْ تَضَرُّمِهِ
رِسَالَةٌ مِنْ فَمِي إِلَى فَمِهِ

(١) انظر «ديوان البهاء زهير» (ص ٨٦).

(٢) انظر «ديوان البهاء زهير» (ص ٢٣٤).

(٣) انظر «ديوان البهاء زهير» (ص ٢٣٨).

عَجِبْتُ مِنْ بُخْلِهِ عَلَيَّ وَمَا
هُمْ عَلَّمُوهُ فَصَارَ يَهْجُرُنِي
ومنه^(١) :

يَذْكُرُهُ النَّاسُ مِنْ تَكْرُمِهِ
رَبِّ خُذِ الْحَقَّ مِنْ مُعَلِّمِهِ
[من الوافر]

كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَشْكُو فِي كِتَابِي
وَفِي سُوقِ الْهَوَانِ عَرَضْتُ نَفْسِي
فَهَلْ وَعَدُّ إِلَى سَنَةٍ فَإِنْ لَمْ
وَقَدْ أَنْهَيْتُ مِنْ شَوْقِي فُضُولاً
ومنه^(٢) :

أُمُوراً مِنْ فِرَاقِكَ أَشْتَكِيهَا
رَخِيصاً لَمْ أَجِدْ مَنْ يَشْتَرِيهَا
يَكُنْ فِيهَا يَكُنْ فِيمَا يَلِيهَا
لِمَوْلَانَا عَلُوُ الرَّأْيِ فِيهَا
[من المجتث]

مَلَكَتُمُونِي رَخِيصاً
فَأَغْلَقَ اللَّهُ بَاباً
حَتَّى وَلَا كَيْفَ أَنْتُمْ
ومنه^(٣) :

فَأَنْحَطَّ قَدْرِي لَدَيْكُمْ
دَخَلْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ
وَلَا أَلْسَلَامُ عَلَيْكُمْ
[من مجزوء الخفيف]

أَنَا أَذْرِي بِأَنْزِي
فَالِي كَمْ تَطْلُعِي
كَانَ مَا كَانَ بَيْنَنَا
ومنه^(٤) :

قَلَّ قَسَمِي لَدَيْكُمْ
وَأَلْتِفَاتِي إِلَيْكُمْ
وَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ
[من المجتث]

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٨٩) .

(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٣٠٠ - ٣٠١) .

(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٩٧ - ١٩٨) .

(٤) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٨١) .

فَلِمَ تَأَخَّرْتَ عَنَّا
حَلَلْتَ مَا قَدَعَقَدْنَا
وَلَوْ يَكُونُ عَلِمْنَا
قُلْنَا وَقُلْنَا وَقُلْنَا

[من الرمل]

قَالَ مَا تَطْلُبُ مِنِّي قُلْتُ شَيْ
وَتَنَاهُ التِّيَهُ عَنِّي لَا إِلِي
أَهْ لَوْ أَفَعَلُ مَا كَانَ عَلَيَّ

[من مجزوء الكامل]

وَقَطَعْتَ تِلْكَ النَّاحِيَةَ
وَأَخْلَعُ ثِيَابَ الْعَارِيَةِ
تِلْكَ الشَّمَائِلُ بَاقِيَةَ
قَلْبٍ رَقِيقُ الْحَاشِيَةِ
مِ بَاقِيَّةً فِي الزَّوِيَةِ

[من مجزوء الكامل]

مِنْ لِي بِقَلْبٍ أَشْتَرِي
حِ وَقَفْتُ أَشْكُو حَالِيَةَ

أَمَا تَقَرَّرَ أَنَّنَا
وَمَا الَّذِي كَانَ حَتَّى
وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عُذْرٌ
فَلَا تَلْمُنَا فَإِنَّا

ومنه^(١) :

قَالَ مَا تَرْجِعُ عَنِّي قُلْتُ لَا
فَأَنْشَنِي يَحْمَرُّ مِنِّي خَجَلًا
كِدْتُ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ أَلِثِمَهُ

ومنه^(٢) :

قَالُوا كَبِرْتَ عَنِ الصِّبَا
فَدَعَ الصِّبَا لِرِجَالِهِ
وَنَعَمُ كَبِرْتُ وَإِنَّمَا
وَيُؤْمِلُنِي نَحْوُ الصِّبَا
فِيهِ مِنَ الطَّرْبِ الْقَدِيدِ

ومنه^(٣) :

مَنْ لِي بِقَلْبٍ أَشْتَرِي
وَأَلَيْكَ يَا مَلِكَ الْمَلَا

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٣٠٢) .

(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٩٧ - ٢٩٨) .

إِنِّي لِأَطْلُبُ حَاجَةً
أَنْعِمَ عَلَيَّ بِقُبْلَةٍ
وَأَعِيدَهُمَا لَكَ لَا عَدِمُ
وَإِذَا أَرَدْتَ زِيَادَةً
ومنه (١) :

لَيْسَتْ عَلَيْكَ بِخَافِيَةٍ
هَبَبَةٌ وَإِلَّا عَارِيَةٍ
تُبْعَيْنِيهَا وَكَمَا هِيَ
خُذْهَا وَنَفْسِي رَاضِيَةٍ
[من مجزوء الخفيف]

إِنْ شَكَا الْقَلْبُ هَجْرَكُمْ
لَوْ أَمَرْتُمْ بِمَا عَسَى
قَصِّرُوا عُمْرَ ذَا الْجَنَفَا
شَرَّفُونِي بِزُورَةٍ
كُنْتُ أَزْجُو بِأَنْكُمُ
فَدَنْسِيْتُمْ وَإِنَّمَا
لَوْ رَأَيْتُمْ مَحَلَّكُمْ
لَوْ وَصَلْتُمْ مُجِبَّكُمْ
ومنه (٢) :

مَهَّدَ الْحُبُّ عُذْرَكُمْ
مَا تَعَدَّيْتُ أَمْرَكُمْ
طَوَّلَ اللَّهُ عُمْرَكُمْ
شَرَّفَ اللَّهُ قَلْبَكُمْ
شَهْرَكُمْ لِي وَدَهْرَكُمْ
أَنَا لَمْ أَنْسَ ذِكْرَكُمْ
مِنْ فُؤَادِي لَسَرَّكُمْ
مَا الَّذِي كَانَ ضَرَّكُمْ
[من المجتث]

تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى
حَاشَاكَ يَا نُورَ عَيْنِي
وَلَمْ أَجِدْ بَيْنَ مَوْتِي

أَنَا الَّذِي مِتُّ عِشْقَا
تَلَقَى الَّذِي أَنَا الْقَى
وَبَيْنَ هَجْرِكَ فَرْقَا

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٢٠ - ١٢١) .

(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٨٧) .

يَا أَنْعَمَ النَّاسِ بِالْأَسْمَاءِ
سَمِعْتُ عَنْكَ حَدِيثًا
وَمَا عَهْدُكَ إِلَّا
لَكَ الْحَيَاةُ فَإِنِّي
يَا أَلْفَ مَوْلَايَ مَهْلًا
قَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنِّي
إِلَى مَتَى فِيكَ أَشَقَى
يَا رَبِّ لَا كَانَ صِدْقًا
مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ خُلِقَا
أَمْوَاتٌ لَا شَكَّ حَقًّا
يَا أَلْفَ مَوْلَايَ رِفْقًا
وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى



الإدماج

هو أن يكون أخذاً في معنى ، فيَهْتَفُ منه بمعنى آخَرَ مِنْ غيرِ إشعارٍ
بالقصدِ إليه ؛ كقولِ أبي الطيبِ في استطالةِ اللَّيْلِ ^(١) : [من الوافر]

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعْدُّ بِهَا عَلَيَّ الدَّهْرَ الذُّنُوبَا
فقد أدمج فيه الشكوى من الدهر .

وكقولِ الصَّاحِبِ ابنِ عبادٍ مِنْ إدماجِ الفخرِ في مدحِ ابنِ العميدِ بهذه
القصيدةِ النفيسةِ ^(٢) : [من الخفيف]

مَنْ لِقَلْبٍ يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي وَقَتِيلٍ لِلْحُبِّ مِنْ غَيْرِ وَادِي
إِنَّمَا أَذْكَرُ الْغَوَانِي وَالْمَمْفُ صِدُّ سُعْدَى مُكْثِرًا لِلْسَوَادِ
وَإِذَا مَا صَدَقْتُ فَهِيَ مَرَامِي وَمُرَادِي وَرَوْضَتِي وَمَرَادِي
وَنَدَى ابْنِ الْعَمِيدِ إِنِّي عَمِيدٌ مِنْ هَوَاهَا أَلْيَّةَ الْأَمْجَادِ
لَوْ دَرَى الدَّهْرُ أَنَّهُ مِنْ بَنِيهِ لَاذْدَرَى قَدْرَ سَائِرِ الْأَوْلَادِ
وَرَأَى النَّاسُ كَيْفَ يَهْتَزُّ لِلْجُو دِلْمَا عَدَدُوهُ فِي الْأَطْوَادِ
أَيْهَا الْأَمِلُونَ حُطُّوا سَرِيعًا بِرَفِيعِ الْعِمَادِ وَارِي الزِّنَادِ
فَهُوَ إِنْ جَادَ دَمَّ حَاتِمُ طَيِّ وَهُوَ إِنْ قَالَ [فُلٌّ] فُسَّ إِيَادِ
وَإِذَا مَا أَرْتَأَى فَأَيْنَ زِيَادٌ مِنْ دَهَاهُ وَأَيْنَ آلَ زِيَادِ
أَقْبَلَ الْعَيْدُ يَسْتَعِيرُ حُلَاهُ مِنْ عُلَاهُ الْعَزِيزَةِ الْأَنْدَادِ

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٥٢) .

(٢) انظر « ديوان الصاحب ابن عباد » (ص ٢٠٧ - ٢٠٨) .

سِيُضَحِّي فِيهِ بِمَنْ لَا يُوَالِيهِ هِ وَيَبْقَى بَقِيَّةُ الْأَعْيَادِ
وَمَدِيحِي إِنْ لَمْ يَكُنْ طَالَ أَبْيَا تَأْ فَقَدْ طَالَ فِي مَجَالِ الْجِيَادِ
إِنَّ خَيْرَ الْمُدَّاحِ مَنْ مَدَحْتُهُ شُعْرَاءُ الْبِلَادِ فِي كُلِّ نَادِ

ألم في هذا البيت الأخير - وفيه الشاهد - بقول يزيد بن محمد
المهلبى^(١) :
[من الخفيف]

إِنْ أَكُنْ مُهْدِيًا لَكَ الشَّعْرَ إِنِّي لِأَبْنِ بَيْتٍ تُهْدَى لَهُ الْأَشْعَارُ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٨٢/٦) .

حَسْنُ الْبَيَانِ

هُوَ كَوْنُ الْعِبَارَةِ وَافِيَةً بِمَقْصُودِهَا دُونَ اسْتِعَانَةٍ بِتَأْوِيلٍ وَإِرَادَةٍ مُجَرَّدَةٍ عَنِ
كُلِّ مَا لَيْسَ لَهُ دَخْلٌ فِي خُلَاصَةِ الْمَقْصُودِ ، وَيَكْفِيكَ شَاهِدًا لِدَلَالِكَ قَوْلِ
عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ وَقَدْ قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بِمِ اسْتَحَقَّقْتَ قَوْلَ الشَّمَّاحِ
فِيكَ ^(١) :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا زَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ
وَبِمَ سُدَّتْ قَوْمَكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ ؛ مَا أَنَا بِأَكْرَمِهِمْ حَسَبًا ، وَلَا بِأَفْضَلِهِمْ نَسَبًا ،
وَلَكِنْ أُعْرِضُ عَنْ جَاهِلِهِمْ ، وَأَسْمَحُ لِسَائِلِهِمْ ؛ فَمَنْ عَمَلَ مِثْلَ عَمَلِي .. فَهُوَ
مِثْلِي ، وَمَنْ زَادَ .. فَهُوَ أَفْضَلُ مِنِّي ، وَمَنْ قَصَرَ .. فَإِنِّي أَفْضَلُ مِنْهُ .

وَقَوْلِ بَعْضِ الْعَرَبِ مِنَ الشَّعْرِ ^(٢) :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نُجُومٌ سَمَاءٍ كُلَّمَا أَنْقَضَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَصْأَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَدْعَ ثَاقِبُهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوِّدٌ تَسِيرُ الْمَنَائِيَا حَيْثُ سَارَتْ رَكَائِبُهُ



(١) انظر «ديوان الشماخ الذبياني» رضي الله عنه (ص ٣٣٥ - ٣٣٦) ، وانظر الخبر في «أنوار الربيع»
(٢٩٢/٦) .

(٢) انظر «أنوار الربيع» (٢٩١/٦) .

العقد والحلُّ

الأوّل : نظمُ المنشور .

والثاني : نثرُ المنظوم .

فالأوّل : كقولهِ (١) :

[من البسيط]

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مُجَنَّدَةٍ بِالْإِذْنِ مِنْ رَبِّهَا تَهَوَّى وَتَاتَلَفُ
فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلَفٌ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلَفٌ
عَقَدَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ؛ مَا تَعَارَفَ
مِنْهَا .. أَتْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا .. أَخْتَلَفَ » (٢) ، ومنهُ تَعَرَّفَ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ
الْإِتْيَانُ بِجَمِيعِ الْفَاطِ الْمَعْقُودِ .

[من الكامل]

وكقول أبي الطيب (٣) :

الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
عَقَدَ فِيهِ قَوْلَ حَكِيمٍ : الظُّلْمُ مِنْ طِبَاعِ النُّفُوسِ ، وَإِنَّمَا يَصُدُّهَا عَنْهُ
إِحْدَى عِلَّتَيْنِ : دِينِيَّةٌ ؛ وَهِيَ خَوْفُ الْمَعَادِ ، أَوْ سِيَاسَةٌ ؛ وَهِيَ خَوْفُ
الْقَتْلِ .

[من الطويل]

وكقول أبي تمام في التعزية (٤) :

أَتَضْبِرُ لِلْبَلَوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُؤَجَّرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوكَ الْبَهَائِمِ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣٠٥/٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٣) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٤٢٨) .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٥٩/٣) .

عقدَ قولٍ عليّ رضي الله عنه للأشعثِ : أن تصبرَ صبرَ الأحرارِ ، وإلا ..
سلوتَ سلوَّ البهائم .



والثاني : كقولِ بعضِ المغاربةِ : فلَمَّا قُبِحَتْ فَعَلَاتُهُ ، وحنظَلتْ نَخَلَاتُهُ ..
لم يَزَلْ سوءَ الظَّنِّ يَقتَادُهُ ، وَيُصدِّقُ تَوَهُّمَهُ الذي يَعتَادُهُ ، حلّ فيه قولَ
أبي الطيبِ^(١) :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ



(١) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٣٤٧) .

التشطيرُ

هُوَ أَنْ يَسْجَعَ كَلًّا مِنْ شَطْرِي الْبَيْتِ بِسَجْعَتَيْنِ تَخَالَفُ الْأُولَيَانَ الثَّانِيَتَيْنِ ؛
كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ ^(١) :

تَذْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٍ



(١) انظر « ديوان أبي تمام » (٥٨/١) .

براعةُ المطلبِ

هو أحدُ المواضعِ الأربعةِ التي سلفَ أنَّه ينبغي للمُتكلِّمِ الاعتناءُ بها ،
والاجتهادُ في تحسينِها^(١) ؛ وذلكَ بأن يكونَ المطلبُ خالياً مِنَ الضَّرَاعَةِ إِلَّا
في المطلبِ مِنَ اللهِ جَلَّ وعلا ، وَمِنَ الإلحاحِ ، وأحسنُ ما استُشهدَ به لهذا
النوعِ : قولُ أبي الطيبِ^(٢) :

وَكَنتَ عَلَيَّ بُعْدِ جَعَلْتُكَ مَوْعِدًا إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ أَلْغِنِي
وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً
[من الطويل] وقوله^(٣) :

وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ أَلْعِزَّ طَيِّبٌ وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ
[من الطويل] ولا أرى مثلَ قوله^(٤) :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي كَلَامٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ
وما هو أصرحُ مِنْ ذَلِكَ .. أَوْلَى إِلَّا يكونَ مِنْ بَرَاعَةِ المطلبِ وَإِنْ أوردوهُ
مِنْ شواهدِهِ ؛ حيثُ كَانَ ينبغي أَنْ يكونَ المطلبُ تلميحاً وإشارةً ، لا تصريحاً
وعبارةً ، فحَسِبُ الطالبِ : أَنْ يُجْزَلَ الثناءَ على مَنْ يَقْصِدُهُ ، ثُمَّ يَصِفَ نَفْسَهُ
بِالصَّبْرِ وَأَنْفَةِ الشُّكُوى واحتمالِ الأيامِ ، وَأَنَّهُ قد وصلَ إلى موئِلِ منها وحمى
مِنْ حوادثِها ، وأمثالُ ذَلِكَ مِنَ المعاني ، مختاراً لَهُ العباراتِ .



(١) انظر (١٢٣/٢) .

(٢) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٢٨٢) .

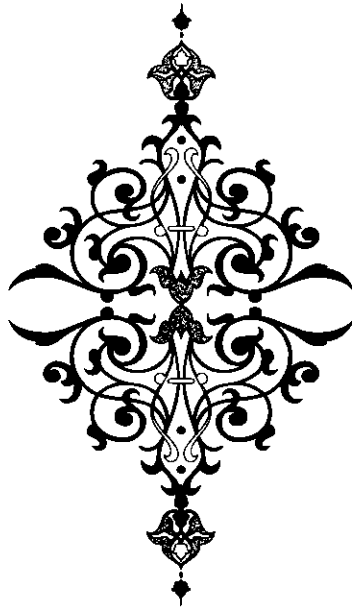
(٣) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٣٥٤) .

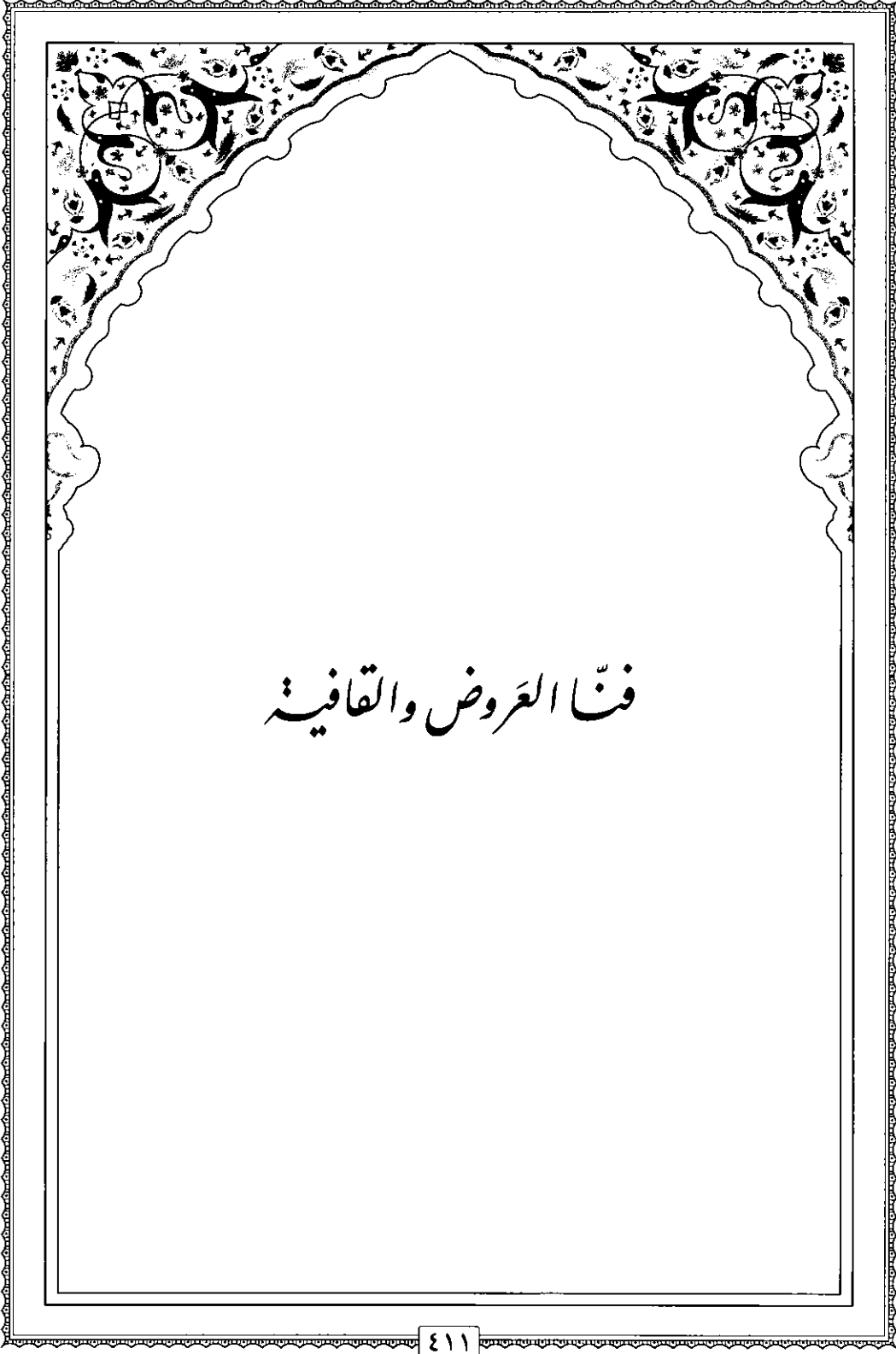
(٤) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٣٦٣) .

براعة الانتهاء ويُقالُ : حسنُ الختامِ

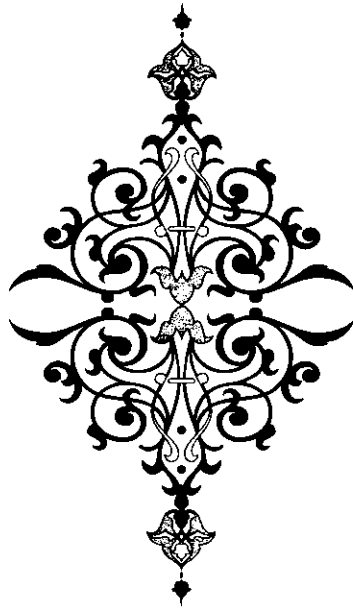
وهو عبارةٌ عن كونِ آخِرِ الكلامِ نظماً كانَ أو نثراً مُتميِّزَ الحسنِ ، رائعِ الجودةِ ، مُشعِراً بالانتهاءِ ، يَحسُنُ السكوتُ عليه ؛ فَإِنَّهُ آخِرُ ما يصلُ إلى السمعِ ، ويبلغُ النفسَ ، وَيَتَعَلَّقُ بِهِ الحفظُ ؛ كقولِ أبي الطيبِ : [من الرجز]
إِذَا بَقِيَتْ سَالِمًا أَبَا عَلِيٍّ فَأَلْمُنْكَ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ثُمَّ لِي
وتأملُ في ذلكِ خواتمِ الشُّورِ الشريفَةِ . . تجدها منه في أرفعِ رتبةٍ وأكملِ
صفةٍ .







فَنَّا الْعَرُوضِ وَالْقَافِيَةِ



العروضُ

هو فنُّ معرفةِ الموازينِ التي كانت شعراءُ العربِ تزنُّ بها أشعارها ، فإنَّ الشعرَ كما عرفتَ كلامٌ موزونٌ مُقَفَى .

[البحورُ الستةُ عشرَ]

وتلك الموازينُ بشهادةِ الاستقراءِ ستةُ عشرَ ، وسَمَّاهَا ناقلوها : بحوراً ، لكلِّ واحدٍ اسمٌ يَخُصُّهُ :

الأولُ : الطَّويلُ ؛ وأجزاؤه ثمانيةُ :

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

الثاني : المديدُ ؛ وأجزاؤه ستةُ :

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

الثالثُ : البسيطُ ؛ وأجزاؤه ثمانيةُ :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

الرابعُ : الكاملُ ؛ وأجزاؤه ستةُ :

مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ

الخامسُ : الوافرُ ؛ وأجزاؤه ستةُ :

مُفَاعِلَتُنْ مُفَاعِلَتُنْ مُفَاعِلَتُنْ مُفَاعِلَتُنْ مُفَاعِلَتُنْ مُفَاعِلَتُنْ

السادسُ : الرَّجَزُ ؛ وأجزاؤه ستةُ :

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

السابع : الهَزَجُ ؛ وأجزاءُهُ :

مَفَاعِيْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

الثامن : الرَّمْلُ ؛ وأجزاءُهُ :

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ

التاسع : السَّرِيْعُ ؛ وأجزاءُهُ :

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

العاشر : المُنْسَرِحُ ؛ وأجزاءُهُ :

مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

الحادي عشر : الخَفِيْفُ ؛ وأجزاءُهُ :

فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ

الثاني عشر : المُضَارِعُ ؛ وأجزاءُهُ :

مَفَاعِيْلُ فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِيْلُ فَاعِلَاتُنْ

الثالث عشر : المُمْتَضِّبُ ؛ وأجزاءُهُ :

فَاعِلَاتُ مُفْتَعِلُنْ فَاعِلَاتُ مُفْتَعِلُنْ

الرابع عشر : المُمَجِّتُ ؛ وأجزاءُهُ :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

الخامس عشر : المُمْتَقَارِبُ ؛ وأجزاءُهُ :

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

السادس عشر : المُمْتَدَارِكُ ؛ وأجزاءُهُ :

فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

[بعضُ مصطلحاتِ العروضِ]

هذا ؛ والجزءُ الأخيرُ مِنَ الشطرِ الأولِ يُسمَّى : عَرَوْضاً ، وَمِنَ الثاني يُسمَّى : ضرباً ، وَيُسمَّى الشطرُ : مِصراعاً .

ولهذه الأجزاء تجزئةٌ إلى مجموعاتٍ مِنْ أحرفٍ ، لكلِّ مجموعِ اسمٍ ؛ فالمجموعُ مِنْ مُتَحَرِّكٍ وساكنٍ يُسمَّى : سبباً خفيفاً ، وَمِنَ مُتَحَرِّكَيْنِ يُسمَّى : سبباً ثقيلاً ، وَمِنَ مُتَحَرِّكَيْنِ بعدهما ساكنٌ يُسمَّى : وَتِداً مجموعاً ، وَمِنَ مُتَحَرِّكَيْنِ بينهما ساكنٌ يُسمَّى : وَتِداً مفروقاً .

[الزحافاتُ والعللُ]

وهذه الأجزاء يَدْخُلُها تَغْيِيرَاتٌ تنقسمُ إلى نوعَيْنِ : نوعٌ يُسمَّى : زحافاً ، ونوعٌ يُسمَّى : عِلَّةً .



والزحافُ مفردٌ ومزدوجٌ :

فالمفردُ منه ثمانيةٌ :

الحَبْنُ : وهو حذفُ ثانيِ الجزءِ ساكناً .

والإضمارُ : إسكانُهُ مُتَحَرِّكاً .

والوقْصُ : حذفُهُ مُتَحَرِّكاً .

والطِّيُّ : حذفُ رابعِهِ ساكناً .

والقبْضُ : حذفُ خامِسِهِ ساكناً .

والعَصْبُ : إِسْكَانُهُ .

والعَقْلُ : حَذْفُهُ مُتَحَرِّكًا .

والكَفُّ : حَذْفُ سَابِعِهِ سَاكِنًا .



والمزْدَوِجُ أَرْبَعَةٌ : الطَّيُّ مَعَ الخَبْنِ : خَبْلٌ ، وَهُوَ مَعَ الإِضْمَارِ : خَزَلٌ ،
وَالكَفُّ مَعَ الخَبْنِ : شَكْلٌ ، وَهُوَ مَعَ العَصْبِ : نَقْصٌ .



وَالعَلْلُ زِيَادَةٌ : فزِيَادَةُ سَبَبٍ خَفِيفٍ عَلَى مَا آخِرُهُ وَتِدٌ مَجْمُوعٌ : تَرْفِيلٌ ،
وَحَرْفٍ سَاكِنٍ عَلَى مَا آخِرُهُ وَتِدٌ مَجْمُوعٌ : تَذْيِيلٌ ، وَعَلَى مَا آخِرُهُ سَبَبٌ
خَفِيفٌ : تَسْبِيغٌ .

وَنَقْصٌ : فَذَهَابُ سَبَبٍ خَفِيفٍ : حَذْفٌ ، وَهُوَ مَعَ العَصْبِ : قَطْفٌ ، وَحَذْفُ
سَاكِنِ الوَتِدِ المَجْمُوعِ وَإِسْكَانُ مَا قَبْلَهُ : قَطْعٌ ، وَهُوَ مَعَ الحَذْفِ : بَتْرٌ ، وَحَذْفُ
سَاكِنِ السَّبَبِ وَإِسْكَانُ مُتَحَرِّكِهِ : قَصْرٌ ، وَحَذْفُ وَتِدِ مَجْمُوعٍ : حَذْذٌ ، وَمَفْرُوقٍ :
صَلَمٌ ، وَإِسْكَانُ السَّابِعِ المُتَحَرِّكِ : وَقْفٌ ، وَحَذْفُهُ : كَسْفٌ .

وَالعِلَّةُ إِذَا أُرِيدَتْ . . لَزِمَتْ فِي جَمِيعِ الأَبْيَاتِ ، وَمَحَلُّهَا : العَرُوضُ
وَالضَّرْبُ ، وَالرَّحَافُ لَا يَلْزَمُ ، وَمَحَلُّهُ : ثَوَانِي الأَسْبَابِ .



تفصيلُ القولِ في الأوزانِ الطَّويلُ

لم تستعملِ العربُ عَرَوْضَهُ إِلَّا مقبوضةً ، فوجبَ اتباعُهُمْ ، إذا لم يكنْ
تصريحٌ ، فقد استعملوها تامَّةً ؛ كقولِ امرئِ القيسِ^(١) :

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُضْرِ الْخَالِي
وقوله^(٢) :

قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِرْفَانٍ وَرَبِّعِ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَرْمَانَ
واستعملوا ضربه على ثلاثة أوجهٍ : صحيحاً ، ومقبوضاً فيصيرُ مفاعِلُنْ ،
ومحدوفاً فيصيرُ فعولُنْ .

فالأولُ كقوله^(٣) :

إِذَا أَلْمَرْتُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانُهُ فَلَيْسَ عَلَيَّ شَيْءٌ سِوَاهُ [بِخْرَانِ]
وتقطيعُهُ :

([إذل] مر) : وتِدُّ وسببٌ ، (ألم يخ زن) : وتِدُّ وسببانِ ، (علي هـ) :
وتِدُّ وسببٌ حُذِفَ ثانيه ، فالجزءُ مقبوضٌ ، ([لسان هو]) : وتِدُّ وسببانِ
حُذِفَ ثاني أوليهما ؛ فالجزءُ مقبوضٌ ، وهو العَرَوْضُ ، وسبقَ لزومُ قبضِها ،
(فلي س على شي إن سواه بخز زاني) .



(١) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ٢٧) .

(٢) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ٨٩) .

(٣) هو لامرئ القيس في «ديوانه» (ص ٩٠) .

والثاني كقوله^(١) :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي ضُدُورَ مَطِيَّتِكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ

والثالث كقوله^(٢) :

لَعَمْرُكَ مَا حُسْنُ الْوُجُوهِ بِنَافِعِ إِذَا كَانَتْ الْأَعْرَاضُ غَيْرَ حِسَانِ
فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَنِ فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي



(١) هو الشنفرى في «ديوانه» (ص ٦٦) .

(٢) انظر «يتيمة الدهر» (٤٥٧/٢) .

المديدُ

لَهُ ثَلَاثُ أَعَارِيضَ ، وَسِتَّةُ أَضْرِبٍ :

الأولى : صحيحةٌ ، وضربها مثلها ، وبيئته^(١) :

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كَلِيْبًا يَا لَبَكْرٍ أَيِّنَ أَيِّنَ الْفِرَارِ



الثانية : محذوفةٌ .

وأضربها ثلاثةٌ :

الأولُ : مقصورٌ ، وبيئته^(٢) :

لَا يَغُرَّنْ أَمْرًا عَيْشُهُ كُلُّ عَيْشٍ صَائِرٌ لِلزَّوَالِ

الثاني : مثلها ، وبيئته^(٣) :

إِعْلَمُوا أَنِّي لَكُمْ حَافِظٌ شَاهِدًا مَا كُنْتُ أَوْ غَائِبًا

الثالثُ : أبتزُّ ، وبيئته^(٤) :

إِنَّمَا أَلْذَلْفَاءُ يَأْقُوْتَةٌ أَخْرِجَتْ مِنْ كَيْسٍ دِهْقَانِ



(١) هو للمهلهل ، كما في « خزنة الأدب » (١٦٢/٢) .

(٢) انظر « القسطاس » للزمخشري (ص ١٠٥) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦) .

[الثالثة]^(١) : محذوفة مخبونة ، ولها ضربان :

الأول : مثلها ، وبيته^(٢) :

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ

والثاني : أبتَرُ ، وبيته^(٣) :

رُبَّ نَارٍ بَتَّ أَرْمُقُهَا تَقْضِمُ أَلْهِنْدِيَّ وَالْغَارَا



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦) .

(٢) هو لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٨٠) .

(٣) هو لعدي بن زيد في « ديوانه » (ص ١٠٠) .

البسيطُ

لَهُ ثَلَاثُ أَعَارِيضَ ، وَسِتَّةُ أَضْرِبٍ :

الأولى : مخبونةٌ ، ولها ضربان :

الأولُ : مثلها ، وبيئته^(١) :

يَا حَارِ لَا أُرْمَيْنُ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَهَا سَوْقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكٌ

الثاني : مقطوعٌ ، وبيئته^(٢) :

قَدْ أَشْهَدُ الْغَارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمِلْنِي جَزْدَاءُ مَعْرُوقَةَ اللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبٌ



الثانية : مجزوءةٌ صحيحةٌ ؛ أي : سالمةٌ مِنْ تَغْيِيرٍ لَا يَكُونُ فِي الْحَشْوِ ،

وَأَضْرِبُهَا ثَلَاثَةٌ :

الأولُ : مجزوءٌ مذالٌ ، وقولُهُم : مجزوءةٌ ومجزوءٌ ؛ مِنْ تَسْمِيَةِ الْجَزْءِ

بِاسْمِ الْكَلِّ ؛ فَإِنَّ الْمَجْزُوءَ اسْمٌ لِلْبَيْتِ الَّذِي حُدِفَ مِنْهُ عَرُوضُهُ وَضَرْبُهُ ،

وَبَيْئَتُهُ^(٣) :

إِنَّا ذَمَمْنَا عَلَى مَا خَيَّلَتْ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ [وَعَمْرَأَ] مِنْ تَمِيمٍ

الثاني : مثلها ، وبيئته^(٤) :

مَاذَا وَقُوفِي عَلَى رِبْعِ عَفَا مُخْلَوْلِقِ دَارِسٍ مُسْتَعْجِمٍ

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في «ديوانه» (ص ١٣٦) .

(٢) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» (ص ٢٢٥) .

(٣) انظر «القسطاس» (ص ١١٨) .

(٤) انظر «القسطاس» (ص ١١٩) .

الثالث : مجزوءٌ مقطوعٌ ، وبيئته^(١) :

سِيرُوا مَعًا إِنَّمَا مِيعَادُكُمْ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَطْنِ الْوَادِي

الثالثة : مجزوءةٌ مقطوعةٌ ، وضربها مثلها ، وبيئته^(٢) :

مَا هَيَّجَ الشُّوقَ مِنْ أَطْلَالٍ أَضَحَّتْ قِفَاراً كَوَحِي الْوَاحِي

وَيُسَمَّى حَيْثُذٍ مُخْلَعاً وَمَكْبُولاً ، وقد أكثر المولّدون من استعماله ملتزمين

خَبْنِ عَرُوضِهِ وَضَرْبِهِ ؛ لِحَقَّتِهِ إِذَا ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

يَا غُضْنَآ فِي الرِّيَاضِ مَالَا عَلَيهِ بَدْرُ السَّمَا تَلَالَا

يَا رَائِحَا بَعْدَ مَا سَبَانِي حَسْبُكَ رَبُّ السَّمَا تَعَالَى



(١) انظر « القسطاس » (ص ١١٩) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٢٠) .

الوافر

لَهُ عَرُوضَانِ ، وَثَلَاثَةُ أَضْرِبٍ :

الأولى : مقطوعة ، وضربها مثلها ، وبيتُهُ (١) :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارًا كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتِهَا الْعِصِيُّ



الثانية : مجزوءةٌ صحيحةٌ ، ولها ضربان :

الأول : مثلها ، وبيتُهُ (٢) :

لَقَدْ عَلِمْتُ رَيْبَعَةً أَنْ حَبْلَكَ وَاهِنٌ خَلَقُ

الثاني : مجزوءةٌ معصوبٌ ، وبيتُهُ (٣) :

أُعَاتِبُهَا وَأَمْرَهَا فَتُغْضِبُنِي وَتَغْصِينِي



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٢٨) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٣٤) .

(٣) انظر « مفتاح العلوم » (ص ٦٤٢) .

الكاملُ

لَهُ ثَلَاثُ أَعَارِيضَ ، وَتِسْعَةٌ أُضْرِبُ :

الأولى : تَامَّةٌ ، وَأُضْرِبُهَا ثَلَاثَةً :

الأولُ : مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ^(١) :

وَكَمَا عَلِمْتَ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى

الثاني : مَقْطُوعٌ ، وَبَيْتُهُ^(٢) :

نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهُنَّ فَإِنَّهُ

الثالثُ : أَحَدُ مِضْمَرٍ ، وَبَيْتُهُ^(٣) :

دَرَسْتَ وَغَيْرَ آيَاهَا الْقَطْرُ

لِمَنِ الدِّيَارُ بِرَامَتَيْنِ فَعَاقِلُ

الثانية : حَذَاءٌ ، وَلِهَا ضَرْبَانِ :

الأولُ : مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ^(٤) :

هَاطِلٌ أَجَشُّ وَبَارِحٌ تَرِبُ

دِمْنٌ عَقْتُ وَمَحَا مَعَالِمَهَا

(١) البيت لعنترة في « ديوانه » (ص ٢٠٧) .

(٢) هو للأخطل في « ديوانه » (ص ١٩٧) .

(٣) انظر « مفتاح العلوم » (ص ٦٤٥) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٤٠) .

الثاني : أحد مضمراً ، وبيئته^(١) :

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ دُعِيَتْ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ



الثالثة : مجزوءة صحيحة ، وأضربها أربعة :

الأول : مجزوءة مُرفَلٌ ، وبيئته^(٢) :

وَلَقَدْ سَبَقْتَهُمْ إِلَيَّ فَلِمَ نَزَعْتَ وَأَنْتَ آخِرُ

الثاني : مجزوءة مذالٌ ، وبيئته^(٣) :

جَدْتُ يَكُونُ مَقَامُهُ أَبْدَأُ بِمُخْتَلِفِ الرِّيَاحِ

الثالث : مثلها ، وبيئته^(٤) :

وَإِذَا أَفْتَقَزْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَيِّعاً وَتَجَمِّلِ

الرابع : مقطوعٌ ، وبيئته^(٥) :

وَإِذَا هُمْ ذَكَرُوا الْإِسَاءَةَ أَكْثَرُوا الْحَسَنَاتِ



(١) هو لزهير بن أبي سلمى في « ديوانه » (ص ٧٨) ، و« القسطاس » (ص ١٤١) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٤٦) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٤٧) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٤٧) .

(٥) انظر « القسطاس » (ص ١٤٨) .

الهَزَجُ

لَهُ عَرُوضٌ وَضَرْبَانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ ^(١) :

عَفَا مِنْ آلِ لَيْلَى أَلَسَّهْ بُ فَالْأَمْلاَحُ فَالْغَمْرُ

الثاني : محذوفٌ ، وبيتُهُ ^(٢) :

وَمَا ظَهْرِي لِبَاغِي الضَّيِّدِ مِ بِالظَّهْرِ الذُّوَلِ



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٥٧) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٥٨) .

الرَّجَزُ

لَهُ أَرْبَعُ أَعَارِيضَ ، وَخَمْسَةُ أَضْرِبٍ :

الأولى : تَامَّةٌ ، وَلَهَا ضَرْبَانِ :

الأولُ : مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ (١) :

دَارٌ لِسَلْمَى إِذْ سُلِّمَى جَارَةٌ [قَفْرٌ] تَرَى آيَاتِهَا مِثْلَ الزُّبُرِ

الثاني : مَقْطُوعٌ ، وَبَيْتُهُ (٢) :

الْقَلْبُ مِنْهَا مُسْتَرِيحٌ سَالِمٌ وَالْقَلْبُ مِنِّي جَاهِدٌ مَجْهُودٌ



الثانية : مَجْزُوءَةٌ صَحِيحَةٌ ، وَضَرْبُهَا مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ (٣) :

قَدْ هَاجَ قَلْبِي مَنْزِلٌ مِنْ أُمَّ عَمْرٍو مُقْفِرٌ



الثالثة : مَشْطُورَةٌ ، وَهِيَ الضَّرْبُ ، وَبَيْتُهُ (٤) :

مَا هَاجَ أَحْزَانًا وَشَجْوًا قَدْ شَجَا

والشطرُ : هُوَ جَعْلُ الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ ، فَيَتَحَدُّ الْعَرُوضُ وَالضَّرْبُ ، وَعَلَيْهِ

أَكْثَرُ رَجَزِ الْعَرَبِ .



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٦٣) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٦٤) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٦٦) .

(٤) هو للعجاج في « ديوانه » (١٣/٢) .

الرابعةُ : منهوكةٌ ، وهي الضَّرْبُ ، وبيئتهُ ^(١) :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ



(١) هو لدريد بن الصمة في «ديوانه» (ص ١٢٨) .

الرملُ

لَهُ عَرُوضَانِ ، وَسْتُهُ أَضْرِبُ :

الأولى : محذوفةٌ ، وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : تامٌ ، وبيتُهُ^(١) :

مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَى بَعْدَكَ أَلْ
قَطْرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ

الثاني : مقصورٌ ، وبيتُهُ^(٢) :

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلَكَ
أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَأَنْتَظَرِي

الثالثُ : مثلها ، وبيتُهُ^(٣) :

قَالَتِ الْخَنَسَاءُ لَمَّا جِئْتُهَا
شَابَ بَعْدِي رَأْسُ هَذَا وَأَشْتَهَبُ



الثانية : مجزوءةٌ صحيحةٌ .

وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : مجزوءةٌ مُسَبَّحٌ ، وبيتُهُ^(٤) :

يَا خَلِيلِي أَرْبِعَا وَأَسْ
تَخْبِرَا رَبُّعًا بِعَسْفَانِ

(١) هو لعبيد بن الأبرص في « ديوانه » (ص ٥٨) .

(٢) هو لعدي بن زيد في « ديوانه » (ص ٩٣) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٧٧) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٧٩) .

الثاني : مثلها ، وبيئته^(١) :

مُقَفَّرَاتٌ دَارِسَاتٌ مِثْلُ آيَاتِ الرَّبُّورِ

الثالث : مجزوءٌ محذوفٌ ، وبيئته^(٢) :

مَا لِمَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ نَانَ مِنْ هَذَا ثَمَّ



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٧٩) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٨٠) .

السريع

له أربع أعاريص ، وستة أضرب :

الأولى : مطوية مكسوفة ، وأضربها ثلاثة :

الأول : مطوي موقوف ، وبيئته^(١) :

أَزْمَانَ سَلَمَى لَا يَرَى مِثْلَهَا أَلَّرَ أَوُونَ فِي شَامٍ وَلَا فِي عِرَاقِ

الثاني : مثلها ، وبيئته^(٢) :

هَاجَ الْهَوَى رَسْمٌ بِذَاتِ الْغَضَا مُخْلَوْلٌ مُسْتَعْجِمٌ مُخُولٌ

الثالث : أصلم ، وبيئته^(٣) :

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ الْخَنَا مَهْلًا لَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي



الثانية : مخبولة مكسوفة ، وضربها مثلها .

وبيئته^(٤) :

النَّشْرُ مِنْكَ وَالْوُجُوهُ دَنَا نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمْ



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٨٥) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٨٦) ، و« مفتاح العلوم » (ص ٦٦١) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٨٦) .

(٤) هو للمرقش الأكبر في « ديوانه » (ص ٦٨) .

الثالثةُ : موقوفةٌ مشطورةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ^(١) :

يُوزَعْنَ فِي حَافَاتِهِ بِالْأَبْوَالِ

الرابعةُ : مكسوفةٌ مشطورةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ^(٢) :

يَا صَاحِبِي رَحْلِي أَقْلًا عَذْلِي



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٩٠) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٩١) .

المنسرحُ

لَهُ ثَلَاثُ أَعَارِيضَ ، وَثَلَاثَةُ أَضْرِبٍ :

الأولى : صحيحةٌ ، وضربُها مطويٌّ ، وبيتُهُ ^(١) :

إِنَّ أَبْنَ زَيْدٍ لَا زَالَ مُسْتَعْمِلًا لِخَيْرِ يُفْشِي فِي مِضْرِهِ أَلْعُرْفَا
بِضْمِ الرَّاءِ .



الثانية : موقوفةٌ منهوكةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ ^(٢) :

صَبْرًا بَنِي عَبْدِ أَلْدَاذِ



الثالثة : مكسوفةٌ منهوكةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ ^(٣) :

وَيْلُ أُمِّ سَعْدِ سَعْدَا



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٩٤) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٩٦) .

(٣) انظر « سيرة ابن هشام » (٢٥٢/٢) .

الخفيفُ

(مستفَع لُنْ) فِيهِ وَفِي الْمُجْتَثِ مَفْرُوقُ الْوَتِدِ .

لَهُ ثَلَاثُ أَعَارِيضَ ، وَخَمْسَةُ أَضْرِبٍ :

الْأُولَى : صَحِيحَةٌ ، وَلِهَا ضَرْبَانِ :

الْأَوَّلُ : مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ ^(١) :

حَلَّ أَهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادَوْ لِي وَحَلَّتْ عُلوِيَّةٌ بِالسَّخَالِ

الثَّانِي : مَحذُوفٌ ، وَبَيْتُهُ ^(٢) :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَمَّ هَلْ آتَيْنَهُمْ أَمْ يَحُولُنْ مِنْ دُونِ ذَاكَ الْرَدَى

الثَّانِيَّةُ : مَحذُوفَةٌ : وَضَرْبُهَا مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ ^(٣) :

إِنْ قَدَرْنَا يَوْمًا عَلَى عَامِرٍ نَنْتَصِفُ مِنْهُ أَوْ نَدَعُهُ لَكُمْ

الثَّلَاثَةُ : مَجزُوءَةٌ صَحِيحَةٌ ، وَلِهَا ضَرْبَانِ :

الْأَوَّلُ : مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ ^(٤) :

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا تَرَى أُمَّ عَمْرٍو فِي أَمْرِنَا

(١) هُوَ لِلْأَعشى الْكَبِيرِ فِي « دِيوانِهِ » (٩٩/١) .

(٢) انظُر « الْقِسْطاس » (ص ٢٠٢) .

(٣) انظُر « الْقِسْطاس » (ص ٢٠٢) .

(٤) انظُر « الْقِسْطاس » (ص ٢٠٦) .

الثاني : مجزوءٌ مخبونٌ مقصورٌ ، وبيتهُ^(١) :

كُلُّ خَطْبٍ إِنْ لَمْ تَكُو نُواغَضِبْتُمْ يَسِيرُ



(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٦) .

المضارعُ

و(فاعِ لاتُنْ) فيه مفروقُ الوتدِ ، وبعضُ العَرَضِيِّينَ يُوجِبُ كَفَّ أَوَّلِهِ
وثالثِهِ ، كما في الشاهدِ .

لَهُ عَرَوْضٌ وَضَرْبٌ ، وَبَيْتُهُ^(١) :

دَعَانِي إِلَى سُعَادِي دَوَاعِي هَوَى سُعَادِي



(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٩) .

المُقْتَضَبُ

لَهُ عَرُوضٌ وَضَرْبٌ مَطْوِيَانِ ، وَبَيْتُهُ^(١) :

أَقْبَلْتُ فَلَاحَ لَهَا عَارِضَانِ كَأَلْسَبِجِ



(١) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٣٠/٣) .

المُجْتَبُ

لَهُ عَرُوضٌ وَضَرْبٌ ، وَبَيْتُهُ^(١) :

أَلْبَطْنُ مِنْهَا خَمِيصٌ وَأَلْوَجْهُ مِثْلُ أَلْهَلَالِ



(١) انظر « القسطاس » (ص ٢١٧) .

المُتقَارِبُ

لَهُ عَرُوضَانِ ، وَسِتَّةُ أَضْرِبٍ :

الأولى : صحیحةٌ ، وأضربها أربعةٌ :

الأول : مثلها ، وبيتُهُ^(١) :

فَأَلْفَاهُمُ الْقَوْمُ رَوْبَى نِيَامَا

فَأَمَّا تَمِيمٌ تَمِيمٌ بِنُ مُرِّ

الثاني : مقصورٌ ، وبيتُهُ^(٢) :

وَشُعْبٌ مَرَضِيْعٌ مِثْلِ أَلْسَعَانِ

وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ بَائِسَاتِ

الثالث : محذوفٌ ، وبيتُهُ^(٣) :

يُنَسِّي الرُّوَاةَ الَّذِي قَدْ رَوَوْا

وَأَرْوِي مِنَ الشِّعْرِ شِعْرًا عَوِيصًا

الرابع : أبتُرُ ، وبيتُهُ^(٤) :

خَلَّتْ مِنْ سُلَيْمَى وَمِنْ مَيَّةِ

خَلِيلِيَّ عُوْجًا عَلَى رَسْمِ دَارِ

[الثانيةُ] : مجزوءةٌ محذوفةٌ ، ولها ضربان :

الأول : مثلها ، وبيتُهُ^(٥) :

لِسَلْمَى بِذَاتِ أَلْغَضَا

أَمِنْ دِمْنَةٍ أَقْفَسَرَتْ

(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٢) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٣) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٣) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٤) .

(٥) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٧) .

الثاني : مجزوءً أبتُرُ ، وبيتهُ^(١) :

تَعَفَّفْ وَلَا تَبْتَئِسْ فَمَا يُقْضَ يَا أَيُّكََا



(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٨) .

المُتَدَارِكُ

لَهُ عَرُوضَانِ ، وَأَرْبَعَةٌ أَضْرِبُ :

الأولى : تَامَّةٌ ، وَضَرْبُهَا مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ :

جَاءَنَا عَامِرٌ سَالِمًا صَالِحًا بَعْدَ مَا كَانَ مَا كَانَ مِنْ عَامِرِ



الثانية : مَجْزُوءَةٌ صَحِيحَةٌ .

وَأَضْرِبُهَا ثَلَاثَةٌ :

الأولُ : مَجْزُوءٌ مَخْبُونٌ مُرْفَلٌ ، وَبَيْتُهُ ^(١) :

دَارَ سُعْدَى بِشَحْرِ عَمَانِ قَدْ كَسَاهَا أَلْبَلَى أَلْمَلَوَانِ

الثاني : مَجْزُوءٌ مَذَالٌ ، وَبَيْتُهُ ^(٢) :

هَذِهِ دَارُهُمْ أَقْفَرَتْ أَمْ زُبُورٌ مَحَثَهَا أَلْدُهُوزُ

الثالثُ : مِثْلُهَا ، وَبَيْتُهُ ^(٣) :

قِفْ عَلَى دَارِهِمْ وَأَبْكِي بَيْنَ أَطْلَالِهَا وَأَلْدِمَنِ

وَالخَبْنُ فِيهِ حَسَنٌ ، وَبَيْتُهُ ^(٤) :

كُرَّةٌ طُرِحَتْ بِصَوَالِجَةٍ فَتَلَقَّفَهَا رَجُلٌ رَجُلٌ

(١) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩) .

(٢) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩) .

(٣) انظر « العيون الغامزة » (ص ٦٠) .

(٤) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩) .

والقطعُ في حشوه جائزٌ، وبيئُهُ^(١) :

مَا لِي مَالٌ إِلَّا دِرْهَمٌ أَوْ بِزْدُونِي ذَاكَ الْأَدْهَمِ
وقد اجتمعا، وبيئُهُ :

زُمَّتْ إِبِلٌ لِلْبَيْنِ ضُحَى فِي غَوْرِ تَهَامَةٍ قَدْ سَلَكُوا



(١) انظر «العيون الغامزة» (ص ٦٠).

القافيةُ

هي من آخر البيت إلى أولٍ مُتحرِّكٍ قبل ساكنٍ بينهما ، فهي في قوله^(١) :

بمُنْجَرِدٍ قَيِّدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

كلمةُ : (هَيْكَلِ) .

ولكلِّ حرفٍ تشتملُ عليه اسمٌ ؛ فالحرفُ الذي تُنسبُ إليه القصيدةُ كاللَّامِ ؛ فيُقالُ : لاميةُ العربِ ، ولاميةُ العجمِ ، والهمزةُ ؛ فيُقالُ : همزيةُ فلانٍ . . يُسمَّى : رويًّا ، والحرفُ الذي يَعقبُهُ مِنْ مِدٍّ أو هاءٍ كيفَ كانتِ يُسمَّى : وصلًا ، والمَدُّ المُتصِلُ بهاءِ الوصلِ يُسمَّى : خروجًا ، والمَدُّ قبلَ الرَّويِّ يُسمَّى : ردفًا ، والألفُ التي قبلَ الرَّويِّ بحرفٍ إن كانتِ مِنْ كلمتهِ أو مِنْ غيرها وكانَ ضميرًا أو بعضَ ضميرٍ . . يُسمَّى : تأسيسًا ، والحرفُ المُتحرِّكُ بعدَ التأسيسِ يُسمَّى : دخيلًا .



وكذا حركاتُها ، فحركةُ الرَّويِّ تُسمَّى : مجرئًا ، وحركةُ الوصلِ تُسمَّى : نفاذًا ، وحركةُ ما قبلَ الردفِ تُسمَّى : حدوًّا ، وحركةُ الدَّخيلِ تُسمَّى : إشباعًا ، وحركةُ ما قبلَ التأسيسِ : رسًّا ، وحركةُ ما قبلَ الرَّويِّ المُقيدِ تُسمَّى : توجيهًا .

[أنواعُ القافيةِ]

والقافيةُ : إمَّا مُطلقةٌ وهي مُتحرِّكةُ الرَّويِّ ، وإمَّا مُقيدةٌ ؛ وهي ساكنةٌ .

(١) عجز بيت لامرئ القيس ، في « ديوانه » (ص ١٩) ، والبيت بتمامه :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيِّدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

والمُطلقةُ : إمَّا مُجرّدةٌ ، أو مردوفةٌ ، أو مُؤسّسةٌ موصولةٌ باللين أو الهاء .
والمُقيدةُ : إمَّا مُجرّدةٌ ، وإمَّا مردوفةٌ ، وإمَّا مؤسّسةٌ .
فهذه تسعةٌ أقسامٍ يُقالُ لها : أنواعُ القافيةِ .

ولفظُ القافيةِ : إن توالى فيه أربعُ حركاتٍ بينَ ساكنيها .. يُسمّى :
متكافئاً ، وإن توالى ثلاثٌ .. يُسمّى : متراكباً ، وإن توالى اثنتانِ .. سُمّيَ :
مُتداركاً ، وإن فصلَ بينهما حركةٌ .. سُمّيَ : متواتراً ، وإن اجتمعَ الساكنانِ ..
سُمّيَ : مترادفاً .

[عيوبُ القافيةِ]

وعيوبُ القافيةِ :

الإيطاءُ ؛ وهو إعادةُ كلمةِ الرّويِّ لفظاً ومعنى .
والتضمينُ ؛ وهو تعليقُ البيتِ بما بعدهُ تعليقٌ تميمٍ معنى .
والإقواءُ ؛ وهو اختلافُ المجرئِ بكسرٍ وضمٍّ .
والإصرافُ ؛ وهو اختلافُ المجرئِ بفتحٍ وغيره .
والإكفاءُ ؛ وهو اختلافُ الرّويِّ بحروفٍ متقاربةِ المخارجِ .
والإجازةُ ؛ وهو اختلافُهُ بحروفٍ متباعدةٍ .
والسنادُ ؛ وهو اختلافُ ما يُراعى قبلَ الرّويِّ مِنَ الحروفِ والحركاتِ ؛ وهو
خمسةٌ :

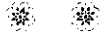
سنادُ الردفِ ؛ وهو ردفُ أحدِ البيتينِ دونَ الآخرِ .

وسنادُ التأسيسِ ؛ وهو تأسيسُ أحدهما دونَ الآخرِ .

وسنادُ الإشباعِ ؛ وهو اختلافُ حركةِ الدَّخِيلِ .

وسنادُ الحذوِ ؛ وهو اختلافُ حركةِ ما قبلَ الردْفِ .

وسنادُ التوجيهِ ؛ وهو اختلافُ حركةِ ما قبلَ الرَّوِيِّ المُقَيَّدِ .



هذا ؛ وإذا كانَ يكفي مِنَ القِلَادَةِ ما أحاطَ بالعنقِ . . فمعرفةُكَ هذا القَدْرَ مِنَ هَذَيْنِ الفَنَيْنِ لتلاحظَ وزنَ ما يَرِدُ عليكِ مِنَ الأشعارِ ، وتزنَ ما تريدُ أن تقولَ . . كافيةٌ ، وصرفُ الزمنِ للتوسُّعِ في غيرِ زوائدِ هَذَيْنِ الفَنَيْنِ أحسنُ .



[قصائد لتعويدِ الذهنِ سرعةً ملاحظةِ الأوزانِ]

وهذه قصائدُ أثبتُّها في هذا الموضوعِ تُعوِّدُ فيها ذهنَكَ سرعةً ملاحظةِ
زنةِ الأشعارِ ؛ فإنَّ مِنَ اللازمِ للمتأدِّبِ أَنَّهُ إذا وردَ عليه الشعرُ . . لم يلبثُ أن
يَعْرِفَ وزنهَ ، ويلاحظهُ حالَ القراءةِ ؛ ليساعدهُ على إجادَةِ الإنشادِ ، ويعصمهُ
مِن فواتِ الخللِ عليه .

قال ابنُ النبیهِ ؛ مِنَ الطویلِ ، والقافیةُ مِنَ المتواترِ مُجرَّدةٌ موصولةٌ
بالألفِ ^(١) :

رَنَا وَأَنْتَنِي كَالسَّيْفِ وَالصَّعْدَةِ السَّمْرَا	فَمَا أَكْثَرَ الْقَتْلَى وَمَا أَرْخَصَ الْأَسْرَى
خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ خَارِجِي عِدَارِهِ	فَقَدْ جَاءَ رَحْفًا فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَا
غُلَامٌ أَرَادَ اللَّهُ إِطْفَاءَ فِتْنَةٍ	بِعَارِضِهِ فَأَسْتُوْنَفَتْ فِتْنَةٌ أُخْرَى
تُكَلِّفُنِي السَّلْوَانَ عَنْهُ عَوَاذِلِي	أَمَا عَلِمُوا أَنِّي بَطْلَعَتِهِ مُغْرَى
فَرَزَقَنَ بِالْأَضْدَاغِ جَنَّةَ خَدِهِ	وَأَرْخَى عَلَيْهِ مِنْ ذَوَائِبِهِ سِتْرَا
أَعَنُّ يُنَاجِي شَعْرُهُ حَلِي خَضْرِهِ	كَمَا يُعْتَبُ الْمَعْشُوقُ عَاشِقَهُ سِرَا
وَصَلْتُ بِدَاجِي شَعْرِهِ لَيْلَ وَضْلِهِ	فَلَمْ أَحْشَ صُبْحًا غَيْرَ غُرَّتِهِ الْغَرَا
أَخْوَضُ عَبَابَ الْمَوْتِ مِنْ دُونَ نَعْرِهِ	كَذَاكَ يَخْوَضُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ الدَّرَا
غَزَالَ رَحِيمُ الدَّلِّ فِي يَوْمِ سَلْمِهِ	وَلَيْتُ لَهُ فِي حَرْبِهِ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
دَرِيٌّ بِحَمَلِ الْكَأْسِ فِي يَوْمِ لَذَّةِ	وَلَكِنْ بِحَمَلِ السَّيْفِ يَوْمَ الْوَعَى أَدْرَى

(١) انظر «ديوان ابن النبيه» (ص ٤١) .

أَهِيْمُ بِهِ فِي عَقْدِهِ وَنَجَادِهِ
وَصَامِتَةً الْخَلْخَالِ أَنْ وَشَاحُهَا
تَلَا لَأُذُرُّ الْعِقْدِ تَيْهَا بِجِيدِهَا
لَهَا مِعْصَمٌ لَوْلَا السَّوَارُ يَصُدُّهُ
دَعْتَنِي إِلَى السَّلْوَانِ عَنْهُ بِحُبِّهَا
بِأَيِّ اعْتِدَارٍ أَلْتَقِي حُسْنَ وَجْهِهِ
تَقُولُ وَقَدْ أُرْزَى بِهَا حُسْنُ وَصْفِهِ
أَلَمْ تَرْنِي بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ مُنْشِدًا
مَلِيكَ كَرِيمٍ بَاسِلٌ عَمَّ عَدْلُهُ
أَبِي سَخِيٍّ تَحْتَ سَطْوَتِهِ أَلْغَنِي
هُوَ الْبَحْرُ بَلْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنْ فِي
إِذَا قَامَ يَنْمِيهِ الْخَطِيبُ بِمَنْبَرٍ
لَحَى اللَّهُ حَزْبًا لَمْ يَكُنْ قَلْبٌ جَيْشَهَا
أَطْلَ عَلَى أَخْلَاطِ يَوْمٍ قُدُومِهِ
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي شِكَّةِ مُوسَوِيَّةٍ
تَلَقَّاهُ مِنْ بُعْدِ الْمَسَافَةِ أَهْلَهَا
فَشَكَّكَتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ حُشِرُوا ضَحَى
تَسِيرُ مُلُوكِ الْأَرْضِ تَحْتَ رِكَابِهِ
إِذَا أَنْفَرَجَتْ عَنْهُ بُرُوقُ سُيُوفِهِمْ

فَلَا بُدَّ فِي السَّرَاءِ مِنْهُ وَفِي الضَّرِّ
فَهَذَا قَدْ اسْتَغْنَى وَهَذَا شَكَى الْفَقْرَا
وَسَاكِنُ ذَلِكَ النَّحْرِ لَا يَسْكُنُ الْبَحْرَا
إِذَا حَسَرْتَ أَكْمَامَهَا لَجَرِي نَهْرَا
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى بَعْدَ إِيمَانِي الْكُفْرَا
إِذَا خَدَعْتَنِي عَنْهُ غَانِيَةٌ عَذْرَا
لَحَى اللَّهُ رَبَّ السِّعْرِ لَوْ نَظَمَ السِّعْرَا
كَأَنِّي عَلَى شَاءِ أَرْمَنِ أَنْتُرُ الدَّرَا
فَمَنْ حَاتِمٌ وَأَبْنُ الْوَلِيدِ وَمَنْ كِسْرَى
فَحَفَّ وَتَيَقَّنَ أَنَّ فِي عُسْرِهِ يُسْرَا
بَنَانِ يَدَيْهِ لِلنَّدَا أَبْحُرَا عَشْرَا
تَأَوَّدَ تَيْهَا وَأَكْتَسَى وَرَقًا خُضْرَا
وَمَجْلِسَ عَدْلِ لَا يَكُونُ بِهِ صَدْرَا
بِلُجَّةِ جَيْشٍ يَمْلَأُ السَّهْلَ وَالْوَعْرَا
فَلَوْ أَمِرْتُ بِالزَّخْفِ مَا خَالَفْتُ أَمْرَا
[فَذَا] رَافِعٌ كَفَاءً وَذَا سَاجِدٌ شُكْرَا
أَمْ النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ رَبَّهُمُ الْقَطْرَا
وَأَعْنَاقُهُمْ مِنْ هَوْلِ هَيْبَتِهِ صُغْرَا
رَأَيْتُ النُّجُومَ الزُّهْرَ قَدْ قَارَنْتُ بَدْرَا

فَلِلَّهِ يَوْمٌ عَمَّ بَلَنِيَسَ بِشُرِّهِ
 تَهَنَّأَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِهِ
 حُسَامٌ إِذَا هَزَّتْهُ يُمْنَاكَ هَزَّةٌ
 طِرَازٌ عَلَى كَمِّ الْخِلَافَةِ مُذْهَبٌ
 أَبَا الْفَتْحِ شُكْرًا لِاخْتِصَاصِ صَنِيعَةِ
 وَسَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ بِهِ الْبُشْرَى
 نَصِيرًا يَسُدُّ الثُّغْرَ أَوْ يَفْتَحُ الثُّغْرَا
 تَرَفَّرَقَ مَاءٌ وَالْتَطَّى حَدُّهُ جَمْرًا
 وَجَوْهَرَةٌ فِي تَاجِهَا تَكْسِفُ الْبَدْرَا
 فَحَسْبُكَ فِي الدُّنْيَا جَلَالًا وَفِي الْآخِرَى

وقال من البسيط ، والقافية من المتراكب (١) :

اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ الْحُسْنُ فِي الْعَرَبِ
 صُبْحُ الْجَبِينِ بَلِيلُ الشُّعْرِ مُنْعَقِدٌ
 تَنَفَّسَتْ عَنْ عَبِيرِ الرِّيحِ رِبْقَتُهُ
 لَا فِي الْعُدَيْبِ وَلَا فِي بَارِقِ غَزَلِي
 ثَغْرٌ إِذَا مَا الدُّجَى وَلَّى تَنَفَّسَ عَنْ
 كَأَنَّهُ حِينَ يَرْمِي عَنْ حَنِيتِهِ
 يَا جَادِبَ الْقَوْسِ تَقْرِيبًا لِيُوجِنْتِهِ
 أَلَيْسَ مِنْ نَكِدِ الْأَيَّامِ يُحْرَمُهَا
 لَذْنُ الْمَعَاطِفِ قَاسِي الْقَلْبِ مُبْتَسِمٌ
 فَكَمْ لَهُ فِي اخْتِلَاقِ الدُّنْبِ مِنْ سَبَبِ
 كَمْ تَحْتَ لِمَّةِ ذَا التُّرْكِيِّ مِنْ عَجَبِ
 وَالْخَدُّ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّهَبِ
 وَأَفْتَرَّ مَبْسَمُهُ الشَّهْدِيُّ عَنْ حَبِ
 بَلٍ فِي لَمَى فَمِهِ أَوْ ثَغْرِهِ الشَّنْبِ
 رِيحٍ مِنَ الرِّيحِ أَوْ ضَرْبٍ مِنَ الضَّرْبِ
 بَدْرٌ رَمَى عَنْ هِلَالِ الْأَفْقِ بِالشُّهْبِ
 وَالْهَائِمُ الصَّبُّ مِنْهَا غَيْرُ مُقْتَرِبِ
 فَمِي وَيَلْتِمُهَا سَهْمٌ مِنَ الْخَشَبِ
 لَا عَنْ رِضًا مُعْرِضٌ عَنِّي بِلا غَضَبِ
 وَلَيْسَ لِي فِي قِيَامِ الْعُذْرِ مِنْ سَبَبِ

(١) انظر «ديوان ابن النبيه» (ص ٣١) .

كَمَا تَمِيلُ أَعْطَافُهُ تَيْهًا بِمَا حَمَلَتْ
 أَسَارَ نَحْوِي وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ
 بِكُرِّ جَلَاهَا أَبُوهَا قَبْلَ مَا جُلِيَتْ
 حَمْرَاءُ تَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ مَا فَعَلَتْ
 مَلِكٌ يُفَرِّقُ يَوْمَ السَّلْمِ مَا جَمَعَتْ
 ثَبِتْ تَحْفُ جَمَاهِيرُ الْجِيُوشِ بِهِ
 دَمُ الْعِدَا وَصَلِيلُ الْمُرْهَفَاتِ لَهُ
 فِي غَيْرِ مُوسَى أَحَادِيثُ النَّدَى اخْتَلَفَتْ
 الْأَشْرَفُ الْوَاهِبُ الْأَلَّافَ مُبْتَسِمًا
 صَحَّتْ لَهُ كِيمِيَاءُ الْمَجْدِ إِذْ سَبَكَتْ
 لَا تَعْجَبَنَّ لِأَمْوَالٍ يُفَرِّقُهَا
 الطَّاهِرُ النَّسَبِ ابْنُ الطَّاهِرِ النَّسَبِ ابْنُ
 نَفْسٍ لِأَبَائِهَا مِنْ نَفْسِهَا شَرَفٌ
 عَلَيْهِ نُورٌ إلهِيٌّ أَشْعَثُهُ
 مَتَّ يَا حَسُودُ أَنْتِظَارًا إِنَّ مَوْلِدَهُ
 وَقَفْتُ عَلَى جَوْزِ هِرِّ الرَّأْسِ عَاشِرُهُ
 يَا كَوْكَبًا أَسْعَدَ الْأَيَّامَ طَالِعُهُ
 لَا خَيْبَ اللَّهُ فِي ذَا الْعِيدِ عَوْدَةَ مَنْ

كَمَا تَمِيلُ رِمَاحُ الْخَطِّ بِالْعَذَبِ
 بِمِعْصَمٍ مِنْ شُعَاعِ الْكَأْسِ مُخْتَضِبِ
 فِي حُجْرَةِ الدَّنِّ أَوْ فِي قِشْرَةِ الْعِنَبِ
 سُيُوفُ شَاهِ أَرْمَنِ فِي عَسْكَرِ لَجِبِ
 يُمْنَاهُ فِي الْحَرْبِ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ
 كَأَنَّ أَفْلَاكَهَا دَارَتْ عَلَى الْقُطْبِ
 أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِنْ كَأْسِ عَلَى طَرْبِ
 وَهُوَ الْكَرِيمُ بِلَا شَكِّ وَلَا رَيْبِ
 وَذَاكَ تَعْجِزُ عَنْهُ عَبْسَةُ الشُّحْبِ
 يُمْنَاهُ لِلْبَدَلِ إِكْسِيرًا مِنَ الذَّهَبِ
 عَلَى الْعُقَاةِ بَقَاهَا أَعْظَمُ الْعَجَبِ
 ابْنِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ ابْنِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ
 كَذَا الثِّمَارُ لَهَا فَضْلٌ عَلَى الْخَشَبِ
 تُغْنِيهِ عَنْ كَثْرَةِ الْحُجَابِ وَالْحُجْبِ
 قَدْ كَانَ فِي بُرْجِ سَعْدٍ غَيْرِ مُنْقَلِبِ
 وَيَبِيتُ أَعْدَائِهِ وَقَفْتُ عَلَى الدَّنَبِ
 وَهُوَ الْوَبَاءُ لِأَهْلِ الشَّرِكِ وَالصُّلْبِ
 رَجَاؤُهُ فِي نَدَى كَفَيْكَ لَمْ يَخِبِ

وقال من الكامل ، والقافية من المتدارك (١) :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
يا أيها الوجه الجميل تدارك الص
هل في فؤادك رحمة لم تميم
هل من سبيل أن أبت صبابتي
إني لأستحيي كما عودتني
يا عين عذرك في حبيبك واضح
الله أبدي البدر من أزراره
الأشرف المليك الذي ساد الورى
رذت به شمس السماح على الورى
سهل إذا لمس الصفا سال الندى
دان ولكن من سؤال عفاتيه
يا بزق هذا منك أصدق شيمه
يا روض هذا منك أبهج منظرأ
يا سهم هذا منك أضوب مقصدا
يا صبح هذا منك أسفر غره
حملت أنامله السيوف فلم تزل

مَلَكَ الْفُؤَادَ فَمَا عَسَى أَنْ أَصْنَعَا
حُلُومًا فَقَدْ جَهَلَ الْمَحَبَّةَ وَأَدْعَى
بِرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَفَا وَتَضَعَضَا
ضَمَّتْ جَوَانِحُهُ فُؤَادًا مُوجَعَا
أَوْ أَشْتَكِي بِلُوَايٍ أَوْ أَتَوَجَّعَا
بِسِوَى رِضَاكَ إِلَيْكَ أَنْ أَتَشَفَّعَا
سُحِّي لِفُرْقَتِهِ دَمًا أَوْ أَدْمَعَا
وَالشَّمْسَ مِنْ قَسَمَاتِ مُوسَى أَطْلَعَا
كَهَلًا وَمُكْتَمِلَ الشَّبَابِ وَمُزْضَعَا
فَاسْتَبَشَّرُوا وَرَأَوْا بِمُوسَى يُوشَعَا
صَعْبٌ إِذَا لَحَظَ الْأَصَمَّ تَصَدَّعَا
سَامٍ عَلَى سَمِكِ السَّمَاءِ تَرْفَعَا
يَا غَيْثُ هَذَا مِنْكَ أَحْسَنُ مَوْقِعَا
يَا بَحْرُ هَذَا مِنْكَ أَعْدَبُ مَشْرَعَا
يَا سَيْفُ هَذَا مِنْكَ أَسْرَعُ مَقْطَعَا
يَا نَجْمُ هَذَا مِنْكَ أَهْدَى مَطْلَعَا
شُكْرًا لِذَلِكَ سُجَّدًا أَوْ رُكْعَا

(١) انظر «ديوان ابن النبيه» (ص ١٦) .

مِنْ دُرِّ أَفْوَاهِ الْمُلُوكِ مُرْصَعَا
 لِعِثَارِ عَبْدٍ أَنْتَ مَالِكُهُ لَعَا
 قَدْ كَانَ مُنْفَرِجاً عَلَيَّ مُوسَعَا
 لَا تَرْتَضِي شَنْفَ الثُّرَيَّا مَسْمَعَا
 إِلَّا وَقَامَ بِهَا خَطِيباً مِضْقَعَا
 دَاعٍ لِأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا

حَلَّتْ فَلَا بَرِحَتْ مَكَاناً لَمْ يَزَلْ
 أَمْظَفَرَ الدِّينِ أَسْتَمِعَ قَوْلِي وَقَلْ
 أَيَضِيقُ بِي حَرْمُ أَصْطِنَاعِكَ بَعْدَ مَا
 هَذَا وَقَدْ طَرَزْتُ بِأَسْمِكَ مِدْحَةَ
 عَذْرَاءٍ مَا قَعَدَ الزَّمَانُ بِرَبِّهَا
 وَعَلَى كِلَا الْحَالَيْنِ إِنِّي شَاكِرٌ

وقال من الرجز ، والقافية من المْتَدَارِكِ (١) :

وَعَذَّبَ الْقَلْبَ بِأَنْوَاعِ الْفِكْرِ
 وَأَشْهَرَ الطَّرْفَ وَلِلْقَلْبِ أَسْرَ
 فِي جُنْحِ لَيْلٍ شَعْرُهُ إِلَّا قَمَرَ
 لِمَا جَرَى مِنْ فَيْضِهَا إِلَّا مَطَرَ
 يَا حَبِّدَا ذَاكَ الْفُتُورَ وَالْحَوَزَ
 وَالْقَلْبُ مِنْ خَطَرْتِهِ عَلَى خَطَرَ
 الْحَاظِهِ يَا عَاذِلِي سَيْفًا شَهَرَ
 زَارَ وَإِنْ قُلْتُ لَهُ صِلْنِي هَجَرَ
 وَلَا وَفَيْتُ عَهْدَهُ إِلَّا غَدَرَ

وَحَقِّ مَنْ بَدَّلَ نَوْمِي بِالسَّهَرِ
 وَأَسْقَمَ الْجِسْمَ بِسُقْمِ جَفْنِهِ
 مَا خِلْتُ ذَاكَ الْوَجْهَ لَمَّا أَنْ بَدَا
 وَهُوَ فَمَا ظَنَّ دُمُوعَ مُقْلَتِي
 أَحْوَرُ وَالْفُتُورُ حَشْوُ طَرْفِهِ
 مَرَّ بِنَا يَخْطُرُ فِي مَشِيَّتِهِ
 هَزَّ لَنَا مِنْ قَدِّهِ رُمْحاً وَمِنْ
 مُخَالِفٍ إِنْ قُلْتُ دَعُ زِيَارَتِي
 وَاللَّهِ مَا غَدَرْتُهُ إِلَّا وَفَى

(١) انظر « ديوان ابن النبية » (ص ٦١) .

وقال من السريع ، والقافية من المتدارك^(١) :

يا نارا أشواقِي لا تخمدي لعلَّ ضيفَ الطيفِ أن يهتدي
حسبته ماءً فصادفته لَمَعَ سَرابٍ لَيْسَ يُزوي الصّدي
تكلّفت عيني له هجعةً كغُنبَةِ الطّائرِ في المورِدِ
صوّرَ في مرآتها صورةً تجلُّ عن لمسٍ فمِ أو يدِ
إن نَعِمْتَ في اللّيلِ رُوحِي بهِ فسوفَ يشقى جَسدي في غدِ
الصدُّ والهجرانُ قد جُمعا باللهِ قُل لي فيمن أقتدي
أشكُو إلى اللهِ مَلولاً إذا قلتُ أنتهى في هجرِهِ يبتدي
البدْرُ في مكسرٍ سزُبوشه^(٢) حُفَّ بِليلِ الشَّعرِ الأسودِ
رَبانُ في قُزطِقهِ جدولُ لكنَّ له قلبٌ من الجَلَمِ
كأنما هميانهُ برزخُ يَمْنَعُ موجَ الرِّدفِ أن يغتدي
غازلنا من نرجسٍ ذابِلِ وأفتَرَ عن نورِ أقاحِ ندي
وقام يلوي عطفهُ قائلاً لا تغترزِ بي فكذا موعدي
فقلتُ باللهِ ماتَ الوفا فقال موسى لَم يمتَ خذُ يدي
المَلِكُ الأشرفُ شاهِ أزمِنِ ربُّ المعالي والنّدى والنّدي
ملكٌ له المفضلُ على تَبِعِ والفضلُ لا يُكسبُ بالمولِدِ
لو لم ترَ الأملاكُ في وجههِ غرَّتهُ العرّاءُ لَم تسجدِ

(١) انظر «ديوان ابن النبيه» (ص ١٣) .

(٢) السربوش : فارسي ، وهو ما تسميه العامة : الطربوش .

نَابَ لَهَا النَّقْعُ عَنِ الْإِثْمِدِ
عَنْ صَارِمٍ كَالْمَبْسِمِ الْأَذْرَدِ
وَأَعْجَبُ الْأَشْيَاءِ رَيُّ الصَّدي
بِنَا كُفَيْتِ الطَّعْنَ لَا [تُرْعَدِي]
أَذْرَى وَقَدْ قُمْنَا بِهِ [فَاقْعُدِي]
فَلِيَهْتَدِ السَّائِلُ أَوْ يَجْتَدِي
حَيَاؤُهُ الطَّلُقُ الْجَمِيلُ السَّنْدِي
حُصُونِهِ يَا مَلِكَ الْفَرْقَدِ
بِضِ الْمَوَاضِي وَالْقَنَا الْأَمْلَدِ
إِلَى الْعِدَا مِنْ أَفْقِهَا الْأَبْعَدِ
كَسْرَى أَنْوَشِرُونَ لَمْ يُعْقَدِ

الطَّاعِنُ النَّجْلَاءَ مَكْحُولَةٌ
وَالضَّارِبُ الْفَوْهَاءَ مُفْتَرَةٌ
يُضْدِي إِذَا أَرَوَاهُ مَاءُ الطَّلَى
تَقُولُ لِلْخُرْصَانِ أَسْيَافُهُ
نَحْنُ بِسَدِّ الثَّغْرِ أَوْ فَتْحِهِ
سَلُهُ تَجِدُ أَفْتَى جَمِيعِ الْوَرَى
يُزْرِي عَلَى قُبْحِ عُبُوسِ الْحَيَا
يَا مَلِكَ الْأَرْضِ وَإِنْ كَانَ فِي
مَلَأْتَهَا بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ وَالْأُ
تَكَادُ أَنْ تَزْحَفَ يَوْمَ الْوَعَى
لَبِسْتَ مِنْهَا تَاجَ مُلْكٍ عَلَى



وقال من المنسرح ، والقافية من المتراب (١) :

مَنْزِلْنَا بِالْعَقِيقِ مَنْ سَكَنَهُ
أَمْ غَيْرَ الدَّهْرِ بَعْدَنَا دِمْنَهُ
وَمُهَجَّتِي بِالْعَقِيقِ مُرْتَهَنَهُ
وَكُلُّ مَنْ هَامَ يَشْتَكِي شَجَنَهُ
لِمُغْرَمٍ أَنْحَلَ الْهَوَى بَدَنَهُ

يَا بَارِقًا أَذْكَرَ الْحَشَا شَجَنَهُ
أَمْرَتُعِ الْلَّهُوِ يَانِعُ خَضِرُ
يَا بَرِّقُ هَلْذَا جِسْمِي يَدُوبُ ضَنْيُ
يَا بَرِّقُ أَشْكَو عَسَاكَ تُخْبِرُهُمْ
بَلِّغْ حَدِيثَ الْجِمَى وَسَاكِنِهِ

(١) انظر «ديوان ابن النبيه» (ص ٢٦) .

أَسْمِعُهُ ذِكْرَ الْحَبِيبِ مُقْتَرِباً
 هُمْ أَنَسُوهُ لَكِنْ بِوَحْشَتِهِمْ
 أَشَقَى الْمُحِبِّينَ عَادِمٌ وَطِراً
 سَقِيّاً لِأَيَّامِنَا الَّتِي سَلَفَتْ
 لَوْ بَاعَ يَوْمٌ مِنْهَا وَكَيْفَ بِهِ
 إِلَيْكَ يَا عَاذِلِي فَلَسْتُ أَنَا
 فَكَمْ لِنَفْسِي عَلَيَّ سَيِّئَةٌ
 مُجَازِفٌ فِي عَطَاءِ أَمَلِهِ
 لِلْأَجْرِ وَالشُّكْرِ خَازِنٌ أَبَدًا
 مُؤَيِّدُ الرَّأْيِ مَنْ يُنَافِسُهُ
 لَوْ لَمْ تُقَيِّضْ لِلْجُودِ رَاحَتَهُ
 لَهُ بَنَانٌ تُهْدِي [لَنَا] مَنَحًا
 فَقَدْ أَصَمَّتْ عُدَّالُهُ أُذُنَهُ
 وَنَفَرُوا عَنِ جُفُونِهِ وَسَنَهُ
 فَكَيْفَ إِنْ كَانَ عَادِمًا وَطَنَهُ
 كَانَتْ بِطِيبِ الْوِصَالِ مُقْتَرِنَهُ
 كُنْتُ بِعُمْرِي مُسْتَزَخِصًا ثَمَنَهُ
 أَوَّلَ صَبِّ جَمَالِهِمْ فَتَنَهُ
 وَكَمْ لِمُوسَى عَلَيَّ مِنْ حَسَنَةٍ
 مُحَرَّرُ الرَّأْيِ عِنْدَ مَنْ وَزَنَهُ
 وَلَمْ يَصُنْ مَالَهُ وَلَا خَزَنَهُ
 تَحْتَ حَضِيضِ الْخُمُولِ قَدْ دَفَنَهُ
 لَمْ نَعْتَرِفْ فَرَضَهُ وَلَا سُنَنَهُ
 وَمَنْ يُعَادِيهِ يَسْتَكِي مِحَنَهُ

وقال من الخفيف ، والقافية من المتواتر (١) :

فَمَنْتُ لَيْلَ الصُّدُودِ إِلَّا قَلِيلًا
 وَوَصَلْتُ الشَّهَادَ أَقْبَحَ وَضَلِ
 مَسْمَعِي كُلَّ عَن كَلَامِ عَذُولِ
 ثُمَّ رَتَلْتُ ذِكْرَكُمْ تَزْتِيلاً
 وَهَجَزْتُ الرُّقَادَ هَجْرًا جَمِيلاً
 حِينَ أَلْقَى عَلَيْهِ قَوْلًا ثَقِيلاً

(١) انظر «ديوان ابن النبية» (ص ٥٦) .

أَخَذَتْهُ الْأَحْبَابُ أَخْذًا وَبِيَلَا
 فِي بَحَارِ الدُّمُوعِ سَبْحًا طَوِيلًا
 نَا رَطِيبًا وَلَا كَثِيبًا مَهِيلًا
 حِينَ أَضْحَى مِرَاجُهَا زَنْجَبِيلًا
 سِ ارْحَمُونِي وَمَهْلُوهُمْ قَلِيلًا
 قَدْ تَبَتَّلْتُ بِاللُّثْنَا تَبْتِيلًا
 إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا
 كُمْ إِلَى اللَّهِ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا
 تِ فَأَنْسَى صَرِيرَهُنَّ الصَّلِيلًا
 وَقَرِيضِي أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيلًا
 تَلَقَّ قَوْلًا جَزَلًا وَنَيْلًا جَزِيلًا
 فَأَخْتَرَعْنَا فِي مَدْحِهِ التَّنْزِيلًا
 يَا سَحَابَ النَّدَى لِرِزْقِي كَفِيلًا
 وَقْتُ يُسْرِ فَوْفَ وَأَضْنَعُ جَمِيلًا
 وَإِنْ رُمْتُ رِخْلَةً وَنُزُولًا

وَفُوَادٌ قَدْ كَانَ بَيْنَ ضُلُوعِي
 قُلْ لِرَاقِي الْجُفُونِ إِنَّ لِعَيْنِي
 مَاسَ عُجْبًا كَأَنَّهُ مَا رَأَى غُضْ
 وَحَمَى عَن مُجِيبِهِ كَأَسَّ ثَغْرِ
 بَانَ عَنِّي فَصِحْتُ فِي أَثْرِ الْعِيدِ
 أَنَا عَبْدٌ لِلْفَاضِلِ ابْنِ عَلِيٍّ
 لَا تَسْمُهُ وَعَدَا بِغَيْرِ نَوَالِ
 وَإِذَا كَانَ خَضَمَكَ الدَّهْرُ وَالْحُدُ
 رَاعٍ أَعْدَاءَهُ بِضُفْرِ الْيِرَاعَا
 إِنَّ مَدْحِي لَهُ أَشَدُّ وَطَاءِ
 فَاسْتَمِعْ لَفْظَهُ وَلِذِ بِحِمَاهُ
 جَلَّ عَن سَائِرِ الْخَلَائِقِ فَضْلًا
 لَا أَدُمُّ الزَّمَانَ إِذْ أَنْتَ فِيهِ
 لِي دُيُونٌ عَلَى عُلَاكَ وَهَذَا
 أَتَمَّنِّي رِزْقَ الْمُقِيمِ عَلَى اللَّهِ



وقال الحسن بن هانئ الحكمي أبو نواس من المديد ، والقافية من

المتراكب^(١) :

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٧٣) .

لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ
قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
بِقُوَى مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهِ
وَعَدَا دَانَ لِمُنْتَظَرِهِ
غَيْرِ مَعْلُومٍ مَدَا سَفَرِهِ
سِنَّةً حَلَّتْ إِلَى شُفْرِهِ
مَنَّكَ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهِ
مَسْقِطَ الْعَيْشِ فِي سَحَرِهِ
إِنَّ تَقْوَى الشَّرِّ مِنْ حَذَرِهِ
قَدْ لَبَسْنَا عَلَى غَمَرِهِ
كَكُمُونَ النَّارِ فِي حَجَرِهِ
يَنْقَعُ الظَّمآنُ مِنْ خَصَرِهِ
لَانَ نَيْيَاهُ لِمُهْتَصِرِهِ
[تَحْسُرُ] الْأَبْصَارُ عَنْ قُطْرِهِ ^(٣)
مَا خَلَا الْأَجَالَ مِنْ [بَقْرِهِ] ^(٤)
يُفْعِمُ الْفَضْلَيْنِ مِنْ ضُفْرِهِ

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ مِنْ عُمْرِهِ ^(١)
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِهِ
فَاتَّصِلْ إِنْ كُنْتَ مُتَّصِلًا
خِفْتُ مَا تُورَ الْحَدِيثِ غَدًا
خَابَ مَنْ أَسْرَى إِلَى بَلَدِهِ
وَسَدَّتْ نِيَّيَ ثُنْيِي سَاعِدِهِ
فَأَمْضِ لَا تَمُنْ عَلَيَّ يَدًا
رُبَّ فِثْيَانٍ رَبَّاتُهُمْ
فَاتَّقُوا بِي مَا يَرِيْبُهُمْ
وَأَبْنُ عَمِّ لَا يُكَاشِفُنَا
كَمَنْ الشَّنَانُ فِيهِ لَنَا
وَرَضَابٍ بِتُّ أَرْشُفُهُ
عَلَّنِيهِ خُوطُ إِسْحَلَةٍ ^(٢)
ذَا وَمُنْغَبِرٍ مَخَارِمُهُ
لَا تَرَى عَيْنُ الْبَصِيرِ بِهِ
خَاضَ بِي لُجَّيْهِ ذُو جَزْرِ

(١) في « ديوان أبي نواس » (ص ٢٧٣) : (عن) بدل (من) ، والغُفْرُ هنا : البعد .

(٢) الإسحلة : شجرة الأراك .

(٣) المخارم : طرق الجبال ، والقطر : الجوانب .

(٤) الأجال : أولاد البقر .

يَكْتَسِي عُثْنُونَهُ زَبَدًا
ثُمَّ يَغْتَمُّ الْحِجَاجُ بِهِ
ثُمَّ تَذُرُّهُ الرِّيحُ كَمَا
كُلُّ حَاجَاتِي تَنَاوَلَهَا
ثُمَّ أَذْنَانِي إِلَى مَلِكٍ
تَأْخُذُ الْأَيْدِي مَظَالِمَهَا
كَيْفَ لَا يُدْزِيكَ مِنْ أَمَلٍ
فَأَسْأَلُ عَنْ نَوْءٍ تُؤَمِّلُهُ
مَلِكٌ قَلَّ الشَّبِيهُ لَهُ
لَا تُغَطِّي عَنْهُ مَكْرَمَةٌ
ذُلَلْتُ تِلْكَ الْفِجَاجُ لَهُ
سَبَقَ التَّفْرِيطُ رَائِدُهُ
وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقًا
رَاحَ فِي ثِنْيِي مُفَاضْتِهِ
تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غُدُوتَهُ
وَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً

فَنُصَيْلَاهُ إِلَى [نُحْرِهِ] ^(١)
كَاعْتِمَامِ الْفُوفِ فِي عَشْرِهِ ^(٢)
طَارَ قَطُنُ النَّذْفِ عَنْ وَتَرِهِ
وَهُوَ لَمْ يَنْقُضْ قُوَى أَشْرِهِ
يَأْمَنُ الْجَانِي لَدَى حُجْرِهِ
ثُمَّ تَسْتَذِرِي إِلَى عَصْرِهِ
مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفْرِهِ
حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطْرِهِ
لَمْ تَقَعْ عَيْنٌ عَلَى خَطْرِهِ
بِرُبِّي وَإِذٍ وَلَا حَمْرِهِ
فَهُوَ مُخْتَارٌ عَلَى بَصْرِهِ
وَكَفَاهُ الْعَيْنُ مِنْ أَثْرِهِ
وَتَرَائِي الْمَوْتُ فِي صُورِهِ
أَسَدًا يَدْمَى شَبَاظْفُرِهِ
ثِقَةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزْرِهِ
لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمْرِهِ

(١) في الأصل : (نحره) .

(٢) الحجاجان : العظمان اللذان ينبت عليهما شعر الحاجب ، والفوف : القشرة الرقيقة على النواة ،
والعُشْر : شجر له ثمر أبيض .

حَذَرَ [الْمَكْنُونِ] مِنْ فِكْرِهِ
وَكَرِيمُ الْجَدِّ مِنْ مُضَرِّهِ
أَخَذَ [الْأَذَابِ] عَنْ غَيْرِهِ

فَهُمْ شَتَّى ظُنُونُهُمْ
وَكَرِيمُ الْخَالِ مِنْ يَمَنِ
قَدْ لَبَسَتْ الدَّهْرَ لِبَسَ فَتَى

وقال كمال الدين ابن النبيه من الرمل ، والقافية من المتراكب (١) :

قَدْ سَقَاهَا الدَّمْعُ حَتَّى رَوَيْتُ
وَعِظَامِ نَاحِلَاتِ بَلِيَّتِ
نَحْوَكُمْ أَعْتَقْنَا قَدْ لُوَيْتُ
بِسَوَى أَنْوَارِكُمْ مَا هُدَيْتُ
جُلِيَّتِ مِرَاةَ عَيْنِ صَدِيَّتِ
سَعِدَتْ أَمَالَ نَفْسِ شَقِيَّتِ
غَنِيَّتِ عَنْ أَنْ تَقُولُوا سُقِيَّتِ
وَرِيَاضُ كَوْجُوهِ جُلِيَّتِ
بِظُبَا الْحَاظِهِ قَدْ غُزِيَّتِ
فَهُوَ كَالْأَضْدَاغِ لَمَّا لُوَيْتُ
مُهْجَةِ الْمُشْتَقِ مَاذَا لَقِيَّتِ
وَأَحَادِيثِ الضَّنَى مَا طُوِيَّتِ
وَأَرَاهَا أَلْيَوْمَ فِيهِ دُهِيَّتِ

إِنَّ عَيْنًا مِنْكُمْ قَدْ ظَمِئَتْ
أَهْ مِنْ وَجْدِ جَدِيدٍ لَمْ يَزَلْ
أَنَا وَالْأَظْعَانُ مِنْ شَوْقٍ مَعَا
أَنْتُمْ الْأَنْجُمُ مَذْغِيْبُتُمْ
سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ لَوْ أَبْصَرْتُكُمْ
إِنْ أَعَادَ اللَّهُ شَمْلِي بِكُمْ
إِنَّ أَرْضًا أَنْتُمْ سُكَّانُهَا
فَوُجُوهُ كَرِيَاضِ أَزْهَرَتْ
بِأَبِي مِنْكُمْ غَزَالٌ مُهْجَتِي
سَاحِرُ الْأَلْحَاطِ أَلْوَى وَعُدَّهُ
بَلْغِيهِ يَا نَسِيمَ الرِّيحِ عَنْ
إِنَّ أَسْرَارَ الْهَوَى مَا نُشِرَتْ
وَلَقَدْ كَانَ لِنَفْسِي جَلْدٌ

(١) انظر «ديوان ابن النبيه» (ص ١٧) .

فَسَقَتْهَا أَدْمُعِي إِنْ رَضِيَتْ
 عِنْدَهَا أَوْطَانُنَا قَدْ نَسِيَتْ
 أَغْمَدَ الْأَسْيَافَ حَتَّى صَدِيَتْ
 وَهَوَ فِي السَّلْمِ جِنَانٌ جُنِيَتْ
 وَلَهُ الْأَرْضُ بِشُكْرِ مُلِيَتْ
 بِأَسَانِيدِ مَدِيحِي رُوِيَتْ
 فَهِيَ ضَرَاتٌ بِهِ قَدْ رَضِيَتْ
 مِنْهُ حَسَنَاتٌ خَفِيَتْ
 وَالرَّعَايَا فِي حِمَاهُ حُمِيَتْ
 صَفْوَةَ الْمَجْدِ الَّتِي قَدْ بَقِيَتْ
 مَعَشَرٌ أَبْصَارُهُمْ قَدْ عَمِيَتْ
 بِمَعَالِيكَ جِرَاحٌ دَمِيَتْ



وقال من الوافر^(١) :

فَمِنْ جَفْنَيْكَ أَسْيَافٌ تُسَلُّ
 وَلِي جَسَدٌ يَذُوبُ وَيَضْمَجُلُ
 وَلَكِنْ دَلٌّ مَنِ أَهْوَى يَدُلُّ
 صَدَقْتُمْ إِنْ ضَيَّقَ الْعَيْنِ بُخْلُ

لِي عُذْرٌ فِي النَّوَى عَنْ أَرْضِكُمْ
 إِنَّمَا مَنبِجُ مُوسَى جَنَّةُ
 مَلِكٌ مُذْ جَرَدَتْ هَيْبَتُهُ
 هُوَ فِي الْهَيْجَاءِ نَارٌ تَلْتَظِي
 لَا يُبَالِي إِنْ خَلَتْ أَكْيَاسُهُ
 خُذْ أَحَادِيثَ عُلَاهُ إِنَّهَا
 قَامَ بِالدُّنْيَا وَبِالْآخِرَى مَعَا
 حَسَنُ الظَّاهِرِ لِلنَّاسِ وَلِلَّهِ
 يَخْضَعُ الْجَبَّارُ مِنْ هَيْبَتِهِ
 يَا مَلِيكَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَيَا
 وَيْحَ أَعْدَائِكَ بَلْ وَيْلٌ لَهُمْ
 كُلُّ يَوْمٍ لَكَ فِي أَكْبَادِهِمْ

أَمَاناً أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُطِلُّ
 يَزِيدُ جَمَالَ وَجْهَكَ كُلَّ يَوْمٍ
 وَمَا عَرَفَ السَّقَامُ طَرِيقَ جِسْمِي
 يَمِيلُ بِطَرْفِهِ التُّرْكِي عَنِّي

(١) انظر «ديوان ابن النبية» (ص ٣٥).

إِذَا نُشِرَتْ ذَوَائِبُهُ عَلَيْهِ
 وَقَدْ يَهْدِي صَبَاحُ الْخَدِّ قَوْمًا
 أَيَا مَلِكِ الْقُلُوبِ فَتَكَتَ فِيهَا
 قَلِيلُ الْوَصْلِ يَنْفَعُهَا فَإِنْ لَمْ
 أَدِرْ كَأْسَ الْمُدَامِ عَلَى النَّدَامَى
 فَنِيرَانِي بِغَيْرِكَ لَيْسَ تُطْفَأُ
 بِمَنْظَرِكَ الْبَدِيعِ تُدَلُّ تَيْهًا
 أَبُو الْفَتْحِ الْكَرِيمُ الْطَّلُقُ مُوسَى
 بِهِ أَضَحَّتْ فِجَاجُ الْأَرْضِ خِضْبًا
 أَعْرُ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْهُ
 وَيَمْلَأُ غَيْرُهُ كَيْسًا فَكَيْسًا
 وَقَالُوا حِفْظُ هَذَا الْمَالِ عَقْلٌ
 فَلَيْسَ يَذُمَّهُ إِلَّا مَطَايَا
 تُمَلِّكُهُ الْبِلَادَ قَنَاءً وَجُرْدًا
 إِذَا أَنْبَثَتْ عَسَاكِرُهُ اتِّسَاعًا
 بَوَارِقُهَا لِعَيْنِ الْأَفُقِ دَاءً
 لِمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ فِيهِ رَأْيٌ
 تَأْمَلُ فِي الْكِنَانَةِ مِنْهُ سَهْمًا

تَرَى مَاءً يَرِفُّ عَلَيْهِ ظِلُّ
 بَلِيلِ الشَّعْرِ قَدْ تَاهُوا وَضَلُّوا
 وَفَتَكَتَ فِي الرَّعِيَّةِ لَا يَحِلُّ
 يُصِبُّهَا وَابِلٌ مِنْهُ فَطَلُّ
 فَمِنْ خَدَّيْكَ لِي رَاحٌ وَنُقْلٌ
 وَأَحْزَانِي بِغَيْرِكَ لَا تُبَلُّ
 وَلِي مَلِكٌ بِدَوْلَتِهِ أَدَلُّ
 فَتَى يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيَسْتَقِلُّ
 فَمَا لِلْمَحَلِّ فِي بَلَدٍ مَحَلُّ
 سَلِيمَانَ وَأَهْلُ الْأَرْضِ نَمَلٌ
 وَمِلءُ زَمَانِهِ كَرَمٌ وَعَدْلٌ
 فَقُلْتَ نَعَمْ وَبَعْضُ الْعَقْلِ جَهْلٌ
 إِلَى أَبْوَابِهِ تُطَوَّى وَسُبُلٌ
 وَبُثْرٌ مَنْ يُطَاوِلُهَا يَذَلُّ
 تَضَائِقَ دُونَهَا حَزَنٌ وَسَهْلٌ
 وَعَثِيرُهَا لِعَيْنِ الشَّمْسِ كُحْلٌ^(١)
 حَدِيدٌ لَا يُقَلُّ وَلَا يُقَلُّ
 سَدِيدًا لَا يَطِيشُ وَلَا يَزَلُّ

(١) العشير : الشراب .

وَرَوَاهُ الْحَدِيثُ وَذَلِكَ فَضْلُ
وَدَامَ فَإِنَّهُ لِلْخَيْرِ أَهْلُ

فَهَيَّأَهُ وَأَرْسَلَهُ أَخْتِصَاصاً
فَدَامَتْ هَلْدِهِ النُّعْمَى عَلَيْهِ



وقال من المتقارب^(١) :

وَسَلِّ فَوَادَكَ عَنْ كُلِّ ذَاهِبٍ
فِي صُفْرِ التَّرَائِبِ سُودِ الدَّوَائِبِ
بِشَعْرِ الْحَبَابِ ثَنَائِيَا الْحَبَائِبِ
تَبْلُ الصَّدَى بِصَدَاهَا الْمُجَاوِبِ
وَكَمْ فِي جُنُونِ الْهَوَى مِنْ عَجَائِبِ
لَمَّا عَلَّلْتِكَ الْأَمَانِي الْكَوَائِبِ
تَرَى الْمَاءَ يَجْمُدُ [وَالْخَمْرَ] ذَائِبِ
وَمَفْرُقَهَا أَشْمَطُ اللَّوْنِ شَائِبِ
مِنَ الدَّنِّ كَالْمُحْصَنَاتِ الْكَوَاعِبِ
جَوَاهِرُ قَدْ كُتِلَتْ فِي عَصَائِبِ
سِ أَنْ السُّجُودَ إِلَى النَّارِ وَاجِبِ
زَوَاجِ ابْنَةِ الْكَرْمِ بِأَبْنِ السَّحَائِبِ
وَمِنْ وَشِي زَهْرِ الرَّبِيعِ الْمَرَاتِبِ
وَأَزْهَارُهَا مِثْلُ زَهْرِ الْكَوَائِبِ

دَعِ النَّوْحَ خَلْفَ حُدُوجِ الرِّكَائِبِ
بِبَيْضِ السَّوَالِفِ حُمْرِ الْمَرَّاشِ
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا إِذَا مَا نَظَّمْتَ
أَحَاشِيكَ مِنْ وَقْفَةٍ بِالطُّلُولِ
تُكَلِّفُ صُمَّ الْحِجَارِ الْكَلَامِ
وَلَوْ كُنْتَ تَشْكُو الْهَوَى صَادِقاً
تَأْمَلِ كُؤُوسَ عَتِيقِ الرَّحِيقِ
لَهَا فِي الرُّجَاجَةِ رَقْصُ الشَّبَابِ
وَتَزْعُدُ غَيْظاً إِذَا أُبْرِزَتْ
كَأَنَّ الْحَبَابَ عَلَى رَأْسِهَا
لِحُمْرَتِهَا صَحَّ عِنْدَ الْمَجُوبِ
شَهْدَنَا وَمُطْرِبُنَا خَاطِبِ
فَمِنْ قَطْرَاتِ الرَّدَاذِ النَّشَارِ
رِيَاضُ كَخُضْرَةِ جَبْوِ السَّمَاءِ

(١) انظر «ديوان ابن النبيه» (ص ٢٣) .

فَلِلْوَحْشِ سِرْبٌ بِقِيَعَانِهَا
بَرَزْنَا إِلَى اللَّهْوِ فِي حَلْبَةٍ
بَنَادِقُهُمْ فِي عُيُونِ الْقِسِيِّ
فَتِلْكَ لَهَا طَائِرٌ فِي السَّمَاءِ
وَحَلَّتْ سَوَابِقُ شُهْبٍ خَوَاطِ
بُرَاةٌ لَهَا حَدَقُ الْأَفْعُوَانِ
فَلِلْأَفْقِ نَسْرَانِ ذَا وَقِعٍ
وَأَطْلَقَ كَلَابُنَا ضَارِيَا
تَطِيرُ بِهِ أَرْبَعٌ كَالرِّيَّاحِ
وَيَضْرِبُ فِي لَيْلٍ جِلْبَابِهِ
وَعُدْنَا نَجْرٌ دُيُولَ الشُّرُو
كَمَا أَبْتَهَجَتْ مِنْ سُرُورٍ خِلَاطُ
مَلِيكَ إِذَا سَارَ بَيْنَ الشُّيُوفِ
وَتَزَارُ مِنْ تَحْتِ ذَلِكَ الرِّكَابِ
فَتِلْكَ اللَّهَازِمُ زَهْرُ النُّجُومِ
بَدَا فَهَوَتْ فِي الثُّرَابِ الثُّغُورُ
يُنَادُونَهُ بِأَخْتِلَافِ اللُّغَاتِ
يُخِيفُهُمْ بِأَسِّ بَرْقِ الْحَدِيدِ
تَوْمُ الْجَوَارِحِ أَعْلَامُهُ

وَلِلطَّيْرِ فِي جَوْهَا سَطْرٌ كَاتِبٌ
حَسَانِ الْوُجُوهِ خِفَافِ الْمَرَاجِبِ
كَأَحْدَاقِهِمْ فِي قِسِيِّ الْحَوَاجِبِ
وَهَلْذِي لَهَا طَائِرُ الْقَلْبِ وَاجِبِ
فَ حُجْنُ الْمَنَاسِرِ حُوُّ الْمَخَالِبِ
وَأَظْفَارُهَا كَحُمَاةِ الْعَقَارِبِ
وَذَا طَائِرٌ حَذَرَ الْمَوْتِ هَارِبِ
يُبَارِي هُبُوبَ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
وَيَفْتَرُّ عَنِ مُزَهَفَاتِ قَوَاضِبِ
شُعَاعِ شِهَابٍ مِنَ الْعَيْنِ ثَاقِبِ
رِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ مِلْءُ الْحَقَائِبِ
وَقَدْ جَاءَ مُوسَى يَجْرُ الْمَوَاكِبِ
تَرَى الْبَدْرَ بَيْنَ اشْتِبَاكِ الْكَوَاكِبِ
أَسْوَدٌ لَهَا مِنْ ظُبَاهَا مَخَالِبِ
وَمُعْتَكِرُ النَّقْعِ جُنْحُ الْغِيَاهِبِ
كَمَا أَنْتَظَمَ الدُّرَّ فَوْقَ التَّرَائِبِ
كَتَلْبِيَةِ الْحَجِّ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَيُطْمِعُهُمْ سَحٌّ سَحْبِ الْمَوَاهِبِ
تَرُوحُ بِطَانَاً وَتَغْدُو سَوَاغِبِ

فَكَمْ عُضْبَةٍ تَحْتَ تِلْكَ الْعَصَائِبِ
 مَا لَ مَشَارِقِهَا وَالْمَغَارِبِ
 وَمَا كَانَ لِلرُّومِ مِنْهَا يُقَارِبِ
 وَصَخْرِ الْمَجَانِيقِ فِيهَا ضَوَارِبِ
 إِلَيْهَا يَجْرُ ذُبُولَ الْكَتَائِبِ
 وَمَا حَلِيئُهُ غَيْرَ بِيضِ الْقَوَاضِبِ
 وَنَارِ الدُّخَانِ كَجُنْحِ الْغِيَاهِبِ
 وَلَكِنَّ حِزْبَكَ بِاللهِ غَالِبِ
 يُقَاتِلُ بِالْكَتِبِ قَبْلَ الْكَتَائِبِ
 بِأَوْلَى بِهِ مِنْ سُرُوجِ السَّلَاهِبِ



كَأَنَّ الصَّنَاجِقَ أَوْكَازَهَا
 أَيَا مَلِكِ الْأَرْضِ حَقًّا إِلَيْكَ
 سَتَفْتَحُ قَسْطِيْنَةً عُنُوَّةً
 كَأَنِّي بِأَبْرَاجِهَا قَدْ هَوْتُ
 وَقَدْ زَحَفَ الْبُرْجُ زَحَفَ الْعُرُوسِ
 وَمَا لُبْسُهُ غَيْرَ نَسِجِ الْحَدِيدِ
 وَأُضْرِمَتِ النَّارُ حَشْوَ النُّقُوبِ
 وَلَيْسَ الْكَهَانَةُ مِنْ شِيَمَتِي
 لَكَ اللهُ مِنْ قَائِلِ قَاتِلِ
 فَمَا مَجْلِسُ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقَضَاءِ

وقال زهيرٌ مِنَ الْمُجْتَبِ (١) :

فَإِنِّي لَكَ وَخَدَكَ
 فَإِنَّ كُفْلِي عِنْدَكَ
 لَا خَيِّبَ اللهُ قَسْطَكَ
 وَلَسْتُ أُوثِرُ بُعْدَكَ
 وَاللهِ لَمْ أَنَسْ عَهْدَكَ
 مَا زَالَ يَخْفِظُ وَدَّكَ

مَوْلَايَ كُنْ لِي وَخَدِي
 وَكُنْ بِقَلْبِكَ عِنْدِي
 لِي فِيكَ قَسْطٌ جَمِيلٌ
 حَاشَاكَ تُؤْتِرُ بُعْدِي
 إِنْ تَنَسَّ عَهْدِي فَإِنِّي
 أَضَعْتُ وَدَّ مُجِيبِ

(١) انظر «ديوان البهاء زهير» (ص ٨٦) .

مَا لِي عَلَيْكَ أُعْتِرَاضٌ أَدَبٌ كَمَا شِئْتَ عَبْدُكَ
مَوْلَايَ إِنْ غَبَّتْ عَنِّي وَ أَسُوءَ حَالِي بَعْدَكَ

وأوزان هذه القصائد على تفاوتها في كثرة الاستعمال . . هي الأكثر استعمالاً ، وبقية قليل ، تقرأ الديوان الكبير فلا تجد منها بيتاً .

هذا ؛ ولم يزل الناس مقتصرين على الأوزان العربية حتى مضى صدر من الإسلام ، ثم تكلم الناس بعد بكلام موزون ، مُعَرَّبٍ وملحون ، موافق للأوزان العربية وغير موافق ، ونوعوه إلى ستة أنواع أضافوها للشعر ، وسموها : الفنون السبعة ، وعملوا فيها رسائل ، وعرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون بالأوزان العربية الذي لا يجوز فيه اللحن المُقْفَى .



الفنُّ الثاني الموالي

وأوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بهذا النوعِ بعضُ أتباعِ البرامكةِ بعدَ ما حصلَ لَهُم ،
فكانوا يَنوحونَ عَلَيْهِم بِهِ ، ويكثرونَ مِنْ قَوْلِهِم : يا موالِي ، فصَارَ يُعْرَفُ بهذا
الاسمِ ، وهو مشهورٌ ، فلا حاجةَ لتمثِيلِهِ .



الفنُّ الثالثُ فنُّ التوشيحِ

وغالبُ ما كانَ منه مُعَرَّبٌ ، وهوَ مختلفُ الأوزانِ والأوضاعِ .

والسببُ في ذلكَ : أنَّ تأليفَ التوشيحِ كانَ لغرضِ تطبيقِ ألفاظِ على مؤلِّفاتٍ مِنَ الأصواتِ بمقتضىِ صناعةِ المُوسيقا ، فكانَ أهلُ تلكَ الصِّناعةِ يُؤلِّفونَ مِنَ الأصواتِ التي تخرجُها الصُّرَباتُ على الأوتارِ المختلفةِ مثلاً مؤلِّفاً يناسبُ أن تُقابلَ الأصواتُ المُندرِجَةُ فيه بحروفٍ مُتحرِّكةٍ أو ساكنةٍ ، فكانَ مؤلِّفُ التوشيحِ تابِعاً لِمَا تقتضيه تلكَ الأصواتُ ؛ فتارةً توافقُ الأوزانَ العربيَّةَ ، وتارةً تخالفُها .

وقد ذُكِرَ كثيرٌ مِنَ التوشيحِ في كثيرٍ مِنَ الكتبِ الأديبيَّةِ ؛ مثلُ كتابِ « نفتح الطيبِ » ، و« سفينةِ الشيخِ محمدِ شهابٍ » رحمَةُ اللهُ تعالى .

ومنَ أَلطَفِها : توشيحُ القاضيِ هبةِ اللهِ المشهورِ بابنِ سناءِ المُلِكِ ، فلا بأسَ بإيرادهِ مثلاً لهذا النوعِ ؛ وهوَ^(١) :

كَلِّلي * يا سَحْبُ تِيجانِ الرُّبَيِّ بِالْحَلِلي وَأَجعَلِلي * سِوارِكَ مُنَعَطَفَ الْجَدَوِلي

دورٌ

يا سَمّا * فيكَ وفي الأَرْضِ نُجُومٌ وَما

كُلِّمّا * أَغرَبتِ نَجْمًا أَشْرَقَتِ أَنْجَمّا

وهي ما * تَهْطِلُ إِلا بِالطَّلِلي وَالِدَمّا

(١) انظر « المستطرف » (١٥٢/٣) .

قفله

فَاهْطِئِي * عَلَى فُطُوفِ الْكُرْمِ كَيْ تَمْتَلِي وَأَنْقَلِي * لِلدَّنِّ طَعْمَ الشَّهْدِ وَالْفُوفِئِ

دور

تَتَقَدُّ * كَالْكَوْكَبِ الدَّرِّيِّ لِلْمُرْتَصِدِّ

يَعْتَقِدُّ * فِيهَا الْمَجُوسِيُّ بِمَا يَعْتَقِدُّ

فَاتَّعِدُّ * يَا سَاقِي الرَّاحِ بِهَا وَأَعْتَمِدُّ

قفله

وَأْمَلِ لِي * حَتَّى تَرَانِي عَنكَ فِي مَعَزِلِ قَلِيلِ * فَالرَّاحُ كَالْعِشْقِ أَنْ يَزِدَّ يَقْتُلِ

دور

مَنْ ظَلَمَ * فِي دَوْلَةِ الْحُسْنِ إِذَا مَا حَكَمَ

فَالسَّدَمُ^(١) * يَجُولُ فِي بَاطِنِهِ وَالنَّدَمُ

وَالْقَلَمُ * يَكْتُبُ مَا سَطَرَ فَوْقَ الْقِمَمِ

قفله

مَنْ وَلِيَ * فِي دَوْلَةِ الْحُسْنِ وَلَمْ يَعْدِلِ يُعْزَلِ * إِلَّا لِحَاطِ الرِّشَاءِ الْأَكْحَلِ

دور

لَا أَرِيْمُ^(٢) * عَنْ شُرْبِ صَهْبَاءَ وَعَنْ عِشْقِ رِيْمِ

(١) السدم : الهمم ، أو هو مع الندم ، أو غيظ مع حزن .

(٢) الرِّيم : التباعد .

فَالنَّعِيمِ * عَيْشٌ جَدِيدٌ وَمُدَامَ قَدِيمِ
لَا أَهِيمَ * إِلَّا بِهَلْدَيْنِ فَقُمْ يَا نَدِيمِ

قفله

وَأَنْهَلِ * مِنْ أَكْؤُسِ صُؤْرِنَ مِنْ صَنْدَلِ أَفْضَلِ * مِنْ نَكْهَةِ الْعَنْبَرِ وَالْمَنْدَلِ

دور

هَلْ يَعُودُ * عَيْشٌ قَطَعْنَاهُ بِوَادِي زُرُودِ
وَالْجُنُودِ * فِي حَضْرَتِي تَضْرِبُ جَنْكاً وَعُودِ
وَالْحَسُودِ * فِي مَعْرِلِ عَنَا غَدَاً لَا يَسُودِ

قفله

عُدْلِي * لَا تَعْدِلُونِي فَالْهُوَى لَدَّ لِي مَا الْخَلِي * فِي الْحَبِّ مِثْلُ الْعَاشِقِ الْمُبْتَلِي

دور

أَسْفَرْتُ * لَيْلَتَنَا بِالْأَنْسِ مُذْ أَقْمَرْتُ
بَشَّرْتُ * بِمِلْتَقَى الْمَحْبُوبِ وَأَسْتَبَشَّرْتُ
شَمَّرْتُ * فَقُلْتُ لِلظُّلْمَاءِ مُذْ قَصَّرْتُ

قفله

طَوَّلِي * يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَلَا تَنْجَلِي وَأَسْبَلِي * سِتْرَكَ فَالْمَحْبُوبُ فِي مَنْزِلِي

دور المديح

يَا نَسِيمِ * بَلِّغْ سَلَامَ الْمُسْتَهَامِ السَّقِيمِ

لِكْرِيمِ * طَهَ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ الْعَظِيمِ

عَنْ أَيْمَنٍ * وَجَدِي بِهِ حَدِيثٌ وَشَوْقِي الْقَدِيمِ

قَفْلُهُ

لَيْسَ لِي * مِنْ مَلْجَأٍ سِوَى الْحَمَى الْأَفْضَلِ الْجَلِيِّ * وَآلِهِ أَوْلِيَ الْجَنَابِ الْعَلِيِّ



الفنُّ الرابعُ فنُّ الدُّوبيتِ

وهذا الاسمُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ : فارسيَّةٌ ؛ وهي (دو) بمعنى اثْنَيْنِ ، وعربيَّةٌ ؛ وهي (بيتٌ) أحدُ أبياتِ الشعرِ ، وبه سُمِّيَ هذا النوعُ ؛ لكونِه يُنظَّمُ بيْتَيْنِ بيْتَيْنِ ، يتصوَّرُ الناظِمُ معنَى وَيُسَكِّنُهُ فيهما .

وهو مشهورٌ عندَ العجمِ بالرباعيِّ ، ولبعضِ شعرائهم اختصاصٌ بشهرةِ إجادَةِ الرباعيَّاتِ .

وأجزاؤهُ : (فَعْلُنُ) بسكونِ ثانيه ، (مُتَفَاعِلُنُ) وتارةً يُعَيَّرُ إلى (مُتَفَاعِيلُ) بتقديمِ ساكنِ الوجدِ على مُتَحَرِّكِه الثاني ، (فَعُولُنُ فَعِلُنُ) بتحريكِ ثانيه ، ومثالهُ : قولُ بعضهم :

أَهْوَى رَشَاءً حَوَى مِنْ أَحْسَنِ فُنُونِ عَيْنَاهُ تَقُولُ لِلْهَوَى كُنْ فَيَكُونُ
غَنَى فَتَمَايَلِ النَّدَامَى طَرَباً لَا شَكَّ هُوَ النَّسِيمُ وَالْقَوْمُ غُصُونُ
وقولُ سيدي عمرَ بنِ الفارصِ^(١) :

أَهْوَى رَشَاءً رُشِيْقُ الْقَدِّ حَلِي قَدْ سَلَطَهُ الْغَرَامُ وَالْوَجْدُ عَلَيَّ
إِنْ قُلْتُ خُذِ الرُّوحَ يَقُلْ وَاعْجَبَا الرُّوحُ لَنَا فَهَاتِ مِنْ عِنْدِكَ شَيْ



(١) انظر «ديوان ابن الفارض» (ص ١٩٣) .

الفنُّ الخامسُ الرَّجَلُ

ويُقالُ : إنَّ أوَّلَ مَنْ تكلَّمَ بهِ صبيُّ مغربيٍّ يُقالُ لهُ : ابنُ قزمانَ ؛ وذلكَ أنَّه
وهو في المكتبِ عشقَ بعضَ صبيانهِ ، فرُفِعَ أمرُه للمؤدِّبِ ، فزجرهُ ومنعهُ من
مجالسةِ حبيبهِ ، فكتبَ في لوحِه قولهُ هذا :

الملاح ولاد أماره ولوحاش ولاد نصاره
وابن قزمان جا يغفر ما قبلولشيخ غفاره
فاطلع عليه المؤدِّبُ ، فقالَ : قد هجوتنا بكلامٍ مجزولٍ ، فيقالُ : إنَّه سُمِّيَ
رَجَلًا مِنْ هذهِ الكلمةِ ، ثمَّ صارَ ابنُ قزمانَ هذا شيخَ صناعةِ هذا الفنِّ .

وهو فنُّ العامَّةِ الذين لا يعرفونَ الإعرابَ ، فأذكياءُهم ينظِّمونَه بلغتهمِ ،
وأوزانُه كثيرةٌ جدًّا ، حتَّى إنَّ أهلَه يقولونَ : صاحبُ ألفِ وزنٍ ليسَ برَجَلٍ ،
ويُسَمُّونَ ما يناظرُ القصيدةَ منهُ : حملًا .
ومن ظريفه حملُ ابنِ الفحَّامِ ؛ وهو :

مطلعٌ ودائرةٌ

في بحر عشقك ولغرام لغريم كم من هلك يا من حلا منهلك
ون كان عدولي شبَّهك بالهلال يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في البحرِ

في بحر عشقك زد شجوني شجن من مدمعي بحر لجوى قد وفى

وزد على أعلى لفسيح ما خفى
بالوجد ولبلبال وطل واكتفى
وصرت غارق في لجاج لهلك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

أضحى بغير مقيس تجنى لجنون
وصبح منادي لشوق عليا سأل
ونبت أشجاني لعبو هواك
ون كن عدولي شبّهك بالهلال

دورٌ في القمرِ

لبدر حسنك ولقوام لشريق
بطلعة لبدر لمنير لشريق
فرقت عنو يا غزال لفريق
منك وأطرق في ظلام لحلك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

من ين يكون يا بهجة لعاشقين
ومين يشبه طلعتك في لكمال
ومين يقس فرقك بفرقوا إذا
إن شافك لبدر ستحى وختفى
ون كن عدولي شبّهك بالهلال

دورٌ في تشبيه الخالِ

نقطه من لعنبر على لح نضار
أو عبد زنجي يحرس لجلنار
رام السجود لما رأى لخد نار
يظهر سود عن كل من أم لك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

خالك بخدك جل من قد صنع
أو صفر كاتب في صحيفة عقيق
أو هو مجوسي من كبار لمجوس
في ما صفا لن خدك لعندمي
ون كن عدولي شبّهك بالهلال

دورٌ في اللحاظِ

خالك وهو رب لجمال لعظيم

لما علا عرش الخديد ستوى

لسبل عشقك ولغرام لغريم
نادت وقلبي بالمحبة كلیم
هأنت ساحر ولهوى أرسلك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

أرسل نذير للخط يدع لقلوب
وسن هجرک ولجفا افرضه
آمنت بالله يا نذير للحاظ
ون كن عدولي شبَّهك بالهلال

دورٌ في الثغرِ

عن عارضك عن خالك لعنبري
عن مبسمك عن ريقك لسكري
وصح أسند ثغرك لجوهري
يروه نذير للحظ عن سلسلك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

لنا روى خدك صحيح لخبر
عن نكهة لرق عن رحيق للما
بأن في رشفو حياة لنفوس
فكيف تعجب من صحيح لخبر
ون كن عدولي شبَّهك بالهلال

دورٌ في العذارِ

ولعارض للام حترمت لمنام
عارض ولم في حب عارض ولام
ولا رثى في الحب نادت سلام
كم صب من جور العوارض هلك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

وحن علينا جر عذار لدقيق
جاني عدل جاهل قليل لأدب
لما رأيته ما قبل معذره
يا لائمي في عارضن عارضين
ون كن عدولي شبَّهك بالهلال

دورٌ في جمعِ أوصافِ الجمالِ

يا بدر مشرق في سماء لجمال

يا ظبي راتع في رياض لحشا

يا غصن في روض لبها مس ومال
يا مفرد لحسن لحسن ولدلال
بحق من بالحسن قد كملك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

يا شمس في برج لحمل أشرقت
يا جامع وصاف لجمال لجميل
يا عن حياتي كن طبيب لكئيب
ون كن عدولي شبَّهك بالهلال

دورٌ

من علم الظبي لنفور لنفار
ولترا ذا لح في دجى الاعتكار
إيش هو لسبب فه أو لإيش ستعار
نورك وذل لسحر من عزلك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

هل تدر بالله يا فريد لجمال
أو من أعار البدر حسن السننا
وسحرها روت لبديع لحلال
شاف لغزل حسنك وشاف لقمر
ون كن عدولي شبَّهك بالهلال

دورٌ في قصّة سيدنا يوسفَ

حسنك وشكلك ولجمال لجميل
وللحظ والطرف لغضيض لكحيل
أكبد ولا بالقطع يشفي لغليل
وهم يقولوا دا ملك أو ملك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

نسا زليخا لو رأوا يا عزيز
وطابع لحسن لحسن ولدلال
لقطعوا منهم بدال لكفوف
وتخرس لألسن إذا ما رأوك
ون كن عدولي شبَّهك بالهلال

دورٌ في جهاتِ الحجازِ

بحسن نر وجناتك الأبرقين

بالله يا ريم لنقا ولعذيب

علي أفز يا بدر بالشفوتين
تروي دموع لسفح من كل عين
ريقتك شفا يا سعد من قبلك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

جد بالشفأ واسمح بلثم لشفأ
وكن مفرح من صبا منحني
يا كعبة لعشاق ومروي لصفأ
ون كن عذولي شبّهك بالهلال

دورُ المديح

يا منتهى للعلم يا مبتدئ
يا سر عين لغيب لمن اهتدي
وخالقك قد أرسلك للهدئ
أدنك وبالخلق لحسن كملك
يا بدر من لا يعرفك يجهلك

يا فاتح لخر يا ختام الرسل
يا مصطفى أنت لصراط لقويم
هأنت باب لله حياة لنفوس
وليلة الإسرا كما أرخوا
ون كن عذولي شبّهك بالهلال



الفنُّ السادسُ والسابعُ فنُّ كانَ وكانَ ، وفنُّ [القوما]

وهما كما قال أصحابُ هذهِ الفنونِ : فرعانِ مِنَ الرَّجَلِ ، وإنَّما أفردُوهُما
نوعينِ بسببِ تغيّراتِ لا تكونُ في الرَّجَلِ ؛ مثالُ الأوَّلِ :

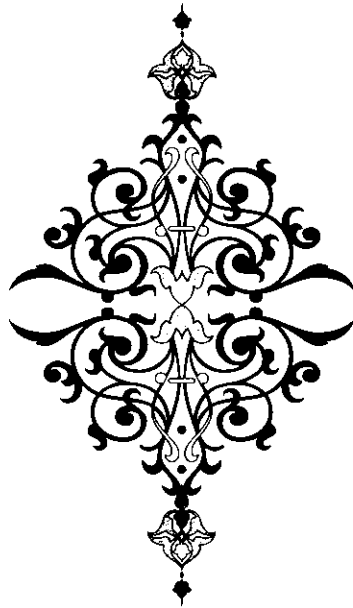
يا رايحن لزيكيه بالله خدوني معكم
ايك أرى باب لهوى وشاهد الأعمار

ومثالُ الثاني :

يا رب يا ستار لا تكشف الأستار
وغفر لعبدك ذنوبه إنك كريم غفار



تمّ المجلد الثاني
ويليه المجلد الثالث
وأوله: (المقصد الرابع في الكتابة، وقرض الشعر، والإنشاء)



محتوى المجلد الثاني

- ٧ المقصد الثالث : في فنون البلاغة
٩ - توطئة في تاريخ تدوين فنون البلاغة

الفئة الأول علم البيان

- ١١
١٣ - مدخل إلى علم البيان
١٣ - الدلالة الوضعية اللفظية ثلاثة أقسام
١٥ • الكلام على المجاز
١٦ - علاقات المجاز عشرون
١٦ - بعض فوائد المجاز
٢١ • القول في الاستعارة
٢١ - أقسام الاستعارة
٢٨ - أمثلة من التشبيه الرائقة
٣٠ - أنموذج من اختلاف الشعراء في تشبيه الثريا
٣٧ - من أنواع التشبيه
٤١ - من شواهد التشبيه
٤٤ - من أمثلة الاستعارة

- ٥٠ - أمثلة للاستعارة من أشعار البلغاء
- ٦٠ • القول في الكناية
- ٦٠ - أقسام الكناية باعتبار المكني عنه
- ٦٠ - الكناية عن صفة
- ٦١ - الكناية عن نسبة
- ٦٢ - الكناية عن موصوف
- ٦٢ - أقسام الكناية باعتبار الوسائط واللوازم
- ٦٣ - التعريض وأنواعه
- ٦٣ - إجمال ما سبق وتلخيصه

الفن الثاني علم المعاني

- ٦٧
- ٦٩ - موضوع علم المعاني
- ٦٩ - تعريف الفصاحة والبلاغة
- ٧٣ الباب الأول : باب الجملة وأجزائها
- ٧٣ • الجملة الخبرية
- ٧٣ - أضرب الخبر
- ٧٤ - مؤكدات الخبر
- ٧٤ - كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب
- ٧٥ - أغراض بناء الفعل للمفعول

- ٧٧ • الجملة الشرطية
- ٧٨ - الذكر
- ٧٨ - الحذف
- ٨١ - التقديم
- ٨٤ - التعريف
- ٨٩ - التنكير
- ٩٠ - التقييد
- ٩١ - القصر
- ٩٢ • الجمل الإنشائية
- ٩٣ - إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر
- ٩٦ - الأسلوب الحكيم وقصة سيدنا خالد مع حكيم الحيرة
- ٩٨ - القلب نوع من خلاف الظاهر
- * * *
- ١٠٠ الباب الثاني : باب الجملتين فأكثر
- ١٠٠ - الفصل والوصل
- ١٠١ • مواضع فصل الجمل
- ١٠١ - الموضوع الأول : الجمل المتباينة بالخبرية والإنشائية معنًى
- ١٠٢ - الموضوع الثاني : الجمل التي فقدت المناسبة بينها
- الموضوع الثالث : جملة سبقتها جملتان أولاهما صالحة للعطف
عليها والثانية في العطف عليها فساد
- ١٠٤

- ١٠٥ - الموضوع الرابع : الجمل المتحددة مقصوداً
- ١٠٦ - الموضوع الخامس : جملة يجاب بها عن سؤال ينشأ من جملة سابقة
- ١٠٨ • الوصل
- ١٠٩ - إتقان مواضع الفصل والوصل
- ١١١ - من محاسن الواو ومزيتها

الباب الثالث : فيما يتعلّق بالجملة وجزئها والجمل وهو الإيجاز

- ١١٣ والإطناب والمساواة
- ١١٣ - حد المساواة والإيجاز والإطناب
- ١١٥ - أنواع الإيجاز
- ١١٧ - دواعي الإيجاز

الفئة الثالث

فنّ البديع

- ١١٩
- ١٢١ - تمهيد في ترتيب الفنون
- ١٢٣ • حسن الابتداء
- ١٢٣ - براعة الاستهلال
- ١٢٨ • الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس
- ١٣٠ - أنواع الجناس
- ١٣٠ - الجناس التام

- ١٣١ - الجناس المطلق
- ١٣١ - الجناس المذئب والجناس المطرف
- ١٣٢ - الجناس المضارع والجناس اللاحق
- ١٣٢ - الجناس اللفظي
- ١٣٣ - الجناس المحرف
- ١٣٣ - الجناس المصحف
- ١٣٣ - الجناس المركب والجناس الملفق
- ١٣٤ - جناس القلب
- ١٣٤ - الجناس المعنوي
- ١٣٧ • الاستطراد
- ١٣٧ - أصل معنى الاستطراد
- ١٣٩ • المقابلة
- ١٤١ • الاستخدام
- ١٤١ - نوع آخر من الاستخدام
- ١٤٣ • الافتنان
- ١٤٣ - تعزية وتهنئة
- ١٤٥ • اللف والنشر
- ١٤٦ - أمثلة من محاسن الأدب
- ١٤٨ • الاستدراك
- ١٤٩ • الإبهام

- ١٤٩ - فطنة ابن الجوزي رحمه الله
- ١٥٠ • المطابقة
- ١٥١ • إرسال المثل والكلام الجامع
- ١٥٢ - أمثال من القرآن الكريم
- ١٥٩ - أمثال من الحديث الشريف
- ١٦٠ - أمثال من كلام سيدنا علي كرم الله وجهه
- ١٦١ - أمثال شعر المتنبي
- ١٨٨ - أمثال لشعراء آخرين
- ١٩٣ • التخيير
- ١٩٤ • النزاهة
- ١٩٤ - أقسام الهجاء
- ١٩٦ • التهكم والهزل الذي يراد به الجحد
- ١٩٨ • القول بالموجب
- ١٩٨ - أنواعه
- ١٩٩ - الأسلوب الحكيم
- ٢٠٠ • التسليم
- ٢٠١ • الاقتباس
- ٢٠١ - أمثلة من الاقتباس الحسن
- ٢٠٣ - الاقتباس من الحديث الشريف
- ٢٠٦ • المواربة

- ٢٠٦ - قصة أبي المنهال مع عبد الملك
- ٢٠٦ - القاضي وقاضي القضاة والأترجة
- ٢٠٧ - المواربة بغير التصحيف والتحريف
- ٢٠٩ • التفويف
- ٢١٠ • المراجعة
- ٢١١ • المناقضة
- ٢١٢ • المغايرة
- ٢١٢ - من أدب الخليل وهو غلام
- ٢١٢ - غيلان ونهر الكوفة
- ٢١٣ - المغايرة في الهلال لبعض الظرفاء
- ٢١٣ - المغايرة في الشعر
- ٢١٦ • التوشيح
- ٢١٧ • التذييل
- ٢١٧ - أقسام التذييل
- ٢١٨ - التكميل من ضروب الإطناب
- ٢١٨ - الإيغال
- ٢٢٠ • تشابه الأطراف
- ٢٢١ • التتميم
- ٢٢٢ • الهجو في معرض المدح
- ٢٢٤ • الاكتفاء

- ٢٢٥ الاحتباك •
- ٢٢٦ اتصال النتائج •
- ٢٢٧ ردُّ العجز على الصدر •
- ٢٢٨ الاستثناء •
- ٢٢٩ مراعاة النظرير •
- ٢٣٠ التوجيه •
- ٢٣١ التمثيل •
- ٢٣٢ القسم •
- ٢٣٢ - قصيدتان مشتملتان على القسم •
- ٢٣٩ حسن التخلص •
- ٢٤٠ - استحسان حسن التخلص •
- ٢٤٢ الاطراد •
- ٢٤٤ العكس •
- ٢٤٤ - العكس الاتفاقي •
- ٢٤٥ الترديد •
- ٢٤٦ المناسبة •
- ٢٤٧ الجمع •
- ٢٤٨ الانسجام •
- ٢٤٩ - ذكر أمثلة من الانسجام •
- ٢٥١ - من عيون شعر الفرزدق في مدح سيدنا زين العابدين •

- ٢٥٢ - قصيدة لكثير عزة من هذا الباب
- ٢٥٤ - أمثلة أخرى للانسجام
- ٢٦٥ • ائتلاف المعنى مع المعنى
- ٢٦٦ - بين المتنبى وسيف الدولة
- ٢٦٨ • المبالغة ويقال : التبليغ
- ٢٦٨ - المبالغة والإغراق والغلو
- ٢٧١ • التفريق
- ٢٧٢ • التلميح
- ٢٧٢ - أهل بدر اعملوا ما شئتم
- ٢٧٣ - التلميح بين المحاربي والهلاكي
- ٢٧٣ - النميري والفزاري
- ٢٧٥ • العنوان
- ٢٧٥ - قصة شبيب رأس الخوارج
- ٢٧٧ • التسهيم ويسمى : الإرصاء
- ٢٧٩ • التشريع
- ٢٨٠ • المذهب الكلامي
- ٢٨١ • نفي الشيء بإيجابه
- ٢٨٢ • الرجوع
- ٢٨٣ • التورية
- ٢٨٣ - أقسام التورية

- ٢٨٣ أمثلة التورية من شعر الوراق -
- ٢٨٥ أمثلة أخرى -
- ٢٩٠ الاعتراض •
- ٢٩١ أمثلة للاعتراض من الشعر -
- ٢٩٥ حصر الجزئي وإحاقه بالكلي •
- ٢٩٧ الجمع والتفريق •
- ٢٩٧ الجمع مع التقسيم -
- ٢٩٨ الجمع مع التفريق والتقسيم -
- ٢٩٩ التوشيح •
- ٣٠٠ التكميل •
- ٣٠١ الاحتراس •
- ٣٠٣ الإيغال •
- ٣٠٥ شجاعة الفصاحة •
- ٣٠٦ الفرائد •
- ٣٠٩ الاشتقاق •
- ٣١١ السلب والإيجاب •
- ٣١٢ المشاكلة •
- ٣١٣ ما لا يستحيل بالانعكاس •
- ٣١٤ التقسيم •
- ٣١٥ قصة عمرو بن عبيد مع الحسن البصري -

- ٣١٧ • الإشارة
- ٣١٨ • الترتيب
- ٣١٩ • المشاركة
- ٣٢٠ • التوليد
- ٣٢٣ • الإبداع
- ٣٢٣ - ثلاثة وعشرون نوعاً من البديع في آية واحدة
- ٣٢٧ • النوادير
- ٣٢٩ • التطريز
- ٣٣٠ • التنكيت
- ٣٣٢ • حسن الاتباع
- ٣٣٤ • التفریع
- ٣٣٥ • التدبيج
- ٣٣٥ - أمثلة من الشعر والنثر
- ٣٣٧ • التفسير ويقال : التبيين
- ٣٣٨ • سياقة الأعداد ويقال : التعدید
- ٣٣٩ • حسن النسق
- ٣٤٠ • حسن التعليل
- ٣٤٠ - أنواعه وأمثلتها
- ٣٤٣ • التعطف
- ٣٤٤ • الاستتباع

- ٣٤٥ • التمكين
- ٣٤٦ • تأكيد المدح بما يشبه الذم ، ويقال : المدح في معرض الذم
- ٣٤٧ • الإيضاح
- ٣٤٨ • التوهيم
- ٣٤٩ • الإلغاز
- ٣٥٠ • الإرداف
- ٣٥١ • الاتساع
- ٣٥١ - اتساع أقوال العلماء في معنى هذه الآية
- ٣٥٣ - أمثلة من الشعر
- ٣٥٥ • جمع المؤنث والمختلف
- ٣٥٦ • الإيداع ويقال : التضمين
- ٣٥٦ - من أغراض الإيداع
- ٣٥٨ - قصة الحيص بيص مع الجرو
- ٣٦٠ • الالتزام ويقال : لزوم ما لا يلزم
- ٣٦٢ • المزاجية
- ٣٦٣ • التجريد
- ٣٦٤ • إيهام التوكيد
- ٣٦٥ • الترصيع
- ٣٦٦ • الحذف
- ٣٦٦ - الخطبة المونقة لسيدنا علي رضي الله عنه

- ٣٧٠ التسميط •
- ٣٧٢ التجزئة •
- ٣٧٣ سلامة الاختراع •
- ٣٧٥ ائتلاف اللفظ مع المعنى •
- ٣٧٥ - محاورة بين خلاد وبشار بن برد
- ٣٧٦ - وصية للشاعر والكاتب
- ٣٧٧ • ائتلاف اللفظ مع الوزن
- ٣٧٨ • ائتلاف الوزن مع المعنى
- ٣٧٩ • ائتلاف اللفظ مع اللفظ
- ٣٨٠ • الموازنة
- ٣٨١ • السجع
- ٣٨١ - أمثلة من كلام رؤساء الصناعة
- ٣٨٨ - رسالة القلم للجلال الدواني
- ٣٩٤ • السهولة
- ٣٩٦ - من نسيم شعر البهاء زهير
- ٤٠٢ • الإدماج
- ٤٠٤ • حسن البيان
- ٤٠٥ • العقد والحل
- ٤٠٧ • التشطير
- ٤٠٨ • براعة المطلب

• براعة الانتهاء ويقال : حسن الختام

٤٠٩

فنا العروض والقافية

٤١١

العروض

٤١٣

- البحور الستة عشر

٤١٣

- بعض مصطلحات العروض

٤١٥

..... - الزحافات والعلل

٤١٥

• تفصيل القول في الأوزان

٤١٧

- الطويل

٤١٧

- المديد

٤١٩

..... - البسيط

٤٢١

..... - الوافر

٤٢٣

- الكامل

٤٢٤

- الهزج

٤٢٦

- الرجز

٤٢٧

- الرمل

٤٢٩

- السريع

٤٣١

- المنسرح

٤٣٣

..... - الخفيف

٤٣٤

٤٣٦	- المضارع
٤٣٧	- المقتضب
٤٣٨	- المجتث
٤٣٩	- المتقارب
٤٤١	- المتدارك

القافية

٤٤٣	- أنواع القافية
٤٤٤	- عيوب القافية
٤٤٦	- قصائد لتعويد الذهن سرعة ملاحظة الأوزان
٤٦٥	• الفن الثاني : الموالي
٤٦٦	• الفن الثالث : فن التوشيح
٤٧٠	• الفن الرابع : فن الدوبيت
٤٧١	• الفن الخامس : الزجل
٤٧٦	• الفن السادس والسابع : فن كان وكان وفن القوما
٤٧٩	محتوى المجلد الثاني



الوسيلة للاختصار

إلى العلوم العربية

تأليف

المؤلف القوي الناقد الأديب

جُسيين بن أحمد بن جُسيين المرصفي

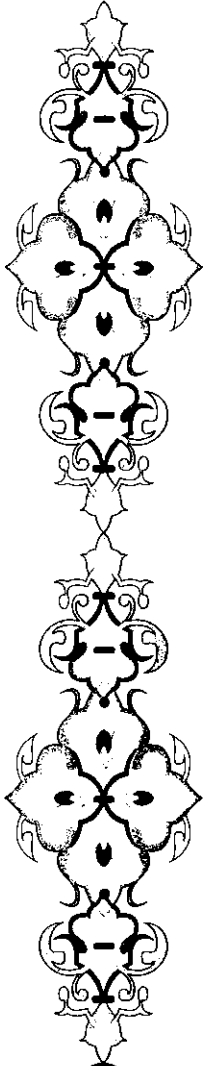
مدرّس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمة الله تعالى

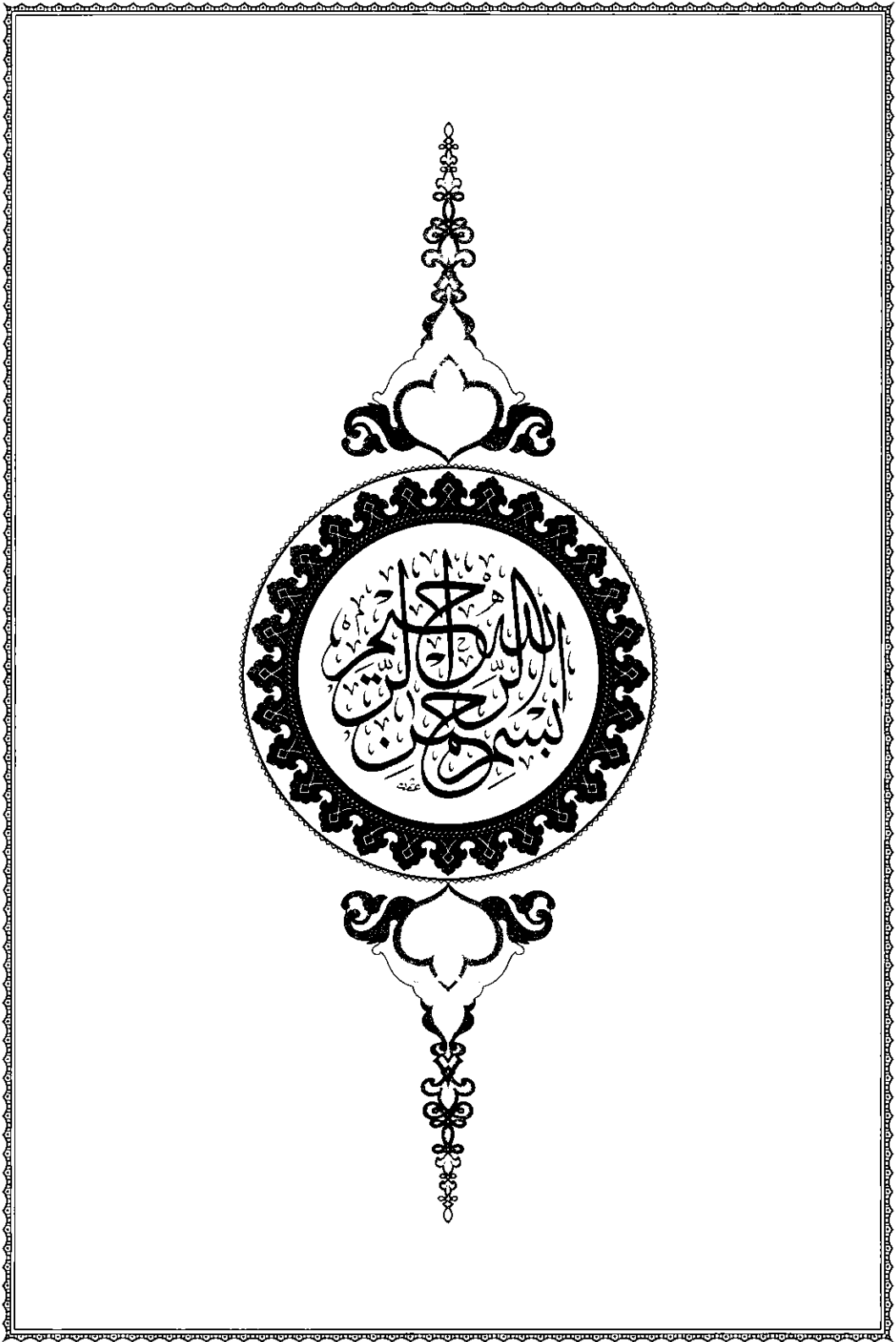
(ت ١٣٧٠ هـ / ١٨٩٠ م)

لجلاء الثالث

دار الكتب والوثائق



الوسيلة للائير
إلى العلوم العربية



الوسيلة للأدب

إلى العلوم العربية

تأليف

الملاّءة اللغويّ القادر الأديب

حُسيّن بن أحمد بن حُسيّن المرصفيّ

مدرّس العلوم العربيّة وعلوم الأدب بدار العلوم الخديويّة المصريّة

رحمة الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل



الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م
جميع الحقوق محفوظة للنَّاشِر

دار المنهاج للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع الملك فهد - جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 00966 12 6326666

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

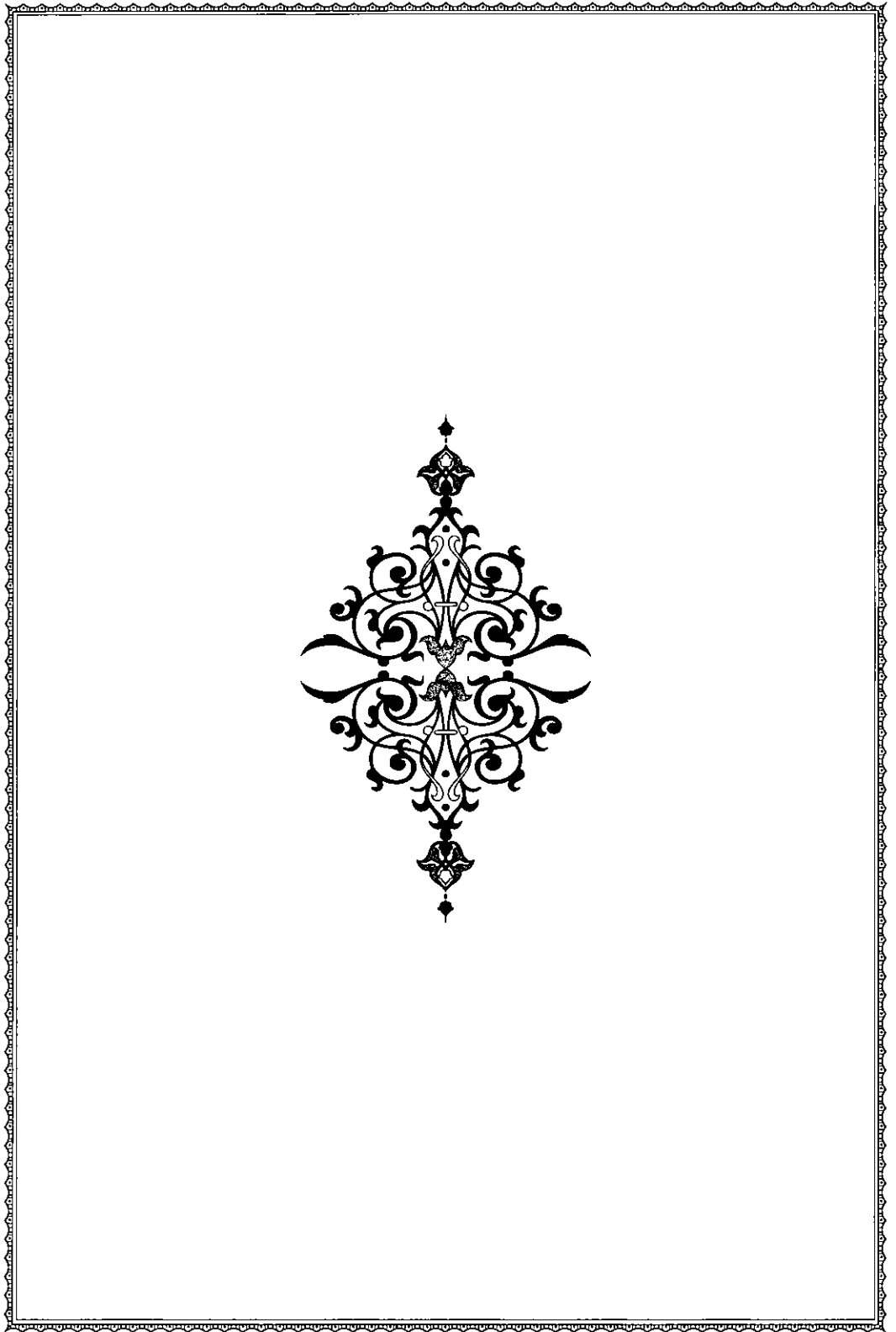
ص. ب 22943 - جدة 21416

www.alminhaj.com

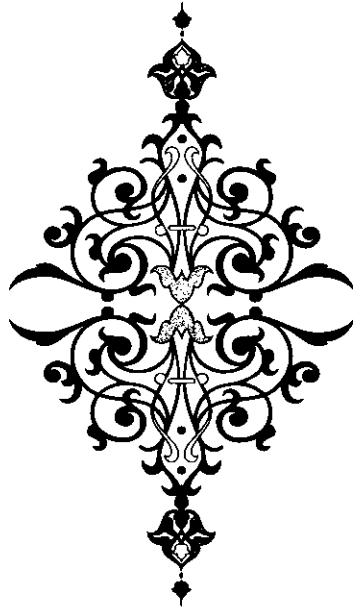
E-mail: info@alminhaj.com

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

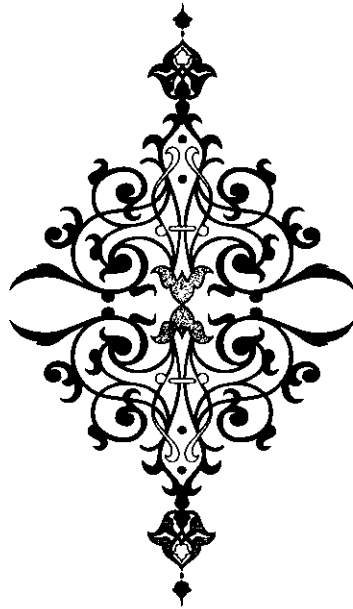
إِنَّ أَسْتَاذِي الْوَحِيدَ الَّذِي أُعِدُّ نَفْسِي مَدِينًا لَهُ
هُوَ الشَّيْخُ حَسِينُ الْمَرْصُفِيِّ
أَحْمَدُ سُوفِي



المقصد الرابع
في الكتابة، وقرض الشعر، والإنشاء



الكتابة



[تعريفُ الكتابةِ]

ويُقَالُ : عِلْمُ الخَطِّ القِيَاسِيّ فِي مِقَابِلَةِ خَطِّينِ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِمَا ؛ وَهُمَا :
خَطُّ المِصْحَفِ العِثْمَانِيّ الَّذِي تَحْرُمُ مِخَالَفَتُهُ أَوْ تُكْرَهُ عَلَيَّ خِلَافِ المِذَاهِبِ
فِي ذَلِكَ ، وَخَطُّ العَرُوضِيِّينَ عِنْدَ بَيَانِ أوزَانِ الشَّعْرِ .

وَهِيَ فُنٌّ مَعْرِفَةِ الكِتَابَةِ عَلَى الصُّورَةِ المُصْطَلَحِ عَلَيْهَا .

وَبَيَانُ ذَلِكَ : يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ ؛ اتِّبَاعاً لِمَنْ اخْتَصَّ
بِفَضِيلَةِ ضَبْطِ هَذَا الفَنِّ عَنِ انْتِشَارِ ، وَمِنْ كِتَابِهِ المُسَمَّى بِـ « المِطَالَعِ
النَّصْرِيَّةِ » تَلْخِيصُ مَا سُنِّخِصُ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ؛ الشَّيْخُ أَبُو الوَفَاءِ نَصْرُ
الهُورِينِيُّ ، إِمَامُ عَصْرِهِ وَحَافِظُ وَقْتِهِ .



البابُ الأوَّلُ

في الهمزة ، والألفِ ، ونونِ التوكيدِ ، والتنوينِ
ونونِ (إذا) ، وهاءِ التانيثِ

الكلامُ على الهمزة^(١)

الهمزةُ وتسميتها أليفاً يابسةً [نظراً] لتصويرها في بعضِ الأحوالِ ؛ إذا كانتِ أوَّلَ كلمةٍ . . رُسِمَتْ مطلقاً أليفاً ، ولا تكونُ حينئذٍ ساكنةً ؛ لِمَا ثَبَتَ في اللغةِ مِنْ عدمِ الابتداءِ بالساكِنِ ، بل إذا كانتِ ساكنةً أوَّلَ أصولِ كلمةٍ وأريدَ الابتداءُ بكلمتها . . اجْتَلِبْ لذلكِ الهمزةُ التي تُسَمَّى همزةِ الوصلِ ؛ مثلُ : أوْمُرْ ، أُنْتِ .

[أحوالُ الهمزةِ من حيثِ الرسمُ]

ولهذه الهمزةُ في الرِّسْمِ أحوالٌ :

فترسُمُ أليفاً بعدَ الفاءِ والواوِ ؛ نحوُ : فأْمُرْ ، وأْتِ ، وبعدَ غيرِهِما : فإن كانتِ همزةُ الوصلِ مضمومةً ؛ مثلُ : أوْمُرْ . . رُسِمَتْ همزةُ الكلمةِ واوياً ، وإن كانتِ همزةُ الوصلِ مكسورةً ، نُطِقَ بها أو لم يُنطَقْ . . رُسِمَتْ ياءً ؛ مثلُ : ثمَّ أُنْتوا .



(١) قال الشيخ عبد اللطيف الخطيب في « أصول الإملاء » (ص ١٩) : (الهمزة حرف لا صورة له في الخط ، وهي تكتب غالباً بصورة الألف أو الواو أو الياء ؛ وذلك لأنها إن سُهِلت . . انقلبت إلى الحرف الذي كُتبت بصورته) .

وقال العلامة نصر الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ٨٨) : (وأما وضع القطعة - أي : التي هي كراس العين « ء » - في محل الهمزة إذا حُذفت أو فوق الياء أو الواو المصوّرتين بدل الهمزة . . فذلك حادث بعد حدوث الشكل ؛ مراعاةً لتحقيق الهمز) .

وإذا وقعت حشواً ؛ فإن كانت ساكنةً . . رُسِمَتْ حرفاً مِنْ جنسِ الحركةِ السابقةِ عليها ؛ فترسَمُ أَلِفاً في نحوِ : رأسٍ ، وياءً في نحوِ : بئرٍ ، وواواً في نحوِ : نُؤَيِّ وسُؤِلَ .

وإن كانت مكسورةً . . رُسِمَتْ ياءً ^(١) ، وفي الواقعةِ بعدَ ضَمَّةٍ خلافَ بينِ سيبويه وتلميذه الأخفش ؛ فالأخفشُ يقولُ برسمِها واواً حينئذٍ ، واستحسنَ بعضهم الجريَ على مذهبه إذا وقعَ بعدها ياءً ^(٢) .

وإن كانت مضمومةً . . رُسِمَتْ واواً ؛ مثلُ : رؤوفٍ .

وإن كانت مفتوحةً . . رُسِمَتْ بعدَ فتحةِ أَلِفاً ؛ مثلُ : رَأَسَ القومَ : صارَ لهمُ رئيساً ، وبعدَ كسرةِ ياءً ؛ مثلُ : فِتَّةٍ ومِئَةٍ ، وبعدَ ضَمَّةٍ واواً ؛ مثلُ : سُؤَالٍ وفُؤَادٍ ، وبعدَ سكونٍ تُرْسَمُ أَلِفاً إن كَانَ الساكنُ صحيحاً ^(٣) ، وإلا . . حُذِفَتْ إن لم يَحْضُرْ لَبَسٌ ، فترسَمُ أَلِفاً للتمييزِ ^(٤) .

تنبيه

[في رسمِ الهمزةِ الواقعةِ بعدَ همزةِ الاستفهامِ]

الهمزةُ الواقعةُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ في نحوِ : أَوُنَبِيٌّ ، أَوُنَزِلُ ، أَأَسْجُدُ ، أَفْئَكَ ، أَئِذَا ، والواقعةُ بعدَ اللَّامِ الْمُوطَّئَةِ ؛ نحوُ : لَئِن جِئْتُ ، وبعدَ (حينَ) وأمثاله في : حينئذٍ ويومئذٍ ، وهمزةُ (لَيْلًا) دونَ (لِأَن جَاءَ) مثلاً ، وهمزةُ (هؤلَاءِ) على خلافٍ في بعضِ ذلك . . تُنَزَّلُ منزلةَ المُتوسِّطَةِ ، فتجري

(١) مثالها : (سُئِلَ ، ودُئِلَ ، وسُئِلَ) .

(٢) فمثال الهمزة المكسورة الواقعة بعد ضمة على مذهب سيبويه : (رُؤِي) ، ومثالها على مذهب الأخفش : (رُؤِي) .

(٣) مثالها : (يَسْأَلُ ، وَيَسْأَمُ ، وَمَرْأَةٌ) .

(٤) مثال الهمزة المفتوحة المسبوقة بساكن معتلٍ : (تَضَاعَلُ وتَفَاعَلُ ، وتَوَعَّمُ وسمُوَعَلُ ، وجِيئَلُ وهيئَةُ) .

عليها أحكامها ؛ فترسّم المضمومة واواً ، وترسّم المفتوحة ألفاً بعد فتحه ،
وياً بعد كسرة ، وترسّم المكسورة ياءً .

[رسمُ الهمزة الواقعة آخر الكلمة]

وإذا وقعت آخر الكلمة ؛ فإن تلت فتحه .. رُسِمَت ألفاً ؛ كقرأً وبقراً ،
وإن تلت كسرةً .. رُسِمَت ياءً ؛ كبرئٍ ولم يجئ ، وإن تلت ضمةً ..
رُسِمَت واواً ؛ كوضوٌ لؤلؤٌ ، وإن تلت سكوناً .. لم تُصَوَّر^(١) ، لكن قال
صاحبُ « أدبِ الكاتبِ » : (إنَّ همزةَ نحوِ « رأى ونأى » مِنَ المنقوصِ ..
تُرَسَّمُ ياءً)^(٢) .

وهذا إذا لم يتصل بالكلمة علامات الإعراب الحرفية ، ولا إحدى الياءات
الثلاث : ياء المتكلم ، وياء المخاطبة ، وياء النسب ، ولا الضمائر المتصلة ،
فإن اتصل بها شيءٌ مِنْ ذلك .. عُدَّت حشواً ، وحينئذٍ إذا اتصل بالتي تُرَسَّم
ألفاً ضميرٌ .. فالمُتقدِّمون كانوا يرسمونها حرفاً مِنْ جنس حركتها نفسها ،
والمُتأخرون يرسمونها ألفاً ، ولا يعتبرونها مُتوسِّطةً ؛ كيقروُهُ ويملؤُهُ ،
وَمِنْ بَنائِهِ ، وَمِنْ خَطَائِهِ^(٣) ، قِيلَ : والراجحُ مذهبُ المُتقدِّمين^(٤) .

وإذا اتصل بنحو (قرأً وبقراً) أَلِفُ الاثنَينِ .. رُسِمَتِ الهمزةُ أَلِفاً ؛ لدفعِ

(١) مثال الهمزة إن تلت سكوناً : (وَطءٌ وَجُزءٌ ، وَجاءٌ وشاءٌ وكساءٌ ورداءٌ ، ويجيءٌ ويضيءٌ وهنيءٌ
ومريءٌ ، ويوبؤٌ وينوءٌ ووضوءٌ وهذوءٌ) .

(٢) أدب الكاتب (ص ٢٦٨) ، وانظر « المطالع النصرية » (ص ١٠٩) ، والمراد اسم الفاعل المنقوص ؛
نحو : (الرائي والنائي) .

(٣) ولغير المُتقدِّمين ؛ نحو : (مَنْ كان يقرأهُ .. فالله يكلاه) ، ونحو : (لا يظهر خطأه عند ملأه) فيبقيها
ألفاً كما لو لم يتصل بها شيء .

(٤) انظر « المطالع النصرية » (ص ١١١) ففيه أنَّ الراجحُ المُقدَّم : المذهبُ الأولُ ؛ وهو مذهب
المُتقدِّمين .

اللَّيْسِ بِفَعْلٍ الْوَاحِدِ فِي نَحْوِ: الزِيدَانِ قَرَأَ ؛ لِيخَالَفَ: الزِيدَانِ قَرَأَ أَخُوهُمَا ،
وبفعلِ الْإِنَاثِ (١) .

وَإِذَا تُنِّيَ نَحْوُ (نَبَأٌ) . . لَمْ تُرْسَمِ أَلْفُهُ (٢) .

وَإِذَا اتَّصَلَ بِهَا وَاوُ الضَّمِيرِ أَوْ وَاوُ الْجَمْعِ . . حُذِفَتْ ؛ كَقَرَأُوا ، وَيَقْرَأُونَ ،
وَقَارَأُونَ .

وَإِذَا اتَّصَلَتْ بِيَاءِ الْمُخَاطَبَةِ . . كُتِبَتْ يَاءٌ ؛ نَحْوُ: لَمْ تَقْرَأِي .

وَإِذَا اتَّصَلَتْ بِيَاءِ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ بِيَاءِ النَّسَبِ ؛ نَحْوُ: مَلْجِي ، وَسِبْيِي نَسَبَةً
إِلَى سِبَاءٍ . . فَحَقُّهَا أَنْ تُرْسَمَ يَاءٌ ، وَالْجَارِي كَتَبُهَا أَلْفًا (٣) .

وَإِذَا اتَّصَلَتْ بِيَاءِ الْجَمْعِ ؛ كَقَارِئِينَ وَنَاشِئِينَ . . رُسِمَتْ يَاءٌ .

وَإِذَا اتَّصَلَ بِالَّتِي تُكْتَبُ يَاءً ضَمِيرٌ تَتَغَيَّرُ مَعَهُ حَرَكَاتُهَا الْإِعْرَابِيَّةُ . . لَمْ
يَتَغَيَّرْ رِسْمُهَا ؛ كَقَارِئِنَا وَمُنشِئِكُمْ ، وَكَذَا إِذَا اتَّصَلَ بِهَا أَلْفُ الْإِثْنَيْنِ أَوْ أَلْفُ
التَّثْنِيَةِ ، وَكَذَا إِذَا اتَّصَلَ بِهَا وَاوُ الضَّمِيرِ أَوْ وَاوُ الْجَمْعِ (٤) .

وَإِذَا اتَّصَلَ بِهَا يَاءُ الْجَمْعِ . . حُذِفَتْ (٥) .

وَإِذَا اتَّصَلَ بِهَا يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ يَاءُ الْمُخَاطَبَةِ عِنْدَ رَفْعِ الْفِعْلِ . . حُذِفَتْ
أَيْضًا (٦) .

وَعِنْدَ نَصْبِهِ وَجَزْمِهِ . . قِيلَ: تُرْسَمُ ، وَقِيلَ: تُحْدَفُ .

(١) ومثال مخالفته لفعل الإناث: (النسوة يقرأنَ الدرس) .

(٢) مثال التثنية: (نَبَأ) .

(٣) على مذهب غير المتقدمين ، من أن الهمزة المتطرفة إذا اتصل بها شيء ؛ كياء النسب أو المتكلم . .
تبقى على أصلها حال الانفراد ، فترسم هكذا: (ملجأي وسبأي) .

(٤) أمثلتها على الترتيب: (يُقرئنا وقارئنا ، ويُقرئان وقارئان ، ولم يُقرئوا وهم المُقرئون) .

(٥) مثالها: (القارين والمبتدين والمستهزين) .

(٦) مثالهما: (نفعني مَجِيَّ إليك ، أنتِ تَتَكِينِ وتُقرين) من (مجيئي ، وتكتين ، وتُقرين) .

وإذا اتصلَ بالتي تُكْتَبُ واواً ضميرٌ ؛ نحوُ : أخذتُ مِنْ لَوْلُوكِ ،
ولتكافؤِهِمْ .. رُسِمَتْ واواً على المُختارِ .

وإذا اتصلَ بنحوِ [رَدُّوْا] و(بَطُّوْا) ألفُ الاثْنَيْنِ ، أو ثُنْيِيْ نحوِ (لَوْلُوْ) ،
أو اتصلَ بنحوِ (وَضُّوْ) واوُ الجماعةِ .. رُسِمَتْ الهمزةُ واواً أيضاً ، وكذا إذا
اتصلَ بنحوِ (لَوْلُوْ) ياءُ المُتَكَلِّمِ أو ياءُ النَّسْبِ ^(١) .

وإذا اتصلَ بالتي تُحَدَفُ ضميرٌ .. صُوِّرَتْ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ؛
فترسَمَ واواً في مثلِ : حَرَمَ وَطُؤُها ، وياءَ في مثلِ : خُدَّهُ بِمِلْتِهِ ، وألفاً في مثلِ :
رَأَيْتُ الجَيْشَ ورذأهُ .

وإذا ثُنِيَتْ نحوَ (جزئ) .. صَوَّرَتْ الهمزةُ أَلِفاً مَعَ الياءِ فقط ^(٢) .

وإذا اتصلَ بنحوِ (جزء) ياءُ المُتَكَلِّمِ ، أو ياءُ النَّسْبِ .. رُسِمَتْ أَلْهَمْزَةُ
ياءً ^(٣) .

وإذا اتصلَ بنحوِ (جاء) ضميرُ المفعولِ .. لا تُرْسَمُ الهمزةُ أَلِفاً ^(٤) .

وكذا تُحَدَفُ الهمزةُ مِنْ نحوِ (جاء) و(شاء) حيثُ يُسْنَدُ لواوِ الجماعةِ ^(٥) .

وإذا أُضِيْفَ نحوُ (كسأ) و(رُؤا) إلى ضميرٍ ^(٦) ، أو اتصلَ بِهِ ياءُ النَّسْبِ ..

صُوِّرَتْ الهمزةُ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ، إلا حالةَ النَّصْبِ فَتُحَدَفُ ؛ فترسَمَ
واواً في نحوِ : هَذَا كسأؤُكَ ، وياءَ في نحوِ : كسأئِي وكسأئِهِ ، والكسأئِي .

وإذا اتصلَ بنحوِ (يجيء) و(يُفِيء) مِنْ أَفَاءَ : ضميرُ المفعولِ .. لم تُرْسَمِ

(١) الأمثلة على الترتيب : (رَدُّوْا وَبَطُّوْا ، وَلَوْلُؤَانِ ، وَوَضُّوْا ، وَلَوْلُؤِيْ ، وَلَوْلُؤِيْ) .

(٢) مثاله : (جُزْأَيْنِ) .

(٣) مثالهما : (جُزْئِيْ ، وَجُزْئِيْ) .

(٤) مثاله : (جاءهُ) .

(٥) مثاله : (جاءُوا ، وَشَاءُوا) .

(٦) الرُّؤاءُ : حسن المنظر .

الهمزة^(١) ، وكذا إذا تُنِّي نحو (مجيء)^(٢) ، وكذا في أمرِ المُخاطبةِ بنحوِ :
(جِيئِي وفِيئِي) .

وإذا أُضيفَ مثلُ (وضوءٍ) و(قروءٍ) لضميرٍ ؛ كوضوئي وقروئهنَّ ..
رُسِمَتِ الهمزةُ ياءً حالَ جرِّه ، ولم تُرَسَمْ حالَ رفعِه ونصبِه^(٣) .

وإذا أُضيفَ نحوُ (شيءٍ) و(فيءٍ) .. لم تُصَوِّرْ همزتهُ أصلاً^(٤) .

والهمزةُ الواقعةُ قبلَ هاءِ التانيثِ ؛ قيلَ : إنَّها مُتطَرِّفةٌ تقديراً ؛ لأنَّهم
يقولونَ : إنَّ هاءَ التانيثِ في تقديرِ الانفصالِ ، وكأنَّها كلمةٌ مُستقلَّةٌ ، وتُرَسَّمُ
ألفاً إن كانَ قبلها حرفٌ صحيحٌ ، وإلا .. حُذِفَتْ^(٥) .

الكلامُ على الألفِ

الألفُ إن كانتَ حشواً ولو تقديراً ؛ بأن كانَ بعدها هاءُ التانيثِ ، أو كانتَ
طرفاً في الحروفِ أو في الأسماءِ المبنيةِ .. رُسِمَتِ أَلِفاً ، إلّا في : (بلى) ،
(وعلَى) ، و(إلى) ، و(حتّى) ، مِنْ الحروفِ ، فترَسَّمُ ياءً ؛ لقولِكَ : عليكِ ،
وإليكِ ، وإمالةِ (بلى) ، وحملِ (حتّى) على (إلى) ، وإلّا في : (لدَى) ،
(وِمتى) ، و(أتَى) التي بمعنى كيفَ ، أو مِنْ أينَ ، [و(الألى)] الموصولةِ ،
(وأولى) الإشاريةِ ، مِنْ الأسماءِ المبنيةِ ، فترَسَّمُ ياءً أيضاً ، و(مهما) على
القولِ بأنَّها بسيطةٌ وضعاً ، والجاري رسمُها أَلِفاً .

(١) مثاله : (يجيئُه ، ويُفيئُه) ، قال في « المطالع النصرية » (ص ١٢٥) : (لم ترسم الهمزة ، وإنما ترفع
نبرة لتركز عليها قُطعة الشكل ، سواء كان الفعل مرفوعاً أو منصوباً ؛ نظراً لتحقيق الهمزة) .

(٢) مثاله : (مجيئان) .

(٣) مثال عدم رسمها حال الرفع والنصب : (أعجبنِي وُضوءُكَ ، ورأيت وضوءَكَ) .

(٤) مثالهما : (هلذا فيئِي وشيئِي ، وفيئُكَ وشيئُكَ ، وفيئُه وشيئُه) .

(٥) مثال الهمزة التي قبلها حرف صحيح : (مَرَّاةٌ ، وَكَمَّاةٌ ، وَفَجَّاةٌ) ، ومثال التي قبلها معتل : (فُجَّاةٌ
وعبَّاةٌ ، ومقرَّوَةٌ وشنَّوَةٌ ، وسَوَّاةٌ ، وخطيئةٌ وِردِيئةٌ ، وهَيْئَةٌ وَفَيْئَةٌ) .

وإن كانت طرفاً في الأسماء المعربة أو الأفعال . . رُسِمَتْ ياءً لأحدِ مُقْتَضِيَيْنِ :

الأوّلُ : أن تزيدَ على ثلاثة أحرفٍ ولو بالتضعيفِ ؛ نحوُ : جَلَى مُضَعَّفٍ جلا .

الثاني : أن تكونَ مُنْقَلِبَةً عن ياءٍ ، ويُعْرَفُ ذلكَ بالنقلِ ، ويُسهَلُ معرفتهُ النظرُ لتثنيةِ الكلمةِ وجمعها جمعَ تَأْنِيثٍ ، وإلى المضارعِ في الأفعالِ ، والمصدرِ ^(١) .

وَيَمْنَعُ مِنْ كِتَابَتِهَا ياءُ أَمْرَانِ :

الأوّلُ : أن تَسْبِقَها ياءٌ ؛ كـ (يحيا) ، فترسَمُ أَلِفًا ، إلا إذا جُعِلَ عِلْمًا ، فترسَمُ ياءً على القاعدةِ .

والثاني : أن يتصلَ بها ما يجعلُها حشواً ؛ كالضَّميرِ في : أعطاهُ إحداهُنَّ ، [وبمقتضام] فعلتَ ، وحتّامَ ، وإلامَ ؛ استفهاماً ، وحتّاكَ وحتّاهُ هذا ؟

وإذا وقعَ ما يُرْسَمُ ياءً في شعرٍ أو سجعٍ على الألفِ . . فالأحسنُ كَتْبُهُ أَلِفًا ؛ للمشاكلةِ ^(٢) .

والكلماتُ التي وردتْ مقصورةً وممدودةً . . يجوزُ كَتْبُ مقصورها بالياءِ

(١) أمثلتها على الترتيب : (فتى : فتيان ، حصى : حصيات ، عصى : يعصي ، سعى : السعي) .

(٢) وقد مثَّل له العلامة الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ١٤٨) :

بِمَا حَبَّانِي وَأَوْلَا بِسَاءِ سِيدَا حَازِرِ قِي
أَحْسَنْتُ فِي الشُّكْرِ أَوْ لَا أَحْسَنْتُ بِرَأْفَقُلِّي

(من الرمل)

ويقول الآخر :

حَازِرِي سُقْمِي مِنْ بَعْدِهِمْ كَلُّ مَنْ فِي أَلْحَى ذَاوِي أَوْ رَقَا
بَعْدَهُمْ لَا ظِلٌّ وَادِي الْمُنْحَى وَكَذَا بَانَ الْجَمَى لَا أَوْرَقَا

أو الألفِ ، وفي المقصورِ إذا نُونَ خلافٌ ، ومذهبُ سيبويه : رسمُهُ بالألفِ نصباً^(١) .

وبعضُ النحاةِ يرى رسمَ الألفِ ألفاً مطلقاً ؛ تبعاً لللفظِ ، وليتَهُ جرى العملُ على ذلكَ ، فقد أوقعَ هذا الرسمُ الاصطلاحيُّ في غَلَطٍ كثيرٍ ، فتَسمعُ الناسَ مثلاً يقولونَ : مَنْ لدى الحضرةِ .

وَرُسِمَتِ أَلْفًا لِأَحَدٍ مُقْتَضِيَيْنِ أَيْضًا^(٢) :

الأوَّلُ : أن تكونَ مُنْقَلِبَةً عن واوٍ ؛ كـ (تـلا) و (دَعا) مِن الأفعالِ ، و (عَصَا) و (مَهَا) مِن الأسماءِ .

والثاني : أن تكونَ في كلمةٍ أعجميَّةٍ^(٣) ، أو في كلمةٍ عربيَّةٍ مجهولةِ الأصلِ ؛ كـ ([الدَّدا]) اللَّعْبُ ، و (خَسَا) و (زَكَا) لِلْفَرْدِ وَالزَّوْجِ ، وَلَكِنْ جَوَّزُوا كَتَبَ مِثْلَ هَذَا يَاءً أَيْضًا .

وإذا سبقَ هذه الألفَ همزةٌ ؛ نحوُ : شَأى وبأى ؛ بمعنى افتخرَ .. رُسِمَتِ ياءً .

الكلامُ على نونِ التوكيدِ ، ونونِ (إذا) ، والتنوينِ

تُرْسَمُ نونُ التوكيدِ الخفيفةُ أَلْفًا إِلَّا عِنْدَ خَوْفِ اللَّبْسِ ؛ نحو : لا تُضْرِبَنَّ زَيْدًا ، واضْرِبَنَّ عَمْرًا ؛ إذا أمرتَ واحداً مِن اثْنَيْنِ .

وتُرْسَمُ نونُ (إذا) بالألفِ على اختيارِ بعضٍ ، وبالنونِ على اختيارِ بعضٍ آخَرَ ، وبالألفِ عِنْدَ عَمَلِهَا ، وبالنونِ عِنْدَ إِغَايِهَا ، أو بالعكسِ ، على اختلافِ النقلِ في اختيارِ بعضٍ آخَرَ .

(١) انظر «المطالع النصرية» (ص ١٥١) .

(٢) أي : الألف التي وقعت طرفاً .

(٣) مثالها : (بُغَا ، يهودا ، زليخا) .

و(إذاً) هذه هي الجوابية الواقعة في قولك : إذا تصيب ؛ جواباً لمن يقول : أريد أن أفعل كذا .

وأما التنوين .. فلا يُصوّر في الكتابة إلا حالة النصب ، فيُصوّر ألفاً إن لم يكن بعد تاء تانيث ، أو همزة تُرسم ألفاً ، أو همزة تُحذف لوجود ألفٍ قبلها ؛ كعطاءٍ وجزاءٍ .

الكلامُ على هاءِ التانيثِ

هي تاءُ التانيثِ التي تمنع الصّرفَ في الأعلامِ ، ويوقفُ عليها بالهاءِ ؛ كتاءِ فاطمةَ وطلحةَ ، وراويةَ وعلامةَ وخليفةَ وعدةَ ، فترسمُ بالهاءِ ، بخلافِ تاءِ التانيثِ مِنْ أختِ وبنْتِ .



الباب الثاني في زيادة حروفٍ

[مواضعُ زيادةِ الألفِ]

تُزادُ الألفُ :

أولاً ؛ وهي همزةُ الوصلِ التي سبقَ بيانُ مواضعِها^(١) ، وحشواً في لفظِ (مائةِ)
على خلافِ في ذلك ، وهذا الرسمُ أوجبَ غلطَ الناسِ في النطقِ بالكلمةِ : (مائةِ)
كغايةِ ، وطرفاً بعدَ واوِ الضَّميرِ المُتطَرِّفةِ مِنْ نحوِ : كتبوا ، واكتبوا ، ولم يكتبوا .

[مواضعُ زيادةِ الواوِ]

وتُزادُ الواوُ :

حشواً في (أولى) الإشارية ، و (أولو) و (أولاتُ) اللذَّينِ بمعنى أصحابِ
وصاحباتِ ، وطرفاً في لفظِ (عَمِرو) عَلَماً غيرَ منصوبٍ ، ولا مضافٍ لضميرِ ،
ولا قافيةِ بيتِ ، ولا مزيدٍ فيه (أل)^(٢) .

[مواضعُ زيادةِ هاءِ السَّكتِ]

وتُزادُ هاءُ السَّكتِ : في مواضعِها .



(١) انظر (٢٠٩/١) .

(٢) مثال عدم زيادتها في المنصوب : (رأيتُ عَمراً) ، وفي المضاف لضميرِ : (أعجبتني عَمْرُكُم) ، وفي
الذي يقع قافية كما في « المطالع النصرية » (ص ١٩٧) :
(من الخفيف)

إِسْمًا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمَى كَوَاوِ أَلْحَقْتُ فِي أَلْهَجَاءِ ظُلْمًا يَعْمُرِ

وفي المزيد ب (أل) كما في « المطالع النصرية » (ص ١٩٧) :
(من الراجز)

بَاعَدُ أُمَّ الْعَمْرِ مِنْ أَسِيرِهَا خُرَّاسُ أَبْوَابِ عَلَى قُصُورِهَا

البابُ الثالثُ

في حذفِ بعضِ الحروفِ

[مواضعُ حذفِ الهمزة]

تُحذفُ الهمزةُ^(١) مِنْ نحوِ: (تشاءَبَ) ماضياً ، و(جاءَهُ) ، و(كساءً) منصوباً .

وَمِنْ نحوِ: (سَمَوْعِلِ) و(تَوَّعِمِ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الواوِ .

وَمِنْ نحوِ: (ضوءُهُ) و(وضوءُهُ) في غيرِ حالةِ الكسْرِ .

وَمِنْ نحوِ: (جَيْئَلِ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الياءِ ، و(بَيْسَ) بكسْرِ الهمزةِ .

وَمِنْ نحوِ: (شَيْئُكَ) و(فَيْئُكَ) .

وَمِنْ نحوِ: (قرءُوا) و(يقرءُونَ) و(رءُوسِ) جمعِ رأسٍ .

وَمِنْ نحوِ: (دعاءٍ) و(فجاءَةٍ) .

وَمِنْ نحوِ: (وُضوءٍ) و(ضوءٍ) و(سُوءَةٍ) و(شُوءَةٍ) بفتحِ الشينِ وسكونِ

الواوِ وضَمِّ النونِ .

وَمِنْ نحوِ: (هنيءٍ) و(شيءٍ) و(خطيئةٍ) و(هيئةٍ) .

وَمِنْ نحوِ: (تراءاهُ) [و(تسوءُونَ)] و(لا تسيئي يا هندُ) .

وَمِنْ نحوِ: (إسرائيلَ) .

[وَمِنْ] نحوِ: (باءُوا) و(جاءُوا) .

وَمِنْ نحوِ: (السُّوءَى) .

(١) أي: صورتها؛ وهي: إمَّا الألفُ ، وإمَّا الواوُ ، وإمَّا الياءُ .

وَمِنْ نَحْوِ : (لَمْ [يَبُوءُ]) .

وَمِنْ نَحْوِ : (لَمْ يَجِيئًا) ، و (لَمْ يَفِيئًا) .

وَمِنْ نَحْوِ : ([الْمَوْءُودَةُ]) .

وَمِنْ نَحْوِ : (فِيءٍ) .

قالوا: القياسُ حذفُها في (تراءءُ) وما بعدهُ ، والعملُ الآنَ على عدمِ

حذفِها في مثلِ (فيءٍ) مِنْ : هلذا فيئِي .

[مواضعُ حذفِ همزةِ الوصلِ]

وَتُحذَفُ همزةُ الوصلِ مِنْ (أَل) إذا دخلَ عليها همزةُ الاستفهامِ ولم يكنْ لَبَسٌ ، وإذا دخلَ عليها اللّامُ الحرفيّةُ خافضةً أو غيرَها^(١) .

كما تُحذَفُ مِنْ (بَلْعُنْبِرِ) و (بَلْحَارِثِ) اللَّذَيْنِ أَصْلُهُمَا : بنو العنبرِ وبنو الحارثِ ، وفي لغةٍ مَنْ يقولُ : مِلْمَاءٍ و (عِلْمَاءٍ) في : مِنْ المَاءِ وعلى المَاءِ .

وَتُحذَفُ همزةُ الوصلِ أيضاً مِنْ نَحْوِ : (اصْطَفَى) و (اسْتَخْرَجَ) فَعَلَيْنِ ، و (اصْطَفَاءِ) و (اسْتَخْرَاجِ) مَصْدَرَيْنِ ؛ إذا دخلتْ عليه همزةُ الاستفهامِ^(٢) .

وَتُحذَفُ مِنْ لَفْظِ (اسْمِ) إذا دخلتْ عليه همزةُ الاستفهامِ^(٣) .

(١) مثال دخول همزة الاستفهام على (أَل) : (أَلرَّجُلُ خَيْرُ أمِ المرأَةِ ؟) ، ومثال دخول اللام الحرفية : (لِلحَقِّ دَوْلَةٌ ، وَلِلْباطِلِ جَوْلَةٌ) .

(٢) مثال دخول همزة الاستفهام على الفعل قوله تعالى : ﴿ أَهَطَّقَى البَنَاتِ عَلَى البَيْنِ ﴾ [الصافات : ١٥٣] ، ونحو : (اسْتَخْرَجْتَ ما أريدُ منك ؟) ، ومثال دخولها على المصدر : (أَفْتَرَأَ على الله قَلتَ كَيْتَ وَكَيْتَ أمِ اجْتَرَأَ ؟ !) .

(٣) مثاله : (اسْمُكَ زَيْدُ أمِ عمرو ؟) .

وَمِنْ (بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ) إِذَا لَمْ يُذَكَّرْ مُتَعَلِّقٌ مُّقَدِّمًا أَوْ مُؤَخَّرًا ^(١) .
 وَمِنْ لَفْظِ (ابْنِ) إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ هَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ ، أَوْ (يَا) النَّدَائِيَّةُ .
 وَمِنْهُ وَمِنْ (ابْنَةِ) إِذَا وَقَعَ كُلُّ مِنْهُمَا صِفَةً لَعَلِمَ شَخْصِيٍّ أَوْ جَنْسِيٍّ ،
 وَأَضِيفَ لَعَلِمَ كَذَلِكَ وَلَوْ تَنْزِيلاً ، وَلَمْ يَكُنْ لَفْظُ ابْنِ أَوْ ابْنَةِ أَوَّلَ سَطْرٍ ؛
 كَ (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَالِكٍ ، وَفُلَانُ أَوْ فُلَانَةُ بْنُ
 أَوْ بِنَةُ فُلَانٍ أَوْ فُلَانَةٌ ، وَضَلُّ بْنُ ضَلٍّ ، وَهَيُّ بْنُ بَيٍّ ؛ لِمَنْ لَا يُعْرَفُ أَبُوهُ ،
 وَمُحَمَّدُ بْنُ الْخَطِيبِ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أُمِّ جَعْفَرٍ) .

[مَوَاضِعُ حَذْفِ الْأَلْفِ]

وَتُحَذَفُ الْأَلْفُ مِنْ نَحْوِ : (آدَمَ ، وَآثَرَ ، وَمَالٍ) .

وَمِنْ نَحْوِ : (السَّمَوَاتِ) .

وَمِنْ لَفْظِ : (اللّٰهِ) وَ(الْإِلَهِ) وَ(إِلَهِ الْعَالَمِ) .

وَمِنْ لَفْظِ : (الرَّحْمٰنِ) مُعَرَّفًا كَسَابِقِهِ دُونَ النِّكَرَةِ مِنْهُمَا .

وَمِنْ لَفْظِ ([الْحَرْثِ وَالسَّلَامِ]) مُعَرَّفَيْنِ أَيْضًا .

وَمِنْ كُلِّ عِلْمٍ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٍ) ، كَ (مَلِكٍ وَصَلِحٍ) ، بِخِلَافِ الْأَوْصَافِ ؛
 كَرَجُلٍ صَالِحٍ مَالِكٍ .

وَمِنْ بَعْضِ الْأَعْلَامِ الْمُشْتَهَرَةِ ؛ ([كَابِرْهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ] ،
 وَمَعْلُوبَةَ) ، وَلَا تُحَذَفُ لَخَوْفِ اللَّبْسِ مِنْ نَحْوِ : (عَبَّاسٍ) ، وَلَا مِنْ نَحْوِ :
 (إِسْرَائِيلَ) لَوْجُودِ حَذْفِ فِيهِ ، فَلَا يُجْمَعُ فِيهِ حَذْفَانِ .

(١) مثال ذكر المتعلق مقدماً : (أتبرك باسم الله الرحمن الرحيم) ، ومثال ذكر المتعلق مؤخراً :
 (باسم الله الرحمن الرحيم أستفتح) .

وَتُحَدَفُ مِنْ لَفْظِ (ثَلَاثٍ) فِي : ثَلَاثِمِائَةٍ ، وَثَلَاثِ نِسْوَةٍ ، [وَثَلَاثَةِ] رِجَالٍ ،
وَثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ ، وَمِنْ لَفْظِ (الثَّلَاثَاءِ) اسْمِ الْيَوْمِ .

وَتُحَدَفُ جَوَازًا مِنْ نَحْوِ : ثَمَانِي لَيَالٍ ؛ إِنْ لَمْ تُحَدَفِ الْيَاءُ ، وَإِلَّا . . وَجَبَ
إِبْرَاهِيمُ ؛ كَقَوْلِهِ ^(١) :

لَهَا ثَمَانِيَا أَزْبَعُ حَسَانٌ وَأَزْبَعُ فَشَغْرُهَا ثَمَانٌ
وَتُحَدَفُ مِنْ لَفْظِ (لَكِنْ) مُخَفَّفَةً أَوْ مُشَدَّدَةً .

وَتُحَدَفُ مِنْ (مَا) الْاسْتِفْهَامِيَّةِ الَّتِي لَمْ تُرَكَّبْ مَعَ (ذَا) ، مَخْفُوضَةً بِحَرْفِ
أَوْ مُضَافٍ ؛ مِثْلُ : عَلَيَّ مَهْ ؟ وَبِمَقْتَضَى مَهْ ؟

وَمِنْ (مَا) الْمَوْصُولِيَّةِ فِي نَحْوِ : [بَمِ] شِئْتَ فَقَطْ ^(٢) ، وَمِنْ لَفْظِ (أَمَا) إِذَا
وَقَعَ بَعْدَهَا الْقَسْمُ ؛ مِثْلُ : [أَمْ] وَأَيُّكَ ^(٣) .

وَتُحَدَفُ مِنْ (ذَا) الْإِشَارِيَّةِ ، وَ(يَا) النَّدَائِيَّةِ ، وَ(أَنَا) الضَّمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ ،
وَهَا التَّنْبِيهِيَّةُ مَعَ اسْمِ إِشَارَةٍ لَيْسَ أَوْلَاهُ تَاءٌ وَلَا هَاءٌ ، وَلَا بَعْدَهُ كَافٌ ؛ مِثْلُ : هَذَا
وَهَذَا وَإِيْهُنَا ، بِخِلَافِ : هَاتَا وَهَاتَا وَهَاتَا وَهَاتَا ، وَمِنْ لَفْظِ : هَاللَّهُ وَآللهِ فِي
الْقَسْمِ ، وَمِنْ [هَاتَا ، وَهَاتَا] لَا مِنْ هَا هُوَ وَهَاتَا هِيَ .

وَلَا تُحَدَفُ أَلِفُ (ذَا) إِلَّا مُثْنَى ، أَوْ مَعَ لَامِ التَّبْعِيْدِ ، وَلَا تُحَدَفُ أَلِفُ
(أَنَا) الضَّمِيرِ إِلَّا فِي هَاءِ نِدَاءٍ .

وَتُحَدَفُ أَلِفُ (يَا) النَّدَائِيَّةِ فِي : يَا أَيُّهَا وَيَا أَهْلَ ، وَنَحْوِ : [يَا إِبْرَاهِيمُ
وَيَا إِسْحَاقَ] ، بِخِلَافِ نَحْوِ : يَا آدَمُ وَيَا آزَرَ ، مِمَّا حُدِفَ ثَانِيَةً .

(١) انظر « خزنة الأدب » (٧ / ٣٦٥) .

(٢) انظر « المطالع النصرية » (ص ٢٣١) .

(٣) انظر « المطالع النصرية » (ص ٢٣٢) .

[مواضع حذف ياء المنقوص]

وتُحذفُ ياءُ المنقوصِ ؛ كقاضيٍ ومفتٍ ، مُنكَراً غيرَ منصوبٍ ولا مضافٍ .

[مواضع حذف الواو]

وتُحذفُ الواوُ مِنْ لفظٍ : داوُدَ وطاوُسٍ وناوُسٍ ، ونحوٍ : رءوسٍ ، ولا تُحذفُ مِنْ مثلِ قَوُولٍ وصَوُولٍ على فَعُولٍ للمبالغةِ ؛ لدفعِ اللَّبْسِ بقَوْلٍ وصَوُولٍ مصدرين .

[مواضع حذف اللام]

وتُحذفُ لامٌ مِنَ الثلاثِ في نحوٍ : لم يُخلَقِ الإنسانُ للعبِ ولا للهوِ ، وقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللهُ أَرْحَمُ بِالْمُؤْمِنِ » ^(١) بفتح اللامِ ؛ وهي لامٌ الابتداءِ ، كما تُحذفُ مِنَ الموصولاتِ ، تُكتَبُ بلامينِ إذا دخلَ عليها لامٌ الخفضِ أو لامٌ الابتداءِ .

[مواضع حذف التاء]

وتُحذفُ التاءُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا أُسِنِدَ لتاءِ [الفاعلِ] ؛ نحوُ : لَعَنْتُمْ .

[مواضع حذف النون]

وتُحذفُ النونُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا اتصلَ بكلمةِ (نا) الفاعلِ أو نونِ النسوةِ أو نونِ الوقايةِ في نحوٍ : آمناً ، والنسوةُ بنٌ ، وأعني ، ولم يمكني .
وتُحذفُ النونُ أيضاً مِنْ كلمتي (مِنْ) و (عَنِ) الجارَّتينِ إذا اتصلَ بهما (ما) أو (مِنْ) ^(٢) .

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٣٠) عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالى رسلاً بنحوه .

(٢) مثاله : (مئاً ، عمأ) .

وَتُحَذَفُ نُونُ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا (مَا) الزَّائِدَةُ أَوْ (لَا) النَّافِيَةُ^(١) .

وَتُحَذَفُ نُونُ (أَنْ) المَصْدَرِيَّةِ حَيْثُ تَكُونُ نَاصِبَةً إِذَا اتَّصَلَ بِهَا (مَا) أَوْ (لَا)^(٢) ، وَتُحَذَفُ مِنْ نِعَمًا فِي نَحْوِ: ﴿إِنْ بُدُّوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ﴾^(٣) .



(١) مثال الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْقَىٰ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ...﴾ [الإسراء: ٢٣] ، ومثال الثاني قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] .

(٢) مثال الأول: (أَمَا أَنْتَ ذَا مَالٍ تَفْتَخِرُ !!) ، ومثال الثاني: (أرجو ألا تهجرني) .

(٣) سورة البقرة: (٢٧١) .

الباب الرابع

في وصل بعض الكلم ببعض على خلاف الأصل الذي هو الفصل ليناسب الخط اللفظ

إذا كانت الكلمة من حرف واحد ؛ كباء الجرّ ولامه ولام الابتداء . . ووصلت
بما بعدها ؛ وذلك لأنه لا يصح الوقف عليها ، وابتداء الكتابة على الوقف
والابتداء ، ولذلك وجب وصل الكلمات التي لا يصح الابتداء بها بما قبلها ؛
كالضمائر البارزة المتصلة ، وعلامات التأنيث والتثنية ، فكل ما لا يُوقَفُ
عليه وما لا يُبدَأُ به . . يُوصَلُ بما بعده وبما قبله .

ولو صارت الكلمة بالتصرف على حرف واحد ؛ كالأمر من (وقي) ومن
(وعى) . . فإنه يُوصَلُ بما بعده إن كان ضميراً ؛ لعدم صحة الوقف عليه ،
وعدم صحة الابتداء بالضمير ، فيكون الوصل في مثله لمقتضيين ، فلو وليه اسم
ظاهر . . وجب أن تلحقه هاء السكت ، ويُلفظ بها وقفاً لا وصلًا ، إلا إذا أُجريت
الوصل مُجرى الوقف ؛ فلك الوجهان في النطق بقول الشاعر^(١) : [من البسيط]

فَه بِالْعُقُودِ وَبِالْأَيْمَانِ لَا سِيَّامَا عَهْدٌ وَفَاءٌ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبِ
ويجب وصل المُركَّباتِ المزجيَّة ؛ كبعلبك ومعديكرب وقالى [قلا]^(٢) ،
وليس منها الأعدادُ المُركَّبةُ كخمسة عشر ، فلا تُوصَلُ .

نعم ؛ وصلوا ثلاث مائة إلى تسع مائة ، وألحق بالمُركَّباتِ المزجيَّةِ بابُ
(يومئذ) إذا لم تُضَفْ كلمة (إذ) كما سبق التنبيه على رسمه^(٣) ، وينبغي

(١) انظر « المطالع النصرية » (ص ٥٥) .

(٢) قالى قلا : من مدن أرمينية .

(٣) انظر (١٣/٣) .

أن يُتنبَّه للضميرِ الواقعِ بعدَ الكلمةِ : هل هو مُنفصلٌ أو متصلٌ ؟ لاختلافِ الحالِ في الكتابةِ ؛ فليسَ حالٌ : ﴿يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتُونَ﴾ ^(١) مثلَ حالِ : ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ^(٢) .

[ووصلُ (ما) بما بعدها وضابطُ الوصلِ]

وتُوصَلُ (ما) الاستفهاميةُ بحرفِ جرٍ وبمضافٍ ؛ نحوُ : ممَّ ، وعمَّ ، وفيمَّ ، وبمقتضامٍ فعلتَ كذا ؟

وتُوصَلُ (ما) الموصولةُ و(ما) النكرةُ بمنّ وفي وعن فقط ^(٣) ، وتُوصَلُ (ما) الزائدةُ كافةً وغيرَ كافةٍ مهيئةً وغيرَ مهيئةٍ بما قبلها ، إلّا في أيّانَ ما ، ومتى ما ؛ كقلّما وطالما وإنّما وكأنّما وربّما وبما وأيّما .

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ في : كلّما جيئني . . أكرمُك ، وأينما صنعتَ ، ومثلهما ، لا في مثلِ : إنّ ما صنعتُ معجبٌ .

وضابطُ الوصلِ : أن يكونَ معنى شرطٍ أو استفهامٍ .

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ بكلمةِ (سيّ) بمعنى : مثلٍ في قولهم : لا سيّما ، وبكلمةِ (مثلِ) منّ نحوِ : أسلمنا مثلما أسلمتم ، وبكلمةِ (ريثِ) كما في قولِ الشنفرى ^(٤) :

وَلَكِنَّ نَفْسًا حُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

مصدرُ راثٍ ؛ أي : بُطئاً ما ، فهو منّ المصادرِ الواقعةِ ظروفاً بالنيابةِ عنِ المضافِ المحذوفِ ؛ أي : وقتَ ريثِ التحوّلِ .

(١) سورة الذاريات : (١٣) .

(٢) سورة الزخرف : (٨٣) .

(٣) أمثلتها على الترتيب : قوله تعالى : ﴿فَكُلُوا مِمَّا آتَاكُمْ عَلَيْهِ﴾ [المائدة : ٤] ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ لَا تُتْلُونَ عَمَّا أَجْمَعَتَا وَلَا تَسْمَعُونَ عَمَّا تَهْمَلُونَ﴾ [سبأ : ٢٥] ، و(لا تخض فيما خاض فيه الناس) .

(٤) انظر «ديوان الشنفرى» (ص ٧٣) .

وتُوصَلُ كلمةُ (مَنْ) شرطيةٌ أو غيرها بحرفي مَنْ وعن فقط ؛ مثلُ : مَمَّنْ .
أنتَ ؟ ورضيتَ عَمَّنْ رضيتَ عنه ، فلا تُرسمُ النونَ بينَ الميمينِ .

وتُوصَلُ كلمةُ (لا) بهمزتي (إن) الشرطيةِ و(أن) الناصبةِ للفعلِ ، سواءً
صُورَتَا أَلِفًا أو ياءً على ما سبق^(١) .

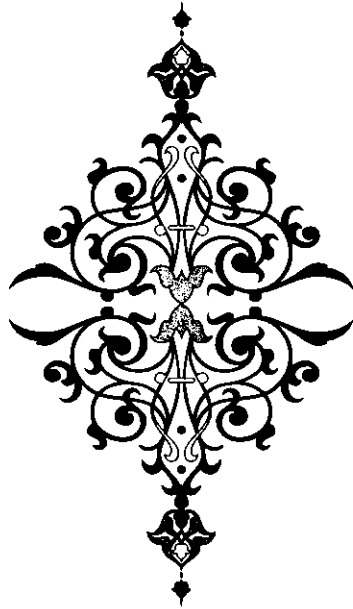
هذا ؛ ولَمَّا كانتِ الحروفُ الهجائيةُ إِنَّمَا تَدُلُّ على مادَّةِ اللَّفْظِ . . مسَّتِ
الحاجةُ لوضعِ علاماتٍ لبيانِ الحركاتِ تُسمَّى سُكَلًا ، كما أنَّهم لَمَّا اصطَلحوا
على تصويرِ بعضِ الحروفِ بغيرِ صورِها الأصليةِ أو عدمِ تصويرِها . . احتاجوا
أيضاً لعلاماتٍ تَدُلُّ على المادَّةِ ؛ مثلاً : العلامةُ التي تُسمَّى : قطعةً ؛ تُوضَعُ
فوقَ الهمزةِ القطعيةِ ، والأحرفِ المصورةِ بها الهمزةُ ، وموضعِ الهمزةِ التي
ليسَ لها صورةٌ ، كما أنَّ الأحرفَ لَمَّا اشتركَ بعضها في الصورةِ . . لَزِمَ النقطُ ؛
لتمييزِ بعضها مِنْ بعضٍ ، ولم يكنْ ذلكَ إلا بتنبيةِ التحريفِ والتصحيحِ ، ومع
الداعي إلى هذهِ الاحتراساتِ فربَّما لم يحافظوا عليها ، بل هو الأكثرُ ، ولذلك
فسدتِ اللغةُ العربيةُ ، وكانتِ هذهِ الاصطلاحاتُ غيرَ مفيدةٍ إفادةِ الضَّبِّطِ الذي
كانَ يلزمُ لحفظِ صورةِ اللغةِ ، ومعرفةِ المنقوِّطِ مِنْ غيرِهِ مِنَ التعاليمِ الأولىِ .

غيرَ أنَّ الاصطلاحَ الرسميَّ يُوجبُ التنبيةَ على أنَّ هاءَ التانيثِ لا يجوزُ
نقطُها إذا وقعتْ طرفاً في سجعٍ أو قافيةٍ ، وفي غيرِ ذلكَ يجبُ نقطُها بنقطتي
التاءِ عندَ خوفِ اللَّبسِ ، وإلاَّ . . جازَ الأمرانِ ، وأنَّ الياءَ إذا وقعتْ طرفاً أو
وسطاً بدلاً عن همزةٍ . . لا تُنقطُ ؛ كالفاءِ والقافِ والنونِ إذا وقعتْ طرفاً ، أو
إذا كانتِ الياءُ وسطاً مُحَقَّقةً ؛ كعمائشَ . . وجبَ نقطُها ، وإذا كانتِ بدلَ
همزةٍ بعدَ كسرةٍ ساكنةٍ أو مفتوحةٍ ؛ كبئِرٍ ومئةٍ . . جازَ فيها الأمرانِ .



(١) انظر (١٣/٣) .

کتابۃ الانشاء



[إضاءةٌ على كتابة الإنشاء]

ويُقالُ : صناعةُ الترشُّلِ ؛ وهي المُسمَّاةُ في زماننا : كتابةَ التحريراتِ ؛ أي : الإتيانُ بالحرِّ من الكلامِ ، في مقابلةِ كتابةِ الأموالِ المُسمَّاةِ الآنَ : كتابةَ الحساباتِ ؛ وهي تأليفُ كلامٍ بأيِّ لسانٍ متميِّزٍ عن المعتادِ في غرضٍ من أغراضِ الشركةِ الإنسانيَّةِ ، وهي صناعةٌ تقوَّى بقوَّةِ الدولةِ ، وتتَّسعُ باتساعِ أحوالها وعمومِ نشوةِ الفرحِ بينَ الناسِ ؛ لأنَّ أهلَ الصِّناعةِ إذ ذاكَ يشتغلونَ بابتداءِ المكاتباتِ عن أمرائهم ، والإجابةِ عنهم ، وتدورُ بينهمُ المُخاطباتُ في التهاني والتشكُّراتِ والتسليياتِ والشفاعاتِ والاستعطافِ والعتابِ والاعتذارِ . . . إلى غيرِ ذلكَ من المعاني .

وقد بلغتِ الكتابةُ العربيَّةُ حيثُ كانتِ الدولةُ عربيَّةً والأيامُ في إقبالها مَبْلَغاً جازتُهُ الكتابةُ التركيَّةُ حيثُ قامتْ دولتها ؛ كما نطقَ بذلكَ عقلاءُ العارفينَ باللسانينِ ، ويُنَبِّهُكَ على شرفِ كتابةِ الإنشاءِ ما ناله أهلها من الرفعةِ ونباهةِ الذِّكرِ ؛ فقد كانَ اسمُ الوزيرِ في الدولةِ العباسيَّةِ وما قارنَها من الدُّولِ الإسلاميَّةِ مُختصّاً برئيسِ ديوانِ الرسائلِ ، وهو الديوانُ المُعيَّنُ لكتابةِ الإنشاءِ ، المُسمَّى في زماننا بالمعيَّةِ السنيَّةِ .

فممنِ اشتهرَ بهذهِ الصِّناعةِ - وكانَ وزيرَ دولتيهِ ومُدبِّرَ أمرها - : الربيعُ والفضلُ ابنُهُ ، وبنو برمكٍ يحيى وابناه الفضلُ وجعفرُ ، وبنو الفراتِ ، وغيرُهُم في الدولةِ العباسيَّةِ ، والأستاذُ ابنُ العميدِ والصَّاحبُ ابنُ عبادِ إسماعيلُ وغيرُهُما في سلطنةِ بني بويه ، وعبدُ الرحيمِ المشهورُ بالقاضي الفاضلِ والعمادُ الأصبهانيُّ في سلطنةِ بني أيوب ، وابنُ زيدونَ ولسانُ الدِّينِ ابنُ الخطيبِ بالمغربِ ، كلُّ أولئكِ سادوا بصنعةِ الكتابةِ ، وعلتْ أقدارُهُم

حتى أُلْفَتِ الكُتُبُ في ذِكرِ مناقِبِهِم ، وأخبارِ أَيْامِهِم ، ونقُلُ اسمَ الكُتابةِ إلى
الفنِّ الْمُتعلِّقِ بها ، المعدودِ في فنونِ الأدبِ وعلومِ العربيةِ .

[طريقتانِ لتعلُّمِ الإنشاءِ]

وهذا الفنُّ عبارةٌ عن تنبيهاتٍ تُرشدُ مَنْ يريدُ أن يتعلَّم تلك الصِّناعةَ ،
وليسَ كغيرِهِ مِنَ الفنونِ ذا قواعدَ مضبوطةٍ ، بمعرفتها تكونُ نهايةَ العلمِ
بها ، فإنَّ لِمَنْ يريدُ أن يتعلَّم الإنشاءَ في كيفيةِ التعلُّمِ - كما قاله ابنُ الأثيرِ -
طريقتينِ :

إحداهُما : أن يحفظَ القرآنَ ، ويفهمَ معناهَ ، وجملةً مِنَ الأحاديثِ
والآثارِ والأشعارِ ، معَ تحصيلِ ما يلزمُ تحصيلُهُ مِنَ الفنونِ السابقةِ ،
ثمَّ يجتهدُ في الإنشاءِ على نحوِ أساليبِ الكلامِ الذي حفظه ؛ فتارةً
يصيبُ ، وتارةً يخطئُ ، حتى يحكمَ لنفسِهِ طريقةً ، قالَ : (وهي أصعبُ
الطريقتينِ) ^(١) .



الطريقةُ الثانيةُ : أن يزيدَ على ما تقدَّم الإطِّلاعَ على منشآتٍ مَنْ تقدَّمه ،
وحفظَ الكثيرِ منها ، واستعمالَ الفكرِ في انتقادِ تراثيبيها ، واختيارِ ما اختيرَ في
ابتدائها، وانتهاءاتها ، ثمَّ يأتي بما قدَّرَ عليه مِنَ اتباعٍ أو اختراعٍ .

[حصرُ تعلُّمِ الإنشاءِ في جهاتٍ ثلاثٍ]

إذا وعيتَ ذلكَ .. فاختصارُ ما أطالَ بهِ المؤلِّفونَ في هذا الفنِّ على
تفاوتِهِم في ذلكَ يحسُنُ أن يكونَ في ثلاثِ جهاتٍ :

(١) انظر « المثل السائر » (٩١/١) .

الجهة الأولى : في ذكر ما يلزم تحصيله لمن يريد أن يكون منشئاً .

الجهة الثانية : في أمور كليّة .

الجهة الثالثة : في ذكر طرفٍ من طرائف منشآت أذكيا أهل الصناعة .



الجهة الأولى

فيما يجبُ تحصيلُهُ على مَنْ يريدُ أن يكونَ كاتباً
حَسَبَ ما كانتْ تقتضيه أحوالُ الأزمنةِ السالفةِ

يجبُ عليه أن يتوسَّعَ في حفظِ منتقياتِ اللغةِ ، فاصلاً بينَ مُشترَكِها
ومُختصِّها ومتباينِها ، ومترادِفِها ومتكافِئِها ، ومطلقِها ومُقَيِّدِها ، ملاحظاً
مجازاتها وكناياتها ، حتَّى إذا دُفِعَ لصفةِ خيلٍ وسلاحٍ وجيشٍ ، أو صورةِ
حربٍ ، وكيفَ بدأتْ وحميَ فيها الوطيسُ وانتَهتْ ، والنصرِ والهزيمةِ ، أو
صفةِ غلمانٍ وجوارٍ ، أو حيواناتٍ وحشِيَّةٍ أو غيرِ وحشِيَّةٍ ... إلى غيرِ ذلكِ
مِنَ المعاني التي يعرِضُ للكاتبِ أن يصفَها ويتَّسعَ في الكلامِ عليها . . لم
يعجزُ أن يأتيَ بالعباراتِ الدالَّةِ على حقيقةِ الغرضِ الذي أخذَ في تفهيمِهِ .

[إجادَةُ النحوِ]

وأن يُجيدَ معرفةَ النحوِ ، حتَّى يأمنَ بملاحظتِهِ حينَ يقرأُ وحينَ يكتبُ مِن
اللَّحَنِ ، وقد كانوا يستقبحونَ اللَّحْنَ جدًّا ، حتَّى إنَّ بعضَ الملوكِ كالمأمونِ
أبعدَ بلخنةً عن الخدمةِ ، وقيلَ^(١) :

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَانِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

وإن يكنُ قد تغيَّرَ الحالُ في ذلكَ ، حتَّى إنَّه يُحكى : أنَّ كاتباً كتبَ في
صدرِ كتابٍ يخبرُ فيه عن تمامِ برجِ أمرِ السلطانِ ببنائِهِ : قد نَجَرَ ما أمرَ بهِ

(١) انظر « عيون الأخبار » (١٥٧/٢) .

أبو فلانٍ ، فلمَّا سمعهُ الأميرُ المأمورُ بذلكِ العملِ . . غضبَ على الكاتبِ ، وقالَ لهُ : تقولُ عنِ السلطانِ : (أبو) وهي كلمةٌ مُبتدلةٌ بالسنةِ العامَّةِ ؟! قُلْ : (أبا) فإنَّها المناسبةُ للتعظيمِ ، فقالَ لهُ الكاتبُ : (أبو) فاعلٌ ، حقُّه الرفعُ ، فقالَ الأميرُ : وهذهُ أعجبُ !! متى رأيتَ السلطانَ يحملُ طيناً أو حجراً حتى تقولَ : إنَّه فاعلٌ ؟!

فإنَّ ذلكَ لا يمنعُ منَ تحصيلِ الفضيلةِ التي بها الشرفُ بينَ أهلِ الفضلِ . وأن يَعْرِفَ التصريفَ ؛ حتى يأمنَ منَ الخطأِ في مثلِ أبنيةِ المصادرِ ، والمصدرِ الميميِّ ، واسمِ المكانِ ، واسمِ الزمانِ ، والتأنيثِ والتذكيرِ ، والتثنيةِ ، وصيغِ الجموعِ ، والتصغيرِ ، والنسبِ .

[تحصيلُ علومِ البلاغةِ]

وأن يُحصَلَ علومَ البلاغةِ ؛ ليستعملَ كلَّ حالٍ منَ أحوالِ التراكيبِ في موضعِها ، ويعرفَ متى تحسُنُ الاستعارةُ والكنايةُ والمجازُ ، وكيفَ يستعملُ المُحسِّناتِ البديعةَ ، قالَ الشيخُ شهابُ الدِّينِ محمودُ الحلبيُّ في كتابِه « حسنُ التوسُّلِ إلى صناعةِ الترشُّلِ » : (وهذهُ العلومُ الثلاثةُ وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذَّهنِ الثاقبِ ، والطبعِ السليمِ ، والقريحةِ المطاوعةِ ، والفكرةِ المنقحةِ ، والبديهةِ المجيبةِ ، والرويةُ المُتصرِّفةِ ، لكنَّ العالمَ بها يتَمكَّنُ منَ أزَمَّةِ المعاني وصناعةِ الكلامِ ؛ يقولُ عن علمِ ، ويتصرَّفُ عن معرفةِ ، وينتقدُ بحجَّةِ ، ويتخيَّرُ بدليلِ ، ويستحسنُ ببرهانِ ، ويصوغُ الكلامَ بترتيبِ)^(١) .

فقد أبانَ رحمهُ اللهُ تعالى عمومَ الحاجةِ إلى معرفةِ هذهِ العلومِ ، ولم يقفِ عندَ استغناءِ الأذكياءِ عنها ، كما فعلَ ابنُ السبكيِّ رحمهُ اللهُ في خطبةِ كتابِه

(١) حسن التوسل (ص ١١) .

« عروسُ الأفراحِ شرحُ تلخيصِ المفتاحِ » حيثُ قالَ : (أمَّا أهلُ [بلادنا] ..
فَهُم مستغنونَ عن ذلكَ ؛ بما طبعَهُمُ اللهُ عليه مِنَ الذَّوقِ السليمِ ، والفهمِ
المستقيمِ ، والأذهانِ التي هي أرقُّ مِنَ النَّسيمِ ، وألطفُ مِنْ ماءِ الحياةِ في
المُحيا الوسيمِ ، أكسبَهُمُ النبلُ تلكَ الحلاوةَ ، وأشارَ إليهِم بأصابعِهِ فظهرتْ
عليهِم هذه الطُّلاوةُ ، فهُم يدركونَ بطباعِهِم ما أفنت فيهِ العلماءُ فضلاً عن
الأعمارِ الأعمارَ ، ويرونَ في مرآةِ قلوبِهِم الصَّقيلةِ ما احتجبَ مِنَ الأسرارِ
خلفَ الأستارِ .

وَالسَّيْفُ مَا لَمْ يُلَفَّ فِيهِ صَيْقَلٌ مِنْ طَبَعِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالِ^(١)
فيا لها غنيمةٌ لم يُوجَفْ عليها مِنْ خيلٍ ولا رِكابٍ ، ولم يُزَحَفْ إليها بعدوِ
عيديةٍ^(٢) ، ولا بلحاقٍ لاحقٍ ، وانسكابِ سِكابٍ !!^(٣) .

وأرادَ - أكرمَ اللهُ مثواهَ ، وأبلغَهُ وافرَ حظِّهِ مِنْ رضاهُ - أذكياهُ أهلِ مصرَ ،
وجاراهُ في ذلكَ أبو العباسِ أحمدُ القَلَقَشَنديُّ ، حيثُ نقلَ ذلكَ في كتابِهِ
« صبحِ الأعشى »^(٤) ، وأوردَ استشهادهُ على ذلكَ بعضَ كلامٍ مِنْ كلامِ
عوامِهِم ؛ كقولِ بعضِهِم في الزَّجَلِ :

قف نقولك يا فهميم ما صنع وجد لغزال
أرخ ليل شعر لبهيم وتلثم بالهلال
وكشف ذاك للثام ورفع ليل لشعر
اهتتك فيه بالغرام كل ما كان استتر

(١) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (١٤٥/٣) .

(٢) العيدية : كرام نجائب التُّوق .

(٣) عروس الأفراح (١٤٦/١) ، ولاحق وسكاب : فرسان .

(٤) صبح الأعشى (١٨٢/١) .

وُبراعى في النطقِ بالزَّجْلِ اللَّحْنِ المَعْتَادُ ؛ لِحَفْظِ الوِزْنِ ، ووِزْنُ هَذَا
الزَّجْلِ : فاعلاتن فاعلاتن .

[حَفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ]

وَأَنْ يَحْفَظَ الْقُرْآنَ الشَّرِيفَ ، مُتَأَمِّلاً مَقَاصِدَ فِصُولِهِ ، وَمَوَاقِعَ آيَاتِهِ بَعْضُهَا
مِنْ بَعْضٍ ، وَحَسَنَ الْإِرْتِبَاطِ بَيْنَهَا ؛ حَتَّى يَكُونَ لَهُ نُورًا يَهْتَدِي بِهِ فِي طَرِيقِهِ
الَّتِي يَرِيدُ أَنْ يَسْلُكَهَا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَسْتَشْهَدُ بِآيَاتِهِ بَعْدَ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَهَا
وَبَيْنَ الْأَغْرَاضِ الَّتِي يَحَاوُلُ إِنْشَاءَ الْكَلَامِ لِأَجْلِهَا عَلَى مَا شَاءَ مِنَ الْمَعَانِي ،
وَيُحَلِّي كِتَبَهُ بِالِاقْتِبَاسِ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِ الْإِقْتِبَاسِ ، عَلَى مَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ لَهُ فِي
عِلْمِ الْبَدِيعِ .

وَيَعْتَبِرُ حَسَنَ الْإِقْتِبَاسِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا حَكَاهُ
فِي « تَارِيخِهِ » الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَجَانِيُّ ، فِي
كِتَابِ الْأَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ وَقَدْ كَتَبَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْتَعْلِمُهُ
عَنْ أَمْرِهِ حِينَ شَاعَ ذَكَرُ مَبْعَثِهِ ، وَهَذَا نَصُّ الْكِتَابِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ : أَحْمَدُ اللَّهُ إِلَيْكَ ،
إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَقُولُهَا وَأَمَرَ النَّاسَ بِهَا ، وَالْخَلْقُ
خَلَقَ اللَّهُ ، وَالْأَمْرُ أَمْرُ اللَّهِ ، خَلَقَهُمْ وَأَمَاتَهُمْ ، وَهُوَ [يَنْشُرُهُمْ] ، وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ
بَعْدَ حِينٍ » .

وَقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عَهْدِهِ بِالْخِلَافَةِ لِعَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا عَهَدَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ بِالْدُنْيَا ، وَأَوَّلِ عَهْدِهِ بِالْآخِرَةِ ،
فِي الْحَالِ الَّتِي يُؤْمَنُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيَتَّقِي فِيهَا الْفَاجِرُ ؛ أَنِّي اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ
عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَإِنْ بَرَّ وَعَدَلَ . . فَذَاكَ عِلْمِي بِهِ ، وَإِنْ جَارَ وَبَدَّلَ . . فَلَا

علمَ بالغيبِ ، والخيرَ أردتُ ، ولكلِّ امرئٍ ما اكتسبَ مِنَ الإثمِ ، وسيعلمُ
الذينَ ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبونَ) (١) .

[الإكثارُ من حفظِ صحاحِ الأحاديثِ]

وأن يحفظَ كثيراً مِنْ صحاحِ الأحاديثِ للأغراضِ التي لأجلِها يحفظُ
القرآنَ .

[قراءةُ التاريخِ مع الاعتبارِ]

وأن يقرأَ التواريخَ التي يَغلبُ عليها التحقيقُ ؛ كـ « تاريخِ الخطيبِ
البغداديِّ » ، و« تاريخِ الحافظِ الذهبيِّ » ، و« تاريخِ ابنِ الأثيرِ » ؛ ليحكمَ في
الوقائعِ بحكمِ نظائرها ، ويَعْرِفَ الأحوالَ الحاضرةَ بمعرفةِ أمثالها الغابرةِ .

[معرفةُ الأمثالِ العربيةِ]

وأن يحفظَ كثيراً مِنْ الأمثالِ العربيةِ وغيرها ، والأقوالِ الصادرةِ عن
الحكماءِ ؛ فإنَّها خزائنُ الحكَمِ ، ومُستودعاتُ المعاني ، ومنها تَعْرِفُ حسنَ
الإيجازِ ، وبراعةَ العباراتِ .



(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (١٨٣/٣) .

[ذكُرُ بعضِ الأمثالِ العربيَّةِ]

وحيثُ كنتَ آخذاً في التعلُّمِ .. وجبَ أن نوردَ لك هنا زيادةً على ما سبقَ في البديعِ شيئاً من الأمثالِ والحِكمِ ؛ لتكونَ لك داعيةً لطلبِ مثلها من مواضعها .

فمنَ الأمثالِ العربيَّةِ :

« إِنَّ مِنْ أَلْبِيَانٍ لَسِحْرًا »

قاله النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حينَ وفدَ عليه عمرو بنُ الأَهممِ والزُّبرقانُ ابنُ بدرٍ وقيسُ بنُ عاصمٍ ، فسألَ عليه الصلاةُ والسلامُ عمرو بنَ الأَهممِ عن الزُّبرقانِ ، فقالَ عمرو : مُطاعٌ في أذنيهِ ، شديدُ العارضةِ - أي : البيانِ واللِّسنِ - ، مانعٌ لِمَا وراءَ ظهرِهِ ، فقالَ الزُّبرقانُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إِنَّهُ ليعلمُ مِنِّي أكثرَ مِنْ هَذَا ، ولكنتُهُ حسدَني .

فقالَ عمرو : أمَّا واللهِ إِنَّهُ لَزِمِرُ المروءةِ - أي : قليلٌ - ضيقُ العَطَنِ ، أحمقُ الوالدِ ، لثيمُ الخالِ ، فرأى الغضبَ في وجهِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لمكانِ التناقضِ في كلامِهِ ، فقالَ : واللهِ يا رسولَ اللهِ ؛ ما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الأخرى ، ولكنتي رجلٌ رضىتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وسخطتُ فقلتُ أقبحَ ما وجدتُ ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ مِنْ أَلْبِيَانٍ لَسِحْرًا »^(١) ؛ يعني : أنَّ بعضَ البيانِ يعملُ عملَ السِّحْرِ .

ومعنى السِّحْرِ : إظهارُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ ، والبيانُ : اجتماعُ الفصاحةِ

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٣٧/٩) ، والمتن عند البخاري (٥٧٦٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن ، وإنما شبه بالسحر ؛ لجدّة عمله في سامعه ، وسرعة قبول القلب له ، يُضرب في استحسان المنطق ، وإيراد الحجّة البالغة^(١) .

« إِنَّ الْمُنْبِتَّ : لَا أَرْضًا قَطَعَ ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى »

الْمُنْبِتُّ : الْمُنْقَطِعُ عَنْ أَصْحَابِهِ فِي السَّفَرِ ، وَالظَّهْرُ : الدَّابَّةُ ، قَالَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِرَجُلٍ اجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ حَتَّى هَجَمَتْ عَيْنَاهُ ؛ أَي : غَارَتَا ، فَلَمَّا رَأَهُ .. قَالَ لَهُ : « إِنَّ هَذَا الَّذِي مَتَيْتُ ، فَأَوْغَلُ فِيهِ بِرَفْقٍ ؛ إِنَّ الْمُنْبِتَّ . . . » أَي : الَّذِي يَجِدُّ فِي سِيرِهِ حَتَّى يَنْبِتَ أَحْيَاءً ، سَمَّاهُ بِمَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ عَاقِبَتُهُ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(٢) ، يُضْرَبُ لِمَنْ يَبَالُغُ فِي طَلْبِ الشَّيْءِ وَيَفْرُطُ حَتَّى رَبَّمَا يَفُوتُهُ عَلَى نَفْسِهِ^(٣) .

إِنَّ الْمُوصَّيْنَ بَنُو سَهْوَانَ

يُضْرَبُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ مِنْ نَسْيَانِ مَنْ وَصَّى بِعَمَلِ شَيْءٍ بِكَثْرَةِ وَقُوعِهِ ، وَالسَّهْوَانُ : السَّهْوُ أَوْ السَّاهِي ، وَ(بَنُو السَّهْوِ) يَكُونُ كـ (أَبِي الْفَضْلِ) وَ(أَخِي الْكَرَمِ) ، وَعَلَى كَوْنِهِ السَّاهِي .. فَالْمَرَادُ بِهِ أَبُو الْبَشْرِ^(٤) .

إِنَّ الْمَعَافِي غَيْرُ مَخْدُوعٍ

يُضْرَبُ لِمَنْ يُخْدَعُ فَلَا يَنْخَدِعُ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ مَنْ عُوْفِيَ مِمَّا خُدِعَ بِهِ .. لَمْ يَضُرَّهُ مَا كَانَ خُودِعَ بِهِ .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٧٢/١) .

(٢) سورة الزمر : (٣٠) .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٧٣/١) .

(٤) انظر « مجمع الأمثال » (٧٥/١) .

وأصل المثل : أن رجلاً من بني سليم يُسمّى قادحاً كان في زمن أميرٍ يُكنى أبا مضعون ، وكان في ذلك الزمن رجلٌ آخرٌ من بني سليم أيضاً يُقال له : سليطٌ ، وكان علقَ امرأةَ قادح ، فلم يزل بها حتى أجابته وواعدته ، فأتى سليطٌ قادحاً وقال : إنني علقْتُ جاريةً لأبي مضعون ، وقد واعدتني ، فإذا دخلت عليه .. فاقعد معه في المجلس ، فإذا أراد القيام .. فاسبقه ، فإذا انتهيت إلى موضع كذا .. فاضفُر حتى أعلم بمجيئكما فأخذ حذري ، ولك كل يوم دينارٌ ، فخدعه بهذا ، وكان أبو مضعون آخرَ الناس قياماً من النادي ، ففعل قادح ذلك ، وكان سليطٌ يختلفُ إلى امرأته .

فجرى ذكرُ النساءِ يوماً ، فذكرَ أبو مضعون جواريه وعفافهنَّ ، فقال قادح وهو يُعرّضُ بأبي مضعون : ربّما غرَّ الواثقُ ، وخُدِعَ الواثقُ ، وكذبَ الناطقُ ، ومَلَّتِ العاتقُ ؛ أي : ربّما سَمِمَتِ الأنثى من فحلها فعهرتُ ، ثمَّ قال : [من البسيط]

لَا تَنْطِقَنَّ بِأَمْرٍ لَا تَيَقَّنُهُ يَا عَمْرُو إِنَّ الْمُعَافَى غَيْرُ مَخْدُوعٍ
وعمرُّو اسمُ أبي مضعون ، فعلمَ عمرُّو أنه يُعرّضُ به ، فلمَّا تفرَّقَ القومُ .. وثبَ على قادح ، فخنقه وقال : اصدقني ، فحدّته قادحٌ بالحديث ، فعرفَ أبو مضعون أن سليطاً قد خدعه ، فأخذَ عمرُّو بيدَ قادحٍ ثمَّ مرَّ به على جواريه ، فإذا هنَّ مُقبِلاتٌ على ما وُكِّلنَ به ، لم يفقدَ منهنَّ واحدةً ، ثمَّ انطلقَ أخذاً بيدَ قادحٍ إلى منزله ، فوجدَ سليطاً قد افترسَ امرأته ، فقال له أبو مضعون : (إنَّ المُعَافَى غَيْرُ مَخْدُوعٍ) تهكُّماً بقادح ، فأخذَ قادحُ السيفَ وشدَّ على سليطٍ ، فهربَ فلم يُدرِكْهُ ، ومالَ إلى امرأته فقتلها^(١) .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٧٩/١ - ٨٠) .

إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلِحُ

الفَلْحُ : الشَّقُّ ، ومنهُ الفَلَّاحُ للحَرَاثِ ؛ لِأَنَّهُ يَشُقُّ الأَرْضَ ؛ أَي : يُسْتَعَانُ فِي الأَمْرِ الشَّدِيدِ بِمَا يَشَاكُلُهُ وَيَقَاوِيهِ ^(١) .

إِنَّ الدَّوَاهِيَ فِي الأَفَاتِ تَهْتَرِسُ

وَيُرَوَى : (تَرْتَهَسُ) وَهُوَ قَلْبٌ (تَهْتَرِسُ) مِنَ الهَرَسِ ؛ وَهُوَ الدَّقُّ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الأَفَاتِ يَمُوجُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، وَيَدُقُّ بَعْضُهَا بَعْضاً كَثِرةً ، يُضْرَبُ عِنْدَ اشْتِدَادِ الزَّمَانِ وَاضْطِرَابِ الفِتَنِ .

وَأَصْلُهُ : أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِأَخَرَ وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ إِمَّا مَهْرَةً أَوْ مَهْرًا ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَقَالَ : لَا يَكُونُ الجَنِينُ إِلَّا مَهْرَةً أَوْ مَهْرًا !! فَلَمَّا ظَهَرَ الجَنِينُ . . . كَانَ مُشِيئًا الخَلْقِ مُخْتَلِفُهُ ؛ أَي : فِيهِ شَيْءٌ غَيْرُ شَيْءٍ ، فَقَالَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ ^(٢) :

قَدْ طَرَقَتْ بِجَنِينٍ نِصْفُهُ فَرَسٌ إِنَّ الدَّوَاهِيَ فِي الأَفَاتِ تَهْتَرِسُ

إِنَّ العَصَا مِنَ العُصِيَّةِ

قَالَ أبو عبيدٍ : (هَكَذَا قَالَ الأَصْمَعِيُّ ، وَأَنَا أَحْسِبُهُ : العُصِيَّةُ مِنَ العَصَا ، إِلَّا أَنْ يُرَادَ أَنَّ الشَّيْءَ الجَلِيلَ يَكُونُ فِي بَدءِ أَمْرِهِ صَغِيرًا ، كَمَا قَالُوا : إِنَّ القَرَمَ مِنَ الأَفِيلِ ^(٣) ، فَيَجُوزُ حِينَئِذٍ عَلَى هَذَا المَعْنَى أَنْ يُقَالَ : العَصَا مِنَ العُصِيَّةِ) ^(٤) .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٨٠/١) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٨٢/١) .

(٣) الأفيل : الفتي من الإبل ، والقرم : الفحل .

(٤) انظر « الأمثال » (ص ١٤٥) .

قَالَ الْمُفْضَلُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيُّ ؛ وَذَلِكَ أَنْ نَزَارًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ . . جَمَعَ بَنِيهِ مُضَرَّ وَإِيَادًا وَرَبِيعَةً وَأَنْمَارًا ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ؛ هَذِهِ الْقُبَّةُ الْحَمْرَاءُ - وَكَانَتْ مِنْ أَدَمٍ - لِمُضَرِّ ، وَهَذَا الْفَرَسُ الْأَدْهَمُ وَالْخِبَاءُ الْأَسْوَدُ لِرَبِيعَةَ ، وَهَذِهِ الْخَادِمُ - وَكَانَتْ شَمْطَاءً - لِإِيَادٍ ، وَهَذِهِ الْبَدْرَةُ وَالْمَجْلِسُ لِأَنْمَارٍ يَجْلِسُ فِيهِ ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ كَيْفَ تَقْتَسِمُونَ . . فَأَتَوْا الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيَّ وَمَنْزَلَهُ بِنَجْرَانَ .

فَتَشَاجَرُوا فِي مِيرَاثِهِ ، فَتَوَجَّهُوا إِلَى الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي مَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ . . إِذْ رَأَى مُضَرُّ أَثَرَ كَلَأٍ قَدْ رُعِيَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْبَعِيرَ الَّذِي رَعَى هَذَا لِأَعُورٍ ، قَالَ رَبِيعَةُ : إِنَّهُ لِأَزُورٍ ، قَالَ إِيَادٌ : إِنَّهُ لِأَبْتَرٍ ، قَالَ أَنْمَارٌ : إِنَّهُ لَشُرُودٌ .

فَسَارُوا قَلِيلًا ؛ فَإِذَا هُمْ بِرَجُلٍ يَنْشُدُ جَمَلَهُ ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ ، فَقَالَ مُضَرُّ : أَهْوَ أَعُورٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ رَبِيعَةُ : أَهْوَ أَزُورٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ إِيَادٌ : أَهْوَ أَبْتَرٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَنْمَارٌ : أَهْوَ شُرُودٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَهَذِهِ وَاللَّهِ صِفَةُ بَعِيرِي ، فَدَلُّونِي عَلَيْهِ ، قَالُوا : وَاللَّهِ ؛ مَا رَأَيْنَاهُ ، قَالَ : هَذَا وَاللَّهِ الْكَذْبُ ، وَتَعَلَّقَ بِهِمْ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَصْدِقُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ ؟!

فَسَارُوا حَتَّى قَدَمُوا نَجْرَانَ ، فَلَمَّا نَزَلُوا . . نَادَى صَاحِبُ الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ أَخَذُوا جَمَلِي ، وَوَصَفُوا لِي صِفَتَهُ ، ثُمَّ قَالُوا : لِمَ نَرُهُ !! فَاخْتَصَمُوا إِلَى الْأَفْعَى وَهُوَ حَكَمَ الْعَرَبِ ، فَقَالَ الْأَفْعَى : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ ؟ قَالَ مُضَرُّ : رَأَيْتُهُ رَعَى جَانِبًا وَتَرَكَ جَانِبًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ ، وَقَالَ رَبِيعَةُ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَتَهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَزُورٌ ؛ لِأَنَّهُ أَفْسَدَهُ لِشِدَّةِ وَطْئِهِ لِأَزُورَاهِ ، وَقَالَ إِيَادٌ : عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبْتَرٌ بِاجْتِمَاعِ بَعْرِهِ ، وَلَوْ كَانَ ذِيَالًا . . لَمَصَّعَ بِهِ ، وَقَالَ أَنْمَارٌ : عَرَفْتُ أَنَّهُ شُرُودٌ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرَعَى فِي الْمَكَانِ الْمُلْتَفِّ نَبْتَهُ ،

ثُمَّ يَجُوزُهُ إِلَى مَكَانٍ أَرَقَّ مِنْهُ وَأَخْبَثَ نَبْتًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ :
لِيسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ ، فَاطْلُبْهُ .

ثُمَّ سَأَلَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَرَحَّبَ بِهِمْ ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُ بِمَا جَاءَ
بِهِمْ ، فَقَالَ : أَتَحْتَاجُونَ إِلَيَّ وَأَنْتُمْ كَمَا أَرَى ؟ ! ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ ، فَذَبَحَ لَهُمْ شَاةً ،
وَأَتَاهُمْ بِخَمِيرٍ ، وَجَلَسَ لَهُمْ الْأَفْعَى حَيْثُ لَا يُرَى وَهُوَ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ ، فَقَالَ
رَبِيعَةُ : لِمَ أَرَّ كَالْيَوْمِ لِحِمَاً أَطِيبَ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّ شَاتَهُ غُذِيَتْ بِلَبَنِ كَلْبَةٍ ، فَقَالَ
مُضَرٌّ : لِمَ أَرَّ كَالْيَوْمِ خَميراً أَطِيبَ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّ حُبْلَتَهَا نَبَتَتْ عَلَى قَبْرِ ، فَقَالَ
إِيَادٌ : لِمَ أَرَّ كَالْيَوْمِ رَجلاً أَسْرَى مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ لَيْسَ لِأَبِيهِ الَّذِي يَدَّعِي لَهُ ،
فَقَالَ أَنِمَارٌ : لِمَ أَرَّ كَالْيَوْمِ كَلَاماً أَنْفَعَ فِي حَاجَتِنَا مِنْ كَلَامِنَا ، وَكَانَ كَلَامُهُمْ
بِأَذْنِهِ .

فَقَالَ : مَا هُوَ لِإِلَّا شَيَاطِينُ ، ثُمَّ دَعَا الْقَهْرْمَانَ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْخَمْرُ ؟
وَمَا أَمْرُهَا ؟ قَالَ : هِيَ مِنْ حُبْلَةٍ غَرَسْتُهَا عَلَى قَبْرِ أَبِيكَ ، لِمَ يَكُنْ عِنْدَنَا
شَرَابٌ أَطِيبٌ مِنْ شَرَابِهَا ، وَقَالَ لِلرَّاعِي : مَا أَمْرُ هَذِهِ الشَاةِ ؟ قَالَ : هِيَ عَنَاقٌ
أَرْضَعْتُهَا بِلَبَنِ كَلْبَةٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّهَا كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْغَنَمِ شَاةٌ
وَلِدَتْ غَيْرَهَا ، ثُمَّ أَتَى أُمَّهُ فَسَأَلَهَا عَنْ أَبِيهِ ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ مَلِكٍ
كَثِيرِ الْمَالِ ، وَكَانَ لَا يُوَلِّدُ لَهُ ، قَالَتْ : فَخَفْتُ أَنْ يَمُوتَ وَلَا وَلَدَ لَهُ فَيَذْهَبَ
الْمَلِكُ ، فَأَمَكَنْتُ مِنْ نَفْسِي ابْنَ عَمِّ لَهُ كَانَ نَازِلاً عَلَيْهِ .

فَخَرَجَ الْأَفْعَى إِلَيْهِمْ ، فَقَصَّ الْقَوْمُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُمْ ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَوْصَى بِهِ
أَبُوهُمْ ، فَقَالَ : مَا أَشْبَهَ الْقُبَّةَ الْحَمْرَاءَ مِنْ مَالٍ . . فَهُوَ لِمُضَرٍّ ، فَذَهَبَ بِالْدَنَانِيرِ
وَالْإِبِلِ الْحَمْرِ ، فَسَوَّى : مُضَرَّ الْحَمْرَاءَ لَذَلِكَ ، وَقَالَ : وَأَمَّا صَاحِبُ الْفَرَسِ
الْأَدْهَمِ وَالْخِبَاءِ الْأَسْوَدِ . . فَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ أَسْوَدَ ، فَصَارَتْ لِرَبِيعَةَ الْخَيْلُ الدُّهْمُ ،
فَقِيلَ : رَبِيعَةُ الْفَرَسِ ، وَمَا أَشْبَهَ الْخَادِمَ الشَّمْطَاءَ . . فَهُوَ لِإِيَادٍ ، فَصَارَ لَهُ

الماشية البُلُقُ مِنَ الْحَبَلِقِ وَالنَّقْدِ^(١) ، فَسُمِّيَ : إِيَادَ الشَّمْطَاءِ ، وَقَضَى لِأَنْمَارٍ
بِالدَّرَاهِمِ وَبِمَا فَضَلَ ، فَسُمِّيَ : أَنْمَارَ الْفَضْلِ .

فَصَدَرُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ الْأَفْعَى : إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ ، وَإِنَّ
خُشَيْنًا مِنْ أَحْسَنَ ، وَمُسَاعِدَةُ الْخَاطِلِ تُعَدُّ مِنَ الْبَاطِلِ ، فَأَرْسَلَهُنَّ مَثَلًا .

وُخْشَيْنٌ وَأَحْسَنٌ : جِبَلَانِ ؛ أَحَدُهُمَا أَصْغَرُ مِنَ الْآخَرِ ، وَالْخَاطِلُ : الْجَاهِلُ ،
وَالْخَطْلُ فِي الْكَلَامِ : اضْطِرَابُهُ ، وَالْعُصَيَّةُ : تَصْغِيرُ تَكْبِيرٍ ؛ مَثَلٌ : أَنَا عُدَيْتُهَا
الْمُرْجَبُ وَجُدَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَالْمَرَادُ : أَنَّهُمْ يُشْبِهُونَ آبَاءَهُمْ فِي جُودَةِ الرَّأْيِ ،
وَقِيلَ : إِنَّ الْعَصَا اسْمُ فَرَسٍ ، وَالْعُصَيَّةُ اسْمُ أُمِّهِ ؛ يُرَادُ أَنَّهُ يَحْكِي الْأُمَّ فِي كَرَمِ
الْعَرَقِ وَشَرَفِ الْعَتَقِ^(٢) .

إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

قَالَ الْمُفْضَلُ : يُقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ : لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْزِضَ نَفْسَهُ عَلَى
قَبَائِلِ الْعَرَبِ . . . خَرَجَ وَأَنَا مَعَهُ ، فَدَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ ،
فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ نَسَابَةً ، فَسَلَّمَ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : مَمَّنِ الْقَوْمُ ؟
قَالُوا : مِنْ رِبِيعَةَ ، فَقَالَ : أَمِنْ هَامِتِهَا أَمْ مِنْ لِهَازِمِهَا ؟ قَالُوا : مِنْ هَامِتِهَا
الْعَظْمَى ، قَالَ : فَأَيُّ هَامِتِهَا الْعَظْمَى أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : ذُهْلُ الْأَكْبَرِ ، قَالَ : أَفَمِنْكُمْ
عَوْفٌ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : لَا حُرَّ بَوَادِي عَوْفٍ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَفَمِنْكُمْ بِسْطَامٌ
ذُو اللَّوَاءِ وَمَنْتَهَى الْأَحْيَاءِ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَفَمِنْكُمْ جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ حَامِي
الذِّمَارِ وَمَانِعُ الْجَارِ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَفَمِنْكُمْ الْحَوْفَزَانُ قَاتِلُ الْمَلُوكِ وَسَالِبُهَا

(١) الحبلق والنقد : نوعان من الغنم ، والبلق : السواد والبياض .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١ / ٨٨ - ٩٠) .

أنفسها؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم المزدلفُ صاحبُ العِمَامَةِ الفردة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أحوالُ الملوكِ مِنْ كندة؟ قالوا: لا، قال: فلستُم ذُهلاً الأكبر، أنتم ذهلُ الأصغر، فقامَ إليه غلامٌ قد بقلَ وجهه يُقالُ له: دَغْفَلٌ، فقال:

[من مشطور الرجز]

إِنَّ عَلَيَّ سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ
وَأَلْعَبَهُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلُهُ

يا هذا؛ إنك قد سألتنا، فلم نكتمك شيئاً، فمن الرجل أنت؟ قال: رجلٌ من قريشٍ، قال: بخٍ بخٍ، أهلُ الشرفِ والرئاسةِ، فمن أيِّ قريشٍ أنت؟ قال: من نعيمِ بنِ مُرَّة، قال: أمكنت واللهِ الرامي من صفا الثغرة؛ أفمنكم قصيُّ بنُ كلابٍ الذي جمعَ القبائلَ من فهيرٍ وكان يُدعى مُجمِعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشمٌ الذي هشمَ الشريدَ لقومه ورجالَ مكة مُستنونَ عجافٍ؟ قال: لا، قال: أفمنكم شيبهُ الحمدي مطعمُ طيرِ السماءِ الذي كأن في وجهه قمرأ يضيءُ ليلَ الظلامِ الداجي؟ قال: لا، قال: أفمن المفيضين بالناسِ أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهلِ الندوة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهلِ الرفادة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهلِ الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهلِ السقاية أنت؟ قال: لا، قال: واجتذب أبو بكرٍ زمامَ ناقتهِ، فرجع إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال دَغْفَلٌ: صادفَ دَرءُ السيلِ درءاً يصدَعُهُ، أما واللهِ لو ثبت.. لأخبرتكَ أنك من زمعاتِ قريشٍ، أو ما أنا بدَغْفَلٍ، قال: فتبسّم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال عليٌّ: قلتُ لأبي بكرٍ: لقد وقعت من الأعرابيِّ عليّ باقعةٌ، قال: أجل، إن لكلِّ طامئةٍ طامئةً، وإنَّ البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطقِ^(١).

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩٦/١٧ - ٢٩٨)، وانظر «مجمع الأمثال» (٩١/١ - ٩٣).

وفي قصة المثلِ أمثالاً :

قوله : (لا حرَّ بوادي عوفٍ) يُتمثلُ به في هضم مَنْ يتعاضمُ بنواحي مَنْ
يقدِرُ على قهره .

وقوله : (إنَّ على سائِلنا أن نساءهُ) ؛ ومحلُّ التمثُلِ به ظاهرٌ .

وقوله : (والعبءُ لا تعرِفُهُ أو تحمله) ؛ يُتمثلُ به في طلبِ الاختبارِ ،
وتركِ الاكتفاءِ بما يبدو ؛ فإنَّ الشيءَ الذي تريدُ حملهُ فيكونُ عبئاً ربَّما يكونُ
كبيراً في النظرِ خفيفاً في الوزنِ ، وربَّما كانَ ثَقيلَ الوزنِ وهوَ صغيرُ الحجمِ .

أُمُّ فرشتُ فأنامتُ

يُضربُ في بزِّ الرجلِ بصاحبه ، قالَ قرادٌ^(١) :

وَكُنْتُ لَهُ عَمًّا لَطِيفاً وَوَالِدًا رُوُوفًا وَأُمَّاً مَهَّدَتْ فَأَنَامَتْ

إذا ترَضَّيتَ أخاكَ . . فلا أخاكَ

الترَضِّي : الإرضاءُ بجهدٍ ومشقَّةٍ ؛ يقولُ : إذا ألجأكَ أخوكَ إلى أن تترضَّاهُ
وتداريهُ . . فليسَ هوَ بأخٍ لك^(٢) .

أن ترَدَّ الماءَ بماءٍ أكيسُ

يُتمثلُ به عندَ الأمرِ بالاعتصامِ في المعيشةِ والمحافظةِ على قليلِهِ وإن
كانَ واثقاً بحصولِ كثيرٍ له في المستقبلِ ، وأصلُهُ في المسافرِ عرفَ قُربَهُ مِنَ
المنهلِ ، فأسرفَ في استعمالِ ما حملَ مِنَ الماءِ^(٣) .

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١٠٤/١) .

(٢) انظر «مجمع الأمثال» (١٠٧/١) .

(٣) انظر «مجمع الأمثال» (١٢٨/١) .

إحدى حُظَيَاتِ لِقْمَانَ

الحُظِيَّةُ : تصغيرُ الحَظْوَةِ بفتحِ حائِهِ ؛ وهي المرمأة^(١) ، قال أبو عبيدٍ :
(هي التي لا نصل لها)^(٢) .

ولقمانُ هذا : هو لقمانُ بنُ عادٍ ، وحديثُهُ : أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ
عادٍ يُقَالُ لَهُمَا : عمروُ وكعبُ ابنا تِقْنِ بنِ معاويةَ ، وكانا ربِّي إِبِلٍ ، وكان
لقمانُ ربَّ غنمٍ ، فأعجبتْ لقمانَ الإِبِلُ ، فراودهُما عنها ، فأبى أن يبيعهَا ،
فعمدَ إلى ألبانِ غنمِهِ مِنْ ضآنٍ ومِعزَى ، وأنافَحَ مِنْ أنافِحِ السخْلِ ، فلمَّا رأيا
ذلكَ . . لم يلتفتا إليه ، ولم يرغبَا في ألبانِ الغنمِ ، فلمَّا رأى ذلكَ لقمانُ . .
قالَ : اشتريها ابني تِقْنِ ، أقبلتْ مَيْسًا ، وأدبرتْ هَيْسًا ، وملاَّتِ البيتَ أقطًا
وحيسًا ، اشتريها ابني تِقْنِ ؛ إِنَّهَا الضَّأْنُ تُجَزُّ جُفَالًا ، وتُنْتَجُ رِخَالًا ، وتُحَلَبُ
كُثْبًا ثِقَالًا ، فقالا : لا نشترِها يا لقمُ ؛ إِنَّهَا الإِبِلُ ؛ حملنَ فَاتَسَقَنَ ، وجريَنَ
فأعقنَ ، وبغيرِ ذلكَ أفلتنَ ، يغزرنَ إذا قَطَنَ ، فلم يبيعهَا الإِبِلُ ، ولم يشريا
الغنمَ .

فجعلَ لقمانُ يداورُهُما ، وكانا يهابانِهِ ، وكانَ يلتمسُ أن يغفُلا فيشدَّ على
الإِبِلِ ويطردهَا .

فلمَّا كانَ ذاتَ يومٍ . . أصابا أرنبًا وهو يَرصدُهُما رجاءَ أن يصيهُمَا فيذهبَ
بالإِبِلِ ، فأخذا صفيحَةً مِنَ الصِّفا ، فجعلها أحدهُما في يدهِ ، ثمَّ جعلَ عليها
كومةً مِنْ ترابٍ قد أحمياهُ ، فملا الأرنبَ في ذلكَ الترابِ ، فلمَّا أنضجاها . .
نفضا عنها الترابَ فأكلاها ، فقالَ لقمانُ : يا ويلتا !! أنيئةً أكلاها ، أم الرِيحَ
أقبلاها ، أم بالشيحِ اشتوياها ؟

(١) المرمأة : السهم الصغير الضعيف .

(٢) الأمثال (ص ٨٠) للقاسم بن سلام .

ولمَّا رَأَاهُمَا لِقْمَانٌ لَا يَغْفِلَانِ عَنِ إِبْلِهِمَا ، وَلَمْ يَجِدْ فِيهِمَا مَطْمَعاً . . لَقِيَهُمَا
 وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جَفِيرٌ مَمْلُوءٌ نَبَلًا ، وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ نَبَلَيْنِ ، فَخَدَعَهُمَا
 فَقَالَ : مَا تَصْنَعَانِ بِهِذِهِ النَّبْلِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي مَعَكُمْ ؟! إِنَّمَا هِيَ حَطْبٌ ، فَوَاللَّهِ ؛
 مَا أَحْمَلُ مَعِيَ غَيْرَ نَبَلَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ أَصِبْ بِهِمَا . . فَلَسْتُ بِمَصِيبٍ ، فَعَمَدَا
 إِلَى نَبْلِهِمَا فَنَثَرَاهَا غَيْرَ سَهْمَيْنِ ، فَعَمَدَا إِلَى النَّبْلِ فَحَوَاهَا ، وَلَمْ يَصِبْ لِقْمَانٌ
 مِنْهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ غِرَّةً .

وَكَانَ فِيهَا يَذْكُرُونَ لِعَمْرٍو بْنِ تَيْقِنٍ امْرَأَةً ، فَطَلَّقَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا لِقْمَانٌ ،
 وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ وَهِيَ عِنْدَ لِقْمَانَ تَكْثُرُ أَنْ تَقُولَ : لَا فَتَى إِلَّا عَمْرُو ، وَكَانَ
 ذَلِكَ يَغِيظُ لِقْمَانَ وَيَسُوُّهُ كَثْرَةُ ذِكْرِهَا ، فَقَالَ لِقْمَانٌ : لَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي عَمْرٍو ،
 فَوَاللَّهِ ؛ لِأَقْتُلَنَّ عَمْرًا ، فَقَالَتْ : لَا تَفْعَلْ .

وَكَانَتْ لِابْنِي تَيْقِنٍ سَمُرَةٌ يَسْتِظِلُّانِ بِهَا حَتَّى تَرِدَ إِبْلُهُمَا فَيَسْقِيَانِهَا ،
 فَصَعِدَهَا لِقْمَانٌ وَاتَّخَذَ فِيهَا عُنْشًا رَجَاءً أَنْ يَصِيبَ مِنْ ابْنِي تَيْقِنٍ غِرَّةً ، فَلَمَّا
 وَرَدَتْ الْإِبْلُ . . تَجَرَّدَ عَمْرُو ، وَأَكْبَبَ عَلَى الْبَيْرِ يَسْتَقِي ، فَرَمَاهُ لِقْمَانٌ مِنْ فَوْقِهِ
 بِسَهْمٍ فِي ظَهْرِهِ ، فَقَالَ : حَسَنٌ ^(١) ، إِحْدَى حُطَيَّاتِ لِقْمَانَ ، فَذَهَبَ مِثْلًا ، ثُمَّ
 أَهْوَى إِلَى السَّهْمِ فَانْتَزَعَهُ ، فَوَقَعَ بَصْرُهُ عَلَى الشَّجَرَةِ ، فَإِذَا هُوَ بِلِقْمَانَ ، فَقَالَ :
 انزِلْ ، فَانزَلْ ، فَقَالَ : اسْتَقِ بِهِذِهِ الدَّلْوِ ، فَزَعَمُوا أَنَّ لِقْمَانَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْفَعَ
 الدَّلْوَ حِينَ امْتَلَأَتْ . . نَهَضَ نَهْضَةً فَضُرَطَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَضُرَطًا آخِرَ الْيَوْمِ
 وَقَدْ زَالَ الظُّهْرُ ؟! فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

ثُمَّ إِنَّ عَمْرًا أَرَادَ أَنْ يَقْتَلَ لِقْمَانَ ، فَتَبَسَّمَ لِقْمَانٌ ، فَقَالَ عَمْرُو : أَضَاحِكُ
 أَنْتَ ؟ قَالَ لِقْمَانٌ : مَا أَضْحَكُ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، أَمَا إِنِّي نُهِيتُ عَمَّا تَرَى ،
 فَقَالَ : وَمَنْ نَهَاكَ ؟ قَالَ : فَلَانُهُ ، قَالَ عَمْرُو : أَفَلِي عَلَيْكَ إِنْ وَهَبْتُكَ لَهَا أَنْ

(١) حَسَنٌ : اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى أَنْتَأَلِمُ .

تعلّمها ذلك؟ قال: نعم، فخلّى سبيلَهُ، فأتاها لقمانُ فقال: لا فتى إلا عمرو، فقالت: أقد لقيتَهُ؟ قال: نعم، لقيتُهُ فكانَ كذا وكذا، ثمّ أسرني، فأرادَ قتلي، ثمّ وهبني لك، قالت: لا فتى إلا عمرو.

يُضْرَبُ لِمَنْ عُرِفَ بِالشَّرِّ، فإذا جاءتْ هَنَةٌ مِنْ جنسِ أفعاليه . . قيلَ: إحدَى حُطَيَّاتِ لقمانَ؛ أي: إِنَّهُ فعلةٌ مِنْ فعلاتِهِ^(١).

المَيْسُ والهَيْسُ: كالحَيْسِ بفتح فسكونٍ، يصفُ مشيَ الغنمِ عند إقبالِها مِنَ المراعي للبيوتِ وهي بَطَانٌ ممتلئةُ الضَّرُوعِ، وعندَ إدبارِها عن البيوتِ للمراعي وهي خِماصٌ، والجُفَالُ: كغُرَابٍ؛ الصُّوفُ الكثيرُ، والكُثْبَةُ بضم فسكونٍ: مِلءُ القَدحِ، والرِّخَالُ بكسرِ الرَّاءِ: جمعُ رِخلةٍ أو رِخِلٍ كذلك؛ وهي الأنثى [مِنْ] ولدِ الضَّانِ.

إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ العَصَا

قالوا: هذا مِنْ قولِ غنيّةِ الأعرابيةِ لابنها، وكانَ عارماً كثيرَ التلّفِ إلى الناسِ معَ ضعفِ أسرٍ ودِقّةِ عظيمٍ، فوائبَ يوماً فتىَ فقطعَ الفتى أنفَهُ، فأخذتْ غنيّةٌ ديةَ أنفِهِ، فحسّنتْ حالها بعدَ فقرٍ مُدقِعٍ، ثمّ وائِبَ آخَرَ فقطعَ أذنهَ، فأخذتْ ديتها، فزادتْ حسنَ حالِ، ثمّ وائِبَ آخَرَ فقطعَ شفّتهُ، فأخذتْ الديةَ.

فلَمَّا رأتْ ما صارَ عندها مِنَ الإبلِ والغنمِ والمتاعِ، وذلكَ مِنْ كسبِ جوارحِ ابنها . . حَسَنَ رأيها فيه، وذكرتهُ في أرجوزتها فقالتُ: [من مشطور الرجز]

أَخْلِفُ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّفَا

إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ العَصَا

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١٣٤/١).

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا تَفَارِقُ الْعَصَا ؟ قَالَ : الْعَصَا تَقْطَعُ سَاجِوْرًا ، وَالسَّوَاجِيْرُ تَكُوْنُ لِلْكَلاِبِ وَاللَّأْسْرَى مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ تَقْطَعُ عَصَا السَّاجِوْرِ فَتَصِيْرُ أَوْتَادًا ، وَيُفْرَقُ الْوَتْدُ فَتَصِيْرُ كُلُّ قِطْعَةٍ شِظَاظًا - كَكِتَابٍ - خَشْبَةٌ تُعَقَفُ لِتُجْعَلَ فِي عُرُوْتَيْ جِوَالِقَيْنِ ، فَإِنْ جُعِلَ لِرَأْسِ الشِّظَاظِ كَالْفَلَكَةِ . . صَارَ لِلْبَخْتِيِّ مِهَارًا بِكْسِرِ الْمِيَمِ ، وَهُوَ الْعَوْدُ الَّذِي يُدْخَلُ فِي أَنْفِ الْبَخْتِيِّ ، وَإِذَا فُرِقَ الْمِهَارُ . . جَاءَتْ مِنْهُ تَوَادٍ ؛ وَهِيَ الْخَشْبَةُ الَّتِي تُشَدُّ عَلَى خِلْفِ النَّاقَةِ إِذَا صُرَّتْ .

هَذَا إِذَا كَانَتْ عَصَاً ، فَإِذَا كَانَتْ قَنَاءً . . فَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا قَوْسٌ بِنَدَقٍ ، فَإِنْ فُرِّقَتْ الشَّقَّةُ . . صَارَتْ سِهَامًا ، فَإِنْ فُرِّقَتْ السِّهَامُ . . صَارَتْ حِظَاءً ، فَإِنْ فُرِّقَتْ الْحِظَاءُ . . صَارَتْ مِغَازِلَ ، فَإِنْ فُرِّقَتْ الْمِغَازِلُ . . شَعِبَ بِهِ الشَّعَابُ أَقْدَاخُهُ الْمِصْدُوعَةَ وَقِصَاعُهُ الْمَشْقُوقَةَ ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَجْدُ لَهَا أَصْلَحَ مِنْهَا وَأَلْيَقَ بِهَا .

يُضْرَبُ فَيَمَنْ نَفَعَهُ أَعْمٌ مِنْ نَفْعِ غَيْرِهِ ^(١) .

إِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ

الْمِعَاتِبَةُ : الْمَعَاوِدَةُ ، وَبَشَرَةُ الْأَدِيمِ : ظَاهِرُهُ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّعْرُ ؛ أَي : أَنْ مَا يُعَادُ إِلَى الدِّبَاغِ مِنَ الْأَدِيمِ مَا سَلِمَتْ بَشْرَتُهُ .

يُضْرَبُ لِمَنْ فِيهِ مِرَاجِعَةٌ وَمُسْتَعْتَبٌ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كُلُّ مَا كَانَ فِي الْأَدِيمِ مُحْتَمِلًا مَا سَلِمَتْ الْبَشَرَةُ ، فَإِذَا نَعَلَتْ الْبَشَرَةُ . . بَطَلَ الْأَدِيمُ ، وَمِنْ هُنَا أُخِذَ الْعِتَابُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ لِذِكْرِ الْهَفْوَاتِ ، ثُمَّ الْاعْتِدَارُ أَوْ الْاعْتِرَافُ ، وَالْمَسَامَحَةُ ، وَالْعَوْدُ إِلَى الْمِصَافَةِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ دَبِغِ الْجِلْدِ لِإِزَالَةِ فَضْلَاتِهِ .

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١/١٣٧ - ١٣٨) .

إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لَدِي الْحِلْمِ

قِيلَ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا عَمْرُو بْنُ مَالِكِ بْنِ ضَبِيْعَةَ ، أَخُو سَعْدِ بْنِ مَالِكِ الْكِنَانِيِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ سَعْدًا أَتَى النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ وَمَعَهُ خَيْلٌ لَهُ قَادَهَا وَأُخْرَى عَرَّاهَا ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ عَرَّيْتَ هَذِهِ وَقُدَّتْ هَذِهِ ؟ قَالَ : لِمَ أَقْدُ هَذِهِ لِأَمْنَعِهَا ، وَلِمَ أُعَرِّ هَذِهِ لِأَهْبِهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى النُّعْمَانِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَرْضِهِ ، فَقَالَ : أَمَّا مَطْرُهَا . . فغزيرٌ ، وَأَمَّا نَبْتُهَا . . فكثيرٌ .

فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : إِنَّكَ لَقَوَّالٌ ، وَإِنْ شِئْتَ أَتَيْتَكَ بِمَا تَعِيَا عَنْ جَوَابِهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَأَمَرَ وَصِيْفًا لَهُ أَنْ يَلْطَمَهُ ، فَلْطَمَهُ لَطْمَةً ، فَقَالَ : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ قَالَ : سَفِيْةٌ مَأْمُورٌ ، قَالَ : الطَّمْهُ أُخْرَى ، فَلْطَمَهُ ، قَالَ : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ قَالَ : لَوْ أَخَذَ بِالْأُولَى . . لَمْ يَعُدْ لِلْأُخْرَى ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النُّعْمَانُ أَنْ يَتَعَدَّى سَعْدٌ فِي الْمَنْطِقِ فَيَقْتُلَهُ ، قَالَ : الطَّمْهُ ثَالِثَةٌ ، فَلْطَمَهُ ، قَالَ : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ قَالَ : رَبُّ يُؤَدِّبُ عَبْدَهُ ، قَالَ : الطَّمْهُ أُخْرَى ، فَلْطَمَهُ ، قَالَ : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ قَالَ : مَلَكَتْ [فَاسْجَحْ] ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، قَالَ النُّعْمَانُ : أَصَبْتَ ، فَامْكُثْ عِنْدِي ، وَأَعْجِبُهُ مَا رَأَى مِنْهُ ، فَمَكُثَ عِنْدَهُ مَا مَكُثَ .

ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِلنُّعْمَانِ أَنْ يَبِيعَ رَائِدًا ، فَبِيعَ عَمْرًا أَخَا سَعْدِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ ، فَأَغْضَبَهُ ذَلِكَ ، فَأَقْسَمَ ؛ لَنْ جَاءَ ذَامًا لِلْكَلِّ أَوْ حَامِدًا لَهُ . . لِيَقْتُلَنَّهُ ، فَقَدِمَ عَمْرُو وَكَانَ سَعْدٌ عِنْدَ الْمَلِكِ ، فَقَالَ سَعْدٌ : أَتَأْذُنُ أَنْ أُكَلِّمَهُ ؟ قَالَ : إِذَا يُقْطَعُ لِسَانُكَ ، قَالَ : فَأَشِيرَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : إِذَا تُقْطَعُ يَدُكَ ، قَالَ : فَأَقْرَعْ لَهُ الْعَصَا ؟ قَالَ : فَأَقْرَعُهَا ، فَتَنَاولَ سَعْدٌ عَصَا جَلِيسِهِ وَقَرَعَ بِعَصَاهُ قَرَعَةً وَاحِدَةً ، فَعَرَفَ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُ : مَكَانُكَ ، ثُمَّ قَرَعَ بِالْعَصَا ثَلَاثَ قَرَعَاتٍ ، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، وَمَسَحَ عَصَاهُ بِالْأَرْضِ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُ : لِمَ أَجْدُ جَدْبًا ، ثُمَّ قَرَعَ الْعَصَا مَرَارًا ، ثُمَّ رَفَعَهَا شَيْئًا وَأَوْمَأَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ يَقُولُ : وَلَا نَبَاتًا ، ثُمَّ قَرَعَ الْعَصَا قَرَعَةً وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْمَلِكِ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ يَقُولُ : كَلِّمْنِي ، فَأَقْبَلَ عَمْرُو حَتَّى

قَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي ، هَلْ حَمَدْتَ خَصْباً أَوْ ذَمَمْتَ جَدباً ؟
فَقَالَ عَمْرُو : لَمْ أَدْمَمْ هُزْلاً ، وَلَمْ أَحْمَدْ بَقْلاً ، الْأَرْضُ مُشْكَلَةٌ ، لَا خَصْبُهَا
يُعْرَفُ ، وَلَا جَدْبُهَا يُوصَفُ ، رَائِدُهَا واقِفٌ ، وَمَنْكُرُهَا عَارِفٌ ، وَأَمْنُهَا خَائِفٌ ،
قَالَ الْمَلِكُ : أَوْلَى لَكَ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ يَذْكُرُ قَرَعَ الْعَصَا : [من الطويل]

فَرَعْتُ الْعَصَا حَتَّى تَبَيَّنَ صَاحِبِي وَلَمْ تَكْ لَوْلَا ذَاكَ فِي الْقَوْمِ تُفْرَعُ
فَقَالَ رَأَيْتَ الْأَرْضَ لَيْسَتْ بِمُجِلٍ وَلَا سَارِحٍ فِيهَا عَلَى الرَّعْيِ يَشْبَعُ
سَوَاءٌ فَلَا جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُهَا وَلَا صَابَهَا غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتَمْرُعُ
فَتَخِيَا بِهَا حَوْبَاءُ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ وَقَدْ كَادَ لَوْلَا ذَاكَ فِيهِمْ تُقَطُّعُ
هَذَا قَوْلٌ بَعْضِهِمْ .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي قَوْلِهِمْ : إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ : إِنَّ ذَا الْحِلْمِ هَذَا
هُوَ عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ الْعِدَوَانِيُّ ، وَكَانَ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، لَا تَعْدِلُ بِفَهْمِهِ
فَهْمًا ، وَلَا بِحُكْمِهِ حُكْمًا ، فَلَمَّا طَعَنَ فِي السِّنِّ . . أَنْكَرَ مِنْ عَقْلِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ
لِبَنِيهِ : إِنَّهُ قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي ، وَعَرَضَ لِي سَهْوٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي خَرَجْتُ مِنْ
كَلَامِي ، وَأَخَذْتُ فِي غَيْرِهِ . . فَاقْرَعُوا لِي الْمَجَنَّنَ بِالْعَصَا .

وَقِيلَ : كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا : خَصِيلَةٌ ، فَقَالَ لَهَا : إِذَا أَنَا حُولِطْتُ . .
فَاقْرَعِي لِي الْعَصَا .

وَأَتَى عَامِرٌ بِخُنْثَى لِيَحْكَمَ فِيهِ ، فَلَمْ يَدْرِ مَا الْحُكْمُ ، فَجَعَلَ يَنْحَرُ لَهُمْ
وَيُطْعِمُهُمْ وَيُدَافِعُهُمْ بِالْقَضَاءِ ، فَقَالَتْ خَصِيلَةٌ : مَا شَأْنُكَ قَدْ أَتَلَفْتَ مَالَكَ ؟
فَخَبَّرَهَا أَنَّهُ لَا يَدْرِي مَا حُكْمُ الْخُنْثَى ، فَقَالَتْ : أَتَبِعُهُ مِبَالَهُ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ بِهَا ، قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ . .
صَارَتْ سُنَّةً فِيهِ .

وعامرٌ هو الذي يقول :

[من المتقارب]

أَرَى شَعْرَاتٍ عَلَى حَاجِبِي بِيضاً نَبْشَنَ جَمِيعاً تُؤَامَا
ظَلِلْتُ أَهَاهِي بِهِنَّ الْكِلَابَ أَحْسِبُهُنَّ صِوَاراً قِيَامَا
وَأَحْسِبُ أَنْفِي إِذَا مَا مَشَيْتُ شَخْصاً أَمَامِي رَأْيِي فَقَامَا

يُقَالُ : إِنَّهُ عَاشَرَ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ : [من الطويل]

تَقُولُ أَبْنَتِي لَمَّا رَأْتَنِي كَأَنَّي سَلِيمٌ أَفَاعٍ لَيْلُهُ غَيْرُ مُودِعٍ
وَمَا أَلْمُوتُ أَفْنَانِي وَلَكِنْ تَتَابَعْتُ عَلَيَّ سِنُونَ مِنْ مَصِيفٍ وَمَرْبَعٍ
ثَلَاثَ مِئِينَ قَدْ مَرَزَنَ كَوَامِلًا وَهَلْأَنَا هَذَا أَرْتَجِي مَرَّ أَرْبَعٍ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَاراً يُقَالُ لَهُ قَعٍ
أُخْبِرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُطَارَ بِمَضْرَعِي

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أَوَّلُ مَنْ قَرَعَتْ لَهُ الْعَصَا : عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ الْعَدَوَانِيُّ ، وَرَبِيعَةُ تَقُولُ : بَلْ هُوَ قَيْسُ بْنُ خَالِدِ بْنِ ذِي الْجَدَّيْنِ ، وَتَمِيمٌ تَقُولُ : بَلْ هُوَ رَبِيعَةُ بْنُ مَخَاشِنِ أَحَدُ بَنِي أُسَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، وَالْيَمْنُ تَقُولُ : بَلْ هُوَ عَمْرُو بْنُ حَمَمَةَ الدُّوسِيِّ .

قَالَ : وَكَانَتْ حُكَّامُ تَمِيمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ ، وَحَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ مَخَاشِنِ ، وَضَمْرَةَ بْنُ ضَمْرَةَ ، غَيْرَ أَنَّ ضَمْرَةَ حَكَمَ فَأَخَذَ رَشْوَةً فَعَدَرَ .

[وَحُكَّامُ] قَيْسٍ : عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ ، وَغِيلَانُ بْنُ سَلْمَةَ الثَّقَفِيُّ ، وَكَانَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ؛ يَوْمٌ يَحْكُمُ فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَوْمٌ يُنْشَدُ فِيهِ شِعْرُهُ ، وَيَوْمٌ يَنْظَرُ فِيهِ إِلَى جَمَالِهِ ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَعِنْدَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ ، فَخَيَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاخْتَارَ أَرْبَعًا ، فَصَارَتْ سُنَّةً .

وَحُكَّامُ قَرِيشٍ : عَبْدُ الْمَطْلَبِ ، وَأَبُو طَالِبٍ ، وَالْعَاصِي بْنُ وَاثِلٍ .

وحكيماث العرب : صخرُ بنتُ لقمانَ ، وهندُ بنتُ الحُسنِ ، وجمعةُ بنتُ حابسٍ ، وابنةُ عامرِ بنِ الظَّربِ الذي يُقالُ لهُ : ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِسُ يريذهُ^(١) :

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ الْعَصَا وَمَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
والمثلُ يُضْرَبُ لِمَنْ إِذَا نُبِّهَ . . انتبهَ^(٢) .

أنا النذيرُ العُريانُ

قالَ ابنُ الكلبيِّ : كانَ مِنْ حَدِيثِ النذيرِ العُريانِ : أَنَّ أبا دُوادِ الشاعَرَ كانَ جاراً للمنذرِ بنِ ماءِ السماءِ ، وأنَّ أبا دُوادِ نازعَ رجلاً بالحيرةِ مِنْ بهراءَ يُقالُ لهُ : رقبَةُ بنُ عامرٍ ، فقالَ لهُ رقبَةُ : صالحني وحالفني ، قالَ أبو دُوادِ : فَمِنْ أَيْنَ تعيشُ أبا دُوادِ ؟ فواللهِ ؛ لولا ما تصيبُ مِنْ بهراءَ . . لهلكتَ ، ثمَّ افترقا على تلكَ الحالةِ .

وإنَّ أبا دُوادِ أخرجَ بنينَ لهُ ثلاثةً في تجارةٍ إلى الشامِ ، فبلغَ ذلكَ رقبَةَ ، فبعثَ إلى قومِهِ فأخبرَهُم بما قالَ لهُ أبو دُوادِ عندَ المنذرِ ، وأخبرَهُم أَنَّ القومَ ولدُ أبي دُوادِ ، فخرجوا إلى الشامِ ، فقتلوهُم وبعثوا برؤوسِهِم إلى رقبَةَ ، فلمَّا أتتهُ الرؤوسُ . . صنعَ طعاماً كثيراً ، ثمَّ أتى المنذرَ فقالَ لهُ : قد اصطنعتُ لكَ طعاماً ، فأنا أحبُّ أن تتغدَّى عندي ، فأتاهُ المنذرُ وأبو دُوادِ معهُ ، فبينما الجِفانُ تُرْفَعُ وتُوضَعُ . . إذ جاءتْ جَفَنَةٌ عليها أحدُ رؤوسِ بني أبي دُوادِ ، فقالَ أبو دُوادِ : أبيتَ اللعنَ ؛ إنِّي جازكُ ، وقد ترى ما صنعَ بي ، وكانَ رقبَةُ

(١) انظر «ديوان المتلمس الضبعي» (ص ٢٦) .

(٢) انظر «مجمع الأمثال» (١/١٣٨ - ١٤٣) .

جاراً للمنذر، قال: فوقع المنذرُ منهما في سوءة، وأمرَ بركةَ فحُيسَ، وقال لأبي دؤادٍ: ما يرضيك؟ قال: أن تبعثَ بكتيبتيكِ الشهباءِ والدَّوسرِ إليهم، فقال له المنذرُ: قد فعلتُ، فوجَّهَ إليهم الكتيبتين.

قال: فلما رأى ذلك رقةً من صنعِ المنذرِ.. قال لامرأته: الحقي بقومك فأنذريهم، فعمدت إلى بعضِ إبلِ البهرانيِّ، فركبتهُ، ثمَّ خرجت حتى أتت قومها، فعرفتُ، ثمَّ قالت: أنا النذيرُ العريانُ، فأرسلتها مثلاً، وعرفَ القوم ما تريدُ، فصعدوا إلى علياءِ الشام، وأقبلتِ الكتيبتانِ، فلم تصيبا منهم أحداً، فقال المنذرُ لأبي دؤادٍ، قد رأيت ما كانَ منهم، أفيسكتك عني أن أعطيك بكلِّ رأسٍ مئتي بعيرٍ، قال: نعم، فأعطاهُ ذلك، وفيه يقولُ قيسُ بنُ زهيرِ العبسيِّ:

سَأَفْعَلُ مَا بَدَأَ لِي ثُمَّ آوِي إِلَى جَارِ كَجَارِ أَبِي دُؤَادٍ
وقال غيرهُ: إنَّما قالوا: النذيرُ العريانُ؛ لأنَّ الرجلَ إذا رأى الغارةَ قد فجأتهم، وأرادَ إنذارَ قومِهِ.. تجرَّدَ من ثيابه، وأشارَ بها ليعلمَ أنَّه قد فجأهم أمرٌ، ثمَّ صارَ مثلاً لكلِّ أمرٍ تُخافُ مفاجئتهُ، ولكلِّ أمرٍ لا شبهةَ فيه.

إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةٌ

أوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: سهلُ بنُ مالكِ الفزاريُّ؛ وذلكَ أنَّه خرجَ يريدُ النعمانَ، فمرَّ ببعضِ أحياءِ طيءٍ، فسألَ عن سيدِ الحيِّ، فقبلَ له: حارثةُ بنُ لأمٍ، فأمرَ رحلتهُ، فلم يُصبه شأهداً، فقالت له أخته: انزل في الرَّحْبِ والسَّعةِ، فنزلَ، فأكرمتهُ ولاطفتهُ، ثمَّ خرجت من خبائها، فرأى أجملَ أهلِ دهرها وأكملهم، وكانت عقيلةً قومها وسيدةً نساؤها، فوقعَ في نفسه منها شيءٌ، فجعلَ لا يدري كيف يرسلُ إليها، ولا ما يوافقها من ذلك، فجلسَ بفناء

الخِباءِ يوماً وهي تسمعُ كلامَهُ ، فجعلَ ينشدُ ويقولُ : [من مشطور الرجز]

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَةِ
كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتَى فَرَارَةِ
أَضْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مُعْطَارَةَ
إِيَّاكَ أَغْنِي وَأَسْمَعِي يَا جَارَةَ

فلما سمعتُ قوله . . عرفتُ أنه إياها يعني ، فقالتُ : ما ذا بقولِ ذي عقلٍ
أريبٍ ، ولا رأيٍ مصيبٍ ، ولا أنفٍ نجيبٍ ، فأقم ما أقمتُ مُكْرَمًا ، ثم ارتحل
متى شئتُ مُسْلَمًا ، ويُقالُ : أجابتهُ نظماً فقالتُ : [من مشطور الرجز]

إِنِّي أَقُولُ يَا فَتَى فَرَارَةَ
لَا أَبْتَغِي الزَّوْجَ وَلَا الدَّعَارَةَ
وَلَا فِرَاقَ أَهْلِ هَلْدِي الْجَارَةَ
فَأَزْحَلْ إِلَى أَهْلِكَ بِأَسْتِحَارَةَ

فاستحيا الفتى وقال : ما أردتُ مُنْكَرًا ، وا سوءتاهُ ، قالتُ : صدقتُ ،
فكأنها استحيتُ مِنْ تَسْرُعِهَا إِلَى تَهْمَتِهِ ، فارتحل ، فأتى النعمانَ ، فحيأه
وأكرمهُ ، فلما رجع . . نزلَ على أخيها ، فبينما هو مقيمٌ عندهم . . تطلَّعتُ
إليه نفسها ، وكان جميلًا ، فأرسلتُ إليه : أنِ اخطبني إن كان لك إليَّ حاجةٌ
يوماً مِنَ الدَّهْرِ ؛ فَإِنِّي سَرِيعَةٌ إِلَى ما تريدُ ، فخطبها وتزوجها ، وسار بها إلى
قومه .

يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ وَيُرِيدُ بِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ (١) .

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١٦٥/١ - ١٦٦) .

إِنَّ غَدًا لَنَاظِرَهُ قَرِيبٌ

أي : لمنتظره ، يُقال : نظرته ؛ أي : انتظرته .

وأوّل مَنْ قَالَ ذَلِكَ : قُرَادُ بْنُ أَجْدَعٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النعمانَ بْنَ المنذرِ خَرَجَ يَتَصَيّدُ عَلَى فَرَسِهِ اليحمومِ ، فَأَجْرَاهُ عَلَى أَثَرِ عَيْرٍ ، فَذَهَبَ بِهِ الفرسُ فِي الأَرْضِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَانفَرَدَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَخَذَتْهُ السَّمَاءُ ، فَطَلَبَ مَلْجَأً يَلْجَأُ إِلَيْهِ ، فَدَفَعَ إِلَى بِنَاءٍ ، فَإِذَا فِيهِ رَجُلٌ مِنْ طِيٍّ يُقَالُ لَهُ : حَنْظَلَةُ وَمَعَهُ امْرَأَةٌ لَهُ ، فَقَالَ لَهُمَا : هَلْ مِنْ مَأْوَى ، فَقَالَ حَنْظَلَةُ : نَعَمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلطائِيِّ غَيْرُ شَاةٍ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ النعمانَ ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : أَرَى رَجُلًا ذَا هَيْئَةٍ وَمَا أَحْلَقَهُ أَنْ يَكُونَ شَرِيفًا خَطِيرًا ، فَمَا الحيلةُ ؟ قَالَتْ : عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ طَحِينٍ كُنْتُ أَدَّخَرْتُهُ ، فَادْبِحِ الشَاةَ لِأَتَّخِذَ مِنَ الطَّحِينِ مَلَّةً .

قَالَ : فَأَخْرَجَتِ المَرْأَةُ الدَّقِيقَ ، فَخَبِزَتْ مِنْهُ مَلَّةً ، وَقَامَ الطائِيُّ إِلَى شَاتِهِ فَاحْتَلَبَهَا ، ثُمَّ ذَبَحَهَا ، فَاتَّخَذَ مِنْ لَحْمِهَا مَرَقَةً مَضِيرَةً ، وَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا ، وَسَقَاهُ مِنْ لَبْنِهَا ، وَاحْتَالَ لَهُ شَرَابًا فَسَقَاهُ ، وَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ النعمانُ . . لَبَسَ ثِيَابَهُ ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا طِيٍّ ؛ اطْلُبْ ثَوَابِكَ ، أَنَا المَلِكُ النعمانُ ، قَالَ : أَفَعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ لَحِقَ الخَيْلَ ، فَمَضَى نَحْوَ الحِجِيرَةِ .

وَمَكَتِ الطائِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانًا حَتَّى أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ وَجْهَدَ ، وَسَاءَتْ حَالُهُ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : لَوْ أَتَيْتِ المَلِكَ . . لِأَحْسَنَ إِلَيْكَ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الحِجِيرَةِ ، فَوَافَقَ يَوْمَ بؤسِ النعمانِ ؛ فَإِذَا هُوَ واقِفٌ فِي خَيْلِهِ فِي السِّلَاحِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ النعمانُ . . عَرَفَهُ ، وَسَاءَهُ مَكَانُهُ ، فَوَقَفَتِ الطائِيُّ المَنْزُولُ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ النعمانِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتِ الطائِيُّ المَنْزُولُ بِهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَلَا جِئْتِ فِي غَيْرِ هَذَا اليَوْمِ ؟! قَالَ : أَبَيْتِ اللَّعْنَ ، وَمَا كَانَ عَلَمِي بِهَذَا اليَوْمِ ،

قَالَ : وَاللَّهِ ؛ لَوْ سَنَحَ لِي فِي هَذَا الْيَوْمِ قَابُوسُ ابْنِي . . . لَمْ أَجِدْ بَدَأً مِنْ قَتْلِهِ ، فَاطْلُبْ حَاجَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَسَلْ مَا بَدَأَ لَكَ ؛ فَإِنَّكَ مَقْتُولٌ ، قَالَ : أبيتَ اللَّعْنَ ، وَمَا أَصْنَعُ بِالدُّنْيَا بَعْدَ نَفْسِي ، قَالَ النُّعْمَانُ : إِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهَا ، قَالَ : فَإِنْ كَانَ لَا بَدَأَ ، فَأَجْلِنِي حَتَّى أَلْمَّ بِأَهْلِي فَأَوْصِي إِيَّاهُمْ وَأَهْيَيْ حَالَهُمْ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَيْكَ ، قَالَ النُّعْمَانُ : فَأَقِمْ لِي كَفِيلًا بِمُؤَافَاتِكَ ، فَالْتَفَتَ الطَّائِي إِلَى شَرِيكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَكَانَ يَكْنَى أَبُو الْحَوْفَرَانِ ، وَكَانَ صَاحِبَ الرِّدَافَةِ ، وَهُوَ وَاقِفٌ بِجَنْبِ النُّعْمَانِ ، فَقَالَ لَهُ : [من مجزوء الكامل]

يَا شَرِيكَ يَا بَنَ عَمْرٍو هَلْ مِنْ أَلَمَاتٍ مَحَالَهُ
يَا أَخَا كُلِّ مُضَافٍ يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَهُ
يَا أَخَا النُّعْمَانِ فُكِّ أَلْ يَوْمَ ضَيْفًا قَدْ أَتَى لَهُ
طَالَ مَا عَالَجَ كَرْبَ أَلْ مَمَاتٍ لَا يَنْعَمُ بِأَلْهُ

فَأَبَى شَرِيكَ أَنْ يَتَكَفَّلَ بِهِ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ : قِرَادُ بْنُ أَجْدَعٍ ، فَقَالَ لِلنُّعْمَانِ : أبيتَ اللَّعْنَ ، هُوَ عَلَيَّ ، قَالَ النُّعْمَانُ : أَفَعَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَضَمَّنَهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَمَرَ لِلطَّائِي بِخَمْسِ مِئَةِ نَاقَةٍ ، فَمَضَى الطَّائِي إِلَى أَهْلِهِ ، وَجَعَلَ الْأَجَلَ حَوْلًا مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ قَابِلٍ ، فَلَمَّا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ وَبَقِيَ مِنَ الْأَجْلِ يَوْمٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِقِرَادٍ : مَا أُرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا ، فَقَالَ قِرَادٌ :

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبُ

فَلَمَّا أَصْبَحَ النُّعْمَانُ . . . رَكِبَ فِي خَيْلِهِ وَرَجَلِهِ مُتَسَلِّحًا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، حَتَّى أَتَى الْغَرَبَيْنِ فَوَقَفَ بَيْنَهُمَا ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ قِرَادًا ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ يَوْمَهُ ، فَتَرَكَّهُ ، وَكَانَ النُّعْمَانُ

يشتهي أن يُقتَلَ قُرَادٌ لِيَفْلَتَ الطَّائِيَّ مِنَ الْقَتْلِ ، فَلَمَّا كَادَتِ الشَّمْسُ تَجُبُّ
وَقُرَادٌ قَائِمٌ مُجَرَّدٌ فِي إِزَارٍ عَلَى النُّطْعِ وَالسِّيَافِ إِلَى جَنْبِهِ . . أَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ
وَهِيَ تَقُولُ :

أَيَا عَيْنُ بَكِّي لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَا رَهِينًا لِقَتْلِ لَا رَهِينًا مُودَّعَا
أَتَتْهُ الْمَنَايَا بَغْتَةً دُونَ قَوْمِهِ فَأَمْسَى أَسِيرًا حَاضِرَ أَلْبَيْتِ أَضْرَعَا

فبينما هم كذلك . . إذ رفع لهم شخصٌ من بعيدٍ وقد أمر النعمانُ بقتلِ
قُرَادٍ ، فقبلَ له : ليسَ لك أن تقتله حتى يأتيك الشخصُ فتعلمَ مَنْ هوَ ،
فكفَّ حتى انتهى إليهم الرجلُ ؛ فإذا هوَ الطائيُّ ، فلَمَّا نظرَ إليه النعمانُ . .
شقَّ عليه مجيئُهُ ، فقالَ له : ما حملك على الرجوعِ بعدَ إفلاتِكَ مِنَ الْقَتْلِ ؟!
قالَ : الوفاءُ ، قالَ : وما دعاكَ إلى الوفاءِ ؟ قالَ : ديني ، قالَ النعمانُ : وما
دينك ؟ قالَ : النصرانيةُ ، قالَ النعمانُ : فاعرضها عليَّ ، فعرضها عليه ،
فتنصَّرَ النعمانُ وأهلُ الحيرةِ أجمعونَ ، وكانَ قبلَ ذلكَ على دينِ العربِ ،
فتركَ القتلَ منذُ ذلكَ اليومِ ، وأبطلَ تلكَ السُّنَّةَ ، وأمرَ بهدمِ الغرَّابِ ، وعفا
عن قُرَادٍ والطائيِّ ، وقالَ : واللهِ ؛ ما أدري أيُّهما أوفى وأكرمُ ، أهذا الذي
نجا مِنَ الْقَتْلِ فعادَ ، أم الذي ضمَّتهُ ؟! واللهِ ؛ لا أكونُ ألامَ الثلاثةِ ، فأنشأَ
الطائيُّ يقولُ :

مَا كُنْتُ أُخْلِفُ ظَنَّهُ بَعْدَ الَّذِي أَشْدَى إِلَيَّ مِنَ الْفَعَالِ الْخَالِي
وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلَافِ ضَالَّتِي فَأَبَيْتُ غَيْرَ تَمَجُّدِي وَفَعَالِي
إِنِّي أَمْرٌ مَنِي الْوَفَاءُ سَجِيَّةُ وَجَزَاءُ كُلِّ مُكَارِمٍ بَدَالِ
وقالَ أيضاً يمدحُ قُرَاداً :

أَلَا إِنَّمَا يَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَا مَخَارِيقُ أَمْثَالِ الْقُرَادِ بْنِ أَجْدَعَا

مَخَارِيقُ أَمْثَالِ الْقُرَادِ وَأَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ الْأَخْيَارُ مِنْ رَهْطِ تَبَعَا^(١)

إِنَّ أَخَاكَ مَنْ آسَاكَ

يُقَالُ : آسَيْتُ فَلَانًا بِمَالِي أَوْ غَيْرِهِ ؛ إِذَا جَعَلْتَهُ أُسْوَةً لَكَ ، وَ (وَاسَيْتُ) لُغَةٌ فِيهِ .

وَمَعْنَى الْمَثَلِ : إِنَّ أَخَاكَ حَقِيقَةٌ مَنْ قَدَّمَكَ [وَآتَرَكَ] عَلَى نَفْسِهِ ، يُضْرَبُ فِي الْحَثِّ عَلَى مِرَاعَةِ الْإِخْوَانِ .

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : خَزِيمُ بْنُ نُوْفَلٍ الْهَمْدَانِيُّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ ثُمَّ الشَّنِيَّ كَانَ لَهُ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ : سَعْدٌ ، وَسَعِيدٌ ، وَسَاعِدَةٌ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكَانَ يُوْصِي بَنِيهِ وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى أُدْبِهِ ؛ أَمَّا ابْنُهُ سَعْدٌ . . فَكَانَ شَجَاعًا بَطْلًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ ، لَا يُقَامُ لِسَبِيلِهِ ، وَلَمْ تَفْتَهُ طَلِبَتُهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَفِرَّ عَنْ قِرْنٍ ، وَأَمَّا سَعِيدٌ . . فَكَانَ يَشْبُهُ أَبَاهُ فِي شَرَفِهِ وَسُؤْدُودِهِ ، وَأَمَّا سَاعِدَةٌ . . فَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ وَنِدَامَى وَإِخْوَانٍ .

فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ . . دَعَا سَعْدًا - وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ - فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ؛ إِنَّ الصَّارِمَ يَنْبُو ، وَالْجَوَادَ يَكْبُو ، وَالْأَثْرَ يَعْفُو ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَعِرُّ ، وَبَطْلَهَا يُخْطِرُ ، وَبِحَرْهَا يَزْخَرُ ، وَضَعِيفَهَا يَنْصُرُ ، وَجَبَانَهَا يَجْسُرُ . . فَأَقْلِلِ الْمَكْثَ وَالْإِنْتِظَارَ ، فَإِنَّ الْفِرَارَ غَيْرُ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ ثَارٍ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ هُمْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ صَيْدَ رَمَاحِهَا ، وَنَطِيحَ نَطَاحِهَا .

وَقَالَ لِابْنِهِ سَعِيدٍ وَكَانَ جَوَادًا : يَا بُنَيَّ ؛ لَا يَبْخُلُ الْجَوَادُ ، فَابْذُلِ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ، وَأَقْلِلِ التَّلَاحَ . . تَذَكَّرْ عِنْدَ السَّمَاحِ ، وَابْلُ إِخْوَانِكَ ؛ فَإِنَّ وَافِيَهُمْ قَلِيلٌ ، وَاصْنَعِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ مُحْتَمَلِهِ .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢١٣ - ٢١٦) .

وقال لابنِهِ ساعِدةَ وكانَ صاحبَ شرابٍ ؛ يا بُنَيَّ ؛ إنَّ كثرةَ الشرابِ تفسدُ القلبَ ، وتُقِلُّ الكسبَ ، وتَجِدُّ اللعَبَ ، فأبصرَ نديمَكَ ، واحمِ حريمَكَ ، وأعنْ غريمَكَ ، واعلمْ : أنَّ الظمَّ القامحَ خيرٌ مِنَ الرِّيِّ الفاضحِ ، وعليكِ بالقصدِ ؛ فإنَّ فيهَ بلاغاً .

ثمَّ إنَّ أباهُمُ النعمانَ بنَ ثوابٍ تُوفِّيَ ، فقالَ ابنُهُ سعيدٌ وكانَ جواداً سيِّداً : لآخذنَّ بوصيةَ أبي ، ولأبْلونَ إخواني وثقاتي في نفسي ، فعمدَ إلى كبشٍ فذبحَهُ ، ثمَّ وضعَهُ في ناحيةِ خِبايِهِ وغشاهُ ثوباً ، ثمَّ دعا بعضَ ثقاتِهِ فقالَ : يا فلانُ ؛ إنَّ أخاكَ مَنْ وفى لكَ بعهدِهِ ، وحاطكَ برفدِهِ ، ونصرَكَ بوَدِّهِ ، قالَ : صدقتَ ، فهل حدثَ أمرٌ ؟ قالَ : نعم ؛ إنِّي قتلتُ فلاناً ، وهوَ الذي تراهُ في ناحيةِ الخبَاءِ ، ولا بدَّ مِنَ التعاونِ عليهِ حتى يُوارى ، فما عندكَ ؟ قالَ : يا لها سوءةٌ وقعتَ فيها ، قالَ : فإنِّي أريدُ أن تعينني عليهِ حتى أُغيبَهُ ، قالَ : لستُ لكِ في هذا بصاحبٍ ، فتركهُ وخرجَ .

فبعثَ إلى آخَرَ مِنَ ثقاتِهِ ، فأخبرَهُ بذلكَ ، وسألَ معونتهُ ، فردَّ عليهِ مثلَ ذلكَ ، حتى بعثَ إلى عددٍ منهمُ ، كلُّهمُ يَرُدُّ عليهِ مثلَ جوابِ الأوَّلِ .

ثمَّ بعثَ إلى رجلٍ مِنَ إخوانِهِ يُقالُ لَهُ : خزيمُ بنُ نوفلٍ ، قالَ لَهُ : يا خزيمُ ؛ ما لي عندكَ ؟ قالَ : ما يسُرُّكَ ، وما ذاكُ ؟ قالَ : إنِّي قتلتُ فلاناً ، وهوَ الذي تراهُ مُسجىً ، قالَ : أيسرُ خطبٍ ، فتريدُ ماذا ؟ قالَ : أريدُ أن تعينني حتى أُغيبَهُ ، قالَ : هانَ ما فزعتَ فيهِ إلى أخيكَ ، وغلّامُ سعيدٍ قائمٌ معهُما ، فقالَ لَهُ خزيمٌ : هل اطلعَ على هذا الأمرِ أحدٌ غيرُ غلامِكَ هذا ؟ قالَ : لا ، قالَ : انظرْ ما تقولُ ، قالَ : ما قلتُ إلاَّ حقاً ، فأهوى خزيمٌ إلى غلامِهِ فضربهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ : ليسَ عبدٌ بأخٍ لكِ ، فأرسلها مثلاً .

وارتاع سعيدٌ وفزعَ لقتلِ غلامِهِ ، فقالَ : ويحك ما صنعتَ؟! وجعلَ يلومُهُ
فقالَ خزيمٌ : إنَّ أخاكَ منَ آسأك ، فأرسلَهَا مثلاً .

قالَ سعيدٌ : فإنِّي أردتُ تجربتَكَ ، ثمَّ كشفَ عنِ الكبشِ وخَبَّرَهُ بما لقيَ
منَ إخوانِهِ وثقاتِهِ ، وما ردُّوا عليه ، فقالَ خزيمٌ : سبقَ السيفُ العذلَ ، فذهبتُ
مثلاً^(١) .

ألا مَنْ يشتري سهرًا بنوم

قالوا : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذلكَ ذو رُعينِ الحميريُّ ؛ وذلكَ أنَّ حميرَ تفرَّقتْ
على ملكها حَسَّانَ ، وخالفتْ أمرَهُ ؛ لسوءِ سيرتِهِ فيهِم ، ومالوا إلى أخيه
عمرو ، وحملوه على قتلِ أخيه حَسَّانَ ، وأشاروا عليه بذلكَ ، ورغبوه في
الملكِ ، ووعدوه حسنَ الطاعةِ والمؤازرةِ ، فنهاه ذو رُعينِ منَ بينِ حميرَ عن
قتلِ أخيه ، وعلمَ أنَّه إن قتلَ أخاهُ . . ندمَ ونفرَ عنه النومُ ، وانتقضَ عليه
أمرُهُ ، وأنه سُبُعاقِبُ الذي أشارَ عليه بذلكَ ، ويعرفُ غشَّهُمَ له .

فلما رأى ذو رُعينِ أنَّه لا يقبلُ ذلكَ منه ، وخشيَ العواقبَ . . قالَ هذَينِ
البيتَينِ ، وكتبَهُما في صحيفةٍ ، وختمَ عليها بخاتمِ عمرو ، وقالَ : هذهِ وديعةٌ
لي عندكَ إلى أن أطلبَها منك ، فأخذَها عمرو فدفَعها إلى خازنِهِ ، وأمرَهُ
برفعِها إلى الخزانةِ ، والاحتفاظِ بها إلى أن يُسألَ عنها .

فلما قتلَ أخاهُ ، وجلسَ مكانَهُ في الملكِ . . مُنِعَ منه النومُ ، وسَلَطَ عليه
السهرُ ، فلما اشتدَّ ذلكَ عليه . . لم يدعُ باليمنِ طيباً ولا كاهناً ولا منجماً ولا
عرافاً ولا عائفاً إلا جمعَهُم ، ثمَّ أخبرَهُم بقصَّتِهِ ، وشكا إليهِم ما بهِ ، فقالوا
لهُ : ما قتلَ رجلٌ أخاهُ أو ذا رحمٍ منه على نحوِ ما قتلتَ أخاكَ . . إلا أصابَهُ

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١/٢١٦ - ٢١٨) .

السهر ، ومُنِعَ منه النومُ ، فلَمَّا قالوا لَهُ ذَلِكَ . . أَقْبَلَ عَلَى مَنْ كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ
 بِقَتْلِ أَخِيهِ وَسَاعَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَقْيَالِ حَمِيرٍ فَقَتَلَهُمْ حَتَّى أَفْنَاهُمْ ، فَلَمَّا وَصَلَ
 إِلَى ذِي رُعَيْنٍ . . قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ إِنَّ لِي عِنْدَكَ بَرَاءَةً مِمَّا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ
 بِي ، قَالَ : وَمَا بَرَاءَتُكَ وَأَمَانُكَ ؟ قَالَ : مُرْ خَازِنَكَ أَنْ يَخْرِجَ الصَّحِيفَةَ الَّتِي
 اسْتَوْدَعْتُكَهَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَمَرَ خَازِنَهُ ، فَأَخْرَجَهَا ، فَنظَرَ إِلَى خَاتَمِهِ عَلَيْهَا ،
 ثُمَّ فَضَّهَا ، فَإِذَا فِيهَا :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
 فَأَمَّا حَمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمَعْدِرَةٌ أُلِإِلِهِ لِذِي رُعَيْنٍ
 ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ قَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ قَتْلِ أَخِيكَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ
 ذَلِكَ . . أَصَابَكَ الَّذِي قَدْ أَصَابَكَ ، فَكَتَبْتُ هَلْدَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بَرَاءَةً لِي عِنْدَكَ مِمَّا
 عَلِمْتُ أَنَّكَ تَصْنَعُ بِمَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بِقَتْلِ أَخِيكَ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَعَفَا عَنْهُ ،
 وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ .

يُضْرَبُ لِمَنْ غَمَطَ النِّعْمَةَ ، وَكَرِهَ الْعَافِيَةَ^(١) .

إِنْ كُنْتَ كَذُوبًا . . فَكُنْ ذَكُورًا

يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَكْذِبُ ثُمَّ يَنْسِي ، فَيُحَدِّثُ بِخِلَافِ ذَلِكَ^(٢) .

إِذَا اشْتَرَيْتَ . . فَادْكُرِ السُّوقَ

يَعْنِي : إِذَا اشْتَرَيْتَ . . فَادْكُرِ الْبَيْعَ ؛ لِتَجْتَنِبَ الْعُيُوبَ^(٣) .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢١٨/١ - ٢١٩) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢٢٠/١) .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢٢٠/١) .

بلغ السيلُ الزُّبْيُ

هي جمعُ زُبْيَةٍ ؛ وهي حفرةٌ تُحْفَرُ للأسدِ إذا أرادوا صيدهُ ، وأصلُها الرابيةُ لا يعلوها الماءُ ، فإذا بلغها السيلُ . . كان جارفاً مُجِحِفاً .

يُضْرَبُ لِمَنْ جاوزَ الحدَّ ، قالَ المؤرِّجُ : حدَّثني سعيدُ بنُ سماكٍ بنِ حربٍ عن أبيه ، عن ابنِ [المعتمرِ] قالَ : أتيتُ معاذُ بنَ جبلٍ بثلاثةِ نفرٍ قتلَهُم أسدٌ في زُبْيَةٍ ، فلم يدرِ كيف يفتيهِم ، فسألَ عليّاً رضيَ اللهُ عنه وهو محتبٍ بفناءِ الكعبةِ ، فقالَ : قُضُوا عليّ خبرَكُم ، قالوا : صِدنا أسداً في زُبْيَةٍ ، فاجتمعنا عليه ، فتدافعَ الناسُ عليه ، فرموا برجلٍ [فيها] فتعلَّقَ الرجلُ بأخرَ ، وتعلَّقَ الآخرُ بأخرَ ، فهووا فيها ثلاثتهمُ ، ففضى فيها عليّ رضيَ اللهُ عنه : أنَ للأولِ ربعَ الديةِ ، وللثاني النصفَ ، وللثالثِ الديةَ كلَّها ، فأخبرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بقضائِهِ ، فقالَ : « لَقَدْ أَرَشَدَكَ اللهُ لِلْحَقِّ » (١) .

بخٍ بخٍ ساقٍ بخلخالٍ !!

بخٍ : كلمةٌ يقولُها المُتَعَجِّبُ مِنْ حَسَنِ الشَّيْءِ وَكَمالِهِ الوَاقِعِ مَوقِعَ الرِضاءِ ، كأنَّهُ قالَ : ما أحسنَ ما أراهُ !! وهو ساقٌ محلّاةٌ بخلخالٍ ، ويجوزُ أن يريدَ بالباءِ معنَى (مع) ، فيكونُ التَّعَجُّبُ مِنْ حَسَنِهِمَا .

يُضْرَبُ في التَّهكُّمِ والهَزءِ مِنْ شَيْءٍ لا مَوضِعَ للتَّهكُّمِ فِيهِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : الوِزِئَةُ بنتُ ثعلبةِ امرأةِ ذُهَلِ بنِ شيبانِ بنِ ثعلبةِ ؛ وذلكَ أنَّ رقاشَ بنتَ عمرو بنِ عثمانَ مِنْ بني ثعلبةِ طَلَّقَها زوجها كعبُ بنُ مالكِ بنِ تميمِ اللهُ بنِ ثعلبةِ بنِ [عكابة] ، فترزَّجَها ذُهَلُ بنُ شيبانِ زوجَ الوِزِئَةِ ، ودخلَ بها ، وكانتِ الوِزِئَةُ لا تتركُ له امرأةً إلاَّ ضربَتَها وأجلَّتَها ، فخرجتْ

(١) انظر « البدر المنير » (٤٦٧/٨) ، و« مجمع الأمثال » (٢٥٥/١ - ٢٥٦) .

رقاش يوماً وعليها خلخالان ، فقالت الورثة : بخ بخ ساق بخلخال !! فذهبت
 مثلاً ، فقالت رقاش : أجل ساق بخلخال ، لا كخالك المختال ، فوثبت عليها
 الورثة لتضربها ، فضبطتها رقاش وضربتها وغلبتها ، حتى حُجِزَتْ عنها ،
 فقالت الورثة : [من الطويل]

[آيات] وَنَحْ نَفْسِي أَلْيَوْمَ أَدْرَكَنِي الْكَبْرُ أَبْكِي عَلَى نَفْسِي الْعَشِيَّةَ أَمْ أَدَّرُ
 فَوَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْتِ فِيَّ بَقِيَّةً لَلَأَقِيْتِ مَا لَأَقَى صَوَاحِبُكَ الْأَخْرُ
 فولدت رقاش لذهل بن شيبان مرةً وأبا ربيعةً ومُحَلِّماً والحارث بن
 ذهلٍ .

أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ

هو قُسُّ بنُ ساعدةَ بنِ حذافةَ بنِ زهيرِ بنِ أيادِ بنِ نزارِ الإياديِّ ، وكانَ مِنْ
 حكماءِ العربِ ، وأَعْقَلَ مَنْ سَمِعَ بِهِ مِنْهُمْ ، وهوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ : مِنْ فُلانٍ إِلَى
 فُلانٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِالْبَعْثِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، وَأَوَّلُ مَنْ
 قَالَ : البينةُ على مَنْ ادَّعى ، واليمينُ على مَنْ أنكرَ ، وقد عُمِّرَ مئةً وثمانينَ
 سنةً ، قال الأَعشى (١) :

وَأَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ وَأَجْرَى مِنْ الَّذِي بِذِي الْغَيْلِ مِنْ خَفَّانَ أَصْبَحَ خَادِرًا
 وأخبرَ عامرُ بنُ شراحيلَ الشعبيِّ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما :
 أَنَّ وَفَدَ بَكْرَ بنِ وائلٍ قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ
 حَوَائِجِهِمْ . . قَالَ : « هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْرِفُ قُسَّ بنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ ؟ » ، قالوا :
 كُلُّنَا نَعْرِفُهُ ، قَالَ : « فَمَا فَعَلَ ؟ » ، قالوا : هَلَكَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَأَنِّي بِهِ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ بَعُكَاطٍ قَائِمًا يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛

(١) كذا في « مجمع الأمثال » (٣٠٢/١) .

أَجْتَمِعُوا وَأَسْتَمِعُوا وَعُوا؛ كُلُّ مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَكُلُّ مَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ، مِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَبِحَارٍ تَمُوجُ ، وَتِجَارَةٌ تَرْوِجُ ، وَلَيْلٌ دَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، أَقْسَمَ قَسٌّ حَقًّا ؛ لَئِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ رِضًا . . لَيَكُونَنَّ بَعْدَهُ سُخْطٌ ، وَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرْكُوا فَنَامُوا ؟! « (١) » ، ثُمَّ أَنْشَدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شِعْرًا حَفِظَهُ لَهُ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوْلِيَاءِ نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَسْعَى الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ
لَا يَزِجُ الْمَاضِي إِلَيَّ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيَقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

أَبْخَلُ مِنْ مَادِرٍ

هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَبَلَغَ مِنْ بَخْلِهِ أَنَّهُ سَقَى إِبْلَهُ ، فَبَقِيَ فِي أَسْفَلِ الْحَوْضِ مَاءٌ قَلِيلٌ ، فَسَلَحَ فِيهِ ، وَمَدَرَ الْحَوْضَ بِهِ ، فَسَمِيَ مَادِرًا لِذَلِكَ ، وَاسْمُهُ مُخَارِقٌ .

قَالَ أَبُو النَّدِيِّ : وَذَكَرُوا أَنَّ بَنِي فِزَارَةَ وَبَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ تَنَافَرُوا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَدْرِكِ الْخَثْعَمِيِّ وَتَرَاضُوا بِهِ ، فَقَالَتْ بَنُو عَامِرٍ : يَا بَنِي فِزَارَةَ ؛ أَكَلْتُمْ أَيْرَ حِمَارٍ ، فَقَالَتْ بَنُو فِزَارَةَ : قَدْ أَكَلْنَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبِزَارِيُّ فِي « مَسْنَدِهِ » (٥٣٤٧) .

وحدث ذلك : أن ثلاثة نفرٍ اصطحبوا ؛ فزارئٍ وثلبيّ وكلابيّ ، فصادوا حماراً ، ومضى الفزارئ في بعض حاجته ، فطبخا وأكلا ، وخبأ للفزارئ جُردانَ الحمار ، فلمَّا رجع الفزارئ . . . قالوا : قد خبأنا لك فكل ، فأقبل يأكله ولا يكادُ يسيغُهُ ، فقال : أكلُ شواءِ العَيْرِ جوفانٌ ؟ يعني به الذَّكَرَ ، وجعلا يضحكان ، ففطنَ ، وأخذَ السيفَ وقال : لتأكلاتيهِ أو لأقتلنكما ، ثمَّ قال لأحديهما وكان اسمه مَرْقَمَةَ : كُلْ مِنْهُ ، فأبى ، فضربه فأبانَ رأسَهُ ، فقال الآخرُ : طاحَ مَرْقَمَةُ ، فقال الفزارئ : وأنت إن لم تَلْقَمَةَ .

قال محمدُ بنُ حبيبٍ : أرادَ إن لم تلقمها ، فلمَّا ترك الألفَ . . ألقى الفتحةَ على الميمِ قبلَ الهاءِ ، كما قالوا : وَيَلْمُ الحِيرةَ وأيُّ رجالٍ بهُ ؛ أي : بها . قلتُ ^(١) : إنّما قدَّرَ الهاءَ في تلقمها إرادةَ المضغَةِ أو البضعةِ ، وإلَّا . . فليسَ في الكلامِ الذي مضى تأنيثٌ ترَجُّعُ الهاءِ إليه .

فقالَتْ بنو فزارةَ : ولكنَّ منكم يا بني هلالٍ من قرى في حوضِهِ ، فسقى إبلَهُ ، فلمَّا رَوَيْتُ . . سلخَ فيه ومدرَهُ ؛ بخلاً به أن يُشربَ فضلُهُ !! فقضى أنسُ بنُ مدركٍ على الهالبيينَ ، فأخذَ الفزاريونَ منهم مئةَ بعيرٍ ، وكانوا تراهنوا عليها .

وفي بني فزارةَ يقولُ الكميثُ بنُ ثعلبةَ ، والكميثُ من الشعراءِ ثلاثةٌ ، أقدمُهُم هذا ، ثمَّ كميثُ بنُ معروفٍ ، ثمَّ كميثُ بنُ زيدٍ ، وكلُّهم من بني أسدٍ :

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارُ وَأَنْتَ شَيْخٌ إِذَا خُيِّرْتَ تُحْطِئُ فِي الْخِيَارِ
أَصِيحَانِيَّةٌ أُدِمْتُ بِسَمْنٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ

(١) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

بَلَىٰ أَيُّرُ الْحِمَارِ وَحِضْيَتَاهُ أَحَبُّ إِلَيَّ فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِ
فَحَذَفَ الْهَاءَ مِنْ فَزَارَةَ كَمَا تُحَذَفُ فِي التَّرْحِيمِ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ
النَّدَاءِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِنْ فَزَارِي ، فَخَفَّفَ يَاءَ النَّسْبَةِ .

وفي بني هلالٍ يقولُ الشاعرُ :
[من الطويل]

[لَقَدْ] جَلَلْتُ خَزِيئاً هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ
بَنِي عَامِرٍ طُرّاً بِسَلْحَةِ مَادِرِ
فَأُفِّ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ بَعْدَهَا
بَنِي عَامِرٍ أَنْتُمْ شِرَارُ الْمَعَاشِرِ
وفي بني فزارة يقولُ ابنُ دارةَ :
[من البسيط]

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيّاً خَلَوْتُ بِهِ
عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتُبُهَا بِأَسْيَارِ
لَا تَأْمَنْنُهُ وَلَا تَأْمَنُ بِوَائِقِهِ
بَعْدَ الَّذِي أَمْتَلَّ أَيُّرُ الْعَيْرِ فِي النَّارِ
أَطَعَمْتُمْ الضَّيْفَ جُوفَاناً مُخَاتَلَةً
فَلَا سَقَاكُمْ إِلَهِي الْخَالِقُ الْبَارِي

قال حمزةُ : وحدَّثني أبو بكر بنُ دريدٍ قالَ : حدَّثني أبو حاتمٍ عن
أبي عبيدةَ : أَنَّهُ قرأَ عليه حديثَ مادِرٍ ، فضحك ، قالَ : فقلتُ لَهُ : ما الذي
أضحكك ؟ فقالَ : تعجُّبي مِنْ تسييرِ العربِ لأمثالِ لها ، لو سيَّروا ما هو أهمُّ
منها . . لكانَ أبلغَ لها ، قلتُ : مثلُ ماذا ؟ قالَ : مثلُ مادِرٍ هذا جعلوه علماءً
في البخلِ بفعلَةٍ تحتملُ التأويلَ ، وتركوا مثلَ ابنِ الزبيرِ معَ ما يؤثُرُ على
لفظهٍ وفعلهٍ مِنْ دقائقِ البخلِ ، فتركوه كالغُفْلِ .

مِنْ ذَلِكَ : أَنَّهُ نظرَ إلى رجلٍ مِنْ أصحابِهِ وهوَ يومئذٍ خليفةٌ يقاتلُ
الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ على دولتِهِ وقد دقَّ الرجلُ في صدرِ أهلِ الشامِ
أرماحاً ، فقالَ لَهُ : يا هذا ؛ اعتزلْ عن حربنا ، فإنَّ بيتَ المالِ لا يقوى
على هذا .

وقالَ في تلكَ الحربِ لجماعةٍ مِنْ جندهِ : أكلتُم تمرِي ، وعصيتُم أمري .

وسمع أنّ مالك بن أشعر الرزاميّ من بني مازن أكل من بعيرٍ وحدّه ،
وحمل ما بقي على ظهره ، فقال : دلّوني على قبره .. أنبشهُ .

وقال لرجلٍ أتاه مجتدياً وقد أبدعَ به ، فشكا إليه حفا ناقتهِ ، قال : اخصّفها
بهُلْبٍ ، وارقعها بسببٍ ، وأنجد بها .. يبردُ خفّها ، فقال الرجلُ : يا أميرَ
المؤمنينَ ؛ جئتُك مستوصلاً ، ولم آتكَ مُتوصِّفاً ، فلا بقيتِ ناقةٌ حملتني
إليك ، فقال : إنّ وصاحبها ، ولهذا الرجلِ فيه شعرٌ قد نسي .

قلتُ ^(١) : وفي بعضِ النسخِ من كتابِ « أفعلُ » : كانَ هذا الرجلُ
عبدَ الله بنَ فضالةِ الأسدّيِّ ، ولمّا انصرفَ من عنده .. قال :

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِذْنَ وَلَا أُمَيَّةَ بِالْبِلَادِ
وَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ
فِي أَبِياتِ ، وَابْنُ الْكَاهِلِيَّةِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ ؛ لِأَنَّ جَدَّةَ مِنْ جَدَّاتِهِ
كَانَتْ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ الشَّعْرُ ابْنَ الزَّبِيرِ .. قَالَ : لَوْ عَلِمَ لِي أُمَّ أَلَامَ
مِنْ عَمَّتِهِ .. لَسَبَّنِي بِهَا .

قال أبو عبيدة : فلو تكلف الحارث بن كلدة طبيب العرب ، أو مالك بن
زيد مناة وحنيف الحناتم أبلا العرب من وصف علاج ناقة الأعرابي ما تكلفه
هذا الخليفة .. لما كانوا يعشرونه ، وكان مع هذا يأكل في كل أسبوع
أكلة ، ويقول في خطبته : إنّما بطني شبر في شبر ، وعندي ما عسى يكفيني ،
فقال فيه الشاعرُ :

لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شِبْرًا قَدْ شَبِعْتَ وَقَدْ أَفْضَلْتَ فَضْلًا كَثِيرًا لِلْمَسَاكِينِ
فَإِنْ تُصِيبَكَ مِنَ الْأَيَّامِ جَائِحَةٌ لَا نَبِكَ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينَ ^(٢)

(١) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٠٣ - ٣٠٧) .

تجوُّعُ الحُرَّةِ ولا تَأْكُلُ بثدييها

أي : لا تكونُ ظمراً وإن آذاها الجوعُ ، ويُرْوَى : ولا تَأْكُلُ ثدييها .

وأوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : الحارثُ بنُ سليلِ الأَسديِّ ، وكانَ حليفاً لعلقمةَ بنِ خصفةَ الطائيِّ ، فزارَهُ ، فنظرَ إلى ابنتِهِ الزَّبَاءِ وكانتِ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ دهرِها ، فأعجَبَ بها ، فقالَ لَهُ : أتيتُكَ خاطباً وقد ينكحُ الخاطبُ ، ويدركُ الطالبُ ، ويمنحُ الراغبُ ، فقالَ لَهُ علقمةُ : أنتَ كفوٌّ كريمٌ ، يُقبَلُ منك الصَّفْوُ ، ويؤخَذُ منك العَفْوُ ، فأقمِ . . ننظرُ في أمرِكَ .

ثمَّ انكفأَ إلى أُمِّها فقالَ : إنَّ الحارثَ بنَ سليلِ سيِّدِ قومِهِ حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطبَ إلينا الزَّبَاءَ ، فلا يَنصَرِفَنَّ إلَّا بحاجتِهِ .

فقالَتِ امرأتُهُ لابنتِها : أيُّ الرجالِ أحبُّ إليكِ : الكهلُ الجحجاحُ ، الواصلُ المناخُ ، أم الفتى الوضاحُ ؟ قالتْ : لا ، بلِ الفتى الوضاحُ ، قالتْ : إنَّ الفتى يُغيِّرُكَ ، وإنَّ الشيخَ يَميرُكَ ، وليسَ الكهلُ الفاضلُ ، الكثيرُ النائلُ . . كالحديثِ السِّنِّ ، الكثيرِ المَنِّ ، قالتْ : يا أُمَّتاهُ ؛ إنَّ الفتاةَ تُحبُّ الفتى ؛ كحبِّ الرعاءِ أنيقَ الكلا ، قالتْ : أي بنيَّةُ ؛ إنَّ الفتى شديدُ الحجابِ ، كثيرُ العتابِ ، قالتْ : إنَّ الشيخَ يبلي شبابي ، ويُدنِّسُ ثيابي ، ويُشَمِّتُ بي أترابي .

فلم تزلْ أُمُّها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوَّجها الحارثُ على مئةِ وخمسينَ مِنَ الإبلِ ، وخدامٍ ، وألفِ درهمٍ ، فابتنى بها ، ثمَّ رحلَ بها إلى قومِهِ ، فبينما هو ذاتَ يومٍ جالسٌ بفناءِ قومِهِ وهي إلى جانبِهِ . . إذ أقبلَ إليه شبابٌ مِنْ بني أسدٍ يعتلجونَ ، فتَنفَّستْ صُعداءُ ، ثمَّ أرختْ عينيها بالبكاءِ ، فقالَ لها : ما يبكيكِ ؟ قالتْ : ما لي وللشيوخِ ، الناهضينَ كالفروخِ ! فقالَ لها : ثكلتكِ أُمُّكِ ، تجوُّعُ الحُرَّةِ ولا تَأْكُلُ بثدييها .

قال أبو عبيدٍ : (فَإِن كَانَ الْأَصْلُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ . . فَهُوَ عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ : لَا تَأْكُلْ ثُدْيَيْهَا ، وَكَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ : هَذَا لَا يَجُوزُ ، وَإِنَّمَا هُوَ : لَا تَأْكُلْ بِثُدْيَيْهَا) (١) .

قلتُ (٢) : كلاهما في المعنى سواءٌ ؛ لأنَّ معنى (لا تأكلُ ثدييها) : لا تأكلُ أجرةَ ثدييها ، ومعنى (بثدييها) أي : لا تعيشُ بسببِ ثدييها وبما يغلانِ عليها .

ثمَّ قالَ الحارثُ لها : أما وأبيك ؛ لربَّ غارةٍ شهدتُها ، وسبيَّةٍ أردفتُها ، وخمرةٍ شربْتُها ، فالحقي بأهلكِ ، فلا حاجةَ لي فيكِ ، وقالَ : [من البسيط]

تَهَزَّأَتْ أَنْ رَأَتْنِي لِأَبْسَاءٍ كَبْرًا وَغَايَةَ النَّاسِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْكَبْرِ
فَإِنْ بَقِيَتْ لَقِيَتْ الشَّيْبَ رَاغِمَةً وَفِي التَّعْرِفِ مَا يَمْضِي مِنَ الْعَبْرِ
وَإِنْ يَكُنْ قَدْ عَلَا رَأْسِي وَغَيْرُهُ صَرَفُ الزَّمَانِ وَتَغْيِيرُ مِنَ الشَّعْرِ
فَقَدْ أَرْوَحُ لِلذَّاتِ الْفَتَى جَذَلًا وَقَدْ أَصِيبُ بِهَا عَيْنًا مِنَ الْبَقْرِ
عَنِّي إِلَيْكَ فَيَأْتِي لَا تُوَافِقُنِي عَوْرُ الْكَلَامِ وَلَا شُرْبُ عَلَى الْكَدْرِ
يُضْرَبُ فِي صِيَانَةِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عَنِ خَسِيسِ مَكَاسِبِ الْأَمْوَالِ (٣) .

تَطْلُبُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ

العَيْنُ : المَعَايِنَةُ ، يُضْرَبُ لِمَنْ تَرَكَ شَيْئًا يَرَاهُ ثُمَّ تَبَعَ أَثْرَهُ بَعْدَ فَوْتِ

عَيْنِهِ .

قالَ الباهليُّ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : مالِكُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِلِيُّ ، وَفِي كِتَابِ

(١) الأمثال (ص ١٩٦ - ١٩٧) للقاسم بن سلام .

(٢) القائل : هو العلامة الميداني صاحب «مجمع الأمثال» .

(٣) انظر «مجمع الأمثال» (١/٣٢٧ - ٣٢٩) .

أبي عبيد : مالك بن عمرو الباهلي ، قال : وذلك أن بعض ملوك غسان كان يطلب في عاملة دخلاً ، فأخذ منهم رجلين يقال لهما : مالك وسماك ابنا عمرو ، فاحتبسهما عنده زماناً ، ثم دعاهما فقال لهما : إني قاتل أحدكما ، فأياكما أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : اقتلني مكان أخي ، فلما رأى ذلك . . قتل سماكاً ، وخلقى سبيل مالك ، فقال سماك حين ظن أنه مقتول :

أَلَا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةٌ عَامِدَهُ كَمَا [أَبْدَأُ] لَيْلَةٌ وَاحِدَهُ
فَأَبْلِغْ قُضَاعَةَ إِنْ جِئْتَهُمْ وَخُصَّ سَرَاةَ بَنِي سَاعِدَهُ
وَأَبْلِغْ نِزَاراً عَلَى نَائِيهَا بِأَنَّ الرِّمَاحَ هِيَ الْعَائِدَهُ
وَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهُ
بِرَأْسِ سَبِيلِ عَلَى مَرْقَبٍ وَيَوْمًا عَلَى طُرُقِ وَارِدَهُ
فَأَمَّ سِمَاكِ فَلَا تَجْزَعِي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ [الْوَالِدَهُ]

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زماناً ، ثم إن ركبا مروا وأحدهم يتغننى بهذا البيت :

وَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهُ
فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ أُمُّ سِمَاكِ ، فَقَالَتْ : يَا مَالِكُ ؛ قَبِّحَ اللَّهُ الْحَيَاةَ بَعْدَ سِمَاكِ ،
أَخْرَجَ فِي الطَّلَبِ بِأَخِيكَ ، فَخَرَجَ فِي الطَّلَبِ ، فَلَقِيَ قَاتِلَ أَخِيهِ يَسِيرُ فِي نَاسٍ
مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَحْسَرَ لِي الْجَمَلَ الْأَحْمَرَ ؟ فَقَالُوا لَهُ وَعَرَفُوهُ : يَا مَالِكُ ؛
لَكَ مِئَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ، فَكُفَّتْ ، فَقَالَ : لَا أَطْلُبُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، ثُمَّ
حَمَلَ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

يَا رَاكِبًا بَلَّغْنِ وَلَا تَدَعْنِ بَنِي قَمَيْرٍ وَإِنْ هُمْ جَزَعُوا

فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقَدْ كُنْتُ حَزِينًا قَدْ مَسَّنِي وَجَعُ
 لَا أَسْمَعُ اللَّهْوَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَنْفَعُنِي فِي الْفِرَاشِ مُضْطَجِعُ
 لَا وَجْدٌ ثَكَلَى كَمَا وَجَدْتُ وَلَا وَجْدٌ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبْعُ
 وَلَا كَبِيرٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ يَوْمَ تَوَافَى الْحَجِيجُ وَاجْتَمَعُوا
 يَنْظُرُ فِي أَوْجِهِ الرِّكَابِ فَلَا يَعْرِفُ شَيْئًا وَالْوَجْهَ مُلْتَمِعُ
 جَلَلْتُهُ صَارِمَ الْحَدِيدَةِ كَأَلْ مِلْحٍ وَفِيهِ سَفَاسِقُ لَمَعُ
 بَيْنَ ضَمِيرٍ وَبَابٍ جِلَقَ فِي أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهِ دُفَعُ
 أَضْرِبُهُ بِأَيْدِيَا نَوَاجِذِهِ يَدْعُو صَدَاهُ وَالرَّأْسُ مُنْصَدِعُ
 بَنِي قُمَيْرٍ قَتَلْتُ سَيِّدَكُمْ فَالْيَوْمَ لَا رَنَّةَ وَلَا جَزَعُ
 فَالْيَوْمَ قُفْنَا عَلَى السَّوَاءِ فَإِنْ [تَجْرُوا] فَدَهْرِي وَدَهْرُكُمْ جُرْعُ
 السَّفَاسِقُ : جمعُ سَفْسَقَةٍ بفتحِ تينِ أو كسرتينِ بينهما سكونٌ ، فِرْنَدُ
 السيفِ ؛ وهي نَقْطٌ تلمعُ في صفائه .

تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ

وَيُرَوَى : لِأَنَّ تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ ، وَأَنْ تَسْمَعَ ، وَيُرَوَى : تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ
 لَا أَنْ تَرَاهُ ، وَالْمَخْتَارُ : أَنْ تَسْمَعَ .

يُضْرَبُ لِمَنْ خَبَرَهُ خَيْرٌ مِنْ مَرَّاهُ ، وَدَخَلَ الْبَاءُ عَلَى تَقْدِيرِ : تُحَدِّثُ بِهِ خَيْرٌ .
 قَالَ الْمُفْضَلُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : الْمُنْذَرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ :
 أَنَّ كُبَيْشَ بْنَ جَابِرٍ أَخَا ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ . . كَانَ عَرْضَ لَأَمَةٍ
 لَزْرَارَةَ بْنِ عَدَسٍ يُقَالُ لَهَا : رُشِيَّةُ ، كَانَتْ سَبِيَّةً أَصَابَهَا زُرَّارَةُ مِنَ الرِّفِيدَاتِ ،

وهم حيٌّ مِنَ العربِ ، فولدَتْ لَهُ عمراً وذؤيباً وبرغوثاً ، فماتَ كُبَيْشٌ وترعرعَ الغِلمَةُ .

فقالَ لقيطُ بنُ زرارةَ : يا رُشيَّةُ ؛ مَنْ أبو بنيكِ ؟ قالتَ : كُبَيْشُ بنُ جابرٍ ، قالَ : فاذهبي بهؤلاءِ الغِلمَةِ فعبِسي بهمِ وجهَ ضمرةَ وخَبِريه مَنْ هم ، وكانَ لقيطُ عدواً لضمرةَ ، فانطلقتْ بهمِ إلى ضمرةَ ، فقالَ : ما هؤلاءِ ؟ قالتَ : بنو أخيكَ ، فانترَعَ منها الغِلمَةُ وقالَ : الحقِّي بأهلكِ .

فرجعتْ فأخبرتْ أهلها بالخبرِ ، فركبَ زرارةُ وكانَ رجلاً حليماً ، حتى أتى بني نهشلٍ ، فقالَ : ردُّوا عليَّ غلمتي ، فسبَّهُ بنو نهشلٍ وأهجرُوا لَهُ ، فلمَّا رأى ذلكَ .. انصرفَ ، فقالَ لَهُ قومُهُ : ما صنعتَ ؟ قالَ : خيراً ، ما أحسنَ ما لقيني بِهِ قومي !! فمكثَ حولاً ، ثمَّ أتاهم ، فأعادوا عليه أسوأَ ما كانوا قالوا لَهُ ، فانصرفَ ، فقالَ لَهُ قومُهُ : ما صنعتَ ؟ قالَ : خيراً ، قد أحسنَ بنو عمِّي وأجملُوا ، فمكثَ بذلكَ سبعَ سنينَ يأتِيهم في كلِّ سنةٍ فيردُّونَهُ بأسوأَ الردِّ .

فبينما بنو نهشلٍ يسيرونَ ضحىً .. إذ لحقَ بهمِ لاحقٌ ، فأخبرهم أنَ زرارةَ قد ماتَ ، فقالَ ضمرةُ : يا بني نهشلٍ ؛ إِنَّهُ قد ماتَ حليمٌ أخوتكمُ اليومَ ، فاتقوهم بحقِّهم ، ثمَّ قالَ ضمرةُ لنسائه : قِفَنَّ أقسمَ بينكُنَّ الشكلَ ، وكانتَ عندهُ هندُ بنتُ كربِ بنِ صفوانَ ، وامرأةٌ يُقالُ لها : خُليدةُ مِنْ بني عجلٍ ، وسبيَّةُ مِنْ عبدِ القيسِ ، وسبيَّةُ مِنَ الأزديِّ مِنْ بني طمشانَ ، وكانَ لَهُنَّ أولادٌ غيرُ خُليدةَ ، فقالتَ لهندٍ وكانتَ لها مصافيةٌ : ولِّي الشكلَ بنتَ غيرِكِ ، ويروى : ولِّي الشكلَ بنتَ غيرِكِ على سبيلِ الدعاءِ ، فأرسلتها مثلاً ، فأخذَ ضمرةُ شقَّةَ بنِ ضمرةَ وأمَّهُ هندُ ، وشهابَ بنِ ضمرةَ وأمَّهُ العبديةُ ، وعنوةَ بنِ ضمرةَ وأمَّهُ الطمسانيةُ ، فأرسلَ بهمِ إلى لقيطِ بنِ زرارةَ ، وقالَ :

هؤلاء رهن لك بغلمتك حتى أرضيك منهم ، فلما وقع بنو ضمرة في يدي لقيط . . أساء ولايتهم ، وجفاهم وأهانهم ، فقال في ذلك ضمرة بن جابر :

صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةِ يَوْمِ غَمُولٍ وَإِخْوَتِهِ فَلَا حَلَّتْ حِلَالِي
كَأَنِّي إِذْ رَهَنْتُ بَنِي قَوْمِي دَفَعْتُهُمْ إِلَى الصُّهْبِ السَّبَالِ
وَلَمْ أَرْهَنْهُمْ بِدَمٍ وَلَكِنْ رَهَنْتُهُمْ بِصُلْحِ أَوْ بِمَالِ
صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةِ يَوْمِ غَمُولٍ وَحَقَّ إِخَاءَ شِقَّةِ بِالْوِصَالِ
فَأَجَابَهُ لَقِيْطُ :

أَبَا قَطَنِ إِنِّي أَرَاكَ حَزِينَا وَإِنَّ الْعَجُولَ لَا يُبَالِ حَنِينَا
أَفِي أَنْ صَبَرْتُمْ نِصْفَ عَامٍ لِحَقِّنَا وَنَحْنُ صَبَرْنَا قَبْلُ سَبْعِ سِنِينَا
فَقَالَ ضَمْرَةَ :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَطَلَابِ حِبِّي وَتَرَكَ بَنِيَّ فِي الشُّطْرِ الْأَعَادِي
لَمَنْ نَوَكَى الشُّيُوخَ وَكَانَ مِثْلِي إِذَا مَا ضَلَّ لَمْ يُنْعَشْ بِهَادِي

ثم إن بني نهشل طلبوا إلى المنذر بن ماء السماء أن يطلبهم من لقيط ، فقال لهم المنذر : نحوا عني وجوهكم ، ثم أمر بخرمٍ وطعام ودعا لقيطاً ، فأكلا وشربا ، حتى إذا أخذت الخمر منهما . . قال المنذر للقيط : يا خير الفتيان ؛ ما تقول في رجل اختارك الليلة على ندامي مضر ؟ قال : وما أقول فيه ؟ أقول : إنه لا يسألني شيئا إلا أعطيته إياه غير الغلمة ، قال المنذر : أمّا إذا استثنيت . . فليست قابلاً منك شيئاً حتى تعطيني كل شيء سألتك ، قال : فذلك لك ، قال : فإني أسألك الغلمة أن تهبهم لي ، قال : سلني غيرهم ، قال : ما أسألك غيرهم ، فأرسل لقيط إليهم ، فدفعهم إلى المنذر ،

فلَمَّا أَصْبَحَ لَقِيْطُ . . لَامَهُ قَوْمُهُ ، فَنَدِمَ ، فَقَالَ فِي الْمُنْذِرِ : [من الطويل]

وَإِنَّكَ لَوْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَّةٍ مُغْمَسَةٍ لَا يُسْتَثَارُ تُرَابُهَا

بِثَوْبِكَ فِي الظَّلْمَاءِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي لَجِئْتُ إِلَيْهَا سَادِرًا لَا أَهَابُهَا

فَأَضْبَحْتُ مَوْجُودًا عَلَيَّ مُلَوَّمًا كَأَنَّ نُصِيصَتَ عَن حَائِضٍ لِي ثِيَابُهَا

قال : فأرسل المنذر إلى الغلظة ، وقد مات ضمرة ، وكان صديقاً للمنذر ، فلما دخل عليه الغلظة وكان يسمع بشقة ، ويُعجبه ما يبلغه عنه ، فلما رآه . .

قال : تسمع بالمُعدي خيراً من أن تراه ، فأرسلها مثلاً ، قال شقة : أبيت اللعن

وأسعدك إلهك ، إن القوم ليسوا بجزر ؛ يعني : الشاء ، إنما يعيش الرجل

بأصغريه ؛ لسانه وقلبه ، فأعجب المنذر كلامه ، وسره كل ما رأى منه ، قال :

فسماه ضمرة باسم أبيه ، فهو ضمرة بن ضمرة ، وذهب قوله : يعيش الرجل

بأصغريه . . مثلاً ، وينشد على هذا : [من الطويل]

ظَنَنْتُ بِهِ خَيْرًا فَقَصَّرْتُ دُونَهُ فَيَا رَبِّ مَطْنُونٍ بِهِ الْخَيْرُ يُخْلِفُ

قُلْتُ ^(٢) : وقريب من هذا ما يحكى : أن الحجاج أرسل إلى عبد الملك بن

مروان بكتاب مع رجل ، فجعل عبد الملك يقرأ الكتاب ، ثم يسأل الرجل ،

فيشفيه بجواب ما يسأله ، فيرفع عبد الملك رأسه إليه فيراه أسود ، فلما

أعجبه ظرفه وبيانه . . قال مُتمثلاً : [من الطويل]

فَإِنَّ عَرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنَكِبِ الْعَمَمِ

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين ؛ هل تدري من عرار ؟ أنا والله عرار بن

عمرو بن شاس الأسدي الشاعر ^(٣) .

(١) في الأصل و« مجمع الأمثال » : (إنك) ولا يستقيم وزنه .

(٢) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٣٤٢/١ - ٣٤٥) .

ترى الفتیانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ

الدَّخْلُ : العيبُ الباطنُ ، يُضْرَبُ لذي المنظرِ لا خيرَ عندهُ .

قالَ الْمُفْضَلُ : أَوَّلُ مَنْ قالَ ذَلِكَ : عَثْمَةُ بنتُ مطرودِ البجيليَّةِ ، وكانت ذاتَ عقلٍ ورأى مُسْتَمَعٍ في قومِها ، وكانت لها أختٌ يُقالُ لها : خَوْدٌ ، وكانت ذاتَ جمالٍ وميسمٍ وعقلٍ ، وإنَّ سبعةَ إخوةٍ غلِمةٍ مِنْ بطنِ الأزْدِ خطبوا خَوْداً إلى أبيها ، فاتوهُ وعليهِمُ الحُللُ اليمانيَّةُ ، وتحتَهُمُ النَّجائبُ الفُرَّةُ ، فقالوا : نحنُ بنو مالكِ بنِ غفيلةَ ذي النحيينِ ، فقالَ لَهُمُ : انزلوا على الماءِ ، فنزلوا ليلتَهُمُ ، ثمَّ أصبحوا غادينَ في الحُللِ والهيئَةِ ومعَهُمُ ربيبةٌ لَهُمُ يُقالُ لها : الشعثاءُ كاهنةٌ ، فمَرُّوا بوسيدِها يتعرَّضون لها وكلُّهُمُ وسيمٌ جميلٌ ، وخرجَ أبوها ، فجلسوا إليه ، فرحَّبَ بِهِمُ ، فقالوا : بلغنا أنَّ لكِ بنتاً ، ونحنُ - كما ترى - شبابٌ ، وكلُّنا يمنعُ الجانبِ ، ويمنحُ الراغبِ ، فقالَ أبوها : كلُّكمُ خيارٌ ، فأقيموا نرى رأينا .

ثمَّ دخلَ على بنتِهِ ، فقالَ : ما ترينَ ؟ فقد أتاكِ هؤلاءِ القومُ ، فقالتَ : أنكحني على قدري ، ولا تشطُّطْ في مهري ؛ فإنَّ تُخطِئني أحلامُهُمُ .. لا تُخطِئني أجسامُهُمُ ، لعلِّي أصيبُ ولداً ، وأكثرُ عدداً .

فخرجَ أبوها فقالَ : أخبروني عن أفضلِكُم ، قالتَ ربيبتُهُمُ الشعثاءُ الكاهنةُ : اسمُ أخبزكِ عنهُمُ ، همُ إخوةٌ ، وكلُّهُمُ أسوةٌ ، أمَّا الكبيرُ .. فمالكُ ، جريءٌ فاتكُ ، يتعبُ السنابكُ ، ويستصغرُ المهالكُ ، وأمَّا الذي يليه .. فالغمزُ ، بحرٌّ غمزٌ ، يقصرُ دونَهُ الفخرُ ، نهْدُ صقرٌ ، وأمَّا الذي يليه .. فعلقمةُ ، صليبُ المعجمةِ ، منبعُ المشتمةِ ، قليلُ الجمجمةِ ، وأمَّا الذي يليه .. فعاصمٌ ، سيدٌ ناعمٌ ، جلدٌ صارمٌ ، أبيُّ حازمٌ ، جيشُهُ غانمٌ ، وجارُهُ سالمٌ ، وأمَّا الذي يليه .. فثوابٌ ، سريعُ الجوابِ ، عتيْدُ الصَّوابِ ، كريمُ النصابِ ؛ كليثُ الغابِ ، وأمَّا

الذي يليه . . فمُدْرِكٌ ، بذولٌ لما يملكُ ، عزوبٌ عمّا يتركُ ، يفني ويهلكُ ،
وأما الذي يليه . . فجددٌ ، لقرنيه مجدٌ ، مُقِلٌّ لما يحملُ ، يعطي ويبدلُ ،
وعن عدوّه لا ينكلُ .

فشاوَرَتْ أختَهَا فِيهِمْ ، فقَالَتْ أختُهَا عثْمَةُ : ترى الفتِيَانِ كَالنَّخْلِ ، وما يدريكُ
مَا الدَّخْلُ ، اسمعي مِنِّي كَلِمَةً : إِنَّ سَرَّ الغَرِيبَةِ يُعْلَنُ ، وخَيْرَهَا يُدْفَنُ ، انكحي
في قومِكِ ولا تغرزيكِ الأجسامُ ، فلم تقبلِ منها ، وبعثتْ إلى أبيها : أنكحني
مُدْرِكًا ، فأنكحَهَا أبوها على مئةِ ناقةٍ ورعاتِهَا ، وحملَهَا مُدْرِكٌ ، فلم تلبثْ عندهُ
إِلَّا قليلاً حتى صَبَّحَهُمْ فوارسٌ مِنْ بني مالِكِ بنِ كنانَةَ ، فاقتتلوا ساعةً ، ثمَّ إِنَّ
زوجَهَا وإخوتهُ وبني عامرٍ انكشفوا ، فسبَّوْهَا فيمَنْ سبَّوْا ، فبينما هي تسيْرُ . .
بَكَتْ ، فقالوا : ما يبكيكِ ؟ أعلى فراقِ زوجِكِ ؟ قالتْ : قَبَّحَهُ اللهُ ، قالوا : لقد
كانَ جميلاً ، قالتْ : قَبَّحَ اللهُ جمالاً لا نفعَ معهُ ، إِنَّمَا أبكي على عصياني
أختي ، وقولها : ترى الفتِيَانِ كَالنَّخْلِ ، وما يدريكُ مَا الدَّخْلُ ، وأخبرتَهُمْ كيفَ
خطبوها ، فقالَ لها رجلٌ منهمُ يُكنى أبا نواسٍ ، شابٌ أسودٌ أفوهٌ مُضطربٌ
الخلْقُ : أترضينَ بي على أن أمنعَكِ مِنْ ذنابِ العربِ ؟ فقالتْ لأصحابِها : أكذلكَ
هو ؟ قالوا : نعم ؛ إِنَّهُ معَ ما ترينَ ليمنعُ الحليلةَ ، وتتقيه القبيلةُ ، قالتْ : هذا
أجملُ جمالٍ ، وأكملُ كمالٍ ، قد رضيتُ بِهِ ، فزوّجوها منه^(١) .

تَعَسَّتِ العَجَلَةُ

أَوَّلُ مَنْ قَالَ هَذَا : فِينْدُ مولى عائشةَ بنتِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ ، وكانَ أحدَ
[المَغْنِينِ] المُجِيدِينَ ، وكانَ يجمعُ بينَ الرجالِ والنساءِ ، ولهُ يقولُ ابنُ قيسٍ
الرُّقِيَّاتِ :

قُلْ لِفِينْدٍ يُشَيِّعِ الْأَظْعَانَا طَالَمَا سَرَّ عَيْشَنَا وَكَفَانَا

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣٥٦/١ - ٣٥٨) .

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار ، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر ، فخرج
معهم ، فأقام بها سنة ، ثم قدم فأخذ ناراً وجاء يعدو ، فعثر وتبدد الجمر ،
فقال : تعست العجلة ، وفيه يقول الشاعرُ :
[من الرمل]

مَا رَأَيْنَا لِغُرَابٍ مَثَلًا إِذْ بَعَثْنَاهُ يَجِي بِالْمِشْمَلَةِ
غَيْرَ فَنِدٍ أَرْسَلُوهُ قَابِسًا فَشَوَى حَوْلًا وَسَبَّ أَلْعَجَلَةَ

المِشْمَلَةُ : كساءٌ تُجْمَعُ فِيهِ المِقدحةُ بالآتيها ، وقال بعضُهُمُ : الروايةُ :
المِشْمَلَةُ بفتح الميم ، وهي مَهْبُ الشمالِ ؛ يعني : الجانب الذي بعث نوحُ
عليه السلامُ الغرابَ إليه ليأتيه بخبرِ الأرضِ : أجفت أم لا .

تجمعينَ خلافةً وصدوداً

يُضْرَبُ لِمَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ خِصْلَتَيْ شَرٍّ ، قالوا : هو من قولِ جريرِ بنِ عطيةَ ؛
وذلك أن الحجاجَ بنَ يوسفَ أراد قتله ، فمشت إليه مُضِرٌّ فقالوا : أصلح اللهُ
الأميرَ ، لسانُ مضرَ وشاعرُها ، هبهُ لنا ، فوهبه لهم .

وكانت هندُ بنتُ أسماءَ بنِ خارجةَ ممنَ طلبَ فيه ، فقالت للحجاجِ :
اثننْ لي فأسمعَ من قولِهِ ، قال : نعم ، فأمرَ بمجلسٍ له وجلسَ فيه هو وهندُ ،
ثم بعثَ إلى جريرِ ، فدخلَ وهو لا يعلمُ بمكانِ الحجاجِ ، فقالت : يا بنَ
الخطَفَى ؛ أنشدني قولكَ في التشيبِ ، قال : والله ؛ ما شبيتُ بامرأةٍ قطُّ ، وما
خلق اللهُ شيئاً أبغضَ إليَّ من النساءِ ، ولكيتي أقولُ في المديحِ ما بلغك ، فإن
شئتِ .. أسمعُك ، قالت : يا عدوَّ نفسيهِ ؛ فأين قولُك :
[من الكامل]

يَجْرِي السَّوَاكُ عَلَى أَغْرٍ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقَتِ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ

لَوْ كُنْتَ صَادِقَةً الَّذِي حَدَّثْتِنَا لَوَصَلْتَ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامٍ

قال جرير: لا والله؛ ما قلت هذا، ولكني أقول^(١): [من الطويل]

لَقَدْ جَرَّدَ الْحَجَّاجُ بِالْحَقِّ سَيْفَهُ أَلَا فَاسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلُ
وَلَا يَسْتَوِي دَاعِي الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى وَلَا حُجَّةُ الْخَضَمِينَ حَقٌّ وَبَاطِلُ

فَقَالَتْ هِنْدُ: دَعُ ذَا عَنكَ، فَأَيْنَ قَوْلِكَ: [من الطويل]

خَلِيلِي لَا تَسْتَشِعِرَا النَّوْمَ إِنِّي أُعِيدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَجِدَا وَجِدِي
ظَمِئْتُ إِلَى بَرْدِ الشَّرَابِ وَغَرَّنِي جَدَا مُزْنَةٌ يُرْجَى جَدَاهَا وَمَا تُجِدِي

قال جرير: بل أنا الذي أقول^(٢): [من الطويل]

[وَمَنْ] يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ أَمَا عِقَابُهُ فَمُرٌّ وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ
لَخِفْتُكَ حَتَّى أَنْزَلْتَنِي مَخَافَتِي وَقَدْ كَانَ مِنْ دُونِي عَمَائَةَ نِيْقُ
يُسِرُّ لَكَ الْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

قَالَتْ: دَعُ ذَا عَنكَ، وَلَكِنْ هَاتِ قَوْلَكَ^(٤): [من الكامل]

يَا عَاذِلِي دَعَا الْمَلَامَةَ وَأَقْضُرَا طَالَ الْهَوَى وَأَطْلُتْمَا التَّفْنِيدَا
إِنِّي وَجَدْتُكَ لَوْ أَرَدْتِ زِيَادَةَ فِي الْحَبِّ مِثِّي مَا وَجَدْتُ مَزِيدَا

أَخْلَيْتِنَا وَصَدَدْتِ أُمَّ مُحَمَّدٍ أَفْتَجْمَعِينَ خِلَابَةَ [وَصُدُودَا]
لَا يَسْتَطِيعُ أَخُو الصَّبَابَةِ أَنْ يُرَى حَجْرًا أَصَمَّ وَأَنْ يَكُونَ حَدِيدَا

(١) انظر «ديوان جرير» (٤٠٣/١).

(٢) انظر «ديوان جرير» (٣٧٣/١ - ٣٧٤).

(٣) كذا في الأصل، وفي «ديوان جرير»: (وخفتك).

(٤) انظر «ديوان جرير» (٣٣٧/١).

أَتِيَهُ مِنْ فَقِيدِ ثَقِيفٍ

قالوا : كَانَ بِالطَّائِفِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ إِخْوَانٌ ، فَتَزَوَّجَ أَحَدُهُمَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي كُنَّةَ ، ثُمَّ رَامَ سَفْرًا ، فَأَوْصَى الْأَخَّ بِهَا ، فَكَانَ يَتَعَهَّدُهَا كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، فَذَهَبَتْ بِقَلْبِهِ ، فَضَنِّي ، وَأَخَذَتْ قُوَّتَهُ حَتَّى عَجَزَ عَنِ الْمَشْيِ ، ثُمَّ عَجَزَ عَنِ الْقُعُودِ .

وقدم أخوه ، فلمَّا رآه بتلك الحالة . . قَالَ : مَا لَكَ يَا أَخِي ؟ مَا تَجِدُ ؟ قَالَ : مَا أَجْدُ شَيْئًا غَيْرَ الضَّعْفِ ، فَبِعَتْ أَخُوهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ طَبِيبِ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا حَضَرَ . . لَمْ يَجِدْ بِهِ عِلَّةً مِنْ مَرَضٍ ، وَوَقَعَ لَهُ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ عَشْقٍ ، فَدَعَا بِخَمْرٍ وَفَتَّ فِيهَا خَبزًا فَأَطَعَمَهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِشْرِبَةٍ مِنْهَا ، فَتَحَرَّكَ سَاعَةً ، ثُمَّ نَغَضَ رَأْسَهُ وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ :

[من الهزج]

أَلَمَّا بِي عَلَى الْأَبْيَا تِ بِالْخَيْفِ نَزْرُهُنَّة
غَزَالَ ثُمَّ يَحْتَلُّ بِهَا دُورَ بَنِي كُنَّة
غَزَالَ أَخَوْرُ الْعَيْنِي نِ فِي مَنْطِقِهِ غُنَّة

فَعَرَفَ أَنَّهُ عَاشِقٌ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْخَمْرَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ : [من مجزوء الخفيف]

أَيْهَا الْجِيرَةَ أَسْلَمُوا وَقِفُوا كَيْ تَكَلَّمُوا
خَرَجَتْ مُزْنَةٌ مِنْ أَلِ بَحْرِ رِيَا تَحْمَحُمُ
هِيَ مَا كُنْتِي وَتَزُ عُمُ أَنْبِي لَهَا حَمُ

فَعَرَفَ أَخُوهُ مَا بِهِ ، فَقَالَ : يَا أَخِي ؛ هِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا ، فَتَزَوَّجْهَا ، فَقَالَ : هِيَ طَالِقٌ يَوْمَ أَنْزَوَّجُهَا .

ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ نَائِبٌ مِنَ الْعَقْلِ وَالْقُوَّةِ ، فَفَارَقَ الطَّائِفَ حَضْرًا ، وَهَامَ فِي الْبَرِّ

فما رُئِيَ بعدَ ذلكَ ، فمكثَ أخوه أياماً ، ثمَّ ماتَ كمداً على أخيه ، فضرِبَ به
المثلُ ، وسُمِّيَ فقيدَ ثقيفٍ ^(١) ، وأمّا قولُهُم :

أَتِيَهُ مِنْ أَحْمَقِ ثَقِيفٍ

فهذا مِنَ التَّيهِ الَّذِي هُوَ الصَّلْفُ ، وَأَحْمَقُ ثَقِيفٍ : هُوَ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو ،
وكانَ أميرَ العِراقينِ مِنْ قَبْلِ هِشامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وكانَ أتيَهُ وَأَحْمَقُ عَرَبِيٍّ
أمرَ ونهى في دولةِ الإسلامِ .

وَمِنْ حَمَقِهِ : أَنَّ حَجَّاماً كانَ يَحْجُمُهُ ، فَلَمَّا أَرادَ أَنْ يَشْرِطَهُ . . ارتعدتْ
يدُهُ ، فأحسَّ بِذلكَ يَوْسُفُ ، وكانَ حاجبُهُ قائماً على رَأْسِهِ ، فقالَ لَهُ : قلْ
لهذا البائسِ : لا تخفْ .

وكانَ يَوْسُفُ قصيراً جداً قميئاً ، فكانَ الخياطُ عندَ قطعِ ثيابهِ إذا قالَ
لَهُ : يحتاجُ إلى زيادةٍ . . أكرمهُ وحباهُ ، وإذا قالَ : يفضُلُ شيءٌ . . أهانَهُ
وأقصاهُ ^(٢) .

تُكَلُّ أَرْأَمَهَا وَلِداً

قالَهُ بيهسُ المُلَقَّبُ بنِعامَةَ لِأُمَّهِ حينَ رَجَعَ إليها بعدَ إخوتِهِ الَّذينَ قتلوا .
قالَ المُفضَّلُ : كانَ مِنْ حَدِيثِ بيهسٍ أَنَّهُ كانَ رجلاً مِنْ بني فِزارَةَ بنِ
ذُبْيَانَ بنِ بَغِيضٍ ، وكانَ سابِعَ سبعةِ إِخوةٍ ، فأغارَ عليهمِ ناسٌ مِنْ أَشْجَعِ
بينَهُمُ وبينَهُمُ حربٌ وهم في إِبِلِهِمُ ، فقتلوا منهمِ ستَةً ، وبقِيَ بيهسُ وكانَ
يُحَمِّقُ ، وكانَ أَصْغَرَهُمُ ، فأرادوا قتلَهُ ، ثمَّ قالوا : وما تريدونَ مِنْ قتلِ هذا؟!
يُحَسِّبُ عَلَيْكُمُ بِرَجْلٍ ولا خَيْرَ فِيهِ ، فتركوهُ ، فقالَ : دعوني أتوصَّلُ معَكُمْ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨١ - ٣٨٢) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨٢ - ٣٨٣) .

إلى الحيّ ، فإنّكم إن تركتموني وحدي . . أكلتني السباع ، وقتلني العطش ،
ففعّلوا ، فأقبل معّهم .

فلما كان من الغد . . نزلوا فنحروا جزوراً في يوم شديد الحرّ ، فقالوا :
ظللّوا لحمكم لا يفسد ، فقال بيهس : لكنّ بالأثلاث لحم لا يظللّ ،
فذهبت مثلاً ، فلما قال ذلك . . قالوا : إنّه لمنكر ، وهّموا أن يقتلوه ،
ثم تركوه ، وظلّوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون ، فقال أحدهم :
ما أطيّب يومنا وأخصبّه ، فقال بيهس : لكن على بلدح قوم عجف ،
فذهبت مثلاً .

ثم انشعب طريقهم ، فأتى أمّه فأخبرها الخبر ، قالت : فما جاءني بك
من بين إخوتك؟! فقال بيهس : لو خيّرت . . لاخترت ، فذهبت مثلاً ، ثم إن
أمّه عطفت عليه ورقت له ، فقال الناس : لقد أحببت أم بيهس بيهساً ، فقال
بيهس : ثكل أرامها ولداً ؛ أي : عطفتها على ولد ، فأرسلها مثلاً .

ثم إن أمّه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب إخوته ، فيلبسها ويقول : يا حبذا
التراث لولا الذلّة ، فأرسلها مثلاً .

ثم إنّه أتى على ذلك ما شاء الله ، فمرّ بنسوة من قومه يصلح
امرأة منهم يردن أن يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا إخوته ، فكشف
ثوبه عن استه وغطى به رأسه ، فقلن له : ويحك !! ما تصنع يا بيهس؟!
فقال :

[من مشطور الرجز]

إِبْسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا

إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فأرسلها مثلاً ، ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنعن له طعاماً ، فجعل
يأكل ويقول : حبذا كثرة الأيدي في غير طعام ، فأرسلها مثلاً ، فقالت له

أُمُّهُ : لا يَطْلُبُ هَذَا بَثَارٍ أَبَدًا ، فَقَالَتِ الْكِنَانِيَّةُ : لا تَأْمَنِي الْأَحْمَقَ وَفِي يَدِهِ سِكِّينٌ ، فَأَرْسَلْتَهَا مِثْلًا .

ثُمَّ إِنَّهُ أُخْبِرَ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَشْجَعٍ فِي غَارٍ يَشْرَبُونَ فِيهِ ، فَاَنْطَلَقَ بِخَالٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ : أَبُو حَنْشٍ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي غَارٍ فِيهِ ظَبَاءٌ لَعَلَّنَا نَصِيبُ مِنْهَا ؟ وَيُرْوَى : هَلْ لَكَ فِي غَنِيمَةٍ بَارِدَةٍ ؟ فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِيَهْسٍ بِخَالِهِ حَتَّى أَقَامَهُ عَلَى فَمِ الْغَارِ ، ثُمَّ دَفَعَ أَبَا حَنْشٍ فِي الْغَارِ ، فَقَالَ : ضَرْبًا أَبَا حَنْشٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ أَبَا حَنْشٍ لَبَطْلٌ ، فَقَالَ أَبُو حَنْشٍ : مُكْرَهُ أَخْوَاكَ لا بَطْلٌ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

قَالَ الْمُتَمَلِّسُ فِي ذَلِكَ (١) :

وَمَنْ طَلَبَ الْأَوْتَارَ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ أَلْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بِيَهْسٍ
نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَخَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ (٢)

جَرِيُّ الْمُدْكِيَّاتِ غِلَابٌ

الْمُدْكِيَّةُ مِنَ الْخَيْلِ : الَّتِي قَدِ اتَى عَلَيْهَا بَعْدَ قَرُوحِهَا سَنَةٌ أَوْ سَنَتَانِ ، وَالْغِلَابُ : الْمَغَالِبَةُ ؛ أَي : أَنَّ الْمُدْكِيَّ يَغَالِبُ مُجَارِيَهُ فَيَغْلِبُهُ لِقُوَّتِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ : أَنَّ ثَانِيَّ جَرِيهِ أَبَدًا أَكْثَرُ مِنْ بَادِيهِ ، وَثَالِثُهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَانِيهِ ، فَكَأَنَّهُ يَغَالِبُ بِالثَّانِي الْأَوَّلَ ، وَبِالثَّالِثِ الثَّانِيَّ ، فَجَرِيُّهُ أَبَدًا غِلَابٌ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ أَبِي عُبَيْدٍ حَيْثُ قَالَ : (فَهِيَ تَحْتَمِلُ أَنْ تُغَالِبَ الْجَرِيَّ غِلَابًا) (٣) .

وَيُرْوَى : جَرِيُّ الْمُدْكِيَّاتِ غِلَاءٌ ، جَمْعُ غَلْوَةٍ ؛ يَعْنِي : أَنَّ جَرِيَّهَا يَكُونُ غَلَوَاتٍ ، وَيَكُونُ شَأُوهَا بَطِينًا ، لا كَالْجَدْعِ .

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ١١٣) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨٩ - ٣٩٠) .

(٣) الأمثال (ص ١٠٧) للقسام بن سلام .

يُضْرَبُ لِمَنْ يُوصَفُ بالتبريزِ على أقرانه في حلبةِ الفضلِ^(١) .

جاورينا وأخبرينا

قال يونسُ : كانَ رجلانِ يتعشَّقانِ امرأةً ، وكانَ أحدهُما جميلاً وسيماً ، وكانَ الآخرُ دميماً تَقْتَحِمُهُ العينُ ، فكانَ الجميلُ منهما يقولُ : عاشرينا وانظري إلينا ، وكانَ الدميمُ يقولُ : جاورينا وأخبرينا ، فكانتُ تدني الجميلَ .

فقالَتْ : لأختبرنَّهُما ، فقالتْ لكلِّ واحدٍ منهما أن ينحرَ جَزوراً ، فأتتُهُما مُتَنَكِّراً ، فبدأتْ بالجميلِ فوجدتهُ عندَ القِدرِ يلحسُ الدَّسَمَ ويأكلُ الشحمَ ، ويقولُ : احتفظوا كلَّ بيضاءَ ليَّه ؛ يعني : الشحمَ ، فاستطعمتهُ ، فأمرَ لها بثيلِ الجَزورِ ، فوَضَعَ في قِصعَتِها ، ثمَّ أتتِ الدَّمِيمَ ، فإذا هوَ يقسمُ لحمَ الجَزورِ ، ويعطي كلَّ مَنْ سألَهُ ، فسألتهُ ، فأمرَ لها بأطايِبِ الجَزورِ ، فوَضَعَ في قِصعَتِها ، فرفعتِ الذي أعطَها ، كلَّ واحدٍ منهما على حدةِ .

فلما أصبحا . . غدوا إليها ، فوضعتُ بينَ يدي كلِّ واحدٍ منهما ما أعطَها ، وأقصتِ الجميلَ ، وقربتِ الدَّمِيمَ ، ويُقالُ : إنَّها تزوَّجتُهُ .

يُضْرَبُ في القبيحِ المنظرِ الجميلِ المخبِرِ^(٢) .

جدع الحلال أنف الغيرة

قاله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليلةَ رُفَّتْ فاطمةُ إلى عليٍّ رضي اللهُ تعالى عنهما ، وهذا حديثٌ يُروى عنِ الحجاجِ بنِ منهالٍ يرفعه^(٣) .

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٤٠٥/١) .

(٢) انظر «مجمع الأمثال» (٤١٤/١) .

(٣) انظر «مجمع الأمثال» (٤١٧/١) .

جَوْعَ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ

وَبُرُوءِي : أَجْعُ كَلْبَكَ ، وَكِلَاهُمَا يُضْرَبُ فِي مَعَاشِرَةِ اللَّيْثَامِ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلُوا بِهِ .

قَالَ الْمُفْضَلُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ حِمَيْرَ ، كَانَ عَنيفاً عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، يَغْصِبُهُمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَيَسْلُبُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَكَانَتِ الْكَهَنَةُ تُخْبِرُهُ [أَنَّهُمْ] سَيَقْتُلُونَهُ ، فَلَا يَحْفِلُ بِذَلِكَ ، وَإِنَّ امْرَأَتَهُ سَمَعَتْ أَصْوَاتَ [السُّؤَالِ] ، فَقَالَتْ : إِنِّي لِأَرْحَمُ هَؤُلَاءِ لِمَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْجَهْدِ وَنَحْنُ فِي الْعَيْشِ الرَّغْدِ ، وَإِنِّي لِأَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ يَصِيرُوا سِبَاعاً ، وَقَدْ كَانُوا لَنَا أَتْبَاعاً ، فَرَدَّ عَلَيْهَا : جَوْعَ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ ، وَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

فَلَبِثَ بِذَلِكَ زَمَانًا ، ثُمَّ أَغْرَاهُمْ ، فَغَنَمُوا ، وَلَمْ يَقْسِمِ فِيهِمْ شَيْئًا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ . . قَالُوا لِأَخِيهِ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ : قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ ، وَنَحْنُ نَكْرَهُ خُرُوجَ الْمُلْكِ مِنْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَى غَيْرِكُمْ ، فَسَاعِدْنَا عَلَى قَتْلِ أَخِيكَ وَاجْلِسْ مَكَانَهُ ، وَكَانَ قَدْ عَرَفَ بَغْيَهُ وَاعْتِدَاءَهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، فَمَرَّ بِهِ عَامِرُ بْنُ جَذِيمَةَ وَهُوَ مَقْتُولٌ وَقَدْ سَمِعَ بِقَوْلِهِ : جَوْعَ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ ، فَقَالَ : رَبِّمَا أَكَلَ الْكَلْبُ مُؤَدَّبَهُ إِذَا لَمْ يَنْلُ شِبَعَهُ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا^(١) .

أَجْنَاؤُهَا أَبْنَاؤُهَا

قَالَ أَبُو عبيدٍ : (الْأَجْنَاءُ : هُمُ الْجُنَاءُ ، وَالْأَبْنَاءُ : الْبُنَاءُ ، وَالوَاحِدُ جَانِ وَبَانٍ ، وَهَذَا جَمْعٌ عَزِيزٌ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُجْمَعَ « فَاعِلٌ » عَلَى « أَفْعَالٍ » ، قَالَ : وَأَصْلُ الْمَثَلِ : أَنَّ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ غَزَا وَخَلَّفَ بِنْتًا ، وَأَنَّ ابْنَتَهُ أَحْدَثَتْ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٢١/١ - ٤٢٢) .

بعدهُ بنياناً قد كان أبوها يكرههُ ، وإنّما فعلت ذلكَ برأيِ قومٍ من أهلِ مملكتهِ أشاروا عليها وزينوهُ عندها ، فلمّا قدمَ الملكُ وأخبرَ بمشورةِ أولئك ورأيهم . . أمرهم بأعيانهم أن يهدموهُ ، وقالَ عند ذلكَ : أجنأوها أبنأوها ، فذهبت مثلاً^(١) .

يُضْرَبُ فِي سِوَةِ الْمَشُورَةِ وَالرَّأْيِ ، وَلِلرَّجْلِ يَعْمَلُ الشَّيْءَ بِغَيْرِ رُويَةٍ ثُمَّ يَحْتَاجُ إِلَى نَقْضِ مَا عَمَلَ وَإِفْسَادِهِ ، وَمَعْنَى الْمَثَلِ : أَنَّ الَّذِينَ جَنَأُوا عَلَى هَذِهِ الدَّارِ بِالْهَدْمِ هُمُ الَّذِينَ عَمَرُوهَا بِالْبِنَاءِ .

الْجَرْعُ أَرْوَى ، وَالرَّشِيفُ أَنْقَعُ

الرَّشِيفُ وَالرَّشِيفُ : الْمَصُّ لِلْمَاءِ ، وَالْجَرْعُ : بَلْعُهُ ، وَالنَّقْعُ : تَسْكِينُ الْمَاءِ لِلْعَطَشِ ؛ أَي : أَنَّ الشَّرَابَ الَّذِي يُتْرَشَّفُ قَلِيلاً قَلِيلاً . . أَقْطَعُ لِلْعَطَشِ وَأَنْجَعُ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ بَطْءٌ ، وَقَوْلُهُ : (أَرْوَى) أَي : أَسْرَعُ رِيّاً ، وَقَوْلُهُ : (أَنْقَعُ) أَي : أَثْبَتُ وَأَدْوِمُ رِيّاً ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : سَمٌّ نَاقِعٌ ؛ أَي : ثَابِتٌ .

يُضْرَبُ لِمَنْ يَقَعُ فِي غَنِيمَةٍ ، فَيُؤَمِّرُ بِالْمَبَادِرَةِ وَالْاِقْتِطَاعِ لِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ مَنْ يَنْزَعُهُ ، وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : أَنَّ الْاِقْتِصَادَ فِي الْمَعِيشَةِ أْبْلَغُ وَأَدْوِمُ مِنَ الْاِسْرَافِ فِيهَا .

الْجَارُ ثُمَّ الدَّارُ

هَذَا كَقَوْلِهِمْ : الرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَكِلَاهُمَا يُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) .

(١) الأمثال (ص ٣٠٢) للقاسم بن سلام .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٦٨/٤ - ٢٦٩) عن سيدنا رافع بن خديج رضي الله عنه .

قال أبو عبيد: كان بعضُ فقهاءِ أهلِ الشامِ يُحدِّثُ بهذا الحديثِ ويقولُ :
معناه: إذا أردتَ شراءَ دارٍ . . فسلُ عن جوارِها قبلَ شرائِها .

جَفَّ حِجْرُكَ وَطَابَ نَشْرُكَ ، أَكَلَتِ دَهْشاً وَحَطَبَتِ قَمْشاً

قال يونسُ بنُ حبيبٍ : كانَ مِنْ حَدِيثِ هَذَا المَثَلِينِ : أَنَّ امْرَأَةً زَارَتْهَا بِنْتُ
أَخِيهَا وَبِنْتُ أُخْتِهَا ، فَأَحْسَنْتُ تَزْوِيرَهُمَا ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ رَجوعِهِمَا . . قَالَتْ
لابِنَةِ أُخِيهَا : جَفَّ حِجْرُكَ وَطَابَ نَشْرُكَ ، فَسَرَّتِ الجارِيَةُ بما قَالَتْ لَهَا عَمَّتُهَا ،
وقَالَتْ لابِنَةِ أُخْتِهَا : أَكَلَتِ دَهْشاً وَحَطَبَتِ قَمْشاً ، فوجدتُ بِذَلِكَ الصبيَّةِ وَشقَّ
عليها ما قَالَتْ لَهَا خالَتُهَا .

فانطَلَقَتْ بِنْتُ الأَخِ إلى أُمِّها مسرورةً ، فقَالَتْ لَهَا أُمُّها : ما قَالَتْ
لِكَ عَمَّتِكَ ؟ فقَالَتْ : قَالَتْ لي خيراً ، ودَعَتْ لي ، قَالَتْ : وكيفَ قَالَتْ
لكِ ؟ قَالَتْ : قَالَتْ : جَفَّ حِجْرُكَ وَطَابَ نَشْرُكَ ، قَالَتْ : أَيُّ بِنِيَّةٍ ؛ ما
دَعَتْ لكِ بخيرٍ ، ولكنْ دَعَتْ بألَّا تَسْمِي ولِداً أبداً فَيَبَلَّ حِجْرَكَ وَيُغَيِّرَ
نَشْرَكَ .

وانطَلَقَتْ الأخرى إلى أُمِّها ، فقَالَتْ لَهَا أُمُّها : ما قَالَتْ لكِ خالَتِكَ ؟
قَالَتْ : وما عسى أن تقولَ لي !! دَعَتْ اللهَ عليَّ ، قَالَتْ : وكيفَ قَالَتْ لكِ ؟
قَالَتْ : قَالَتْ : أَكَلَتِ دَهْشاً وَحَطَبَتِ قَمْشاً ، قَالَتْ : بل دَعَتْ اللهَ لكِ يا بِنِيَّةُ
أن يكثرَ وَلَدُكَ فينازِعوكِ في المالِ ، ويُقَمِّشوكِ حطباً^(١) .

حَرَكَ لَهَا حُورَاهَا . . تَحَنَّ

الحُوراءُ : وَلَدُ الناقَةِ ، والجمعُ القليلُ : أَحورَةٌ ، والكثيرُ : حورانٌ وحيرانٌ ،

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١/٤٣٧ - ٤٣٨) .

ولا يزالُ حُوراً حتى يُفصلَ ، فإذا فُصلَ عن أمِّه . . فهو فصيلٌ .

ومعنى المثلِ : دَكَرَهُ بعضُ أشجانه [يَهْجُ] له ، وهذا لمثلِ قاله عمرُ بنُ العاصِ لمعاويةَ حينَ أرادَ أن يستنصرَ أهلَ الشامِ ^(١) .

حسبك من شرِّ سماعه

أي : اكتفِ مِنَ الشرِّ بسماعِهِ ، ولا تعاینهُ ، ويجوزُ أن يريدَ : يكفيكَ سماعُ الشرِّ وإن لم تُقدِّمِ عليه ولم تُنسبِ إليه .

قال أبو عبيدٍ : (أخبرني هشامُ بنُ الكلبيِّ : أن المثلَ لأمِّ الربيعِ بنِ زيادِ العبسيِّ ؛ وذلكَ أن ابنها الربيعَ كانَ أخذَ من قيسِ بنِ زهيرِ بنِ جذيمةَ درعاً ، فعرضَ قيسٌ لأمِّ الربيعِ وهي على راحلتها في مسيرِ لها ، فأرادَ أن يذهبَ بها ليرتھنها بالدرعِ ، فقالتَ له : أينَ عزَّبَ عنكَ عقلُك يا قيسُ ؟! أترى بني زيادِ مصالحيك وقد ذهبَ بأمتهم يميناً وشمالاً ، وقالَ الناسُ ما قالوا أو شأوا ، وإنَّ حسبك من شرِّ سماعه ، فذهبتَ كلمتها مثلاً ، تقولُ : كفى بالمقالةِ عاراً وإن كانَ باطلاً) ^(٢) .

يُضربُ عندَ العارِ والمقالةِ السيئةِ ، وما يُخافُ منها .

وقالَ بعضُ النساءِ الشواعرِ : [من مجزوء الكامل]

سائِلُ بنا في قومنا وليكفِ من شرِّ سماعه

وكانَ المُفضَّلُ فيما حُكيَ عنه يذكرُ هذا الحديثَ ، ويُسميَ أمَّ الربيعِ ويقولُ : هي فاطمةُ بنتُ الخُرْشُبِ ، من بني أنمارِ بنِ بغيضٍ ^(٣) .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٧٩/١) .

(٢) الأمثال (ص ٧٢) للقياس بن سلام .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٤٨٦/١) .

حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءَ

أي : أَعْرِضُ عَنِ الْحَنَا بِحِلْمِي ، وَإِنْ سَمِعْتُهُ بِأُذُنِي (١) .

حَسْبُكَ مِنْ غِنَى شِبْعٍ وَرِيٍّ

أي : اقنع من الغنى بما يُشبعُك ويُزويك ، وجُد بما فضل ، وهذا المثلُ
لامرئ القيس ، يذكرُ مغزى كانت له ، فيقول (٢) :

إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ إِبْلَ فَمِعْرَى كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا الْعِصِيَّ

فَتَمَلَأُ بَيْتَنَا أَقْطَا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شِبْعٍ وَرِيٍّ

قال أبو عبيد : (وهذا يحتملُ معنيين : أحدهما : يقول : أعط كل ما كان
لك وراء الشبّع والري ، والآخر : القناعة باليسير ، يقول : اكتف به ، ولا تطلب
ما سوى ذلك) (٣) .

والأول الوجه ؛ لقوله في شعر له آخر ؛ وهو (٤) :

وَلَوْ أَنَّمَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

وَمَا أَلْمَرُّ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا آلِ

فقد أخبر ببُعْدِ هِمَّتِهِ وَقَدْرِهِ فِي نَفْسِهِ (٥) .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٨٨/١) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣٦ - ١٣٧) .

(٣) الأمثال (ص ١٦٧) للقاسم بن سلام .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٩) .

(٥) انظر « مجمع الأمثال » (٤٨٩/١ - ٤٩٠) .

الحديث ذو شجون

أي : ذو طَرَقٍ ، الواحدُ : شَجْنٌ بسكونِ الجيمِ ، والشَّواجِنُ : أوديةٌ كثيرةُ الشجرِ ، الواحدةُ شاجنةٌ ، وأصلُ هذه الكلمةِ الاتصالُ والالتفافُ ، ومنه الشُّجْنَةُ والشُّجْنَةُ : الشجرةُ الملتفَّةُ الأغصانِ .

يُضْرَبُ هذا المثلُ في الحديثِ يُتَذَكَّرُ به غيرهُ ، وقد نظَمَ الشيخُ أبو بكرٍ عليُّ بنُ الحسينِ القُهْستَانيُّ هذا المثلَ ومثلاً آخَرَ في بيتٍ واحدٍ ، وأحسنَ ما شاء ؛ وهو :

[من الطويل]

تَذَكَّرَ نَجْدًا وَالْحَدِيثُ شُجُونُ فَجُنَّ أَشْتِياقًا وَالْجُنُونُ فُنُونُ
وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ هَذَا الْمَثَلُ : ضِبَّةُ بِنْتُ أَدِ بْنِ طَابِخَةَ بِنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ ، وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ ؛ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : سَعْدٌ ، وَلِلْآخَرِ سَعِيدٌ ، فَتَفَرَّتْ إِبِلٌ لَضِبَّةَ تَحْتَ اللَّيْلِ ، فَوَجَّهَ ابْنَيْهِ فِي طَلِبِهَا ، فَتَفَرَّقَا ، فَوَجَدَهَا سَعْدٌ فَرَدَّهَا ، وَمَضَى سَعِيدٌ فِي طَلِبِهَا ، فَلَقِيَهِ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ وَكَانَ عَلَى الْغَلَامِ بَرْدَانَ ، فَسَأَلَهُ الْحَارِثُ إِيَّاهُمَا ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ بَرْدِيَهُ ، فَكَانَ ضِبَّةُ إِذَا أَمْسَى فَرَأَى تَحْتَ اللَّيْلِ سَوَادًا . . . قَالَ : أَسَعَدُ أَمْ سَعِيدٌ ؟ فَذَهَبَ قَوْلُهُ مِثْلًا يُضْرَبُ فِي النِّجَاحِ وَالْخَيْبَةِ ، فَمَكَتْ ضِبَّةُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكَّتْ .

ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ ، فَوَافَى عَكَظًا ، فَلَقِيَ بِهَا الْحَارِثَ بْنَ كَعْبٍ ، وَرَأَى عَلَيْهِ بَرْدِيَّ ابْنِهِ سَعِيدٍ ، فَعَرَفَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَنْتَ مَخْبِرِي مَا هَذَا الْبَرْدَانَ اللَّذَانَ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : بَلَى ، لَقِيتُ غَلَامًا وَهُمَا عَلَيْهِ ، فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُمَا ، فَأَبَى عَلَيَّ ، فَقَتَلْتُهُ وَأَخَذْتُ بَرْدِيَهُ هَذَا ، فَقَالَ ضِبَّةُ بِسَيْفِكَ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : فَأَعْطِيهِ أَنْظُرْ إِلَيْهِ ؛ فَإِنِّي أَظُنُّهُ صَارِمًا ، فَأَعْطَاهُ الْحَارِثُ سَيْفَهُ ، فَلَمَّا أَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ . . . هَزَّهُ وَقَالَ : الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا ضِبَّةُ ؛ أَفِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؟ ! فَقَالَ : سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ ،

فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَارَ عَنْهُ هَذِهِ الْأَمْثَالُ الثَّلَاثَةُ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ ^(١) : [من الطويل]
[وَلَا] تَأْمَنَنَّ الْحَرْبَ إِنَّ أَسْتِعَارَهَا كَضَبَةَ إِذْ قَالَ الْحَدِيثُ شُجُونُ ^(٢)

الحزمُ : حفظُ ما كُفِّتَ ، وتركُ ما كُفِّيتَ

هذا من كلام أكثم بن صيفي ، وقريب من هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « من حُسنِ إسلامِ المرءِ تزكُّهُ ما لا يَعْنِيهِ » ^(٣) .

خذ الأمر بقوابله

أي : بمقدّماته ؛ يعني : دَبَّرَهُ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ تَدْبِيرُهُ ، والباءُ بمعنى (في)
أي : فيما يَسْتَقْبِلُكَ مِنْهُ ، يُقَالُ : قَبَلَ الشَّيْءُ وَأَقْبَلَ .
يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ بِاسْتِقْبَالِ الْأُمُورِ ^(٤) .

خطبٌ يسيرٌ في خطبٍ كبيرٍ

قاله قصير بن سعيد اللخمي لجذيمة بن مالك بن نصر ، الذي يُقالُ له :
جذيمة الأبرش ، وجذيمة الوضاح ، والعربُ تقولُ للذي به البرصُ : به وضح ؛
تفادياً من ذكر البرص .

وكانَ جَذِيمَةُ مَلِكٌ ما على شاطئِ الفِراتِ ، وكانَتِ الرَّبَّاءُ ملكةَ الجزيرة ،
وكانت من أهلِ باجزمي ، وتتكلم بالعربية ، وكانَ جَذِيمَةُ قد وَتَرَهَا بِقَتْلِ
أبيها .

(١) انظر «ديوان الفرزدق» (٥٩٦/٢) .

(٢) انظر «مجمع الأمثال» (٤٩٣/١ - ٤٩٤) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر «مجمع الأمثال» (٥٦٨/١) .

فلما استجمع أمرها ، وانتظم شملُ مُلكِها . . أَحَبَّتْ أَنْ تَغزُو جَدِيمَةَ ، ثُمَّ رَأَتْ أَنْ تَكْتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهَا لَمْ تَجِدْ مُلْكَ النِّسَاءِ إِلَّا قَبْحاً فِي السَّمَاعِ ، وَضَعْفاً فِي السُّلْطَانِ ، وَأَنَّهَا لَمْ تَجِدْ لِمُلْكِهَا مَوْضِعاً وَلَا لِنَفْسِهَا كُفْؤاً . . غَيْرَكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ لِأَجْمَعَ مُلْكِي إِلَى مُلْكِكَ ، وَأَصَلَ بِلَادِي بِبِلَادِكَ ، وَتُقَلِّدَ أَمْرِي مَعَ أَمْرِكَ ، تَرِيدُ بِذَلِكَ الْغَدْرَ .

فلما أتى كتابها جديمة وقدم عليه رسلها . . استخفها ما دعته إليه ، ورجب فيما أطمعته فيه ، فجمع أهل الحجا والرأي من ثقاته وهو يومئذ ببقة من شاطئ الفرات ، فعرض عليهم ما دعته إليه وعرضت عليه ، فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولي على ملكها ، وكان فيهم قصير ، وكان أريباً حازماً أثيراً عند جديمة ، فخالفهم فيما أشاروا به ، وقال : رأيي فاتر ، وغدر حاضر ، فذهبت كلمته مثلاً .

ثم قال لجديمة : الرأي أن تكتب إليها ، فإن كانت صادقة في قولها . . فلتقبل إليك ، وإلا . . لم تمكنها من نفسك ، ولم تقع في حبالتها وقد وترتها وقتلت أباه ، فلم يوافق جديمة ما أشار به ، فقال قصير : [من البسيط]

إِنِّي أَمْرٌ لَا يُمِيلُ أَلْعَجْزُ تَزْوِيَّتِي إِذَا أَتَتْ دُونَ شَيْءٍ مِرَّةً أَلْوَدَمِ
فَقَالَ جَدِيمَةُ : لَا ، وَلَكِنَّكَ أَمْرٌ رَأَيْتَ فِي الْكِنِّ لَا فِي الضَّحِّ ، فَذَهَبَتْ
كَلِمَتُهُ مِثْلًا ، وَدَعَا جَدِيمَةُ عَمْرَو بْنَ عَدِيِّ بْنِ أَحْتِيهِ ، فَاسْتَشَارَهُ ، فَشَجَّعَهُ
عَلَى الْمَسِيرِ وَقَالَ : إِنَّ قَوْمِي مَعَ الزَّبَاءِ ، وَلَوْ قَدْ رَأَوْكَ . . صَارُوا مَعَكَ ، فَأَحَبَّ
جَدِيمَةُ مَا قَالَهُ ، وَعَصَى قَصِيرًا ، فَقَالَ قَصِيرٌ : لَا يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ ، فَذَهَبَتْ
مِثْلًا ، وَاسْتَخْلَفَ جَدِيمَةُ عَمْرَو بْنَ عَدِيِّ عَلَى مَلِكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَجَعَلَ
عَمْرَو بْنَ عَبْدِ الْجَنِّ مَعَهُ عَلَى جُنُودِهِ وَخِيُولِهِ .

وسار جديمة في وجوه أصحابه ، فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب

الغربيّ ، فلمّا نزلَ . . دعا قصيراً فقالَ : ما الرأيُ يا قصيرُ ؟ قالَ قصيرٌ : ببَقَّةٍ
 خَلَفَتِ الرأيَ ، فذهبتُ مثلاً ، قالَ : وما ظنُّكَ بالزَّبيّاءِ ؟ قالَ : القولُ رِدائُفُ ،
 والحزْمُ عَثْرَاتُهُ تُخافُ ، فذهبتُ مثلاً ، واستقبلهُ رسلُ الزَّبيّاءِ بالهدايا والألطافِ ،
 فقالَ : يا قصيرُ ؛ كيفَ ترى ؟ قالَ : خَطْبٌ يسيّرُ في خَطْبٍ كبيرٍ ، فذهبتُ
 مثلاً ، وستلقاكُ الخيولُ ، فإن سارتُ أمامَكَ . . فالمرأةُ صادقةٌ ، وإن أخذتُ
 جنبتيكُ وأحاطتُ بكِ مِنْ خلفِكَ . . فالقومُ غادرونَ بكِ ، فاركبِ العصا ، فإنّه
 لا يُشقُّ غبارُها ، فذهبتُ مثلاً ، وكانتِ العصا فرساً لجذيمةَ لا تُجارى ، وإنّي
 راكبُها ومسايرُكُ عليها .

فلقيتهُ الخيولُ والكتائبُ ، فحالتُ بينهُ وبينَ العصا ، فركبها قصيرٌ ونظرَ
 إليه جذيمةُ على متنِ العصا مؤلياً ، فقالَ : [وَيُلْمِهِ] حزماً على متنِ العصا ،
 فذهبتُ مثلاً ، وجرتُ به إلى غروبِ الشمسِ ، ثمَّ نفقتُ وقد قطعَتُ أرضاً
 بعيدةً ، فبنى عليها برجاً يُقالُ لهُ : برجُ العصا ، وقالتِ العربُ : خيرٌ ما جاءتُ
 بهِ العصا ، فذهبتُ مثلاً .

وسارَ جذيمةُ وقد أحاطتُ بهِ الخيلُ حتى دخلَ على الزَّبيّاءِ ، فلمّا رأتهُ . .
 تَكشَّفتُ ، فإذا هي مصفورةُ الإشبِ ، فقالتُ : يا جذيمةُ ؛ أَدأبَ عروسٍ
 ترى !؟ فذهبتُ مثلاً ، فقالَ جذيمةُ : بلغَ المدى ، وجفَّ الثرى ، وأمرَ غديرُ
 أرى ، فذهبتُ مثلاً ، ودعتُ بالسيفِ والنَّطعِ ، ثمَّ قالتُ : إنَّ دمَاءَ الملوكِ
 شفاءٌ مِنَ الكَلْبِ ، فأمرتُ بطسِّتٍ مِنْ ذهبٍ قد أعدتُهُ لهُ ، فسقتهُ الخمرَ حتى
 سكرَ وأخذتِ الخمرُ منه مأخذها ، فأمرتُ براهِشِيه فقطعا ، وقدمتُ إليه
 الطسِّتَ ، وقد قيلَ لها : إن قطرَ مِنْ دمِهِ شيءٌ في غيرِ الطسِّتِ . . طَلِبَ بدمِهِ ،
 وكانتِ الملوكُ لا تُقتلُ بضربِ الأعناقِ إلّا في القتالِ ؛ تكريمَةً للملكِ ، فلمّا
 ضعفتُ يداهُ . . سقطتا ، فقطرَ مِنْ دمِهِ في غيرِ الطسِّتِ ، فقالتُ : لا تُضيّعوا
 دمَ الملكِ ، فقالَ جذيمةُ : دعوا دماً ضيَّعَهُ أهلهُ ، فذهبتُ مثلاً .

فهلكَ جديمةً ، وجعلتِ الزَّبَاءُ دمهً في ربةٍ لها ، وخرجَ قصيرٌ مِنَ الحيِّ الذي هلكتِ العصا بينَ أظهرِهِم حتى قدمَ على عمرو بنِ عديٍّ وهوَ بالحيرةَ ، فقالَ لَهُ قصيرٌ : أثنائِ أنتَ ؟ قالَ : بلِ ثائِثٌ سائِثٌ ، فذهبتُ مثلاً ، ووافقَ قصيرٌ الناسَ وقدِ اختلفوا ، فصارتُ طائفةً معَ عمرو بنِ عديٍّ اللخميِّ ، وجماعةً منهم معَ عمرو بنِ عبدِ الجنِّ الجرميِّ ، فاختلفَ بينهما قصيرٌ حتى اصطلحا وانقادَ عمرو بنُ عبدِ الجنِّ لعمرو بنِ عديٍّ ، فقالَ قصيرٌ لعمرو بنِ عديٍّ : تهياً واستعداً ، ولا تُطلنَّ دمَ خالكِ ، قالَ : وكيفَ لي بها وهيَ أمنعُ منَ عُقابِ الجَوِّ ؟! فذهبتُ مثلاً .

وكانتِ الزَّبَاءُ سألتُ كاهنةً لها عن هلاكِها ، فقالتَ : أرى هلاككِ بسببِ غلامٍ مهينٍ غيرِ أمينٍ ، وهوَ عمرو بنُ عديٍّ ، ولن تموتي بيديه ، ولكنْ حتفكِ بيديكِ ، ومنَ قبله ما يكونُ ذلكَ ، فحذرتُ عمراً ، واتخذتُ لها نفقاً منَ مجلسِها الذي كانتُ تجلسُ فيه إلى حصنِ لها في داخلِ مدينتِها ، وقالتَ : إن فجأني أمرٌ . . دخلتُ النفقَ إلى حصني ، ودعتُ رجلاً مُصَوِّراً منَ أجودِ أهلِ بلادِهِم تصويراً ، وأحسنِهِم عملاً ، فجهَّزتهُ وأحسنَتُ إليه ، وقالتَ : سِرْ حتى تقدَمَ على عمرو بنِ عديٍّ مُتَنَكِّراً ، فتخلوْ بحشمِهِ وتنضمَّ إليهِم وتخالطُهُم ، وتعلمَهُم ما عندكِ مِنَ العِلْمِ بالصُّورِ ، ثمَّ أثبتْ لي عمرو بنَ عديٍّ معرفةً ، فصوِّره جالساً وقائماً وراكباً ومُتَفَضِّلاً ومُتَسَلِّحاً بهيئتهِ ولُبْسَتِهِ ولونِهِ ، فإذا أحكمتَ ذلكَ . . فأقبلْ إليَّ .

فانطلقَ المُصَوِّرُ حتى قدمَ على عمرو بنِ عديٍّ ، وصنعَ ما أمرتهُ بهِ الزَّبَاءُ ، وبلغَ منَ ذلكَ ما أوصتهُ بهِ ، ثمَّ رجَعَ إلى الزَّبَاءِ بعملِ ما وجَّهتهُ لَهُ مِنَ الصُّورةِ على ما وصفتُ وأرادتُ أن تعرفَ عمرو بنَ عديٍّ ، فلا تراه على حالِ إلاَّ عرفتهُ وحذرتُهُ وعلمتُ علمه .

فقالَ قصيرٌ لعمرو بنِ عديٍّ : اجدعْ أنفي ، واضربْ ظهري ، ودعني وإيَّاهما ،

فقال عمرو : ما أنا بفاعلٍ ، وما أنتَ لذلكِ مُستَحِقّاً عندي ، فقال قصيرٌ : خَلِّ عَنِّي إِذَا وَخَلَاكَ ذَمٌّ ، فذهبت مثلاً ، فقال له عمرو : فأنتَ أبصرُ ، فجدعَ قصيرٌ أنفَهُ وَأَثَرَ آثَاراً بظهِرِهِ ، فقالتِ العربُ : لمكِرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَهُ ، وفي ذلك يقولُ المُتلمِسُ (١) :

وَفِي طَلَبِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَرَامَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ
ثُمَّ خَرَجَ قَصِيرٌ كَأَنَّهُ هَارِبٌ ، وَأَظْهَرَ أَنَّ عَمراً فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، وَأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ مَكَرَ بِخَالِهِ جَذِيمَةً وَغَرَّهُ مِنَ الزَّبَاءِ ، فَسَارَ قَصِيرٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الزَّبَاءِ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّ قَصيراً بِالْبَابِ فَأَمَرَتْ بِهِ ، فَأُدْخِلَ عَلَيْهَا ، فَإِذَا أَنْفُهُ قَدْ جُدِعَ ، وَظَهْرُهُ قَدْ ضُرِبَ ، فَقَالَتْ : مَا الَّذِي أَرَى بِكَ يَا قَصِيرُ ؟! قَالَ : زَعَمَ عَمْرُو أَنِّي قَدْ غَرَرْتُ خَالَهُ ، وَزَيَّنْتُ لَهُ الْمَصِيرَ إِلَيْكَ وَغَشَشْتُهُ وَمَالَأْتُكَ ، ففَعَلَ بِي مَا تَرِينَ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَا أَكُونُ مَعَ أَحَدٍ هُوَ أَثْقَلُ عَلَيْهِ مِنْكَ ، فَأَكْرَمْتُهُ وَأَصَابَتْ عِنْدَهُ مِنَ الْحَزْمِ وَالرَّأْيِ مَا أَرَادَتْ .

فلَمَّا عَرَفَ أَنَّهَا اسْتَرْسَلَتْ إِلَيْهِ ، وَوَقَّتَتْ بِهِ . . . قَالَ : إِنَّ لِي بِالْعِرَاقِ أَمْوَالاً كَثيرةً وَطَرَائِفَ وَثِيَاباً وَعَطْراً ، فابعثيني إلى العراقِ لأَحْمِلَ مَالِي وَأَحْمِلَ إِلَيْكَ مِنْ بَزْوِزِهَا وَطَرَائِفِهَا وَثِيَابِهَا وَطَيِّبِهَا ، وَتَصِيْبِينَ فِي ذَلِكَ أَرْبَاحاً عَظَماً ، وَبَعْضَ مَا لَا غِنَى بِالْمَلُوكِ عَنْهُ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يُطْرَفُهَا مِنَ التَّمْرِ الصَّرْفَانَ ، وَكَانَ يَعْجِبُهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يُزِينُ ذَلِكَ حَتَّى أَذْنَتْ لَهُ ، وَدَفَعَتْ لَهُ أَمْوَالاً ، وَجَهَّزَتْ مَعَهُ عبيداً .

فَسَارَ قَصِيرٌ بِمَا دَفَعَتْ إِلَيْهِ حَتَّى قَدِمَ الْعِرَاقَ ، وَاتَى الْحِيرَةَ مُتَنَكِّراً ، فَدَخَلَ عَلَى عَمْرٍو فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، وَقَالَ : جَهَّزَنِي بِصَنُوفِ الْبَرِّ وَالْأَمْتَعَةِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُمَكِّنُ مِنَ الزَّبَاءِ فَتَصِيبَ ثَارِكَ ، وَتَقْتَلَ عَدُوَّكَ ، فَأَعْطَاهُ حَاجَتَهُ ، فَرَجَعَ بِذَلِكَ

(١) تقدم (٨٧/٣) .

إلى الزَّبَاءِ ، فأعجبها ما رأَتْ وَسَرَّهَا ، وازدادَتْ بِهِ ثِقَةً ، وَجَهَّزَتْهُ ثَانِيَةً ، فَسَارَ
حَتَّى قَدَمَ عَلَى عَمْرٍو ، فَجَهَّزَهُ وَعَادَ إِلَيْهَا .

ثُمَّ عَادَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ لِعَمْرٍو : اِجْمَعْ لِي ثِقَاتِ أَصْحَابِكَ ، وَهَيِّئِ الْغَرَائِرَ
وَالْمُسُوحَ ، وَاحْمِلْ كُلَّ رَجُلَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ فِي غَرَائِرَيْنِ ، فَإِذَا دَخَلُوا مَدِينَةَ
الزَّبَاءِ . . أَقْمِتْكَ عَلَى بَابِ نَفْقِهَا ، وَخَرَجَتِ الرِّجَالُ مِنَ الْغَرَائِرِ ، فَصَاحُوا
بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَمَنْ قَاتَلَهُمْ . . قَتَلُوهُ ، وَإِنْ أَقْبَلَتِ الزَّبَاءُ تَرِيدُ النَفْقَ جَلَلَتْهَا
بِالسِّيفِ .

فَفَعَلَ عَمْرٌو ذَلِكَ ، وَحَمَلَ الرِّجَالَ فِي الْغَرَائِرِ بِالسَّلَاحِ ، وَسَارَ يَكْمُنُ النَّهَارَ
وَيَسِيرُ اللَّيْلَ ، فَلَمَّا صَارَ قَرِيبًا مِنْ مَدِينَتِهَا . . تَقَدَّمَ قَصِيرٌ ، فَبَشَّرَهَا وَأَعْلَمَهَا
بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْمَتَاعِ وَالطَّرَائِفِ ، وَقَالَ لَهَا : آخِرُ الْبِرِّ عَلَى الْقُلُوصِ ، فَأَرْسَلَهَا
مِثْلًا ، وَسَأَلَهَا أَنْ تَخْرُجَ فَتَنْظُرَ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ ، وَقَالَ لَهَا : جِئْتُ بِمَا صَاءَ
وَصَمْتُ ، فَذَهَبْتُ مِثْلًا ، ثُمَّ خَرَجَتِ الزَّبَاءُ ، فَأَبْصَرَتِ الْإِبِلَ تَكَادُ قَوَائِمُهَا
تَسُوخُ فِي الْأَرْضِ مِنْ ثِقَلِ أَحْمَالِهَا ، فَقَالَتْ : يَا قَصِيرُ : [من مشطور الرجز]

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَوَيْدَا

أَجْنَدًا يَحْمِلْنَ أُمَّ حَدِيدًا

[أُمَّ] صَرَفَانَا تَارِزًا شَدِيدًا

فَقَالَ قَصِيرٌ فِي نَفْسِهِ :

بَلِ الرَّجَالُ فَبِّضًا فُعُودًا

فَدَخَلَتِ الْإِبِلُ الْمَدِينَةَ ، حَتَّى كَانَ آخِرُهَا بَعِيرًا مَرَّ عَلَى بَوَابِ الْمَدِينَةِ ،
وَكَانَ بِيَدِهِ مِخْسَةٌ ، فَنَخَسَ بِهَا الْغَرَارَةَ ، فَأَصَابَتْ خَاصِرَةَ الرَّجُلِ الَّذِي فِيهَا
فَضْرَطَ ، فَقَالَ الْبَوَّابُ بِالرُّومِيَّةِ : (بَشْنَبُ سَاقًا) يَقُولُ : شَرُّ فِي الْجَوَالِقِ ،

فأرسلها مثلاً ، فلَمَّا تَوَسَّطَتِ الإِبِلُ المَدِينَةَ . . أُنِيخَتْ ، ودَلَّ قَصِيرٌ عَمْرًا عَلَى بابِ النَفَقِ الَّذِي كَانَتِ الرِّبَاءُ تَدْخُلُهُ وَأرثُهُ إِيَّاهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَخَرَجَتِ الرِّجَالُ مِنَ الغَرَائِرِ ، فَصَاحُوا بِأَهْلِ المَدِينَةِ ، وَوَضَعُوا فِيهِمُ السِّلَاحَ ، وَقَامَ عَمْرُو عَلَى بابِ النَفَقِ ، وَأَقْبَلَتِ الرِّبَاءُ تَرِيدُ النَفَقَ ، فَأَبْصَرَتْ عَمْرًا ، فَعَرَفَتْهُ بِالصُّورَةِ الَّتِي صُوِّرَتْ لَهَا ، فَمَصَّتْ خَاتَمَهَا وَكَانَ فِيهِ السَّمُّ ، وَقَالَتْ : بِيَدِي لَا بِيَدِ ابْنِ عَدِيِّ ، فَذَهَبَتْ كَلِمَتُهَا مِثْلًا ، وَتَلَقَّاهَا عَمْرُو ، فَجَلَّلَهَا بِالسِّيفِ ، وَقَتَلَهَا ، وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ المَدِينَةِ وَأَهْلِهَا ، وَانكَفَأَ رَاجِعًا إِلَى العِرَاقِ .

وفي بعض الروايات مكان قولها : أدأب عروس ترى : أشوار عروس ترى ؟ فقال جديمة : أرى دأب فاجرة غدور بظراء تفلية ، قالت : لا من عدم مواس ، ولا من قلة أواس ، ولكن شيمة من أناس ، فذهبت مثلاً^(١) .

« الدين النصيحة »

الأصل في النصيحة : التلفيق بين الناس ؛ من النصح ؛ وهو الخياطة ؛ وذلك أن تُلَفَّقَ بين التفاريق وهذا من حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتماثه : قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »^(٢) .

قالت العلماء : النصيحة لله : أن يخلص العبد العمل لله ، والنصيحة لرسوله : أن يصفو قلبه في قبول دعوى النبوة ، ولا يضمير خلافها ، والنصيحة للمسلمين : ألا يتميزوا عنه في حال من الأحوال ، وقيل : النصيحة لأئمة المسلمين : ألا يشق عصاهم ، ولا يعق فتواهم^(٣) .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١ / ٥٧٠ - ٥٧٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٩٥) عن سيدنا تميم الداري رضي الله عنه .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١ / ٦٤٧) .

رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ

يُروى هذا المثلُ للقمانَ بنِ عادٍ ؛ وذلكَ أَنَّهُ أَقبلَ ذاتَ يومٍ ، فبينما هو يسيرُ . . إذ أَصابهُ عطشٌ ، فهجَمَ على مِظَلَّةٍ في فِئائِها امرأَةٌ تُداعِبُ رجلاً ، فاستسقى لقمانُ ، فقالتِ المرأةُ : اللَّبَنَ تبغي أمِ الماءَ ؟ قالَ لقمانُ : أَيُّهُما كانَ ولا عداً ، فذهبتَ كلمتُهُ مثلاً ، قالتِ المرأةُ : أمَّا اللَّبَنُ . . فخلفَكَ ، وأمَّا الماءُ . . فأمامَكَ ، قالَ لقمانُ : المنعُ كانَ أوجزَ ، فذهبتَ مثلاً .

قالَ : فبينما هو كذلكَ . . إذ نظرَ إلى صبيٍّ في البيتِ يبكي فلا يُكترثُ لَهُ ، ويستسقي فلا يُسقى ، فقالَ : إن لم يكنْ لَكُمْ في هذا الصبيِّ حاجةٌ دفعتموه إليَّ فكفلتُهُ ، فقالتِ المرأةُ ، ذاكَ إلى هانئٍ ، وهانئُ زوجها ، فقالَ لقمانُ : وهانئُ منَ العددِ ؟ فذهبتَ مثلاً ، ثمَّ قالَ لها : مَنْ هذا الشابُّ إلى جنبِكَ ، فقد علمتُهُ ليسَ ببعيلِكَ ؟ قالتَ : هذا أخي ، قالَ لقمانُ : رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ ، فذهبتَ مثلاً .

ثمَّ نظرَ إلى أثيرِ زوجها في فتلِ الشعرِ ، فعرفَ في فتلِهِ شعرَ البناءِ أَنَّهُ أعرسٌ ، فقالَ : ثَكَلتِ الأعرِسَ أُمُّهُ ، لو يَعْلَمُ العلمَ . . لطالَ غَمُّهُ ، فذهبتَ مثلاً ، فدُعرتِ المرأةُ مِنْ قولِهِ دُعراً شديداً ، فعرضتَ عليه الطعامَ والشرابَ ، فأبى وقالَ : المبيتُ على الطَّوى حتى تنالَ به كريمَ المشوى . . خيرٌ مِنْ إتيانِ ما لا تهوى ، فذهبتَ مثلاً .

ثمَّ مضى ، حتى إذا كانَ معَ العشاءِ . . إذا هوَ برجلٍ يسوقُ إبلَهُ وهوَ يرتجزُ ويقولُ :

[من مشطور الرجز]

رُوحِي إِلَى أَلْحَيِّ فَإِنَّ نَفْسِي

رَهِينَةٌ فِيهِمْ بِخَيْرِ عَرَسِ

حَسَّانَةُ الْمُقْلَةَ ذَاتُ أَنْسٍ
لَا يُشْتَرَى الْيَوْمُ لَهَا بِأَمْسٍ

فعرَفَ لقمانُ صورتهُ ولم يرهُ ، فهتفَ بهِ : يا هانيءُ ، يا هانيءُ ؛ فقالَ : ما
بالك ؟ فقالَ :

يَا ذَا الْبِجَادِ الْحَلِكَهَ وَالزَّوْجَةَ الْمُشْتَرَكَةَ
عَشْرَ رُؤَيْدًا إِبْلَكَهَ لَسْتُ لِمَنْ لَيْسَتْ لَكَهَ

فذهبتُ مثلاً . قالَ هانيءُ : نَوَزَ نَوَزٌ ، لله أبوكَ ، قالَ لقمانُ : عليَّ التنويرُ ،
وعليكَ التغييرُ ، إن كانَ عندكَ نكيرٌ ، كلُّ امرئٍ في بيتهِ أميرٌ ، فذهبتُ مثلاً .

ثمَّ قالَ : إني مررتُ وبي أوامٌ ، فدفعتُ إلى بيتٍ فإذا أنا بامرأتِكَ تغازلُ
رجلاً ، فسألْتُها عنهُ ، فزعمتُه أخاها ، ولو كانَ أخاها . . لحكى عن نفسهِ
وكفاها الكلامَ ، فقالَ هانيءُ : وكيفَ علمتَ أنَّ المنزلَ منزلي والمرأةَ امرأتي ؟
قالَ : عرفتُ عقائقَ هذهِ النوقِ في البناءِ ، وبوهدةِ الخليةِ في الفناءِ ، وسقبِ
هذهِ النابِ ، وأثرِ يدِكَ في الأطنابِ ، قالَ : صدقتني فداكَ أبي وأُمِّي ، وكذبَّني
نفسي ، فما الرأيُ ؟ قالَ : هل لكَ علمٌ ؟ قالَ : نعم ، بشأني ، قالَ لقمانُ :
كلُّ امرئٍ بشأنِهِ عليمٌ ، فذهبتُ مثلاً .

قالَ لهُ هانيءُ : هل بقيتَ بعدَ هذهِ ؟ قالَ لقمانُ : نعم ، قالَ : وما هو ؟
قالَ : تحمي نفسكَ ، وتحفظُ عِزَّسكَ ، قالَ هانيءُ : أفعلُ ، قالَ لقمانُ : مَنْ
يفعلُ الخيرَ . . يجدُ الخيرَ ، فذهبتُ مثلاً .

ثمَّ قالَ : الرأيُ أن تقلبَ الظهرَ بطناً ، والبطنَ ظهرأً ، حتى يتبيَّنَ لكَ الأمرُ
أمراً ، قالَ : أفلا أعالجُها بكيَّةٍ تورُدُها المنيةُ ؟ فقالَ لقمانُ : آخرُ الدواءِ الكيُّ ،
فأرسلها مثلاً ، ثمَّ انطلقَ الرجلُ حتى أتى امرأتَه ، فقصَّ عليها القصةَ ، وسلَّ
سيفَهَ ، فلم يزلُ يضربُها بهِ حتى بردتُ .

رَبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا

وَيُرَوَّى : تَهَبُ رَيْثًا ، [قَالَهُ] أَبُو زَيْدٍ ، وَرَيْثًا : نُصِبَ عَلَى الْحَالِ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ ؛ أَي : تَهَبُ رَائِثَةً ، فَأَقِيمَ الْمَصْدَرُ مَقَامَ الْحَالِ ، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى : نُصِبَ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ .

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ فِيمَا يَحْكِي الْمُفْضَلُ : مَالِكُ بْنُ عَوْفِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ بْنِ مُحَلِّمِ الشَّيْبَانِيِّ ، وَكَانَ سِنَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ بْنِ مُحَلِّمِ شَامَ غَيْمًا ، فَأَرَادَ أَنْ يَرْحَلَ بِأَمْرَاتِهِ خُمَاعَةَ بِنْتِ عَوْفِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ : أَيْنَ تَظَعُنُ يَا أَخِي ؟ قَالَ : أَطْلُبُ مَوْقَعَ هَذِهِ السَّحَابَةِ ، قَالَ : لَا تَفْعَلْ ؛ فَإِنَّهُ رَيْثًا خَيْلَتْ وَلَيْسَ فِيهَا قَطْرٌ ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَيْكَ بَعْضَ مَقَانِبِ الْعَرَبِ ، قَالَ : لَكِنِّي لَسْتُ أَخَافُ ذَلِكَ ، فَمَضَى .

وَعَرَضَ لَهُ مِرْوَانُ الْقُرْظُ ابْنُ زَنْبَاعِ بْنِ حَذِيفَةَ الْعَبْسِيِّ ، فَأَعَجَلَهُ عَنْهَا ، وَانْطَلَقَ بِهَا ، وَجَعَلَهَا بَيْنَ بَنَاتِهِ وَأَخْوَاتِهِ ، وَلَمْ يَكْشِفْ لَهَا سِتْرًا ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفِ لِسِنَانٍ : مَا فَعَلْتَ أَخْتِي ؟ قَالَ : نَفَقْتَنِي عَنْهَا الرَّمَاحُ ، فَقَالَ مَالِكُ : رَبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا ، وَرَبَّ فَرُوقَةٍ يُدْعَى لَيْثًا ، وَرَبَّ غَيْثٍ لَمْ يَكُنْ غَيْثًا ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَشْتَدُّ حَرَصُهُ عَلَى حَاجَةٍ وَيَخْرُقُ فِيهَا حَتَّى تَذْهَبَ كُلُّهَا (١) .

رَبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ

وَيُرَوَّى مَعَهُ : وَآكَلِ غَيْرِ حَامِدٍ ، يُقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَهُ : النَّابِغَةُ الدُّبْيَانِيُّ ، وَكَانَ وَفَدًا إِلَى النِّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ وَفُودٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ عَبَسٍ يُقَالُ لَهُ : شَقِيقٌ ، فَمَاتَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَبَا النِّعْمَانُ الْوَفُودَ .. بَعَثَ إِلَى أَهْلِ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٨/٢) .

شقيق بمثلِ حباءِ الوفدِ ، فقالَ النابغةُ حينَ بلغَهُ ذلكَ : رَبِّ سَاعِ لِقَاعِدِ ، وقالَ
للنعمانِ (١) :

[وَأَبْقَيْتَ] لِلْعَبْسِيِّ فَضْلاً وَنِعْمَةً وَمَخْمَدَةً مِنْ بَاقِيَاتِ الْمَحَامِدِ
حِبَاءَ شَقِيقٍ فَوْقَ أَعْظَمِ قَبْرِهِ وَمَا كَانَ يُحِبُّ قَبْلَهُ قَبْرٌ وَافِدِ
أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ حِبَاءٌ وَنِعْمَةٌ وَرُبَّ أَمْرٍ يُسْعَى لِأَخْرَ قَاعِدِ

ويُروى : اسلمي أمَّ خالدٍ ، ربِّ ساعِ لقاعدٍ ، قالوا : إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذلكَ
معاويةُ بنُ أبي سفيانٍ ؛ وذلكَ أنَّه لَمَّا أخذَ مِنَ النَّاسِ البيعةَ ليزيدَ ابنِهِ . . قالَ
لَهُ : يا بُنَيَّ ؛ قد صيرتُكَ وليَّ عهدي بعدي ، وأعطيتُكَ ما تمنَّيتَ ، فهل بقيتَ
لكَ حاجةٌ أو في نفسك أمرٌ تُحِبُّ أن أفعلَهُ ؟ قالَ يزيدُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛
ما بقيتَ لي حاجةٌ ، ولا في نفسي غُصَّةٌ ، ولا أمرٌ أُحِبُّ أن أنالَهُ . . إلَّا أمرٌ
واحدٌ ، قالَ : وما ذاكَ يا بُنَيَّ ؟ قالَ : كنتُ أُحِبُّ أن أتزوَّجَ أمَّ خالدٍ امرأةً
عبدِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ كريزٍ ، فهي غايتي ومُنيتي مِنَ الدنيا .

فكتبَ معاويةُ إلى عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ ، فاستقدمَهُ ، فلمَّا قدمَ عليه . . أكرمهُ
وأنزلَهُ أياماً ، ثم خلا به ، فأخبرَهُ بحالِ يزيدَ ومكانِهِ مِنْهُ ، وإيثارِهِ هواهُ ،
وسألهُ طلاقَ أمِّ خالدٍ على أن يطعمَهُ فارسَ خمسَ سنينَ ، فأجابَهُ إلى ذلكَ ،
وكتبَ عهدَهُ وخَلَّى عبدُ اللهِ سبيلَ أمِّ خالدٍ ، فكتبَ معاويةُ إلى الوليدِ بنِ
عتبةٍ وهوَ عاملُ المدينةِ أن يُعلمَ أمَّ خالدٍ أنَّ عبدَ اللهِ قد طَلَّقَهَا لتعتدَّ ، فلمَّا
انقضَّتِ عِدَّتُهَا . . دعا معاويةُ أبا هريرةَ ، فدفعَ إليه ستينَ ألفاً ، وقالَ لَهُ :
ارحلْ إلى المدينةِ حتى تأتيَ أمَّ خالدٍ فتخطبُها على يزيدَ ، وتعلمَها أنَّه وليُّ
عهدِ المسلمينَ ، وأتتهُ سخيٌّ كريمٌ ، وأنَّ مهرَها عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وكرامتهاُ
عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وهديتهاُ عشرونَ ألفَ دينارٍ .

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٨٩) .

فقدم أبو هريرة المدينة ليلاً ، فلما أصبح . . أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيه الحسن بن علي ، فسلم عليه ، وسأله : متى قدمت ؟ قال : قدمت البارحة ، قال : وما أقدمك ؟ فقص عليه القصة ، فقال له الحسن : فاذكرني لها ، قال : نعم .

ثم مضى ، فلقيه الحسين بن علي وعبيد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم ، فسأله عن مقدمه ، فقص عليهما القصة ، فقالا له : اذكرنا لها ، قال : نعم .

ثم مضى ، فلقيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن مطيع بن الأسود ، فسأله عن مقدمه ، فقص عليهم القصة ، فقالوا : اذكرنا لها ، قال : نعم .

ثم أقبل حتى دخل عليها ، فكلّمها بما أمر به معاوية ، ثم قال لها : إن الحسن والحسين ابني علي وعبد الله بن جعفر وعبيد الله بن العباس وابن الزبير وابن مطيع سألونني أن أذكرهم لك ، قالت : أمّا همي . . فالخروج إلى بيت الله ، والمجاورة له حتى أموت ، أو تشير عليّ بغير ذلك ، قال أبو هريرة : أمّا أنا . . فلا أختار لك هذا ، قالت : فاختر لي ، قال : اختاري لنفسك ، قالت : لا ، بل اختر أنت لي ، قال لها : أمّا أنا . . فقد اخترت لك سيدي شباب أهل الجنة ، فقالت : قد رضيت بالحسن بن علي .

فخرج إليه أبو هريرة ، فأخبر الحسن بذلك ، وزوّجها منه ، وانصرف إلى معاوية بالمال ، وقد كان بلغ معاوية قصته ، فلما دخل عليه . . قال له : إنّما بعثتك خاطباً ، ولم أبعثك مُحْتَسِباً ، قال أبو هريرة : إنّها استشارتني ، والمستشار مؤتمن ، فقال معاوية عند ذلك : اسلمي

أُمّ خالدٍ ، رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ ، وَآكَلٍ غَيْرِ حَامِدٍ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا^(١) .

رَبِّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ حَاصِدٌ سِوَاهُ

قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَطَبَ إِلَيْهِ صَعْصَعَةُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ابْنَتَهُ ، فَقَالَ : يَا صَعْصَعَةُ ؛ إِنَّكَ جِئْتَ تَشْتَرِي مِنِّي كَبْدِي ، وَأَرْحَمَ وَلَدِي عِنْدِي ، مَنَعْتُكَ أَوْ بَعْتُكَ ، النِّكَاحُ خَيْرٌ مِنَ الْإِيْمَةِ ، وَالْحَسِيبُ كَفْوُ الْحَسِيبِ ، وَالزَّوْجُ الصَّالِحُ يُعَدُّ أَبًا ، وَقَدْ أَنْكَحْتُكَ خَشِيَةَ الْأَجْدِ مِثْلَكَ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ عِدْوَانَ ، أَخْرَجْتُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ كَرِيمَتَكُمْ عَلَيَّ غَيْرِ رَغْبَةٍ عِنْدِي ، وَلَكِنْ مَنْ خُطَّ لَهُ شَيْءٌ .. جَاءَهُ ، رَبِّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ حَاصِدٌ سِوَاهُ ، وَلَوْ لَا قَسَمُ الْحِظْوِظِ عَلَيَّ غَيْرِ الْحُدُودِ .. مَا أَدْرَكَ الْآخِرُ مِنَ الْأَوَّلِ [شَيْئًا] يَعِيشُ بِهِ ، وَلَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَ الْحَيَا أَنْبَتَ الْمَرْعَى ، ثُمَّ قَسَمَهُ أَكْلًا ، لِكُلِّ فَمٍ بِقَلَّةٍ ، وَمِنَ الْمَاءِ جَرَعَةٌ ؛ إِنَّكُمْ تَرُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ ، لَنْ يَرَى مَا أَصْفَ لَكُمْ إِلَّا كُلُّ ذِي قَلْبٍ وَاعٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ رَاعٍ ، وَلِكُلِّ رِزْقٍ سَاعٍ ؛ إِمَّا أَكَيْسٌ ، وَإِمَّا أَحْمَقٌ ، وَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ حِسَّهُ ، وَوَجَدْتُ مَسَّهُ ، وَمَا رَأَيْتُ مَوْضُوعًا إِلَّا مَصْنُوعًا ، وَمَا رَأَيْتُ جَائِيًا إِلَّا دَاعِيًا ، وَلَا غَانِمًا إِلَّا خَائِبًا ، وَلَا نِعْمَةً إِلَّا وَمَعَهَا بؤْسٌ ، وَلَوْ كَانَ يَمِيتُ النَّاسَ الدَّاءُ .. لِأَحْيَاهُمْ الدَّوَاءُ ، فَهَلْ لَكُمْ فِي الْعِلْمِ الْعَلِيمِ ؟ قِيلَ : مَا هُوَ ؟ قَدْ قَلَّتْ فَأَصَبْتَ ، وَأَخْبَرْتَ فَصَدَقْتَ ، فَقَالَ : أَمُورًا شَتَّى ، وَشَيْئًا شَيْئًا ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمِيتُ حَيًّا وَيَعُودَ لَا شَيْءٌ شَيْئًا ، وَلِذَلِكَ خُلِقَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ، فَتَوَلَّوْا عَنْهُ رَاجِعِينَ ، فَقَالَ : وَيَلَهَا نَصِيحَةٌ لَوْ كَانَ مَنْ يَقْبَلُهَا^(٢) .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٥٩/٢ - ٦٢) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٨٨/٢ - ٨٩) .

زينبُ سترةٌ

قالوا: هي زينبُ بنتُ عبدِ اللهِ بنِ عكرمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ المخزوميِّ ،
وكانتُ عجوزاً كبيرةً ، ولها جوارٍ مُغنياتُ ، وكان ابنُ زهيمَةَ المدنيُّ الشاعرُ
- واسمُهُ محمدٌ - مولى خالدِ بنِ أسيدٍ يتعشَّقُ بعضَ جوارِها ، ويُشَبِّبُ
بها ، ويغنيه يونسُ الكاتبُ ، ويلقيه على جوارِها ، فيسرُّ بذلكُ ، ويصلُّها
ويكسوها ، فمن قولِهِ فيها :

أَقْصَدْتُ زَيْنَبَ قَلْبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ الْبَاطِلُ مِنِّي وَالْغَزَلُ
ولهُ فيها أشعارٌ ، ثمَّ إنَّ زينبَ حجبتُها لشيءٍ بلغها ، فقال ابنُ
زهيمَةَ :

وَجَدَ الْفُؤَادُ بِزَيْنَبَا وَجَدَا شَدِيداً مُثْعَبَا
أَمْسَيْتُ مِنْ كَلْفِ بِهَا أَدْعَى الشَّقِيَّ الْمُسْهَبَا
وَلَقَدْ كُنَيْتُ عَنْ أَسْمَاهَا عَمْداً لِكَيْلَا تَغْضَبَا
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً وَكُنَيْتُ أَمْراً مُعْجَبَا
يُضْرَبُ عِنْدَ الْكِنَايَةِ عَنِ الشَّيْءِ (١) .

زُرُ غَبَّآ .. تَزَدَدُ حَبَّآ

قالَ الْمُفْضَلُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ معاذُ بنُ صرِمِ الخزاعيِّ ، وكانَتْ أُمُّهُ مِنْ
عَلِّ ، وكانَ فارسَ خزاعةَ ، وكانَ يكثرُ زيارةَ أخوالِهِ ، قالَ : فاستعارَ مِنْهُمُ
فرساً وأتى قومَهُ ، فقالَ لَهُ رجلٌ يُقالُ لَهُ : جُحِيشُ بنُ سودةَ ، وكانَ لَهُ عدوٌّ :
تسابقُنِي على أَنْ مَنْ سبقَ صاحِبَهُ أخذَ فرسَهُ ؟ فسابقَهُ ، فسبقَ معاذُ ، وأخذَ

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١٠٢/٢ - ١٠٣) .

فرسَ جُحَيْشٍ ، وأرادَ أن يغيظَهُ ، فطعنَ أَيْطَلَ الفرسِ بالسيفِ فسقطَ ، فقالَ :
لا أُمَّ لَكَ ، قتلتَ فرساً خيراً منكَ ومِنَ والدَيْكَ ، فرفعَ معاذُ السيفَ فضربَ
مَفرِقَهُ فقتلَهُ ، ثمَّ لحقَ بأخوالِهِ .

وبلغَ الحَيَّ ما صنعَ ، فركبَ أخُ لَجُحَيْشٍ وابنُ عمِّ لهُ ، فلحقاهُ ، فشدَّ
على أحدهما فطعنه فقتلَهُ ، وشدَّ على الآخرِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ في
ذلكَ :
[من الطويل]

ضَرَبْتُ جُحَيْشاً ضَرْبَةً لَا لَيْمَةَ وَلَكِنْ بِصَافٍ ذِي طَرَائِقِ مُسْتَكِّ
قَتَلْتُ جُحَيْشاً بَعْدَ قَتْلِ جَوَادِهِ وَكُنْتُ قَدِيماً فِي الْحَوَادِثِ ذَا فَتْكِ
قَصَدْتُ لِعَمْرٍو بَعْدَ بَدْرِ بَضْرِبَةٍ فَحَرَّ صَرِيحاً مِثْلَ عَائِزَةِ النَّسْكِ
لِكَيْ يَعْلَمَ الْأَقْوَامُ أَنِّي صَارِمٌ خُرَاعَةُ أَجْدَادِي وَأُنْمَى إِلَى عَكِّ
فَقَدْ دُفَّتْ يَا جَحْشَ بْنَ سُوْدَةَ ضَرْبَتِي وَجَرَّبْتَنِي إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي شَكِّ
تَرَكْتُ جُحَيْشاً ثَابِئاً ذَا نَوَاحِجِ خَضِيبَ دَمٍ جَارَاتُهُ حَوْلَهُ تَبْكِي
تَرِنٌ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِأَنْتِحَابِهَا وَتَقْشِرُ جِلْدِي مَحْجَرِيهَا مِنَ الْحَكِّ
لِيَرْفَعَ أَقْوَاماً حُلُولِي فِيهِمْ وَيُزْرِي بِقَوْمٍ إِنْ تَرَكْتَهُمْ تَزْكِي
وَحِضْنِي سَرَاةَ الطَّرْفِ وَالسَّيْفِ مَعْقِلِي وَعِطْرِي غُبَارُ الْحَرْبِ لَا عَبَقُ الْمَسْكِ
تَتَوَقُّ غَدَاةَ الرُّوعِ نَفْسِي إِلَى الْوَعَى كَتَوَقُّ الْقَطَا تَسْمُو إِلَى الْوَشْلِ الرَّكِّ
وَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ إِذَا رَاعَ مُغْضِلٌ وَلَا فِي نَوَادِي الْقَوْمِ بِالضَّبِّقِ الْمَسْكِ
وَكَمْ مَلِكٍ جَدَلْتُهُ بِمُهَنْدٍ وَسَابِغَةِ بَيْضَاءَ مُحْكَمَةِ أَلْسَكِ

قالَ : فأقامَ في أخوالِهِ زماناً ، ثمَّ إنَّهُ خرجَ معَ بني أخوالِهِ في جماعةٍ
مِنَ فتیانِهِم يَتَصَيِّدُونَ ، فحملَ معاذُ على عَيْرٍ ، فلحقَهُ ابنُ خالٍ لهُ يُقالُ

لَهُ : الغَضْبَانُ ، فَقَالَ : خَلِّ عَنِ الْعَيْرِ ، فَقَالَ : لا ، ولا نَعَمْتُ عَيْنٌ ، فَقَالَ لَهُ
 الغَضْبَانُ : أَمَا وَاللَّهِ ؛ لو كَانَ فِيكَ خَيْرٌ . . لَمَا تَرَكْتَ قَوْمَكَ ، فَقَالَ مَعَاذُ : زُرُّ
 غَبًّا . . تَزِدُّ حُبًّا ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ ، فَأَرَادَ أَهْلَ الْمُقْتُولِ قَتْلَهُ ،
 فَقَالَ لَهُمْ قَوْمُهُ : لا تَقْتُلُوا فِارِسَكُمْ وَإِنْ ظَلَمَ ، فاقْبَلُوا مِنْهُ الدِّيَةَ .

وَمِنْ هَذَا الْمَثَلِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِرًا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غَبًّا

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِإِغْبَابِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكًا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَطَرَ يُسَامُ دَائِمًا وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ^(١)

زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قَعُودٍ

هَذَا الْمَثَلُ لِبَعْضِ نِسَاءِ الْأَعْرَابِ ، قَالَ الْمُبَرِّدُ : (حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
 عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ قَالَ : كَانَ ذُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِيُّ رَجُلًا غَيُورًا ، وَلَهُ بَنَاتٌ أَرْبَعٌ ،
 وَكَانَ لَا يُزَوِّجُهُنَّ غَيْرَةً ، فَاسْتَمَعَ عَلَيْهِنَّ يَوْمًا وَقَدْ خَلَوْنَ يَتَحَدَّثْنَ ، فَقَالَتْ
 قَائِلَةٌ مِنْهُنَّ : لَتَقُلَّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مَنَا مَا فِي نَفْسِهَا ، وَلنَصْدُقُ جَمِيعًا ، فَقَالَتْ
 كُبْرَاهُنَّ :

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنَاسٍ ذَوِي غِنَى حَدِيثُ شَبَابٍ طَيِّبِ النَّشْرِ وَالذِّكْرِ
 لَصُوقٌ بِأَكْبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ حَانَ لَا يُقِيمُ عَلَيَّ هَجْرِي
 وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

أَلَا لَيْتَهُ يُعْطَى الْجَمَالَ بَدِيهَةً لَهُ جَفْنَةٌ تَشْفِي بِهَا النَّيْبُ وَالْجُرُزُ

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١٠٨/٢ - ١٠٩) .

لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَبْرَةٍ تَشِينُ فَلَا وَإِنْ وَلَا ضَرَعُ غُمْرُ

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تَرِيدِينَ سَيْدًا ، وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ : [من الطويل]

أَلَا هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلَهَا أَشْمُ كَنْضَلِ السَّيْفِ عَيْنِ الْمُهَنْدِ

عَلِيمٍ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ وَرَهْطُهُ إِذَا مَا أَنْتَمَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتَدِي

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تَرِيدِينَ ابْنَ عَمِّ لِكَ ، قَدْ عَرَفْتُهُ .

وَقُلْنَ لِلصَّغْرَى : مَا تَقُولِينَ ؟ قَالَتْ : لَا أَقُولُ شَيْئًا ، فَقُلْنَ : لَا نَدْعُكَ

وَذَاكَ ؛ إِنَّكَ قَدْ اطَّلَعْتَ عَلَى أَسْرَارِنَا وَتَكْتَمِينَ سِرِّكَ ، فَقَالَتْ : زَوْجٌ مِنْ عُودِ

خَيْرٌ مِنْ قُعودِ .

فَخُطِبْنَ ، فَزُوجْنَ أَجْمَعُ ، ثُمَّ أَمَهَلَهُنَّ حَوْلًا ، ثُمَّ زَارَ الكَبْرَى ، فَقَالَ لَهَا :

كَيْفَ رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ فَقَالَتْ : خَيْرُ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ أَهْلَهُ ، وَيَنْسِي فَضْلَهُ ، قَالَ :

فَمَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : الإِبْلُ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ : نَأْكُلُ لُحْمَانَهَا مَزْعَاً ،

وَنَشْرَبُ أَلْبَانَهَا جَزْعَاً ، وَتَحْمِلُنَا وَضَعْفَتَنَا مَعَاً ، فَقَالَ : زَوْجٌ كَرِيمٌ ، وَمَالٌ

عَمِيمٌ .

ثُمَّ زَارَ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ قَالَتْ : يُكْرِمُ الحَلِيلَةَ ،

وَيُقَرِّبُ الوَسِيلَةَ ، قَالَ : فَمَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : البَقْرُ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ :

تَأْلَفُ الفِئَاءَ ، وَتَمَلَأُ الإِنَاءَ ، وَتَوَدُّكَ السَّقَاءَ ، وَنِسَاءً مَعَ نِسَاءٍ ، فَقَالَ : رَضِيَتْ

فحظيت .

ثُمَّ زَارَ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتِ زَوْجَكَ ، فَقَالَتْ : لَا سَمْعُ بَدْرٍ ، وَلَا

بِخِيلٌ حَكِرٌ ، قَالَ : فَمَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : المِعْزَى ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ :

لَوْ كُنَّا نُوَلِّدُهَا فُطْمًا ، وَنَسْلُخُهَا أَدْمًا . . . لَمْ نَبِغْ بِهَا نَعْمًا ، فَقَالَ : جَدُّو

مغنية .

ثم زار الرابعة ، فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت : شرُّ زوج ، يُكرِّم نفسه ، ويهين عِزَّه ، قال : فما مالكم ؟ قالت : شرُّ مالٍ ؛ الضَّانُّ ، قال : وما هي ؟ قالت : جوفٌ لا يشبعن ، وهيمٌ لا ينقَعن ، وضُمَّ لا يسمعن ، وأمر مغويتِهِنَّ يتبعن ، فقال : أشبه امرؤُ بعضَ بَرِّه .

قال عليُّ بنُ عبدِ الله : قلتُ لابنِ عائشةَ : ما قولُها : وأمر مغويتِهِنَّ يتبعن ؟ قال : أما تراهُنَّ يمررنَ فتسقطُ الواحدةُ منهنَّ في ماءٍ أو وِحْلِ أو غيرِ ذلك . . . فيتبعنها عليه !؟ (١) .

وقوله : (جَدُوٌ مغنيَةٌ) جمعُ جَدْوَةٍ ؛ وهي القطعةُ (٢) .

سَقَطَ العِشَاءُ بِهِ عَلِيٌّ سِرْحَانٍ

قال أبو عبيدٍ : (أصلُهُ : أن رجلاً خرجَ يلتمسُ العِشَاءَ فوقَ عليٍّ ذئبٍ ، فأكلَهُ ، وقال الأصمعيُّ : أصلُهُ : أن دابَّةً خرجتْ تطلبُ العِشَاءَ ، فلقِيها ذئبٌ فأكلها) (٣) .

وقال ابنُ الأعرابيِّ : أصلُ هذا : أن رجلاً من غَنِيٍّ (٤) يُقالُ لَهُ : سِرْحَانُ بنُ هزلةَ ، كان بطلاً فاتكاً ، يتقيه الناسُ ، فقال رجلٌ يوماً : والله ؛ لأرعينَّ إبلي هذا الوادي ، ولا أخافُ سِرْحَانَ بنَ هزلةَ ، فوردَ بإبلِهِ ذلكَ الوادي ، فوجدَ به سِرْحَانَ ، وهجمَ عليه فقتلَهُ وأخذَ إبلَهُ ، وقال : [من الكامل]

أَبْلِغْ نَصِيحَةَ أَنْ رَاعِي أَهْلِهَا سَقَطَ العِشَاءُ بِهِ عَلِيٌّ سِرْحَانَ
سَقَطَ العِشَاءُ بِهِ عَلِيٌّ مُتَغَشِمِرٍ طَلِقَ أَلْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِيَطْعَانَ

(١) الكامل (٢/٦٧٨ - ٦٨٠) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٠٥ - ١٠٧) .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٢١) .

(٤) حيٌّ من غطفان .

يُضْرَبُ فِي طَلَبِ الْحَاجَةِ يُؤَدِّي صَاحِبَهَا إِلَى التَّلَفِ (١) .

أَسَاءَ سَمِعاً فَأَسَاءَ جَابَةً

ويُروى : سَاءَ سَمِعاً فَأَسَاءَ إجابةً ، و(سَاءَ) في هذا الموضع تعملُ عملَ بئسَ ؛ نحو قولهِ تعالى : ﴿ سَاءَ مَثَلًا ﴾ (٢) ، ونُصِبَ (سَمِعاً) على التمييزِ ، و(أسَاءَ سَمِعاً) نُصِبَ على المفعولِ بهِ ؛ تقولُ : أسأتُ القولَ ، وأسأتُ العملَ ، وقولُهُ : (فأساءَ جابَةً) هي بمعنى (إجابةً) يُقالُ : أجابَ إجابةً وجابَةً وجواباً وجيبةً ، ومثلُ (الجابَةِ) في موضعِ (الإجابةِ) : الطَّاعَةُ والطَّاقَةُ ، والغارةُ والعارَةُ ، قالَ المُفضَّلُ : هذه خمسةُ أحرفٍ جاءتْ هكذا .

قلتُ (٣) : وكلُّها أسماءٌ وُضِعَتْ في موضعِ المصادرِ .

قالَ المُفضَّلُ : إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذلكَ : سهيلُ بنُ [عمرو] أخو بني عامرِ بنِ لؤيِّ ، وكانَ تزوَجَ صفيَةَ بنتِ أبي جهلِ بنِ هشامٍ ، فولدَتْ له أنسَ بنَ سهيلٍ ، فخرجَ معه ذاتَ يومٍ وقد خَرَجَ وجهُهُ ؛ يريدُ التَّحَى ، فوقفَا بحزُورَةَ مكةَ ، فأقبلَ الأحنسُ بنُ شريقِ الثقفيِّ فقالَ : مَنْ هذا ؟ قالَ سهيلٌ : ابني ، قالَ الأحنسُ : حيَّاكَ اللهُ يا فتى [أينَ أمُّك ؟] ؟ قالَ : لا واللهِ ، ما أمِّي في البيتِ ، انطلقتُ إلى أمِّ حنظلةَ تطحنُ دقيقاً ، فقالَ : أساءَ سَمِعاً فأساءَ جابَةً ، فأرسلها مثلاً .

فلمَّا رجعا . . قالَ أبوهُ : فضحني ابنك اليومَ عندَ الأحنسِ ، قالَ كذا وكذا !!

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١٢١/٢ - ١٢٢) .

(٢) سورة الأعراف : (١٧٧) .

(٣) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

فَقَالَتِ الْأُمُّ : إِنَّمَا ابْنِي صَبِيٌّ ، قَالَ سَهِيلٌ : أَشْبَهَ امْرُؤٌ بَعْضَ بَزْهِ ، فَأَرْسَلَهَا
مِثْلًا^(١) .

سَمِّنْ كَلْبَكَ يَا كَلْكُ

وَيُرْوَى : (أَسَمِنَ) ، قَالُوا : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَازِمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِمَّانِيُّ ؛
وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِمَحَلَّةِ هَمْدَانَ ، فَإِذَا هُوَ بِغَلَامٍ مَلْفُوفٍ فِي الْمَعَاوِزِ ، فَرَحِمَهُ
وَحَمَلَهُ عَلَى مُقَدَّمِ سَرَجِهِ ، حَتَّى أَتَى بِهِ مَنْزِلَهُ ، وَأَمَرَ أُمَّةً لَهُ أَنْ تُرَضِعَهُ ،
فَأَرْضَعَتْهُ حَتَّى فُطِمَ ، وَأَدْرَكَ وَرَاهِقَ الْحَلَمَ ، فَجَعَلَهُ رَاعِيًا لَغَنِمِهِ ، وَسَمَّاهُ
جُحَيْشًا ، فَكَانَ يَرَعَى الشَّاءَ وَالْإِبِلَ ، وَكَانَ زَاجِرًا عَائِفًا ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ ،
فَعَرَضَتْ لَهُ عِقَابٌ ، فَعَاقَهَا ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ غُدَافٌ ، فَزَجَرَهُ ، وَقَالَ : [مِنْ مَشْطُورِ الرَّجْزِ]

تُخْبِرُنِي شَوَاحِجُ الْغُدْفَانِ
وَالْخُطْبُ يَشْهَدَنَّ مَعَ الْعِقْبَانِ
أَتِي جُحَيْشٌ مَعَشَرِي هَمْدَانَ
وَلَسْتُ عَبْدًا لِبَنِي حِمَّانِ

فَلَا يَزَالُ يَتَغَنَّيُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَإِنَّ ابْنَةَ لِحَازِمٍ يَقَالُ لَهَا : رَعُومُ ، هَوَيْتِ
الْغَلَامَ وَهَوَيْهَا ، وَكَانَ الْغَلَامُ ذَا مَنْظَرٍ وَجَمَالٍ ، فَاتَّبَعَتْهُ رَعُومُ ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى
انْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ الْكَلَاءِ ، فَسَرَحَ الشَّاءَ فِيهِ وَاسْتَظَلَّ بِشَجَرَةٍ وَاتَّكَأَ عَلَى يَمِينِهِ ،
وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
[مِنْ الْمُتَقَارِبِ]

أَمَّا لَكَ أُمَّ فَمُدْعَى لَهَا وَلَا أَنْتِ ذُو وَالِدٍ يُعْرِفُ
أَرَى الطَّيْرَ تُخْبِرُنِي أَتْنِي جُحَيْشٌ وَأَنَّ أَبِي حَرَشَفُ
يَقُولُ غُرَابٌ غَدَا سَانِحًا وَشَاهِدُهُ جَاهِدًا يَخْلِفُ

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١٢٦/٢ - ١٢٧) .

بِأَنِّي لِهَمْدَانَ فِي غَرِّهَا وَمَا أَنَا جَافٍ وَلَا أَهْيَفُ
وَلَكِنِّي مِنْ كِرَامِ الرَّجَالِ إِذَا ذُكِرَ السَّيِّدُ الْأَشْرَفُ
وقد كَمَنْتَ لَهُ رَعُومٌ تَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ أَيضاً يَتَغَنَّى
ويقول :

[من مشطور الرجز]

يَا حَبَّذَا رَبِّبَتِي رَعُومٌ
وَحَبَّذَا مَنْطِقُهَا الرَّخِيمُ
وَرِيحُ مَا يَأْتِي بِهِ النَّسِيمُ
إِنِّي بِهَا مُكَلِّفٌ أَهِيمُ
لَوْ تَعْلَمِينَ الْعِلْمَ يَا رَعُومُ
أَنِّي مِنْ هَمْدَانَهَا صَمِيمُ

فلَمَّا سَمِعَتْ رَعُومٌ شَعْرَهُ .. ازدادت فِيهِ رَغْبَةً وَبِهِ إِعْجَاباً ، فَدَنَّتْ مِنْهُ

[من مشطور الرجز]

وهي تقول :

طَارَ إِلَيْكُمْ عَرَضاً فَوَادِي
وَقَلَّ مِنْ ذُكْرَاكُمْ زُقَادِي
وَقَدْ جَفَا جَنْبِي عَنِ الْوَسَادِ
أَبَيْتُ قَدْ خَالَفَنِي سُهَادِي

فَقَامَ إِلَيْهَا جُحَيْشٌ فَعَانَقَهَا وَعَانَقَتْهُ ، وَقَعَدَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ يَتَغَازِلَانِ ،

فَكَانَا يَفْعَلَانِ ذَلِكَ أَياماً .

ثُمَّ إِنَّ أَبَاهَا افْتَقَدَهَا يَوْمًا ، وَفَطِنَ لَهَا ، فَرَصَدَهَا ، حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ ..

تَبِعَهَا ، فَانْتَهَى إِلَيْهَا وَهُمَا عَلَى سُوءَةٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا .. قَالَ : سَمِنَ كَلْبِكَ

يَأْكُلُكَ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، وَشَدَّ عَلَى جُحَيْشٍ بِالسِّيفِ فَأَفْلَتَ وَلِحَقَّ بِقَوْمِهِ
هَمْدَانَ ، وَانصَرَفَ حَازِمٌ إِلَى ابْنَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : مَوْتُ الْحَرَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْعُرَّةِ ،
فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا . . وَجَدَهَا قَدْ اخْتَنَقَتْ فَمَاتَتْ ، فَقَالَ حَازِمٌ :
هَانَ عَلَيَّ التُّكْلُ لِسُوءِ الْفِعْلِ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا : وَأَنْشَأَ يَقُولُ : [من الكامل]

قَدْ هَانَ هَذَا التُّكْلُ لَوْلَا أَنَّنِي أَحْبَبْتُ قَتْلَكَ بِالْحُسَامِ الصَّارِمِ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَلِكَ لَوْلَا أَنَّنِي شَمَزْتُ فِي قَتْلِ اللَّعِينِ الظَّالِمِ
فَعَلَيْكَ مَقْتُ اللَّهِ مِنْ عَدَاةِ وَعَلَيْكَ لَعْنَتُهُ وَلَعْنَةُ حَازِمِ

وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّ رَجُلًا مِنْ طَسْمٍ ارْتَبَطَ كَلْبًا ، فَكَانَ يُسَمِّنُهُ وَيَطْعُمُهُ رَجَاءً
أَنْ يَصِيدَ بِهِ ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهِ بِطَعْمِهِ يَوْمًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ
فَافْتَرَسَهُ ، قَالَ عَوْفُ بْنُ الْأَحْوِسِ :
[من الطويل]

أَرَانِي [وَعَوْفًا] كَالْمُسَمِّنِ كَلْبَهُ فَخَدَّشَهُ أَنْيَابُهُ وَأَظَافِرُهُ
وَقَالَ طَرْفَةُ^(١) :

كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ
ظَلَّ عَلَيْهِ يَوْمًا [يُفْرَفِرُهُ]^(٢) إِلَّا يَلْغُ فِي الدِّمَاءِ يَنْتَهِسِ^(٣)

السَّلِيمُ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ

قَالَ الْمُفَضَّلُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : إِيَّاسُ بْنُ مُضَرٍّ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ
ذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَ الْكَلْبِيُّ عَنِ الشَّرْقِيِّ بْنِ الْقَطَامِيِّ : أَنَّ إِبْلَ إِيَّاسَ نَدَّتْ لَيْلًا ،
فَنَادَى وَلَدَهُ وَقَالَ : إِنَّي طَالِبُ الْإِبْلِ فِي هَذَا الْوَجْهِ ، وَأَمَرَ عَمْرًا ابْنَهُ أَنْ

(١) انظر «ديوان طرفة بن العبد» (ص ١٦٥) .

(٢) في الأصل : (بقرقه) ، ويفرره : يمزقه .

(٣) انظر «مجمع الأمثال» (١٣٣/٢ - ١٣٥) .

يطلب في وجه آخر ، وترك عامراً ابنه لعلاج الطعام ، قال : فتوجه إلياس وعمرؤ ، وانقطع عميرُ ابنه في البيت مع النساء ، فقالت ليلى بنت حلوان امرأته لإحدى خادميها : اخرجي في طلبِ أهلك ، وخرجت ليلى ، فلقيها عامرٌ مُحْتَقِباً صيداً قد عالجه ، فسألها عن أبيه وأخيه ، فقالت : لا علم لي ، فأتى عامرُ المنزل وقال للجارية : قَصِي أثرَ مولاك ، فلما ولت .. قال لها : تقرصي - أي : اتندي وانقبضي - فلم يلبثوا أن أتاهم الشيخ وعمرؤ ابنه قد أدرك الإبل ، فوضع لهم الطعام ، فقال إلياس : السليم لا ينأ ولا يُنيم ، فأرسلها مثلاً ، وقالت ليلى امرأته : والله ؛ إن زلتُ أخنِدتُ في طلبكما والهة ، قال الشيخ : فأنتِ خنِدتُ ، قال عامرٌ : وأنا والله كنتُ أدأبُ في صيدٍ وطبخ ، قال : فأنتِ طابخةٌ ، قال عمرؤ : فما فعلتُ أنا أفضل ، أدركتُ الإبل ، قال : فأنتِ مُدركةٌ ، وسمي عميراً قَمْعَةً ؛ لانقماعه في البيت ، فغلبت هذه الألقاب على أسمائهم .

يضرِبُ مثلاً لِمَنْ لا يستريح ولا يريح غيره^(١) .

اسع بجدك لا بكذك

قالوا : إن أولَ مَنْ قال ذلك : حاتمُ بنُ عميرةَ الهمداني ، وكان بعثَ ابنه الحِسلَ وعاجنةً إلى تجارة ، فلقي الحِسلُ قوماً من بني أسدٍ ، فأخذوا ماله وأسروه ، وسارَ عاجنةً أياماً ، ثم وقع على مالٍ في طريقه من قبل أن يبلغَ موضعَ متجره ، فأخذه ورجع ، وقال في ذلك : [من الوافر]

كَفَانِي اللَّهُ بُعْدَ السَّيْرِ أَنِّي رَأَيْتُ الْخَيْرَ فِي السَّفَرِ الْقَرِيبِ
رَأَيْتُ الْبُعْدَ فِيهِ شَقاً وَنَأْيٌ وَوَحْشَةً كُلِّ مُنْفَرِدٍ غَرِيبِ

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١٤٥/٢) .

فَأَسْرَعْتُ الْإِيَابَ بِخَيْرِ حَالٍ إِلَى حَوْرَاءَ خَزَعَبَةَ لِعُوبٍ
 وَإِنِّي لَيْسَ يَثْنِينِي إِذَا مَا رَحَلْتُ سُنُوحَ شَحَّاجِ نَعُوبٍ
 فلَمَّا رَجَعَ .. تَبَاشَرَ بِهِ أَهْلُهُ ، وَانْتَظَرُوا الْحِجْلَ ، فَلَمَّا جَاءَ إِبَانُهُ الَّذِي
 كَانَ يَجِيءُ فِيهِ وَلَمْ يَرْجِعْ .. رَابَهُمْ أَمْرُهُ ، وَبَعَثَ أَبُوهُ أَخَاهُ لَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أُمَّهِ
 - يُقَالُ لَهُ : شَاكِرٌ - فِي طَلْبِهِ وَالْبَحْثِ عَنْهُ ، فَلَمَّا دَنَا شَاكِرٌ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي بِهَا
 الْحِجْلُ ، وَكَانَ الْحِجْلُ عَائِفًا يَزْجُرُ الطَّيْرَ ، فَقَالَ : [من المتقارب]
 تُخَبِّرُنِي بِالنَّجَاةِ أَلْقَطَاةٌ وَقَوْلُ الْغُرَابِ بِهَا شَاهِدُ
 تَقُولُ أَلَا قَدْ دَنَا نَازِحٌ فِدَاءٌ لَهُ الطَّرْفُ وَالسَّالِدُ
 أَحْ لَمْ تَكُنْ أُمْنَا أُمَّهُ وَلَكِنْ أَبُونَا أَبٌ وَاحِدُ
 تَدَارَكُنِي رَأْفَةٌ حَاتِمٌ فَنِعَمَ الْمُرَبِّبُ وَالْوَالِدُ
 ثُمَّ إِنَّ شَاكِرًا سَأَلَ عَنْهُ ، فَأُخْبِرَ بِمَكَانِهِ ، فَاشْتَرَاهُ مَمَّنْ أَسْرَهُ بِأَرْبَعِينَ بَعِيرًا ،
 فَلَمَّا رَجَعَ بِهِ .. قَالَ لَهُ أَبُوهُ : اسْعَ بِجَدِّكَ لَا بِكَدِّكَ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا^(١) .

سِرُّ عِنِّكَ

قالوا : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : خِدَاشُ بْنُ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ
 جَارِيَةً مِنْ بَنِي سَدُوسٍ يُقَالُ لَهَا : الرَّيَابُ ، وَغَابَ عَنْهَا بَعْدَ مَا مَلَكَهَا أَعْوَامًا ،
 فَعَلِقَهَا آخِرَ مَنْ قَوْمِهَا يُقَالُ لَهُ : سَلَمٌ ، فَفَضَحَهَا .
 وَإِنَّ سَلَمًا شَرَدَتْ لَهُ إِبِلٌ ، فَرَكِبَ فِي طَلِبِهَا ، فَوَافَاهُ خِدَاشٌ فِي الطَّرِيقِ ،
 فَلَمَّا عَلِمَ بِهِ خِدَاشٌ .. كَتَمَهُ أَمْرَ نَفْسِهِ ؛ لِيَعْلَمَ عِلْمَ امْرَأَتِهِ ، وَسَارَا ، فَسَأَلَ
 سَلَمٌ خِدَاشًا : مَمَّنِ الرَّجُلُ ؟ فَخَبَّرَهُ بِغَيْرِ نَسْبِهِ ، فَقَالَ سَلَمٌ : [من الوافر]
 أَغِيبَتْ عَنِ الرَّيَابِ وَهَامَ سَلَمٌ بِهَا وَلَهَا بِعِزِّكَ يَا خِدَاشُ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١٤٦/٢) .

فَيَا لَكَ بَعْلَ جَارِيَةٍ هَوَاهَا صَبُورٌ حِينَ تَضْطَرُّبُ الْكِبَاشُ
 وَيَا لَكَ بَعْلَ جَارِيَةٍ كَعُوبٍ تَزِيدُ لَذَاذَةَ دُونَ أَلْرِيشِ
 وَكُنْتُ بِهَا أَخَا عَطَشٍ شَدِيدٍ وَقَدْ يَزْوِي عَلَى الظَّمَا الْعِطَاشُ
 فَإِنْ أَرْجِعْ وَيَأْتِيهَا خِدَاشٌ سَيُخْبِرُهُ بِمَا لَاقَى الْفِرَاشُ

فَعَرَفَ خِدَاشُ الْأَمْرَ عِنْدَ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَنَا مِنْهُ فَقَالَ : حَدِّثْنَا يَا أَخَا بَنِي
 سَدُوسٍ ، فَقَالَ سَلَمٌ : عَلِقْتُ امْرَأَةً غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا ، فَأَنَا أَنْعَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا
 بِهَا ، وَهِيَ لَذَّةٌ عَيْشِي ، فَقَالَ خِدَاشٌ : سِرَّ عَنْكَ ، فَسَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : حَدِّثْنَا
 يَا أَخَا بَنِي سَدُوسٍ عَنْ خَلِيلَتِكَ ، قَالَ : تَسَدَّيْتُ خِبَاءَهَا لَيْلًا ، فَبِتُّ بِأَقْرَبِ لَيْلَةٍ ،
 أَعْلُو وَأَعْلِي ، وَأَعَانَقْتُ وَأَفْعَلْتُ مَا أَهْوَى ، فَقَالَ خِدَاشٌ : سِرَّ عَنْكَ ، وَعَرَفَ
 الْفُضِيحَةَ ، فَتَأَخَّرَ وَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَغَطَّاهُ بِثَوْبِهِ ، ثُمَّ لَحَقَهُ وَقَالَ : مَا آيَةُ مَا
 بَيْنَكُمَا إِذَا جِئْتَهَا ؟ قَالَ : أَذْهَبُ لَيْلًا إِلَى مَكَانٍ كَذَا مِنْ خِبَائِهَا وَهِيَ تَخْرُجُ
 فَتَقُولُ :
 [من الطويل]

يَا لَيْلُ هَلْ مِنْ سَاهِرٍ فِيكَ طَالِبٌ هَوَى خُلَّةٍ لَا يَنْزَحْنَ مُلْتَقَاهُمَا
 فَأَجَابُهَا :

نَعَمْ سَاهِرٌ قَدْ كَابَدَ اللَّيْلَ هَائِمٌ بِهَائِمَةٍ مَا هُوَمَتْ مُفْلَتَاهُمَا
 فَتَعَرَفُ أَنِّي أَنَا هُوَ ، ثُمَّ قَالَ خِدَاشٌ : سِرَّ عَنْكَ ، وَدَنَا حَتَّى قَرَنَ نَاقَتَهُ بِنَاقَتِهِ ،
 وَضْرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَأَطَارَ قَحْفَهُ وَبَقِيَ سَائِرُهُ فَوْقَ رِجْلِهِ يَضْطَرِبُ .

ثُمَّ انصرفت فأتى المكان الذي وصفه سلمٌ ، ففعد فيه ليلًا ، وخرجت
 الربابُ وهي تتكلمُ بذلك البيتِ ، فجاوبها بالآخرِ ، فدنت منه وهي ترى
 أنه سلمٌ ، ففنعها بالسيفِ ففلق ما بين المَفرِقِ إلى الزورِ ، ثم ركب
 وانطلق .

يُضْرَبُ فِي التَّغَابِي وَالتَّغَاضِي عَنِ الشَّيْءِ .

قُلْتُ ^(١) : بَقِيَ مَعْنَى قَوْلِهِ (سِرُّ عَنكَ) قِيلَ : مَعْنَاهُ : دَعْنِي وَادْهَبْ عَنِّي ،
وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : لَا تَرْبِعْ عَلَيَّ نَفْسَكَ ، وَإِذَا لَمْ يَرْبِعْ عَلَيَّ نَفْسِي . . فَقَدْ سَارَ
عَنْهَا ، وَقِيلَ : الْعَرَبُ تَزِيدُ فِي الْكَلَامِ (عَنِ) ، فَتَقُولُ : دَعْ عَنكَ الشُّكَّ ؛ أَي :
دَعِ الشُّكَّ ، وَقِيلَ : أَرَادُوا بِ (عَنكَ) : لَا أَبَا لَكَ ، وَأَنْشَدَ : [مِنْ مَشْطُورِ الرَّجَزِ]

فَصَّارَ وَالْيَوْمَ لَهُ بَلَابِلُ

مِنْ حُبِّ جُمْلٍ عَنكَ مَا يُزَايِلُ

أَي : لَا أَبَا لَكَ ، فَعَلَى هَذَا : مَعْنَاهُ : سِرُّ لَا أَبَا لَكَ ، عَلَيَّ عَادَتِهِمْ فِي
الدَّعَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ الْوَقُوعِ ^(٢) .

صَدَقَنِي سِنَّ بَكْرِهِ

الْبَكْرُ : الْفَتِيُّ مِنَ الْإِبِلِ ، وَيُقَالُ : صَدَقْتُهُ الْحَدِيثَ وَفِي الْحَدِيثِ ، يُضْرَبُ
مِثْلًا فِي الصَّدَقِ ، وَأَصْلُهُ : أَنَّ رَجُلًا سَاوَمَ رَجُلًا فِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : مَا سَنُهُ ؟
فَقَالَ صَاحِبُهُ : بَازِلٌ ، ثُمَّ نَفَرَ الْبَكْرُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : هِدَعْ هِدَعٌ ، وَهَذِهِ
لَفْظَةٌ يُسَكَّنُ بِهَا الصِّغَارُ مِنَ الْإِبِلِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمَشْتَرِي هَذِهِ الْكَلِمَةَ . .
قَالَ : صَدَقَنِي سِنَّ بَكْرِهِ ، وَنَصَبَ (سِنَّ) عَلَيَّ مَعْنَى : عَرَّفَنِي سِنَّ ، وَيَجُوزُ
أَنْ يُقَالَ : أَرَادَ : صَدَقَنِي خَبَرَ سِنَّ ، ثُمَّ حُذِفَ الْمُضَافُ ، وَيُرْوَى : صَدَقَنِي سِنَّ
بِالرَّفْعِ ، جَعَلَ الصَّدَقَ لِلْسِنَّ تَوْشَعًا .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : (وَهَذَا الْمِثْلُ يُرْوَى عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ أُتِيَ
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ بَنِي فَلَانٍ وَبَنِي فَلَانٍ اقْتَتَلُوا ، فَغَلَبَ بَنُو فَلَانٍ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ، ثُمَّ

(١) القائل : هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١٤٧/٢ - ١٤٨) .

أَتَاهُ آتٍ فَقَالَ : بَلْ غَلَبَ بَنُو فُلَانٍ ؛ لِلْقَبِيلَةِ الْأُخْرَى ، فَقَالَ عَلِيٌّ : صَدَقَنِي سَنٌّ بَكْرِهِ (١) .

وقال أبو عمرو : دخل الأحنفُ عليَّ معاويةَ بعد ما مضى عليَّ رضي الله تعالى عنه ، فعاتبه معاويةُ وقال له : أما إنني لم أنسَ ولم أجهلِ اعتزالكَ يومَ الجميلِ ببني سعدٍ ، ونزولكَ بهم سفوانَ وقريشُ تذبُّ بناحيةَ البصرةِ ذبْحَ الحَيْرَانِ ، ولم أنسَ طلبكَ إلى ابنِ أبي طالبٍ أن يدخلكَ في الحكومةِ أن تزيلَ عنيَ أمراً جعلَهُ اللهُ لي وقضاهُ ، ولم أنسَ تحضيضَكَ بني تميمٍ يومَ صفينَ عليَّ نصرَةَ عليٍّ ، كلُّ يبكتُهُ (٢) .

قال : فخرَجَ الأحنفُ مِنْ عنديهِ ، فقليلَ له : ما صنعَ بك ؟ وما قالَ لك ؟ قال : صدقني سنٌّ بكرهه ؛ أي : خبَّرني بما في نفسه وما انطوت عليه ضلوعه .

صَارَتِ الْفَتْيَانُ حُمَمًا

هذا مِنْ قولِ الحمراءِ بنتِ ضمرةَ بنِ جابرٍ ؛ وذلكَ أن بني تميمٍ قتلوا سعدَ بنَ هندیَ أخا عمرو بنِ هندیِ الملكِ ، فندَرَ عمرو ليقْتلَنَّ بأخيه مئةً مِنْ بني تميمٍ ، فجمعَ أهلَ مملكتهِ ، فسارَ إليهم ، فبلغَهُمُ الخبرُ ، فتفرَّقوا في نواحي بلادِهِم ، فأتى دارَهُم ، فلم يجدْ إلاَّ عجوزاً كبيرةً ؛ وهي الحمراءُ بنتُ ضمرةَ ، فلما نظرَ إليها وإلى حمرتها . . قالَ لها : إنِّي لأحسبُك أعجميةً ، فقالت : لا ، والذي أسألهُ أن يخفضَ جناحَكَ ، ويهدَّ عمادَكَ ، ويضعَ سادَكَ ، ويسلُبَكَ بلادَكَ ؛ ما أنا بأعجمية .

قالَ : فمَنْ أنتِ ؟ قالتُ : أنا بنتُ ضمرةَ بنِ جابرٍ ، سادَ معداً كبيراً عن

(١) الأمثال (ص ٤٩) للقاسم بن سلام .

(٢) في «مجمع الأمثال» (٢٥٤/٢) : (بيكيه) .

كابِرٍ ، وأنا أختُ ضمرةَ بنِ ضمرةَ ، قال : فَمَنْ زَوْجُكِ ؟ قالتُ : هوذةُ بنُ جروِلٍ ، قال : وأينَ هو الآنَ ؟ أما تعرفينَ مكانَهُ ؟ قالتُ : هذهِ كلمةُ أحمقٍ ، لو كنتُ أعلمُ مكانَهُ حالَ بينك وبينِي ، قال : وأيُّ رجلٍ هو ؟ قالتُ : هذهِ أحمقٌ مِنَ الأولى ، أعن هوذةُ يُسألُ ؟ هو واللهِ طيبُ العرقِ ، سمينُ العزقِ ، لا ينامُ ليلةَ يخافُ ، ولا يشبعُ ليلةَ يُضافُ ، يأكلُ ما وجدَ ، ولا يسألُ عمّا فقدَ .

فقالَ عمروُ : أما واللهِ لولا أنني أخافُ أن تلدي مثلَ أبيك وأخيك وزوجكِ . . لاستبقيتُكِ ، فقالتُ : وأنتَ واللهِ لا تقتلُ إلا نساءَ أعاليها تُدييَ ، وأسافلها دُمي ، واللهِ ؛ ما أدركتُ ثاراً ، ولا محوتَ عاراً ، وما من فعلتَ هذهِ بهِ بغافلٍ عنك ، ومعَ اليومِ غدٌ ، فأمرَ بإحراقِها ، فلمّا نظرتُ إلى النارِ . . قالتُ : ألا فتىً مكانَ عجوزٍ ، فذهبتُ مثلاً ، ثم مكثتُ ساعةً ، فلم يُفدِها أحدٌ ، فقالتُ هيهاتَ ، صارتِ الفتيانُ حُمماً ، فذهبتُ مثلاً ، ثم أُلقيتُ في النارِ .

ولبتَ عمروُ عامَّةَ يومِهِ لا يَقْدِرُ على أحدٍ ، حتى إذا كانَ في آخرِ النهارِ . . أقبلَ راكبٌ يُسمَى عمّاراً توضعُ بهِ راحلتهُ ، حتى أناخَ إليه ، فقالَ لهِ عمروُ : مَنْ أنتَ ؟ قالَ : أنا رجلٌ مِنَ البراجمِ ، قالَ : فما جاء بك إلينا ؟ قالَ : سطعَ الدخانُ ، وكنتُ قد طويتُ منذُ أيامٍ ، فظننتُهُ طعاماً ، فقالَ عمروُ : إنَّ الشقيَّ وافدُ البراجمِ ، فذهبتُ مثلاً ، وأمر بهِ فألقيَ في النارِ ، فقالَ بعضُهُم : ما بلغنا أنَّه أصابَ من بني تميمٍ غيرهُ ، وإنما أحرقتُ النساءَ والصبيانَ ، وفي ذلكَ يقولُ جريزٌ^(١) :

وَأَخْرَاكُمُ عَمْرُو كَمَا قَدْ خَزَيْتُمُ وَأَدْرَكَ عَمَّاراً شَقِيَّ الْبَرَاغِمِ

(١) انظر «ديوان جريز» (١٠٠٧/٢) .

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحبِّ الطعام ؛ لِمَا لَقِيَ هذا الرجلُ ، قال

[من الوافر]

الشاعرُ :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئُ بِزَادِ
بِخُبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوِ الشَّيْءِ الْمُلْفَفِ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يَنْقُبُ الْأَفَاقَ حَوْلًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ^(١)

صُغْرَاهُنَّ شُرَاهُنَّ

ويروى : صغراها شُرَاهَا ، ويروى : مُرَاهَا ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : امرأةٌ كانت في زمنِ لقمانَ بنِ عادٍ ، وكانَ لها زوجٌ يُقالُ لَهُ : الشَّجِيُّ ، وخليلاً يُقالُ لَهُ : الخَلِيُّ ، فنزلَ لقمانُ بِهِمْ ، فرأى هذه المرأةَ ذاتَ يومٍ انتبذت من بيوتِ الحيِّ ، فارتابَ لقمانُ بأمرِها فتبعها ، فرأى رجلاً عرضَ لها ، ومضيا جميعاً ، وقضيا حاجتَهُما ، ثمَّ إنَّ المرأةَ قالتَ للرجلِ : إنِّي أتماوتُ ، فإذا أسندوني في رَجَمِي ، فأتني ليلاً فأخرجني ، ثمَّ اذهب إلى مكانٍ لا يَعْرِفُنَا أَهْلُهُ ، فلَمَّا سمعَ لقمانُ ذَلِكَ . . قالَ : ويلٌ للشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ ، فذهبت مثلاً .

ثمَّ رجعتِ المرأةُ إلى مكانِها ، وفعلت ما قالتُ ، فأخرجها الرجلُ ، وانطلقَ بها أياماً إلى مكانٍ آخَرَ ، ثمَّ تحوَّلت إلى الحيِّ بعدَ برهةٍ ، فبينما هي ذاتَ يومٍ قاعدةٌ . . مرَّت بها بناتها ، فنظرت إليها الكبرى ، فقالت : أُمِّي واللهِ ، فقالتِ الوسطى : صدقتِ واللهِ ، قالتِ المرأةُ : كذبتُما ، ما أنا لكُما بأُمِّ ، ولا لأبيكُما بامرأةٍ ، فقالتَ لهُما الصُّغرى : أما تعرفانِ محيَّاهَا ، وتعلَّقتُ بها ، وصرختُ ، فقالتِ الأُمُّ حينَ رأت ذلكَ : صغراهُنَّ شُرَاهُنَّ ، فذهبت مثلاً .

ثمَّ إنَّ الناسَ اجتمعوا ، فعرفوها ، فرفعوا القِصَّةَ إلى لقمانَ بنِ عادٍ ،

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢٥٧/٢ - ٢٥٩) .

وقالوا له : اقضِ بيننا ، فلمَّا نظرَ لقمانُ إلى المرأةِ .. عرفَها ، فقالَ : عندَ جهينةَ الخبزِ اليقينُ - يعني نفسهُ ، وما عاينَ منها - فأخبرَ لقمانُ الزوجَ بما عرفَ ، وأقبلَ على المرأةِ فقَصَّ عليها قصتها كيفَ صنعتُ ، وكيفَ قالتَ لصديقِها ، فلمَّا أتاها بما لا تُنكرُ .. قالتَ : ما كانَ هذا في حسابي ، فأرسلتها مثلاً ، فقيلَ للقمانَ : احكمْ فيها ، فقالَ : ارجموها كما رجمتَ نفسها في حياتِها ، فرُجمتُ ، فقالَ الشَّجِيُّ : احكمْ بيني وبينَ الخَلِيِّ ؛ فقد فرَّقَ بيني وبينَ أهلي ، فقالَ : يُفرِّقُ بينَ ذَكَرِهِ وَأُنثِيِّهِ كما فرَّقَ بينَكَ وبينَ أنثاك ، فأخذَ الخَلِيُّ فُجَبًا ذَكَرُهُ .

صحيفةُ المُتلمِّسِ

قالَ المُفضَّلُ : كانَ مِن حديثِها : أنَّ عمروَ بنَ المنذرِ بنِ امرئِ القيسِ كانَ يُرشِّحُ أخاهُ قابوسَ - وهما لهندِ بنتِ الحارثِ بنِ عمرو الكنديِّ آكلِ المرارِ - ليملكَ بعدهُ ، فقدمَ عليه المُتلمِّسُ وطرفهُ ، فجعلهُما في صحابةِ قابوسَ ، وأمرهُما بلزومِهِ ، وكانَ قابوسُ شابًّا يعجبُهُ اللهُوُ ، وكانَ يركبُ يوماً في الصيدِ ، فيركضُ ويتصيِّدُ وهما معهُ يركضانِ حتى رجعا عشيَّةً وقد لغبا ، فيكونُ قابوسُ مِنَ الغدِ في الشرابِ ، فيقفانِ ببابِ سرادقِهِ إلى العشيِّ ، وكانَ قابوسُ يوماً على الشرابِ ، فوقفا ببابِهِ النهارَ كلَّهُ ، ولم يصلا إليه ، فضجَرَ طرفهُ وقالَ ^(١) :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تَحُورُ
مِنَ الزَّمَرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا وَضَرَّتْهَا مُرَكَّنَةٌ دُرُورُ
يُشَارِكُنَا لَنَا رِخْلَانِ فِيهَا وَتَعْلُوهَا أَلْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ

(١) انظر «ديوان طرفة بن العبد» (ص ١٠١ - ١٠٣) .

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ ابْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكُهُ نُوكَ كَثِيرُ
 قَسَمْتَ الذَّهْرَ فِي زَمَنِ رَجِيٍّ كَذَاكَ الْحُكْمُ يُقْصَدُ أَوْ يَجُورُ
 لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ
 فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمٌ سُوءٍ يُطَارِدُهُنَّ بِالْحَدَبِ الصُّقُورُ
 وَأَمَّا يَوْمُنَا فَتَظَلُّ رُكْبًا وَقُوفًا مَا نَحُلُّ وَلَا نَسِيرُ

وكان طرفه عدواً لابن عمه عبد عمرو ، وكان كريماً على عمرو ابن هند ، وكان سميناً بادناً ، فدخل مع عمرو الحمام ، فلما تجرد . . قال عمرو ابن هند : لقد كان ابن عمك طرفه رآك حين قال ما قال ، وكان طرفه هجا عبد عمرو فقال^(١) :

وَأَنَّ لَهُ كَشْحًا إِذَا قَامَ أَهْضَمًا وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنَى
 يَقْلُنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهَمًا تَظَلُّ نِسَاءَ الْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ
 مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى آضَ جَبَسًا مُورَمًا لَهُ شَرِبَتَانِ بِالْعَشِيِّ وَشَرِبَةٌ
 فَإِنْ أُعْطِيَ أَتْرَكَ لِقَلْبِي مَجْتَمًا وَيَشْرَبُ حَتَّى يَغْمِرَ الْمَحْضُ قَلْبَهُ

فلما قال له ذلك . . قال عبد عمرو : إنَّه قال ما قال ، وأنشده : (فليت لنا مكان الملك عمرو) ، فقال عمرو : ما أصدقتك عليه ، وقد صدقته ، ولكن خاف أن يندرته وتدركه الرحمة ، فمكت غير كثير ، ثم دعا المُتلمسَ وطرفه ، فقال : لعلكما قد اشتقتما إلى أهليكما ، وسرَّكما أن تنصرفا ؟ قالا : نعم ، فكتب لهما إلى أبي كرب عامله على هجر أن يقتلهما ، وأخبرهما أنه قد كتب لهما بحباءٍ ومعروفٍ ، وأعطى كل واحدٍ منهما شيئاً ، فخرجا .

وكان المُتلمسُ قد أسنَّ ، فمراً بنهر الجيرة على غلمانٍ يلعبون ، فقال

(١) انظر « ديوان طرفه بن العبد » (ص ٩٩ - ١٠٠) .

المُتَلَمِّسُ : هل لك في كتابينا ، فإن كانَ فيهِما خيرٌ . . مضمينا له ، وإن كانَ شرًّا . . اتقيناهُ ، فأبى طرفهُ عليه ، فأعطى المُتَلَمِّسُ كتابهُ بعضَ الغلمانِ ، فقرأهُ عليه ، فإذا فيه السوءُ ، فألقى كتابهُ في الماءِ ، وقالَ لطرفهُ : أطعني وألقِ كتابَكَ ، فأبى طرفهُ ومضى بكتابِهِ ، قالَ : ومضى المُتَلَمِّسُ حتى لحقَ بملوكِ بني جفنةَ بالشامِ ، وقالَ المُتَلَمِّسُ في ذلكَ : [من الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ الشُّعْرَاءِ عَن أَخْوَانِهِمْ نَبَأً فَتَضَدَّقَهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسُ
أَوْدَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ الْمُتَلَمِّسُ
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ وَجَنَاءَ مُجْمَرَةَ الْمَنَاسِمِ عِزْمِسُ
عَيْرَانَةٌ طَبَخَ الْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا فَكَأَنَّ نُقِبَتَهَا أَدِيمٌ أَمَلَسُ
أَلِقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحِبَاءِ النَّقْرِسُ
ومضى طرفهُ بكتابِهِ إلى العاملِ ، فقتله .

وروى عبيدٌ راويةَ الأعشى قالَ : حدَّثني الأعشى قالَ : حدَّثني المُتَلَمِّسُ - واسمُهُ عبدُ المسيحِ بنُ جريرٍ - قالَ : قدمتُ أنا وطرفهُ بنُ العبدِ على عمروِ ابنِ هندی ، وكانَ طرفهُ غلاماً مُعجَباً تائهاً ، فجعلَ يتخلَّجُ في مشيه بينَ يديه ، فنظرَ إليه نظرةً كادتْ تقتلُهُ من مجلسِهِ ، وكانَ عمرو لا يتبسَّم ولا يضحكُ ، وكانتِ العربُ تُسمِّيهِ : مُضَرِّطَ الحجارةِ ؛ لشدَّةِ ملكِهِ ، وملكَ ثلاثاً وخمسينَ سنةً .

وكانتِ العربُ تهابُهُ هيبَةً شديدةً ، وهو الذي يقولُ له الذهابُ العجليُّ ؛ واسمُهُ مالكُ بنُ جندلِ بنِ سلمةَ ، من بني عجلٍ ، ولُقِّبَ بالذهابِ لقوله :

وَمَا سَيْرُهُنَّ إِذْ عَلَوْنَ قُرَاقِرًا بِذِي أَمِّمْ وَلَا الذَّهَابُ ذَهَابُ

[قَالَ] :

[من الطويل]

أَبَى أَلْقَلْبُ أَنْ يَأْتِيَ السَّدِيرَ وَأَهْلَهُ وَإِنْ قِيلَ عَيْشٌ بِالسَّدِيرِ غَرِيرٌ
بِهِ الْبَقُّ وَالْحُمَى وَأَسْدُ خَفِيَّةٌ وَعَمَرُو أَبْنُ هِنْدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ

قَالَ الْمُتَلَمِّسُ : فَقَلْتُ لَطْرَفَةٌ حِينَ قَمْنَا : يَا طْرَفَةُ ؛ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ
مِنْ نَظَرَتِهِ إِلَيْكَ مَعَ مَا قَلْتُ لِأَخِيهِ ، قَالَ : كَلَّا ، قَالَ : فَكَتَبْتُ إِلَى الْمُكْعَبِرِ
- وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَعُثْمَانُ - لِي كِتَابًا وَلَطْرَفَةَ كِتَابًا ، فَخَرَجْنَا ، حَتَّى
إِذَا هَبَطْنَا بِذِي الرِّكَابِ مِنَ النِّجْفِ . . إِذَا أَنَا بِشَيْخٍ عَنِ يَسَارِي يَتَبَرَّزُ وَمَعَهُ
كِسْرَةٌ يَأْكُلُهَا وَيَقْصَعُ الْقَمْلَ ، فَقَلْتُ : تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ شَيْخًا أَحْمَقَ وَأَضْعَفَ
وَأَقْلَّ عَقْلًا مِنْكَ !! قَالَ : مَا تَنْكُرُ ؟ قَلْتُ : تَتَبَرَّزُ وَتَأْكُلُ وَتَقْصَعُ الْقَمْلَ !! قَالَ :
أُخْرِجْ حَبِيثًا ، وَأَدْخِلْ طَيِّبًا ، وَأَقْتُلْ عَدُوًّا ، وَأَحْمَقُ مِنِّي وَالْأُمُّ حَامِلٌ حَتْفِهِ
بِيَمِينِهِ لَا يَدْرِي مَا فِيهِ ، فَتَبَّهَنِي ، وَكَأَنَّمَا كُنْتُ نَائِمًا ، فَإِذَا أَنَا بِغَلَامٍ مِنْ أَهْلِ
الْحَيْرَةِ يَسْقِي غُنَيْمَةً لَهُ مِنْ نَهْرِ الْحَيْرَةِ ، فَقَلْتُ : يَا غَلَامُ ؛ أَتَقْرَأُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
قَلْتُ : اقْرَأْ ، فَإِذَا فِيهِ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، مِنْ عَمْرٍو ابْنِ هِنْدٍ ، إِلَى الْمُكْعَبِرِ ، إِذَا
أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا مَعَ الْمُتَلَمِّسِ . . فَاقْطَعْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَادْفِنْهُ حَيًّا ، فَأَلْقَيْتُ
الصَّحِيفَةَ فِي النَّهْرِ ، وَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ ^(١) :

أَلْقَيْتُهَا بِالثُّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطِّ مُضَلَّلِ
رَضِيَتْ لَهَا لَمَّا رَأَيْتُ مِدَادَهَا يَجُولُ بِهِ التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلِ

وَقَلْتُ : يَا طْرَفَةُ ؛ مَعَكَ وَاللَّهِ مِثْلُهَا ، قَالَ : كَلَّا ، مَا كَانَ لِي كِتَابٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ
فِي عَقْرِ دَارِ قَوْمِي ، فَآتَى الْمُكْعَبِرَ ، فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَدَفَنَهُ حَيًّا .

يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْعَى بِنَفْسِهِ فِي حَيِّئِهَا وَيُغَرِّزُهَا ^(٢) .

(١) انظر «ديوان المتلمس الضبعي» (ص ٦٥ - ٦٧) .

(٢) انظر «مجمع الأمثال» (٢٦٧/٢ - ٢٧٠) .

طَالَ الْأَبْدُ عَلَى لُبْدٍ

يعنون: آخر نسور لقمان بن عاد، وكان قد عمّر عمر سبعه أنسر، وكان يأخذ فرخ النسر فيجعلهُ في جوبه في الجبل الذي هو في أصله، فيعيش الفرخ خمس مئة سنة أو أقل أو أكثر، فإذا مات.. أخذ آخر مكانه، حتى هلكت كلها إلا السابع، أخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه [لُبدًا]، وكان أطولها عمراً، فضربت العرب به المثل، فقالوا: طَالَ الْأَبْدُ عَلَى لُبْدٍ، قال الأعشى:

وَأَنْتَ الَّذِي أَلْهَيْتَ قَيْلًا بِكَاسِهِ وَلُقْمَانَ إِذْ خَيَّرْتَ لُقْمَانَ فِي الْعُمْرِ
لِنَفْسِكَ أَنْ تَخْتَارَ سَبْعَةَ أَنْسِرٍ إِذَا مَا مَضَى نَسْرٌ خَلَوْتَ إِلَى نَسْرِ
فَعُمِّرَ حَتَّى خَالَ أَنْ نُسُورَهُ خُلُودٌ وَهَلْ تَبْقَى النَّفُوسُ عَلَى الدَّهْرِ
فَعَاشَ لُقْمَانٌ - زَعَمُوا - ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَ مِئَةِ سَنَةٍ، قَالَ
النابعة^(١):

أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ
[من البسيط]

وقال لبيد^(٢):

وَلَقَدْ جَرَى لُبْدٌ فَأَذْرَكَ جَرِيَهُ رَبُّبُ الْأَمْنُونِ وَكَانَ غَيْرَ مُثَقِّلِ
لَمَّا رَأَى لُبْدُ النَّسُورَ تَطَايَرَتْ رَفَعَ الْقَوَادِمَ كَالْفَقِيرِ الْأَعْزَلِ
مِنْ تَحْتِهِ لُقْمَانٌ يَرْجُو نَهْضَهُ وَلَقَدْ يَرَى لُقْمَانُ إِلَّا يَأْتِلِي

قال أبو عبيدة: هو لقمان بن عاديا بن لجين بن عاد بن عوص بن إرم بن

(١) انظر «ديوان النابعة الذبياني» (ص ١٦)، وهو عجز بيت، والبيت بتمامه:

أَضَحَّتْ خَلَاءَ وَأَضَحَى أَهْلُهَا أَحْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

(٢) انظر «ديوان لبيد» رضي الله عنه (ص ٢٧٤ - ٢٧٥).

سام بن نوح ، كأنه جعل عادياً وعاداً اسمي رجلٍ ، والعرب تزعم أن لقمانَ
 خَيْرَ بَيْنَ بقاءِ سبعِ بعراتٍ سُمرٍ مِنْ أَظْفِ عُفْرِ فِي جَبَلٍ وَعِرٍ لَا يَمْسُهَا الْقَطْرُ ،
 وبَيْنَ بقاءِ سبعةِ أنسرٍ ، كلِّما هلكَ نسرٌ . . خلفَ بعدهُ نسرٌ ، فاستحقرَ الأبعادَ ،
 واختارَ النسورَ ، فلمَّا لم يبقَ غيرُ السابِعِ . . قالَ ابنُ أخٍ لَهُ : يا عمُّ ؛ ما بقي
 مِنْ عمركَ إِلَّا عمرٌ هَذَا ، فقالَ لقمانُ : هَذَا لُبْدٌ ولِبْدٌ بلسانِهِم : الدَّهْرُ ، فلمَّا
 انقضىَ عمرُ لُبْدٍ . . رآه لقمانُ واقِعاً ، فنادهُ : انهضْ لُبْدُ ، فذهبَ لينهضَ فلم
 يستطعَ ، فسقطَ وماتَ ، وماتَ لقمانُ معه ، فضربَ به المثلُ ، فقيلَ : طالَ
 الأبدُ على لُبْدٍ ، وأتىَ ألدُّ على لُبْدٍ^(١) .

أظنُّ ماءَكم هذا ماءَ عناقٍ

قالوا : كانَ مِنْ حديثِهِ : أن رجلاً بينا هو يستقي وبيتهُ تِلْقَاءَ وجهِهِ ، فنظرَ
 فإذا هوَ برجلٍ معانقٍ امرأتهُ يُقبِّلُها ، فأخذَ العصاَ وأقبلَ مسرعاً لا يَشْكُ فيما
 رأى ، فلمَّا رآتهُ امرأتهُ . . جعلتِ الرجلَ في خالفةِ البيتِ بينَ الخالفةِ والمتاعِ ،
 فنظرَ يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً ، وخرجَ فنظرَ في الأرضِ فلم يرَ شيئاً ، فكذَّبَ
 بصرَهُ ، فقالتِ المرأةُ كأنها تريه أنها قد استنكرتَ مِنْ أمرِهِ شيئاً : ما دهاك
 يا أبا فلانٍ ؟ أربكَ شيءٌ ؟ فكتمها الذي رأى ، ومضى لحاجتهِ .

فلمَّا كانَ في الوردِ الثاني . . قالتُ : يا أبا فلانٍ ؛ هل لك أن أكفيكَ
 السَّقِي وتودِّعَ اليومَ ؟ فإنِّي قد أشفقتُ عليك ، قالَ : نعم ، إن شئتِ ، فأقامَ
 في المنزلِ ، فانطلقتُ تسقي وتَحَيَّيتُ منه غفلةً ، فأخذتِ العصاَ ثمَّ أقبلتُ
 حتى تفلقَ بها رأسَهُ فشجَّتهُ ، فقالَ : ويلك ! ما لك وما دهاك ؟! قالتُ :
 وما دهاني يا فاسقُ ، أينَ المرأةُ التي كانتَ معكَ تعانقُها ؟! فقالَ : لا واللهِ
 ما كانتَ عندي امرأةٌ وما عانقتُ اليومَ امرأةً ، قالتُ : بلى ، أنا نظرتُ إليها

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٣٢٧/٢ - ٣٢٨) .

بعيني وأنا على الماء ، فتحالفها ، فلما أكثرت . . قال : إن تكوني صادقة . .
فإن ماءكم هذا ماء عناق .

يُضْرَبُ مثلاً في الدواهي ، قاله أبو عمرو ، وروى غيره : عَنَاقُ بفتح العين ،
وقال : العَنَاقُ والعَنَاقَةُ : الخَيْبَةُ ، وأنشد : [من الوافر]

سَرَى لَكَ بِالعَنَاقَةِ مِنْ سَعَادٍ خَيَالٌ فَأَجْتَنَى ثَمَرَ الْفُؤَادِ
وهما مستعاران للخيبة والأمر المظلم ؛ مِنْ عَنَاقِ الأَرْضِ ، ومنه قولهم :
لَقِيتُ مِنْهُ أذْنِي عَنَاقٍ ؛ لِأَنَّهْمَا مسودان ، ولا يفارقُهُمَا السوادُ^(١) .

عند الصباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السَّرَى

قال المُفَضَّلُ : إنَّ أَوَّلَ مَنْ قالَ ذَلِكَ : خالِدُ بنُ الوليدِ ؛ لَمَّا بعثَ إليه
أبو بكرٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهُما وهو باليمامةِ : أن سِرَّ إلى العراقِ ، فأرادَ
سلوكَ المفازةِ ، فقالَ لَهُ رافعُ الطائيُّ : قد سلكْتُها في الجاهليةِ ؛ هي خمسُ
للإبلِ الواردةِ ، ولا أَظُنُّكَ تَقْدِرُ عليها إلا أن تَحْمِلَ مِنَ الماءِ ، فاشتريَ مئةَ
شарفٍ ، فعَطَّسَها ، ثم سقاها الماءَ حتى رَوَيْتَ ، ثم كَتَبَها وكعمَ أفواهِها ،
ثم سلكَ المفازةَ ، حتى إذا مضى يومانِ وخافَ العطشَ على الناسِ والخيَلِ ،
وخشيَ أن يذهبَ ما في بطونِ الإبلِ . . نحرَ الإبلَ ، واستخرجَ ما في بطونِها
مِنَ الماءِ فسقى الناسَ والخيَلَ ، ومضى .

فلَمَّا كانَ في الليلةِ الرابعةِ . . قالَ رافعٌ : انظروا هل ترون سدرًا عظيمًا ؛
فإن رأيتُموها ، وإلا . . فهو الهلاكُ ، فنظرَ الناسُ ، فرأوا السدرَ ، فأخبروه ،
فكَبَّرَ وكَبَّرَ الناسُ ، ثم هجموا على الماءِ ، فقالَ خالِدٌ : [من مشطور الرجز]

لِللَّهِ دَرٌّ رَافِعٍ أَنِّي أَهْتَدَيْتُ

(١) في هامش نسخة الأصل : (عناق الأرض : دابة سوداء) ، وانظر «مجمع الأمثال» (٣٥٧/٢ - ٣٥٨) .

فَوَّزَ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سُوَى
 خَمْسًا إِذَا سَارَ بِهِ الْجَيْشُ بَكَى
 مَا سَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ إِنْسٌ يُرَى
 عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ الشَّرَى
 وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ الْكَرَى
 يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَحْتَمِلُ الْمَشَقَّةَ رَجَاءَ الرَّاحَةِ (١) .

عند جُهَيْنَةَ الْخَبْرِ الْبَقِينُ

قال هشام بن الكلبي : كان من حديثه : أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج ومعه رجل من جُهَيْنَةَ يُقالُ له : الأخنس بن كعب ، وكان الأخنس قد أحدث في قومه حدثاً ، فخرج هارباً ، فلقيه الحصين ، فقال له : مَنْ أنت ثكلتك أمك ؟ فقال له الأخنس : بل من أنت ثكلتك أمك ؟ فردد هذا القول حتى قال الأخنس : أنا الأخنس بن كعب ، فأخبرني من أنت ، وإلا . . . أنفذت قلبك بهذا السنان ، فقال له الحصين : أنا الحصين بن عمرو الكلابي ، ويُقال : بل هو الحصين بن سبيع الغطفاني ، فقال له الأخنس : فما الذي تريد ؟ قال : خرجت لما يخرج له الفتيان ، قال الأخنس : وأنا خرجت لمثل ذلك ، فقال له الحصين : هل لك أن نتعاقد ألا نلتقي أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه ؟ قال : نعم ، فتعاقدا على ذلك ، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه .

فلقيا رجلاً ، فسلباه ، فقال لهما : هل لكما أن تردا علي بعض ما أخذتما

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣٦٩/٢ - ٣٧٠) .

مَنِّي وأدلكُما على مغنمٍ؟ قالَا : نعم ، فقالَ : هَذَا رَجُلٌ مِّنْ لَّحْمٍ قَدْ قَدِمَ
مِنَ عِنْدِ بَعْضِ الْمُلُوكِ بِمَغْنَمٍ كَثِيرٍ ، وَهُوَ خَلْفِي فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَرَدًّا
عَلَيْهِ بَعْضَ مَالِهِ وَطَلِبَا اللَّخْمِيَّ ، فَوَجَدَاهُ نَازِلًا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَقَدَامَهُ طَعَامٌ
وَشَرَابٌ ، فَحَيَّاهُ وَحَيَّاهُمَا ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الطَّعَامَ ، فَكَّرَهُ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَنْزِلَ
قَبْلَ صَاحِبِهِ فَيَفْتِكَ بِهِ ، فَنَزَلَا جَمِيعًا ، فَأَكَلَا وَشَرَبَا مَعَ اللَّخْمِيِّ .

ثُمَّ إِنَّ الْأَخْنَسَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ ، فَرَجَعَ وَاللَّخْمِيُّ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ ،
فَقَالَ الْجَهَنِّيُّ - وَهُوَ الْأَخْنَسُ - وَسَلَّ سَيْفَهُ ؛ لِأَنَّ سَيْفَ صَاحِبِهِ كَانَ مَسْلُولًا :
وِيَحَكَ وَيَحَكَ !! فَتَكَتَ بِرَجْلٍ قَدْ تَحَرَّمْنَا بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، فَقَالَ : اقْعُدْ يَا أَخَا
جُهَيْنَةَ ، فَلِهَذَا وَشَبَّهِهِ خَرَجْنَا ، فَشَرَبَا سَاعَةً وَتَحَدَّثَا .

ثُمَّ إِنَّ الْحَصِينَ قَالَ : يَا أَخَا جُهَيْنَةَ ؛ أَتَدْرِي مَا [صَعْلَةٌ وَمَا صَعْلٌ] ؟ قَالَ
الْجُهَيْنِيُّ : هَذَا يَوْمٌ شَرِبَ وَأَكَلٍ ، فَسَكَتَ الْحَصِينُ ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّ الْجَهَنِّيَّ
قَدْ نَسِيَ مَا يُرَادُ بِهِ .. قَالَ : يَا أَخَا جُهَيْنَةَ : هَلْ أَنْتَ لِلطَّيْرِ زَاجِرٌ ، قَالَ :
وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مَا تَقُولُ هَذِهِ الْعُقَابُ الْكَاسِرُ ، قَالَ الْجَهَنِّيُّ : وَأَيْنَ تَرَاهَا ؟
قَالَ : هِيَ ذِهِ ، وَتَطَاوَلُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَوَضَعَ الْجَهَنِّيُّ بَادِرَةَ السَّيْفِ
فِي نَحْرِهِ فَقَالَ : أَنَا الزَّاجِرُ وَالنَّاحِرُ ، وَاحْتَوَى عَلَى مَتَاعِهِ وَمَتَاعِ اللَّخْمِيِّ ،
وَانصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ .

فَمَرَّ بِبَطْنَيْنِ مِّنْ قَيْسٍ يُقَالُ لَهُمَا : مَرَاخٌ وَأَنْمَارٌ ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةٍ تَنْشُدُ
الْحَصِينَ بْنَ سَبِيْعٍ ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا صَخْرَةُ امْرَأَةِ الْحَصِينِ ،
قَالَ : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَتْ كَذَبْتَ ، مَا مِثْلُكَ يَقْتُلُ مِثْلَهُ ، أَمَا لَوْلَمْ يَكُنِ الْحَيُّ
خَلُوءًا .. مَا تَكَلَّمْتَ بِهِذَا ، فَاَنْصَرَفَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَأَصْلَحَ أَمْرَهُمْ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ
فَوَقَفَ حَيْثُ يُسْمِعُهُمْ وَقَالَ :

[من الوافر]

وَكَمْ مِنْ ضَيْغَمٍ وَرَدَّ هَمُوسٍ أَبِي شِبْلَيْنِ مَسْكَنُهُ الْعَرِينُ

عَلَوْتُ بِيَاضَ مَفْرِقِهِ بِعَضْبٍ فَأَضْحَى فِي الْفَلَاةِ لَهُ سُكُونٌ
وَأَضَحَتْ عِرْسُهُ وَلَهَا عَلَيْهِ بُعِيدَ [هُدُوءٍ لَيْلَتَهَا رَنِينٌ] ^(١)
وَكَمْ مِنْ فَارِسٍ لَا تَزْدَرِيهِ إِذَا شَخَصَتْ لِمَوْقِعِهِ الْعُيُونُ
كَصَخْرَةٍ إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاحٍ وَأَنْمَارٍ وَعِلْمُهُمَا ظُنُونُ
تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ
فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنْهُ فَعِنْدِي لِصَاحِبِهِ الْبَيَانَ الْمُسْتَبِينُ
جُهَيْنَةَ مَعْشَرِي وَهُمْ مُلُوكٌ إِذَا طَلَبُوا الْمَعَالِي لَمْ يَهُونُوا

قال الأصمعي وابن الأعرابي: هو جفينة بالفاء، وكان عنده خبر رجل
مقتول، وفيه يقول الشاعر:

تُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلِّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُفَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ
قال: فسألوا جفينة، فأخبرهم خبر القاتل، وقال بعضهم: هو حفينة
بالحاء المهملة.

يُضْرَبُ فِي مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ حَقِيقَةً ^(١).

العاشية تُهَيِّجُ الْآبِيَةَ

يُقَالُ: عَشَوْتُ فِي مَعْنَى تَعَشَّيْتُ، وَغَدَوْتُ فِي مَعْنَى تَغَدَّيْتُ، وَرَجُلٌ
عَشِيَانٌ؛ أَي: مُتَعَشِّرٌ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: عَشِيَّ الرَّجُلُ، وَعَشِيَّتِ الْإِبِلُ
تَعَشَّى عَشَى؛ إِذَا تَعَشَّتْ، قَالَ أَبُو النَّجْمِ ^(٢):

[من مشطور الرجز]

يَعَشَّى إِذَا أَظْلَمَ عَنْ عَشَائِهِ

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٢/٢٧٠ - ٢٧٢).

(٢) انظر «ديوان أبي النجم العجلي» (ص ٦٧).

يقولُ : يَتَعَشَّى وقتَ الظلمةِ ، قالَ المُفضَّلُ : خرجَ السليكَ بنُ السلَكَةِ ، واسمُهُ الحارثُ بنُ عمرو بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميمٍ ، وكانَ أنكرَ العربِ وأشعرَهُم ، وكانتْ أمُّهُ أمةٌ سوداءَ ، وكانَ يُدعى سليكَ المقانِبِ ، وكانَ أدلَّ الناسِ بالأرضِ ، وأعداهُم على رجلِهِ ، لا تعلقُ به الخيلُ ، وكانَ يقولُ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ تُهيِّئُ ما شئتَ لِمَا شئتَ إذا شئتَ ، إنِّي لو كنتُ ضعيفاً . . لكنتُ عبداً ، ولو كنتُ امرأةً . . لكنتُ أمةً ، اللهمَّ ؛ إنِّي أعودُ بكَ مِنَ الخيبةِ ، فأما الهيبةُ . . فلا هيبةَ ؛ أي : لا أهابُ أحداً .

زعموا أنَّه خرجَ يريدُ أن يغيِّرَ في ناسٍ مِنْ أصحابِهِ ، فمرَّ على بني شيبانَ في ربيعٍ والناسُ مُخصبونَ في عشيةٍ فيها ضبابٌ ومطرٌ ، فإذا هوَ بيتٌ قد انفردَ مِنَ البيوتِ عظيمٍ وقد أمسى ، فقالَ لأصحابِهِ : كونوا بمكانٍ كذا وكذا حتى آتِيَ هذا البيتَ ، فلعلِّي أصيبُ خيراً أو آتيكم بطعامٍ ، فقالوا لهُ : افعلْ ، فانطلقَ إليه ، وجنَّ عليه الليلُ ، فإذا البيتُ بيتُ يزيدَ بنِ رويمِ الشيبانيِّ ، وإذا الشيخُ وامرأتهُ ببناءِ البيتِ ، فاحتالَ سليكَ حتى دخلَ البيتَ مِنْ مؤخرِهِ ، فلم يلبثُ أن أراحَ ابنُ الشيخِ بإبلِهِ في الليلِ ، فلمَّا رآه الشيخُ . . غضبَ وقالَ : هلا كنتَ عَشِيَّتَهَا ساعةً مِنَ الليلِ !! فقالَ ابنُهُ : إنَّها أبتِ العشاءَ ، فقالَ يزيدُ : إنَّ العاشيةَ [تهيِّجُ] الآبيةَ ، فأرسلَهَا مثلاً .

ثمَّ نفضَ الشيخُ ثوبَهُ في وجهِها ، فرجعتْ إلى مراتعِها ، وتبعَهَا الشيخُ حتى مالَتْ لأدنى روضةٍ ، فرتعتْ فيها ، وقعدَ الشيخُ عندها يَتَعَشَّى وقد خنَسَ وجهَهُ في ثوبِهِ مِنَ البردِ ، وتبعَهُ السليكَ [حينَ] رآه انطلقَ ، فلمَّا رآه مُغترّاً . . ضربَهُ مِنْ ورائِهِ بالسيفِ ، فأطارَ رأسَهُ ، وأطردَ إبلُهُ ، وقد بقي أصحابُ السليكَ وقد ساءَ ظنُّهُم وخافوا عليه ، فإذا به يطردُ الإبلَ فأطردوها معه ، فقالَ سليكَ في ذلكَ :

وَعَاشِيَةَ [رُخ] بِطَانٍ دَعَرْتُهَا بِصَوْتِ قَتِيلٍ وَسَطَهَا يَتَسَيِّفُ

أي : يُضْرَبُ بالسيفِ .

كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنٌ بُرِدٌ مُحَبَّرٌ إِذَا مَا أَتَاهُ صَارِحٌ مُتْلَهَفٌ
يريدُ بقوله : (لونٌ برِدٌ مُحَبَّرٌ) : طرائقُ الدِّمِ على القَتيلِ ، وبالصارحِ :
الباكي المُتَحَزِّنَ لَهُ .

فَبَاتَ لَهَا أَهْلٌ خَلَاءٌ فَنَاوَهُمُ وَمَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا
أي : لم يزجروا الطيرَ فيعلموا مِن جملتها : أُيْقِتِلَ هذا أو يَسَلَمُ .

وَبَاتُوا يَظُنُّونَ الظُّنُونَ وَصُحْبَتِي إِذَا مَا عَلَوْا نَشْرًا أَهَلُّوا وَأَوْجَفُوا
أي : حملوها على الوجيفِ ؛ وهو ضربٌ مِنَ السيرِ .

وَمَا نِلْتُهَا حَتَّى تَصْعَلَكُتْ حِقْبَةً وَكِدْتُ لِأَسْبَابِ الْمَنِيَّةِ أَعْرِفُ
أي : أصبرُ .

وَحَتَّى رَأَيْتُ الْجُوعَ بِالصَّيْفِ ضَرَّنِي إِذَا قُمْتُ يَغْشَانِي ظِلَالٌ فَأَسْدِفُ
خصَّ الصيفَ دونَ الشتاءِ ؛ لأنَّ بالصيفِ لا يكادُ يجوعُ أحدٌ ؛ لكثرة
اللبنِ ، فإذا جاعَ هو . . دلَّ على أَنَّهُ كَانَ لا يملكُ شيئاً ، وقولُهُ : (أسدِفُ)
يريدُ : أدورُ فأدخلُ في السدفةِ ؛ وهي الظلمةُ ؛ يعني : يظلمُ بصري مِنْ شدةِ
الجوعِ .

يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ افْتَقَرَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ ، فخرَجَ على رجليه رجاءً
أن يصيبَ غرةً مِنْ بعضِ مَنْ يمرُّ عليه فيذهبُ بإبلِهِ ، حتَّى إذا أمسى في ليلةٍ
مِنْ ليالي الشتاءِ باردةٍ مغمرةٍ . . اشتمَلَ الصَّمَاءَ ؛ وهو أن يَرُدَّ فضلَ ثوبِهِ على
عضدِهِ اليمنى ثمَّ ينامَ عليها ، فيبينا هو نائمٌ . . إذ جثمَ عليه رجلٌ ، فقالَ لَهُ :
استأسرْ ، فرفعَ سليكُ رأسَهُ وقالَ : الليلُ طويلٌ وأنتَ مغمرٌ ، فذهبَ قولُهُ
مثلاً ، ثمَّ جعلَ الرجلُ يلهزُهُ ويقولُ : يا خبيثُ ؛ استأسرْ ، فلَمَّا آذاهُ . . أخرجَ

سليكَ يدهُ فضمَّ الرجلَ ضمَّةً ضرطَ منها ، فقالَ : أضرطاً وأنتَ الأعلى ؟
فذهبتُ مثلاً ، وقد ذكرتهُ في بابِ الضادِ .

ثمَّ قالَ لهُ سليكَ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أنا رجلٌ افتقرتُ ، فقلتُ لأخرجنَّ
فلا أرجعُ حتى أستغنيَ ، قالَ : فانطلقْ معي ، فانطلقا ، حتى وجدا رجلاً
قصتهُ مثلُ قصتِهِما ، فاصطحبوا جميعاً ، حتى أتوا الجوفَ جوفَ مرادٍ الذي
باليمنِ ، إذا نَعَمَ قد ملأَ كلَّ شيءٍ مِنْ كثرتهِ ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضَهَا
فيلحقُهُم الحيُّ ، فقالَ لَهُما سليكَ : كونا قريباً حتى آتِيَ الرعاءُ ، فأعلمَ لكما
علمَ الحيِّ أقربُ هم أم بعيدُ ، فإن كانوا قريباً . . رجعتُ إليكما ، وإن كانوا
بعيداً . . قلتُ لكما قولاً أجيءُ بهُ لكما فأغيروا .

فانطلقَ ، حتى أتى الرعاءَ فلم يزلُ يتسَقَطُهُم حتى أخبروهُ بمكانِ الحيِّ ،
فإذا هم بعيدُ ، إن طلبوا . . لم يدركوا ، فقالَ السليكَ : ألا أغنيكُم ؟ قالوا :
بلى ، فتغنيتُ بأعلى صوتِهِ :

يَا صَاحِبَيَّ أَلَا لَاحِيَّ بِالوَادِي
إِلَّا عَبيدُ وَا مَ بَينَ أذوَدي
أَتُنظِرَني قَليلاً رَيتُ غَفَلَتِهِم
أَمْ تَغدُونَ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلغَادِي
الوأمُ : الوفاقُ والمباهاةُ^(١) ، فلمَّا سمعا ذلكَ . . أتياهُ ، فأطردوا الإبلَ ،
فذهبوا بها ، ولم يبلغِ الصرِيخُ الحيَّ حتى مضوا بما معهم^(٢) .

في بيتِهِ يُوتَى الحكمُ

هَذَا مِمَّا زَعَمَتِ العَرَبُ عَن ألسِنِ البهائمِ ؛ قالوا : إِنَّ الأرنَبَ التَّقَطَّتْ

(١) لعل شرح الكلمة سبق قلم ؛ لأن المراد : (الأم) جمع (أمة) وهي المملوكة خلاف الحرة ، كما في
« لسان العرب » (٤٥/١٤) ، لا كما شرحه المؤلف رحمه الله تعالى .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٣٨١/٢ - ٣٨٤) .

تمرّة ، فاخْتَلَسَهَا الثعلبُ فأكلَهَا ، وانطلقا يختصمانِ إلى الضَّبِّ ، فقالتِ الأرنَبُ : يا [أبا] الحَسِلُ ؛ فقالَ : سميعاً دعوتِ ، قالتَ : أتيناكَ لنختصمَ إليك ، قالَ : عادلاً حَكَمْتُما ، قالتَ : فاخرجِ إلينا ، قالَ : في بيتِهِ يُؤتى الحَكَمُ ، قالتَ : إنِّي وجدتُ تمرّةً ، قالَ : حلوةٌ فكليها ، قالتَ : فاخْتَلَسَهَا الثعلبُ : قالَ : لنفسِهِ بغى الخيرِ ، قالتَ : فلطمْتُهُ ، قالَ : بحقِّكِ أخذتِ ، قالتَ : فلطمَني ، قالَ : حرٌّ انتصرَ ، قالتَ : فاقضِ بيننا ، قالَ : قد قضيتُ ، فذهبتُ أقوالُهُ كُلُّها أمثالاً .

قلتُ^(١) : وممّا يشبهُ هذا ما حُكيَ : أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ لَمَّا توجّهَ مِنَ الحجازِ إلى أطرافِ العراقِ . . دخلَ عليه عبدُ المسيحِ بنُ عمرو بنِ نفيلةَ ، فقالَ لَهُ خالدٌ : أينَ أقصَى أثركَ ؟ قالَ : ظهرُ أبي ، قالَ : مِنْ أينَ خرجتَ ؟ قالَ : مِنْ بطنِ أُمِّي ، قالَ : علامَ أنتَ ؟ قالَ : على الأرضِ ، قالَ : فيمَ أنتَ ؟ قالَ : في ثيابي ، قالَ : فمِنْ أينَ أقبلتَ ؟ قالَ : مِنْ خلفي ، قالَ : أينَ تريدُ ؟ قالَ : أمامي ، قالَ : ابنُ كمَ أنتَ ؟ قالَ : ابنُ رجلٍ واحدٍ ، قالَ : أتعقلُ أنتَ ، قالَ : نعم ، وأقيدُ ، قالَ أحربُ أنتَ أم سلمٍ ؟ قالَ : سلمٌ ، قالَ : فما بالُ هذهِ الحصونِ ؟ قالَ : بنيناها لسفيهٍ حتى يجيءَ حليمٌ فينهاهُ .

ومثلُ هذا : أنَّ عديَّ بنَ أرطاةَ أتى إياسَ بنَ معاويةَ قاضيَ البصرةَ في مجلسِ حكمِهِ وعديُّ أميرُ البصرةَ ، وكانَ أعرابيَّ الطبعِ ، فقالَ : [لإياسِ] يا هناه ؛ أينَ أنتَ ؟ قالَ : بينك وبينَ الحائطِ ، قالَ : فاسمعِ مِنِّي ، قالَ : للاستماعِ جلستُ ، قالَ : إنِّي تزوّجتُ امرأةً ، قالَ : بالرفاءِ والبنينِ ، قالَ : وشرطتُ لأهلها ألا أخرجها مِنْ بينهم ، قالَ : أوفِ لَهُم بالشرطِ ، قالَ : فأنا أريدُ الخروجَ ، قالَ : في حفظِ اللهِ ، قالَ : فاقضِ بيننا ، قالَ : قد فعلتُ ، قالَ :

(١) القائل : هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

فعلی مَنْ حکمتَ ؟ قالَ : علی ابنِ أخی عمِّک ، قالَ : بشهادةِ مَنْ ؟ قالَ :
بشهادةِ ابنِ أختِ خالتک^(١) .

في سبيلِ اللهِ سرجي وبغلي

أولُ مَنْ قالَ ذلكَ : المقدمُ بنُ عاطفِ العجليّ ، وكانَ قد وفدَ علی كسرى
فأكرمه ، فلمّا أرادَ الانصرافَ .. حملهُ علی بغلٍ مُسرجٍ مِنْ مراكبِهِ ، فلمّا
وصلَ إلى قومِهِ .. قالوا : ما هذا الذي أتيتنا بِهِ ؟ فأنشأ يقولُ : [من الوافر]

أَتَيْتُكُمْ بِبَغْلٍ ذِي مَرَاكِحٍ أَقْبَ حَمُولَةَ الْمَلِكِ الْهُمَامِ
يَجُولُ [إِذَا] حَمَلَتْ عَلَيْهِ سَرْجًا كَمَا جَالَ الْمَفْدَحُ ذُو اللَّجَامِ
وَمَا يَزْدَادُ إِلَّا فَضْلَ جَرِي إِذَا مَا مَسَّهُ عَرَقُ الْجِرَامِ
وَلَيْسَتْ أُمُّهُ مِنْهُ وَمَا إِنَّ أَبُوهُ مِنَ الْمُسَوِّمَةِ الْكِرَامِ
لَهُ أُمَّ مُفَدَّحَةٌ صَفْوُونٌ وَكَانَ أَبُوهُ ذَا دَبْرِ دَوَامِي

وكانَ يروضُهُ رياضةَ الخيلِ ، فرمحه رمحةً كسرَ بها شراسيفهُ ، فمرضَ مِنْ
ذلكَ برهَةً ، وأمرَ بالبغلِ ، فحملَ عليه الكورُ وأمتعهُ الحيّ ولم يُعلَفْ ، فنفقَ
البغلُ ، وبرئَ المقدمُ مِنْ مرضِهِ ، فركبَ إلى الصيدِ ، وحملَ السرجَ علی ناقةٍ
لَهُ علوقٌ ، فلمّا ركبها ومسّها وقعَ الركابينِ .. هوتَ بِهِ قيدَ رمحينِ ، وطارتَ
به في الأرضِ ، فلم يقدِرْ عليها ، وتقطّعَ السرجُ ، فقالَ المقدمُ : [من الرمل]

نَفَقَ الْبَغْلُ وَأُودِيَ سَرْجُنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَرْجِي وَبَغْلِي^(٢)
يُضْرَبُ فِي التَّسْلِيِّ عَمَّا يَهْلِكُ وَيُودِي بِهِ الزَّمَانُ^(٣) .

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٥١٠/٢ - ٥١١) .

(٢) في «تاج العروس» (٤٣١/٢٦) ، مادة: (ن ف ق) ، وفيه : (وَبَغْلٌ) بدل (وَبَغْلِي) .

(٣) انظر «مجمع الأمثال» (٥١٨/٢ - ٥١٩) .

قد حيل بين العير والنزوان

أول من قال ذلك : صخر بن عمرو أخو الخنساء ، قال ثعلب : غزا صخر بن عمرو بني أسد بن خزيمة ، فاكتسح إبلهم ، فجاءهم الصريخ ، فركبوا ، فالتقوا بذات الأثل ، فطعن أبو ثور الأسدي صخرأ طعنة في جنبه ، وأفلت الخيل فلم يقعض مكانه ، وجوى منها ، فمرض حولا حتى مله أهله ، فسمع امرأة تقول لامرأته سلمى : كيف بعلك ؟ فقالت : لا حي فيرجى ، ولا ميت فينعى ، لقد لقينا منه الأمرين ، فقال صخر :

[من الطويل]

أرى أم صخر لا تمل عيادتي

وفي رواية أخرى : فمرض زمانا حتى ملته امرأته ، وكان يكرمها ، فمر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وإدراك ، فقال لها : يباع الكفل ؟ فقالت : نعم ، عما قليل ، وكان ذلك يسمعه صخر ، فقال : أما والله ؛ لئن قدزت .. لأقدمنك قبلي ، ثم قال لها : ناوليني السيف أنظر إليه : هل تقله يدي ، فناولته ، فإذا هو لا يقله ، فقال :

[من الطويل]

أرى أم صخر لا تمل عيادتي	وملت سلمي مضجعي ومكاني
فأي أمرئ ساوى بأم حليمة	فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهم بامر الحزم لو أستطيعه	وقد حيل بين العير والنزوان
وما كنت أخشى أن أكون جنازة	عليك ومن يغتر بالحديثان
فللموت خير من حياة كأنها	معرس يغسوب برأس سنان
لعمري لقد نبهت من كان نائما	وأسمعت من كانت له أذنان

قال أبو عبيدة : فلما طال به البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اللبد في موضع الطعنة .. قيل له : لو قطعتها .. لرجونا أن تبرأ ، فقال : شأنكم ،

وأشفق عليه قومٌ ، فنهوهُ ، فأبى ، فأخذوا شفرةً فقطعوا ذلكَ الموضعَ ، فيئسَ
مِنْ نَفْسِهِ وَقَالَ : [من الطويل]

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْحُثُوفَ تَنُوبُ عَلَى النَّاسِ كُلِّ الْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ
أَجَارَتَنَا إِنْ تَسْأَلِينِي فَإِنِّي مُقِيمٌ لَعَمْرِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ
كَأَنِّي وَقَدْ أَذْنُو لِحَزِّ شِفَارِهِمْ مِنْ الصَّبْرِ دَامِي الصَّفْحَتَيْنِ نَكِيبُ
ثُمَّ مَاتَ ، فَذُفِنَ إِلَى جَنْبِ عَسِيبٍ ؛ وَهُوَ جَبَلٌ يَقْرُبُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَقَبْرُهُ
مَعْلَمٌ هُنَاكَ (١)

قد أنصف القارة من رامها

القارة : قبيلةٌ ؛ وهُم عَضَلٌ وَالِدَيْشُ ابْنَا الْهُونِ بْنِ خَزِيمَةَ ، وَإِنَّمَا سُمُّوا
قَارَةً لِاجْتِمَاعِهِمْ وَالتَّفَافِهِمْ لَمَّا أَرَادَ الشَّدَاخُ أَنْ يُفَرِّقَهُمْ فِي بَنِي كِنَانَةَ ، فَقَالَ
شَاعِرُهُمْ : [من الوافر]

دَعَوْنَا قَارَةً لَا تَنْفِرُونَا فَنُجِفَلْ مِثْلَ إِجْفَالِ الظَّلِيمِ
وَهِيَ رِمَاءُ الْحَدَقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهُمُ الْيَوْمَ فِي الْيَمَنِ ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّ رَجُلَيْنِ
التَّقِيَا ؛ أَحَدُهُمَا قَارِيٌّ ، فَقَالَ الْقَارِيُّ : إِنْ شِئْتَ . . صَارَعْتُكَ ، وَإِنْ شِئْتَ . .
سَابَقْتُكَ ، وَإِنْ شِئْتَ . . رَامَيْتُكَ ، فَقَالَ الْآخَرُ : قَدْ اخْتَرْتُ الْمِرَامَةَ ، فَقَالَ
الْقَارِيُّ : قَدْ أَنْصَفْتَنِي ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ : [من مشطور الرجز]

قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا
إِنَّا إِذَا مَا فِئَّةٌ نَلَقَاهَا
تَرُدُّ أَوْلَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٥٥٨/٢ - ٥٥٩) .

ثُمَّ انْتَزَعَ لَهُ بِسَهْمٍ فَشَكَ بِه فَوَادَهُ .

قال أبو عبيدٍ : (أصلُ القارةِ : الأكمةُ ، وجمعُها : قورٌ ، قال ابنُ [واقدٍ] :
وإنما قيلَ : « أنصفَ القارةَ مَنْ رامَها » في حربٍ كانتَ بينَ قريشٍ وبينَ
بكرِ بنِ عبدِ [مناةَ] بنِ كنانةَ ، قالَ : وكانتِ القارةُ معَ قريشٍ ، وهُم قومُ
رماةٍ ، فلَمَّا التقى الفريقانِ . . رامَهُمُ الآخرونَ ، فقيلَ : قد أنصفَهُم هؤلاءُ
إذ ساوَوْهُم في العملِ الذي هو شأنُهُم وصناعتُهُم ، وفي بعضِ الآثارِ : ألا
أخبرُكم بأعدلِ الناسِ ؟ قيلَ : بلى ، قالَ : مَنْ أنصفَ مِنْ نَفْسِهِ ، وفي بعضِها
أيضاً : أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ : إنصافُ الناسِ مِنْ نَفْسِكَ ، والمواساةُ بالمالِ ،
وذكرُ اللهِ تعالى على كلِّ حالٍ (١) .

قد قيلَ ذلكَ إن حقاً وإن كذباً

قالوا : إن أوَّلَ مَنْ قالَ ذلكَ : النعمانُ بنُ المنذرِ اللخميُّ للربيعِ بنِ زيادِ
العبيسيِّ ، وكانَ لَهُ صديقاً ونديماً ، وإنَّ عامراً ملاعبَ الأسنَةِ وعوفَ بنَ
الأحوصِ وسهيلَ بنَ مالكٍ ولبيدَ بنَ ربيعةَ ، وشماساً الفزاريَّ ، وقلابةَ
الأسديِّ . . قدموا على النعمانِ ، وخَلَفُوا لبيداً يراعي إبلَهُم ، وكانَ أحدثُهُم
سنّاً ، وجعلوا يغدونَ إلى النعمانِ ويروحونَ ، فأكرمَهُم وأحسنَ نزلَهُم ، غيرَ
أنَّ الربيعَ كانَ أعظمَ عندهُ قدراً .

فبينما هُم ذاتَ يومٍ عندَ النعمانِ . . إذ رجَزَ بِهِمُ الربيعُ وعابَهُم ، وذكرَهُم
بأقبحِ ما قدَرَ عليه ، فلَمَّا سمعَ القومُ ذلكَ . . انصرفوا إلى رحالِهِم وكلُّ
إنسانٍ منهم مُقبلٌ على بَتِّهِ ، ورَوَّحَ لبيدٌ [الشَّوْلُ] ، فلَمَّا رأى أصحابَهُ وما
بِهِم مِنَ الكآبةِ . . سألهُم : ما لكم ؟ فكتموهُ ، فقالَ لَهُم : واللهِ ! لا أحفظُ

(١) الأمثال (ص ١٣٧) للقاسم بن سلام ، وانظر «مجمع الأمثال» (٥٦٥/٢ - ٥٦٦) .

لَكُمْ مَتَاعاً ، وَلَا أُسْرِخْ لَكُمْ إِلَّا أَوْ تَخْبِرُونِي بِالَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ ، وَإِنَّمَا كُتِمُوا عَنْهُ ؛ لِأَنَّ أُمَّ لَبِيدٍ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبَسٍ ، وَكَانَتْ يَتِيمَةً فِي حَجْرِ الرَّبِيعِ ، فَقَالُوا : خَالَكَ قَدْ غَلَبَنَا عَلَى الْمَلِكِ ، وَصَدَّ بَوَاجِهِ عَنَّا ، فَقَالَ لَبِيدٌ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَكْفِينِي الْإِبِلَ وَتَدْخُلُونَنِي عَلَى النِّعْمَانِ مَعَكُمْ ، فَوَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ؛ لِأَدْعَنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَبَدًا .

فَحَلَّفُوا فِي إِبِلِهِمْ قَلَابَةَ الْأَسَدِيِّ ، وَقَالُوا لِلْبِيدِ : أَوْعِنْدَكَ خَيْرٌ ؟ قَالَ : سَتَرُونَ ، قَالُوا : إِنَّا نَبْلُوكَ فِي هَذِهِ الْبَقْلَةِ - لِبَقْلَةٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ دَقِيقَةَ الْأَغْصَانِ ، قَلِيلَةَ الْأَوْرَاقِ ، لِاصْصِقِ بِالْأَرْضِ ، تُدْعَى التَّرْبَةُ - صَفْهَا لَنَا وَاشْتُمِّهَا ، فَقَالَ : هَذِهِ التَّرْبَةُ الَّتِي لَا تَذُكِي نَارًا ، وَلَا تُؤْهِلُ دَارًا ، وَلَا تَسُرُّ جَارًا ، عَوْدُهَا ضَيْئِلٌ ، وَفِرْعُهَا كَلِيلٌ ، وَخَيْرُهَا قَلِيلٌ ، شَرُّ الْبَقُولِ مَرْعَى ، وَأَقْصَرُهَا فِرْعَاءٌ ، فَتَعَسَّأَ لَهَا وَجَدْعَاءٌ ، الْقَوَا بِي أَخَا عَبَسٍ . . أَرَدُّهُ عَنْكُمْ بِتَعَسٍ ، وَأَدْعُهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي لَبْسٍ ، قَالُوا : نَصْبِحُ فَنَرَى رَأْيَنَا .

فَقَالَ لَهُمْ عَامِرٌ : انظُرُوا هَذَا الْغَلَامَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ نَائِمًا . . فَلَيْسَ أَمْرُهُ بِشَيْءٍ ، إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِهِ ، وَيَهْذِي بِمَا يَهْجَسُ فِي خَاطِرِهِ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ سَاهِرًا . . فَهُوَ صَاحِبُكُمْ ، فَرَمَقُوهُ ، فَرَأَوْهُ قَدْ رَكِبَ رَحْلًا حَتَّى أَصْبَحَ .

فَخَرَجَ الْقَوْمُ وَهُوَ مَعَهُمْ ، حَتَّى دَخَلُوا عَلَى النِّعْمَانِ وَهُوَ يَتَغَدَّى وَالرَّبِيعُ يَأْكُلُ مَعَهُ ، فَقَالَ لَبِيدٌ : أَيْبِتَ اللَّعْنَ ، أَتَأْذُنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ فَأَذَنَ لَهُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

[من مشطور الرجز]

يَا رَبِّ هَيْجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا
أَكُلُّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعَةً
نَحْنُ بَنُو أُمَّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةَ

وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ
 الْمُطْعِمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ
 وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَةَ
 يَا وَاهِبَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ سَعَةِ
 إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مَسْبَعَةَ
 نُخْبِرُ عَنْ هَذَا خَبيراً فَأَسْمَعَهُ
 مَهلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ
 إِنَّ أَسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ [مُلَمَّعَهُ]
 وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِضْبَعَهُ
 يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ
 كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئاً أَطْمَعَهُ

ويروى : (ضَيْعَهُ) ، فلما سمع النعمان الشعر . . أفف ورفع يده من الطعام ،
 وقال للربيع : أكذاك أنت ؟! قال : لا واللآت ، لقد كذب ابنُ الفاعلة ، قال
 النعمان : لقد خبئت عليّ طعامي ، فغضب الربيع وقام وهو يقول : [من البسيط]
 لئن رحلت ركبتي إن لي سعةً ما مثلها سعةً عرضاً ولا طولاً
 ولو جمعت بني لحمٍ بأسرهم ما وازنوا ريشةً من ريش سمويلاً
 فأبرق بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطاسي طوراً وأبن توفيلاً
 وقال : لا أبرح أرضك حتى تبعك إليّ من يفتشني فتعلم أن الغلام
 كاذبٌ ، فأجابهُ النعمان :
 [من البسيط]

شرّد برحلك عني حيث شئت ولا تُكثِر عليّ ودع عنك الأباطيلاً

فَقَدْ رَمَيْتِ بِدَاءِ لَسْتِ غَاسِلَهُ مَا جَاوَزَ النَّيْلَ يَوْمًا أَهْلُ إِبْلِيلَا
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا أَعْتَدَارُكَ عَنْ شَيْءٍ إِذَا قِيَلَا

قَوْلُهُ: (بنو أم البنين الأربعة) هم خمسة: مالك بن جعفر ملاعب
الأسنة، وطفيل بن مالك أبو عامر بن الطفيل، وربيع بن مالك، وعبيدة بن
مالك، ومعاوية بن مالك، وهم أشراف بني عامر، فجعلهم أربعة لأجل
القافية .

وَسَمَوِيْلُ: أَحَدُ أَجْدَادِ الرَّبِيعِ؛ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ اسْمُ طَائِرٍ، وَأَرَادَ
بِالطَّيَاسِيِّ: رُومِيًّا يُقَالُ لَهُ: سَرْحُونٌ، وَابْنُ تَوْفِيلٍ: رُومِيٌّ آخَرٌ، كَانَا يَنَادِمَانِ
النَّعْمَانَ^(١) .

كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ

يُضْرَبُ فِي عَجَبِ الرَّجُلِ بَرَهْطُهُ وَعَشِيرَتِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:
العجفاء بنت علقمة السعدي؛ وذلك أنها وثلاث نسوة من قومها خرجن،
فاتعدن بروضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلاً في قمر زاهر، وليلة طلقة
ساكنة، [وروضة]^(٢) معشبة خصبة، فلما جلسن.. قلن: ما رأينا كالليلة
ليلة، ولا كهذه الروضة روضة، أطيّب ريحاً ولا أنضر، ثم أفضن في
الحديث، فقلن: أيّ النساء أفضل؟

قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: الْخَرُودُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ .

قَالَتِ الْأُخْرَى: خَيْرُهُنَّ ذَاتُ الْغَنَاءِ، وَطَيِّبُ الشَّنَاءِ، وَشَدَّةُ الْحَيَاءِ .

قَالَتِ الثَّلَاثَةُ: خَيْرُهُنَّ السَّمُوعُ الْجَمُوعُ النَّفُوعُ غَيْرُ الْمَنُوعِ .

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٢/٥٧٠ - ٥٧٢) .

(٢) في الأصل: (ورضة) .

قَالَتِ الرَّابِعَةُ : خَيْرُهُنَّ الْجَامِعَةُ لِأَهْلِهَا الْوَادِعَةُ ، الرَّافِعَةُ لَا الْوَاضِعَةُ .

قَلَنْ : فَأَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ ؟

قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : خَيْرُهُمُ الْحَظِيُّ الرَّضِيُّ ، غَيْرُ الْحِظَالِ وَلَا التَّبَالِ .

قَالَتِ الثَّانِيَةُ : خَيْرُهُمُ السَّيِّدُ الْكَرِيمُ ، ذُو الْحَسَبِ الْعَمِيمِ ، وَالْمَجْدِ الْقَدِيمِ .

قَالَتِ الثَّلَاثَةُ : خَيْرُهُمُ السَّخِيُّ الْوَفِيُّ الرَّضِيُّ ، الَّذِي لَا يُغَيِّرُ الْحَرَّةَ ، وَلَا يَتَّخِذُ الضَّرَّةَ .

قَالَتِ الرَّابِعَةُ : وَأَبْيَكُنَّ ؛ إِنَّ فِي أَبِي لِنَعْتَكُنَّ ؛ كَرَمُ الْأَخْلَاقِ وَالصَّدْقُ عِنْدَ التَّلَاقِ ، وَالْفَلَجُ عِنْدَ السَّبَاقِ ، وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ الرِّفَاقِ ، قَالَتِ [الْعَجْفَاءُ] عِنْدَ ذَلِكَ : كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ .

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : أَنَّ إِحْدَاهُنَّ قَالَتْ : إِنَّ أَبِي يُكْرِمُ الْجَارَ ، وَيَعْظُمُ النَّارَ ، وَيَنْحُرُ الْعِشَارَ بَعْدَ الْحَوَارِ ، وَيَحْمَلُ الْأُمُورَ الْكِبَارَ .

فَقَالَتِ الثَّانِيَةُ : إِنَّ أَبِي عَظِيمُ الْخَطَرِ ، مَنِيعُ الْوَزْرِ ، عَزِيزُ النَّفْرِ ، يُحْمَدُ مِنْهُ الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ .

فَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ : إِنَّ أَبِي صَدُوقُ اللِّسَانِ ، كَثِيرُ الْأَعْوَانِ ، يَرُوي السِّنَانَ عِنْدَ الطَّعَانِ .

قَالَتِ الرَّابِعَةُ : إِنَّ أَبِي كَرِيمُ النِّزَالِ ، مَنِيفُ الْمَقَالِ ، كَثِيرُ النِّوَالِ ، قَلِيلُ السُّؤَالِ ، كَرِيمُ الْفَعَالِ .

ثُمَّ تَنَافَزْنَ إِلَى كَاهِنَةٍ مَعَهُنَّ فِي الْحَيِّ ، فَقَلْنَ لَهَا : اسْمَعِي مَا قَلْنَا ، وَاحْكَمِي بَيْنَنَا ، وَاعْدَلِي ، ثُمَّ أَعَدْنَ عَلَيْهَا قَوْلَهُنَّ ، فَقَالَتْ لِهِنَّ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ مَارِدَةٌ عَلَى الْإِحْسَانِ جَاهِدَةٌ ، لَصُوَابِحَاتِهَا حَاسِدَةٌ ، وَلَكِنْ اسْمَعْنَ قَوْلِي : خَيْرُ النِّسَاءِ الْمَبْقِيَةُ عَلَى بَعْلِهَا ، الصَّابِرَةُ عَلَى الضَّرَائِ مَخَافَةَ أَنْ تَرْجَعَ

إلى أهلها مطلقاً ، فهي تؤثر حظَّ زوجها على حظِّ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير الرجال الجوادُّ البطل ، القليلُ الفشل ، إذا سأله الرجل . . ألفاه قليل العليل ، كثير النفل ، ثمَّ قالت : كلُّ واحدةٍ منكنَّ بأبيها معجبةٌ ^(١) .

كلُّ شاةٍ برجلها مُعلَّقةٌ

قال ابنُ الكلبيِّ : أوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : وكيعُ بنُ سلمةَ بنِ زهيرِ بنِ إيادٍ ، وكان وليَّ أمرِ البيتِ بعدَ جُزهمَ ، فبنى صرحاً بأسفلِ مكةَ عندَ سوقِ الخيَّاطينَ اليومَ ، وجعلَ فيه أمةً يُقالُ لها : [حَزْوَرَةٌ] ، وبها سُمِّيَتْ [حَزْوَرَةٌ] مكةَ ، وجعلَ في الصَّرحِ سُلماً ، فكان يرقاهُ ويزعمُ أنَّه يناجي اللهَ تعالى ، وكانَ يَنطِقُ بكثيرٍ مِنَ الخيرِ ، وكانَ علماءُ العربِ يزعمونَ أنَّه صِدِّيقٌ مِنَ الصِّدِّيقينَ ، وكانَ مِنْ قَوْلِهِ : مرضعةٌ أو فاطمةٌ ، ووادعةٌ وقاصمةٌ ، والقطيعةُ والفجيعةُ ، وصلةُ الرحمِ وحسنُ الكلمِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : زَعَمَ رَبُّكُمْ لِيَجْزِينَ بِالْخَيْرِ ثَوَاباً ، وبالشَّرِّ عِقَاباً ؛ إِنْ مَنْ فِي الْأَرْضِ عَيْدٌ لِمَنْ فِي السَّمَاءِ ، هَلَكْتَ جُزْهُمُ وَرَبَلْتَ [إيادٌ] ، وكذلك الصِّلاحُ والفسادُ .

فلَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ . . جمعَ إياداً ، فقالَ لَهُمْ : اسمعوا وصيَّتي ؛ الكلامُ كلمتانِ ، والأمرُ بعدَ البيانِ ، مَنْ رَشِدَ . . فاتبعوه ، وَمَنْ غَوَى . . فافرضوه ، وكلُّ شاةٍ برجلها مُعلَّقةٌ ، فأرسلها مثلاً ، قالَ : وماتَ وكيعٌ ، فَنُعِيَ على الجبالِ ، وفيه يقولُ بشيرُ بنُ الحجيرِ الإياديِّ :

وَنَحْنُ إِيَادٌ عِبَادُ الْإِلَهِ وَرَهْطُ مُنَاجِيهِ فِي سُلْمِ
وَنَحْنُ وُلاةُ حِجَابِ الْعَتِيقِ زَمَانَ النُّخَاعِ عَلَى جُزْهِمِ

(١) انظر «مجمع الأمثال» (١٣/٣ - ١٥) .

يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ سَلَطَ عَلَى جِرْهَمَ دَاءً يُقَالُ لَهُ : النَّخَاعُ ، فَهَلَكَ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ
 كَهَلًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ سِوَى الشَّبَانِ ، وَفِيهِمْ قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : [مِنْ الْخَفِيفِ]
 هَلَكْتَ جُرْهُمُ الْكِرَامِ فِعَالًا وَوَلَاةُ الْبَنِيَّةِ الْحُجَّابُ
 نَخِعُوا لَيْلَةً ثَمَانُونَ كَهَلًا وَشَبَابًا كَفَى بِهِمْ مِنْ شَبَابٍ^(١)

كَيْفَ أَعَاوَدُكَ وَهَذَا أَثْرُ فَأْسِكَ

أَصْلُ هَذَا الْمَثَلِ عَلَى مَا حَكَتُهُ الْعَرَبُ عَلَى لِسَانِ الْحَيَّةِ : أَنَّ أَخْوَيْنِ كَانَا
 فِي إِبِلٍ لَهُمَا ، فَأَجْدَبَتْ بِلَادُهُمَا ، وَكَانَ بِالْقَرْبِ مِنْهُمَا وَادٍ خَصِيبٌ ، وَفِيهِ
 حَيَّةٌ تَحْمِيهِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : يَا فُلَانُ ؛ لَوْ أَتَيْتُ هَذَا
 الْوَادِيَّ الْمَكْلِيَّ فَرَعَيْتُ فِيهِ إِبِلِي وَأَصْلَحْتُهَا ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ : إِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكَ الْحَيَّةَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَهْبِطُ ذَلِكَ الْوَادِيَّ إِلَّا أَهْلَكَتُهُ ؟! قَالَ :
 فَوَاللَّهِ ؛ لَأَفْعَلَنَّ ، فَهَبِطَ الْوَادِيَّ ، وَرَعَى بِهِ إِبِلَهُ زَمَانًا ، ثُمَّ إِنَّ الْحَيَّةَ نَهَشَتْهُ
 فَقَتَلَتْهُ ، فَقَالَ أَخُوهُ : وَاللَّهِ ؛ مَا فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ أَحِي خَيْرٌ ، فَلَأَطْلُبَنَّ الْحَيَّةَ
 وَلَأَقْتَلَنَّهَا ، أَوْ لَأَتَّبِعَنَّ أَحِي .

فَهَبِطَ ذَلِكَ الْوَادِيَّ ، وَطَلَبَ الْحَيَّةَ لِيَقْتُلَهَا ، فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لَهُ : أَلَسْتَ تَرَى
 أَنِّي قَتَلْتُ أَخَاكَ ، فَهَلْ لَكَ فِي الصُّلْحِ فَأَدَعَكَ بِهَذَا الْوَادِي تَكُونَ فِيهِ وَأَعْطِيكَ
 كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًا مَا بَقِيَتْ ؟ قَالَ : أَوْفَاعِلَةٌ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : إِنِّي أَفْعَلُ ،
 فَحَلَفَ لَهَا ، وَأَعْطَاهَا الْمَوَاقِيقَ لَا يَضُرُّهَا ، وَجَعَلَتْ تَعْطِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًا ،
 فَكَثُرَ مَالُهُ ، حَتَّى صَارَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ حَالًا .

ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ أَخَاهُ ، فَقَالَ : كَيْفَ يَنْفَعُنِي الْعَيْشُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ
 أَحِي ، فَعَمَدَ إِلَى فَأْسٍ فَأَخَذَهَا ، ثُمَّ قَعَدَ لَهَا ، فَمَرَّتْ بِهِ ، فَتَبَعَهَا ، فَضْرَبَهَا ،

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣٠/٣ - ٣١) .

فأخطأها ، ودخلت الجحر ، ووقعت الفأسُ بالجبلِ فوق جحرها فأثرت فيه ،
 فلما رأث ما فعل . . قطعت عنه الدينار ، فخاف الرجلُ شرَّها وندم ، فقال
 لها : هل لك في أن نتواتق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقالت : كيف أعاودك
 وهذا أثرُ فأسِك ؟!

يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَفِي بِالْعَهْدِ ، وَهَذَا مِنْ مَشَاهِيرِ أَمْثَالِ الْعَرَبِ ، قَالَ
 نَابِغَةُ بَنِي ذُبْيَانَ (١) :

وَإِنِّي لَأَلْقَى مِنْ ذَوِي الْغَيِّ مِنْهُمْ وَمَا أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنْ أَلَشْجُو سَاهِرَةَ
 كَمَا لَقَيْتِ ذَاتَ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا وَكَانَتْ تُرِيهِ أَلْمَالَ غِبًّا وَظَاهِرَةَ
 فَلَمَّا رَأَى أَنْ تَمَرَ اللَّهُ مَالَهُ وَأَثَلَ مَوْجُوداً وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ
 أَكَبَّ عَلَيَّ فَأَسِ يَحُدُّ غُرَابَهَا مُذَكَّرَةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بَاتِرَهُ
 فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرِ مُشِيدٍ لِيَقْتُلَهَا أَوْ تُحْطِئُ الْكَفَّ بَادِرَهُ
 فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ وَلِلشَّرِّ عَيْنٌ لَا تُغَمِّضُ نَاطِرَهُ
 فَقَالَ تَعَالَى نَجْعَلِ اللَّهُ بَيْنَنَا عَلَى مَا لَنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ
 فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنِّي رَأَيْتُكَ مَشْؤُوماً يَمِينُكَ فَاجِرَهُ
 أَبِي لِي [قَبْرٌ] لَا يَزَالُ مُقَابِلِي وَضَرْبَةَ فَأْسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ (٢)

كلاهما وتمرأ

ويروى : (كليهما) ، أوّل مَنْ قَالَ ذَلِكَ : عَمْرُو بْنُ حِمْرَانَ الْجَعْدِيُّ ،
 وَكَانَ حِمْرَانُ رَجُلًا لَسِنًا مَارِدًا ، وَإِنَّهُ خَطَبَ صَدُوفَ ؛ وَهِيَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تُؤَيِّدُ

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٥٤ - ١٥٦) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٣٥/٣ - ٣٦) .

الكلام ، وتسجع في المنطق^(١) ، وكانت ذات مالٍ كثيرٍ ، وقد أتاها قومٌ كثيرٌ
يخطبونها ، فردَّتْهُم ، وكانت تتعنتُ خُطابها في المسألة ، وتقولُ : لا أتزوِّجُ
إلا مَنْ يَعْلَمُ ما أسألهُ عنه ، ويجيبني بكلامٍ على حدِّه لا يعدوه .

فلما انتهى إليها حمرانٌ . . قام قائماً لا يجلسُ ، وكان لا يأتيها خاطبٌ
إلا جلسَ قبلَ إزنها ، فقالتُ : ما يمنعك من الجلوسِ ؟ قالَ : حتى يؤذَنَ لي ،
قالتُ : وهل عليك أميرٌ ؟ قالَ : ربُّ المنزلِ أحقُّ بفنائِهِ ، وربُّ الماءِ أحقُّ
بسقائِهِ ، وكلُّ لهُ ما في وعائِهِ ، فقالتِ : اجلسن ، فجلسن .

قالتُ لهُ : ما أردتِ ؟ قالَ : حاجةٌ ولم آتِكِ لحاجةٍ ، قالتُ : تُسرِّها
أم تعلنها ؟ قالَ : تُسرُّ وتُعلنُ ، قالتُ : فما حاجتُك ؟ قالَ : قضاؤها هيَّيْنُ ،
وأمرها بيَّيْنُ ، وأنتِ بها أخبِرُ ، وبُنَجِّحها أبصرُ ، قالتُ : فأخبِزني بها .

قالَ : قد عَرَضْتُ ، وإن شئتِ . . بيَّنتُ ، قالتُ : مَنْ أنتِ ؟ قالَ : أنا
بَشَرٌ ، ولدتُ صغيراً ، ونشأتُ كبيراً ، ورأيتُ كثيراً ، قالتُ : فما اسمُك ؟
قالَ : مَنْ شاءَ أحدثُ اسماً ، وقالَ ظُلماً ، ولم يكنِ الاسمُ عليه حتماً ،
قالتُ : فمَنْ أبوكَ ؟ قالَ : والدي الذي ولدني ، ووالدهُ جدِّي ، فلم يعش
بعدي ، قالتُ : فما مالكُ ؟ قالَ : بعضُهُ ورثتُهُ ، وأكثرُهُ اكتسبتُهُ ، قالتُ :
فمَنْ أنتِ ؟ قالَ : مِنْ بشرٍ كثيرٍ عددهُ ، معروفٍ ولدهُ ، قليلٍ صعدهُ ، يفنيه
أبدهُ ، قالتُ : ما ورثكَ أبوكَ عن أوليهِ ؟ قالَ : حُسنَ الهممِ ، قالتُ : فأين
تنزلُ ؟ قالَ : على بساطٍ واسعٍ في بلدٍ شاسعٍ ، قريبُهُ بعيدٌ ، وبعيدهُ قريبٌ ،
قالتُ : فمَنْ قومُك ؟ قالَ : الذين أنتمي إليهم ، وأجني عليهم ، ووُلِدْتُ
لديهم .

قالتُ : فهل لكِ امرأةٌ ؟ قالَ : لو كانت لي لم أطلبَ غيرها ، ولم أُصيِّعْ

(١) في «مجمع الأمثال» : (تؤيد الكلام وتشجع في المنطق) .

خَيْرَهَا ، قَالَتْ : كَأَنَّكَ لَيْسَتْ لَكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : لَوْ لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً ..
 لَمْ أَنْخِ بِبَابِكَ ، وَلَمْ أَتَعَرَّضْ لَجَوَابِكَ ، وَأَتَعَلَّقُ بِأَسْبَابِكَ ، قَالَتْ : إِنَّكَ
 لِحِمْرَانُ بِنُ الْأَقْرَعِ الْجَعْدِيِّ ، قَالَ : إِنَّ ذَلِكَ لَيُقَالُ ، فَأَنْكَحَتْهُ نَفْسَهَا ،
 وَفَوَّضَتْ إِلَيْهِ أَمْرَهَا .

ثُمَّ إِنَّهَا وَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا ، فَسَمَّاهُ عَمْرًا ، فَنَشَأَ مَارِدًا مُفَوَّهًا ، فَلَمَّا أُدْرِكَ ..
 جَعَلَهُ أَبُوهُ رَاعِيًا يَرَعِي لَهُ الْإِبِلَ ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا : إِذْ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ
 الْعَطَشُ وَالسَّغُوبُ وَعَمْرُو قَاعِدٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ زَبْدٌ وَتَمْرٌ وَتَامِكٌ ، فَدَنَا مِنْهُ الرَّجُلُ
 فَقَالَ : أَطْعَمْنِي مِنْ هَذَا الزَّبْدِ وَالتَّامِكِ ، فَقَالَ عَمْرُو : نَعَمْ ، كِلَاهُمَا وَتَمْرًا ،
 فَأَطْعَمَ الرَّجُلَ حَتَّى انْتَهَى ، وَسَقَاهُ لَبَنًا حَتَّى رَوِيَ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ أَيَّامًا ، فَذَهَبَتْ
 كَلِمَتُهُ مَثَلًا .

وَرَفَعَ (كِلَاهُمَا) أَي : لَكَ كِلَاهُمَا ، وَنَصَبَ (تَمْرًا) عَلَيَّ مَعْنَى ، وَأَزِيدُكَ
 تَمْرًا ، وَمَنْ رَوَى (كِلَيْهِمَا) فَإِنَّمَا نَصَبَهُ عَلَيَّ مَعْنَى : أَطْعَمُكَ كِلَيْهِمَا وَتَمْرًا ،
 وَقَالَ قَوْمٌ : مَنْ رَفَعَ .. حَكَى أَنَّ الرَّجُلَ قَالَ : أَنْلَنِي مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ
 عَمْرُو : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : زَبْدٌ أَمْ سَنَامٌ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : كِلَاهُمَا وَتَمْرًا ؛ أَي :
 مَطْلُوبِي كِلَاهُمَا وَأَزِيدُ مَعَهُمَا تَمْرًا ، أَوْ وَزِدْنِي تَمْرًا^(١) .

لَنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ

قَالَ الْمُفَضَّلُ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ فِي وَصِيَّةٍ كَتَبَ بِهَا
 إِلَى طِيٍّ ؛ كَتَبَ إِلَيْهِمْ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَنِكَاحِ
 الْحَمَقَاءِ ؛ فَإِنَّ نِكَاحَهَا غَرْرٌ ، وَوَلَدُهَا ضِيَاعٌ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْخَيْلِ فَأَكْرَمُوهَا ؛
 فَإِنَّهَا حِصُونُ الْعَرَبِ ، وَلَا تَضَعُوا رِقَابَ الْإِبِلِ فِي غَيْرِ حَقِّهَا ؛ فَإِنَّ فِيهَا ثَمَنَ
 الْكَرِيمَةِ ، وَرِقْوَةَ الدِّمِ ، وَبِأَلْبَانِهَا يَتَحَفُّ الْكَبِيرُ ، وَيُغَدِّى الصَّغِيرُ ، وَلَوْ أَنَّ

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٤٧/٣ - ٤٩) .

الإبل كُفِّتِ الطَّحْنَ . . لطحنت ، ولن يهلك امرؤُ عرفَ قدرَهُ ، والعدمُ عدمُ العقلِ ، لا عدمُ المالِ ، ولرجلٌ خيرٌ من ألفِ رجلٍ ، ومَن عتبَ على الدهرِ . . طالت معتبتهُ ، ومَن رضي بالقسمِ . . طابت معيشتُهُ ، وآفةُ الرأيِ الهوى ، والعادةُ أملكُ ، والحاجةُ مع المحبةِ خيرٌ من البغضِ مع الغنى ، والدنيا دولٌ ، فما كانَ لك . . أتاك على ضعيفك ، وما كانَ عليك . . لم تدفعهُ بقوتك ، والحسدُ داءٌ ليسَ له دواءٌ ، والشَّماتَةُ تعقبُ ، ومَن يَرِ يوماً . . يره ، قبلَ الرماءِ تُملأُ الكنائنُ ، الندامةُ مع السفاهةِ ، دعامةُ العقلِ الحلمُ ، خيرُ الأمورِ مغبَّةُ الصَّبرِ ، بقاءُ المودَّةِ عدلُ التعاهدِ ، مَن يزرُ غباً . . يزددُ حباً ، التغيرُ مفتاحُ البؤسِ ، مَن التواني والعجزُ نَتجتِ الهلكةُ ، لكلِّ شيءٍ ضراوةٌ ، فضرِّ لسانك بالخيرِ ، عيِّ الصمتِ أحسنُ من عيِّ المنطقِ ، الحزمُ حفظُ ما كُفِّتَ وتركُ ما كُفِّتَ ، كثيرُ التنصُّحِ يهجمُ على كثيرِ الظنَّةِ ، مَن ألحفَ في المسألةِ . . ثقلَ ، مَن سألَ فوقَ قدرِهِ . . استحقَّ الحرمانَ ، الرفقُ يُمنُّ ، والخرقُ شؤمٌ ، خيرُ السخاءِ ما وافقَ الحاجةَ ، خيرُ العفوِ ما كانَ بعدَ القدرةِ .
فهذه خمسةٌ وثلاثونَ مثلاً في نظامٍ واحدٍ^(١) .

لا ماءك أبقيتِ ، ولا حركِ أنقيتِ

ويروى : (ولا درنك) أصلُهُ : أن رجلاً كانَ في سفرٍ ومعهُ امرأتهُ وكانت عارِكاً فطهرتُ ، وكانَ معهُما ماءٌ يسيِّرُ ، فاغتسلتُ ، فلم يكفِها لغسلِها ، وأنفدتِ الماءَ ، فبقيا عطشانينِ ، فعندها قالَ لها هذا القولُ .

وقال المفضلُ : أوَّلُ مَن قالَ ذلكَ : الضُّبُّ بنُ أروى الكلاعيُّ ؛ وذلكَ أنَّه خرجَ تاجراً مِنَ اليمنِ إلى الشامِ ، فسارَ أياماً ، ثمَّ حادَ عن أصحابِهِ ، فبقِيَ مُفرداً في تيهٍ مِنَ الأرضِ ، حتى سقطَ إلى قومٍ لا يدري مَن هُم ، فسألَ عنهم ،

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣ / ١١٤ - ١١٥) .

فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ هَمْدَانُ ، فنزلَ بِهِمْ ، وكانَ طَريراً ظَريفاً ، وإنَّ امْرَأَةً مِنْهُم يُقَالُ لَهَا : عَمْرَةٌ بِنْتُ سَبِيحِ هَوِيَّتُهُ وَهَوِيَّهَا ، فخطَبَهَا الضَّبُّ إلى أهلِ بَيْتِهَا ، وكانوا لا يُزَوِّجونَ إِلَّا شاعِراً ، أو عائِفاً ، أو عالِماً بعيونِ المَاءِ ، فسألوهُ عن ذلكَ ، فلم يَعْرِفَ مِنْهَا شَيْئاً ، فأبوا تزويجَهُ ، فلم يزلَ بِهِمْ حتى أجابوهُ ، فتزوَّجَهَا .

ثُمَّ إِنَّ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ أرادوا الغارةَ عَلَيْهِمْ ، فتطَيَّروا بالضَّبِّ ، فأخرجوهُ وامرأَتَهُ وَهِيَ طامِثٌ ، فانطلقا مَعَ الضَّبِّ سِقاءً مِنْ مَاءٍ ، فسارَ يوماً وَليلةً وأمامَهُما عَيْنٌ يظَنَّانِ أَنَّهُمَا يُصَبِّحَانِهَا ، فقالتَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيَّ هَذَا السِّقَاءَ حتى أَغْتَسِلَ ، فقد قاربنا العَيْنَ ، فدفعَ إِلَيْهَا السِّقَاءَ ، فاغتسلتَ بما فِيهِ ولم يكفِها ، ثُمَّ صَبَّحَا العَيْنَ ، فوجداها ناضيةً ، وأدركَهُما العطشُ ، فقالَ لَهَا الضَّبُّ : لا مَاءَ كِ أَبْقَيْتِ ، ولا حَرَكَ أَنْقَيْتِ ، ثُمَّ استظلَّ بِشَجَرَةٍ حِيالَ العَيْنِ ، فَأَنْشَأَ الضَّبُّ يَقُولُ :

[من المنسرح]

تَأَلَّه مَاطِلَةٌ أَصَابَ بِهَا بَعْلًا سِوَايَ قِوَارِعُ أَلْعَطِبِ
وَأَيُّ مَهْرٍ يَكُونُ أَثْقَلَ مِمَّ سَا طَلَبُوهُ إِذَا مِنْ أَلضَّبِّ
أَنْ يَعْرِفَ أَلْمَاءَ تَحْتَ صُمَّ أَلصَّفَا وَيُخْبِرَ النَّاسَ مَنْطِقَ أَلخُطْبِ
أَخْرَجَنِي قَوْمُهَا بِأَنَّ أَلرَّحَا دَارَتْ بِشُؤْمٍ لَهُمْ عَلَى أَلقُطْبِ

فلَمَّا سمعتِ امرأَتُهُ ذلكَ . . فرحَتْ وقالتِ : ارجعِ إلى القومِ ؛ فإنَّكَ شاعِرٌ ، فانطلقا راجعِينَ ، فلَمَّا وصلا . . خرجَ القومُ إِلَيْهِما وقصدوا ضربَهُما وردَّهُما ، فقالَ لَهُمُ الضَّبُّ : اسمعوا شعري ثُمَّ اقتلونني ، فأنشدَهُم شعرَهُ ، فنجا ، وصارَ فِيهِمْ أثرٌ مِنْ بعضِهِمْ ، قالَ الفرزدقُ :

[من الطويل]

وَكُنْتُ كَذَاتِ أَلْحَيْضِ لَمْ تُبْقِ مَاءَهَا وَلَا هِيَ مِنْ مَاءِ أَلْعُدَابَةِ طَاهِرِ^(١)

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١٨٨/٣ - ١٨٩) .

لا يكن حُبُّكَ كَلْفًا ، ولا بُغْضُكَ تَلْفًا

وُروى عن بعض الحكماء أَنَّهُ قَالَ : لا تكن في الإخاء مكثرًا ثم تكون فيه مدبرًا ، فيُعرفَ سرفُكَ في الإكثارِ بجفائِك في الإِدبارِ .

ومنه الحديثُ : « أَحَبُّ حَبِيبِكَ هُونًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا ، وَأَبْغَضُ بَغِيضِكَ هُونًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا » ^(١) ، ومنه قولُ النمرِ بنِ تولبٍ :

أَحِبُّ حَبِيبِكَ حُبًّا رُوِيْدًا فَلَيْسَ يَعْوْلُكَ أَنْ تَضْرِمَا
وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضًا رُوِيْدًا إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكَمَا
وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا أَلْمَزْتُ بِحَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرِ أَمْرٌ مَنْ يُحَالِلُ » ^(٢) ، وقريبٌ منه بيتُ عديِّ بنِ زيدٍ :

عَنِ أَلْمَزَّةِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي ^(٣)

لا ناقتي في هذا ولا جملي

أصلُ المثلِ للحارثِ بنِ عبادٍ حينَ قتلَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةٍ كَلْبِيًّا ، وهاجَتِ الحربُ بينَ الفريقينِ ، وكانَ الحارثُ اعتزَلَهُمَا ، قالَ الراعي : [من البسيط]

وَمَا هَجَزْتُكَ حَتَّى قُلْتَ مُعْلِنَةً لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا [جَمَلٌ]

يُضْرَبُ عِنْدَ التَّبْرِيِّ مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِسَاءَةِ ، وَذَكَرُوا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمِيرِ بْنِ عَطَارِدِ بْنِ حَاجِبٍ [سُورِ] لَمَّا خَرَجَ النَّاسُ عَلَى الْحَجَّاجِ ، فَقَالَ : لا ناقتي في ذا ولا جملي ، فلَمَّا دَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْحَجَّاجِ . . قَالَ : أَنْتَ الْقَائِلُ :

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) ، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٨٩/٣ - ١٩٠) .

لا ناقتي في ذا ولا جملي؟! لا جعلَ اللهُ لك فيه ناقةً ولا جملاً ولا رحلاً ،
فسمت به حجارُ بنُ أبحرِ العجليِّ وهوَ عندَ الحجاجِ ، فلما دعا بغدائه . .
جاؤوا [بفرنجة] ، فقال : ضعوها بينَ يدي أبي عبدِ اللهِ ؛ فإنه لبيني يُحبُّ
اللبنَ ، أرادَ أن يدفعَ عنه شماتةَ حجارِ .

وقال بعضهم : إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذلكَ : الصَّدوفُ بنتُ حليسِ العذريةِ ،
وكانَ مِنْ شأنِها أنَّها كانتَ عندَ زيدِ بنِ الأحنسِ العذريِّ ، وكانَ لزيدِ بنتُ
مِنْ غيرها يُقالُ لها : الفارعةُ ، وإنَّ زيداَ عزَلَ ابنتَهُ عنِ امرأتِهِ في خباءٍ لها
وأخدمَها خادماً ، وخرجَ زيدٌ إلى الشامِ ، وإنَّ رجلاً مِنْ عذرةِ يُقالُ له : شبتُ ،
هويها وهويتهُ ، ولم يزلُ بها حتى طواعتهُ ، فكانتَ تأمرُ راعيَ أبيها أن يُعجَلَ
ترويحَ إبلِهِ ، وأن يحلبَ لها حلبَةً إبلِها قَيْلاً ، فتشربُ اللبنَ نهاراً ، حتى
إذا أمستَ وهدأَ الحيُّ . . رُحِلَ لها جملٌ كانَ لأبيها ذلولٌ ، فقعدتَ عليه
وانطلقا ، حتى كانا ينتهيانِ إلى متيهةٍ مِنَ الأرضِ ، فيكونانِ بها ليلتَهُما ، ثمَّ
يقبلانِ في وجهِ الصبحِ ، فكانَ ذلكَ دأبَهُما .

فلما فصلَ أبوها مِنَ الشامِ . . مرَّ بكاهنةٍ على طريقِهِ ، فسألها عنِ أهلهِ ،
فنظرتُ له وقالتُ : أرى جملَكَ يُرحَلُ ليلاً ، وحلبَةٌ تحلبُ إبلَكَ قَيْلاً ، وأرى
نعماً وخيلاً ، فلا لبثَ ، فقد كانَ حدثٌ ، بآلِ شبتِ .

فأقبلَ زيدٌ لا يلوي على شيءٍ حتى أتى أهلهُ ليلاً ، فدخلَ على امرأتِهِ ،
وخرجَ مِنْ عندها مسرعاً ، حتى دخلَ خباءَ ابنتِهِ ، فإذا هي ليستَ فيه ، فقالَ
لخادمِها : أينَ الفارعةُ ثكلتُك أمكِ ؟ قالتُ : خرجتَ تمشي وهي حروءٌ ،
زائرةٌ تعودُ ، لم ترَ بعدك شمساً ، ولا شَهدتَ عرساً ، فانفتلَ عنها إلى امرأتِهِ ،
فلما رآتهُ . . عرفتِ الشرَّ في وجهِهِ ، فقالتُ : يا زيدُ ؛ لا تعجلُ وأقفُ الأثرَ ،
فلا ناقةٌ لي في هذا ولا جملٌ ، فهي أوَّلَ مَنْ قالَ ذلكَ (١) .

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٩٣ - ١٩٤) .

لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشدِ القريضَ حتى يحيلَ

هذا المثلُ للحطيئةِ ، لما حضرتهُ الوفاةُ . . . اكتنفهُ أهلهُ وبنو عمِّه ، فحِيلَ
لَهُ : يا حُطَيءُ ؛ أوصِ ، قالَ : وبِمِ [أوصي] مالي بينَ بنيِّ ، قالوا : قد علمنا
أنَّ مالكَ بينَ بنيك ، فأوصِ ، فقالَ : ويلٌ للشعرِ مِنْ رايَةِ السوءِ ، فأرسلها
مثلاً ، فقالوا : أوصِ ، فقالَ : أخبروا أهلَ ضابئِ بنِ الحارثِ أنَّه كانَ شاعراً
حيثُ يقولُ :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي وَجَدْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ
ثمَّ قالَ : لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشدِ القريضَ حتى يُحيلَ ، فأرسلها
مثلاً ، يُضربُ في التحذيرِ .

وفي بعضِ الرواياتِ أنَّه قيلَ لَهُ : يا أبا مليكةَ ؛ أوصِ ، قالَ : مالي للذُّكورِ
دونَ الإناثِ ، قالوا : إنَّ اللهَ لم يأمرْ بذا ، قالَ : فإنِّي أمرَ ، قالَ : أوصِ ، قالَ :
أخبروا آلَ الشَّمَاخِ أنَّ أخاهمُ أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ ^(١) :

وَظَلَّتْ بِأَعْرَافِ صِيَاماً كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ
قالوا : أوصِ ؛ فإنَّ هذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ : أبلغوا كندةَ أنَّ أخاهمُ
أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ :

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ
يعني : امرأَ القيسِ ^(٢) ، قالوا : أوصِ ؛ فإنَّ هذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ :

(١) انظر «ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني» (ص ٢٠١) .

(٢) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ١٩) ، وقد تبع المؤلف الميداني في «مجمع الأمثال» في رواية
هذا البيت ، وهما بيتان في «ديوان امرئ القيس» الصادر من بيت ، والعجز من البيت الثاني ، وهما :

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ أَلْفُتْلِ شُدَّتْ بِبِذْبُلِ
كَأَنَّ الْفُرْيَا عَلِقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

أخبروا الأنصارَ أَنَّ أَخَاهُمْ أَمْدَحُ الْعَرَبِ حَيْثُ يَقُولُ ^(١) : [من الكامل]

يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

قالوا : أوصيه ؛ فإن هذا لا يغني عنك شيئاً ، قال : أوصيكم بالشعرِ خيراً ،

ثم أنشأ يقول : [من مشطور الرجز]

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلَّمُهُ

إِذَا أَرْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ

زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ

وَالشَّعْرُ لَا يُطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ

وَلَمْ يَزَلْ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي يَحْرِمُهُ ^(٢)

مَنْ يَسِمُ الْأَعْدَاءَ يَبْقَى مِسْمُهُ

قالوا : أوصيه ؛ فإن هذا لا يغني عنك شيئاً ، قال : [من مشطور الرجز]

كُنْتُ أَحْيَاناً شَدِيدَ الْمُعْتَمَدِ

وَكُنْتُ أَحْيَاناً عَلَى خَضَمِي أَلَدِّ

قَدْ وَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَرِدُ

قالوا : أوصيه ؛ فإن هذا لا يغني عنك شيئاً ، قال : وا جزعاه على المديح

الجيدِ يمدحُ به مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ، قالوا : أوصيه ؛ فإن هذا لا يغني عنك

شيئاً ، فبكى ، قالوا : وما يبكيك ؟ قال : أبكي الشعرَ الجيدَ مِنْ رَاوِيَةِ السَّوِّءِ ،

(١) ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (١/٧٤) .

(٢) في «مجمع الأمثال» : (بخزومه) بالمعجمة .

قالوا : أوصِ للمساكينِ بشيءٍ ، قال : أوصيهم بالمسألةِ ، وأوصي الناسَ ألا يعطوهم ، قالوا : أعتقْ غلامَكَ ؛ فإنه قد رعى عليك ثلاثين سنةً ، قال : هو عبدٌ ما بقي على الأرضِ عبيتي ، ثم قال : احملوني على حماري ، ودوروا بي حولَ هذا التِّلِّ ؛ فإنه لم يمت على الحمارِ كريمٌ ، فعسى ربِّي أن يرحمَني ، فحملهُ ابناهُ ، وأخذوا بضبعيه ، ثم جعلوا يسوقانِ الحمارَ حولَ التِّلِّ وهو يقولُ :

قَدْ عَجَّلَ الدَّهْرُ والأَحْدَاثُ يُتَمِّكُمَا فَاسْتَغْنِيَا بِوَشِيكَ إِنِّي فَاِنْ
وَدَلِيَانِي فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ كَمَا تُدَلِّي [دِلَاءٌ] بَيْنَ أَشْطَانِ

قالوا : يا أبا مليكةَ ؛ مَنْ أشعرُ العربِ ؟ قال : هذا الجحيرُ ، إذا طمع بخيرٍ ، وأشارَ بيده إلى فيه ، وكانَ آخرَ كلامِهِ ، فماتَ وكانَ لَهُ عشرونَ ومئةُ سنةٍ ؛ منها سبعونَ في الجاهليةِ ، وخمسونَ في الإسلامِ .

ويروى : أنه أرادَ سفرًا ، فلَمَّا قدِمَ راحلتهُ . . قالَتْ لَهُ امرأتهُ : متى ترجعُ ؟ فقالَ :

عُدِّي السِّنِينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي وَدَعِ الشُّهُورَ فَإِنَّهُنَّ قِصَارُ
فَقَالَتْ :

أذْكَرُ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَأَرْحَمُ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ
قالوا : وما مدحٌ قومًا إلا رفعَهُم ، وما هجا قومًا إلا وضعَهُم ، وقالَ يهجو نفسهُ وقد نظرَ في المرأةِ وكانَ دميماً :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ (١)

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٣/١٩٨ - ٢٠١) .

لا غزوة إلا التعقيب

يُقَالُ : عَقَّبَ الرَّجُلُ ؛ وَهُوَ أَنْ يَغْزُوَ مَرَّةً ، ثُمَّ يَثْنِي مِنْ سَنَتِهِ ، قَالَ طَفِيلٌ
يَصِفُ الْخَيْلَ (١) :

طَوَالَ الْهَوَادِي وَالْمُتُونُ صَلِيبَةً مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلْأَرِيْبِ مُعَقَّبُ

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَجْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو آكُلِ الْمَرَارِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ
الْحَارِثَ بْنَ مَنْدَلَةَ مَلِكَ الشَّامِ ، وَكَانَ مِنْ مَلُوكِ سَلِيحٍ ، مِنْ مَلُوكِ الضُّجَاعِمِ ،
وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ مَالِكُ بْنُ [جُوَيْنٍ] الطَّائِي فِي شِعْرِهِ فَقَالَ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

هُنَالِكَ لَا أُعْطِي رَئِيسًا مَقَادَةً وَلَا مَلِكًا حَتَّى يُؤُوبَ ابْنَ مَنْدَلَةَ

وَكَانَ قَدْ أَغَارَ عَلَى أَرْضِ نَجْدٍ ؛ وَهِيَ أَرْضُ حَجْرِ بْنِ الْحَارِثِ هَذَا ؛ وَذَلِكَ
عَلَى عَهْدِ بَهْرَامِ جُورَ ، وَكَانَ بِهَا أَهْلُ حَجْرٍ ، فَوَجَدَ الْقَوْمَ خُلُوفًا ، وَوَجَدَ
حَجْرًا قَدْ غَزَا أَهْلَ نَجْرَانَ ، فَاسْتَأَقَ ابْنَ مَنْدَلَةَ مَالَ حَجْرٍ ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ هِنْدَ
الْهُنُودِ ، وَوَقَعَ بِهَا ، فَأَعْجَبَهَا ، وَكَانَ آكُلِ الْمَرَارِ شَيْخًا كَبِيرًا ، وَابْنُ مَنْدَلَةَ شَابًا
جَمِيلًا ، فَقَالَتْ لَهُ : النِّجَاءَ النِّجَاءَ ؛ فَإِنَّ وِرَاءَكَ طَالِبًا حَثِيثًا ، وَجَمْعًا كَثِيرًا ،
وَرَأْيَا صَلِيبًا ، وَحِزْمًا وَكِيدًا .

فَخَرَجَ ابْنُ مَنْدَلَةَ مُغَدًّا إِلَى الشَّامِ ، وَجَعَلَ يَقْسُمُ الْمَرْبَاعَ نَهَارَهُ أَجْمَعُ ، فَإِذَا
كَانَ اللَّيْلُ . . أُسْرِجَتْ لَهُ السَّرِجُ يَقْسُمُ عَلَيْهَا .

فَلَمَّا رَجَعَ حَجْرٌ . . وَجَدَ مَالَهُ قَدْ اسْتَيْقَ ، وَوَجَدَ هِنْدًا قَدْ أَخَذَتْ ، فَقَالَ :
مَنْ أَغَارَ عَلَيْكُمْ ؟ قَالُوا : ابْنُ مَنْدَلَةَ ، قَالَ : مَذْكُمْ ؟ فَقَالُوا : مَذْ ثَمَانٍ لِيَالٍ ،
فَقَالَ حَجْرٌ : ثَمَانٌ فِي ثَمَانٍ ، لَا غَزْوَةَ إِلَّا التَّعْقِيبُ ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ؛ يَعْنِي :
غَزْوَةُ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي .

(١) انظر «ديوان طفيل الغنوي» (ص ٥٨) .

قُلْتُ^(١) : قوله : (ثمانٌ في ثمانٍ) يعني : ثمانَ لِيالٍ أُدخِلتُ في ثمانٍ أُخرى ؛ إذ كانتْ غزوةُ نجرانَ كذا ، فقرنتُ بِمِثْلِها مِنْ هَذَا الغزوةِ الأخرى ، أو أرادَ ثمانَ لِيالٍ في أثرِ ثمانِ لِيالٍ ؛ يعني : أَنَّهُ سبَقَهُ بِثمانِ لِيالٍ حينَ أَغارَ على قومِهِ ، وسيلحِقُهُ في ثمانِ لِيالٍ ، ثمَّ أَقبلَ مُجدداً في طلبِ ابنِ مندلةَ ، حتى دَفَعَ إلى وادٍ دونَ منزلِ ابنِ مندلةَ ، فكمَنَ فيه ، وبعثَ سدوسَ بنَ شيبانَ بنِ ذهلِ بنِ ثعلبةَ ، وكانَ مِنْ مناكيرِ العربِ ، فقالَ لَهُ حجراً : اذهبِ مُتَنكِراً إلى القومِ حتى تعلمَ لنا علمَهُم ، فانطلقَ سدوسٌ حتى انتهى إلى ابنِ مندلةَ ، وقد نزلَ في سفحِ الجبلِ ، وأوقدَ ناراً ، وأقبلَ يقسمُ المربعَ ، ونثرَ تمرأ ، وقالَ : مَنْ جاءَ بحزمةِ حطبٍ ، فذهبَ سدوسٌ وأتى بحزمةِ حطبٍ وألقاها على النارِ ، وأخذَ قبضةً مِنْ تمرٍ فألقاها في كنانتهِ ، وجلسَ معَ القومِ يستمعُ إلى ما يقولونَ وهندٌ خلفَ ابنِ مندلةَ تُحدِثُهُ ، فقالَ ابنُ مندلةَ : يا هندُ ؛ ما ظنُّكَ الآنَ بحجرٍ ؟ قالتْ : أراهُ ضارباً بجوشنيهِ على واسطةِ رحلهِ وهو يقولُ : سيروا سيروا ، لا غزوةَ إلاَّ التعقيبُ ، وذلكَ مثلُ ما قالَ زوجها سواءً ، ثمَّ قالتْ هندُ لابنِ مندلةَ : واللهِ ؛ ما نامَ حجراً قطُّ إلاَّ وعضوٌ منه حيٌّ ، قالَ ابنُ مندلةَ : وما علمُكَ بذلكَ ؟! وانتهرها ، قالتْ : بلى ، كنتُ لَهُ فاركاً ، فبينما هو ذاتَ يومٍ في منزلٍ لَهُ قد أخرجَ إليه رابعاً ، فضربتُ لَهُ قبةً مِنْ قبابِهِ ، ثمَّ أمرَ بِجُرُرٍ فنجرتْ ، وبشاءٍ فذبحتْ ، فصنعَ ذلكَ ، ثمَّ أرسلَ للناسِ فدعاهم فأطعمهم ، فلمَّا طعموا وخرجوا . . نامَ كما هو مكانهُ وأنا جالسةٌ عندَ بابِ القُبَّةِ ، فأقبلتُ حيَّةً وهو نائمٌ باسطٌ رجلَهُ ، فذهبتُ الحيَّةُ لتنهشهُ ، فقبضَ رجلَهُ ، ثمَّ تحولتُ مِنْ قِبَلِ يَدِهِ لتنهشهُ ، فقبضَ يَدَهُ إليه ، ثمَّ تحولتُ مِنْ قِبَلِ رأسِهِ ، فلمَّا دنتُ مِنْهُ وهو يَغِطُّ . . قعدَ جالساً ، فنظرَ إلى الحيَّةِ ، فقالَ : ما هذِهِ يا هندُ ؟! فقلتُ : ما فطنتُ لها حتى جلستَ ، قالَ : لا واللهِ ، وذلكَ

(١) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

كُلُّهُ بِمَسْمَعِ سَدُوسٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْحَدِيثَ . . رَجَعَ إِلَى حَجْرٍ ، فَنَثَرَ التَّمْرَ مِنْ
الْكِنَانَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ :

أَتَاكَ الْمُرْجِفُونَ بِأَمْرِ غَيْبٍ عَلَى دَهْشٍ وَجِثْتِكَ بِالْيَقِينِ
فَلَمَّا حَدَّثَهُ بِحَدِيثِ امْرَأَتِهِ مَعَ ابْنِ مَدْلَةَ . . عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَهُ ، فَضْرَبَ
بِيَدِهِ عَلَى الْمِرَارِ - وَهِيَ شَجَرَةٌ مُرَّةٌ إِذَا أَكَلْتَ مِنْهَا الْإِبِلُ . . قَلَصَتْ مَشَافِرُهَا -
فَأَكَلَ مِنْهَا مِنَ الْغَضَبِ ، فَلَمْ يَضُرَّهُ ، فَسَمَّتهُ الْعَرَبُ : أَكَلَ الْمِرَارِ .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَغَارَ عَلَى ابْنِ مَدْلَةَ ، فَنَذَرَ بِهِ ابْنُ مَدْلَةَ ، فَوَثَبَ عَلَى فَرَسِهِ
وَوَقَفَ ، فَقَالَ لَهُ : أَكَلُ الْمِرَارِ : هَلْ لَكَ فِي الْمُبَارَزَةِ ، فَأَيُّنَا قَتَلَ صَاحِبَهُ . . انْقَادَ
لَهُ جُنْدُ الْمُقْتُولِ ؟ قَالَ لَهُ ابْنُ مَدْلَةَ : أَنْصَفْتَ ، وَذَلِكَ بَعَيْنِ هِنْدٍ ، فَاخْتَلَفَا
بَيْنَهُمَا بَطْعَنَتَيْنِ ، فَطَعَنَهُ أَكَلُ الْمِرَارِ طَعْنَةً جَنْدَلُهُ بِهَا عَنْ فَرَسِهِ ، فَوَثَبَتْ هِنْدٌ
إِلَى ابْنِ مَدْلَةَ تَفْدِيهِ ، وَانْتَزَعَتِ الرَّمْحَ مِنْ نَحْرِهِ وَخَرَجَتْ نَفْسُهُ ، فَظَفَرَ أَكَلُ
الْمِرَارِ بِجَنْدِهِ ، وَاسْتَنْقَذَ جَمِيعَ مَا كَانَ ذَهَبَ بِهِ مِنْ مَالِهِ وَمَالَ أَهْلِ بِلَادِهِ ،
وَأَخَذَ هِنْدًا فَقَتَلَهَا مَكَانَهُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لِمَنِ النَّارُ أَوْقَدَتْ بِحَفِيرٍ لَمْ يَنْمِ غَيْرُ مُضْطَلِّ مَقْرُورٍ
إِنَّ مَنْ يَأْمَنُ النِّسَاءَ بِشَيْءٍ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورٍ
كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ تَبَيَّنَتْ مِنْهَا آيَةَ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورٍ^(١)

لَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةِ أَنْتِ سِرَّتِهَا

قالوا : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : خَالِدُ ابْنِ أُخْتِ أَبِي ذُوَيْبِ الْهَدَلِيِّ ؛ وَذَلِكَ
أَنَّ أَبَا ذُوَيْبٍ كَانَ قَدْ نَزَلَ فِي بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ عَلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ :

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢٤٥/٣ - ٢٤٧) .

عبدُ عمرو بنِ عامرٍ ، فعشقتُهُ امرأةُ عبدِ عمرو وعشقتها ، [فخببها] على زوجها ، وحملها وهرب بها إلى قومه ، فلما قدم منزله . . تخوفَ أهله ، فأسرَّها منهم في موضع لا يُعلم ، وكانَ يختلِفُ إليها إذا أمكنه ، وكانَ الرسولُ بينَها وبينه ابنُ أختٍ له يُقالُ له : خالدٌ ، وكانَ غلاماً حَدَّثاً له منظرٌ وصباحةٌ ، فمكثَ بذلكَ برهةً منَ دهرٍ ، وشبَّ خالدٌ وأدركَ ، فعشقتُهُ المرأةُ ، ودعتُهُ إلى نفسها ، فأجابها وهويها ، ثمَّ إنَّهُ حملها منَ مكانِها ذلكَ ، فأتى بها مكاناً غيرَهُ ، وجعلَ يختلِفُ إليها فيه ، ومنعَ أبا ذؤيبٍ عنها ، فأنشأ أبو ذؤيبٍ يقولُ ^(١) :

مَا حُمِلَ الْبُخْتِيُّ عَامَ [غِيَارِهِ] عَلَيْهِ الْوُسُوقُ بُرْهَا وَشَعِيرُهَا
بِأَعْظَمَ مِمَّا كُنْتُ حَمَلْتُ خَالِدًا وَبَعْضُ أَمَانَاتِ الرَّجَالِ غُرُورُهَا
فَلَمَّا تَرَامَاهُ الشَّبَابُ وَغَيْهُ وَتُبِعَ مِنْهُ فِثْنَةٌ وَفُجُورُهَا
لَوَى رَأْسَهُ عَنَّا وَمَالَ بِوُدِّهِ وَأَغَانِيحُ خَوْدِ كَانِ فِيهَا يَزُورُهَا
فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أُخْتِهِ خَالِدًا . . أَنشأ يقولُ :

فَهَلْ أَنْتَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلْتَ سِوَاكَ خَلِيلاً دَائِمًا تَسْتَجِيرُهَا
فَرَزْتَ بِهَا مِنْ عِنْدِ عَمْرٍو بِنِ عَامِرٍ وَهِيَ هَمُّهَا فِي نَفْسِهَا وَسَجِيرُهَا ^(٢)
فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةِ أَنْتِ سِرَّتْهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
وَلَا تَكُ كَالثَّوْرِ الَّذِي دُفِنَتْ لَهُ حَدِيدُهُ [حَتْفِ] دَائِبًا يَسْتَشِيرُهَا ^(٣)

(١) انظر «ديوان الهذليين» (١/١٥٤ - ١٥٥) .

(٢) رواية البيت في «شرح أشعار الهذليين» (ص ٢١٣) :

وَأَنْتَ صَفِي نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا

أَلَمْ تَتَنَقَّذْهَا مِنْ ابْنِ عَوْنِمِرٍ

(٣) انظر «مجمع الأمثال» (٣/٢٤٨ - ٢٤٩) .

ما وراءك يا عصام

قال المُفَضَّلُ : أوَّل مَنْ قَالَ ذَلِكَ : الحارثُ بنُ عمرو ملكُ كندةَ ؛ وذلكَ أَنَّهُ لَمَّا بلغَهُ جمالُ ابنةِ عوفِ بنِ مُحَلِّمِ الشيبانيِّ وكمالها وقُوَّةُ عقلها . . دعا امرأةً مِنْ كندةِ يُقالُ لها : عصامُ ، ذاتُ عقلٍ ولسانٍ ، وأدبٍ وبيانٍ ، وقالَ لها : اذهبي حتى تعلمي لي علمَ ابنةِ عوفٍ ، فمضتْ حتى انتهتْ إلى أُمِّها ؛ وهي أُمّامَةُ ابنةُ الحارثِ ، فأعلمتها ما قدمتْ له ، فأرسلتْ أُمّامَةُ إلى ابنتها ، وقالتْ : أي بنيَّةُ ؛ هذه خالتيك أتتْكِ لتنظرَ إليك ، فلا تستري عنها شيئاً إن أرادَتِ النظرَ مِنْ وجهِ أو خلفِ ، وناطقِها إن استنطقتْكِ ، فدخلتْ إليها ، فنظرتْ إلى ما لم ترَ قطُّ مثلهُ ، فخرجتْ مِنْ عندها وهي تقولُ : تركَ الخداعَ مَنْ كشفَ القناعَ ، فأرسلتها مثلاً .

ثمَّ انطلقتْ إلى الحارثِ ، فلَمَّا رآها مقبلَةً . . قالَ لها : ما وراءك يا عصامُ ؟ قالتْ : صرَّحَ المخضُّ عن الزبدِ ؛ رأيتُ جبهةً كالمرآةِ المصقولةِ ، يزينها شعْرٌ حالِكٌ كأذنانِ الخيلِ ، إن أرسلتهُ . . خلتهُ السلاسلُ ، وإن مشطتهُ . . قلتُ : عناقيدُ جلاها الوابلُ ، وحاجبينِ كأثما حُطَّا بقلمِ أو سُودا بحممٍ ، تقوِّسا على مثلِ عيني ظبيةٍ عبهرةٍ ، بينهما أنفٌ كحدِّ السيفِ الصنيعِ ، حُفَّتْ به وجنتانِ كالأرجوانِ ، في بياضِ كالجمانِ ، سُقِّ فيهِ فمٌّ كالخاتمِ لذيذِ المبتسمِ ، فيه ثنايا عُزُّ ذاتُ أشرٍ ، تَقَلَّبَ فيهِ لسانٌ ذو فصاحةٍ وبيانٍ ، بعقلٍ وافرٍ ، وجوابٍ حاضرٍ ، تلتقي فيه شفتانِ حمراوانِ تحلبانِ ريقاً كالشَّهيدِ إذا ذلكَ ، في رقبةٍ بيضاءَ كالفضةِ ، رُكِبَتْ في صدرِ كصدرِ تمثالِ دميةٍ ، وعضدانِ مدمجانِ يتصلُ بهما ذراعانِ ليسَ فيهما عظمٌ يُمسُّ ، ولا عرقٌ يَحسُّ ، رُكِبَتْ فيهما كفانِ دقيقٌ قصبُهُما ، لينٌ عصبُهُما ، تعقدُ إن شئتَ منهما الأناملُ ، نتأ في ذلكَ الصدرِ ثديانِ كالرُّمَّانَتينِ يخرقانِ عليها ثيابها ، تحتَ ذلكَ بطنٌ طويٌّ طيِّ القباطيِّ المدمجةِ ، كُسرَ عُكْنًا كالقراطيسِ المدرجةِ ، تحيِّطُ بتلكَ العُكْنِ

سِرَّةَ كَالْمَدَهِنِ الْمَجْلَوِّ ، خَلَفَ ذَلِكَ ظَهْرٌ فِيهِ كَالْجَدُولِ ، يَنْتَهِي إِلَى خَصْرِ
لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ . . لَانْبَتَرَ ، لَهَا كَفَلٌ يَقَعُهَا إِذَا نَهَضَتْ ، وَيَنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ؛
كَأَنَّهُ دَعَصُ الرَّمْلِ ، لِبَدِّهِ سَقُوطُ الطَّلِّ ، يَحْمِلُهُ فِخْذَانِ لُفًّا كَأَنَّمَا قُلِيْبًا عَلَى
نَضْدِ جِمَانٍ ، تَحْتَهُمَا سَاقَانِ خَدَلْتَانِ كَالْبَرْدِيَّتَيْنِ ، وَشَيْتَا بَشْعِرٍ أَسْوَدَ كَأَنَّهُ
حَلَقُ الزَّرْدِ ، يَحْمِلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ كَحَذْوِ اللِّسَانِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ مَعَ صَغَرِهِمَا كَيْفَ
يَطِيقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا !!

فَأرسلَ الملكُ إلى أبيها ، فخطبها ، فزوّجها إيَّاهُ ، وبعثَ بصدّاقِها ،
فجُهِزَتْ ، فلمَّا أرادوا أن يحملوها إلى زوجها . . قالَتْ لها أمُّها : أي بنيةُ ؛ إنَّ
الوصيةَ لو تُرِكَتْ لفضلِ أدبٍ . . تُرِكَتْ لذلكِ منكِ ، ولكِنَّها تذكُرُ للغافلِ ،
ومعونةً للعاقِلِ ، ولو أنَّ امرأةً استغنتْ عنِ الزوجِ لغنى أبويها وشدَّةِ حاجتِهما
إليها . . كنتِ أغنى الناسِ عنه ، ولكنَّ النساءِ للرجالِ خُلِقْنَ ، ولهنَّ خُلِقَ
الرجالُ .

أي بنيةُ ؛ إنَّكِ فارقتِ الجوّ الذي منهُ خرجتِ ، وخَلَفْتَ العُشَّ الذي فيهُ
درجتِ ، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبحَ بملكِهِ عليكِ رقيباً
ومليكاً ، فكوني له أمةً . . يكنْ لكِ عبداً وشيكاً .

يا بنيةُ ؛ احملي عني عشرَ خصالٍ . . تكنْ لكِ ذخرًا وذكراً ؛ الصّحبةُ
بالقناعةِ ، والمعاشرةُ بحسنِ السمعِ والطاعةِ ، والتعهُّدُ لموقعِ عينه ، والتفقدُ
لموضعِ أنفه ، فلا تقعُ عينُه منكِ على قبيحٍ ، ولا يَشْمُ منكِ إلَّا طيبَ ريحٍ ،
الكحلُّ أحسنُ الحسنِ ، والماءُ أطيبُ الطيبِ المفقودِ ، والتعهُّدُ لوقتِ
طعامه ، والهدءُ عنه عندَ منامه ، فإنَّ حرارةَ الجوعِ ملهبةٌ ، وتنغيصُ النومِ
مبغضةٌ ، والاحتفاظُ ببيتِهِ وماله ، والإرعاءُ على نفسِهِ وحشمِهِ وعياله ؛ فإنَّ
الاحتفاظَ بالمالِ حسنُ التقديرِ ، والإرعاءُ على العيالِ والحشمِ جميلٌ حسنُ
التدبيرِ ، ولا تفتشي له سرّاً ، ولا تعصي له أمراً ؛ فإنَّك إن أفشيتِ سرَّهُ . . لم

تأمني غدرة، وإن عصيت أمره . . أوغرت صدره، ثم اتقي مع ذلك الفرخ إن كان ترحاً، والاكتتاب عنده إن كان فرحاً؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظماً . . يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقةً . . يكن أطول ما تكونين له مرافقةً، واعلمي: أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك، فحملت، فسلمت إليه، فعظم موقعها منه، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن .

وروى أبو عبيد: (ما وراءك؟) على التذكير، وقال: (يُقال: إن المتكلم به النابغة الذبياني، قاله لعصام بن شهير حاجب النعمان، وكان مريضاً) (١)، وقد أرجف بموته، فسأله النابغة عن حال النعمان، فقال: ما وراءك يا عصام؟ ومعناه: ما خلفت من أمر العليل، أو ما أمامك من حاله، و(وراء) من الأضداد .

قلت (٢): يجوز أن يكون أصل المثل ما ذكرته، ثم اتفق الاسمان، فحُوطب كل بما استحق من التذكير والتأنيث (٣) .

مقتل الرجل بين فكّيه

المقتل: القتل، وموضع القتل أيضاً، ويجوز أن يجعل اللسان قتلاً مبالغةً في وصفه بالإفضاء إليه، قال (٤):

[فإنّما] هي إقبال وإدبار

(١) الأمثال (ص ٢٠٥) للقاسم بن سلام .

(٢) القائل: هو العلامة الميداني صاحب «مجمع الأمثال» .

(٣) انظر «مجمع الأمثال» (٣/٢٨٠ - ٢٨٢) .

(٤) عجز بيت للخنساء رضي الله عنها، انظر «ديوانها» (ص ٣٨٣)، والبيت بتمامه:

ويجوزُ أن يُجعلَ موضعَ القتلِ ؛ أي : بسببِهِ يَحْصُلُ القتلُ ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى القتالِ .

فالمصدرُ ينبوُ عنِ الفاعلِ ؛ كأنَّهُ قالَ : قاتلُ الرجلِ بينَ فكيهِ .

قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : أكثمُ بنُ صيفيِّ في وصيةِ لَبْنِيهِ ، وكانَ جمعَهُم فقالَ :

- تباروا ؛ فإنَّ البرَّ يبقى عليه العدوُ ، وكُفُّوا ألسنتكم ؛ فإنَّ مَقْتَلَ الرجلِ بينَ فكيهِ .

- إنَّ قولَ الحقِّ لم يدع لي [صديقاً] .

- الصدقُ منجاةٌ .

- لا ينفَعُ التوقِّي مِمَّا هوَ واقعٌ .

- في طلبِ المعالي يكونُ العناءُ .

- الاقتصادُ في السعيِّ أبقى للجِمامِ .

- مَنْ لم يَأْسَ على ما فاتَهُ . . ودَعَّ بدنَهُ ، ومَنْ قنعَ بما هوَ فيه . . قَرَّتْ عينُهُ .

- التقدُّمُ قبلَ التندُّمِ .

- أصبحَ عندَ رأسِ الأمرِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أصبحَ عندَ ذنبي .

- لم يَهْلِكْ مِنْ مالِكَ ما وعظكَ .

- ويلٌ لعالمٍ أمرٍ مِنْ جاهلِهِ .

فَإِنَّمَا هِيَ إِفْبَالٌ وَإِذْبَارٌ

تَزَعُ مَا زَعَّتْ حَتَّى إِذَا أَذْكَرَتْ

- يتشابه الأمر إذا أقبل ، وإذا أدبر عرفه الكيسُ والأحمقُ .
- البطرُ عندَ الرخاءِ حمقٌ ، والعجزُ عنِ البلاءِ أمنٌ .
- لا تغضبوا منِ اليسيرِ ؛ فإنه يجني الكثيرَ .
- لا تجيبوا فيما لا تُسألوا عنه ، ولا تضحكوا ممَّا لا يضحكُ منه .
- تناءوا في الديارِ ، ولا تباغضوا ؛ فإنه منِ يجتمعُ .. يقعقُ عندهُ .
- ألزموا النساءَ المهانةَ .
- نِعَمَ لَهُوَ الغِرَّةُ المغزُلُ .
- حيلةٌ مَنْ لا حيلةَ لَهُ الصَّبْرُ .
- إن تعشُ .. ترَ ما لم ترهُ .
- المِكشَارُ كحاطبِ ليلِ .
- مَنْ أَكثَرَ .. أسقطَ .
- لا تجعلوا سراً إلى أمةٍ .

فهذه تسعةٌ وعشرونَ مثلاً ، منها قد مرَّ ذكرُهُ فيما سبقَ مِنَ الكتابِ ،
ومنها ما يأتي إن شاء اللهُ تعالى .

وقد أحسنَ مَنْ قالَ : رحمَ اللهُ امرأً أطلقَ ما بينَ كَفْيِهِ ، وأمسكَ
ما بينَ فَكِّيهِ ، وللهِ دُرُّ أبي الفتحِ البستيِّ حيثُ يقولُ في هذا
المثلِ ^(١) :

تَكَلَّمَ وَسَدِدَ مَا أُسْتَطَعَتْ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالشُّكُوتُ جَمَادُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنِ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ

(١) انظر «ديوان أبي الفتح البستي» (ص ١٢٦) .

واحتذاهُ القاضي أبو أحمد منصورُ بنُ محمدِ الهرويِّ ، فقال : [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَمَارَاكَ جَاهِلٌ فَأَعْرِضْ فِي تَرْكِ الْجَوَابِ جَوَابٌ

وَإِنْ لَمْ تُصِبْ فِي الْقَوْلِ فَأَسْكُتْ فَإِنَّمَا سَكُوتُكَ عَنِ غَيْرِ الصَّوَابِ صَوَابٌ

وَضَمَّنَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلِ النِّيلِيُّ شُرَائطَ الْكَلَامِ قَوْلُهُ : [من الكامل]

أَوْصِيكَ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةِ إِنْ كُنْتَ لِلْمُوصِي الشَّفِيقِ مُطِيعًا

لَا تُغْفَلَنَّ سَبَبَ الْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَالْكَيفَ وَالْكَمَّ وَالْمَكَانَ جَمِيعًا

« مَنْ صَدَقَ اللَّهُ . . نَجَا »

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إِنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ انْطَلَقُوا إِلَى الصَّحْرَاءِ ، فَمَطَرَتْهُمُ السَّمَاءُ ، فَلَجَّوْا إِلَى كَهْفٍ

فِي جَبَلٍ يَنْتَظِرُونَ إِقْلَاعَ الْمَطَرِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ . . إِذْ هَبَطَتْ صَخْرَةٌ مِنْ

الْجَبَلِ وَجَثَمَتْ عَلَى بَابِ الْغَارِ ، فَيَسُّوْا مِنَ الْحَيَاةِ وَالنَّجَاةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

لِيَنْظُرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَى أَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرْهُ ، ثُمَّ لِيَذْعُ اللَّهُ تَعَالَى ،

عَسَى أَنْ يَرْحَمَنَا وَيُنَجِّينَا .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ بَارًا بِوَالِدِي ، وَكُنْتُ آتِيَهُمَا

بِغُبُوقِهِمَا فَيَغْتَبِقَانِي ، فَأَتَيْتُ لَيْلَةً بِغُبُوقِهِمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ

أَوْقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ الرُّجُوعَ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتُ

عَمِلْتُ ذَلِكَ لِرُجُوعِي . . فَأَفْرُجْ عَنَّا ، فَمَالَتِ الصَّخْرَةُ عَنْ مَكَانِهَا حَتَّى دَخَلَ

عَلَيْهِمُ الضُّوءُ .

وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي هَوَيْتُ امْرَأَةً ، وَلَقِيتُ فِي شَأْنِهَا أَهْوَالًا

حَتَّى ظَفَرْتُ بِهَا ، وَقَعَدْتُ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ ، قَالَتْ : إِنَّهُ لَا يَحِلُّ

لَكَ أَنْ تَفُضَّ خَاتَمِي إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَمَلَنِي

عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَخَافَتِكَ .. فَأَفْرُجْ عَنَّا ، فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ حَتَّى لَوْ شَاءَ الْقَوْمُ
أَنْ يَخْرُجُوا لَقَدَرُوا .

وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَسْتَأْجِرُكَ أُجْرَاءً ، فَعَمِلُوا لِي ،
فَوَفَّيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا تَرَكَ أَجْرَهُ عِنْدِي وَخَرَجَ مُغَاضِبًا ، فَرَبَّيْتُ
أَجْرَهُ حَتَّى نَمَا وَبَلَغَ مَبْلَغًا ، ثُمَّ جَاءَ الْأَجِيرُ فَطَلَبَ أُجْرَتَهُ ، فَقُلْتُ : هَاكَ مَا
تَرَى مِنَ الْمَالِ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَلِكَ لَكَ .. فَأَفْرُجْ عَنَّا ، فَمَالَتِ الصَّخْرَةُ ،
وَأَنْطَلَقُوا سَالِمِينَ .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَدَقَ اللَّهَ .. نَجَا » (١) ، ومعنى
(صدق الله) : لقي الله بالصدق ؛ وهو أن يُحَقِّقَ قَوْلُهُ فَعَلُهُ .

مَنْكَ أَنْفُكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ

يُضْرَبُ لِمَنْ يَلْزِمُكَ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِمُسْتَحْكِمِ الْقَرَبِ .

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : قَتْنَدُ بْنُ جَعُونََةَ الْمَازِنِيُّ لِلرَّبِيعِ بْنِ كَعْبِ الْمَازِنِيِّ ؛
وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبِيعَ دَفَعَ فَرَسًا كَانَ قَدْ أَبْرَّ عَلَى الْخَيْلِ كَرَمًا وَجُودَةً إِلَى أَخِيهِ
كَمِيشٍ لِيَأْتِي بِهِ أَهْلَهُ ، وَكَانَ كَمِيشٌ أَنْوَكٌ مَشْهُورًا بِالْحَمَقِ ، وَقَدْ كَانَ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي مَالِكٍ يُقَالُ لَهُ : قِرَادُ بْنُ جَرِمٍ ، قَدِمَ عَلَى أَصْحَابِ الْفَرَسِ لِيَصِيبَ مِنْهُمْ
غَرَّةً فَيَأْخُذَهَا ، فَكَانَ دَاهِيَةً ، فَمَكَثَ فِيهِمْ مَقِيمًا لَا يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَلَا يَظْهَرُهُ
هُوَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى كَمِيشٍ رَاكِبًا الْفَرَسَ .. رَكِبَ نَاقَتَهُ ، ثُمَّ عَارَضَهُ فَقَالَ :
يَا كَمِيشُ ؛ هَلْ لَكَ فِي عَانَةٍ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا سَمِنًا وَلَا عَظْمًا ، وَعَيْرٌ مَعَهَا مِنْ
ذَهَبٍ ؟ فَأَمَّا الْأَنْثَى .. فَتَرَوُحُ بِهَا إِلَى أَهْلِكَ فَتَمْلَأُ قُدُورَهُمْ ، وَتُفْرِحُ صُدُورَهُمْ ،
وَأَمَّا الْعَيْرُ .. فَلَا افْتِقَارَ بَعْدَهُ ؟ قَالَ لَهُ كَمِيشٌ : وَكَيْفَ لَنَا بِهِ ؟ قَالَ : أَنَا لَكَ

(١) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٩٦) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما .

به ، وليس يُدْرِكُ إِلَّا عَلَى فَرَسِكَ هَذَا ، ولا يُرَى إِلَّا بَلِيلٍ ، ولا يراهُ غَيْرِي ،
 قالَ كَمِيشٌ : فدونكهُ ، قالَ : نعم ، وأمسك أنتِ راحلتي ، فركبَ قِراذَ الفرسِ
 وقالَ : انتظرني في هذا المكانِ إلى هذه الساعةِ مِنْ غَدٍ ، قالَ : نعم ، ومضى
 قِراذُ ، فلَمَّا توارى . . أنشأ يقولُ :

[من مشطور الرجز]

ضَيَّعْتَ فِي الْعَيْرِ ضَلالًا مُهْرَكًا
 لِشُطْعِمِ الْحَيِّ جَمِيعاً عَيْرَكَا
 فَسَوْفَ تَأْتِي بِالْهَوَانِ أَهْلَكَا
 وَقَبْلَ هَذَا مَا خَدَعْتُ الْأَنْوَكَا

فلم يزلُ كَمِيشٌ ينتظرهُ حتى أمسى مِنْ غَدِهِ وجاعَ ، فلَمَّا لم يَرَ لهُ أثرًا . .
 انصرفَ إلى أهلهِ وقالَ في نفسهِ : إن سألتني أخي عنِ الفرسِ . . قلتُ : تَحَوَّلَ
 ناقةً ، فلَمَّا رآهُ أخوهُ الربيعُ . . عرفَ أَنَّهُ خُدَعَ عنِ الفرسِ ، فقالَ لهُ : أينَ
 الفرسُ ؟ قالَ : تَحَوَّلَ ناقةً ، قالَ : فما فعلَ السرجُ ؟ قالَ : لم أذكرِ السرجَ
 فأطلبَ لهُ عِلَّةً ، فصرعَهُ الربيعُ ليقْتلَهُ ، فقالَ لهُ قنفذُ بنُ جعونةَ : ألهُ عمًا
 فاتكَ ؛ فإنَّ أنفَكَ منكَ وإن كانَ أجْدَعُ ، فذهبتُ مثلاً ، وقدمَ قِراذُ بنُ [جرمِ]
 على أهلهِ بالفرسِ ، وقالَ في ذلكَ :

[من الطويل]

رَأَيْتُ كَمِيشًا نَوَكُهُ لِي نَافِعٌ
 يُؤَمِّلُ عَيْرًا مِنْ نُضَارٍ وَعَسْجَدٍ
 وَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ قَلْوَصِي وَلَا تَرُمْ
 فَأَضْبَحَ يَزْمِي الْخَافِقَيْنِ بِطَرْفِهِ
 وَأَبْرُ عَلَى [الْجُرْدِ] الْعِنَاجِيحِ كُلِّهَا
 فَلَيْسَ وَلَوْ أَقْحَمْتَهُ الْوَعَرَ يَكْسَعُ^(١)
 وَلَمْ أَرِ نَوَكًا قَبْلَ ذَلِكَ يَنْفَعُ
 فَهَلْ كَانَ لِي فِي غَيْرِ ذَلِكَ مَطْمَعُ
 خِدَاعًا لَهُ إِذْ ذُو الْأَمْكَائِدِ يَخْدَعُ
 وَأَضْبَحَ تَحْتِي ذُو أَقَانِينِ جُرْشُعُ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣ / ٣٦٠ - ٣٦٢) .

مَنْ يَرِ يَوْمًا . . يُرِّبُهُ

قَالَ الْمُفَضَّلُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : كَلْحَبُ بْنُ شُؤْبُوْبِ الْأَسَدِيِّ ، وَكَانَ يَغْيِرُ عَلَى طِيءٍ وَحَدَهُ ، فَدَعَا حَارِثَةَ بْنَ لَأْمِ الطَّائِيَّ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ : عَتْرَمٌ ، وَكَانَ بَطْلًا شَجَاعًا ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْفِينِي هَذَا الْخَبِيثَ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، ثُمَّ أَرْسَلَ مَعَهُ عَشْرَةَ مِنَ الْعِيُونِ حَتَّى عَلِمُوا مَكَانَهُ .

وَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فِي جَمَاعَةٍ ، فَوَجَدُوهُ نَائِمًا فِي ظِلِّ أَرَاكِيهِ وَفِرْسُهُ مَشْدُودَةٌ عِنْدَهُ ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ الرَّجُلُ وَمَعَهُ آخِرٌ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِإِحْدَى يَدَيْهِ ، فَانْتَبَهَ ، فَنَزَعَ يَدَهُ الْيَمْنَى مِنْ مَمْسِكِهَا وَقَبَضَ عَلَى حَلْقِ الْآخِرِ فَقَتَلَهُ ، وَبَادَرَ الْبَاقُونَ إِلَيْهِ فَأَخَذُوهُ وَشَدُّوهُ وَثَاقًا ، فَقَالَ لَهُمُ ابْنُ الْمَقْتُولِ وَهُوَ حُوذَةُ بْنُ عَتْرَمٍ : دَعُونِي أَقْتَلُهُ كَمَا قَتَلَ أَبِي ، قَالُوا : حَتَّى نَأْتِيَ بِهِ حَارِثَةَ ، فَأَبَى ، فَقَالُوا لَهُ : وَاللَّهِ ؛ لَنْ نَقْتُلَنَّكَ .

وَأَتَوْا بِهِ حَارِثَةَ بْنَ لَأْمٍ ، فَقَالَ لَهُ حَارِثَةُ : يَا كَلْحَبُ ؛ إِنْ كُنْتَ أَسِيرًا . . فَطَالَمَا أَسْرَتَ ، فَقَالَ كَلْحَبُ : مَنْ يَرِ يَوْمًا . . يُرِّبُهُ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، وَقَالَ حُوذَةُ لِحَارِثَةَ : أَعْطِنِيهِ أَقْتَلُهُ كَمَا قَتَلَ أَبِي ، قَالَ : دُونَكَ ، وَجَعَلُوا يُكَلِّمُونَهُ وَهُوَ يَعَالِجُ كِتَافَهُ حَتَّى انْحَلَّ ثُمَّ وَثَبَ عَلَى رَجْلَيْهِ يَجَارِيهِمْ ، وَتَوَاتَبُوا عَلَى الْخَيْلِ وَاتَّبَعُوهُ فَأَعْجَزَهُمْ ، فَقَالَ حُوذَةُ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ أُوُوبَ وَقَدْ نَوَى قَتِيلًا فَأَوْدَى سَيْدُ الْقَوْمِ عَتْرَمَ
فَمَاتَ ضَيَاعًا هَلْكَذَا بِيَدِ امْرِئٍ لَيْئِمٍ فَلَوْلَا قَيْلَ ذُو الْوَتْرِ مُعْلِمُ
فَأَجَابَهُ كَلْحَبُ : [من الطويل]

أَحْوَذَةُ إِنْ تَفَخَّرَ وَتَزَعُمُ أَنَّنِي لَيْئِمٌ فَمِنِّي عَتْرَمُ اللَّؤْمِ الْأَمِّ
فَأَقْسِمُ بِالْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ مِنْ مَنِي أَلِيَّةٍ بَرٍّ صَادِقٍ حِينَ يُقْسِمُ

لَضَبٌ بِقَفْرِ مِنْ قَفَارٍ وَضَبَةٌ حَمُوعٌ وَيَزْبُوعُ أَلْفَا مِنْكَ أَكْرَمُ
 فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا خُنْفَسَاءُ لَيْمَةٌ وَخَالِكَ يَزْبُوعُ وَجَدُكَ شَيْهَمُ
 أَتُوعِدُنِي بِالْمُنْكَرَاتِ وَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى مَا نَابَ جَلْدٌ صَلَاحُ دَمِ
 فَإِنْ أَفْنٌ أَوْ أُعْمِرَ إِلَى وَقْتِ هَذِهِ فَإِنِّي أَبْنُ شُؤْبُوبٍ جَسُورٍ غَشْمُشَمِ

مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثْرُهُ

قَالَ الْمُفْضَلُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ الْمَرْيُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ لَمَّا قَتَلَ زَهِيرَ بْنَ جَذِيمَةَ الْعَبْسِيَّ . . ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَعَلِمَ أَنَّ غُطْفَانَ غَيْرَ تَارِكِيهِ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى النِّعْمَانَ ، فَاسْتَجَارَ بِهِ ، فَأَجَارَهُ وَمَعَهُ أَخُوهُ عَتَبَةُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَنَهَضَ قَيْسُ بْنُ زَهِيرٍ فَاسْتَعَدَّ لِمِحَارِبَةِ بَنِي عَامِرٍ ، وَهَجَمَ الشِّتَاءُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ : يَا قَيْسُ ؛ أَنْتُمْ أَعْلَمُ وَحَرَبَكُمْ ، وَأَنَا رَائِحٌ إِلَى خَالِدٍ حَتَّى أَقْتَلَهُ ، قَالَ قَيْسُ : قَدْ أَجَارَهُ النِّعْمَانُ ، قَالَ الْحَارِثُ : لِأَقْتَلَنَّهُ وَلَوْ كَانَ فِي حَجْرِهِ .

وَكَانَ النِّعْمَانُ قَدْ ضَرَبَ عَلَى خَالِدٍ وَعَلَى أَخِيهِ قُبَّةً ، وَأَمَرَهُمَا بِحَضُورِ طَعَامِهِ وَمُدَامِهِ ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ وَمَعَهُ تَابِعٌ لَهُ مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ ، فَأَتَى بَابَ النِّعْمَانِ ، فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لَهُ النِّعْمَانُ وَفَرَخَ بِهِ ، فَدَخَلَ الْحَارِثُ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجَهًّا وَحَدِيثًا ، وَأَعْلَمِ النَّاسِ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ ، فَأَقْبَلَ النِّعْمَانُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ تَمْرٌ يَأْكُلُونَهُ ، فَلَمَّا رَأَى خَالِدٌ إِقْبَالَ النِّعْمَانِ عَلَى الْحَارِثِ . . غَاظَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا لَيْلَى ؛ أَلَا تَشْكُرُنِي ؟ قَالَ : فِيمَاذَا ؟ قَالَ : قَتَلْتُ زَهِيرًا فَصَرْتُ بَعْدَهُ سَيِّدَ غُطْفَانَ ، وَفِي يَدِ الْحَارِثِ تَمْرَاتٌ ، فَاضْطَرَبْتُ يَدَهُ ، وَجَعَلَ يُرْعِدُ وَيَقُولُ : أَنْتَ قَتَلْتَهُ ؟ وَالتَّمْرُ يَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ ، وَنَظَرَ النِّعْمَانُ إِلَى مَا بِهِ مِنَ الزَّمْعِ ، فَنَحَسَ خَالِدًا بِقَضِيْبِهِ وَقَالَ : هَذَا يَقْتُلُكَ .

وافترق القوم ، ويقي الحارث عند النعمان ، وأشرح خالد قُبْتَهُ عليه وعلى أخيه ، وناما ، وانصرف الحارث إلى رحله ، فلما هدأت العيون . . خرج الحارث بسيفه شاهراً حتى أتى قبة خالد ، فهتك شرجها بسيفه ودخل ، فرأى خالدًا نائمًا وأخوه إلى جنبه ، فأيقظ خالدًا واستوى قائمًا ، فقال له الحارث : يا خالد ؛ أظننت أن دم زهير كان سائغاً لك وعلاه بسيفه حتى قتله ، وانتبه عتبه ، فقال له الحارث : لئن نبست . . لألحقنك به ، وانصرف الحارث وركب فرسه ومضى على وجهه .

وخرج عتبه صارخاً ، حتى أتى باب النعمان ، فنادى : يا سوء جواراه !! فأجيب : لا روع عليك ، فقال : دخل الحارث على خالد فقتله وأخفر الملك ، فوجه النعمان فوارس في طلبه ، فلحقوه سحراً ، فعطف عليهم فقتل منهم جماعة ، وكثروا عليه فجعل لا يقصد جماعة إلا فرقها ، ولا لفارس إلا قتله ، وهو يرتجز ويقول :

أَنَا أَبُو لَيْلَى وَسَيْفِي الْمَعْلُوبُ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثْرُهُ
وارتدع القوم عنه ، وانصرفوا إلى النعمان .

يُضْرَبُ فِي الْمِحَادِرَةِ مِنْ شَيْءٍ قَدْ ابْتُلِيَ بِمِثْلِهِ مَرَّةً ، قَالَ الْأَغْلَبُ الْعَجَلِيُّ :

قَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ مَا تُسَطِّرُهُ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثْرُهُ^(١)

« انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »

يُروى : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا ، فقيل : يا رسول الله ؛

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣ / ٣٧٧ - ٣٧٨) .

هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟! فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« تَرُدُّهُ عَنِ الظُّلْمِ » (١) .

قال أبو عبيد : (أمّا الحديث .. فهكذا ، وأمّا العرب .. فكان مذهبها في
المثل نصرته على كلِّ حال) (٢) .

قال المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : جَنْدُبُ [بَنُ] العَنْبَرِ بْنِ تَمِيمِ بْنِ عَمْرِو ،
وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فَاحِشًا ، وَكَانَ شَجَاعًا ، وَأَنَّهُ جَلَسَ هُوَ وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ
مِنَاءَ يَشْرِبَانِ ، فَلَمَّا أَخَذَ الشَّرَابُ فِيهِمَا .. قَالَ جَنْدُبُ لِسَعْدٍ وَهُوَ يَمَازُحُهُ :
يَا سَعْدُ ؛ لَشَرِبُ لِبَنِ اللِّقَاحِ ، وَطَوَّلُ النِّكَاحِ ، وَحَسَنُ المِزَاحِ .. أَحَبُّ إِلَيْكَ
مِنَ الكِفَاحِ ، وَدَعَسِ الرِّمَاحِ ، وَرَكَضِ الوِقَاحِ ، قَالَ سَعْدٌ : كَذِبْتَ وَاللَّهِ ؛ إِنِّي
لَأَعْمَلُ العَامِلَ ، وَأَنْحُرُ البَازِلَ ، وَأُسَكِّتُ القَائِلَ ، قَالَ جَنْدُبُ : إِنَّكَ لَتَعْلَمُ
أَنَّكَ لَوْ فَزَعْتَ .. دَعَوْتَنِي عَجَلًا ، وَمَا ابْتَغَيْتَ لِي بَدَلًا ، وَلَرَأَيْتَنِي بَطَلًا ،
أَرْكَبُ العَزِيمَةَ ، وَأَمْنَعُ الكَرِيمَةَ ، وَأَحْمِي الحَرِيمَةَ ، فَغَضِبَ سَعْدٌ وَأَنْشَأَ
يَقُولُ :

هَلْ يَسُودُ أَلْفَتِي إِذَا قَبِحَ أَلْوَجُ هُ وَأَمْسَى قِرَاهُ غَيْرَ عَتِيدِ
وَإِذَا النَّاسُ فِي النَّدِيِّ رَأَوْهُ نَاطِقًا قَالَ قَوْلَ غَيْرِ سَدِيدِ
فَأجابه جندبُ :

لَيْسَ زَيْنُ أَلْفَتِي أَلْجَمَالَ وَلَكِنْ زَيْنُهُ الضَّرْبُ بِالْحُسَامِ التَّلِيدِ
إِنْ يَنْلِكَ أَلْغِنَى فَزَيْنٌ وَإِلَّا رَبَّمَا ضَنَّ بِأَلْيَسِيرِ أَلْعَتِيدِ

قال سعدٌ وكان عائفًا : أمّا والذي أحلفُ به ؛ لتأسرنك ظعينةٌ ، بين العرينةِ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .
(٢) الأمثال (ص ١٨١) للقاسم بن سلام .

والدهينة ، ولقد أخبرني طيري ؛ أنه لا يفكك غيري ، فقال جندب : كلاً ،
إنك لجبان ، تكره الطعان ، وتحب القيان .

فتفرقا على ذلك ، فغبرا حيناً ، ثم إن جندباً خرج على فرسٍ له يطلب
القص ، فأتى على أمة لبني تميم يقال : إن أصلها من جرهم ، فقال لها :
لتمكينني مسرورة ، أو تُقهرين مجبورة ، قالت : مهلاً ؛ فإن المرء من نوكه ..
يشرب من سقاءٍ لم يوكه ، فنزل إليها عن فرسه مُدلاً ، فلما دنا منها ..
قبضت على يديه بيد واحدة ، فما زالت تعصرهما حتى صار لا يستطيع
أن يحرّكهما ، ثم كتفته بعنان فرسه ، وراحت به مع غنمها وهي تحدو به
وتقول :

[من مشطور الرجز]

لَا تَأْمَنَنَّ بَعْدَهَا أَلْوَلَاءِدا

فَسَوْفَ تَلْقَى بَاسِلًا مَوَارِدَا

وَحَيَّةٌ تُضْحِي لِحَيِّ رَاصِدَا

قال : فمرّ بسعدٍ في إبله ، فقال : يا سعد ؛ أغثني ، قال سعد : إن الجبان
لا يغيث ، فقال جندب :

[من مشطور الرجز]

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْكَرِيمُ الْمَشْكُومُ

أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

فأقبل إليه سعد فأطلقه ، ثم قال : لولا أن يقال : قتل امرأة .. لقتلتك ،
[قالت]^(١) : كلاً ، لم يكن ليكذب طيرك ، ويصدق غيرك ، قال :
صدقت .

قوله : (انصر أخاك ظالماً) يجوز أن يكون (ظالماً أو مظلوماً) حالين

(١) في الأصل : (قال) .

مِنْ قَوْلِهِ : (أَخَاكَ) ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالَيْنِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكْرَرِ فِي الْأَمْرِ ؛
 يَعْنِي : انصُرُهُ ظَالِماً إِنْ كُنْتَ خَصَمَهُ ، أَوْ مَظْلُوماً مِنْ جِهَةِ خَصَمِهِ ؛ أَي : لَا
 تَسْلُمُهُ فِي أَيِّ حَالٍ كُنْتَ ^(١) .

وَبَلٌُّ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ

ذَكَرْتُ قِصَّتَهُ فِي حَرْفِ الصَّادِ ؛ عِنْدَ قَوْلِهِمْ : صُغِرَاها سُغْرَاها ^(٢) ، وَهَذِهِ
 رِوَايَةٌ أُخْرَى : قَالَ الْمَدَائِنِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :
 أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي التَّمِيمِيُّ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ بِمَكَّةَ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ . . . بَعَثَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي ابْنَهُ حُبَيْشاً ،
 فَاتَاهُ بِخَبْرِهِ ، فَجَمَعَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَالَ : يَا بَنِي تَمِيمٍ ؛ لَا تُحْضِرُونِي سَفِيهاً ،
 فَإِنَّهُ مَنْ يَسْمَعُ . . . يَخْلُ ؛ إِنَّ السَّفِيهَةَ يَوْهَنُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيَثْبُتُ مَنْ دُونَهُ ، لَا
 خَيْرَ فِيمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، كَبُرَتْ سَنِّي ، وَدَخَلْتَنِي ذَلَّةً ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنِّي حَسِناً . . .
 فَاقْبَلُوهُ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ مَنِّي غَيْرَ ذَلِكَ . . . فَقَوِّمُونِي أَسْتَقِمُّ ، إِنَّ ابْنِي شَافَهُ هَذَا
 الرَّجُلَ مَشَافَهَةً وَأَتَانِي بِخَبْرِهِ وَكِتَابِهِ ؛ يَأْمُرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ،
 وَيَأْخُذُ فِيهِ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَلَعَ الْأَوْثَانَ ،
 وَتَرَكَ الْحَلْفَ بِالنِّيرَانِ ، وَقَدْ عَرَفَ ذُووُ الرِّأْيِ مِنْكُمْ أَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ،
 وَأَنَّ الرِّأْيَ تَرَكَ مَا يَنْهَى عَنْهُ .

إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِمَعُونَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى
 أَمْرِهِ . . . أَنْتُمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا . . . فَهَوَ لَكُمْ دُونَ النَّاسِ ، وَإِنْ
 يَكُنُ بَاطِلًا . . . كُنْتُمْ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْكَفِّ عَنْهُ ، وَبِالِسْتِرِّ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أُسْقِفْتُ
 نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَكَانَ سَفِيانُ بْنُ مَجَاشِعٍ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَسَمَّى ابْنَهُ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٣٦/٣ - ٤٣٨) .

(٢) تقدم (١٢٣/٣) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

محمدًا ، فكونوا في أمره أَوْلًا ، ولا تكونوا آخرًا ، ائتوا طائعينَ قبلَ أن تأتوا
كارهينَ .

إنَّ الذي يدعو إليه محمدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لو لم يكن دينًا . . كان
في أخلاقِ الناسِ حسنًا ، أطيعوني واتبِعوا أمري . . أسألُ لكم أشياء لا تُنزَعُ
منكم أبدًا ، وأصبحتم أعزَّ حيِّ في العربِ ، وأكثرهم عددًا ، وأوسعهم دارًا ،
فإني أرى أمرًا لا يجتنبهُ عزيزٌ إلا ذلٌّ ، ولا يلزمه ذليلٌ إلا عزٌّ ، إنَّ الأوَّلَ لم
يدعُ للأخِرِ شيئًا ، ولهذا أمرُّ له ما بعدهُ ، مَنْ سبقَ إليه . . عمرَ المعالي ،
واقْتدئ به التالي ، والعزيمةُ حزمٌ ، والاختلافُ عجزٌ .

فقالَ مالكُ بنُ نويرةَ : قد خَرَفَ شيخُكم ، فقالَ أكثمُ : ويلٌ للشجِيِّ مِنَ
الخليِّ ، واللهي على أمرٍ لم أشهدهُ ولم يسعني !!

هَلَمْ جَرًّا

قالَ المُفضَّلُ : أي : تعالوا على هينتكم كما يسهلُ عليكم ، وأصلُ ذلك
مِنَ الجَرِّ في السوقِ ؛ وهو أن تُتركَ الإبلُ والغنمُ ترعى في سيرها ، قالَ
الراجزُ :

[من مشطور الراجز]

لَطَّالَمَا جَرَزْتُكُنَّ جَرًّا
حَتَّى نَوَى الْأَعْجَفُ وَأَسْتَمَرًّا
فَالْيَوْمَ لَا أَلُو الرِّكَّابِ شَرًّا

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : المستطعمُ عمرو بنُ حمرانَ الجعديَّ زيدًا وتامكًا ،
حتى قالَ له عمرو : كلاهما وتمرًا ، وقد مرَّ ذكرُهُما في حرفِ الكافِ ^(١) ، واسمُ

(١) تقدم (١٤٨/٣) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

ذَلِكَ الرَّجُلِ عَائِدٌ ، وَكَانَ لَهُ أَخٌ يُسَمَّى : جَنْدَلَةٌ ، وَهُمَا ابْنَا يَزِيدَ الْيَشْكِرِيِّ ،
وَلَمَّا رَجَعَ عَائِدٌ . . قَالَ لَهُ أَخُوهُ جَنْدَلَةٌ :

أَعَائِدُ لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ رَمَتْ بِكَ بَعْدَمَا قَدْ غَبْتَ دَهْرًا
فَلَمْ يَكُ يُزْتَجَى لَكُمْ إِيَابٌ وَلَمْ نَعْرِفْ لِدَارِكَ مُسْتَقَرًّا
فَقَدْ كَانَ الْفِرَاقُ أَذَابَ جِسْمِي وَكَانَ الْعَيْشُ بَعْدَ الصَّفْوِ كَدْرًا
وَكَمْ قَاسَيْتُ عَائِدٌ مِنْ فَطِيحٍ وَكَمْ جَاوَزْتُ أَمْلَسَ مُفْشَعِرًا
إِذَا جَاوَزْتُهَا اسْتَقْبَلْتُ أُخْرَى وَأُقْوِدُ مُشْمَخِرَ النَّيْقِ وَعُرَا

فَأَجَابَهُ عَائِدٌ فَقَالَ :

أَجَنْدَلُ كَمْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ أَرْضًا يَمُوتُ بِهَا أَبُو الْأَشْبَالِ دُغْرَا
قَطَعْتُ وَلَا مِعَاتِ أَلَالٍ تَجْرِي وَقَدْ أَوْتَرْتُ فِي الْمُومَاتِ كَدْرًا
وَطَامِسَةُ الْمُتُونِ دُعْرْتُ فِيهَا خَوَاضِبُ ذَاتِ أَرَالٍ وَغُبْرَا
وَإِنْ جَاوَزْتُ مُقْفِرَةَ رَمْتِ بِي إِلَى أُخْرَى كَتَيْلِكَ هَلُمَّ جَرَا
فَلَمَّا لَاحَ لِي سَعْبٌ وَلُوحٌ ^(١) وَقَدْ مَتَعَ النَّهَارَ لَقَيْتُ عَمْرَا
فَقُلْتُ فَهَاتِ زُبْدًا أَوْ سَنَامًا فَقَالَ كِلَاهُمَا وَتَزَادُ تَمْرَا
فَقَدَّمْ لِلْقِرَى شَطْبًا وَزُبْدًا وَظَلْتُ لَدَيْهِ عَشْرًا ثُمَّ عَشْرًا ^(٢)

يسار الكواعب

كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ : أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ يَرْعَى لِأَهْلِهِ إِبْلًا ، وَكَانَ مَعَهُ

(١) أي : جوع وعطش .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٥٧٧/٣ - ٥٧٨) .

عبدٌ يراعيه ، وكان لمولى يسارِ بنتٌ ، فمرّت يوماً بإبلِهِ وهي ترتعُ في روضٍ معشِبٍ ، فجاءَ يسارٌ بعلبةٍ لبنٍ فسقاها ، وكانَ أفحجَ الرجلينِ ، فنظرتُ إلى فحجِهِ فتبسّمتُ ، ثم شربتُ وجزتُهُ خيراً ، فانطلقَ فرحاً حتى أتى العبدَ المراعِي ، وقصَّ عليه القصةَ ، وذكرَ لَهُ فرحَها وتبسّمَها ، فقالَ لَهُ صاحِبُهُ : يا يسارُ ؛ كُلْ مِنْ لحمِ الحواري ، واشربْ لبنَ العشارِ ، وإيّاكَ وبناتِ الأحرارِ ، فقالَ : دحكّتُ إليّ دحكةً لا أُحْيِيها ، يقولُ : ضحكّتُ ضحكةً .

ثمّ قامَ إلى علبَةٍ فملأها وأتى بها ابنةَ مولاةُ ، فنبّهها فشربتُ ، ثمّ اضجعتُ ، وجلسَ العبدُ حذاءها ، فقالتُ : ما جاء بك ؟ فقالَ : ما خفيَ عليكِ ما جاء بي ، فقالتُ : وأيُّ شيءٍ هو ؟ قالَ : دحككِ الذي دحكّتِ إليّ ، فقالتُ : حيّاكَ اللهُ ، وقامتْ إلى سفيطِ لها ، فأخرجتْ منه بخوراً ودهناً ، وتعمّدتْ إلى موسى ، ودعتْ بمِجمرَةٍ وقالتْ لَهُ : إنَّ ريحَكَ ريحُ الإبلِ ، وهذا دهنٌ طيّبٌ ، فوضعتْ البخورَ تحتهُ ، وتطأطأتْ كأنّها تصلحُ البخورَ ، وأخذتْ مذاكيرَهُ وقطعتْها بالموسى ، ثمّ شممتْهُ الدهنَ ، فسلتتْ أنفهُ وأذنيه ، وتركتْهُ ، فصارَ مثلاً لكلِّ جانٍ على نفسه ومُتعدِّ طورهُ ، قالَ الفرزدقُ لجريرِ :

وَإِنِّي لِأَخْشَى إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمْ عَلَيْكَ الَّذِي لَأَقَى يَسَارُ الْكَوَاعِبِ
ويُقالُ أيضاً : يسارُ النساءِ ، وكانَ مِنَ العبيدِ الشعراءِ ، وله ابنٌ شاعرٌ يُقالُ لَهُ : إسماعيلُ بنُ يسارِ النساءِ ، وكانَ مُفْلِقاً^(١) .



(١) انظر «مجمع الأمثال» (٣/٥٩٨ - ٥٩٩) .

[نُحَبِّ مِنْ كَلَامِ الْفَصَحَاءِ وَالْبُلْغَاءِ]

هذا ؛ وممّا يفيدُ عقلَكَ نوراً ، ويزيدُ نفسَكَ سروراً ، ويكونُ لفكرِكَ هادياً ، ولمرأةِ ذهنِكَ جالياً ، وله بالأمثالِ شبهةٌ . . ما صدرَ عن أولي الألبابِ ؛ مِنْ صحابةِ الأنبياءِ ، وغيرِهِمْ مِنَ الحكماءِ ، وهنأنا مثبتُ أنموذجِ ذلكِ :

مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ

- قَالَ : وأكثرُ ما كانَ يقولُ ذلكَ إذا فرغَ مِنْ صلاةِ الليلِ : (أشهدُ أنَ السماواتِ والأرضِ وما بينهما آياتٌ تدلُّ عليك ، وشواهدُ تشهدُ بما إليه دعوتُ ، كلُّ يُؤدِّي عنكَ الحُجَّةَ ، ويشهدُ لك بالربوبيةِ ، موسومٌ بآثارِ نعمتِكَ ، ومعالمِ تدبيرِكَ ، علوتَ بها عن خلقِكَ ، فأوصلتَ إلى القلوبِ مِنْ معرفتِكَ ما آنسها مِنْ وحشةِ الفكرِ ، وكفاها رجمَ الاحتجاجِ ، فهيَ مع معرفتِكَ بك ، ووليتها إليك . . شاهدةٌ بأنك لا تأخذك الأوهامُ ، ولا تدركك العقولُ ولا الأبصارُ ، أعودُ بك أن أشيرَ بقلبٍ أو لسانٍ أو يدٍ إلى غيرِكَ ، لا إلهَ إلا أنت ، واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، ونحنُ لك مسلمونَ)^(١) .

- وَقَالَ : (إلهي ؛ كفاني فخراً أن تكونَ لي ربّاً ، وكفاني عزّاً أن أكونَ لك عبداً ، أنتَ كما أريدُ ، فاجعلني كما تريدُ)^(٢) .

- وَقَالَ : (ما خابَ امرؤٌ عدلَ في حكمِهِ ، وأطعمَ مِنْ قوتِهِ ، ودخرَ مِنْ دنياهُ لآخرتهِ)^(٣) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠) لابن أبي الحديد .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠) .

- وقالَ : (أَفْضَلُ عَلَيَّ مَنْ شِئْتَ .. تَكُنْ أَمِيرَهُ ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ ..
تَكُنْ نَظِيرَهُ ، وَاحْتَجَّ إِلَيَّ مَنْ شِئْتَ .. تَكُنْ أُسِيرَهُ)^(١) .

- وقالَ : (لَوْلا ضَعْفُ الْيَقِينِ .. مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْكُوَ مِحْنَةَ يَسِيرَةٍ نَرْجُو فِي
الْعَاجِلِ سُرْعَةَ زَوَالِهَا ، وَفِي الْأَجْلِ عَظِيمَ ثَوَابِهَا ، بَيْنَ أَضْعَافِ نَعَمٍ لَوْ اجْتَمَعَ
أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَيَّ إِحْصَائُهَا .. مَا وَفَّوْا [بِهَا] ، فَضْلاً عَنِ الْقِيَامِ
بِشُكْرِهَا)^(٢) .

- وقالَ : (مِنْ عِلَامَاتِ الْمَأْمُونِ عَلَيَّ دِينِ اللَّهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ وَالْعَمَلِ : الْحَزْمُ
فِي أَمْرِهِ ، وَالصَّدْقُ فِي قَوْلِهِ ، وَالْعَدْلُ فِي حُكْمِهِ ، وَالشَّفَقَةُ عَلَيَّ رَعِيَّتِهِ ، لَا
تُخْرِجُهُ الْقُدْرَةَ إِلَى خُرْقٍ - أَي : حَمَقٍ - وَلَا اللَّيْنُ إِلَيَّ ضَعْفٍ ، وَلَا تَمْنَعُهُ
الْعِزَّةُ مِنْ كَرَمِ عَفْوٍ ، وَلَا يَدْعُوهُ الْعَفْوُ إِلَى إِضَاعَةِ حَقٍّ ، وَلَا يَدْخُلُهُ الْإِعْطَاءُ
فِي سَرَفٍ ، وَلَا يَتَخَطَّى بِهِ الْقَصْدُ إِلَى بَخْلِ ، وَلَا تَأْخُذُهُ نِعْمَةٌ لِلَّهِ بِبَطْرِ)^(٣) .
- وقالَ : (الْفَسْقُ نَجَاسَةٌ فِي الْهَمَّةِ ، وَكَلْبٌ فِي الطَّبِيعَةِ)^(٤) .

- وقالَ : (قُلُوبُ الْجُهَّالِ تَسْتَفْزُهَا الْأَطْمَاعُ ، وَتَرْتَهِنُ بِالْأَمَانِيِّ ، وَتَتَعَلَّقُ
بِالْخَدَائِعِ ، وَكَثْرَةُ الصَّمْتِ زِمَامُ اللِّسَانِ ، وَحَسْمُ الْفِطْنَةِ ، وَإِمَاطَةُ الْخَاطِرِ ،
وَعَذَابُ الْحِسِّ)^(٥) .

- وقالَ : (عِدَاوَةُ الضُّعْفَاءِ لِلْأَقْوِيَاءِ ، وَالسُّفْهَاءِ لِلْحُكَمَاءِ ، وَالْأَشْرَارِ
لِلْأَخْيَارِ .. طَبْعٌ لَا يُسْتَطَاعُ تَغْيِيرُهُ)^(٦) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠) .
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠) .
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠ - ٢٥٦) .
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .

- وَقَالَ : (العقلُ في القلبِ ، والرحمةُ في الكبدِ ، والنفسُ في الرئَةِ) (١) .

- وَقَالَ : (إذا أرادَ اللهُ بعبِدٍ خيراً .. حالَ بينَهُ وبينَ شهوتِهِ ، وحجَرَ بينَهُ وبينَ قلبِهِ ، وإذا أرادَ اللهُ بِهِ شراً .. وكَلَّهُ إلى نَفْسِهِ) (٢) .

- وَقَالَ : (الصَّبْرُ مطيئةٌ لا تكبو ، والقناعةُ سيفٌ لا ينبو) (٣) .

- وَقَالَ : (رحمَ اللهُ عبداً اتقى ربَّهُ ، وناصحَ نفسَهُ ، وقَدَّمَ توبتَهُ ، وغلبَ شهوتَهُ ؛ فَإِنَّ أَجَلَهُ مستورٌ عنه ، وأملُهُ خادعٌ له ، والشيطانُ مُوَكَّلٌ بِهِ) (٤) .

- وَقَالَ : (ثلاثٌ منجياتٌ : خشيةُ اللهِ في السرِّ والعلانيةِ ، والقصدُ في الفقرِ والغنى ، والعدلُ في الغضبِ والرضا) (٥) .

- وَقَالَ : (إِيَّاكُمْ والفحشَ ؛ فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفحشَ ، وإِيَّاكُمْ والشُّحَّ ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، هُوَ الَّذِي سَفَكَ دماءَ الرجالِ ، وهوَ الَّذِي قَطَعَ أرحامَهَا ، فاجتنبوه) (٦) .

- وَقَالَ : (إذا فعلتَ كلَّ شيءٍ .. فكنْ كَمَنْ لم يفعلْ شيئاً) (٧) .

- وَقَالَ : وقد سألهُ رجلٌ فقالَ : بماذا أسوءُ عدوي؟ فقالَ : (أن تكونَ على غايةِ الفضائلِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ يَسُوؤُهُ أَنْ يَكُونَ لَكَ فرسٌ فارٌ ، أو كلبٌ صيودٌ .. فهوَ لِأَن تَذَكَرَ بالجميلِ ويُنسَبَ إليك .. أشدُّ مساءةً) (٨) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٧) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨) .

- وَقَالَ : (إِذَا قُذِفَتْ بِشَيْءٍ . . فَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ وَإِنْ كَانَ كَذِبًا ، بَل تَحَرَّزْ مِنْ طَرِقِ الْقَذْفِ جَهْدَكَ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ . . يُوجِبُ رِيْبَةً وَشَكًّا) (١) .

- وَقَالَ : (عَدَمُ الْأَدَبِ سَبَبُ كُلِّ شَرٍّ ، وَالْجَهْلُ بِالْفَضَائِلِ عَدْلُ الْمَوْتِ) (٢) .

- وَقَالَ : (مَا أَصْعَبَ عَلَى مَنْ اسْتَعْبَدَتْهُ الشَّهَوَاتُ أَنْ يَكُونَ فَاضِلًا) (٣) .

- وَقَالَ : (مَنْ لَمْ يَقْهَرْ حَسَدَهُ . . كَانَ جَسَدُهُ قَبْرًا لِنَفْسِهِ) (٤) .

- وَقَالَ : (أَحْمَدُ مَنْ يَغْلِظُ عَلَيْكَ [وَيَعْظُكَ] ، لَا مَنْ يَزَكِّيكَ وَيَتَمَلَّقُكَ) (٥)

- وَقَالَ : (اخْتَرْنَا أَنْ تَكُونَ مَغْلُوبًا وَأَنْتَ مَنْصُفٌ ، وَلَا تَخْتَرْنَا أَنْ تَكُونَ غَالِبًا وَأَنْتَ ظَالِمٌ) (٦) .

- وَقَالَ : (لَا تَهْضَمَنَّ مَحَاسِنَكَ بِالْفَخْرِ وَالتَّكْبِيرِ) (٧) .

- وَقَالَ : (لَا تَنْفُكُ الْمَدِينَةَ مِنْ شَرِّ حَتَّى تَجْتَمَعَ مَعَ قُوَّةِ السُّلْطَانِ قُوَّةُ دِينِهِ وَقُوَّةُ حِكْمَتِهِ) (٨) .

- وَقَالَ : (إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَمِّدَ . . فَلَا يَظْهَرُ مِنْكَ حِرْصٌ عَلَى الْحَمْدِ) (٩) .

- وَقَالَ : (مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ . . سَقَمَ بَدْنُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ . . عَذَّبَ نَفْسَهُ ،

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

وَمَنْ لَاحَى الرَّجَالَ . . سَقَطَتْ مَرَوْءُتُهُ ، وَذَهَبَتْ كِرَامَتُهُ ، وَأَفْضَلُ إِيمَانِ الْعَبْدِ أَنْ يَرَى اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ (١) .

- وَقَالَ : (فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ ، وَالْإِعْتِبَارُ يَفِيدُكَ الرَّشَادَ ، وَكِفَاكَ أَدْبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَعَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ) (٢) .

- وَقَالَ : (الْغَضَبُ يَشِيرُ كَامِنَ الْحَقْدِ ، وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ . . لَمْ يُغْفَلِ الْإِسْتِعْدَادَ ، وَمَنْ أَمَسَكَ عَنِ الْفُضُولِ . . عَدَلَتْ رَأْيُهُ الْعُقُولُ) (٣) .

- وَقَالَ : (اسْكُتْ وَاسْتَرْ . . تَسْلَمْ ، وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَزِينُهُ الْعَمَلُ !! وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يَزِينُهُ الرَّفْقُ !!) .

- وَقَالَ : (أَكْبُرُ الْفَخْرِ أَلَّا تَفْخَرَ) (٤) .

- وَقَالَ : (مَا أَصْعَبَ اكْتِسَابَ الْفَضَائِلِ وَأَيْسَرَ إِتْلَافِهَا !!) (٥) .

- وَقَالَ : (لَا تَنَازَعُ جَاهِلًا ، وَلَا تَشَايِعُ وَامِقًا ، وَلَا [تَعَادِ] مُسْلَطًا) (٦) .

- وَقَالَ : (مَا كُنْتَ كَاتِمَهُ عَدْوُكَ مِنْ سِرٍّ . . فَلَا يَطَّلِعَنَّ عَلَيْهِ صَدِيقُكَ ، وَاعْرِفْ قَدْرَكَ يَسْتَعْلِ أَمْرُكَ ، وَكَفِي مَا مَضَى مَخْبِرًا عَمَّا بَقِيَ) (٧) .

إِخْدَارُ عَدُوِّكَ مَرَّةً وَأَخْذُ صَدِيقِكَ أَلْفَ مَرَّةً
فَلَرَبَّمَا أَنْقَلَبَ الصَّدِيدُ نَى فَكَانَ أَعْرَفَ بِالْمَضْرَّةِ (٨)

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .

(٨) البيهتان من مجزوء الكامل ، وانظر « شرح نهج البلاغة » (٣٩/١٩) دون نسبة لسيدنا علي رضي الله عنه .

- وَقَالَ : (لَا تَعِدَنَّ عِدَّةً تَحْقِرُهَا قِلَّةُ الثَّقَةِ بِنَفْسِكَ ، وَلَا يَغْتَرَّنَكَ الْمُرْتَقَى السَّهْلُ إِذَا كَانَ الْمُنْحَدِرُ وَغَرًّا) (١) .

- وَقَالَ : (اتَّقِ الْعَوَاقِبَ عَالِمًا بِأَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً وَأَجْرًا ، وَاحْذِرْ تَبَعَاتِ الْأُمُورِ بِتَقْدِيمِ الْحَزْمِ فِيهَا) (٢) .

- وَقَالَ : (مَنْ اسْتَرَشَدَ غَيْرَ الْعَقْلِ .. أَخْطَأَ مِنْهَاجَ الرَّأْيِ ، وَمَنْ أَخْطَأَتْهُ وَجْهُهُ الْمَطَالِبِ .. خَذَلَتْهُ الْحَيْلُ ، وَمَنْ أَخْلَلَ بِالصَّبْرِ .. أَخْلَلَ بِهِ حَسَنُ الْعَاقِبَةِ ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَقْلِ ، وَبِقَدْرِ مَوَادِّ الْعَقْلِ وَقُوَّتِهَا يَقْوَى الصَّبْرُ) (٣) .

- وَقَالَ : (الْخَطَأُ فِي إِعْطَاءِ مَنْ لَا يَنْبَغِي ، وَمَنْعِ مَنْ يَنْبَغِي .. وَاحِدٌ) (٤) .

- وَقَالَ : (الْعَشْقُ مَرَضٌ لَيْسَ فِيهِ أَجْرٌ وَلَا عَوْضٌ) (٥) .

- وَقَالَ : (الْخِصْمَةُ تَمَحِّقُ الدِّينَ) (٦) .

- وَقَالَ : (الْجِهَادُ ثَلَاثَةٌ : جِهَادٌ بِالْيَدِ ، وَجِهَادٌ بِاللِّسَانِ ، وَجِهَادٌ بِالْقَلْبِ ؛ فَأَوَّلُ مَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ يَدُكَ ، ثُمَّ لِسَانُكَ ، ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْقَلْبِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مَنْكُرًا .. نَكَسَ ، فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ) (٧) .

- وَقَالَ : (مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَشَكَرَهَا بِقَلْبِهِ .. إِلَّا اسْتَوْجِبَ الْمَزِيدَ عَلَيْهَا قَبْلَ ظَهْوَرِهَا عَلَى لِسَانِهِ) (٨) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٠) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦١) .

- وَقَالَ : (الْحَاجَةُ مَسْأَلَةٌ ، وَالِدَعَاءُ زِيَادَةٌ ، وَالْحَمْدُ شُكْرٌ ، وَالنَّدَمُ تَوْبَةٌ) (١) .

- وَقَالَ : (لَنْ وَاحِلُمْ تَنْبَلُ ، وَلَا تَكُنْ مُعْجَبًا فُتْمَقَتَ وَتُمْتَهَنَ) (٢) .

- وَقَالَ : (مَا لِي أَرَى النَّاسَ إِذَا قُرِبَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ لِيلاً . . تَكَلَّفُوا إِنَارَةَ الْمَصَابِيحِ ؛ لِيَبْصُرُوا مَا يَدْخُلُونَ فِي بَطُونِهِمْ ، وَلَا يَهْتَمُّونَ بِغِذَاءِ النَّفْسِ بِأَنْ يَنْبُرُوا مَصَابِيحَ أَلْبَابِهِمْ بِالْعِلْمِ ؛ لِيَسْلَمُوا مِنْ لَوَاحِقِ الْجَهَالَةِ وَالذُّنُوبِ فِي اعْتِقَادَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ !؟) (٣) .

- وَقَالَ : (الْفَقْرُ هُوَ أَصْلُ حَسَنِ سِيَاسَةِ النَّاسِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْ حَسَنِ السِّيَاسَةِ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ النَّاسِ يَسُوسُ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَاسُ ، وَكَانَ مَنْ يُسَاسُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يُسَاسَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فَقِيرًا مُحْتَاجًا . . فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْفَقْرَ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ يَقُومُ حَسَنُ السِّيَاسَةِ) (٤) .

- وَقَالَ : (لَا تَتَكَلَّمْ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ دُونَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامَهُ ، وَتَقْيَسَ مَا فِي نَفْسِكَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ مَا فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَ . . فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَرُومَ زِيَادَةَ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ يَفْضَلُ عَلَيَّ مَا عِنْدَكَ) (٥) .

- وَقَالَ : (إِذَا كَانَ اللِّسَانُ آلَةً لَتَرْجِمَةَ مَا يَخْطُرُ فِي النَّفْسِ . . فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَعْمِلَهُ فِيمَا لَمْ يَخْطُرْ فِيهَا) (٦) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

- وَقَالَ : (إِذَا كَانَ الْآبَاءُ هُمُ السَّبَبُ فِي الْحَيَاةِ .. فَمُعَلِّمُوا الْحِكْمَةَ [وَالذِّينَ] هُمُ السَّبَبُ فِي جُودَتِهَا) (١) .

- وَقَالَ وَشَكَا إِلَيْهِ رَجُلٌ تَعَدَّرَ الرِّزْقَ فَقَالَ : (لَا تَجَاهِدِ الرِّزْقَ جِهَادَ الْمَغَالِبِ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى الْقَدْرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ ؛ فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ السُّنَّةِ ، وَالْإِجْمَالَ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْعِقَّةِ ، وَلَيْسَتْ الْعِقَّةُ دَافِعَةً رِزْقًا ، وَلَا الْحِرْصُ جَالِبًا فَضْلًا ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ ، وَفِي شِدَّةِ الْحِرْصِ اكْتِسَابُ الْمَأْثَمِ) (٢) .

- وَقَالَ (٣) :

إِذَا أَسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ
- وَقَالَ : (الْعَمْرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَعْلَمَ كُلَّ مَا يَحْسُنُ بِكَ عَمَلُهُ ، فَتَعْلَمِ الْأَهْمَ فَالْأَهْمَ) (٤) .

- وَقَالَ : (مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ .. اسْتِرَاحَ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ) (٥) .

- وَقَالَ : (أَبْعُدْ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ إِذَا كَانَ هُمُّهُ بَطْنَهُ وَفِرْجَهُ) (٦) .

- وَقَالَ : (لَيْسَ فِي الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ شَيْءٌ أَشْرَفَ مِنَ الْعَيْنِ ، فَلَا تَعْطُوهَا سُؤْلَهَا فَتَشْغَلْكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (٧) .

- وَقَالَ : (اِرْحَمُوا ضُعَفَاءَكُمْ ؛ فَالرَّحْمَةُ لَهُمْ سَبَبُ رَحْمَةِ اللَّهِ لَكُمْ) (٨) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦١) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦١ - ٢٦٢) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

- وقالَ : (إزالَةُ الجبالِ أسهلُ مِنْ إزالَةِ دولةٍ قد أقبلتْ ، فاستعينوا باللهِ واصبروا ؛ فَإِنَّ الأرضَ لِلَّهِ يورثُها مَنْ يشاءُ) (١) .

- وقالَ : (ليسَ المُوسِرُ مَنْ كانَ يسارُهُ باقياً عندهُ زماناً يسيراً ، ويمكنُ أن يَغْتَصِبَهُ غيرُهُ منهُ ، ولا يبقى بعدَ موتِهِ لهُ ، لكنَّ اليسارُ على الحقيقةِ هوَ الباقي دائماً عندَ مالِكِهِ ، ولا يمكنُ أن يُؤخَذَ منهُ ، ويبقى لهُ بعدَ موتِهِ ؛ وذلكَ هوَ الحكمةُ) (٢) .

- وقالَ : (الشَّرْفُ اعتقادُ المننِ في أعناقِ الرجالِ) (٣) .

- وقالَ : (يضرُّ الناسُ أنفُسَهُم في ثلاثةِ أشياءَ : الإفراطُ في الأكلِ اتكالاً على الصحَّةِ ، وتكَلُّفُ حملِ ما لا يُطاقُ اتكالاً على القوَّةِ ، والتفريطُ في العملِ اتكالاً على القدرِ) (٤) .

- وقالَ : (أحزمُ الناسِ مَنْ ملكَ جدُّهُ هزلَهُ ، وقهرَ رأْيُهُ هواهُ ، وأعربَ عن ضميرِهِ فعلُهُ ، لم يخذعهُ رضاهُ عن حظِّهِ ، ولا غضبُهُ عن كيدِهِ) (٥) .

- وقالَ : (مَنْ لم يُصلِحْ خلائقَهُ . . لم ينفَعِ الناسَ تأديبُهُ) (٦) .

- وقالَ : (مَنْ اتبعَ هواهُ . . ضلَّ ، ومَنْ جادَ . . سادَ ، وخمودُ الذِّكرِ أجملُ مِنْ ذمِّمِ الذِّكرِ) (٧) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٢) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٣) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٣) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٣) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٣) .

- وَقَالَ : (لَهَبُ الشَّوْقِ أَخْفَى مَحْمَلًا مِنْ مَقَاسَةِ المَلَالَةِ) (١) .

- وَقَالَ : (بِالرَّفْقِ تُنَالُ الحَاجَةُ ، وَبِحَسَنِ التَّائِي تَسْهُلُ المَطَالِبُ) (٢) .

- وَقَالَ : (بِعَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُطْفَأُ نَارُ الهَوَى ، وَبِنَفْيِ العَجَبِ يُؤْمَنُ كَيْدُ الحُسَّادِ) (٣) .

- وَقَالَ : (بِحَسَبِ مَجَاهِدَةِ النُّفُوسِ ، وَرِدِّهَا عَنِ شَهَوَاتِهَا ، وَمَنْعِهَا عَنِ مَسَافِحَةِ لَذَائِهَا ، وَمَنْعِ مَا أَدَّتْ إِلَيْهِ العَيُونُ الطَّامِحَةَ مِنْ لِحْظَاتِهَا . . تَكُونُ المَثُوبَاتُ وَالعُقُوبَاتُ ، وَالحَازِمُ مَنْ مَلَكَ هَوَاهُ فَكَانَ بِمَلَكَهَ لَهُ قَاهِرًا ، وَلِمَا قَدَحَتِ الأفْكَارُ مِنْ سِوَى الظُّنُونِ زَاجِرًا ؛ فَمَتَى لَمْ تُرَدَّ النُّفْسُ عَنِ ذَلِكَ . . هَجَمَ عَلَيْهَا الفِكرُ بِمَطَالِبِهِ مَا [شُغِفَتْ] بِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَأَنَسُ [بِالآرَاءِ] الفَاسِدَةِ ، وَالأَطْمَاعِ الكَازِبَةِ ، وَالأَمَانِيِّ المِتْلَاشِيَةِ .

وَمَا أَنَّ البَصَرَ إِذَا اعْتَلَّ رَأَى أَشْبَاحًا أَوْ خِيَالَاتٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا . . كَذَلِكَ النُّفْسُ إِذَا اعْتَلَّتْ بِحُبِّ الشَّهَوَاتِ وَانطَوَّتْ عَلَى قَبِيحِ الإِرَادَاتِ رَأَتْ الآرَاءَ الكَازِبَةَ ، فإِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ نَرغِبُ فِي إِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ قُلُوبِنَا ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ عَلَى إِرشَادِ نَفُوسِنَا ؛ فَإِنَّ القُلُوبَ بِيَدِهِ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) (٤) .

- وَقَالَ : (مَا شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ) (٥) .

- وَقَالَ : (لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةٍ ، وَلَا يَمِينَ فِي قَطِيعَةٍ) (٦) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

- وَقَالَ : (لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمْرَةٌ ، وَثَمْرَةُ الْمَعْرُوفِ تَعْجِيلُ السَّرَاحِ) (١) .

- وَقَالَ : (إِتَاكُمْ وَالْكَسَلَ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ كَسَلَ . . لَمْ يُوَدِّ لِلَّهِ حَقًّا) (٢) .

- وَقَالَ : (احْسُبُوا كَلَامَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَقْلُوهُ إِلَّا فِي الْخَيْرِ) (٣) .

- وَقَالَ : (أَحْسِنُوا صَحْبَةَ النَّعْمِ ؛ فَإِنَّهَا تَزُولُ ، وَتَشْهَدُ عَلَى صَاحِبِهَا بِمَا عَمَلَ فِيهَا) (٤) .

- وَقَالَ : (لَا تُؤَاخِئَنَّ الْفَاجِرَ ؛ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيُوَدُّ لَوْ أَنَّكَ مِثْلُهُ ، وَيُحْسِنُ لَكَ أَقْبَحَ خِصَالِهِ ، وَمَدْخَلُهُ وَمَخْرَجُهُ مِنْ عِنْدِكَ شَيْنٌ وَعَارٌ وَنَقْصٌ ، وَلَا الْأَحْمَقُ ؛ فَإِنَّهُ يَجْهَدُ لَكَ نَفْسَهُ ، وَلَا يَنْفَعُكَ ، وَرَبِّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْفَعَكَ فَضَرَّكَ ، سَكَوْتُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نَطْقِهِ ، وَبُعْدُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ قُرْبِهِ ، وَمَوْتُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَيَاتِهِ ، وَلَا الْكُذَّابَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ مَعَهُ عَيْشٌ ، يَنْقُلُ حَدِيثَكَ وَيَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَيْكَ ؛ حَتَّى إِنَّهُ لِيُحَدِّثُ بِالصِّدْقِ فَلَا يُصَدِّقُ) (٥) .

- وَقَالَ : (مَا اسْتَقْصَى كَرِيمٌ قَطُّ ؛ قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ عَرَفَ بَعْضَهُ ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾) (٦) .

- وَقَالَ : (رَبِّ كَلِمَةٍ يَجْتَرَعُهَا حَلِيمٌ مَخَافَةَ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهَا ، وَكَفَى بِالْحَلِمِ نَاصِرًا) (٧) .

- وَقَالَ : (مَنْ جَمَعَ سِتَّ خِصَالٍ . . لَمْ يَدْعُ لِلْجَنَّةِ مَطْلَبًا ، وَلَا عَنِ النَّارِ

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٣) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٣) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٣) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٣) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٤) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٤) ، والآية من سورة التَّحْرِيمِ : (٣) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٤) .

مهرباً ؛ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَأَطَاعَهُ ، وَعَرَفَ الشَّيْطَانَ فَعَصَاهُ ، وَعَرَفَ الْحَقَّ فَاتَّبَعَهُ ،
وَعَرَفَ الْبَاطِلَ فَاتَّقَاهُ ، وَعَرَفَ الدُّنْيَا فَرَفَضَهَا ، وَعَرَفَ الْآخِرَةَ فَطَلَبَهَا (١) .

- وَقَالَ : (مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنْ نَفْسِهِ .. فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ
عِنْدَهُ قَدْرٌ) (٢)

- وَقَالَ : (غَايَةُ الْأَدَبِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ) (٣) .

- وَقَالَ : (الْبَلَاغَةُ الْبَصْرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفُرْصَةِ ، وَمِنْ الْبَصْرِ
بِالْحُجَّةِ : أَنْ يَدْعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقَةً ،
وَكَانَتِ الْكِنَايَةُ أْبْلَغَ فِي الدَّرَكِ ، وَأَحَقُّ بِالظَّفَرِ) (٤) .

- وَقَالَ : (إِيَّاكَ وَالشَّهَوَاتِ ، وَلِيَكُنْ مِمَّا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى كَفِّهَا عِلْمُكَ
بِأَنَّهَا مَلْهِيَةٌ لِعَقْلِكَ ، مَهْجَنَةٌ لِرَأْيِكَ ، شَائِنَةٌ لِعِرْضِكَ ، شَاغِلَةٌ لَكَ عَنْ مَعَاضِمِ
أُمُورِكَ ، مُشْتَدَّةٌ بِهَا التَّبَعَةُ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ ، إِنَّمَا الشَّهَوَاتُ لَعِبٌ ، فَإِذَا
حَضَرَ اللَّعِبُ .. غَابَ الْجِدُّ ، وَلَنْ يُقَامَ الدِّينُ وَتَصْلَحَ الدُّنْيَا إِلَّا بِالْجِدِّ ، فَإِذَا
نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ .. فَاعْلَمْ : أَنَّهَا قَدْ نَزَعَتْ بِكَ إِلَى شَرِّ
مَنْزَعٍ ، وَأَرَادَتْ بِكَ أَفْضَحَ الْفُضُوحِ ، فَغَالِبُهَا مَغَالِبَةٌ ذَلِكَ ، وَامْتَنَعْ مِنْهَا امْتِنَاعَ
ذَلِكَ ، وَلِيَكُنْ مَرْجِعُكَ مِنْهَا إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّهَا مَهْمَا تَتْرُكُ مِنَ الْحَقِّ .. لَا
تَتْرُكُهُ إِلَّا إِلَى الْبَاطِلِ ، وَمَهْمَا تَدْعُ مِنَ الصَّوَابِ .. لَا تَدْعُهُ إِلَّا إِلَى الْخَطَا ،
فَلَا تَدَاهِنَنَّ هَوَاكَ فِي الْيَسِيرِ ، فَيَطْمَعُ مِنْكَ فِي الْكَثِيرِ .

وَلَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أَوْتَيْتَ فَاضِلاً عَمَّا يَصِلُحُكَ ، وَلَيْسَ لِعَمْرِكَ وَإِنْ طَالَ

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٤) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٥) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٥) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٦٥) .

فَضْلٌ عَمَّا يَنْوِيكَ مِنَ الْحَقِّ الْإِلَازِمِ لَكَ ، وَلَا بِمَالِكَ وَإِنْ كَثُرَ فَضْلٌ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ فِيهِ ، وَلَا بِقُوَّتِكَ وَإِنْ تَمَّتْ فَضْلٌ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَا بِرَأْيِكَ وَإِنْ حَزَمَ فَضْلٌ عَمَّا لَا تُعْذَرُ بِالْخَطَأِ فِيهِ ، فَلِيَمْنَعَنَّكَ عِلْمُكَ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ تَبْطَلَ لَكَ عَمْرًا فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، أَوْ تُضَيِّعَ لَكَ مَالًا فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ أَنْ تُصْرَفَ لَكَ قُوَّةٌ فِي غَيْرِ عِبَادَةٍ ، أَوْ تُعَدَلَ لَكَ رَأْيًا فِي غَيْرِ رَشْدٍ ، فَالْحِفْظَ [الْحِفْظَ] لِمَا أُوتِيَتْ ؛ فَإِنَّ بَكَ إِلَى صَغِيرٍ مَا أُوتِيَتْ وَالْكَبِيرِ مِنْهُ أَشَدَّ الْحَاجَةَ ، وَعَلَيْكَ بِمَا أَضَعَّتْهُ مِنْهُ أَشَدَّ الْمَرْزَاةَ ، وَلَا سِيَّمَا الْعَمْرُ الَّذِي كُلُّ مَنْفَعَةٍ (١) سِوَاهُ مُسْتَحْلَفٌ ، وَكُلُّ ذَاهِبٍ بَعْدَهُ مَرْتَجِعٌ .

فَإِنْ كُنْتَ شَاغِلًا نَفْسَكَ بِلَذَّةٍ . . [فَلَتَكُنْ] لَذْتُكَ فِي مُحَادَثَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَدَرَسِ كِتَابِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ سُرُورُكَ بِالشَّهَوَاتِ بِالْغَا مَنَّكَ مَبْلَغًا إِلَّا وَإِكْبَابُكَ عَلَى ذَلِكَ وَنَظْرُكَ فِيهِ بِالْغُةِ مِنْكَ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ إِلَى عَاجِلِ السُّرُورِ تَمَامَ السَّعَادَةِ ، وَخِلَافُ ذَلِكَ يَجْمَعُ إِلَى عَاجِلِ الْغَيِّ وَخَامَةِ الْعَاقِبَةِ ، وَقَدِيمًا قِيلَ : أَسْعَدُ النَّاسِ أَدْرَكُهُمْ لِهَوَاهُ إِذَا كَانَ هَوَاهُ فِي رَشْدِهِ ، فَإِذَا كَانَ هَوَاهُ فِي غَيْرِ رَشْدِهِ . . فَقَدْ شَقِيَّ بِمَا أَدْرَكَ مِنْهُ ، وَقَدِيمًا قِيلَ : عَوْدُ نَفْسِكَ الْجَمِيلِ ، فَبَاعْتِيَادِكَ إِيَّاهُ يَعُودُ لَذِيذًا (٢) .

- وَقَالَ : (وَكَلَّ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ بِالرِّزْقِ بِالْحَمَقِ ، وَالْحَرْمَانُ بِالْعَقْلِ ، وَالْبَلَاءُ بِالْمَنْطِقِ) (٣) .

- وَقَالَ : (ثَلَاثَةٌ إِنْ لَمْ تَظْلَمُهُمْ . . ظَلَمُوكَ : عَبْدُكَ ، وَزَوْجَتُكَ ، وَابْنُكَ) (٤) .

- وَقَالَ : (لِلْمُنَافِقِينَ عِلَامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا : تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةً ، وَطَعَامُهُمْ تُهْمَةً ،

(١) فِي « شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » : (مَنْفَعَةٌ) .

(٢) انْظُرْ « شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » (٢٠ / ٢٦٥) .

(٣) انْظُرْ « شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » (٢٠ / ٢٦٦) .

(٤) انْظُرْ « شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » (٢٠ / ٢٦٦) .

وغميتمتهم غُلُولٌ ، لا يَعْرِفُونَ المساجدَ إلا هُجْرًا ، ولا يَأْتُونَ الصلاةَ إلا دُبْرًا ، مستكبرينَ ، لا يَأْلَفُونَ ولا يُؤَلَّفُونَ ، خُسْبٌ بالليل ، صُخْبٌ بالنهار (١) .

- وقالَ : (الحسدُ حزنٌ لازمٌ ، وعقلٌ هائمٌ ، ونَفْسٌ دائمٌ ، والنعمةُ على المحسودِ نعمةٌ ، وهي على الحاسدِ نقمةٌ) (٢) .

- وقالَ : (يا حملةَ العلمِ ؛ لِمَ تحملونَهُ؟! فَإِنَّمَا العلمُ لِمَنْ علمَ ، ثمَّ عملَ بما علمَ ، ووافقَ عملهُ علمَهُ ، وسيكونُ أقوامٌ يحملونَ العلمَ لا يجاوزُ تراقيهِمْ ، تخالفُ سريرتَهُم علانيتَهُم ، ويخالفُ علمُهُم عملَهُم ، يقعدونَ حِلَقًا ، فيباهي بعضهم بعضًا ، حتى إنَّ الرجلَ لَيَغضِبُ على جليسيهِ أن يجلسَ إلى غيرِهِ ، أولئك لا تَصْعَدُ أعمالُهُم في مجالسِهِم تلكَ إلى الله سبحانه) (٣) .

- وقالَ : (تَعَلَّمُوا العلمَ صغارًا .. تسودوا بِهِ كبارًا ، وتَعَلَّمُوا العلمَ ولو لغيرِ الله ؛ فَإِنَّهُ سيصيرُ اللهُ ، العلمَ ذَكَرًا لا يُحِبُّهُ إلا ذَكَرٌ مِنَ الرجالِ) (٤) .

- وقالَ : (ليسَ شيءٌ أحسنَ مِنْ عقلٍ زَانَهُ علمٌ ، وَمِنْ علمٍ زَانَهُ حِلْمٌ ، وَمِنْ حِلْمٍ زَانَهُ صدقٌ ، وَمِنْ صدقٍ زَانَهُ رفقٌ ، وَمِنْ رفقٍ زَانَهُ تقوى ، إنَّ مِلاكَ العقلِ ومكارمِ الأخلاقِ صونُ العِرضِ ، والجزاءُ بالقرضِ (٥) ، والأخذُ بالفضلِ ، والوفاءُ بالعهدِ ، والإنجازُ للوعدِ ، وَمَنْ حاولَ أمرًا بالمعصيةِ .. كانَ أقربَ إلى ما يَخافُ ، وأبعدَ ممَّا يَرجو) (٦) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٦/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

(٥) في « شرح نهج البلاغة » : (القرض) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

- وَقَالَ : (إِذَا جَزَتْ الْمَقَادِيرُ بِالْمَكَارِهِ . . سَبَقَتْ الْآفَةُ إِلَى الْعَقْلِ فَحَيَّرَتْهُ ،
وَانْطَلَقَتْ الْأَلْسُنُ بِمَا فِيهِ تَلْفُ الْأَنْفُسِ) (١) .

- وَقَالَ : (لَا تَصْحَبُوا الْأَشْرَارَ ؛ فَإِنَّهُمْ يَمْتُونُ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ
مِنْهُمْ) (٢) .

- وَقَالَ : (لَا تَقْسِرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لَزَمَانٍ غَيْرِ
زَمَانِكُمْ) (٣) .

- وَقَالَ : (لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ الْعَمَلِ ، وَاطْلُبْ تَجْوِيدَهُ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ
فِي كَمِ فَرَعٍ مِنَ الْعَمَلِ ، إِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنِ جُودَةِ صِنْعَتِهِ) (٤) .

- وَقَالَ : (لَيْسَ كُلُّ ذِي عَيْنٍ يَبْصُرُ ، وَلَا كُلُّ ذِي أُذُنٍ يَسْمَعُ ، فَتَصَدَّقُوا
عَلَى ذَوِي الْعُقُولِ الزَّمْنَةَ وَالْأَبَابِ الْحَائِرَةَ بِالْعُلُومِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ صِدْقَاتِكُمْ ،
ثُمَّ تَلَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُونَ ﴾ (٥) .

- وَقَالَ : (الْمُؤْمِنُ لَا تَخْتَلُهُ كَثْرَةُ الْمَصَائِبِ وَتَوَاتُرُ النِّوَائِبِ عَنِ التَّسْلِيمِ
لِرَبِّهِ ، وَالرِّضَاءِ بِقَضَائِهِ ؛ كَالْحَمَامَةِ الَّتِي تُؤَخِّدُ فِرَاحَهَا مِنْ وَكْرِهَا ثُمَّ تَعُودُ
إِلَيْهِ) (٦) .

- وَقَالَ : (مَا مَاتَ مَنْ أَحْيَا عِلْمًا ، وَلَا افْتَقَرَ مَنْ مَلَكَ فَهْمًا) (٧) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠ - ٢٦٨) ، والآية من سورة البقرة : (١٥٩) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٨/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٨/٢٠) .

- وقالَ : (العلمُ صبغُ النفسِ ، وليسَ يفوقُ صبغُ الشيءِ حتى يَنْظَفَ مِنْ كلِّ دنسٍ) (١) .

- وقالَ : (اعلمُ : أنَّ الذي مدحك بما ليسَ فيك إثمًا هو مخاطبٌ غيرك ، وثوابُهُ وجوابُهُ قد سقطا عنك) (٢) .

- وقالَ : (إحسانك إلى الحرِّ يُحرِّكُهُ على المكافأة ، وإحسانك إلى النذلِ يبعثُهُ على معاودةِ المسألة) (٣) .

- وقالَ : (الأشرارُ يتبعونَ مساويَ الناسِ ، ويتركونَ محاسنَهُمْ ؛ كما يتبعُ الذبابُ المواضعَ الفاسدةَ مِنَ الجسدِ ، ويتركُ الصحيحَ منه) (٤) .

- وقالَ : (موتُ الرُّؤساءِ أسهلُّ مِنْ رئاسةِ [السَّفَلَةِ]) (٥) .

- وقالَ : (ينبغي لِمَنْ ولي أمرٌ قومٌ أن يبدأ بتقويمِ نفسه قبلَ أن يشرعَ في تقويمِ رعيتِهِ ، وإلا . . . كانَ بمنزلةِ مَنْ رامَ استقامةَ ظلِّ العودِ قبلَ أن يستقيمَ ذلكَ العودُ) (٦) .

- وقالَ : (إذا قويَ الوالي في عمله . . . حرَّكتهُ ولايتهُ على حَسَبِ ما هوَ مركوزٌ في طبعِهِ مِنَ الخيرِ والشرِّ) (٧) .

- وقالَ : (ينبغي للوالي أن يعملَ بخصالٍ ثلاثٍ : تأخيرُ العقوبةِ في سلطانِ الغضبِ ، والأناةُ فيما يرثيه مِنْ رأيٍ ، وتعجيلُ مكافأةِ المحسنِ

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٨/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٨/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٨/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

بالإحسان؛ فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية، وفي الأناة انفساخ الرأي، وحمد العاقبة، ووضوح الصواب (١).

- وقال: (من حق العالم على المتعلم: ألا يكثر عليه السؤال، ولا يُعنته في الجواب، ولا يُلح عليه إذا كسل، ولا يُفشي له سرّاً، ولا يَغتاب عنده أحداً، ولا يطلب عشرته، فإذا زل.. تأنّيت أوبته، وقبلت معذرتَه، وأن تُعظّمه وتوقّره ما حفظ أمر الله وعظّمه، وألا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة.. سبقت غيرك إلى خدمته فيها، ولا تضجرن من صحبته، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة، وحُصّه بالتحية، واحفظ شاهده وغائبه، وليكن ذلك كله لله عزّ وجلّ، فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالم.. ثلّم في الإسلام ثلّمة لا يسدّها إلا خلف منه، وطالب العلم تُشيعه الملائكة حتى يرجع) (٢).

- وقال: (وَصَوْلٌ مُعَدِّمٌ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ مَكْثِرٍ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ.. فَلْيَنْظُرْ مَا لِلَّهِ عِنْدَهُ) (٣).

- وقال: (لقد سبق إلى جنّات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياماً ولا حجّاً ولا اعتماراً، ولكن عقلوا عن الله أمره، فحسنت طاعتهم، وصحّ ورعهم، وكمل يقينهم، ففاقوا غيرهم بالحظوة ورفيع المنزلة) (٤).

- وقال: (إن الله سبحانه وتعالى أدب نبيّه صلى الله عليه وسلّم فقال له:

(١) انظر «شرح نهج البلاغة» (٢٦٩/٢٠).

(٢) انظر «شرح نهج البلاغة» (٢٦٩/٢٠).

(٣) انظر «شرح نهج البلاغة» (٢٧٠/٢٠).

(٤) انظر «شرح نهج البلاغة» (٢٧٠/٢٠).

﴿ خُدَّ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرِفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(١) ، فلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ تَادَّبَ ..
 قَالَ لَهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٢) ، فلَمَّا اسْتَحْكَمَ لَهُ مِنْ رِسُولِهِ مَا أَحَبَّ ..
 قَالَ : ﴿ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(٣) .

- وَقَالَ : كُنْتُ أَنَا وَالْعَبَّاسُ وَعَمْرٌ نَتَذَاكِرُ الْمَعْرُوفَ ؛ فَقُلْتُ أَنَا : خَيْرُ
 الْمَعْرُوفِ سِتْرُهُ ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ : خَيْرُهُ تَصْغِيرُهُ ، وَقَالَ عَمْرٌ : خَيْرُهُ تَعْجِيلُهُ ،
 فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « فِيمَ أَنْتُمْ ؟ » فَذَكَرْنَا
 لَهُ ، فَقَالَ : « خَيْرُهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ فِيهِ » ^(٤) .

- وَقَالَ : (الْعَفْوُ يَفْسُدُ مِنَ اللَّئِيمِ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُ مِنَ الْكَرِيمِ) ^(٥) .

- وَقَالَ : (إِذَا خَبَتْ الزَّمَانُ .. كَسَدَتْ الْفَضَائِلُ وَضَرَّتْ ، وَنَفَقَتِ الرِّذَائِلُ
 وَنَفَعَتْ ، وَكَانَ خَوْفُ الْمَوْسِرِ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ الْمَعْسِرِ) ^(٦)

- وَقَالَ : (انظُرْ إِلَى الْمُتَنَصِّحِ إِلَيْكَ ، فَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثُ يُضَارُّ النَّاسُ ..
 فَلَا تَقْبَلْ نَصِيحَتَهُ ، وَتَحَرَّزْ مِنْهُ ، وَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثُ الْعَدْلُ وَالصَّلَاحُ ..
 فَاقْبَلْهَا مِنْهُ) ^(٧) .

- وَقَالَ : (أَعْدَاءُ الرَّجُلِ قَدْ يَكُونُونَ أَنْفَعَ مِنْ إِخْوَانِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَبْدُونَ إِلَيْهِ
 عَيْبَتَهُ فَيَتَجَنَّبُهَا ، وَيَخَافُ شِمَاتَتَهُمْ بِهِ فَيَضْبِطُ نَعْمَتَهُ ، وَيَتَحَرَّزُ مِنْ زَوَالِهَا
 بِغَايَةِ طَوْقِهِ) ^(٨) .

(١) سورة البقرة : (٦٧) .

(٢) سورة القلم : (٤) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠ / ٢٠) ، والآية من سورة الأعراف : (١٩٩) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠ / ٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠ / ٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠ / ٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١ - ٢٧٠ / ٢٠) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١ / ٢٠) .

- وَقَالَ : (الْمِرْأَةُ الَّتِي يَنْظُرُ الْإِنْسَانَ فِيهَا إِلَى أَخْلَاقِهِ هِيَ النَّاسُ ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَحَاسِنَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مِنْهُمْ ، وَمَسَاوِيَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِيهِمْ) (١) .

- وَقَالَ : (انْظُرْ وَجْهَكَ كُلَّ وَقْتٍ فِي الْمِرْأَةِ ؛ فَإِنْ كَانَ حَسَنًا . . فَاَسْتَقْبِخْ أَنْ تُضَيِّفَ إِلَيْهِ فَعَلًا قَبِيحًا وَتَشِينَهُ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا . . فَاَسْتَقْبِخْ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ قَبِيحَيْنِ) (٢) .

- وَقَالَ : (مَوْقِعُ الصَّوَابِ مِنَ الْجُهَّالِ مِثْلُ مَوْقِعِ الْخَطَأِ مِنَ الْعُلَمَاءِ) (٣) .

- وَقَالَ : (ذَكَ قَلْبِكَ بِالْأَدَبِ كَمَا تُذَكِّي النَّارُ بِالْحَطَبِ) (٤) .

- وَقَالَ : (لَا تَصْرِمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ ، وَلَا تَقْطَعُهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ) (٥) .

- وَقَالَ : (خَيْرُ الْمَقَالِ مَا صَدَّقَهُ الْفِعَالُ) (٦) .

- وَقَالَ : (إِذَا لَمْ تُرْزَقْ غِنَى . . فَلَا تُحْرَمَنَّ مِنْ تَقْوَى) (٧) .

- وَقَالَ : (مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا . . لَمْ يَحْزَنْ لِلْبَلْوَى) (٨) .

- وَقَالَ : (دَعِ الْكُذْبَ تَكْرُمًا إِنْ لَمْ تَدْعُهُ تَأْتِمًا) (٩) .

- وَقَالَ : (الْمَعْتَذِرُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ الذَّنْبَ) (١٠) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

(١٠) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

- وَقَالَ : (كَثْرَةُ الْجِدَالِ تُوجِبُ الشُّكَّ) (١) .

- وَقَالَ : (خَيْرُ الْقُلُوبِ أَوْعَاها) (٢) .

- وَقَالَ : (الْحِيَاءُ لِبَاسٌ سَابِعٌ ، وَحِجَابٌ مَانِعٌ ، وَسِتْرٌ مِنَ الْمَسَاوِي وَاقٍ ، وَحَلِيفٌ لِلدِّينِ ، وَمَوْجِبٌ لِلْمَحَبَّةِ ، وَعَيْنٌ كَالثَّةُ تَذُودُ عَنِ الْفَسَادِ ، وَتَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ، وَالْعَجَلَةُ فِي الْأُمُورِ مَكْسَبَةٌ لِلْمَدَلَّةِ ، وَزِمَامٌ لِلنَّدَامَةِ ، وَسَلْبٌ لِلْمَرْوَةِ ، وَشِينٌ لِلْحِجَا ، وَدَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ الْعَقْدَةِ) (٣) .

- وَقَالَ : (إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ قَدْرِهِ . . تَنَكَّرَتْ لِلنَّاسِ أَخْلَاقُهُ) (٤) .

- وَقَالَ : (لَا تَصْحَبِ الشَّرِيرَ ؛ فَإِنَّ طَبْعَكَ يَسْرِقُ مِنْ طَبْعِهِ شَرًّا وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ) (٥) .

- وَقَالَ : (يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَذَكَّرَ عِنْدَ حَلَاوَةِ الْغِذَاءِ مِرَارَةَ الدَّوَاءِ) (٦) .

- وَقَالَ : (إِنْ حَسَدَكَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكَ عَلَى فَضِيلَةٍ ظَهَرَتْ مِنْكَ ، فَسَعَى فِي مَكْرُوهِكَ . . فَلَا تَقَابَلُهُ بِمِثْلِ مَا كَافَحَكَ بِهِ ، فَيَعْذِرَ نَفْسَهُ فِي الْإِسَاءَةِ ، وَتَشْرَحَ لَهُ طَرِيقاً إِلَى مَا يَحِبُّهُ فَيْكَ ، لَكِنْ اجْتَهِدْ فِي التَّرْيِيدِ مِنْ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ الَّتِي حَسَدَكَ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهَا تَسْوَأُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُوجِدَهُ حُجَّةً عَلَيْكَ) (٧) .

- وَقَالَ : (إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ طَبْعَ الرَّجُلِ . . فَاسْتَشْرُهُ ؛ فَإِنَّكَ تَقْفُ مِنْ مَشُورَتِهِ عَلَى عَدْلِهِ وَجُورِهِ ، وَخَيْرِهِ وَشَرِّهِ) (٨) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

- وَقَالَ : (يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْفَقَ عَلَيَّ وَلَدِيكَ مِنْ إِشْفَاقِكَ عَلَيْهِ) (١) .

- وَقَالَ : (إِذَا خَدَمْتَ رَئِيسًا .. فَلَا تَلْبَسَنَّ مِثْلَ مَلْبُوسِهِ ، وَلَا تَرَكِبْ مِثْلَ مَرْكُوبِهِ ، وَلَا تَسْتَخْدَمْ مِثْلَ خَدَمِهِ ، فَعَسَاكَ تَسْلَمُ مِنْهُ) (٢) .

- وَقَالَ : (لَا تُحَدِّثْ بِالْعِلْمِ السَّفَهَاءَ فَيُكَذِّبُوكَ ، وَلَا الْجُهَّالَ فَيَسْتَثْقِلُوكَ ، وَلَكِنْ حَدِّثْ بِهِ مَنْ يَتَلَقَّاهُ مِنْ أَهْلِهِ بِقَبُولٍ وَفَهْمٍ .. يَفْهَمُ عَنْكَ مَا تَقُولُ ، وَيَكْتُمُ عَلَيْكَ مَا يَسْمَعُ ، فَإِنَّ لِعَلْمِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، كَمَا أَنَّ عَلَيْكَ فِي مَالِكَ حَقًّا ؛ بَذْلُهُ لِمُسْتَحِقِّهِ ، وَمَنْعُهُ عَنْ غَيْرِ مُسْتَحِقِّهِ) (٣) .

- وَقَالَ : (إِيَّاكَ وَصَاحِبَ السُّوءِ ؛ فَإِنَّهُ كَالسِّيفِ الْمَسْلُوبِ ، يَرُوقُ مِنْظَرُهُ ، وَيَقْبَحُ أَثَرُهُ) (٤) .

- وَقَالَ : (الْعَاقِلُ مَنْ اتَّهَمَ رَأْيَهُ ، وَلَمْ يَثِقْ بِمَا سَوَّلَتْهُ لَهُ نَفْسُهُ) (٥) .

- وَقَالَ : (أَمْرٌ لَا تَدْرِي مَتَى يَغْشَاكَ لَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْجَاكَ) (٦) .

- وَقَالَ : (لَيْسَ فِي الْبَرْقِ الْخَاطِفِ [مُسْتَمْتَعٌ] لِمَنْ يَخْوِضُ فِي الظُّلْمَةِ) (٧) .

- وَقَالَ : (إِذَا أَعْجَبَكَ مَا يَتَوَاصَفُهُ النَّاسُ مِنْ مَحَاسِنِكَ .. فَانظُرْ فِيمَا

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٣/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٣/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٣/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٣/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٣/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٤/٢٠) .

بَطْنَ مِنْ مَسَاوِيكَ ، وَلَتَكُنْ مَعْرِفَتُكَ بِنَفْسِكَ أَوْثَقَ عِنْدَكَ مِنْ مَدْحِ الْمَادِحِينَ لَكَ (١) .

- وَقَالَ : (خِيَارُ النَّاسِ يَتَرَفَّعُونَ عَنِ ذِكْرِ مَعَايِبِ النَّاسِ ، وَيَتَّهَمُونَ الْمُخْبِرَ بِهَا ، وَيُؤْثِرُونَ الْفَضَائِلَ ، وَيَتَعَصَّبُونَ لِأَهْلِهَا ، وَيَسْتَعْرِضُونَ مَأْتَرَ الرُّؤْسَاءِ وَأَفْضَالَهْمَ عَلَيْهِمْ ، وَيَطَالِبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَكَافَأَةِ عَلَيْهَا ، وَحَسَنِ الرِّعَايَةِ لَهَا) (٢) .

- وَقَالَ : (مِنْ كَرَمِ الْمَرْءِ بَكَأُوهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَحَفْظُهُ قَدِيمِ إِخْوَانِهِ) (٣) .

- وَقَالَ : (مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرُ خِصَالٍ : السَّخَاءُ ، وَالْحَيَاءُ ، وَالصَّدْقُ ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَالتَّوَاضُعُ ، وَالغَيْرَةُ ، وَالشُّجَاعَةُ ، وَالْحَلْمُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالشُّكْرُ) (٤) .

- وَقَالَ : (مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ الْمَكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ ؛ لِأَنَّهَا كَالْوَدِيعَةِ عِنْدَكَ) (٥) .

- وَقَالَ : ([الْخَيْرُ] النَّفْسِ تَكُونُ الْحَرَكَةُ عَلَيْهِ فِي الْخَيْرِ سَهْلَةً مُتَيَسِّرَةً ، وَالْحَرَكَةُ فِي الْإِضْرَارِ عَسْرَةً بَطِيئَةً ، وَالشَّرِيرُ بِالضِّدِّ مِنْ ذَلِكَ) (٦) .

- وَقَالَ : (لَا تَقْبَلُنْ فِي اسْتِعْمَالِ عُمَّالِكَ وَأَمْرَائِكَ شَفَاعَةً إِلَّا شَفَاعَةَ الْكِفَايَةِ وَالْأَمَانَةِ) (٧) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٤/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٤/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٤/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٥/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٥/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٥/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

- وَقَالَ : (إِذَا اسْتَشَارَكَ عَدُوَّكَ فَجَرِّدْ لَهُ النَّصِيحَةَ ؛ لِأَنَّهُ بِاسْتِشَارَتِكَ قَدْ خَرَجَ مِنْ عِدَاوَتِكَ ، وَدَخَلَ فِي مَوَدَّتِكَ) (١) .

- وَقَالَ : (الْعَدْلُ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَالظُّلْمُ صُورُهُ كَثِيرَةٌ ، وَلِهَذَا سَهَّلَ ارْتِكَابُ الْجَوْرِ ، وَصَعِبَ تَحْرِيرُ الْعَدْلِ ، وَهَمَا يَشْبَهُانِ الْإِصَابَةَ فِي الرَّمَايَةِ وَالخَطَأَ فِيهَا ، وَإِنَّ الْإِصَابَةَ تَحْتَاجُ إِلَى ارْتِيَاضٍ وَتَعَهُدٍ ، وَالخَطَأَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ) (٢) .

- وَقَالَ : (لَا يُخْطِئُ الْمُخْلِصَ فِي الدَّعَاءِ إِحْدَى ثَلَاثٍ : ذَنْبٌ يُغْفَرُ ، أَوْ خَيْرٌ يُعَجَّلُ ، أَوْ شَرٌّ يُؤَجَّلُ) (٣) .

- وَقَالَ : (لَا يَنْتَصِفُ ثَلَاثَةٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ : بَرٌّ مِنْ فَاجِرٍ ، وَعَاقِلٌ مِنْ جَاهِلٍ ، وَكَرِيمٌ مِنْ لَيْئِمٍ) (٤) .

- وَقَالَ : (أَشْرَفُ الْمَلُوكِ مَنْ لَمْ يَخَالَطُهُ الْبَطْرُ ، وَلَمْ يَحُلْ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَرَصِ أَسِيرًا ، وَخَيْرُ الْأَصْدِقَاءِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى إِخْوَانِهِ مُسْتَصْعَبًا ، وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ [أَعُونُهَا] عَلَى التَّقْوَى وَالْوَرَعِ) (٥) .

- وَقَالَ : (إِيَّاكَ وَمَوَاقِفَ الْعِزِّ ؛ فَرَبِّ عَذْرِ أَثْبَتِ الْحُجَّةَ عَلَى صَاحِبِهِ وَإِنْ كَانَ بَرِيئًا) (٦) .

- وَقَالَ : (قُوَّةُ الْأَجْسَامِ الْغِذَاءُ ، وَقُوَّةُ الْعُقُولِ الْحِكْمَةُ ؛ فَمَتَى فَقَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا قُوَّتَهُ . . . بَارَ وَاضْمَحَلَّ) (٧) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٧/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٨/٢٠) .

- وقالَ : (لا تفرحُ بسقطَةِ غيرِكَ ، فإنَّكَ لا تدري ما تتصرَّفُ الأيَّامُ بِكَ) (١) .

- وقالَ : (غضبُ العاقلِ في فعلِهِ ، وغضبُ الجاهلِ في قولِهِ) (٢)

- وقالَ : (مُرُوا الأحداثَ بالمراءِ والجدالِ ، والكهولَ بالفكرِ ، والشيوخَ بالصمتِ) (٣) .

- وقالَ : (بلوغُ أعلى المنازلِ مِنْ غيرِ استحقاقٍ .. مِنْ أكبرِ أسبابِ الهلكةِ) (٤) .

- وقالَ : (ليتَ شعري !! ما أدركَ مَنْ فاتَهُ العلمُ ؟! بل أيُّ شيءٍ فاتَ مَنْ أدركَ العلمَ ؟!) (٥) .

- وقالَ : (ذو الهِمَّةِ وإن حَطَّ نفسُهُ يابئُ إلا علواً ؛ كالشعلةِ مِنَ النارِ يخفيها صاحبُها وتابئُ إلا ارتفاعاً) (٦) .

- وقالَ : (العاقلُ إذا تكلمَّ بكلمةٍ .. أتبعها حكمةً ومثلاً ، والأحمقُ إذا تكلمَّ بكلمةٍ .. أتبعها حلفاً) (٧) .

- وقالَ : (ابتداءُ الصَّنِيعَةِ نافلةٌ ، وربُّها فريضةٌ) (٨) .

- وقالَ : (رُبَّ صَلفٍ أدَّى إلى تَلَفٍ) (٩) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٩/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٥/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٥/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٧/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .

(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .

- وَقَالَ : (المروءةُ التامةُ مباينةُ العامةِ) (١) .

- وَقَالَ : [السَّفِلَةُ] إِذَا تَعَلَّمُوا .. تَكَبَّرُوا ، وَإِذَا تَمَوَّلُوا .. اسْتَطَالُوا ،
وَالعَلِيَّةُ إِذَا تَعَلَّمُوا .. تَوَاضَعُوا ، وَإِذَا افْتَقَرُوا .. صَالُوا (٢) .

- وَقَالَ : (أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ قَصَرَ فِي طَلِبِ الصَّدِيقِ ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ وَجَدَهُ
فَضِيحَةً) (٣) .

- وَقَالَ : (إِذَا قَعَدْتَ وَأَنْتَ صَغِيرٌ حَيْثُ تُحِبُّ .. قَعَدْتَ وَأَنْتَ كَبِيرٌ حَيْثُ
تَكْرَهُ) (٤) .

- وَقَالَ : (عَامِلُوا الْأَحْرَارَ بِالْكَرَامَةِ الْمُحَضَّةِ ، وَالْأَوْسَاطَ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ،
وَالسَّفِلَةَ بِالهُوَانِ) (٥) .

- وَقَالَ : (لَا تَبْلُغْ فِي سَلَامِكَ عَلَى الْإِخْوَانِ حَدَّ النِّفَاقِ ، وَلَا تُقْصِرْ بِهِمْ
عَنْ دَرَجَةِ الْإِسْتِحْقَاقِ) (٦) .

- وَقَالَ : (أَرْحَمُ الْفُقَرَاءِ لِقَلَّةِ صَبْرِهِمْ ، وَالْأَغْنِيَاءَ لِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ ، وَأَرْحَمُ
الْجَمِيعِ لَطَوْلِ غَفْلَتِهِمْ) (٧) .

- وَقَالَ : (مَنْ كَذَبَ .. ذَهَبَ بِمَاءِ وَجْهِهِ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ .. كَثُرَ غَمُّهُ ،
وَنَقَلَ الصُّخُورَ مِنْ مَوَاضِعِهَا أَهْوَى مِنْ تَفْهِيمِ مَنْ لَا يَفْهَمُ) (٨) .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٧/٢٠) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٠٠/٢٠) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣١١/٢٠) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣١٥/٢٠) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٥/٢٠) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٦/٢٠) .

- وَقَالَ : (لَمَّا عَرَفَ أَهْلُ النَّقْصِ حَالَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْكَمَالِ . . اسْتَعَانُوا بِالْكَبِيرِ ؛ لِيُعْظِمَ صَغِيرًا ، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ) (١) .

- وَقَالَ : (مَنْ كَثُرَ مَزَاحُهُ . . لَمْ يَسْلَمْ مِنْ اسْتِخْفَافِ بِهِ ، أَوْ حَقْدِ عَلَيْهِ) (٢) .

- وَقَالَ : (لَا تَقْطَعْ أَخَاكَ إِلَّا بَعْدَ عَجْزِ الْجِيلَةِ عَنِ اسْتِصْلَاحِهِ ، وَلَا تُتْبِعْهُ بَعْدَ الْقَطِيعَةِ وَقِيعَةً فِيهِ فَتَسُدَّ طَرِيقَهُ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَيْكَ ، وَلَعَلَّ التَّجَارِبَ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيْكَ ، وَتُصْلِحَهُ لَكَ) (٣) .

- وَقَالَ : (الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا ، وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا) (٤) .

- وَقَالَ : (الْفُرْصَةُ سَرِيعَةُ الْفَوْتِ ، بَطِيئَةُ الْعُودِ) (٥) .

- وَقَالَ : (عَقْلُ الْكَاتِبِ فِي قَلَمِهِ) (٦) .

- وَقَالَ : (الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحْمَقِ كَالْمَاءِ الْعَذْبِ فِي أَصُولِ الْحَنْظَلِ ؛ كُلَّمَا زَادَ رِيًّا . . أَزْدَادَ مَرَارَةً) (٧) .

- وَقَالَ : (مِمَّا تَكْتَسِبُ بِهِ الْمَحَبَّةَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا كَجَاهِلٍ ، وَوَاعِظًا كَمَوْعِظٍ) (٨) .

- (١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .
- (٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .
- (٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .
- (٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .
- (٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٨/٢٠) .
- (٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٨/٢٠) .
- (٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣٠/٢٠) .
- (٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣٠/٢٠) .

- وقال : (لأعجبُ للسلطانِ كيفَ يُحسِنُ وهو إذا أساءَ . . وجدَ مَنْ يُزكِّيه
وَيمدِّحُه !؟)^(١) .

- وقال : (إذا صادقتَ إنساناً . . وجبَ أن تكونَ صديقَ صديقه ، وليسَ
يجبُ عليكَ أن تكونَ عدوَّ عدوِّه ؛ لأنَّ هذا إنَّما يجبُ على خادمه ، لا على
مماثلٍ له)^(٢) .

- وقال : (ليسَ يكْمُلُ فضيلةُ الرجلِ حتى يكونَ صديقاً لمتعاديينِ)^(٣) .

- وقال : (العقلُ الإصَابَةُ بالظَّنِّ ، ومعرفةُ ما لم يكنْ بما كانَ)^(٤) .

- وقال : (تعرِّفُ خسارةَ المرءِ بكثرةِ كلامه فيما لا يعنيه ، وإخباره عمَّا
لا يُسألُ عنه)^(٥) .

- وقال : (خيرُ ما عُوشِرَ به الملكُ قِلَّةُ الخلافِ ، وتخفيفُ
المؤنة)^(٦) .

- وقال : (أولى الأشياءِ أن يتعلَّمَهَا الأحداثُ . . الأشياءُ التي إذا صاروا
رجالاً احتاجوا إليها)^(٧) .

- وقال : (لا تطلبِ الحياةَ لتأكلَ ، بل اطلبِ الأكلَ لتحيَا)^(٨) .

- وقال : (مَنْ أمضى يومه في غيرِ حقِّ قضاءه ، أو فرضِ أدائه ، أو

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣٠) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣١) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣١) .

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣١) .

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣٢) .

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣٣) .

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣٣) .

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣٣) .

مجدِّ بناه ، أو حمدِ حصَّله ، أو خيرِ أسَّسه ، أو علمِ اقتبسَه . . فقد عَقَّ
يومَه (١) .

- وقال : (خيرُ الشَّعرِ ما كانَ مثلاً ، وخيرُ الأمثالِ ما لم يكنْ شعراً) (٢) .

- وقال : (ولدُّك ربحانُك سبعاً ، وخادمُك سبعاً ، ثمَّ هوَ عدوُّك أو
صديقُك) (٣) ؛ يعني : بحسن التربية وسوئها .



(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣٤) .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٣٦) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٣٤٣) .

[أرجوزة ابن حجة الحموي]

ومما يناسب ما أوردنا ، ويكون حفظه كمالاً لطالب صناعة الإنشاء ..
طرف الأراجيز التي ضمَّنها أصحابها أمثال تلك المعاني ، فعليه أن يطلبها من
مطائنها ، ونوردُ منها الأرجوزة التي استخلصها تقي الدين أبو بكر ابن حجة
الحموي من كتاب « الصادح والباغم »^(١) ، ورَّتَبَ أبياتها كما استحسَنَ غير
ترتيبها في ذلك الكتاب ؛ وهي :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَبَنَا وَأَخْتَارَنَا لِلْعِلْمِ إِذْ أَدَبَنَا
فَإِنَّ لِلْأَدَابِ فَضْلًا يُذَكِّرُ فَلَا تُخَاطَبُ كُلُّ مَنْ لَا يَشْعُرُ
يَا مُدَّعِي الْحِكْمَةِ فِي كَلَامِهِ وَمَنْ يَزُومُ السِّحْرَ فِي نِظَامِهِ
خُذْ حِكْمًا وَكُلِّهَا أَمْثَالُ لَيْسَ لَهَا فِي عَضْرِنَا مِثَالُ
أَلْفَهَا ابْنُ حِجَّةٍ لِلنُّجَبَا لِأَنَّ فِيهَا رَأْسَ مَالِ الْأَدْبَا
وَأَخْتَارَهَا مِنْ مُفْرَدَاتِ الصَّادِحِ فَكَانَ ذَا مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَالِحِ
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِنْ تَمَثَّلْتَ بِهِ سَكَنْتَ مِنْ سَامِعِهِ فِي قَلْبِهِ
وَقَدْ تَهَجَّمْتُ عَلَى الشَّرِيفِ لِكَيْتَنِي خَاطَبْتُ بِالْمَعْرُوفِ
وَجِئْتُ مِنْ كَلَامِهِ بِنُبْدَةٍ تَجَلِبُّ لِلْسَّامِعِ كُلَّ لَذَّةٍ
وَتَزْفَعُ الْأَدِيبَ إِنْ تَمَثَّلَا بِهَا إِذَا خَاطَبَ أَرْبَابَ الْعُلَا
مِنْ حِكْمٍ تَتْبَعُهَا وَصَايَا مَقْبُولَةٌ مِنْ أَحْسَنِ السَّجَايَا
مِنْ أَوَّلٍ وَأَوْسَطٍ وَآخِرِ جَمَعْتُهَا جَمَعَ أَدِيبٍ شَاعِرِ

(١) ذكرها في « خزنة الأدب » (٢/١٨٠) .

وَأَنْتَظِمَ الْبَدِيعَ بِالْغَرِيبِ
بَدِيعَةً غَرِيبَةً وَجِيزَةً
تَرْتَبِيهَا يَكُونُ غَيْرَ مُنْصِفٍ
وَيَعْتَرِفُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ
مَنْ نَظَمَهُ الْمُحْكَمَ فِي مَقَالِهِ
وَلَيْسَ بِالرَّأْيِ وَلَا التَّدْبِيرِ
وَفِعْلُهُ جَمِيعُهُ إِذْ بَارَأَ
وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَةِ
إِنَّ الْقَضَاءَ بِالْعِبَادِ أَمْلَكُ
نَقَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِذْ نُبِتَلَى
أَنْ نَجْعَلَ الْكُفْرَ مَكَانَ الشُّكْرِ
إِذْ كَانَ مَا يَجْرِي بِأَمْرِ الْبَارِي
مَنْ سَاعَدَ النَّاسَ بِفَضْلِ الْجَاهِ
أَعَانَهُ اللَّهُ إِذَا أُخِيفَا
كَمَا الْجَسِيمُ يَحْمِلُ الْجَسِيمَا
رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
الْعَطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
عَلَى الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ صَدَقَهُ
بِالطَّبْعِ لَا يُرْحَمُ مَنْ لَا يُرْحَمُ

حَتَّى دَنَا الْبَعِيدُ لِلْقَرِيبِ
وَأَنْسَجَمَتْ فِي جَمْعِهَا أَرْجُوزَةٌ
وَكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ مَا أَحْكَمْتُ فِي
فَلْيَنْظُرِ الْأَضْلَ لِيَعْرِفَ السَّبَبَ
أَوَّلُ مَا يُرْغَبُ فِي اسْتِهْلَالِهِ
الْعَيْشُ بِالرِّزْقِ وَبِالتَّقْدِيرِ
فِي النَّاسِ مَنْ تُسْعِدُهُ الْأَقْدَارُ
مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التُّهْمَةَ
مَنْ أَنْكَرَ الْقَضَاءَ فَهُوَ مُشْرِكٌ
وَنَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ وَلَا
عَارٌ عَلَيْنَا وَقَبِيحٌ ذِكْرُ
وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ ظُلْمٌ جَارِي
وَأَسْعَدُ الْعَالَمِ عِنْدَ اللَّهِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا
إِنَّ الْعَظِيمَ يَدْفَعُ الْعَظِيمَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ
قَدْ قَضَتِ الْعُقُورُ أَنَّ الشَّفَقَةَ
وَقَدْ عَلِمْتَ وَاللَّيْبُ يَعْلَمُ

فَالْمَرْءُ لَا يَذْرِي مَتَى يُمْتَحَنُ
وَإِنْ نَجَا الْيَوْمَ فَمَا يَنْجُو غَدًا
لَا تَغْتَرِرَ بِالْخَفْضِ وَالسَّلَامَةِ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالذَّهْرُ الْقَدَرُ
وَكُلُّ إِنْسَانٍ فَلَا بُدَّ لَهُ
جَهْدُ الْبَلَاءِ صُحْبَةُ الْأَضْدَادِ
أَعْظَمُ مَا يَلْقَى الْفَتَى مِنْ جَهْدِ
فَائِمَا الرَّجَالِ بِالْإِخْوَانِ
لَا يَحْقِرُ الصُّحْبَةَ إِلَّا جَاهِلٌ
صُحْبَةُ يَوْمٍ نَسَبٌ قَرِيبٌ
وَمُوجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ
لَا سِيَّمَا فِي النُّوبِ الشَّدَائِدِ
فَالْمَرْءُ يُخَيِّي أَبَدًا أَخَاهُ
وَإِنْ مَنَ عَاشَرَ قَوْمًا يَوْمًا
وَإِنْ مَنَ حَارَبَ مَنْ لَا يَقْوَى
فَحَارِبِ الْأَكْفَاءِ وَالْأَقْرَانَا
وَأَفْنَعُ إِذَا حَارَبْتَ بِالسَّلَامَةِ
فَالتَّاجِرُ الْكَيْسُ فِي التَّجَارَةِ
يَجْهَدُ فِي تَحْصِيلِ رَأْسِ مَالِهِ
فَائِمَةٌ فِي دَهْرِهِ مُزْتَهَنٌ
لَا يَأْمَنُ الْأَفَاتِ إِلَّا ذُو الرَّدَى
فَائِمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامَةِ
وَالصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْكَدَرِ
مِنْ صَاحِبٍ يَحْمِلُ مَا أَثْقَلَهُ
فَائِمَا كَيْيٌ عَلَى الْفُؤَادِ
أَنْ يُبْتَلَى فِي جِنْسِهِ بِالضِّدِّ
وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانِ
أَوْ مَارِقٌ عَنِ الرَّشَادِ غَافِلٌ
وَذِمَّةٌ يَحْفَظُهَا اللَّبِيبُ
وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاضَدَةُ
وَالْمِحْنُ الْعَظِيمَةُ الْأَوَابِدُ
وَهُوَ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ أَعْدَاءِهِ
يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخَافُ لَوْمَةً
لِحَرْبِهِ جَرَّ إِلَيْهِ الْبَلَوَى
فَالْمَرْءُ لَا يُحَارِبُ السُّلْطَانَ
وَأَخْذُ فِعَالًا تُوجِبُ النَّدَامَةَ
مَنْ خَافَ فِي مَنَجْرِهِ الْخَسَارَةَ
ثُمَّ يَرُومُ الرِّيحَ بِأَخْتِيَالِهِ

فَلَا تُقْصِرْ وَأُخْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
فَسَبْقُكَ الْخَصْمَ مِنَ الْمَكَائِدِ
تَصِيرُ إِنْ لَمْ تَنْتَهِزْهَا غُصَّةً
عَنْهُ التَّوْقِي وَأُسْتَهَانَ فَهَلْكَ
لَمْ يَحْفَظُوهُ فِي لِقَاءِ الْخَصْمِ
يُخَذَلُ حِينَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَا
كَأَنَّ وَلَا يَحْمُونَ مَنْ أَجَاعَهُمْ
مَنْ غَرَّهُ السِّلْمُ فَأَقْصَى الْجُنْدَا
لَا خَيْرَ فِي عَزْمٍ بَعْدَ حَزْمٍ
وَالصَّبْرُ لَا فِي سُزْعَةِ الْمُرَاوَلَةِ
مَا غَلَبَ الْأَيَّامُ إِلَّا الصَّابِرُ
وَقُوَّةُ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفِ
رُوحٍ بِلَا كَدٍ وَلَا التَّمَّاسِ
وَنَاجِزُ بَادٍ وَدَمْعُ يَنْسِفُكَ
مَا لَمْ تَنْلِ بِالْحِرْصِ وَالتَّعْنِي
وَأَقْبَحَ الْحَيْرَةِ وَالتَّبَلُّدَا
خَطْبُ تَلَقَّاهُ بِصَبْرٍ وَثِقَةٍ
فَتَمَّ أَحْوَالُ الرِّجَالِ تَخْتَلِفُ
فَأَصْبِرُ أَلَّا نَ لِهَذَا الْمِحَنِ

وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ
وَأَسْبَقَ إِلَى الْأَجُودِ سَبَقَ النَّاقِدِ
وَأَنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ إِنْ الْفُرْصَةَ
كَمْ بَطَرَ الْغَالِبُ يَوْمًا فَتَرَكَ
وَمَنْ أَضَاعَ جُنْدَهُ فِي السِّلْمِ
وَإِنَّ مَنْ لَا يَحْفَظُ الْقُلُوبَا
وَالْجُنْدُ لَا يَزْعُونَ مَنْ أَضَاعَهُمْ
وَأَضَعُفُ الْمُلُوكِ طُرًّا عَقْدَا
وَالْحَزْمُ وَالتَّدْبِيرُ رُوحُ الْعَزْمِ
وَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ فِي الْمَطَاوَلَةِ
وَفِي الْخُطُوبِ تَظْهَرُ الْجَوَاهِرُ
لَا تَيْئَسَنَّ مِنْ فَرْجٍ وَلُطْفٍ
فَرُبَّمَا جَاءَكَ بَعْدَ الْيَاسِ
فِي لَمَحَةِ الطَّرْفِ بُكَاءٌ وَضَحْكٌ
تَنَالُ بِالرِّفْقِ وَبِالتَّائِي
مَا أَحْسَنَ الثُّبَاتِ وَالتَّجَلُّدَا
لَيْسَ الْفَتَى إِلَّا الَّذِي إِنْ طَرَقَهُ
إِذَا الرِّزَايَا أَقْبَلَتْ وَلَمْ تَقِفْ
وَكَمْ لَقِيَتْ لَذَّةً فِي زَمَنِ

وَالْمَوْتُ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُرَّةً
 فَأَجْهَدُ الْآنَ لِمَا يَقِينِي
 وَرُبَّمَا فَازَ الْفَتَى إِذَا صَبَرَ
 كَلًّا وَلَا يَخْضَعُ لِلنَّوَابِ
 وَالصَّبْرُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ يَجْمَلُ
 مَا غَلَبَ الْأَيَّامَ إِلَّا مَنْ رَضِيَ
 لَيْسَ النُّهَى بِعِظَمِ الْعِظَامِ
 بَلْ هُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
 وَالْإِبْلُ لِلْحَمْلِ وَلِلتَّرْحَالِ
 فَرُبَّمَا أَسَالَتِ الدَّمُ الْإِبْرَ
 جَمِيعُ مَا تَكَرَّرَهُ مِنْ لَجَاجِهِ
 وَكُنْ إِذَا كَوَيْتَ ذَا إِنْضَاجِ
 طَمَاعَةً وَطَلَبَ الْمَفْقُودَا
 كَمْ نُكْتَةٌ جَاءَتْكَ مَعَ إِظْهَارِهَا ^(١)
 وَمَا نَظَرْتَ حَسَنَ السَّرَائِرِ
 أَنَّ الضَّرِيرَ قَطُّ لَا يَرَاهُ
 نَافِقَةٌ وَأَنْتَ عَنْهَا غَافِلٌ
 وَلَوْ رَأَوْهَا لَأَزَالُوا التُّهْمَةَ

فَأَلْمَوْتُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّةً
 إِنِّي مِنَ الْمَوْتِ عَلِيٌّ يَقِينِ
 صَبْرًا عَلَى أَهْوَالِهَا وَلَا ضَجْرَ
 لَا يَجْزَعُ الْحُرُّ مِنَ الْمَصَائِبِ
 فَالْحُرُّ لِلْعَبَاءِ الثَّقِيلِ يَحْمِلُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَتَنْقِضِي
 قَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ فِي الْكَلَامِ
 لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ
 فَالْخَيْلُ لِلْحَرْبِ وَاللْجَمَالُ
 لَا تَحْتَقِرُ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقِرَ
 لَا تُخْرِجِ الْخَضَمَ فِي إِحْرَاجِهِ
 لَا تَطْلُبِ الْفَقَائِتَ بِاللَّجَاجِ
 فَعَاجِزٌ مَنْ تَرَكَ الْمَوْجُودَا
 وَفَتَّشِ الْأُمُورَ عَنِ اسْرَارِهَا
 لَزِمْتَ لِلْجَهْلِ قَبِيحَ الظَّاهِرِ
 لَيْسَ يَضُرُّ الْبَدْرَ فِي ثَنَاهُ
 كَمْ حِكْمَةٍ أَضَحَّتْ بِهَا الْمَحَافِلُ
 وَيَغْفُلُونَ عَنِ خَفِيِّ الْحِكْمَةِ

(١) في «خزانة الأدب»: (نكبة) بدل (نكتة).

كَمْ حَسَنِ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ
وَالْحَقُّ قَدْ تَعَلَّمَهُ نَقِيلُ
فَالْعَاقِلُ الْكَامِلُ فِي الرَّجَالِ
إِنَّ الْعَدُوَّ قَوْلُهُ مَزْدُودُ
لَا تَقْبَلِ الدَّعْوَى بِغَيْرِ شَاهِدِ
أَيُّوْخِذُ الْبَرِيءُ بِالسَّقِيمِ
كَذَلِكَ مَنْ يَسْتَنْصِحُ الْأَعَادِي
إِنَّ أَكْلَ مَنْ تَرَى أَذْهَانَا
فَادْفَعْ إِسَاءَةَ الْعِدَا بِالْحُسْنَى
وَلِلرَّجَالِ فَأَعْلَمَنْ مَكَايِدُ
فَالنَّدْبُ لَا يَخْضَعُ لِلشَّدَائِدِ
فَرَقِّعِ الْخَزَقَ بِلُطْفٍ وَأَجْتَهِدْ
فَهَكَذَا الْحَازِمُ إِذْ يَكِيدُ
وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ فِي الظَّاهِرِ
وَالشَّهْمُ مَنْ يُضْلِحُ أَمْرَ نَفْسِهِ
فِيَّانَ مَنْ يَقْصِدُ قَلَعَ ضِرْسِهِ
وَإِنَّ مَنْ خَصَّ اللَّئِيمَ بِالنَّدَى
وَلَيْسَ فِي طَبَعِ اللَّئِيمِ شُكْرُ
وَإِنَّ مَنْ أَلْزَمَهُ [وَكَلَّفَهُ]

وَسَمِجٍ عُتْوَانُهُ مَلِيحُ
يَأْبَاهُ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلُ
لَا يَنْشِنِي لِزُخْرَفِ الْمَقَالِ
وَقَلَّمَا يُصَدِّقُ الْحَسُودُ
لَا سِيِّمًا إِنْ كَانَ مِنْ مُعَانِدِ
وَالرَّجُلُ الْمُحْسِنُ بِاللَّئِيمِ
يُزْدُونَهُ بِالغِشْرِ وَالْفَسَادِ
مَنْ حَسِبَ الْإِسَاءَةَ الْإِحْسَانَا
وَلَا تَخْلُ يُسْرَاكَ مِثْلَ الْيُمْنَى
وَخِدَعٌ مُنْكَرَةٌ شَدَائِدُ
قَطُّ وَلَا يَغْتَاظُ بِالْمَكَايِدِ
وَأَمْكُرُ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الصِّدْقُ وَكَذْ
يَبْلُغُ فِي الْأَعْدَاءِ مَا يُرِيدُ
وَعَيْرُهُ مُخْتَضِبُ الْأَظْفِرِ
وَلَوْ بِقَتْلِ وُلْدِهِ وَعِزْسِهِ
لَمْ يَغْتَمِدْ إِلَّا صِلَاحَ نَفْسِهِ
وَجَدَّتْهُ كَمَنْ يُرَبِّي أَسَدَا
وَلَيْسَ فِي أَضْلِ الدَّنِيِّ نَضْرُ
ضِدُّ الَّذِي فِي طَبَعِهِ مَا أَنْصَفَهُ

وَيُؤْتِرُ الْأَرْذَالَ وَالْأَنْذَالَ
 مَا ظَهَرَتْ بَيْنَكُمْ الْأَسْرَارُ
 وَالْعِرْقُ دَسَّاسٌ إِذَا [أُطِيعَا]
 وَلَا زَكَامَنَ مَجْدُهُ حَدِيثُ
 وَيَبْلُغُونَ وَطَرًا مِنْ بُغْيَا
 مَبْلَغٌ مَنْ كَانَ لَهُ فِيهَا قَدَمٌ
 فِي طَيْبِهَا وَكَرُمَتْ أَسْلَافُهُ
 وَبَرَعَتْ فِي أَضْلِهِ حُسْنُ الشَّيْمِ
 مَا بَانَ لِلْعُقُولِ فَضْلُ الْعَالِمِ
 فَذَلِكَ مَنْ يَكْفُرُهُ فَقَدْ ظَلَمَ
 أَوْ حَاجَةٌ لَهُ إِلَيْكَ وَاقِعَةٌ
 كَمْ أَكَلَّةٍ أَوْدَتْ بِنَفْسِ الْأَكِيلِ
 وَقَسِنَ بِمَا رَأَيْتَهُ مَا لَمْ تَرَهُ
 إِفْسَادُ شَخْصٍ كَامِلٍ لِقَرْمِهِ
 لَيْسَ لِمُلْكٍ مَعَهُ بَقَاءٌ
 وَالْعُجْبُ فَاتْرُكُهُ شَدِيدُ الْمَضْرَعِ
 شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَزْعَى الْعَهْدَا
 وَرَبَّمَا ضَرَّ الْحَرِيصَ حِرْصُهُ
 وَسَاءَكَ الْمُحْسِنُ مِنْ رِجَالِكَا

كَذَلِكَ مَنْ يَضْطَنِعُ الْجُهَالَا
 لَوْ أَنَّكُمْ أَفَاضِلُ أَحْرَارُ
 إِنَّ الْأُصُولَ تَجْدِبُ الْفُرُوعَا
 مَا طَابَ فَرْعٌ أَضْلُهُ خَبِيثُ
 قَدْ يُدْرِكُونَ رُتْبًا فِي الدُّنْيَا
 لَكِنَّهُمْ لَا يَبْلُغُونَ فِي الْكِرْمِ
 وَكُلُّ مَنْ تَمَائَلَتْ أَطْرَافُهُ
 كَانَ خَلِيقًا بِالْعُلَا وَبِالْكَرْمِ
 لَوْلَا بَنُو آدَمَ بَيْنَ الْعَالِمِ
 فَوَاحِدٌ يُعْطِيكَ فَضْلًا وَكَرْمِ
 وَوَاحِدٌ يُعْطِيكَ لِلْمُصَانَعَةِ
 لَا تَشْرَهَنَ إِلَى حُطَامِ عَاجِلِ
 وَأَخْذِرْ أَخِي يَا فَتَى مِنَ الشَّرَةِ
 فَلَيْسَ مِنْ عَقْلِ الْفَتَى أَوْ كَرْمِهِ
 فَالْبَغْيُ دَاءٌ مَا لَهُ دَوَاءٌ
 وَالْبَغْيُ فَأَخْذِرْهُ وَخَيْمِ الْمَرْزَعِ
 وَالْعَدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدَا
 عِنْدَ تَمَامِ الْأَمْرِ يَبْدُو نَقْضُهُ
 وَرَبَّمَا ضَرَّكَ بَعْضُ مَالِكَا

فَالْمَرْءُ يَفْدِي نَفْسَهُ بِوَفْرِهِ عَسَاهُ أَنْ يَنْجُو بِهِ مِنْ أَسْرِهِ
 لَا تُعْطِينَ شَيْئاً بغيرِ فائِدَةٍ فَإِنَّهَا مِنَ السَّجَايَا الْفَاسِدَةِ
 هَذَا الَّذِي أَلْفَتْهُ وَأَخْتَرَتْهُ مِنْ رَجَزِ الشَّرِيفِ وَأَنْتَخَبَتْهُ
 وَحُرْمَةُ الْأَدَابِ يَا أَهْلَ الْأَدَبِ إِنَّ الشَّرِيفَ قَدْ أَتَانَا بِالْعَجَبِ
 قُلْنَا جَمِيعاً إِذْ سَمِعْنَا رَجَزَهُ كَمْ قَدْ أَتَى مُحَمَّدٌ بِمُعْجِزَةٍ
 مِنْ كُلِّ بَيْتٍ شَطْرُهُ قَصِيدٌ وَكُلُّنَا لِبَيْتِهِ عَبِيدٌ
 فَرَحِمَهُ اللَّهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ خَاتِمَةٌ مَعَ الْهَبَاتِ الْوَافِرَةِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَائِمًا عَلَى الَّذِي لِلرُّسُلِ جَاءَ خَاتِمًا

والشريف المذكور صاحب « الصادح والباغم » هو المشهور بالرضي ،
 وكان رضي الله عنه من أكبر أمراء زمانه ، تولى نقابة الأشراف ببغداد وغيرها
 من الوظائف الجليلة ، وقد أفاض الله عليه من بركات بيته النبوي العلوي ،
 فلم يكن أشعر منه على الإطلاق ، ولا يطمع أحد أن يجاريه في سباق ،
 شعره مدون في أربعة أجزاء ، وقد اقتفى أثره فأحسن تلميذه وصنيعته مهيار
 الديلمي ، وسنورد عليك إن شاء الله - متى أفضنا في أمر الشعر - من كلامهما
 مصداق ذلك .



[وظائفُ مريدِ صناعةِ الإنشاءِ]

هذا ؛ وعلى مَنْ يريدُ المهارةَ في صناعةِ الإنشاءِ أنْ يكثرَ مِنْ حفظِ جِادِ الأشعارِ ، مُتفهِمًا معانيها ، مُتأملًا حسنَ سياقاتها ؛ لِمَا في ذلكَ لَهُ مِنْ جميلِ الفوائدِ ، التي منها معرفةُ المعاني المودعةِ فيها ، بعدَ كدِّ أفكارِ ذوي العقولِ في تحصيلها .

ومنها الاستشهادُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، على ما يكونُ أسلفَهُ في نشرِهِ مِنْ الدعاوى ، وَمِنْ التضمينِ ؛ بأنْ يُتِمِّمَ المعنى الذي أبرزَهُ النثرُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، أو يقرنَ معنىً بما يناسبُهُ .

ومنها استعمالُهُ في الحَلِّ الذي سبقَ التنبيةُ عليه في البديع^(١) ، نُقِلَ أَنَّ عبدَ الرحيمِ البيسانيَّ المشهورَ بالقاضي الفاضلِ لَمَّا وردَ الديارَ المصريةً في آخرِ دولةِ العبيديينَ ، على نيَّةِ الإقامةِ بها ، والتعيشِ فيها بحرفةِ الكُتَّابِ .. لقيَ ابنَ الخلالِ رئيسَ الكُتَّابِ إذ ذاكَ ، وعرضَ عليه نيَّتَهُ ، وأنه استعدَّ لذلكَ بحفظِ القرآنِ الشريفِ ، وبعضِ الأخبارِ النبويَّةِ ، و« ديوانِ الحماسة » ؛ وهو كتابٌ جمعَ فيه أبو تمامٍ أشعاراً انتخبها مِنْ أشعارِ العربِ وأجادَ الانتخابَ ؛ حتى إنَّهُ قيلَ : إنَّهُ في اختيارِهِ أشعرُ منه في شعرِهِ ، ورَتَّبَهُ على عشرةِ أبوابٍ ، كلُّ بابٍ في نوعٍ مِنْ أنواعِ الشعرِ .

فأمرَهُ أنْ يبتدئَ التعلُّمَ بحلِّ أبياتِ ذلكَ الديوانِ ، وإخراجها مِنْ صورةِ النظمِ إلى صورةِ نثريةٍ لا تنقصُ ملاحظتها عمَّا كانتَ عليه وهي نظمٌ ، فلمَّا أتمَّ ذلكَ .. عرضَهُ عليه ، فأظهرَ استحسانَهُ ، وأثنى عليه ، وأمرَهُ أنْ يحلَّها

(١) تقدم في العقد والحل (٢/٤٠٥) .

مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَصَرَّفَ قَلْمُهُ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَرَقَّى حَتَّى كَانَ الْوَاحِدَ الْمَشَارَ إِلَيْهِ فِي الدَّوْلَةِ الْكُرْدِيَّةِ الْمَاحِيَةِ لِلدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ .

[نَبذةٌ مِنْ أَشْعَارِ « دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ »]

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ .. فَلَا بَدَّ أَنْ نوردَ لَكَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْحَمَاسَةِ جَمَلَةً صَالِحَةً تَحْفَظُهَا ، وَتَتَأَمَّلُ مَعَانِيَهَا ، وَتَفْتَكِرُ فِي اسْتِعْمَالِهَا لِتَلِكِ الْأَغْرَاضِ ، حَتَّى تَجِدَ الزَّمْنَ الَّذِي تَتَمَكَّنُ فِيهِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَطَّلِعَ عَلَى جَمِيعِ الْكُتَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا يَلِزِمُ لِطَالِبِ الْأَدَبِ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ مِنْ الْكُتُبِ .

فَمِنْ بَابِ الْحَمَاسَةِ - وَالْحَمَاسَةُ : الشَّدَّةُ ، وَبِهَا سُمِّيَتْ الْأَشْعَارُ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا الشَّدَّةُ عَلَى النَّفْسِ فِي احْتِمَالِ الْمَكَارِهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهَا لِحَفْظِ الشَّرَفِ وَحَمَايَةِ مَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ حَمَايَتُهُ - :

قَالَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمٍ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو الْعَنْبَرِ - وَسُنَّةُ الْعَرَبِ فِي النَّطْقِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنْ يَقُولُوا : بَلْعَنْبَرٍ وَبَلْحَارِثٍ ، أَغَارَتْ عَلَى إِبِلِهِ جَمَاعَةٌ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو اللَّقِيظَةِ ، فَلَمْ يَعْنَهُ قَوْمُهُ عَلَى اسْتِنْقَازِهَا مِنْهُمْ ، وَرَكَنَ إِلَى بَنِي مَازِنٍ ، فَأَعَانُوهُ ، وَاسْتَخْلَصُوا إِبِلَهُ - يَشْكُرُهُمْ وَيَهْجُو قَوْمَهُ ^(١) : [مِنَ الْبَسِيطِ]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي بَنُو اللَّقِيظَةِ مِنْ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ
إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشْنٌ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَنَا
قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيَهُ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٥/١) ، وهو قُرَيْطُ بْنُ أَيْفٍ .

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
 كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا
 فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا

اللَّوْثَةُ - بفتح فسكون - : الشِّدَّةُ والقُوَّةُ ، ومنها اشتقاقُ اللَّيْثِ ، وبضمِّ فسكونٍ مرسلٍ : الضَّعْفُ والاسْتِرْخَاءُ ، وکلتاهُمَا يَحْتَمِلُ البَيْتُ ، وهو على الأولى أبلغُ في وصفِ بني مازنٍ بالشجاعةِ ، وفي الثانيةِ تعريضٌ بقومه .

وقال ثابتُ بنُ جابرِ المشهورُ بتأبُّطٍ شراً - يُقالُ : إنَّهُ يوماً مِنَ الأيامِ أخذَ سيفاً تحتَ إنطِهِ وخرجَ ، فسئِلْتُ عنه أُمُّهُ ، فقالتُ : لا أدري ، تأبَّطَ شراً ومضى ، فغلبَ عليه ذلكَ اللقبُ - يذكرُ بعضَ ماجرياته ، وكانَ شجاعاً فاتكاً مغواراً ، عُرِفَ بذلكَ من صغره ، وحاصلُ القِصَّةِ التي فيها الأبياتُ : أَنَّهُ كانَ استكشفَ في أرضِ بعضِ أعدائه غاراً في رأسِ جبلٍ قائمٍ ، ليسَ لَهُ إلاَّ طريقٌ واحدةٌ ضيقةٌ اتخذتُهُ نحلُّ بيتاً ، فكانَ يجيءُ يشتارُهُ رأسَ كلِّ سنةٍ ، فاتفقَ أن فطنَ به قومٌ من أعدائه أهلِ الناحيةِ ، فأخذوا عليه الطريقَ ، ودعوهُ إلى الخروجِ ، فعرفَهُم وقالَ : على شريطةِ ماذا أخرجُ ؟ فقالوا : على غيرِ شريطةٍ ، فطاولَهُم الكلامَ ، وأخذَ يريقُ العسلَ على الجانبِ الثاني مِنَ الجبلِ ، ثمَّ وضعَ صدرَهُ على الصفا وأرخصى نفسهُ ، فذهبَ يهوي حتى وصلَ أسفلَ الجبلِ سالماً ، وكانَ بينَ الموضعِ الذي استقرَّ فيه والموضعِ الذي فيه أعداؤه مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ يدورونَ معَ الجبلِ ، وهذه الأبياتُ ^(١) :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جَدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ
 وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلاً بِهِ الْخَطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ
 فَذَلِكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ [حَوْلٌ] إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنخَرٌ جَاشَ مَنخَرٌ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٨/١ - ٤١) .

أَقُولُ لِلْخِيَانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وَطَابِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ الْحَجْرِ مُعَوِّرُ
هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ
وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنَّهَا لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصِّفَا بِهِ جُوجُؤٌ عَبْلٌ وَمَثْنٌ مُخَصَّرُ
فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَدْحَةٌ وَالْمَوْتُ خَزْيَانٌ يَنْظُرُ
فَأَبْتُ إِلَيَّ فَهَمٌّ وَمَا كِدْتُ آيَا وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَضْفِرُ

قريع الدهر: الذي قرعته الأيام بنوائبها حتى عرف وجوه المنافع والمضار بالممارسة والتجارب؛ فإن معرفة ذلك تكون أثبت وأمكن من معرفة من كانت طريقه إليها التعلم والأخذ عن الأخبار، يُقال: فلان صنيعه الدهر، وحنكته التجارب، وأدبته الأيام والليالي... إلى غير تلك من العبارات.

وقوله: (هما خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ...) يُروى برفع (إسار) وما بعده بدلاً، فحذف النون شاذاً، ويُروى بالخفض، فالحذف للإضافة.

وقوله: (صَفِرَتْ لَهُمْ وَطَابِي) هو مثلٌ يُضْرَبُ لمفارقة الروح البدن؛ أي: كان ذلك في خيالهم، وَحَسَبَ مَا سَوَّلَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْمَكْنَةُ مِنْهُ.

وقوله: (إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنَخِرٌ) أي: كلما ضاق عليه أمرٌ من الحيلة... اتسع له آخر.

وقوله: (وكم مثلها فارقتها) أي: كم مثل تلك المنزلة فارقتها وأهلها يتحسرون على إفلاتي وفواتي من يدهم.

وقال أبو كبير الهذلي يذكرُ ثابتاً هذا وهو غلامٌ، وكان قد تزوج أمه، فكان يرى من عينيه استنكافه لذلك، وأنه يُضْمِرُ له الشؤء، فعرض ذلك على أمه، فسمحت نفسها بأن يعمل فيه ما شاء، فأصبح ذات يومٍ وقال:

يا ثابتُ ؛ هل لك في الغزو؟ فقالَ : ذلكَ مِنْ أَمْرِي ، فخرجا وأبو كبيرٍ يريدُ بهِ السُّوءَ ، ولم يكنْ يَتِمَكَّنُ لِنِهَاةِ الْغِلامِ وَشِدَّةِ حَرِصِهِ ، ولم يكنوا تَزَوَّدَا لسفَرِهِمَا ، فاشتدَّ الجوعُ في الليلةِ الثَّانِيَةِ بِأَبِي كَبِيرٍ ، ولاحَتْ لَهُمَا مِنْ بَعِيدِ نَارٍ ، فقالَ : يا ثابتُ ؛ اقصدِ النَّارَ وَأنا أَنْتَظِرُكَ ، عسى أن تجدَ ما نأكلُ ، فقالَ : أهذا وقتُ أَكلٍ؟! فقالَ : لا بدَّ مِنْ ذلكَ .

فلَمَّا قَصَدَ النَّارَ . . . وَجَدَهَا لِرَجُلَيْنِ مِنْ مِشَاهِيرِ لُصُوصِ الْعَرَبِ ، فَهَمَّ بِهِ ، وَجَرَى أَمَامَهُمَا ، حَتَّى أَطْمَعَهُمَا فِي نَفْسِهِ ، ثُمَّ انْعَطَفَ فَقَتَلَ أَقْرَبَهُمَا لَهُ ، ثُمَّ جَرَى لِلْآخِرِ فَأَلْحَقَهُ بِهِ ، وَجَاءَ النَّارَ فَأَخَذَ مَا كَانَ مِنْ طَعَامٍ ، وَأَحْضَرَهُ إِلَى أَبِي كَبِيرٍ وَقَالَ : كُلْ لَا أَشْبِعَ اللَّهُ بَطْنَكَ ، فَسَأَلَهُ عَمَّا جَرَى ، فَقَالَ : كُلْ وَلَا تَسْأَلْ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عَظَّمَ فِي صَدْرِهِ جَدًّا ، وَاشْتَدَّتْ مِهَابَتُهُ لَهُ وَخَوْفُهُ مِنْهُ .

ثُمَّ سَارَا حَتَّى وَجَدَا إِبِلًا ، فَاسْتَاقَاهَا وَرَجَعَا قَافِلَيْنِ ، فَكَانَ يَسِيرُ بِهِ الْيَوْمَ أَجْمَعِ ، وَصَدْرًا مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَنَامُ وَتَحْرَسُ ، ثُمَّ تَنَامُ وَأَحْرَسُ ، وَكَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُمَا ، فَبَيْنَا ثَابِتٌ نَائِمٌ فِي بَعْضِ نَوْبَاتِهِ . . . إِذْ بَدَأَ لِأَبِي كَبِيرٍ أَنْ يَقْتَلَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَهُ أَوَّلًا إِنْ كَانَ قَدْ غَمَرَهُ النَّوْمُ أَوْ لَا ، فَأَخَذَ حِصَاةً وَنَبَذَهَا نَاحِيَةَ رَأْسِهِ ، فَنَهَضَ ثَابِتٌ قَائِمًا كَأَنَّهُ كَعْبُ قَنَاةٍ وَقَالَ : مَا هَذِهِ الْوَجِبَةُ؟ فَقَالَ أَبُو كَبِيرٍ : لَا أُدْرِي ، سَمِعْتُ كَمَا سَمِعْتَ ، فَطَافَ ثَابِتٌ حَوْلَ الْإِبِلِ وَعَسَى ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا ، ثُمَّ رَجَعَ وَنَامَ ، فَنَبَذَ أَبُو كَبِيرٍ حِصَاةً أَصْغَرَ مِنَ الْأُولَى ، فَكَانَ مِنْهُمَا كَمَا كَانَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةَ . . . قَالَ ثَابِتٌ : يَا هَذَا ؛ قَدْ رَأَيْتِي أَمْرُكَ مِنْذُ اللَّيْلِ ، وَاللَّهِ ؛ لئن عُدْتُ سَمِعْتُ شَيْئًا . . . قَتَلْتُكَ .

قال أبو كبيرٍ : فملاَّنِي الخوفُ مِنْهُ حَتَّى سَهَرْتُ بِقِيَةِ اللَّيْلِ أَطُوفُ حَوْلَ الْإِبِلِ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَتَحَرَّكَ بَعْضُهَا فَيَسْمَعُ فَيَبْرَ قِسْمَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَا . . . قَالَ أَبُو كَبِيرٍ

لَأَمْ ثَابِتٍ : لَيْسَتْ أُمَّ مِثْلِ هَذَا لِي بِزَوْجَةٍ ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ ^(١) : [من الكامل]

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمِغْشَمٍ جَلِدٍ مِنَ الْفِثْيَانِ غَيْرِ مُثْقَلِ
مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهَنَّ قَوَاعِدُ حُبْكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ
وَمُبَبَّرًا مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءِ مُغْيَلِ
حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزُودَةٍ كَرَاهًا وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ
فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبَطَّنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوْجَلِ
فَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُرُوا لَوْفَعَتِهَا طُمُورَ الْأُخَيْلِ
وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ كَرْتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّلِ
مَا إِنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مَنَكِبْتُ مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَيِّ الْمَحْمَلِ
وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الْأَجْدَلِ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ
صَعِبَ الْكَرْبِيهَةَ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ مَاضِي الْعَزِيمَةِ كَالْحُسَامِ الْمُضْقَلِ
يَحْمِي الصِّحَابَ إِذَا تَكُونُ عَظِيمَةٌ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا فَمَا أَوَى الْعُيَلِ

قَوْلُهُ : (مِغْشَمٌ) هُوَ صِيغَةُ الْآلَةِ إِذَا كَانَ الْغَرَضُ صِفَةً الشَّيْءِ بِكَوْنِهِ عِدَّةً
لِلْفِعْلِ ، فَهوَ بِمَنْزِلَةِ آتِيهِ ، عَبَّرَ عَنْهُ بِصِيغَتِهَا ؛ كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ فِي صِفَةِ
الْفَرَسِ ^(٢) :

مَكَرَّ مَفَرَّ مُقْبِلٍ مُذْبِرٍ مَعَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٢/١ - ٤٥) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) ، والبيت بتمامه :

مَكَرَّ مَفَرَّ مُقْبِلٍ مُذْبِرٍ مَعَا كَجَلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

بكسرٍ ميمِي (مِكْرٍ وَمِفْرٍ) ، وإذا أُريدَ صِفْتُهُ بكونِهِ قوِيّاً في الفعلِ ، ثابتاً فيه مستمراً .. عُبِّرَ عَنْهُ بِصِيغَةِ (فَعُولٍ) إِحْدَى صِيغِ الْمَبَالِغَةِ الْمَشْهُورَةِ ؛ كَصَبُورٍ وَصَدُوقٍ ، وإذا أُريدَ صِفْتُهُ بِكثْرَةِ الفعلِ مَعَ تَخَلُّلِ التَّرِكِ .. عُبِّرَ بِفَعَالٍ ؛ كَقَوْلِهِمْ : طَلَّاعِ أَنْجَادٍ ، وَخَوَّاصِ غَمْرَاتٍ ، وإذا أُريدَ صِفْتُهُ بِكونِهِ لَهُ عَادَةً .. عُبِّرَ بِمِفْعَالٍ ؛ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ مِنْحَارٌ لِلإِبِلِ ، وَهُوَ فَرْقٌ يَنْبَغِي التَّنْبُهُ لَهُ ؛ لِيُسْتَعْمَلَ كُلُّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ .

وقولُهُ (مُهَبَّلٍ) أَي : غَيْرِ مُشْتَوِمٍ ؛ بَأَن يُقَالَ لَهُ : هَبَلْتَكِ أُمَّكَ ؛ أَي : فَقَدْتِكِ ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ، بَلْ هُوَ [مُفَدَّى] يُقَالُ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاءَكَ ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يُؤْمَلُ مِنْهُ النِّفْعُ ، وَالْمُهَبَّلُ أَيضاً : اللَّحِيمُ الْمورِمُ الْوَجْهِ .

وقولُهُ : (حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ) يُقَالُ : إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أُكْرِهَتْ عَلَى الْجَمَاعِ .. ضَعَفَتْ شَهْوَتُهَا ، وَكَانَتْ الْقُوَّةُ الْفَعَالَةُ لَشَهْوَةِ الرَّجُلِ ، فَإِذَا حَمَلَتْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ .. جَاءَ الْوَلَدُ نَجِيباً شَهْمًا خَفِيفًا نَدْبًا .

وقولُهُ : (وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهِهِ) الْأَسْرَةُ : الْخَطُوطُ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الْجَبِينِ ، وَقَدْ شَرَّفَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَذَا الْبَيْتَ ؛ حَيْثُ تَمَثَّلَتْ بِهِ وَقَدْ نَظَرَتْ إِلَى وَجْهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَدَّرُ مِنْهُ الْعَرَقُ ، وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى مَبَاشَرَةِ خَصْفِ نَعْلِهِ ، فَقَالَتْ : كَأَنَّ أَبَا كَبِيرٍ رَأَى حَيْثُ يَقُولُ :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهِهِ

فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبَّلَهَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا^(١) .

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤٥/٢) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

وقال رجلٌ من بني قيسِ بنِ ثعلبة ، وقيلَ : إنَّها لبشامةٌ بنِ حزنِ النهشليِّ ،
ومنْ يقولُ : إنَّها للقيسيِّ . . يروي قولهُ الآتي :

إِنَّا بَنِي مَالِكٍ لَا نَدَّعِي لِأَبِ

وأهلُ القولِ الثاني يروونَ : (إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ ...)^(١) : [من البسيط]

إِنَّا مُحَيُّوكِ يَا سَلَمَى فَحَيِّينَا وَإِن سَقَيْتِ كِرَامِ النَّاسِ فَأَسْقِينَا
وَإِن دَعَوْتَ إِلَى جُلَى وَمَكْرَمَةٍ يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَأُدْعِينَا
إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدَّعِي لِأَبِ عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِن تُبْتَدَرَ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا أَفْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِينَا
بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيِّدِينَا
إِنِّي لَمِنَ مَعْشَرِ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قِيلُ الْكُمَاةِ إِلَى أَيْنَ الْمُحَامُونَا
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَغْنُونَا
إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمْ حَدُّ الطَّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
وَنَرَكِبُ الْكُرَّةَ أَحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافُ تَوَاتِينَا

قولُهُ : (وإن سقيتِ كرامِ الناسِ) أي : وإن أردتِ أن تدعي بالسُّقيا لكرامِ
الناسِ فادعي لنا ؛ فإنَّاهم ، وليس الغرضُ الدعاءَ حقيقةً ، ولكن التعجُّبُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٥٠ / ١ - ٥٥) .

واستعظام الأمر ، فإنَّ مَنْ استعظَمَ شيئاً . . يقولُ : سقاهُ اللهُ ، وعندَ استحسانِكِ عملَ إنسانٍ تقولُ : حيَّاكَ اللهُ .

وقولُهُ : (تلقى السَّوابِقَ مِنَّا والمُصَلِّينا) هما مِنْ أسماءِ خيلِ الحلبَةِ ؛ أي : خيلِ السِّباقِ ، وكانَ مِنْ عادَتِهِمْ أن يجرُّوها عشرةَ عشرةً ، فكانتْ تجيُّ العشرةُ نحوَ الغايةِ ، وهي القصبُ المركوزُ في آخرِ مسافةِ السِّباقِ التي يُقالُ فيها : أحرزَ قصبَ السِّبقِ ، فكانَ أوَّلُ حصانٍ يُسمَّى : المُجَلِّي والسابقُ ؛ لأنَّهُ جَلَّى عن نفسه ، والثاني يُسمَّى : المُصَلِّي ؛ لأنَّ جحفلتُهُ تكونُ عندَ صلوي السابقِ ، والصلوانِ : عرقانِ يكتنفانِ الصُّلبَ ، أو عظامانِ ، اختلفَ في تفسيرِهِما ، والثالثُ يُسمَّى : المُسَلِّي ، والرابعُ : التالي ، والخامسُ : المرتاحُ ، والسادسُ : العاطفُ ، والسابعُ : المؤمِّلُ ، والسبعةُ لها أنصبَةٌ مِنْ مبلغِ المراهنةِ ، والثامنُ : الحظيُّ ، والتاسعُ : اللطيمُ ، والعاشرُ : الشكيتُ ؛ مثلُ كُميتِ ، ويُشدَّدُ فيقالُ : سِكيتُ ؛ كججيزِ ، ويُسمَّى أيضاً : فسكلاً ؛ كقنفذٍ وزبرجِ ، وذكرَ هذهَ الأسماءَ في نظمٍ وصفَ بهِ حلبَةَ سباقِ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ مسلمَةَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فقالَ ^(١) :

فَجَلَّى الْأَغْرُ وَصَلَّى الْكُمَيْتِ وَسَلَّى فَلَمْ يُذَمِّ الْأَذْهَمِ
وَأَتْبَعَهَا رَابِعُ تَالِيَا وَأَنْتَى مِنَ الْمُنْجِدِ الْمُثْمِ
وَمَا ذَمَّ مُرْتَا حَهَا خَامِسَا وَقَدْ جَاءَ يَقْدُمُ مَا يَقْدُمُ
وَسَادِسُهَا الْعَاطِفُ الْمُسْتَجِيرُ يَكَادُ لِحَايِرَتِهِ يُحْرِمُ
وَحَابَ الْمُؤَمِّلُ فِيمَا يَخِيبُ وَعَنَّ لَهُ الطَّائِرُ الْأَشَامُ
وَجَاءَ الْحَظِيُّ لَهَا تَامِنَا فَأَسْهَمَ حِصَّتَهُ الْمُسْهَمُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٥٢/١) .

حَدَا سَبْعَةً وَأَتَى ثَامِنًا وَثَامِنَةُ الْخَيْلِ لَا تُسْهِمُ
 وَجَاءَ اللَّطِيمُ لَهَا تَاسِعًا فَمِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُلْطَمُ
 يَخُبُّ السُّكَيْتُ عَلَى إِثْرِهَا وَعُغْلِيَاهُ مِنْ قَنْبِهِ أَعْظَمُ
 عَلَى سَاقَةِ الْخَيْلِ يَعْذُو بِهَا مُلِيمًا وَسَائِسُهَا أَلْوَمُ
 إِذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ ذَا لَمْ يُجِبْ مِنْ الْحَزَنِ بِالصَّمْتِ مُسْتَعْصِمُ

خِيبةُ المؤمِّلِ : كونهُ أقلَّ ذواتِ الأنصباءِ .

وقوله: (أسهم حصته المسهم) أي : كانت حصته سهماً لذوي السهم ،
 وحصته التي له لو لم يجئ ثامناً .

وقوله: (افتلينا) أي : انتزعنا وميَّزنا ، كما يُنزعُ الفلُّو عن أمه عند الفِطامِ ،
 والفلُّو - كسُمورٍ وعدوٍ - : المهرُ الصغيرُ عند فطامِهِ .

وقوله: (الكُماةُ) جمعُ كامٍ ؛ كقاضٍ ، وقولُهُم : (جمعُ كَمِيٍّ) مسامحةٌ ،
 وسُمِّيَ الشجاعُ كميًّا ؛ لأنه يكتُمُ صفاتِ نفسهِ حتى تُعبَّرَ عنها أعمالُهُ أو يستترَ
 نفسهُ في السلاحِ .

وقال زفر بن الحارث يُقرُّ لأعدائه بالعلبة^(١) :

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً لِيَالِي لَاقِينَا جُدَامَ وَحِمِيرًا
 فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ بَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسَّرَا
 وَلَمَّا لَقِينَا عُضْبَةً تَغْلِبِيَّةً يَقْوَدُونَ جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ ضَمَّرَا
 سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَضْبَرَا

وتغلبُ التي ذكرها في الشعرِ : قومٌ من قضاةِ ، وليست تغلب وائلِ .

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٩/١ - ٨٠) .

وقال يذکرُ هزيمتهُ في تلك الواقعةِ ويعتذرُ^(١) :

أَرِيْنِي سِلَاحِي لَا أَبَا لِكَ إِنِّي
وَلَمْ تُر مَنِّي نَبُوَّةَ قَبْلَ هَذِهِ
عَشِيَّةَ أَجْرِي بِالصَّعِيدِ وَلَا أَرَى
أَيْذَهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَنْ أَسَأْتُهُ
وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي^(٢) :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا
فَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
عَلَامَ تَقُولُ الرُّمَحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي
لَحَا اللَّهُ جَرْمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ
فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقْنَا
ظَلِلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةٌ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ

اسبطرت : امتدت في استرسالها ، وازبأرت : تهيأت ، وابدعرت :
تفرقت وتناكصت ، وأصل الإجرار : أن يشق لسان الفصيل ويوضع فيه
عودٌ يمنع بذلك من رضاع أمه ، واستعيرها هنا لقبيح الإسكات والمنع
من النطق بالثناء ، وجزم هؤلاء كانوا نزلوا في جوار عمرو وفيهم ثأرٌ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٠/١ - ٨١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٢/١ - ٨٤) .

لنهد ، فجاؤوا يَطْلُبُونَهُ مِنْهُمْ ، فَأَرَادَ يَدْفَعُهُمْ عَمْرُو وَيَعِينُ جِيرَانَهُ ، فَثَبَتَ
وَلَمْ يَثْبَتُوا .

وَقَالَ أُنَيْفُ بْنُ زَبَّانَ النَّبْهَانِيُّ مِنْ طِيٍّ (١) :

جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ كَتَائِبَ يُزِدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالَهَا
لَهُمْ عَجْزٌ بِالرَّمْلِ فَالْحُزْنَ فَالِلَّوَى وَقَدْ جَاوَزْتَ حَيِّي جَدِيسَ رِعَالَهَا
وَتَحْتَ نُحُورِ الْحَيْلِ حَرْشَفُ رَجَلَةٍ تُتَاحُ لِعِزَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالَهَا
أَبَى لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالَهَا
فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَاقَى طَلْحُهَا وَسِيَالَهَا
دَعَا لِنِزَارٍ وَأَنْتَمِينَا لِطَيِّئٍ كَأَسَدِ الشَّرَى أَقْدَامُهَا وَنِزَالَهَا
فَلَمَّا التَقِينَا بَيْنَ السَّيْفِ بَيْنَنَا لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالَهَا
وَلَمَّا تَدَانَا بِالرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ الْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالَهَا
وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالَهَا
فَوَلَّوْا وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ قَوَادِرُ مَرْبُوعَاتِهَا وَطَوَالَهَا
حَرْشَفُ رَجَلَةٍ - بفتح أولهما وسكون ثانيهما - : جماعة المشاة الكثيرة .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ (٢) :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمِئْزَرٍ فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبُ أَوْرَثُنَ مَجْدَا
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بَعَّةً وَعَدَاءً عَلَنَدَى

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١ / ٨٨ - ٩٠) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١ / ٩٠ - ٩٣) .

نَهْدًا وَذَا شَطْبٍ يَقْدُ
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا
قَوْمٍ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ
كُلُّ أَمْرِي يَجْرِي إِلَيَّ
لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا
وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا
وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا أَلْتِي
نَازَلْتُ كَبِشَهُمْ وَلَمْ
هُم يَنْذِرُونَ دَمِي وَأَنْتَ
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ
مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلِغْتُ
أَغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ

قوله : (إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ) أي : غرائز وطبائع ، وقد أقرَّ ذلك النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ : « النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ،
خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ » ^(١) .

والمناقبُ : هي الأحوال والأفعال ، وبها وبالغرائز يكون تمام الشرف في
الإنسان ، والعلندي : الشديد ، يُوصَفُ بِهِ الخيلُ والإبلُ ، والبيضُ : جمعُ

(١) وتامه : « إِذَا فَفُوهَا » ، والحديث أخرجه البخاري (٣٣٨٣) ، ومسلم (١٦٠ / ٢٦٣٨) عن سيدنا
أبي هريرة رضي الله عنه .

بيضة ؛ وهي والمِغْفَرُ والخُوذةُ : وقَاءُ الرَّأْسِ مِنْ ضَمَنِ السِّلَاحِ ، والأَبْدَانُ :
جَمْعُ بَدَنِ ؛ لَصَنَفٍ مِنْ أَصْنَافِ الدَّرُوعِ ، والقِدُّ : دَرَعٌ مِنْ جِلْدٍ .

وقوله : (ولا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدَا) أي : لا يَرُدُّ شَيْئاً ؛ كما يُقَالُ : لا يَرُدُّ فِتْيلاً .

وقال قيسُ بنُ الحَظِيمِ ^(١) :

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا
مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَزْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا
يَهُونُ عَلَيَّ أَنْ تَرُدَّ جِرَاحَهَا عُيُونَ الْأَوَاسِي إِذْ حَمَدَتْ بَلَاءَهَا
وَسَاعَدَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ خِدَاشٌ فَأَدَّى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا
وَكُنْتُ أَمْرًا لَا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سَبَّةً أَسْبُ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا
فَإِنِّي فِي الْحَزْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِأَقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا
إِذَا مَا أَصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتَّبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاكِ رِشَاءَهَا
مَتَى يَأْتِي هَذَا الْمَوْتُ لَا تُلَقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قِضَاءَهَا
ثَأْرَتْ عَدِيًّا وَالْحَظِيمَ فَلَمْ أَضْغ وَلايَةَ أَشْيَاحٍ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا

وقال الحارثُ بنُ هشامٍ أخو أبي جهلٍ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَتَرْكِهِ أَخَاهُ
وَبَقِيَّةَ أَهْلِهِ ، حَتَّى عَيَّرَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ حَيْثُ يَقُولُ ^(٢) :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي فَنَجَوْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِزَّةٍ وَلِجَامٍ

دعا عليها بلُحُوقِ العَارِ والفضيحة كما لحقَ هذا الفارَّ ، وذكرَ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٥ / ١ - ٩٧) .

(٢) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (٢٩ / ١) .

ذَلِكَ فِي ضَمَنِ أُبَيَاتِ الْحِمَاسَةِ لِلجَمْعِ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ ، وَهَذِهِ أُبَيَاتُ
الاعْتِذَارِ (١) :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكَتْ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرٍ مُزْبِدٍ
وَسَمِمْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ فِي مَازِقِ وَالْخَيْلِ لَمْ [تَتَبَدَّدِ]
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتَلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةَ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُرْصَدِ
الْأَشْقَرِ الْمَزْبِدُ : هُوَ الدَّمُ الْخَارِجُ ؛ إِمَّا مِنْ جَرِحِهِ ، أَوْ جَرِحِ فَرَسِهِ .

وَقَالَ حَيَّانُ بْنُ الْحَكَمِ السَّلْمِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْفِرَارِ يَتَبَجَّحُ بِالْفِرَارِ ، وَأَنَّهُ
مُقْتَضَى الْعَقْلِ ، وَأَنَّ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ يُوَافِقُ السَّفَهَاءَ فِي آرَائِهِمْ حَتَّى يَشْتَبِكُوا ،
فَإِذَا اشْتَبَكُوا .. رَجَعَ هُوَ إِلَى مَا هُوَ الْخَيْرُ عِنْدَهُ (٢) :

وَكَتِيبَةٍ لَبَسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي
فَتَرَكَتُهُمْ تَقِصُّ الرِّمَاحَ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَأَخْرَ مُسْنَدِ
مَا كَانَ يَنْفَعُنِي فَعَالَ نِسَائِهِمْ وَقُتِلْتُ دُونَ نِسَائِهَا لَا تَبْعَدِ
يُقَالُ : إِنْ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ سُئِلَ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ : (وَكَتِيبَةٍ ...) فَقَالَ : هُوَ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ... ﴾ الْآيَةَ (٣) .

وَقَالَ الْحَصِينُ بْنُ الْحِمَامِ الْمَرِّيُّ (٤) :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٧/١ - ٩٨) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٩/١) .

(٣) سورة الحشر : (١٦) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٣/١) .

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءَ
 نَفَلِقَ هَاماً مِنْ رِجَالِ أَعْرَءَ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
 فاعلُ (تقطُرُ) ضميرُ (الكلومِ) ، والدمُ : مفردٌ مفعولٌ .

وقال رجلٌ من بني عقيلٍ وقد حاربَهُ بنو عمِّهِ ، فقتلَ منهمُ : [من الوافر]
 بِكْرُهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ
 نُفَدِّيهِنَّ^(١) يَوْمَ الرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةً النَّصَالِ
 لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابِ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصِّقَالِ
 وَتَبْكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

من هذا أخذ البحريُّ قوله ، وحلَّاهُ بحلية البديع المزوجة^(٢) : [من الطويل]
 إِذَا أَحْتَرَبْتَ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتَ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
 وهذا الكلامُ في الانتقامِ والأخذِ بالثأرِ عن قريبٍ مِنْ قَرِيبٍ آخَرَ ، وقد
 اختلفت آراؤُهُمْ في ذلك ؛ فمنهُم مَنْ رَجَّحَ الانتقامَ لتبريدِ الغلَّةِ ودفعِ
 الهوانِ ، وإن كانَ فيه نقصُ عددِ الحُماةِ والأنصارِ ، ومنهُم مَنْ رَجَّحَ العفوَ ؛
 إبقاءً لوفورِ العددِ .

فَمِنَ الْأَوَّلِ مَا مَضَى ، وقولُ قيسِ بنِ زهيرٍ^(٣) : [من الوافر]
 شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسَيْفِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
 فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

(١) في « شرح ديوان الحماسة » (نَعْدِهِنَّ) بمعنى : نصرهنَّ .

(٢) انظر « ديوان البحري » (١٢٩٩/٢) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٦/١) .

وكانَ حملٌ وحذيفةُ قريبيْنِ قتلا قريباً له ، فقتلَهُما .

وقولُهُ : (فإن أكَ قد بردتُ بهِم غليلي) جمعَ الضَّميرِ لأنَّهُ رَدَّهُ على القَتيلينِ وقومِهِما ، فإنَّهُ قتلَهُما وأدخلَ الحزنَ على قومِهِما ، وفرحَ هوَ وقومُهُ ، وبذلكَ بردَ غليلُهُ .

ومِنَ الثاني قولُ الحارثِ بنِ وعلَةَ الذهليِّ (١) :

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَلَيْنُ عَفْوُتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَيْنُ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنَّ عَظْمِي

وقولُ أعرابيِّ (٢) :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِخْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
كِلاهُمَا خَلَفٌ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَحِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وفي هذا قليلٌ بعدِ عَمَّا قبلَهُ ؛ فإنَّهُ جعلَ سببَ العفوِ القِرابَةَ وعدمَ الإرادةِ ، والسابقُ جعلَ السببَ محضَ القِرابَةِ .

وقالَ بعضُ بني فقعسٍ (٣) :

رَأَيْتُ مَوَالِيَّ الْأَلَى يَخْذُلُونَنِي عَلَيَّ حَدَثَانَ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ
فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إِذَا الْخَضْمُ أَبْرَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ
وَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَفِي الْأَرْضِ مَبْثُوتٌ شُجَاعٌ وَعَقْرُبُ
فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا مِنْ الْقَوْمِ إِنَّنِي أَرَى أَلْعَارَ يَبْقَى وَالْمَعَاقِلُ تَذْهَبُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٧/١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٠/١ - ١١١) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٥/١ - ١١٦) .

كَأَنَّكَ لَمْ تُسَبِّقْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ
قوله : (رأيت موالِيَ الألى) أي : رأيت بني عمي هم الألى ، فالألى :
مفعول ثانٍ .

وقوله ([إذا] الخصمُ أبزى) مُدَكَّرُ بزواء ، ومن معاني البزاء - ومنه
الاستعارة - : خروج الصدر ، ودخول الظهر ، يفعل ذلك الخصمُ تكبيراً .
وقوله : (شجاعٌ وعقربٌ) كنايةٌ عن العدو ، ولذلك صحَّ أن يكون مبتدأً
ومعطوفاً عليه ، و (ميثوثٌ) خبرٌ دونَ تثنيةٍ ؛ إذ المعنى : وعدوٌ ميثوثٌ في
الأرض ، ولهم في هذا المعنى - وهو تفضيغٌ أخذِ الدية ، والتحريضُ على
الثأر - كلامٌ كثيرٌ .

وقال عنترة طيئ^(١) :

أَطْلَ حَمَلِ الشَّنَاءَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَأَنْظُرْ مَنْ تَضِيرُ
فَمَا بِيَدَيْكَ نَفْعٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقال الطرماعُ بنُ حكيمٍ من وادي هذا الكلام^(٢) :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي وَبَغِيضٌ إِلَيَّ كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَإِنِّي شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
إِذَا مَا رَأَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٩ / ١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٢ / ١ - ١٢٣) .

مَلَأَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا
أَكْلُ أَمْرِي أَلْفَى أَبَاهُ مُقْصِرًا
إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاءُ وَالِدِهِ أَضْطَنَى
وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا
مِنَ الضَّيْقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةً حَابِلِ
مُعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرَمَاتِ الْأَوَائِلِ
وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَابِلِ

القنابلُ : جمعُ قَنْبَلٍ أو قَنْبَلَةٍ بفتح فسكونٍ ففتح ، للجماعةِ مِنَ النَّاسِ أو الخيلِ .

[من الطويل]

وَبِالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعَ الْأَصَابِعِ
وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِعِ
إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ
بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمَضَاجِعِ
عَلَى حَسَبٍ مَا فَاتَ قَيْدَ الْأَكَارِعِ
فَكُلُّ يُوْفِي حَقَّهُ غَيْرَ وَاِدِعِ
وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الْكَلَابِيُّ (١) :
دَفَعْنَاكُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى بَطَرْتُمْ
فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ
مَسِسْنَا مِنَ الْأَبَاءِ شَيْئًا وَكُلْنَا
فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمْ
بَنِي عَمِّنَا لَا تَشْتُمُونَا وَدَافِعُوا
وَكُنَّا بَنِي عَمِّ نَزَا الْجَهْلُ بَيْنَنَا

قوله : (ما فات قيد) أي : لم يزل عن موضعه قدر كراع ، وضع الجمع موضع المفرد ؛ لإقامة الشعر ، ولأنَّ الجمع لا يقع به اشتباه ؛ إذ الغرض التقليل ، وذلك يأتي من حقارة الكراع بضم أوله .

[من الطويل]

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ كَنْبِ النَّبْهَانِيِّ (٢) :
تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ
وَلَيْسَ عَلَيَّ رَيْبُ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٤/١ - ١٢٥) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٦/١ - ١٣٨) .

فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى الْمَرْءُ جَارِعًا
 لَكَانَ التَّعْزِي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ
 فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ
 فَمَا لَيْنَتْ مِنَّا قَنَاةَ صَلِيبَةٍ
 وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً
 وَقَيْنَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنَّا نُفُوسَنَا
 قَوْلُهُ : (مزحل) مِنْ زَحَلَ ؛ أَي : لَا يَتَجَاوَزُ وَلَا يَفُوتُ الْمَرْءَ مَا قَضَاهُ اللَّهُ
 عَلَيْهِ .

[من الكامل]

مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعُودُ
 كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدُّعُ الْأَكْبَادُ
 مَوْتِي وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ
 لَا يَدْفَعُونَ بِنَا الْمَكَارَةَ بِأَدْوَا
 أَمْسَى عَلَيْهِ تَظَاهَرَ الْأَقْيَادُ
 عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ
 بِالرِّفْدِ حِينَ تَقَاصِرُ الْأَرْفَادُ
 وَلَنَا إِذَا عُذْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

وقال عوفى القوافي الفزاري (١) :

ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ
 خَبْرُ أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ مُوجِعُ
 بَلَغَ النُّفُوسَ بِلَاؤُهُ فَكَأَنَّنَا
 يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدْنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ
 لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ
 نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ أَنَّهُ
 وَذَكَرْتُ أَيُّ فِتْنَى يَسُدُّ مَكَانَهُ
 أَمْ مَنْ يُهِينُ لَنَا كِرَائِمَ مَالِهِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٩/١ - ١٤٠) .

الأجسادُ في الشعرِ : جمعُ جسدٍ ، والمرادُ به : الدمُ ، كما هو المرادُ في قولِ النابغةِ (١) :

وَمَا هُرَيْقٌ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدٍ

وقالَ بشرُ بنُ المغيرةِ أخي المُهلَّبِ بنِ أبي صفرةَ ، وهو أبو يزيدَ المذكورُ في الشعرِ ، وكانَ المُهلَّبُ أميرَ العسكرِ إذ ذاكَ ، وهو مشهورٌ ، يتوجَّعُ في هذه [الأبياتِ] مِنْ عَمِّهِ وَأَبِيهِ وابنِ عَمِّهِ (٢) :

جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأَمْسَى يَزِيدُ لِي قَدْ أَزَوَّرَ جَانِبُهُ
وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شِبْعًا لِبَطْنِهِ وَشِبْعُ الْفَتَى لَوْمْ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ
فِيَا عَمِّ مَهْلًا وَأَتَّخِذْنِي لِنُوبَةٍ تَنُوبُ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمُّ عَجَائِبُهُ
أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنْ لِلسَّيْفِ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

وقالَ رجلٌ في ابنِهِ واختلَفَ في تسميتهِ ؛ فـ قـيـلَ : هو أبو الشغبِ العبسيُّ ، وقيلَ غيرُ ذلكَ (٣) :

رَأَيْتُ رِيَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَرِّهِ عَثْبُ
إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرَّجَالِ حَزَاةً فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْخَلُوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيْتُ وَجَانِبُ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعُ صَعْبُ
وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِرَّةٌ كَمَا أَهْتَزَّ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصْنُ الرُّطْبُ

الحزاةُ : تألَّم النفسِ غيظًا ؛ أي : إذا كانوا سببها .

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٢٥) والبيت بتمامه :

فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرَيْقٌ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدٍ

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤١/١) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٤/١ - ١٤٥) .

وقال إسحاق بن خلف^(١) :

[من البسيط]

وَلَمْ أَقَاسِ الدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ
ذَلَّ الأَيْتِيْمَةَ يَجْفُوهَا ذُوو الرِّجَمِ
فِيهْتِكِ السَّتْرَ عَن لَحْمِ عَلِيٍّ وَضَمِ
وَأَلْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالِ عَلَيَّ الحُرْمِ
وَكُنْتُ أَبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الكَلِمِ

لَوْلَا أَمِيْمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ العَدَمِ
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي العَيْشِ مَعْرِفَتِي
أَحَاذِرُ الفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِهَا
تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا
أَخْشَى فِظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءَ أَخٍ
وقال حطَّان بن المعلَّى^(٢) :

[من السريع]

مَنْ شَامِخِ عَالٍ إِلَى خَفْضِ
فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى [عِرْضِي]
أَضْحَكُنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي
رُدْدَنَ مِنْ بَعْضِ إِلَى بَعْضِ
فِي الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ
لَأَمْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ العَمْضِ

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ
وَعَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الغِنَى
أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَا رَبِّمَا
لَوْلَا بُنْيَاتٌ كَرُغِبِ القَطَا
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ

قوله : (لولا بنيات كزغب القطا) أي : ضعاف كفراخ القطا التي لم يقو ريشها بعد ، بل هو زغب ، فهي في الاحتياج إلى ما يعولها ويجلب رزقها .

وقوله : (رددن من بعض إلى بعض) يريد : أن كبارهن وإن قويت بنيتهن

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥١/١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٢/١ - ١٥٣) .

حتى رُدَّتْ إليهنَّ الصِّغارُ ليحفظنَّهنَّ ويُدبِرْنَ أمورهنَّ . . فهنَّ ضعافُ العقولِ
والعزائمِ بحيثُ يرددنَّ إلى الصِّغارِ ، ويجعلنَّ منَّ عددِهِنَّ ؛ إذ الفريقانِ في
الضعفِ سواءٌ ، فخلاصةُ المعنى : أن البناتِ في عدمِ غنائهنَّ واحتياجِهِنَّ إلى
من يكفلهنَّ ويعولُ أمرهنَّ . . لا تميِّزُ لبعضهنَّ عن البعضِ .

وقال رجلٌ أسديٌّ ^(١) :

وَمَا أَنَا بِالنَّكْسِ الدَّنِيِّ وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ
وَلَكِنِّي إِنْ دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبُ
أَلَا إِنْ خَيْرَ الْوُدِّ وَدُّ تَطَوَّعَتْ لَهُ النَّفْسُ لَا وَدُّ أَتَى وَهُوَ مُتَعَبُ

يُقَالُ : إِنْ الْأَفْصَحَ إِذَا أَخْبَرَ بِمَوْصُولٍ عَنْ ضَمِيرٍ مُتَكَلِّمٍ أَوْ مُخَاطَبٍ أَنْ
يُوتَى بِالضَّمَائِرِ طَبَقَ الْمَوْصُولِ ضَمَائِرَ غَيْبِيَّةٍ ، وَهَذَا الشَّعْرُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ،
فَكَانَ يَقُولُ : (إِذَا صَدَّ عَنْهُ ذُو الْمَوَدَّةِ . . يَحْرَبُ) ، وَيَحْرَبُ : يَغْتَاطُ ، وَمِنْ
كَلَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ^(٢) :

[من مشطور الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ

فهو كالشعرِ .

وقال بشامةُ بنُ حزنٍ ^(٣) :

وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا
دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَمَنَعْتُهَا
إِنِّي أَمْرُؤُ أَسْمُ الْقَصَائِدِ لِلْعِدَا
لَمَّا وَنَى عَن نَصْرِهَا خُدَّالُهَا
وَلَدِي فِي أُمَّثَالِهَا أُمَّثَالُهَا
إِنَّ الْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٧/١) .

(٢) انظر « الروض الأنف » (١٠٧/٧) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢٠٦/١ - ٢٠٨) .

قَوْمِي بَنُو الْحَزْبِ الْعَوَانِ بِجَمْعِهِمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَا إِشْعَالُهَا
مَا زَالَ مَعْرُوفاً لِمُرَّةٍ فِي الْوَعَى عَلُّ الْقَنَا وَعَلَيْهِمْ إِنَّهَا
مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

في « القاموس » : (ولد إلياس بن مضرَ عمراً وهو مُدْرِكَةٌ ، وعامراً وهو طابخة ، وعميراً وهو قمعة ، وأُمُّهُمْ خِنْدِفُ كزبرج ؛ وهي ليلى بنتُ حلوان بن عمران ، وكان إلياس خرجَ في نُجعة ، فنفرتُ إبلُهُ مِنْ أرنبٍ ، فخرجَ إليها عمرو فأدرَكها ، وخرجَ عامرٌ فتصيَّدَها وطبخَها ، وانقمعَ عميرٌ في الخباءِ ، وخرجتُ أُمُّهُمْ تسرعُ ، فقالَ لها إلياسُ : أينَ تخندفينَ ؟ فقالتُ : ما زلتُ أخندفُ في أثركُم ، فلقَّبوا : مدركَةٌ وطابخةٌ وقمعةٌ وخندفٌ) (١) ، فسُمِّيَتِ القبيلةُ باسمِ أُمِّهَا .

وقوله : (أَسْمُ الْقَصَائِدِ) : وسمُ القصيدةِ عبارةٌ عن ذكرِ مَنْ قِيلَتْ بِرِسْمِهِ مِنْ ممدوحٍ أو مهجورٍ .

وقال العباس بن مرداس ، وهي مِنَ الْمُنْصَفَاتِ ؛ إذ لم يكتُم حالَ أعدائِهِ (٢) :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبِّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقَيْنَا فَوَارِسًا
أَكْرَأَ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
إِذَا مَا شَدَدْنَا شِدَّةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَدَاكِي وَالرِّمَاحَ الْمَدَاعِسَا
إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نَكْرُهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

ذكاءُ الخيلِ : تمامُها وخروجُها مِنْ سنِّ الفِئاءِ .

(١) القاموس المحيط (٢٠٣/٣) مادة (خ ن د ف) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢٢٨/١ - ٢٢٩) .

وقال عبدُ الشارقِ بنُ عبدِ العزى الجهنّي من المنصّفاتِ
أيضاً^(١) :

نَحِيَّهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا
عَلَى أَضْمَاتِنَا وَقَدِ [أَخْتَوَيْنَا]
فَقَالَ أَلَا أَنْعَمُوا بِالْقَوْمِ عَيْنَا
فَلَمْ نَغْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدَيْنَا
كَمِثْلِ السَّيْلِ نَزَكُبُ وَازِعِينَا
فَقُلْنَا أَحْسِنِي مَلَأَ جُهَيْنَا
فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ أَرَعَوَيْنَا
أَنْخَنَا لِلْكَلاكِْلِ فَازْتَمِينَا
مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشُوا إِلَيْنَا
إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافِ رَدَيْنَا
ثَلَاثَةَ فِثْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا
بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُؤَيْنَا
وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفِثْيَانِ زَيْنَا
وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدِ أَنْحَنِينَا
وَلَوْ خَفْتُ لَنَا الْكَلْمَى سَرِينَا
قَوْلُهُ : (نَحِيَّهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا) تَحَقُّقُ الْمَنَافِرَةِ ؛ بَأَنْ يُرَادَ بِتَحِيَّتِهَا

أَلَا حُيِّتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا
رُدَيْنَةٌ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِئْنَا
فَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَبِيئًا
وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً
فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرِدًا وَجِئْنَا
تَنَادَوْا يَا لِبَهْتَةِ إِذْ رَأَوْنَا
سَمِعْنَا دَعْوَةَ عَنْ ظَهْرِ غَيْبِ
فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا
فَلَمَّا لَمْ نَدْعُ قَوْسًا وَسَهْمًا
تَلَأَلُوْا مُزْنَةَ بَرَقَتْ لِأُخْرَى
شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ
وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا
وَكَانَ أَحْيَى جُؤَيْنٌ ذَا حِفَاظِ
فَأَبُوا بِالرِّمَاحِ مُكْسَرَاتِ
فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاخِ
قَوْلُهُ : (نَحِيَّهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا) تَحَقُّقُ الْمَنَافِرَةِ ؛ بَأَنْ يُرَادَ بِتَحِيَّتِهَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢٢٩/١ - ٢٣٣) .

تحية الوداع ، أو تحية الغائب ؛ أداءً لواجب المحبة على لسان رسولٍ مراغمةً
للغيرة ، أو يُرادُ بكرمها عليه : تعذُّرها وامتناعُها .

وقوله : (على أضمامنا وقد اختونا) أي : على أشدِّ أحقادنا وقد أخلينا
أجوافنا ، وكانت تلك لهم عادةً إذا أرادوا الحرب .

وقوله : (نركبُ وازعينا) أي : لا يطيعُ أحدُ الجيشين وازعهُ ورئيسه إذا
أرادَ أن يكفَّهُ عن الإقدام ، والملا في قوله : (أحسني ملاً) معناه : الخلقُ ،
وبهثة : ولدُ الزنا ، وهو اسمٌ للقبيلة هنا .

وقال المساورُ بنُ هندِ بنِ زهيرٍ^(١) :

أودى السَّبابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّرُ
وَأَرَى الْغَوَانِي بَعْدَ مَا أَوْجَهَنِي
وَرَأَيْتُ رَأْسِي صَارَ وَجْهًا كُلُّهُ
وَرَأَيْتُ شَيْخًا قَدْ تَحَنَّى ظَهْرَهُ
لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرُّوا فِثْنَةً
وَتَشَعَّبُوا شُعْبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ
وَلَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ إِنَّ هِيَ أَعْرَضَتْ
وَلَنَا قَنَاءٌ مِنْ رُدْيَنَةَ صَدَقَةٌ

وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ الْمَغْبَرُ
أَعْرَضْنَ نُمَّتْ فُلْنِ شَيْخٍ أَعْوَرُ
إِلَّا قَفَايَ وَلِحْيَةَ مَا تُضْفَرُ
يَمْشِي فَيُقْعَسُ أَوْ يُكَبُّ فَيَعْتُرُ
عَمِيَاءَ تُوَقَّدُ نَارُهَا وَتُسَعَّرُ
فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْبَرُ
أَنَا لَنَا الشَّيْخُ الْأَعْرُ الْأَكْبَرُ
زُورَاءُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَرُورُ

اقتفَرَ الشيءَ : تَبَّعَهُ ، وقوله : (ولحيةٌ لا تضفرُ) تأسَّفَ على فقدِ الذوائبِ
التي مِنْ شأنِها الضفرُ ، وقوله : (يقعسُ) أي : يكونُ كالأقعسِ ؛ وهو مقابلُ
الأحدبِ ، وفي قوله : (يُكَبُّ فيعثرُ) قلبُ ؛ لأمنِ اللبسِ .

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٥ / ٢ - ٦) .

وقال عروة بن الورد العبسي^(١) :

[من الطويل]

قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنِيفِ تَرَوُّحُوا عَشِيَّةً بِثَنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزِحِ
تَنَالُوا الْغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَّاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبْرِحِ
وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنْ أَلْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رُغَيْبَةً وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ
كَانَ عَرُوءَةً غَائِبًا ، فَلَمَّا حَضَرَ . . وَجَدَ قَوْمَهُ قَدْ نَهَكَهُمُ الْجَدْبُ وَهُمْ رُزِحِ
قَاعِدُونَ فِي مُلْتَفِّ مِنَ الشَّجَرِ - وَهُوَ الْكَنِيفُ - يَنْتَظِرُونَ الْهَلَكَ ، فَقَالَ لَهُمْ :
تَرَوُّحُوا ، يُحَرِّضُهُمْ عَلَى النَّهْوِضِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ ، فَتَرْتِيبُ الْبَيْتِ الْأَوَّلُ :
قُلْتُ لِقَوْمٍ رُزِحَ فِي الْكَنِيفِ عَشِيَّةً بَتْنَا عِنْدَ مَاوَانَ : تَرَوُّحُوا تَنَالُوا الْغِنَى ، أَوْ
تُقْتَلُوا فَتَرِيحُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ حَالَةٍ تُشَبِّهُ الْحِمَامَ ، لَكِنَّهُ حِمَامٌ مُبْرِحٌ .

وقال ربيعة بن مقروم^(٢) :

[من الوافر]

أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَإِنْ دُعِيَ أَسْتَجَابَا
إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي وَزَادَ سِلَاحُهُ مِنْكَ أَقْتِرَابَا
وَكَُنْتُ إِذَا قَرِيبِي جَادَبْتُهُ حِبَالِي مَاتَ أَوْ تَبِعَ الْجِدَابَا
فَإِنْ أَهْلِكَ فَذِي حَنْقٍ لَظَاهُ عَلَيَّ تَكَادُ تَلْتَهَبُ الْتِهَابَا
مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّى تَحَسَّنِي ذُنُوبَ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْ قَرَابَا
بِمِثْلِي فَأَشْهَدُ النَّجْوَى وَعَالِنُ بِي الْأَعْدَاءَ وَالْقَوْمَ الْغِضَابَا
فَإِنَّ الْمُوعِدِيَّ يَرُونَ دُونِي أَسْوَدَ خَفِيَّةَ الْغُلْبِ الرِّقَابَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧/٢ - ٨) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٥٣/٢ - ٥٥) .

كَأَنَّ عَلَى سَوَاعِدِهِنَّ وَرْسًا عَلَا لَوْنُ الْأَشَاجِعِ أَوْ خِضَابَا
 قَوْلُهُ : (فِذِي حَنْتِي) أَي : فَرَبْتُ ، حَذَفَهَا بَعْدَ الْفَاءِ ، وَهُوَ أَحَدُ مَوَاضِعِ
 حَذْفِهَا ، وَقَوْلُهُ : (الْغَلَبَ الرِّقَابَا) نَصَبَ مَعْمُولَ الصِّفَةِ عَلَى التَّشْبِيهِ
 بِالْمَفْعُولِ بِهِ .

وَقَالَ سِنَانُ بْنُ الْفَحْلِ أَحْوَبِي أُمِّ الْكَهْفِ مِنْ طَيْئِ^(١) : [من الوافر]
 وَقَالُوا قَدْ جُنِنْتَ فَقُلْتُ كَلًّا وَرَبِّي مَا جُنِنْتُ وَمَا أَنْتَشَيْتُ
 وَلَكِنِّي ظَلِمْتُ فَكِدْتُ أَبْكِي مِنْ الظُّلْمِ الْمُبِينِ أَوْ بَكَيْتُ
 فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءُ أَبِي وَجَدِّي وَيَبْرِي ذُو حَفْرَتٍ وَذُو طَوْبَتِ
 وَقَبْلَكَ رَبِّ خَضَمٌ قَدْ تَمَالَوْا عَلَيَّ فَمَا هَلِغْتُ وَلَا دَعَوْتُ
 وَلَكِنِّي نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِي وَالْأَةَ فَارِسٍ حَتَّى قَرَيْتُ
 تَمَالَوْا : أَصْلُهُ : تَمَالَّوْا بِالْهَمْزِ ، فَخُفِّفَ وَصَارَ مُعْتَلًّا ، وَفِي الْأَبْيَاتِ
 (ذُو) الطَّائِيَّةِ ، وَهِيَ بِمَعْنَى (التِّي) ، وَالشَّاعِرُ مِنْ أَهْلِ أَشْهَرِ لُغَاتِ طَيْئِ فِي
 اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ (ذُو) الَّذِينَ يَنْطِقُونَ بِهَا عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ دَائِمًا .

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مَالِكِ الطَّائِي^(٢) : [من الطويل]
 سَمَوْنَا إِلَى جَيْشِ الْحَرَوْرِيِّ بَعْدَمَا تَنَادَرَهُ أَعْرَابُهُمْ وَالْمُهَاجِرُ
 بِجَمْعِ تَظَلُّ الْأَكْمِ سَاجِدَةً لَهُ وَأَعْلَامُ سَلَمَى وَالْهَضَابُ النَّوَادِرُ
 فَلَمَّا أَدْرَكْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَصَتْ بِهِمْ إِلَى الْحَيِّ خُوصٌ كَالْحَنِي ضَوَامِرُ
 أَنْخَنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ وَزَادْنَا جِيَادُ السُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ الْخَوَاطِرُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٢/٢ - ٧٣) .
 (٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٥/٢ - ٧٦) .

كَلَّا ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ
فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا وَمُسْتَلْبًا سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ
وَأَكْثَرَ مِنَّا يَافِعًا يَبْتَغِي الْعُلَا يُضَارِبُ قِرْنَآ دَارِعًا وَهُوَ حَاسِرُ
فَمَا كَلَّتِ الْأَيْدِي وَلَا أُنَاطَرَ الْقَنَا وَلَا عَشَرَتْ مِنَّا الْجُدُودُ الْعَوَازِرُ

حَرْوَرِي - بفتح الراء الأولى - : بلدٌ يُنسبُ لها بعضُ الخوارجِ ، والخوارجُ :
أهلُ مذهبٍ في الإسلامِ ، أولُهم جماعةٌ خرجوا على عليٍّ ومعاويةَ ومَنْ كَانَ
مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ حَرْبِ صَفِينِ ، وَجَرِي مِنْ أَمْرِ تَحْكِيمِ
الْحَكَمِيِّنَ ، فَقَالُوا بِكُفْرٍ مِنْ حَكَمِ الْحَكَمِيِّنَ ، وَكَانُوا يَتَشَدَّدُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ ،
وَعَظَمَ أَمْرُهُمْ ، وَشَغَلُوا مَلُوكَ الْإِسْلَامِ بِالْحَرْبِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ ، وَاشْتَهَرَ فِيهِمْ
كَثِيرٌ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ، وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّهُمْ هُمْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُمْ ، وَالْمَذْكُورُ فِي الشَّعْرِ جَيْشٌ مِنْ جِيوشِهِمْ ، وَصَفَهُ الشَّاعِرُ بِالْقُوَّةِ وَالشَّدَةِ ،
وَأَنَّهُ عَمَّتْ مَخَافَتُهُ النَّاسَ ، فَكَانَ يَتَنَادَرُهُ أَهْلُ الْبَادِيَةِ وَهُمْ الْأَعْرَابُ ، وَالْفَرِيقُ
الْمُهَاجِرُ وَهُمْ مَنْ تَرَكَ الْبَادِيَةَ وَسَكَنَ الْأَمْصَارَ .

وقوله : (بجمع تَظَلُّ الْأَكْمُ) أي : جمعٌ كثيفٌ ذو خيلٍ وإبلٍ كثيرةٍ ،
بحيثُ إِنَّهُ [بثقلٍ] وطأته يُسَوِّي مرتفعاتِ الأرضِ ، فمعنى سَجُودِ الْأَكْمِ :
هبوطُها وزوالُ ارتفاعِها .

وقوله : (كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا) أي : مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، (وَمُسْتَلْبًا سِرْبَالَهُ) بِنَصْبِ
سِرْبَالِ ، مَفْعُولٌ ثَانٍ ، تَقُولُ : اسْتَلْبْتُهُ كَذَا .

وقال سعدُ بنُ ناشِبٍ ^(١) :

تُقَنِّدُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شَرَّاسَتِي وَشِدَّةِ نَفْسِي أُمُّ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥ / ٢) .

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ حَلَا
وَفِي اللَّيْنِ ضَعْفٌ وَالشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ
وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي مِنْ فِظَاطَةٍ
أَقِيمُ صَعَا ذِي الْمَيْلِ حَتَّى أُرَدَّهُ
فَإِنْ تَعَذَّلِيْنِي تَعَذَّلِي بِي مُرْزَأً
إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ

لِيَلْفَى عَلَيَّ حَالٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
وَمَنْ لَمْ يَهَبْ يُحْمَلْ عَلَيَّ مَرْكَبٌ وَعَرِي
وَلَكِنِّي فَظٌ أَبِي عَلَيَّ الْقَسْرِ
وَأَخْطِمُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْقَدْرِ
كَرِيمٌ نَشَا الْإِعْسَارِ مُشْتَرِكُ الْيُسْرِ
وَصَمَمَ تَضْمِيمَ الشَّرِيحِيِّ ذِي الْأَثْرِ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب^(١) :

[من مجزوء الكامل]

سَائِلٌ بِنَا فِي قَوْمِنَا
قَيْسًا وَمَا جَمَعُوا لَنَا
فِيهِ السَّنَوُورُ وَالْقَنَا
بِعُكَاظٍ يُعْشِي النَّاطِرِينَ
فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا
وَمَجَّ دَلًّا غَادِرَنَّهُ

وَلِيَكْفٍ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ
فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شِنَاعُهُ
وَأَلْكَبِشُ مُلْتَمِعٍ قِنَاعُهُ
إِذَا هُمْ لَمَحُوا شِعَاعُهُ
قَسْرًا وَأَسْلَمَهُ رِعَاعُهُ
بِالْقَاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاعُهُ

السَّنَوُورُ : يُرَادُ بِهِ الدَّرُوعُ ، وَيُرَادُ بِهِ السَّلَاحُ كُلُّهُ .

وقال أمية بن أبي الصلت يشتكى من ولده^(٢) :

[من الطويل]

غَدُوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافِعًا
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشُّكُورِ لَمْ أَبِتْ

تُعَلُّ بِمَا أَدْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ
لِشُّكُوكِ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَّمُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٠/٢ - ١٣١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٣/٢) .

طَرِقتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمُلُ
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمِلُ
كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتُ تَعْقِلُ
بِرَدِّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

[من البسيط]

أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي جِلْدِهِ زَغَبًا
أَبَارُهُ وَنَفَى عَنْ مَثْنِهِ الْكَرْبَا
أَبْعَدُ شَيْبِي عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدْبَا
وَخَطَّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبًا
مَهْلًا فَإِنَّ لَنَا فِي أُمَّنَا أَرْبَا
ثُمَّ اسْتَطَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبًا

أَعْظُمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ ؛ أَي : أَكْثَرُهُ حَوْصَلْتُهُ ، وَأُمُّ الطَّعَامِ مِنَ الْآدَمِيِّ : الْمَعِدَةُ ،
وَأَبْرُ النَّخْلِ : تَلْقِيحُ إِنَائِهَا مِنْ ذَكَورِهَا ، وَالْأَبَارُ : فَاعِلُ ذَلِكَ ، فإِضَافَتُهُ إِلَى
الْفُحَّالِ - وَهُوَ ذَكَرُ النَّخْلِ - لِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ ؛ كَالإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّ
أَجَلَ اللَّهِ لِآتٍ ﴾ ^(٢) ، وَالكَرْبُ : أَصُولُ السَّعْفِ .

انتهى ما أردتُ إيرادَهُ مِنْ بَابِ الْحِمَاسَةِ .

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٤ / ٢) .

(٢) سورة العنكبوت : (٥) .

[نبذة من أشعار الرثاء من « ديوان الحماسة »]

وهذه جملة من باب الرثاء ؛ وهو ذكرُ محاسنِ الميِّتِ والبكاءِ عليه ،
والتحسُّرُ على فقده ؛ يُقالُ : رثيته ورثوته ، والمَرثِيَّةُ : الكلامُ الذي يكونُ به
الرثاءُ .

قال أبو خِراشِ الهذليُّ وقد سافرَ أخوه وابنه ، فأسيرا ، وقُتِلَ أخوه ،
وألقى رجلٌ رداءً على ابنه واجتهدَ في إطلاقه وتخليصه ممَّن أرادوا
قتله^(١) :

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَتِيلًا رُزْتُهُ بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا نُوكَلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جِدَّ مَحْضِ
وَلَمْ يَكْ مَثْلُوجَ الْفُؤَادِ مُهَبَّبًا أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرِّبِيلَةِ وَالْخَفْضِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحْتُهُ مَخَامِصٌ عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ

وقد قيلَ : إنَّ الذي ألقى عليه الرداءَ هوَ عروةٌ ، وقد وجدَهُ ملقيه مكشوفَ
العورة ، وهذا القولُ أوفقُ لسياقِ الكلامِ ، والرَّيْبِلَةُ : تُطَلَّقُ على السِّمَنِ والنعمةِ ،
فإذا أُريدَ السِّمَنُ . . فهوَ على حذفِ مضافٍ ؛ أي : في تحصيلِ الرَيْبِلَةِ ، وكانوا
يتمدِّحونَ بقلَّةِ الطعامِ والشرابِ ؛ إمَّا لكثرةِ الاشتغالِ بالمُهَمَّاتِ ، وإمَّا لإيثارِ
الغيرِ ، وقالَ عبدةُ بنُ الطَّيِّبِ^(٢) :

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٣/٢ - ١٤٥) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٥/٢ - ١٤٦) .

تَحِيَّةَ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى إِذَا زَادَ عَنِ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا
فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا
وقال هشامُ بنُ عقبةِ العدويِّ أخو ذي الرِّمةِ يرثي أوفى بنَ
دلهم^(١) :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَانٌ مُثْرَعٌ
نَعَى الرِّكْبِ أَوْفَى حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا
نَعَوْا بِاسِقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُفُونَهُ تَكَادُ الْجِبَالُ الصُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ
خَوَى الْمَسْجِدُ الْمَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمْ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَعَّضَعُوا
فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

وقال مُتَمِّمُ بنُ نُويرَةَ يرثي أخاه مالكا ، وكانا أسلما ، وهاجر مُتَمِّمٌ
إلى المدينة ، وبقِيَ مالكٌ في البادية ، وكان عريفَ قومٍ ؛ أي : نقيبهم
والمُتَكَلِّمُ عنهم ، فلَمَّا قُبِضَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ارتدَّ كثيرٌ مِنَ
العربِ ، ومنهم مالكٌ هذا ، وكانت إبلُ الصدقةِ مجموعةً في موضعٍ يُقالُ
لَهُ : رحرحانُ ، لم تصلْ بعدُ إلى المدينة ، فأغارَ عليها مالكٌ ، ونهبَ
منها ثلاثَ مئةٍ ، فلامَهُ على ذلك الأقرعُ بنُ حابسٍ وضرارُ بنُ القعقعِ ،
ومشيا به في بني تميمٍ يُحَرِّضَانِهِم عليه ليردُّوه عن منكرِ فعله ، فقال
في ذلك^(٢) :

أَرَانِي اللهُ بِالنَّعَمِ الْمُنْدَى بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي
أَنَّ قَرَّتْ عُيُونَ [وَأَسْتَفِيئْتُ] غَنَائِمُ قَدْ تَجُودُ بِهَا بَنَانِي

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٧/٢) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٩/٢) ، وستأتي الأبيات المراد إثباتها .

حَوَيْتُ جَمِيعَهَا وَالسَّيْفُ صَلْتُ وَلَمْ تَزْعُدْ يَدَايَ وَلَا جَنَانِي
 تَمَشَّى يَا بَنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبُكَ الْأَقْرِعُ تَلْحَيَانِي
 أَلَمْ أَكُ نَارَ رَابِيَةٍ تَلْظَى فَتَشْقِيَا أَذَايَ وَتَرْهَبَانِي
 فَقُلْ لِابْنِ الْمُذَبِّبِ يَغْضُ طَرْفًا عَلَى قَطْعِ الْمَدَلَّةِ وَالْهَوَانِ
 النعم المندى : هي الإبل تُسقى قليلاً ثم تُراخ ناحية ، ثم تُورَدُ الماءَ
 لتحصيل تمام الري ، يظهرُ غيظُهُ وشماتتُهُ باجتماعِ إبلِ [الصدقة] ، وكانوا
 يرونَ ذلكَ نهباً لأموالِهِمْ .

وقوله : (تَمَشَّى) أي : تَمَشَّى وهو معلولٌ .

قوله : (أَلَمْ أَكُ نَارَ رَابِيَةٍ عِيُونَ) ، وقوله : (يا بن عوذة) ناداهُ باسمِ أمِّه تحقيراً ،
 وعوذة : أمُّ ضرارٍ ، ومذبة : أمُّ الأقرع .

فلَمَّا قامَ أبو بكرٍ بالأمرِ بعدَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . بعثَ جيشاً
 رئيسُهُ خالدُ بنُ الوليدِ لقتالِ أهلِ الردَّةِ ، وأوصاهُ بقتلِ مالكِ هذا ، فلَمَّا
 قُتِلَ . . أَكثَرَ مِنْ رثائِهِ والبكاءِ عَلَيْهِ أخوهُ مُتَمِّمٌ .

يُروى : أَنَّ أميرَ المؤمنينَ عمرَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِمُتَمِّمٍ يوماً : لو رُئِيَ
 أَخِي زَيْدٌ بِمِثْلِ ما رَثَيْتَ بِهِ أَخَاكَ ، فَقَالَ مُتَمِّمٌ لَهُ : لو عَلِمْتُ أَنَّ أَخِي صَارَ لِمَا
 صَارَ إِلَيْهِ أَخُوكَ . . ما رَثَيْتُهُ ؛ يعني : لو عَلِمَ موْتَهُ على الإسلامِ ، فَقَالَ عمرُ :
 ما عَزَّانِي أَحَدٌ بِمِثْلِ ما عَزَّانِي بِهِ مُتَمِّمٌ ^(١) .

والأبياتُ المُرادُ إثباتُها مِنْ رثاءِ مُتَمِّمٍ قوله ^(٢) : [من الطويل]

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدَّمُوعِ السَّوَافِكِ

(١) تقدم (٣٧٨/١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٨/٢) .

فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالذَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ
ولا بن نباتة المصري قصيدة يرثي فيها ملكاً ويهنئُ ابنه بالجلوسِ مكانه ،
مطلعها (١) :

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ الْعَزَاءَ الْمُقَدَّمَا فَمَا عَبَسَ الْمَخْزُونُ حَتَّى تَبَسَّمَا
تُغُورُ أُبْتَسَامٍ فِي تُغُورِ مَدَامِجِ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا
يقول فيها تلميحاً بمالكٍ ومُتَمِّمِ ابْنِي نويرة :
فَقَدْنَا لِأَعْنَاقِ الْبَرِيَّةِ مَالِكَا وَشِمْنَا لِأَفْعَالِ الْجَمِيلِ مُتَمِّمَا
وسنوردها بعدُ إن شاء الله تعالى .

وقال رجلٌ مِنْ خثعم (٢) :
نَهْلَ الزَّمَانِ وَعَلَّ غَيْرَ مُصَرَّدِ مِنْ آلِ عَنَابٍ وَآلِ الْأَسْوَدِ
مِنْ كُلِّ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ إِذَا غَدَتْ نَكْبَاءُ ثُلُوي بِالْكَنِيفِ الْمُؤَصَّدِ
فَالْيَوْمِ [أَضْحَا] لِلْمَنُونِ وَسِيقَةٌ مِنْ رَائِحِ عَجَلٍ وَآخِرِ مُغْتَدِي
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوَّدِ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفْرُدِي بِالسُّوَدِ
النكباءُ : واحدة النُكْبِ ؛ وهي الرياحُ الخارجةُ بينَ المَهَابِ الأصليةِ ؛
وهي مَهَبُ الصَّبَا للشرقي ، ومَهَبُ الشَّمَالِ ، ومَهَبُ الجَنُوبِ ، ومَهَبُ
الدَّبُورِ .

وإذا تَوَالَتِ النُّكْبُ .. كَانَ الجَدْبُ ، وَالكَنِيفُ الْمُؤَصَّدُ : الحَظِيرَةُ مِنْ

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ٤٢٩) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٤/٢) .

الشجر التي جعل لها إصاذاً ؛ أي : بابٌ وعتبةٌ ؛ اعتناءً بها ، ومحافظةً عليها ،
والوثة بها : أفسدتها ، وجودُ الجوادِ أظهرُ ما يكونُ في الجدبِ .

وقال محمدُ بنُ بشيرِ الخارجيِّ ؛ نسبةً إلى خارجةَ (١) : [من الكامل]

نِعْمَ الْفَتَى فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ الْخُدَّامِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا ذُوُّ الْأَرْحَامِ
أَرَادَ بِالصَّدِيقِ وَالشَّقِيقِ الْجِنْسَ ؛ أي : أصدقاءه وأشقاءه ، ولذلك قال :
أَيُّهُمَا ذُوُّ الْأَرْحَامِ .

وقال دريدُ بنُ الصِّمَةِ يرثي أخاه - ودريدٌ هذا من فرسانِ العربِ
المعدودين ، وقُتِلَ في غزوةِ حنينٍ معَ المشركين ، وكانوا أخرجوه معهم
شيخاً فانياً ليستضيئوا برأيه (٢) - : [من الطويل]

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمِ شُهَدِي
فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفَنِيِّ مُدَجِّجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُهْتَدِي
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرَّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَزْشُدُ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ
تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِساً فَكُلْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرَّدِّي
فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ كَوَفِعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدِّدِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٥/٢) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٦/٢ - ١٥٩) .

وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبَوِّ رِبَعْتُ فَأَقْبَلْتُ إِلَى جَلْدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدٍ
 فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَتْ وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِي
 قِتَالَ أَمْرِي آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ
 فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافاً وَلَا طَائِشَ أَلِيدٍ
 كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٍ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ الْأَقَاتِ طَلَّاعٌ أَنْجِدٍ
 قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
 تَرَاهُ حَمِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدَّدِ
 وَإِنْ مَسَّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحاً وَإِنْلَافاً لِمَا كَانَ فِي أَلِيدٍ
 صَبَاً مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ أُبْعِدِ
 وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

قوله: (مُدَجِّج) على صيغة اسم الفاعل أو اسم المفعول: تأم السلاح،
 وذات البوّ: هي الناقة يموت ولدها، فيحشى جلده على صورة ولدها لترأمة؛
 أي: تشمه وتعطف عليه؛ تخيلاً أنه ابنها، فتدر لتحلب، ومسك الحيوان:
 جلده، بفتح فسكون، والسقّب: ولد الناقة الصغير، والصياصي: جمع صيصاة
 بكسر فسكون؛ شوكة للحائك يسوي به اللحم والسدى من منسوجه، وقال
 تأبط شراً كما روى أبو تمام، ولكن قيل: إن الشعر لخلف الأحمر، واستدلوا
 على ذلك بأنه قد ذكر فيه سلع؛ وهو بالمدينة، وتأبط شراً كان في بلاد بعيدة
 عنها، وبها انتهت حياته، وكيفما كان فالشعر جيد^(١): [من المديد]

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلاً دُمُهُ مَا يُطْلُ

(١) انظر «شرح ديوان الحماسة» (١٦١/٢ - ١٦٤).

خَلَّفَ الْعِبَاءَ عَلَيَّ وَوَلَّى
وَوَرَاءَ الثَّأْرِ مِنِّي ابْنُ أُخْتِ
مُطَرِّقٍ يَزْشُحُ سَمَاءَ كَمَا أَطَفَ
خَبَرَ مَا نَابَنَا مُضْمِئِلٌ
بَزَنِي الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا
شَامِسٌ فِي الْقُرَى حَتَّى إِذَا مَا
يَابَسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسِ
ظَاعِنٍ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا
غَيْثٌ مُزِنٌ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي
مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ
وَلَهُ طَعْمَانِ أَزْيٌ وَشَرِيٌّ
يَزَكِبُ الْهَوْلَ وَحِيدًا وَلَا يَضُ
وَفُتُوٌّ هَجَّرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا
كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ
فَادَّرَكْنَا الثَّأَرَ مِنْهُمْ وَلَمَّا
فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا
فَلَيْنَ فَلَّتْ هُدَيْلٌ شَبَاهُ
وَيَمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاخِ

أَنَا بِالْعِبَاءِ لَهُ مُسْتَقِيلٌ
مَصِيعٌ عُقْدَتُهُ مَا تَحَلُّ
رَقَ أَفْعَى يَنْفِثُ الشُّمَّ صِلُ
جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ
بِأَبِي جَارُهُ مَا يُنْذَلُ
ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَزُدَ وَظَلُّ
وَنَدِي الْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ
حَلَّ حَلَّ الْحَزْمِ حَيْثُ يَحُلُّ
وَإِذَا يَسْطُوفَ لَيْثٌ أَبْلُ
وَإِذَا يَنْغُرُو فَسَمْعٌ أَزْلُ
وَكَلا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ
حَبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِي الْأَفْلُ
لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حَلُّوا
كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ
يَنْجُ مِلْحَيَيْنِ إِلَّا الْأَقْلُ
هَوُّمُوا رُغْتُهُمْ فَاشْتَمَعَلُوا
لَبِمَا كَانَ هُدَيْلًا يَفْلُ
جَعَجَعِ يَنْقَبُ فِيهِ الْأَظْلُ

وَبِمَا صَبَّحَهَا فِي ذَرَاهَا
صَلَيْتَ مِنِّي هُذَيْلُ بِخِرْقٍ
يُنْهَلُ الصَّغْدَةَ حَتَّى إِذَا مَا
حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا
فَأَسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بَنَ عَمْرٍو
تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلِي هُذَيْلٍ
وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَغْدُو بِطَانًا
مِنْهُ بَعْدَ الْقَتْلِ نَهْبٌ وَشَلُّ
لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوْا
نَهَلْتُ كَانَ لَهَا مِنْهُ عَلُّ
وِبِالْأَيِّ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ
إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ
وَتَرَى الذَّنْبَ لَهَا يَسْتَهْلُ
تَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَقِلُّ

طُلَّ دَمُ الْقَتِيلِ : أَهْدَرَ وَلَمْ يُؤْخَذْ بِشَأْرِهِ ، وَالْمَضْعُ : الشَّدِيدُ الْقِتَالِ ،
وَالْمَصْمُوتُ : الشَّدِيدُ ، وَقَوْلُهُ : (بَزَّنِي الدَّهْرُ بِأَبِي) بَزَّ : مَعْنَاهُ : سَلَبَ ،
يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ ، يُقَالُ : بَزَّنِي كَذَا ، وَلَكِنْ فِي (بَزَّ) هُنَا مَعْنَى (فَجَعَ) ، فَالْبَاءُ
لِأَجْلِهِ ، وَهُوَ التَّضْمِينُ ، وَلَيْتُ أَيْلٌ ؛ أَي : مَاضٍ عَلَى وَجْهِهِ ، لَا يَبَالِي مَا لَقِيَ ،
وَرِفْلٌ - بِكَسْرِ فَتْحٍ - أَي : طَوِيلُ الشَّعْرِ أَوْ الذَّنْبِ ، الْأَزْيِيُّ وَالشَّرْيِيُّ : الْعَسَلُ
وَشَجَرٌ مَرٌّ ، مَنَاحٌ جَمْعُ ؛ أَي : غَلِيظٌ وَعَرٌّ ، وَالْأَظْلُّ : بَاطِنُ الْخَفِّ ، وَيَنْقَبُ :
يَصِيبُهُ النَّقْبُ ؛ أَي : يَتَخَدَّشُ .

[من الطويل]

وقال الحارث بن زيد الخيل (١) :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِأَوْسِ بْنِ خَالِدٍ
فَإِنْ يَفْتُلُوا بِالْغَدْرِ أَوْسًا فَإِنِّي
فَلَا تَجْزَعِي يَا أُمَّ أَوْسٍ فَإِنَّهُ
قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ عَضْبَةَ
أَخِي الشَّتْوَةَ الْعَبْرَاءِ وَالزَّمَنِ الْمَحَلِ
تَرَكَتُ أَبَا سُفْيَانَ مُلْتَمِزِمَ الرَّحْلِ
نُصِيبُ الْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلِ
كِرَامًا وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٦/٢ - ١٦٧) .

وَلَوْلَا الْأَسَى مَا عِشْتُ فِي النَّاسِ سَاعَةً وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَيْتَنِي مِثْلِي

قال أبو رياش : كَانَ سَبُّ هَذِهِ الْأَيَّاتِ : أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعَثَ رَجُلًا يَكْنَى أَبُو سَفْيَانَ - لَيْسَ بِالْهَاشِمِيِّ وَلَا الْأُمَوِيِّ - إِلَى الْبَادِيَةِ يَسْتَقْرِئُهُمْ ، فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ شَيْئًا . . . ضَرَبَهُ ، فَانْتَهَى إِلَى بَنِي نُبَهَانَ ، فَاسْتَقْرَأَ أَوْسَ بْنَ خَالِدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمِّ لَزِيدِ الْخَيْلِ ، فَلَمْ يَقْرَأْ شَيْئًا ، فَضَرَبَهُ ، فَمَاتَ مِنْ ضَرْبِهِ ، فَقَامَتْ أُمُّ أَوْسٍ تَنْدُبُهُ ، فَأَقْبَلَ حَرِيثُ بْنُ زَيْدِ الْخَيْلِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِي سَفْيَانَ فَقَتَلَهُ وَأَصْحَابَهُ ، وَقَالَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ .

وَقَالَتْ قُتَيْلَةُ - سُمِّيَتْ بِمُصَغَّرِ قَتْلَةٍ - بِنْتُ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عُلْقَمَةَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ ، وَكَانَ النَّضْرُ مِنْ أَشَدِّ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ يَشْتَرِي كِتَابَ الْقِصَصِ بَيْنَ فَارَسَ وَالرُّومِ وَيَقُولُ : إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ يَقْصُ عَلَى النَّاسِ أَخْبَارَ عَادٍ وَثَمُودَ . . . فَأَنَا أَقْصُ عَلَيْكُمْ أَخْبَارَ فَارَسَ وَالرُّومِ ، يَرِيدُ بِهَذَا مَعَارِضَةَ الْقُرْآنِ ، وَإِبْطَالَ الرِّسَالَةِ ، وَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ . . . ﴾ الْآيَةَ (١) .

فَلَمَّا أُسِرَ بِبَدْرٍ . . . أَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ صَبْرًا ، وَالْقَتْلُ صَبْرًا : أَنْ يُحْبَسَ مَكْتُوفًا وَيُرْمَى حَتَّى يَمُوتَ ، وَلَمَّا أَنْشَدَتْ قُتَيْلَةُ الْأَيَّاتَ ، وَبَلَغَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . رَقَّ لَهَا وَقَالَ : « لَوْ بَلَغْتَنِي قَبْلَ قَتْلِهِ . . . لَعَفَوْتُ عَنْهُ » ، وَقَالَ : « لَا تُقْتَلُ قُرَيْشٌ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ » (٢) : [من الكامل]

يَا زَاكِبًا إِنَّ الْأُنْثَى مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ
بَلِّغْ بِهِ مَيْتًا فَإِنَّ تَحْيِيَّهَ مَا إِنْ نَزَّالُ بِهَا الرِّكَائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ لِمَائِحِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ

(١) سورة لقمان : (٦) .

(٢) انظر « الروض الأنف » (٢٦٨/٥) ، و« شرح ديوان الحماسة » (١٣/٣ - ١٥) .

فَلَيْسَمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقُّقُ
أُمَحَمَّدٌ وَلَاأَنْتَ ضَنْءٌ نَجِيبَةٌ مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا مَنْ أَلْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخَنَقُ
وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وَسِيْلَةٌ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتَقُ يُعْتَقُ
الضَّنُّ بفتحِ أَوَّلِهِ : الفرعُ ، وبكسره : الأصلُ ، وقولها : (وأحقُّهم إن كان
عتق يُعتق) أي : بأن يُعتق ، حُذِفَ الخافضُ وأن ، فارتفعَ الفعلُ ، وكان
تامَّةً .

وقال ابنُ عنمة الضَّبِّيُّ في مقتلِ بسطامِ بنِ قيسٍ ، قتلهُ عاصمُ بنُ خليفة ،
وكان ابنُ عنمة مجاوراً في بني شيبانَ ، فخافَ على نفسه لما قتلَ بسطامُ ،
فرثاهُ يستميلُ بذلكَ بني شيبانَ ، وهو من بني السيدِ بنِ مالكِ بنِ بكرِ بنِ
سعدِ بنِ ضبة^(١) :

لَأَمْ الْأَرْضِ وَيَلُّ مَا أَجَنَّتْ بِحَيْثُ أَضَرَ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ
نُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ
أَجِدْكَ لَا تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَحُبُّ بِهِ عُدَا فِرَّةَ دُمُولُ
حَقِيبَةٌ رَحَلَهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تُعَارِضُهَا مُرَبَّبةٌ دَوْوُلُ
إِلَى مِيعَادِ أَرْعَنَ مُكْفَهَرٍ نُضَمَّرُ فِي جَوَانِبِهِ الْخَيْوُلُ
لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ
أَفَاتَتْهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَلَا يُوفِي بِبِسْطَامِ قَتِيلُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٥/٣ - ٣٧) .

وَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ لَمْ يُوسَدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ

الحسنُ في الأبياتِ : اسمُ جبلٍ ، وأمامه هضبةٌ يُقالُ لها : حسينٌ ، ويقولونَ :
الحسانِ في التثنيةِ ، وحقبةُ الرحلِ : وعاءٌ خلفَ الراكبِ كالخروجِ ، والبدنُ :
الدرعُ القصيرةُ ، والمرببةُ الدوولُ ؛ أي : المتقاربةُ العدوِّ ؛ عبارةٌ عنِ الفرسِ ؛
فإنَّهُم كانوا يركبونَ الإبلَ في سفرهم للغزوِ ، ويُجنَّبونَ الخيلَ ليركبوها في
الحربِ ، والمرباعُ : الرُّبْعُ ؛ كالمعشارِ العشرُ ، ولا يُستعملُ غيرُهُما ، كانَ
رئيسُ الجيشِ يأخذُ رُبْعَ الغنيمَةِ ، ثمَّ يقسمُ ، والصَّفايا : جمعُ صفيَةٍ ، كانَ
للرئيسِ أن يصطفيَ ما شاء ؛ كسيفٍ أو فرسٍ ، وكانَ مِنْ عاداتِهِم عندَ افتتاحِ
الحربِ أن يبادرَ فارسٌ فارساً ، فإذا قتلهُ . . فالحكمُ في سلبِهِ للرئيسِ ؛ إمَّا أن
يُنقَلَهُ القاتِلَ ، وإمَّا أن يردَّهُ للمغنمِ ، والنشيطَةُ : ما يصيبونهُ قبلَ الوصولِ إلى
المَقصدِ ، وهي للرئيسِ ، والفضولُ : أشياءُ كانتُ تبقى بعدَ القسمةِ فيأخذُها ،
وكانَ لَهُم النقيعةُ ؛ وهي جملٌ يذبحُهُ الرئيسُ قبلَ القسمةِ يطعمُهُ الناسَ .

بقيَ مِنْ ذَلِكَ في الإسلامِ الصَّفايا ؛ فقد استصفيَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ يومَ بدرٍ ذا الفقارِ سيفَ منبهِ بنِ الحجاجِ ، وجويريةَ بنتَ الحارثِ في
المصطلقِ ، وجعلَ صداقها عتقها ، وصفيَةَ بنتَ حبيِّ مِنْ خيبرَ كذلكَ ، وأبدلَ
الرُّبْعُ بالخُمسِ ؛ للمذكورينَ في قولِهِ تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمُوا... ﴾
الآيةُ (١) ، وبطلَ الباقي .

[من الطويل]

وقال العَطَمَشُ (٢) :

أَلَا رُبَّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنْنِي أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمَّهِ أَوْ لِعِيَّةٍ فَيَغْلِبُهَا فَحُلُّ عَلَى النَّسْلِ مُنْجِبُ

(١) سورة الأنفال : (٤١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٠/٣ - ٤١) .

فَبِالْخَيْرِ لَا بِالشَّرِّ فَازُجْ مَوَدَّتِي وَأَيُّ امْرِئٍ يُقْتَالُ مِنْهُ التَّرَهُبُ
أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ لِعَيْنِي عَبْرَةٌ أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ
أَخْلَائِي لَوْ غَيْرَ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ

قوله : (أَيُّ امْرِئٍ يُقْتَالُ !؟) هُوَ افْتِعَالٌ مِنَ الْقَوْلِ ؛ أَي : وَأَيُّ امْرِئٍ يَظْهَرُ مِنْهُ التَّرَهُبُ - الْقَوْلُ بِالْمُودَةِ - ذَلِكَ الضَّعِيفُ الْمَقْهُورُ دُونَ الْقَوِيِّ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَظْهَرُ الْمُودَةَ إِلَّا وَهِيَ حَقٌّ ، فَلَا يَتَمَلَّقُ ، فَلَا اسْتِفْهَامَ إِنكَارِيٍّ ؛ أَي : لَا أَحَدٌ يُقْتَالُ مِنْهُ التَّرَهُبُ ، جَعَلَ مَنْ يُقْتَالُ مِنْهُ لَا شَيْءَ .

وقالت زينب بنت الطَّشْرِيَّةِ ترثي أخاها يزيدَ ، وهو شاعرٌ ، ومن كلامه في الغزل^(١) :

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ عَلَى كَبِدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ
وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَبْتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ
[قالت]^(٢) :

أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ الْعَقِيقِ مُجَاوِرِي مُقِيمًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ
فَتَى قَدْ قَدَّ السِّيفِ لَا مُتَضَائِلٌ وَلَا رَهْلٌ لَبَّائُهُ وَبَادِلُهُ
إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِيلَ مَرَاجِلُهُ
مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ
وَقَدْ كَانَ يُرْوِي الْمَشْرِفِيَّ بِكَفِّهِ وَيَبْلُغُ أَقْصَى حُجْرَةِ الْحَيِّ نَائِلُهُ
كَرِيمٌ إِذَا لَاقَيْتَهُ مُتَبَسِّمًا وَإِمَّا تَوَلَّى أَشَعْتُ الرَّأْسِ جَافِلُهُ

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٣٦٩/٦) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٦/٣ - ٤٨) .

إِذَا الْقَوْمُ أُمُوا بَيْتَهُ فَهَوَ عَامِدٌ لِأَحْسَنِ مَا ظَنُّوا بِهِ فَهَوَ فَاعِلُهُ
تَرَى جَازِرِيَهُ يُزْعِدَانِ وَنَارُهُ عَلَيَّهَا عَدَامِيلُ الْهَشِيمِ وَصَامِلُهُ
يَجْرَانِ ثِنْيَا خَيْرُهَا عَظْمُ جَارِهِ بَصِيرًا بِهَا لَمْ تَعُدْ عَنْهَا مَشَاغِلُهُ

البَادِلُ : جمعُ بَادِلَةٍ بتثليثِ أَوَّلِهِ ؛ وهو اللحمُ حوالَ الشدِّي ، وقولُها :
(وَإِمَّا تَوَلَّى) أي : أعرَضَ غضباً ، في مقابلةِ حالِ الرضا المدلولِ عليها
بالتبسُّم ، وأشعثُ الرأسِ جافلُهُ : صفةُ الغضبانِ المتهَيِّئِ للحربِ ، وجافلُهُ :
تأكيدٌ لأشعثَ ، والعدوُّورُ : السيِّئُ الخلقِ ، وأرادتْ أَنَّهُ سريعٌ في تهيةِ القِرَى ،
وارتعادُ الجازرينِ إمَّا مِنْ خوفِهِ ، أو مِنْ البَرْدِ في وقتِ الشِدَّةِ والاحتياجِ ،
والعداميلُ : جمعُ عدمولٍ ؛ القديمُ ، والصَّاملُ : اليابسُ ؛ أي : هو مُعدُّ دائماً
لنارِ القِرَى ، وقولُها : (خَيْرُهَا عَظْمُ جَارِهِ) أرادتْ أَنَّ خَيْرَ ما فيها هو العَظْمُ
بلحمِهِ الذي يُهدى للجارِ ؛ كالذِّراعِ مثلاً ، وقولُها : (بصيراً) أي : يذبُحُها
عامداً لا غلطاً فهو يَتَخَيَّرُ للقِرَى .

انتهى المنقولُ مِنْ بابِ الرثاءِ .

[نبذة من أشعارِ الأدبِ والفضائلِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

وهذه جملةٌ مِنْ بابِ الأدبِ ؛ وهي أشعارٌ تُنبِّهُ على الفضائلِ الإنسانيَّةِ ؛
مثل كتمانِ السِّرِّ ، والمحافظةِ على حقوقِ الصِّداقةِ .

قال مسكينُ الدارميُّ (١) :

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطَّلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَيَّ سِرِّ بَعْضٍ غَيْرِ أَبِي جِمَاعِهَا
لِكُلِّ أَمْرٍ شَعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارْعُ وَمَوْضِعُ نَجْوَى لَا يُرَامُ أَطْلَاعُهَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٥/٣) .

يَظْلُونَ شَتَى فِي الْبِلَادِ وَسِرَّهُمْ

إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ أَنْصَادُهَا

وقال المرار بن سعيد^(١) :

[من الطويل]

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ

فَبِالْحِلْمِ سُدَّ لَا بِالتَّسْرِعِ وَالتَّشْتِمِ

وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فَأَعْلَمَنَّ مَغَبَّةٌ

مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

وقال شبيب بن البرصاء المري - يُقال : إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

خطبَ البرصاءَ هذهَ مِنْ أبيها ، فقالَ : لا أرضاها لك يا رسولَ اللهِ ؛ فإنَّ بها

برصاً ، وليسَ بها برصٌ ، فعادَ فوجدَها قد برصتْ^(٢) - : [من الطويل]

وَإِنِّي لَتَرَاكَ الضَّغِينَةَ قَدْ بَدَا

ثَرَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَلَا أَسْتَشِيرُهَا

مَخَافَةَ أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا

يَهِيحُ كَبِيرَاتِ الْأُمُورِ صَغِيرُهَا

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةَ

عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيْرُهَا

تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ

وَتَقْبَلُ أَشْبَاهًا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

إِذَا أَفْتَحَرْتُ سَعْدُ بْنُ دُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ

سِوَى مَا أَبْتَنَيْنَا مَا يَعُدُّ فَخُورُهَا

أَلَمْ تَرَ أَنَا نُورٌ قَوْمٍ وَإِنَّمَا

يُبَيِّنُ فِي الظُّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا

مِنَ الْأَدبِ : الحزمُ ، وَمِنَ الحزمِ : الإغضاءُ عَنِ الصَّغِيرِ إِذَا كَانَ يَهِيحُ كَبِيرًا .

وقال معن بن أوس^(٣) :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ

عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوْلُ

وَإِنِّي أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ لَمْ أَخُنْ

إِنْ أَبْرَاكَ خَضَمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٦/٣) .

(٢) انظر « شرح الزرقي على المواهب » (٤٥٣/٤) ، و« شرح ديوان الحماسة » (٧٧/٣ - ٧٨) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٨/٣ - ٨٠) .

وَأَحْبَسُ مَالِي إِنْ عَزَمْتُ فَأَعْقِلُ
لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلُ
وَسُخْطِي وَمَا فِي رِبِّي مَا تَعَجَّلُ
قَدِيمًا لَدُو صَفْحِ عَلِيٍّ ذَاكَ مُجْمِلُ
يَمِينِكَ فَأَنْظُرْ أَيَّ كَفِّ تَبَدَّلُ
وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلْبَى مُتَحَوِّلُ
عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْجَلُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ
وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتَ أَفْعَلُ
عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوِّلُ
إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبَلُ

قوله: (إِنْ أَبْرَاكَ) أي: قهرَكَ، أَلْقَيْتَ حركةُ الهمزة على النون، ومزحلُ: من زحلَ بمعنى تأخَّرَ وبعُدَ، وقوله: (وما في ربيتي ما تعجلُ) أي: ليس في إساءتي شفاءً دائك الذي تتعجلُهُ، أخرجَهُ بعدَ التظنُّنِ إلى التحقيق .

[من المنسرح]

أَفْقِدْ بِهِ إِذْ فَقَدْتَهُ أَمَّا
أَذْنَى تَجَارِي وَأَنْفُضُ اللَّيْمَا
أَمْسَى فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا

أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ
وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ
كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي
وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي
سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي
وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثْتُ حِبَالَكَ وَاصِلٌ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَحَاكَ وَجَدْتَهُ
وَيَزَكُّبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامٍ ظَنَنْتِي
قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنِ فَلَمْ [أَدْم]
إِذَا أَنْصَرَفْتَ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ

وقال عمرو بنُ قميئة^(١) :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ
إِذْ أَسْحَبُ الرِّيْطَ وَالْمُرُوطَ إِلَى
لَا تُغْبِطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨١/٣) .

إِنْ سَرَّهُ طُولُ عُمُرِهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طُولَ مَا سَلِمَا
 المراد بالتجار: باعة الخمر، وقوله: (لا تُغْبِطِ المرءَ) معناه: لا تعدَّ
 كونَ الإنسانِ يصيرُ لكبيره واستحكامِ رأيه رئيساً يُتْحَاكَمُ إليه مِنْ جليلِ النعمِ
 بعدَ نعمةِ الشبابِ، والأدبُ في هذه الأبياتِ: أَنَّهُ أشارَ إلى أَنَّهُ ينبغي أن
 يكونَ الشبابُ - وإن لها فيه الإنسانُ ما لها - بالتعقُّلِ وضبطِ ما يمرُّ مِنْ
 الأحوالِ؛ ذريعةً لأن يعتاضَ الإنسانُ مِنْ لذاته شرفَ الرئاسةِ إذا فارقه؛ كقول
 الآخرِ^(١):

إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي مَجَّدَ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلْدٌ وَلَا لَدَاتٌ لِلشَّيْبِ
 كأنه لم يعتبر مَنْ فَرَطَ في شبابه حتى ساءت آخرته شيئاً مذكوراً .
 وقال إياسُ بنُ القائفِ^(٢):

تُقِيمُ الرِّجَالَ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَزْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا
 فَأَكْرِمَ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُمْ مَعَا كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا
 إِذَا زُرْتُ أَرْضاً بَعْدَ طُولِ اجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ صَدِيقِي وَالْبِلَادُ كَمَا هِيَا
 وقال ربيعةُ بنُ مقرونِ الضَّبِّيُّ^(٣):

وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبَّ ضِغْنٍ بَعِيدِ قَلْبُهُ حُلُوَ اللِّسَانِ
 وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ بِشَغْبِ أَوْلِسَانِ تَيِّحَانَ
 وَلَكِنِّي وَصَلْتُ الْحَبْلَ مِنْهُ مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَانَ
 وَضَمْرَةَ إِنَّ ضَمْرَةَ خَيْرُ جَارٍ عَلِقْتُ لَهُ بِأَسْبَابِ مِتَّانِ

(١) انظر «خزانة الأدب» (٢٧/٤).

(٢) انظر «شرح ديوان الحماسة» (٨١/٣ - ٨٢).

(٣) انظر «شرح ديوان الحماسة» (٨٢/٣ - ٨٣).

هِجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى صَبِيحَةَ دِيمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِ

هجانُ الحيِّ : كريمُهُ وخالِصُهُ ، والذهبُ المُصَفَّى ؛ أي : بخلقتِهِ ، ويكونُ مستوراً بالأغبرة ، فإذا دامَ المطرُ على معدنِهِ .. أزالَ الأغبرةَ فانكشفَ ، فتجنَّبه جناتُهُ ، وذكرَ أنَّ أبا بيانٍ وضمرةَ صديقاهُ خالصا الصداقةِ والأدبِ .

في الشعرِ التنبيهُ على أَنَّهُ ينبغي أن يَعْرِفَ الإنسانُ عدوَّهُ مِنْ صديقِهِ ، ثمَّ يَعْرِفَ للصديقِ حَقَّهُ ، ويداريَ العدوَّ على احتراسهِ منه ، وَمِنْ كلامِ الناسِ : اللبيبُ مَنْ [داري]^(١) .

ويروى : أنَّ عيينةَ بنَ حصنِ الفزاريِّ دخلَ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أن يُؤمَرَ بحجابِ النساءِ ، فلمَح عائشةُ ، فسألتهُ عنها ، فقالَ : « هِيَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ » ، فقالَ عيينةُ : أتَنزَلُ لي عنها وأنزَلُ لك عن أجملِ نساءِ العالمِ ؟ فقالَ لَهُ النبيُّ : « ذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ » ، فلم يزلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكرِماً لَهُ ، فلَمَّا خرَجَ مِنْ عنديهِ .. قالَ النبيُّ : « بِئْسَ الرَّجُلُ وَعَشِيرَتُهُ » ، فقالتْ عائشةُ : أليستْ هذهِ الغيبةُ ؟ فقالَ : « لَا ؛ إِنَّهُ الْأَحْمَقُ الْمُطَاعُ فِي قَوْمِهِ ، وَإِنَّا لَنَبِشُّ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَقُلُوبُنَا تَلْعَنُهُمْ »^(٢) ، فَنَبَّهَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهي سُنَّةٌ ، فينبغي للإنسانِ ألاَّ يتخذَ عدواً .

وقولُهُ في الشعرِ : (بشغِبٍ أو لسانِ تيحانِ) الشغِبُ : المصاحبةُ في الجِدالِ ، والتيحانُ : الذي يَعْرِضُ لِمَا لا يعنيه ، وقولُهُ : (وصلتُ الحبلَ منه ..) إلى آخرِهِ ، معناهُ : قرنتُهُ على معرفةِ عداوتِهِ بالصديقِ الذي أنا مُتَحَقِّقٌ مِنْ صداقتِهِ ، فهما في المعاملةِ سواءٌ .

(١) في الأصل : (دار) .

(٢) انظر « شرح المواهب » للزرقاني (٢٢/٣) .

وقال عبد الله بن همام السلولي^(١) ، وقد سعى به ساع عند زياد بن أبي سفيان ، فقال له : هجأك ، فقال أجمع بينكما ، فقال : أفعَل ، فأحضر عبد الله وقال له : هجوتني ، فأنكر ، فقال : هذا أخبرني ، فسكت قليلاً ، ثم خاطب الرجل بقوله :

وَأَنْتَ أَمْرٌ وَإِمَّا أَتَمَمْتِكَ خَالِيًا فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

رأيت لبعض الناس اعتراضاً على هذا التقسيم ، فقال : إنَّ الخيانة إثمٌ ، فلم تصحَّ المقابلة !! وليس كما رأى ؛ فإنَّ الشاعر أراد إدارة الأمر بين صدقٍ قبيحٍ لِمَا فِيهِ مِنَ الخيانة ، وبينَ كذبٍ ، والكذب ولو على سبيل الاحتمال قبيحٌ ، وعَبَّرَ عن الكذب بالِإِثْمِ ؛ فَإِنَّهُ لا شبهة في كونه إثماً ، بخلاف حالة الخيانة ؛ فَإِنَّ فِيهَا شبهة الصدق ، فهو كلامٌ متينٌ صادرٌ عن تعقلٍ صحيحٍ ، فقول المرء ما لم يعلم وإن وافق الواقع ، واتفق كونه صواباً . . . ذميمة سيئة .

وقال سالم بن وابصة الأسدي^(٢) :

أَحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّ بِهِ عَن كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقَرَأَ
سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطاً أَذَى وَلَا مَانِعاً خَيْراً وَلَا قَائِلاً هُجْرًا
إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُكْرَمًا أَدِيبًا ظَرِيفًا عَاقِلًا مَاجِدًا حُرًّا
إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِيَزَلَّتِهِ عُدْرًا
غَنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقَرَأَ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٤/٣ - ٨٥) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٥/٣ - ٨٦) .

يشبه البيت الأخير قول المتنبي^(١) :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

والمعنى : أن من اشتغل بتربية المال وتنميته . . لم يكن له وقت لاكتساب الفضائل واغتنام اللذات ، فكان فقيراً من ذلك ، فالموفق يكون له من العيش ما لا يحتاج معه ، ثم يصرف الأوقات بعد في تميم الإنسانية .

وقال عقیل بن علفة المري^(٢) :

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلْبَسْتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا

وَكُنْ أَكْبَسَ [الْكَيْسَى] إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

يُروى عن الشافعي رضي الله عنه مثل هذا ؛ وهو قوله^(٣) :

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ يُصَاحِبُنِي فِيهَا الَّذِي لَا أَشَاكِلُهُ

أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ دَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ

وقال بعض الفزاريين^(٤) :

أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ وَلَا أَلْقِبُهُ وَالسَّوْءُ أَلْقَبُ

كَذَاكَ أُدْبِتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي أَنِّي وَجَدْتُ مَلَكَ الشِّيمَةِ الْأَدْبُ

قوله : (أني وجدت) هو على أن المفعول الأول ضمير الشأن ، والجملة

هي المفعول الثاني ، أو هو على حذف لام الابتداء المعلقة للفعل عن العمل ؛ لأنه متى تقدم الفعل . . لم يجز إلغاؤه .

(١) تقدم (١٦٨/٢) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٦/٣) .

(٣) انظر « مناقب الشافعي » (٨١/٢) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٧/٣) .

وقال رجلٌ من بني قريع^(١) :

[من الطويل]

فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ
وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسِمَتْ وَجُدُودُ
فَمَطَّلَبُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ
وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهُوَ حَمِيدُ

مَتَى مَا يَرَى النَّاسُ أَلْغَنِي وَجَارُهُ
وَلَيْسَ أَلْغَنِي وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ أَلْفَتَى
إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمُرُوءَةُ نَاشِئًا
وَكَائِنَ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمِّمٍ

وقال آخر^(٢) :

[من الطويل]

بِمَا يُتَّقَى مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ
إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُذْبِرًا أَتَبَلَّدُ

أَضَحَّتْ أُمُورُ النَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِمًا
جَدِيرٌ بِأَلَّا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَى

أرادَ بالعالمِ : نفسه ، فهو على تقديرِ : يغشينَ منِّي عالماً ، والتبَلَّدُ :
مأخوذٌ من بلدةِ الصدرِ لنقرتهِ وما حولها ؛ فإنَّ المُتَحَيِّرَ ربَّما يضربُ بلدةَ
صدره ، كما يُقالُ : يقرعُ سنَّهُ ندمًا .

وقال آخر^(٣) :

[من الطويل]

أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أُمُّهُ هُوَ أَسْعَدُ
مَنْ أَلْيَوْمِ سُؤلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ
وَلِلْجِلْمِ أُنْبَقَى لِلرِّجَالِ وَأَعُودُ

وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ
عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ
وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي لِذِي الْجَهْلِ زَاجِرٌ

غَدُ : اسمُ يكونُ ؛ يعني : عسى أن يكونَ السائلُ الذي عليه الأوقاتُ
الحاضرةُ تكونُ له الأوقاتُ المستقبلُ ؛ كقولهِ :

[من المتقارب]

وَيَوْمٌ نُسَاءٌ وَيَوْمٌ نُسَرٌ

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٨/٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٨/٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٨/٣ - ٨٩) .

وعنى بكثرة الأيدي كثرة الإخوان ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : المرء قليلٌ بنفسه ، كثيرٌ بإخوانه ، ففي كثرة الإخوان العزُّ وامتناعُ الجانبِ ؛ بحيثُ يكونُ ذلكُ زاجراً للجاهلِ ، قاطعاً لطمعِهِ في البطشِ بكثيرِ الإخوانِ ، قَالَ آخِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ أَظْهَرُ ^(١) :

عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ فَإِنَّهُمْ وَإِنَّ قَلِيلاً أَلْفٌ خِلٍّ وَصَاحِبٍ
عِمَادٌ إِذَا أَسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورٌ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِداً لَكَثِيرٌ
[من الطويل] وقال آخِرُ ^(٢) :

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
مَوَارِدُهُ صَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ
[من الوافر] وقال العباسُ بنُ مرداسٍ ^(٣) :

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ
فَمَا عِظْمُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحاً
وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرٌ فَيُخْلِيفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسوماً وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
لَقَدْ عَظْمَ الْبَعِيرِ بِغَيْرِ لُبِّ وَأُمُّ الصَّقْرِ مِثْلَاتٌ نَزُورٌ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهِ وَلَمْ تَطُلِ الْبُرَاةُ وَلَا الصُّقُورُ
فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ

(١) انظر « مناقب الشافعي » (٨٣/٢) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٩/٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٩/٣ - ٩٠) .

وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِي فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
فَإِنْ أَكْ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرُ
مَرَّرَ - مِنْ بَابِ كَرَّمَ - مَرَارَةً ، فَهُوَ مَزِيرٌ ؛ أَي : ظَرِيفٌ أَوْ شَدِيدُ الْقَلْبِ نَافِذٌ ؛
وَهُوَ أَنْسَبُ ، وَيُرْوَى : مَرِيرٌ ؛ أَي : مُمَرَّرٌ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ أَمْرٍ الشَّيْءِ ؛ أَي :
أَحْكَمُهُ ، فَهُوَ حَكِيمٌ بِمَعْنَى مُحْكَمٍ ، وَأَصْلُهُ : مِنْ أَمْرٍ الْحَبْلِ ؛ أَحْكَمَ فَنَلَّهُ ،
فَهُوَ ذُو مِرَّةٍ بِكسْرِ أَوَّلِهِ ؛ أَي : قُوَّةٌ .

قال منظور بن سحيم^(١) :

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقَرَى أَهْلَ مَنْزِلِ عَلَى زَادِهِمْ أَبِكِي وَأُبِكِي الْبَوَاكِيا
فَإِمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ فَحَسْبِي مِنْ ذُو عِنْدِهِمْ مَا كَفَانِيَا
وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِمَّا لِيئَامٌ فَأَدَّرَكْتُ حَيَائِيَا
وَعَرْضِي أَبْقَى مَا أَدَخَرْتُ ذَخِيرَةً وَيَبْطِنِي أَطْوِيهِ كَطَيِّ رِدَائِيَا

قوله : (على زادهم أبكي) هو استهزاء بمن يطعن على الناس ، ويصفهم
بالبخل ، ويشتكى منهم الحرمان ؛ فإن الناس بين كريم ولئيم ، فالكريم
مشكور أو معذور ، واللئيم لا يقصد في حاجة ، ومن غلط فقصده أو تعمده
قصده . . فعلى نفسه يلوم ؛ حيث لم يتأمل ، أو وضع حاجته في غير موضع ،
فهو احتجاج قاطع لعذر الهاجي .

وقال آخر^(٢) :

وَأَعْرِضْ عَن مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي أَنْطِوَاءُ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرُ وَلَا أَلْدُنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩١/٣ - ٩٢) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٣/٣) .

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

قوله: (وأعرض عن مطاعم) هو كقول عنترة^(١) : [من الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيْتُ عَلَى الطَّوِيِّ وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

يُروى: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُنْشِدَ قَصِيدَةَ هَذَا الْبَيْتِ ..
أَظْهَرَ اسْتِحْسَانَهُ ، وَقَالَ : « مَا وُصِفَ لِي أَعْرَابِيٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ إِلَّا عَعْتَرَةً » .

وقال مالكُ بنُ حريمِ الهمداني^(٢) : [من الطويل]

أُنْبِئْتُ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ

بِأَنَّ ثِرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُدَمَّمٌ

وَإِنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحْزُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمُحْرَمُ

يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

القطيعُ المُحرَّمُ : السَّوْطُ الخشنُ الجافي ؛ يعني : أَنَّ الْفَقْرَ يُؤَثِّرُ فِي
صَاحِبِهِ تَأْثِيرَ هَذَا السَّوْطِ فِيْمَنْ يُضْرَبُ بِهِ ، وَقَوْلُهُ : (يُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ)
أَي : يَعْطِفُهُ .

وقال محمدُ بنُ بشير^(٣) : [من البسيط]

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّلَجَا أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَكَبُ أَللُّجَا

كَمْ مِنْ فَتَى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطُوتهُ أَلْفَيْتُهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أُنْسَدَتْ مَسَالِكُهَا فَالْصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا أُرْتَجَا

(١) انظر « ديوان عنترة العبيسي » (ص ٢٤٩) ، و« شرح الشفا » (٢١١/١) للملا علي القاري .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٦/٣ - ٩٧) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٧/٣ - ٩٨) .

لَا تَيْئَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَخْطِي بِحَاجَتِهِ
فَدِزْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
إِذَا اسْتَعْنَتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا
وَمُذْمِنِ الْقَنْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
فَمَنْ عَلَا زَلْقًا عَنْ غِرَّةِ زَلْجَا
فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

ليس قوله : (ماذا يُكَلِّفُكَ . . .) البيت . . تشبيهاً عن السعي وإدامة الحركة في الطلب ، وإنما هو نهى عن كثرة الإطراب بغير تأمل جادة الطريق التي يغلب على الظن إيصالها للمقصد كما هو مدلول جميع الشعر ، فحقيقة معناه : أنه ينبغي للإنسان أن يسعى سعياً حسناً مقروناً بالتبصر والصبر في تحصيل المرغوب .

وقال محمد الكندي الملقب بالمقنع ^(١) :

يُعَاتِبُنِي فِي الدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا
أَسْدُ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضَيَّعُوا
وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَهَا
وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ
وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي
فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غَيْبَهُمْ
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
ذُيُونِي فِي أَشْيَاءٍ تُكْسِبُهُمْ حَمْدًا
تُغُورُ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا
مُكَلَّلَةٍ لَحْمًا مُدْفَقَةً تُزْدَا
حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا
وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلِفٍ جِدًّا
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا
وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدًا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٠/٣ - ١٠١) .

لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعِ لِي غِنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكَلِفْهُمْ رِفْدَا
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا

وقال رجلٌ مِنَ الفزاريينَ يُذهِبُ حَسْرَتَهُ عَلَى قِصْرِهِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَمَدَّحُونَ
بِتَمَامِ الْأَجْسَامِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (١) :

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَ ذَلَّةٌ وَأَنَّ أَعْرَاءَ الرِّجَالِ طِيَالُهَا
وقال الله تعالى : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (٢) .

[قال] (٣) :

إِنْ لَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَتُبْلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطَّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعِ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُخَيِّهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرْ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وقال مضر بن ربيعي (٤) :

إِنَّا لَنَضْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَضِيدِ
وَمَتَى نَحْفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُضْلِحُ وَإِنْ نَرَّ صَالِحًا لَا نُفْسِدِ
وَإِذَا نَمَوْا صُعْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنَّا الْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَدِ

(١) انظر « الكامل » للمبرد (١٢٢/١) .

(٢) سورة البقرة : (٢٤٧) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠١/٣) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٢/٣) .

وَنُعِينُ فَاعِلْنَا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِتَائِبٍ
فَنَنْفُلُ شَوْكَتَهَا وَنَفْثًا حَمِيهَا
وَتَحُلُّ فِي دَارِ الْحِفَاطِ بِيُوتُنَا
وقال قيسُ بنُ الخطيم (١) :

حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ
عَجَلِ الرُّكُوبِ لِذَعْوَةِ الْمُسْتَنجِدِ
حَتَّى تَبُوحَ وَحَمِينَا لَمْ يَبْرُدِ
رُتِعَ الْجَمَائِلِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ
[من الوافر]

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارِ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ
يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ
وَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غِنَى لِحِرْصِ
غِنَى النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غِنَى
وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ
وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ

يُهَانُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بِلَاءٌ
كَدَاءِ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءٌ
وَقَدْ يَنْمِي عَلَى الْجُودِ الثَّرَاءُ
وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شِفَاءُ
وَلَا مُزِرٌ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ
وَدَاءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

وقال يزيدُ بنُ الحكمِ الثَّقَفِيُّ يعظُ ابنتَهُ بدرًا (٢) :

رَبُّهَا لِذِي اللَّبِّ الْحَكِيمِ
مَا خَيْرٌ وَدًّا لَا يَدُومُ
وَأَلْحَقْ يَعْرفُهُ الْكَرِيمُ

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضُ
دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ
وَأَعْرِفْ لِحَارِكِ حَقُّهُ

(١) انظر «شرح ديوان الحماسة» (١٠٤/٣).

(٢) انظر «شرح ديوان الحماسة» (١٠٥/٣ - ١٠٧).

مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
مُودُ الْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ
ضَاهٍ وَقَدْ يَلْوِي الْغَرِيمُ
وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
دُ أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
وَيُهَانُ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
وَيُكْثِرُ الْحَمِيقُ الْأَثِيمُ
هَذَا فَأَيْهُمَا الْمَضِيمُ
قِ وَلِلْكَالَةِ مَا يُسِيمُ
نِ وَرَيْبِهَا غَرَضٌ رَجِيمُ
هَمَدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمُ
بُؤْسٌ يَدُومٌ وَلَا نَعِيمُ
هُ الْعِزْسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمُ
كَلُّهُ أَمِ الْوَلَدُ الْيَتِيمُ
بُ عَلَى تَلَاتِلِهَا الْعَزُومُ
وَلَدَى الْحَقِيقَةِ لَا يَخِيمُ
يَسْطِيعُهَا الْمَرْخُ السَّوْمُ

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَزُو
وَالنَّاسُ مُبْتَنِيَانِ مَحُو
وَأَعْلَمُ بُنْيَ فِإِنَّهُ
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا
وَالتَّبَلُ مِثْلُ الدِّينِ نُقْ
وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِي
وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَى
قَدْ يُفْتَرُ الْحَوْلُ التَّقِي
يُمَلَى لِذَلِكَ وَيُبْتَلَى
وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحُقُو
مَا بَخُلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو
وَيَرَى الْقُرُونَ أَمَامَهُ
وَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا
كُلُّ أَمْرٍ سَتَّيْمُ مِنْ
مَا عِلْمُ ذِي وَلَدٍ أَيْثُ
وَالْحَرْبُ صَاحِبُهَا الصَّلِي
مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْحَرْبَ لَا

وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا أَلْمَنَا
وقال منقذ الهالكي^(١) :

هَبْ عِنْدَ كَبَّتِهَا الْأَزْوَمُ
[من الخفيف]

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ
كُلُّ فَجٍّ مِنْ أَلْبِلَادِ كَأَنِّي
مَا أَرَى أَلْفَضْلَ وَالْتِكْرَمَ إِلَّا
وَبِلَاءٍ حَمَلُ الْأَيْدِي وَأَنْ تَسْ

بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشَكِّ رَحِيلِ
طَالِبٍ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ
كَفَكَ النَّفْسَ عَنْ طِلَابِ أَلْفُضُولِ
مَعَ مَا تُؤْتِي بِهِ مِنْ مُنِيلِ

وقال محمد بن أبي شحاذٍ الضبي^(٢) :

[من الطويل]

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ أَلْغَنِي ثُمَّ لَمْ تَجُدْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكْ بِجَنِّكَ بَعْضَ مَا
إِذَا أَلْجَلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ أَلْجَهْلُ لَمْ تَزَلْ
إِذَا أَلْعَزْمُ لَمْ يَفْرُجْ لَكَ أَلشَّكُّ لَمْ تَزَلْ
وَقَلَّ غَنَاءُ عَنكَ مَا لُ جَمَعْتَهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرِكْ طَعَاماً تُحِبُّهُ
تَجَلَّلْتَ عَاراً لَا يَزَالُ يَشْبُهُ
وقالت حُرْقَةُ بنتُ النعمان^(٣) :

بِفَضْلِ أَلْغَنِي أَلْفَيْتَ مَا لَكَ حَامِدُ
يَرِيبُ مِنْ أَلْأَذْنَى رَمَاكَ أَلْأَبَاعِدُ
عَلَيْكَ بُرُوقُ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ
جَنِيباً كَمَا أَسْتَتَلِي أَلْجَنِيبَةَ قَائِدُ
إِذَا صَارَ مِيرَاثاً وَوَارَاكَ لِأَحَدُ
وَلَا مَقْعَداً تُدْعَى إِلَيْهِ أَلْوَلَائِدُ
سَبَابُ أَلرِّجَالِ نَشْرُهُمْ وَأَلْقَصَائِدُ
[من الطويل]

بَيْنَا نَسُوسُ أَلنَّاسِ وَأَلْأَمْرُ أَمْرُنَا
فَأَفِّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا

إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوْقَةٌ نَتَنَصَّفُ
تَقَلَّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٨/٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٨/٣ - ١٠٩) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٩/٣ - ١١٠) .

وقال الصَّلْتَانُ العَبْدِيُّ^(١) :

[من المتقارب]

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ رَكَرُ الْعَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَيَتِي
نَرُوحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أُرُونِي السَّرِيَّ أَرُوكَ الْغَنِيَّ
أَلَمْ تَرِ لِقْمَانَ أَوْصَى ابْنَهُ وَأَوْصِيْتُ عَمْرًا فَنِعْمَ الْوَصِيَّ
بُنْيَى بَدَا خِبٌ نَجْوَى الرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبٌ النَّجِيَّ
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِيَّ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيَّ

انتهى المختار من باب الأدب ، ويليه منتقى باب النسيب .

[نبذة من أشعار النسيب من « ديوان الحماسة »]

النَّسِيبُ : ذكرُ محاسنِ النساءِ ، والإخبارُ عن تَصَرُّفِ هَوَاهُنَّ بِهِ ، وكَأَنَّ يَتَغَنَّيُ بما يَقُولُهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ ولأجلِ ذَلِكَ ترى صِيغَةَ المصدرِ الصوتِيِّ ، ويُسَمَّى النسيبُ غزلاً ، والغزلُ في الأصلِ : ظهورُ الإنسانِ في أحوالِ الغزالِ ؛ مِنْ المِلاعِبَةِ وَخَفَّةِ الحِركَةِ .

قال الصِّمَّةُ القَشِيرِيُّ ؛ وهو شاعرٌ غَزَلَ هَوِيَّ بنتَ عمِّ له يُقالُ لها : رِيًّا ، فخطبها إلى عمِّه ، فزَوَّجَهُ إِيَّاهَا على خمسينَ مِنَ الإبلِ ، فجاءَ إلى أبيه ، فسألهُ ذَلِكَ ، فساقَ عنه تسعاً وأربعينَ وقالَ : عمُّكَ لا يَناظِرُنَا بنقصانِ ناقةٍ ، فساقَها إلى عمِّه وذكرَ له ما قالَ أبوهُ ، فأبى أن يقبلَها إلا كُمَّلاً ، فلجَّ أبوهُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١١/٣ - ١١٢) .

وَلَجَّ عَمُّهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ ؛ مَا رَأَيْتُ أُمَّمَ مِنْكُمْ جَمِيعاً ، وَإِنِّي لِأَلَامٌ إِنْ أَقَمْتُ
مَعَكُمْ ، فَرَحَلْ إِلَى الشَّامِ ، فَتَتَبَعْتُهَا نَفْسُهُ ، فَقَالَ ^(١) - وَمِثْلُ هَذَا الشَّعْرِ مِنْ
بَيْنِ النَّسَبِ يُسَمَّى بِالْغَرَامِيِّ - :

حَنَنْتَ إِلَيَّ رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعاً
قِفَا وَدِّعَا نَجِداً وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطِيبَ الرُّبَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي
وَأَذْكَرُ أَيَّامِ الْحِمَى ثُمَّ أَنْشِنِي

وقال الحسين بن مطير الأسدي ^(٢) :

لَقَدْ كُنْتُ جَلِداً قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي
فَقَدْ جَعَلْتَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا
بِسُودِ نَوَاصِيهَا وَحُمْرِ أَكْفُهَا
مُخَصَّرةً الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا
يُمْنَيْنَنَا حَتَّى تَرَفَّ قُلُوبُنَا

[من الطويل]

عَلَى كَبِدِي جَمراً بَطِيئاً خُمُودُهَا
إِذَا قَدُمْتَ أَيَّامُهَا وَعُهُودُهَا
عِهَادَ الْهَوَى تُولِي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا
وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَبِضٍ خُدُودُهَا
بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
رَفِيفَ الْخُرَامِي بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٣/٣ - ١١٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٨/٣) .

وقال أبو صخرِ الهذلي^(١) :

أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى
فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوِيَّ كُلَّ لَيْلَةٍ
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وقال ابنُ أذينة^(٢) :

إِنَّ أَلَّتِي زَعَمْتُ فُوَادَكَ مَلَّهَا
بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا
حَجَبْتُ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ

وقال آخرُ^(٣) :

وَكُنْتَ إِذَا أُرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ

أي : لا كلُّه والنفسُ له طالبةٌ ، ولا عن بعضِهِ وهي به غيرُ قانعةٍ .

وقال آخرُ^(٤) :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي

[من الطويل]

أَمَاتَ وَأَخِيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الْأَمْرُ
[أَلْيَفَيْنِ] مِنْهَا لَا يَزُوعُهُمَا الدُّعْرُ
وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ
فَلَمَّا أَنْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

[من الكامل]

خُلِقْتُ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوِيَّ لَهَا
بِلَبَاقَةٍ فَأَذَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا

[من الطويل]

لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتِكَ الْمَنَاظِرُ
عَلَيْهِ وَلَا عَن بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

[من الوافر]

بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضَّمَارِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٩/٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢١/٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٢/٣) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٢/٣ - ١٢٣) .

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
 أَلَا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ
 وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَيَّ زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِي
 شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِإِنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَارِ
 وَقَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ^(١) - وَهُوَ مِنْ فِتْيَانِ قَرِيشٍ ، وَكُلُّ شَعْرِهِ غَزْلٌ ،
 وَاشْتَهَرَ بِذَلِكَ ، وَلَهُ أَحْبَابٌ ، وَوُلِدَ لَيْلَةَ مَاتَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقِيلَ : أَيُّ حَقِّ
 رُفِعَ ، وَأَيُّ بَاطِلٍ وُضِعَ .

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَرِيحُ لِاسْتِمَاعِ إِنْشَادِهِ شَعْرَهُ ، فَكَانَ رَبَّمَا يَأْتِيهِ وَهُوَ فِي
 مَجْلِسِ اسْتِفْتَاءِ النَّاسِ إِيَّاهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ إِلَيْهِ ، وَكَانَ مَعَ غَزَلِهِ وَشِدَّةِ كَلْفِهِ
 بِمَحَادِثَةِ النِّسَاءِ عَفِيفًا - : [من الطويل]

وَلَمَّا تَفَاوَضْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْفَرَتْ وَجُوهَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
 تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنَنِي وَقُلْنَ أَمْرُؤُ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا
 وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتَيِّمٍ يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قَسَنَ إِضْبَعَا
 وَقُلْتُ لِمُطْرِبِهِنَّ وَيَحَكَ إِنَّمَا ضَرَزَتْ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا

يُرَوَّى : أَنَّ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ - وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا ، يُقَالُ : إِنَّ
 أَبَا هُرَيْرَةَ رَأَاهَا يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ وَهِيَ مَارَّةٌ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :
 إِنَّهَا مِنْ الْحُورِ الْعِينِ - كَانَتْ لَا تَسْتُرُ وَجْهَهَا ، وَكَانَ زَوْجُهَا مِصْعَبُ بْنُ الزَّبِيرِ
 بِأَمْرِهَا بِسْتَرِهِ ، فَتَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ وَسَمَنِي بِمِيسَمِ جَمَالٍ ، فَلَا أَحَبُّ أَنْ أُسْتَرَ
 نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيَّ .

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٧/٣) .

وقال عبدُ اللهِ بنُ الدُّمَيْنَةِ الخثعميُّ (١) :

[من الطويل]

أَلَا يَا صَبَا نَجِدِ مَتَى هِجْتِ مِنْ نَجْدِ
إِنْ هَتَفْتِ وَزِقَاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
بَكَيْتِ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفِ مَا بَنَا
عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعِ

وقال آخرُ (٢) :

[من الطويل]

أَلَا طَرَقْتَنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ
وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبِنَا
يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ
لَقَدْ جَلَّ حَظُّ الشَّيْبِ إِنْ كَانَ كَلْمَا

وقال كثيرُ (٣) :

[من الطويل]

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتَنِي
تَنَاهَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ

وقال آخرُ (٤) :

[من الطويل]

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٥/٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٦/٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٦/٣) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٨/٣) .

بِهِ الْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ
مَقَامَ أَخِي الْبَاسَاءِ وَأَخْتَرْتُ ذَلِكَ
بِدَمْعِ كَنْظِمِ اللَّوْلُو الْمُتَهَالِكِ
رَبِيعِي الَّذِي أَرْجُو نَوَالَ وَصَالِكِ
سِنِّي الَّتِي أَخْشَى صُرُوفَ أَحْتِمَالِكِ
لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ
وَرَقْرَاقَ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ

سَلِي الْبَانَةَ الْغَيْنَاءَ بِالْأَجْرِعِ الَّذِي
وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهِنَّ عَشِيَّةً
وَهَلْ هَمَلْتُ عَيْنَايَ فِي الدَّارِ غُدْوَةً
أَرَى النَّاسَ يَزْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا
أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السِّنِينَ وَإِنَّمَا
لَعْنُ سَاءَنِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ
لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الْحَشَا

الغيناء: الظليلة، فهي تستر ما تحتها، ولما في السحاب من الستر
يُسمى غيناً، ومنه: غان على قلبه كذا، ويروى: (الغناء) ويصفون الشجر
بالغناء لما يُسمع منه إذا مرّت به الرياح، قال بعضهم^(١): [من الخفيف]

لِلثَّرَى تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلِلْمَا
ءِ خَرِيرٌ وَلِلْغُصُونِ غِنَاءٌ
وقال آخر^(٢):

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ وَلَا تَكُنْ
وَإِنْ هِيَ أَعْطَتِكَ الْبَيَانَ فَإِنَّهَا
وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا

وقال أبو بكر عبد الرحمن الزهري^(٣):

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلًا طَلَّهُ النَّدَى
أَنِيقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا

(١) انظر «شرح ديوان الحماسة» (١٤٨/٣).

(٢) انظر «شرح ديوان الحماسة» (١٤٩/٣).

(٣) انظر «شرح ديوان الحماسة» (١٥٥/٣).

أَجَدَّ لَنَا طِيبَ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مُنَى فَتَمَنَّنَيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا

وقال معدان بن المضرب الكندي^(١) : [من الطويل]

صَفَا وَدُ لَيْلَى مَا صَفَا ثُمَّ لَمْ نَطْع عَدُوًّا وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبِ

فَلَمَّا تَوَلَّى وَدُ لَيْلَى لِحَابِ وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ

وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَى يَخَافُنِي عَلَى الْغَدْرِ أَوْ يَرْضَى بِوُدِّ مُقَارِبِ

وقال آخر^(٢) : [من الطويل]

هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَزْدُ

وَفَيْضُ دُمُوعِ أَلْعَيْنِ يَا مَيِّ كَلَّمَا بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

وقال يزيد بن المنتشر القشيري المشهور بابن الطثرية وهي أمه ؛ نُسِبَتْ

لِحَيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ يُقَالُ لَهُمْ : طَثَّرُ^(٣) : [من الطويل]

عُقَيْلِيَّةُ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارَهَا فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَضْرُهَا فَبَتِيلُ

تَقِيِّظُ أَكْنَافَ الْحِمَى وَيُظِلُّهَا بِنَعْمَانَ مِنْ وَاوِي الْأَرَكَ مَقِيلُ

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

فِيَا حُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَخِلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ

وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطْع بِهِ عَدُوًّا وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ

أَمَّا مِنْ مَقَامِ أَشْتَكِي غُرْبَةَ النَّوَى وَخَوْفِ الْعِدَا فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ

فَدَيْتُكَ أَعْدَائِي كَثِيرٌ وَشَقَّتِي بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٥/٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٨/٣ - ١٥٩) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦١/٣ - ١٦٣) .

فَأَفْنَيْتُ عِلَاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ
وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولُ
سَتُنْشَرُ يَوْمًا وَالْعِتَابُ طَوِيلُ
فَحَمَلُ دَمِي يَوْمَ الْحِسَابِ ثَقِيلُ

[من الكامل]

قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبَرِّدِ
إِنَّ الْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ
بِحِمَى الْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْتَ تَقْصِدِ
سَوْدَاءَ تَزْغَبُ عَن سَوَادِ الْأَيْمِدِ

[من الطويل]

عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا

[من الطويل]

وَلَا النَّفْسَ عَن وَادِي الْمِيَاهِ تَطِيبُ
لَمْشْتَهَرٌ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ
وَلَا صَادِرًا إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ
فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ
صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوِيلُهَا
فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ
وَقَالَ آخِرُ^(١) :

بَيْضَاءُ آنَسَةُ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا
مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدِ
خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ الْحَدِيثُ تَعَوَّدَتْ
وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرْفِرُقُ مُقْلَةً
إِنَّمَا يَكُونُ اللَّيْلُ ذَا بَرْدٍ إِذَا صَفَا الْجَوُّ .

وَقَالَ آخِرُ^(٢) :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ
وَمَا هَجَرْتِكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا
وَقَالَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ^(٣) :

أَلَا لَا أَرَى وَادِي الْمِيَاهِ يُثِيبُ
أَحِبُّ هُبُوطَ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي
أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٨/٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٠/٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٠/٣ - ١٧١) .

وَلَا زَائِرًا فَرْدًا وَلَا فِي جَمَاعَةٍ
 وَهَلْ رَيْبَةٌ فِي أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ
 وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى
 لَكَ اللَّهُ إِلَيَّ وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي
 وَأَخِذْ مَا أَعْطَيْتِ عَفْوًا وَإِنِّي
 فَلَا تَشْرِكِي نَفْسِي شِعَاعًا فَإِنَّهَا
 وَإِنِّي لِأَسْتَحْبِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا
 وَقَالَ آخِرُ^(١) :

وَلِلنَّاسِ أَشْجَانٌ وَلِي شَجَنٌ وَخَدِي
 فَوَا كَبِدًا مِمَّنْ يُحِبُّكُمْ بَعْدِي
 [من الطويل]

نُؤُومُ الضُّحَى فِي مَاتِمِ أَيِّ مَاتِمِ
 وَلَكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمِ
 صَحِيحًا وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمِمْي
 بِأَحْسَنِ [مَوْصُولَيْنِ] كَفِّ وَمِعْصَمِ
 وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السِّحْرَ قُلْنَ لَهُ قُمْ
 تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي الْمَنَاخِ لَهُ نَمِ

تَحَمَّلْ أَصْحَابِي وَلَمْ يَجِدُوا وَجْدِي
 أَحِبُّكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا فَإِنْ أُمْتُ
 وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِيُّ^(٢) :

رَمَتْهُ أَنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةَ عَامِرِ
 فَجَاءَ كَخُوطِ الْبَانِ لَا مُتَتَايِعِ
 فَقُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُخِ
 فَالْقَتَّ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقَّتْ
 وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَعَتْ فِي فُؤَادِهِ
 فَوَدَّ بَجْدَعِ الْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧١/٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٢/٣ - ١٧٣) .

الأناة: إِمَّا مِنْ (وَنَى) ، وإبدالَ الهمزة مِنَ الواوِ المفتوحةِ قليلٌ ؛ كأحدٍ ،
 وأجمٍ في وجَمٍ ؛ أي : سكتَ حزناً ، أو مِنْ (أنى) أي : تأتَّى ، وقولُهُ : (فجاءَ
 كخُوطِ البانِ) أي : المرميُّ حينَ أقبَلَ أقبَلَ في وقارٍ وتؤدَّةٍ شابّاً ناعماً معتدلاً
 القامةِ كالخُوطِ - بضمِّ الخاءِ - أي : الغصنِ ، والمتتابعُ : المتسرِّعُ في حماقةٍ ،
 والمأتمُّ : المجمعُ مِنَ النساءِ في خيرٍ أو شرٍّ .

وقال أبو الشَّيْصِ الخزاعيُّ^(١) :

وَقَفَ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
 أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَدِيدَةٌ حُبًّا لِدِكْرِكَ فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ
 أَشْبَهتِ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ
 وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهْنَتْ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهُونٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرَمُ

المُحِبُّ [يَسْتطِيبُ] اللَّوْمَ والعَدْلَ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الحَبِيبِ كما قال ،
 وقال آخِرُ^(٢) :

أَصْغِي إِلَيَّ قَوْلِ الْعَدُولِ بِجُمْلَتِي مُسْتَفْهِمًا عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالٍ
 لَتَلْقَطِي زَهْرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُمْ مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ الْعُدَالِ

وخالفَ ذلكَ المتنبيُّ حيثُ يقولُ^(٣) :

أَحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
 وقال آخِرُ^(٤) :

[من الطويل]

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٤/٣) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٩/٢) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٦٦) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٥/٣) .

وَلَا غَرَوَ إِلَّا مَا يُخَبِّرُ سَالِمٌ بِأَنَّ بَنِي أَسْتَاهَهَا نَذَرُوا دَمِي
وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا سَرْحَةُ أَسْلَمِي
نَعَمْ فَأَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي ثُمَّتْ أَسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ [تَكَلِّمِي]
لَا غَرَوَ إِلَّا مَا يُخَبِّرُ ؛ أَي : لَا عَجَبَ إِلَّا إِخْبَارًا ، وَالسَّرْحَةُ : وَاحِدَةٌ
السَّرْحِ ؛ وَهُوَ مِنَ الشَّجَرِ مَا لَا شَوْكَ لَهُ ، وَيُقَابَلُهُ الْعَضَةُ ، كُنِيَ بِالسَّرْحَةِ عَنِ
الْمَرْأَةِ .

وقال زياد بن حميل ، أو ابن منقذ التميمي ، وكان قد أتى اليمنَ واشتاق
بلاده^(١) :

لَا حَبْدًا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ وَلَا شُعُوبٌ هَوَى مِثِّي وَلَا نُقْمٌ
وَلَنْ أَحِبَّ بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا وَلَا بَلَدًا حَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ
إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَادِيَةَ فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارَ تَضْطَرِمُ
وَحَبْدًا حِينَ تُمَسِّي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أُشْيَى وَفَثِيَانُ بِهِ هُضْمٌ
الْوَاسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَّمُوا
وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ وَبَاكَرَ الْحَيَّ مِنْ صُرَادِهَا صِرْمٌ
وَشَتْوَةٌ فَلَّلُوا أَنْيَابَ لَزَبَتِهَا عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أَنْيَابُهَا الْأَزْمُ
حَتَّى أَنْجَلَى حَدَّهَا عَنْهُمْ وَجَارُهُمْ بِنَجْوَةٍ مِنْ حِذَارِ الشَّرِّ مُعْتَصِمٌ
هُمْ أَلْبُحُورُ عَطَاءٍ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَفِي الْإِلْقَاءِ إِذَا تَلَقَى بِهِمْ بُوهُمُ
وَهُمْ إِذَا أَلْحَيْلُ حَالُوا فِي كَوَائِبِهَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣ / ١٨٠ - ١٨٧) .

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأَخْبِرُهُمْ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ فَتَى حُلُوِّ شَمَائِلُهُ
تُحِبُّ زَوَاجَاتِ أَقْوَامِ حَلَائِلُهُ
تَرَى الْأَرَامِلَ وَالْهَلَائِكَ تَتَّبَعُهُ
كَأَنَّ أَصْحَابَهُ بِالْقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ
غَمْرُ النَّدَى لَا يَبِيْتُ الْحَقُّ يَثْمُدُهُ
إِلَى الْمَكَارِمِ يَبْنِيهَا وَيَعْمُرُهَا
[تَشْقَى] بِهِ كُلُّ مِرْبَاعٍ مُودَعَةٍ
تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشَّيْزَى مُكَلَّلَةً
يَنْوِبُهَا النَّاسُ أَفْوَاجًا إِذَا نَهَلُوا
زَارَتْ رُوَيْقَهُ شُعْنًا بَعْدَمَا هَجَعُوا
وَقُمْتُ لِلزُّورِ مُزْتَاعًا فَأَرْقَنِي
وَكَانَ عَهْدِي بِهَا وَالْمَشْيُ يَبْهَظُهَا
وَبِالتَّكَالِيفِ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِهَا
سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا
رُوَيْقَ إِيَّيْ وَمَا حَجَّ الْحَجَّيْجُ لَهُ
لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرُكُمْ مُذْ لَمْ الْأَقِكُمْ
وَلَمْ تُشَارِكْ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةٌ
مَتَى أَمْرٌ عَلَى الشَّقَرَاءِ مُعْتَسِفًا

إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ
جَمَّ الرَّمَادِ إِذَا مَا أَخْمَدَ الْبَرَمُ
إِذَا الْأَنْوْفُ أُمْتَرَى مَكْنُونَهَا الشَّبِمُ
يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذْمُ
مِنْ مُسْتَحِيرِ غَزِيرِ صَوْبُهُ دِيمُ
إِلَّا غَدَاً وَهُوَ سَامِي الطَّرْفِ يَبْتَسِمُ
حَتَّى يَنَالَ أُمُورًا دُونَهَا قَحْمُ
عَرَفَاءَ يَشْتُو عَلَيْهَا تَامِكُ سَنِمُ
قُدَّامَهُ زَانَهَا التَّشْرِيفُ وَالْكَرَمُ
عَلُّوا كَمَا عَلَّ بَعْدَ النَّهْلَةِ النَّعْمُ
لَدَى نَوَاحِلَ فِي أَرْسَاعِهَا الْخَدَمُ
فَقُلْتُ أَهْيَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلْمُ
مِنَ الْقَرِيبِ وَمِنْهَا النَّوْمُ وَالسَّامُ
تَمَشِي الْهُوَيْنَى وَمَا تَبْدُو لَهَا قَدَمُ
دُزْمٌ مَرَّافِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمَمُ
وَمَا أَهْلٌ بِجَنْبِي نَخْلَةَ الْحُرْمُ
عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدَمُ
لَا وَالَّذِي أَصْبَحْتُ عِنْدِي لَهُ نِعَمُ
خَلَّ النَّقَا بِمَرْوَحٍ لَحْمَهَا زِيمُ

وَالْوَشْمِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَابَلَهَا
 يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ جَنْبِي مُكَسَّحَةً
 عَنِ الْإِشَاءَةِ هَلْ زَالَتْ مَخَارِمُهَا
 وَجَنَّةٍ مَا يَذُمُّ الدَّهْرَ حَاضِرُهَا
 فِيهَا عَقَائِلُ أَمْثَالِ الدُّمَى خُرْدٌ
 يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ مَا يَذُمُّهُمْ
 مُخَدَّمُونَ ثِقَالٌ فِي مَجَالِسِهِمْ
 بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِي
 نَحْوَ [الْأَمِيلِحِ] أَوْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا
 لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ [إِذَا] يَغْدُونَ أَرْذِيَّةٌ
 مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ وَلَكِنْ مِنْ تَبَدُّلِهِمْ
 فَيَفْزَعُونَ إِلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ
 يَرْضَخْنَ ضُمًّا الْحَصَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ
 يَغْدُو أَمَامَهُمْ فِي كُلِّ مَرْبَاةٍ

سُعُوبٌ وَنُقْمٌ بَضْمَتَيْنِ : موضعان ، تقولُ للشَّيءِ : هو مِنِّي هَوِيٌّ ؛ أي :
 محبوبٌ ، وَعَنْسٌ وَقَدَمٌ بَفَتْحَتَيْنِ : حَيَانٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْيَمَنِ ، مِنْ الْأَوَّلِ الْأَسْوَدِ
 الْعَنْسِيُّ الْكَذَّابُ الَّذِي تَنَبَّأَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ سَاحِرَ
 الْمَنْطِقِ ، وَقَتْلَهُ فَيَرُوزُ الدَّيْلَمِيِّ ، وَهَضْمٌ : جَمْعُ هَضُومٍ ؛ أَي : يَهْضُمُونَ الْمَالَ
 فِي وَجْهِ الْخَيْرِ ، وَالصَّرَّادُ كَرَمَانٌ : السَّحَابُ لَا مَاءَ فِيهِ ، وَالصَّرْمُ : جَمْعُ صِرْمَةٍ
 بِكسْرِ فَسْكَوْنٍ ؛ الْجَمْلَةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَاسْتَعِيرَ هَا هُنَا ، اللَّزْبَةُ : السَّنَةُ الْمَجْدَبَةُ ،

وَفَلَّلُوا أُنْيَابَهَا : أزالوا شدائدَها ، مِنْ تَفْلِيلِ حَدِّ السِّيفِ ؛ أَي : إِحْدَاثِ الْفُلُولِ بِهِ ، وَالْأَزْمُ : جَمْعُ أَزُومٍ ، وَالْأَزُومُ : الْإِمْسَاكُ عَلَى الشَّيْءِ بِالْأَسْنَانِ ، وَكَوَائِبُ الْخَيْلِ : جَمْعُ كَائِبَةٍ ؛ أَعَالِي ظَهْوَرِهَا ، وَإِذَا الْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَائِبِهَا : مِنْ تَرَائِكِبِ الْإِسْتِغَالِ ؛ أَي : إِذَا قَصَدُوا الْخَيْلَ .

وَالْقَدَمُ بِفَتْحَتَيْنِ : أَرَادَ النَّاسَ ، وَقَوْلُهُ : (إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ) أَي : أَلَّا يَزِيدُونَ أَنْفُسَهُمْ حُبًّا إِلَيَّ ؛ لِإِبْرَارِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَضَعِ الضَّمِيرَ الْمُنْفَصِلَ مَوْضِعَ الْمُتَّصِلِ ، وَالْبَرَمُ : اللَّئِيمُ الْبَخِيلُ ، عَلَى وَزَنِ الشَّبَمِ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ ؛ وَهُوَ الْبَرْدُ ، وَالْعُرْفَاءُ : الَّتِي طَالَ وَبُرَّهَا حَتَّى صَارَ لَهَا مِثْلُ الْعُرْفِ ، وَالْجَبَّارُ : النَّخْلُ الطَّوِيلُ ، وَالْأَرْمُ : الْعَلَمُ وَزَنًا وَمَعْنَى ، وَالْحِنَاءُ : نَوْعُ رَمَلٍ يُسْتَعْمَلُ فِي بِنَاءِ الْأُطْمِ - بِضَمَّتَيْنِ - وَهِيَ الْحِصُونُ وَالْقِصُورُ .

[من الطويل]

وَقَالَ عَمْرُو ضَبِيْعَةَ الرَّقَاشِي (١) :

فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
حَزَاةَ حَزْرٍ فِي الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
يَلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ
عَلَيْهِ فَقَدْ تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَى قَدْرِ

تَضِيقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا
وَعُصَّةِ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَّتْ
أَلَّا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا
قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ فَأَصْطَبِرُ

[من الطويل]

وَقَالَ جَمِيلٌ (٢) :

مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ
وَإِنْ كُرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقْبُ
وَفِيهَا إِذَا أزدَانَتْ لِيذِي نَيْقَةَ حَسْبُ

بُثَيْنَةٌ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبْصِرَتْ
لَهَا النَّظْرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ
إِذَا ابْتَدَلَتْ لَمْ يُزِرْهَا تَرْكُ زِينَةٍ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨٧/٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٩٥/٣) .

[نبذة من أشعار الهجاء من « ديوان الحماسة »]

ذَلِكَ الْمُخْتَارُ مِنْ بَابِ النِّسَبِ .

وهاك أشياء من باب الهجاء ؛ وهو من هجاه يهجوهُ ؛ إذا رماه بالمعاب
في أعماله أو أعمالِ أسلافه .

قال موسى بن جابر الحنفي^(١) :

كَانَتْ حَنِيفَةً لَا أَبَالَكَ مَرَّةً عِنْدَ اللَّقَاءِ أَسِنَّةً لَا تَنْكُلُ
فَرَأَتْ حَنِيفَةً مَا رَأَتْ أَشْيَاعَهَا وَالرِّيحُ أَحْيَانًا كَذَاكَ تَحْوَلُ

وقال قراذ بن حنش الصاردي^(٢) :

لِقَوْمِي أَدْعَى لِلْعُلَا مِنْ عِصَابَةٍ مِنَ النَّاسِ يَا حَارِ بْنَ عَمْرٍو تَسُوذَهَا
وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ رِزُّهَا بِأَبْدَةٍ تُنْجِي شَدِيدٍ وَئِيدَهَا
تُقَطِّعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ وَأَكْذِبُ شَيْءٍ بَزَقَهَا وَرَعُودَهَا
فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلاً بَهَاءً وَشَارَةً إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صُدُودَهَا

الرِّزُّ - بالكسر - : الصوتُ تَسْمَعُهُ مِنْ بَعِيدٍ ، والبَاءُ فِي (بِأَبْدَةٍ) بِمَعْنَى
مَعَ ، وَالْأَبْدَةُ : الْمُنْكَرَةُ ، وَتَنْجِي : مِنْ أَنْحَى ؛ أَي : اعْتَمَدَ ، وَالْحَاصِبُ : الرِّيحُ
تَأْتِي بِالْحَصْبَاءِ ؛ أَي الْحَصَى ؛ لَشِدَّتِهَا ، مِثْلَ تَهْوِيلِهِمْ وَمَا يَظْهَرُ مِنْهُ بِسِحَابٍ
لَهُ بَرَقٌ وَرَعْدٌ مَصْحُوبٌ بِرِيحٍ شَدِيدَةٍ ثُمَّ لَا يَمُطِرُ ، فَهُوَ وَهُمْ لَا خَيْرَ فِيهِمْ .

وقال طرفة بن العبد^(٣) :

فَرَّقَ عَن بَيْتِيكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَعَمْرَأً وَعَوْفًا مَا تَشِي وَتَقُولُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٤ - ٣) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨/٤) .

وَأَنْتَ عَلَى الْأَذْنَى شَمَالٌ عَرِيَّةٌ شَامِيَّةٌ تَزْوِي أَلْوُجُوهَ بَلِيلُ
وَأَنْتَ عَلَى الْأَقْصَى صَبًا غَيْرُ قُرَّةٍ تَذَاءَبَ مِنْهَا مُرْزُغٌ وَمُسَيْلُ
وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلُ
وَإِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ

أرادَ بالبيتين : العصبه وذوي الأرحام ، وقصد تخليصه بالهجاء وإخراجه
من شرف أهله بسوء عمله ، ومرزغٌ ومسيلٌ ؛ أي : ذات رزغية - وهي الوحل -
وسيل .

وقال قعنّب بن ضمرة^(١) :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَيِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَدْنُوا
جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

ولبعضهم زيادة في هذا المعنى^(٢) :

إِنْ يَعْلمُوا الْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أَدَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقال محرز بن المكعبير الضبيّ لبني عديّ بن جندب بن
العنبر^(٣) :

أَبْلُغْ عَدِيًّا حَيْثُ صَارَتْ بِهَا النَّوَى وَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ
كُسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ يُلَهَّى بِهِ الْمَتَّبُولُ وَهُوَ عَنَاءُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢/٤) .

(٢) انظر « التذكرة الحمدونية » (١٥٩/٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥/٤ - ١٦) .

أَحْبَبُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ
لَهُمْ [رَيْثَةٌ] تَعْلُو صَرِيْمَةً أَمْرِهِمْ
وَإِنِّي لَرَاغِبِكُمْ عَلَى بَطْءِ سَعِيكُمْ
فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعِي عَضْبَةِ مَازِنٍ
لَهُمْ أَذْرُعَ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ
وقال سويد بن مشنوء^(١) :

دَعِيَ عَنكَ مَسْعُودًا فَلَا تَذْكُرْنَهُ
نَهَيْتُكَ عَنْهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى
وقال رجلٌ مِنْ طَبِئٍ^(٢) :

إِنَّ أَمْرًا يُعْطِي الْأَسِنَّةَ نَحْرَهُ
يَذْمُونَ لِي الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا
يعني : الأمراء في خطبهم ، والثعلب - بفتح أوله أو ضمّه - خلفٌ صغيرٌ
زائدٌ في أخلافِ الحلوبة .

وقال أبو الأسدِ عَصْرِيُّ [أبي] تمامٍ في الحسنِ بنِ رجاءِ بنِ أَبِي الضَّحَّاكِ
- ولأبي تمامٍ فيه مديحٌ -^(٣) :

فَلَا نُظْرَنَ إِلَى الْجِبَالِ وَأَهْلِهَا

وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُنْبِئُونَ أَسَاؤُوا
وِلْأَمْرٍ يَوْمًا رَاحَةً فَقَضَاءُ
كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ
وَهَلْ كُفَلَائِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ
وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءُ
وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ
[من الطويل]

إِلَيَّ بِسُوءٍ وَأَعْرِضِي لِسَبِيلِ
وَلَا يَنْتَهِي الْغَاوِي لِأَوَّلِ قَيْلِ
[من الطويل]

وَرَاءَ قُرَيْشٍ لَا أَعْدُلُهُ عَقْلًا
فَمَا تَرَكَوْا فِيهَا لِمُلْتَمِسٍ نُعْلًا
بفتح أوله أو ضمّه - خلفٌ صغيرٌ

وَالِي مَنْابِرِهَا بِطَرْفِ أَخْزَرِ
[من الكامل]

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢٢/٤ - ٢٣) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٥/٤) .

مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأَتْ عَلَى رُكُوبِ الْمُنْبَرِ

الجبال : ناحيةٌ كان الحسنُ المذكورُ يلي إمارتها .

والنظرُ بطرفٍ أخزر - أي : ينظرُ من مؤخره - : هو نظرُ الاحتقار .

ونزلَ بالراعي النميريَّ رجلٌ من بني كلابٍ في ركبٍ معه ليلاً في سنةٍ مجدبةٍ ، وقد عزبتُ عن الراعي إبلُهُ ، فنحرَ لهم ناقةً من رواحِلِهِمْ ، وصَبَّحتِ الراعيَّ إبلُهُ ، فأعطى ربَّ النابِ ناباً مثلها وزادَهُ ناقةً ثنيةً ، فقال^(١) :

[من الطويل]

عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرَّيْحِ قَرَّةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ فَالْرَّحَا
وَقَدْ يُكْرَمُ الْأَضْيَافُ وَالْقِدْ يُشْتَوَى
بَكَا وَكِلَا الْحَيَيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَى
يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْحَشَا
وَوَطَأْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ وَالْقِرَى
هَجَاناً مِنَ الْأَلَاتِي تَمْتَعْنَ بِالصُّوَى
وَلِلَّهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ أَيَّمَا فَتَى
فَإِنْ يَجْبُرِ الْعُرْقُوبُ لَا يَزِقُّ النَّسَا
مَضَى غَيْرَ مَنكُوبٍ وَمُنْصَلُهُ أَنْتَضَى
جَلَوْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِي فَنَجَلَى
لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُصْطَلَى
عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرَّيْحِ قَرَّةٌ
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقِدْ أَهْلَهَا
فَلَمَّا أَتَوْنَا فَاشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمْ
بَكَى مُعَوِّزٍ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقٌ
فَالطَّفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَى مِنْ سَمِينَةٍ
فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتِ عَرِيكَةِ
فَأَوْمَأْتُ إِيمَاءً خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ
وَقُلْتُ لَهُ أَلِصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا
فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتَرٍ أَنْ حَبْتَرًا
كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا
فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِرَّةٍ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٥ / ٤ - ٣٧) .

وَأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةً عِنْدَنَا بِسْتَيْنَ أَبْقَتْهَا الْأَخِلَّةُ وَالْخَلَا
فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْهَا ثَنِيَّةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا

الْقَرَّةُ - بفتح القاف - : الباردة ، وفردة - بفتح أوله - والرحا : موضعان ،
قصد تعيين منزله ، والقُدُّ : الجلد ، والإنسان إذا جاع . . يأكل كل ما لان ،
والعريكة : السنّام ، والصّوى : جمع صوّة بضمّ الصّاد ؛ الأرض الغليظة ،
ويروى : الصّوى ؛ مصدر صوي كفّرح ؛ أي : خلا الضرع من اللبن ، وتمتع
الناقة به أنّها لا تحلب ، فهي حائلٌ تربى لحمًا وشحمًا ، وقوله : (أَلصقُ
بأبيسٍ ساقِها) معناه : بالغ في القطع ليسيل دمه من مسيلٍ لا ينقطع سيلانه
حتى يفنى الدم وهو النّسا ، ورقاً الدم والدمع : انقطع ، والأخلة : جمع خلال ؛
جمع خلة ؛ لنوع من النبات ، والخلا : الرطب ، ويروى : الأجلة بالجيم ؛ جمع
جلال ؛ وهو الغطاء ، وأراد حينئذٍ : أنّ حفظها من البرد بالوقاء ورعيها أبقياها
أو أنقياها ؛ أي : أكثرها فيها النقي ؛ وهو مُخّ العظام ، وهما روايتان ، والحيّا
المطر ، يُسمّى به النبات مجازاً للسببية ، ويُتجوّز عن النبات للشحم ، فهو
مجازٌ عن مجازٍ .

فَقَالَ الْحَلَالُ بْنُ أَرْقَمِ الْمُلَقَّبُ بِالْخَنْزِرِ النَّمِيرِيِّ (١) : [من الطويل]

بَنِي قَطَنِ مَا بَالَ نَاقَةَ ضَيْفِكُمْ تَعَشُّونَ مِنْهَا وَهِيَ مُلْقَى قَتُودِهَا
غَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةُ رَحْلِهِ عَلَى طُنْبِ الْفَقْمَاءِ مُلْقَى قَدِيدِهَا
وَبَاتَ الْكِلَابِيُّ الَّذِي يَبْتَغِي الْقَرَى بَلِيلَةَ نَحْسٍ غَابَ عَنْهَا سُعُودُهَا
أَمَّنْ يَنْقُصُ الْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةٍ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَمَّ مَنْ يَزِيدُهَا
كَأَنَّكُمْ إِنْ قُمْتُمْ تَنْحَرُونَهَا بَرَادِينَ مَشْدُودٍ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٧/٤ - ٣٨) .

فَمَا فَتَحَ الْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءٍ بَنِي قَطْنٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ شُهُودُهَا
تَعَشُّونَ ؛ أَي : تَتَعَشَّوْنَ ، حُذِفَتْ مِنْهُ تَاءٌ ، وَالْقَتُودُ : عِدَّةُ الْجَمَلِ ، وَالْفَقْمَاءُ :
زَوْجَةُ الرَّاعِي ، وَأَصْلُ الْفَقْمِ : خُرُوجُ الثَّنَائِيَا السُّفْلَى حَتَّى لَا تَقَعَ عَلَيْهَا الْعَلِيَا ،
وَالْقَدِيدُ : اللَّحْمُ يُشْرَحُ لِيُجَفَّفَ ، وَكَانَ يُنَشَّرُ عَلَى أَطْنَابِ الْبَيْوتِ ؛ وَهِيَ
الْحِبَالُ الَّتِي تُشَدُّ بِهَا .

ولا حقَّ لهذا الهاجي في هجائه بعدما صنع الراعي ، ولذلك أجابه عن
فريته بقوله (١) :

مَاذَا نَكَّرْتُمْ مِنْ قُلُوصٍ نَحَرْتُهَا بَسِيفِي وَضِيْفَانُ الشِّتَاءِ شُهُودُهَا
فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا فَرَّاحَ عَلَى عَنَسٍ بِأَخْرَى يَقُودُهَا
فَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الَّذِي يَبْتَغِي الْقَرَى وَأُمِّكَ إِذْ يُحْدِي إِلَيْنَا قَعُودُهَا
رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تُثَقِّبُ لِلْقَرَى وَلِقَحَّةَ أَضْيَافٍ طَوِيلًا رُكُودُهَا
إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ الْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ جَوَانِبُهَا حَتَّى نَبِيَتْ نَدُودُهَا
إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسِبْتَهَا نَعَامَةَ حِزْبَاءٍ تَقَاصَرَ جِيدُهَا
تَبِيَتْ أَلْمَحَالَ الْغُرُّ فِي حَجَرَاتِهَا شَكَارَى مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا
بَعَثْنَا إِلَيْهَا الْمُنْزَلَيْنِ فَحَاوَلَا لِكُنِي يُنْزِلَاهَا وَهِيَ حَامٍ حُيُودُهَا
فَبَاتَتْ تَعْدُ النُّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيحَ بِأَيْدِي الْأَكْلِينَ جُمُودُهَا
فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ تَمَلَّأَتْ مَذَاخِرُهَا وَأَرْفُضَ رَشْحًا وَرِيدُهَا
وَلَمَّا قَضَتْ مِنْ ذِي الْإِنَاءِ لُبَانَةً أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نُرِيدُهَا
نَكَّرَ الشَّيْءَ وَأَنْكَرَهُ : نَفَرَ مِنْهُ وَاسْتَقْبَحَهُ ، وَالْعَنَسُ - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ - :

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٨/٤ - ٣٩) .

الناقة الصلبة ، وإثقاب النار وتثقيبها : إذكاؤها ، وما به إلا ثقاب ثقوب
 - كوقود - بفتح أولهما ، وأراد بلفحة الأضياف : القدر ، استعارة رشحها
 بقوله : (إذا أُخْلِيت) أي : أعطيت الخلاء ، وإرزام الناقة : حنينها ،
 والمحال : فقار الظهر ، الواحدة : محالة ، وجعلها غراً لسمنها ، وشكاري :
 جمع شكري ؛ وهي في الأصل الضرع الممتلئة ، ولذلك قال : مراها ؛ أي :
 اعتصرها ، والخلاصة : أن الماء بحرارته استخراج ما فيها .

وقوله : (فباتت تعدُّ النجم) أي : أمك باتت تنظر في مرق القدر ، وهو
 المراد بالمستحيرة ؛ من قولهم : استحار الماء ؛ أي : دار حتى ملأ قرارته ،
 وتعدُّ النجم : إما من العدِّ الحسابيِّ أو الحسابيِّ ، فالأول : يصف المرقّة
 بالدسومة حتى تمثّل فيها صورة النجوم ، والثاني : يقول : إن الثريا تمثّلت في
 الإناء لكونها محاذية للرووس ؛ إذ كان الوقت في وسط الشتاء ، والعكس :
 لبن يُصبُّ عليه مرق ، وتملأت مذاخرها : أي : المواضع التي تذخر فيها
 الأغذية ، ووصفها بغاية الشره حيث تملأت جداً حتى تصبب عرقها ، وذلك
 في قوله : (وارضُ رشحاً وريدها) .

وقوله : (ولمّا قضت من ذي الإناء لبانةً) أي : ولمّا شبعت فوق
 كفايتها - فإنّ اللبانة بعد الحاجة الأصليّة - اغتلمت ، وطوى ذلك في
 قوله : (أرادت إلينا حاجة لا نريدها) يُقال : أراد إليه ، وطلب إليه كذا ،
 والخيوذ : جمع حيد بفتح أوله ، المراد منها هنا : الجوانب .

[من البسيط]

وقال رجلٌ من أسدٍ^(١) :

دَبَّيْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَالْقَوَا دُونَهُ الْأَزْرَا
 فَكَابَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٠/٤) .

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ
وَقَالَ آخِرُ^(١) :

لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
[من الطويل]

وَمُسْتَعَجِلٍ بِالْحَرْبِ وَالسَّلْمِ حَظُّهُ
وَحَارَبَ فِيهَا بِأَمْرِي حِينَ شَمَرَتْ
فَأَعْطَى الَّذِي يُعْطِي الدَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ
وَقَالَ آخِرُ^(٢) :

فَلَمَّا اسْتُثِيرَتْ كُلٌّ عَنْهَا مَحَافِرُهُ
مِنَ الْقَوْمِ مِعْجَازٍ لَيْسَ مَكَاسِرُهُ
لَهُ سَعْيِي صِدْقٍ قَدَمْتُهُ أَكَابِرُهُ
[من الطويل]

كَأَثْرٍ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْدًا كَثِيرَةٌ
وَلَا تَدْعُ سَعْدًا لِلْقِرَاعِ وَخَلِّهَا
يُرْوَعُكَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عَمْرٍو جُسُومُهَا
وَقَالَ آخِرُ^(٣) :

وَلَا تَبْغِ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا
إِذَا أَمِنْتَ وَنَعْتَهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا
وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا
[من الوافر]

أَعَارِبُ ذُوو فَخْرٍ بِإِفْكَ
رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا
أَي : ورضوا بحسن القول بدل حسن الفعال .

وَالسِّنَّةِ لَطَافٍ فِي الْمَقَالِ
وَحُسْنِ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفَعَالِ
[من الوافر]

وَقَالَ آخِرُ^(٤) :

[من الوافر]

هَجَوْتُ الْأَدْعِيَاءَ فَنَاصَبْتَنِي
فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا طَوِيلًا

مَعَاشِرُ خِلْتَهَا عَرَبًا صِحَاحَا
عَلَيَّ فَلَمْ أُجِبْ لَهُمْ نَبَاحَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٠/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٤/٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٤/٤ - ٤٥) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٥/٤ - ٤٦) .

أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ فَأَكُفَّ عَنْكُمْ
وَأَدْفَعْ عَنْكُمْ أَلْسَتَمَ الصُّرَاخَا
وَأَلَا فَأَحْمَدُوا رَأْيِي فَإِنِّي
سَأَنْفِي عَنْكُمْ أَلْتُهُمَ الْقَبَاخَا
وَحَسْبُكَ تُهُمَةٌ بِبَرِيءِ قَوْمٍ
يَضُمُّ عَلَى أَحِي سَقَمِ جَنَاخَا

[من الطويل]

وقال فرعانُ بنُ الأعرَفِ في ابنِهِ مُنَازِلٍ^(١) :

جَزَتْ رَحْمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ
جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْزِلُ أَلدَّيْنِ طَالِبُهُ
لَرَبِّيْتُهُ حَتَّى إِذَا أَحْضَ شَيْظَمًا
يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ أَلْفَحْلِ غَارِبُهُ
فَلَمَّا رَأَنِي أَبْصِرُ أَلشَّخْصَ أَشْخُصًا
قَرِيبًا وَذَا أَلشَّخْصِ أَلْبَعِيدِ أَقَارِبُهُ
تَعَمَّدَ حَقِّي ظَالِمًا وَلَوَى يَدِي
لَوَى يَدَهُ أَللَّهُ أَلَّذِي هُوَ غَالِبُهُ
وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى
مِنَ أَلزَّادِ أَحْلَى زَادَنَا وَأَطَابِبُهُ
وَرَبِّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكَتُهُ
أَخَا أَلْقَوْمِ وَأَسْتَعْنَى عَنِ أَلْمَسْحِ شَارِبُهُ
وَجَمَعْتُهَا دُهُمًا جِلَادًا كَأَنَّهَا
أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيبًا كَأَنَّنِي
حُسَامٍ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهُ
أَنَّ أُرْعِشْتَ كَفَّا أَبِيكَ وَأَصْبَحْتَ
يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ
انتهى المنقولُ مِنْ بَابِ أَلِهَجَاءِ .

ودونكَ ما يُسْتَحْسَنُ مِنْ بَابِ أَلأَضْيَافِ وَأَلْمَدِيحِ .

[من البسيط]

قالَ مَرَّةً بِنُ مُحْكَاكَ أَلتَمِيمِي^(٢) :

يَا رَبَّةَ أَلْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ
ضَمِّي إِلَيْكَ رِحَالَ أَلْقَوْمِ وَأَلْقُرْبَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩/٤ - ١٠) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٦٠/٤ - ٦٣) .

لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظَلَمَائِهَا الطُّنْبَا
 حَتَّى يَلْفَ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنْبَا
 فِي جَانِبِ الْبَيْتِ أَمْ تَبْنِي لَهُمْ قُبْبَا
 مَنْ كَانَ يَكْرَهُ ذَمًّا أَوْ يَقِي حَسْبَا
 مِثْلَ الْمُجَادِلِ كَوْمَ بَرَكَتِ عُسْبَا
 جَلَسَ فَصَادَفَ مِنْهُ سَاقَهَا عَطْبَا
 لَمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي سَزِحْنَا أَنْتَحَبَا
 فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا فَتَبَا
 كَمَا تُنْشِنُشُ كَفَا فَاتِلِ سَلْبَا
 غَدِي بَنِيكَ فَلَنْ تَلْقَيْهِمْ حِقَبَا
 وَقَدْ عَمِرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسْبَا
 أَنْمِي إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَرًا نُجَبَا

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ
 لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ
 مَاذَا تَرَيْنَ أُنْدُنِيَهُمْ لِأَرْحَلِنَا
 لِمُزْمِلِ الزَّادِ مَعْنِي بِحَاجَتِهِ
 وَقُمْتُ مُسْتَبْطِنًا سَيْفِي فَأَعْرَضَ لِي
 فَصَادَفَ السَّيْفُ مِنْهَا سَاقَ مُثْلِيَةِ
 زَيْفَةِ بِنْتِ زَيْفِ مَذْكَرَةِ
 أَمْطَيْتُ جَازِرُنَا أَعْلَى سَنَاسِنِهَا
 يُنْشِنُشُ اللَّحْمَ عَنْهَا وَهِيَ بَارِكَةٌ
 وَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أَوْصِي قَعِيدَتَنَا
 أَدْعَى آبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرِفْ بِأَمِّهِمْ
 أَنَا ابْنُ مَحْكَانَ أَخْوَالِي بَنُو مَطْرٍ



[من الوافر]

وقال أبو زياد الأعرابي الكلابي^(١) :

إِذَا النَّيْرَانُ أُلْبَسَتْ الْقِنَاعَا
 وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ
 وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَيْثِيَانِ مَالاً

اليفاعُ : المرتفعُ مِنَ الأرضِ ، وكانَ مِنْ عَادَتِهِمْ إِيْقَادُ النَّارِ عَلَى رُؤُوسِ
 المَرْتَفَعَاتِ ؛ لِيُبْصِرَهَا السَّارِي فَيَقْصِدُهَا .

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧١/٤) .

وقال آخر^(١) :

[من الطويل]

أَيَادِي لَمْ تُمَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
وَلَا مُظْهِرِ الشُّكُورَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ
فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاحَتْ مَنِيَّتِي
فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْعِنَى عَنْ صَدِيقِهِ
رَأَى خَلْتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا

وقال آخر^(٢) :

[من البسيط]

وَأَنْهَا لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَبْدِ
وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدِيَّةً بِيَدِي

تَرَكْتُ ضَانِي تَوَدُّ الدِّئْبَ رَاعِيَهَا
الدِّئْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً

وقال العرنس^(٣) :

[من البسيط]

سُوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِي الْجَهْدِ أُدْرِكُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارِ
كَشَفْتَ أَذْمَارَ شَرِّ غَيْرِ أَشْرَارِ
وَلَا يُعَدُّ نَشَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مِثْلَ التُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ دَوُو كَرِمِ
إِنْ يُسَالُوا الْحَقَّ يُعْطَوْهُ وَإِنْ خُبِرُوا
وَإِنْ تَوَدَّدَتْهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهُمُوا
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْمَجْدُ مُتْلِدًا
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ

شُهُمُوا : بالبناء للمجهول من شَهَمَ كَمَنَعَ ؛ أَي : حَزَكَ لِلشَّرِّ وَأَفْرَعَ .

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٦٩/٤ - ٧٠) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٦٣/٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٢/٤) .

وقال آخر^(١) :

[من الطويل]

وَمَا فَوْقَ سُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ
وَلَكِنَّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

رَهْنَتْ يَدِي بِالْعَجْزِ عَن سُكْرِ بَرِّهِ
وَلَوْ كَانَ شَيْئاً يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ

وقال الحسين بن مطير الأسيدي^(٢) :

وَيَوْمَ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمُ
وَيَمْطُرُ يَوْمَ الْبَأْسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمُ
عَلَى النَّاسِ لَمْ يُضْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُجْرِمُ
عَلَى النَّاسِ لَمْ يُضْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُعْدِمُ

لَهُ يَوْمَ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُؤْسٌ
فَيَمْطُرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبَأْسِ خَلَّى عِقَابَهُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ خَلَّى يَمِينَهُ

وقالت ليلي الأخيلية^(٣) :

[من الكامل]

لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيماً
كَعَبِّ إِذَا لَوَجَدْتَهُ مَرْوُوماً
كَالْقَلْبِ أَلْبَسَ جُوجُؤاً وَحَزِيماً
لَا ظَالِماً أَبْداً وَلَا مَظْلُوماً
وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً
تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيماً

يَا أَيُّهَا السَّدِمُ الْمُلَوِّي رَأْسُهُ
أَتْرِيدُ عَمْرَو بْنَ الْخَلِيعِ وَدُونَهُ
إِنَّ الْخَلِيعَ وَرَهْطَهُ فِي عَامِرٍ
لَا تَغْرُوزَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ
وَمُخَرَّقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ
حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ

السَّدِمُ : النادم ، أو اللجوج ، أو هو مُستعارٌ مِنْ فحلِ الإبلِ الممنوعِ ناحيةً عنِ الدُّخُولِ فِي الإبلِ ، فهو يهدرُ وحدهُ ، والمُلَوِّي رَأْسُهُ : المُتَكَبِّرُ جهلاً ، والبريمُ : أصلُهُ : حبلٌ يُفْتَلُ مِنْ قَوِيٍّ مُختلفةِ الألوانِ ، مُستعارٌ للجيشِ مِنَ الأخلاطِ .

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٢/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٢/٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٦/٤ - ٧٧) .

وقالت - وقيل : هي لأبيها - (١) :

[من الكامل]

حَتَّى يَدَبَّ عَلَى الْعَصَا مَذْكُورًا
جَزَعًا وَتَعَلَّمْنَا الرِّفَاقَ بُحُورًا
مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ الصُّرَاخُ بُكُورًا

نَحْنُ الْأَخَايِلُ لَا يَزَالُ غَلَامُنَا
تَبْكِي السُّيُوفُ إِذَا فَقَدْنَا أَكْفَانَا
وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نِسَائِكُمْ
وقال آخر (٢) :

[من البسيط]

شَوْسُ الرِّجَالِ خُضُوعَ الْجُزْبِ لِلطَّالِي
لَا خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

إِذَا أُنْتَدَى وَأَحْتَبَى بِالسَّيْفِ دَانَ لَهُ
كَأَنَّمَا الطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ هَامِهِمْ
وقال العجيز السلولي (٣) :

[من الطويل]

مُنَاخُ الْمَطَايَا مِنْ مَنِي فَأَلْمَحَصَّبُ
تَمُرٌ وَسِهْوَاءٌ مِنَ اللَّيْلِ يَذْهَبُ
طَوِي الرُّبْنِ مَمْشُوقُ الدَّرَاعَيْنِ شَرْجَبُ
عَلَيْكَ وَمَنْزُورُ الرِّضَا حِينَ يَغْضَبُ
بِهِ الرُّكْبُ وَالتَّلْعَابَةُ الْمُتَحَبِّبُ

أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ وَهَنَا وَدُونَنَا
لَكَ الْخَيْرُ عَلَّلْنَا بِهَا عَلَّ سَاعَةٌ
فَقَامَ فَأَدْنَى مِنْ وَسَادِي وَسَادُهُ
بَعِيدٌ مِنَ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ اِحْتِفَاطُهُ
هُوَ الظَّفِيرُ الْمَيْمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

أول الشعر غزل ؛ فإنه أراد بضمير (ودوننا) نفسه وحبيبته ، والكناية
في قوله : (لك الخير عللنا بها) عن حبيبته ، وسهواء من الليل ، ويروى :
وتهواء بكسر التاء ؛ أي : جانب منه ، والشَّرْجَبُ : الطَّوِيلُ ، والاحتفاظُ :
الغضب ؛ أي : لا يغضب عليك غضب السفهاء من الشيء الذي لا خطر

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٧/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٣/٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٠/٤ - ٨١) .

لَهُ ، فَإِنْ جَاءَ مَوْضِعَ الْغَضَبِ . . فَهَوَ قَلِيلُ الرِّضَا ، فَبَقِيَةُ الشَّعْرِ مَدْحٌ لِصَاحِبِهِ
عَبْدِ اللَّهِ .

وقال حجر بن خالد يمدح النعمان بن المنذر^(١) :

سَمِعْتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْماً وَنَائِلاً
فَسَاقِ إِلَهِي الْغَيْثِ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ إِلَيْكَ فَأَضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلاً
فَأَصْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتَهُ مِنْ الْأَرْضِ مَسْفُوحِ الْأَمْدَانِ سَائِلاً
مَتَى تُنْعَ يُنْعَ الْجُودُ وَالْبَأْسُ وَالْتَقَى وَتُضْبِحَ قُلُوصُ الْحَرْبِ جَزْبَاءَ حَائِلاً
فَلَا مَلِكٌ مَا يُدْرِكُكَ سَعِيهِ وَلَا سُوقَةٌ مَا يَمْدَحُكَ بَاطِلاً

وقال آخر^(٢) :

وَمُسْتَنْبِحِ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ بِشَقْرَاءَ مِثْلِ الْفَجْرِ ذَاكَ وَقُودَهَا
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً بِمُوقِدِ نَارِ مُحَمَّدٍ مَنْ يَرُودَهَا
نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتِ ضَبَابَةٍ مِنْ الدُّهْمِ مِبْطَاناً طَوِيلاً رُكُودَهَا
فَإِنْ شِئْتَ أَتُونَاكَ فِي الْحَيِّ مُكْرَمًا وَإِنْ شِئْتَ بَلَّغْنَاكَ أَرْضاً تُرِيدَهَا

وقال آخر^(٣) :

وَمُسْتَنْبِحِ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهَوَ لِلْسَّمْعِ أَصُورُ
يُصَفِّقُهُ أَنْفٌ مِنَ الرِّيحِ بَارِدٌ وَنَكْبَاءَ لَيْلٍ مِنْ جُمَادَى وَصَرَصُرُ
حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ بَغِيضٌ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَلْبِ أَبْصُرُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٩/٤ - ٩٠) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٠/٤ - ٩١) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩١/٤ - ٩٣) .

وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضَاةُ النَّارِ يُبْصِرُ
فَأَسْرَى يَبُوعُ الْأَرْضَ وَالنَّارُ تَزْهَرُ
هَلُمَّ وَلِلصَّالِينَ بِالنَّارِ أَبْشِرُوا
إِلَيْهَا وَدَاعِي اللَّيْلِ بِالصُّبْحِ يَصْفِرُ
عَلَى أَهْلِهِ وَالْحَقُّ لَا يَتَأَخَّرُ
[بَهَازِرُهُ] وَالْمَوْتُ فِي السَّيْفِ يَنْظُرُ
بِلَاءً وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ
بِذِي نَفْسِهَا وَالسَّيْفُ عُرْيَانُ أَحْمَرُ
وَفُوهَا بِمَا فِي جَوْفِهَا يَتَغَرَّغُرُ

حَضَاتٌ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا
دَعْتُهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَى الْقَرَى
فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَبًا
فَجَاءَ وَمَحْمُودُ الْقَرَى يَسْتَفِرُّهُ
تَأَخَّرْتُ حَتَّى لَمْ تَكُذْ تَضْطَفِي الْقَرَى
وَقُمْتُ بِنَضْلِ السَّيْفِ وَالْبَرْكَ هَاجِدٌ
فَأَعْضَضْتُهُ الطُّوْلَى سَنَامًا وَخَيْرَهَا
فَأَوْفَضَنْ عَنْهَا وَهِيَ تَزْغُو حُشَّاشَةٌ
فَبَاتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لِحَامِهَا

مساقط الرأس: ميلاته، فهو مصدرٌ، إلى كلِّ شخصٍ؛ أي: شيءٍ قائمٍ يبرجوه إنساناً، والسمعُ: التسمعُ، وهو له أصورٌ؛ أي: مائلُ الرأسِ لأجلِهِ، وصَفَّقَهُ أنْفُ الرِّيحِ؛ أي: ضربهُ أوْلُهُ، وحضاً النارُ: أذكاها فرفعها، [والبهازرُ]: السِّمَانُ، الواحدُ [بهزرةٌ] أو [بهزورةٌ] أو [بهزازٌ]، وأوفضن عنها: تفرَّقن، والحشاشةُ: بقيةُ النفسِ، نُصِبَ تمييزاً، وعُريَانُ: غيرُ مصروفٍ ضرورةً.

[من الطويل]

لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
عَلَى الْحَسَبِ الزَّاكِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ
نَوَائِبِ بَعْثَى رُزُومِهَا وَحُقُوقُ

وقال عمرو بن الأَهم (١):
دَرِينِي فَإِنَّ الشُّعَّ يَا أُمَّ هَيْئِمِ
دَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي
دَرِينِي فَإِنِّي دُو فَعَالٍ تَهْمُنِي

(١) انظر «شرح ديوان الحماسة» (٩٤/٤).

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بِالْقَرَى
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا
وَلِلْحَقِّ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقٌ
وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرَّجَالِ تَضِيقُ
الصَّاحِبُ يَحْطُ رَحْلُهُ حَيْثُ يَحْطُ صَاحِبُهُ ، فَهُوَ مُوَافِقٌ غَيْرُ مُفَارِقٍ ، اسْتَعِيرَ
لِلْمُوَافِقَةِ .

وقال عروة بن الورد^(١) :

إِنِّي أَمْرُؤٌ عَافِي إِنْأَيِّ شِرْكَةٍ
أَتَهْرَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَى
بِوَجْهِهِ شُحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ
وَأَحْسُو قَرَّاحَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ
أَقْسِمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ
الْعُفَاةُ : طُلَّابُ الْمَعْرُوفِ .

وقال آخر^(٢) :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى
وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنَ الْفَتَى
وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْقُلُوبِ جَلِيلُ
عَشِيَّةَ يَفْرِي أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ
وقال آخر^(٣) :

أَيَا بِنَّةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكِ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
وَيَا بِنَّةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
أَخِياً طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي
أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَحَدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيّاً
أَخَافُ مَدَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيَمَةِ الْعَبْدِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٤ / ٤ - ٩٥) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٥ / ٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٠ / ٤ - ١٠١) .

وقال آخر^(١) :

[من الطويل]

وَلَيْسَ فَتَى الْفِثْيَانِ مَنْ جُلُّ هَمِّهِ
وَلَكِنْ فَتَى الْفِثْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

[من الكامل]

وقال حسان بن حنظلة الطائي^(٢) :

تِلْكَ ابْنَةُ الْعَدَوِيِّ قَالَتْ بَاطِلًا
إِنَّا لَعَمْرُؤُا بِبَيْتِكَ يَحْمَدُ ضَيْفُنَا
وَأَنَا أَمْرُؤُا مِنْ آلِ حَيَّةٍ مَنْصِبِي
وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيدَةَ جَاءَنِي
أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً
وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجُهَّالِ

[من الطويل]

وقال النمرئى ويقال : إنها لرجلٍ من باهلة^(٣) :

وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوءِ كَأَنَّمَا
فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتِ نَادَيْتُ نَحْوَهُ
فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثَقَبْتُ ضَوْءَهَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ كَبَّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَقُمْتُ إِلَى بَرَكِ هِجَانٍ أُعِدُّهُ
بِأَبْيَضٍ حَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠١/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٤ - ١٠٦) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١١/٤ - ١١٣) .

فَجَالَ قَلِيلًا وَأَتَقَانِي بِخَيْرِهِ
بَقَرَمِ هِجَانٍ مُضَعَبٍ كَانَ فَحَلُّهَا
طَوِيلِ الْقَرَى لَمْ يَعُدْ أَنْ شَقَّ بَازِلُهُ
فَحَرَ وَظَيْفُ الْقَرَمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ
وَذَاكَ عِقَالٌ لَا يُنَشِّطُ عَاقِلُهُ
كَذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَبِمِثْلِهِ

مثل هذا لكونه مدح المرء نفسه أفرده الناس بعدُ باسمِ الفخرِ ، فيقولون
في تمييزِ الشعرِ : قال يمدحُ ، وقال يفتخرُ .

وقال حاتم^(١) :

[من الطويل]

وَعَاذِلَةَ قَامَتْ عَلَيَّ تَلُومُنِي
أَعَاذِلُ إِنَّ الْجُودَ لَيْسَ بِمُهْلِكِي
كَأْتِي إِذَا أَعْطَيْتُ مَالِي أَضِيمُهَا
وَتُذَكِّرُ أَخْلَاقَ الْفَتَى وَعِظَامُهُ
وَلَا مُخْلِذِ النَّفْسِ الشَّحِيحَةَ لُؤْمُهَا
وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ
مُغَيَّبَةٌ فِي اللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُهَا
يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيمُهَا

وقال^(١) :

[من الطويل]

أَكُفُّ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ التِّمَاسُهَا
أَبِيْتُ هَضِيمِ الْكُشْحِ مُضْطَمِرِ الْحَشَا
مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى
وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدِّمِّ أَجْمَعَا
وَأَنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلُهُ

وقال جويئة بنُ النصر^(٢) :

[من البسيط]

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبْقَى دَرَاهِمُنَا
وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا حُرُقُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٧/٤ - ١١٨) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٦/٤) .

إِنَّا إِذَا أُجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا
 مَا يَأْلَفُ الدِّزْهَمُ الصَّيَاحُ صَرَّتْنَا
 ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
 لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
 حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلِ يُخَلِّدُهُ
 يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِتَاهُ يَنْمَزِقُ
 بابُ المدحِ أوسعُ أبوابِ الشعرِ .

وكفى هذا القدرُ من مدائحِ « الحماسة » .

[نبذة من أشعار الصفات من « ديوان الحماسة »]

ودونك مثال ما يُسمى من الشعرِ بالصفاتِ ؛ وذلك لأنه يذكرُ شيئاً فيأخذُ
 في متابعةِ أوصافِهِ .

[من الطويل]

قال البعيثُ الحنفيُّ يصفُ ناقَةَ^(١) :

وَهَاجِرَةٌ يَشْوِي مَهَاهَا سَمُومُهَا
 مَفْرَجَةٌ مَنْفُوجَةٌ حَضْرَمِيَّةٌ
 طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً وَأَشْتَوَيْتُهَا
 مُسَانِدَةً سِرًّا الْمَهَارِي أَنْتَقَيْتُهَا
 إِذَا عُدَّ مَجْدُ الْعَيْسِ قُدَمَ بَيْتُهَا
 فَأَعْطَيْتُ فِيهَا الْحُكْمَ حَتَّى حَوَيْتُهَا
 وَجَدْتُ أَبَاهَا رَائِضِيهَا وَأُمَّهَا

[من الطويل]

وقال عنترَةُ بنُ الأخرسِ يصفُ ثعباناً^(٢) :

لَعَلَّكَ تُمْنِي مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا
 تَرَاهُ بِأَجْوَازِ الْهَشِيمِ كَأَنَّمَا
 بِأَرْقَمِ يَسْقِي السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطِفِ
 عَلَى مَثْنِهِ أَخْلَاقُ بُزْدِ مُفَوِّفِ
 وَكَأَنَّ بَضَاحِي جِلْدِهِ وَسَرَاتِهِ
 وَمَجْمَعِ لَيْتِيهِ تَهَاوِيلُ زُخْرِفِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٠/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٠/٤ - ١٥١) .

كَأَنَّ مُثَنَّى نِسْعَةٍ تَحْتَ حَلْقِهِ بِمَا قَدْ طَوَى مِنْ جِلْدِهِ الْمُتَغَضِّفِ
إِذَا أَنْسَلَ الْحَيَّاتُ بِالصَّيْفِ لَمْ يَزَلْ يُشَاعِرُ بَاقِيَ جُلْبَةِ لَمْ تُقَرَّفِ

من استعمال جملة الرجاء في الدعاء : ما في صدر هذا الشعر ، دعا عليه بأن يُقدَّرَ له ويُصابَ بأرقم أو برحل يشبه ثعباناً هذه صفته ، وتغضف الجلد : تثنيه ، واستعار الأنسال الذي هو سقوط ريش الطائر لسلخ الحية ؛ فإنه يُقال : سلخت الحية ؛ إذا خلعت ثوبها ، وأنسل الطائر ؛ إذا سقط ريشه ، ويشاعرُ : من لبس الشعر ؛ وهو الثوب الذي يلي البدن ، وأراد بالجلبة : ثوبه ، ولم يقرف : ولم ينقشز ، يصفه بصلاية جلده .

وقال ملحمة الجرمي يصف سحاباً^(١) : [من الطويل]

أَرَفْتُ وَطَالَ اللَّيْلُ لِلْبَارِقِ الْوَمُضِ حَبِيئاً سَرَى مُجْتَابِ أَرْضِ إِلَى أَرْضِ
نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ كُدْرِي مُزْنِهِ يُقْضِي بِجَدْبِ الْأَرْضِ مَا لَمْ يَكْذُ يُقْضِي
تَحَنُّنٌ بِأَجْوَازِ الْفَلَاقِ طُرَاتُهُ كَمَا حَنَّ نَيْبٌ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ
كَأَنَّ الشَّمَارِيخَ الْعُلَا مِنْ صَبِيرِهِ شَمَارِيخُ مِنْ لُبْنَانَ بِالطُّولِ وَالْعَرْضِ
يُبَارِي الرِّيَّاحَ الْحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنُهُ بِمُنْهَمِرِ الْأُرُوقِ ذِي قَزَعِ رَفْضِ
يُغَادِرُ مَحْضَ الْمَاءِ ذُوهُ مَحْضُهُ عَلَى إِثْرِهِ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ
يُرَوِّي الْعُرُوقَ الْهَامِدَاتِ مِنَ الْبَلَى مِنَ الْعَرْفَجِ النَّجْدِيِّ ذُو بَادٍ وَالْحَمْضِ
وَبَاتَ الْحَبِيئِيُّ الْجَوْنُ يَنْهَضُ مُقَدِّمًا كَنَهْضِ الْمُدَانِيِّ قَيْدُهُ الْمُوعِثِ النَّقْضِ

البارق : ذو البرق ؛ وهو عامل الحال من قوله : (حبيئاً) ، واجتأب الأرض وجابها : قطعها بالسير ، ونشأوى من الإدلاج : مُستعارٌ لقطع السحاب

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٢/٤ - ١٥٣) .

المتمايلة لثقلها بكثرة مائها ، والكدرى : أصله من صفة القطا ، استعاره
لما في لونه كدرة من المزن ، الصبير : السحاب الأبيض ، والحبي الجون :
السحاب الأسود أو الأبيض الذي يشبه سيره لثقله حبو الصبي ، ولذلك ينهض
كما ينهض البعير المقارب قيده ، الذي يسير في الوعاء ؛ وهو الرمل الذي
تسوخ فيه الأقدام ، النقض : الهزيل الضعيف .

هذا ما أورد أبو تمام في باب الصفات من « الحماسة » ، وهذا النوع
كثير ، يقولون في تمييزه من دواوين الشعر : (قال يصف كذا) إن كان
الكلام مسوقاً للصفة ، (وقال ووصف في هكذا كالأسد والذئب)
إن كانت القصيدة في نوع من أنواع المعاني ، واستطرد فيها بصفة
ما وصف .

[نبذة مما قيل في السير والنعاس من « ديوان الحماسة »]

ثم عَقَبَهُ بذكر بعض ما قيل في السير والنعاس ، قال
بعضهم ^(١) :

عَلَى أَسْيَافِنَا وَعَلَى الْقِسِيِّ	وَفَثِيَانٍ بَنَيْتَ لَهُمْ رِدَائِي
مَطَايَاهُمْ ضَوَارِبَ بِاللِّحِيِّ	فَظَلُّوا لِأَيْدِيَنِي بِهِ وَظَلَّتْ
وَهَنَّا نِصْفُهُ قَسَمَ السَّوِيِّ	فَلَمَّا صَارَ نِصْفُ اللَّيْلِ هَنَّا
بِلَبِّيهِ أَشَمَّ شَمَزْدَلِي	دَعَوْتُ فَتَى أَجَابَ فَتَى دَعَاهُ
يَقُوتُ الْعَيْنَ مِنْ نَوْمِ شَهِي	فَقَامَ بُصَارِعُ الْبُرْدَيْنِ لَدْنَا
كَأَنَّ عِيُونَهَا نُزْحُ الرِّكِيِّ	فَقَامُوا يَزْحَلُونَ مَنَفَّهَاتِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٤/٤ - ١٥٥) .

وقال حُنْدُجُ بْنُ حُنْدُجِ الْمُرِّيِّ^(١) :

[من البسيط]

فِي لَيْلٍ صَوْلٍ تَنَاهَى الْعَرْضُ وَالطُّورُ
لَا فَارِقَ الصُّبْحِ كَفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ
لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صَوْلٍ تَمَلَّمُهُ
مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخَايِلُهُ
لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ
نُجُومُهُ رُكَّدٌ لَيْسَتْ بِرَائِلَةٍ
مَا أَقْدَرَ اللَّهُ أَنْ يُذْنِي عَلَى شَحِطٍ
اللَّهُ يَطْوِي بِسَاطِ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا

كَأَنَّمَا لَيْلُهُ بِاللَّيْلِ مَوْصُولُ
وَإِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ
كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِالسَّوِطِ مَقْتُولُ
وَاللَّيْلُ قَدْ مُزِقَتْ عَنْهُ السَّرَابِيلُ
كَأَنَّهُ فَوْقَ مَثْنِ الْأَرْضِ مَشْكُولُ
كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الْجَوِّ الْقَنَادِيلُ
مَنْ دَاوَهُ الْحَزْنُ مِمَّنْ دَاوَهُ صَوْلُ
حَتَّى يُرَى الرَّبْعُ مِنْهُ وَهُوَ مَأْهُولُ

وقال حميدُ الأرقطُ ووصفَ فيها الصَّقَرَ عندما جاءَ به التشبيهُ وتلكَ عادتُهُم

واقْتَدَى بِهِمُ الشُّعْرَاءُ^(٢) :

[من مشطور الرجز]

قَدْ أَغْتَدِي وَالصُّبْحُ مُحَمَّرُ الطُّرُرُ
وَاللَّيْلُ يَحْدُوهُ تَبَاشِيرُ السَّحَرُ
وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَالشَّرُرُ
بِسُحْقِ الْمَيْعَةِ مَيَّالِ الْعُذُرُ
كَأَنَّهُ يَوْمَ الرَّهَانِ الْمُحْتَضُرُ
وَقَدْ بَدَا أَوَّلَ شَخْصٍ يُنْتَظَرُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٠/٤ - ١٦١) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦١/٤ - ١٦٢) .

دُونَ أَثَابِيٍّ مِنْ أَلْحَيْلِ زُمِرَ
 ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِئْبَانَ الْمَطَرِ
 عَنْ زِفِّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ الْمُنْكَدَرِ
 أَفْنَى تَظَلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَذَرِ
 يَلْدَنَ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ الشَّجَرِ
 مِنْ صَادِقِ الْوَدْقِ طَرُوحٍ بِالْبَصْرِ
 بَعِيدِ تَوْهِيمِ الْوَقَاعِ وَالنَّظَرِ
 كَأَنَّهَا عَيْنَاهُ فِي حَرْفِي حَجَرِ
 بَيْنَ مَاقٍ لَمْ تُخَرِّقْ بِالْإِبْرِ

طَرَّرُ الشَّيْءَ : حَافَاتُهُ ، وَسَحَقُ الْمِيعَةَ ؛ أَي : بَعِيدُ النَّشَاطِ ، فَهَوَ لَا يَفْنَى
 عَنْ قَرَبٍ ، وَيُرَوَّى : مَشَعَلُ الْمِيعَةَ ؛ أَي : مَلْتَهَبُهَا ، وَالْعَذْرُ : خِصْلُ الشَّعْرِ
 فِي نَوَاحِي الرَّأْسِ ، وَالْأَثَابِيُّ : الْجَمَاعَاتُ ، لَا وَاحِدَ لَهُ ، وَقِيلَ : هُوَ جَمْعُ
 أَثْبِيَّةٍ ؛ كَأَمْنِيَّةٍ ، وَالضَّارِيُّ : الْجَرِيُّ ، وَصِئْبَانُ الْمَطَرِ - بَفَتْحِ الصَّادِ - :
 صَائِبُهُ ، أَوْ هُوَ صِئْبَانٌ - بِكسْرِ الصَّادِ وَالْهَمْزِ بَعْدَهَا - : جَمْعُ صُؤَابٍ ، عَلَى
 التَّشْبِيهِ ، وَالْمُنْكَدَرُ : الْمَهْوِيُّ ، وَمِنْ صَادِقِ الْوَدْقِ ؛ أَي : صَادِقِ الْهُبُوطِ ،
 بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ : (مِنْهُ) ، وَبَعِيدُ تَوْهِيمِ الْوَقَاعِ وَالنَّظَرِ ؛ أَي : هُوَ لَا يَلْحَقُهُ
 وَهْمٌ فِي نَظَرِهِ وَلَا وَقُوعِهِ ، وَقَوْلُهُ : (لَمْ تُخَرِّقْ بِالْإِبْرِ) أَي : هُوَ عَلَى
 وَحْشِيَّتِهِ لَمْ يَأْخُذْهُ النَّاسُ ، وَالصَّقْرُ إِذَا أُخِذَ . . حِيصَتْ عَيْنَاهُ ؛ أَي : خِيَطَتَا
 لِيَأْنَسَ .

انتهى ما اخترت إثباته من هذا الباب .

[ذُكِرَ طَرَفٌ مِنْ بَابِ الْمَلْحِ مِنْ « دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ »]

وَهَاكَ طَرَفًا مِنْ بَابِ الْمَلْحِ ، وَأَرَادَ أَبُو تَمَامٍ بِالْمَلْحِ : الْأَشْعَارَ الْهَزْلِيَّةَ الْمُسْتَطَرَفَةَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ ^(١) :

[مِنْ الْوَاوِفِرِ]

تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمِرَاسُ
وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّأْسِ رَاسُ

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغَيْرِ جُرْمٍ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ

وَقَالَتِ امْرَأَةٌ ^(٢) :

[مِنْ الْمُتْقَارِبِ]

وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَقْوَالِيهِ
وَتُمَسِّي لِصُحْبَتِهِ قَالِيهِ
وَلَا فِي غُضُونِ أَسْتِهِ الْبَالِيهِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيهِ
فِيَا لِكَ مِنْ نَكْحَةٍ غَالِيهِ
سِ أَعْيَا عَلَى الْمِسْكِ وَالْغَالِيهِ

فَقَدْتُ الشُّيُوخَ وَأَشْيَاعَهُمْ
تَرَى زَوْجَةَ الشَّيْخِ مَغْمُومَةً
فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي عَزْدِهِ
وَإِنَّ دِمَشْقَ وَفَثِيَانَهَا
نَكَحْتُ الْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي
لَهُ ذَفْرٌ كَصُنَانِ الثُّيُؤِ

[مِنْ الْبَسِيطِ]

وَقَالَ أَبُو الْخَنْدَقِ الْأَسَدِيُّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِدِعْبِلٍ ^(٣) :

إِلَى مُضَاجَعَةٍ كَالذَّلِكِ بِالْمَسَدِ
مِمَّا لَمَسْتُ يَدِي إِلَّا عَلَى وَتِدِ
جَنْبِ الصَّجِيعِ فَيُضْحَى وَاهِي الْجَسَدِ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلٍ يُقَرِّبُنِي
لَقَدْ لَمَسْتُ مُعْرَاهَا فَمَا وَقَعَتْ
فِي كُلِّ عَضْوٍ لَهَا قَرْنٌ تَصُكُّ بِهِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٢/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٣/٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٤/٤) .

وقال عمرُ بنُ أبي ربيعة^(١) :

[من الخفيف]

خَبَّرُوها بِأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ
ثُمَّ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلَا أُخْرَى
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا
مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي
مِنْ حَدِيثٍ نَمَّا إِلَيَّ فَطِيعٌ
وقال آخرُ^(٢) :

كُتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الْغَيْظَ سِرًّا
جَزَعًا لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلْسِرِّ سِتْرًا
وَعِظَامِي كَأَنَّ فِيهِنَّ فَتْرًا
خِلْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَلْطِيفِهِ جَمْرًا

[من الطويل]

جَزَى اللَّهُ عَنَّا ذَاتَ بَعْلِ تَصَدَّقَتْ
فِيئًا سَنَجْزِيهَا بِمَا فَعَلَتْ بِنَا
أَفِيضُوا عَلَيَّ عَزَابِكُمْ بِنِسَائِكُمْ
وقال آخرُ^(٣) :

عَلَى عَزَبٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَهْلُ
إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ
فَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ يَحْرَمَ الْفَضْلُ

[من مشطور الرجز]

وَفَيْشَةَ زَيْنٍ وَلَيْسَتْ فَاضِحَةَ
نَابِلَةَ طَوْرًا وَطَوْرًا رَامِحَةَ
عَلَى الْعَدُوِّ وَالصَّديقِ جَامِحَةَ
مَنْ لَقِيَتْ فَهِيَ لَهُ مُصَافِحَةَ
تَسُدُّ فَرْجَ الْقَحْبَةِ الْمُسَافِحَةَ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٤/٤ - ١٦٥) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٥/٤) ، وفيه : أنه أنشد هذه الأبيات على مئذنة وسط الحي ، فعدا الناس إليه ، فطرحوه من المنارة ، فهلك .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٧/٤) .

مُفْسِدَةٌ لِابْنِ الْعَجُوزِ الصَّالِحَةِ
كَأَنَّهَا صَنَجَةٌ أَلْفِ رَاجِحَةٍ

[من السريع]

وقال آخر^(١) :

قَدْ مُلِئْتُ مِنْ خُرْقٍ وَطَيْشٍ
مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ الْعَيْشِ

وَفَيْشَةٍ لَيْسَتْ كَهَلْذِي الْفَيْشِ
إِذَا بَدَتْ قُلْتُ أَمِيرُ الْجَيْشِ

[من الطويل]

وقال آخر^(٢) :

وَلَا أَتْرُكُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَيَّ قَلْبِي
تُقَلِّبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبِ

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَنْمُهَا
وَإِنَّ قَلِيلَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً

وأفرد أبو تمام مذبذبة النساء بباب جعله عاشر الأبواب ، فمنه :

[من الطويل]

قال بعضهم^(٣) :

تَمُرُّ بِعُودِي نَعِشَهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ
بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ

دِمَشْقُ خُذِيهَا وَأَعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةَ
أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أُزْعِكِ بِضْرَةَ

[من الطويل]

وقال آخر^(٣) :

وَبَيْنَكَ فِيهَا وَابِلًا سَائِلَ الْقَطْرِ
مَلَكْنَاكَ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

سَقَى اللَّهُ دَارًا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَلَا ذَكَرَ الرَّحْمَنُ يَوْمًا وَلَيْلَةَ

[من مجزوء الكامل]

وقال آخر في امرأة طلقها^(٤) :

وَعَتَّقْتُ مِنْ رِقِّ الْوَثَاقِ

رَحَلْتُ أَنْيْسَةَ بِالطَّلَاقِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٧/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٧/٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٦/٤ - ١٧٧) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٧/٤ - ١٧٨) .

قَلْبِي وَلَمْ تَبِكِ أَلْمَاقِي
هُ النَّفْسُ تَعْجِيلُ الْفِرَاقِ
لَأَرْحُتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ
بُدْحَلِيلَةً حَتَّى التَّلَاقِي

[من البسيط]

وَأَلْمِخُ مِنْهَا مَكَانَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
أَقْصِرُ فِرَاسُ الَّذِي قَدْ عَبِتَ لِلْحَجْرِ

[من البسيط]

وَأَخْلَعُ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمَعِنًا هَرَبًا
فَإِنَّ أَمَثَلَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا

[من البسيط]

فَنَوَاءُ بِالْعَرْضِ وَالْعَيْنَانِ بِالطُّوْلِ
كَأَنَّ مِشْفَرَهَا قَدْ طُرَّ مِنْ فِيلِ
مُظَهَّرَاتٍ جَمِيعاً بِالرَّوَاوِيلِ

بَانَتَ فَلَمْ يَأْلَمْ لَهَا
وَدَوَاءُ مَا لَا تَشْتَهِي
لَوْ لَمْ أُرْخِ بِفِرَاقِهَا
وَخَصَيْتُ نَفْسِي لَا أُرِي

وَقَالَ آخِرُ^(١) :

تَمَّتْ عُبَيْدَةٌ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِهَا
قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَنِقٍ

وَقَالَ آخِرُ^(٢) :

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزًا إِنْ أَتَيْتَ بِهَا
وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفْتُ

وَقَالَ آخِرُ^(٣) :

رَقِطَاءُ حَذْبَاءُ يُبْدِي الْكَيْدَ مَضْحَكُهَا^(٤)
لَهَا فَمِ مُلْتَقَى شِدْقِيهِ نَقَرْتُهَا
[أَسْنَانُهَا] أَضَعَفْتُ فِي خَلْقِهَا عَدَدًا

الرَّوَاوِيلُ كَطَاوُوسٍ : السِّنَّةُ الزَّائِدَةُ تَنْبَتْ خَلْفَ الْأَصْلِيَّةِ .



(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٨/٤) .

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨٠/٤) .

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨٠/٤) .

(٤) في « شرح ديوان الحماسة » : (الكَيْدُ) .

وقال آخر^(١) :

[من الطويل]

أَلَامٌ عَلَى بُغْضِي لِمَا بَيْنَ حَيَّةٍ
تُحَاكِي نَعِيمًا زَالَ فِي [قُبْحِ] وَجْهِهَا
هِيَ الضَّرْبَانُ فِي الْمَفَاصِلِ خَالِيًا
إِذَا سَفَرْتَ كَأَنَّ لِعَيْنِكَ سُخْنَةً
وَإِنْ حَدَّثْتَ كَأَنَّ جَمِيعَ مَصَائِبِ
حَدِيثِ كَقَلْعِ الضَّرْسِ أَوْ نَتْفِ شَارِبِ
وَتَفْتَرُّ عَن قَلْحِ عَدِمْتُ حَدِيثَهَا

وأشد أبو عبيدة لأبي الغطمش الحنفي^(٢) :

[من المتقارب]


مُنِيْتُ بِزَنْمَرْدَةٍ كَالْعَصَا
تُحِبُّ النِّسَاءَ وَتَأْبَى الرِّجَالَ
لَهَا وَجْهُ قِرْدٍ إِذَا أَرِيْنَتْ
وَتَذِي يَجُولُ عَلَى نَحْرِهَا
لَهَا رَكْبٌ مِثْلُ ظَلْفِ الْغَزَالِ
وَفِخْذَانِ بَيْنَهُمَا تَمَنَّفُ
وَسَاقٌ مُخْلَخَلُهَا حَمَشَةٌ
كَأَنَّ [الثَّالِيلِ] فِي وَجْهِهَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » : (١٨١/٤ - ١٨٢) .

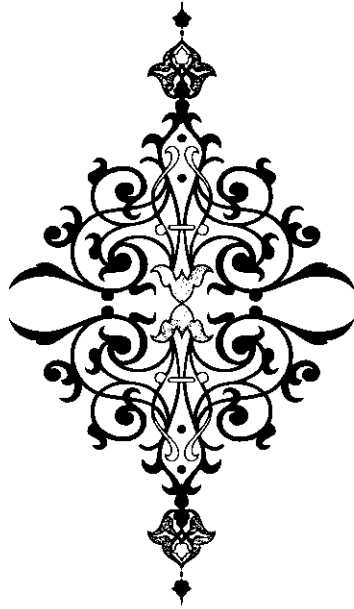
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨٤/٤) .

لَهَا جُمَّةٌ فَوْقَهَا جِثْلَةٌ كَمِثْلِ الْخَوَافِي مِنَ الْمُرْعَشِ
الزمردةُ : المرأةُ المُتَشَبِّهُةُ بِالرَّجَالِ ، أَصْلُهَا فَارْسِيَّةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ :
زَن ؛ وَهِيَ الْمَرْأَةُ ، وَمَرْدٌ ؛ وَهُوَ الرَّجُلُ ، وَكَنْدَشُ : قَيْلٌ : هُوَ لَصٌّ مَشْهُورٌ ،
وَقَيْلٌ : هُوَ الْعَقْعَقُ أَوْ الْفَأْرَةُ ؛ لِكُونِهِمَا يُوصَفَانِ بِالسَّرْقَةِ ، وَالرَّكْبُ : مِنْبْتُ
العانةِ .





فنّ القريض



[قرض الشعر]

ذلك ؛ وحيث كانت العزيمة على أن أورد هنالك طرفاً من جيد الشعر في بعض طوَالِ قصائد لفحول من الشعراء . . . تَعَيَّنَ كما اقتضاه الحال أن أُقَدِّمَ تعريفك بما يُسميه أهل الأدب : فنَّ القريض ، وسمَّاهُ قدامةً قبلُ : نقد الشعر ؛ لتعرف ما المراد بجيد الشعر ورديته ، فتكون على بصيرة من ذلك . قرأت لأبي هلال العسكري كتابه المشهور بـ « الصناعتين » ، فوجدته رتبه عشرة أبواب :

الباب الأول : في تعريف البلاغة .

الباب الثاني : في تمييز جيد الكلام من رديته .

الباب الثالث : في معرفة صنعة الكلام .

الباب الرابع : في البيان عن حسن السبك وجودة الرصف .

الباب الخامس : في ذكر الإيجاز والإطناب .

الباب السادس : في حسن الأخذ وقبحه وجودته وردائه .

الباب السابع : في القول في التشبيه .

الباب الثامن : في ذكر السجع والازدواج .

الباب التاسع : في شرح البديع .

الباب العاشر : في ذكر مقاطع الكلام ومباده ، والقول في الإساءة في ذلك والإحسان .

وهأنذا ملخص لك منه ما تقع الكفاية به في ذلك الغرض .



[البلاغة]

أما البلاغة ، والإيجازُ وما يقابلُهُ ، والبديعُ ، وفي ضمنهِ القولُ في المبادئِ والمقاطعِ . . فقد تقدّمتُ ، ولكنْ أزيدُكَ نورَ بصيرةٍ بما أُثبتُ لك مِنْ أشياءَ نقلها أبو هلالٍ في هذه الأبوابِ ، قالَ في بابِ البلاغةِ بعدَ أن تكلمَ عليها وعلى الفصاحةِ بكلامٍ ما سلفَ لك صدرَ المعاني أحسنُ منه وأضبطُ^(١) :

[حدُّ البلاغةِ عندَ ابنِ المقفّعِ]

قد جاءَ عنِ الحُكَماءِ والعُلَماءِ في البلاغةِ أقوالٌ أنا ذاكُرُها ومُفسِّرُها ، قالَ إسحاقُ بنُ حسانَ : لم يُفسِّرَ أحدٌ البلاغةَ تفسيراً ابنِ المقفّعِ إذ قالَ : البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرةٍ ، منها ما يكونُ في السُّكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ شعراً ، ومنها ما يكونُ سجعاً ، ومنها ما يكونُ خطباً ، وربّما كانتَ رسائلٌ ، بعامةٍ ما يكونُ مِنْ هذه الأبوابِ . . فالوحيُّ فيها والإشارةُ إلى المعنى أبلغُ ، والإيجازُ هو البلاغةُ .

فقولهُ : (منها ما يكونُ في السُّكوتِ) فالسُّكوتُ يُسمّى بلاغةً مجازاً ؛ وهو في حالةٍ لا ينجعُ فيها القولُ ، ولا تنفعُ إقامةُ الحججِ ؛ إمّا عندَ جاهلٍ لا يفهمُ الخطابَ ، أو عندَ ضييعٍ لا يرهبُ الجوابَ ، أو ظالمٍ سليطٍ يحكمُ بالهوى ، ولا يرتدعُ بكلمةِ التقوى ، وإذا كانَ الكلامُ يعرئُ مِنَ الخيرِ ، أو يجلِبُ الشرَّ . . فالسُّكوتُ أولى ، كما قالَ أبو العتاهية^(٢) : [من مخلص البسيط]
مَا كُلُّ نَطْقٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابٌ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠) .

(٢) انظر « لباب الآداب » (ص ٢٧٦) .

وقال معاوية لابن أوس: ابغني مُحدِّثاً ، قال : أَوْحْتاجُ معي إلى مُحدِّثٍ !؟
قال : أستريحُ منك إليه ، ومنهُ إليك ، وربّما كان صمتك في حالٍ أوفقٍ مِنْ
كلامك .

ولهُ وجهٌ آخرٌ ؛ وهو في كلامهم^(١) : كلُّ صامتٍ ناطقٌ مِنْ جهةِ الدلالةِ ؛
وذلك أن دلائل الصنعة في جميع الأشياء واضحة ، والموعظة فيها قائمة .
وقد قال الرقاشي : سل الأرض : مَنْ شقَّ أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى
ثمارك ، فإن لم تجبك حواراً . . أجايبك اعتباراً .

ولمّا مات الإسكندر . . وقف عليه بعض اليونانية فقال : قد طالما وعظنا
هذا الشخص بكلامه ، وهو اليوم الساكت الواعظ بسكوته ، وحقاً إنهُ في
يومه هذا أوعظ ، فنظم هذا الكلام أبو العتاهية في قوله^(٢) : [من الوافر]
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَأَبْلَغُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْمِعُ بِحَمْدِهِ
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْمِيعَهُ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾^(٤) ؛ معناه : يدلُّ على الله بصنعتِهِ وكأنَّهُ يسجدُ وإن لم
يسجدُ ولم يقرَّ بذلك ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَابِلِ ﴾^(٥) .

وقوله : (وربّما كانت رسائل بعامة ما يكون مِنْ هذه الأبواب) معناه :
وربّما كانت كلاماً مُشتملاً على الشعرِ والسَّجعِ والخُطبةِ ، فالباءُ فيه

(١) في « الصناعتين » : (وهو قولهم) بدل (وهو في كلامهم) .

(٢) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٤٤٢) .

(٣) سورة الإسراء : (٤٤) .

(٤) سورة النحل : (٤٩) .

(٥) سورة الرعد : (١٥) .

للملابسة ، ثم أفردَ الوحيَ والإشارةَ والإيجازَ بالثناءِ ؛ لظهورِ بداعتِها وحسنِ موقعِها مِنَ النفوسِ .

وحاصلُ كلامِ ابنِ المُقفِّعِ : إنَّ لكلِّ شيءٍ موضعاً يكونُ وضعُ غيره فيه إساءةً .

[حدُّ البلاغةِ عندَ حكيمِ الهنديِّ]

وقالَ حكيمُ الهنديِّ^(١) : أوَّلُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ؛ وذلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأشِ ، ساكنَ الجوارحِ ، مُتخَيِّرَ اللَّفْظِ ، لا يُكَلِّمُ سيدَ الأُمَّةِ [بكلامِ الأُمَّةِ] ، ولا الملوِكَ بكلامِ السُّوقَةِ ، ويكونُ في قِوَاهُ التصرُّفُ في كلِّ طبقةٍ ، ولا يُدَقِّقُ المعانيَ كلَّ التدقيقِ ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ، ويُصَفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهَيِّئُها كلَّ التهذيبِ ، ولا يفعلُ ذلكَ حتى يصادفَ حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومنَ تَعَوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ، وإسقاطَ مشتركِ الألفاظِ ، [ونظرَ] في صناعةِ المَنطِقِ على جهةِ الصِّياغةِ والمبالغةِ فيها ، لا على جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها .

قالَ : واعلمْ : أنَّ حقَّ المعنى أن يكونَ الاسمُ له طبقاً ، وتلكَ الحالُ له وَفْقاً ، ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ، ولا مُقَصِّراً ، [ولا] مشتركاً ، ولا مُضْمَناً ، ويكونُ تَصَفُّحُهُ لمصادرِ كلامِهِ بقَدْرِ تَصَفُّحِهِ لموارِدِهِ ، ويكونُ لفظُهُ مونقاً ، ومعناهُ : نبيراً واضحاً ، ومدارُ الأمرِ : على إفهامِ كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتِهِم ، والحملِ عليهم على قَدْرِ منازلِهِم ، وأن تواتيَهُ آلتُهُ ، وتَتَصَرَّفَ مَعَهُ أداتُهُ ، ويكونُ في التُّهْمَةِ لِنَفْسِهِ معتدلاً ، وفي حسنِ الظنِّ بها مقتصداً ، فإنَّهُ إن تَجَاوَزَ الحقَّ في مقدارِ حسنِ الظنِّ . . أودعَها تهاونَ الأُميينَ ، وإن تَجَاوَزَ بها مقدارَ الحقِّ في التُّهْمَةِ . . ظلَمَها وأودعَها ذلَّ المظلومينَ .

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٥) .

فقوله: (أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلهِ البلاغةِ) أي : أوَّلُ آلاَتِ البلاغةِ جودةُ القريحةِ ، وطلاقةُ اللسانِ ، وذلكَ مِنْ فعلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، لا يَقْدِرُ العبدُ على اكتسابِهِ لنفسِهِ واجتلابِهِ لها ، وَمِنَ الناسِ مَنْ إذا خلا بنفسِهِ وأعملَ فكرَهُ .. أتى بالبيانِ العجيبِ ، والتبيينِ البديعِ المصيبِ ، واستخرجَ المعنى الرائعَ ، وجاءَ باللفظِ الرائعِ ، وإذا حاورَ أو ناظرَ .. قَصَرَ وتأخَّرَ ؛ فحقُّ هذا [الأ] يتعرَّضُ لارتجالِ الخطبِ ، ولا يجاري أصحابَ البدهةِ في ميدانِ القريضِ ، ويكتفي بنتائجِ فكرِهِ .

والناس في صناعةِ الكلامِ على طبقاتٍ :

منهُم مَنْ إذا حاورَ وناظرَ .. أبلغَ وأجادَ ، وإذا كتبَ وأملَى .. أخلَّ وتخلَّفَ .

ومنهُم مَنْ إذا أملَى .. برَّزَ ، وإذا حاورَ أو كتبَ .. قَصَرَ .

ومنهُم مَنْ إذا كتبَ .. أحسنَ ، وإذا حاورَ وأملَى .. أساءَ .

ومنهُم مَنْ يُحسِنُ في جميعِ هذهِ الحالاتِ ، ومنهُم مَنْ يسيءُ فيها كُلِّها .

فأحسنُ حالاتِ المسيءِ الإمساكُ ، وأحسنُ حالاتِ المحسنِ التوسطُ ؛

فإنَّ الإكثارَ يورثُ الإملالَ ، وقَلَمًا ينجو صاحِبُهُ مِنَ الزلِ ، والعيبِ والخطلِ .

وليسَ ينبغي للمُحسِنِ في أحدِ هذهِ الفنونِ ، المسيءِ في غيرها .. أن

يتجاوزَ ما هو مُحسِنٌ فيه إلى ما هو مسيءٌ فيه ، فإنَّ اضطُرَّ في بعضِ الأحوالِ

إلى تجاوزه .. فخيرٌ سبيلُهُ قصدُ الاختصارِ ، وتجنُّبُ الإكثارِ والإهذارِ ؛ ليقلَّ

السقطُ في كلامِهِ ، ولا يكثرَ العيبُ في منطِقِهِ .

وقيلَ لابنِ المُقفِّعِ ^(١) : لِمَ لا تطيلُ القصائدَ ؟ قالَ : لو أطلتُها .. عُرِفَ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٧) .

صاحبُها ؛ يريدُ : أنَّ المُحدَثَ يَتَشَبَّهُ بِالْقَدِيمِ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ ، فَإِذَا طَالَ .. أَخْلَّ ، فَعُرِفَ أَنَّهُ كَلَامٌ مُوَلَّدٌ ، عَلَى أَنَّ السَّابِقَ فِي مِيَادِينِ الْبَلَاغَةِ إِذَا أَكْثَرَ .. أَسْقَطَ ، فَكَيْفَ الْمُقْصِرُ عَنْ غَايَتِهَا ، وَالْمُتَخَلِّفُ عَنْ أَمْدِهَا !؟

وَمِنْ تَمَامِ آلَةِ الْبَلَاغَةِ : التَّوَسُّعُ فِي مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَوَجْهُ الاسْتِعْمَالِ لَهَا ، وَالْعِلْمُ بِفَاخِرِ الْأَلْفَاظِ وَسَاقِطِهَا ، وَجِيْدِهَا وَرَدِيئِهَا ، وَمَعْرِفَةُ الْمَقَامَاتِ وَمَا يَصْلُحُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنَ الْكَلَامِ .

وَقَوْلُهُ : (وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجَاشِ ، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ) هَذَا لِأَنَّ الْحَيْرَةَ وَالذَّهْشَ يُورِثَانِ الْحُبْسَةَ وَالْحَصْرَ ، وَهَمَا سَبَبَا الْإِرْتَاكِجِ وَالْإِخْبَالِ ، وَقَدْ بَلَغَكَ مَا أَصَابَ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّذِينَ كَانَا قَبْلِي كَانَا يُعِدِّانِ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَائِلٍ ، وَسَاتِيكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا ، ثُمَّ نَزَلَ .

وَصَعِدَ بَعْضُ الْعَرَبِ مِنْبِرًا بِخِرَاسَانَ ، فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

لِئِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ أَلْوَعِي لَخَطِيبُ
وَنَزَلَ (١) .

وَمِنْ حَسَنِ الْاعْتِدَارِ عِنْدَ الْإِرْتَاكِجِ : مَا رُوِيَ : أَنَّ دَاوُودَ بْنَ عَلِيٍّ خَطَبَ ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَالَ : أَمَّا بَعْدُ .. امْتَنَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ يَجِدُ الْمَعْسَرُ ، وَيَعْسَرُ الْوَاجِدُ ، وَيُقَلُّ الْحَدِيدُ ، وَيَقْطَعُ الْكَلِيلُ ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ بَعْدَ الْإِفْحَامِ كَالْإِشْرَاقِ بَعْدَ الْإِظْلَامِ ، وَقَدْ يَعْزُبُ الْبَيَانُ ، وَيَعْتَقِمُ الصَّوَابُ ، وَإِنَّمَا [اللِّسَانُ]

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٨) .

بضعةً مِنَ الإنسانِ ، يفتُرُ بفتورِهِ إذا نكلَ ، ويثوبُ بانبساطِهِ إذا ارتجلَ ،
ألا وإنا لا ننتقُ بطراً ، ولا نسكُ حَصَراً ، بل نسكُ معتبرينَ ، وننتقُ
مرشدينَ ، ونحنُ بعدُ أمراءُ الكلامِ ، فينا وشجتُ أعرافُهُ ، وعلينا عطفُ
أغصانُهُ ، ولنا تهذلتُ ثمرتُهُ ، فنتخيّرُ منه ما احلولي وَعَذَبَ ، ونطرُحُ منه ما
املولحَ وَخَبِثَ ، وَمِنْ بعدِ مَقامِنَا مَقامُ ، وبعدَ يومِنَا أيامُ ، يُعَرَفُ فيها فضلُ
البيانِ ، وفصلُ الخطابِ ، واللَّهُ أَفضلُ مُستعانٍ ، ثمَّ نزلَ (١) .

وعلامَةُ سكونِ نفسِ الخطيبِ ورباطةِ جأشِهِ : هدوءُهُ في كلامِهِ ، وتمهُّلُهُ
في مَنطِقِهِ .

وقالَ ثمامةُ : كانَ جعفرُ بنُ يحيى أنطقَ الناسِ ؛ قد جمعَ الهدوءَ والجَزالةَ ،
والتمهُّلَ والحلاوةَ ، ولو كانَ في الأرضِ ناطقُ يستغني عنِ الإشارةِ ..
لَكَانَهُ (٢) .

وقولُهُ : (مُتخَيِّرُ الألفاظِ) فمدارُ البلاغَةِ على تَخْيِيرِ اللفظِ ، وتخيُّرِ اللفظِ
أصعبُ مِنْ جمعِهِ وتأليفِهِ .

وقولُهُ : (ويكونُ في قُوَاهُ فضلٌ للتصَرُّفِ في كلِّ طبقةٍ) وهو أن يكونَ
صانعُ الكلامِ قادراً على جميعِ ضروبيهِ مُتمكِّناً مِنْ جميعِ فنونِهِ ، لا يَعتاصُ
عليه قسمٌ مِنْ أقسامِهِ ، فإن كانَ شاعراً .. تَصَرَّفَ في وجوهِ الشعرِ ؛ مديحِهِ
وهجائِهِ ومراثيهِ وصفاتِهِ ومفاخرِهِ وغيرِ ذلكِ مِنْ أصنافِهِ .

ولاختلافِ قُوى الناسِ في الشعرِ وفنونِهِ قيلَ : كانَ امرؤُ القيسِ أشعرَ
الناسِ إذا ركبَ ، والنابعةُ إذا رهبَ ، وزهيرٌ إذا رغبَ ، والأعشى إذا طربَ (٣) .

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٨) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٢٩) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٢٩) .

وكذلك الكاتب رِيماً تَقَدَّمَ في ضربٍ مِنَ الكتابةِ وتأخَّرَ في غيره ، وسَهَلَ عليه نوعٌ منها ، وَعَسَرَ [عليه] نوعٌ آخَرُ .

وقال إبراهيمُ بنُ العباسِ : سمعتُ أحمدَ بنَ يوسفَ يقولُ : أمرني المأمونُ أن أكتبَ إلى النواحي في الاستكثارِ مِنَ القناديلِ في المساجِدِ ، فبتُّ لا أدري كيفَ أحتذي ، فأتاني آتٍ في منامي فقالَ لي : قُلْ : فإنَّ في ذلكَ عمارةً للمساجِدِ ، وإرشاداً للسابلةِ ، وإضاءةً للمتَّهجينَ ، ونفياً لكامنِ الريبِ ، وتنزيهاً لبيوتِ اللهِ مِنْ وَحْشَةِ الظُّلَمِ ، فانتبهتُ وقد انفتحَ لي ما أريدُ ، فابتدأتُ بهذا وأتممتُ عليه^(١) .

والمُقَدَّمُ في صنعةِ الكلامِ هو المستولي عليه مِنْ جميعِ جهاتهِ ، المُتَمَكِّنُ مِنْ جميعِ أنواعِهِ ، وبهذا فَضَّلُوا جريراً على الفرزدقِ ، وقالوا : إنَّ في الشعرِ ضرباً ما كانَ يَعْرِفُها الفرزدقُ ، وشاهدُ ذلكَ : أَنَّهُ لَمَّا ماتتَ زوجتهُ النوارُ . . . نأخَ عليها بشعرِ جريرٍ^(٢) :

لَوْلَا أَلْحِيَاءُ لَهَا جَنِي أُسْتَعْبَارُ وَلَزُزْتُ قَبْرِكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
وكانَ البحترِيُّ يُفْضِلُ الفرزدقَ على جريرٍ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَتَصَرَّفُ مِنَ المعاني فيما لا يَتَصَرَّفُ فِيهِ جريرٌ ، ويوردُ منه في كلِّ قصيدةٍ خلافَ ما يوردُهُ في الأخرى ، قالَ : وجريرٌ يُكْرَرُ في هجاءِ الفرزدقِ ذَكَرَ الزبيرِ وجِعْثَنَ والنوارِ ، وَأَنَّهُ قَيْنٌ مجاشعٌ ، لا يَذْكُرُ شيئاً غيرَ هذا^(٣) .

وسُئِلَ بعضُهُم عن أبي نُواسٍ ومسلمٍ ، فذكرَ أَنَّ أبا نُواسٍ أشعرُ ؛ لتصرُّفه في وجوهِ الشعرِ ، وكثرةِ مذاهبِهِ فِيهِ ، ومسلمٌ جارٍ على وتيرةٍ ، ولا يَتَغَيَّرُ عنها .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩) .

(٢) انظر « ديوان جرير » (٨٦٢/٢) ، و« الصناعتين » (ص ٣٠) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٣٠) .

وأبلغ من هذه المنزلة أن يكون في قوّة صانع الكلام أن يأتي مرّةً بالجزل ،
وأخرى بالسهل ؛ فيلين إذا شاء ، ويشتد إذا أراد ، ومن هذا الوجه فضّلوا
جربراً على الفرزدق ، وأبا نواسٍ على مسلم ، قال جرير^(١) : [من الكامل]
طَرَقَتْكَ صَائِدَةٌ أَلْقُلُوبٍ وَلَيْسَ ذَا وَكُتَّ أَلزِيَارَةَ فَأَرْجِعِي بِسَلَامٍ
تُجْرِي ألسِيَّوَاكَ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ
فانظر إلى رقة هذا الكلام ، والفرزدق يجري على طريقة واحدة ، والتصريف
في الوجوه أبلغ .

وقال أبو نواسٍ^(٢) : [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِيذِي أَلْوَجْهِ أَلنَّضِيرِ وَلِيذِي أَلرِّدْفِ أَلْوَثِيرِ
وَلِمِغْلَاقِ هُمُومِي وَلِمِفْتَاحِ سُورِي
يَا قَلِيلًا فِي أَلتَّلَاقِي وَكَثِيرًا فِي أَلضَّمِيرِ

فانظر إلى سلاسة هذا الكلام وسهولته ، وقال^(٣) : [من المديد]

مَا هَوَىٰ إِلَّا لَهُ سَبَبُ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ
فَتَنَّتْ قَلْبِي مُحَجَّبَةٌ بِرِدَاءِ أَلْحُسْنِ تَنْتَقِبُ
خُلِّيَتْ وَأَلْحُسْنُ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَأَنْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَأَسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ
صَارَ جِدًّا مَا مَزَّحْتُ بِهِ رَبُّ جِدِّ سَاقِهِ أَللَّعِبُ

(١) انظر «ديوان جرير» طبعة الصاوي (ص ٥٥١) .

(٢) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٥١٧) .

(٣) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٥٩٠) .

فهذا أجزلٌ مِنَ الأولِ قليلاً ، وقالَ في صفةِ الكلبِ ^(١) : [من مشطور الرجز]

أُنْعَتُ كَلْبًا جَالًا فِي رَبَاطِهِ
جَوْلٌ مُصَابٍ فَرٌّ مِنْ إِسْعَاطِهِ
عِنْدَ طَبِيبٍ خَافَ مِنْ سِيَاطِهِ
هَجْنَا بِهِ وَهَاجَ مِنْ نَشَاطِهِ
كَالْكَوْكَبِ الدُّرِيِّ فِي أَنْخِرَاتِهِ
عِنْدَ تَهَاوِيِ الشَّدِّ وَأَنْبِسَاطِهِ
يُقَجِّمُ الْقَائِدَ فِي حِطَّاطِهِ
وَقَدَّهَ الْبَيْدَاءَ فِي أَعْتِبَاطِهِ
لَمَّا رَأَى الْعَلْهَبَ فِي أَقْوَاطِهِ
سَانِحَةً وَمَرَّ فِي الْتِبَاطِهِ ^(٢)
كَالْبَرْقِ يُذْرِي الْمَرْوَةَ بِالْحِقَاطِهِ
مِثْلَ قَلْبِي طَارَ فِي أَنْفَاطِهِ
وَأَنْصَاعَ يَثْلُوهُ عَلَى قِطَاطِهِ
أَغْضَفُ لَا يَنْيَسُ مِنْ خِلَاطِهِ
يَصِيدُ بَعْدَ الْبُعْدِ وَأَنْبِسَاطِهِ
إِنْ لَمْ يَبُتَّ الْقَلْبُ مِنْ نِيَاطِهِ

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٢٣ - ٢٢٥) .

(٢) في « ديوان أبي نواس » : (سَابِحُهُ) بدل (سَانِحَةٌ) .

فَلَمْ يَزَلْ يَأْخُذُ فِي لِطَاطِهِ
كَالصَّقْرِ يَنْقَضُ عَلَى غِطَاطِهِ
يَقْشِرُ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ بِلَاطِهِ
بِأَرْبَعِ تَقُولُ مِنْ إِفْرَاطِهِ
لِشِدَّةِ الْجَزْيِ وَلَا سِتْحِطَاطِهِ
مَا إِنْ تَمَسُّ الْأَرْضَ فِي أَشْوَاطِهِ
قَدْ خَدَشْتَ رِجْلَاهُ فِي أَبَاطِهِ
وَحَرَمَ الْأُذُنَيْنِ بِأَنْتِشَاطِهِ
خَلَجُ ذِرَاعَيْهِ إِلَى مِلَاطِهِ
يَنْقَدُ عَنْهُ الصِّيقُ بِأَنْعِطَاطِهِ
فِي هَبَوَاتِ الصِّيقِ أَوْ رِيَاطِهِ
فَأَدْرَكَ الظَّنْبِيَّ وَلَمْ يُبَاطِهِ
وَلَفَّ عِشْرِينَ إِلَى أَشْرَاطِهِ
فَلَمْ يَزَلْ يَقْرِنُ فِي رِبَاطِهِ
وَيَخْمِطُ الشَّائُونَ مِنْ حِمَاطِهِ
وَيَطْبُخُ الطَّابِخُ مِنْ إِسْقَاطِهِ
حَتَّى عَلَ فِي الْجَوِّ مِنْ شِيَاطِهِ
كَدَاخِنِ النَّفْطِ إِلَى نَفَاطِهِ

المُصَابُ هَا هُنَا : المَجْنُونُ ، وَإِسْعَاطُهُ : إِشْقَاقُهُ السَّعُوطَ لِمَدَاوَاتِهِ ، وَقَوْلُهُ :

(يُقَحِّمُ الْقَائِدَ فِي حِطَاظِهِ) أَي : لَقَوَّتِهِ يَجْذِبُهُ حَتَّى يَوْقَعَهُ فِي حَالِ حِطِّهِ ؛
 أَي : انْدِفَاعِهِ فِي الْعَدُوِّ ، وَالْإِعْتِبَاطُ : الْجُرْيُ عَلَى غَيْرِ رِوِيَّةٍ ، وَالْعَلْهَبُ - بَفَتْحِ
 أَوَّلِهِ - : الْمُسْنُ مِنْ ثِيَوسِ الْجَبَلِ ، وَالْأَقْوَاطُ : جَمْعُ قَوْطٍ بَفَتْحِ أَوَّلِهِ ؛ الْقَطِيعُ
 أَوْ الْجَمَاعَةُ ، وَ(فِي) بِمَعْنَى (مَعَ) ، وَاللِّتْبَاطُ : خَبَطَ الْأَرْضَ فِي الْعَدُوِّ ،
 وَيُذْرِي الْمَرَوْ ؛ أَي : يُفَرِّقُهَا ، وَالْقِطَاطُ - كَكِتَابٍ - : الْمِثَالُ ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ
 يَتَّبِعُهُ فِي طَرِيقِهِ لَا يَمِيلُ ، وَالْأَغْضَفُ : مُسْتَرَخِي الْأُذُنَيْنِ ذَاهِبَتَيْنِ إِلَى خَلْفِ ،
 وَالغَطَاطُ - كَسَحَابٍ - : الْقَطَا ، وَالصِّيقُ - بِكَسْرِ أَوَّلِهِ - : الْغَبَارُ فِي الْهَوَاءِ ،
 وَالانْعِطَاطُ : الْإِنْشِقَاقُ ، وَالْمَلَاطُ : الْعَضْدُ إِلَى الْكَتْفِ ، وَالْأَشْرَاطُ : الْأَشْبَاهُ ،
 وَالخَمْطُ : الشَّيْءُ .

فَانظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ بَيْنَ الشَّدَّةِ وَاللِّينِ ، وَيَضَعُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي
 مَوْضِعِهِ ، وَيَسْتَعْمِلُهُ فِي حِينِهِ .

وعلى ذكرِ المفاضلةِ بينَ الشعراءِ فلا بأسَ أنْ أَسْتَطِرِدَّ لَكَ هَاهُنَا بِذِكْرِ
 كَلَامِ رَأْيَتُهُ فِي « شَرْحِ دِيْوَانِ أَبِي نُوَّاسٍ » يَتَضَمَّنُ صِفَةَ شِعْرَاءِ تَطَّلَعُ بِهِ عَلَى
 مَا لِكُلِّ مِنْهُمْ فِي أَنْفُسِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِمْ ، وَمَا كَانَ لِأَوْلَثِكَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْفِطْنَةِ
 وَالنَّقْدِ [وَتَمْيِيزِ] الْأَشْيَاءِ ، وَالْوَقُوفِ بِكُلِّ عِنْدَ حِدِّهِ ، وَهَذَا نَصُّهُ :

قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : سَأَلْتُ أَبَا حَاتِمٍ عَنْ أَبِي نُوَّاسٍ ، فَقَالَ : إِنْ جَدَّ . . أَحْسَنَ ،
 وَإِنْ هَزَلَ . . ظُرْفَ ، وَإِنْ وَصَفَ . . بِالْغِ ، يَلْقَى الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِنِهِ ، لَا يِبَالِي
 مِنْ حَيْثُ أَخَذَهُ ^(١) .

وهذه الحكايةُ وجدتها في « أماليهِ » في أثناءِ أوصافِ خمسةٍ وعشرينَ
 رجلاً مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُحَدَّثِينَ ^(٢) ، أَنَا أَحْكِيهَا عَلَى وَجْهِهَا ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٨٥/١) .

(٢) نقل جلتها الهاشمي في « جواهر الأدب » (٣٧١/١ - ٣٧٢) .

الفائدة ، قال : وسألتُهُ عن بشار ، فقال : نَظَّارٌ غَوَّاصٌ ، مطيلٌ مجيدٌ ، يصفُ ما لم يرَ كأنَّهُ قد رآه ، على أنَّ في شعرِهِ خللاً كثيراً .

قلتُ : فمروانُ ، قال : شاعرٌ راضٍ عن نفسه ، يستحسنُ كلَّ ما جاء منه ، مُعجَبٌ لا يرى أن أحداً يتقدَّمه ، كثيرُ الصَّوابِ ، كثيرُ الخطأ ، ليسَ لشعرِهِ صنعةٌ .

قلتُ : فمسلمٌ ، قال : خليجٌ صافٍ ، ينزَعُ مِنْ بحرِ كدرٍ ، كالزندِ يوري تارةً ، ويصلدُ أخرى .

قلتُ : فأبو العتاهية ، قال : غناءٌ جمٌّ ، واقتدارٌ سهلٌ ، وشعرٌ كخرزِ الزجاج ، وربَّما أشبه الياقوتَ والزبرجدَ .

قلتُ : فابنُ الأحنفِ ، قال : يلقي دلوهُ في الدلاءِ ، فيغترفُ الصفوَ أحياناً ، والحماةَ أحياناً ، على أنَّ كدرَهُ أكثرُ مِنْ صفوهِ .

قلتُ : فسلمُ الخاسرُ ، قال : مُقِلُّ مدَّاحٌ ، شعرُهُ ديباجٌ وعهنٌ ، يُموهُ الرديءَ حتى يُشبهَهُ بالجيدِ .

قلتُ : فالعتابيُّ ، قال : عالمٌ بأشعارِ العربِ ، محتدٍ على مثالِهِم أحياناً ، وربَّما مالَ إلى تعقيدِ الكلامِ ، على أنَّه ينالُ مرامَهُ مِنْ كلتا الجهتينِ .

قلتُ : فالخزيميُّ ، قال : صنعةٌ سهلةٌ ، لا يكابرُ طبعَهُ ، ولا يكدُّ فكرَهُ ، يسوقُ ما انقادَ له عفواً .

قلتُ : فأشجعُ ، قال : يُحسِنُ ويسيءُ ، فصولُهُ مختلفةٌ ، إن شئتَ . . . قلتُ : مطبوعٌ ، وإن شئتَ . . . قلتُ : مُتكلِّفٌ .

قلتُ : فأبو الشَّيْصِ ، قال : جدُّ كلُّهُ ، فيه حلاوةٌ وبشاعةٌ ؛ كالسِّدرةِ التي نفضتُ ، ففيها المُستعذبُ والمُستبشعُ .

قلتُ : فعليُّ بنُ جبلةَ ، قالَ : بَحَّثْ عَنِ الكَلامِ الفَخمِ والمعنى الرَّائعِ ، لا يَنالُ مرتبةَ القُدماءِ ، وَيَجِلُّ عَن مَنزلةِ النظراءِ .

قلتُ : فدِعْبِلٌ ، قالَ : شديدُ الأَسْرِ ، مُحَكَّمُ الصَّنعةِ ، قليلُ الطُّلاوةِ ، مَفحشُ الهجاءِ ، غيرُ مَقنَعِ المديحِ .

قلتُ : فأبو تمامٍ ، قالَ : سِيلٌ كثيرُ الغنَاءِ ، غزيرُ الغمارِ ، جَمُّ النطافِ ، فإذا صفا . . فهو السُّلافُ بالماءِ الزُّلالِ .

قلتُ : فالحاركيُّ ، قالَ : ظريفٌ مُقِلٌّ ، مُنحَلُّ الألفاظِ ، مُتَعَقِدُ المعانيِ .

قلتُ : فأبو سعدٍ قوصرةُ ، قالَ : ورقٌ ناضرٌ ، وعودٌ خُوَازٌ ، إن حُفِظَ . . لم يَنفَعُ ، وإن ضُيِّعَ . . لم يَضُرَّ .

قلتُ : فابنُ بشيرٍ ، قالَ : عذبُ الكلامِ سهلُهُ ، إذا أرادَ الشيءَ . . قَدَرَ عليه ، وإن اشتدَّتْ كلفتهُ في مرامِهِ .

قلتُ : فابنُ أبي عيينةَ ، قالَ : أعجبهُ اقتدازُهُ ، فتجاوزَ مِقدارَهُ ، على أَنَّهُ إذا فخرَ . . أفلقَ ، وإذا كوى . . أنضجَ .

قلتُ : فعبدُ الصَّمَدِ بنُ المُعَدِّلِ ، قالَ : خَرَّاجٌ وَلاَجٌ ، يَعْتَسِفُ تارةً ، ويهتدي أخرى ، إن سلكَ سبيلَ العربِ الأولِ . . أربَ ، وإن مالَ إلى طريقِ المُولِّدينِ . . شاكهُ .

قلتُ : فعليُّ بنُ الجهمِ ، قالَ : كلامٌ رصينٌ ، ومسلِكٌ وَعَرٌّ ، عقلُهُ أغلبُ على شعرِهِ مِنْ طَبِيعِهِ .

قلتُ : فبكرُ بنُ النَّطاحِ ، قالَ : تَشَبَّهَ بالأعرابِ فأفرطَ ، وتجاوزَ حدَّ المُولِّدينِ فأسهبَ ، فهو الساقطُ بينَ القريتينِ .

قلتُ : فخالِدُ النجَارُ ، قالَ : سبَّيْ الكَلَامِ ، رِخْوُ النِّظَامِ ، إن طالَ . . بلدًا ،
وإن قصرَ . . أجهَدَ .

قلتُ : فأبو دلامةَ ، قالَ : جِدُّ وهزلٌ ، ومُجتَنَى ومرغوبٌ عنه ، إذا قصدَ
مراماً . . تناولَهُ غثاً وسميناً .

قلتُ : فأبو الشمقمقِ ، قالَ : هجاؤُهُ لِدَاغٍ ، ومديحُهُ بلا ماءٍ ، أكثرُهُ لا نفعَ
فيه .

قلتُ : ففلانٌ ، قالَ : كلامٌ مُؤلَّفٌ ، تلمظُهُ أَسْمَاعُ الجُهَّالِ ، وتلفظُهُ آذانُ
العلماءِ .

قالَ ابنُ دريدٍ : وذهبَ عني أن أسألَ عن الأغرِّينِ المطبوعينِ ؛ السيدِ
والنميريِّ ؛ فقد أغفلَ ابنُ دريدٍ استيصارَ هذَينِ الشاعرينِ ، ووقعَ لي
وصفُهُما في حكايتينِ أُخريينِ ، فأما التُّميرِيُّ . . فذكرَ إسحاقُ الموصليُّ
قالَ : حضرتُ الفضلَ بنَ يحيى بنِ خالدِ بنِ برمكٍ وعندهُ منصورُ التُّميرِيُّ
ومسلمُ بنُ الوليدِ يُنشدانِهِ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : يا إسحاقُ ؛ احكمْ أيُّهُما
أشعرُ ، فقلتُ : إنَّهُ قلَّ مَنْ حكمَ بينَ الشُعراءِ فسلمَ منهم ، ولكنَّ إن أحبَّ
الأميرُ تكَلَّفَتْ وصفَ شعرِهِما ، فقالَ : صِفْ ، فقلتُ : أمَّا التُّميرِيُّ . . فإنَّ
شعرَهُ حسنُ البناءِ ، قريبُ المعنى ، سهلُ كلامُهُ ، صعبُ مرامُهُ ، سليمُ
المتونِ ، كثيرُ العيونِ ، وأمَّا مسلمٌ . . فإنَّهُ مزجَ كلامَ البدويينَ بكلامِ
الحضريينَ ، فضمَّنَهُ المعانيَ اللطيفةَ ، وكساهُ الألفاظَ الظريفةَ ، فلهُ جزالةُ
البدويينَ ، ورقَّةُ الحضريينَ .

فقالَ الفضلُ : وصفتَ واللهِ فأحسنتَ ، وأوتيتَ الحُكْمَ فحكمتَ ، التُّميرِيُّ
أشعرُهُما .

وأما الحكايةُ الأخرى . . فللجاحظِ فصلٌ مِنْ فصولِ كتبهِ ذكرَ فيه السيدَ

الحميريّ ، وأبان بن عبد الحميد ، وأبا العتاهية ، وبشاراً ، وأبا نواس ، فقال : أمّا السيد الحميريّ . . فأطبع الناس على قول الشعر ، وأقلّهم صنعةً ، وأبعدهم من التكلف ، وأجدز أن ينقل جميع أحاديث الناس شعراً سهلاً بلا تعقّد ولا استكراه .

وأما أبان بن عبد الحميد . . فلم يكن في زمانه أطلع منه ، ولا أسلس كلاماً ، ولا أسهل مخارج ، وكان يقول على الشاء والذال والغين والظاء مئة قصيدة .

وأما أبو العتاهية . . فأحد المطبوعين ، وكاد كلامه يكون شعراً ، على أن غزله ضعيفٌ مشاكل لطبع النساء .

وأما بشارٌ وأبو نواس . . فمعناهما واحدٌ ، والعدة اثنان ، بشارٌ حلّ من الطبع بحيث لم يتكلّف قط قولاً ، ولا تعب من عمل شعرٍ ، وأبو نواس حلّ من الطبع بحيث يصل شعره إلى القلب بلا إذن .

رجعنا إلى نقل كلام أبي هلال في شرح قول حكيم الهندي : قال^(١) :

وقوله : (ولا يُكلّم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة) ، لأنّ ذلك جهلٌ بالمقامات ، وما يصلح في كلّ واحدٍ منها^(٢) من الكلام ، وأحسن الذي قال : لكلّ مقام مقالٌ ، فإذا كان موضع الكلام على طبقات الناس . . فليخاطب السوقيّ بكلام السوقيّ ، والبديويّ بكلام البديويّ ، ولا يتجاوز به ما يعرفه إلى ما لا يعرفه ، فتذهب فائدة الكلام ، وتندم منفعة الخطاب .

وقوله : (ولا يُدقّق المعاني كلّ التدقيق) لأنّ الغاية في تدقيق المعاني

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٣) .

(٢) في « الصناعتين » (منهما) .

سبيلٌ إلى تعمية المعنى ، وهي لُكنةٌ إلا إذا أُريدَ به الإلغازُ ، وكانت في تعميته فائدةٌ ؛ مثل أبيات المعاني .

وأما مَنْ أرادَ الإبانةَ في مديحٍ أو غزلٍ أو صفةٍ شيءٍ فأتى بإغلاقٍ . . دلٌّ ذلكَ على عجزه عن الإبانة ، وقصوره عن الإفصاح .

وقوله : (ولا يُنقحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ) ، تنقيحُ اللَّفْظِ : أن يَبْنِيَهُ بناءً لا يكثرُ في الاستعمالِ ، فربَّما وقعَ مَنْ يَقْصِدُ ذلكَ في إساءةٍ يغفلُهُ عنها الاغترارُ بالاقتدارِ على ابتداعِ ما ليسَ جارياً في كلامِ الناسِ ، مثلُ ما وقعَ لبعضِهِم في خطابِ وزيرٍ حيثُ قالَ في الدعاءِ لَهُ : أحسنَ اللهُ إثابَتَكَ ، فردَّ عليه الوزيرُ في الجوابِ وأحسنَ فقالَ : وأنتَ عَجَلَّ اللهُ أمانَتَكَ (١) .

وقوله : (ويُصَفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ) ، فتصفيتهُ : تعريتهُ مِنَ الوحشيِّ ، ونفيُ الشواغلِ عنه ، وتهذيبُهُ : تبرئتهُ مِنَ الرديءِ المرذولِ ، والسُّوقِيَّ المرذودِ .

فَمِنَ الكلامِ المُهذَّبِ الصافي : قولُ بعضِ الكُتَّابِ : مثلكَ أوجبَ حقاً لا يجبُ عليه ، وسمحَ بحقٍ يجبُ لَهُ ، وقبلَ واضحَ العذرِ ، واستكثرَ قليلَ الشكرِ ، لا زالتْ أياديكَ فوقَ شكرِ أوليائِكَ ، ونعمةُ اللهِ عليكِ فوقَ آمالِهِم فيكَ .

وقولُ أحمدَ بنِ يوسفَ : يومنا يومٌ لذيذُ الحواشي ، وطِيءُ النواحي ، وهذه سماءٌ قد تهلَّلتْ بودِقِها ، وضحكَّتْ بلوامعِ برقِها ، وأنتَ قُطِبُ السُّرورِ ، ونظامُ الأمورِ ، فلا تغبِ عَنَّا فنَقِلْ ، ولا تُفردنا فنستوحشَ ؛ فإنَّ الحبيبَ بحبيبه كثيرٌ ، وبمساعديته جديرٌ .

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٣٦) .

وقوله: (ولا يفعل ذلك حتى يلاقي حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومن
تَعَوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ومشاركاتِ الألفاظِ . . نظرَ في المنطقِ على جهةِ
الصناعةِ فيها ، لا على جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها) ، يقولُ : ينبغي
أن يتكلَّمَ بفاخرِ الكلامِ ونادرِهِ ، ورصينِهِ ومُحكَمِهِ عندَ مَنْ يفهمُهُ عنه ،
ويقبلُهُ منه .

وأما قوله: (مَنْ تَعَوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ) هو أن يسقطَ مِنَ الكلامِ ما
يكونُ الكلامُ مع إسقاطِهِ تاماً غيرَ منقوصٍ ، ولا يكونُ في زيادتهِ فائدةٌ ؛ سألَ
معاويةَ رجلاً عن البلاغةِ ، فقالَ : هي أن تقولَ فلا تُخطِئَ ، وتُسرعَ فلا تُبطِئَ ،
فقالَ معاويةُ : لو قلتَ : هي ألا تُخطِئَ ولا تُبطِئَ ، فحذفَ منه الفضلَ .

وقوله: (ومُشترَكَاتِ الألفاظِ) ، هو أن يريدَ الإبانةَ عن معنىٍ فيأتيَ بالألفاظِ
لا تدُلُّ عليه خاصَّةً ، بل تشتركُ فيها معه معانٍ أُخرى ، فلا يعرفُ السامعُ أيَّها
أرادَ ، وربما استبهمَ الكلامُ في نوعٍ من هذا الجنسِ حتى لا يُوقَفَ على معناه
إلا بالتوهُمِ .

فَمِنَ الْجَنسِ الْأَوَّلِ قَوْلُ جَرِيرٍ (١) :

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ
فليسَ يدري إلى أيِّ أفعاليه أشارَ بقوله: (فعلتُ ما لم أفعلِ) ، أن يبكي
إذا رحلوا ، أو يهيمَ على وجهِهِ مِنَ الغمِّ الذي لحقه ، أو يتبعَهُم إذا ساروا ،
أو يَمنعَهُم مِنَ المُضيِّ على عزيمةِ الرحيلِ ، أو يأخذَ منهم شيئاً يتذكَّرُهُم به ،
أو يدفعُ إليهم شيئاً يتذكَّرُونَهُ به ، أو غيرَ ذلك ممَّا يجوزُ أن يفعلهَ العاشقُ
عندَ فراقِ أحبَّتهِ ؟! فلم يُبيِّنَ عن غرضِهِ ، وأحرجَ السائلَ أن يسألهُ عمَّا أرادَ
فعلهَ عندَ رحيلِهِم .

(١) انظر «ديوان جرير» (٢/٩٤٠) .

وليسَ هذا كقولهم : (لو رأيتَ عليّاً عليه السلامَ بينَ الصّفّينِ) فإنَّ إرادةَ البسالةِ والنكايَةِ بينةٌ ، وأمارةَ النقصانِ في بيتِ جريرٍ واضحةٌ ، فمن سمعَهُ وإن لم يكنْ من أهلِ البلاغةِ . . يستبرِذُهُ وَيَسْتَعِثُّهُ ، وَيَسْتَرْجِحُ الآخَرَ وَيَسْتَجِيدُهُ .

ومثلهُ قولُ سعدِ بنِ مالكِ الأَسديِّ ^(١) :

فإنَّكَ لو لاقَيْتَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ لَلاقَيْتَ مِنْهُ بَعْضَ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فلم يبنْ بقوله عَمَّا أرادَ يلقى منه ؛ أخيراً أم شراً ، إلا أن يسمعَ ما قبلَهُ وما بعدهُ ، فيتبيّنَ معناهُ ، وأمّا في نفسِ البيتِ . . فلا يتبيّنُ .

وأقولُ ^(٢) : إنَّ النقدَ على جريرٍ في غيرِ محلِّهِ ؛ حيثُ كانَ كلامُهُ مع نفسهِ ، وليسَ لأحدٍ أن يسألهُ عَمَّا أرادَ ، وقصدهُ أن يخفي مرادهُ ، فذلك مقتضى الحالِ .

ومثلهُ قولُ أبي تمامٍ ^(٣) :

وَقُمْنَا فَقُلْنَا بَعْدَ أَنْ أَفْرَدَ الثَّرَى بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّحَابَةِ تُقْلِعُ
وقولُ الناسِ في السَّحابِ إذا أقلعَ على وجوهِ كثيرةٍ ، فمنهُم من يمدحُهُ ، ومنهُم من يكرهُ إقشاعَهُ ، على حَسَبِ ما كانتْ حالُها عندهم ومواقعُها منهم ، فلم يُبيّنْ بقوله : (ما يُقالُ في السَّحابَةِ تُقْلِعُ) معنَى يَعْتَمِدُهُ السامِعُ ، وأين هو من قولِ مسلمٍ ^(٤) :

فَأَذْهَبَ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيَّهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٩) .

(٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين » .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٩٦/٤) .

(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣١٤) ، فمسلم بن الوليد مشهور بصريع الغواني .

على أَنَّ الْمُحْتَجَّ لَهُ لَوْ قَالَ : الْعَادَةُ فِي السَّحَابِ أَنْ يُحَمَّدَ أَثْرُهُ وَيُثْنَى عَلَيْهِ
بَعْدَهُ . . لَمَا كَانَ مُبْعَدًا ، وَلَمْ أَرِدْ عَيْبَ أَبِي تَمَامٍ ، إِنَّمَا أُرِيدُ الْإِخْبَارَ عَنْ وَجْهِ
الِاشْتِرَاكِ ، وَذَكَرَ مَا يَتَشَعَّبُ مِنْهُ وَيَقْرُبُ مِنْ بَابِهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ مِنْ
بَعِيدٍ .

وَأَمَّا مَا يُسْتَبْهَمُ فَلَا يُعْرَفُ الْمَعْنَى إِلَّا بِالتَّوَهُّمِ . . فَمِثْلُ قَوْلِ
أَبِي تَمَامٍ ^(١) :

جَهْمِيَّةُ الْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الْأَشْيَاءِ
فَوْجَهُ الْاشْتِرَاكِ فِي هَذَا : أَنَّ لِلْجَهْمِ مَذَاهِبَ كَثِيرَةً ، وَأَرَاءَ مُخْتَلِفَةً
مُتَشَعِّبَةً ، لَمْ يَدُلَّ فَحَوِيَّ كَلَامِ أَبِي تَمَامٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا يَصْلُحُ أَنْ يُشَبَّهَ بِهِ
الْخَمْرُ وَتُنَسَبَ إِلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ يَتَوَهَّمَ الْمُتَوَهَّمُ فَيَقُولُ : إِنَّمَا أَرَادَ كَذَا وَكَذَا مِنْ
مَذَاهِبِ جَهْمٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدُلَّ الْكَلَامُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ بَعِينِهِ ، وَلَا يُعْرَفُ مَعْنَى
قَوْلِهِ : (قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الْأَشْيَاءِ) إِلَّا بِالتَّوَهُّمِ أَيْضًا .

وَمِنَ الْكَلَامِ الْخَالِي مِنَ الْاشْتِرَاكِ كَلَامٌ بَعْضِهِمْ لِأَخٍ لَهُ أَرَادَ فِرَاقَهُ ^(٢) : لَمَّا
تَصَفَّحْتُ أَخْلَاقَكَ ، فَوَجَدْتُهَا مَبَايِنَةً لِشَاكِلَتِي ، زَائِغَةً عَنْ قَصْدِ طَرِيقِي . .
صَبَرْتُ عَلَيْهَا ؛ رِيَاضَةً لِنَفْسِي عَلَى الصَّبْرِ لِمَسَاوِي أَخْلَاقِ الْمَعَاشِرِينَ ،
وَلِعَلْمِي بِكَامِنِ الْعَدَوَانِ فِي الْعَالَمِينَ ، وَالَّذِي رَجَوْتُ مِنْ مَرْوَةَ ^(٣) خِصَالِكَ
بِمَا أَقَابَلُهَا مِنَ التَّجَاوُزِ ، فَاسْحَبْتُ فِي سُوءِ آثَارِهَا أَذْيَالَ التَّغَاضِي . . رَأَيْتُ
ذَلِكَ لَا يُقَوِّمُ اعْوِجَاجَ مَذَاهِبِكَ ^(٤) ، وَلَا يَعِظُفُ بِكَ الرَّأْيَ عَلَى رَشْدِكَ ، فَلَمَّا

(١) انظر «ديوان أبي تمام» (٣٠/١) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٠ - ٤١) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي «الصناعتين» : (من مذمة) بدل (من مروءة) .

(٤) كذا في الأصل ، والعبارة في «الصناعتين» : (وأنت مع ذلك دائب لا تقويم اعوجاج مذاهبك) بدل
(رأيت ذلك . . .) .

فَنَيْتُ حَيْلَتِي فِيكَ ، وَانْقَطَعْتُ أَسْبَابُ أَمْلِي مِنْكَ ، وَرَأَيْتُ الدَّاءَ لَا يَزِيدُ عَلَى التَّعْهُدِ إِلَّا فُسَادًا ، وَالخَرْقَ عَلَى التَّرْقِيعِ إِلَّا اتْسَاعًا . . قَدَّمْتُ الْيَأْسَ مِنْكَ عَلَى الرَّجَاءِ فِيكَ ، وَاحْتَسَبْتُ أَيَّامِي السَّالِفَةَ فِي اسْتِصْلَاحِي لَكَ .

أَقُولُ^(١) : وَالاحْتِرَازُ عَنِ الْمُشْتَرِكِ أَمْرٌ مُهِمٌّ ، مُحْتَاجٌ لِدَقَّةِ نَظَرٍ وَإِطَالَةِ فِكْرٍ ، حَتَّى يَأْخُذَ بِجَمِيعِ مَوَارِدِ الْإِنْتِقَادِ ، وَيَضْرِبَ دَوْنَهَا بِالْإِسْدَادِ ، فَيَسْلَمَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ ، وَتَسْتَبِينُ ذَلِكَ مِمَّا أَحْكِيهِ لَكَ :

يُحْكِي : أَنَّ جَرِيرًا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مَرَّةً وَشَاعَرُهَا يَوْمَئِذٍ الْأَحْوَصُ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ لَتَعْظِيمِ جَرِيرٍ ؛ إِذْ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الشُّعْرَاءِ ذَلِكَ الْعَصْرَ ، وَلَمْ يَزَ مِنْ الْأَحْوَصِ مَا يَرْضِيهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُطَاطَأَ مِنْهُ ، وَيَحُطَّ مِنْ كِبَرِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَحْوَصُ ؛ أَنْتَ الْقَائِلُ^(٢) :

يَقْرُ بِعَيْنِي مَا يَقْرُ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ أَلْعَيْنُ قَرَّتْ
فَقَالَ : نَعَمْ ، يَرَى أَنَّهُ اسْتَحْسَنَهُ ، وَأَنَّهُ سَيُثْنِي عَلَيْهِ ، فَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، وَقَابَلَهُ مِنَ الْبَيْتِ بِدَامِغَةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ يَقْرُ بِعَيْنِهَا أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَفَيَقْرُ بِعَيْنِكَ ذَلِكَ ؟! فَحَجَلَ الْأَحْوَصُ وَلَمْ يَقَابَلْهُ بَعْدُ^(٣) .

وَأَنَّ الْفَرَزْدَقَ لَمَّا قَالَ يَفْتَحِرُ^(٤) :
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا سَارَتِ النَّاسُ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

. . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِهِ : ذَلِكَ وَقَوْمُهُ أَدْلَاءُ رُكْبَانٍ !!

(١) القول للمؤلف ضمن نقله لكلام صاحب «الصناعتين» .

(٢) انظر «ديوان الأحوص الأنصاري» (ص ١٠٧) .

(٣) انظر «وفيات الأعيان» (٤٣٠/١) .

(٤) انظر «ديوان الفرزدق» (١٢٧/٢) .

وَأَنَّ ابْنَ هَرَمَةَ لَمَّا قَالَ فِي التَّمَدُّحِ بِالكَرَمِ ^(١) :
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَإِلَيْهِ قَبْلِي تَنْزِلُ الْقِدْرُ
.. قَالَتْ امْرَأَتُهُ : لِأَنَّهَا نَارُ الْجَارِ وَقَدْرُهُ !!

وَلَمَّا قَالَ الْمُتَنَبِّي فِي صِفَةِ جَسْمِهِ بِالنَّحْوِ عَلَى عَادَةِ
الْعُشَاقِ ^(٢) :

أَبْلَى الْهَوَى أَسْفَأَ يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ
رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الشُّوبُ لَمْ يَبِنِ
كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي
قَالَ عَصْرِيُّهُ الرَّمَادِيُّ شَاعِرُ الْأَنْدَلِسِ : لَمْ يَزِدْ أَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ضَرْطَةً
يُسْمَعُ صَوْتُهَا وَلَا يُرَى لَهَا شَخْصٌ ، فَاتَّفَقَ أَنْ قَالَ الرَّمَادِيُّ فِي غَزَلِ
قَصِيدَةٍ ^(٣) :

فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصُونُ مُعَذِّبِي سَلِمْتُ مِنَ الشَّجَرِيحِ وَالْتَّنَكِيلِ
فَقَالَ الْمُتَنَبِّي : يَصُونُهُ فِي اسْتِهِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنَ الرَّمَادِيِّ بِهَذَا الْإِنْتِقَادِ
مَا بَلَغَهُ مِنْهُ ، وَهَذَا النُّوعُ مِنَ الْإِنْتِقَادِ هُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ ظَرْفَاءُ أَهْلِ مِصْرَ
بِالْتَّنَكِيَتِ ، وَلَهُمْ فِيهِ غَرَائِبٌ ، وَعَلَى مَنْ يُحِبُّ تَرْبِيَةَ ذَوْقِهِ وَإِيقَاطَ فِكْرِهِ
أَنْ يَعَاشِرَهُمْ ، وَيَسْتَفِيدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَالْعَاقِلُ يَخْرُجُ مِنَ الْهَزْلِ إِلَى الْجِدِّ ،
وَيُحْصِلُ مِنْ صَغَارِ الْأُمُورِ عَلَى كِبَارِهَا .

رَجَعْنَا إِلَى كَلَامِ أَبِي هَلَالٍ ، قَالَ ^(٤) :

(١) انظر « خزانة الأدب » (٧٢/٣) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣) .

(٣) انظر « نفح الطيب » (٧١/٣) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤١) .

وقوله (وحقُّ المعنى أن يكون الاسمُ له طبقاً) أي : اللفظُ بقدرِ
المعنى ، غيرَ زائدٍ عليه ، ولا ناقصٍ عنه ، وكأنَّ ذلكَ من قولِ امرئِ
القيسِ ^(١) :

طَبَقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدْرُ

أي : هوَ على الأرضِ كالطَّبَقِ على الإناءِ ، لا يَنْقُصُ منه شيءٌ ، قولُ امرئِ
القيسِ هذا في صفةِ المطرِ ، والبيتُ :

دِيمَةٌ هَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدْرُ

وقوله : (ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ولا مُقْصِراً) مثالُ الفاضلِ مِنَ اللفظِ عن
المعنى : قولُ عروةَ بنِ أذينة ^(٢) :

وَأَسْقِ الْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَأَعْلَمَ لَهُ بِالْغَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكَهَا
وَأَجْزِ الْكَرَامَةَ مَنْ تَرَى أَنْ لَوْلَهُ يَوْمًا بَدَلْتَ كَرَامَةً لَجَزَاكَهَا

ومعنى هذا الكلامِ محصورٌ تحتَ ثلاثِ كلماتٍ : اجزِ كلاً بفعليه ، وكانَ
السكوتُ لعروةَ خيراً منه .

وَمِنَ الْكَلَامِ الْفَاضِلِ لَفْظُهُ عَن مَعْنَاهُ : قَوْلُ أَبِي الْعِيَالِ
الْهَدَلِيِّ ^(٣) :

ذَكَرْتُ أَحِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ

فذكرُ الرأسِ معَ الصُّدَاعِ فضلٌ ، وقولُ أوسِ بنِ حجرٍ ^(٤) : [من الطويل]

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٤٤) .

(٢) انظر « ديوان عروة بن أذينة » (ص ٣٤٤) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٢٦/١) .

(٤) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٩١) .

وَهُمْ لِمُقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادٌ عَلَّةٌ وَإِنْ كَانَ مَحْضاً فِي الْعُمُومَةِ مُخَوِلاً
فقوله: (المال) مع (المُقِلِّ) فضلة؛ يعني: أن المُقِلَّ والمُكثِرَ معناهما
في الاستعمال: الفقير والغني، وأولادُ عَلَّةٍ: هم الأولادُ لأُمَّهَاتٍ شَتَّى، وهم
غالباً أعداءُ لبعضِهِم، فمعنى الكلام: أنَّ الناسَ أعداءُ الفقيرِ .

والمُقَصِّرُ مِنَ الْكَلَامِ: ما لا يُنبئُكَ عن معناه عند سماعِكَ إِيَّاهُ، ويُحوِجُكَ
إلى شرحٍ، كبيتِ الحارثِ بنِ حلزة^(١):
[من مجزوء الكامل]

وَأَلْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِ النَّوْكَِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا
معناه: والعيشُ في ظلالِ الحماقة - وهو العيشُ الرخي - خيرٌ من عيشِ
العُقلاء؛ وهو العيشُ الشديدُ، ذلكَ حَسَبَ ما هوَ دائِرُ بَيْنَ الناسِ مِنْ أَنَّ
الدنيا لا تزالُ معَ الحمقى، والعاقلَ محرومٌ منها، وللناسِ في ذلكَ كلامٌ
كثيرٌ .

وقوله: (ولا مُضْمَنًا)، التضمينُ: أن يكونَ الفصلُ الأوَّلُ
مُفتقراً إلى الفصلِ الثاني، والبيتُ الأوَّلُ مُحتاجاً إلى الأخيرِ؛ كقولِ
الشاعرِ^(٢):
[من الوافر]

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةَ قَيْلٍ يُغْدِي
قَطَاةً عَزَّهَا شَرْكَ فَبَاتَتْ
بَلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاخُ
تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

فلم يُتِمَّ المعنى إلا في البيتِ الثاني، وهو قبيحٌ .

ومثاله من نثرِ الكتابِ: قولُ بعضِهِم: وجعلَ سَيِّدنا آخِذاً مِنْ كُلِّ ما دُعِيَ
به أو يُدعى في الأعيادِ، بأجزالِ الأقسامِ وأوفرِ الأعدادِ .

(١) انظر «معاهد التنصيص» (٣٠٨/١) .
(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٢) .

وقال بعض الحكماء^(١) : البلاغة : قولٌ يسيرٌ يشتملُ على معنىٍ خطيرٍ .

وهذا مثل قول الآخر^(٢) : البلاغة : علمٌ كثيرٌ في قولٍ يسيرٍ .

ومثاله : قول الأعرابيِّ وقد سُئِلَ عن مالٍ يسوقُه : لِمَنْ هو؟ فقال : لله في

يدي .

فأيُّ شيءٍ لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة والحكم

البارعة الجسيمة؟!

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^(٣) فدخل تحت

قوله : ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ من المعاني ما يطول شرحه ؛ من إيتاء ما يُرجى ،

وكفاية ما يُخشى ، وهذا مثل قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفِيهَا مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ

الْأَعْيُنُ ﴾^(٤) .

وسُئِلَ بعضُ الأوائلِ عن سببِ موتِ أخيه ، فقال : كونه ؛ أي : سببُ موته

كونه ؛ أي : وجوده بحسبِ استعدادِهِ وطبيعةِ خلقته .

وقد تنازعَ الناسُ في هذا المعنى^(٥) : أخبرنا أبو أحمد ، قال : أنبأنا

أبو بكر بنُ دريدٍ ، عن الرِّياشيِّ قالَ : قيلَ لأعرابيٍّ : كيفَ حالُكَ ؟ فقالَ : ما

حالُ مَنْ يَفْنَى ببقائه ، وَيَسْقُمُ بِسلامته ، وَيُوتَى مِنْ مأمِنِهِ !؟

وأخبرنا أبو أحمد ، قالَ : أنبأنا محمدُ بنُ يحيى ، قالَ : حدَّثنا القلابيُّ ،

قالَ : حدَّثنا ابنُ عائشةَ ، قالَ : قلتُ لأبي : حدَّثني حمادُ بنُ سلمةَ عن

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣) .

(٣) سورة الطلاق : (٣) .

(٤) سورة الزخرف : (٧١) .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤) .

حميد بن ثابت ، عن أنسٍ والحسنِ : أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً »^(١) ، قَالَ : يَا بَنِيَّ ؛ لَا أَرَاهُ إِلَّا مُسْنَدًا ، وَقَدْ قَالَ حَمِيدُ بْنُ
ثَوْرٍ^(٢) :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابِنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْقَمَا
وَقَالَ الْآخَرُ^(٣) :

كَانَتْ فَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِرٍ فَالآنَهَا الْأَضْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ دَائِمًا لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

وَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهَذَا الْمَعْنَى النَّمْرُ بْنُ تَوْلَبٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ^(٤) : [من الطويل]

يَوَدُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
يَرُدُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالِ وَصِحَّةٍ يَنْوُو إِذَا زَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ
وَقَالَ آخَرُ^(٥) :

مَا حَالُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ نَغَصَ عَيْشِي كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ^(٦) :

لَعَمْرُكَ مَا أَلْدُنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنِ الْعَيْنِ الْبَصِيرِ غَطَاؤُهَا
وَكَيْفَ بَقَاءُ النَّفْسِ فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا

- (١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (١٤٠٩) .
- (٢) انظر « ديوان حميد بن ثور الهلالي » (ص ٢١٨) .
- (٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤) .
- (٤) انظر « ديوان النمر بن تولب » (ص ١٠٠ - ١٠١) .
- (٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤) .
- (٦) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٣٠/١) .

ولبعض المتأخرين في هذا المعنى شعرٌ حسنٌ لا بأس بإثباته مع ما أثبت

أبو هلال ؛ وهو^(١) : [من الخفيف]

صِحَّةُ الْمَرْءِ لِلْسَّقَامِ طَرِيقٌ وَطَرِيقُ [الْفَنَاءِ] هَذَا الْبَقَاءُ

بِالَّذِي [نَعْتَدِي] نَمُوتُ وَنَحْيَا أَقْتَلُ الدَّاءَ لِلنُّفُوسِ الدَّوَاءُ

مَا لَقِينَا مِنْ غَدْرِ دُنْيَا فَلَا كَا نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذَهَا وَالْعَطَاءُ

جُودَهَا رَاجِعٌ إِلَيْهَا فَهَمَّا يَهَبِ الصُّبْحُ يَسْتَرِدُّ الْمَسَاءُ

صَلَفٌ تَحْتَ رَاعِدٍ وَشَرَابٌ كَرَعَتْ فِيهِ مُومِسٌ خَرْقَاءُ

لَيْتَ شِعْرِي حُلْمٌ تَمُرُّ بِهِ الْأَيُّ سَأْمٌ أَمْ لَيْسَ تُعْقَلُ الْأَشْيَاءُ

قَبَّحَ اللَّهُ لَذَّةَ لِسْقَانَا نَالَهَا الْأُمَّهَاتُ وَالْأَبَاءُ

نَحْنُ لَوْلَا الْوُجُودُ لَمْ نَأْلَمِ الْفَقْدَ سَدَّ فَيَجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ

ولبعضهم^(٢) : البلاغة : حسنُ الاقتضابِ عندَ البديهةِ ، والغزارةُ عندَ

الإطالة .

الاقتضابُ : أخذُ القليلِ مِنَ الكثيرِ ، وأصلُهُ مِنْ قولِهِمْ : اقتضبتُ الغصنَ ؛

إذا قطعتهُ مِنْ شجرتهِ .

فَمِنَ البديهةِ الحسنَةِ^(٣) : ما أخبرنا بِهِ أبو أحمدَ ، قالَ : أخبرنا

إبراهيمُ بنُ أحمدَ الشطبيِّ ، قالَ : حدَّثني أحمدُ بنُ يحيى ، قالَ : دخلَ

المأمونُ ديوانَ الخراجِ ، فمرَّ بـغلامٍ جميلٍ على أُذنيه قلمٌ ، فأعجبهُ ما رأى

مِنْ حسِنِهِ ، فقالَ : مَنْ أنتَ يا غلامٌ ؟ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ الناشئُ في

(١) انظر « معجم الأدباء » (٢٣/٤ - ٢٤) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦) .

دولتِكَ ، وَخَرِيحُ أَدَبِكَ ، وَالْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ ، فَقَالَ
الْمَأْمُونُ : بِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيهَةِ تَفَاوَلَّتِ الْعُقُولُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَفْعِ رَتْبَتِهِ ،
وَإِعْطَائِهِ مِئْتَيْ أَلْفِ دَرَاهِمٍ .

وَمِنَ الْاِقْتِضَابِ الْجَيِّدِ ^(١) : مَا وَرَدَ فِي خَبَرٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : اسْتَفْتَحْتُ
غَلَامَيْنِ فِي الصَّبَا ، فَزَكَنْتُ مِنْهُمَا بِلَوْعِ الْغَايَةِ ، فَجَاءَ كَمَا زَكَنْتُ .

بَلَعْنِي : أَنَّ النَّظَامَ يَتَعَاطَى عِلْمَ الْكَلَامِ ، فَمَرَّ بِي وَهُوَ غَلَامٌ عَلَى حِمَارٍ يَطِيرُ
بِهِ ، فَقُلْتُ : يَا غَلَامُ ؛ مَا عَيْبُ الزُّجَاجِ ؟ فَقَالَ : سَرِيحُ الْكَسْرِ ، بَطِيءُ الْجَبْرِ .

وَبَلَعْنِي : أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ يَتَعَاطَى قِرْضَ الشَّعْرِ ، فَلَقَيْتَنِي وَهُوَ سَكْرَانٌ يَوْمًا
وَمَا طَرَّ شَارِبُهُ بَعْدُ ، فَقُلْتُ : كَيْفَ فَلَانٌ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : ثَقِيلُ الظِّلِّ ، جَامِدُ
النَّسِيمِ ، فَقُلْتُ : زِدْ ، فَقَالَ : مَظْلَمُ الْهَوَاءِ ، مُنْتِنُ الْفِنَاءِ ، فَقُلْتُ : زِدْ ، فَقَالَ :
غَلِيظُ الطَّبَعِ ، بَغِيضُ الشَّكْلِ ، قَلْتُ : زِدْ ، قَالَ : وَخِمُّ الطَّلَعَةِ ، عَسْرُ الْقَلْعَةِ ،
قَلْتُ : زِدْ ، قَالَ : نَابِي الْجَنْبَاتِ ، بَارِدُ الْحَرَكَاتِ ، ثُمَّ قَلْتُ : حَسْبُكَ ، فَقَالَ :
زِدْنِي سُؤَالَ . . . أَزِدُكَ جَوَابًا ، فَقُلْتُ : كَفَى مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

وَمِنَ جَيِّدِ الْبَدِيهَةِ ^(٢) : مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ وَقَدْ قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ :
صَفِّ لِي حَالِي عِنْدَ النَّاسِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ انْقَادَتْ لَكَ الْأُمُورُ
بِأَزْمَتِهَا ، وَمَلَكَتْكَ الْأُمَّةُ فَضُولَ أَعْنَتِهَا بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ ، وَالْمَحَبَّةَ لَكَ ، وَالرَّفْقَ
مِنْكَ بِهِمْ ، وَمِنْكَ عَلَيْهِمْ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي [جَمَعَنَا] بِكَ بَعْدَ التَّقَاتِ ،
وَرَفَعَنَا فِي دَوْلَتِكَ بَعْدَ التَّوَاضِعِ ، فَقَالَ : يَا يَحْيَى ؛ تَحْبِيرًا أَمْ ارْتِجَالًا ؟ قَالَ :
وَهَلْ يَمْتَنِعُ فِيكَ وَصْفٌ ، أَوْ يَتَعَدَّرُ عَلَيَّ مَا دَحِكَ قَوْلٌ ، أَوْ يُفْحَمُ فِيكَ شَاعِرٌ ،
أَوْ يَتَلَجَّلُجُ فِيكَ خَطِيبٌ !؟

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧) .

وَمِنْ حَسَنِ الْبَدِيهَةِ ^(١) : مَا يُحْكِي : أَنَّهُ قَدِمَ لِلْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ خُرَاسَانَ ،
فَقَالَ : أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّا قَوْمٌ نَأِينَا عَنِ الْعَرَبِ ، وَشَغَلَتْنَا
الْحُرُوبُ عَنِ الْخُطْبِ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ طَاعَتَنَا ، وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتُنَا ،
فِيكْتَفِي مِنَّا بِالْيَسِيرِ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَيَّ مَا فِي الضَّمِيرِ .

وَمِنْ حَسَنِ الْبَدِيهَةِ ^(٢) : مَا تَسْمَعُهُ فِيمَا يُحْكِي : أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ
عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَتَكَلَّمَ ، فَأَعْجَبَ بِكَلَامِهِ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ ،
فَقَالَ : يَبْقِيكَ اللَّهُ ، وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ ، فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ ، فَلَيْسَ
فِي كُلِّ وَقْتٍ يُؤْمَرُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟! فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا أَسْتَقْصِرُ عَمْرَكَ ، وَلَا أَخَافُ بِخَلْكَ ، وَلَا أَعْتَنِمُ مَالَكَ ،
وَإِنَّ سَأْلَكَ لَشَرَفٌ ، وَإِنَّ عَطَاءَكَ لَزِينٌ ، وَمَا بَامْرئِي بِذَلِكَ وَجْهَهُ لَكَ نَقْصٌ
وَلَا شَيْنٌ .

أَخَذَ الْمَعْنَى الْأَخِيرَ مِنْ قَوْلِ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
جَدْعَانَ ^(٣) :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِأَمْرئِي إِنْ حَبَوْتَهُ بِسَيِّبٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لِأَمْرئِي بِذَلِكَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

[حَدُّ الْبَلَاغَةِ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى]

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ^(٤) : الْبَلَاغَةُ : أَنْ يَكُونَ الْأِسْمُ يَحِيطُ بِمَعْنَاكَ ،
وَيُجَلِّي عَنْ مَغْزَاكَ ، وَيُخْرِجُهُ مِنَ الشَّرْكَةِ ، وَلَا يَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِطَوْلِ الْفِكْرِ ،

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧ - ٤٨) .

(٣) انظر « ديوان أمية بن أبي الصلت » (ص ٤٩٩) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨) .

ويكون سليماً من التكلّف ، بعيداً من سوء الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأمل .

قوله : (أن يكون الاسم يحيط بمعناك) ، فالاسم ها هنا : اللفظ ؛ أي : يحضّر اللفظ جميع المعنى ، ويشتمل عليه ؛ فلا يشدُّ منه شيء يحتاج إلى أن يُعرف بشرح أو بتفسير ، فإذا سمعت اللفظ .. عرفت أقصى المعنى ، وهذا مثل قول الآخر : البليغ : مَنْ طَبَّقَ الْمَفْصِلَ ، وَأَغْنَاكَ عَنِ الْمُفَسِّرِ .

ولا يكون الكلام بليغاً مع ذلك حتى يعرى من العيب ، ويتضمن الجزالة والشهولة وجودة الصنعة فيما ذكرنا ، ومثال ذلك ^(١) : ما كتبت بعضهم إلى أخ له : أمّا بعدُ : فإنّ المرء يسرّه درك ما لم يكن ليحرّمه ، ويسوءه فوث ما لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك فيما قدمت من خير ، وأسفك على ما فاتك من برّ .

وقول أعرابي لابنه : يا بني ؛ إنّ الدنيا تسعى على من يسعى لها ، فالهرب قبل العطب ؛ فقد آذنتك بدين ^(٢) ، وانطوت لك على حين .

وقال الشاعر ^(٣) :

حَلَالٌ لَيْلَى أَنْ يَرُوحَ فُوَادُهُ ^(٤)
تَطَلَّعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعُ
بِهَجْرٍ وَمَغْفُورٌ لَيْلَى ذُنُوبُهَا
عَوَارِفُ أَنْ أَلْيَأَسَ مِنْكَ نَصِيبُهَا
فَمَنْ مُخْبِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا
وَزَالَتْ زَوَالِ الشَّمْسِ عَن مُسْتَقَرِّهَا

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨) .

(٢) في « الصناعتين » : (بين) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨) .

(٤) في « الصناعتين » : (تروغ) بدل (يروح) .

وقال آخر^(١) :

[من الطويل]

وَمَاذَا عَسَى الْوَأَشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سَوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لِكَ عَاشِقُ
أَجَلٌ صَدَقَ الْوَأَشُونَ أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكَ الْخَلَائِقُ
وقوله: (ويُجَلِّي عن مغزالك) أي: يُوضِّح مقصدك، ويبيِّن للسامع مرادك،
ينهي عن التعمية والإغلاق.

وقوله: (ويخرجه من الشركة) فقد مضى تفسيره^(٢).

وقوله: (ولا يستعين عليه بطولِ الفكرة) هذا لأنَّ الكلامَ إذا تقطعت
أجزاءه، ولم تتصل فصوله.. ذهب رونقه، وغاز ماؤه، وإنما رونقُ الكلامِ
إذا جرى جريانَ السيلِ، وانصبَّ انصبابَ القطرِ.

وقال ثمامة^(٣): ما رأيتُ أحداً إذا تكلمَ لا يتحبَّسُ، ولا يتوقَّفُ، ولا
يتلقَّفُ، ولا يتلجلجُ، ولا يتنحُّنحُ، ولا يترقَّبُ لفظاً استدعاه من بعدُ،
ولا يلتمسُ التخلُّصَ إلى معنى قد اعتاصَ عليه بعدَ طلبه.. إلا جعفرَ بنَ
يحيى.

فمنَ الكلامِ الجاري مجرى السيلِ^(٤): قولُ بعضِ العربِ لبعضِ ملوكِ بني
أمية: أقطعتَ فلاناً أرضاً وسطاً [محلَّتينا، وسواءً]^(٥) خطَّتينا، ومركزَ رماحنا،
ومنزلاً لقاحنا، ومخرجَ نساءنا، ومثقلَبَ آبائنا، ومسرَّحَ شبائنا، ومصبحنا
في صيفنا، فقال: تُكفون، وعوضه عنها، وردّها عليهم.

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٩).

(٢) انظر (٣٣٦/٣).

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٩).

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ٤٩).

(٥) في الأصل: (حلتنا وسوء).

وَيُرْوَى : أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا . . . خَطَبَ ، فَقَالَ ^(١) : اَعْلَمُوا : أَنَّ الْحِلْمَ زِينٌ ، وَالْوَقَارَ مَرُوءَةٌ ، وَالصَّلَفَ نَقْمَةٌ ، وَالْإِكْثَارَ صَلْفٌ ، وَالْعَجَلَةَ سَفَهٌ ، وَالسَّفَهَ ضَعْفٌ ، وَالْقَلَقَ وَرَطَّةٌ ، وَمَجَالِسَةَ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَيْنٌ ، وَمَخَالَطَةَ أَهْلِ الْفُسُوقِ رَيْبَةٌ .

فَهَذِهِ هِيَ الْبَلَاغَةُ التَّامَّةُ ، وَالْبَيَانُ الْكَامِلُ .

وَكَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ ^(٢) : الْبَلَاغَةُ : صَوَابٌ فِي سُرْعَةِ جَوَابٍ ، وَالْعَيْيُ : إِكْثَارٌ فِي إِهْذَارٍ ، وَإِبْطَاءٌ فِي دَقَّةِ أَخْطَاءٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(٣) : لَسْتُ مَمَّنْ يَتَوَهَّمُ بِجَهْلِهِ ، وَيَظُنُّ بِقَلَّةِ عَقْلِهِ : أَنَّ الدِّيَانَةَ وَالْأَمَانَةَ ، وَالنِّزَاهَةَ وَالصِّيَانَةَ . . . إِنَّمَا هِيَ فِي تَشْمِيرِ ثَوْبِهِ ، وَإِحْفَاءِ شَارِبِهِ ، وَكَشْفِهِ عَنِ سَاقِهِ ، وَزَهْوِهِ بِأَطْمَارِهِ ، وَإِنْعَالِ خُفِّهِ ، وَتَرْقِيعِ ثَوْبِهِ ، وَإِظْهَارِ سَجَادَتِهِ ، وَتَعْلِيقِ سُبْحَتِهِ ، وَخَفْضِ صَوْتِهِ ، وَخُضُوعِ جَسْمِهِ دُونَ قَلْبِهِ ، وَاخْتِلَاسِ مَشِيهِ ، وَخَفَةِ وَطْئِهِ بَيْنَ قَوْمِهِ ، وَلَا يَرْتَشِي فِي حَكْمِهِ ، وَيَأْخُذُ عَلَى عِلْمِهِ ، وَيَطْلُبُ الدُّنْيَا بِدِينِهِ ، وَلَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَاءِهِ ، وَلَا يُكَلِّمُ النَّاسَ مِنْ تَصَنُّعِهِ وَرِيَاءِهِ .

فَهَذَا الْكَلَامُ وَأَمْثَالُهُ فِي طَوْلِ النَّفْسِ يَدُلُّ عَلَى اقْتِدَارِ الْمُتَكَلِّمِ وَفَضْلِ قُوَّتِهِ فِي التَّصَرُّفِ .

وَقَوْلُهُ : (وَيَكُونُ سَلِيمًا مِنَ التَّكَلُّفِ) ، فَالتَّكَلُّفُ : طَلْبُ الشَّيْءِ بِضَعُوبَةٍ ، لِلْجَهْلِ فِي طَلْبِهِ بِالسُّهُولَةِ ، فَالْكَلَامُ إِذَا جُمِعَ بِتَعَبٍ وَجَهْدٍ ، [وَتُنَوَّلَتْ]

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٩) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٥٠) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٥٠) .

ألفاظُهُ مِنْ بُعْدٍ .. فَهوَ مُتَكَلِّفٌ ، مِثَالُهُ ^(١) : قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلَهَنَا ؛ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا ، وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا .. فَاحْطَطْ ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ ، وَأَرْسِخْهُ بِهِ كَرَسُوخِ السَّجِيلِ ، عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ ، وَانصُرْنَا عَلَى كُلِّ بَاغٍ وَخَسُودٍ ، كَمَا انْتَصَرْتَ لِنَاقَةِ ثَمُودِ .

وقوله : (بريئاً من سوء الصنعة) ، فسوء الصنعة يتصرف على وجوه ؛ منها : سوء التقسيم وفسادها ، [وقبح] الاستعارة والتطبيق ، وفساد النسخ والسبك ... إلى غير ذلك مما سيبيهاك عليه لاحق الكلام .

وروي أنه قال : (بريئاً من الصنعة) ، فالصنعة : النقصان من غاية الجودة ، والقصور عن جد الإحسان .

ويحكي ^(٢) : أن النابغة لما دخل المدينة .. شرب ، وغنائه المغني قصيدته ^(٣) :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدٍ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ
وحركة رويها الكسرة ، فلما سمع قوله :

وَبِذَلِكَ خَبَّرْنَا الْغَرَابُ الْأَسْوَدُ

وقوله :

عَنْمٌ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

.. استنكر ذلك ، وخرج من المدينة وهو يقول : دخلت المدينة فوجدت في شعري صنعة ، فخرجت منها وأنا أشعر الناس .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥١) .

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٨٩) .

وقوله: (فيه صنعة) ، هو كقول الصانع إذا لم يُتِمَّ عمله في شيء : هذا الشيء لم يزل فيه شغل ؛ أي : هو محتاج لأن يصنع حتى يتم ويبلغ أحسن أحواله ، مثلاً : أحسن أحوال القصيدة أن تكون أبياتها جميعها متفقة الروي ، فقصيدة النابغة المذكورة محتاجة لتغيير تركيب البيتين حتى يوافق رويهما بقية القصيدة ، يُقال : إنه غير قوله :

وَبِذَاكَ خَبَّرْنَا الْغَرَابَ الْأَسْوَدُ

إلى :

وَبِذَاكَ تَنَعَابُ الْغَرَابِ الْأَسْوَدِ

وهو فراز من عيبٍ لأشد منه ؛ فإنك تقارن بين (خَبَّرْنَا) و (تَنَعَابُ) فتجد الأولى صادرة عن مصدرٍ شعرٍ ، والثانية لم تجع إلا بالبحث والتكلف لها ، وقهرها في وضعها بغير مقرها .

وحكي^(١) : أنه كان ابن الأعرابي يأمر بكتب جميع ما يجري في مجلسه ، فأنشده رجل يوماً أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب على أنها لبعض العرب :

[من مشطور الرجز]

سَارِيَةٌ لَمْ تَكْتَحِلْ بِغَمُضٍ
كَدَرَاءُ ذَاتُ هَطْلَانٍ مَحْضٍ
[مُوقَرَةٌ] مِنْ خُلَّةٍ وَحَمُضٍ
تَمْضِي وَيُبْقِي نِعْمًا لَا تَمْضِي
قَضَتْ بِهَا السَّمَاءُ حَقَّ الْأَرْضِ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥١) .

فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : اِكْتَبُوهَا ، فَلَمَّا كَتَبُوهَا . . قِيلَ : إِنَّهَا لِحَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ ،
فَقَالَ : خَرَّقَ خَرَّقَ ، لَا جَرَمَ أَنَّ أَثَرَ الصَّنْعَةِ فِيهَا بَيِّنٌ !!

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : إِنَّ لِلْقَصَائِدِ مِصْنَعًا ؛ أَي : مَعَابَأً وَمَنْقِصَةً .

وَقَوْلُهُ : (بَعِيدٌ مِنَ التَّعْقِيدِ) ، فَالتَّعْقِيدُ : الْإِغْلَاقُ ؛ وَهُوَ اسْتِعْمَالُ الْوَحْشِيِّ ،
وَتَعْلِيقُ الْكَلَامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ حَتَّى يَسْتَبْهَمَ الْمَعْنَى .

فَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ ^(١) : مَا يُحْكِي : أَنَّ رَجُلًا مَرَضَتْ أُمُّهُ ، فَكَتَبَ رِقَاعًا وَطَرَحَهَا
فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ يَطْلُبُ فِيهَا أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ لِأُمَّهِ ، وَهَذَا مَا
كُتِبَ فِيهَا : صَيَّنَ أَمْرُؤُ دَعَا لَامْرَأَةً [مُقْسِئَتَةٌ] ^(٢) ، قَدْ مُنِيَتْ بِأَكْلِ الطَّرْمُوقِ ،
فَأَصَابَهَا مِنْ أَجْلِهِ الْاسْتِمصَالُ ؛ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِاطْرَغَشَاشٍ وَابْرَغَشَاشٍ .

الطَّرْمُوقُ : الْخَفَاشُ ، وَالْاسْتِمصَالُ : الْإِسْهَالُ ، وَاطْرَغَشَاشٌ وَابْرَغَشَاشٌ ؛ إِذَا
أَبْلَّ وَبَرَأَ ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ قَرَأَ رَقْعَةً . . بِالْغِ فِي لَعْنِهِ وَلَعْنِ أُمَّهِ .

وَالْتَعْلِيقُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ ^(٣) :

جَارَى إِلَيْهِ الْبَيْنُ وَضَلَّ خَرِيدَةً مَا شَتَّ إِلَيْهِ الْمَطْلَ مَشَى الْأَكْبِدَ
يَا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِي لَهْوُهُ بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عَزَّ تَجَلْدِي
يَوْمَ أَفَاضَ جَوَى أَغَاضَ تَعَزِيًّا خَاضَ الْهَوَى بَحْرِي حِجَاهُ الْمُزْبِدِ

وَقَوْلِهِ ^(٤) :

فَالْمَجْدُ لَا يَرْضَى بِأَنْ تَرْضَى بِأَنْ يَرْضَى أَمْرُؤُ يَزْجُوكَ إِلَّا بِالرِّضَا

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٥٢) .

(٢) والمقسئنة : كبيرة السن .

(٣) انظر «ديوان أبي تمام» (٤٤/٢) .

(٤) انظر «ديوان أبي تمام» (٣٠٧/٢) .

وقول المتنبي^(١) :

[من الكامل]

مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءُ

وبلغنا : أن إسحاق بن إبراهيم كان يُنشدُ مثل هذا عند الحسن بن وهب ، فكان يقول له : يا هذا ؛ إِنَّكَ تُشَدِّدُ عَلَى نَفْسِكَ ، فكلُّ ما كانَ مِنَ الْكَلَامِ بهذه المثابة . . كانَ مذموماً مردوداً ، وكانَ الشُّكُوتُ خيراً منه .

وقوله : (غنياً عن التأمل) أي : هو مستغنٍ لوضوحه عن تأمل معانيه ، وترديد النظر فيه ؛ كقول بعضهم لصديق له^(٢) : وجدتُ المودَّةَ منقطعةً ما دامتِ الحشمةُ عليها مُسلَّطةً ، ولا يزولُ سلطانُ الحشمةِ إلا بملكةِ الموانسةِ .

ومما يُؤيِّدُ ما قلناه^(٣) : قولُ الجاحظِ : مَنْ أَعَارَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَعُونَتِهِ نَصِيباً ، وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذَنْباً . . حَبَّبَ إِلَيْهِ الْمَعَانِي ، وَسَلَّسَ لَهُ نِظَامَ اللَّفْظِ ، وَكَانَ قَدْ أَعْفَى الْمَسْتَمِعَ مِنْ كَدِّ التَّلَطُّفِ ، وَأَرَاخَ قَارِئَ الْكِتَابِ مِنَ الْفَهْمِ .

معناه : أنَّه يعفيه ويريحُه مِنْ تَعَبِ أَنْ يَتَطَلَّبَ الْمَرَادَ بِشَدَّةِ النَّظَرِ وَكَثْرَةِ التَّأْمَلِ حَتَّى يَعْثُرَ عَلَيْهِ .

[حُدُّ الْبَلَاغَةِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ]

ولبعضِهِمْ^(٤) : الْبَلَاغَةُ : التَّقْرِيبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنْ

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٥) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

حشو الكلام ؛ وذلك بالقصد إلى الإيجاز في صواب ، والحجّة وحسن الاستعارة^(١) .

ومثله : قول آخر^(٢) : البلاغة : تقريب ما بُعد من الحكمة بأيسر الخطاب .

وتقريب المعنى البعيد : بأن يعمد إلى المعنى اللطيف فيكشفه ، وينفي الشواغل عنه ، فيفهمه السامع من غير فكر فيه وتدبر له ؛ مثل قول الأول في امرأة^(٣) :

لَمْ نَدْرِ مَا الدُّنْيَا وَمَا طِيبُهَا وَحُسْنُهَا حَتَّى رَأَيْنَاهَا
إِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهَا سَاعَةً أَجَلَلْتَهَا أَنْ تَمَنَّاها

وقول بعضهم لملك من الملوك^(٤) : أمّا التعجب من مناقبك . . فقد نسخته تواترها ، فصارت كالشيء القديم الذي قد أنس به ، لا كالشيء البديع الذي يتعجب منه .

ومن هذا أخذ أبو تمام قوله^(٥) :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

وقول آخر لبعض الملوك أيضاً^(٦) : أخلاقك تجعل العدو صديقاً ، وأحكامك تجعل الصديق عدواً .

(١) في « الصناعتين » : (والتباعد من حشو الكلام ، وقرّب المأخذ ، وإيجاز في صواب ، وقصد إلى الحجة ، وحسن الاستعارة) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

(٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٤٢/٤) .

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

وقال بعض القدماء^(١) : لكلِّ جليلةٍ دقيقةٌ ، ودقيقةٌ الموتِ الهجرُ .

قال أبو هلال^(٢) : وقلتُ : [من المجتث]

إِسْمُ التَّفَرُّقِ بَيْنَ لِكِنَّ مَعْنَاهُ مَوْتُ
وَجَدَانِنَا كُلِّ شَيْءٍ إِذَا تَبَاعَدَتْ فَوْتُ

وقوله : (والتباعُدُ مِنْ حَشْوِ الكَلَامِ) ، فالحشْوُ يكونُ على ثلاثةِ أَضْرِبٍ :
اثنانٍ منها مذمومان ، وواحدٌ محمودٌ ، فأحدُ المذمومينِ : هو إدخالُك في
الكلامِ لفظاً لو أسقطتهُ . . لكانَ الكلامُ تاماً ؛ مثلَ قولِ الشاعرِ^(٣) : [من البسيط]

أَبْغِي فَتَى لَمْ تَذَرَّ الشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا
فقوله : (يوماً مِنَ الدَّهْرِ) [حَشْوٌ] لا يُحْتَاجُ إليه .

وقولِ بعضِ بني عبيسٍ^(٤) : [من الطويل]

أَبْعَدَ بَنِي بَكْرٍ أَوْ مَلِّ مُقْبِلًا مِنْ العَيْشِ أَوْ آسَى عَلَى إِثْرِ مُذَبِّرِ
وَلَيْسَ وَرَاءَ الصَّبْرِ شَيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْكَ إِذَا وَلَّى سِوَى الصَّبْرِ فَاصْبِرِ
أَوْلَاكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرِّ كِلَيْهِمَا وَمَعْرِفَةَ أَنِّي أُرِيدُ وَمُنْكَرِ^(٥)

قوله : (أريدُ) زيادةٌ وحشوٌ ، وقوله : (كليهما) يكادُ يكونُ حشواً ،
وكذلكَ قوله : (إذا ولَّى) .

والضَّرْبُ الآخَرُ : العبارةُ عنِ المعنى بكلامٍ طويلٍ لا فائدةَ في طولِهِ ،

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) ، وفيها : (أنعي فتى) بدل (أبغي فتى) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .

(٥) في « الصناعتين » : (كليهما جميعاً ومعروفٍ أريد) .

ويمكنُ أن يُعبَّرَ عنه بأقصر منه ؛ مثلُ قولِ النابغة^(١) :

تَبَيَّنْتُ آيَاتِ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا أَلْعَامِ سَابِعِ
كَانَ يَنْبَغِي (لسبعة أعوام) ، ثُمَّ يُتَمِّمُ الْبَيْتَ بِمَا فِيهِ فَائِدَةٌ .

قلتُ^(٢) : والذي أحوج النابغة لذلك : أن العام السابع لم يتم .

وَأَمَّا الضَّرْبُ الْمَحْمُودُ . . فكَقَوْلِ كَثِيرٍ^(٣) :

لَوْ أَنَّ أَلْبَاخِلِينَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ أَلْمِطَالَ
قَوْلُهُ : (وَأَنْتِ مِنْهُمْ) حشوٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مَلِيحٌ ، وَهَذَا مَا يُسَمَّى فِي الْبَدِيعِ :
اعتراضاً .

وَمِنَ الْكَلَامِ الَّذِي لَا حَشَوَ فِيهِ^(٤) : قَوْلُ صَبْرَةَ بْنِ [شَيْمَانَ] حِينَ دَخَلَ
عَلَى مَعَاوِيَةَ مَعَ الْوَفُودِ ، فَتَكَلَّمُوا فَأَكْثَرُوا ، فَقَالَ صَبْرَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّا
حَيٌّ فِعَالٍ ، وَلَسْنَا حَيٌّ مَقَالٍ ، وَنَحْنُ بِأَدْنَى فِعَالِنَا عِنْدَ أَحْسَنِ مَقَالِهِمْ ، قَالَ
مَعَاوِيَةُ : (صَدَقْتَ) .

وَمِنَ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٥) :

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
وَكَتَبَ رَجُلٌ لِأَخٍ لَهُ^(٦) : ثَقْتِي بِكَرْمِكَ تَمْنَعُ مِنِ اقْتِضَائِكَ ، وَعِلْمِي
بِشَغْلِكَ يَحْدُو عَلَى إِذْكَارِكَ^(٧) .

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٣٠) ، و« الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين » .

(٣) انظر « ديوانه » (ص ٥٠٧) ، و« الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٧) في « الصناعتين » : (إِذْكَارِكَ) .

وَأَخْرَجَ^(١) : فِي النَّاسِ طِبَائِعُ سَيِّئَةٌ ، فَارْتَبَطَ بِمَنْ رَجَحَتْ مَحَاسِنُهُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ^(٢) : نَعَمُ اللَّهُ عَلَى الْعَبِيدِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكَرَ إِلَّا أَنْ يُعَانَ عَلَيْهَا ، وَذُنُوبُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَسْلَمَ [مِنْهَا] إِلَّا أَنْ يُعْفَى لَهُ عَنْهَا .

قِيلَ : وَمِنْ الْبَلَاغَةِ : قَرَبَ الْمَأْخُذِ ؛ وَهُوَ تَنَاوُلُ الْمَعْنَى مِنْ قَرِيبٍ دُونَ كَدِّ لَهُ ، وَتَعَمُّلٍ فِي تَحْصِيلِهِ ، وَفِي ذَلِكَ غَرَائِبُ كَالاتِّفَاقِيَّاتِ .

يُحْكِي^(٣) : أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ لَيْلَةً وَهُوَ فِي نَدْمَائِهِ : قَدْ طَلَعَتِ الثُّرَيَّا ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : كَأَنَّهَا عِقْدٌ رِيًّا ، وَقَالَ رَجُلٌ : بَرَدَ الْمَاءُ وَطَابَا ، فَقَالَ آخَرُ : حَبِذَا الْمَاءُ شَرَابَا .

وَطَالَ وَقُوفٌ بِشَارِ بِيَابِ يَعْقُوبَ ، فَأَنْشَدَ : [مِنْ الْكَامِلِ]

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رُسُومِ الْمَنْزِلِ
فَرَفَعَ لِيَعْقُوبَ ، فَقَالَ :

فَإِذَا تَشَاءَ أَبَا مُعَاذٍ فَادْخُلِ

وَمِنْ قَرَبِ الْمَأْخُذِ^(٤) : أَنَّ الْجَاحِظَ أَوْ غَيْرَهُ قَالَ [لِلجَمَّازِ] : أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى الشَّيْطَانِ ، فَقَالَ : أَنْظِرْ فِي الْمَرَاةِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْوَلَاةِ لِأَعْرَابِيٍّ : قَلِ الْحَقُّ ، وَإِلَّا . . أَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا ، فَقَالَ : وَأَنْتَ فَاعْمَلْ بِهِ ، فَوَاللَّهِ ؛ لَمَّا أَوْعَدَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْهُ . . أَعْظَمُ مِمَّا أَوْعَدْتَنِي بِهِ مِنْكَ .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦) .

ومنه^(١) : أن المأمون قال لأُم الفضل بن سهل بعد قتله إيَّاه : أتجزعين
ولك ولدٌ مثلي؟! فقالت : وكيف لا أجزعُ عليّ ولدِ أفانيك؟! وكانت أمُّه
من الرِّضاعة .

ولأبي حنيفة : إذا أتتكَ مُعضلةٌ . . فاجعل جوابها منها .

ومن ذلك^(٢) : ما يُحكى : أن عبدَ الملكِ دعا يوماً بالغداءِ وبحضرته
رجلٌ ، فدعاهُ إلى غدائه ، فقال : ليسَ بي غداءٌ ، قد تغدَّيتُ يا أميرَ المؤمنين ،
فقالَ عبدُ الملكِ : ما أقبحَ بالرجلِ أن يأكلَ حتى لا يكونَ فيه فضلٌ للطعامِ ،
فقالَ : يا أميرَ المؤمنين ؛ فيّ فضلٌ ، ولكنْ أكرهُ أن أكلَ فأصيرَ إلى ما
استقبَّحه أميرُ المؤمنين .

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ عليهما السلامُ : البلاغةُ : قولٌ يُفقهُ في لطفٍ ،
وفقهُ القولِ فهمُ حقيقتهِ ، واللطفُ من الكلامِ ما تعطفُ به القلوبُ النافرةُ ،
وتؤنسُ به الأفتدةُ المستوحشةُ ، وتلينُ به العريكةُ الأبيَّةُ المُستصعبةُ ، وتبلغُ
به الحاجةُ ، [وتُقامُ] به الحُجَّةُ ، فتُخلصُ نفسَكَ من العيبِ ، وتلزمُ صاحبَكَ
الذنبِ ، من غيرِ أن تهيجهُ وتقلقهُ ، وتستدعي غضبهُ وتستبينَ حفيظتهُ ؛
كقولِ بعضِ الكُتَّابِ لأخٍ له : أنفذَ إليّ أبو فلانٍ كتاباً منك فيه درةٌ^(٣) من
عتابٍ كانَ أحلى عندي من تعريسةِ الفجرِ ، وألذَّ من الزلالِ العذبِ ، ولكِ
العُتْبَى داعياً مستجاباً له ، وعاتباً معتذراً إليه ، ولو شئتُ معَ هذا أن أقولَ :
إنَّ العتبَ عليك أوجبُ ، والاعتذارَ إليك أَلزَمُ . . لفعلتُ ، ولكنِّي أسامحك
ولا أشأحك ، وأسلمُ إليك ولا أُرادُك ؛ لأنَّ أفعالَكَ عندي مرضيةٌ ، وشيمَكَ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٥٦) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٥٦ - ٥٧) .

(٣) في «الصناعتين» : (ذرو) .

لديّ مقبولةٌ ، ولولا أنّ للحُجَّةِ موقعها . . لأعرضتُ عمّا أومأتُ إليه ، وما عرضتُ ممّا بدأتُ ، وقلتُ :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ
فَانظُرْ كَيْفَ خَلَصَ نَفْسَهُ مِنَ الْجُرْمِ وَأَوْجِبُهُ لَصَاحِبِهِ فِي الطِّفْلِ وَجْهٍ وَأَلَيْنَ
مَسِّنٌ .

ومنّ الكلام الذي يعطفُ القلوبَ النافرةَ^(١) : قولُ آخرَ لأخيه : زَيْنَ اللهُ
أَلْفَتْنَا بِمَعَاوِدَةٍ صِلَاتِكَ ، واجتماعنا بترادفِ زيارتك ، وأَيَّامَنَا الْمُوحِشَةَ بِغَيْبَتِكَ
برؤيتك ، تَوَعَّدْتَنِي بِالْإِنْتِقَامِ عَلَى إِخْلَالِي بِمِطَالَعَتِكَ ، وَصُنَّتَنِي مِنْ عَقُوبَتِكَ
عَلَى مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ مِنْ عَدَمِ مَشَاهِدَتِكَ^(٢) .

وقال عليّ كَرَّمَ اللهُ وجهه^(٣) : البلاغةُ : إيضاحُ الملبساتِ ، وكشفُ عوارِ
الجهالاتِ .

وتستبينُ ذلكَ فيما يُحكى عن المأمونِ وقد أحضرَ رجلاً ارتدَّ إلى
النصرانيةِ بعدَ الإسلامِ ، فقالَ له : ما أوحشَكَ مِنَ الإسلامِ ؟ فقالَ : كثرةُ
الاختلافِ فيكم ، فقالَ المأمونُ : أمّا اختلافنا . . فمَنهُ ما يكونُ كاختلافنا في
الأذانِ وتكبيرِ الجنائزِ ، والتشهدِ ، وصلاةِ الأعيادِ ، وتكبيرِ التشريقِ ، ووجوهِ
القرآنِ ، واختلافِ وجوهِ الفُتيا ، وما أشبهَ ذلكَ ، وليسَ هذا باختلافٍ ، وإنّما
ذلكَ توسعةٌ ، وتخفيفٌ مِنَ المِحنةِ .

ومنه ما يكونُ كاختلافنا في تأويلِ الآيةِ مِنْ كتابنا ، وتأويلِ الخبرِ عن
نبيِّنا ، معَ اجتماعنا على أصلِ التنزيلِ ، واتفاقنا على عينِ الخبرِ ؛ فإن

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٥٧ - ٥٨) .

(٢) الذي في «الصناعتين» : (وحسبي من عقوبتك ما ابتليت به من عدم مشاهدتك) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٥٨) .

كَانَ الَّذِي أَوْحَشَكَ هُوَ هَذَا حَتَّى أَنْكَرْتَ هَذَا الْكِتَابَ . . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
الْلَفْظُ بِجَمِيعِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا عَلَى تَأْوِيلِهِ ، كَمَا يَكُونُ مُتَّفَقًا عَلَى
تَنْزِيلِهِ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَ النَّصَارَى اخْتِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ ، وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْزَلَ كِتَابَهُ وَيَجْعَلَ كَلَامَ أَنْبِيَائِهِ وَوَرِثَةَ رَسَلِهِ كَلَامًا لَا يَحْتَاجُ
إِلَى التَّفْسِيرِ . . لَفَعَلَ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَرَ شَيْئًا مِنَ [الدِّينِ] وَالْدُنْيَا دُفِعَ إِلَيْنَا
عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . . [لَسَقَطَتِ] الْمِحْنَةُ وَالْبَلْوَى ، وَذَهَبَتِ
[الْمَسَابِقَةُ] وَالْمَنَافَسَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ تَفَاضُلٌ ، وَلَيْسَ عَلَى هَذَا بَنَى اللَّهُ
الدُّنْيَا .

فَقَالَ الْمُرْتَدُّ : إِنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا^(١) .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ^(٢) : الْبَلَاغَةُ : كَشَفُ مَا غَمُضَ مِنَ الْحَقِّ ، وَتَصْوِيرُ الْحَقِّ
فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ .

وَالَّذِي قَالَهُ أَمْرٌ صَحِيحٌ ، وَلَا يَخْفَى مَوْضِعُ الصَّوَابِ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ
أَهْلِ التَّمْيِيزِ وَالتَّحْصِيلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ الصَّحِيحَ الثَّابِتَ الْمَكْشُوفَ يَنَادِي
عَلَى نَفْسِهِ بِالصَّحَّةِ ، وَلَا يُحَوِّجُ إِلَى التَّكَلُّفِ لِصِحَّتِهِ حَتَّى يُوجَدَ الْمَعْنَى
فِيهِ خَطِيبًا ، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ فِي تَحْسِينِ مَا لَيْسَ بِحَسَنِ ، وَتَصْحِيحِ مَا لَيْسَ
بِصَحِيحٍ ؛ بِضَرْبٍ مِنَ الْإِحْتِيَالِ وَالتَّخْيِيلِ ، وَنَوْعٍ مِنَ الْعَلْلِ وَالْمَعَارِيضِ
وَالْمَعَاذِيرِ ؛ لِيَخْفَى مَوْضِعُ الْإِسَاءَةِ ، وَيَغْمُضَ مَوْضِعَ التَّقْصِيرِ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا
يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى هَذَا الْجَنْسِ عِنْدَ اعْتِدَارِهِ مِنْ هَزِيمَةٍ ، أَوْ حَاجَتِهِ إِلَى تَغْيِيرِ
رَسْمٍ ، أَوْ رَفْعِ مَنْزِلَةٍ دُنْيَا لَهُ فِيهِ هَوًى ، أَوْ حِطِّ مَنْزِلَةٍ شَرِيفٍ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ
مِنْهُ . . . إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ عَوَارِضِ أُمُورِهِ .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٨ - ٥٩) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٩) .

فأعلى رتبِ البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجهُ في معرضِ المحمود ،
والمحمود حتى يُصيرهُ في منزلة المذموم .

وقد ذمَّ عبدُ الملكِ بنُ صالحِ المشورةَ وهي ممدوحةٌ بكلِّ لسانٍ ، فقال :
ما استشرتُ أحداً إلا تكبَّرَ عليّ ، وتصاغرتُ له ، ودخلتُهُ العزَّةُ ، ودخلتني
الذلَّةُ ، فعليك بالاستبداد ؛ فإنَّ صاحبه جليلٌ مهيبٌ في الصدورِ ، فإذا افتقرت
إلى العقولِ . . حقرتك العيونُ ، فتضعضَ شأنك ، ورجفت بك أركانك ،
واستحقرتكَ الصغيرُ ، واستخفك الكبيرُ ، وما عزَّ سلطانٌ لم يغنه عقله عن
عقولِ وزرائه ونصحاؤه .

قلتُ : عبدُ الملكِ هذا أحدُ عُقلاءِ بني العباسِ وبلغائهم ، وكانَ خليفةً
وقتهِ هارونُ منحرفاً عنه جداً ؛ لكثرةِ سعيِّ بغضائه به ، وتفهمِ الخليفةِ
أنه في عزيمة أن يتغلَّبَ على الملكِ ، وأنه بقوَّةِ بلاغتهِ وحسنِ تصرُّفه في
العقولِ قد وجدَ الأسبابَ الموصلةَ إلى هذا الغرضِ ، وكأنه قد لحقه عندهُ
شؤمٌ هذا الاسمِ الأمويِّ ، فكانَ يحبسُهُ ، ثمَّ يحتجُّ عن نفسه ويثبتُ براءتهُ
مما رُميَ به ، فيطلقهُ .

ويروى : أنه قالَ له مرَّةً - وفيه شاهدٌ على ما نحنُ فيه - : بلغني أنَّ فيك
حقداً ، فقالَ له : يا أميرَ المؤمنينِ ؛ إن كانَ الحقدُ بقاءَ الخيرِ والشرِّ في قلبي
لفاعليهما . . فأنا حقودٌ ، فقالَ هارونُ : ما سمعتُ مثلَ احتجاجك للحقدِ ؛
يعني : من المسلم الذي لا ينبغي أن يُنازعَ فيه : حُسنُ تذكُّرِ الإنسانِ ما صنَّعَ
به من خيرٍ ليكافئَ عليه بما أمكنهُ ، أو شرِّ ليحترسَ من مثله ويُجازيَ به إن
اقتضتْ ضرورةُ ذلك .

ومدحَ بعضهم الموتَ فقالَ^(١) :

[من الكامل]

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٠) .

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ
مِنْهَا أَمَانٌ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصَفُ
وذلك بابٌ واسعٌ ، يَرِدُ عَلَيْكَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلِلنَّاسِ فِيهِ
مَوْضِعَاتٌ ضَمَّنُوها شِعْرًا وَنَثْرًا فِي مَدْحِ الشَّيْءِ وَذَمِّهِ ؛ كـ « التَّحْفِ وَالظَّرْفِ »
لأبي منصورِ عبدِ الملكِ الثعالبيِّ صاحبِ « يَتِيْمَةِ الدَّهْرِ » .
انتهى ما أردتُ نقلُهُ مِنْ بابِ البلاغَةِ .



[إيجازُ القَصْرِ]

وهنا ما ثبت لك من باب الإيجاز وما يقابله ما تبيّن به حقّ التبيين موضع كلّ منها ، والحجّة لحسن كلّ واحد في موضعه .

فمن الكلام الدالّ على حسن الإيجاز ، واختيار أهل البلاغة له : ما نقله أبو هلال رحمه الله حيث قال^(١) : قال أصحاب الإيجاز : الإيجاز : هو البلاغة ، وما تجاوز مقدار الحاجة . . فهو فضلٌ داخلٌ في باب الهذر والحصر ، وهما من أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بلاغة صاحب الصنعة .

وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتّابه : إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات . . فافعلوا .

وقال بعضهم : الزيادة في [الحد] نقصان .

وقال محمد الأمين : عليكم بالإيجاز ؛ فإن له إفهاماً ، وللإطالة استبهاماً .

وقال شبيب بن شبة : قليلٌ كافٍ خيرٌ من كثيرٍ شافٍ .

وقال آخر : إذا طال الكلام . . عرضت له أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتي به التكلف .

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز ، قيل : وما الإيجاز ، قال : حذف الفضول ، وتقريب [البعيد] .

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول لرجل : كفاك الله ما

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٩) ، والسياق له .

أَهْمَكَ ، فَقَالَ : « هَذِهِ أَلْبَاغَةُ » ، وَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : عَصَمَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَكَارِهِ ،
فَقَالَ : « هَذِهِ أَلْبَاغَةُ » (١) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُوتِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » (٢) .

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تَطِيلُ الشَّعْرَ ؟ قَالَ : حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ
بِالْعُنُقِ ، وَقِيلَ لِآخَرَ : لِمَ لَا تَطِيلُ شِعْرَكَ ؟ فَقَالَ : لَسْتُ أَبِيعُهُ مَذَارَعَةً .

وَقِيلَ لِلْفِرَزْدَقِ : مَا صَيَّرَكَ إِلَى الْقِصَائِدِ الْقِصَارِ بَعْدَ الطَّوَالِ ؟ قَالَ : لِأَنِّي
رَأَيْتُهَا فِي الْقُلُوبِ أَوْقَعَ ، وَفِي الْمَحَافِلِ أَجُولَ .

وَقَالَتْ بِنْتُ الْحَطِيبَةِ لِأَبِيهَا : مَا بَالُ قِصَارِكَ أَكْثَرُ مِنْ طَوَالِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا
فِي الْأَذَانِ أَجُولُ ، وَبِالْإِقْبَالِ أَخْلَقُ .

وَقَالَ أَبُو سَفِيَانَ لابنِ الزَّبْعَرِيِّ : فَصَّرْتَ فِي شِعْرِكَ ، قَالَ : حَسْبُكَ مِنَ
الشَّعْرِ غُرَّةٌ لائِحَةٌ ، وَسَمَةٌ وَاضِحَةٌ .

وَقِيلَ لِلنَّابِغَةِ الدُّبْيَانِيَّةِ : لِمَ لَا تَطِيلُ الْقِصَائِدَ كَمَا أَطَالَ صَاحِبُكَ ابْنَ حِجْرٍ ؟
فَقَالَ : مَنْ انْتَحَلَ .. أَسْفَرَ (٣) .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ : مَا لَكَ لَا تَزِيدُ عَلَيَّ أَرْبَعَةَ وَائْتِنِينَ ؟ فَقَالَ : هِيَ
بِالْقُلُوبِ أَوْقَعُ ، وَإِلَى الْحَفِظِ أَسْرَعُ ، وَبِالْأَلْسِنِ أَعْلَقُ ، وَلِلْمَعَانِي أَجْمَعُ ،
وَصَاحِبُهَا أَبْلَغُ وَأَوْجَزُ .

وَقِيلَ لِابْنِ حَازِمٍ : أَلَا تَطِيلُ الْقِصَائِدَ ؟ فَقَالَ (٤) :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قِصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ

(١) كذا أورد العسكري هذين الخبرين في « الصناعتين » (ص ١٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٧) ، ومسلم (٥٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) في « الصناعتين » : (من انتحل .. انتقر) .

(٤) انظر « أنوار الربيع » (١٠/٢) .

وَأَنْجَازِي لِمُخْتَصِرٍ قَرِيبٍ حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ
فَأَبْعَثُهُنَّ أَرْبَعَةً وَخَمْسًا مُثَقَّفَةً بِالْفَاطِظِ عِذَابِ
خَوَالِدُ مَا حَذَا لَيْلٌ نَهَارًا وَمَا حَسُنَ الصِّبَا بِأَخِ الشَّبَابِ
وَكُنَّ إِذَا رَسَمْنَ مَسَافِرَاتٍ تَهَادَاهَا الرُّوَاهُ مَعَ الرِّكَابِ
وقال أمير المؤمنين عليّ رضوان الله وسلامته عليه : (ما رأيت بليغاً قطُّ
إلا وله في اللفظِ إيجازٌ ، وفي المعاني إطالةٌ) .

وقيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيبٌ ، غير أنّك كثيرُ الكلام ، قال :
أفتسمعون صواباً أم خطأً ؟ قالوا : بل صواباً ، قال : فالزيادة من الخير
خيرٌ .

وليس كما قال ؛ لأن للكلام غايةً ، ولنشاط السامعين نهايةً ، وما فضل
عن مقدار الاحتمال ، ودعا إلى الاستثقال ، وصار سبباً للملال . . فذلك
الهدر والإسهاب والخطل ، وهو معيب عند كلِّ لبيبٍ .

وقال بعضهم : البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب .

وقالوا : المكثّر كحاطب الليل .

وقيل لبعضهم : من أبلغ الناس ؟ قال : من جلا المعنى المتين باللفظ
الوجيز ، وطبّق المفصل قبل التحزير .

مأخوذ من كلام معاوية ؛ وهو قوله لعمرو بن العاص لما أقبل أبو موسى :
يا عمرو ؛ إنّه قد ضمّ إليك رجلٌ قصيرُ اللسان ، طويلُ الرأي والعرفان ،
فأقلل الحزّ ، وطبّق المفصل ، ولا تلقه بكلِّ رأيك ، فقال عمرو : أكثر من
الطعام ، ما بطن قومٌ إلا فقدوا بعضَ عقولهم .

[من أمثلة الإيجاز]

ثم أورد أبو هلال بعد هذا الكلام أمثلة للإيجاز^(١) ، منها :

قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾^(٢) ، وقد أسلفنا تعريفك به ، وفضل

العبرة على قرينتها من كلام العرب ؛ وهي : القتل أنفى للقتل^(٣) .

وقوله : ﴿ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(٤) .

وعقبه بقوله : لا يوازي هذا الكلام في الاختصار شيء .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾^(٧) .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾^(٨) ، تحير في فصاحته جميع

البلغاء ، ولا يجوز أن يوجد مثله في كلام البشر .

وقوله : ﴿ وَقَدْ رَاودَهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمَ ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿ يَتَارَضُ أَبْلَىٰ مَاءِكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلِي ... ﴾ الآية^(١٠) ، تتضمن مع

الفصاحة والإيجاز دلائل القدرة .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٨١) .

(٢) سورة البقرة : (١٧٩) .

(٣) تقدم (١١٥/٢) .

(٤) سورة المؤمنون : (٩١) .

(٥) سورة يونس : (١٠) .

(٦) سورة الزخرف : (٥) .

(٧) سورة البقرة : (٢٢٤) .

(٨) سورة يوسف : (٨٠) .

(٩) سورة يوسف : (٣٢) .

(١٠) سورة هود : (٤٤) .

وقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(١)، كلمتان استوعبتا جميع المكوّنات والمقدورات والموجودات والمعدومات، ورؤي: أن ابن عمر قرأها، فقال: من بقي له شيء... فليطلبه.

وقوله في صفة خمر أهل الجنة: ﴿لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾^(٢)، فقوله: (لا يُزفون) انتظم عدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب، وانحلال القوى، وفساد الصحة، وانقطاع الأخوة والمودة بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾^(٣)، دخل تحت الأمن جميع المحبوبات؛ لأنه نفى به أن يخافوا شيئاً أصلاً؛ من الفقر، والموت، وزوال النعمة، والجور، وغير ذلك من أصناف المكروه، فلا ترى كلمة أجمع من هذه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْفُكِ الْتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾^(٤)، انتظم جميع أنواع التجارات، وصنوف المرافق التي يبلغها الحد والإحصاء، ومثله قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾^(٥)، تضمّن جميع منافع الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٦)، ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء.

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾^(٧)، ثلاث كلمات اشتملت عواقب الدنيا والآخرة.

(١) سورة الأعراف: (٥٤).

(٢) سورة الواقعة: (١٩).

(٣) سورة الأنعام: (٨٢).

(٤) سورة البقرة: (١٦٤).

(٥) سورة الحج: (٢٨).

(٦) سورة الحجر: (٩٤).

(٧) سورة الأنعام: (٦٧)، وفي الأصل: (كل أمر مستقر).

وقوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (١).

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢)، فجمع جميع مكارم الأخلاق بأصلها؛ لأنَّ في العفو: صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالمعروف: تقوى الله، وصلة الرحم، وصون اللسان، وغضَّ الطرف عن المحرَّمات، والتبرُّؤ من كلِّ قبيح؛ إذ لا يجوز أن يأمر بالمعروف وهو ملابسُ شيءٍ من المنكر، وفي الإعراض عن الجاهلين: الصِّبر، والحلم، وتنزیه النفس عن مقابلة السفیه بما يُوقِع في الذمِّ، ويُسقط القَدْر.

وقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾ (٣)، فدلَّ بشيئين على جميع ما أخرجهُ مِنَ الأرضِ قوتاً ومتاعاً للناسِ مِنَ العشبِ والشجرِ والحطبِ واللباسِ والنارِ والملحِ وغيرِ ذلك، والشاهدُ على أَنَّهُ أرادَ ذلكَ كلَّهُ.. قوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْمَارِكُمْ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفُضٍ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ (٥)، فانظر هل يمكنُ أحداً من أصنافِ المُتكلِّمينِ إيرادُ هذه المعاني في مثلِ هذا القَدْرِ مِنَ الألفاظِ!؟

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطِبُّ وَلَا يَاسِيسٌ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ﴾ (٦)، جمع الأشياءِ كُلِّها حتى لا يَشُدَّ منها شيءٌ على وجهٍ.

(١) سورة الأنعام: (١٣).

(٢) سورة الأعراف: (١٩٩).

(٣) سورة النازعات: (٣١).

(٤) سورة النازعات: (٣٣).

(٥) سورة الرعد: (٤).

(٦) سورة الأنعام: (٥٩).

وقوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ ^(١) ، جمع فيه من نعم الجنة ما لا تحصره الأفهام ، ولا تبلغه الأوهام .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ [نِعْمَتَانِ] » ^(٢) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « نِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » ^(٣) .

قلت ^(٤) : وهذا من أمثلة المبالغة ؛ فإنه نَبَّهَ على عظم أمر النية بتفضيلها على العمل ، وظاهرٌ أنه أفضل ؛ إذ هو المستتبِعُ للمنافع المرادة ، فمأل الكناية تعظيم شأن النية ، وحينئذٍ فلا حيرة في تفسير الخبر ، ولا يصحُّ أن يُقال : إنَّ معناه : النيةُ فردٌ من أفراد العمل ، وخيرٌ من الخيرات ، وإنَّ لفظ (خيرٌ) ليس اسم تفضيل .

وقوله : « تَرَكُ الشَّرِّ صَدَقَةٌ » ^(٥) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . . فليبين ، وأبدأ بمن تعول ، وأرتضخ من الفضل ، ولا تعجز عن نفسك » ، ويروى : « وأبدأ بنفسك ، ثم بمن تعول » ^(٦) ، وهو مثل قوله : « إنَّ الله يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ » ، وقوله : (لا تعجز عن نفسك) أي : لا تغلبك نفسك بما ركب فيها من الشُّحِّ ، فتكون لها مقهوراً ، قليل الثقة .

وقول أعرابي : اللهم ؛ هب لي حَقِّكَ ، وأرض عني خلقك .

وقول آخر يمدحُ قوماً : أولئك قومٌ جعلوا أموالهم مناديلَ لأعراضهم ؛

(١) سورة الزخرف : (٧١) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨٥/٦) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

(٤) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام أبي هلال العسكري في « الصناعتين » .

(٥) انظر « كشف الخفاء » (٩٦٦) .

(٦) كذا بالروایتين في « الصناعتين » (ص ١٨٤) .

فَالْخَيْرُ بِهِمْ زَائِدٌ ، وَالْمَعْرُوفُ لَهُمْ شَاهِدٌ ؛ أَي : يَقُونَ أَعْرَاضَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ .

وَلَاخِرَ يَمْدُخُ إِنْسَانًا : إِنَّهُ يَعْطِي عَطَاءً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَا دَّتُهُ .

وَقَوْلُ آخَرَ : أَمَّا بَعْدُ : فَعِظُ النَّاسِ بِفِعْلِكَ ، وَلَا تَعْظُهُمْ بِقَوْلِكَ ، وَاسْتَحْيِ

مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ قَرِيبِهِ مِنْكَ ، وَخَفَهُ بِقَدْرِ قَدْرَتِهِ عَلَيْكَ .

وَقَوْلُ آخَرَ : إِنْ شَكَّكَتَ فِي شَيْءٍ . . فَسَلْ قَلْبَكَ عَنِ قَلْبِي .



[الْمُسَاوَاةُ]

ثُمَّ أَتَعَ ذَلِكَ بِإِيرَادِ أَمْثَلَةٍ لِلْمُسَاوَاةِ^(١) : فَمِنْهَا :

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَدُوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيَدَّهْنُونَ ﴾^(٣) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْأَمَانَةَ مَغْنَمًا ، وَالرِّكَاهَةَ مَغْرَمًا »^(٤) .

وقوله عليه السلام : « إِيَّاكَ وَالْمُشَارَةَ ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ الْغُرَّةَ ، وَتُظْهِرُ الْعِرَّةَ »^(٥) .

وَمِنْ نَثْرِ الْكُتَّابِ : قَوْلُ بَعْضِهِمْ : سَأَلْتُ عَنْ خَبْرِي ، فَأَنَا فِي صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا فَقْدُكَ ، وَنِعْمَةٌ لَا مَزِيدَ فِيهَا إِلَّا بَكَ .

وَأَسْتَصِيبُ أَطْرَاحَ لَفْظِ (الْفَقْدِ) وَمَا شَاكَلَهُ مِنَ الْكَلَامِ ، فَتَقُولُ مِثْلًا : لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا بُعْدُكَ أَوْ غَيْبَتُكَ .

وقول آخر : قَدْ عَلَّمْتَنِي نَبْوَتَكَ سَلْوَتَكَ ، وَأَسْلَمْتَنِي يَا سَيِّدِي مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ عِنْدَكَ .

وقول آخر : فَحَفِظَ اللهُ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَفِيكَ ، وَتَوَلَّى إِصْلَاحَكَ وَالصَّلَاحَ لَكَ ، وَأَجْرَلَ مِنْ الْخَيْرِ حَظَّكَ وَالْحِظَّ مِنْكَ ، وَمَنْ عَلَى عَيْنِنَا بَكَ .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٥) .

(٢) سورة الرحمن : (٧٢) .

(٣) سورة القلم : (٩) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٢١٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه بنحوه .

(٥) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٧٨٧٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقولُ آخَرَ : يَسْتُ مِنْ صِلَاحِكَ ، وَأَخَافُ مِنْ فِسَادِي بِكَ .

وقولُ آخَرَ : قَدْ أَطْنَبَ فِي ذِمِّ الْحِمَارِ مَنْ شَبَّهَهُ بِهِ .

[من الطويل]

وَمِنَ الْمَنْظُومِ : قَوْلُ طَرْفَةَ (١) :

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا

[من البسيط]

وقولُ آخَرَ (٢) :

وَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ

تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ

[من الطويل]

وقولُ آخَرَ (٣) :

عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

أَهَابِكِ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ

قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا

وَمَا هَجَرْتِكِ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا

[من الطويل]

وقولُ آخَرَ (٤) :

وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِبُهُمْ فَمُقَلِّلٌ

فَأَمَّا الَّذِي يُحْصِيهِمْ فَمُكَثِّرٌ

[من الطويل]

أي : كَثُرُوا عِدَدًا ، وَقَلُّوا مَدَدًا ، فَهوَ كَقَوْلِ الْآخِرِ (٥) :

وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرًا

كَأَثَرِ بَسْعِدٍ إِنْ سَعْدًا كَثِيرَةٌ

[من الطويل]

وقولُ آخَرَ (٦) :

وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمَوَدَّةِ قَاصِدٌ

أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ عَنِ قَصْدِ أَرْضِهَا

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٨) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(٥) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٤/٤) .

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

وقول الآخر^(١) :

[من الطويل]

يَقُولُ أَنَا لَا يَضِيرُكَ فَقْدُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّتْ النَّفْسَ يَضِيرُهَا

وقول آخر^(٢) :

[من الوافر]

يَطُولُ أَلْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلٌ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ

وَقَالُوا لَا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَلِمَنْ يَضِيرُ

قال أبو هلال^(٣) : قوله : (لصاحبي) يكاد يكون فضلاً .

قلت : ولو قال الشاعر : (ونأي شهر لا يضير) على معنى الاستفهام الإنكاري والتعجب من قولهم . . لكان موافقاً لاحتقار نأي الشهر ، فإن زعمهم أن نأي شهر لا يضير أحداً ، لا أنه لا يضيره دون غيره .



(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٧) .

[إيجاز الحذف]

ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِأَن أوردَ مِنْ أمثلةِ إيجازِ الحذفِ قولُهُ تعالى : ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(١) ؛ أَي : أهلها ، وقولُهُ : ﴿ وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ ^(٢) ؛ أَي : حَبَّهُ ، وقولُهُ : ﴿ الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ ^(٣) ؛ أَي : وقتُ الحجِّ .

وقولُ الشاعرِ ^(٤) :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهِبَ السَّبَالِ أذَلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا
أَي : أهلُ مجلسٍ ، وسواسيةٌ : جمعٌ [سواء] .

وقولُ آخرَ :

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ بَاتَ لَهُ وَفُرُ
أَي : ويفقأ عينيه .

وقولُ آخرَ ^(٥) :

إِذَا مَا أَلْغَانِيَّاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا
أَي : وكحلن العيون .

وقولُهُ تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سِيرَتْ بِهٖ لَلْجِبَالِ أَوْ قَطَعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَتْ بِهٖ الْمَوْتَى ۗ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ ^(٦) ؛ أَي : لكانَ هذا القرآن .

(١) سورة يوسف : (٨٢) .

(٢) سورة البقرة : (٩٣) .

(٣) سورة البقرة : (١٩٧) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ١٨٧) .

(٥) انظر «الصناعتين» (ص ١٨٨) .

(٦) سورة الرعد : (٣١) .

وقوله أيضاً: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١)؛
أي: لَعَذَّبَكُمْ .

وقول الشاعر (٢):

[من الطويل]
وَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا
أي: لَرَدَدْنَاهُ .

وقول رجلٍ وقد سُئِلَ عن أمير المؤمنين عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ (٣): لم يقل
فيه مستزيدياً: لو أَنَّهُ ، جمعَ الجِلْمِ والعِلْمِ والسَلَمِ ، والقِرَابَةِ القَرِيبَةِ والهَجْرَةِ
القَدِيمَةِ ، وهُوَ البَصِيرُ بالأَحْكَامِ ، والبَلَاءِ العَظِيمِ في الإسلامِ ؛ أي: لو أَنَّهُ كَانَ
كَذَا وكَذَا لِأُمُورٍ يَرَى أَنَّهَا فَاتَتْهُ .

وقول آخَرَ: ما زلتُ أمتطي النهارَ إليك ، وأستدلُّ بفضلكَ عليك ، حتى
إذا جنَّني الليلُ ، فقبضَ البصرَ ، ومحا الأثرَ . . أقامَ بدني ، وسافرَ أُملي ،
والاجتهادُ عاذرٌ ، وإذا بلغْتُكَ فقط .

ومنَ الحكاياتِ المُشْتَمِلَةِ على كَلامٍ يَتَضَمَّنُ أمثلةً لإيجازِ الحذفِ (٤):
ما يُحكى: أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ أتى أخاهُ خالدًا فقالَ: يا أخي ؛
لقد هممتُ أن أقتلَ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ ، فقالَ خالدٌ: بئسَ واللهِ ما هممتَ
به في ابنِ أميرِ المؤمنينَ ، ووليِّ عهدِ المسلمينَ ، فقالَ: إنَّ خيلي مرَّتْ به ،
فعبثتُ بها ، وأصغرتني فيها ، فقالَ: أنا أكفيك .

فدخلَ عليَّ عبدُ الملكِ فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الوليدَ ابنَ أميرِ

(١) سورة النور: (٢٠) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ١٨٨) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ١٩٢) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ١٩٢ - ١٩٣) .

المؤمنين ووليَّ عهدِ المسلمين مَرَّتْ بِهِ خَيْلٌ لِابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ ،
 فَعَبَثَ بِهَا وَأَصْغَرَهُ فِيهَا ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ مُطْرِقٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا
 دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا أُذَلَّةً ﴾ ^(١) ، فَقَالَ خَالِدٌ : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ
 قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ ^(٢) .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَفِي عَبْدِ اللَّهِ تُكَلِّمُنِي؟! وَاللَّهِ ؛ لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ فَمَا أَقَامَ
 لِسَانَهُ لِحْنًا ، فَقَالَ خَالِدٌ : [أَفْعَلَى] الْوَلِيدِ تُعَوِّلُ؟! فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنْ كَانَ
 الْوَلِيدُ يَلْحَنُ .. فَإِنَّ أَخَاهُ سَلِيمَانَ ، فَقَالَ خَالِدٌ : إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَلْحَنُ .. فَإِنَّ
 أَخَاهُ خَالِدًا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : اسْكُتْ يَا خَالِدُ ، فَوَاللَّهِ ؛ مَا تُعَدُّ فِي الْعَيْرِ
 وَلَا فِي النَّفِيرِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : اسْمَعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :
 مَنْ لِلْعَيْرِ وَالنَّفِيرِ؟! جَدِّي أَبُو سَفْيَانَ صَاحِبُ الْعَيْرِ ، وَجَدِّي عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ
 صَاحِبُ النَّفِيرِ ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ : غُنَيْمَاتٌ وَجُبَيْلَاتٌ وَالطَّائِفُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ
 عِثْمَانَ .. قُلْنَا : صَدَقْتَ .

فَقَوْلُهُ : (أَفْعَلَى الْوَلِيدِ تُعَوِّلُ) أَي : فَإِنَّهُ أَسْوَأُ حَالًا فِي ذَلِكَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ .
 وَقَوْلُهُ : (فَإِنَّ أَخَاهُ سَلِيمَانَ) أَي : وَهُوَ لَا يَلْحَنُ .
 وَقَوْلُهُ : (فَإِنَّ أَخَاهُ خَالِدًا) أَي : وَهُوَ كَمَا تَعْرِفُ .

وَقَوْلُهُ : (لَا تُعَدُّ فِي الْعَيْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ) مِثْلُ فِي الْاِحْتِقَارِ ، مَعْنَاهُ :
 أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُذَكَّرُ ، وَأَصْلُهُ كَمَا صَرَفَ الْكَلَامَ إِلَيْهِ خَالِدٌ عَنِ التَّمَثُّلِ :
 أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَزَمَ أَنْ
 يَتَلَقَّى رَكْبَ تِجَارَتِهِمْ عِنْدَ قَدُومِهِ مِنَ الشَّامِ وَهُوَ الْعَيْرُ ، وَكَانَ رَئِيسُهُ
 أَبُو سَفْيَانَ صَخْرَ بْنَ حَرْبِ بْنِ أَبِي مَعَاوِيَةَ .. خَرَجُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَرَئِيسُهُمْ

(١) سورة النمل : (٣٤) .

(٢) سورة الإسراء : (١٦) .

عتبه بن ربيعة ليمنعوا تجارتهم ؛ وهو المُسمَى بالنفيرِ ، فكانت غزوة بدرِ الشهيرة .

وقوله : (لوقلت : غَنِيْمَاتٌ وَجُبَيْلَاتٌ ...) إلى آخره : إشارة لقصة ؛ وهي أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم نَقِمَ على الحكم أبي مروان وجدّ عبد الملك أموراً ، فنفاه إلى الطائف ، وأقام هنالك يعيشُ في قطعةٍ مِنَ الغنمِ بقيةً مُدَّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ومُدَّتَي أبي بكرٍ وعمرَ ، وردّه إلى المدينةِ عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه في خلافته ، وكانَ ذلكَ مِنَ الحُجَجِ التي تَمَسَّكَ بها المسلمونَ إذ ذاكَ على إساءةِ عثمانَ رضي الله عنه^(١) .

وإذا أحسنتَ النظرَ ، وتَفَهَّمَ المعاني ، وما تستدعيه مِنَ الألفاظِ . . لم يصعبَ عليك أن تتبيّنَ عملَ القرائنِ الحاليّةِ واللفظيّةِ ، ونيابتها عن ذكرِ بعضِ ما تقتضيه المعاني ، كلمةً كانَ أو أكثرَ .

وبهذا القدرِ معَ ما سلفَ مِنْ فنِّ المعاني . . تجدُ في نفسك مادّةً لإتقانِ معرفةِ الإيجازِ بنوعيه والمساواةِ ، وموضعِ كلِّ .



(١) وفي «الإصابة» (٣٤٥/١) : (ويقال : إنّ عثمان رضي الله عنه اعتذر لما أن أعاده إلى المدينة ؛ بأنه كان استأذن النبيّ صلى الله عليه وسلم فيه ، وقال : قد كنت شفعت فيه فوعدني برده) .

[الإطناب]

ثُمَّ هَاكَ بَعْضَ مَا قِيلَ فِي الإطنابِ ، قَالَ أَبُو هلالٍ ^(١) : قَالَ أَصْحَابُ الإطنابِ : المَنْطِقُ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ ، وَالبَيَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالإشباعِ ، وَالشِّفَاءُ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالإقْناعِ ، وَأَفْضَلُ الكَلَامِ أْبَيْنُهُ ، وَأَبْيَنُهُ أَشَدُّهُ إِحاطَةً بِالمَعانِي ، وَلَا يُحاطُ بِالمَعانِي إِحاطَةً تامَّةً إِلَّا بِالاستقصاءِ وَالإيجازِ لِلخواصِّ ، وَالإطنابُ مُشْتَرِكٌ فِيهِ الخَاصُّ وَالعَامُّ ، وَالعَبِيُّ وَالفَطْنُ ، وَلَمَعْنَى مَا أُطِيلَتِ الكَتَبُ السُّلْطانيةُ فِي إِفهامِ الرِّعايا .

وَالقَوْلُ القَصْدُ : أَنَّ الإطنابَ وَالإيجازَ - كَمَا اعترفَ بِهِ مادِحُو الإطنابِ - مَحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا فِي جَمِيعِ الكَلَامِ ، وَكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُ ، وَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُما مَوْضِعٌ ، وَالحَاجَةُ إِلَى الإيجازِ فِي مَوْضِعِهِ كالحَاجَةُ إِلَى الإطنابِ فِي مَكَانِهِ ؛ فَمَنْ أزالَ التَّدبِيرَ فِي ذَلِكَ عَن جِهَتِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ الإطنابَ فِي مَوْضِعِ الإيجازِ . . أَخْطَأَ ، كَمَا رُوِيَ عَن جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ ^(٢) - مَعَ عَجَبِهِ بِالإيجازِ ؛ حَيْثُ يَقُولُ كَمَا سَلَفَ لكَتَبْتِهِ : إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَجْعَلُوا كَتَبَكُمْ تَوْقِيعاتٍ . . فافْعَلُوا ؛ أَي : وَجِيزَةً مِثْلَ التَّوْقِيعاتِ ؛ وَهِيَ العِبارَةُ الَّتِي تُكْتَبُ عَنِ السُّلْطانِ أَوْ نُوابِهِ عَلَى القِصَصِ لِإِجْراءِ ما فِيها ، فَإِنَّهُ كَمَا جَرَتْ العِادَةُ يُخْتارُ لَهَا أَوْجُزُ العِباراتِ ، فربَّما كانَ التَّوْقِيعُ كَلِمَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ - : مَتى كانَ الإيجازُ أْبْلَغَ . . كانَ الإِكْثارُ عَيْبًا ، وَمَتى كانَتِ الكِتابَةُ فِي مَوْضِعِ الإِكْثارِ . . كانَ الإيجازُ نَقْصِيرًا .

وَأَمْرَ يَحْيَى بْنِ خالِدِ اثْنَيْنِ أَنْ يَكْتَبَا كِتابًا فِي مَعْنَى واحِدٍ ، فَأَطالَ أَحَدُهُما ،

(١) انظر « الصنائع » (ص ١٩٦) .

(٢) انظر « الصنائع » (ص ١٩٦) .

واختصر الآخر ، فقال للمختصر وقد نظر في كتابه : ما أرى موضع مزيد ، وقال للمطيل : ما أرى موضع نقصان^(١) .

قلت : لا معنى لإيراد أبي هلال هذه الحكاية في هذا الموضوع ؛ إذ غرضه تمييز موضع كلٍّ من الإيجاز والإطناب ، ويؤخذ من هذا الكلام أنه ربّما كان المعنى موضعاً لاختلاف الرأي والذوق ؛ فبعض يرى حسن الإطناب ، وآخر حسن الإيجاز ، وربّما يستدعي المعنى أحدهما فقط ، فيكون الكاتب أو المتكلم أسيراً لذلك الاستدعاء .

وقال غيره^(٢) : البلاغة : الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطٍ .

ولا شك أن الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة والفتوح الجليلة ، وتفخيم النعم الحادثة ، أو الترغيب في الطاعة ، والنهي عن المعصية . . سبيلها أن تكون مُسبَّعة مُستقصاة ، تملأ الصدور ، وتأخذ بمجامع القلوب ؛ فمن هنا ترى أن ما كتبه المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج في فتح الأزارقة : (الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد متصلاً بنعمته ، وقضى ألا ينقطع المزيد من فضله ، حتى ينقطع الشكر من خلقه ، ثم إننا كنا وعدونا على حالين مختلفين ، نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوئنا ، ويرون فينا ما يسوئهم أكثر مما يسرهم ، [فلم يزل ذلك] دأبنا ودأبهم ، ينصرون الله ويخذلهم ، ويمحصنا الله ويمحقهم ، حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين) . . إنَّما حسن في موضعه ، ومع الغرض

(١) انظر «الصناعتين» (ص ١٩٦) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ١٩٦) .

الذي كَانَ لكَاتِبِهِ ، وَهُوَ تَعَجِيلُ الْبَشْرَى لِلسُّلْطَانِ بِمَا تَمَّ لِعَسْكَرِهِ وَفِي
عَدُوِّهِ ، وَذَلِكَ الْقَدْرُ كَافٍ .

وَأَمَّا إِذَا كُتِبَ مِثْلُهُ فِي فَتْحِ يَوَازِي ذَلِكَ الْفَتْحِ فِي جَلَالَةِ الْقَدْرِ وَنِبَاهَةِ
الْخَطَرِ ، وَقَدْ تَطَلَّعْتَ أَنْفُسَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِ ، وَتَصَرَّفْتَ ظَنُونُهُمْ فِيهِ . .
وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِثْلُ هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْكَلَامِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ وَأَسْمَجِهَا وَأَشْوَهِيهَا
وَأَهْجِنِهَا ، وَكَانَ حَقِيقًا أَنْ يُتَعَجَّبَ مِنْهُ .

وَمِنَ الْوَجِيزِ فِي مَوْضِعِهِ ^(١) : مَا كَتَبَ بِهِ بَعْضُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ لِرَجُلٍ تَأَخَّرَ
عَنِ الْبَيْعَةِ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَرَاكَ تُقَدِّمُ فِي الطَّاعَةِ رِجَالًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا
أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا . . فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيِّهِمَا شِئْتَ .

وَمَا كَتَبَ بِهِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِعَامِلٍ كَثُرَتْ مِنْهُ الشُّكُوى : قَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ ،
فَأَمَّا عَدَلْتُ ، وَإَمَّا عُزِلْتُ .

وَمَا كَتَبَ بِهِ آخَرُ لَوَالِي خَرَاجٍ ظَهَرَ مِنْهُ تَحَامُلٌ عَلَى الرِّعِيَةِ ^(٢) : أَمَّا
بَعْدُ : فَإِنَّ الْخَرَاجَ عَمُودُ الْمَلِكِ ، وَمَا اسْتُعْزِرَ بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، وَلَا اسْتُنْزِرَ بِمِثْلِ
الْجُورِ .

وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ^(٣) : يُخْتَصَرُ الْكَلَامُ لِيُحْفَظَ ، وَيُبَسِّطُ لِيُفْهَمَ .

وَمِنْ هُنَا وَضَعَ النَّاسُ فِي الْعُلُومِ مَتُونًا وَشُرُوحًا .

وَقِيلَ لِأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ : هَلْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَطِيلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ كَانَتْ
تَطِيلُ لِيُسْمَعَ مِنْهَا ، وَتُوجِزُ لِيُحْفَظَ عَنْهَا .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

والإطنابُ إذا لم يكن منه بُدٌّ . . . وجب ، وهو في المواعظِ خاصَّةً محمودٌ
ممدوحٌ زيادةً .

والموعظةُ : كقولِ الله تعالى : ﴿ أَقَامِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ
نَائِمُونَ أَوْ آمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُجَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَقَامُوا
مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَيْرُونَ ﴾ (١) ، فتكريرُ ما كُتِرَ مِنْ
الألفاظِ ها هنا في غايةِ حسنِ الموقعِ .

وقيلَ لبعضِهِم : متى يُحتاجُ إلى الإكثارِ ؟ فقالَ : إذا عَظَّمَ الخُطْبُ ،
وأنشد (٢) :

صَمُوتٌ إِذَا مَا أَلْصَمْتُ زَيْنَ أَهْلَهُ [وَفَتَاتُ] أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُحَبَّرِ
وقال آخرُ (٣) :

يَزُمُونَ بِالْحُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَيِّ الْمَلَا حِظَّ خَشِيَةِ الرُّقْبَاءِ
وقال بعضهم (٤) :

إِذَا مَا أَبْتَدَا خَاطِبًا لَمْ يُقَلِّ لَهُ أَطْلِ الْقَوْلِ أَوْ أَقْصِرِ
طَبِيبٌ بِدَاءِ فُنُونِ الْكَلَا مِ لَمْ يَغْيِ يَوْمًا وَلَمْ يَهْذِرِ
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُقْصِرِ
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُقَلِّ عَلَى الْمُكْثِرِ

ووجدنا الناسَ إذا خطبوا في الصُّلحِ بينَ العشائرِ . . . أطالوا ، وإذا أنشدوا

(١) سورة الأعراف : (٩٧ - ٩٩) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

الشعرَ بينَ السماطينِ في مديحِ الملوكِ .. أطنبوا ، والإطالةُ والإطنابُ في هذه المواضعِ إيجازٌ .

وقيلَ لقيسِ بنِ خارِجَةَ : ما عندكَ في [حَمالاتِ داحسَ] ؟ ^(١) ، قالَ :
عندي قِرَى كُلِّ نازلٍ ، ورضا كُلِّ ساخِطٍ ، وخُطْبَةٌ مِنْ لَدُنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى
أَنْ تَغْرِبَ ، آمُرُ فِيهَا بِالتَّوَصُّلِ ، وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ .

وقد رأينا اللهَ تباركُ وتعالى إذا خاطبَ العربَ والأعرابَ .. أخرجَ الكلامَ
مُخْرِجَ الإِشَارَةِ وَالوَحْيِ ، فإذا خاطبَ بني إِسْرَائِيلَ ، أو حكى عَنْهُمْ ..
جَعَلَ الكَلَامَ مَبْسُوطًا ؛ فمِمَّا خَاطَبَ بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ : ﴿ إِنِّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ
مِنْهُ صَعْفَ الظَّالِمِ وَالْمُظَلَمِ ﴾ ^(٢) ، وقولِهِ تعالى : ﴿ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٣) ، وأشباهُ هذا كثيرةٌ ، وقلَّما تجدُ قصَّةً لبني
إِسْرَائِيلَ إِلَّا مُطَوَّلَةً مَشْرُوحَةً وَمُكْرَّرَةً فِي مَوَاضِعَ مَعَادَةً ؛ لِبَعْدِ فَهْمِهِمْ ،
وَتَأخَّرِ مَعْرِفَتِهِمْ .

وكلامُ الفُصْحَاءِ إِنَّمَا هُوَ شِوْبُ الإِيجَازِ بِالإِطْنَابِ ، والفصيحُ العالِي بما
دُونَ ذَلِكَ ؛ لِيُستَدَلَّ بِهِ عَلَيْهِ ، وَلِيُخْرِجَ السامِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، وَيُزَادَ
نشاطَهُ ، وَتَتَوَفَّرَ رَغْبَتُهُ ، فَتَصَرَّفُوا فِي وَجْهِ الكَلَامِ ؛ إِيجَازِهِ وَإِطْنَابِهِ ، حَتَّى
اسْتَعْمَلُوا التَّكْرَارَ لِيَتَوَكَّدَ القَوْلُ لِلسامِعِ .

وقد جاءَ في القرآنِ وفي فصيحِ الشعرِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ : قَوْلُهُ
تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) ، وقولُهُ تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ

(١) الحَمالاتُ : الدِّيَّاتُ يَحْمِلُهَا قَوْمٌ عَنِ قَوْمٍ .

(٢) سورة الحج : (٧٣) .

(٣) سورة المؤمنون : (٩١) .

(٤) سورة التكاثر : (٣ - ٤) .

الْعَسْرِيَّتْرَ إِنَّ مَعَ الْعَسْرِيَّتْرَ ﴿١﴾ ، فَتَكَرَّرَ لِلتَّوَكِيدِ ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ : اِرْمِ اِرْمِ ،
اعجلِ اعجلِ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ (٢) :

كَمْ نِعْمَةٌ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ [كَانَتْ وَكَمْ]
وَقَالَ آخِرُ (٣) :

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَ هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَ هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَ



وَرَبَّمَا جَاؤُوا بِالصِّفَةِ وَأَرَادُوا تَوَكِيدَهَا ، فَكْرَهُوا إِعَادَتَهَا ثَانِيَةً ، فَغَيَّرُوا مِنْهَا
حَرْفًا ، ثُمَّ أَتَبَعُوهَا الْأَوْلَى ؛ كَقَوْلِهِمْ : عَطْشَانُ نَطْشَانُ ، كَرَهُوا أَنْ يَقُولُوا :
عَطْشَانُ عَطْشَانُ ، فَأَبَدَلُوا مِنَ الْعَيْنِ نُونًا .

وَكَذَلِكَ قَالُوا : حَسَنٌ بَسَنٌ ، وَشَيْطَانٌ لَيْطَانٌ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا كَثِيرَةٌ ،
فَقَدْ كَرَّرَ اللَّهُ جَلَّتْ قَدْرَتُهُ فِي سُورَةِ (الرَّحْمَنِ) قَوْلَهُ : ﴿ فَيَأْتِيءَ آلَاءَهُ رِيكْمًا
تُكْذِبَانِ ﴾ (٤) ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَدَّدَ فِيهَا نِعْمَاءَهُ ، وَأَذَكَرَ عِبَادَهُ آلَاءَهُ ،
وَنَبَّهَهُمْ عَلَى قَدْرِهَا ، وَقَدْرَتِهِ عَلَيْهَا ، وَلَطْفِهِ فِيهَا ، وَجَعَلَهَا فَاصِلَةً بَيْنَ كُلِّ
نِعْمَةٍ ، لِيُعْرَفَ مَوْضِعُ مَا أَسَدَاهُ إِلَيْهِمْ مِنْهَا ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ
الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَ مَهْلَهْلٌ فِي شِعْرِهِ (٥) :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا فِي كَلْبِ



(١) سورة الشرح : (٥ - ٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٩) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٠) .

(٤) سورة الرحمن : (١٣) .

(٥) انظر « ديوان مهلهل بن ربيعة » (ص ٤٠) .

وَكَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ بَيْتًا ، وَهَكَذَا قَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ

[عُبَادٍ] ^(١) :

قَرَّبًا مَرْبُوطَ النَّعَامَةِ مِنِّي

كَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى التَّكْرِيرِ مَاسَّةً ، وَالضَّرُورَةُ

إِلَيْهِ دَاعِيَةٌ ؛ لِعَظَمِ الْخَطْبِ ، وَشِدَّةِ مَوْقِعِ الْفَجِيعَةِ .

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِطْنَابَ عِنْدَهُمْ مُسْتَحْسَنٌ ، كَمَا أَنَّ الْإِيجَازَ فِي مَكَانِهِ

مُسْتَحَبٌّ .

وَلَا بَدَّ لِلْكَاتِبِ فِي أَكْثَرِ أَنْوَاعِ مَكَاتِبَاتِهِ مِنْ شَعْبٍ مِنَ الْإِطْنَابِ ، يَسْتَعْمَلُهَا

إِذَا أَرَادَ الْمَزَاجَةَ بَيْنَ الْفَصَلَيْنِ ، وَلَا يُعَابُ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ :

(عَظَمْتُ نَعْمَتًا عَلَيْهِ ، وَتَظَاهَرَ إِحْسَانُنَا لَدَيْهِ) ، فَيَكُونُ الْفَصْلُ الْأَخِيرُ دَاخِلًا

مَعْنَاهُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ .

وَقَالَ مِرْوَانُ - آخِرُ مَلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ - لِخَادِمِهِ بِاسْمِ :

مَنْ أَغْفَلَ الْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ ، وَالصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَالْخَفِيَّ حَتَّى يَظْهَرَ . . .

أَصَابَهُ مِثْلُ هَذَا ، وَهَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ ، وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الْفَصَلَيْنِ

الْأَخِيرَيْنِ دَاخِلًا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ ، وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ ^(٢) :

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ الشَّرِيِّ وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ

الْغَنَاءِ دَاخِلٌ فِي الْخَفْضِ ، وَالْعَنَاءُ دَاخِلٌ فِي الشَّرِيِّ .

وَمِمَّا هُوَ أَجْدَى مِنْ ذَلِكَ كَلِمَةُ : قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ ^(٣) ، وَالْإِحْسَانُ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٠٠) .

(٢) انظر «ديوان أبي تمام» (١١٩/١) .

(٣) سورة النحل : (٩٠) .

داخلٌ في العدلِ ، وإيتاءُ ذي القربى داخلٌ في الإحسانِ ، والفحشاءُ داخلَةٌ في
المُنكرِ ، والبغيُّ والمُنكرُ داخلانِ في الفحشاءِ .

وهذا يدلُّ على أنَّ عظمَ مدارِ البلاغةِ على تحسِينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المعاني
إذا دخلَ بعضها في بعضٍ هذا الدخولَ ، وكانتِ الألفاظُ مختارةً . . حَسَنَ
الكلامِ ، وإذا كانتِ المعاني مُرتَّبةً حسنةً ، والمعارضُ سيئةً . . كانَ الكلامُ
مردوداً ، فاعتمدُ على ما مَثَّلْتُهُ لَكَ ، وقسْ عليه ، ومِنَ الله الهدايةُ .



[مبادئ الكلام ومقاطعهُ]

وقال أبو هلالٍ في بابِ القولِ عن مبادئِ الكلامِ ومقاطعِهِ ، والخروجِ مِنْ فصلٍ إلى فصلٍ^(١) : قالَ بعضُ الكُتَّابِ : أحسنوا معاشرَ الكُتَّابِ الابتداءاتِ ؛ فإنَّهُنَّ دلائلُ البيانِ .

وقالوا : ينبغي للشاعرِ أن يحترزَ في أشعارِهِ ومُفتتحِ أقوالِهِ ممَّا يُنطيرُ مِنْهُ ويُستجفَى مِنْ الكلامِ والمُخاطبةِ ؛ كالبكاءِ ، ووصفِ اقتفارِ الدارِ ، وتَشْتِيتِ الأُلافِ ، ونعيِ الشبابِ ، لا سيما في القصائدِ التي تتضمَّنُ المدائحَ والتَهانِي ، [ويُسْتَعْمَلُ] ذلكَ في المراثي ، ووصفِ الخُطوبِ الحادثةِ ؛ فإنَّ الكلامَ إذا كانَ مُؤسَّساً على هذا المِثالِ . . تَطَيَّرَ مِنْهُ سامعُهُ وإن كانَ يعلمُ أنَّ الشاعرَ إنَّما يُخاطبُ نفسَهُ دونَ الممدوحِ ، مثلُ ابتداءِ ذي الرُّمَّةِ^(٢) : [من البسيط]

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا أَلْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

وكانَ بعينيَّ عبدِ الملكِ عِلَّةٌ يدمعانِ مِنْها ، فقالَ لَهُ : ما لكَ وهذا يا بغيضُ ؟!

وقد أنكرَ الفضلُ البرمكيُّ على أبي نُوَاسٍ^(٣) :

أَرْبَعُ أَلْبَلَى إِنَّ أَلْحُشُوعَ لَبَادِ

فلَمَّا انتهى إلى قولِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمْ بَنِي بَرَمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِي

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥١) .

(٢) تقدم (١٢٣/٢) .

(٣) انظر « ديوان أبي نُوَاسٍ » (ص ٢٦٣ - ٢٦٦) .

استحکم تطيُّرُهُ ، وقيلَ : إِنَّهُ لم يمضِ أسبوعٌ حتى نُكبوا .

قلتُ ^(١) : وإذا كانَ هذا الشعرُ من أبي نُواسٍ مقصوداً أن يكونَ على هذا النحو ، وأنه به مأمورٌ ؛ تعجيلاً لإساءتِهِم ، ومبادرةً بتنغيصِ حياتِهِم ، وإشعارِهِم بعزيمةِ الانتقامِ منهم ، كما قيلَ ذلكَ .. لم يكنْ مثلاً لِمَا نحنُ فيه .

وحُكي ^(٢) : أَنَّهُ لَمَّا فرغَ المعتصمُ من بناءِ قصرِهِ بالميدانِ الذي كانَ للعباسةِ .. جلسَ فيه ، وجمعَ أهلهُ وأصحابَهُ ، وأمرَ أن يُلبَسَ الناسُ كلُّهمُ الديباجَ ، وجعلَ سريرهُ في الإيوانِ المنفوشِ بالفسافسِ ، الذي كانَ في صدرِهِ صورةُ العنقاءِ ، فجلسَ على سريرٍ مُرصَّعٍ بأنواعِ الجواهرِ ، وجعلَ على رأسِهِ التاجَ الذي كانتَ فيه الدُرَّةُ اليتيمةُ ، وفي الإيوانِ أسرَّةُ ابنوسَ عن يمينِهِ وعن يساره ، من عندِ السريرِ الذي عليه المعتصمُ إلى بابِ الإيوانِ ، فكلَّمَا دخلَ رجلٌ .. رتَّبَهُ هوَ بنفسِهِ في الموضعِ الذي يليقُ به ، فما رأى الناسَ أحسنَ من ذلكَ اليومِ ، فاستأذنهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصليُّ في النشيدِ ، فأذنَ له ، فأنشدهُ شعراً ما سمعَ الناسُ أحسنَ منهُ في صفتهِ وصفةِ المجلسِ ، إلا أنَّ أولَهُ تشبيهُ بالديارِ القديمةِ وبقيةِ آثارها ، فكانَ أولُ بيتٍ منها :

يَا دَارُ غَيْرِكَ أَلْبَلَى وَمَحَاكِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَلْذِي أَبْلَاكِ
فَتَطَيَّرَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ ذَلِكَ ، وتغامزَ الناسُ ، وعجبوا كيفَ ذهبَ على إسحاقَ معَ فهمِهِ وعلمِهِ وطولِ خدمتِهِ للملوكِ .

قالَ راوي الحكايةِ : فأقمنا يوماً وانصرفنا ، فما عادَ منَّا اثنانِ إلى

(١) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام العسكري من «الصناعتين» .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٥١ - ٤٥٢) .

ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، وَخَرَجَ الْمَعْتَصِمُ إِلَى سُرٍّ مِّنْ رَأْيِ ، وَخَرِبَ الْقَصْرُ .

وَأَنْشَدَ الْبَحْتَرِيُّ أَبَا سَعِيدٍ قَصِيدَةً أَوَّلُهَا ^(١) :

لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَطَاوَلَ آخِرُهُ وَوَشِكَ نَوَى حَتَّى تُزَمَّ أَبَاعِرُهُ
فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : بِلِ الْوَيْلُ وَالْحَرْبُ لَكَ ، فَغَيَّرَهُ وَجَعَلَهُ : لَهُ الْوَيْلُ ، وَهُوَ
رَدِيءٌ أَيْضًا .

وَأَنْشَدَ [ابْنُ مِقَاتِلٍ] الدَّاعِي ^(٢) :

لَا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانُ غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمَهْرَجَانِ
فَأَوْجَعَهُ الدَّاعِي ضَرْبًا ، ثُمَّ قَالَ : هَلَّا قَلْتَ :
إِنْ تَقُلْ بُشْرَى فَهَلْذِي بُشْرِيَانُ
وَلَمْ يَجْزِهِ ، وَقَالَ : جَائِزَتُهُ تَحْسِينُ أَدْبِهِ .

فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَرَ دَارًا . . فليذكرها كما ذكرَ [الْخَرِيمِيُّ] ^(٣) :

أَلَا يَا دَارُ دَامَ لَكَ الْحُبُورُ وَسَاعَدَكَ الْغَضَارَةُ وَالسُّرُورُ
وَكَمَا قَالَ أَشْجَعُ ^(٤) :

قَضْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ نَشَرْتُ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
وَقَالُوا : أَحْسَنُ ابْتِدَاءَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ قَوْلُ النَّابِغَةِ ^(٥) :

كَلَيْنِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

(١) انظر « ديوان البحتري » (٨٧٦/٢) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٢) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٣) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٣) .

(٥) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٠) .

وأحسنُ مرثيةً جاهليةً ابتداءً قولُ أوسِ بنِ حجرٍ^(١) : [من المنسرح]

أَيَّتْهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

وأحسنُ مرثيةً إسلاميةً ابتداءً قولِ أبي تمامٍ^(٢) : [من الطويل]

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا وَأَصْبَحَ مَعْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَعَا

وقد بكى امرؤُ القيسِ واستبكى ، ووقفَ واستوقفَ ، وذكرَ الحبيبَ والمنزلَ

في نصفِ بيتٍ^(٣) : [من الطويل]

قِفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

فهو من أجودِ الابتداءاتِ ، وكرَّره في مطلعِ قصيدةٍ أخرى ؛ وهو

قوله^(٤) : [من الطويل]

قِفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِزْفَانِ وَرَبِعِ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَرْمَانَ

وهو أحسنُ وأتمُّ مِنَ الْأَوَّلِ .

ومن أحكمِ ابتداءاتِ العربِ قولُ السَّمَوِّعِ^(٥) : [من الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَزْتَدِيهِ جَمِيلٌ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ

(١) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٥٣) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٩٩/٤) .

(٣) تقدم (٤١٧/٢) .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٨٩) .

(٥) انظر « ديوان السموعل » (ص ١٠) .

وقال بعضهم : أحكمُ ابتداءاتهم قولُ لبيدٍ^(١) :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَّا مَحَالَةَ زَائِلٌ
وبعضهم يجعلُ ابتداءَ هذه القصيدة^(٢) :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْحَبْتُ فَيُقْضَى أَمْ ضَلَّالٌ وَبَاطِلٌ
ومن جِدادِ ابتداءاتِ الجاهلية قولُ النابغة^(٣) :

دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَأَسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ
قالوا : وكانَ عبدُ الحميدِ لا يبتدئُ بـ (لولا) ولا (إن رأيت) .

وقد جعلَ الناسُ قولَ أبي تمامٍ^(٤) :

يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا

من جِدادِ الابتداءِ ، وقولُهُ :

سَعِدَتْ غُزْبَةُ النَّوَى بِسَعَادِ

وسئِلَ بعضهم عن أحذقِ الشعراءِ ، فقالَ : مَنْ يَتَفَقَّدُ الْإِبْتِدَاءَ
والمقطع^(٥) .

ولمَّا نظرَ أبو العميرِ في قصيدةِ أبي تمامٍ :

هَنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبِي

(١) انظر «ديوان لبيد» رضي الله عنه (ص ٢٥٦) .

(٢) انظر «ديوان لبيد» رضي الله عنه (ص ٢٥٤) .

(٣) انظر «ديوان النابغة الذبياني» (ص ١١٥) .

(٤) انظر «ديوان أبي تمام» (١٠/٢) ، والبيت بتمامه :

يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا هِيَ الصَّبَابَةُ طُولَ الدَّهْرِ وَالسَّهْدِ

(٥) انظر «الصناعتين» (ص ٤٥٤) ، والسياق له .

فاسترذلَ ابتداءها ، وأسقطَ القصيدةَ كلها ، حتى راجعه أبو تمام ، وأوقفه
على موضع الإحسانِ منها ، فراجعَ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ وأجازَه .

قلتُ^(١) : أبو العميثلِ هذا كانَ مِنْ علماءِ الشعراءِ المقيمينَ في خدمةِ
عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ ، وهوَ أميرُ خراسانَ إذ ذاك ، وكانَ الشعراءُ يقصدونه مِنْ
الجهاتِ البعيدةِ بمدائحَ يبتغونَ جوائزَه ، ولكنْ لم يكنْ لسمعِ شعراً حتى
يسمعهُ أبو العميثلِ وأصحابُه ؛ فإنِ استجادوه .. أبلغوهُ الأَميرَ وأثنوا على
صاحبهِ ، فيجيزُه ، وإن لم يستجيدوه .. ردَّوهُ صِفَرِ اليدينِ .

ومنَ عيونِ أبياتِ هذهِ القصيدةِ : قولهُ في صفةِ مشقةِ السفرِ وعُلُوِّ همَّةِ
الرَّكِبِ :

وَرَكِبٍ كَأَمْثَالِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ
لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ يُتِمُّوا صُدُورَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
وقولهُ في صفةِ الجملِ بالتحولِ والهزالِ مِنْ شدائدِ السفرِ في الفيافي :

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ
ولأبي تمامِ ابتداءاتٌ كثيرةٌ تجري هذا المجرى ، منها قولهُ^(٢) : [من الكامل]

قَدَّكَ أَتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ شُجَرَائِي
تفسيرُ هذا البيتِ : أَنَّهُ عَدَدَ الْأَلْفَاظِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْعُدَالِ عَلَى سَبِيلِ
التعجُّبِ والاستهزاءِ ، وهي قولُهُمْ : (قَدَّكَ) أي : حسبكَ (أَتَيْتُ)
وأصلُه : أَوْتَيْتُ ؛ أي : استحيي (أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ) أي : زدتَ في الغُلُوِّ
والتغريبِ بنفسِكَ في أمرِ العشقِ ، ثم التفتَ إلى العُدَالِ فقالَ يخاطبُهُمْ :

(١) القائل المؤلف ضمن نقله عن العسكري صاحب «الصناعتين» .

(٢) انظر «ديوان أبي تمام» (٢٠/١) .

(كم تعذلون وأنتم سُجرائي) أي : خُلطائي ؛ جمعُ شَجِيرٍ بمعنى مشاجرٍ .

وَمِنَ الْإِبْتِدَاءَاتِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ مُسْلِمٍ ^(١) :

أَجْرَزْتُ ذَيْلَ خَلِيعٍ فِي الصِّبَا غَزَلٍ وَشَمَّرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي عَذَلِي
والابتداءُ أَوَّلُ ما يَقَعُ فِي السَّمْعِ مِنْ كَلَامِكَ ، وَالْمَقْطَعُ آخِرُ ما يَبْقَى فِي
النَّفْسِ مِنْ قَوْلِكَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ جَمِيعاً مُرْتَقِبِينَ ^(٢) .

وقد استحسن ^(٣) لبعض المتأخرين - يعني : المتنبي - ابتداءه ^(٤) : [من الطويل]

أَرِيْقُكَ أَمْ مَاءُ الْعَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ

وله بعد ذلك ابتداءاتُ المصائبِ وفراقُ الحبابِ ، منها قوله : [من الكامل]

هَلْذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهَجَّتِ رَسِيْسَا ثُمَّ أَنْصَرَفْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيْسَا

وقوله ^(٥) :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ

وقوله ^(٦) :

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ

(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١) .

(٢) في « الصناعتين » (موقنين) .

(٣) يعني : أبا هلال العسكري صاحب « الصناعتين » .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٤٣) ، والبيت بتمامه :

أَرِيْقُكَ أَمْ مَاءُ الْعَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِنَفْيِ بَرُودٍ وَهَوٍ فِي كَبِيدِي جَمْرُ

(٥) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٤٦) ، والبيت بتمامه :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَعْنِ الشَّيْخُ

(٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٥٩) ، والبيت بتمامه :

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَلِيْلُنَا الْمَنُوطَةَ بِاللَّيْلِ

وقوله^(١) :

[من الطويل]

لِحَنِیَّةٍ أَمْ غَادَةَ رُفِعَ السَّجْفُ لَوَحْشِيَّةٍ لَا مَا لَوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ

قَلْتُ^(٢) : وهذه القصيدة يقولها في مدح قاضٍ فقيهٍ ، ومنها - وفيه قبْحُ

الاستعارة وسوء العبارة - قوله :

[من الطويل]

فَقِيَهُ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالُ جِبَالِ الْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفْتُ

وقوله^(٣) :

[من الكامل]

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلاً دَمْعُ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحَوَلاً

قال إسماعيل بن عباد : إنَّ المُحوَلَ فِي الخُدُودِ مِنَ البَدِيعِ المَزُورِ^(٤) .

فهذه وما شاكلها ابتداءاتٌ لا خلاق لها .

وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقاً . . كان داعيةً لاستماع ما

يجيء بعده من الكلام ، ولهذا المعنى يقول الله تعالى : ﴿ آتَى ﴾ ، و ﴿ حَمَّ ﴾ ،

و ﴿ طَسَّ ﴾ ، و ﴿ طَسَّرَ ﴾ ، و ﴿ كَتَمِعَصَّ ﴾ ، فيقرع أسماعهم بشيءٍ بديعٍ ليس

لهم بمثله عهدٌ ؛ ليكون ذلك داعيةً لهم إلى الاستماع .

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ كَلَامٍ لَمْ يُبْدَأْ فِيهِ

بِحَمْدِ اللهِ . . فَهُوَ أَبْتَرٌ »^(٥) .



(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٧٧) .

(٢) هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين » .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١١١) .

(٤) انظر « الصناعتين » : (ص ٤٥٦) ، وفيه : (المردود) بدل (المزور) .

(٥) رواه أبو داود (٤٨٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[القولُ في الفصلِ والوصلِ]

هذا ؛ وقال أبو هلالٍ في بيانِ وجوبِ الاعتناءِ بمواضعِ فصلِ كلامٍ من كلامٍ ، ووصلِ الكلامِ بعضِهِ ببعضٍ^(١) : قيلَ للفارسيِّ : ما البلاغةُ ؟ قالَ : معرفةُ الفصلِ منِ الوصلِ .

وقالَ المأمونُ لبعضِهِم : مَنْ أبلغَ الناسِ ؟ قالَ : مَنْ قَرَّبَ الأمرَ البعيدَ المُتناوَلِ والصَّعبَ الدَّرَكِ بالألفاظِ اليسيرةِ ، قالَ : ما عدَلَّ سهمُكَ عنِ الغَرَضِ ، ولكنِ البليغُ مَنْ كانَ كلامُهُ في مقدارِ حاجتِهِ ، ولا يجيلُ الفكرةَ في اختلاسِ ما صَعَبَ عليه مِنَ الألفاظِ ، ولا يُكرِهُ المعانيَ بإنزالِها في غيرِ منازلِها ، ولا يتعمَّدُ الغريبَ الوحشيَّ ، ولا الساقطَ السُّوقيَّ ، والبلاغةُ إذا اعترلتها المعرفةُ بمواضعِ الفصلِ والوصلِ . . كانتُ كالآلئِ بلا نظامِ .

فقدِ استحسنَ المأمونُ الجوابَ ، ولكنَّهُ عَرَفَهُ أَنَّهُ غيرُ مقنعٍ ، فساقَ لَهُ ما عندهُ ، وينبغي أن يكونَ الجوابُ وصفةً أبلغَ الناسِ .

وقالَ أبو العباسِ السَّفَّاحُ لكتابه^(٢) : قِفْ عندَ الكلامِ وحدودِهِ ، وإيَّاكَ أن تخلطَ المرعيَّ بالهمليِّ ، ومن حليةِ البلاغةِ المعرفةُ بمواضعِ الفصلِ منِ الوصلِ .

وقالَ الأحنفُ بنُ قيسٍ^(٣) : ما رأيتُ رجلاً تكلمَ فأحسنَ الوقفَ عندَ مقاطعِ الكلامِ ولا عرفَ حدودَهُ إلا أبا عمرو بنَ العلاءِ^(٤) ، كانَ إذا تكلمَ . .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨) .

(٤) في « الصناعتين » : (إلا عمرو بن العاص) .

تَفَقَّدَ مَقَاتِعَ الْكَلَامِ ، وَأَعْظَمَ حَقَّ الْمَقَامِ ، وَغَاصَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَعْنَى بِالطَّفْرِ
مَخْرَجٍ ، حَتَّى كَانَ يَقِفُ عِنْدَ الْمَقْطَعِ وَقَفًّا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَغِيَّتِهِ مِنَ الْأَفْظَانِ ،
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ : [من الطويل]

إِذَا مَا بَدَا فَزُوقَ الْمَنَابِرِ قَائِلًا أَصَابَ بِمَا يُومِي إِلَيْهِ الْمَفَاصِلَا
وَحُكِيِّ^(١) : أَنَّ شَبِيبَ بْنَ شَبَةَ كَانَ يَوْمًا قَاعِدًا بَبَابِ الْمَهْدِيِّ ،
فَأَقْبَلَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنَ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيَّ ، فَلَمَّا رَأَاهُ شَبِيبٌ .. قَالَ : أَتَاكُمْ
وَاللَّهِ كَلِيمُ النَّاسِ ، فَلَمَّا جَلَسَ .. قَالَ شَبِيبٌ : تَكَلَّمْ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ،
فَقَالَ : أَمَعَكَ يَا أَبَا مَعْمَرٍ وَأَنْتَ خَطِيبُنَا وَسَيِّدُنَا ؟! قَالَ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ ؛
مَا رَأَيْتُ قَلْبًا أَقْرَبَ مِنْ لِسَانٍ مِنْ قَلْبِكَ مِنْ لِسَانِكَ ، قَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ
تَحُبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ ؟ قَالَ : وَإِذَا شَيْخٌ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا ، قَالَ : صَفِّ لَنَا
هَذِهِ الْعَصَا .

فَحَمَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ فَقَالَ : رَفَعَهَا اللَّهُ بِغَيْرِ
عَمَدٍ ، وَجَعَلَ فِيهَا نَجُومَ رَجَمٍ وَنَجُومَ اهْتِدَاءٍ ، وَأَدَارَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مَنِيرًا ؛
لِتَعْلَمُوا عِدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ ، وَأَنْزَلَ مِنْهَا مَاءً مَبَارَكًا أَحْيَا بِهِ الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ ،
وَأَدَّرَ بِهِ الْأَقْوَاتَ ، وَحَفِظَ بِهِ الْأَرْوَاحَ ، وَأَنْبَتَ مِنْهَا أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً يُصَرِّفُهَا مِنْ
حَالٍ إِلَى حَالٍ ، تَكُونُ حَبَّةً ، ثُمَّ يَجْعَلُهَا عِرْقًا ، ثُمَّ يَقِيمُهَا عَلَى سَاقٍ ، فَبَيْنَا
تَرَاهَا خَضْرَاءَ تَرِفُ .. إِذْ تَرَاهَا يَابِسَةً تَنْقُصُ ؛ لِيَنْتَفِعَ بِهَا الْعِبَادُ ، وَتَعْمُرَ بِهَا
الْبِلَادُ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ يُبْسِهَا هَذِهِ الْعَصَا .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ وَقَالَ : وَكَانَ هَذَا نَطْفَةً فِي صَلْبِ أَبِيهِ ، ثُمَّ صَارَ عَلَقَةً
حِينَ خَرَجَ مِنْهُ ، ثُمَّ مُضْغَةً ، ثُمَّ عِظْمًا وَلِحْمًا ، فَصَارَ جَنِينًا أَوْجَدَهُ اللَّهُ بَعْدَ
عَدَمٍ ، وَأَنْشَأَهُ مِنْ بَدْيٍ ، وَوَقَفَهُ مَكْتَهَلًا ، وَنَقَضَهُ شَيْخًا ، إِلَى أَنْ صَارَ إِلَى هَذِهِ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٥٨ - ٤٥٩) .

الحالِ مِنَ الكَبِيرِ ، فاحتاجَ إلى هذه العصا في آخرِ حالاتِهِ ، فتباركَ المُدَبِّرُ للعبادِ .

قالَ شبيبٌ : فما سمعتُ كلاماً علىٰ بديهةٍ أحسنَ منه .

وقالَ معاويةُ^(١) : يا أشدقُ ؛ قمْ عندَ قُرومِ العربِ [وجحاجِها] ^(٢) ، فسلَّ لسانَكَ ، وجرَّ في ميادينِ البلاغةِ ، وليكنِ التفقُّدُ لمقاطعِ الكلامِ منكِ علىٰ بالٍ ، فإنِّي شهدتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أملىٰ [علىٰ] عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلامُ كتاباً ، فكانَ يتفقَّدُ مقاطعَ الكلامِ كتفقُّدِ المصرمِ صرمتَهُ .

ولمَّا أقامَ أبو جعفرِ المنصورُ صالحاً خطيباً بحضرةِ شبيبِ بنِ شَبَّةَ وأشرافِ قريشٍ فتكلَّم . . أقبلَ شبيبٌ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما رأيتُ كالِيومِ أبينَ بياناً ، ولا أربطَ جناناً ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلَّ ريقاً ، ولا أغمضَ عروقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ، إلا أنَّ الجوادَ عسيَّرَ لم يُرضَ ، فحملتهُ القُوَّةُ علىٰ تعسُّفِ الآكامِ وخبِطها ، وتركِ الطريقِ اللَّاحِبِ ، وأيمُ اللهُ ؛ لو عرفَ في خُطبتِهِ مقاطعَ الكلامِ . . لكانَ أفصحَ مَنْ نطقَ بلسانٍ ^(٣) .

وقالَ المأمونُ^(٤) : ما أعجبُ بكتابِ أحدٍ كإعجابي بكتابِ القاسمِ بنِ عيسى ؛ فإنَّهُ يوجزُ في غيرِ عجزٍ ، ويصيَّبُ مقاطعَ الكلامِ ، ولا تدعوهُ المقدرَةُ إلى الإطنابِ ، ولا تميلُ به الغزارةُ إلى الإسهابِ ، يجليُّ عن مرادِهِ في كتبهِ ، ويصيَّبُ المغزى في ألفاظِهِ .

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٥٩) .

(٢) الجحجاج : السيد السمح .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٥٩ - ٤٦٠) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٠) .

وكان يزيد بن معاوية يقول^(١) : إياكم أن تجعلوا الفصل وصلًا ؛ فإنه أشد وأعيب من اللحن .

وقال أكثم بن صيفي^(٢) : كانت ملوك الجاهلية تقول لكتّابها : افصلوا بين كل [معنى منقضى] ، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض .

وكان الحارث بن أبي شمر الغساني يقول لكتابه المرقش^(٣) : إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه . . فافصل بينه وبين تبعيته من الألفاظ ؛ فإنك إن مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمذق به . . نفرت القلوب عن وعيه ، وملته الأسماع ، واستثقلته الرواة .

وكان بزجمهر يقول^(٤) : إذا مدحت رجلاً وهجوت آخر . . فاجعل بين القولين فصلاً ؛ حتى يُعرف المدح من الهجاء ؛ كما تفعل بكتبك إذا استأنفت القول ، فأكملت ما سلف من اللفظ .

وقال الحسن بن وهب لكتابه الحراني^(٥) : ما منزلة الكاتب في قوله وفعله ؟ قال : أن يكون مطبوعاً ، مُحْتَنِكاً بالتجربة ، عالماً بحلال الكتابة وحرامها وسنتها ، وبالدهور في تداولها وتصرفها ، وبالملوك في سيرها وأيامها ، مع براعة اللفظ ، وحسن التنسيق ، وتأليف الأوصال بمشكلة الاستعارة ، وشرح المعاني حتى تُنصب صورها ، وبمقاطع الكلام ، ومعرفة الوصل من الفصل ، فإذا كان كذلك . . فهو كاتبٌ مجيدٌ .

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٠) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٠) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٠) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٠) .

(٥) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٠ - ٤٦١) .

والقول إذا استكمل آتته واستتم معناه . . فالفصل عنده .

وقال المأمون^(١) : ما أفتحص من رجلٍ شيئاً كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه ، والتخلص من المعقود إلى المحلول ، فإن لكل شيء جمالاً ، وحلية الكتاب وجماله إيقاع الفصل في موقعه ، وشحد الفكرة ، وإجالتها في لطف التخلص من المعقود إلى المحلول .

ومعنى المعقود والمحلول ها هنا : هو أنك إذا ابتدأت بمخاطبة ثم لم تنته إلى موضع التخلص مما عقدت عليه كلامك . . سمي الكلام معقوداً ، فإذا شرحت المستور ، وأبنت عن الغرض المنزوع إليه . . سمي الكلام محلولاً .

مثال ذلك : ما كتب بعضهم^(٢) : وجرى لك من ذكر ما خصك الله به ، وأفردك بفضيلته ؛ من شرف النفس والقدرة ، وبُعد الهمة والذكر ، وكمال الأداة والآلة ، والتمهيد في السياسة والإيالة ، وحياطة أهل الدين والأدب ، وإنجاد عظيم الحق وتضعيف السبب . . ما لا يزال يجري مثله عند كل ذكر يتجدد لك ، ويؤثر عنك .

فالكلام من أول الفصل إلى قوله : (تضعيف السبب) معقود ، فلما اتصل بما بعده . . صار محلولاً .

وما كتب بعضهم^(٣) : ربما كانت مودة السبب أو كد من مودة النسب ؛ لأن المودة التي تدعو إليها رغبة أو رهبة ، أو شكر نعمة ، أو مشاركة في صنعة ، أو مناسبة لمشاكله . . مودة معروفة وجوهها ، موثوق بخلوصها ، فتوكدها

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢) .

بَحَسَبِ السَّبَبِ الدَّاعِي إِلَيْهَا ، وَدَوَامُهَا بِدَوَامِهِ ، وَاتِّصَالُهَا بِاتِّصَالِهِ ، وَمَوَدَّةُ الْقَرِيبَى مَوَاتٌ ، وَإِنْ أَوْجَبَتْهَا اللَّحْمَةُ . . فَهِيَ مَشُوبَةٌ بِحَسَدٍ وَنَفَاسَةٍ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَقَعُ التَّقْصِيرُ فِيمَا تَوَجَّبُهُ الْحَالُ ، وَالْإِضَاعَةُ لِمَا يَلْزَمُ مِنَ الشُّكْرِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أُوذِّكَ مَوَدَّةً خَالِصَةً لَمْ تَدْعُ إِلَيْهَا رَغْبَةٌ فَيُزِيلُهَا اسْتِغْنَاءً ، وَلَا اضْطَرَّزَ إِلَيْهَا رَهْبَةٌ فَيَقْطَعَهَا أَمْنٌ مِنْهَا ، وَإِنْ كُنْتَ مَرَجُوًّا لِلْمَوْهَبَاتِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَقْصِدًا مِنْ مَقَاصِدِ الرِّغْبَاتِ ، وَكَهْفًا وَحِرْزًا مِنَ الْمُوْبِقَاتِ .

فهذا الكلام معقودٌ إلى قوله : (لمشاكلية) فلما اتصل بما بعده . . صار محلولا .

وقال بعضهم ^(١) : انظر سَدَّكَ اللهُ أَلَّا تَدْعُوكَ مَقْدِرَتُكَ عَلَى الْكَلَامِ إِلَى إِطَالَةِ الْمَعْقُودِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فَسَادٌ مَا أَكْنَنْتَهُ فِي صَدْرِكَ ، وَأَرَدْتَ تَضْمِينَهُ كِتَابَكَ ، وَاعْلَمْ : أَنَّ إِطَالَةَ الْمَعْقُودِ تَوْرَثُ نَسْيَانَ مَا عَقَدْتَ عَلَيْهِ كَلَامَكَ ، وَأَرْهَنْتَ بِهِ فِكْرَكَ .

وكان شبيب بن شبة يقول ^(٢) : لَمْ أَرُ مُتَكَلِّمًا قَطُّ أَذْكَرَ لِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ وَلَا أَحْفَظَ لِمَا سَلَفَ مِنْ نَطْقِهِ . . مِنْ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ؛ يَشْبَعُ الْمَعْقُودَ بِالْمَعَانِي الَّتِي يَصْغُبُ الْخُرُوجُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ، ثُمَّ يَأْتِي بِالْمَحْلُولِ وَاضِحًا بَيِّنًا ، مَشْرُوحًا مَشُورًا ، فَكَانَ السَّامِعُ لَا يَعْرِفُ مَغْزَاهُ وَمَقْصِدَهُ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى آخِرِهِ .

وقال بعضهم ^(٣) : لَيْسَ يُحَمَدُ مِنَ الْقَائِلِ أَنْ يَعْمِيَ مَعْرِفَةَ مَغْزَاهُ عَلَى السَّامِعِ لِكَلَامِهِ فِي أَوَّلِ ابْتِدَائِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهِ ، بَلِ الْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

في صدرِ كلامِهِ دالًّا على حاجتِهِ ، ومُبَيِّنًا لمغزاهُ ومَقْصِدِهِ ، كما أنَّ خَيْرَ
[أبياتِ] الشعرِ ما إذا سمعتَ صدرَهُ . . عرفتَ قافيتَهُ .

وكانَ شبيبُ بنُ شَبَّةَ يقولُ^(١) : الناسُ مُوكَّلونَ بتعظيمِ جودةِ الابتداءِ ،
وبمدحِ صاحِبِهِ ، وأنا مُوكَّلٌ بتعظيمِ جودةِ المقطعِ ، وبمدحِ صاحِبِهِ ، وخيرُ
الكلامِ ما وَقَفَ عندَ مقاطعِهِ ويُبَيِّنُ موقعَ فصولِهِ .

ومثالُ ما لم يُبَيِّنْ موضعَ الفصلِ فيه فأشكَلَ الكلامُ : قولُ شاعرٍ يهجو
ويمدحُ^(٢) :

وَأَبوكَ بَدْرٌ كَانَ يَنْتَهِسُ الْخِصْيَ وَأَبِي الْجَوَادِ رَبِيعَةَ بَنُ قِتَالِ^(٣)
فقالَ المهجُوُّ : لا بأسَ ، شيخانِ اشتركا في صفَةٍ .

وقلِّمَّا رأينا بليغاً إلَّا وهوَ يقطعُ كلامَهُ على معنىٍ بديعٍ أو لفظٍ حسنٍ
رشيقٍ ، قالَ لقيطُ في آخرِ قصيدتِهِ^(٤) :

لَقَدْ مَحَضْتُ لَكُمْ وُدِّي بِلاَ دَخَلٍ فَاسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا
فقطعَهَا على كلمةٍ حكمةٍ عظيمةٍ الموقعِ .

ومثلهُ قولُ امرئِ القيسِ^(٥) :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُذْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةٌ وَيَعْدُ الشَّبَابِ طُولَ عُمُرٍ وَمَلْبَسَا
فقطعَ القصيدةَ أيضاً على حكمةٍ بالغةٍ .

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٣) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٣) .

(٣) في «الصناعتين» : (كان ينتهس الخصى وأبي الجواد ربيعة بن قبال) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٤) .

(٥) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ١٠٨) .

وقال أبو زبيد الطائي في آخر قصيدة^(١) :

كُلُّ شَيْءٍ يَخْتَالُ فِيهِ الرِّجَالُ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِلْمَنَايَا أُخْتِيَالُ

وقال أبو كبير الهذلي^(٢) :

هَذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يُفْعَلِ

فينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها ، وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها ، كما فعل ابن الزبير في آخر قصيدة يعتذر فيها إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ويستعطفه^(٣) :

فَحُذِ الْفُضَيْلَةَ عَن ذُنُوبٍ قَدْ خَلَّتْ وَأَقْبَلْ تَضَرُّعَ مُسْتَضِيفٍ ثَابِتِ^(٤)

فجعل نفسه مستضيفاً ، ومن حق المستضيف أن يُضاف ، فإذا أضيف . . فمن حقه أن يُصان ، واعدأ بالثبات الذي مدار الأمر عليه ، مُخبراً بصدق عزمته ، جعل العفو عنه فضيلةً ، فجمع ما يُحتاج إليه في طلب [العفو] .

وقول تابط شراً في آخر قصيدة^(٥) :

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنُّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

هذا البيت أجود بيت فيها ؛ لصفاء لطفه ، وحسن معناه ، وأحق ما يُختم كلام في عتاب .

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٤) .

(٢) انظر «ديوان الهذليين» (١/١٠٠) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٤) .

(٤) في «الصناعتين» : (تائب) بدل (ثابت) .

(٥) انظر «ديوان تابط شراً» (ص ١٤٤) .

ومثله قولُ الشنفرى في آخر قصيدته^(١) :

وَإِنِّي لَحُلُوٌّ إِنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرٌّ إِذَا نَفْسُ الْعَزُوفِ أَمَرَّتْ
أَبِي لِمَا آبَى قَرِيبٌ مَقَادَتِي إِلَى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي
وهذان البيتان أجود ما فخر به في هذه القصيدة .

وقال بشر بن أبي حازم في آخر قصيدته^(٢) :

وَلَا يُنَجِّي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلَّا بَرَكَاءُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارُ
فقطعتها على مثل سائر ، والأمثال أحب إلى النفوس ؛ لحاجتها إليها عند
المحاضرة والمجالسة .

وقال الهذلي^(٣) :

عَصَاكَ الْأَقَارِبُ فِي أَمْرِهِمْ فزَايِلُ بِأَمْرِكَ أَوْ خَالِطِ
وَلَا تَسْقُطَنَّ سُقُوطَ النَّوَا مِنْ كَفِّ مُرْتَضِيخِ لَاقِطِ
فقطعتها على تشبيهه مليح ومثل حسن ، وهكذا يفعل الكاتب الحاذق
والمترسل المبرز ، ألا ترى ما كتب الصاحب في آخر رسالة له : فإن حنثت
فيما حلفت .. فلا خطوت لتحصيل مجد ، ولا نهضت لاقتناء حمد ، ولا
سعيته إلى مقام فخر ، ولا [حرصت] على علو ذكر ، وهذه اليمين لو
سمعتها عامر بن الظرب - أحد مشاهير قضاة العرب - لقال : هي الغموس ، لا
القسم باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى .

فأتى بأيمان غريبة ، ومعانٍ ظريفة .

(١) انظر «ديوان الشنفرى» (ص ٩٩) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٥) ، والبركاء : الثبات في الحرب .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٥) .

وكتب أيضاً في آخر رسالة^(١) : وأنا مُتَوَقِّعٌ لكتابِكَ تَوَقُّعَ الظَّمَانِ للماءِ
الزلالِ ، والصُّوَامِ لهلالِ شوالِ .

وكتبَ آخَرَ أُخْرَى^(٢) : وسألَ أنْ أخلفَهُ في تجشيمِ مولايِ إلى هذا
المجتمعِ ؛ لِيَقْرَبَ عَلَيْنَا تَنَاوُلُ البدرِ بمشاهدتِهِ ، ولمسِ الشَّمْسِ بَعْرَتِهِ .
فانظرْ كيفَ تقَعُ كَلِمَاتُهُ على كلِّ معنىٍ بديعٍ ، ولفظٍ شريفٍ .



(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٦) .

[حَسْنُ الْمَقْطَعِ وَجُودَةُ الْفَاصِلَةِ]

هذا ؛ وحسنُ المقطعِ وجودُ الفاصلةِ وحسنُ تمكُّنِها في موضعِها على ثلاثةِ أضربٍ : فضربٌ منها : أن يضيقَ على الشاعرِ موضعُ القافيةِ ، فيأتي بلفظٍ قصيرٍ قليلِ الحروفِ ، فيتمَّ به البيتَ ؛ كقولِ زهير^(١) : [من الطويل]

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ
وقولِ النابغة^(٢) :

جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ [نَدِي]

وقولِ الأعشى^(٣) :

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
وبعدَهُ :

لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَتَى أَمْرُؤُ أَتَيْتُ اللَّذَاذَةَ مِنْ بَابِهَا
وقولِ امرئِ القيس^(٤) :

مَكْرٍ مَفْرٍ مُقْبِلٍ مُذِيرٍ مَعَا كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ
وقولِ طرفة^(٥) :

إِذَا أَبْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيعاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي

(١) انظر «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص ٣٥) .

(٢) انظر «ديوان النابغة الذبياني» (ص ٩٥) ، والبيت بتمامه :

كَأَلْفُحُورَانَ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي
(٣) انظر «ديوان الأعشى» (١٢/٢) .

(٤) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ١٩) .

(٥) انظر «ديوان طرفة بن العبد» (ص ٤٣) .

وقولِ النابغةِ مِنَ القصيدةِ التي أوَّلها ^(١) :

[من الكامل]

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رَائِحُ أَوْ مُغْتَدِ

[قَالَ] :

لَا مَرْحَباً بِغَدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ
أَفْدَا التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا

وقوله :

كَأَلْفُحْوَانٍ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ

وقوله :

[يُشْفَى] بِبِرْدٍ لِثَاتِهَا أَلْعَطَشُ الصَّدِي

[من الطويل]

وقولِ آخَرَ ^(٢) :

أَلَا يَا غُرَابِي بَيْنَهَا لَا تَصَدَّعَا
وَطَيْرًا جَمِيعاً بِالنَّوَى وَقَعَا مَعَا

[من الطويل]

وقولِ ابنِ أحمَرَ ^(٣) :

وَإِنْ كَانَتْ التَّعْمَاءُ عِنْدَكَ لِأَمْرِي
فَمِثْلًا بِهَا فَاجْزِ أَلْمَطَالِبِ أَوْ زِدِ

[من الطويل]

وقولِ أبي حَيَّةَ ^(٤) :

[فَقُلْنَ] لَهَا سِرّاً فَدَيْنَاكِ لَا يَرُخُ

(١) انظر «ديوان النابغة الذبياني» (ص ٨٩) ، والبيت بتمامه :

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رَائِحُ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدِ

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٧) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٧) .

(٤) انظر «ديوان أبي حية النيمري» (ص ٧٦) ، و«الصناعتين» (ص ٤٦٧) ، والبيت بتمامه :

فَقُلْنَ لَهَا سِرّاً فَدَيْنَاكِ لَا يَرُخُ صَحِيحاً وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمي

(٥) في الأصل : (فقلنا) .

الأبيات السالفة^(١) .

وَمِنْ شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ ابْنِ عَبْدِ^(٢) :

دُنِيَا دَعَوْتُكَ مُسْمِعًا فَأَجِيبِي وَبِمَا أَصْطَفَيْتُكَ فِي الْهَوَىٰ فَأُثِيبِي
دُومِي أَدُمُّ لَكَ بِالْوَفَاءِ عَلَى الْقَضَا إِنِّي بِعَهْدِكَ وَائِقٌ فَثِقِي بِي
وقولِ آخَرَ^(٣) :

أَتَنِي تُؤزَّبُنِي فِي الْبُكََا فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيْبَهَا
وَقَالَتْ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانَا بِهَا
فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحْسَنْتَ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدُّمُوعَ بِتَأْدِيْبَهَا



وَالضَّرْبُ الْآخَرُ : أَنْ يَضِيقَ بِهِ الْمَكَانُ أَيْضًا ، وَيَعْجَزُ عَنْ إِيرَادِ كَلِمَةٍ سَالِمَةٍ
تَحْتَاجُ إِلَى إِعْرَابٍ ، فَيَأْتِي بِكَلِمَةٍ لَيْسَتْ كَذَلِكَ يُتِمُّ بِهَا الْبَيْتَ ؛ مِثْلُ قَوْلِ
امْرِئِ الْقَيْسِ^(٤) :

كَذِئْبِ الْغَضَا يَمْشِي الضَّرَاءَ وَيَتَّقِي

وقولِ زهيرٍ^(٥) :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَانَ لَا يَسْلُو

(١) انظر (٢٨٢/٣) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٧) ، وفيه : (ابن أبي عيينة) بدل (ابن عبدة) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٨) .

(٤) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ١٧٢) ، والبيت بتمامه :

بَعَثْنَا رَبِيئًا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْمِلًا كَذِئْبِ الْغَضَا يَمْشِي الضَّرَاءَ وَيَتَّقِي

(٥) انظر «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص ٨٣) ، والبيت بتمامه :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَكَانَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى الثَّعَابِيُّوُ فَالْتَفَلُّ

ثُمَّ قَالَ :

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا عَلَى [صِيرِ] أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَلَا يَحْلُو

[من الطويل]

وقوله^(١) :

لِذِي الْحِلْمِ مِنْ ذُبْيَانَ عِنْدِي مَوَدَّةٌ وَحِفْظٌ وَمَنْ يُلْحِمَ [إِلَى] الشَّرِّ أَنْسُجِ
مَخُوفًا كَأَنَّ الطَّيْرَ فِي مَنْزِلَاتِهِ عَلَى جَيْفِ الْحَسْرَى مَجَالِسُ تَنْتَجِي

[من الوافر]

وقول ذي الرُّمة^(٣) :

أَرَاخَ رِفَاقُ جِيرَتِكَ الْجِمَالَا كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَحْتِمَالَا
وَكِذْتُ أُمُوتُ مِنْ حَزَنِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ أَرِ حَادِي الْأَظْعَانَ بَالَا

[من البسيط]

وقول الحطيئة^(٤) :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي



والضَّرْبُ الثالثُ : أن تكونَ لفظةً لائقةً بما تقدَّمها مِنَ الألفاظِ ، وتكونُ
مُستقرَّةً في قرارها ومُتمكِّنةً في موضعها ، حتى لا يسُدَّ مسدَّها غيرها ، وإن
لم تكنَ قليلةَ الحروفِ ؛ كقولِ الحطيئة^(٥) :

هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ مِنْ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٢٣٨) .

(٢) في « الديوان » و « الصناعتين » : (مخوف) بدل (مخوفاً) .

(٣) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٥٠٦/٣) .

(٤) تقدم (١٩٥/٢) .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٠) .

وقولِ آخَرَ^(١) :

[من الكامل]

صَلَّى إِلَالَهُ عَلَى أَمْرِيٍّ وَدَعَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقولِ البحترِيِّ^(٢) :

[من المتقارب]

ظَلَلْنَا نُرَجِّمُ فِيكَ الظُّنُونَ أَحَاجِبُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِمُهُ

وقولِ أَبِي نُوَّاسٍ^(٣) :

[من الطويل]

إِذَا أُمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

[ذكُرُ شَيْءٍ مِّمَّا عَيْبَ مِنَ القَوَافِي]

ومِمَّا عَيْبَ مِنَ القَوَافِي : قولُ ابنِ الرُّقِيَّاتِ وقدْ أنشدَ

عبدَ الملكِ^(٤) :

[من الكامل]

إِنَّ الحَوَادِثَ بِالمَدِينَةِ قَدْ أَوْجَعَنِي وَقَرَعَنَ مَزَوْتِيَه

[وَجَبَبَنِي] جَبَّ السَّنَامِ فَلَمْ يَثْرُكُنْ رِيشاً فِي مَنَاقِبِيَه

فقالَ لَهُ عبدُ الملكِ : أَحسنتَ ، إِلا أَنكَ تَحَثَّتْ فِي قَوَافِيهِ ، فقالَ : ما

عدوتُ قولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه ﴾^(٥) ، وليسَ

كما قالَ ؛ لأنَّ فاصلةَ الآيةِ حسنةَ الموقِعِ ، وفي قوافي شعره لِينٌ ، يُدْرِكُ ذَلِكَ

بالوجدانِ ، وسببُه اللفظيُّ : أنَّ فواصلَ الآيةِ كائنةٌ مِنْ مدَّةٍ وحركتَيْنِ وحرفِ

السكْتِ ، وقوافيه مِنْ ساكنِ يابسٍ أو لينٍ ، وثلاثِ حركاتٍ ، وحرفِ السكْتِ ،

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٤٧٠) .

(٢) انظر «ديوان البحترى» (١/٢٧٢) ، و«الصناعتين» (ص ٤٧٠) .

(٣) انظر «ديوان أبي نواس» (٧١٤) .

(٤) انظر «ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات» (٩٨) .

(٥) سورة الحاقة : (٢٨ - ٢٩) .

فتجدُ في الآيةِ مِنَ الشَّدَّةِ بقدرِ ما تجدُ في أبياتِهِ مِنَ اللينِ ، ولذلكَ وصفَهُ
عبدُ الملكِ بالتخنُّثِ ، وهو التشبُّهُ بالمُخنَّثينَ في التلفُّظِ ، والمُخنَّثُ : الرجلُ
في خلائقِ النساءِ طبعاً أو تطبُّعاً .

ومنَ عيوبِ القوافي : أن تكونَ القافيةُ مستدعاةً لا تفيدُ معنىً ، وإنَّما
أوردتُ ليستويَ الرويُّ فقط .

قلتُ ^(١) : وهذا منَ أقبحِ عيوبِ الشعرِ ؛ فإنَّ الشعرَ إنَّما هو بالقوافي ،
وإذا احتاجَ مَنْ يريدُ أن يقولَ الشعرَ لمثلِ ذلكَ . . فراحَةُ الناسِ في سكوتِهِ ،
مثلُ قولِ أبي تمامٍ ^(٢) :

كَالظَّبْيَةِ الْأَدْمَاءِ صَافَتْ وَأَزْتَعَتْ زَهَرَ الْعَرَارِ الْغَضِرِ وَالْجَشَجَانَا

ليسَ في وصفِ الظبيةِ بأنَّها ترتعي الجشجاتِ فائدةً ، وسواءٌ رعتِ
الجشجاتِ أو القلامَ أو غيرَ ذلكَ مِنَ النباتِ ، وإذا قصدَ لنعْتِ الظبيةَ بزيادةِ
حسنٍ . . قيلَ : إنَّها تعطو الشجرَ ؛ لأنَّها حينئذٍ ترفعُ رأسها فيطولُ جيدها ،
وتظهرُ محاسنها ، كما قالَ :

وَالجَيْدُ مِنْهَا جَيْدٌ جَازِيَةٌ تَعْطُو إِذَا مَا طَالَهَا الْمَرْدُ

وقريبٌ منه قولُ الآخرِ ^(٣) :

وَسَابِغَةَ الْأَذْيَالِ زَغْفٍ مُفَاضَةٍ يُكْفِكِفُهَا عَنِّي [بِجَادٍ] مُحْطَطُ

وليسَ لتخطيطِ [البجادِ] معنىً يرجعُ إلى السيفِ ، ولا إلى الدرِّعِ .

(١) هو المؤلفُ ضمنَ نقله لكلامِ صاحبِ «الصناعتينِ» .

(٢) انظر «ديوان أبي تمام» (٣١٢/١) ، و«الصناعتين» (ص ٤٧١) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٧٢) .

قلتُ : وإذا انتهى إلى أن يقول كما يقول بعضُ المُصنِّفينَ : القيدُ
لبیانِ الواقعِ .. يُقالُ : وما حيلةُ المُضطرِّ إلاَّ باردُ العذرِ ، ومثلهُ قولُ
آخر^(١) :

أَنْشُرُ الْبَرْزَ فَيَمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَأَنْشُرُ الدُّرَّ بَيْنَ الْعُمَى فِي الْغَلَسِ
وليسَ لذكرِ الغلَسِ معَ العمى معنى ؛ لأنَّ الأعمى يستوي عندهُ الغلَسُ
والهاجرةُ ، ولو قالَ : (العُمسِ) .. لكانَ أقربَ مِنَ العمى ، على أنَّ الجمیعَ
لا خيرَ فيه .

وقولُ ابنِ الروميِّ^(٢) :

أَلَا زُبْمًا سُؤْتُ الْعُيُورَ وَسَاءَنِي وَبَاتَ كِلَانًا مِنْ أَخِيهِ عَلَى وَحْرِ
وَقَبَلْتُ أَفْوَاهًا عَذَابًا كَأَنَّهَا يَنْابِيعُ خَمْرٍ حُصِبَتْ لَوْلُؤَ الْبَحْرِ
فقولُهُ : (لَوْلُؤُ الْبَحْرِ) أفسدَ البيتَ وأطفأَ نورَهُ ؛ لأنَّ اللؤلؤَ لا يكونُ
في النهرِ ولا غيره منَ المواضعِ ، فنسبتهُ إلى البحرِ لا فائدةَ فيه إلاَّ إقامةُ
الرويِّ .



(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٢) .

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٩١٢/٣) .

[تَمييزُ الكَلامِ جَيِّدِهِ مِنْ رَدِيئِهِ]

هذا ؛ وروحُ المقصودِ بالنقلِ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ قولُهُ في تَمييزِ الكلامِ جَيِّدِهِ مِنْ رَدِيئِهِ ، ونادرِهِ مِنْ بارِدِهِ ، قالَ (١) : الكلامُ - أَيَّدَكَ اللهُ - بحسنِ سلاستِهِ ، وسهولتِهِ ، وصناعتِهِ (٢) ، وتخيُّرِ لفظِهِ ، وإصابةِ معناه ، وجودةِ مطالعِهِ ، ولينِ معاطِفِهِ ، واستواءِ تقاسيمِهِ ، وتعادلِ أطرافِهِ ، وتشبيهِ أعجازِهِ بهوادِيهِ ، وموافقةِ ماخِيره لمبادِيهِ ، معَ قِلَّةِ ضروراتِها بلِ عَدَمِها أصلاً ؛ حتى لا يكوُنَ لها في الألفاظِ أثرٌ ، فتجدُ المنظومَ مثلَ المنشورِ في سهولةِ مطالعِهِ ، وجودةِ مقطعِهِ ، وحسنِ رصفِهِ وتأليفِهِ ، وكمالِ صوغِهِ وتركيبِهِ ، فإذا كانَ الكلامُ كذلكَ . . صارَ بالقَبولِ حقيقاً ، وبالتحفظِ خليقاً ؛ كقولِ القائلِ (٣) :

هُمُ الْأَلَى وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ فَمَا يُبَالُونَ مَا نَالُوا إِذَا حُمِدُوا
وقولِ معنِ بنِ أوسٍ (٤) :

لَعَمْرِي مَا [أَهْوَيْتُ] كَفِي لِرَيْبَةٍ وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي
وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيَّهَا وَلَا عَقْلِي
وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ مَنِ الدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتَى قَبْلِي
وَلَسْتُ بِمَا شِ مَا حَيْثُ لِمُنْكَرٍ مَنِ الْأَمْرِ لَا يَمْشِي إِلَيَّ مِثْلُهُ مِثْلِي
وَلَا مُؤَثِّرٍ نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَةٍ وَأَوْثُرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَى أَهْلِي

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .

(٢) في « الصناعتين » : (ونصاعته) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .

وَقَالَ الْآخَرُ^(١) :

[من الطويل]

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْعِنَى إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

وَقَالَ آخَرُ^(٢) :

[من الطويل]

دَرَبِنِي أَسِيرُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أَصِيبُ فَتَى فِيهِ لَدَى الْحَقِّ مَحْمِلُ

فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِيعْ دِفَاعاً لِحَادِثِ تَجِيءُ بِهِ الْأَيَّامُ فَالْصَّبْرُ أَجْمَلُ

أَلَيْسَ كَثِيراً أَنْ تُلِمَ مُلِمَةٌ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحُقُوقِ مُعَوَّلُ

ومما هو صحيح في وصفه ، جيد في وصفه . . قول

الشنفرى^(٣) :

[من الطويل]

أَطِيلُ مَطَالَ الْجُوعِ حَتَّى أَمِيئُهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الْقَلْبَ صَفْحاً فَيَذْهَلُ

وَلَوْلَا أَجْتِنَابُ الدَّمِ لَمْ يُلَفْ مَشْرَبُ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيْ وَمَا كَلُ

وَلَكِنَّ نَفْساً حُرَّةً مَا تُقِيمُ بِي عَلَى الضَّمِيمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

وقول بشار^(٤) :

[من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

وقول دعبيل^(٥) :

[من الطويل]

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرِ مِنْهُمْ وَلَكِنْ بِأَوْفَى لِلطَّعَانِ وَأَكْرَمَا

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٦٢) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٦٢) .

(٣) انظر «ديوان الشنفرى» (ص ٤٦) .

(٤) تقدم ضمن أبيات (٣٥/٢ - ٣٦) .

(٥) انظر «ديوان دعبيل الخزاعي» (ص ٢٣٧) ، و«الصناعتين» (ص ٦٢) ، وإنما البيت الأول لشاعر

آخر كما يظهر في «الصناعتين» .

وَإِنَّ أَمْرًا أَمَسَتْ مَسَاقِطُ رَأْسِهِ بِأَسْوَانَ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْحَزْمُ مَعْلَمًا
حَلَلْتُ مَحَلًّا يَقْضُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ وَيَعْجِزُ عَنْهُ الطَّيْفُ أَنْ يَتَجَسَّمَا

وقولُ النابغة^(١) :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تُلِمُّهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ

وليسَ لهذا البيتِ نظيرٌ في كلامِ العربِ ، قالَ بعضهم : نظيرُهُ : قولُ
أوسِ بنِ حجرٍ^(٢) :

وَلَسْتُ بِحَابِسٍ أَبَدًا طَعَامًا حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامًا

هذا ؛ وإن كانَ نظيرُهُ في التَّأليفِ ، فَإِنَّهُ دُونَهُ ؛ لِمَا تَكَرَّرَ فِيهِ مِنْ لَفْظِ
(غَدٍ) ، فَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ قَدْ جَمَعَ الْعُدُوبَةَ وَالْجَزَالََّةَ وَالسَّهُولَةَ وَالرَّصَانَةَ
مَعَ السَّلَاسَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، وَاشْتَمَلَ عَلَى الرَّوْنِقِ وَالطَّلَاوَةِ ، وَسَلِمَ مِنْ حَيْفِ
التَّأليفِ ، وَبَعُدَ مِنْ سَمَاجَةِ التَّرْكِيبِ ، وَوَرَدَ عَلَى الْفَهْمِ الثَّاقِبِ . . قَبْلَهُ وَلَمْ
يَزُدَّهُ ، وَعَلَى السَّمْعِ الْمَصِيبِ اسْتَوْعَبَهُ وَلَمْ يَمِجُّهُ ، وَالنَّفْسُ تَقْبَلُ اللَّطِيفَ ،
وَتَنْبُو عَنِ الْغَلِيظِ ، وَجَمِيعُ جَوَارِحِ الْبَدَنِ وَحَوَاسِسِهِ تَسْكُنُ إِلَى مَا تَوَافَقَهُ ،
وَتَنْفَرُ عَمَّا تُضَادُّهُ وَتَخَالِفُهُ ؛ فَالْعَيْنُ تَأْلَفُ الْحَسَنَ ، وَتَقْدُئُ بِالْقَبِيحِ ، وَالْأَنْفُ
يَرْتَاخُ لِلطَّيِّبِ ، وَيَعَافُ الْمُنْتَنَ ، وَالْفَمُّ يَلْتَدُّ بِالْحَلْوِ ، وَيَمِجُّ الْمُرَّ ، وَالسَّمْعُ
يَتَشَوَّفُ لِلصَّوْتِ الرَّائِعِ ، وَيَنْزَوِي عَنِ الْجَهِيرِ الْهَائِلِ ، وَالْيَدُ تَنْعَمُ بِاللَّيْنِ ،
وَتَتَأَدَّى بِالخَشَنِ ، وَالْفَهْمُ يَأْنَسُ بِالْكَلامِ الْمَعْرُوفِ ، وَيَسْكُنُ إِلَى الْمَأْلُوفِ ،
وَيَصْغِي إِلَى الصَّوَابِ ، وَيَهْرُبُ مِنَ الْمَحَالِ ، وَيَنْقَبِضُ عَنِ الْوَحْمِ ، وَيَتَأَخَّرُ
عَنِ الْجَافِي الْغَلِيظِ ، وَلَا يَقْبَلُ الْكَلَامَ الْمُضْطَرِبَ إِلَّا الْفَهْمُ الْمُضْطَرِبُ ،
وَالرُّوْيَةُ الْفَاسِدَةُ .

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤) .

(٢) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ١١٥) ، و« الصناعتين » (ص ٦٣) .

وليس الشأن في إيراد المعاني ؛ لأنَّ المعاني يعرفها العربيُّ والأعجميُّ ،
والقرويُّ والبدويُّ ، وإنما هو في جودة اللفظِ وصفائه ، وحسنه وبهائه ،
ونزاهته ونقاؤه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبكِ والتركيبِ ، والحلو
من النظمِ والتأليفِ ، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ، ولا يقنع
من اللفظِ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدّمت ، ألا ترى
إلى قول حبيب بن أوس^(١) :

مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ سَائِسُ أُمَّةٍ لِدَوِي تَجَهُّضِمَهَا لَهُ أُسْتِسْلَامٌ
فإنه أتى بصواب اللفظِ ، وليس هو بحسن ولا مقبول .

وقال أبو داوود^(٢) : رأسُ الخطابة الطبعُ ، وعمودها الدربةُ ، وجناحها
روايةُ الكلامِ ، وحليها الإعرابُ ، وبهاؤها تَخْيِيرُ الألفاظِ ، والمحبةُ مقرونةٌ بقِلَّةِ
الاستكراهِ ، وأنشد :

يَزْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَخِي الْمَلَا حِظَّ خَشِيَةَ الرُّقَبَاءِ

[مدارُ البلاغةِ على تحسينِ اللفظِ]

ومن الدليلِ على أنَّ مدارَ البلاغةِ تحسينُ اللفظِ : أنَّ الخطبَ الفائقةَ
والأشعارَ الرائقةَ ما عُمِلَتْ لإفهامِ المعاني فقط ؛ لأنَّ الرديءَ من الألفاظِ يقومُ
مقامَ الجيدِ منها في الإفهامِ ، وإنما يدلُّ حسنُ الكلامِ ، وإحكامُ الصنعةِ ،
ورونقُ ألفاظِهِ ، وجودةُ مقاطعِهِ ، وبديعُ مبادئِهِ ، وغريبُ مبانيهِ .. على
فضلِ قائلِهِ ، وفهمِ منشيهِ ، وأكثرُ هذه الأوصافِ ترجعُ إلى الألفاظِ دونَ
المعاني ، ولهذا يتأنقُ الكاتبُ في الرسالةِ ، والخطيبُ في الخطبةِ ، والشاعرُ

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١٥٣/٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٤) .

في القصيدة ، وبالبغون في تجويدها ، ويغنون في ترتيبها ؛ ليدلوا على براعتهم ، وحذقهم بصناعتهم ، ولو كان الأمر في المعاني . . لطرخوا أكثر ذلك ، فربخوا كذاً كثيراً ، وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلاً .

ودليل آخر : أن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً ، وسلساً سهلاً ، ومعناه وسطاً . . دخل في جملة الجيد ، وجرى مع الرائع النادر ؛ كقول الشاعر^(١) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارِيِّ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

فليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى ، وهي رائعة معجبة ، وإنما المعنى : ولما قضينا الحج ومسحنا ، وشدت رحالنا على مهاري الإبل . . سرنا نتحدث في بطون الأودية .

وبارد الشعر مثل قول عمرو بن معديكرب^(٢) :

قَدْ عَلِمْتَ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا
شَكَّتْ بِالرُّمَحِ سَرَابِيلَهُ وَالْخَيْلُ تَعْدُو زَيْمًا حَوْلَنَا
زَيْمًا ؛ أَي : مُتَفَرِّقَةً .

وقول أبي العتاهية^(٣) :

مَاتَ وَاللَّهِ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ رَجِمَ اللَّهُ سَعِيدَ بْنَ وَهَبٍ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٦٥) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٦٥) .

(٣) انظر «ديوان أبي العتاهية» (ص ٤٩٥) .

يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبُكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبُكَيْتَ قَلْبِي
والباردُ في شعرِ أبي العتاهيةِ كثيرٌ .

والشعرُ كلامٌ منسوجٌ ، ولفظٌ منظومٌ ، وأحسنُهُ ما تلاءمَ نسجُهُ ولم
يسخفَ ، وحسنَ نظْمُهُ ولم يهجنَ ، ولم يُستعملَ فيه الغليظُ مِنَ الكلامِ
فيكونُ جلفاً بغيضاً ، ولا السوقيُّ مِنَ الألفاظِ فيكونَ مهلهلاً دُويماً ؛ فالبغيضُ
كقولِ أبي تمامٍ ^(١) :

قَدْ كَانَ حُزْنُ الْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ حَتَّى دَعَاهُ الْحَيْنُ لِلْإِسْهَالِ
جَعَلُوا الْقَنَا الدَّرَجَاتِ [لِلْكَذَجَاتِ] ذَا تِ الْغَيْلِ وَالْحَرَجَاتِ وَالْأَذْحَالِ

قلتُ : هذانِ البيتانِ المُستكرهانِ مِنْ أبياتِ قصيدةِ فتحيةِ معتصميةِ ، مِنْ
غررِ قصائدِ أبي تمامٍ ، البيتُ الأوَّلُ في صفةِ حالِ العدوِّ أولاً وآخرأ ؛ وذلكَ
أنَّهُ كَانَ ممتنعاً بإقامتهِ في أماكن مرتفعةٍ وعرةٍ ذاتِ أشجارٍ ومهاوي ، فكانَ
لا يقدرُ عليه ، وهو معنى قولِهِ :

قَدْ كَانَ حُزْنُ الْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ

أي : أشدُّ الخطبِ في سكناهُ حزنَ الأرضِ ، وهو ضدُّ السهلِ ، والبيتُ
الثاني في صفةِ عسكرِ المعتصمِ ؛ أي : جعلوا القنا سلماً لهذهِ المواضعِ
المرتفعةِ الوعرةِ المشتملةِ على الشجرِ المُلتفِّ ؛ وهو الغيلُ والحرجاتُ ،
ومهاوٍ ؛ وهي الأدحالُ ، وقولِهِ ^(٢) :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْنِكَ فَقَدْ أَضَجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

ولا خيرَ في المعاني إذا استكرهتَ قهراً ، والألفاظُ إذا أُجبرتَ قسراً ، ولا

(١) انظر «ديوان أبي تمام» (١٣٧/٣ - ١٣٨) .

(٢) انظر «ديوان أبي تمام» (٤٠٥/٢) .

خيرَ فيما أُجيدَ لفظُهُ إذا سَخُفَ معناهُ ، ولكنْ في غرابَةِ المعنى إذا شُرِفَ لفظُهُ ، معَ وضوحِ المغزى ، وظهورِ المقصدِ .

وقدْ غلبَ الجهلُ على قومٍ فصاروا يستجيدونَ الكلامَ إذا لم يقفوا على معناهُ إلا بكَدِّ ، ويستعظمونهُ إذا وجدوا ألفاظَهُ كَرَّةً غليظةً ، ويستحقرونَ الكلامَ إذا رأوه سلساً عذباً ، وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أنَّ السهلَ أمتعُ جانباً ، وأعزُّ مطلباً ، وهوَ أحسنُ موقعاً ، وأعذبُ مستمعاً ، ولهذا قيلَ : أجودُ الكلامِ السهلُ الممتنعُ .

ويُحكى^(١) : أنَ الفضلَ بنَ سهلٍ وصفَ عمرو بنَ مسعدةَ فقالَ : هوَ أبلغُ الناسِ ، ومنَ بلاغتهِ يظنُّ الظانُّ أنَّه يكتبُ مثلَ كتبهِ ، فإذا رامها . . . تَعَدَّرَتْ عليه .

وأنَّ إبراهيمَ بنَ العباسِ بنِ الأحنفِ أنشدَ يوماً بعضَ أصحابِهِ^(٢) :

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْذُلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبِ
صَبُّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ

ثمَّ قالَ : هذا واللهِ الشعرُ ، الحسنُ المعنى ، السهلُ اللفظُ ، العذبُ المُستمعُ ، القليلُ النظيرُ ، العزيزُ الشبيهُ ، المُطمعُ المُمتنعُ ، البعيدُ معَ قريبهِ ، الصَّعبُ معَ سهولَةٍ ، فجعلَ أصحابُهُ يقولونَ : هذا الكلامُ واللهِ أحسنُ منَ شعرِهِ .

وأنَّه قيلُ للسيدِ الحميريِّ : ألا تستعملُ الغريبَ في شعركَ ؟ فقالَ :

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٧) .

(٢) انظر « ديوان إبراهيم بن العباس بن الأحنف » (ص ٢٣) ، و« الصناعتين » (ص ٦٧) .

ذَلِكَ عِيٌّ فِي زَمَانِي ، وَتَكَلَّفْتُ مَنِّي لَوْ قَلْتُهُ ، وَقَدْ رُزِقْتُ طَبَعاً وَاتْسَاعاً فِي
 الْكَلَامِ ، وَأَنَا أَقُولُ مَا يَعْرِفُهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ ، ثُمَّ
 أَنْشَدَ (١) :

أَيَا رَبِّ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِالَّذِي بِهِ مَدَحْتُ عَلِيّاً غَيْرَ وَجْهِكَ فَأَرْحَمِ
 فَهَذَا كَلَامٌ عَاقِلٍ يَضَعُ الشَّيْءَ مَوْضِعَهُ ، وَيَسْتَعْمَلُهُ فِي إِبَانِهِ .



وَمِنَ الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ السَّهْلِ (٢) : مَا وَقَّعَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى : قَدْ بَلَّغْتُكَ
 أَقْصَى طَلِبَتِكَ ، وَأَنْلَيْتُكَ غَايَةَ بَغِيَّتِكَ ، وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ تَسْتَقِيلُ كَثِيرِي ،
 وَتَسْتَقْبِحُ حَسَنِي فِيكَ ، فَأَنْتَ كَمَا قِيلَ :

[من مشطور الرجز]

كَالْحُوتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ
 يُضْبِحُ ظَمْآنَ وَفِي الْبَحْرِ فَمُهُ

وَمِنَ الْمَنْظُومِ الْمَطْمَعِ الْمُتَمَتِّعِ : قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ (٣) : [من الخفيف]

أَيُّهَا الْعَاتِبُ الَّذِي لَيْسَ يَرْضَى نَمَ هَنِيئاً فَلَسْتُ أَطْعَمُ غُمُضاً
 إِنَّ بِي مِنْ هَوَاكَ وَجُوداً قَدْ أَسْتَهَتْهُ لَكَ نَوْمِي وَمَضْجَعاً قَدْ أَقْضَا
 فَجُفُونِي فِي عَبْرَةٍ لَيْسَ تَرْقَى وَفُؤَادِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقْضَى
 أَحِينِي بِالْوِصَالِ إِنْ كَانَ جُوداً وَأَثْبِنِي بِالْحُبِّ إِنْ كَانَ قَرْضَا
 بِأَبِي شَادِنٌ تَعَلَّقَ قَلْبِي بِجُفُونِ فَوَاتِرِ اللَّحْظِ مَرْضَى

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٧) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٨) .

(٣) انظر « ديوان البحتري » (١٢١٤ / ٢ - ١٢١٦) ، و« الصناعتين » (ص ٦٨ - ٦٩) .

لَسْتُ أَنْسَاهُ إِذْ بَدَأَ مِنْ قَرِيبٍ يَتَثَنَّى تَثْنِي الْغُضْنِ غَضًّا
وَأَعْتَذَرِي إِلَيْهِ حِينَ تَجَافَى لِي عَنْ بَعْضِ مَا أَتَيْتُ وَأَغْضَى
وَأَعْتَلَقِي تُفَاحَ خَدْيِهِ تَقْبِي لَأْ وَلَثْمًا طَوْرًا وَشَمًّا وَعَضًّا
أَيْهَا الرَّكِبِ الَّذِي طَلَبَ الْجُو دَ فَأَبْكِي كَوْمَ الْمَطَايَا وَأَنْضَى
زُرُ حِيَاضِ الْإِمَامِ تَلْتَقَ نَوَالًا وَسِعَ الرَّاغِبِينَ طُولًا وَعَرْضًا
هُوَ أُنْدَى مِنَ الْغَمَامِ وَأَوْحَى وَقَعَاتٍ مِنَ الْحُسَامِ وَأَمْضَى
يَتَوَخَّى الْإِحْسَانَ قَوْلًا وَفِعْلًا وَيُطِيعُ الْإِلَهَ بَسْطًا وَقَبْضًا
فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِخِلَالٍ جَعَلَتْ حُبَّهُ عَلَى النَّاسِ فَرْضًا
ويقولُ فيها :

وَأَرَى الْمَجْدَ بَيْنَ عَارِفَةٍ مِنْدُ كَ تَرْجِي وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تَمْضَى

قلتُ : قولُ البحتريّ : (أَيْهَا الْعَاتِبُ الَّذِي لَيْسَ يَرْضَى) : لم يقل : أَيْهَا
السَاخِطُ الَّذِي لَيْسَ يَرْضَى ؛ لِيَحْصَلَ الطَّبَاقُ فِي كَلَامِهِ ، مَعَ وَلَوْعِهِم بِالْبَدِيعِ
إِذْ ذَاكَ ؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْعَاتِبِ آدَبٌ وَأَحْسَمٌ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَفْتَهُ الطَّبَاقُ ؛ فَإِنَّ الْعَتَبَ
يَسْتَلْزِمُ الشُّخْطَ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مَعَ الطَّبَاقِ الْمَعْنَوِيِّ الْكِنَايَةُ الظَّرِيفَةُ ، فَهُوَ مِنْ
تَخْيِيرِ الْأَلْفَاظِ ، وَنَبَهْتِكَ بِهَذَا لِأَنَّ تَصْرِفَ التَّفَاتِكِ إِلَى مَلاحِظَةِ مِثْلِهِ ، فَتَلْتَزِمُ
التَّنَائِي فِي تَعْرِفِ لَطَائِفِ الْكَلَامِ ، فَلَا تَدْرُسُهُ دَرَسًا وَتَمَرَّ عَلَيْهِ مَرًّا بِحَيْثُ
تَفَوُّتِكَ بِغَيْتِكَ وَأَنْتَ مَكْدُودٌ فِي طَلِبِهَا .

وقولُهُ : (أَبْكِي كَوْمَ الْمَطَايَا) لَيْسَ مِنَ الْبِكَاءِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْبِكَاءِ ؛ وَهُوَ
ذَهَابُ اللَّبَنِ ، بِكَاتِ النَّاقَةِ كَمَنَعَ ، فَهُوَ وَمَا بَعْدَهُ عِبَارَةٌ عَنِ إِهْزَالِ الْمَطَايَا
تَدْرِيجًا .

وَمِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ تَعْرِفُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ عَلَى حَسَبِ الْأَزْمَنِ ،
فَرَبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ مُسْتَحْسَنًا فِي زَمَنِ حَسَبِ أَحْوَالِ أَهْلِهِ ، وَيَصِيرُ فِي زَمَنِ آخَرَ
غَيْرَ مُسْتَحْسَنٍ حَسَبِ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الشِّعْرَ فِي الصِّدْرِ الْأَوَّلِ كَانَ
عَلَى صُورَةٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا بَعْدُ ، حَتَّى دَخَلَ فِي صُورِ شَتَّى ، وَكَانَ الْمُتَأَخِّرُ
مَعِيًّا بِاسْتِعْمَالِهِ فِي صُورَةِ الْأَوَّلِ .

ثُمَّ هَذَا لَا يَخُصُّ الشِّعْرَ وَالْإِنشَاءَ ، فَلَقَدْ سَمِعْتَ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ
كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : لَا تَقْسِرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غَيْرِ
زَمَانِكُمْ ^(١) .

وَكَانَ أَخَذَ الْأَجْرَةَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ مُحْكُومًا بِحَرَمَتِهِ ، ثُمَّ أَفْتَى الْعُلَمَاءُ
بَعْدَ بَجَوَازِهِ لِلضَّرُورَةِ ، وَلِذَلِكَ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ ، وَهَذِهِ الْإِشَارَةُ كَافِيَةٌ ، وَنَرْجِعُ
لِمَا نَحْنُ فِيهِ ، قَالَ أَبُو هَلَالٍ ^(٢) : وَمِنْ أَمْثَلَةِ السَّهْلِ : قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ
وَهْبٍ ^(٣) :

مَا زَالَ يُلِثُّنِي مَرَاشِقَهُ وَيُعِلُّنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدْحُ
حَتَّى أَشْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْعَتَهُ وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَهُ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُمْتَدِّحُ
أَنْتَ الَّذِي بِكَ يَنْقُضِي [فَرَجًا] ضَبِقُ الْبِلَادِ لَنَا وَيَنْفَسِحُ
نَشَرْتُ بِكَ الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَتَزَيَّنْتَ بِصِفَاتِكَ الْمِدْحُ



(١) تقدم (١٩٣/٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٩) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦٩ - ٧٠) .

وَمِنَ السَّهْلِ الْمَطْبُوعِ الْمُخْتَارِ الْجَيِّدِ : قَوْلُ الْآخِرِ^(١) : [من مجزوء الوافر]

صَرَفْتَ الدَّهْرَ فَأَنْصَرَفَا وَلَمْ تَزَعْ أَلَّذِي سَلَفَا

وَبِئْتِ فَلَمْ أَذُبْ كَمَدًّا عَلَيْكَ وَلَمْ أُمْتُ أَسْفَا

كِلَانًا وَاجِدٌ فِي النَّا سِ مِمَّنْ مَلَّهْ خَلَفَا

وليس الغرضُ من سهولة الكلامِ وبيان معناه أن يبلغَ إلى حدِّ مثلِ قولِ

بعضِهِم^(٢) :

يَا رَبِّ قَدْ قَلَّ صَبْرِي وَصَاقَ بِالْحُحِّ صَدْرِي

وَأَشْتَدَّ شَوْقِي وَوَجْدِي وَسَيْدِي لَيْسَ يَدْرِي

مُغْفَلٌ عَنْ عَذَابِي وَلَيْسَ يَزْحَمُ ضَرْيِي

إِنْ كَانَ أُعْطِيَ أَضْطَبَارًا فَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي

أَنَا أَلْفِدَا لِغَزَالِ دَنَا فَقَبَّلَ نَحْرِي

وَقَالَ لِي مِنْ قَرِيبِ يَا لَيْتَ بَيْتِكَ قَبْرِي

فإنه إذا لَانَ الكلامُ حتى يصيرَ إلى هذا الحدِّ . . فليسَ فيه خيرٌ ، لا سيَّما

إذا ارتكبتَ فيه مثلَ هذه الضَّروراتِ ؛ فإنَّ تسكينَ الياءِ مِنْ (أُعْطِيَ) غيرُ

جائزٌ ، والفداءُ ممدودٌ قصره .



وأما الجزلُ المُختارُ مِنَ الكلامِ^(٣) . . فهو الذي تعرفُهُ فُطناءُ العامَّةِ إذا

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠) .

سمعوه ، ولا يستعملونه في محاوراتهم ؛ كقولِ القائل^(١) : [من البسيط]
لَا تَسْأَلِ الْقَوْمَ عَن مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُقْتَرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مَحْمُودُ
أَمْضِي عَلَى سُنَّةٍ مِنْ وَالِدِي سَلَفَتْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يُنْبِتُ الْعُودُ
وَمِنَ النَّشْرِ^(٢) : قولُ يحيى بنِ خالدٍ : أعطانا الدهرُ فأسَعَفَ ، ثمَّ عطفَ
علينا فعسَفَ .

قلتُ : يحيى هذا هو ابنُ خالدِ بنِ برمكٍ ، أبو الفضلِ وجعفرُ ، وهُمُ
الوزراءُ المشهورونَ بالبرامكةَ ، وكانوا بلغوا مِنَ المنزلةِ وَعُلُوِّ الشَّانِ مبلغاً لم
يصلُهُ غيرُهُم ، وكانَ الرشيدُ يقولُ ليحيى : يا أباي ؛ لكونِهِ كَانَ تَوَلَّى تَرْبِيَّتَهُ ،
وكانَ يُسَمِّي الفضلَ وجعفرأ أخويه ، ثمَّ لم نزلْ بِهِمُ الأيامُ حتى اقتَضَتْ
أسبابُ تَغْيَرِ قلبِ الخليفةِ عليهمُ تَغْيِراً أوجبَ حبسَهُم وإهانتَهُم ، وإخلاءَ
الدنيا منهمُ ، وَمِنَ شعرِ يحيى وهو في السِّجَنِ : [من الخفيف]

سَأَلُونَا عَن حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ مَن هَوَى عَرْشُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ
نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابْنَا عَنَتُ الدَّهْرِ بِرِ فَظَلْنَا لِحُكْمِهِ نَسْتَكِينُ
وجميعُ كلامِهِم نثراً ونظماً كانَ على هذه الصُّورةِ ، فرحمَهُمُ اللهُ تعالى .

قالَ أبو هلالٍ^(٣) : وَمِنَ شواهِدِ ذَلِكَ : ما كتَبَ [سعيدُ] بنُ حميدٍ في
الاستعطافِ واسترجاعِ المودَّةِ : وأنا مَنْ لا يُحاجُّكَ عن نَفْسِهِ ، ولا يُغالطُكَ
عن جرمِهِ ، ولا يلتَمِسُ رضاكَ إلاَّ مِنْ جِهَتِهِ ، ولا يستدعي هِواكَ إلاَّ مِنْ
طريقَتِهِ ، ولا يستعطفُكَ إلاَّ بالإقرارِ بالذنبِ ، ولا يستميلُكَ إلاَّ بالاعترافِ
بالجُرمِ ، نَبَتْ بي عنكَ غِرَّةُ الحداثةِ ، ورَدَدْتَنِي إليك الحنكَةُ ، وباعدتَنِي

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢) .

منك الثقة بالأيام ، وقادتنني إليك الضرورة ، فإن رأيت أن تستقبل الصنعة
بقبول العذر ، وتجدد النعمة باطراح الحقد ؛ فإن قديم الحرمة وحديث التوبة
يمحقان ما بينهما من الإساءة ، وإن أيام القدرة إن طالَّت قصيرة ، [والمتعة]
بها وإن كثرت قليلة . . فعلت .

وفي هذا الكلام وما قبله قوة في سهولة .

ومما هو أجزل من هذا ^(١) : قول الشعبي للحجاج وأراد قتله ؛ لخروجه
عليه مع ابن الأشعث : أجذب بنا الجناب ، وأحزن بنا المنزل ، فاستحلستنا
الحذر ، واكتحلنا السهر ، وأصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة
أقوياء ؛ فعفا عنه .



فأجود الكلام ^(٢) : ما يكون جزلاً سهلاً ، لا ينغلق معناه ، ولا يستبهم
مغزاه ، ولا يكون مكدوداً مستكزهاً ، [ومتوعراً] متقعرأ ، ويكون بريثاً من
الغثاثة ، عارياً من الرثاثة .

والكلام إذا كان لفظه غثاً ، ومعرضه رثاً . . كان مردوداً ولو احتوى على
أجل معنى وأنبله وأرفعه وأفضله ؛ كقول بعضهم ^(٣) :

أرئى رجالاً بأذنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالذون
فأستغن بالدين عن دنيا الملوک كما أسد تغنى الملوک بدنياهم عن الدين

قال أبو هلال : فمثل هذا لا يدخل في جملة المختار ، ومعناه كما تراه
نبيل فاضل جليل .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢ - ٧٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣) .

ولا أرى لمثلِ هذا معنى^(١) ، فهو كلامٌ مُنحرفٌ وضيعٌ ، لم يجعل
نفسه في الرتبة التي أعدها له الدينُ ؛ فإنه لا ينبغي من العلماء أن يعزلوا
ناحيةً عن ساسةِ الناسِ ، بل يجبُ عليهم أن يخالطوهم مخالطةً يتحيتونهم
فيها بالموعظةِ ، ويُعطفونهم على الهدى ، ويرشدونهم لصنعِ الجميلِ ؛
فإنَّ الدينَ والدنيا لا يصحُّ فصلُهما ، كما قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا
[تَسْبُوا] الدُّنْيَا ، فَنِعْمَتَ مَطِيَّةٍ الْمُؤْمِنِ ، عَلَيْهَا يَبْلُغُ الْخَيْرَ ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ
الشَّرِّ »^(٢) .



(١) القائل هنا هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين » .

(٢) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (٢٠٥٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

[خطأ المعاني وصوابها]

ثم قال أبو هلال^(١): وللمعاني خطأ وصواب ، وأنا مُنَبِّهٌ عليهما ؛ ليتبع مَنْ يريدُ العملَ برسْمِنَا مواقعِ الصَّوابِ فيلزمها ، ويقفَ على مواقعِ الخطأ فيجتنبها ، فنقول :

إنَّ الكلامَ ألفاظٌ تشتملُ على معانٍ تدلُّ عليها ، وتُعَبِّرُ عنها ، فيحتاجُ صاحبُ البلاغةِ إلى إصابةِ المعنى كحاجتِهِ إلى تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المَدَارَ بعدُ على إصابةِ المعاني ؛ فإنَّها تحلُّ مِنَ الكلامِ محلَّ الأبدانِ ، والألفاظُ تجري معها مجرى الكسوة ، ومزيةٌ إحداهما على الأخرى معروفةٌ .

ومن عرف ترتيبَ المعاني واستعمالَ الألفاظِ على وجوهها بلغةٍ مِنَ اللغاتِ ، ثمَّ انتقلَ إلى لغةٍ أخرى . . تهيأَ له فيها مِنْ صنعةِ الكلامِ ما تهيأَ له في الأولى ، ألا ترى أنَّ عبدَ الحميدِ الكاتبَ استخرجَ أمثلةَ الكتابةِ التي رسمها لِمَنْ بعدهُ مِنَ اللسانِ الفارسيِّ ، فحوَّلها إلى اللسانِ العربيِّ ؟! فلا يستكملُ صناعةَ الكلامِ إلا بإصابةِ المعنى ، وتصحيحِ اللفظِ ، والمعرفةِ بوجوهِ الاستعمالِ .



والمعاني على ضربين :

أحدهما : يبتدعهُ صاحبُ الصَّناعةِ مِنْ غيرِ أن يكونَ له فيه إمامٌ يقتدي به ، ولا رسومٌ قائمةٌ في أمثلةٍ ماثلةٍ يعملُ عليها ، ولهذا الضَّرْبُ ربَّما يقعُ عليه عندَ الخطوبِ الحادثةِ ، ويتبيَّنُهُ عندَ الأمورِ النازلةِ الطارئةِ .

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٧٥) .

والآخِرُ : ما يحتديه على مثالِ تَقَدَّمَ ورسمِ فرط .

وينبغي أن يطلب الإصَابَةُ في جميع ذلك ، ويتوخى فيه الصورة المقبولة ،
والعبارة المستحسنة ، ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره إيَّاهُ ، ولا
يعتدُّ بابتداعه له ذلك الاعتداد ، فيساهل نفسه في تهجين صورته ، فيذهب
حسنه ويطمس نوره ، ويكون فيه إلى الذم أقرب منه إلى المدح .



والمعاني بعد ذلك على وجوه :

منها : ما هو قبيح مستقيم ؛ نحو قولك : (قد زيدا رأيت) ، وإنَّما قبح ؛
لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير .

ومنها : ما هو مستقيم النظم وهو كذب ؛ مثل قولك : حملت الجبل ،
وشربت ماء البحر .

[ومنها] : ما هو مُحال ؛ كقولك : آتيتك أمس ، وأتيتك غداً ، وكلُّ مُحالٍ
فاسدٌ ، وليس كلُّ فاسدٍ مُحالاً ، ألا ترى أن قولك : (قام زيدٌ) فاسدٌ ، وليس
بمُحالٍ ، فالمُحالُ : ما لا يجوز كونه ألبتة ؛ كقولك : الدنيا [في] بيضة ،
وأمَّا قولك : (حملت الجبل) وأمثاله . . فكذبٌ وليس بمُحالٍ ؛ لإمكان أن
يزيد الله في قوتك فتحمله .

ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذباً ومحالاً ؛ كقولك : رأيتُه قائماً
قاعداً ، ومررتُ بيقظانٍ نائمٍ ، فتصلُ كذباً بمحالٍ ، فصارَ الذي هو الكذبُ
هو المحالُ ؛ بالجمع بينهما ، وإن كان لكل واحدٍ منهما معنى على حiale .
ومنها : العَلَطُ ؛ وهو أن يقولَ : ضربني زيدٌ ، وأنت تريدُ : ضربتُ زيدا ،
فغلطتَ ، فإن تعمدت . . كان كذباً .



ولللخطأ صوراً مختلفةً أَنْبَهُكَ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهَا ، وَأَبَيَّنَ وَجُوهَهَا ، وَأَشْرَحَ
أَبْوَابَهَا ؛ لَتَقْفَ عَلَيْهَا فَتَجْتَنِبَهَا ، وَيَكُونُ فِيهَا أوردتُ دَلَالَةً عَلَى أمثاله مِمَّا
تركتُ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الخَطَأَ . . كَانَ جَدِيراً بِالْوُقُوعِ فِيهِ .

فَمِنْ ذَلِكَ : قَوْلُ امرئِ القَيْسِ ^(١) :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّنْعَ الْقَدِيمَ بَعْسَعَسَا كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِمَ أَخْرَسَا
فهذا فاسدٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : كَلِمْتُ حَجْرًا فَلَمْ يَجِبْنِي ، فَكَأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا .

وَتَبِعَهُ أَبُو نُؤَاسٍ فَقَالَ يَصِفُ داراً ^(٢) :

كَأَنَّهَا [إِذْ] خَرَسَتْ حَازِمٌ بَيْنَ دَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقٌ
والجيدُ قَوْلُ كَثِيرٍ فِي امْرَأَةٍ ^(٣) :

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنْ الصَّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُضْمُ زَلَّتِ

فَشَبَّهَ الْمَرْأَةَ عِنْدَ السَّكُوتِ وَالتَّغَافُلِ بِالصَّخْرَةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ وَضَعَ التَّشْبِيهَ
عَلَى أَنَّ يُشَبَّهَ الضَّعِيفُ بِالْقَوِيِّ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْغَرَضُ مُجَرَّدَ التَّعْرِيفِ كَمَا سَلَفَ
لَكَ فِي الْبَيَانِ .

وَلَا يَحْسُنُ التَّشْبِيهُ الْمَقْلُوبُ إِلَّا إِذَا اشْتَمَلَ عَلَى نَكْتَةٍ كَمَا سَلَفَ أَيْضًا ،
وَهَذَا التَّشْبِيهُانِ مِنْهُ ، وَلَمْ تَطْهَرِ نَكْتَةٌ مُحْسِنَةٌ لَهُ فِيهِمَا ظَهُورَهَا فِي قَوْلِ
ابْنِ [وَهَيْبٍ] : (وَبَدَا الصَّبَاحُ) ^(٤) .

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٥) ، و « الصناعتين » (ص ٧٧) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٧) .

(٣) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٩٧) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٥٧/٢) .

[من البسيط]

وَمِنْ خَطَأَ الْمَعْنَى قَوْلُ الرَّاعِي (١) :

يَكْسُو الْمَفَارِقَ وَاللَّبَاتِ ذَا أَرْجٍ مِنْ قُضْبٍ مُعْتَلِفٍ الْكَافُورِ دَرَّاجٍ
أَرَادَ الْمَسْكَ ، فَجَعَلَهُ مِنْ قُضْبِ الطَّبَاةِ ، وَالْقُضْبِ - بَضْمٌ فَسَكُونٌ - :
الْمَعْيُ ، جَعَلَ الطَّبَاةَ تَعْتَلِفُ الْكَافُورَ ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْهَا لِذَلِكَ الْمَسْكُ ، وَهَذَا مِنْ
طَرَائِفِ الْغَلَطِ .

[من البسيط]

وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ زَهِيرٍ (٢) :

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرِبَاتٍ مَاؤُهَا طَحِلٌ عَلَى الْجُدُوعِ تَخَافُ الْغَمَّ وَالْغَرَقَا
ظَنَّ أَنَّ الضَّفَادِعَ يَخْرُجْنَ مِنَ الْمَاءِ مَخَافَةَ الْغَرِقِ .

[من الكامل]

وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ (٣) :

لَمْ يَذِرِ مَا نَسِجُ الْيَرِنْدَجِ قَبْلَهَا
فَظَنَّ الْيَرِنْدَجَ مَنْسُوجًا ، وَهُوَ جِلْدٌ أَسْوَدٌ يُعْمَلُ مِنْهُ الْخِفَافُ ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ
فَارْسِيَّةٌ .

[من الطويل]

وَمِنْ الْغَلَطِ مِثْلُ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ (٤) :

أَغْرَكَ مِئِي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
وَإِذَا لَمْ تَغْرُزْهَا هَذِهِ الْحَالُ مِنْهُ . . فَمَا الَّذِي يَغْرُزُهَا؟! وَلَيْسَ لِلْمُحْتَجِّ عَنْهُ
أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ إِنَّمَا عَنِى بِالْقَتْلِ التَّبْرِيحَ ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَلْزِمُهُ مَعَ ذِكْرِ الْقَتْلِ يَلْزِمُهُ
أَيْضًا مَعَ ذِكْرِ التَّبْرِيحِ .

(١) انظر «ديوان الراعي النميري» (ص ٥٣) .

(٢) انظر «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص ٤٥) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٧٨) ، والبيت بتمامه :

وَرَأْسُ أَغْوَصِ دَارِسٍ مُتَّخِذِ

لَمْ يَذِرِ مَا نَسِجُ الْيَرِنْدَجِ قَبْلَهَا

(٤) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ١٣) .

وممّا أَخَذَ أَيضاً على امرئِ القيسِ : قوله في الفرسِ (١) : [من الطويل]

فَلِلسَّوْطِ أَلْهُوبِ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَهْوَجِ مَنْعَبِ
فلو وصفَ أَحْسَنَ حِمَارٍ وَأضعفَهُ .. ما زادَ على ذلكَ ، فالجيدُ
قوله (٢) :

عَلَى سَابِحٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَزِيٍّ غَيْرِ كَرِيٍّ وَلَا وَإِنْ
فما سمعنا أبلغَ ولا أجودَ مِنْ قوله : (أفانينَ جري) .

وقولُ علقمة (٣) :

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّايِحِ الْمُتَحَلِّبِ
فقال : أدركَ طريدتهُ وهو ثانٍ مِنْ عِنَانِهِ ولم يَضْرِبْ بسوطٍ ، ولم يُمْرِه
بساقٍ ، ولم يَزْجُرْهُ بصوتٍ .

قلتُ : وكذلكَ الجَوَادُ إِنَّمَا يرفعُ رأسَهُ بشدِّ العنانِ ، فيَعْرِفُ أن قد أُريدَ منه
الجرِيُّ ، فيخرجُ ما عندهُ .

ويُحكى : أن امرأَ القيسِ لَمَّا قالَ قصيدةَ هذا البيتِ ، وقالَ علقمةُ
الفحلُ قصيدتهُ التي في رويِّها ووزنِها .. تحاكما إلى أمِّ جندبٍ زوجِ
امرئِ القيسِ ، فحكمتُ لعلقمةَ على امرئِ القيسِ بهدَّينِ البيتينِ ،
فطلَّقَها ، وتزوَّجَها علقمةُ (٤) ، وسنوردُ لك القصيدتينِ بعدُ إن شاء اللهُ
تعالى (٥) .

(١) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ٥١) .

(٢) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ٩١) .

(٣) انظر «ديوان علقمة بن عبدة» (ص ١٧) ، و«الصناعتين» (ص ٨٠) .

(٤) انظر «خزانة الأدب» (٢٨٣/٣) .

(٥) انظر ما سيأتي من قصيدة امرئ القيس (١٤١/٤) ، وقصيدة علقمة الفحل (١٥٤/٤) .

[من الطويل]

وممّا عيبٌ ويُعبأ قولُ الأعشى^(١) :

وَيَأْمُرُ لِليَحْمُومِ كُلِّ عَشِيَّةٍ بَقَتِ وَتَعْلِيفِ وَقَدْ كَادَ يَسْنُقُ

أي : تصيبهُ التخمَةُ ، واليحمومُ : اسمُ فرسِ الملكِ ، يقولُ : إنَّهُ يأمرُ
لفرسِهِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بَقَتِ وتعليفِ ، وهذا ممّا لا يُمدحُ بِهِ الملوكُ ، بل ولا رجلٌ
مِنَ خَسَاسِ الناسِ .

[من الطويل]

وقريبٌ منه قولُ الأخطلِ^(٢) :

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ أَلخِلَافَةَ مِنْهُمُ لِأَبْلَجِ لَا عَارِي أَلخَوَانِ وَلَا جَذِبِ

يقولُهُ في عبدِ الملكِ ، ومثُلُ هذا لا يُمدحُ بِهِ الملوكُ .

[من الطويل]

وأطرفٌ منه قولُ كثيرِ بنِ عبدِ الرحمنِ الخزاعيِّ^(٣) :

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلُطْفِهِ غَزَا كَامِنَاتِ الصِّدْرِ مِنِّي فَتَالَهَا

فجعلَ أميرَ المؤمنينَ يتودَّدُ إليه .

[من الوافر]

وقولُهُ لعبدِ العزيزِ بنِ مروانَ :

وَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضَبَابِي

وَتَرْقِينِي لَكَ أَلرَّاقُونَ حَتَّى أَجَابَتْ حَيَّةٌ تَحْتَ أَلحِجَابِ

[من الطويل]

وإنمّا يُمدحُ الملوكُ بمثلِ قولِ الشاعرِ^(٤) :

لَهُ هِمٌّ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ أَلصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ أَلدَّهْرِ

لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى أَلبَرِّ كَانَ أَلْبَرُّ أُنْدَى مِنَ أَلْبَحْرِ

(١) انظر «ديوان الأعشى» (٦٦/٢) .

(٢) انظر «ديوان الأخطل» (ص ٣٣) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٨١) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ٨١) .

ومثلُ قولِ النابغة^(١) :

[من الطويل]

فِيَا نِكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

[من الطويل]

وَمِنْ غَفْلَةٍ كَثِيرٍ قَوْلُهُ فِي الْمَنَى^(٢) :

أَلَا لَيْتَنَا يَا عَزُّ كُنَّا لِيذِي غِنَى بَعِيرَيْنِ نَزَعَى فِي الْخَلَاءِ وَنَعَزُبُ

كِلَانَا بِهِ عَرُّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَزْبَاءُ [تُعْدِي] وَأَجْرُبُ

نَكُونُ لِيذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ فَلَا هُوَ يَزْعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ

إِذَا مَا وَرَدْنَا مَنَهْلًا هَاجَ أَهْلُهُ إِلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ

فَقَالَتْ لَهُ عَزَّةُ : لَقَدْ أَرَدْتَ بِي الشَّقَاءَ الطَّوِيلَ .

[من البسيط]

وَمِنْ قَبِيحِ التَّمَنِّيِّ قَوْلُ جِنَادَةَ^(٣) :

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَّنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلَدِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا

لِكَيْ يَكُونَ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتُضْمِرَ النَّفْسُ بَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا

ومثلُ قَبِيحِ هَذَا التَّمَنِّيِّ قَبِيحُ دَعَاءِ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ إِذْ يَقُولُ^(٤) :

وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْتَنِي وَأَحْمَى عَلَيَّ أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَاوِيَا

وللناسِ فِي الْمَنَى كَلَامٌ كَثِيرٌ ، بَيْنَ مَدْحِ لَهَا وَاسْتِحْسَانِ ، وَذَمِّ وَاسْتِهْجَانِ ،

[من الطويل]

قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :

أَمَانِيٍّ مِنْ لَيْلَى حِسَانٌ كَأَنَّمَا سَقْتَنِي بِهَا لَيْلَى عَلَيَّ ظَمًا بَرْدًا

(١) انظر «ديوان النابغة الذبياني» (ص ٣٨) .

(٢) انظر «ديوان كثير عزة» (ص ١٦١) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٨٢) .

(٤) انظر «ديوان سحيم عبد بني الحسحاس» (ص ٢٤) .

(٥) انظر «الصناعتين» (ص ٨٣) .

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى
وللطغرائي^(١) :

وإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
[من البسيط]

أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا
وَمِنْ ذَمِّ التَّمْيِي قَوْلُ عَنْتَرَةَ^(٢) :

مَا أَضَيِقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ
[من الطويل]

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الطُّلُوعَ الْبَوَالِيَا
وَقَوْلِكَ لِلسَّيِّءِ الَّذِي لَا تَنَالُهُ

وَقَاتَلَ ذِكْرًاكَ السِّنِينَ الْخَوَالِيَا
إِذَا هَوَيْتَهُ النَّفْسُ يَا لَيْتَ ذَا لِيَا

وَمِنْ خَطَأِ الْوَصْفِ : قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ فِي صِفَةِ فَرَسٍ^(٣) :

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا [فَشْرَجَ] لَحْمَهَا
تَأْتِي بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ
إِلَّا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَنَصَّعُ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ^(٤) : هَلْذِهِ الْفَرَسُ لَا تَسَاوِي دَرَهْمَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهَا كَثِيرَةَ
اللَّحْمِ ، رَخْوَةً يَدْخُلُ فِيهَا الْإِصْبَعُ .

وَأِنَّمَا تُوصَفُ بِهَذَا الشَّاءِ يُضْحَى بِهَا ، وَجَعَلَهَا لَا تَجْرِي إِلَّا
بِالِاسْتِقْرَارِ .

وَمِنْ خَطَأِ الْمَعَانِي قَوْلُ الْأَعَشِيِّ^(٥) :

وَمَا زَابَهَا مِنْ رِيْبَةٍ غَيْرَ أَنَّهَا
رَأَتْ لِمَتِّي شَابَتْ وَشَابَتْ لِذَاتِيَا
وَأَيُّ رِيْبَةٍ عِنْدَ امْرَأَةٍ أَعْظَمُ مِنْ شَيْبٍ !؟

(١) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٦) .

(٢) انظر « ديوان عنتره العبسي » (ص ٢٢٤) .

(٣) انظر « ديوان الهذليين » (١٦ / ١ - ١٧) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٨٤) .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٨٩) .

ومثله قول الآخر^(١) :

[من البسيط]

وَأُنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْت
مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

وأعجب منه قوله^(٢) :

[من البسيط]

صَدَّتْ هُرَيْرَةٌ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا
إِنَّ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبِهِ
جَهْلًا بِأُمِّ خَلِيدِ حَبَلٍ مَن تَصِلُ
رَيْبُ الْمَنُونِ وَدَهْرُ خَائِنِ خَتَلُ

وأى شيء أبغض عند النساء من العشا؟!

وأعجب ما في هذا الكلام أنه قال : مَنْ تَصِلُ بعدي هذه المرأة
وأنا بهذه الصفة من العشا والفقير والشيب؟! فلا ترى كلاماً أحق
من هذا !!

ومن الخطأ قول مَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَحِرَ ، فَأَوْقَعَ نَفْسَهُ فِي أَحْسَنِ تَشْبِيهِ حَيْثُ
يَقُولُ^(٣) :

[من البسيط]

تَعَرَّضْتُ تَيْمٌ لِي عَمْدًا لِأَهْجُوهَا
كَمَا تَعَرَّضَ لِأَسْتِ الْخَارِيءِ الْحَجْرُ
وَمِنَ الْخَطَأِ فِي التَّشْبِيهِ : قَوْلُ كَثِيرٍ^(٤) :

[من الطويل]

وَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ [طَيِّبَةٌ] الثَّرَى
بِأَطْيَبِ مِنْ [أَرْدَانِ] عَزَّةَ مَوْهِنَا
يَمْجُجُ النَّدَى جَشَجَائِهَا وَعَرَازُهَا
وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

يُقَالُ : إِنَّ عَجُوزًا لَقَيْتُهُ وَبِيَدِهَا رَوْثَةٌ عَلَيْهَا نَارٌ وَضَعَتْ فِيهَا مَنَدَلًا ، فَقَالَتْ
لَهُ : لِمَ تَزِدُهَا فِي الصِّفَةِ عَلَيَّ هَذَا !!

(١) هو للأعشى . انظر « ديوانه » (٢٨٠/١) .

(٢) انظر « ديوان الأعشى » (٢٠٦/١) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٩٤) .

(٤) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٤٢٩ - ٤٣٠) .

والصَّوَابُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ ^(١) :

أَلَمْ تَرَيَانِي كَلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيِّبِ
فَجَعَلَهَا طِيبَةَ الذَّاتِ .



وَمِنْ عِيُوبِ الْمَدِيحِ : عَدُولُ الْمَادِحِ عَنِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَخُصُّ النَّفْسَ ؛ مِنْ
الْعَقْلِ ، وَالْعِفَّةِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالشَّجَاعَةِ . . إِلَى مَا هُوَ مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ ؛ كَقَوْلِ
ابْنِ الرِّقِيَّاتِ فِي ابْنِ مَرْوَانَ ^(٢) :

يَأْتَلِقُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ أَلْذَّهَبُ
فَغَضِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ قَلَّتْ فِي مِصْعَبٍ ^(٣) :

إِنَّمَا مُضْعَبُ شِهَابٍ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ
فَأَعْطَيْتُهُ الْمَدْحَ بِكَشْفِ الْغَمِّ وَجَلَاءِ الظُّلْمِ ، وَأَعْطَيْتَنِي مَا لَا فَخْرَ فِيهِ ؛
وَهُوَ اعْتِدَالُ التَّاجِ فَوْقَ جَبِينِي الَّذِي هُوَ كَالذَّهَبِ فِي النُّضَارَةِ ، ذَلِكَ إِلَى مَا
رَمَيْتَنِي بِهِ مِنْ صِفَةِ الْأَعَاجِمِ !؟

وَجَيْدُ الْمَدْحِ قَوْلُهُ ^(٤) :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْأَنْبَامِ وَلَا تَضْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ



(١) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ٤١) .

(٢) انظر «ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات» (ص ٥) .

(٣) انظر «ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات» (ص ٩١) .

(٤) انظر «ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات» (ص ٤) .

وَمِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْمَدِيحِ ^(١) : مَا تَرَاهُ فِيهَا يُحْكِي : أَنَّهُ اجْتَمَعَ جَرِيرٌ
وَالْفَرَزْدَقُ عِنْدَ الْحَجَّاجِ ، فَقَالَ : مَنْ مَدَحَنِي مِنْكُمْ بِشَعْرٍ يُوجِزُ فِيهِ وَيُحْسِنُ
الْقَوْلَ فِي صِفَتِي . . فَهَذِهِ الْخِلْعَةُ لَهُ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ الْحَجَّاجَ وَالطَّيْرُ يَتَّقِي عُقُوبَتَهُ إِلَّا ضَعِيفُ الْعَزَائِمِ
فَقَالَ جَرِيرٌ : [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ الْحَجَّاجَ أَمَا عِقَابُهُ فَمُرٌّ وَأَمَا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ
يُسِّرُّ لَكَ الْبَغْضَاءَ كُلُّ مَنْافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ
فَقَالَ الْحَجَّاجُ لِلْفَرَزْدَقِ : مَا عَمِلْتَ شَيْئاً ؛ فَإِنَّ الطَّيْرَ يَتَّقِي مِنَ الصَّبِيِّ
وَالْخَشْبَةَ ، وَدَفَعَ الْخِلْعَةَ إِلَى جَرِيرٍ .

وَمِنْ خَطَأِ الْمَدْحِ : قَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فِي الْمَأْمُونِ ^(٢) : [من البسيط]
أَضْحَى إِمَامُ الْهُدَى الْمَأْمُونُ مُشْتَغِلاً بِالذِّينِ وَالنَّاسِ بِالدُّنْيَا مَشَاغِلاً
وَحِينَ أَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ لِعِمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ . . قَالَ لَهُ : مَا زِدْتَهُ عَلَى أَنْ
وَصِفْتَهُ بِصِفَةِ عَجُوزٍ فِي يَدِهَا سُبْحَةٌ ، هَلَّا قَلْتَ كَمَا قَالَ جَدِّي - يَعْنِي :
جَرِيراً - فِي عَمْرٍاءَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٣) : [من الطويل]

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبُهُ وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ
وَمِنَ الْغَلَطِ : قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ ^(٤) : [من الطويل]

رَقِيقُ حَوَاشِي الْجِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفِّئِكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُزْدُ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ١٠٧) .

(٢) انظر «ديوان ابن أبي حفصة» (ص ١١٧) .

(٣) انظر «ديوان جرير» (٧٠٣/٢) .

(٤) انظر «ديوان أبي تمام» (٨٨/٢) .

وما وصفَ أحدٌ مِنْ أهلِ الجاهليةِ ولا أهلِ الإسلامِ الحِلْمَ بالرِّقَّةِ ، وإنَّما
يصفونهُ بالرُّجْحانِ والرزانةِ ، كما قالَ الشاعرُ^(١) :

أَحْلَامُنَا تَزِنُ أَلْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجُهَّالِ

[مرجعُ أسبابِ الخطأِ في المعاني]

هذا ؛ ومرجعُ أسبابِ الخطأِ في المعاني : إلى الجهلِ بالأحوالِ ، والغفلةِ
عمَّا ينبغي أن يُقالَ ، ومَنْ لم يتكلَّمْ إلَّا بعدَ علمٍ ، ولم يُخاطَبْ إلَّا بعدَ صحَّةِ
فهمٍ .. نجا مِنَ الوقوعِ في مثلِ ما وقعَ فيه أولئك .

وحسبُكَ هذا دليلاً مرشداً إلى اعتبارِ غيره به ، فيقوى التفاتُكَ ، ويزيدُ
انتباهُكَ ؛ حتى تعتبرَ كلَّ مقامٍ ، وتنطقَ فيه بما يليقُ به ، وتهتدي إلى ذلكِ
تمامَ الاهتداءِ ؛ بمطالعةِ أقوالِ مَنْ اتفقَ الناسُ على استحسانِ أقوالِهِمْ ،
والمبالغةِ في تأمُّلِها ، ذاكراً تلكَ الانتقاداتِ وما أشبهها ، ممَّا لا يصعبُ
عليك ملاحظتُهُ ، مع ما ضربَ لك مِنَ الأمثلةِ .

فإذا رعيتَ ذلكَ ، وقد وجدتَ مِنْ طبعِكَ استعداداً لإنشاءِ الكلامِ وتحضيرِ
النظامِ ؛ بأن تكونَ قويَّ الحافظةِ والذاكرةِ ، بحيثُ يكونُ استحضاركُ لِمَا
تمسُّ إليه الحاجةُ مِنَ الألفاظِ ومصنوعِ العباراتِ كالأمثالِ أسرعَ مِنَ البرقِ ..
فأقبلْ على ذلكَ ، وإلَّا .. فدعِ التكلُّفَ ؛ فإنَّهُ ليسَ يأتي منك بخيرٍ ، تكدُّ
فكرَكَ ، وتُضيعُ وقتَكَ ، وتؤذي سامعَكَ ، وقلْ : إنَّ الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتِيهِ
مَنْ يشاءُ .

وتذكَّرْ ما رويَ عن المُبرِّدِ حيثُ يقولُ^(٢) : لا احتاجُ إلى وصفِ نفسي ؛

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٢٦) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٠) .

لأنَّ الناسَ يعلمونَ أَنَّهُ ليسَ أحدٌ مِنَ الخافقينِ يَخْتلِجُ في نفسِهِ مسألةً مشكلةً
إِلَّا لَقِينِي بِهَا ، وَأَعَدَّنِي لَهَا ، فَأَنَا عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ ، وَحَافِظٌ وَدَارِسٌ ، لَا يَخْفَى
عَلَيَّ مُشْتَبَهُ مِنَ الشَّعْرِ وَالنَّحْوِ وَالْكَلَامِ الْمُنْتَوِرِ وَالخُطْبِ وَالرِّسَائِلِ ، وَلَرَبَّمَا
اِحْتَجْتُ إِلَى اعْتِذَارٍ مِنْ فِلْتَةٍ ، وَالتَّماسِ حَاجَةً ؛ فَأَجْعَلُ الْمَعْنَى الَّذِي أَقْصَدُهُ
نَصَبَ عَيْنِي ، ثُمَّ لَا أَجُدُ سَبِيلًا إِلَى التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي
أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلِيمَانَ ذَكَرَنِي بِجَمِيلٍ ، فَحَاوَلْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْهِ رَقْعَةً أَشْكُرُهُ
فِيهَا ، وَأَعْرِضَ بَعْضَ أُمُورِي ، فَاتَّعَبْتُ نَفْسِي يَوْمًا فِي ذَلِكَ ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى
مَا أُرْتَضِيهِ مِنْهَا ، وَكُنْتُ أَحَاوِلُ الْإِفْصَاحَ عَمَّا فِي ضَمِيرِي ، فَيَنْحَرِفُ لِسَانِي
إِلَى غَيْرِهِ .

وَمَا حُكِّيَ عَنْ بَعْضِ أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ قِيلَ لَهُ : لِمَ لَا تَقُولُ الشَّعْرَ ؟ فَقَالَ :
مَا أَرْضَاهُ لَا يَجِيئُنِي ، وَيَجِيئُنِي مَا لَا أَرْضَاهُ^(١) .

وَعَنِ الْيُونَانِيِّ الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُ الشَّعْرَ ، فَتَبَرَّعَ فِيهِ تَلَامِذُهُ وَهُوَ لَا يَقُولُهُ ،
فُسئِلَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَنَا كَالْمِسِّنِّ ؛ أَرْهَفْتُ وَلَا أَقْطَعُ^(٢) .

فَهَذَا اعْتِرَافُ الْعُقَلَاءِ الرَّاظِينَ بِمَا قَسِمَ لَهُمْ ، الْوَاقِفِينَ عِنْدَ حُدُودِهِمْ ،
الْمُتَحَقِّقِينَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ . . تَعِبَ وَلَمْ
يُرْزَقْ »^(٣) .



ثُمَّ لَيْكُنْ أَمْرُ الْكَاتِبِ فِي الْكِتَابَةِ عَلَى مَا وَصَفَ أَبُو هَلَالٍ ؛ حَيْثُ يَقُولُ^(٤) :
وَاعْلَمْ : أَنَّ الْمَعَانِي الَّتِي تُنْشَأُ الْكُتُبَ فِيهَا مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ . . سَبِيلُهَا أَنْ

(١) هو ابن المقفع . انظر « البيان والتبيين » (٢٠٨ / ١) .

(٢) انظر « الحيوان » للجاحظ (٢٩٠ / ١) .

(٣) أورده العلامة نظام الدين النيسابوري في « تفسير غرائب القرآن » (٧٠ / ٣) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٢) .

تُوَكِّدُ غَايَةَ التَّوَكِيدِ بِجِهَةِ كَيْفِيَّةِ نَظْمِ الكَلَامِ ، لا بِجِهَةِ كَثْرَةِ اللَّفْظِ ؛ لِأَنَّ حَكْمَ مَا يَنْفُذُ مِنَ السُّلْطَانِ فِي كِتَابِهِ شَبِيهُ بِحَكْمِ تَوْقِيعَاتِهِ ؛ مِنْ اخْتِصَارِ اللَّفْظِ ، وَتَأْكِيدِ الْمَعْنَى ، هَذَا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَاقْعَيْنِ فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ لَا تَقَعُ فِيهَا وَجْهُ التَّمثِيلِ لِلأَعْمَالِ ، فَأَمَّا إِذَا وَقَعَا فِي ذَلِكَ الْجِنْسِ . . فَإِنَّ الْحَكْمَ فِيهَا يَخَالَفُ مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَسَبِيلُ الكَلَامِ فِيهَا : أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الإِطَالَةِ وَالتَّكْرِيرِ دُونَ الحَذْفِ وَالإِيجَازِ ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ مَا يُكْتَبُ عَنِ السُّلْطَانِ فِي أَمْرِ الْأَمْوَالِ وَجَبَايَتِهَا وَاسْتِخْرَاجِهَا ، فَسَبِيلُ الكَلَامِ أَنْ تُقَدِّمَ فِيهِ ذِكْرَ مَا رَأَى السُّلْطَانُ فِي ذَلِكَ وَدَبَّرَهُ ، ثُمَّ تُعَقِّبَ فِي ذِكْرِ الْأَمْرِ بِامْتِثَالِهِ ، وَلَا تَقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُكْرِّرَ وَتُؤَكِّدَ ؛ لِتَتَأَكَّدَ الْحُجَّةُ عَلَى الْمَأْمُورِ بِهِ ، وَيَحْذَرُ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الإِخْلَالِ وَالتَّقْصِيرِ .

ومنها : الإحمادُ والإذمامُ ، والثناءُ والتقريضُ ، والذمُّ والاستصغارُ ، والعدلُ والتوبيخُ ، وسبيلُ ذلك : أَنْ يُشَبَّعَ الكَلَامَ فِيهِ ، وَيَمُدَّ الْقَوْلَ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ آثَارُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ فِي الإِحْسَانِ وَالإِسَاءَةِ ، وَالاجْتِهَادِ وَالتَّقْصِيرِ ؛ لِیَرْتَاحَ بِذَلِكَ قَلْبُ الْمَطِيعِ وَيُبَسِّطَ أَمْلُهُ ، وَيَرْتَاعَ قَلْبُ الْمُسِيءِ وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِالارْتِدَاعِ .

فَأَمَّا مَا يَكْتُبُهُ الْعُمَّالُ إِلَى الْأَمْرَاءِ وَمَنْ فَوْقَهُمْ . . فَإِنَّ سَبِيلَ مَا كَانَ واقِعاً مِنْهَا فِي إِنْهَاءِ الْأَخْبَارِ ، وَتَقْرِيرِ صُورَةٍ مَا يَلُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَيَجْرِي عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْوَالِ : أَنْ يَمُدَّ الْقَوْلَ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ الشَّفَاءِ وَالإِقْنَاعِ وَتَمَامِ الشَّرْحِ وَالاسْتِقْصَاءِ ؛ إِذْ لَيْسَ لِلإِيجَازِ وَالِاقْتِصَارِ فِيهِ مَوْضِعٌ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالْأَلْفَافِ السَّهْلَةِ ، الْقَرِيبَةِ الْمَأْخُذِ ، السَّرِيعَةِ إِلَى الْفَهْمِ ، دُونَ مَا يَقَعُ فِيهِ اسْتِكْرَاهٌ وَتَعْقِيدٌ .

وَرَبَّمَا تَعْرِضُ الْحَاجَّةُ فِي إِنْهَاءِ الْخَبْرِ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْكِنَايَةِ وَالتَّوْرِيَةِ عَنِ الشَّيْءِ دُونَ الإِفْصَاحِ بِهِ ؛ لِمَا فِي التَّصْرِيحِ مِنْ هَتْكِ [السِّتْرِ] ، وَفِي حِكَايَتِهِ عَنِ عَدُوٍّ مَا أُطْلِقَ لِسَانُهُ بِهِ ؛ مِنْ أَطْرَاحِ مَهَابَةِ الرَّئِيسِ ، فَيَجِبُ إِجْلَالُهُ عَنْهُ ،

وفي الصّدقِ ما يَسُوهُ سماعُهُ ، ويقعُ بخلافِ مَحَبَّتِهِ ، فيحتاجُ منشئُ الكتابِ إلى استعمالِ لفظٍ في العبارةِ لا [تنخرقُ] معَهُ هيبَةُ الرئيسِ ، ولا يَعْرِضُ فيه بما يشتدُّ عليه ، ولا يكونُ أيضاً معها خيانةٌ في طَيِّ ما يجبُ نشرُهُ ، ولا يكملُ لهذا إلا المُبرِّزُ الكاملُ المُقدَّمُ .

وسبيلُ ما يُكْتَبُ به في بابِ الشكرِ : ألا يقعَ فيه إسهابٌ ؛ فإنَّ إسهابَ المبالغِ في الشكرِ يرجعُ إلى نوعٍ مِنَ الإبرامِ والتثقيبِ ، ولا يحسُنُ منه أن يستعملَ الإكثارَ مِنَ الثناءِ والدعاءِ أيضاً ؛ فإنَّ ذلكَ فعلُ الأبعادِ الذينَ لم يتقدّمَ لهم وسائلُ مِنَ الخدمةِ ، ومُقدّماتُ مِنَ الحرمةِ ، وتكونُ صناعتُهُم التكبُّ بتقريظِ الملوكِ ، وإطراءِ السلاطينِ ، فلا يقبَحُ إكثارُ الثناءِ مِنْ هؤلَاءِ .

وليسَ يحسُنُ تكريرُ الدعاءِ في صدورِ الكتبِ والرِّقاعِ ، وعندَ ما يجريه مِنْ ذكْرِ الرئيسِ ؛ فإنَّ ذلكَ مَشغلةٌ وكُلْفَةٌ ، وحكمُ ما يُستعملُ مِنْ ذلكَ في الكتبِ حكمُ ما يُستعملُ شفاهاً منه .

ويقبَحُ مِنْ خادمِ السُّلطانِ أن يشغلَ سمعَهُ في مخاطبتهِ إيَّاهُ بكثرةِ الدعاءِ لَهُ ، وتكريرهِ عندَ استئنافِ كلِّ لفظَةٍ .

وسبيلُ ما يَكْتَبُ به التابعُ إلى المتبوعِ في معنى الاستعطافِ ومسالمةِ النظرِ : ألا يكثرَ مِنْ شكايَةِ الحالِ ورقَّتِها ، واستيلاءِ الخصاصةِ عليه فيها ؛ فإنَّ ذلكَ يجمعُ إلى الإضجارِ والإبرامِ شكايَةَ الرئيسِ بسوءِ حالِهِ وقِلَّةِ ظهورِ نعمتهِ عليه ، ولهذا عندَ الرُّؤساءِ مكروهٌ جدّاً ، بل يجبُ أن يجعلَ الشكايَةَ ممزوجةً بالشكرِ والاعترافِ بشمولِ النعمةِ وتوفيرِ الفائدةِ .

وسبيلُ ما يُكْتَبُ به في الاعتذارِ مِنْ شيءٍ : أن يتجنَّبَ الإطنابَ والإسهابَ إلى إيرادِ النكتِ التي يتوهَّمُ أنَّها مُقنعةٌ في إزالةِ الموجدَةِ ، ولا يمعنَ في تبرئةِ ساحتهِ مِنَ الإساءةِ والتقصيرِ ، فإنَّ ذلكَ ممَّا يكرهُهُ الرُّؤساءُ ، والذي

جرت به عاداتهم استحسان الاعتراف من خدمهم وخولهم بالتقصير والتفريط في قضاء حقوقهم ، وتأدية فروضهم ؛ ليكون لهم فيما يعقبون به ذلك من العفو والتجاوز موضع منة مستأنفة تستدعي شكراً ، وعارفة مستجدة تقتضي نشرأ ، وأما إذا بالغ المتنصل في براءة ساحته من كل ما قُذِف به . . فلا موضع للإحسان إليه في إعفائه من ترك التسخط ، بل ذلك أمر واجب له ، وفي منع الرئيس حصته منه ظلم وإساءة .

وينبغي ألا يكثر الألفاظ عنده ، وإن احتاج إلى إعادة المعاني . . أعاد ما يعيده منها بغير اللفظ الذي ابتدأه به ؛ مثل ما قال معاوية : من لم يكن في بني عبد المطلب جواداً . . فهو دخيلٌ ، ومن لم يكن من بني الزبير شجاعاً . . فهو لزيقٌ ، ومن لم يكن من ولد المغيرة تياًماً . . فهو [سنيذٌ]^(١) .

والمعنى واحدٌ ، والكلام على ما تراه حسنٌ ، ولو قال : (لزيقٌ) ثم أعاده . . لسمَّح هذا .

قلتُ : فهذا مثالُ رسمه أبو هلال ؛ ليكون عملُ الكاتب على موجبهِ ، ويهتدي به إلى رعاية مقاماتِ الخطابِ في سائر أصنافِ المعاني ، وليس على المؤلفِ أن يُبين لك عن كلِّ صغيرة وكبيرة ، وإنما عليه أن يُعين لك الطريقَ التي ينبغي أن تسلكها ، ثم تستعمل ذوقك وقوة فكريك في تمييز الأشياء ، وإعطاء كلِّ شيءٍ حقه ، حسب ما تقفُ عليه من الآدابِ التي أودعتها أسلافك في منشآتِهِم نشرأ ونظماً ، وما يخصُّك به الفتح العليم ممَّا يشاكلُ ذلك وينتظمُ في سلكِهِ .



(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٤) .

[حَسَنُ النِّظْمِ وَجُودَةُ الرَّصْفِ وَالسَّبْكِ]

ثُمَّ قَالَ أَبُو هَلَالٍ فِي الْإِبَانَةِ عَنْ حَسَنِ النِّظْمِ وَجُودَةِ الرَّصْفِ وَالسَّبْكِ (١) :
أَجْنَاسُ الْكَلَامِ الْمَنْظُومَةِ ثَلَاثَةٌ : الرِّسَائِلُ ، وَالْخُطَبُ ، وَالشُّعْرُ ، وَجَمِيعُهَا
يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمِ حَسَنِ التَّأْلِيفِ وَجُودَةِ التَّرْكِيبِ .

وَحَسَنُ التَّأْلِيفِ يَزِيدُ الْمَعْنَى وَضُوحًا ، وَمَعَ سُوءِ التَّأْلِيفِ وَرَدَاءَةِ الرَّصْفِ
وَالتَّرْكِيبِ شَعْبَةٌ مِنَ التَّعْمِيَةِ ، فَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى سَيِّئًا ، وَرَصْفُ اللَّفْظِ جَيِّدًا . .
كَانَ أَحْسَنَ مَوْقِعًا ، وَأَطْيَبَ مَسْمَعًا ، فَهَوَّ بِمَنْزِلَةِ الْعَقْدِ ؛ إِذَا جَعَلَ كُلُّ خَرْزَةٍ
إِلَى مَا يَلِيقُ بِهَا . . كَانَ رَائِقًا فِي الْمِرْأَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَرْتَفَعًا نَبِيلاً ، وَإِنْ
اخْتَلَّ نَظْمُهُ ؛ فَضُمَّتِ الْحَبَّةُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهَا . . اقْتَحَمَتْهُ الْعَيْنُ وَإِنْ كَانَ
فَائِقًا ثَمِينًا .

وَحَسَنُ الرَّصْفِ : أَنْ تُوضَعَ الْأَلْفَاظُ فِي مَوَاضِعِهَا ، وَتُمْكَّنَ مِنْ أَمَاكِنِهَا ،
وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِيهَا التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ ، وَالْحَذْفُ وَالتَّزْيِيدُ ، إِلَّا حَذْفَ مَا تَقْتَضِيهِ
الْأَحْوَالُ الْمَبِينَةُ بِعِلْمِ الْمَعَانِي ، وَيُضَمُّ كُلُّ لَفْظَةٍ مِنْهَا إِلَى شَكْلِهَا ، وَتُضَافُ
إِلَى وَفْقِهَا .

وَقَالَ الْعَتَابِيُّ (٢) : الْأَلْفَاظُ أَجْسَادٌ ، وَالْمَعَانِي أَرْوَاحٌ ، وَإِنَّمَا نَرَاهَا بَعْيُونَ
الْقُلُوبِ ، فَإِذَا قَدِّمَتْ مِنْهَا مُؤَخَّرًا ، أَوْ أَخَّرَتْ مِنْهَا مُقَدِّمًا . . أَفْسَدَتِ الصُّورَةَ ،
وَعَيَّرَتِ الْمَعْنَى ، كَمَا أَنَّهُ لَوْ حَوَّلَ رَأْسٌ إِلَى مَوْضِعِ يَدٍ ، أَوْ يَدٌ إِلَى مَوْضِعِ
رَأْسٍ أَوْ رَجُلٍ . . لِتَحَوَّلَتِ الْحَلِيَّةُ ، وَتَعَيَّرَتِ الْخِلْقَةُ .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٧) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٧) .

وقد أحسنَ في هذا التمثيلِ ، ونَبَّهَ بِهِ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَنْبَغِي فِي صِنْعَتِهِ
وَضَعُ كُلِّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ؛ لِيُخْرِجَ بِذَلِكَ مِنْ سِوَةِ النِّظْمِ .

فَمِنْ سِوَةِ النِّظْمِ : المِعَاظِلَةُ ؛ وَقَدْ مَدَحَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
زَهِيْرًا بِمِجَانِبَتِهَا ؛ إِذْ قَالَ حِينَ فَضَّلَهُ عَلَى الشُّعْرَاءِ ^(١) : كَانَ لَا يِعَاظِلُ فِي
شِعْرِهِ ، وَلَا يَمْدُحُ الرِّجَالَ إِلَّا بِمَا فِي الرِّجَالِ .

وَأَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجِرَادَتَانِ ؛ إِذَا رَكِبَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَى ، وَعَاظَلَ الرَّجُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ ؛ إِذَا رَكَبَهَا .

فَمِنْ المِعَاظِلَةِ قَوْلُ الْفِرْزَدِقِ ^(٢) :

[من الطويل]

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَحُونِنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَضْطَجِبَانِ

[من الطويل]

وقوله ^(٣) :

تَخَامِصُ عَنْ بَرْدِ الْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ تَخَامِصَ حَافِي الْخَيْلِ فِي الْأَمْعَزِ الْوَجِي

أي : تخامص حافي الخيل الوجي في الأمعز .

[من الرمل]

وقول لبيد ^(٤) :

وَشَمُولِ قَهْوَةٍ بَاكَرْتُهَا فِي التَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ

[من الوافر]

وقول أبي حية التميمي ^(٥) :

كَمَا خُطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيٌّ يُقَارِبُ أَوْ يَزِيلُ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ١٦٨) .

(٢) انظر «ديوان الفرزدق» (٢/٥٩٠) .

(٣) هو للشماخ . انظر «ديوانه» (ص ٧٥) .

(٤) انظر «ديوان لبيد» رضي الله عنه (ص ١٨٢) ، وصدوره فيه :

قَلَّمَا عَرَّسَ حَسَى هَجَّتْهُ

(٥) انظر «الصناعتين» (ص ١٧١) .

وقولُ امرأةٍ مِنْ قيسٍ^(١) :

[من الطويل]

هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةً فَدَعَاهُمَا
تريدُ أخوا مَنْ لَا أَخَا لَهُ فِي الْحَرْبِ .

وليسَ للمُحدثِ أن يقولَ : هذه الأبياتُ حُجَّةٌ ، ويَبني عليها ؛ فإنه لا يُعذَّرُ في شيءٍ منها ؛ لإجماعِ الناسِ اليومَ علىِ مجانيةِ أمثالها ، واستجادةِ ما يَصِحُّ مِنَ الكلامِ ، واستردالِ ما يُشكِلُ وَيَسْتَبِهُمُ .

قلتُ : وذلكَ لأنَّ الشعرَ وإن كانَ للعربِ صناعةً كما هوَ لغيرِهِم . . فإنَّهُم هُمُ المُخترِعُونَ لَهُ ، والسنةُ الإلهيَّةُ على أن الفكرَ الإنسانيَّ لا يحيطُ بجميعِ ما يَحسُنُ في أمرٍ وَيَقْبُحُ ، ولكن يُلقَى في فكرٍ ما فاتَ غيرُهُ ، ولذلكَ كانَ شعراءُ العربِ ينتقدُ بعضهم على بعضٍ ، ومنهُ حصلَ التفاوتُ في البلاغةِ ، واختلَفَ الناسُ في تفضيلِ شاعرٍ على شاعرٍ ، حتى تَبَيَّنَت محاسنُ الصِّناعةِ ومساوئها ، فَمَنْ أرادَ أن يكونَ مِنْ أهلِها . . فعليه أن ينتهيَ مِنَ التعلُّمِ إلى غايته ؛ حتى يَتَمَكَّنَ مِنْ إعطاءِ الصِّناعةِ حقَّها ، فقد نُصِبَت لَهُ الأمثلةُ ، وَعُيِّنَت لَهُ الحدودُ .

قال أبو هلالٍ^(٢) : فَمِنَ الكلامِ المستويِ النظمِ ، الملتئمِ الرِّصْفِ : قولُ

[من الطويل]

أختِ طريفِ تربيهِ :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا أَلْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَسُيُوفِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ طِعَانًا وَلَمْ تَقُمْ مَقَامًا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفِ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١) .

فَلَا تَجْزَعَا يَا بَنِي طَرِيفٍ فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ حَلَالًا بِكُلِّ شَرِيفٍ

والمنظومُ الجيدُ : ما خرج مخرج المنشور في سهولته وسلاسته وسيولته
وقلة ضروراته ، ومن ذلك قولُ بعضِ المُحدثين^(١) : [من المتقارب]

وُقُوفُكَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ أَقْرَّ الْخِلَافَةَ فِي دَارِهَا

كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ فِي الْقُلُوبِ إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا

وَكِرَاتُ طَرْفِكَ مَزْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِغَامِضِ أَخْبَارِهَا

وَفِي رَاحَتَيْكَ الرَّدَى وَالنَّدَى وَكِلْتَاهُمَا طَوْعٌ مُمْتَارِهَا

وَأَفْضِيَةُ اللَّهِ مَحْثُومَةٌ وَأَنْتَ مُنْقَذُ أَقْدَارِهَا

ولا تكادُ القصيدةُ تستوي أبياتها في حسنِ التاليفِ ، ولا بدُّ أن تتخالفَ
في ذلك ؛ كقولِ عبيدِ بنِ الأبرصِ^(٢) :

وَقَدْ عَلَا لِمَتِي شَيْبٌ فَوَدَّعَنِي لَهُ الْغَوَانِي وَدَاعَ الصَّارِمِ الْقَالِي

وَقَدْ أَسْلَى هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي بِجَسْرَةٍ كَعَلَاةِ الْقَيْنِ شِمَالِ

زَيْافَةٍ بِقَتُودِ الرَّحْلِ نَاجِيَةٍ تَنْفِي الْهَجِيرَ بِتَبْغِيلِ وَإِزْقَالِ

فهذا نظمٌ حسنٌ ، وتألِيفٌ مختارٌ ، وفيها ما هو رديٌّ لا خيرَ فيه ؛ كقوله :

بَانَ الشَّبَابُ فَالَى لَا يُلِمُّ بِنَا وَأَحْتَلَّ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلِّ مِحْلَالِ

وقوله :

فَبِتُّ أَلْعَنُهَا طَوْرًا وَتَلْعَنُنِي ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ وَهِيَ مِنِّي عَلَى بَالِ

فقوله : (واحتلَّ بي من مشيبٍ كلِّ محلالٍ) بغيضٌ خارجٌ عن طريقِ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٢) .

(٢) انظر « ديوان عبيد بن الأبرص » (ص ٢٣ - ٢٤) .

الاستعمال ، وأبغضُ منه قوله : (وهي منِّي على بالِ) بتسكينِ (هي)
ضرورة .

وقوله :

وَكَبِشِ مَلْمُومَةٍ بَادٍ نَوَاجِذَهَا شَهَبَاءَ ذَاتِ سَرَابِيلٍ وَأَبْطَالِ
السَّرَابِيلُ : الدَّرُوعُ ، فلو وضع السُّيُوفَ مع الدرعِ . . لكانَ أجودَ ، ومثلُ
هذا النقدِ ممَّا سبقتُ به العربُ .

وقوله :

وَقَهْوَةٍ كَرَضَابِ الْمِسْكِ طَابَ بِهَا فِي دَتِّهَا كَرٌّ حَوْلِ بَعْدِ أَحْوَالِ
هذا البيتُ متوسِّطٌ .

وقوله :

بَاكَرْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو الصَّبَاحَ لَنَا فِي بَيْتِ مُنْهَمِرِ الْكَفَّيْنِ مِفْضَالِ
النصفُ الثاني خَيْرٌ مِنَ الأولِ ؛ فَإِنَّ قوله : (باكرتها) كافٍ ، وما بعدهُ
فضلٌ .

وكقولِ النَّمْرِ بْنِ تَوْلَبٍ ^(١) :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي وَرَأَيْتِي مَعَ الشَّيْبِ إِبْدَالُ أَلْتِي أَتَبَدَّلُ
فُضُولٌ أَرَاهَا فِي أَدِيمِي بَعْدَمَا يَكُونُ [كِفَافٌ] أَللَّحْمِ أَوْ هُوَ أَجْمَلُ
وَبُطْءٍ عَنِ الدَّاعِي فَلَسْتُ بِأَخِذٍ سِلَاحِي إِلَيْهِ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَفْعَلُ
كَأَنَّ مِحْطًا فِي يَدَي حَارِثِيَّةٍ صَنَاعَ عَلَتْ مِثِّي بِهِ الْجِلْدَ مِنْ عَلُ

(١) انظر «ديوان النمر بن تولب» (ص ٩٨) .

تَدَارَكَ مَا قَبَلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْمَلُ
يَوَدُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ جَاهِدًا فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

فهذه الأبيات جيدة السبك ، حسنة الرّصف ، وقوله :

فَلَا الْجَارَةُ الدُّنْيَا لَهَا تُلْحِينَهَا وَلَا الضَّيْفُ عَنْهَا إِنْ أَنَاخَ مُحْوَلُ

فالنصف الأوّل مُختلٌ ؛ لأنّه خالف فيه وجه الاستعمال ، ووجه الكلام :

ولا تلحي جارتها الدنيا ؛ أي : القريبة ، وأعطى المرأة في النصف الثاني ما ليس من صفتها ، وقوله :

إِذَا هَتَكَتْ أَطْنَابَ بَيْتِ وَأَهْلَهُ بِمَعْطِنِهَا لَمْ يُورِدُوا الْمَاءَ قَيَّلُوا

هذا مُضطربٌ ؛ لتناوله المعنى من بُعد ، ووجه الكلام : أن يقول : إذا

دنت إبلنا من حيّ ولم ترد إبلهم الماء .. قَيَّلُوا ، والقيلُ : شربُ نصفِ

النهار ؛ يعني : أنّهم لعزهم وشدة بأسهم متى وردوا ماءً وعندهم من سبقهم

إليه .. قدّموهم ولم يجسروا أن يتقدّموهم ، بل يضطّرون إلى تأخير السقي

لغير وقته ؛ وهو نصفُ النهار ، ووقتهُ الغداةُ .

ومثالُ حسنِ الرّصفِ مِنَ المنثورِ : قولُ القائلِ : ولولا أن أجودَ الكلامِ ما

يدلُّ قليلُهُ على كثيره ، وتغني جملةُ عن تفصيله .. لَوَسَّعْتُ نِطاقَ القولِ

فيما انطوى عليه ؛ من خلوصِ المودّةِ ، وصفاءِ المحبّةِ ، فجالَ مجالَ الطّرفِ

في ميدانه ، وتصرّفَ تصرّفَ الرّوضِ في افتنانه ، لكنّ البلاغةُ بالإيجازِ أبلغُ

من البلاغةِ بالإطنابِ .

ومن تمامِ حسنِ الرّصفِ : أن يخرجَ الكلامُ مخرجاً يكونُ له فيه طُلاوةٌ

وماءٌ ، فربّما كانَ الكلامُ مستقيمَ الألفاظِ ، صحيحَ المعاني ، ولا يكونُ له

رونقٌ ولا رِواءٌ ؛ وذلكَ بأن يخرجَ في غيرِ تكلفٍ وكَدِّ وشِدِّ وتفكّرٍ وتعمُّلٍ ،

ويكون سلسلاً سهلاً ، وله ماءٌ وزواؤه وورقاً ، وعليه فريدٌ لا يكون على غيره
مما عسرَ بروزه ، واستكرهَ خروجه ، تدركُ ذلك بالوجدان بعدَ كثرةِ قراءةِ
مختلفاتِ الأشعارِ ، فإنك تجدُ لنفسك من الفرح عندَ قراءةِ بعضها ما لا
تجدهُ عندَ قراءةِ غيره ، واعتبر ذلك بمثل قول الحطيئة^(١) :

هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ مِنْ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا
وقوله^(٢) :

لَهُ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيِدٌ كَأَنَّهَا تَسَاقُطُ مَاءِ الْمُنْزِنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
وقول أشجع^(٣) :

قَصُرَ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
وَإِذَا سُيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعِدَا طَارَتْ لَهُنَّ عَنِ الْفِرَاحِ الْهَامُ
بَرَقَتْ سَمَاؤُكَ لِلْعَدُوِّ فَأَمْطَرَتْ هَاماً لَهَا ظِلُّ السُّيُوفِ غَمَامُ
وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانَ ضَوْءِ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفُكَ الْأَحْلَامُ

ففي هذه الأبيات مع جودتها رونقٌ ليس في غيرها مما يجري مجراها ؛
من صحة المعنى ، وصواب اللفظ .



(١) تقدم (٤٠٨/٣) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ١٧٧) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ١٧٧) .

[حَسَنُ الْأَخْذِ]

هذا ؛ وممّا ينبغي أن نطلعكَ عليه مع ما سبقَ تمييزاً لمعرفتِكَ ، ودلالةً لك على ما يعترضُكَ في الطريقِ التي تسلكُها لمعرفة إنشاء الكلامِ نشرّاً ونظماً : أنّ المعانيَ دائرةٌ بينَ الناسِ ، يتفاوتونَ في التعبيرِ عنها ، ومنهُ نشأ القولُ بأنَّ الناسَ يأخذُ بعضهم من بعضٍ ، وتنوعُ ذلك الأخذِ إلى حسنٍ وغيرِ حسنٍ ، فوجبَ أن نسوقَ لك أمثلةً من ذلك ؛ لتطلبَ الحسنَ ، وتجتنبَ غيرَهُ .

[أمثلةٌ في حسن الأخذِ]

قال أبو هلال^(١) : ليسَ لأحدٍ من أصنافِ القائلينَ غنى عن تناولِ المعاني ممّن تقدّمهُم ، والصّبِ على قوالٍ من سبقهُم ، ولكنّ عليهم إذا أخذوها أن يكتبوها عندهم ، ويبرزوها في معارضٍ من تأليفهم ، ويؤدّوها في غيرِ حليتها الأولى ، ويزيدوا في حسنِ تأليفها ، وجودةِ تركيبها ، وكمالِ حليتها ومعرضها ، فإذا فعلوا ذلك .. فهُم أولى بها ممّن سبقَ إليها ، ولولا أنّ القائلَ يؤدّي ما سمعَ ما كانَ في طاقته أن يقولَ ، وإنما ينطقُ الطفلُ بعدَ استماعِهِ من البالغينَ .

وقال أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرمَ اللهُ وجهَهُ^(٢) : (لولا أنّ الكلامَ يُعادُ .. لنفدَ) .

على أنّ المعانيَ مُشتركةٌ بينَ العقلاءِ ، وربّما وقعَ المعنى الجيدُ للسوّقي

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢) .

والنبطي والزنجي ، وإنما يتفاضلُ الناسُ في الألفاظِ وِرفِها ، وتألِيفِها ونظْمِها ، وقد يقعُ للمتأخِرِ معنَى سبقه إليه المُتقدِّمُ مِنْ غيرِ أن يُلِمَّ به ، ولكن كما وقعَ للأولِ وقعَ للآخرِ .

وهذا أمرٌ عرفتهُ مِنْ نفسي^(١) ، فلستُ أمتري فيه ؛ وذلكَ أنِّي كنتُ عملتُ في صفةِ النساءِ :

سَفَرْنَ بُدُوراً وَأَنْتَقَبْنَ أَهْلَةً
وظننتُ أنِّي سبقتُ إلى جمعِ هَذاينِ التشبيهِينِ في نصفِ بيتٍ ، إلى أن وجدتهُ لبعضِ البغداديينَ ، فكثُرَ تعجُّبي ، وعزمتُ على ألا أحكمَ على المتأخِرِ بالسَّرِقِ مِنَ المُتقدِّمِ حكماً حتماً .

وقد قيلَ : إنَّ مَنْ أَخَذَ المعنَى ، فكساهُ لفظاً مِنْ عندهِ .. كَانَ هُوَ أَوْلَى بِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَهُ .

وقالوا : إنَّ أبا عُدْرَةَ الكلامِ مَنْ سَبَكَ لفظُهُ على معناه ، وَمَنْ أَخَذَ معنَى بلفظه كَلِمَةً أو بعضِهِ .. فَذَلِكَ هُوَ السَّارِقُ ؛ كقولِ النابغة^(٢) :

بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبُ
وقد سبقه إليه رجلٌ مِنْ كندةٍ في عمرو بنِ هندٍ حيثُ يقولُ^(٣) :

هُوَ الشَّمْسُ وَأَنْتَ يَوْمَ دَجِنٍ فَأَفْضَلْتُ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ
والحاذقُ يخفي ديبه إلى المعنى حتى يأخذه في سترٍ ، فيحكّمُ له بالسَّبِقِ إليه مَنْ يَمُرُّ بِهِ ، وأحدُ أسبابِ إخفاءِ السَّرِقِ : أن يأخذَ المعنى المستعملَ في

(١) سياق الكلام لصاحب « الصناعتين » .

(٢) تقدم (٣٠/٢) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٣) .

صفة خمرٍ فيجعلهُ في مديحٍ ، أو مِنْ مديحٍ فينقلُهُ إلى وصفٍ مثلاً ، إِلَّا أَنَّهُ لَا
يَكْمُلُ لِهَذَا إِلَّا الْمُبْرَزُ الْكَامِلُ الْمُقَدَّمُ ، فَمَمَّنْ أَخْفَى دَبِيبَهُ إِلَى الْمَعْنَى وَسْتَرَهُ
غَايَةَ السَّتْرِ أَبُو نُوَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ^(١) :

[من مخلع البسيط]

أَعْطَتْكَ رِيحَانَهَا الْعُقَارُ

إِذْ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ عَلَى مَا قَالُوا :

[من الكامل]

وَسَبِيئَةٌ مِمَّا تُعْتَقُ بِأَبْلِ كَدَمِ الدَّبِيحِ سَلَبَتْهَا جِرْيَالَهَا
سُئِلَ الْأَعْمَشِيُّ عَنْ (سَلَبَتْهَا جِرْيَالَهَا) وَالْجِرْيَالُ : حُمْرَةُ الْمُدَامِ ، أَوْ هِيَ
الْمُدَامُ الْحُمْرَاءُ ، فَقَالَ : شَرِبْتُهَا حُمْرَاءَ ، وَبُلْتُهَا بِيضَاءَ ، فَبَقِيَ حَسَنٌ لَوْنِهَا فِي
بَدَنِي .

ومعنى : (أعطتك ريحانها العُقَارُ) أي : شربتها فانتقلَ إليك ، وكذلك
قوله :

[من مخلع البسيط]

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهْرُ شُرَابِهَا نَهَارُ
مِنْ قَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ ^(٢) :

[من المنسرح]

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا أَلْ حَالِقُ أَلَّا تُجَنِّهَا السُّدْفُ
فَنَقَلَ ذَلِكَ أَبُو نُوَّاسٍ مِنْ صِفَةِ الْمَرْأَةِ إِلَى الْخَمْرِ .

[من الطويل]

وكقولِ أبي تمامٍ ^(٣) :

جَمَعْتَ عُرَى أَعْمَالِهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْبِيْبُ عَامِلُ

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٩٨) ، والبيت بتمامه :

أَعْطَتْكَ رِيحَانَهَا الْعُقَارُ وَحَانَ مِنْ لَيْلِكَ أَنْسِفَارُ

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٤) .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (١٢٢/٣) .

قيلَ : نقلَهُ إلى المدحِ مِنْ قولِ أبي حَالِ الربيعِ في الرثاءِ^(١) : [من الطويل]

أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رَزَتْهُمْ وَمَا أَلْكَفُ إِلَّا إِضْبَعُ ثُمَّ إِضْبَعُ

وكقولِ البحترِيِّ^(٢) : [من الكامل]

وَلَوْ أَنَّ مُشْتاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ

نقلَهُ إلى المدحِ مِنْ قولِ العرجيِّ في الغزلِ^(٣) : [من الكامل]

لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِنًا حَيًّا أَلْحَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمْرَمُ

إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ خَافٍ ، ثُمَّ الْمَدَارُ فِي حَسَنِ الْأَخْذِ عَلَى أَنْ يَشْتَمِلَ كَلَامُ الْأَخْذِ

عَلَى مَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ كَلَامُ الْمَأْخُودِ مِنْهُ ؛ مِنْ حَسَنِ تَرْكِيْبٍ ، أَوْ اخْتِصَارِ

عِبَارَةٍ ، أَوْ زِيَادَةِ مَعْنَى ، وَتَسْتَبِينُ ذَلِكَ فِيمَا تَرَاهُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ ، قَالَ مُسْلِمُ بْنُ

الْوَلِيدِ^(٤) : [من الوافر]

أَحِبُّ الرِّيحِ مَا هَبَّتْ شِمَالًا وَأَحْسِدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبًا

أَخَذَهُ مِنْ قولِ جِرَانَ العَوْدِ^(٥) : [من الطويل]

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَبِدِي بَرْدًا

وقال أيضاً^(٦) : [من البسيط]

وَيُعْمِدُ السَّيْفَ بَيْنَ النَّحْرِ وَالْجِيدِ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٠٥) .

(٢) انظر «ديوان البحترى» (١٠٧٣/٢) .

(٣) انظر «ديوان العرجي» (ص ١٩١) ، و«الصناعتين» (ص ٢٠٧) .

(٤) انظر «ديوان صريع الغواني» (ص ٢٧٤) .

(٥) انظر «الصناعتين» (ص ٢٠٨) .

(٦) انظر «الصناعتين» (ص ٢٠٨) .

[من الوافر]

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْفِرْسَانِ (١) :

جَعَلْتُ السَّيْفَ بَيْنَ أَلْيَتِ مِنْهُ وَيَيْنَ سَوَادِ لِحْيَتِهِ عِذَارًا

فِإِغْمَادُ السَّيْفِ أَقْوَى مِنْ جَعْلِهِ عِذَارًا ، وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ (٢) :

سَبَطُ أَلْبَنَانٍ إِذَا أَحْتَبَى بِنِجَادِهِ غَمَرَ الْجَمَاجِمَ وَالسِّمَاطُ قِيَامٌ

يَصِفُ مَمْدُوحَهُ بِبَسْطَةِ الْقَامَةِ ، فيقولُ : إِنَّهُ وَهُوَ قَاعِدٌ مُحْتَبٍ بِنِجَادِهِ يَطُولُ

مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ وَهُمْ قِيَامٌ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسَ الْمَهَابَةِ . .

قَامَ بِجَانِبَيْهِ صَفَّانِ مُمْتَدَّانِ إِلَى مَسَافَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ يَمْشِي بَيْنَهُمَا الْمَارُّ إِلَيْهِ ،

وَهُمَا السِّمَاطَانِ ، وَكَانَ يُقَالُ : قَالَ فَلَانٌ الْقَصِيدَةَ الْفَلَانِيَّةَ ، وَأَنْشَدَهَا بَيْنَ

السِّمَاطَيْنِ ، أَخَذَ أَبُو نُوَّاسٍ قَوْلَهُ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ (٣) :

وَقَدْ أَطُولُ نِجَادَ السَّيْفِ مُحْتَبِيًّا مِثْلَ الرُّدَيْنِيِّ هَزَّتُهُ الْأَنْبَابُ

وَقَالَ أَيْضًا فِي هَذَا الْمَعْنَى (٤) :

أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يُلَاثُ نِجَادًا سَيْفُهُ بِلِوَاءِ

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَنْتَرَةَ (٥) :

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْدِثِي نِعَالَ السَّبَبِ لَيْسَ بِتَوَّامٍ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَطِيَّةَ الْعَدَوِيِّ (٦) :

مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي جُنُونِ الْأَصْبَا فَإِنْ تَقَضَّى فَجُنُونُ الْمُدَامِ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٠٨) ، والليت : أدنى صفحتي العنق ، وعنده : (لحيته) بدل (لحيته) .

(٢) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٣٤٢) .

(٣) انظر «ديوان جرير» (١/٣٤٨) .

(٤) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٢٤٨) .

(٥) انظر «ديوان عنتره العبسي» (ص ٢١٢) .

(٦) انظر «الصناعتين» (ص ٢٠٩ - ٢١٠) .

رَاحَ إِذَا مَا الشَّيْخُ وَاللَى بِهَا

قيلَ : أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ حَسَانَ (١) :

إِنَّ شَرَحَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسَدَ

وقال أبو تمام (٢) :

نَقَلَ فُوَادَكَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْهَوَى

كَمْ مَنزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى

أخذه مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ (٣) :

إِذَا مَا أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا

وقال أبو تمام أيضاً (٤) :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا

لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ

أخذَ البيتَ الأولَ مِنْ قَوْلِ البعِثِ (٥) :

أَطَافَتْ بِرَكِبٍ كَأَلْأَسِنَّةِ هُجِّدِ

والبيتَ الثاني مِنْ قَوْلِ أعرابيٍّ (٦) :

غُلَامٌ وَغَى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى

خَمْسًا تَرَدَّى بِرِدَاءِ الْغُلَامِ

[من الخفيف]

وَدَّ مَا لَمْ يُعَاصِرَ كَانَ جُنُونًا

[من الكامل]

مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنزِلِ

[من الطويل]

أَبِينَا وَقُلْنَا الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ

[من الطويل]

عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهُ

وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

[من الطويل]

بِخَاشِعَةِ الْأَرْجَاءِ غُبِرَ صُحُونُهَا

[من الوافر]

فَخَانَ بَلَاءُهُ أَلْزَمَنُ الْخَوْوُنُ

(١) انظر «ديوان حسان بن ثابت» رضي الله عنه (٢٣٦/١).

(٢) انظر «ديوان أبي تمام» (٢٥٣/٤).

(٣) انظر «ديوان كثير عزة» (ص ٢٥٥).

(٤) انظر «ديوان أبي تمام» (٢٢١/١).

(٥) انظر «ديوان البعث المجاشعي» (ص ٩٨).

(٦) انظر «الصناعتين» (ص ٢١٢).

وَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْأَقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الْمَنُونُ

وقال في رثاء ولدين لعبد الله بن طاهر^(١) : [من الكامل]

نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يَطْلُعَا إِلَّا أُرْتَدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفِلَا

إِنَّ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لِأَجَلٍ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلَا

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْمَخَايِلِ فِيهِمَا لَوْ أُمِهَلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلَا

لَوْ يُنْسَأَنَّ لَكَ هَذَا غَارِبًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلَا

إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوهُ أَيَقْنَتُ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلَا

ألم في هذه المعاني بقول الفرزدق وأجاد ما شاء^(٢) : [من الطويل]

وَجَفْنُ سِلَاحٍ قَدْ رُزْتُ فَلَمْ أَنْخِ عَلَيْهِ وَلَمْ أُبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا

وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَنْسَأَتْهُ لِيَالِيَا



ويحكي عن أبي نواس أنه كان يقول : ما زلت أستهجن قول

الشمّاخ^(٣) : [من الوافر]

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وموافقة ذي الرمة إياه في قوله^(٤) : [من الطويل]

إِذَا أَبْنَى أَبِي مُوسَى بِلَالًا بَلَّغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ عَيْنَيْكَ جَارِزُ

(١) هو أبو تمام . انظر « ديوانه » (١١٤/٤ - ١١٥) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٢) .

(٣) انظر « ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبياني » (ص ٣٢٣) .

(٤) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٠٤٢/٢) .

حتى سمعتُ قولَ الفرزدقِ^(١) :

عَلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي

مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي

فتبعتهُ في قولي^(٢) :

وَإِذَا الْمَطِيئِي بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا

فَرَبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى

وقلتُ^(٣) :

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذْ بَلَّغْتَنِي

فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغُرَبَانِ نُحْلًا

حَرُمْتَ عَلَيَّ الْأَزِمَّةَ وَالْوَلَايَا

[من الوافر]

وَخَيْرُ النَّاسِ كُلهِمُ أَمَامِي

مِنَ التَّهْجِيرِ وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي

[من الكامل]

فَطُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّحَالِ حَرَامٌ

فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ

[من الوافر]

لَقَدْ أَصْبَحْتَ عِنْدِي بِالثَّمِينِ

وَلَا قُلْتُ أَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وَأَغْلَاقِ الرَّحَالَةِ وَالْوَضِيِّينِ

فأنتَ تراهُ قد اعترفَ بالمتابعةِ ، ولم يخشَ فيها معابةً ؛ لِمَا عرفتَ من

استحسانِ سلوكِهِم تلكَ السبيلَ إذا أحسنوا وأجادوا .

وقد شَرَّفَ هذا المعنى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيثُ قَالَ لامرأةٍ قَالَتْ :

نَجوتُ على هذه النجيبَةِ ، ونذرتُ إن بَلَّغْتَنِي أن أنحرها : « بِئْسَ مَا

جَزَيْتَهَا »^(٤) .

ويُحكى^(٥) : أن دُعْبِلًا كَانَ جالِسًا يوماً في جماعةٍ ، فجرى ذكرُ

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (٥٣٣/٢) .

(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٤١) .

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ١٥١) .

(٤) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٧٠٩) من حديث سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٩) .

أبي تمام ، فوقع فيه كما هو شأن أكثر المتعاصرين المشتركين في صناعة ،
وقال : إنه يتتبع معاني فياخذها ، فقال رجل : ما من ذاك أعزك الله ؟ فقال :
قلت ^(١) :

وَأِنَّ أَمْرًا أَسَدَى إِلَيَّ بِشَافِعِ
شَفِيعَكَ فَأَشْكُرُ فِي الْحَوَائِجِ إِنَّهُ
إِلَيْهِ وَيَزُجُو الشُّكْرَ مِنِّي لِأَحْمَقُ
يَصُونُكَ عَن مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
فقال ^(٢) :

فَمَتَى أَقُومُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إِذْ جَنَّتْ
فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلُوَ عَطَائِهِ
بِالْغَيْبِ كَفُّكَ لِي ثِمَارَ نَوَالِهِ
وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُرَّ سُؤَالِهِ
وَإِذَا أَمُرُّوْ أَسَدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً
مِن جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

فقال الرجل : أحسن والله ، فقال دِعْبِلُ : كذبت قبحك الله ، فقال الرجل :
إن كان سبق إلى هذا المعنى فتبعته . . لما أحسنت ، وإن أخذته منك . . لقد
أجاده ، فصار أولى به منك ، فغضب دِعْبِلُ وقام .

فانظر - هداك الله - في مثل هذا . . يُفِذُكَ أَدْبًا ، فَأَيَّ إِسَاءَةٍ أَسَاءَ
دِعْبِلُ ؛ فَإِنَّ مَنْ أَسَدَى . . يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ عَلَى أَيِّ حَالٍ ، وَلِمَنْ أَسَدَى
بشفيع مِنتان ، وما على المحسنين من سبيل ، وقد أظهر دِعْبِلُ حماقته
في قوله : (أحمق) و(يخلق) ، وكان طبع دِعْبِلٍ لا يصبر عن الهجاء ،
وبقي مُدَّةً مستخفياً يدور في البلاد ؛ لهجائه المملوك ، وكان يقول :
أنا منذ كذا وكذا أحمل خشبتي على كتفي ؛ يعني : خشبة الصلْب ؛
لكونه كان يتوقع ذلك ؛ لإفراطه في التشييع ، وذممه خلفاء وقته ،

(١) انظر « ديوان دعبيل الخزامي » (ص ١٩٣) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٥٩/٣ - ٦٠) .

وأَيَّ إِحْسَانٍ أَحْسَنَ أَبُو تَمَامٍ فِي سَلَاةِ عِبَارَتِهِ ، وَتَمَامِ أَدَبِهِ .

[من الطويل] وسمعَ بشارٌ قولَ المَجْنونِ ^(١) :

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُزَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفَتِ تَلِينُ

فَقَالَ : وَاللَّهِ ؛ لَوْ جَعَلَهَا عَصاً مِنْ زَبِيدٍ أَوْ مَخٍ . . لَمَّا أَحْسَنَ ، أَلَا قَالَ مِثْلَ

مَا قُلْتُ ^(٢) :

وَحَوْرَاءُ الْمَدَامِيعِ مِنْ مَعَدِّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا تَمَرُ الْجِنَانِ

إِذَا قَامَتْ بِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِزَانِ

وَاسْتَهَجَنَ النَّاسُ قَوْلَهُ : (عِظَامَهَا) .

[من البسيط] وَلَمَّا قَالَ بشارٌ ^(٣) :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ أَلْفَاتِكُ اللَّهْجِ

تَبِعَهُ سَلْمُ الْخَاسِرِ فَقَالَ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّدَّةِ الْجَسُورِ

فَلَمَّا سَمِعَ بشارٌ هَذَا الْبَيْتَ . . قَالَ : ذَهَبَ ابْنُ الْفَاعِلَةِ بَيْتِي ، وَكَانَ

تَلْمِيذَهُ .

وَمِنْ حَسَنِ الْإِتْبَاعِ ^(٤) : قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ : إِذَا كَانَ لِلْمُحْسَنِ

مِنْ الثَّوَابِ مَا يُقْنِعُهُ ، وَلِلْمُسِيِّ مِنَ الْعِقَابِ مَا يَقْمَعُهُ . . اِزْدَادَ الْمُحْسِنُ فِي

الْإِحْسَانِ رَغْبَةً ، وَانْقَادَ الْمُسِيُّ لِلْحَقِّ رَهْبَةً .

(١) انظر « ديوان قيس بن الملوح » (ص ٢٦٤) .

(٢) انظر « ديوان بشار بن برد » (٢٢٠/٤) .

(٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (٥٦/٢) .

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٠) .

اتَّبَعَ فِيهِ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ حَيْثُ يَقُولُ : يَجِبُ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَتَعَهَّدَ
أُمُورَهُ ، وَيَتَفَقَّدَ أَعْوَانَهُ ، حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ ، وَلَا إِسَاءَةُ
مُسِيءٍ ، ثُمَّ لَا يَتْرِكُ وَاحِدًا مِنْهُمَا بغيرِ جِزَاءٍ ، فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ . . تَهَاوَنَ الْمُحْسِنُ ،
وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ ، [وَفَسَدَ] الْأَمْرُ ، وَضَاعَ الْعَمَلُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(١) :

أَقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَدِ ثِقَرٍ بِأَنْهَا مَوْلَاتُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَأَخْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ
وَقَالَ نَصِيبٌ ^(٢) :

فَعَا جُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
أَي : وَلَوْ سَكْتُوا . . أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْعَطَايَا الظَّاهِرَةَ ، وَقِيلَ : شَهَادَةُ الْأَحْوَالِ
أَعْدَلُ مِنْ شَهَادَةِ الْأَقْوَالِ .

فَكُتِبَ مَنْ كَتَبَ اتِّبَاعًا لِذَلِكَ : لَوْ أَمْسَكَ لِسَانِي عَنْ شُكْرِكَ . . لَنَطَقَ أَثْرُكَ
عَلَيَّ .

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : وَلَوْ جَحَدْتُ إِحْسَانَكَ . . لِأَكْذَبْتَنِي آثَارُكَ ، وَنَمَّتْ عَلَيَّ
شَوَاهِدُهُ .

وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ ^(٣) :

قُولًا لِهَارُونَ إِمَامِ الْهُدَى عِنْدَ احْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ
أَنْتَ عَلَيَّ مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ فَلَسْتُ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاجِدِ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢١) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٠) .

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٢) .

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ

أَخْذًا مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ^(١) :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيَّ بَنُو تَمِيمٍ

وَقَالَ ابْنُ [أَبِي] عَيْنَةَ^(٢) :

مَا كُنْتُ إِلَّا كَلْحَمِ مَيْتٍ

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأُولِ^(٣) :

وَإِنَّ بِقِسْمِ سَوْدُوكَ لَفَاقَةَ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ^(٤) :

لِفَضْلِ بْنِ سَعْدٍ يَدٌ

فَبَسَطْتُهَا لِلْغَنَى

وَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى

فَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ^(٥) :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خِصَاصَةٍ وَتَجْمُلٍ

فَأَمَدُّدُ إِلَيَّ يَدًا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا

وَلَكِنْ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ : (باطنُها) و(ظاهرُها) أحسنُ مِنْ (تعوَّدَ

بطنُها) .

أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

[من الوافر]

وَجَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

[من مخلع البسيط]

دَعَا إِلَيَّ أَكْلِيهِ أَضْطِرَّارًا

[من الطويل]

إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ

[من مجزوء المتقارب]

تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ

وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ

وَوَظَّاهِرُهَا لِلْقَبْلِ

[من الكامل]

وَأَلْمَرُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

بِذَلِكَ النَّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْبِيلُ

وَأَحْسَنُ مِنْ (تعوَّدَ

(١) انظر «ديوان جرير» (٨٢٣/٢)، و«الصناعتين» (ص ٢٢٢) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٢٢٨) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٢٢٨) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ٢٣٠)، وفيه : (سهل) بدل (سعد) .

(٥) انظر «ديوان ابن الرومي» (١٩٠١/٥) .

وقال بشار^(١) :

[من السريع]

الدَّهْرُ طَلَّاعٌ بِأَخْدَائِهِ وَرُسْلُهُ فِيهَا الْمَقَادِيرُ
مَحْجُوبَةٌ تَنْفُذُ أَحْكَامَهَا لَيْسَ لَهَا عَن ذَاكَ تَأْخِيرُ

فتبعه ابن الرومي حيث يقول في المدح^(٢) :

[من الطويل]

يَظَلُّ عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانَ بِمَعْزِلِ وَأَنَارُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهْدُ
كَمَا أَحْتَجِبُ الْمِقْدَارُ وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ عَلَى النَّاسِ طَرًّا لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّدُ

قال أبو هلال^(٣) : إلا أن قول بشار أكثر ماء وطلاوة .

وقال أبو تمام^(٤) :

[من الطويل]

وَجَدْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحَدَّكَ هِمَّةً وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ

قال أبو هلال^(٥) : أخذه البحتري واختصره^(٦) :

[من الطويل]

ثَنَى أَمَلِي وَأَحْتَازَهُ عَن مَعَاشِرِ يَبِيتُونَ وَالْأَمَالَ فِيهِمْ مَطَامِعُ

وعجبت من قول أبي هلال ؛ فقد نزل البحتري عن أبي تمام درجات .

فأين هو من قوله : (وحدك همة) ، ومن قوله : (في سائر الناس) ؟!

وكيف يقول : (اختصر) وهو يقول : (ثنى أملي واحتازه عن معاشر

يبيتون) ؟!

(١) انظر «ديوان بشار بن برد» (٦٣/٤) .

(٢) انظر «ديوان ابن الرومي» (٦٠٠/٢) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٢٣١) .

(٤) انظر «ديوان أبي تمام» (٣٣٣/٢) .

(٥) انظر «الصناعتين» (ص ٢٣٣) .

(٦) انظر «ديوان البحتري» (١٣٠٣/٢) .

وتبعَهُمُ ابنُ الروميِّ في هذا المعنى حيث يقول^(١) :

بِهِ صَدَقَ اللهُ الْأَمَانِي حَدِيثَهَا وَقَدْ مَرَّ دَهْرٌ وَالْأَمَانِي وَسَاوِسُ

وقال أبو تمام^(٢) :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجِدُّ أَلْفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ

وتبعه البحترى فلم يسيء^(٣) :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعِزْمٍ قَائِمٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجِدِّ قَاعِدِ

وقال أبو العتاهية^(٤) :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِي طَيِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ

فتبعه أبو تمام بقوله^(٥) :

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبُلُوئِ وَإِنْ عَظَمَتْ وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

لكنه وإن زاد فقول أبي العتاهية أجمل .

وقال أبو تمام^(٦) :

رَافِعًا كَفَّهُ لِبِزِّي فَمَا أَحَدٌ سَبُّهُ جَاءَنِي لِغَيْرِ اللَّطَامِ

أخذها البحترى فأوضحه وأحسن العبارة عنه^(٧) :

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسٍ بِأَوْجُهِهِمْ أَوْعَدُ أَمْ وَعِيدُ

(١) انظر «ديوان ابن الرومي» (١٢٢٤/٣).

(٢) انظر «ديوان أبي تمام» (٢٨٩/٢).

(٣) انظر «ديوان البحترى» (٥٠٧/١).

(٤) انظر «ديوان أبي العتاهية» (ص ٦٥٠).

(٥) انظر «ديوان أبي تمام» (٢٨٠/٣).

(٦) انظر «ديوان أبي تمام» (٢١٠/٣).

(٧) انظر «ديوان البحترى» (٥٨١/١).

وقال عربي^(١) :

[من الطويل]

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ أُنْبِي هُتَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو أَلْسَلِيْبَ إِزَارَهُ

العائد : الدم الشديد الخروج ، فأخذه البحترى وقال^(٢) :

سَلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّرَةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا

على أن (محمرة) حشو ، وكفاك هذا القدر منبتها على اعتبار أمثاله

[عن] قراءة الأشعار ، متى كنت مستحضراً .

[أمثلة في قبح الأخذ]

وهاك أمثلة لقبيح الأخذ : فمن ذلك - لو لم يكن من توارد الخواطر -

قول طرفة^(٣) :

[من الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ

أخذاً من قول امرئ القيس بتغيير القافية^(٤) :

[من الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وقول الفرزدق^(٥) :

[من الطويل]

أَتَزْجُو رَبِيعٌ أَنْ تَجِيءَ صِغَاؤُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعاً كِبَارُهَا

من قول البعيث^(٦) :

[من الطويل]

أَتَزْجُو كُلِّبَاباً أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلِّبَاباً قَدِيمُهَا

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٣) ، وفيه : (إزارها) بدل (إزاره) .

(٢) انظر « ديوان البحترى » (٧٦ / ١) .

(٣) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٦) .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩) .

(٥) انظر « ديوان الفرزدق » (٤٤٧ / ١) .

(٦) انظر « ديوان البعيث المجاشعي » (ص ٩٢) .

وفي توارِدِ الخواطرِ يقولُ أبو عمرو بنُ العلاءِ وقد سُئِلَ عنِ الشاعِرِينَ
يَتَفَقَّانِ (١) : عقولُ رجالٍ توافَتِ على السنتِها .

وفي تحقيقِ توارِدِ الخواطرِ (٢) : يُروى : أَنَّهُ لَمَّا أَنشَدَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلَهُ :

تَشِطُّ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

سَبَقَهُ لِتَتَمِيمِ الْبَيْتِ فَقَالَ :

وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبَعْدُ

فَقَالَ عَمْرٌ : هَكَذَا قُلْتُ ، فَقَالَ : هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ .

وإنَّ جَرِيرًا وَالْفَرَزْدَقَ حَضَرَا مَرَّةً مَجْلِسَ هِشَامٍ أَوْ غَيْرِهِ وَعَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ
يُنشِدُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا (٣) :

[من الكامل]

عَرَفَ الْدِّيَارَ تَوْهُمًا فَأَعْتَادَهَا

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْغَزَالَةِ وَابْنِهَا :

تُزْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

عَرَضَ لِلْمَلِكِ شِغْلٌ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لَجَرِيرٍ : مَاذَا تُرَاهُ يَقُولُ ؟
فَقَالَ جَرِيرٌ : أَرَاهُ يَسْتَلِبُ مِثْلًا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ : إِنَّهُ يَقُولُ :

قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فَلَمَّا عَادَ عَدِيُّ لِلْإِنْشَادِ وَأَتَمَّ الْبَيْتَ هَكَذَا .. قَالَ جَرِيرٌ : لَقَدْ

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٣٥) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٢٣٦) .

(٣) انظر «ديوان عدي بن الرقاع» (ص ٨٢) ، والبيت بتمامه :

عَرَفَ الْدِّيَارَ تَوْهُمًا فَأَعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا سَمِلَ أَلْيَلَى أَبْلَادَهَا

حسدتُ الفرزدقَ على إدراكِهِ فوقَ ما حسدتُ عديّاً على شعرِهِ .

ومثلُ ذلك وقع كثيراً ، سيّما في الأشعارِ المحكّمة التي تُنبئُ صدورها
عن أعجازِها .

وخطبَ النابغةُ بينَ يديّ النعمانِ ، فقالَ يُفَضِّلُهُ على ملكِ غسانَ (١) :
أيفاخرُك ابنُ جفنةَ ؟! واللّاتِ ؛ لَأَمْسُكَ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِهِ ، وَلَقَدْ أَلْكَ أَحْسَنُ مِنْ
وَجْهِهِ ، وَلَيْسَا رُكَّ أَسْمَحُ مِنْ يَمِينِهِ ، [ولعبيدُك أكثرُ] مِنْ قَوْمِهِ ، وَلَنْفُسُكَ أَكْبَرُ
مِنْ [جنديهِ] ، وَلْيَوْمُكَ أَشْرَفُ مِنْ دَهْرِهِ ، وَلَوْعَدُكَ أَنْجَزُ مِنْ رِفْدِهِ ، وَلَهْزُلُكَ
أَضْرَبُ مِنْ جِدِّهِ ، وَلَكَرْسِيُّكَ أَرْفَعُ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَلَفِتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شَبْرِهِ ،
وَلَأَمُّكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ .

فأخذَ الشعراءُ قولَ النابغةِ : (وَلَقَدْ أَلْكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ) ، قالَ
أبو نُوَاسٍ (٢) :

بَدَّ حُسْنَ الْوُجُوهِ حُسْنَ قَفَاكَ

وقالَ عبدُ الصّمدِ بنُ المعذلِ (٣) :

أُفِقِ السَّمَاءِ وَقَدْ تَعَلَّى

لَمَّا رَأَيْتُ الْبَدْرَ فِي

أُفِقِ السَّمَاءِ وَقَدْ تَدَلَّى

وَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي

وَأَرَى شَبِيهَهُمَا أَجَلًّا

شَبَّهَتْ ذَلِكَ وَهَلْدِيهِ

وَقَفَا الْحَبِيبِ إِذَا تَوَلَّى

وَجْهَهُ الْحَبِيبِ إِذَا بَدَا

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٣٧) .

(٢) انظر «الصناعتين» (ص ٢٣٧) ، والبيت بتمامه :

بِأَيِّ أَنْتَ مِنْ مَلِيحِ بَدِيحِ

(٣) انظر «ديوان عبد الصمد بن المعذل» (ص ١٥٣) .

قال أبو هلال^(١) : لا يحسنُ أن يُقالَ للرجلِ : قفأكِ حالهُ كذا وكذا .
فعبارةُ النابغةِ أحسنُ .

وسمِعَ الحسنُ بنُ وهبٍ قولَ أعرابيٍّ : جمعَني وإياها ظلمةُ الليلِ ، وكانَ
البدْرُ يُزيئُها ، فلمَّا غابَ .. أرثنيه ، فقالَ^(٢) :

أَرَانِي الْبَدْرُ سُنَّتَهَا عِشَاءً فَلَمَّا أَزْمَعَ الْبَدْرُ الْأُفُولَا
أَرْتَنِيهِ بِسُنَّتِهَا فَكَانَتْ مِنْ الْبَدْرِ الْمُنَوَّرِ لِي بَدِيلَا
فأسَاءَ بِالإطالَةِ والتكريرِ وسوءِ العبارةِ ، فقد فاتهُ قولُ الأعرابيِّ : وكانَ
البدْرُ يزيئُها .

وقالَ البحترِيُّ^(٣) :

أَضْرَثَ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا
قالَ أبو هلالٍ^(٤) : زادَ البحترِيُّ على الأعرابيِّ في قولِهِ : (أضرَثَ) .
قلتُ : ولم يصبْ ، فليسَ قولُهُ : (أضرَثَ) واقعاً مِنَ الحسنِ موقعَ قولِ
الأعرابيِّ .

وسمِعَ بعضهم قولَ محمودِ الوراقِ^(٥) :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَأَتَّصَلَ الْعُمُرُ

- (١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .
- (٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .
- (٣) انظر « ديوان البحترى » (١٩٧/١) .
- (٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .
- (٥) انظر « ديوان محمود الوراق » (ص ١٢١) .

إِذَا مَسَّ بِالْأَسْرَاءِ عَمَّ سُورُهُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ
وَأَنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهُ أَجْرُ
تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ
فَقَالَ وَأَسَاءٌ (١) :

[من البسيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ ذُو نِعَمٍ
شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ
لَمْ يُخْصِهَا عَدَدًا بِالشُّكْرِ مَنْ حَمِدًا
شُكْرٌ يَكُونُ فَمَا لِلشُّكْرِ فِيهِ مَدَى
وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُهُ ، فَقَالَ ابْنُ طَباطِبا
الْعَلَوِيُّ (٢) :

[من الطويل]

فَيَا لَأَيْمِي دَعْنِي أَغَالِي بِقِيَمَتِي
وَقَالَ آخَرُ :

[من المتقارب]

فَقِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ عِلْمُهُ
فَأَسَاءَ كُلُّ ، وَإِسَاءَةُ الْأَوَّلِ أَشَدُّ ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ : (كُلُّ النَّاسِ) لَيْسَ كَقَوْلِهِمَا :

[من الوافر]

دَنَوْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مَشْرِفِي
كَمَا يَذْنُو الْمُصَافِحُ لِلْعِنَاقِ
وَقَالَ عَرَبِيٌّ (٣) :

[من البسيط]

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ
بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقًا إِلَى وَطَنِ

فَأَسَاءَ فِي أَخْذِهِ أَبُو تَمَامٍ حَيْثُ يَقُولُ (٤) :

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .

(٢) انظر « ديوان ابن طباطبا » (ص ١٢٦) .

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٩) .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١٤٠/٤) .

وأحسنَ البحترِيُّ أَخَذَهُ فِي قَوْلِهِ ^(١) :

[من الطويل]

تَسْرَعُ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الْوَعَى

لِقَاءِ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءِ حَبَائِبِ

وَقَالَ ذُو الرُّمَةِ ^(٢) :

[من الطويل]

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ الْعُرُوسِ أَدْرَعَتْهُ

بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

أَحْمٌ عَلَافِيٌّ وَأَبْيَضٌ صَارِمٌ

وَأَسْمَرٌ خَطِيٌّ وَأَبْيَضٌ مَاجِدٌ

فَأَسَاءَ فِي أَخْذِهِ أَبُو تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ ^(٣) :

[من البسيط]

الْبَيْدُ وَالْعَيْسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعَاً

ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقْرَنُ فِي قَرْنِ

فَقَوْلُهُ : (والليلُ التمامُ معاً) ، وقولُهُ : (ثلاثةُ أبدأ) ، وقولُهُ : (يقرنُ في قرن) . . . كلها عباراتٌ قبيحةٌ .

وأجادَ البحترِيُّ الاتِّبَاعَ بَعْضَ الإِجَادَةِ فِي قَوْلِهِ ^(٤) :

[من الخفيف]

أَطْلَبَا نَالِئًا سِوَايَ فَإِنِّي

رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْبَيْدِ

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ ^(٥) :

[من الكامل]

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى

مَشْغُوفَةٌ بِمَوَاطِنِ الْكِثْمَانِ

فَقَصَرَ عَنْ أَصْلِهِ ؛ وَهُوَ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرَبٍ ^(٦) :

[من الكامل]

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ مُرْهَفٍ

وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ

(١) انظر «ديوان البحترى» (١/١٧٨) .

(٢) انظر «ديوان ذي الرمة» (٢/١١٠٨ - ١١٠٩) .

(٣) انظر «ديوان أبي تمام» (٣/٢٣٨) .

(٤) انظر «ديوان البحترى» (١/٦٣٣) .

(٥) انظر «ديوان البحترى» (٤/٢٣٦٥) .

(٦) تقدم (٢/٦٢) .

فَقَوْلُهُ : (مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ) أَجُودٌ مِنْ قَوْلِهِ : (مَوَاطِنَ الْكُتْمَانِ) لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا
يَطَاعِنُونَ الْأَعْدَاءَ مِنْ أَجْلِ أَضْغَانِهِمْ ، فَإِذَا وَقَعَ الطَّعْنُ فِي مَوْضِعِ الضِّغْنِ . .
فَذَاكَ الْمَرَادُ ، وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضاً ^(١) :

مِنْ عَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلْ
مُنِعَتْ : بِصِيغَةِ فَعَلٍ الْمَجْهُولِ ؛ أَي : مَنَعَهَا أَهْلَهَا ، وَكَذَلِكَ (بُذِلَتْ)
أَي : لَوْ بَدَلُوهَا ، فَفَقَصَّرَ فِيهِ عَنْ قَوْلِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَدَّلِ لِإِخْتِصَارِهِ وَظُهُورِ
الْمَعْنَى فِيهِ ^(٢) :

ظَبِيٌّ كَأَنَّ بِحَضْرِهِ مِنْ دِقَّةِ ظَمَأٍ وَجُوعَا
وَمِنْ أَلْبَلِيَّةِ أَنْبِي عُلِقْتُ مَمْنُوعَا مَنُوعَا
وغيرُ حَسَنِ قَوْلُهُ : (ظَمَأٌ وَجُوعَا) .

وَقَدْ يَتَفَقَّ الشَّاعِرَانِ الْآخِذُ وَالْمَأْخُودُ مِنْهُ فِي سُوءِ الْعِبَارَةِ ؛ كَقَوْلِ
ابْنِ أَدِينَةَ ^(٣) :

كَأَنَّمَا عَائِبُهَا دَائِبًا زَيْنَهَا [عِنْدِي] بِسَتْرَيْنِ
وَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ ^(٤) :

كَأَنَّهُمْ أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِأَلْذِي عَابُوا
وَرَبَّمَا اتَّفَقَا فِي الْإِجَادَةِ ؛ كَقَوْلِ أَعْرَابِيٍّ ^(٥) :

فَنَمَّ عَلَيْهَا الْمِسْكُ وَاللَّيْلُ عَاكِفٌ

(١) انظر «ديوان البحتري» (١٧٤٢/٣) .

(٢) انظر «ديوان عبد الصمد بن المعدل» (ص ١٣٥) .

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٢٤١) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ٢٤١) .

(٥) انظر «الصناعتين» (ص ٢٤١) .

وقولِ البحترى^(١) :

[من الطويل]

فَنَمَّ بِهِنَّ أَلْمِسْكَ حِينَ تَصَوَّعَا

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ التَّرْحُلِ فِي الدَّجَى

[من المتقارب]

وقال أيضاً^(٢) :

وَجَرَسُ أَلْحَلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيبَا

فَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَاشِيَا

[من الكامل]

وزاحمهما المتنبي بقوله^(٣) :

وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاءُ

فَلَقُ أَلْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا

فجمع شيتين كما فعل البحترى في بيته الثاني ، ولكنه سقط في أسفل

الرابية .

[من الطويل]

وقال عربى^(٤) :

وَتَنَدُقُ قَدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدْبِرٍ

مُكَلِّمَةٌ لَبَّائِهَا وَنُحُورُهَا

مُسَلَّمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى

[من الطويل]

وقال أبو تمام^(٥) :

صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَّابِ

أُنَاسٌ إِذَا مَا اسْتَحَكَمَ الرَّوْعُ كَسَرُوا

فأحسنا جميعاً .

[من الكامل]

ومن وادي هذا الكلام قول بعضهم^(٦) :

وَيُقِيمُهَا مِنْهُ مُقَامَ الْمَغْفَرِ

يَلْقَى الشُّيُوفَ بِوَجْهِهِ وَيَنْحَرِهِ

(١) انظر «ديوان البحترى» (١٢٦٣/٢) .

(٢) انظر «ديوان البحترى» (١٥٠/١) .

(٣) انظر «ديوان المتنبي» (ص ٩٣) .

(٤) انظر «الصناعتين» (ص ٢٤٣) .

(٥) انظر «ديوان أبي تمام» (٢٠٧/١) ، و«الصناعتين» (ص ٢٤٣) .

(٦) انظر «الصناعتين» (ص ٢٤٣) .

وَيَقُولُ لِلظَّرْفِ أَصْطَبِرُ لِشَبَابِ الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقِرِ

وفي قوله : (ويقيمها) استخدام ؛ فإن الكناية لسيوف الممدوح .

وقول أبي بكر بن النطاح^(١) :
[من الخفيف]

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَيِّي وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِ وَقَاحِ

وهذا كله مأخوذ من قول كعب بن زهير^(٢) :
[من البسيط]

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

أو من قول حسان^(٣) :
[من الطويل]

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّومَنَا وَلَكِنْ عَلَى أقدامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا

هذا ما أردت نقله من كتاب أبي هلال ، فاستوعبه .



تم المجلد الثالث ويليه المجلد الرابع ، وأوله .. (نقد الشعر)

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٤٩٠/٧) ، وهو للحصين بن الحمام ، وقد تقدم (٢٢٩/٣ - ٢٣٠) ضمن أبيات .

محتوى المجلد الثالث

٧ المقصد الرابع : في الكتابة وقرض الشعر والإنشاء

٩ الكتابة

١١ - تعريف الكتابة

الباب الأول : في الهمزة والألف ونون التوكيد والتنوين ، ونون إذأ ، وهاء

١٢ التأنيث

١٢ - الكلام على الهمزة

١٢ - أحوال الهمزة من حيث الرسم

١٣ تنبيه : في رسم الهمزة الواقعة بعد همزة الاستفهام

١٤ رسم الهمزة الواقعة آخر الكلمة

١٧ الكلام على الألف

١٩ الكلام على نون التوكيد ونون (إذأ) والتنوين

٢٠ - الكلام على هاء التأنيث



٢١ الباب الثاني : في زيادة حروف

٢١ مواضع زيادة الألف

٢١ مواضع زيادة الواو

٢١ مواضع زيادة هاء السكت



٢٢

الباب الثالث : في حذف بعض الحروف

٢٢

- مواضع حذف الهمزة

٢٣

- مواضع حذف همزة الوصل

٢٤

..... مواضع حذف الألف

٢٦

..... مواضع حذف ياء المنقوص

٢٦

- مواضع حذف الواو

٢٦

- مواضع حذف اللام

٢٦

- مواضع حذف التاء

٢٦

..... مواضع حذف النون



الباب الرابع : في وصل بعض الكلم ببعض على خلاف الأصل الذي هو

٢٨

..... الفصل ليناسب الخط اللفظ

٢٩

..... وصل (ما) بما بعدها وضابط الوصل

٣١

كتابة الإنشاء

٣٣

- إضاءة على كتابة الإنشاء

٣٤

..... طريقتان لتعلم الإنشاء

٣٤

- حصر تعلم الإنشاء في جهات ثلاث



الجهة الأولى : فيما يجب تحصيله على من يريد أن يكون كاتباً حسب ما

٣٦

..... كانت تقتضيه أحوال الأزمنة السالفة

- ٣٦ - إجادة النحو
- ٣٧ - تحصيل علوم البلاغة
- ٣٩ - حفظ القرآن الكريم
- ٤٠ - الإكثار من حفظ صحاح الأحاديث
- ٤٠ - قراءة التاريخ مع الاعتبار
- ٤٠ - معرفة الأمثال العربية
- ٤١ • ذكر بعض الأمثال العربية
- ٤١ * إن من البيان لَسِحْرًا
- ٤٢ * إِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى
- ٤٢ * إِنَّ الْمُوصَّيْنَ بَنُو سَهْوَانَ
- ٤٢ * إِنَّ الْمَعَاْفَى غَيْرُ مَخْدُوعٍ
- ٤٤ * إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ
- ٤٤ * إِنَّ الدَّوَاهِيَ فِي الْآفَاتِ تَهْتَرُسُ
- ٤٤ * إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ
- ٤٧ * إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
- ٤٩ * أُمَّ فَرَشَتْ فَأَنَا مَتٌ
- ٤٩ * إِذَا تَرْضَيْتَ أَخَاكَ فَلَا أَخَا لَكَ
- ٤٩ * أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءٍ أَكَيْسُ
- ٥٠ * إِحْدَى حُطَيَّاتِ لِقْمَانَ
- ٥٢ * إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِقِ الْعَصَا
- ٥٣ * إِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشْرَةِ

٥٤

* إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لَدَى الْحِلْمِ

٥٧

* أَنَا النَّذِيرُ الْعُزْبَانُ

٥٨

* إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمِعِي يَا جَارَةَ

٦٠

* إِنَّ غَدًا لَنَاظِرِهِ قَرِيبٌ

٦٣

* إِنَّ أَخَاكَ مَنَ آسَاكَ

٦٥

* أَلَا مَنَ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمِ

٦٦

* إِنْ كُنْتَ كَذُوبًا فَكُنْ ذُكُورًا

٦٦

* إِذَا اشْتَرَيْتَ فَادْكِرِ السُّوقَ

٦٧

* بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ

٦٧

* بَخٍ بَخٍ سَاقٌ بَخْلَخَالٍ

٦٨

* أَبْلَغُ مِنْ قُسِّ

٦٩

* أَبْخُلُ مِنْ مَادِرٍ

٧٣

* تَجُوعِ الْحُرَّةِ وَلَا تَأْكُلِ بِشَدِيدِهَا

٧٤

* تَطْلُبُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنِ

٧٦

* تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ

٨٠

* تَرَى الْفَتِيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ

٨١

* تَعَسَتِ الْعَجَلَةَ

٨٢

* تَجْمَعِينَ خِلَابَةً وَضُدُودًا

٨٤

* أَثْبُهُ مِنْ فَقِيدِ ثَقِيفِ

٨٥

* أَثْبُهُ مِنْ أَحْمَقِ ثَقِيفِ

٨٥

* نُكُلُّ أَرَامَهَا وَلِدَا

- ٨٧ * جَزِي المَذَكِيَاتِ غِلاب
- ٨٨ * جاورينا وأخبرينا
- ٨٨ * جدع الحلال أنف الغيرة
- ٨٩ * جَوْعُ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ
- ٨٩ * أجنأؤها أبنأؤها
- ٩٠ * الجَزْعُ أروى والرشيفُ أنقع
- ٩٠ * الجارُ ثم الدارُ
- ٩١ * جَفَّ حِجْرُكَ وطابِ نَشْرِكَ ، أَكَلَتِ دَهْشًا وحطبتِ قَمِشًا
- ٩١ * حَرَّكَ لَهَا حُوازَهَا تحنُّ
- ٩٢ * حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ
- ٩٣ * حِلْمِي أَصْمٌ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَاءَ
- ٩٣ * حَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وِرِي
- ٩٤ * الحَدِيثُ ذُو شُجُونِ
- ٩٥ * الحِزْمُ حَفْظٌ مَا كُفِّتَ وَتَرْكٌ مَا كُفِّتَ
- ٩٥ * حُذِ الأَمْرَ بِقَوَابِلِهِ
- ٩٥ * حَظْبٌ يَسِيرٌ فِي حَظْبٍ كَبِيرِ
- ١٠١ * الدِّينُ النِّصِيحَةُ
- ١٠٢ * رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أَمَك
- ١٠٤ * رَبِّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْنًا
- ١٠٤ * رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدِ
- ١٠٧ * رَبِّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ حَاصِدٌ سِوَاهِ

- ١٠٨ * زَيْنَبُ سِتْرَةٌ
- ١٠٨ * زُرْ غَبًّا تَرَدَّدَ حَبًّا
- ١١٠ * زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قَعُودٍ
- ١١٢ * سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ
- ١١٣ * أَسَاءَ سَمِعًا فَأَسَاءَ جَابَةً
- ١١٤ * سَمِنُ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ
- ١١٦ * السَّلِيمُ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ
- ١١٧ * اسْعَ بِجَدِّكَ لَا بِكَدِّكَ
- ١١٨ * سِرُّ عُنْكَ
- ١٢٠ * صَدَقَنِي سِنَّ بَكْرِهِ
- ١٢١ * صَارَتِ الْفَتْيَانُ حُمَمًا
- ١٢٣ * صُغْرَاهُنَّ شُرَاهُنَّ
- ١٢٤ * صَحِيفَةُ الْمُتَلَمِّسِ
- ١٢٨ * طَالَ الْأَبْدُ عَلَى لُبْدٍ
- ١٢٩ * أَظَنَّ مَاءَ كَمِ هَذَا مَاءَ عِنَاقٍ
- ١٣٠ * عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشُّرَى
- ١٣١ * عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرِ الْيَقِينِ
- ١٣٣ * الْعَاشِيَةُ تُهَيِّجُ الْأَبِيَةَ
- ١٣٦ * فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ
- ١٣٨ * فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَرْجِي وَبِغْلِي
- ١٣٩ * قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالتَّزْوَانِ

- ١٤٠ * قد أنصفَ القارةَ مَنْ رامها
- ١٤١ * قد قيل ذلكِ إنَّ حقاً وإنَّ كذباً
- ١٤٤ * كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبةٌ
- ١٤٦ * كلُّ شاةٍ برجلها معلقةٌ
- ١٤٧ * كيف أعاودُك وهذا أثرُ فأسك
- ١٤٨ * كلاهما وتمراً.....
- ١٥٠ * لن يَهْلِكَ امرؤٌ عرفَ قَدْرَه
- ١٥١ * لا ماءٌ أبقيتِ ولا حركِ أنقيتِ
- ١٥٣ * لا يكن حُبُّك كَلْفاً ولا بغضُك تَلْفاً
- ١٥٣ * لا ناقتي في هذا ولا جملي
- ١٥٥ * لا تراهن على الصَّعبةِ ولا تُنشدِ القريضَ حتى يحيل
- ١٥٨ * لا غزوَ إلا التعقيبُ
- ١٦٠ * لا تجزَعن من سُنَّةِ أنتِ سِرَّتْها
- ١٦٢ * ما وراءك يا عصامُ
- ١٦٤ * مقتلُ الرجلِ بين فكَّيه
- ١٦٧ * مَنْ صدقَ اللهَ نجا
- ١٦٨ * منك أنْفُك وإن كانَ أجدع
- ١٧٠ * مَنْ يَرَّ يوماً يَرَّ به
- ١٧١ * مَنْ يشتري سيفي وهذا أثره
- ١٧٢ * انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
- ١٧٥ * ويلٌ للشَّجيِّ من الحَلِيِّ

- ١٧٦ * هلمَّ جزاً
- ١٧٧ * يسأُر الكواعب
- ١٧٩ • نخب من كلام الفصحاء والبلغاء
- ١٧٩ - من كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه
- ٢٠٧ • أرجوزة ابن حبة الحموي
- ٢١٥ • وظائف مريد صناعة الإنشاء
- ٢١٦ نبذة من أشعار « ديوان الحماسة »
- ٢٤٦ - نبذة من أشعار الرثاء من « ديوان الحماسة »
- ٢٥٨ - نبذة من أشعار الأدب والفضائل من « ديوان الحماسة »
- ٢٧٤ - نبذة من أشعار النسيب من « ديوان الحماسة »
- ٢٨٨ - نبذة من أشعار الهجاء من « ديوان الحماسة »
- ٢٩٦ - نبذة من أشعار المديح من « ديوان الحماسة »
- ٣٠٦ - نبذة من أشعار الصفات من « ديوان الحماسة »
- ٣٠٨ - نبذة مما قيل في السير والنعاس من « ديوان الحماسة »
- ٣١١ - ذكر طرف من باب الملح

فنّ القريض

- ٣١٧ - قرض الشعر
- ٣٢٠ - البلاغة
- ٣٢٠ * حد البلاغة عند ابن المقفع
- ٣٢٢ * حد البلاغة عند حكيم الهند

- ٣٤٧ * حد البلاغة عند جعفر بن يحيى
- ٣٥٤ * حد البلاغة عند بعضهم
- ٣٦٤ - إيجاز القصر
- ٣٦٧ * من أمثلة الإيجاز
- ٣٧٢ - المساواة
- ٣٧٥ - إيجاز الحذف
- ٣٧٩ - الإطناب
- ٣٨٧ - مبادئ الكلام ومقاطععه
- ٣٩٥ - القول في الفصل والوصل
- ٤٠٥ - حسن المقطع وجودة الفاصلة
- ٤٠٩ * ذكر شيء مما عيب من القوافي
- ٤١٢ - تمييز الكلام جيده من رديئه
- ٤١٥ * مدار البلاغة على تحسين اللفظ
- ٤٢٦ - خطأ المعاني وصوابها
- ٤٣٧ * مرجع أسباب الخطأ في المعاني
- ٤٤٢ - حسن النظم وجودة الرصف والسبك
- ٤٤٩ - حسن الأخذ
- ٤٤٩ * أمثلة في حسن الأخذ
- ٤٦٣ * أمثلة في قبح الأخذ
- * * *
- ٤٧٢ محتوى المجلد الثالث



الوسيلة للاختصار

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة الثوري الفقيه الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

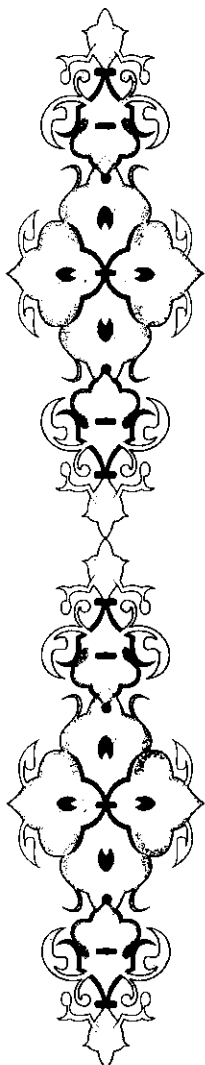
مدرّس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الحديويّة المصريّة

رحمته الله تعالى

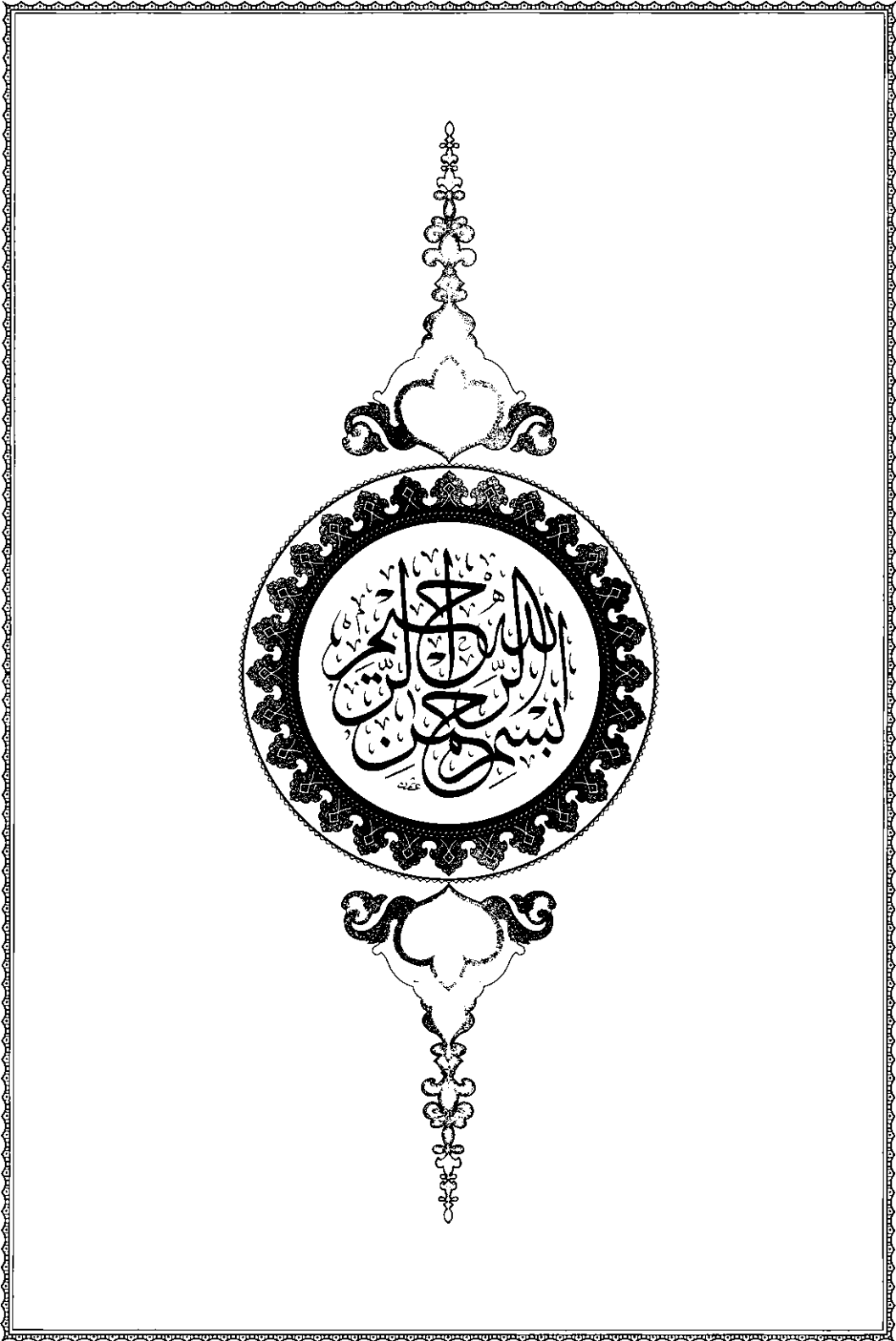
(١٣٧٥ هـ / ١٨٩٠ م)

لجلاء الشرايح

دار الكتب والبحوث



الوسيلة للإتيان
إلى العلوم العربية



الوسيلة للآداب

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حُسيْن بن أَحمَد بن حُسيْن المرصفي

مدرّس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميعة الأهدل



الطبعة الأولى
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م
جميع الحقوق محفوظة للنَّاشِر

دار المنهاج للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع الملك فهد - جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 00966 12 6326666

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص. ب 22943 - جدة 21416

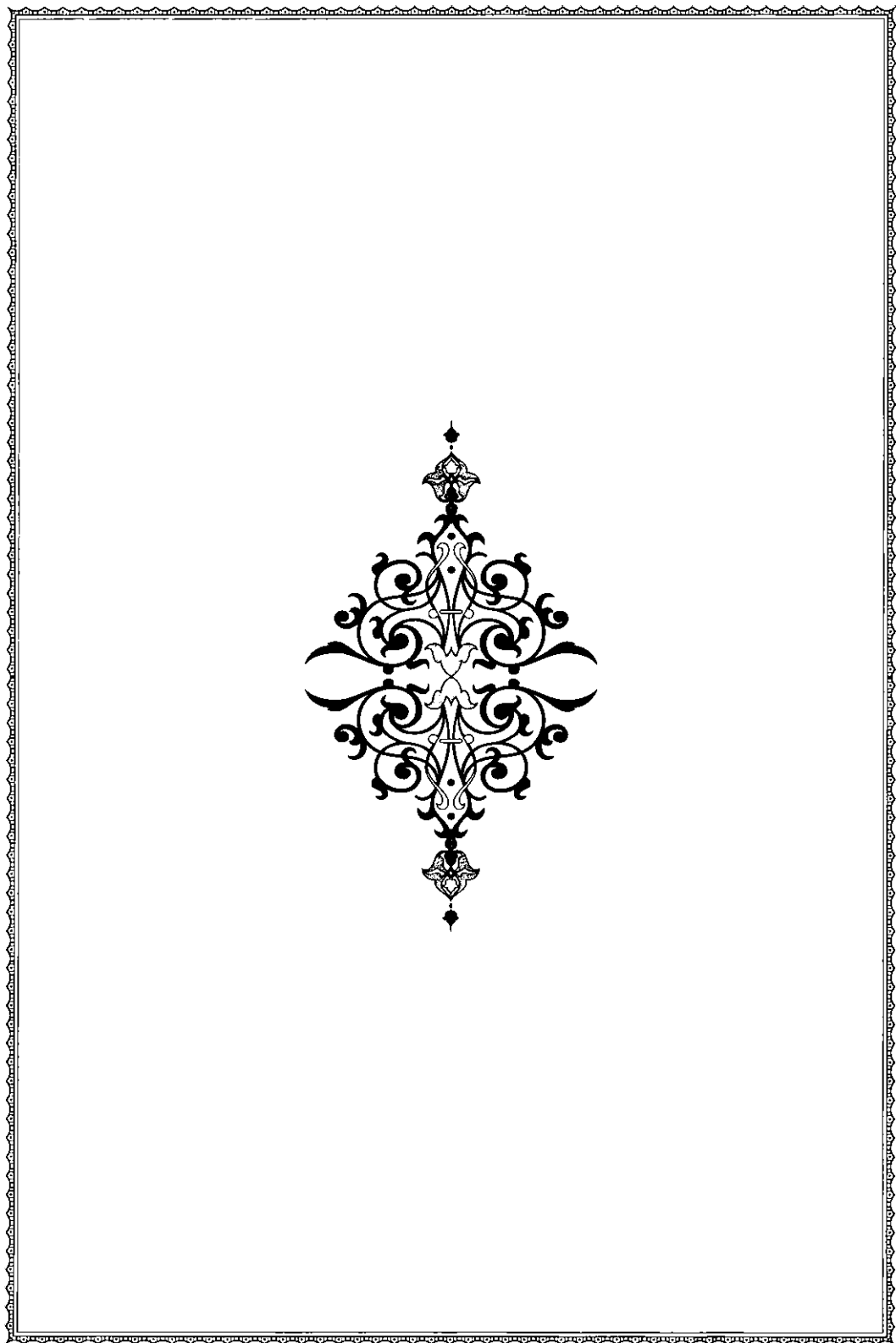
www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

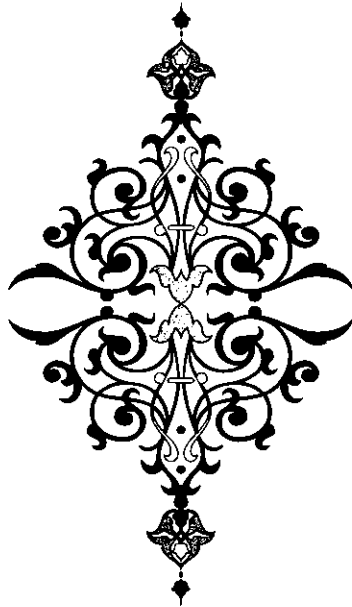
الكتاب الأول الذي راض خيال شوقي ، وصقل طبعه
وصحّ نشأته الأدبية .. هو بعينه الذي كانت منه بصيرة حافظ
أي : كتاب « الوسيلة الأدبية » للمصنّف

مصطفى صادق الرافعي





فن نقد اشعر



[الناسُ في نقدِ الشعرِ وسائرِ الكلامِ صنفانِ]

ثمَّ اعلمُ : أنَّ الناسَ في نقدِ الشعرِ وسائرِ الكلامِ صنفانِ :

الصِّنْفُ الأوَّلُ : الشعراءُ والكُتَّابُ ورُواةُ المنظومِ والمنثورِ مِنَ العلماءِ : لغرضِ التعليمِ والتأديبِ ، وهؤلاءِ إِنَّمَا انتقدوا بما ظهرَ قبْحُهُ ، وتَبَيَّنَ فيه المخالفةُ للحكمةِ في تشریفِ النوعِ الإنسانيِّ بالكلامِ ؛ كنوعيِّ التعقيدِ والحشوِّ والتطويلِ ، والخطأِ في المعاني ، واستعمالِ ألفاظٍ لاثقةٍ بمَقامِ في غيره . . . إلى ما يشاكلُ ذلكَ ، وكفأكَ ما سلفَ مُنْبَهًا عليه ، وربَّما تسامحوا في أشياءَ لیسَتْ بتلكَ المنزلةِ ؛ لِمَا عرفوا مِنَ القصورِ الطبيعيِّ الذي لا يمكنُ معه الاستكمالُ على الإطلاقِ .



الصِّنْفُ الثاني : أولئكُ العلماءُ الذين تكلَّموا في إثباتِ إعجازِ القرآنِ الشريفِ مِنْ جهةِ البلاغةِ ، ووضعوا لذلكَ مُصنَّفَاتٍ ، وهؤلاءِ حيثُ إنَّهم قرنوا بينَ الكلامِ البريءِ مِنْ كلِّ عيبٍ جلًّا أو دقًّا ، ظهرَ أو خفيًّا ، وهو كلامٌ مَنْ لا تخفى عليه خافيةٌ ، وبينَ كلامِ الناسِ الذين هم موضعُ السَّهْوِ والنِّسيانِ ، لا يكادُ يَسَلِّمُ لَهُمْ كلامٌ مِنْ مُتعلِّقٍ . لزمَهُمُ أن يبالغوا في البحثِ والتفتيشِ ، وألَّا يَتَغاضَوْا عن شيءٍ يمكنُ أن يُؤثِّرَ في سلامةِ الكلامِ وبراءتِهِ مِنَ المطاعنِ .



[نقد الإمام الباقلاني لمعلقة امرئ القيس]

وهنا موردٌ لك من ذلك أنموذجاً : قال أحدُ المُصنِّفينَ في ذلك الغرضِ حيثُ انتهى من القولِ إلى إبانة سقوطِ درجةِ الشعرِ كيفما كانَ عن درجةِ الكتابِ العزيزِ من البلاغةِ^(١) : فنرجعُ الآنَ إلى ما ضَمَّنَّاهُ مِنَ الكلامِ على الأشعارِ المُتَّفِقِ على جودتها وتقدُّمِ أصحابها في صناعتهم ؛ لبيانِ لك تفاوتِ أنواعِ الخطابِ ، وتباعُدِ مواقعِ البلاغةِ ، وتَسْتِدِلُّ على مواضعِ البراعةِ .

وأنتَ لا تُشكُّ في جودةِ شعرِ امرئِ القيسِ ، ولا ترتابُ في براعتهِ ، ولا تتوقَّفُ في فصاحتهِ ، وتعلمُ أنَّه قد أبدعَ في طرقِ الشعرِ أموراً أتبعَ فيها ؛ من ذكرِ الدِّيارِ ، والوقوفِ عليها ، إلى ما يتصلُ بذلكِ مِنَ البديعِ الذي أبدعَهُ ، والتشبيهِ الذي أحدثَهُ ، والمليحِ الذي تجدُّ في شعره ، والتصرُّفِ الكثيرِ الذي تصادفُهُ في قوله ، والوجوهِ التي ينقسمُ إليها كلامُهُ ؛ من صناعةِ وطبعِ ، وسلاسةِ وعفويِّ ، ومتانةِ ورقةِ ، وأسبابِ تحمُّدِ ، وأمورٍ تُؤثِّرُ وتُمدِّحُ .

وقد ترى الأدباءَ أولاً يوازنونَ به فلاناً وفلاناً ، ويضمُّونَ أشعارَهُم إلى شعره ، حتى ربَّما وازنوا بينَ شعرِ مَنْ لقيناهُ وبينه في أشياءَ لطيفةٍ وأمورٍ بديعةٍ ، وربَّما فضَّلُوهم عليه ، أو سوَّوْا بينهم وبينه ، أو قرَّبوا موضعَ تقدُّمِهِ عليهم ، [وبرَّزوه] بينَ أيديهم .

ولمَّا اختاروا قصيدتهُ في السبعياتِ . . أضافوا إليها أمثالها ، وقرنوا بها نظائرها ، ثمَّ تراهم يقولونَ : لفلانٍ لاميةٌ مثلها ، ثمَّ ترى أنفسَ الشعراءِ تشوِّقُ إلى معارضتهِ ، وتساويه في طريقتهِ ، وربَّما غبَّرت في وجهه في أشياءَ كثيرةٍ ، وتقدَّمت عليه في أسبابِ عجيبةٍ .

(١) انظر « إيجاز القرآن » للباقلاني (ص ١٥٨ - ١٨٣) .

وإذا جاؤوا إلى تعدادِ محاسنِ شعرِهِ . . كانَ أمراً محصوراً ، وشيئاً معروفاً ،
أنتَ تجدُ مِنْ ذَلِكَ البديعِ أو أحسنَ منه في شعرِ غيرِهِ ، وتشاهدُ مثلَ ذَلِكَ
البارعِ في كلامِ سواه ، وتنظرُ إلى المُحدَثينَ كيفَ توغَّلوا إلى حيازةِ المحاسنِ ؛
منهُم مَنْ جمعَ رصانةَ الكلامِ إلى سلاستِهِ ، ومثانتهُ إلى عذوبتِهِ ، والإصابةَ
في معناهُ إلى تحسينِ بهجتِهِ ، حتَّى إنَّ مِنْهُم مَنْ إن قَصَرَ عنه في بعضٍ . .
تقدَّمَ عليه في بعضٍ ؛ لأنَّ الجنسَ الذي يرمونَ إليه والغرضَ الذي يتواردونَ
عليه ممَّا للآدميِّ فيه مجالٌ ، فكلُّ يَضْرِبُ فيه بسهمٍ ، ويفوزُ فيه بِقِدْحٍ ، ثمَّ
قد تتفاوتُ السِّهامُ تفاوتاً ، وتتباينُ تبايناً ، وقد تتقاربُ تقارباً ، على حَسَبِ
مشاكلتِهِم في الصَّنائعِ ، ومساهمتهِم في الحِرَفِ .

ونظمُ القرآنِ جنسٌ مُتميِّزٌ ، وأسلوبٌ مُتخصِّصٌ ، فإذا شئتَ أن تعرفَ عظمَ
شأنِهِ . . فتأملْ ما نقولُهُ في هذا الفصلِ لامرئِ القيسِ في أجودِ أشعارِهِ ، وما
[نُبيِّنُ] لك مِنْ عوارِهِ على التفصيلِ ، وذلكَ قولُهُ^(١) :

قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ أَلَلَوِي بَيْنَ أَلدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتَوْضَحُ فَأَلْمَقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ
الذينَ يتعصَّبونَ لَهُ وَيَدَّعونَ المعرفةَ بمحاسنِ الشعرِ . . يقولونَ : هذا
مِنَ البديعِ ؛ لأنَّهُ وقفَ واستوقفَ ، وبكى واستبكى ، وذكرَ العهدَ والحبِيبَ
والمَنْزَلَ في نصفِ بيتٍ ، ونحوَ ذَلِكَ .

وإنَّما بيَّنَّا هذا لئلا يقعَ لك ذهابنا عن مواضعِ المحاسنِ إن كانتَ .

تأملْ - أرشدك اللهُ - أنتَ . . تعلمُ أنَّه ليسَ في البيتينِ شيءٌ قد سبقَ في
ميدانِهِ شاعراً ، ولا تقدَّمَ بِهِ صانعاً ، وفي لفظِهِ ومعناهُ خللٌ :

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٨) وما بعدها ، وسيسرِد الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى جُلَّ هذه
القصيدَةَ .

فأوّل ذلك : أنّه استوقف ثمّ استبكى لذكرى الحبيب ، وذكره لا تقتضي بكاء الخليّ ، وإنّما يصحّ طلب [الإسعاد] في مثل هذا على أن يبكي لبكائه ، ويرقّ لصديقه في شدّة برّائه ، فأما أن يبكي على حبيب صديقه وعشيق رقيقه . . فأمرّ محالّ !!

فإن كان المطلوب وقوفه وبكائه أيضاً عاشقاً . . صحّ الكلام [من وجه] ، وفسد المعنى من وجه آخر ؛ لأنّه من السخف أن يدعو غيره إلى التواجد معه في حبيبه .

ثمّ في البيتين ما لا يفيد ، من ذكر هذه المواضع ، وتسمية هذه الأماكن ؛ من الدخول وحومل وتوضّح والمقراة وسقط اللوى ، وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعض هذا ، وهذا التطويل إذا لم يفد . . كان ضرباً من العي .

ثمّ إن قوله : (لم يعف رسمها) ذكر الأصمعيّ من محاسنه أنّه باق ، فنحن نحزن على مشاهدته ، فلو عفا . . لاسترخنا .

وهذا بأن يكون من مساويه أولى ؛ لأنّه إن كان صادق الود . . فلا يزيده عفاء الرسوم إلاّ جدّة عهد ، وشدّة وجد .

وإنّما فرغ الأصمعيّ لذكر أنّه أفاد هذه الفائدة ؛ خشية أن يُعاب عليه فيقال : أيّ فائدة لأن يُعرفنا أنّه لم يعف رسم منازل حبيبه؟! وأيّ معنى لهذا الحشو؟! فذكر ما يمكن أنّه يُذكر ، ولكن لم يُخلّصه بانتصاره من الخلل .

ثمّ في هذه الكلمة خلل آخر ؛ لأنّه عقّب البيت بأن قال^(١) :

فهلّ عند رسم دارسٍ من معولٍ

(١) سيذكر البيت تاماً بعد نهاية هذا المقطع مع بيت قبله ، فلينتبه .

ذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير^(١) : [من البسيط]

قِفْ بِالذِّيارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا أَلْقِدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَزْواحُ وَالذِّيمُ

وقال غيره : أرادَ بالبيتِ الأولِ أَنَّهُ لم ينطمس أثرُهُ كُلُّهُ ، وبالثاني أَنَّهُ ذهب بعضُهُ ، حتى لا يتناقضَ الكلامانِ ، وليسَ في هذا انتصارٌ ؛ لأنَّ معنى (عفا) و (درس) واحدٌ ، فإذا قال : لم يعفُ رسمُها ، ثمَّ قال : قد عفا . . فهو تناقضٌ لا محالةً ، واعتذارُ أبي عبيدة أقربُ لو صحَّ ، ولكنْ لم يردْ هذا القولُ موردَ الاستدراكِ على ما قاله زهيرٌ ، فهو إلى الخللِ أقربُ .

وقوله : (لِمَا نَسَجْتَهَا) كانَ ينبغي أن يقولَ : لِمَا نَسَجَهَا ، ولكِنَّه تَعَسَّفَ فجعلَ (ما) في تأويلِ تَأنيثٍ ؛ لأنَّها في معنى الرِّيحِ ، والأولى التذكيرُ دونَ التأنِيثِ ، وضرورةُ الشعرِ قد دَلَّتْهُ على هذا التَعَسُّفِ .

وقوله : (لم يعفُ رسمُها) كانَ الأولى أن يقولَ : لم يعفُ رسمُها ؛ لأنَّه ذكرَ المنزلَ ، فإن كانَ ردُّ ذلكَ إلى هذه البقاعِ والأماكنِ التي المنزلُ واقعٌ بينها . . فذلكَ خَلَلٌ ؛ لأنَّه إنَّما يريدُ صفةَ المنزلِ الذي نزلَهُ حبيبُهُ بعفائه ، أو أَنَّهُ لم يعفُ دونَ ما جاورَهُ ، وإن أرادَ بالمنزلِ الدارَ حتى أَنتَّ . . فذلكَ أيضاً خَلَلٌ . ولو سَلِمَ مِنْ هذا كَلِّهِ ومِمَّا نكرَهُ ذكرَهُ كراهيةَ التطويلِ . . لم نَشْكُ في أنَّ شعَرَ أهلِ زماننا لا يَقْصُرُ عن البيتينِ ، بل يزيدُ عليهما وَيَفْضُلُهُما .



ثمَّ قال :

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ
وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ١١٦) بشرح ثعلب ، وفيه النقل عن أبي عبيدة لهذا المعنى .

ليس في البيتين أيضاً معنى بديع ، ولا لفظ حسن ؛ كالأولين .

والبيت الأول منهما مُتعلِّقُ بقوله : (قفا نبيك) ، فكأنه قال : قفا وقوف

صحبي بها عليّ مطيَّهم ، أو قفا حال وقوف صحبي .

وقوله : (بها) متأخِّر في المعنى وإن تقدَّم في اللفظ ، ففي ذلك تكلفٌ

وخرج عن اعتدال الكلام .

والبيت الثاني مُختلٌّ من جهة أنه قد جعل الدَّمعَ في اعتقاده شافياً كافياً ،

فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلةٍ أخرى ، ومُعولٍ عند الرُّسوم ، ولو أراد

أن يُحسِّنَ الكلام .. لوجب أن يدلَّ على أن الدَّمعَ لا يشفيه ؛ لشِدَّة ما به من

الحرز ، ثمَّ يسأل : هل عند الربع من حيلةٍ أخرى ؟

وقوله :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمَّ الْحَوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتَهَا أُمَّ الرَّابِ بِمَا سَلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْنَفِلِ

أنت لا تشكُّ في أن البيت الأول قليل الفائدة ، ليس له مع ذلك بهجة ،

فقد يكون الكلامُ مصنوعَ اللفظِ وإن كان منزوعَ المعنى .

وأما البيت الثاني .. فوجه التكلُّفِ فيه قوله : (إذا قامتا تضوَّع المسكُ

منهما) ، ولو أراد أن يُجودَ .. أفاد أن بهما طيباً على كلِّ حالٍ ، فأما في حال

القيام فقط .. فذلك تقصيرٌ .

ثمَّ فيه خللٌ آخر ؛ لأنه بعد أن شبَّه عَرْفَهَا بِالْمِسكِ .. شبَّه ذلك بَرِيًّا

القرنفلِ ، وذكر ذلك بعد ذكرِ المسكِ نقصٌ .

وقوله :

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سِيَّماً يَوْمًا بِدَارَةِ جُلْجُلٍ

قوله : (ففاضت دموع العين) ، ثم استعانته بقوله : (مني) استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة ، وهو حشو غير مريح ولا بديع .

وقوله : (على النحر) حشو آخر ؛ لأن قوله : (بل دمعي محملي) يغني عنه ويدل عليه ، وليس بحشو حسن .

ثم قوله : (حتى بل دمعي محملي) إعادة ذكر الدمع حشو آخر ، وكان يكفيه أن يقول : حتى بلت محملي ، فاحتاج في إقامة الوزن إلى هذا كله ، ثم تقديره أنه قد أفرط في إفاضة الدمع حتى بل محمله . . تفريط منه وتقصير ، ولو كان أبدع . . لكان يقول : حتى بل دمعي مغانيهم وعراضهم ، ويشبه أن يكون غرضه إقامة الوزن والقافية ؛ فإن الدمع يبعد أن يبُلَّ المحمل ، وإنما يقطر من الواقف والقاعد على الأرض ، أو على الدليل ، وإن بَلَّه . . فلقلته ، وأنه لا يقطر .

وأنت تجد في شعر الحُبْرُرِّيِّ ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب منه .

والبيت الثاني خال من المحاسن والبديع خلوه من المعنى ، وليس له لفظ يروق ، ولا معنى يروع ، ولا يرغك تهويله باسم موضع غريب .



وقال :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِالْعَدَارِي مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ الْعَدَارِي يَزْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ

تقديره: اذكر يومَ عقرتَ مطيتي ، أو يرّدهُ على قوله : (يوماً] بدارةِ جُلجُلٍ) .

قال بعضُ الأدباءِ : قوله : (يا عجباً) يُعجِبُ مِنْ سَفِهِهِ فِي شَبَابِهِ مِنْ نَحْرِهِ نَاقَتَهُ لَهْنًا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالْأَلَا يَكُونُ الْكَلَامُ مِنْ هَذَا الْمِصْرَاعِ مَنْقُطَعًا عَنِ الْأَوَّلِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مَلَأْمًا لَهُ .

وهذا الذي ذكره بعيدٌ ، وهو منقطعٌ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَظَاهِرُهُ : أَنَّهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ تَحْمُلِ الْعَذَارَى رَحْلَهُ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا عَجَبٌ كَبِيرٌ ، وَلَا فِي نَحْرِ النَّاقَةِ لَهْنًا تَعَجُّبٌ .

وإن كانَ يعني به أَنَّهُنَّ حَمَلْنَ رَحْلَهُ ، وَأَنَّ بَعْضَهُنَّ حَمَلَتْهُ ، فَعَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِرَحْلِهِ . . فلهذا قليلاً يشبهه أن يكونَ عجباً ، لكنَّ الكلامَ لا يدلُّ عليه ، وَيَتَجَافَى عَنْهُ .

ولو سلمَ البيتُ مِنَ الْعَيْبِ . . لم يكنْ فِيهِ شَيْءٌ غَرِيبٌ ، وَلَا مَعْنَى بَدِيعٌ ، أَكْثَرُ مِنْ سَلَامَتِهِ مَعَ قِلَّةِ مَعْنَاهُ ، وَتَقَارُبِ أَمْرِهِ ، وَمَشَاكَلَتِهِ طَبَعِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا .

وإلى هذا الموضوعِ لم يَمُرَّ لَهُ بَيْتٌ رَائِعٌ وَكَلَامٌ رَائِقٌ .

وأما البيتُ الثاني . . فَيَعْدُونَهُ حَسَنًا ، وَيَعْدُونُ التَّشْبِيهَ مَلِيحًا وَاقِعًا ، وَفِيهِ شَيْءٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ عَرَفَ اللَّحْمَ وَنَكَرَ الشَّحْمَ ، فَلَا يُعَلِّمُ أَنَّهُ وَصَفَ شَحْمَهَا ، وَذَكَرَ تَشْبِيهَ أَحَدِهِمَا بِشَيْءٍ وَاقِعٍ ، وَعَجَزَ عَنِ تَشْبِيهِ الْآخَرِ ، وَهَذَا نَقْصٌ فِي الصَّنْعَةِ ، وَعَجَزٌ عَنِ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ .

وفيه شيءٌ آخَرٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى ؛ وَهُوَ أَنَّهُ وَصَفَ طَعَامَهُ الَّذِي أَطْعَمَ مَنْ أَضَافَ بِالْجُودَةِ ، وَهَذَا قَدْ يُعَابُ ، وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ الْعَرَبَ تَفْتَخِرُ بِذَلِكَ ، وَلَا يَرُونَهُ عَيْبًا ، وَإِنَّمَا الْفُرْسُ هُمُ الَّذِينَ يَرُونَ هَذَا عَيْبًا شَنِيعًا .

وأما تشبيهه الشحم بالدمقس . . فشيء يقع للعامة ويجري على ألسنتهم ،
فليس بشيء قد سبق إليه ، وإنما زاد (المُفْتَلِ) للقافية .

وفيه شيء آخر ؛ وهو أن تبجحه بما أطعم الأحياب مذموم ، وإن ساع
التبجح بما أطعم الأضياف ، إلا أن يكون أورد الكلام مورد المجون والمزاح .



وقوله :

وَيَوْمَ دَخَلْتُ أَلْخِذَرَ خِذَرَ عُنَيْزَةَ فَقَالَتْ لَكَ أَلْوِيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ أَلْغَبِيْطُ بِنَا مَعَا عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا أَمْرَأَ أَلْقَيْسِ فَأَنْزِلِ
قوله : (دخلت الخدر خدر عنيزة) ، تكريزه لإقامة الوزن ، لا فائدة فيه
غيرها ، ولا ملامسة له ولا رونق .

وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت : (فقالت لك الويلات إنك
مرجلي) كلام مؤنث من كلام النساء ، نقله على جهته إلى شعره ، وليس
فيه غير هذا .

وتكريزه بعد ذلك : (تقول وقد مال الغبيط) يعني : قتب اليهودج بعد
قوله : (فقالت لك الويلات إنك مرجلي) . . لا فائدة فيه غير تقدير الوزن ،
وإلا . . فحكاية قولها الأول كاف ، وهو في النظم قبيح ؛ لأنه ذكر مرة
(فقالت) ، ومرة : (تقول) في معنى واحد وفصل خفيف ، وفي مصراع
الثاني أيضاً تأنيث من كلامهن .

وذكر أبو عبيدة أنه قال : (عقرت بعيري) ، ولم يقل : (ناقتي) لأنهم
يحملون النساء على ذكور الإبل ؛ لأنها أقوى ، وفيه نظر ؛ لأن البعير اسم
للذكر والأنثى ، واحتاج إلى ذكر البعير لإقامة الوزن .



وقوله :

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَزْحِي زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينِي عَن جَنَّاكِ الْمَعَلِّ
فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ فَأَلْهَيْتُهَا عَن ذِي تَمَائِمٍ مُّغِيلِ
البيتُ الأولُ قَرِيبُ النَّسَجِ ، ليسَ لَهُ معنىٌ بديعٌ ، ولا لفظٌ شريفٌ ، كَأَنَّهُ
مِنَ عِبَارَاتِ الْمُنْحَطِّينَ فِي الصَّنْعَةِ .

وقوله : (فمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ) عَابَهُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ
حَتَّى يَسْتَقِيمَ الْكَلَامُ : فَرَبَّ مِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ، وَتَقْدِيرُهُ : أَنَّهُ زِيرُ نِسَاءٍ ،
وَأَنَّهُ يُفْسِدُهُنَّ وَيُلْهِيَهُنَّ عَن حَبْلِهِنَّ وَرَضَاعِهِنَّ ؛ لِأَنَّ الْحُبْلَى وَالْمَرْضِعَةَ أَبْعَدُ
مِنَ الْغَزْلِ وَطَلَبِ الرِّجَالِ .

وَالْبَيْتُ الثَّانِي غَيْرُ مُنْتَظَمٍ مَعَ الْمَعْنَى الَّذِي قَدَّمَهُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّ
تَقْدِيرَهُ : لَا تَبْعِدِينِي عَن نَفْسِكَ ؛ فَإِنِّي أَغْلِبُ النِّسَاءَ وَأَخْدَعُهُنَّ عَن رَأْيِهِنَّ ،
وَأُفْسِدُهُنَّ بِالتَّغَازِلِ ، وَكَوْنُهُ مَفْسَدَةٌ لَهُنَّ لَا يُوجِبُ لَهُ وَصْلَهُنَّ وَتَرْكُ إِبْعَادِهِنَّ
إِيَّاهُ ، بَلْ يُوْجِبُ هَجْرَهُ وَالِاسْتِخْفَافَ بِهِ ؛ لِسُخْفِهِ وَدُخُولِهِ كُلَّ مَدْخَلٍ فَاحِشٍ ،
وَرُكُوبِهِ كُلِّ مَرْكَبٍ فَاسِدٍ ، وَفِيهِ مِنَ الْفَحْشِ مَا يَسْتَنْكِفُ الْكَرِيمُ مِنْ مِثْلِهِ ،
وَيَأْنَفُ مِنْ ذِكْرِهِ .

وقوله :

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا أَنْصَرَفَتْ لَهُ بِشِقِّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ
وَيَوْمًا عَلَيَّ ظَهَرَ الْكَثِيبُ تَعَدَّرْتُ عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةَ لَمْ تُحَلَّلِ
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ غَايَةٌ فِي الْفَحْشِ ، وَنَهَايَةٌ فِي السُّخْفِ ، وَأَيُّ فَائِدَةٍ لَذِكْرِهِ لِعَشِيقَتِهِ
كَيْفَ كَانَ يَرْكَبُ هَذِهِ الْقَبَائِحَ ، وَيَذْهَبُ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ ، وَيَرِدُ هَذِهِ الْمَوَارِدَ ؟!

إِنَّ هَذَا لِيَبْغِضُهُ إِلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ ، وَيُوجِبُ لَهُ الْمَقْتَ ، وَهُوَ لَوْ
صَدَقَ . . لَكَانَ قَبِيحاً ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ كَاذِباً ؟! ثُمَّ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ لَفْظٌ بَدِيعٌ
وَلَا مَعْنَى حَسَنٌ ، وَهَذَا الْبَيْتُ مُتَّصِلٌ بِالْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ الْمَرْضَعِ الَّتِي
لَهَا وَلَدٌ مُخَوَّلٌ .

فَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ : (وَيَوْمًا) يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا تَشَدَّدَتْ
وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ وَحَلَفَتْ عَلَيْهِ . . فَهُوَ كَلَامٌ رَدِيءُ النَّسْجِ ، لَا فَائِدَةَ لَذِكْرِهِ
لَنَا أَنْ حَبِيبَتَهُ تَمَتَّعَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ يُسَمِّيهِ وَيَصْفُهُ ، وَأَنْتَ تَجِدُ فِي
شَعْرِ الْمُحَدَّثِينَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ فِي التَّغَزُّلِ مَا يَذُوبُ مَعَهُ اللَّبُّ ، وَتَطْرُبُ
عَلَيْهِ النَّفْسُ ، وَهَذَا مِمَّا تَسْتَنْكِرُهُ النَّفْسُ ، وَيَشْمَتُّ مِنْهُ الْقَلْبُ ، وَلَيْسَ فِيهِ
شَيْءٌ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْحَسَنِ .



وقوله :

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي
أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي أَلْقَلْبَ يَفْعَلِ
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِيهِ رِكَائَةٌ جَدًّا وَتَأْنِيْتُ وَرِقَّةٌ ، وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ يَقُولَ : كَلَامُ
النِّسَاءِ بِمَا يَلِائِمُهُنَّ مِنَ الطَّبَعِ أَوْقَعُ وَأَغْزَلُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّكَ تَجِدُ الشُّعْرَاءَ
فِي الْمُؤَنَّثِ لَمْ يَعْدِلُوا عَنْ رِصَانَةِ قَوْلِهِمْ .

وَالْمِصْرَاعُ الثَّانِي مُنْقَطِعٌ عَنِ الْأَوَّلِ ، لَا يَلِائِمُهُ وَلَا يُوَافِقُهُ ، وَهَذَا يَبِينُ لَكَ
إِذَا عَرَضْتَ مَعَهُ الْبَيْتَ الَّذِي تَقَدَّمَ ، وَكَيْفَ يَنْكُرُ تَدَلُّلَهَا وَالْمُتَغَزَّلُ يَطْرُبُ عَلَى
دَلَالِ الْحَبِيبِ وَتَدَلُّلِهِ ؟!

وَالْبَيْتُ الثَّانِي قَدْ عِيبَ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنْ مِنْ سَبِيلِهَا أَلَّا تَغْتَرَّ بِمَا

يَذُلُّهَا مِنْ أَنْ حَبَّهَا يَقْتُلُهُ ، وَإِنَّمَا تَمْلِكُ قَلْبَهُ ، فَمَا أَمْرُهُ فَعَلُهُ ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ ذَلِكَ !؟

وإن كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه ، وإنما ذهب مذهبا آخر ؛ وهو أنه أراد أن يُظهِرَ التجلُّدَ . . فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدَّم من الأبيات ؛ من الحبِّ والبكاء على الأحبَّة ، فقد دخل في وجه آخر من المناقضة والإحالة في الكلام .

ثمَّ قوله : (تأمري القلب يفعل) كان سبيله أن يقول : تأمريني ؛ [إذ] القلب لا يُؤمَّرُ ، فالاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة .

وقوله :

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاءَتْكَ مِثِّي خَلِيقَةٌ فَسَلِّي نِيَابِي مِنْ نِيَابِكَ [تَنْسَلِ]
وَمَا [ذَرَفَتْ] عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ
البيت الأول قد قيل في تأويله : إنَّه ذكر الثوب وأراد البدن ؛ مثل قول الله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ ﴾ (١) ، وقال أبو عبيدة : هذا مثل للهجر ، وتنسل : تبين وتنفصل ، وهو بيت ركيك المعنى وضعه ، وكل ما أضاف إلى نفسه ووصفها به . . سقوط وسفه وسخفت ، ويوجب قطعه ، فلم لم يحكم على نفسه بذلك ، ولكن يورده مورد أن ليست له خليقة تُوجب هجرانه [والتفصي] من وصله ، وأنه مهذب الأخلاق ، شريف الشامل ، فذلك يوجب ألا ينفك من وصله .

والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب وإن كانت غريبة .

(١) سورة المدثر : (٤) .

وأما البيت الثاني .. فمعدودٌ مِنْ محاسنِ القصيدةِ وبدائعِها ، ومعناهُ :
ما بكيتِ إلا لتجرحي قلباً مُعشراً - أي : مُكسراً - مِنْ قولِهِم : برمةٌ أعشارٌ ؛
إذا كانت قطعاً ، لهذا تأويلٌ ذكره الأصمعيُّ رضي اللهُ عنه ، وهو أشبهُ عند
أكثرِهِم .

وقال غيرُهُ : وهذا مثلٌ للأعشارِ التي تقسمُ الجزورُ عليها ، ويعني
(بسهميكِ) : المُعلَى ؛ وله سبعةُ أنصباءٍ ، والرقيبُ ؛ وله ثلاثةٌ ، فأرادَ
أنَّك ذهبتِ بقلبي أجمعَ .

ويعني بقوله : (مُقتلِ) : مُذللٍ ، وأنتَ تعلمُ أنَّه على ما يعني به فهو
غيرُ موافقٍ للأبياتِ المُتقدِّمةِ ؛ لِما فيها مِنَ التناقضِ الذي بيَّنَّا .

ويشبهُ أن يكونَ مَنْ قالَ بالتأويلِ الثاني فرَعَ إليه لأنه رأى اللفظَ مُستكرهاً
على المعنى الأولِ ؛ لأنَّ القائلَ إذا قالَ : ضربَ فلانٌ بسهميه في الهدفِ ؛
بمعنى : أصابَهُ .. كانَ كلاماً ساقطاً مردوفاً ، وهو يرى أنَّ معنى الكلمةِ
أنَّ عينيها كالسهمينِ النافذينِ في إصابةِ قلبهِ المجروحِ ، فلما بكتا وذرفتا
بالدموعِ .. كانتا ضاربتينِ في قلبهِ .

ولكنَّ مَنْ حملَ على التأويلِ الثاني .. سلِمَ مِنَ الخللِ الواقعِ في اللفظِ ،
ولكنَّهُ إذا حملَ على الثاني .. فسَدَ المعنى واختلَّ ؛ لأنه إن كانَ مُحبباً على
ما وصفَ به نفسه مِنَ الصَّابةِ .. فقلبهُ كلُّهُ لها ، فكيفَ يكونُ بكاؤها هوَ
الذي يُخلِّصُ قلبَهُ لها ؟!

واعلمَ بعدَ هذا : أنَّ البيتَ غيرُ ملائمٍ للبيتِ الأوَّلِ ولا مُتصلٌ به في
المعنى ، وهو منقطعٌ عنه ؛ لأنه لم يَسبقْ كلامٌ يقتضي بكاءها ، ولا سببٌ
يوجبُ ذلكَ ، فتركيبهُ هذا الكلامَ على ما قبله فيه اختلالٌ .

ثمَّ لو سلِّمَ له بيتٌ مِنْ عشرينَ بيتاً ، وكانَ بديعاً ولا عيبَ فيه .. فليسَ

بعجيب ؛ لأنه لا يُدعى على مثله أن كلامه كله متناقض ، ونظمه كله متباين ،
 وإنما يكفي أن نبيّن أن ما سبق من كلامه إلى هذا البيت ممّا لا يمكن أن
 يُقال : إنّه يتقدّم فيه أحداً من المتأخّرين ، فضلاً عن المتقدّمين ، وإنما قدّم
 في شعره لأبياتٍ قد برع فيها ، وبأنّ حدّقه بها .

وإنّما أنكرنا أن يكون شعره متناسباً في الجودة ، ومتشابهاً في صحّة
 المعنى واللفظ ، وقلنا : إنّه يتصرّف بين وحشيٍّ غريبٍ مُستنكرٍ ، وبين كلامٍ
 سليمٍ مُتوسّطٍ ، وبين عامّيٍّ سُوقيٍّ في اللفظ والمعنى ، وبين حكمةٍ حسنةٍ ،
 وبين سخفٍ مستشنعٍ ، ولهذا قال الله عزّ اسمه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
 لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

وقوله :

وَبَيْضَةِ خِدرٍ لَا يُرَامُ خِباؤها تَمَتَّعتُ مِنْ لَهْوِ بِها غَيْرِ مُعْجَلِ
 تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً وَأَهْوالَ مَعْشَرِ عَلَيَّ حِرَاصِ لَوْ يُسْرُونَ مَقْتَلِي
 فقد قالوا : عنى بذلك أنّها كبيضة خدرٍ في صفائها ورقّتها ، وهذه
 كلمةٌ حسنةٌ ، ولكن لم يسبق إليها ، بل هي دائرةٌ في أفواه العرب ، وتشبيهه
 سائرٌ .

وبعني بقوله : (غيرِ مُعْجَلِ) أنّه ليس ذلك ممّا يتفق قليلاً وأحياناً ،
 بل يتكرّر له الاستمتاعُ بها ، وقد يحملُه غيره على أنّه رابطُ الجأشِ ، فلا
 يستعجلُ إذا دخلَ إليها خوفَ حصانتِها [ومَنَعَتِها] ، وليس في البيتِ كبيرُ
 فائدةٍ ؛ لأنّ الذي حكى في سائرِ أبياتِهِ قد تَضَمَّنَ مطاولتهُ في المغالزةِ ،

(١) سورة النساء : (٨٢) .

واشتغاله بها ، فتكريره في هذا البيت مثل ذلك . . قليل المعنى ، ليس فيه إلا الزيادة التي ذكر من [منعها] .

والبيت الثاني ضعيف ، وقوله : (لو يُسرُّونَ مقتلي) أراد أن يقول : لو أسرُّوا ، فإذا نقله إلى هذا . . ضعف ، ووقع في مضمار الضرورة ، والاختلال على نظمه بين ، حتى إن المحترز يحترز من مثله .



وقوله :

إِذَا مَا الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ
قد أنكر عليه قومٌ قوله : (إذا ما الثريا في السماء تعرّضت) وقالوا :
الثرية لا تتعرّض ، حتى قال بعضهم : سمى الثرية وإنما أراد الجوزاء ؛ لأنها
تتعرّض ، والعربُ تفعل ذلك ، كما قال زهيرٌ : (كأحمرِ عادٍ)^(١) ، وإنما هو
أحمرٌ ثمود ، وقال بعضهم في تصحيح قوله : تتعرّض أول ما تطلع ، كما أن
الوشاح إذا طرح . . يلقاك بعرضه ؛ وهو ناحيته .

وقال أبو عمرو : يعني : إذا أخذت الثرية في وسط السماء كما يأخذ
الوشاح وسط المرأة ، والأشبه عندنا : أن البيت غير معيب من حيث عابوه
به ، وأنه من محاسن هذه القصيدة ، وإن كان فيه ضربٌ من التكلف ؛
لأنه قال : (إذا ما الثرية في السماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح) فقوله :
(تعرّضت) من الكلام الذي يُستغنى عنه ؛ لأنها تشبه أثناء الوشاح سواء
كانت في وسط السماء وعند الطلوع والمغيب ، والتهويلُ بالتعرّض والتطويلُ
بهذه الألفاظ . . لا معنى له .

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٢٨) ، والبيت بتمامه :

فَتُنْبِجُ لَكُمْ غُلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُزْضِعُ فَتَنْفِطُمِ

وفيه : أن الثرياً كقطعةٍ من الوشاحِ المُفَصَّلِ ، فلا معنى لقوله : (تعرّضَ أثناءِ الوشاحِ) ، وإنما أرادَ أن يقولَ : تعرّضَ قطعةٍ من أثناءِ الوشاحِ ، فلم يستقم له اللفظُ .

وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمِ ثِيَابِهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
انظر إلى هذا البيتِ والأبياتِ التي قبله كيف خلطَ في النظم ، وفرطَ في التأليفِ ، فذكرَ التمتعَ بها ، وذكرَ الوقتَ والحالَ والحُرَّاسَ ، ثم يذكرُ كيف كانَ صفتها لما دخلَ عليها ووصلَ إليها ؛ من نزعها ثيابها إلا ثوباً واحداً ، والمُتَفَضِّلُ : الذي في ثوبٍ واحدٍ ؛ وهو الفضلُ ، فما كانَ من سبيله أن يُقدِّمه .. ذكره مؤخرًا .

وقوله : (لدى السِّتْرِ) حشوٌ ، وليسَ بحسنٍ ولا بديعٍ .

وقوله :

فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى بِنَا بَطْنَ خَبْتِ ذِي قِفَافٍ عَقْنُقَلِ
البيتُ الأوَّلُ ذكرَ فيه مساعدتها إيَّاهُ حتى قامتَ معه [ليخلوا] ، وكانتَ تَجْرُ على الإثرِ أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ ، والمُرَحَّلُ : ضربٌ من البرودِ يُقالُ لوشيه : الترحيلُ ، وفيه تكلفٌ ؛ لأنه قالَ : (ورائنا على إثْرنا) ولو قالَ : على إثْرنا .. كانَ كافياً ، والدَّيْلُ : إنما يُجْرُ وراءَ الماشي ، فلا فائدةَ لذكره (ورائنا) ، وتقديرُ القولِ : فقمْتُ أمشي بها ، وهذا أيضاً ضربٌ من التكلفِ .

وقوله: (أذِيالَ مِرْطٍ) كَانَ مِنْ سَبِيلِهِ أَنْ يَقُولَ : ذِيْلَ مِرْطٍ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ . . كَانَ قَرِيبًا ، لَيْسَ مَعًا يَفُوْتُ بِمَثَلِهِ غَيْرُهُ ، وَلَا يَتَقَدَّمُ بِهِ سِوَاهُ ، وَقَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِرِ أَحْسَنُ مِنْهُ ^(١) :

فَبِتُّ أَفْرِشُ خَدَيَّ فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَكْمَامِي عَلَى الْأَثَرِ
وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . فَقَوْلُهُ : (أَجْزَنَا) بِمَعْنَى : قَطَعْنَا ، وَالْخَبْتُ : بَطْنُ مَنْ
الْأَرْضِ ، وَالْقُفْتُ : رَمَلٌ مُتَعَرِّجٌ ، وَالْعَقَنْقَلُ : الْمُنْعَقِدُ مِنَ الرَّمْلِ الدَّخَلُ بَعْضُهُ
فِي بَعْضٍ .

وهذا البيت نافر عن الأبيات المتقدمة ؛ لأن فيها ما هو سلس قريب يُشبهه
كلام المولدين ، وهذا قد أغرب فيه ، وأتى بهذه اللفظة الوحشية المتعقدة ،
وليس في ذكرها وإلحاقها بسوابقها من الكلمات فائدة ، والكلام الغريب
واللفظة الشديدة المباينة لنسج الكلام قد تُحمد إذا وقعت موقع الحاجة
في وصف ما يلائمها ؛ كقوله عز وجل في وصف يوم القيامة : ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا
قَطَرِيرًا ﴾ ^(٢) ، فأما إذا وقعت في غير هذا الموقع . . فهي مكروهة مذمومة
بحسب ما تُحمد في موضعها .

وروي أن جريراً أنشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته ^(٣) : [من الكامل]
بَانَ الْخَلِيْطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْكَلَّمَا جَدُّوْا لِبَيْنِ تَجْرَعُ
كَيْفَ الْعَزَاءِ وَلَمْ أَجِدْ مُذْ بِنْتُمْ قَلْبًا يَقْرُ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ
فَكَانَ يَزْحَفُ مِنْ حَسَنِ هَذَا الشَّعْرِ حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ :

وَتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى الْعَصَا هَلَّا هَزَيْتِ بَغَيْرِنَا يَا بَوْزَعُ

(١) انظر «ديوان ابن المعتز» (١٩٦/٢) ، وفيه : (ذيلي) بدل (خدي) .

(٢) سورة الإنسان : (١٠) .

(٣) انظر «ديوان جرير» (٩٠٩/٢) .

فقال : أفسدت شعرك بهذا الاسم .

وقوله :

هَصْرْتُ بِغُصْنِي دَوْحَةَ فَتَمَايَلْتُ عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَجِلِ
مُهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَضْفُوءَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ

فمعنى قوله : (هصرت) : جذبتُ وثنيْتُ ، وقوله : (بغصني دوحه)
تعسُفُ ، ولم يكن من سبيله أن يجعلها اثنين ، والمِصرَاعُ الثاني أصحُ ،
وليس فيه شيءٌ إلا ما يتكرَّرُ على السنةِ الناسِ من هاتين الصفتين وأنت تجدُ
ذلك في وصفِ كلِّ شاعرٍ ، ولكنه مع تكررِه على الألسنِ صالحٌ .

وأما معنى قوله : (مهفهفه) : أنها مُخَفَّفَةٌ ليست مُثَقَلَةٌ ، والمُفَاضَةُ : التي
اضطربَ طولُها ، والبيتُ مع مخالفتِه في الطَّبعِ الأبياتِ المُتَقَدِّمَةِ ، ونزوعِه فيه
إلى الألفاظِ المُستكرَهَةِ ، وما فيه من الخللِ من تخصيصِ الترائبِ بالضوءِ ،
بعدَ ذكرِ جميعِها بالبياضِ . . ليسَ بطائلٍ ، ولكنه قريبٌ مُتوسِّطٌ .

وقوله :

نَصُدُّ وَتُبْدِي عَن أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفِلِ
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ

معنى قوله : (عن أسيل) أي : بأسيلٍ ، وإنما يريدُ خدًّا ليسَ بكزٍّ ، وقوله :
(تتقي) يُقالُ : اتقاهُ بحقه ؛ أي : جعله بينه وبينه ، وقوله : (نصدُّ وتبدي
عن أسيلٍ) متفاوتٌ ؛ لأنَّ الكشفَ عن الوجهِ مع الوصلِ دونَ الصِّدِّ ، وقوله :
(تتقي بناظرة) لفظهٌ مليحةٌ ، ولكن أضافها إلى ما نظمَ به كلامه ، وهو

مُخْتَلٌّ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ: (مِنْ وَحْشٍ وَجْرَةٌ) ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَارَةُ بِخِلَافِ
هَذَا ، كَانَ مِنْ سَبِيلِهِ أَنْ [يَضِيفَ] إِلَى عَيُونِ الظُّبَاءِ أَوْ الْمَهَا دُونَ إِطْلَاقِ
الْوَحْشِ ، فَفِيهِنَّ مَا تَسْتَنْكِرُ عَيُونَهَا ، وَقَوْلُهُ: (مُطْفِلٍ) فَسَّرُوهُ عَلَى أَنَّهَا
لَيْسَتْ بِصَبِيَّةٍ ، وَأَنَّهَا قَدْ اسْتَحْكَمَتْ ، وَهَذَا اعْتِدَاؤُ مُتَعَسِّفٍ .

وقولُهُ: (مُطْفِلٍ) زِيَادَةٌ لَا فَائِدَةَ فِيهَا عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ الَّذِي ذَكَرَهُ
الْأَصْمَعِيُّ ، وَلَكِنْ قَدْ يَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يَفِيدَ غَيْرَ هَذِهِ الْفَائِدَةَ ، فَيُقَالُ:
إِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُطْفِلًا . . لَحَظْتَ أَطْفَالَهَا بَعِينَ رَقَّةً ، فِي نَظَرِ هَذِهِ رَقَّةً نَظَرِ
الْمَوَدَّةِ ، وَيَقَعُ الْكَلَامُ مُعَلَّقًا تَعْلِيقًا مُتَوَسِّطًا .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . فَمَعْنَى قَوْلِهِ: (لَيْسَ بِفَاحِشٍ) أَي: لَيْسَ بِفَاحِشِ
الطُّولِ ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (نَصَّئْتُهُ) رَفَعْتُهُ ، وَقَوْلُهُ: (لَيْسَ بِفَاحِشٍ) فِي مَدْحِ
الْأَعْنَاقِ كَلَامٌ وَحْشٌ^(١) مَوْضُوعٌ مِنْهُ ، وَإِذَا نَظَرْتَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ . . رَأَيْتَ
فِي وَصْفِ الْأَعْنَاقِ مَا يَشْبَهُ السَّحَرَ ، فَكَيْفَ وَقَعَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَدُفِعَ إِلَى
هَذِهِ اللَّفْظَةِ؟! وَهَلَّا قَالَ كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ^(٢): [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

مِثْلُ الظُّبَاءِ سَمَتْ إِلَى رَوْضِ صَوَادِرَ عَنْ غَدِيرِ
لَسْتُ أَطْوُلُ عَلَيْكَ فَتَسْتَثْقَلُ ، وَلَا أَكْثَرُ الْقَوْلَ فِي ذِمَّةِ فَتَسْتَوْحِشُ ، وَأَكْلُكَ
إِلَى جَمَلَةٍ مِنَ الْقَوْلِ؛ فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّنْعَةِ . . فَطُنْتَ وَاكْتَفَيْتَ ، وَعَرَفْتَ
مَا رَمِينَا إِلَيْهِ وَاسْتَغْنَيْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ عَنِ الطَّبَقَةِ خَارِجًا ، وَعَنِ الْإِتْقَانِ بِهَذَا
الشَّأْنِ خَالِيًا . . فَلَا يَكْفِيكَ الْبَيَانُ وَإِنْ اسْتَقْرَيْنَا جَمِيعَ شَعْرِهِ ، وَتَتَبَّعْنَا عَامَّةَ
الْأَلْفَاظِهِ ، وَدَلَّلْنَا عَلَى مَا فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ .



(١) فِي «عِجَازِ الْقُرْآنِ» (ص ١٧٩): (فَاحِشٌ) بَدَلُ (وَحْشٍ) .

(٢) انظُرْ «دِيْوَانَ أَبِي نُوَّاسٍ» (ص ٢٩١) .

اعلم : أن هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة ، وأبيات متوسطة ، وأبيات ضعيفة مردولة ، وأبيات وحشية غامضة مستكرهة ، وأبيات معدودة بديعة ، وقد دللنا على المبتذل منها ، ولا يشتبه عليك الوحشي المستنكر الذي يروغ السمع ، ويهول القلب ، ويكث اللسان ، ويعبس معناه في وجه كل خاطر ، ويكفهز مطلعته على كل متأمل أو ناظر ، ولا يقع بمثله التمدح والتفاسح ، وهو مجانيب لما وضع له أصل الإفهام ، ومخالف لما بُني عليه التفاهم بالكلام ، فيجب أن يسقط عن الغرض المقصود ، ويلحق باللغز والإشارات المستبهمة .



فأما الذي زعموا أنه من بديع هذا الشعر . . فهو قوله :

وتُضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
والمصراع الأخير عندهم بديع ، ومعنى ذلك : أنها مترفة متنعمة ، لها من يكفيها ، ومعنى قوله : (لم تنتطق عن تفضل) يقول : لم تنتطق وهي فضل ، و (عن) هي بمعنى (بعد) ، قال أبو عبيدة : لم تنتطق فتعمل ، ولكنّها تفضل .

ومما يعدونه من محاسنها :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهوم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه [وأردف] أعجازاً وناء بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الأصباح فيك بأمثل

[من الطويل]

وكان بعضهم يعارضُ هذا بقولِ النابغة^(١) :

كَلِينِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بِطِيءِ الْكَوَكِبِ
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَتَلَوُ النَّجُومَ بِأَيِّبِ

وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء ، فقدّم أبيات امرئ القيس ، واستحسن استعارتها ، وقد جعل لليل صدراً يثقل تنجيه ، ويبطئ تقضيه ، وجعل له أردافاً كثيرة ، وجعل له صلباً يمتد ويتطاول ، ورأوا هذا بخلاف ما يستعيزه أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة ، ورأوا أن الألفاظ جميلة .

واعلم : أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذي يُقال : إنه متناه عجب ، وفيه إمام بالتكلف ، ودخل في التعمّل .



وقد خرّجوا له في البديع من القصيدة قوله :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْنِدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكْرٍ مَفْرٍ مُقْبِلٍ مُذْبِرٍ مَعَا كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
وقوله أيضاً :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْحَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَشْفَلِ
فأمّا قوله : (قيد الأوابد) فهو مليح ، ومثله في كلام الشعراء وأهل الفصاحة كثير ، والتعمّل بمثله ممكن ، وأهل زماننا الآن يُصنّفون نحو هذا

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٠) .

تصنيفاً ، ويؤلفون المحاسن تأليفاً ، ثم يوشحون به كلامهم ، والذين كانوا من قبل لغزارتهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون لذلك ، إنما كان يتفق لهم اتفاقاً ، ويطرّد في كلامهم اطراداً .

وأما قوله في وصفه : (مكرّ مفرّ) . . فقد جمع فيه طباقاً وتشبيهاً ، وفي سرعة جري الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا والطف ، وكذلك في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة ، ولكن قد عورض فيه وزوجم ، والتوصل إليه يسير ، وتطلبه سهل قريب .

وقد بيّنا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبياتها تفاوتاً بيّناً ؛ في الجودة والرداءة ، والسلاسة والانعقاد ، والسلامة والانحلال ، والتمكّن [والاستصعاب] ، والتسهّل والاسترسال ، والتوحّش والاستكراه ، وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في محاسنها ، ومعارضون في بدائعها ، ولا سواء بين كلام ينحّث من الصخر تارة ، ويذوب تارة ، ويتلوّن تلوّن الجرباء ، ويختلف اختلاف الأهواء ، ويكثر في تصرّفه اضطرابه ، وتتقاذف به أسبابه ، وبين قول يجري في سبكه على نظام ، وفي رصفه على منهاج ، وفي وضعه على حدّ ، وفي صفائه على باب ، وفي بهجته ورونقه على طريق ، مختلفه مؤتلف ، ومؤتلفه متّحد ، ومتباعده متقارب ، وشارده مطيع ، ومطيعه شارد ، وهو على متصرّفاته واحد ، لا يستصعب في حال ، ولا يتعقد في شأن^(١) .



(١) إلى هنا ينتهي النقل عن « إعجاز القرآن » (ص ١٨٣) للعلامة القاضي الباقلاني .

[إنصافُ المُعلِّقَةِ ممَّا وردَ عليها مِنَ الانتقادِ]

فأنتَ ترى هذا الشيخَ كيفَ عمدَ إلى قصيدةٍ قد اتفقَ العلماءُ وأهلُ الأدبِ على تَقَدُّمِها في الجودةِ ، وعُلُوِّها في البلاغةِ ، حتى جعلوها رأسَ القصائدِ السبعِيَّاتِ ، فأفسدَ بالنقدِ صورتَها ، وغَبَّرَ في وجهِ بهجتِها .

ولكنْ أقولُ : إنَّه معَ نورانيةِ كلامِهِ ، وسلاسةِ عباراتِهِ ، وحسنِ سلوكِهِ في تقريرِ أغراضِهِ . . قد تحاملَ على امرئِ القيسِ بعضَ التحاملِ ، وما كانَ ينبغي ؛ فإنَّ التحاملَ في مقامِ البرهنةِ يُوجِبُ نفرةً عن الاستماعِ ، واستصعاباً عن الانقيادِ ، ويكونُ ذلكَ سبباً لضياعِ الحقِّ .

ولستُ أقولُ : إنَّ كلامَ المخلوقِ أينما بلغَ مِنْ رتبِ البلاغةِ يكادُ يداني كلامَ الخالقِ الذي لا تخفى عليه خافيةٌ ، ولكنْ أقولُ : إنَّه لا ينبغي أن يُبخَسَ كلامُ حقِّه ، ولا يُوفَى قسطُه ، ويُعترفَ له بحظِّه منها .

وهأنَا مقتفٍ أثرُه في الكلامِ على بعضِ ما تكلمَ عليه بما يتَلاشى معه كثيرٌ من انتقاداتِهِ ، ومُفَضِّلٌ ما فيه الكلامُ منها تفصيلُه الذي أرادَه الشاعرُ .

قولُه : (قفا نبكِ . . .) البيتينِ ، فصلٌ أرادَ فيه بالحبيبِ والمنزلِ الجنسَ ، فالتنكيرُ فيه للتنويعِ ، لا للإفرادِ ، فكأنَّه قالَ : ليقفَ كلُّ منَّا يبكي صفاءَ عيشِهِ الماضي ، وسرورِ أوقاتهِ السالفةِ ، وتمتعهُ بحبيبِهِ في تلكَ المنازلِ الشاغلةِ لتلكَ النواحي التي سمَّاها ، وطوى في ذلكَ الحديثِ عن كثرةِ العمرانِ وعظمِ المجتمعِ ؛ وذلكَ سببٌ لقوَّةِ الأمنِ ، واتساعِ دائرةِ السُّرورِ ، والتمكُّنِ مِنَ الاستتارِ باللَّدَّاتِ ، وفيه إقامةُ العذرِ في اشتدادِ الوجدِ وكثرةِ

الحزن ؛ إذ بقدر الأُنسِ بالشيءِ تقعُ الوحشةُ عندَ ذهابِهِ ، ولإظهارِ الجزعِ ،
والمبالغةِ في الإبانةِ عن العذرِ .



قالَ : (لم يعفُ رسمُها) ، وذلكَ مِنْ إيجازِ الإشارةِ ، الذي هو معدودٌ مِنْ
أكبرِ دعائمِ البلاغةِ ، فليسَ ذكرُهُ لتلكَ المواضعِ فضلاً .

وتأملُ عطفَهُ فيها بالفاءِ دونَ الواوِ كما يقتضيه ظاهرُ الكلامِ ، فالكنايةُ إذاً
مِنْ قولِهِ : (رسمُها) تعودُ للمنازلِ .

ثمَّ إنَّ مناقشتَهُ في الألفاظِ ، معَ كونهِ مِنْ رؤوسِ أهلِ اللغةِ الذينَ تُنقلُ
عنهُم ، وبكلامِهِم يُحتجُّ . . فيه خروجٌ .



وقولُهُ : (وقوفاً . . .) إلى قولِهِ : (إذا قامتا) فصلٌ يبينُ فيه ما كانَ مِنْ وعظِ
صحابتهِ إيَّاهُ ونصحِهِم لَهُ ، فكانَ مِنْ كلامِهِم : (لا تهلكِ أسيٌّ وتجمَلِ) ،
(فهل عندَ رسمِ دارسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ) ، ذلكَ مِنْكَ الآنَ كدأبِكَ وحالكِ فيما
مضى مِنْ فلانةَ وفلانةَ ، واعترضَ بينَ أجزاءِ ما حكاَهُ عنهُم بقولِهِ : (وإنَّ
شفائي عبْرَةٌ) ودعوى كوني البكاءِ شافياً وإطلاقِ الدموعِ مريحاً . . أمرٌ مشهورٌ
بينَ الشعراءِ ، قالَ بعضُهُم^(١) :

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
مِنْ أَلْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

وقالتِ الخنساءُ^(٢) :

[من مجزوء الكامل]

إِنَّ أَلْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَاءُ
عُ مِنْ أَلْجَوَى بَيْنَ أَلْجَوَانِخِ

(١) هو ذو الرمة . انظر « ديوانه » (١٣٣٣/٢) .

(٢) تقدم (١٣٢/٢) .

وذلك أمرٌ يُعرَفُ بالوجدانِ ، فقولهُ : (عندَ رسمِ دارسٍ) ليسَ مِنْ كلامِهِ ، وَعَبَّرَ بلفظِ (دارسٍ) على معنى المشاركةِ على الدروسِ والقربِ منه ، وهوَ مجازٌ مشهورٌ الاستعمالِ ، حملوا عليه قوله تعالى : ﴿ هُدَى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) ، قالوا : أي : المشارفينَ للتعقوى الصائرينَ لها ، فلا تناقضَ .

فلَمَّا سمعَ مِنْ صحبِهِ هذا الكلامَ وقد هتفوا بذكرِ حبيبتينِ كانتا له .. تذكَّرَ حالَهُما ، فأشارَ إلى صفةِ ما كانتا عليه ؛ مِنْ حسنِ الحالِ ، وطيبِ النعيمِ ، وريعانِ الشبابِ ... إلى غيرِ ذلكِ مِنْ دواعي الغزلِ والصَّبابَةِ ؛ بقوله : (إذا قامتا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ) ، والبيتُ وحدهُ فصلٌ ، وإنَّما خصَّ حالةَ القيامِ لمكانِ الحركةِ الموجبةِ لتموُّجِ الهواءِ الذي تنتشرُ بهِ الرائحةُ وتبلغُ للبعيدِ ، ولذلكِ وقعَ التشبيهُ بَعْدَ موقعِهِ ، فليسَ غرضُهُ أن يصفَهُما بالطيبِ حتى يُقالَ : إنَّ ذلكَ لا يَخُصُّ حالةَ دونَ حالةٍ ، ولذلكِ قالَ : (تَضَوَّعَ) ، ولم يقلْ : إنَّهُما إذا قامتا .. فهُما [طيبتا] الرائحةِ ، فالتشبيهُ بينَ انتشارِ الرائحةِ والمرورِ معَ النَّسيمِ ، وليسَ تشبيهَ رائحةِ برائحةٍ حتى يُقالَ : إنَّهُ نقصٌ ، وشَبَّهَ القويَّ بالضعيفِ .

ثمَّ أبانَ كيفيةَ بكائِهِ ومقدارَ دموعِهِ ، وهوَ حكايةٌ عمَّا وقعَ لهُ كما هوَ العادةُ في أشعارِ العربِ ؛ مِنْ كونِها في الغالبِ حكايةً عن واقعٍ ، وليسَ مُجرَّدَ تخيُّلٍ كما هوَ حالُ المتأخِّرينَ مِنَ الشعراءِ ؛ فإنَّهُم لَمَّا أرادوا أن يتبعوا العربَ في عملِ الشعرِ .. تأمَّلوا مذهبَهُم فيه ، وجمعوا تصرُّفاتِهِم في أنواعِهِ ، ثمَّ أخذوا في الجمعِ والتأليفِ على سبيلِ الخيالِ ، لا على سبيلِ حكايةِ الواقعِ ، فليسَ لأحدٍ أن يُكذِّبَهُ في صفةِ حالِهِ ، ولا أن يُكَلِّفَهُ الكذبَ

(١) سورة البقرة : (٢) .

بأن يقول: إِنَّ الدَّمْعَ بَلٌّ [المغاني] ، وجرى مثل البحر... إلى غير ذلك من المبالغة .

وقد فات هذا الشيخ أن يذكر السبب في انحطاط قوله : (دموع العين مني) ، والسبب في ارتفاع قوله عز ذكره : ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ ^(١) ، والعبارتان من واحدٍ واحدٍ ، وأن يُبين الفرق بينهما كما تستحضره إذا ذكرت ما سلف من الكلام على الآية في علم المعاني .

وقوله : (ألا ربّ يوم...) إلى قوله : (ويوماً على ظهر الكتيب) فصلٌ حكى فيه بعض الوقائع التي كانت له أيام شبابه ، وهو كلام متلائم آخذ بعضه ببعض ، يجمعه غرض واحد كما تعرفه من سياق قصته ، فذكر يوم دارة جلجل ؛ وهو يوم عقير الناقة ، ويوم دخوله الخدر ، فعطف للاختلاف بالإضافة ، وليست أياماً متعدّدة ، كأنه قال : يوماً بدارة جلجل ؛ يوم عقرت ، يوم دخلت .

وقصة هذا اليوم على ما حكوه عن الفرزدق قالوا ^(٢) : خرج الفرزدق يوماً إلى ظاهر البصرة صبيحة ليلة باتت السماء تكف بها ، فرأى آثار دواب ذاهية إلى ناحية ، فقال : إن هذه الآثار تخبر عن خروج قوم إلى ذلك الوادي ، وما أراهم إلا قد اجتمعوا لنزهة وطعامٍ وشرابٍ ، فعزم على أن يلحق بهم ؛ لعلّه يصيب معهم بعض مآربه ، فانتهى به السير على تلك الآثار إلى غدير ، وإذا به نسوة قد نزعن ثيابهنّ ودخلن فيه ، فنزل عن بغلته وجلس على الثياب وقال : يوم كيوم دارة جلجل .

(١) سورة مريم : (٤) .

(٢) انظر «خزانة الأدب» (٣/٤٥٧ - ٤٥٩) .

فتضحك منه النساءُ وقالوا : حدّثنا بحديثِ ذلكِ اليومِ ، فأخبرَ أنّ جماعةَ امرئِ القيسِ عزموا يوماً على الانتقالِ مِنْ موضعٍ إلى موضعٍ ، فسبَقَ الرجالُ ليصلحوا المنزلَ ويُمهّدوا موضعَ الإقامةِ ، وتخلّفَ النساءُ وما يكفينهنَّ مِنَ الخدمِ ، فاستخفى امرؤُ القيسِ حتى خرجَ على آثارِ النِسوةِ ، حتى إذا كانَ نصفُ النهارِ . . وصلنَ إلى غدِيرِ ، فقالَ بعضُهُنَّ لبعضٍ : لو نزلنا في هذا الموضعِ فاسترحنا واستجمنا نشاطنا بالاستنقاعِ في هذا الغديرِ ، فنزلنَ ونزعنَ ثيابهنَّ ، ودخلنَ الماءَ ، وأدركهنَّ امرؤُ القيسِ ، فجلسَ على ثيابهنَّ ، وحلفَ أنّه لا يعطي واحدةً ثيابها حتى تخرجَ وتأخذها بنفسِها ، فبعدَ أنِ امتنعنَ برهةً وخفنَ ذهابَ الوقتِ . . تتابعنَ في الخروجِ واحدةً بعدَ واحدةٍ ، حتى بقيتْ عشيقتهُ تُقسِمُ عليه وتستعطفُهُ وتتذلّلُ لَهُ وهو يَأبى ، حتى خرجتْ ، فراها مقبلةً ومدبرةً .

ثمَّ قلنَ لَهُ : حبستنا وأجعتنا ، فاغتنمَ ذلكَ منهنَّ ، ورأى مكانَ الحيلةِ في وصولهِ إلى حبيبتِهِ ، فقالَ : أتأكلنَ إذا نحرثُ ناقتي ؟ فقلنَ : نعم ، فقامَ إليها وعقرها ، وجمعَ الخدمَ الحطبَ ، وأجّجوا ناراً عظيمةً ، فجلسَ وجلسنَ يشتونَ ويأكلونَ ، ويترامونَ ويتلاعبونَ ، حتى قضاوا غرضَهُمَ مِنَ الطعامِ ، وقاموا لتتميمِ السفرِ ، فتوزّعوا متاعَ ناقتِهِ ، وبقيَ هوَ ، فركبَ معَ حبيبتِهِ ، وكانَ هذا قُضدُهُ ، فهوَ يتعجّبُ مِنْ تمامِ حيلتِهِ ، وبلوغِهِ غرضَهُ ، وثراهُ يقتصرُ في الكلامِ على مواضعِ النكتِ .

ثمَّ حكى ما جرى بينهُ وبينَ حبيبتِهِ بعدَ ركوبِهِ معها ، وأنّه أخذَ في مغازلتِها وملاعبتِها ، واقتطافِ ثمراتها ، ونقلَ أنّها قالتْ لَهُ : (لك الويلاتُ إنَّكَ مرجلي) .

وليسَ في نقلِ كلامِ الغيرِ على وجهِهِ عيبٌ ، ألا ترى إلى قولِهِ تعالى

شأنه : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ... ﴾ إلى آخره (١) ،
مع ما اشتمل عليه من وقاحتهم وسفههم وجهلهم بالله .



وقوله : (قَالَتْ) و (تَقُولُ) تأدية للمعاني بعبارتها ، فالقول الأول حصل
منها مرة ، والثاني تكرر ، ولولا ذلك .. ما كان يُعجزه أن يقول : وقالت وقد
مال الغبيط بنا معاً ، وتعرف تعين ذلك إذا تلوت قوله تعالى : ﴿ أَرْسَلَ الرِّيحَ
فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ (٢) ، مع ذكر ما سلف في علم المعاني .

وأما قوله : (فمثلك حبلئ) فذلك ما من شأنه أن يقوله في هذا المقام ؛
فإنه لا يقول عن نفسه أنه راهب في صومعة ، بل يخبر بأنه زير نساء مُستعمل
حيلة في خدعهن ، كما يقتضيه استحسان الشباب أهل الترف والنعيم ؛ فإنه
لما أراد أن يزيل حياءها ، ويكسر حدتها ، ويثير من شهوتها ؛ ليتمكن من
التمتع بها .. لم يجد إلا أن يكلمها بما يقتضي ذلك .



وقوله : (ويوماً على ظهر الكثيب ...) إلى قوله : (وقد أغتدي والطيئر
في وكناتها) فصل أخبر فيه أنها غضبت منه يوماً ، واشتد امتناعها عليه ،
وحلفت دون استثناء ، فأخذ في عتابها وترضيها ، وتصرف في ذلك تصرف
مثله في خضوع وتذلل ، وإذا افتخر أو اشتد .. جعل ذلك في ضمن
تواضع لها ، واستسلام واعتراف لها بملكه ، واستيلائها عليه ، وانقياده
لها ، والمضي مع مرضاتها ، وتفهمه إيّاها أنها قد انفردت به ، مع تمكُّنه

(١) سورة الإسراء : (٩٠) .

(٢) سورة فاطر : (٩) .

مِنَ التَّمَتُّعِ بِغَيْرِهَا مِنْ ذَوَاتِ الشَّرَفِ وَالتَّرْفِ وَالتَّعْنِيمِ ، مَعَ إِقْدَامِهِ فِي ذَلِكَ
وَجَرَاءَتِهِ وَمُسَاعَدَتِيهِنَّ إِيَّاهُ .



فَأَنْتِ إِذَا تَأَمَّلْتِ فِي فِصُولِ القَصِيدَةِ عَلَى مَا أَشْرْنَا بِهِ إِلَيْكَ . . عَرَفْتِ أَنَّه
لَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الِانْتِقَادَاتِ إِلَّا القَلِيلُ ، وَإِنَّمَا وَقَفْتُ مَعَكَ هَذَا المَوْقِفَ ؛
لِيُوَلِّدَ فِيكَ الِاطْلَاعَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الكَلَامِ جَرَاءَةً وَإِقْدَاماً عَلَى اسْتِعْمَالِ ذَوْقِكَ ،
وَإِطْلَاقِ فِكْرِكَ ؛ فِي تَمْيِيزِ جَيِّدِ الكَلَامِ وَرَدِيئِهِ ، وَصَحِيحِهِ وَفَاسِدِهِ ، وَرَفِيعِهِ
وَوَضِيعِهِ ، وَلَا تَتَمَكَّنَنَّ مِنْكَ مَهَابَةٌ أَنَّ هَذَا شَعْرُ فُلَانِ المَشْهُورِ ، فَيَسْتَوْلِي
عَلَيْكَ حَالُ التَّقْلِيدِ .



[نقدٌ لبعضِ قصائدِ البحتريِّ]

ثمَّ قالَ هذا الشيخُ في موضعٍ آخرٍ مِنْ كتابِهِ^(١) : ونحنُ نَعْمِدُ إلى بعضِ قصائدِ البحتريِّ ، فتكلَّمُ عليها كما تكلمنا على قصيدةِ امرئِ القيسِ ، وتلكَ القصيدةُ التي نتكلَّمُ عليها أجودُ شعرِهِ ، سمعتُ أبا مسلمٍ الرستميَّ يقولُ : سمعتُ البحتريَّ يذكرُ أنَّ أجودَ شعرِ قالِهِ^(٢) :

أَهْلًا بِذَلِكَمُ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ
قالَ : وسمعتُ أبا الفضلِ بنَ العميدِ يقولُ : أجودُ شعرِهِ هوَ
قولُهُ^(٣) :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ
قالَ : وسُئِلْتُ عن ذلكَ ، فقلتُ : البحتريُّ أعرفُ بشعرِ نفسِهِ مِنْ غيرِهِ .
قلتُ^(٤) : لعلَّ البحتريَّ قالَ ذلكَ قبلَ أن يقولَ قصيدَتَهُ الثانيةَ .
فنحنُ الآنَ نقولُ في هذهِ القصيدةِ ما يصلُحُ في مثلِها .
قولُهُ :

أَهْلًا بِذَلِكَمُ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ
بَرَقٌ سَرَى فِي بَطْنِ وَجْرَةٍ فَأَهْتَدَتْ بِسَنَاهُ أَعْنَاقُ الرِّكَابِ الضُّلَلِ

(١) انظر « إعجاز القرآن » للباقلاني (ص ٢١٩ - ٢٤٣) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٧٤١/٣) ، والبيت بتمامه :

أَهْلًا بِذَلِكَمُ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ

(٣) انظر « ديوان البحتري » (٩٥٣/٢) ، والبيت بتمامه :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجْرٌ

(٤) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام الإمام الباقلاني .

البيت الأول في قوله : (ذلُّكم الخيال) ثقلُ روحٍ ، وتطويلٌ وحشوٌ ، وغيرُهُ
أصلحُ له ، وأخفُ منه قولُ الصَّنوبريِّ :
[من السريع]

أَهْلًا بِذَلِكَ الرَّؤْرِ مِنْ زَوْرِ شَمْسٍ بَدَتْ فِي فَلَكِ الدَّوْرِ
وعذوبةُ الشعرِ تذهبُ بزيادةِ حرفٍ أو نقصانِ حرفٍ ، فيصيرُ إلى الكزازةِ ،
وتعودُ ملاحظتهُ بذلكَ ملوحةً ، وفصاحتُهُ عيًّا ، وبراعتهُ تكلفًا ، وسلاستهُ
تعسفًا ، وملاستهُ تلويًّا وتعقدًا ، فهذا فصلٌ .

وفيه شيءٌ آخرٌ ؛ وهو أن هذا الخطابَ إنما يستقيمُ مهما خوطبَ به الخيالُ
حالَ إقبالِهِ ، فأما أن يحكيَ الحالَ التي كانتَ وسلفتَ على هذه العبارةِ ..
ففيه عُهدَةٌ ، وفي تركُّبِ الكلامِ عن هذا المعنى عُقدةٌ ، وهو لبراعتهِ وحذقهِ
في هذه الصَّنعةِ يتعمدُ نحوَ هذا الكلامِ .

ثمَّ قولهُ : (فعلَ الذي نهوهُ أو لم يفعلِ) ليستَ بكلمةٍ رشيقةٍ ، ولا لفظةٍ
ظريفةٍ ، وإن كانتَ كسائرِ الكلامِ .

فأما بيئتهُ الثاني .. فهو عظيمُ الموقعِ في البهجةِ ، وبديعُ المآخذِ ، حسنُ
الرواءِ ، أنيقُ المنظرِ والمسمعِ ، يملأُ القلبَ والفهمَ ، ويفرِّحُ خاطرَ ، وتسري
بشاشتهُ في العروقِ .

وكانَ البحرِيُّ يُسمِّي هذه الأبياتَ : عروقَ الذهبِ .

وفيه من الخللِ مع الديباجةِ الحسنَةِ والرونقِ المليحِ ؛ وذلكَ أنه جعلَ
الخيالَ كالبرقِ لإشراقِهِ في [مسراهُ] ؛ كما يُقالُ : إنَّهُ يسري كنسيمِ الصِّبا ،
فيُطَيِّبُ ما مرَّ به ، كذلكَ أضواءُ ما حولَهُ ، ونورَ ما مرَّ به ، وهذا غلُّو في
الصَّنعةِ إلا أن ذكرَهُ بطنَ وجرةٍ .. حشوٌ ، وفي ذكرِهِ خللٌ ؛ لأنَّ النورَ القليلَ
يؤثرُ في بطونِ الأرضِ وما اطمأنَّ منها ، بخلافِ ما يؤثرُ في غيرها ، فلم
يكنُ من سبيلِهِ أن يربطَ ذلكَ بطنَ وجرةٍ ، وتحديدُهُ المكانَ على الحشوِ

أحمدُ مِنْ تحديدِ امرئِ القيسِ بذكرِ سقطِ اللوى بينَ الدَّخولِ فَحَومَلِ
فَتوضَحَ فالمِقرأةِ ، لم يقنعَ بذكرِ حدِّ حتى حدَّهُ بأربعةِ حدودٍ ؛ كأنَّهُ يريدُ
بيعَ المنزلِ ، فيخشى إنَّ أحلَّ بحدِّ . . أن يكونَ بيعُهُ فاسداً ، وشرطُهُ باطلاً ،
فهذا بابٌ .

ثمَّ إنَّما يُذكرُ الخيالُ بخفاءِ الأثرِ ، ودقَّةِ المطلبِ ، ولطفِ المسلكِ ،
وهذا الذي ذكرَ يُضادُّ هذا الوجهَ ، ويخالفُ ما يُوضَعُ عليه أصلُ البابِ ، ولا
يجوزُ أن يُقدَّرَ مُقدِّرٌ أنَّ البحترىَّ قطعَ الكلامَ الأوَّلَ ، وابتدأَ بذكرِ برقيِّ لمعَ
مِنْ ناحيةِ حبيبهِ مِنْ جهةِ بطنِ وجرةَ ؛ لأنَّ هذا القطعَ إن كانَ فعلُهُ . . كانَ
خارجاً بهِ عنِ النظمِ المحمودِ ، ولم يكنْ مُبدِعاً ، ثمَّ كانَ لا تكونُ فيه فائدةٌ ؛
لأنَّ كلَّ برقيِّ شملَ وتكرَّرَ . . وقعَ الاهتداءُ بهِ في الظلامِ ، وكانَ لا يكونُ بما
نظمُهُ [مفيداً] ولا مُتقدِّماً ، وهو على ما كانَ مِنْ مقصدهِ ذو لفظٍ محمودٍ ،
ومعنى مستجلبٍ غيرِ مقصودٍ ، ويُعلمُ بمثلهِ أنَّه طلبَ العباراتِ ، وتعليقَ
القولِ بالإشاراتِ .

وهذا مِنَ الشعرِ [الحسنِ] الذي يحلو لفظُهُ وتقلُّ فوائدهُ ؛ كقولِ
القائلِ ^(١) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَزْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

هذه ألفاظٌ بديعةٌ المطالعِ والمقاطعِ ، حلوةٌ المجاني والمواقعِ ، قليلةٌ
المعاني والفوائدِ .



(١) تقدم (٤١٦/٣) .

فَأَمَّا قَوْلَ الْبَحْتَرِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْدُلْ
كَالْبَدْرِ غَيْرَ مُخَيَّلٍ وَالْغُصْنِ غَيْرِ رَ مُمَيَّلٍ وَالْدِّعْصِ غَيْرِ مُهَيَّلٍ
.. فالبيت الأول على ما تكلف فيه من المطابقة .. ألفاظه أوفر من معانيه ،
وكلماته أكثر من فوائده ، ونعلم أن القصد وضع العبارات في مثله ، ولو
قال : هي ممنوعة مانعة .. كان ينبؤ عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ،
ثم هو معنى متداول مكرّر على كل لسان .

وأما البيت الثاني .. فأنت تعلم أن التشبيه بالبدْرِ والغصنِ والدِّعْصِ أمرٌ
منقول متداول ، ولا فضيلة في التشبيه بنحو ذلك ، وإنما يبقى تشبيهه ثلاثة
أشياء بثلاثة أشياء في البيت ، وهذا أيضاً قريب ؛ لأن المعنى مكرّر ، ويبقى
له بعد ذلك شيء آخر ؛ وهو تعمُّله بالترصيع في البيت كله ، إلا أن هذه
الاستثناءات فيها ضربٌ من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصنِ كافٍ ، فإذا زاد
فقال : كالغصنِ غيرِ مُعَوِّجٍ .. كان ذلك من باب التكلف ، وكان ذلك زيادةً
يُستغنى عنها ، وكذلك : (والدِّعْصِ غَيْرِ مُهَيَّلٍ) لأنه إذا انهال .. خرج عن
أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى .



وَأَمَّا قَوْلُهُ :

مَا الْحُسْنُ عِنْدَكَ يَا سَعَادَ بِمُحْسِنٍ فِيمَا أَتَاهُ وَلَا الْجَمَالَ بِمُجْمِلٍ
عُدْلَ الْمَشُوقِ وَإِنَّ مِنْ سِيمَا الْهَوَى فِي حَيْثُ تَجْهَلُهُ لَجَاجَ الْعُدْلِ
قوله في البيت الأول : (عندك) حسو ، وليس بواقع ولا بديع ، وفيه
كلفة ، والمعنى الذي قصده أنت تعلم أنه مُتَكَرِّرٌ على لسان الشعراء .

وفيه شيء آخر: أنه يذكر أن حسنها لم يحسن في تهيج وجدّه وتهيم قلبه ، وضدّ هذا المعنى هو الذي يميل إليه أهل الهوى والحبّ ، ويبت كُشاجم أسلم من هذا وأبعد من الخلل ؛ وهو قوله^(١) : [من الكامل]

بِحَيَاةِ حُسْنِكَ أَحْسِنِي وَبِحَقِّ مَنْ جَعَلَ الْجَمَالَ عَلَيْنِكَ وَقَفَا أَجْمَلِي
قلتُ : إنّه لم يُوفِّ الكلامَ على ثقلِ قوله : (عندك) حقّه ، فإنّها لم تثقل لكونها حشواً فقط ، بل هي غيرُ صحيحة الاستعمال ؛ فإنّه إنّما يُقالُ : الكتابُ الذي عندك مثلاً ، وأمّا أن يُقالَ : الحسنُ الذي عندك واللُّطفُ . . فلا ، وإنّما يُقالُ : حسنك ولطفك ، أو الحسنُ الذي لك .

وأما البيتُ الثاني . . فإنّ قوله : (في حيث) حشا بقوله في كلامه ، ووقع ذلك مستنكراً وحشياً ، نافراً عن طبعه ، جافياً في وضعه ، فهو كرقعة من جلد في ديباج حسن ، فهو يمحو حسنه ، ويأتي على جماله .

ثمّ في المعنى شيءٌ ؛ لأنّ لججاج العُدل لا يدُلُّ على هوى مجهول ، ولو كان مجهولاً . . لم يهتد العُدلُ إليه ، فعُلمَ أنّ المقصِدَ استجلابَ العباراتِ دونَ المعاني ، ثمّ لو سلّمَ من هذا الخلل . . لم يكن في البيتِ معنىً بديعٌ ولا شيءٌ يفوتُ قولَ الشعراءِ في العُدلِ ؛ فإنّ ذلكَ جملُهُمُ الدَّلُولُ ، وقولُهُمُ المُكْرَرُ .

قلتُ : إنّ البحرّيّ أخرجَ هذا البيتَ مُخرَجَ التأسّفِ والتحسّرِ وشكوى الحالِ في الهوى ، وتقديرُ كلامه : وإنّ من سيمَا الهوى ولوازمه لججاج العُدلِ في حيثُ تجهلُهُ ، دونَ تأمّلٍ في قوّة أسبابِ الهوى وعذرِ صاحبه ؛ فقد أدمجَ في كلامه ما فصّله الآخرُ حيثُ يقولُ^(٢) :

أَبْصَرَهُ عَاذِلِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا رَأَهُ

(١) انظر « ديوان كُشاجم » (ص ٣٢٧) .

(٢) الأبيات لابن وكيع التنيسي ، كما في « وفيات الأعيان » (١٠٦/٢) .

فَقَالَ لِي لَوْ هَوَيْتَ هَذَا مَا لَأَمَكَ النَّاسُ فِي هَوَاهُ
[فَظَلَّ] مِنْ حَيْثُ لَيْسَ يَدْرِي [يَا مُرَّ] بِالْحُبِّ مَنْ نَهَاهُ



وقوله :

مَاذَا عَلَيْنِكَ مِنْ أَنْتِظَارٍ مُتَيِّمٍ بَلْ مَا يَضُرُّكَ وَفَقَّةٌ فِي مَنْزِلِ
إِنْ سِيلَ عَيِّي عَنِ الْجَوَابِ فَلَمْ يُطِقْ رَجْعاً فَكَيْفَ يَكُونُ إِنْ لَمْ يُسْأَلِ
لَسْتُ أَنْكُرُ حَسْنَ الْبَيْتَيْنِ وَظَرْفَهُمَا ، وَرِشَاقَتَهُمَا وَلَطْفَهُمَا ، وَمَاءَهُمَا
وَبَهْجَتَهُمَا ، إِلَّا أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مَنْقُوعٌ عَنِ الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ ضَرْباً مِنَ الْانْقِطَاعِ ؛
لَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ لِمَشَافَهَةِ الْعَاذِلِ ذِكْرٌ ، وَإِنَّمَا جَرَى ذِكْرُ الْعُدَّالِ عَلَى وَجْهِ لَا يَتَّصِلُ
هَذَا الْبَيْتُ بِهِ وَلَا يَلِائِمُهُ .

ثمَّ الذي ذَكَرَهُ مِنَ الْانْتِظَارِ وَإِنْ كَانَ مَلِيحاً فِي اللَّفْظِ . . فَهُوَ فِي الْمَعْنَى
مُتَكَلِّفٌ ؛ لِأَنَّ الْوَاقِفَ فِي الدَّارِ لَا يَنْتَظِرُ أَمراً ، وَإِنَّمَا يَقِفُ تَحَسُّراً وَتَلَذُّدًا
وَتَحْيِيراً ، وَالشُّطْرُ الْأَخِيرُ مِنَ الْبَيْتِ وَاقِعٌ ، وَالْأَوَّلُ مُسْتَجَلِبٌ وَفِيهِ تَعْلِيقٌ عَلَى
أَمْرٍ لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ ؛ لِأَنَّ وَضْعَ الْبَيْتِ يَقْتَضِي تَقَدُّمَ عَدْلِ عَلَى الْوَقُوفِ ، وَلَمْ
يَحْصُلْ ذَلِكَ مَذْكَوراً فِي شِعْرِهِ مِنْ قَبْلُ .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي . . فَإِنَّهُ مُعَلَّقٌ بِالْأَوَّلِ ، لَمْ يَسْتَقِلَّ إِلَّا بِهِ ، وَهُمْ يَعْيُونَ
وَقُوفَ الْبَيْتِ عَلَى غَيْرِهِ ، وَيُرُونَ أَنَّ الْبَيْتَ التَّامَّ هُوَ الْمَحْمُودُ ، وَالْمِصْرَاعُ
التَّامُّ بِنَفْسِهِ بَحِيثٌ لَا يَقِفُ عَلَى الْمِصْرَاعِ الْآخِرِ أَفْضَلُ وَأَتَمُّ وَأَحْسَنُ .
وَفِيهِ شَيْءٌ آخَرٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ سَبَباً لِأَنَّ يَعْيانِ عَنِ الْجَوَابِ ،
وَوَظَاهِرُ الْقَوْلِ يَقْتَضِيهِ .



فَأَمَّا قَوْلُهُ :

لَا تَكَلَّفَنَّ لِي الدُّمُوعَ فَإِنَّ لِي دَمْعًا يَنْمُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَفْضُلِ
وَلَقَدْ سَكَنْتُ مِنَ الصُّدُودِ إِلَى النَّوَى وَالشَّرِي أَرِي عِنْدَ أَكْلِ الحَنْظَلِ
وَكَذَاكَ طَرْفَةً حِينَ أَوْجَسَ ضَرْبَةً فِي الرَّأْسِ هَانَ عَلَيْهِ فَضْدُ الْأَكْحَلِ

.. فالبيت الأول مخالف لما عليه مذهبهم في طلب الإسعاد بالدموع ،
والإسعاد بالبكاء ، ومخالف لأول كلامه ؛ لأنه يفيد مخاطبة العذل ،
وهذا يفيد مخاطبة الرفيق ، وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الألفاظ
وتصنيفها ، دون ضبط المعاني وترتيبها ، ولذلك قال الله عز وجل :
﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا
لَا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) ، فأخبر أنهم يتبعون القول حيث توجه بهم ، واللفظ كيف
أطاعهم ، والمعاني حيث تتبع ألفاظهم ، وذلك [خلاف] ما وُضِعَ عليه
الإبانة عن المقاصد بالخطاب .

ثم لو أن هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا .. لم يكن
في ذلك شيء يفوت شعر شاعر أو كلام متكلم .

وأما قوله : (والشري أري) .. فإنه وإن كان قد تصنع له من جهة الطباق ،
ومن جهة التجنيس المقارب .. فهي كلمة ثقيلة على اللسان ، وهم يذمون
نحو هذا ، كما عابوا على [أبي] تمام قوله ^(٢) :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالنُّورَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي

ذَكَرَ لِي الصَّاحِبُ ابْنَ عِبَادٍ : أَنَّهُ جَارِي الْفَضْلِ بَنَ الْعَمِيدِ فِي مُحَاسِنِ

(١) سورة الشعراء : (٢٢٤ - ٢٢٦) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١١٦ / ٢) .

القصيدة حتى انتهى إلى هذا البيت ، فذكر له : أن قوله : (أمدحُه) معيبٌ ؛
لثقله من جهة تدارك حروف الحلق .

ثم رأيت بعد ذلك المُتقدِّمين تكلموا في هذه النكتة ، فعلمتُ أن ذلك
شيءٌ عند أهل الصَّنعة معروفٌ .

ثم إنَّ قوله : (عند أكل الحنظل) ليس بحسنٍ ولا واقعٍ .

وأما البيتُ الثالثُ .. فهو أجنبيٌّ من كلامه ، غريبٌ في طباعه ، نافرٌ من
جملة شعره ، وفيه كزازةٌ وفجاجةٌ ، وإن كان المعنى صالحاً .

قلتُ : إنَّ العاذلَ هو الرفيقُ ، وما يصدرُ منه يكونُ في رأيه نصيحةً توجبُها
الشفقةُ ، وهو عند المُحبِّ عدلٌ ، إلا أن استحسانَ الشيخِ قوله : (ماذا عليك
من انتظارٍ) .. لم تظهرُ إصابتهُ ؛ فإنَّ في معناه - جرياً على شدَّةِ مناقشته -
نوعاً من الخللِ ؛ وذلك أنَّه يدَّعي أن ليسَ على الرفيقِ ضررٌ في وقوفه
بالمنزِل ، وكيفَ وله أن يقولَ : عليَّ في ذلك إضاعةُ الوقتِ في غيرِ طائلٍ ،
وثقلُ الشغلِ بغيرِ شاغلٍ ، ثمَّ إنَّ قوله : (إن سِيلَ عَيِّ عن الجوابِ) كونهُ
حُجَّةً للعاذِلِ أولى من أن يكونَ عليه ، وأما قوله : (وكذاك طرفه) .. فهو
منتظمٌ مع سابقه ؛ فإنَّه من نوعِ اختيارِ الضَّررينِ ، وضربِ المثلِ به
صحيحٌ ، وبديعُ التلميحِ بالقصَّةِ المشهورةِ داعٍ لإيراده .



وأما قوله :

وَأَغْرَ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلِ قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مُحَجَّلِ

كَالْهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ

.. فالبيتُ الأوَّلُ لم يتفقَ له فيه خروجٌ حسنٌ ، بل هو مقطوعٌ عمَّا سلفَ

مِنَ الكَلَامِ ، وَعَامَّةُ خُرُوجِهِ نَحْوُ هَذَا ، وَهُوَ غَيْرُ بَارِعٍ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَهَذَا مَذْمُومٌ مَعِيْبٌ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ صِنَاعَتُهُ الشَّعْرَ وَهُوَ يَأْكُلُ بِهِ ، وَتَغَافَلَ عَمَّا يَدْفَعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ قَصِيْدَةٍ ، وَاسْتَهَانَ بِأَحْكَامِهِ وَتَجْوِيْدِهِ ، مَعَ تَتَبُعِهِ لِلصَّنْعَةِ الْكَثِيْرَةِ ، وَتَرْكِيبِ الْعِبَارَاتِ ، وَتَنْقِيحِ الْأَلْفَاظِ وَتَزْوِيْرِهَا . . كَانَ ذَلِكَ أَدْخَلَ فِي عَيْبِهِ ، وَأَدَلَّ عَلَى تَقْصِيْرِهِ أَوْ قُصُوْرِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : (وَأَعْرَفَ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيْمِ مُحَجَّلِي) . . فَإِنَّ ذَكَرَ التَّحْجِيْلَ فِي الْمَمْدُوْحِ لَيْسَ بِالْجَيْدِ ، وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهُ إِذَا قُرِنَ بِالْأَعْرَفِ . . حَسُنَ ، وَجَرَى مَجْرَاهُ ، وَانْخَرَطَ فِي سَلْكِهِ ، وَأَهْوَى إِلَى مِضْمَارِهِ ، وَلَمْ يَنْكُرْ ؛ لِمَكَانِ مَنْ [جَاوَرَهُ] . . فَهَذَا عَذْرٌ ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ أَحْسَنُ .

وَأِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَزِدَّ الْعَجْزَ [عَلَى] الصَّدْرِ ، وَيَأْتِي بِوَجْهِ فِي التَّجْنِيْسِ .

قُلْتُ : وَكَيْفَمَا كَانَ . . فَالتَّحْجِيْلُ فِي كَلَامِهِ لَمْ يَقَعْ مَوْقَعَهُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتُمْ أَلْعُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ » ^(١) ؛ فَالْعُرَّةُ وَالتَّحْجِيْلُ فِيهِ حَقِيقِيَانِ ، وَيَسْتَتَبِعَانِ شَرَفَ الشَّهْرَةِ ، وَالْعُرَّةُ فِي كَلَامِهِمْ لِمَجْرَدِ الشَّهْرَةِ ، وَظُهُورِ التَّمْيِيزِ ، وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ ^(٢) : [مِنَ الطَّوِيلِ]

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

وَفِيهِ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّ ظَاهَرَ كَلَامِهِ يُوْهِمُ أَنَّهَ قَدْ صَارَ مَمْتَطِيًّا الْأَعْرَةَ الْأَوَّلَ وَرَائِحًا عَلَيْهِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ (مِنْ) التَّجْرِيْدِيَّةَ لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا فِي الشَّعْرِ . . تَكُونُ أَسْرَعَ تَمَثُّلاً لِلْوَهْمِ مِنْ [مِنْ] الْاِبْتِدَائِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْمُرَادَةُ ، وَالدَّقَّةُ تَقْتَضِي التَّحْرُزَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٦) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٦) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) هُوَ لِأَبِي طَالِبِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انْظُرْ « صَحِيْحَ الْبُخَارِيِّ » (١٠٠٨ - ١٠٠٩) ، وَالْبَيْتَ بِتَمَامِهِ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالَ أَلْيَتَامَى عِضْمَةً لِأَزْرَامِلِ

عن مثله ، ولو سلمَ مِنْ ذَلِكَ . . لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأقويلِ
الناس .

فأمّا ذكرُ الهيكلِ في البيتِ الثاني ، وردّه عجزَ البيتِ عليه ، وظنُّه أنّه قد
ظفرَ بهذه اللفظة وعملَ شيئاً حتى كَرَّرَهَا . . فهي كلمةٌ فيها ثقلٌ ، ونحنُ
نجدُهُم إذا أرادوا أن يصفوا بنحوِ هذا . . قالوا : ما هو إلا صورةٌ ، وما هو إلا
تمثالٌ ، وما هو إلا دميةٌ ، وما هو إلا ظبيةٌ ، ونحو ذلك من الكلمات الخفيفةِ
على القلبِ واللسانِ .

وقد استدرِك هو أيضاً على نفسه ، فذكرَ أنّه كصورةٍ في هيكلٍ ، ولو
اقتصَرَ على ذكرِ الصورةِ وحذفِ الهيكلِ . . كان أولى وأجملَ .

ولو أنّ هذه الكلمةَ كَرَّرَهَا أصحابُ العزائمِ على الشياطينِ . . لراعَوْهم
بها ، وأفزعَوْهم بذكرِها ، وذلك من كلامِهِم ، وشبيهة بصناعتِهِم .



وأما قوله :

وَإِذَا الضُّلُوعُ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَى مُعِمِّ مَحْوِلِ
أَحْوَالِهِ لِلرُّسْتَمَيْنِ بِفَارِسِ وَجُدُودُهُ لِلتَّبَعِينَ بِمَوْكِلِ

نبل المحزم ممّا يمدح به الخيلُ ، فهو لم يأت فيه ببديع .

وقوله : (يشدُّ عقدَ حزامِهِ) داخلٌ في التكلفِ والتعسفِ ، لا يقبلُ من
مثله وإن قبلناه من غيره ؛ لأنه يتبع الألفاظ وينقدها نقداً شديداً ، فهلاً قال :
يشدُّ حزامَهُ ، أو يأتي بحشوٍ آخر سوى العقدِ ؟! فقد عَقَدَ هذا البيتَ بذكرِ
العقدِ .

ثمّ قوله : (يومَ اللقاءِ) حشوٌ آخرٌ لا يحتاجُ إليه .

وأما البيت الثاني . . فمعناه أصلح من ألفاظه ؛ لأنها غير مجانسة لطباعه ،
وفيها غلظ ونفاذ .



وأما قوله :

يَهْوِي كَمَا تَهْوِي الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ صَيْدًا وَبِتَنْتَهِبُ أَنْتِصَابَ الْأَجْدَلِ
مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا تُرَيَّانِ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ
مَا إِنْ يِعَافُ قَدَى وَلَوْ أُوْرَدَتْهُ يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ الْأَحْوَلِ
البيت الأول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق إليه ، ولم يقل ما لم يقوله ،
بل هو منقول .

وفي سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بأبدعها ، وقد يقولون : يفوت
الطرف ، ويسبق الريح ، ويجاري الوهم ، ولولا أن الإتيان على محاسن ما
قالوه في ذلك يُخْرِجُ الكلامَ عن غرض الكتاب . . لنقلت لك جملة مما
ذهبوا إليه في هذا المعنى ، فتعلم أنه لم يأت منها بما يجعل عن الوصف ،
أو يفوت منتهى الحد ، على أن الهوي يذكر عند الانقراض خاصة ، وليس
للفرس هذه الصفة في الحقيقة إلا أن يُشَبَّهَ جَدُّهُ في العدو بحالة انقراض
البازي والعقاب ، وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها .

وأما البيت الثاني . . فقوله : إن الأذنين كأنهما من ورقٍ موصلٍ ، وإنما
أراد بذلك جدتهما ، وسرعة حركتهما ، وإحساسهما بالصوت كما يحس
الورق بحفيف الريح ، وظاهر التشبيه غير واقع ، وإذا ضمن ما ذكرنا من
المعنى . . كان المعنى حسناً ، ولكن لا يدلُّ عليه اللفظ .

وليس هذا البيت برائق اللفظ ، ولا مشاكل فيه لطبعه ، غير قوله :
(متوجس برقيقتين) فإن هذا القدر حسن .

وأما البيت الثالث . . فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد ، ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره ، وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى .

والذي وقع للبحرّي في هذا البيت عندي ليس بجيد في لفظ ولا معنى ، وهو بيت وحش جداً ، قد صار قذئ في عين هذه القصيدة ، بل وخزاً فيها ووبالاً عليها ، قد كدّر صفاءها ، وأذهب بهاءها وماءها ، وطمس بظلمته سناها ، وما وجه مدح الفرس بأنه لا يعاف قذئ من المياه إذا وردها؟! كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار في قوله^(١) :

وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وإذا كان لهذا الباب مجاناً ، وعن هذا السمت بعيداً . . فهلا وصفه بعزة الشرب كما وصفه المتنبي في قوله^(٢) :

وَصُورٌ إِلَى الْمُسْتَضْعَبَاتِ بِحَيْلِهِ فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا
وهلاً سلك فيه مسلك القائل :

وَإِنِّي لِلْمَاءِ الَّذِي شَابَهُ الْقَدَى إِذَا كَثُرَتْ وُرَادُهُ لَعَيُوفٌ
ثمّ [قوله] : (ولو أوردته يوماً) حشو بارداً .

ثمّ قوله : (حمدويه الأحوال) وحش جداً ، فما أمقت هذا البيت وأبغضه !! وما أنقله وأسخفه !! وإنما غطى على عينه عيبه ، وزين له إيرادَهُ . . طمعه في الاستطراد ، وهلاً طمع فيه على وجه لا يعرض من بهجة كلامه ، ولا معنى ألفاظه؟! فقد كان يمكن ذلك ، ولا يتعدّر .

(١) انظر « ديوان بشار بن برد » (١٨٢/٤) ، والبيت بتمامه :

فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى ثَأْرِهِ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٨٠) .

قولُ الشيخ^(١) : (فهلا وصفهُ بعِزَّةِ الشربِ) وإيرادُ بيتِ المتنبي ..
 عجيبٌ !! فإنَّ ذلكَ ليسَ مِنْ صفةِ الفرسِ بعِزَّةِ الشربِ ، وإنما هوَ مِنْ صفةِ
 الممدوحِ بأنَّه يطلبُ معاليَ الأمورِ ، وأبعدَ درجاتِ المجدِ ، وأنَّه يصلُ إلى
 ما قصدَ منها ، وبالغِ في ذلكَ حتى جعلهُ قادراً على أن يوردَ خيلَهُ الشمسَ
 لو صلحتَ لذلكَ ، وليسَ معناهُ أنَّه يتخيَّرُ لخيَلِهِ المُستقى ، وقطعةُ أبي تمامٍ
 التي يقولُ الشيخُ أنَّه أوردَها في ضمنِ ما سبقَ مِنْ كلامِهِ في نوعِ الاستطرادِ ؛
 فهي فيما حكاهُ بقولِهِ^(٢) : كتبَ لي الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : أخبرني
 محمدُ بنُ يحيى ، حدَّثني محمدُ بنُ عليِّ الأنباريُّ قالَ : سمعتُ البحترِيَّ
 يقولُ : أنشدني أبو تمامٍ لنفسِهِ^(٣) :

وَسَابِحِ هَاطِلِ التَّغْدَاءِ هَتَانِ عَلَى الْجِرَاءِ أَمِينِ غَيْرِ خَوَانِ
 أَظْمَى الْفُضُوصِ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمُهُ فَحَلَّ عَيْنِيكَ فِي رِيَّانِ ظُمَانِ
 وَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَالْحَصَى فَلَوقُ بَيْنَ السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوُحْدَانِ
 أَيَقْنَتَ أَنْ لَمْ تَثَبَّتْ أَنْ حَافِرَهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ

وقالَ لي : ما هذا مِنَ الشعرِ ؟ قلتُ : لا أدري ، قالَ : هذا المستطرْدُ ، أو
 قالَ : الاستطرادُ ، قلتُ : وما معنى ذلكَ ؟ قالَ : يُري أنَّه يصفُ الفرسَ ويريدُ
 هجاءَ عثمانَ ، فقالَ : وقالَ البحترِيُّ :

مَا إِنْ يِعَافُ قَدِيَّ وَلَوْ أوردَتْهُ يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأُخُولِ
 قالَ : فقيلَ للبحترِيِّ : إنَّكَ أخذتَ هذا مِنْ أبي تمامٍ ، فقالَ : ما يُعابُ
 عليَّ أن آخذَ منهُ وأتبعَهُ فيما يقولُ !؟

(١) أراد المؤلفُ الإمامَ الباقلانيَّ .

(٢) انظر « إعجاز القرآن » (ص ١٠٤ - ١٠٥) .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٤ / ٤٣٤) .

قلتُ : وإذا كانوا يجعلونَ مِنْ أدبِ الفرسِ أَنَّهُ يَرِدُ ما أُورِدَ ، لا يَتَخَيَّرُ مورداً دونَ موردٍ ، وبذلك يقوى الانتفاعُ به ، وتشتدُّ الثقةُ بصحبتهِ في الأسفارِ ومضايقِ الأمورِ ، كما هو أدبٌ في الإنسانِ أيضاً . . لم يكنْ لانتقادِ الشيخِ موضعٌ ، وقولُهُ : (ولو أوردتهُ) هي العبارةُ التي يَحْسُنُ أن يتوصَّلَ بها إلى الهجاءِ ، ولفظُ (حمدويه الأحولِ) اسمُ المَهْجُوِّ وصفتهُ ، لا يمكنُ تبديلُهُما ، فإذا لا عيبَ في البيتِ .



فأما قولُهُ :

ذَنبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَن
عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ
تَتَوَهَّمُ الْجَوَازُءُ فِي أَرْسَاغِهِ
وَأَلْبَدُرُ فَوْقَ جَبِينِهِ الْمُتَهَلَّلِ
. . فالبيتُ الأوَّلُ وَحْشُ الابتداءِ ، مُنْقَطِعٌ عَمَّا سَبَقَ مِنَ الكلامِ ، وقد ذكرنا أَنَّهُ لا يهتدي لوصولِ الكلامِ ، ونظامِ بعضِهِ إلى بعضٍ ، وإنما يتصنَّعُ لغيرِ هذا الوجهِ ، وكانَ مِنْ سبيلِهِ ألا يخفى عليه ، ولا يذهبَ عن مثلهِ .

ثمَّ قولُهُ : (كما سُحِبَ الرِّدَاءُ) قبيحٌ في تحقيقِ التشبيهِ ، وليسَ بواقعٍ ولا مستقيمٍ في العبارةِ ، إلا على إضمارِ أَنَّهُ ذَنبٌ يسحبُهُ كما يُسحبُ [الرِّدَاءُ] .
وقولُهُ : (يذبُّ عن عُرْفٍ) ليسَ بحسنٍ ولا صادقٍ ، والمحمودُ ما ذكرَهُ امرؤُ القيسِ ، وهو قولُهُ في صفةِ الذنبِ ^(١) :

ضَافٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ

وأما قولُهُ : (تَتَوَهَّمُ الجوزاءُ في أرساغِهِ) فهو تشبيهٌ مليحٌ ، ولكنَّهُ لم

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢٣) ، والبيت بتمامه :

وَأَنْتِ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ مَرْجَهُ بِضَافٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْرَلِ

يَسْبِقُ إِلَيْهِ ، وَلَا انْفِرَدَ بِهِ ، وَلَوْ نَسَخْتُ لَكَ مَا قَالَهُ الشُّعْرَاءُ فِي تَشْبِيهِ الْغُرَّةِ
بِالْهَلَالِ وَالْبَدْرِ وَالنَّجْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَشْبِيهِ الْحَجُولِ . . . لَتَعَجَّبْتَ
مِنْ بَدَائِعِ قَدِ وَقَعُوا عَلَيْهَا ، وَأُمُورٍ مَلِيحَةٍ قَدْ ذَهَبُوا إِلَيْهَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَوْضِعَ
كَلَامِنَا ، فَتَتَبِعْ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهِمْ ؛ لِتَعْلَمَ مَا وَصَفْتُ لَكَ .

واعلم : أَنَّا تَرَكْنَا بَقِيَّةَ كَلَامِهِ فِي وَصْفِ الْفَرَسِ ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ عَشْرِينَ بَيْتًا فِي
ذَلِكَ ، وَالَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَيَّ مَا بَعْدَهُ ، وَلَا يَعْدُو مَا تَرَكْنَاهُ أَنْ
يَكُونَ مُتَوَسِّطًا إِلَى حَدِّ [لَا] يَفُوتُ طَرِيقَةَ الشُّعْرَاءِ .

ولو تَتَبَعْتَ أَقَاوِيلَ الشُّعْرَاءِ فِي وَصْفِ الْخَيْلِ . . . عَلِمْتَ أَنَّهُ وَإِنْ جَمَعَ
فَأَوْعَى ، وَحَشَرَ فَنَادَى . . . ففِيهِمْ : مَنْ سَبَقَهُ فِي مِيدَانِهِ ، وَمَنْهُمْ : مَنْ سَاوَاهُ
فِي شَأْوِهِ ، وَمَنْهُمْ : مَنْ دَانَاهُ ، فَالْقَبِيلُ وَاحِدٌ ، وَالنَّسِيخُ مُتَشَاكِلٌ ، وَلَوْلَا كِرَاهَةُ
التَّطْوِيلِ . . . لَنَقَلْتُ جَمَلَةً مِنْ أَشْعَارِهِمْ فِي ذَلِكَ ؛ لِتَقَفَ عَلَيَّ مَا قُلْتُ .

فَتَجَاوَزْنَا إِلَى الْكَلَامِ عَلَيَّ مَا قَالَهُ فِي الْمَدْحِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، قَالَ :

لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّرَفِ الَّذِي لَا يَلْحَظُ الْجُزْأَاءَ إِلَّا مِنْ عِلِّ
وَسَمَاحَةً لَوْلَا تَتَابَعُ مُزْنَهَا فِينَا لَرَّاحِ الْمُزْنُ غَيْرَ مُبْخَلِّ
وَالْجُودُ يَغْذِلُهُ عَلَيْهِ حَاتِمٌ سَرَفًا وَلَا جُودًا لِمَنْ لَمْ يُغْذَلِ

الْبَيْتُ الْأَوَّلُ مَنْقَطَعٌ عَمَّا قَبْلَهُ عَلَيَّ مَا وَصَفْنَا بِهِ شِعْرَهُ مِنْ قَطْعِهِ الْمَعَانِي ،
وَفَصْلِهِ بَيْنَهَا ، وَقِلَّةِ تَأْتِيهِ لِتَجْوِيدِ الْخُرُوجِ وَالْوَصْلِ ، وَذَلِكَ نَقْصَانٌ فِي
الصَّنَاعَةِ ، وَتَخَلُّفٌ فِي الْبِرَاعَةِ ، وَهَذَا إِذَا وَقَعَ فِي مَوَاضِعَ قَلِيلَةٍ . . . عُذِرَ فِيهَا ،
وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِنَاءُ الْغَالِبِ مِنْ كَلَامِهِ عَلَيَّ هَذَا . . . فَلَا عُذْرَ لَهُ .

وَأَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ . . . فَلَيْسَ بِشَيْءٍ مِمَّا سَبَقَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ شَيْءٌ مُشْتَرَكٌ

فيه ، وقد قالوا في نحوه الكثير الذي يصعب نقل جميعه ، وفي المعنى قال المتنبي ^(١) :

وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هَمَّةٌ زُحَلٌ مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ الثُّرْبِ مِنْ زُحَلٍ

قلتُ : لا معنى لإيراد قول المتنبي مع تأخيره عن البحري ، وكان عليه حيث أراد أن يذكر شيئاً من كلام المتقدمين كأن يقول : قال زهير مثلاً ، وينقل مثل قوله ^(٢) :

لَوْ كَانَ يُقَعَدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوْلِيهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

وأين زحل في كلام المتنبي من الجوزاء في كلام البحري؟! قال الشيخ ^(٣) : وحدثني إسماعيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل بن العميد قام لرجل ، ثم قال لمن حضره : أتدرون من هذا ؟ ثم قال : هذا الذي قال في أبيه البحري :

لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّرْفِ الَّذِي

فذلك منه استعظام للبيت بما مدح به من البيت .

والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب قريب ، وهو حديث مكرّر ، ليس ينفك مديح شاعر منه ، وكان من سبيله أن يبدع فيه زيادة إبداع ، كما قد يقع لهم في نحو هذا ، ولكن لم يتصنع له ، وأرسله إرسالاً .

والبيت الثالث وإن كان معناه مكرراً . . فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم ، يشبه ألفاظ المبتدئين ؛ يعني : أن ترتيب الكلام هكذا : والجود سرفاً يعدله حاتم عليه ؛ وذلك أن (سرفاً) يجب أن يكون مفعولاً مطلقاً للجود ؛ أي :

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢١٢) .

(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٢٠٤) .

(٣) انظر « إعجاز القرآن » (ص ٢٣٣) وما بعدها .

والجودُ جودٌ سرفٍ ، ولا يَصِحُّ أن يكونَ مفعولاً له لـ (يعذُلُ) لعدم اتحادِ
الفاعل .

وأما قوله :

فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ الْمَدَى بَعْدَ الْمَدَى كَأَفْضَالِ الْمُتَفَضِّلِ
سَارٍ إِذَا أَدْلَجَ الْعُفَاةُ إِلَى النَّدَى لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعْجَلِ
.. فالبيتُ الأوَّلُ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ ، وليسَ فيه شيءٌ غيرَ التجنيسِ الذي ليسَ
ببديعٍ ؛ لتكرُّره على كلِّ لسانٍ ، وقولُهُ : (ما أخذَ المدى) فَإِنَّهُ لَفِظٌ مَلِيحٌ ،
وهو كقولِ امرئِ القيسِ ^(١) :

سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

ولكنَّها طريقةٌ مذللةٌ ، فهو فيها تابعٌ .

وأما البيتُ الثاني .. فقريبٌ في اللفظِ والمعنى ، وقولُهُ : (لا يصنعُ
المعروفُ) ليسَ بلفظٍ محمودٍ .

قلتُ : لم يصبِ الشيخُ في دعواه انقطاعَ البيتِ عن سابقِهِ ؛ فَإِنَّهُ إِجْمَالٌ
لَهُ ، وجمعٌ لمُفْضَلِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الشَّرْفَ وَكْرَمَ الْأَعْمَالِ .. عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :
إِنَّهُ جَامِعٌ بَيْنَ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ ، لَا كَمَنْ يَنْفَرِدُ بِأَحَدِهِمَا .

وأما قوله :

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْحَسُودِ كَأَنَّمَا جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ النَّجُومِ بِأَحْبَلِ

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣١) ، والبيت بتمامه :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ
.. فالبيت الأول منكرٌ جداً في جرِّ النجوم بالأحبل [مِنْ] موضعه إلى العلوِّ ،
والتكلف فيه واقع .

والبيت الثاني أجنبيٌّ عنه ، بعيدٌ منه ، وافتتاحه رديءٌ ، وما وجه الاستفهام
والتقرير والاستبانة [والتوقيف] [والبيتان] أجنبيان مِنْ كلامه ، غريبان في
قصيدته ، ولم يقع له في المدح في هذه القصيدة شيءٌ جيدٌ ، ألا ترى أَنَّهُ
قال بعد ذلك :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ فَتَى يُوفِي عَلَى ظَلَمِ الْخُطُوبِ فَتَنْجَلِي
إِنِّي أُرِيدُ أَبَا سَعِيدٍ وَالْعِدَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَحَابِهِ الْمُتَهَلِّلِ
كَأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ طَبَعِهِ ، وَلَا مِنْ سَبْكِهِ .



وقوله :

مُضْرُ الْجَزِيرَةِ كُلُّهَا وَرَبِيعَةُ أُلْدِ خَابُورِ تُوعِدُنِي وَأَزْدُ الْمَوْصِلِ
قَدْ جُدَّتْ بِالطَّرْفِ الْجَوَادِ فَثَنَّتِهِ لِأَخِيكَ مِنْ أَدَدِ أَبِيكَ بِمُنْضِلِ
البيت الأول حسنُ المعنى وإن كانت ألفاظه بذكر الأماكن لا يتأتى فيه
التحسين ، وهذا المعنى قد يمكنُ إيرادُه بأحسنٍ مِنْ هذا اللفظِ وأبدع منه
وأرقُّ منه ؛ كقوله (١) :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيَّ بِنُوتِمِيمِ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا
والبيت الثاني قد تعدَّرَ عليه وصلُّه بما سبقَ مِنَ الكلامِ على وجهِ

(١) تقدم (٤٦٠/٣) .

يلطفُ وهو قبيحُ اللفظِ حيثُ يقولُ فيه : (فثَنَهُ لِأَخِيكَ مِنْ أَدَدِ أَبِيكَ) ،
مِنْ أَخَذِهِ بِهِذَا التَّعَرُّضِ لِهَذَا السَّجْعِ ، وَذَكَرَ هَذَا النَّسْبِ ، حَتَّى أَفْسَدَ بِهِ
شِعْرَهُ .

في قولِ الشيخِ : (وهذا المعنى يمكنُ ...) إلى آخِرِهِ .. نَظْرًا .

وأما قوله بعد ذلك في وصفِ السيفِ ، يقولُ :

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ أَلْبَعِيدَ مَنَالُهُ عَفْوًا وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ الْمُقْفَلِ
بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٍ وَمَضْقُوقٍ وَإِنْ لَمْ يُضَقَّلِ
ليسَ لفظُ البيتِ الأوَّلِ بُمضاهِ لِدِيابَجَةِ شِعْرِهِ ، وَلَا لَهُ بِهِجَةُ نَظْمِهِ ؛ لِظَهْوَرِ
أَثْرِ التَّكْلِيفِ عَلَيْهِ ، وَتَبَيُّنِ الثَّقَلِ فِيهِ .

وأما القضاءُ المقفلُ وفتحهُ .. فكلامٌ غيرُ محمودٍ ولا مرضيٍّ ، واستعارةٌ
لو لم يستعزها .. كانَ أولى بهِ ، وهَلَّا عَيَّبَ عَلَيْهِ كَمَا عَيَّبَ عَلَيَّ أَبِي تَمَامِ
قَوْلُهُ ^(١) :

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتَهُ عَوْدًا رَكُوبًا
وقالوا : يَسْتَحِقُّ بِهَذِهِ الاسْتِعَارَةِ أَنْ يُصَفَعَ فِي أَخْدَعِيهِ ، وَقَدْ اتَّبَعَهُ الْبَحْتَرِيُّ
فِي اسْتِعَارَةِ الْأَخْدَعِ وَلَوْعًا بِاتِّبَاعِهِ ، فَقَالَ فِي الْفَتْحِ ^(٢) :

وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي

(١) انظر «ديوان أبي تمام» (١/١٦٦) .

(٢) انظر «ديوان البحتري» (٢/١٢٤١) ، والبيت في الفتح بن خاقان ، وهو بتمامه :

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْعُلَا وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي

أي : فَإِنَّ الْعَادَةَ أَنْ يُقَالَ : أَعْتَقْتَنِي أَوْ أَعْتَقْتَ عُنُقِي ، قَالَ الشَّيْخُ : إِنَّ شَيْطَانَهُ - حَيْثُ زَيْنَ لَهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ ، وَتَابَعَهُ حِينَ حَسَّنَ عِنْدَهُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ - لَخَبِيثٌ مَارِدٌ ، وَرَدِيٌّ مَعَانِدٌ ، أَرَادَ أَنْ يَطْلُقَ أَعْتَةَ الدِّمِّ فِيهِ ، وَيُسْرِخَ جِيوشَ الْعَتَبِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِقِفْلِ الْقَضَاءِ حَتَّى جَعَلَ لِلْحَتْفِ ظُلْمَةً تُجَلِّي بِالسِّيفِ ، وَجَعَلَ السِّيفَ هَادِيًا فِي النَّفْسِ الْمَجْهَلِ الَّذِي لَا يُهْتَدَى إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا مَعَ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَنْمِيقِهِ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّ السَّلَاحَ وَإِنْ كَانَ مَعِيْبًا فَإِنَّهُ يَهْتَدَى إِلَى النَّفْسِ ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَبْدَعَ فِي هَذَا إِبْدَاعَ الْمُتَنَبِّي فِي قَوْلِهِ ^(١) : [من الوافر]

كَأَنَّ أَلْهَامَ فِي أَلْهَيْجَا عِيُونَ وَقَدْ طَبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ
 وَقَدْ صُنِعَتْ أَلْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

فالاقتداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن .

وفي البيت الأول شيء آخر ؛ وذلك أن قوله : (وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حَشْوٌ رَدِيٌّ يَلْحَقُ بِصَاحِبِهِ اللَّكْنَةُ ، وَيَلْزِمُهُ الْهَجْنَةُ .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّلَاثُ . . فَإِنَّهُ أَصْلَحُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَإِنْ كَانَ ذِكْرُ الْفَارَسِ حَشْوًا وَتَكْلُفًا وَلَغْوًا ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يَتَغَيَّرُ بِالْفَارَسِ وَالرَّاجِلِ ، عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ بَدِيعٌ .

يعني : كَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ : (مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تَمُضِهِ يَدٌ بَطَلٍ) كَمَا قَالَ الطُّغْرَايِّيُّ ^(٢) :

[من البسيط]

فَعَادَةُ النَّضْلِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيِ بَطَلٍ



(١) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٦١) .
 (٢) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٧) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

يَغْشَى الْوَعَا فَالْتُرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَالْدِرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلٍ
مُصْنَعٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ
مَتَوَقِّدٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدْبُلِ

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه ؛ وهي طريقته التي لا يتجنبها ، وذلك من السبك الكتابي والكلام المعتدل ، إلا أنه لم يبدع فيهما بشيء ، وقد زيد عليه فيهما .

ومن قصد إلى أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف . . فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة وأمور مذكورة ، وسبيله أن يُغرب ويبدع كما أبدع المتنبي في قوله^(١) :

سَلَّهُ الرِّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ
هذا في بابِ صقاله وأضوائه وكثرة مائه ، وكقوله^(٢) : [من الكامل]

رِيَّانٌ لَوْ قَدَفَ الَّذِي أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهَجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ
وقوله : (مصنع إلى حكم الردى) - إن تأملتَهُ - مقلوب ، كان ينبغي أن يقول : يصغي الردى إلى حكمه ، كما قال الآخر^(٣) : [من البسيط]

فَالسَّيْفُ يَأْمُرُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٥٩) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٤) .

(٣) البيت لصريع الغواني في « ديوانه » (ص ٣١٤) ، والبيت بتمامه :

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَسٍ فَالسَّيْفُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ
هكذا في « الديوان » : (يلحظ) بدل : (يأمر) .

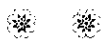
وقوله: (وإذا قضى . . لم يعدل) مُتَكَرِّرٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فِي الشَّعْرِ خَاصَّةً
فِي نَفْسِ هَذَا الْمَعْنَى .

والبَيْتُ الثَّالِثُ سَلِيمٌ ، وَهُوَ كَالأَوَّلَيْنِ فِي خُلُوهِ عَنِ الْبَدِيعِ .

قَوْلُ الْمُتَنَبِّي : (سَلَهُ الرَّكْضُ . . .) الْبَيْتُ فِي صِفَةِ السَّيْفِ بِالْإِضَاءَةِ
وَاللِّمَعَانِ ، وَمَعْنَاهُ : اتَّفَقَ أَنَّهُ انْسَلَّ بِسَبَبِ رَكْضٍ مُتَقَلِّدِهِ وَهُوَ بِنَجْدٍ ، فَبَرَقَ حَتَّى
بَلَغَ أَرْضَ الْحِجَازِ بَرِيقُهُ وَلِمَعَانُهُ ، فَحَسَبُوهُ بَرَقًا ، فَتَصَدَّوْا لِمَا يَعْقِبُهُ مِنَ الْمَطْرِ .

وقوله: (ريانُ لو قذفَ) صفةٌ له بكثرة القتْلِ به ، فيعني أَنَّهُ شَرِبَ نَفُوسَ
قَتْلَاهُ ، فَلَوْ قَذَفَ مَا شَرِبَهُ مِنَ الأَرْوَاحِ . . لَجَرَى مِنْهَا بَحْرٌ ، فَهُوَ فِي مَعْنَاهُ
كقوله^(١) :

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهَبْتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ



قال الشَّيْخُ^(٢) : وَأَمَّا قَوْلُهُ :

فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ
وَكَأَنَّمَا سُودُ النِّمَالِ وَحُمُرُهَا دَبَّتْ بِأَيْدِي فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلِ

البَيْتُ الأَوَّلُ يَقْصُدُ بِهِ صِنْعَةَ اللَّفْظِ ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُتَفَاوِتٌ ؛ لِأَنَّ
المَضْرِبَ قَدْ لَا يَكُونُ مَقْتَلًا ، وَقَدْ يُطَلِّقُ الشُّعْرَاءُ ذَلِكَ ، وَيُرُونَ أَنَّ هَذَا أْبَدَعُ
مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي ، وَأَنَّهُ بِضِدِّهِ^(٣) :

يُقْتَلُ السَّيْفُ فِي جِسْمِ القَتِيلِ بِهِ وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالٌ

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٥) .

(٢) عودٌ إلى « إعجاز القرآن » (ص ٢٣٨) وما بعدها .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٧) ، وفيه : (القاتل) بدل (يقتل) .

وهذه طريقة لهم يَتَمَدَّحُونَ بها في [قصف] الرمح طعنًا ، وتقطيعِ السيفِ ضرباً .

وفي قوله : (وإذا أُصِيبَ فما له مِنْ مَقْتَلٍ) تَعَسَّفْتُ ؛ لَأَنَّهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْكَسِرُ ، فَالتَّعْيِيرُ بِمَا عَبَّرَ بِهِ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَا يَتَضَمَّنُ التَّكْلُفَ وَضَرْبًا مِنَ الْمُحَالِ ، وَلَيْسَ بِالنَّادِرِ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمْلَةُ مَا حَكِينًا عَنْ غَيْرِهِ ، وَنَحْوَهُ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الزَّمَانِ :

يُقَصِّفُ فِي الْفَارِسِ السَّمْهَرِيِّ وَصَدَرَ الْحُسَامِ فَرِيقًا فَرِيقًا
وَالْبَيْتُ الثَّانِي أَيْضًا هُوَ مَعْنَى مُكْرَّرٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الشُّعْرَاءِ ، [وَأَمَّا] تَصْنِيعُهُ بِسُودِ النَّمْلِ وَحَمْرِهَا . . فَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِالْحَمْرِ الذَّرَّ ، وَالتَّفْصِيلُ بَارِدٌ ، وَالْإِغْرَابُ بِهِ مَنْكَرٌ ، وَهُوَ كَمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ كَذَا حِينَ كَانَتْ الثَّرِيًّا بِحِذَاءِ رَأْسِي عَلَى سِوَاءٍ ، أَوْ مُنْحَرِفَةً قَدَرِ شَبْرٍ ، أَوْ نَصْفِ شَبْرٍ ، أَوْ إِصْبِعٍ ، أَوْ مَا يَقَارِبُ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا مِنَ الْوَرَعِ الَّذِي يَبْغِضُهُ اللَّهُ وَيَمَقِّتُهُ النَّاسُ ، وَرُبَّ زِيَادَةٍ كَانَتْ نَقْصَانًا .

وصفة النمل بالسواد والحمرة في هذا من ذلك الجنس ، وعليه خرج بقية البيت في قوله : (دَبَّتْ بِأَيْدِي فِي قَرَاهُ وَأَرْجَلِي) ، وَكَانَ يَكْفِي ذِكْرَ الْأَرْجَلِ عَنْ ذِكْرِ الْأَيْدِي ، وَوَصْفَ الْفَرْنِدِ بِدَبِّ النَّمْلِ شَيْءٌ لَا يَشِدُّ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ .

قلتُ : بَلْ كَانَ يَكْفِي ذِكْرُ دَبِّبِ النَّمْلِ دُونَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجَلِ ، كَمَا قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ ^(١) :

وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حَمْرًا أَلْمَنَايَا وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالًا

(١) انظر « شروح سقط الزند » (١ / ١٠٤) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

وَكَانَ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَضَوَى بِهِ الرَّزَّ خَفَانَ يَعْصِي بِالسِّمَاكِ الْأَعْرَلِ
حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذُبَلِ
البيت الأول منهما فيه ضربٌ من التكلفِ ، وهو منقولٌ من أشعارهم
وألفاظهم ، كما قيل^(١) :

[قَمْرًا] يَشُدُّ عَلَى الرَّجَالِ بِكُوكَبِ

فجعل ذلك الكوكب السِّمَاكِ ، واحتاج إلى أن يجعله أعزل للقافية ، ولو لم يحتج إلى ذلك . . كان خيراً له ؛ لأن الصفة في هذا الموضع تغضُّ منه ، وموضع التكلف الذي ادعينا الحشو الذي ذكره من قوله : (إذا استضوى به الزحفان) ، وكان يكفي أن يقول : كان صاحبه يعصي بالسِّمَاكِ ، وهذا وإن كان قد يعمل فيه اللفظ . . فهو لغوٌ على ما بيَّنا .

وَأَمَّا البيت الثاني . . ففيه لغوٌ من جهة قوله : (حمائله القديمة) ولا فضيلة له في ذلك ، ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة ، والكلام الرَّذَلِ النَّذَلِ ؛ لأن العامة قد يتفق منها تشبيه واقع حسنٌ .

ثم انظر إلى هذا المقطع الذي هو بالعبي أشبه منه بالفصاحة ، وإلى اللكنة أقرب منه إلى البراعة .

وقد بيَّنا أن مراعاة الفواتح والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه . . مما لا بد منه ، وأن الإخلال بذلك يُخلُّ بالنظم ، ويذهب رونقه ، ويُحيلُ بهجته ، ويأخذ ماءً وبهاءً .

(١) والبيت بتمامه :

وَسَرَاهُ فِي ظُلْمِ أَلْوَعَى فَتَحَالَهُ قَمْرًا يَشُدُّ عَلَى الرَّجَالِ بِكُوكَبِ

وقد أطلت عليك فيما نقلت ، وتكلّفت ما سطرث ؛ لأنّ هذا القبيل قبيلٌ
موضوعٌ ، مُتعمِّلٌ مصنوعٌ .

وأصلُ البابِ في الشعرِ : على أن ينظرَ إلى جملةِ القصّةِ ، ثمّ يتعمَّلَ
الألفاظَ ، ولا ينظرَ بعدَ ذلكَ إلى مواقعِها ، ولا يتأمَّلَ مطارِحَها ، وقد يقصدُ
تارةً إلى تحقيقِ الأغراضِ وتصويرِ المعاني التي في النفوسِ ، ولكِنَّهُ يلحقُ
بأصلِ بابِهِ ، [ويميلُ] بكَ إلى موضِعِهِ ، وبحسَبِ الاهتمامِ بالصنعةِ يقعُ فيها
التفاضلُ .

وإن أردتَ أن تعرفَ أوصافَ الفرسِ . . فقد ذكرتُ لكَ أنّ الشعراءَ قد
تصرّفوا في ذلكَ بما يقعُ إليك - إن كنتَ من أهلِ الصنعةِ - ممّا يطولُ عليّ
نقلُهُ وكذلكَ في السيفِ .

وذكرَ بعضُ أهلِ الأدبِ أنّ أحسنَ قطعةٍ في السيفِ قولُ أبي الهولِ
الحميريِّ^(١) :

حَاذَ صَمُصَامَةَ الزُّبَيْدِيِّ مِنْ بَيْدِ	مِنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ مُوسَى الْأَمِينُ
سَيْفَ عَمْرٍو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا	خَيْرَ مَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِ الْجُفُونُ
أَخْضَرَ اللَّوْنَ بَيْنَ بُزْدِيهِ حَدُّ	مِنْ دُعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ الْمَنُونُ
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا	ثُمَّ شَابَتْ لَهُ الدُّعَافُ الْقُيُونُ
فَإِذَا مَا شَهَزْتَهُ بِهِرَ الشَّمْسِ	مِنْ ضِيَاءٍ فَلَمْ تَكُذْ تَسْتَبِينُ
يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارَ [كَالْقَبَسِ] الْمُشْدِ	عَلِي لَا تَسْتَقِيمُ فِيهِ الْعُيُونُ
وَكَأَنَّ الْفِرْنِدَ وَالرَّوْتَقَ الْجَا	رِي فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ

(١) انظر « الحيوان » للجاحظ (٨٧/٥ - ٨٨) .

نِعْمَ مِخْرَاقُ ذِي الْحَفِيظَةِ فِي الْهَيْدِ جَاءَ يَعْصِي بِهِ وَنِعْمَ الْقَرِينُ
مَا يُبَالِي إِذَا أَنْتَضَاهُ لِضَرْبِ أَشْمَالٍ سَطَّتْ بِهِ أَمَّ يَمِينُ
وإنَّما يُوازِنُ شعْرُ البَحْتَرِيِّ بِشعرِ شاعِرٍ مِنْ طبقتِهِ ، وَمِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَمَنْ
هُوَ فِي مِضْمَارِهِ وَفِي مَنْزِلَتِهِ .

ومعرفةً أجناسِ الكلامِ ، والوقوفُ على أسرارِهِ ، والوقوفُ على مقدارِهِ ..
شيءٌ وإن كانَ عزيزاً وأمرٌ وإن كانَ بعيداً ، فهو سهلٌ على أهله ، مستجيبٌ
لأصحابِهِ ، مطيعٌ لأربابه ، ينقدونَ الحروفَ ، ويعرفونَ الصروفَ .

وإنَّما تبقى الشُّبُهَةُ في ترتيبِ الحالِ مِنَ البَحْتَرِيِّ وأبي تمامٍ وابنِ الروميِّ
وغيرِهِ ، ونحنُ وإن كنا نُفضِّلُ البَحْتَرِيَّ بديباجةِ شعرِهِ على ابنِ الروميِّ
وغيرِهِ مِنْ أَهْلِ زمانِهِ ، ونُقَدِّمُهُ بحسنِ عبارتِهِ ، وسلاسةِ كلامِهِ ، وعذوبةِ
ألفاظِهِ ، وقِلَّةِ تعقُّدِ قولِهِ .. فالشعرُ قبيلٌ ملتئمٌ مستدرِكٌ ، وأمرٌ ممكنٌ
مطيعٌ^(١) .



(١) إلى هنا النقل عن « إعجاز القرآن » (ص ٢٤٣) للإمام الباقلاني .

[ذكُرُ قَصِيدَتَيْنِ مُسْتَجَادَتَيْنِ لِلْبَحْتَرِيِّ]

وهذه القصيدة التي تكلّم بانتقادٍ بعضها هذا الشيخُ رضي الله عنه ،
ونقلَ عنِ البحتريِّ أنّها أجودُ شعره . . قد امتدَحَ بها أحدَ أعيانِ زمانه مِن
الكتّبةِ محمدَ بنِ عليِّ [بنِ] عيسى القميِّ ، ورأيتُ إثباتها هنا ، وتعقيبها
بالقصيدة التي استجادها الأستاذُ أبو الفضلِ بنُ العميدِ أحدُ مشايخِ الكتّابِ ،
وشيخِ الصّاحبِ إسماعيلَ بنِ عبّادٍ في دولةِ بني بويهَ تعجيلاً للفائدة .

[القصيدةُ الأولى : (أهلاً بذلكم الخيالِ المقبلِ)]

هذه القصيدةُ الأولى :

أَهْلًا بِذَلِكُمْ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ
بِزُقِّ سَرَى فِي بَطْنِ وَجْرَةَ فَاهْتَدَتْ بِسَنَاهُ أَعْنَاقُ الرِّكَابِ الضُّلَلِ
الأعناقُ هنا : جمعُ عنقٍ ؛ وهو الجماعةُ مِنَ الناسِ ، أو العضوُ المخصوصُ ،
فيكونُ مجازاً بعلاقةِ الجزئيةِ ؛ إذ العنقُ موضعُ استبانةِ الهدايةِ ، فإنّه أوّلُ ما
يميلُ ويعتدلُ عندَ سلوكِ السبيلِ ، فكأنّه قالَ : فاهتدَتْ بسناهُ إبلُ الركابِ ،
أو جملُ الركابِ .

مِنْ عَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمَنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْدُلِ
كَالْبَدْرِ غَيْرِ مُخَيَّلٍ وَالْغُضَنِ غَيْدِ رَ مُمَيَّلٍ وَالِدِغْصِ غَيْرِ مُهَيَّلِ
مَا الْحُسْنُ عِنْدَكَ يَا سَعَادُ بِمُحْسِنِ فِيمَا أَتَاهُ وَلَا الْجَمَالُ بِمُجْمَلِ
عُدَلِ الْمَشُوقِ وَإِنَّ مِنْ سِيمَا الْهَوَى فِي حَيْثُ تَجْهَلُهُ لَجَاجِ الْعُدَلِ
مَاذَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْتِظَارِ مُتَيِّمِ بَلْ مَا يَضُرُّكَ وَقَفَّةٌ فِي مَنْزِلِ

إِنَّ سَيْلَ عَيِّي عَنِ الْجَوَابِ وَلَمْ يُطِقْ
 لَا تَكْلَفَنَّ لِي الدُّمُوعَ فَإِنَّ لِي
 وَلَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى الصُّدُودِ مِنَ النَّوَى
 وَكَذَلِكَ طَرْفُهُ حِينَ أَوْجَسَ ضَرْبَةً
 وَأَعْرَجَ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ
 كَالْهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ
 وَافِي الضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِرَامِهِ
 أَخْوَالُهُ لِلرُّسْتُمِينَ بِفَارِسِ
 يَهْوِي كَمَا تَهْوِي الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ
 تُتَوَّهُمُ الْجَوُزَاءُ فِي أَرْسَاعِهِ
 مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا
 ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ
 جَذْلَانِ يَنْفُضُ عُذْرَةَ فِي غُرَّةِ

العُدْرَةُ : الشَّعْرُ النَّازِلُ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّأْسِ ، وَيَقْقُ : شَدِيدُ الْبِيَاضِ ، وَالْإِضَافَةُ
 فِي (حَجُولَهَا) - أَيِ : الْغُرَّةِ - لِأَدْنَى مَلَابِسَةٍ ؛ لِجَرِيَانِ الْعَادَةِ بِجَمْعِ الْغُرَّةِ
 وَالتَّحْجِيلِ فِي الذِّكْرِ .

كَالرَّائِحِ النَّشْوَانِ أَكْثَرُ مَشِيهِ
 فِيهِ بِنَاطِرِهَا حَدِيدُ الْأَسْفَلِ

أَي : أَعَالِيهِ ذَهَبِيَّةُ اللَّوْنِ ، وَأَسْفَلُهُ حَدِيدِيَّةُ الْقُوَّةِ .

صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُنِيَتْ بِهِ لِيَصْفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِسُ صَيْقَلِ
النُّقْبَةُ - بضم فسكون - : اللُّونُ ، والمدوسُ : آله الصقال .

وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا صَهْبَاءُ لِلْبَرْدَانِ أَوْ قَطْرُئِلِ
الْبَرْدَانِ - بفتح تين - : قرية بناحية بغداد .

لَيْسَ [الْقَنُوءُ] مُزْعَفَرًا وَمُعْضَفَرًا يَدْمَى فَرَاخَ كَأَنَّهُ فِي خَيْعَلِ
وَكَأَنَّمَا كَسِي الْأَخْدُودَ نَوَاعِمًا مَهْمَا تَوَاصَلَهَا بِلَحْظِ تَخْجَلِ
الْخَيْعَلُ : قميصٌ ليس له كَمَانِ .

وَتَرَاهُ يَسْطَعُ فِي الْعُغْبَارِ لَهَيْبُهُ لُونًا وَشَدًّا كَالْحَرِيقِ الْمُشْعَلِ
وَتَظُنُّ رَيْعَانَ الشَّبَابِ يَزُوعُهُ مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ
هَزِجُ الصَّهِيلِ كَأَنَّ فِي نَعْمَاتِهِ نَبْرَاتُ مَعْبَدٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ
مَلِكِ الْعُيُونِ فَإِنْ بَدَا أَعْطَيْنَهُ نَظَرَ الْمُجِيبِ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ
مَا إِنْ يِعَافُ قَدَى وَلَوْ أوردَتْهُ يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ
لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّرَفِ الَّذِي لَا يَلْحَظُ الْجُوزَاءَ إِلَّا مِنْ عِلِ
وَسَمَاحَةً لَوْلَا تَتَابَعُ مُزْنِهَا فِينَا لَرَاحَ الْمُزْنُ غَيْرَ مُبْخَلِ
وَأَلْجُودُ يَغْدِلُهُ عَلَيْهِ حَاتِمٌ سَرَفًا وَلَا جُودًا لِمَنْ لَمْ يُغْدَلِ
فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ الْمَدَى بَعْدَ الْمَدَى كَالْفَاضِلِ الْمُتَفَضِّلِ
سَارٍ إِذَا أَدْلَجَ الْعُفَاةَ إِلَى النَّدَى لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعْجَلِ
عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْعُيُونِ كَأَنَّمَا جَذَبْتَهُ أَفْرَادَ النُّجُومِ بِأَحْبَلِ
أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

ضَيْفٌ لَهُمْ يَقْرِي الضُّيُوفَ وَنَازِلٌ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ فَتَى
 إِنِّي أُرِيدُ أَبَا سَعِيدٍ وَالْعِدَا
 مُضْرُ الْجَزِيرَةَ كُلَّهَا وَرَبِيعَةَ أَد
 قَدْ جُدْتُ بِالطَّرْفِ الْجَوَادِ فَثَنِيهِ
 يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَالُهُ
 بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ [حَتْفٍ] مُظْلِمٍ
 مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ
 يَغْشَى الْوَعْيَى فَالْتُّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ
 مُضْعٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى
 مُتَأَلِّقٌ يَقْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ
 وَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ
 وَكَأَنَّمَا سُودُ النِّمَالِ وَحُمْرُهَا
 وَكَأَنَّ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَضَوَى بِهِ الزَّرَّ
 حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً
 السِّمَّاكُ الْأَعْزَلُ : أَحَدُ السِّمَّاكَيْنِ .

والآخَرُ : السِّمَّاكُ الرَّامِحُ .

فالأعزلُ : ما لا رمح معه ، والرامحُ : ما معه رمحٌ ، ولأبي العلاء المعريِّ

وفيه ذكرُ السِّمَّاكَيْنِ^(١) :

[من الكامل]

لَا تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ حَظِّ آلَةٍ قَلَمُ الْبَلِيغِ بِغَيْرِ حَظِّ مِغْزَلٍ
سَكَنَ السِّمَّاكَانِ السَّمَاءِ كِلَاهُمَا هَذَا لَهُ رُمُحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ

[القصيدةُ الثانيةُ : (في الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ)]

وهذه القصيدةُ الثانيةُ مدحٌ بها أحدُ أمراءِ زمانِهِ عليّ الأرميني^(٢) : [من البسيط]

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجْرُ
إِبْيَضٌ مَا أَسْوَدَ مِنْ فَوْدِيهِ وَأَزْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحْرُ
وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الْحُبِّ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ
قَالَتْ مَشِيْبٌ وَعِشْقٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ
وَعَيَّرْتَنِي سِجَالِ الْعُدْمِ جَاهِلَةٌ وَالنَّبْعُ عُرْيَانٌ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرُ

النَّبْعُ : شَجْرٌ تُعْمَلُ مِنْهُ الْقِسِيُّ ، فَإِنْ نَبَتَ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ . . كَانَ صُلْبًا ؛
لَا سْتِيفَاءَ حَظِّهِ مِنَ الشَّمْسِ وَجَفَافِ الْهَوَاءِ ، وَخُصَّ بِاسْمِ النَّبْعِ ، وَإِنْ نَبَتَ فِي
وَسَطِ الْجَبَلِ . . كَانَ مُتَوَسِّطًا وَسُمِّيَ بِالشُّوْحِطِ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ ، وَإِنْ نَبَتَ فِي أَسْفَلِ
الْجَبَلِ . . كَانَ رِخْوًا ، وَسُمِّيَ غَرَبًا بِفَتْحَتَيْنِ .

وفي الرِّدِّ عَلَى الْبَحْتَرِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْمِغَالِطَةِ الْأَدْبِيَّةِ حَيْثُ قَالَ : إِنَّهُ لَا ثَمَرَ

لِلنَّبْعِ ، وَقَدْ صَدَقَ . . يَقُولُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ^(٣) :

[من الطويل]

وَقَالَ الْوَلِيدُ النَّبْعُ لَيْسَ بِمُثْمِرٍ وَأَخْطَأَ سِرْبُ الْوُحْشِ مِنْ ثَمَرِ النَّبْعِ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٢/١) ، وعزاهما فيه لأبي العلاء المعري .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٩٥٣/٢ - ٩٥٨) ، وفيه أن الممدوح - كما سيأتي التصريح به - هو علي بن
مُرِّ الطائفي .

(٣) انظر « شروح سقط الزند » (١٣٤٨/٣) .

يعني : أَنَّهُ تَتَّخِذُ مِنْهُ الْقِسْيَ ، فَيُصَادُ بِهَا الْوَحْشُ ، فَذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِهِ
وِثْمَرَاتِهِ ، وَالسِّجَالُ : النَّوْبُ ، كَمَا يُقَالُ : الْحَرْبُ سِجَالٌ ؛ أَي : مَرَّةً لِهَيْوَلَاءِ ،
وَمَرَّةً لِأَوْلِيَانِكَ .

عَزَى عَنِ الْخَطِّ أَنَّ الْعَجَزَ يُدْرِكُهُ وَهَوْنَ الْعُسْرِ عِلْمِي فِيمَنْ أَلْيَسُرُ
وَمَا الْفَقِيرُ الَّذِي عَيَّرَتْ آوَنَةٌ بَلِ الزَّمَانُ إِلَى الْأَحْرَارِ مُفْتَقِرُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيَةٌ يَنَالُهَا الْفَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّورُ
جَهْلٌ وَبُخْلٌ وَحَسْبُ الْمَرْءِ وَاحِدَةٌ مِنْ تَيْنٍ حَتَّى يُعْفَى خَلْفَهُ الْأَثَرُ
إِذَا مَحَاسِنِي أَلَّاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
أَهْرُ بِالشَّعْرِ أَقْوَاماً ذَوِي وَسْنٍ فِي الْجَهْلِ لَوْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا
عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ أَلْبَقَرُ
لَأَرْحَلَنَّ وَأَمَالِي مُطَرَّحَةٌ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى مُسْتَبْطِطاً لَهَا الْقَدْرُ

سُرٌّ مَنْ رَأَى : بَلَدٌ بَنَاهَا الْمُعْتَصِمُ ، فَلَمَّا نَزَلَهَا . . قَالُوا اسْتَحْسَاناً لَهَا :
سُرٌّ مَنْ رَأَى ؛ أَي : حَصَلَ الشُّرُورُ لِمَنْ رَأَى تِلْكَ الْبَلَدَ ، فَصَارَ لَهَا اسْمًا ،
وَيُقَالُ : سُرٌّ مَنْ رَأَى ، بِالْقَلْبِ الْمَكَانِيَّ كَمَا هُوَ فِي الشَّعْرِ ، وَسُرٌّ مَرًّا ، بِحَذْفِ
الْهَمْزَةِ .

أَبْعَدَ عِشْرِينَ شَهْرًا لَا جَدَى فَيَرَى بِهِ أَنْصِرَافٌ وَلَا وَعْدٌ فَيُنْتَظَرُ
لَوْلَا عَلَيَّ بِنُ مُرٍّ لَأَسْتَمَرَ بِنَا خِلْفٌ مِنَ الْعَيْشِ فِيهِ الصَّابُ وَالصَّبِيرُ
عَدْنَا بِأَرْوَاحِ أَقْصَى نَيْلِهِ كَثَبٌ عَلَى الْعُفَاةِ وَأَدْنَى سَعِيهِ سَفَرُ
أَلَحَّ جُودًا وَلَمْ تَضُرُّ سَحَائِبُهُ وَرَبَّمَا ضَرَّ فِي الْإِحَاحِ الْمَطَرُ
لَا يُثَعِبُ النَّائِلُ الْمَبْدُولُ هِمَّتَهُ وَكَيْفَ يُثَعِبُ عَيْنَ النَّاطِرِ النَّظَرُ

وَفَرَاءَ يَحْضُرُ أُخْرَىٰ مِثْلَهَا الْحَضْرُ
 إِنَّ الْغَمَامَ قَلِيبٌ لَيْسَ يُحْتَفَرُ
 وَسَطَ النَّدِيِّ وَلَا فِي خَدِّهِ صَعْرُ
 وَمِسْعَرُ وَشَهَابُ الْحَرْبِ مُسْتَعِرُ
 مَا فِي الْغُيُوبِ الَّتِي تَخْفَى فَتَسْتَتِرُ
 عَنِ الْخُطُوبِ الَّتِي تَعْرُو وَلَا كِبَرُ
 فَلَيْسَ يُزْرِي بِهِ طَوْلٌ وَلَا قِصْرُ
 ذَوِي الْحِجَا وَهُوَ [غَرٌّ بَيْنَهُمْ] غُمْرُ
 وَكَانَ كَالسَّيْفِ إِذْ آرَاؤُهُ زُبُرُ
 كَأَنَّهُ لِسُكُونِ الْجَاشِ مُنْحَدِرُ
 لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْعَلِيَاءِ مُخْتَصِرُ
 مِنْهُ وَمُرٌّ إِذَا أَحْفَظْتَهُ مَقْرُ

حميتُ : شديدُ الحلاوة ، ومقَرٌّ : شديدُ المرارة .

السَّيْلُ بِاللَّيْلِ لَا يُبْقِي وَلَا يَذْرُ
 إِذَا تَنَمَّرَ فِي إِقْدَامِهِ النَّمْرُ
 حَتَّى يَرْوَحَ وَفِي أَظْفَارِهِ الظَّفْرُ
 عَلِمًا بِأَنْ سَوْفَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ
 يَكَادُ يُقَمِّرُ مِنْ لَأَلَائِهِ الْقَمَرُ
 خُطَامَ نَبْهَانَ وَهِيَ الشُّوكُ وَالشَّجَرُ

بَدَتْ عَلَى الْبَدْوِ نُعْمَىٰ مِنْهُ سَابِغَةٌ
 مَوَاهِبٌ مَا تَجَشَّمْنَا السُّؤَالَ لَهَا
 يُهَابٌ فِينَا وَمَا فِي لَحْظِهِ شَرٌّ
 بَزْدُ الْحَشَا وَهَجِيرُ الرَّوْعِ مُخْتَفِلُ
 إِذَا أَرْتَقَىٰ فِي أَعَالِي الرَّأْيِ لَاحَ لَهُ
 تَوَسَّطَ الدَّهْرُ أَحْوَالًا فَلَا صِغْرُ
 كَالرُّمْحِ أَذْرُعُهُ عَشْرٌ وَوَاحِدَةٌ
 مُجْرَبٌ طَالَمَا أَشْجَتْ عَزَائِمُهُ
 آرَاؤُهُ الْيَوْمَ أَسْيَافٌ مُهَنَّدَةٌ
 وَمُضْعِدٌ فِي هِضَابِ الْمَجْدِ يَطْلَعُهَا
 مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ
 حُلُوٌ حَمِيَّتْ مَتَى تَجْنِي الرِّضَا خُلُقًا

نَهَيْتُ حُسَادَهُ عَنْهُ وَقُلْتُ لَهُمْ
 كُفُّوا وَإِلَّا كَفَفْتُمْ مُضْمِرِي أَسْفِ
 أَلْوَىٰ إِذَا شَابَكَ الْأَعْدَاءَ كَدَّهُمْ
 وَاللُّؤْمُ أَنْ تَدْخُلُوا فِي حَدِّ سَخَطَتِهِ
 جَافِي الْمَضَاجِعِ مَا يَنْفَكُ فِي لَجِبِ
 إِذَا خُطَامَةٌ سَارَتْ فِيهِ آخِذَةٌ

رَأَيْتَ مَجْدًا عَيَانًا فِي بَنِي أُدَدٍ إِذْ مَجْدُ كُلِّ قَبِيلٍ دُونَهُمْ خَبِرُ

خُطَامَةٌ - بَضْمٌ أُولَاهُ - : اسْمُ قَبِيلَةٍ الْمَمْدُوحِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، وَسَارَتْ فِيهِ ؛

أَي : فِي ذَلِكَ اللَّجْبِ الَّذِي يَكَادُ يَقْمُرُ الْقَمْرُ مِنْ ضَوْءِ سِلَاحِهِ ، وَأَخَذَ خُطَامِ

نِبْهَانَ : وَهُوَ مَقْوَدُ الْجَمَلِ ، اسْتِعَارَةٌ ؛ أَي : إِذَا تَقَدَّمَتْهُمْ وَكَانَتْ فِي أَوَائِلِهِمْ ؛

لرئاستها عليهم .

أَحْسِنُ أَبَا حَسَنِ بِالشُّعْرِ إِذْ جَعَلْتُ عَلَيْنِكَ أَنْجُمَهُ بِالْمَدْحِ تَنْتَثِرُ

فَقَدْ أَتَتْكَ الْقَوَافِي غِبِّ فَائِدَةٍ كَمَا تَفْتَحُ غِبَّ الْوَابِلِ الزَّهْرُ

فِيهَا الْعَقَائِقُ وَالْعَقِيَانُ إِنْ لُبِسَتْ يَوْمَ التَّبَاهِي وَفِيهَا الْوَشْيُ وَالْحَبْرُ

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِرًا بِالشُّعْرِ يُمْدَحُ فِي أَضْعَافِهِ فَبِكَ الْأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ



[أقسامُ الشِّعرِ أربعةٌ]

وقد استبانَ لك ممَّا سلفَ - وخصوصاً مِن كلامِ هذا الشيخِ المُنتقِدِ -
أنَّ الشِّعرَ وسائرَ الكلامِ بحَسَبِ براعةِ العباراتِ ، واشتمالِها على الفوائدِ ..
ينقسمُ أربعةً أقسامٍ :

قسمٌ حَسَنٌ لفظُهُ ، وكَثُرَتْ فوائدهُ .

وقسمٌ حَسَنٌ لفظُهُ ، وقلَّتْ فوائدهُ .

وقسمٌ كَثُرَتْ فوائدهُ ، ولم يَحسُنْ لفظُهُ .

وقسمٌ فقدَ الأمرينِ ، وهو الذي قيلَ فيه : [من الطويل]

وَشِعْرٌ كَبَعْرِ التَّيْسِ فَرَقَ بَيْنَهُ لِسَانَ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلُ

وعلى هذا التقسيمِ قولُ بعضهم : [من مشطور الرجز]

الشُّعْرَاءُ فَأَعْلَمَنَّ أَرْبَعَهُ

فَشَاعِرٌ يَجْرِي وَلَا يُجْرَى مَعَهُ

وَشَاعِرٌ مُسْتَوْجِبٌ أَنْ نَرْفَعَهُ

وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ نَسْمَعَهُ

وَشَاعِرٌ مُسْتَأْهِلٌ أَنْ نَضْفَعَهُ

ولا نزاعَ في شرفِ القسمِ الأولِ ، وانحطاطِ الأخيرِ ، وإنَّما هي في المفاضلةِ
بينَ شعرٍ حَسَنٍ لفظُهُ وقلَّتْ فوائدهُ ، وما يقابلهُ .

وعندي : أنَّ الأولَ لسلامتِهِ مِنْ إيذاءِ المستمعِ أفضلُ وأجملُ ، وصاحبُهُ

أحقُّ بالتقديم والإجلالِ ، والمثلُ في ذلك : أن الصوتَ الجميلَ المضطربَ بموافقةِ النفوسِ يملؤها التذاذُ وإن كانَ خالياً مِنْ صناعةِ الغناءِ ، بقدرِ ما يُنفِرها ويوحشها الصوتُ القبيحُ مع استيفاءِ الصَّنعةِ فيه ، ومَنْ غلبَ عليه رعايةُ الصَّناعةِ ، والالتذاذُ بملاحظتها ، وإدراكُ دقائقها . . يُفضِّلُ القسمَ الثاني ، فالرأيُّ مختلفٌ .

واستبانَ لك أيضاً أن جودةَ الكلامِ تعتمدُ صحَّةَ المعنى وشرفه ، [وتخيَّر] الألفاظِ في أنفسها ، ومِنْ جهةِ تجاوزها وموافقيتها للمَقامِ ، وإجادةَ التركيبِ على ما شَرِحَ في علمِ المعاني وغيره ؛ بحيثُ تكونُ الألفاظُ سلسلةً في المنطِقِ ، خاليةً مِنَ التنافرِ وشِدَّةِ الغرابةِ ، يألَفُ بعضها بعضاً ، حتى تكونَ الكلماتُ المتواليَّةُ بمنزلةِ كلمةٍ واحدةٍ ، وتكونَ الألفاظُ التي توردها في مَقامِ الحماسةِ ليستُ كالألفاظِ التي توردها في مَقامِ الغزلِ والتشبيبِ ، فلذلكَ فنَّ مِنْ تلكَ الفنونِ ألفاظٌ توافقهُ مِنْ جهةِ شدَّتِها ولينها ، ولذلكَ تسمِعُهُم يقولونَ : الجَزْلُ والرقيقُ .

وإجادةُ التركيبِ : بسلامتهِ ممَّا يبعدُ فهمُ المعنى منه ، وليسَ كلُّ تركيبٍ صدرَ عن شعراءِ العربِ وغيرهمِ مِنَ المشاهيرِ جيداً ؛ فربَّما تَعَسَّفَ الواحدُ منهمُ اغتراراً بفهمِ نفسهِ ، وغفلةً عن رعايةِ غيره ، ومسارعةً بإيرادِ ما ظهرَ له مِنَ المعنى .

فعليكَ إذاً أن تجيدَ الفكرةَ ؛ باستصحابِ ما سلفَ مِنَ القوانينِ والوصايا في تمييزِ جيدِ التراكيبِ مِنْ رديئها ، ويزيدُكَ استحضاراً لها وتمكُّناً مِنْ اعتبارها ما سأنقلُه لكَ عن ابنِ خلدونَ رحمهُ الله تعالى .

قالَ في «مُقَدِّمةِ تاريخه» حيثُ انتهى مِنَ القولِ في العلومِ إلى التكلُّمِ على صناعةِ الشعرِ وكيفيةِ تعلُّمها :

فصلٌ في صناعة الشعرِ ووجهِ تعلّمِهِ

(هذا الفنُّ مِنْ فنونِ كلامِ العربِ ، وهو المُسمَّى بالشعرِ عندهم ، ويوجدُ في سائرِ اللُّغاتِ ، إلا أننا الآنَ إنَّما نتكلَّمُ في الشعرِ الذي للعربِ ، فإنَّ أمكنَ أن تجدَ فيه أهلُ الألسنِ الأخرى مقصودَهُمْ مِنْ كلامِهِمْ ، وإلا . . فلكلِّ لسانٍ أحكامٌ في البلاغةِ تَخُصُّهُ .

وهو في لسانِ العربِ غريبٌ النزعةِ ، عزيزٌ المنحى ؛ إذ هو كلامٌ مُفصَّلٌ قطعاً قطعاً ، متساويةً في الوزنِ ، مُتَّجدةً في الحرفِ الأخيرِ مِنْ كلِّ قطعةِ ، وتُسمَّى كلُّ قطعةٍ مِنْ هذه القطعاتِ عندهم بيتاً ، ويُسمَّى الحرفُ الأخيرُ الذي تتفقُ فيه رويّاً وقافيةً ، ويُسمَّى جملةُ الكلامِ إلى آخرِهِ قصيدةً وكلمةً .

وينفردُ كلُّ بيتٍ مِنْهُ بإفادتهِ في تركيبِهِ ، حتى كأنَّهُ كلامٌ وحدهُ ، مُستقلٌّ عمّا قبلَهُ وما بعدهُ ، وإذا أُفردَ . . كانَ تاماً في بابِهِ ؛ في مدحِ ، أو تشبيهِ ، أو رثاءِ ، فيَحْرِصُ الشاعرُ على إعطاءِ ذلكَ البيتِ ما يَسْتَقِلُّ في إفادتهِ ، ثمَّ يَستأنفُ في البيتِ [الأخرِ] كلاماً آخَرَ كذلكَ ، ويستطرِدُ للخروجِ مِنْ فَنِّ إلى فَنِّ ، وَمِنْ مقصودِ إلى مقصودِ ، بأن يُوطِّئَ المقصودَ الأوَّلَ ومعانيهُ إلى أن يُناسِبَ المقصودَ الثانيَ ، ويُبعِدَ الكلامَ عَنِ التناهِ ؛ كما يستطرِدُ مِنَ التشبيهِ إلى المدحِ ، وَمِنْ وصفِ البيداءِ والطلولِ إلى وصفِ الركابِ أو الخيلِ أو الطيفِ ، وَمِنْ وصفِ الممدوحِ إلى وصفِ قومهِ وعساكرِهِ ، وَمِنْ التفجُّعِ والعزاءِ في الرثاءِ إلى التأثُّرِ ، وأمثالِ ذلكَ ويُراعى فيه اتفاقُ القصيدةِ كُلِّها في الوزنِ الواحدِ ؛ حذراً مِنْ أن يتساهلَ الطبعُ في الخروجِ مِنْ وزنٍ إلى وزنٍ يقارِبُهُ ، فقد يَخْفَى ذلكَ مِنْ أَجْلِ المقاربةِ على كثيرٍ مِنَ الناسِ .

ولهذه الموازينِ شروطٌ وأحكامٌ تَضَمَّنَها علمُ العروضِ ، وليسَ كلُّ وزنٍ

اتَّفَقَ فِي الطَّبَعِ اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْفَنِّ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مَخْصُوصَةٌ تُسَمِّيهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ : الْبَحُورَ ، وَقَدْ حَصَرُوهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا لِلْعَرَبِ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ نِظْمًا ^(١) .

قُلْتُ : وَمَا ذُكِرَ مِنْ انْفِرَادِ كُلِّ بَيْتٍ بِمَعْنَاهُ عَنْ سَابِقِهِ وَلاحِقِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي صِفَةِ جَيِّدِ الشَّعْرِ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَعُدَّ غَيْرَهُ شِعْرًا ، عَلَى أَنَّهُ رَبَّمَا أَوْجَبَتْ جُودَةُ الشَّعْرِ اغْتِفَارَ افْتِقَارِ كُلِّ مِنَ الْبَيْتَيْنِ لِصَاحِبِهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ حَسَنِ قَوْلِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ^(٢) :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ
زَعْمُوهَا سَأَلْتَ جَارَاتِهَا وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ
أَكَمَا يَنْعَعْتُنِي تُبْصِرْنِي عَمَرَكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ
فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوُدُ
حَسَدًا حُمِلْنَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

لَا أَرَاكَ تَشْكُ فِي أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ بِالْغُ مِنْ الْحَسَنِ غَايَةً مَا يُمْكِنُ ، وَلَمْ يُؤْتَرِ فِيهِ افْتِقَارُ الْبَيْتِ لِصَاحِبِهِ ؛ إِذْ كَانَ الْمَعْنَى مُسْتَدْعِيًا ذَلِكَ .

[الشَّعْرُ دِيْوَانُ عِلْمِ الْعَرَبِ]

ثُمَّ قَالَ ابْنُ خَلْدُونَ : (وَاعْلَمْ : أَنَّ فَنَّ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفًا

(١) انظر «مقدمة ابن خلدون» (ص ٥٦٩ - ٥٧٠) .

(٢) انظر «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ص ١٠٦) .

عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوانَ علومِهِم وأخبارِهِم ، وشواهدَ صوابِهِم وخطئِهِم ، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومِهِم وحكَمِهِم ، وكانت ملكته مستحكمة فيهم ، شأن المَلَكاتِ كلِّها ، والمَلَكاتِ اللسانيَّةِ كلِّها إنما تُكتسبُ بالصِّناعةِ والارتياضِ في كلامِهِم ، حتَّى يحصلَ شبهٌ في تلك المَلَكَةِ .

والشعرُ من بين فنونِ الكلامِ صعبُ المآخذِ على مَنْ يريدُ اكتسابَ ملكتهِ بالصِّناعةِ مِنَ المتأخِّرينَ ؛ لاستقلالِ كلِّ بيتٍ منه بأنَّه كلامٌ تامٌّ في مقصوده ، ويصلحُ أن ينفردَ دونَ ما سواه ، فيحتاجُ من أجلِ ذلكِ إلى نوعِ تَلطُّفٍ في تلكِ المَلَكَةِ ، حتَّى يُفرِّغَ الكلامَ الشعريَّ في قوالبهِ التي عُرفتْ له في ذلكِ المنحى من شعرِ العربِ ، ويبرزه مُستقلاً بنفسِه ، ثمَّ يأتي بيتَ آخرَ كذلكِ ، ثمَّ بيتٍ ، ويستكملُ الفنونَ الوافيةَ بمقصوده ، ثمَّ يناسبُ بينَ البيوتِ في موالاةِ بعضها معَ بعضٍ ؛ بحسبِ اختلافِ الفنونِ التي في القصيدةِ .

ولصعوبةِ منحاهُ ، وغرابيةِ فنِّه . . كانَ محكِّماً للقرائحِ في استجادةِ أساليبهِ ، وشحذِ الأفكارِ في تنزيلِ الكلامِ في قوالبهِ ، ولا يكفي فيه مَلَكَةُ الكلامِ العربيِّ على الإطلاقِ ، بل يحتاجُ بخصوصِه إلى تَلطُّفٍ ، ومحاولةٍ في رعايةِ الأساليبِ التي اختصَّتهُ العربُ بها واستعمالها .

[مرادُ أهلِ صناعةِ الكلامِ بالأساليبِ]

ولندكرُ هنا ما يريدُهُ أهلُ الصِّناعةِ بالأساليبِ :

فاعلمُ : أنَّها عبارةٌ عندهم عن المِنوالِ الذي يُنسجُ فيه التراكيبُ ، والقالبُ الذي يُفرِّغُ فيه ولا يرجعُ إلى الكلامِ باعتبارِ إفادتهِ أصلَ المعنى الذي هو

وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض ، فهذه العلوم خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كليا باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيرضها فيه رصاً كما يفعل البناء في القالب ، والنساج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به ، وتوجد فيه على أنحاء مختلفة ؛ فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول ؛ كقوله^(١) :

[من البسيط]

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَّنْدِ

ويكون باستدعاء الصبح للوقوف والسؤال ؛ كقوله^(٢) :

[من الطويل]

فَمَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا

أو باستبكاء الصبح على الطلل ؛ كقوله^(٣) :

[من الطويل]

فَمَا نَبُكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

(١) صدر معلقة النابغة الذبياني . انظر « ديوانه » (ص ١٤) ، والبيت بتمامه :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيَّهَا سَالِفُ الْأَمْدِ

(٢) هو لدعبل الخزاعي كما في « ديوانه » (ص ٣٠٠) ، والبيت بتمامه :

فَمَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا مَتَى عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَاةِ

(٣) البيت لامرئ القيس ، كما في « ديوانه » (ص ٨) ، والبيت بتمامه :

فَمَا نَبُكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْلِ

أو بالاستفهامِ عنِ الجوابِ لمُخاطَبِ غيرِ مُعَيَّنٍ ؛ كقولِهِ ^(١) : [من الوافر]
أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الرَّشُومُ

ومثلَ تحيةِ الطُّلُولِ بالأمرِ لمُخاطَبِ غيرِ مُعَيَّنٍ بتحيَّتِهَا ؛ كقولِهِ : [من السريع]
حَيِّ الدِّيَارِ بِجَانِبِ الحِجْرِ

أو بالدعاءِ لها بالسُّقيا ؛ كقولِهِ ^(٢) : [من الكامل]
أَسْقَى طُلُولَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمُ وَعَدَّتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ

أو سؤالِهِ السُّقيا لَهُ مِنَ البرقِ ؛ كقولِهِ : [من الكامل]
يَا بَرْقُ طَالِعِ مَنْزِلًا بِالْأُبْرُقِ وَأَخَذُ السَّحَابِ لَهَا حُدَاءَ الْأَيْنُقِ

أو مثلَ التفجُّعِ بالجزعِ باستدعاءِ البكاءِ ؛ كقولِهِ ^(٣) : [من الطويل]
كَذَا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُدْرُ

أو باستعظامِ الحادثِ ؛ كقولِهِ ^(٤) : [من الكامل]
أَرَأَيْتَ مَنْ حُمِلُوا عَلَى الأَعْوَادِ

أو بالتسجيلِ على الأكوانِ بالمصيبةِ لفقدِهِ ؛ كقولِهِ ^(٥) : [من البسيط]
مَنَابِتِ العُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّمَحِ وَالْبَاعِ

(١) البيت من شواهد النحاة ، يجوز في قوله : (فتخبرك) الجزم وال نصب ، والبيت بتمامه :

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الرَّشُومُ عَلَيَّ فِرْتَاجٍ وَالطَّلُّ الْقَدِيمُ
(٢) البيت لأبي تمام ، كما في « معاهد التنصيص » (٢٧٠/١) .

(٣) البيت لأبي تمام ، كما في « معاهد التنصيص » (٤٠/١) .

(٤) هو للشريف الرضي ، كما في « ديوانه » (٣٨١/١) ، والبيت بتمامه :

أَعْلِمْتَ مَنْ حُمِلُوا عَلَى الأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ حَبَا ضِيَاءَ النَّادِي
(٥) البيت للشريف الرضي ، كما في « ديوانه » (٦٢٧/١) .

أو بالإنكارِ على مَنْ لم يَتَفَجَّعْ لَهُ مِنَ الجُمَادَاتِ ؛ كقولِ
الخارجية^(١) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
أو بتهنئة فريقيهِ بالراحةِ مِنْ ثَقْلِ وَطْأَتِهِ ؛ كقولهِ^(٢) :

أَلْقَى أَلرِّمَاحَ رَبِيعَةَ بِنُ نِزَارِ أَوْدَى أَلرَّدَى بِفَرِيقِكَ أَلْمِغْوَارِ
وأمثالُ ذَلِكَ كثيرٌ في سائرِ فنونِ الكلامِ ومذاهبهِ ، وينتظمُ التراكيبُ فيه
بالجملِ وغيرِ الجملِ ، إنشائيةٌ وخبريةٌ ، اسميةٌ وفعليةٌ ، متففةٌ وغيرَ متففةٍ ،
مفصولةٌ وموصولةٌ ، على ما هو شأنُ التراكيبِ في الكلامِ العربيِّ في مكانِ
كلِّ كلمةٍ مِنَ الأخرى ، يُعَرِّفُكَ فيه ما تستفيدُهُ بالارتياضِ في أشعارِ العربِ
مِنَ القالبِ الكلِّيِّ المُجَرَّدِ في الذَّهْنِ مِنَ التراكيبِ المعينةِ التي ينطبقُ ذَلِكَ
القالبُ على جميعِها ؛ فَإِنَّ مُؤَلَّفَ الكلامِ هو كالبِنَاءِ والنَّسَاجِ ، والصورةُ
الذهنيةُ المُنطبعةُ كالقالبِ الذي يُبنى فيه أو المِنوالِ الذي يُنْسَجُ عليه ؛ فإن
خرجَ عنِ القالبِ في بنائه أو عنِ المِنوالِ في نسجهِ . . كانَ فاسداً .

ولا تَقولَنَّ : إنَّ معرفةَ قوانينِ البلاغةِ كافيةٌ في ذَلِكَ ؛ لأنَّا نقولُ : القوانينُ
إنَّما هي قواعدٌ علميةٌ قياسيةَّةٌ تفيدُ جوازَ استعمالِ التراكيبِ على هيئاتِها
الخاصَّةِ بالقياسِ ، وهو قياسٌ علميٌّ صحيحٌ مُطَرِّدٌ كما هو قياسُ القوانينِ
الإعرابيةِ ، وهذه الأساليبُ التي نحنُ نُقرِّرها ليستُ مِنَ القياسِ في شيءٍ ،
إنَّما هي هيئةٌ ترسُّخُ في النفسِ مِنْ تَتَبُّعِ التراكيبِ في شعرِ العربِ بجريانِها
على اللسانِ حتى تستحکم صورُتها ، فيستفيدُ بها العملُ على مثالِها
والاحتذاءُ بها في كلِّ تركيبٍ مِنَ الشعرِ كما قدَّمنا ذَلِكَ في الكلامِ بإطلاقٍ ،
وإنَّ القوانينَ العلميةَّةَ مِنَ العربيةِ والبيانِ لا تفيدُ تعليمَهُ بوجهٍ .

(١) البيت لأخت الوليد بن طريف ترثيه ، كما في « العقد الفريد » (٢٦٩/٣) .

(٢) ذكره ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » (٤٠٢/٤) وعزاه للشريف الرضي .

وليسَ كلُّ ما يَصِحُّ في قياسِ كلامِ العربِ وقوانينه العِلْمِيَّةِ استعملوهُ ،
وإنَّما المُستعملُ عندهم من ذلك أنحاءٌ معروفةٌ يَطَّلِعُ عليها الحافظونَ
لكلامهم ، تدرجُ صورتها تحت تلك القوانينِ القياسِيَّةِ .

فإذا نظرَ في شعرِ العربِ على هذا النحوِ ، وبهذه الأساليبِ الذهنية التي تصيرُ
كالقوالِبِ .. كأنَ ناظراً في المُستعملِ من تراكيبيهم ، لا فيما يقتضيه القياسُ ،
ولهذا قلنا : إنَّ المُحصِّلَ لهذه القوالِبِ في الذِّهنِ إنَّما هو حفظُ أشعارِ العربِ
وكلامهم ، وهذه القوالِبُ كما تكونُ في المنظومِ تكونُ في المنثورِ ؛ فإنَّ العربَ
استعملوا كلامهم في كلا الفئتين ، وجاءوا به مُفصَّلاً في النوعينِ ؛ ففي الشعرِ
بالقطعِ الموزونةِ ، والقوافي المقيدةِ ، واستقلالِ الكلامِ في كلِّ قطعةٍ ، وفي
المنثورِ يعتبرونَ الموازنةَ والتشابهَ بينَ القطعِ غالباً ، وقد يقيدونه بالأسجاعِ ،
وقد يرسلونه ، وكلُّ واحدةٍ من هذه معروفةٌ في لسانِ العربِ .

والمُستعملُ منها عندهم هو الذي يبني مؤلِّفُ الكلامِ عليه تأليفه ،
ولا يعرفه إلا مَنْ حفظَ كلامهم حتى يتجرَّدَ في ذهنه من القوالِبِ المعينةِ
الشخصيةِ قالبٌ كليٌّ مُطلقٌ ، يحذو حذوه في التأليفِ ، كما يحذو البناؤُ على
القالبِ والنَّساجُ على المنوالِ ؛ فلهذا كانَ مَنْ يُؤلِّفُ الكلامَ مُنفرداً عن نظرِ
النحويِّ والبيانيِّ والعروضيِّ .

نعم ؛ إنَّ مراعاةَ قوانينِ هذه العلومِ شرطٌ فيه لا يَتِمُّ بدونها ، فإذا تحصَّلتْ
هذه الصِّفاتُ كُلُّها في الكلامِ .. اختصَّ بنوعٍ من النظرِ لطيفٍ في هذه
القوالِبِ التي يُسمونها أساليبَ ، ولا يفيدُه إلا حفظُ كلامِ العربِ نظماً ونثراً .

[حدُّ المؤلِّفِ للشعرِ]

وإذا تفرَّزَ معنى الأسلوبِ ما هو .. فلندكرُ بعده حدّاً أو رسماً للشعرِ
به تفهيمُ حقيقته على صعوبةِ هذا الغرضِ ؛ فإنَّا لم نقفُ عليه لأحدٍ من
المُتقدِّمينَ فيما رأيناهُ ، وقولُ العروضيينَ في حدِّه : إنَّه الكلامُ الموزونُ

المُقْفَى . . ليسَ بحدِّ لهذا الشعرِ الذي نحنُ بصددِهِ ولا رسمٍ لَهُ ، وصناعتُهُم
إنَّما تنظُرُ في الشعرِ باعتبارِ ما فيه مِنَ الإعرابِ والبلاغةِ والوزنِ والقوالبِ
الخاصَّةِ ، فلا جرمَ أَنَّ حدَّهُم ذلكَ لا يصلُحُ لَهُ عندنا ، فلا بدَّ مِنْ تعريفِ
يعطينا حقيقتهُ مِنْ هذهِ الحيثيَّةِ .

فنقولُ : الشعرُ : هوَ الكلامُ البليغُ المبنيُّ على الاستعارةِ والأوصافِ ،
المُفصَّلُ بأجزاءٍ متفقَةٍ في الوزنِ والرويِّ ، مُستقلُّ كلُّ جزءٍ منها في غرضِهِ
ومَقصِدِهِ عمَّا قبلَهُ وبعدهُ ، الجاري على أساليبِ العربِ المخصوصةِ بِهِ .
فقولنا : « الكلامُ البليغُ » جنسٌ .

وقولنا : « المبنيُّ على الاستعارةِ والأوصافِ » فصلٌ عمَّا يخلو مِنْ هذهِ ،
فإنَّهُ في الغالبِ ليسَ بشعرٍ .

وقولنا : « المُفصَّلُ بأجزاءٍ متفقَةٍ الوزنِ والرويِّ » فصلٌ لَهُ عَنِ الكلامِ
المنثورِ الذي ليسَ بشعرٍ عندَ الكلِّ .

وقولنا : « مُستقلُّ كلُّ جزءٍ منها في غرضِهِ ومَقصِدِهِ عمَّا قبلَهُ وبعدهُ » بيانٌ
للحقيقةِ ؛ لأنَّ الشعرَ لا تكونُ أبياتُهُ إلاَّ كذلكَ ، ولم يُفصَّلْ بِهِ شيءٌ .

وقولُهُ : « الجاري على الأساليبِ المخصوصةِ بِهِ » فصلٌ لَهُ عمَّا لم يجزِ
منهُ على أساليبِ العربِ المعروفةِ ؛ فإنَّهُ حينئذٍ لا يكونُ شعراً ، إنَّما هوَ كلامٌ
منظومٌ ؛ لأنَّ الشعرَ لَهُ أساليبٌ تَخصُّهُ لا تكونُ للمنثورِ ، وكذا أساليبُ المنثورِ
لا تكونُ للشعرِ ، فما كانَ مِنَ الكلامِ منظوماً وليسَ على تلكَ الأساليبِ . .
فلا يكونُ شعراً .

وبهذا الاعتبارِ كانَ الكثيرُ ممَّن لقيناه مِنْ شيوخنا في هذهِ الصِّناعةِ
الأدبيةِ يرونَ أَنَّ نظمَ المتنبيِّ والمَعريِّ ليسَ هوَ مِنَ الشعرِ في شيءٍ ؛ لأنَّهما

لم يجريا على أساليب العرب من الأمم عند من يرى أن الشعر يوجد للعرب وغيرهم ، ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم . . فلا يحتاج إلى ذلك ، ويقول : مكانه الجاري على الأساليب المخصوصة .

[كيفية عمل الشعر]

وإذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر . . فلنرجع إلى الكلام في كيفية عمله ، فنقول :

اعلم : أن لعمل الشعر وأحكام صناعته شروطاً ؛ أولها : الحفظ من جنسه ؛ أي : من جنس شعر العرب ؛ حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخيّر المحفوظ من الحزب النقي الكثير الأساليب ، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين ؛ مثل ابن أبي ربيعة ، وكثير ، وذي الرمة ، وجري ، وأبي نواس ، وحبیب ، والبحتري ، والرضي ، وأبي فراس ، وأكثره شعر كتاب « الأغاني » لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كلاً ، والمختار من شعر الجاهلية ، ومن كان خالياً من المحفوظ . . فنظمه قاصراً رديء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ ، فمن قل حفظه أو عدم . . لم يكن له شعر ، وإنما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ .

ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج على المنوال . . يقبل على النظم ، وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ ، وربما يقال : إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ؛ لثمحي رسوم الحرفية الظاهرة ؛ إذ هي صادة عن استعمالها بعينها ، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها . . انتقش الأسلوب فيها ، كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة .

ثمَّ لا بدَّ له من الخلوَّة ، واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والأزهار ، وكذا المسموع ؛ لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذِّ السُّرور .

ثمَّ مع هذا كَلِّه : فشرطه : أن يكونَ على جَمَامٍ ونشاطٍ ، فذلكَ أجمعُ له وأنشطُ للقريحة أن تأتيَ بمثلِ ذلكَ المِنوالِ الذي في حفظه ، قالوا : وخيرُ الأوقاتِ لذلكَ أوقاتُ الذِّكرِ عندَ الهُبوبِ منَ النومِ ، وفراغِ المعدةِ ، ونشاطِ الفكرِ ، وفي هؤلاءِ الجَمَامُ .

وربَّما قالوا : إنَّ منَ بواعثِهِ العشقُ والانتشاءُ ، ذكَرَ ذلكَ ابنُ رشيقي في كتابِ « العمدة » ، وهو الكتابُ الذي انفردَ به هذه الصِّناعةُ وإعطاءُ حقِّها ، ولم يَكْتُبْ فيها أحدٌ قبله ولا بعده مثله .

قالوا : فإن استصعبَ عليه بعدَ هذا كَلِّه . . فليتركه إلى وقتِ آخَرَ ، ولا يُكرِهَ نفسَه عليه .

وليكنَ بناءُ البيتِ على القافيةِ منَ أوَّلِ صوغِهِ ونسجِهِ ، يضعُها ويبني الكلامَ عليها إلى آخِرِهِ ؛ لأنَّه إن غفلَ عن بناءِ البيتِ على القافيةِ . . صَعَبَ عليه وضعُها في محلِّها ، فربَّما تجيءُ نافرةً قلقَةً .

وإذا سمحَ الخاطرُ بالبيتِ ولم يناسبِ الذي عنده . . فليتركه إلى موضعه الأليقِ به ، فإنَّ كلَّ بيتٍ مُستقلٌّ بنفسِهِ ، ولم تبقِ إلاَّ المناسبةُ ، فليتخيرَ فيها كما يشاءُ .

وليراجعَ شعره بعدَ الخلاصِ منه بالتنقيحِ والنقيدِ ، ولا يَضَنَّ به على التركِ إذا لم يبلغِ الإجابةَ ؛ فإنَّ الإنسانَ مفتونٌ بشعرِهِ إذ هو بناتُ فكرِهِ ، واختراعُ قريحتهِ .

ولا يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنَ الكَلَامِ إِلَّا الأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ ، وَالخَالِصَ مِنَ

الضَّرورَاتِ اللِّسَانِيَّةِ ، فليَهجِرْهَا ؛ فَإِنَّهَا تَنْزَلُ بِالكَلَامِ عَن طَبَقَةِ البَلَاغَةِ ، وَقَدْ حَظَرَ أُمَّةُ اللِّسَانِ عَلى المُولَّدِ ارْتِكَابَ الضَّرورَةِ ؛ إِذ هُوَ فِي سَعَةِ مَنهَا بِالعَدُولِ عَنهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ المِثْلِي مِنَ المَلَكَةِ .

وَيَجْتَنِبُ أَيضاً المُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكيبِ جَهْدَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مَنهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تَسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إِلَى الفَهْمِ ، وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ المَعَانِي فِي البَيْتِ الوَاحِدِ ، فَإِنَّ فِيهِ نَوْعَ تَعْقِيدٍ عَلى الفَهْمِ ، وَإِنَّمَا المِخْتَارُ مَنهُ مَا كَانَتْ أَلْفَاظُهُ طَبَقاً عَلى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى ، فَإِنَّ كَانَتْ المَعَانِي كَثِيرَةً . . [كَانَ حَشَوّاً ، وَاسْتَعْمَلَ الذَّهْنَ بِالعُوصِ عَليهَا ، فَمَنَعَ] ذَلِكَ الذَّوْقَ عَنِ اسْتِيفَاءِ مَدْرِكِهِ مِنَ البَلَاغَةِ ، وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهلاً إِلا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تَسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إِلَى الذَّهْنِ .

ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبي بكر بن خفاجة شاعر شرق الأندلس ؛ لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد ، كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسيج على الأساليب العربية كما مر ، فكان شعرهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر ، والحاكم بذلك هو الذوق .

وليجنب الشاعر أيضاً الحوشي من الألفاظ والمقصر ، وكذلك السوقي المبتذل بالتداول بالاستعمال ؛ فإنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً ، فيصير مبتذلاً ، ويقرب من عدم الإفادة ؛ كقولهم : النار حارة ، والسماء فوقنا .

وبمقدار ما يقرب من طبقة عدم الإفادة يبعد عن رتبة البلاغة ؛ إذ هما طرفان ؛ ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجابة في الغالب ، ولا يحدق فيه إلا الفحول ؛ لأن معانيها متداولة بين الجمهور ، فتصير مبتذلة لذلك .

وإذا تَعَدَّرَ الشعرُ بعدَ هذا كَلِمَهُ . . فليَراوضُهُ ويعاودُهُ ؛ فإنَّ القَريحَةَ مِثْلُ
الضَّرِيعِ ، يَدُرُّ بِالامْتِراءِ ، وَيَجِفُّ بِالترِكِ وَالإِهْمالِ (١) .

[مَعْنَى كَلِمَةِ (الدُّوقِ) عِنْدَ ابْنِ خَلْدُونَ]

وقال ابنُ خلدون أيضاً في تفسيرِ كلمةِ (الدُّوقِ) الدائرة على ألسنةِ
المُتَكَلِّمِينَ في هذا الشأنِ :

(اعلمُ : أنَّ لفظَةَ « الدُّوقِ » يتداولُها المَعْتَنُونَ بفنونِ البَيانِ ، ومعناها :
حصولُ ملكةِ البلاغةِ للسانِ ، وقد مرَّ تفسيرُ البلاغةِ ، وأنها مطابِقةُ الكلامِ
للمعنى مِنْ جميعِ وجوهِهِ بخواصِّ تقَعُ للتراكيبِ في إفادةِ ذلكِ ؛ فالْمُتَكَلِّمُ
بلسانِ العربِ والبليغُ فيه يَتَحَرَّى الهيئةَ المفيدةَ لذلكِ على أساليبِ العربِ
وأنحاءِ مخاطباتِهِمْ ، وينظِّمُ الكلامَ على ذلكِ الوجهِ جهدهُ ، فإذا اتَّصَلَتْ
مقاماتُهُ بمخالطةِ كلامِ العربِ . . حصلتْ لَهُ الملكةُ في نظمِ الكلامِ على ذلكِ
الوجهِ ، وسَهَّلَ عليه أمرُ التركيبِ ، حتى لا يكادُ ينحو فيه غيرَ منحنى البلاغةِ
التي للعربِ ، وإن سمعَ تركيباً غيرَ جارٍ على ذلكِ المنحنى . . مَجَّهَ ونبا عنه
سمعهُ بأدنى فكرٍ ، بل وبغيرِ فكرٍ ، إلا بما استفادَهُ مِنْ حصولِ هذهِ الملكةِ ؛
فإنَّ المَلَكاتِ إذا استقرَّتْ ورَسَخَتْ في محالِّها . . ظهرتْ كأنَّها طبيعَةٌ وجِبَلَةٌ
لذلكِ المَحَلِّ ، ولذلكِ يظنُّ كثيرٌ مِنَ المُعَقَّلِينَ مَمَّنْ لم يَعْرِفْ شأنَ المَلَكاتِ
أنَّ الصَّوابَ للعربِ في لغتِهِمْ إعراباً وبلاغةً أمرٌ طبيعيٌّ ، ويقولُ : كانتِ
العربُ تنطقُ بالطَّبعِ ، وليسَ كذلكِ ، وإنما هي ملكةٌ لسانيةٌ في نظمِ الكلامِ
تَمَكَّنَتْ ورَسَخَتْ ، فظهرتْ في بادئِ الرأيِ أنَّها جِبَلَةٌ وطبعٌ .

وهذهِ الملكةُ كما تقدَّمْ إنما تحضُّلُ بممارسةِ كلامِ العربِ ، وتكرُّرهِ

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٧٠ - ٥٧٥) .

على السَّمْعِ ، والتفطُّنِ لخواصِّ تراكيبِهِ ، وليستَ تحصيلُ بمعرفتهِ القوانينَ العلميةَ في ذلكَ التي استنبطَها أهلُ صناعةِ اللسانِ ؛ فإنَّ هذهِ القوانينَ إنّما تفيدهُ علماً بذلكَ اللسانِ ، ولا تفيدهُ حصولَ الملكةِ بالفعلِ في محلِّها ، وقد مرَّ ذلكَ .

وإذا تفرَّزَ ذلكَ . . فملكةُ البلاغةِ في اللسانِ تهدي البليغَ إلى وجوهِ النظمِ ، وحسنِ التركيبِ الموافقِ لتراكيبِ العربِ في لغتِهِم ونظمِ كلامِهِم ، ولو رامَ صاحبُ هذهِ الملكةِ حيداً عن هذهِ السبيلِ المعينةِ والتراكيبِ المخصوصةِ . . لَمَا قَدَرَ عليهِ ، ولا وافقَهُ عليهِ لسانُهُ ؛ لأنَّهُ لا يعتادهُ ، ولا تهديهِ إليهِ ملكتُهُ الراسخةُ عندهُ ، وإذا عُرِضَ عليهِ الكلامُ حائداً عن أسلوبِ العربِ وبلاغتِهِم في نظمِ كلامِهِم . . أعرَضَ عنهِ ومَجَّهُ ، وعلمَ أَنَّهُ ليسَ مِنْ كلامِ العربِ الذينَ مارسَ كلامَهُم ، وربَّما يَعِجُزُ عن الاحتجاجِ لذلكَ كما تصنعُ أهلُ القوانينِ النحويةِ والبيانيةِ ، فإنَّ ذلكَ استدلالٌ بما حصلَ مِنَ القوانينِ المفاداةِ بالاستقراءِ ، وهذا أمرٌ وجدانيٌّ حاصلٌ بممارسةِ كلامِ العربِ ، حتى يصيرَ كواحدٍ منهمِ .

ومثالهُ : لو فرضنا صبيّاً مِنْ صبيانِهِم نشأَ ورَبِّي في جيلِهِم . . فإنَّهُ يَتعلَّمُ لغتَهُم ، ويُحكِّمُ شأنَ الإعرابِ والبلاغةِ فيها حتى يستوليَ على غايتها ، وليسَ مِنَ العلمِ القانونيِّ في شيءٍ ، وإنَّما هوَ بحصولِ هذهِ الملكةِ في لسانِهِ ونطقِهِ ، وكذلكَ تحصيلُ هذهِ الملكةِ لَمَنْ بعدَ ذلكَ الجيلِ ؛ بحفظِ كلامِهِم وأشعارِهِم وحُطْبِهِم ، والمداومةِ على ذلكَ ؛ بحيثُ يُحصِلُ الملكةَ ، ويصيرُ كواحدٍ ممَّنْ نشأَ في جيلِهِم ، ورَبِّي بينَ أجيالِهِم ، والقوانينِ بمَعزِلِ عن هذا .

واستُعيرَ لهذهِ الملكةِ عندما ترسَّخُ وتستقرُّ اسمُ « الذَّوقِ » الذي اصطلحَ

عليه أهل صناعة البيان ، وإنما هو موضوع لإدراك الطُعم ، لكن لما كان محل هذه المَلَكَة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطُعم . . استُعيرَ لها اسمُه ، وأيضاً فهو وجدانيُّ اللسان كما أن الطُعم محسوسٌ له ، فقلَّ له : ذوقٌ ، وإذا تبيَّن لك ذلك . . علمت منه أن الأعاجم الداخلين في اللسان العربي ، الطارئین عليه ، المُضطَرِّين إلى النطق به لمخالطة أهله ؛ كالفرس والروم والترك بالمشرق ، وكالبربر بالمغرب . . فإنه لا يحصلُ لهم هذا الذوق ؛ لقصورِ حظِّهم في هذه المَلَكَة التي قرَّرنَا أمرها ؛ لأن قصاراهم بعد طائفة من العمرِ وسبقِ مَلَكَة أُخرى إلى اللسان وهي لغاتهم . . أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاورَة من مفردٍ ومركَّبٍ ، ويضطَرُّون إليه من ذلك ، وهذه المَلَكَة قد ذهبَتْ لأهل الأمصار ، وبعَدوا عنها كما تقدَّم ، وإنما لهم في ذلك مَلَكَة أُخرى ، وليست هي مَلَكَة اللسان المطلوبة .

ومن عرف تلك المَلَكَة من القوانين المُسطَّرة في الكتب . . فليس من تحصيلِ المَلَكَة في شيءٍ ، إنما حصلَ أحكامها كما عرفت ، وإنما تحصلُ هذه المَلَكَة بالممارسة والاعتیاد والتكرُّر لكلام العرب .

فإن عرضَ لك ما تسمعه من أن سيبويه والفراسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا أعجماً مع حصولِ هذه المَلَكَة لهم . . فاعلم : أن أولئك القوم الذين تسمعُ عنهم إنما كانوا عجماً في نسبهم فقط ، وأمَّا المَرَبِّي والنشأة . . فكانت بين أهلِ هذه المَلَكَة من العربِ ومن تعلَّمها منهم ، فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا [شيء] وراءها ، وكانَّهم في أوَّلِ نشأتهم من العرب الذين نشؤوا في أجيالهم ، حتى أدركوا كنه اللغة ، وصاروا من أهلها ، فهم وإن كانوا عجماً في النسب . . فليسوا بأعجم في اللغة والكلام ؛ لأنَّهم أدركوا المِلَّة في عنفوانها ، واللغة في شبابها ، ولم

تذهب آثارُ المَلَكَةِ ولا مِنْ أهلِ الأَمصارِ ، ثُمَّ عكفوا على الممارسَةِ والمدارسِ
لكلامِ العربِ حتى استولوا على غايَتِهِ (١) .



قلتُ : وحاصلُ هذا الكلامِ واختصارُ الطريقِ إلى معرفةِ الغرضِ منه :
هو أنَّ مَنْ يريدُ أن يتصدَّى لإنشاءِ الكلامِ نشراً كانَ أو نظماً يجبُ أن يكونَ
فيه استعدادٌ طبيعيٌّ لأُمورٍ اختياريَّةٍ ؛ وذلكَ بأن يكونَ ذا حافظَةٍ قويَّةٍ ، وفهمٍ
ثاقِبٍ ، وذاكرةٍ مطيعةٍ ، فإنَّ الناسَ في ذلكَ ليسوا سواءَ .

قالَ الحكماءُ عن خبرةٍ تامَّةٍ وتَجْرِيبَةٍ كافيةٍ ومعرفةٍ صحيحةٍ : إنَّ الإنسانَ
ذو طبائعٍ أربعٍ : الدَّمُ ، والصَّفراءُ ، والسوداءُ ، والبلغمُ ، وإذا غلبَ على مِزاجِهِ
إحدى تلكَ الطَّبائِعِ . . نُسِبَ إليها ، فقيلَ : دمويٌّ ، وصفراويٌّ ، وسوداويٌّ ،
وبلغميٌّ ، ولكلِّ أماراتٍ ظاهرةٍ .

والدَّمويُّ : يكونُ ممتلئاً الأعضاء ، مكتنزاً اللحم ، صافي اللونِ نَبْرَهُ ،
صحيحَ الجمالِ .

والصَّفراويُّ : يكونُ نحيفاً يابساً ، في لونهِ صفرةٌ .

والسُّوداويُّ : يكونُ يابساً ، في لونهِ كمدَةٌ ، شديدُ الشَّبَقِ .

والبلغميُّ : يكونُ رخواً مائياً ، في لونهِ نوعُ زرقَةٍ .

وَمِنْ خواصِّ الدَّمويِّ : سرعةُ الحفظِ ، وبطءُ النسيانِ .

وَمِنْ خواصِّ الصَّفراويِّ : سرعةُ الحفظِ ، وسرعةُ النسيانِ .

وَمِنْ خواصِّ السُّوداويِّ : بطءُ الحفظِ ، وبطءُ النسيانِ .

والبلغميُّ : بطيءُ الحفظِ ، سريعُ النسيانِ .

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٦٢ - ٥٦٤) .

فإذا كان الإنسان ذا حافظه قوية ، واستعملها في حفظ ما اتفق أسلافه ومعلموه على استجداته ، مهتدياً بفهمه إلى معاني محفوظاته ومقاصدها ، وتمييز كل فريق منها بما له من المحاسن وما لغيره من المساوي ، حسب ما سلف إرشادك له ، ثم استخدم ذاكرته في إحضار ما أراد من ذلك متى شاء . . فهو حينئذٍ مُتهَيِّئٌ لتحصيل تلك الصناعات ، وبالغ منها بتوفيق الله غاية منيته ، ومنتهى مقصوده .

فمن لم يجد من نفسه ذلك الاستعداد . . فعليه ألاَّ يُورِطَ نفسه ويستعملها في ما يكدها من غير عاقبة حميدة ، بل عليه أن ينظر فيما يسهل عليه ويمكنه الانتفاع به ، كما قيل^(١) :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وإذ كان الإنسان في أول أمره هو والبهايم سواء ، لا يهتدي لمعرفة ما هو الأصلح من الأحوال حتى يتعودها ، ويربِّي فيها ملكته . . فعلى من يتولَّى تربيته أن يختبره ، ويترصّد رغباته ، ويتأمل ميله وما يمكن أن يقوى فيه ، حسب طبيعته ، ووفق جبلته ، ويأخذه بمزاولة ذلك حتى يتم .

فإذا جرى العمل على ذلك . . حسن أمر الأمة ، وانتظمت مسالكهم ، وقويت منافعهم ، وبلغوا الدرجة التي هي للأمة كمالاً ، ولجميع طوائفها وأشخاصها أتمّ جمال .

وأما قوله في تفسير (الذوق) . . فأبين منه ما سألقيه عليك ؛ وذلك أنّ بين الأشياء تناسباً ، بحيث متى استوفت عند اجتماعها حظها منه . . قامت منها صورة يتفاوت الناس في إدراك حسنها طبعاً وتعلماً ؛ فمنهم : مَنْ لا يدرك ذلك ولا يلتفت إليه ، وليس مدركوه سواءً فيه ؛ فمنهم : مَنْ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٣٦/٢) ، وعزاه لعمر بن معديكرب .

يقنعُ بإدراكِ ظواهرِ الأشياءِ ، ومنهُم : مَنْ ينتهي إدراكُهُ إلى اعتبارِ دقائقِها
وخوافيها .

وتعتبرُ ذلكَ بما تشاهدُهُ مِنْ شِدَّةِ سرورِ بعضِ الناسِ عندَ رؤيتِهِ للأشياءِ
المناسبةِ التي يلائمُ بعضها بعضاً ، وشِدَّةِ نَفَرَتِهِ وانقباضِهِ عندَ رؤيةِ
خلافِها ، لا يَحْتَصِرُ ذلكَ بشيءٍ دُونَ شيءٍ ، فتراهُ يتأملُ الأبنيةَ وأوضاعِها ،
وما اشتمَلتْ عليه مِنْ مُكَمِّلاتِ الانتفاعِ بها ، فإذا أدركَ فيها التناسبَ
اللائقَ بها . . رأيتُهُ قد انشرحَ صدرُهُ ، وتجدَّدَ سرورُهُ ، وأخذَ في نعتِها
والثناءِ على صناعتِها .

وذلكَ مثلُ تعتبرُ بِهِ غيرُهُ ، وتَتأملُ تفاوتَ الناسِ في ذلكَ الإدراكِ ،
فالإدراكُ الذي يَتعلَّقُ بتناسبِ الأشياءِ ، ويوجبُ الاستحسانَ والاستقباحَ . .
هو المُسمَّى بالذوقِ ، وهو طبعيٌّ ، ينمو وَيَتربَّنُ بالنظرِ في الأشياءِ والأعمالِ
مِنْ جهةِ موافقتِها للغايةِ المقصودةِ منها .

وأما قولُهُ في الأساليبِ العربيةِ واختصاصِها ، حتى إنَّهُ أخرجَ نظمَ المتنبي
وأبي العلاءِ المَعريِّ عن أن يكونَ شعراً : فذلكَ حَجْرٌ واسعٌ وحظرٌ مباحٌ ؛
فإنَّ أنفَسَ الشعراءِ مِنَ العربِ لم يَتَّفِقوا على سلوكِ طريقِ بعينِها ، وإنَّما هي
مذاهبٌ مختلفةٌ ، وطرقٌ متشعبةٌ ، كما قالَ اللهُ تعالى في صفتِهِم : ﴿ أَلَمْ تَرَ
أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ^(١) ، فليسَ هناكَ طريقٌ معينٌ يلتزمُها السالكُ ،
وإنَّما المَدَارُ على أن توافقَ التراكيبُ التي يستعملُها المُستعملُ تراكيبَ
العربِ حَسَبَ ما بينتُهُ القوانينُ العلميةُ على أَنَّهُ لا يَصِحُّ تقليدُ العربِ في
جميعِ ما نطقوا به ، فقد عرفتَ مما سلفَ أَنَّ بعضَ كلامِهِم يجبُ اجتنابُ
مثلهِ ، وأنَّهُم لا يُتَابَعُونَ إِلَّا فيما كانَ أوفقَ للغرضِ مِنَ الكلامِ ؛ وهو التفاهمُ ،

(١) سورة الشعراء : (٢٢٥) .

وفي خصوص الشعرِ والإنشاءِ مِنَ التأثيرِ في الطِّبَاعِ وتحويلِها إلى الميلِ الذي يريدهُ الشاعرُ والكاتبُ .

ففي الحماسِ مثلاً : يكونُ الكلامُ مُهَيَّجاً للقوى ، مثيراً للغضبِ ، باعثاً على الحميَّةِ ، وفي الغَزَلِ : يكونُ ساراً للنفوسِ ، مريحاً للخواطرِ ، وفي العتابِ : هادياً للموافقةِ ، ومولِّداً للرضا . . . إلى غيرِ ذلكَ ، ممَّا تَضَطَّرَكُ إلى معرفتِهِ مطالعةُ الأحوالِ مِنْ جهةِ الإيصالِ إلى المرغوبِ ، والحمايةِ مِنَ المرهوبِ .



فتقرَّرَ بجميعِ ما سلفَ : أَنَّهُ لا طريقَ لتعلُّمِ صناعةِ الإنشاءِ إِلَّا حفظُ كلامِ الغيرِ وفهمُهُ ، وتمييزُ مقاصدِهِ .

وهأنَا مُستشهدٌ على ذلكَ بما هوَ حاضرٌ معنا في هذا العصرِ المخالفِ بالكليةِ للعصورِ التي كانَ أمرُ الشعرِ والكتابةِ الصِّناعيةِ قائماً ، ورغباتُ الملوكِ وأعيانِ الأمراءِ فيهما متوفرةً ؛ إذ كانتِ الدولةُ عربيَّةً ، وأمراؤها مِنْ العربِ أو مِنْ غيرِهِم ، وهُم مُضطرُّونَ لإتقانِ معرفةِ لسانِهِم ، حَسَبَ ما كانتِ تبعثُ الحاجةُ إليه ، ويتوقفُ تحصيلُ الأغراضِ عليه ، ويتغيَّرُ الدولةُ تَتَغَيَّرُ الأحوالُ ؛ فإنَّ الكتابةَ الصِّناعيةَ بلسانِ الدولةِ القائمةِ بالغةً درجتُها باللسانِ العربيِّ أو أعلى ، كما تسمعهُ مِنَ العارفينَ بطرائفِ اللسانينِ ومحاسنِ اللغتينِ ، وليسَ يقوى أمرٌ - كما هوَ بديهيٌّ - إِلَّا بحَسَبِ قُوَّةِ الحاجةِ إليه .



[نبذةٌ من أشعارِ الباروديِّ في مُحاكاةِ بعضِ قصائدِ السابقينَ]

هذا الأميرُ الجليلُ ، ذو الشرفِ الأصيلِ ، والطَّبَعِ البالغِ نقاؤُهُ ، والذِّهْنِ المتناهي ذكاؤُهُ ؛ محمود سامي باشا الباروديُّ ، لم يقرأ كتاباً في فنِّ من فنونِ العربيةِ ، غيرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ سنَّ التَّعَقُّلِ . . وجدَ مِنْ طَبِيعِهِ ميلاً إلى قراءةِ الشعرِ وعملِهِ ، فكانَ يستمعُ بعضَ مَنْ لَهُ درايةٌ وهو يقرأ بعضَ الدواوينِ ، أو يُقرأ بحضرتِهِ ، حتى تَصَوَّرَ في برهَةٍ يسيرةٍ هيئاتِ التراكيبِ العربيةِ ، ومواقعِ المرفوعاتِ منها والمنصوباتِ والمخفوضاتِ ، حَسَبَ ما تقتضيه المعاني والتعلُّقاتُ المختلفةُ ، فصارَ يقرأ ولا يكادُ يلحنُ .

وسمعتُهُ مرَّةً يُسَكِّنُ ياءَ المنقوصِ والفعلِ المعتلِّ بها المنصوبينِ ، فقلتُ لَهُ في ذلكَ ، فقالَ : هوَ كذا في قولِ فلانِ ، وأنشدَ شعراً لبعضِ العربِ ، فقلتُ : تلكَ ضرورةٌ ، وقالَ علماءُ العربيةِ : إنَّها غيرُ شاذةٍ .

ثمَّ استقلَّ بقراءةِ دواوينِ مشاهيرِ الشعراءِ مِنَ العربِ وغيرِهِم ، حتى حفظَ الكثيرَ منها دونَ كلفةٍ ، واستثبتَ جميعَ معانيها ، ناقداً شريفها مِنْ خسيسِها ، واقفاً على صوابِها وخطئِها ، مدركاً ما كانَ ينبغي وَفَقَ مَقَامِ الكلامِ وما لا ينبغي ، ثمَّ جاءَ مِنْ صنعةِ الشعرِ اللائقِ بالأمرءِ ولشعرِ الأمرءِ ؛ كأبي فراسٍ ، والشريفِ الرضيِّ ، والطُّغرائيِّ . . تميَّزَ عن شعرِ الشعراءِ كما سترأهُ .

ومصدقُ ذلكَ : ما سألقيه عليكِ مِنْ قصائدِ أنشأها في وزنِ قصائدِ لبعضِ مشاهيرِ المُتقدِّمينَ وروَّيها .

[قصيدةٌ لأبي نواسٍ يمدحُ فيها أميرَ مصرَ]

قالَ أبو نواسٍ يمدحُ الخصبَ بنَ عبدِ الحميدِ العجميِّ أميرَ مصرَ

مِنْ طَرَفِ الرَّشِيدِ وَقَصَدَهُ مِنْ بَغْدَادَ^(١) :

[من الطويل]

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورُ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خِلْمًا وَلَا أَنْتِ زَوْجَةٌ
وَجَاوَزْتَ قَوْمًا لَا تَزَاوِرُ بَيْنَهُمْ
فَمَا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرْبَةَ لَازِبٍ
وَإِنِّي لَطَرْفِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ
كَمَا نَظَرْتُ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ لَهَا
طَوْتُ لَيْلَتَيْنِ الْفُوتَ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ
فَأَوْفَتْ عَلَيَّ عَلِيَاءَ حَتَّى بَدَا لَهَا
تُقَلِّبُ طَرْفًا فِي حِجَاغِي مَعَارَةَ

هَذَا فِي فَصْلَانِ .

أولُهُمَا : في شكوى الزمان وقساوة الحرمان ، فهو يقول خطاباً لامرأة
وجدت هواها ، ولم يقدر على الوصول إلى مراده منها ؛ لفقره وعدم تمكنه
من الطريق . . . إلى ذلك : أيّتها الجارة ؛ إني غير قادر على الوصول إليك ،
وأنا مقيم بأرضك على ما أنا فيه من الأحوال ، لا على وجه الخلّة ، ولا على
وجه التزوُّج ، فقد عزمْتُ على التغرُّب لتحصيل أسباب الوصول إليك ؛ فإمّا
أبلغ ما تمنيت ، وإمّا أموتُ معذوراً ، وهذا المعنى نطق به الشعراء ؛ كقول
بعضهم :

[من الطويل]

دَعَيْتَنِي أَطَوَّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي
أُصَادِفُ حُرّاً أَوْ أَمُوتَ فَأُعْذِرَا

(١) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٢٨٥ - ٢٨٦) .

وقول آخر^(١) :

[من الطويل]

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

إلى غير ذلك ، أخرجهُ هو مُخْرَجَ القسمِ بالدُّعَاءِ على تَصْمِيمِهِ وعزمِهِ على فراقِ أرضِهِ ، وتغرُّبِهِ في طلبِ حَسَنِ الحَالِ ، ثم قولُهُ : (خِلْمًا) و (زوجةً) ما كَانَ ينبغي أَنْ يصدِرَ منه ، وقولُهُ : (فما أنا بالمشغوفِ) مخالِفٌ لمذهبِ العُشَاقِ .

والفصلُ الثاني : في الافتخارِ بِجِدَّةِ الدِّهْنِ ، وشدةِ الفِطْنَةِ ، وكثرةِ التَّجْرِبةِ .. مشبهُةً نَفْسَهُ بالعُقَابِ التي وصفَهَا ، وبينَ الفِصْلَيْنِ انقِطَاعُ يَسْمَى مثلهُ طغرةِ الشَّعْرِ^(٢) ، وقولُهُ : (عَقْنِبَاءُ) هو مِنْ صِفَةِ العُقَابِ ، قَالَ في « القاموس » : (عُقَابٌ عَقْنِبَاءٌ : ذَاتُ مَخَالِبِ جِدَادٍ)^(٣) ، فإِضَافَتُهَا في كَلَامِهِ إلى (الأرساغِ) غيرُ ظَاهِرَةٍ .

ثمَّ شرَعَ في صِفَةِ حَالِهِ ، وما دَارَ بَيْنَهُ وبينَ أَهْلِ بَيْتِهِ عِنْدَ عزمِهِ على السَّفْرِ فقال :

تَقُولُ الَّتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي عَزِيْزُ عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيْرُ
أَمَّا دُونَ مِصْرَ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبُ بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ الْغِنَى لَكَثِيْرُ
فَقُلْتُ لَهَا وَأَسْتَعَجَلْتَهَا بَوَادِرُ جَرَتْ فَجَرَى فِي جَرِيْهِنَّ عَبِيْرُ
ذَرِيْنِي أَكْثَرُ حَاسِدِيْكَ بِرِحْلَةٍ إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيْبُ أَمِيْرُ
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيْبِ رِكَابُنَا فَأَيُّ فَتَى بَعْدَ الْخَصِيْبِ تَزُوْرُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُوْرُ

بعثهُ على هذا الكلامِ المزعجِ إِدْلَالُهُ بِمَكَانِهِ .

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٥١/١) ، وعزاه للعباس بن الأحنف .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله أراد : (الطرة) وهي اسم للشيء المقطوع ، والله أعلم .

(٣) انظر « القاموس المحيط » (٢٥٩/١) ، مادة (ع ق ب) .

فَمَا جَاذَهُ جُودٌ وَلَا حَلٌّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ
 هذا البيت من الشعر الذي كثر لفظه وقلّ معناه ؛ إذ معناه : أنه لا يفارقه
 الجود ، وعليه فيه مؤاخذه ؛ فإنه أخذهُ مِنْ قولِ الشنفرى ^(١) : [من المديد]
 ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا [حَلٌّ] حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ
 ونقل العبارة من الحزم نقلاً غير صحيح إلى الجود ؛ وذلك أن الحزم
 يتعلّق بالسير والحلول ، بحيث يُقال : من حزمه وحسن رأيه يظعن في
 الأوقات التي تقتضي الأحوال أن يظعن فيها ، فلا يُؤخّر واجباً ، ولا يفعل ما
 ليس لازماً ، ويحلُّ بالأمكنة التي تصلح للحلول ؛ لأنها واشتمالها على ما
 يلزم للإقامة ، وأما الجود .. فإنه لا يصح ربطه بالسير والإقامة ، وإنما يربط
 بالأحوال ، فيُقال : إنه جوادٌ على كلّ حالٍ من عسرٍ ويسرٍ .

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي سُودَدًا مِثْلَ سُودِدِ يَحُلُّ أَبُو نَضْرِبِهِ وَيَسِيرُ
 [وَأَطْرُقُ] حَيَاتِ الْبِلَادِ لِحَيَّةِ خَصِيبِيَّةِ التَّضْمِيمِ حِينَ تَسُورُ
 سَمَوْتَ لِأَهْلِ الْحَوْفِ فِي دَارِ أَمْنِهِمْ فَأَضْحَوْا وَكُلُّ فِي الْوِثَاقِ أَسِيرُ
 إِذَا قَامَ عَنَّتُهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَّةٌ ^(٢) لَهَا خُطْوَةٌ عِنْدَ الْقِيَامِ قَصِيرُ
 فَمَنْ يَكُ أَمْسَى جَاهِلًا بِمَقَالَتِي فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَبِيرُ
 وَمَا زِلْتُ تُوَلِيهِ النَّصِيحَةَ يَافِعًا إِلَى أَنْ بَدَا فِي الْعَارِضِينَ قَتِيرُ
 إِذَا غَالَهُ أَمْرٌ فَإِمَّا كَفَيْتَهُ وَإِمَّا عَلَيْهِ بِالْكَفَيِّ تُشِيرُ
 الحوفُ : ناحيةٌ بمصرَ ظهرَ مِنْ أهلها عصبانٌ ، فوردَ لَهُ الأمرُ بحربهم
 وتأديبهم ، فظفرَ بهم .

(١) انظر « ديوان الشنفرى » (ص ١١٨) .

(٢) في « ديوان أبي نواس » (ص ٢٨٧) : (عَنَّتُهُ) .

إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ هُوجٌ كَأَنَّمَا جَمَاجِمُهَا تَحْتَ الرِّحَالِ قُبُورُ
رَحَلْنَ بِنَا مِنْ عَقْرُقُوفٍ وَقَدْ بَدَا مِنْ الصُّبْحِ مَفْتُوقُ الأَدِيمِ شَهِيرُ

أخذ يذكر الأماكن التي مرَّ بها في سفره من بغداد إلى مصر .

فَمَا أَنْجَدَتْ بِالْمَاءِ حَتَّى رَأَيْتُهَا مَعَ الشَّمْسِ فِي عَيْنِي أَبَاغَ تَغُورُ
وَعُغْمِرُنَ مِنْ مَاءِ النَّقِيبِ بِشَرْبَةٍ وَقَدْ حَانَ مِنْ دِيكَ الصَّبَاحِ زَمِيرُ
التغميزُ : الشربُ دونَ الريِّ .

وَوَافِينَ إِشْرَاقاً كَنَائِسَ تَذْمُرُ وَهَنَّ إِلَى رَعْنِ المُدَحِّنِ صُورُ
يُؤَمِّمَنَ أَهْلَ الغُوطَتَيْنِ كَأَنَّمَا لَهَا عِنْدَ أَهْلِ الغُوطَتَيْنِ نُؤُورُ
وَأَصْبَحْنَ بِالْجَوْلَانِ يَرْضُخْنَ صَخْرَهَا وَلَمْ يَبَقَ مِنْ أَجْرَامِهِنَّ شُطُورُ
وَقَاسِينَ لَيْلًا دُونَ بَيْسَانَ لَمْ يَكْدُ سَنَا صُبْحِهِ لِلنَّاطِرِينَ يُنِيرُ
وَأَصْبَحْنَ قَدْ فَوُزْنَ مِنْ أَهْلِ [فُطْرُسِ] وَهَنَّ عَنِ البَيْتِ المُقَدَّسِ زُورُ
طَوَالِبُ بِالرُّكْبَانِ غَزَّةَ هَاشِمِ وَفِي الفَرَمَا مِنْ حَاجِهِنَّ شُقُورُ

الشقورُ : المهماتُ مِنَ الحاجاتِ ، والفرما : من بلادِ مصرَ التي كانت مشهورةً بالصَّنَائِعِ [كَتَيْيسَ] ، وقد زالتْ ولم يبقَ لها أثرُ .

وَلَمَّا أَتَتْ فُسطَاطَ مِصْرَ أَجَارَهَا عَلَى رَكْبِهَا أَلَّا تُذَالَ مُجِيرُ
هذا المعنى الذي قال فيه وكَرَّرَهُ في عباراتٍ : [من الكامل]

وَإِذَا المُطِيطِي بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّداً فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّحَالِ حَرَامُ
وقد سلفَ هَوَ وأصلُهُ ، وأذَالَ المِصُونُ : أهانَهُ .

مِنْ القَوْمِ بَسَامٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَنَا الفَجْرِ يَسْرِي ضَوْؤُهُ وَيُنِيرُ

زَهَا بِالْخَصِيبِ السَّيْفُ وَالرُّمْحُ فِي الْوَعْيِ وَفِي السِّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ
جَوَادٌ [إِذَا] الْأَيْدِي كَفَفْنَ عَنِ النَّدَى وَمِنْ دُونِ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ غَيُورٌ
عبارة باردة .

لَهُ سَلَفٌ فِي الْأَعْجَمِينَ كَأَنَّهُمْ إِذَا أَسْتَوْذَنْوْا يَوْمَ السَّلَامِ بُدُورٌ
فَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْغِنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورٌ

يُحكى : أَنَّ الرشيذَ عزَلَ الخصيبَ عن عملِ مصرَ ، فخرجَ منها مُجرّداً ،
واتَّفَقَ أن لقيَ أبا نُواسٍ ليلاً في بعضِ الطريقِ إلى بغدادَ وهو على فرسٍ
عجفاءَ وأبو نُواسٍ في ركبٍ حافلٍ ، فسمعَهُ يتغنّى ، فدنا منه وسلّمَ عليه ،
فلم يَعْرِفْهُ أبو نُواسٍ لثرائةِ حالِهِ ، فعَرَفَهُ بنفسِهِ .

فقالَ لَهُ : ما الذي أصاركَ يا سيدي لهذا الحالِ ؟! فقالَ : قولُكَ : (الدائراتُ
تدورُ) ؛ فأرادَ أبو نُواسٍ أن يواسيَهُ ، فقالَ : ما كنتُ لأخذَ ممَّنْ أعطيتُ ،
وافترقا .

ولمّا وصلَ الخصيبُ بغدادَ . . أقامَ بها فقيراً في هيئةِ سائلٍ ، يجلسُ إلى
جوانبِ الجدرانِ ، فعلمَ به شاعرٌ ، وأنَّهُ الخصيبُ ، فلقِيَهُ بأبياتٍ يمتدحُه
بها ، فأخرجَ لَهُ مِنْ تَحْتِ رِقْعَةٍ مِنْ رِقَاعِ ثِيَابِهِ لؤلؤةً فريدةً ، وأجازَهُ بها ،
وسألهُ العذرَ لضيقِ الحالِ ، فأخذها ونزلَ بها السُّوقَ ، فعجبَ منها التجارُ ،
وأوصلوها إلى الخليفةِ ، فسألَ عنها : مِنْ أينَ جاءتْ ؟

فوقفَ على الخبرِ وعلى طريبه بهمةِ الخصيبِ ، أعادَهُ لحسنِ الحالِ ،
ورضىَ عنه .



[الأَمِيرُ البَارُودِيُّ يَحَاكِي أَبَا نُوَّاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ]

وهذه قصيدة الأَمِيرِ التي في وزن قصيدة أبي نُوَّاسٍ ورويتها^(١) : [من الطويل]

تَلَاهَيْتُ إِلَّا مَا يُجِنُّ ضَمِيرُ وَدَارَيْتُ إِلَّا مَا يَنْمُ زَفِيرُ
 وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كَثْمَانَ أَمْرِهِ وَفِي الصَّدْرِ مِنْهُ بَارِحٌ وَسَعِيرُ
 فَيَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهَوَى مَا أَشَدَّهُ عَلَى الْمَرْءِ إِذْ يَخْلُو بِهِ فَيُغِيرُ
 تَلِينُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَهِيَ أَبِيَّةٌ وَيَجْزَعُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَهُوَ صَبُورُ
 نَبَذْتُ لَهُ زُمَحِي وَأَعَمَدْتُ صَارِمِي وَنَهْنَهْتُ مُهْرِي وَالْمُرَادُ غَزِيرُ
 وَأَصْبَحْتُ مَغْلُولَ الْمَخَالِبِ بَعْدَمَا سَطَوْتُ وَلِي فِي الْخَافِقِينَ زَبِيرُ
 فَيَا لَسْرَاةِ الْقَوْمِ دَعْوَةٌ عَائِدِ أَمَا مِنْ سَمِيعٍ فِيكُمْ فَيُجِيرُ
 لَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى مَلَلْتُهُ وَعَهْدِي بِهِ فِيمَا عَلِمْتُ قَصِيرُ
 أَلَا فَرَعَى اللَّهُ الصِّبَا مَا أَبْرَهُ وَحَيَّا شَبَابًا مَرًّا وَهُوَ نَضِيرُ
 إِذْ أَلْعَيْشُ أَفْوَافٌ تَرِفُ ظِلَالُهُ عَلَيْنَا وَسَلْسَالُ الْوَفَاءِ نَمِيرُ
 وَإِذْ نَحْنُ فِيمَا بَيْنَ [إِخْوَانِ] لَذَّةٍ عَلَى شِيمٍ مَا إِنْ بِهِنَّ نَكِيرُ
 تَدُورُ عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَلَاعِبِ بِهَا أَلَلَّهُوْ خِذْنُ وَالشَّبَابُ سَمِيرُ
 فَأَلْحَاطْنَا بَيْنَ النَّفُوسِ رَسَائِلُ وَرِيحَانُنَا بَيْنَ الْكُؤُوسِ سَفِيرُ
 عَقَدْنَا جَنَاحِي لَيْلِنَا بِنَهَارِنَا وَطَرْنَا مَعَ أَلَلِّذَاتِ حَيْثُ تَطِيرُ
 وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرَاهَا فَإِنَّمَا بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبَابِ يَسِيرُ
 فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةٌ لَهْبِيَّةٌ

(١) انظر « ديوان البارودي » (٢٦/٢ - ٣٣) .

إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقْمَنَا مَكَانَنَا
وَكَمْ لَيْلَةٍ أَفْنَيْتُ عُمَرَ ظَلَامِهَا
شَغَلْتُ بِهَا قَلْبِي وَمَتَّعْتُ نَاطِرِي
صَنَعْتُ بِهَا صُنْعَ الْكَرِيمِ بِأَهْلِهِ
فَمَا رَاعَنَا إِلَّا حَفِيفُ حَمَائِمِ
تُجَاوِبُ أَتْرَابًا لَهَا فِي خَمَائِلِ
نَوَاعِمُ لَا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ
تَوْسَدُ هَامَاتُ لَهْنٍ وَسَائِدَا
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيبِكِهَا
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكَ دَوَاحِلُ غَيْرِهِ
إِذَا غَارَلَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّمَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ قَدْ رَفَّ جِيدُهُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ تَيْهًا وَإِنَّمَا
وَلِي شِيْمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا وَعَزْمَةٌ
إِذَا سِرْتُ فَأَلْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ فَوْقَهَا
فَلَا عَجَبٌ إِنْ لَمْ يَصُرْنِي مَنَزِلٌ
هَمَامَةٌ نَفْسٍ لَيْسَ يَنْفِي رِكَابَهَا
مُعَوَّدَةٌ إِلَّا تَكُفَّ عِنَانُهَا
لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أُذُنٌ سَمِيعَةٌ

وَوَلَّتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ
إِلَى أَنْ بَدَا لِلصُّبْحِ فِيهِ قَتِيرُ
وَنَعَمْتُ سَمْعِي وَالْبِنَانُ طَهُورُ
وَجِيرَتِهِ وَالْغَادِرُونَ كَثِيرُ
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْغُصُونِ هَدِيرُ
لَهْنٌ بِهَا بَعْدَ الْحَنِينِ صَفِيرُ
وَلَا دَائِرَاتِ الدَّهْرِ كَيْفَ تَدُورُ
مِنْ الرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ
تَمَائِمَ لَمْ تُعْقِدْ لَهْنٌ سُيُورُ
زَاهُنٌ ظِلٌّ سَابِغٌ وَعَدِيرُ
عَلَى صَفْحَتَيْهَا سُندُسٌ وَحَرِيرُ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسِجِ الظَّلَامِ سُتُورُ
يَتِيهِ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهُوَ قَدِيرُ
تَرُدُّ لُهَامَ الْجَيْشِ وَهُوَ يَمُورُ
مَرَادٌ لِمُهْرِي وَالْمَعَاقِلُ دُورُ
فَلَيْسَ لِعَقْبَانِ الْهَوَاءِ وَكُورُ
رَوَاحٍ عَلَى طُولِ الْمَدَى وَيُكُورُ
عَنِ الْجِدِّ إِلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ
وَعَيْنٌ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ بَصِيرُ

وَفَيْتُ بِمَا ظَنَّ الْكِرَامُ فِرَاسَةً
وَأَصْبَحْتُ مَحْسُودَ الْجَلَالِ كَأَنِّي
إِذَا صَلْتُ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلُوبِهِ
مَلَكَتُ مَقَالِيدَ الْكَلَامِ وَحِكْمَةً
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَضْرِ الْكَلَامِ الَّذِي أَنْفَضَى
وَلَوْ كُنْتُ أَذْرَكْتُ النُّوَاسِيَ لَمْ يَقُلْ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمْ
فَيَا رَبِّمَا أَخْلَى مِنْ السَّبْقِ أَوْلُ

بِأَمْرِي وَمِثْلِي بِالْوَفَاءِ جَدِيرُ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي الزَّمَانِ أَمِيرُ
وَإِنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورُ
لَهَا كَوَكَبُ فَخْمِ الضِّيَاءِ مُنِيرُ
لِبَاءٍ بِفَضْلِي جَزُولٌ وَجَرِيرُ
أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورُ
وَفَضْلِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرُ
وَيَدُّ الْجِيَادِ السَّابِقَاتِ أَخِيرُ

لَمْ أَكُنْ لِأَدْعَ أَنْ أَقُولَ : انظر هداك الله لأبيات هذه القصيدة ، فأفردتها بيتاً بيتاً . . . تجذ ظروف جواهر ، أفردت كل جوهرة لنفاستها بظرف ، ثم اجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق ؛ فإنك لا تجد بيتاً يصح أن يُقدّم أو يُؤخّر ، ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث ، وأكملك إلى سلامة ذوقك وعلو هممتك إن كنت من أهل الرغبة في الاستكمال لتتبع هذه الطريقة المثلى .

ثم قول ابن هانئ : (فتى يشتري . . .)^(١) سبقه إلى النطق به الراعي النميري حيث قال^(٢) :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ
وَنَطَقَ بِهِ قَبْلَهُ الْأَبِيرُ دُ أَيضاً :

إِذَا مَا اشْتَرَى الْمَخْرَآةَ بِالْمَجْدِ بَيْنَهُسُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ

إِذَا أَلْسَنَةُ الشَّهْبَاءِ أَعْوَزَهَا الْقَطْرُ

(١) أي : قول أبي نواس فيما تقدم قريباً (٩٤/٤) .

(٢) انظر « ديوان الراعي النميري » (ص ١٨٠) .

ومثل هذا لا يعيبه أهل الأدب كما نقله عنهم بعض شراح «لامية العجم» ، عند ذكره توافق الطغرائي وصاحب «المقامات» الحريري في قولهما^(١) :

وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مُعْتَقَلٍ بِمِثْلِهِ غَيْرَ هَيَابٍ وَلَا وَكَلٍ
[وقال الحريري] ^(٢) :

وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ قَامَتْهُ صَادَفَتْهُ بِمَنْىَ يَشْكُو مِنْ الْحَرْبِ
قالوا : إذا لم يكن الكلام ذا معنى غريب ، ولم يشتمل على نكتة بديعة . . تسامح الشعراء في تناوله والتوافق فيه ، فالمعيب إذاً مثل قوله في هذه القصيدة : (فأجازه جودٌ) فإنه كما سبق التنبيه عليه منقول من الحزم إلى الجود ، وقد سبقه أيضاً بعض بني يربوع بالعبارة في الجود حيث قال :

مَا قَصَرَ الْجُودُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَطْرٍ وَلَا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودٍ
بِحِلٍّ حَيْثُ حَلَلْتُمْ لَا يُفَارِقُكُمْ مَا عَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسُّودِ
وقوله : (زها بالخصيب سيف والرمح) بعد قول ابن ميادة : [من الطويل]

وَيُزْهِى بِهِ فِي الرَّدْعِ عَضْبٌ مُهَنْدٌ وَفِي السَّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ
وقوله : (فإن تولني منك الجميل) وقد قال بعض بني منقر : [من الطويل]

فَإِنْ جُدْتَ كَانَ الْجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةً وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ لَكَ شَاكِرٌ



(١) انظر «الأغاني» (٤٦٤٨/١٣) ، ذكر أن الأبيرد رثى أخاه بريداً بقصيدة ذكر أولها ، ومنها هذا البيت .
(٢) مقامات الحريري (ص ٣٥١) ، وفيها : (يشكو من الحدب) وهو تقوس الظهر .

[قصيدة لأبي نواسٍ يمدح الأمير محمد بن الرشيد]

وقال أبو نواسٍ أيضاً يمدحُ الأميرَ محمدَ بنَ الرشيدِ^(١) : [من الكامل]
 يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَيَّامُ لَمْ تُبْقِ مِنْكَ بِشَاشَةً تُسْتَامُ
 تُسْتَامُ : تُطَلَّبُ ، وَقِيلَ : تُكَلَّفُ ، يُقَالُ : سَامَهُ يَسُومُهُ سَوْماً وَسِيمَةً ،
 وَكَذَلِكَ فِي الْبَيْعِ ، وَقِيلَ : سَمْتُهُ وَأَسْمَتُهُ ؛ إِذَا سَأَلْتَهُ وَكَلَفْتَهُ ، وَقِيلَ : تَشْتَامُ ،
 مِنَ الشِّيمِ ؛ وَهُوَ النَّظَرُ .

وروى بعضهم : [من الكامل]

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَيَّامُ ضَامَتِكَ وَالْأَيَّامُ لَيْسَ تَضَامُ
 [عودٌ للقصيدة] :

عَرَمَ الزَّمَانَ عَلَى الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ بِكَ قَاطِنِينَ وَلِلزَّمَانِ عُرَامُ
 يُقَالُ : عَرَمَ يَعْرُمُ عَرَامَةً وَعُرَاماً ؛ بَضَمَ أَوَّلِيهِ ، وَقَدْ نُطِقَ بِالْفِعْلِ مِنْ بَابِ
 نَصَرَ وَضَرَبَ وَكَرَمَ وَعَلِمَ ؛ وَهُوَ التَّخَابُثُ وَالْإِفْسَادُ .

أَيَّامٌ لَا أَغْشَى لِأَهْلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا مُرَاقِبَةً عَلَيَّ ظَلَامُ
 عَلَيَّ ظَلَامٌ ؛ أَي : مُسْتَخْفِياً بِاللَّيْلِ ؛ لِيُخْتَلَسَ بَغِيَّتُهُ اخْتِلاساً ، وَهَذَا
 التَّرَكِيبُ وَرَدَّ فِي حَدِيثٍ ؛ هُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُسَافِراً
 مَرَّةً صَائِماً ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ . . قَالَ لِصَاحِبِ طَعَامِهِ : « أَنْزِلْ فَأَجِدْخَ
 لَنَا » أَي : هَيِّئِ السَّوِيقَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ عَلَيْكَ نَهَاراً ، فَقَالَ : « أَنْزِلْ
 فَأَجِدْخَ لَنَا »^(٢) .

(١) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٣٤١ - ٣٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤١) ، ومسلم (١١٠١) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما .

وقال بشار :

[من الطويل]

إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلِدَّةٍ أَوْ نَكْرْتَهَا خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادٌ

فَهِيَ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُسْتَمْلِحَةِ الَّتِي يَغْيِرُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ .

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْغَوَاةِ بِدَلْوِهِمْ وَأَسْمْتُ سَرَحَ اللَّهْوِ حَيْثُ أَسَامُوا

وَبَلَّغْتُ مَا بَلَغَ أَمْرُؤُ بِشَبَابِهِ فَإِذَا عَصَاةٌ كُلِّ ذَاكَ أَثَامُ

وَتَجَشَّمْتُ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنُوفَةٍ هَوَجَاءٍ فِيهَا جُزْأَةٌ إِقْدَامُ

تَذَرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهَا صَفٌّ تَقَدَّمَهُنَّ وَهِيَ إِمَامُ

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّحَالِ حَرَامُ

فَرَيْنَنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

رَفَعَ الْحِجَابَ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعَ دُونَهُ الْأَوْهَامُ

مَلِكٌ إِذَا عَلِقَتْ يَدَاكَ بِحَبْلِهِ لَا يَغْتَفِيكَ الْبُؤْسُ وَالْإِعْدَامُ

مَلِكٌ تَوَحَّدَ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا فَرَدُّ فَقِيدُ النَّدْفِ فِيهِ هُمَامُ

مَلِكٌ أَغْرُ إِذَا شَرِبْتَ بِوَجْهِهِ لَمْ يَعْذُكَ التَّبَجِيلُ وَالْإِعْظَامُ

فَأَلْبَهُوْ مُشْتَمِلٌ بِبَدْرِ خِلَافَةٍ لَيْسَ الشَّبَابُ بِنُورِهِ الْإِسْلَامُ

سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا أَحْتَبَى بِنِجَادِهِ فَرَعَ الْجَمَاجِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ

فَرَاعَ الْجَمَاجِمَ : أَجُودٌ مِنْ (غَمَرَ [الْجَمَاجِمَ]) وَهِيَ رَوَايَةٌ ؛ لِأَنَّ (غَمَرَ)

إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْكَثْرَةِ ، يُقَالُ : قَدِ غَمَرَ جُودٌ هَذَا ، وَغَمَرَ الْمَاءُ الْحَصَى .

إِنَّ الَّذِي يَرْضَى الْإِلَاهُ بِهَدْيِهِ مَلِكٌ تَرَدَّى الْمُلْكُ وَهُوَ غُلَامُ

وَيُرْوَى : (يَرْضَى السَّمَاءَ) أَي : مَنْ فِي السَّمَاءِ ؛ يَعْنِي : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

مَلِكٌ إِذَا أَعْتَبَرَ الْأُمُورَ مَضَى بِهِ رَأْيِي يَفْلُ السَّيْفَ وَهُوَ حُسَامُ

دَاوَى بِهِ اللَّهُ الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى
أَصْبَحْتَ يَا بَنَ زُبَيْدَةَ بِنَةَ جَعْفَرٍ
فَسَلِمْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي تُرْجَى لَهُ
حَتَّى أَفْقَنَ وَمَا بِهِنَّ سَقَامٌ
أَمَلًا لِعَقْدِ حِبَالِهِ أَسْتِحْكَامٌ
وَتَقَاعَسَتْ عَنِ يَوْمِكَ الْأَيَّامُ

[محاكاة الأمير البارودي لأبي نواس في قصيدته]

فَقَالَ الْمُسَمَّى فِي الْوَزْنِ وَالرُّوْيِ ^(١) :

[من الكامل]

ذَهَبَ الصِّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ
تَأَلَّهَ أَنْسَى مَا حَيَّتْ عُهُودُهُ
إِذْ نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَرَفٌ ظِلَالُهُ
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسِ
فِي فِتْيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَيْهِمْ
ذَهَبَتْ بِهِمْ شَيْمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى
مِنْ كُلِّ أَبْلَجٍ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيسُهُ
مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
تَرْنُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي أَفْعَالِهِ
فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالرُّؤُوسُ خَوَاضِعٌ
نَلْهُو وَنَلْعَبُ بَيْنَ خُضِرِ حَدَائِقِ
فَعَلَى الصِّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ
وَلِكُلِّ عَهْدٍ فِي الْكِرَامِ ذِمَامٌ
وَلَنَا بِمُعْتَرِكِ الْهَوَى آثَامٌ
فِيهَا السَّلَامُ تَعَانَقُ وَلِزَامٌ
وَنَمَاهُمُ التَّبَجِيلُ وَالْإِعْظَامُ
تَلْعَابِيهِمْ هَذَرٌ وَلَا إِبْرَامٌ
سُمِحَ النُّفُوسِ عَلَى الْبَلَاءِ كِرَامٌ
كَالْبَدْرِ حَلَّى صَفْحَتَيْهِ غَمَامٌ
بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَامٌ
مَوْلَى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهُوَ هَمَامٌ
وَتَسِيرُ تَحْتَ لِيَوَائِهِ الْأَقْوَامُ
وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالضُّفُوفُ قِيَامٌ
لَيْسَتْ بِغَيْرِ حُيُولِنَا تُسْتَامُ

(١) أي : الأمير البارودي في « ديوانه » (٣٣٣/٣ - ٣٤٠) .

حَتَّىٰ أَنْتَبَهْنَا بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ الصِّبَا
 لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ
 تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي سَاعَاتُهَا
 وَالنَّاسُ فِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدٌ
 لَا طَائِرٌ يَنْجُو وَلَا دُوٌّ مِخْلَبٍ
 فَأَذْرَأْ هُمُومَ النَّفْسِ عَنكَ إِذَا أُعْتَرَتْ
 فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَدُومُ فِي الْوَانِهِ
 مِنْ خَمْرَةٍ تَذُرُّ الْكَبِيرَ إِذَا أَنْتَشَى
 لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا فَغَادَرَ جِسْمَهَا
 حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ
 لَا تَسْتَقِيمُ الْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا
 نَعْشُوا الرِّكَابَ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسُهَا
 حُبِسَتْ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَصِلْ لِفِنَائِهِ

إِنَّ اللَّذَاذَةَ وَالصِّبَا أَخْلَامٌ
 هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامٌ
 لَمَعَ السَّرَابِ وَتَنَقَّضِي الْأَعْوَامُ
 أَوْ صَادِرٌ تَجْرِي بِهِ الْأَيَّامُ
 يَبْقَى وَعَاقِبَةُ الْحَيَاةِ حِمَامٌ
 بِالْكَأْسِ فَهِيَ عَلَى الْهُمُومِ حُسَامٌ
 إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَامُ
 بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غَلَامٌ
 شَبَحًا تَهَافَتَ دُونَهُ الْأَوْهَامُ
 فَلِكَا تَحْفُ سَمَاءُهُ الْأَجْرَامُ
 وَتَزِلُّ عِنْدَ لِقَائِهَا الْأَقْدَامُ
 سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا
 نُورٌ وَلَمْ يَسْرُخْ عَلَيْهِ ظَلَامٌ

يعني : ليست مكشوفةً فيتعاقب عليها الليل والنهار ، وإنما هي في
 مخبأة ، فهي دائماً في حالٍ واحدة .

حَتَّىٰ إِذَا أَضْطَفَقَتْ وَطَارَ فِدَامُهَا
 وَقَدَّتْ حَمِيَّتُهَا فَلَوْلَا مَرْجُهَا
 تَسِمُ الْعُيُونَ بِنُورِهَا لِكِنَّهَا
 فَأَضْقَلُ بِهَا صَدَأَ الْهُمُومِ وَلَا تُكُنْ

وَتَبَّتْ فَلَمْ تَثْبُتْ لَهَا الْأَجْسَامُ
 بِالْمَاءِ بَعْدَ الْمَاءِ شَبَّ ضِرَامُ
 بَرْدٌ عَلَى شُرَابِهَا وَسَلَامُ
 غَرّاً تَطِيْشُ بِلُيِّهِ الْأَلَامُ

وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا
فَأَطْمَحَ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ
هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا
لَا شَيْءَ يَخْلُدُ غَيْرَ أَنْ خَدِيعَةً
وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ الْأُمُورَ بِغَيْرِهَا
فَإِذَا السُّكُونُ تَحَرُّكَ وَإِذَا الْخُمُورُ
وَإِذَا الْحَيَاةُ وَلَا حَيَاةَ مَنِيَّةً
هَذَا يَحُلُّ وَذَاكَ يَرْحَلُ كَارِهَاً
فَالنُّورُ لَوْ بَيَّنْتَ أَمْرَكَ ظُلْمَةً

وَالدَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامٌ
دَاءٌ لَهُ لَوْ يَسْتَبِينَ عُقَامٌ
خَلَدَتْ وَهَلْ لِابْنِ السَّبِيلِ مُقَامٌ
بَعْدَ النَّظَامِ وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ
فِي الدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الْأَخْلَامُ
وَأَتَى عَلَيَّ النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ
دُ تَلَهُبُ وَإِذَا السُّكُوتُ كَلَامُ
تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَادُ وَهِيَ رِمَامُ
عَنْهُ فَصُلِحَ تَارَةً وَخِصَامُ
وَالْبَدءُ لَوْ فَكَّرْتَ فِيهِ خِتَامُ

فهذه ضعفتُ تلك ، أكرُّرُ أمرَكَ بدقَّةِ النظرِ فيها ، وتأملِ توالياها . . تجدُ
الإجادةَ فيها واضحةً ، والسلامةَ مِنْ أدنى مُتعلِّقٍ ظاهرةً ؛ بحيثُ لا تجدُ فيها
موضعاً للواوِ وليتَ ، ولتكنُ عنايتُكَ برعايةِ تخيُّرِ الألفاظِ ؛ بأن تُبدِّلَها بما
تتخيَّلُ أَنَّهُ يقومُ مقامَها ، ويفيدُ إفادتها ، ثمَّ تعرفُ سببَ العدولِ عنه . . يكنُ
ذلكَ أبلغَ نافعٍ لك .



[قصيدة للشريف الرضي في مدح آل البيت]

وقال الشريف محمد الرضي يفتخر ويمدح أسلافه من أهل البيت
صلوات الله وسلامه على من شرفه^(١) : [من الطويل]

لغير العلامني القلي والتجنب
إذا الله لم يعذرك فيما ترومه
ملكك بحلمي فزصة ما استرقها
فإن تك سني ما تطاول باعها
بحسبي أني في الأعادي مبغض
وللحلم أوقات وللجهل مثلها
يصول علي الجاهلون وأعتلي
يرون أحتمالي غصة ويزيدهم
وأعرض عن كأس النديم كأنها
وقور فلا أألحان تأسر عزمتي
ولا أعرف الفحشاء إلا بوضفها
تحلم عن كثر القوارص شيمتي
لساني حصاة يفرع الجهل بالحجا
ولست براض أن تمس عزائمي

ولولا العلاما كنت في الحب أرغب
فما الناس إلا عاذل أو مؤنب
من الدهر مفتول الذراعين أغلب
فلي من وراء المجد قلب مدرب
وأنني إلى غير المعالي محبب
ولكن أيامي إلى الحلم أقرب
ويعجم في القائلون وأعرب
لواعج ضغن أنني لست أغضب
وميض غمام غائر المزن [خلّب]
ولا تمكز الصهباء [بي] حين أشرب
ولا أنطق العوراء وألقب مغضب
كأن معيد الذم بالمدح مطنب
إذا نال مني العاضه المتأوب
فضالات ما يعطي الزمان ويسلب

(١) انظر «ديوان الشريف الرضي» (١٠٧/١ - ١١٢).

غَرَائِبُ آدَابِ حَبَانِي بِحِفْظِهَا
 تُرَيِّسُنَا الْأَيَّامَ ثُمَّ تَهَيِّضُنَا
 نَهَيْتُكَ عَنِ طَبْعِ اللَّيِّامِ فَإِنِّي
 تَعَلَّمُ فَإِنَّ الْجُودَ فِي النَّاسِ فِطْنَةٌ
 تُضَافِرُنِي فِيكَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا
 نَصَحْتُ وَبَعْضُ النَّصِيحِ لِلْقَوْمِ هُجْنَةٌ
 فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تُعْطِ النَّصِيحَةَ حَقَّهَا
 سَقَى اللَّهُ أَرْضاً جَاوَزَ الْقَطْرُ رَوْضَهَا
 ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدَ الشَّبَابِ فَحَسْرَةٌ
 وَيُعْجِبُنِي مِنْهَا النَّسِيمُ إِذَا هَفَا
 سَكَنْتُكَ وَالْأَيَّامُ بِيضٌ كَأَنَّهَا
 وَبَرَقَ رَقِيقِ الطُّرَّتَيْنِ لِحِظَّتُهُ
 نَظَرْتُ وَالْحَاظُ النُّجُومِ كَلِيلَةٌ
 فَمَا اللَّيْلُ إِلَّا فَحْمَةٌ [مُسْتَشْفَةٌ]
 أَمِنْ بَعْدِ أَنْ جَلَلَتْهَا وَرَقَ الدُّجَا
 وَعَدْنَا بِهَا [مَمْعُوطَةٌ] بِنُسُوعِهَا
 كَأَنَّ تَرَاجِيْعَ الْحُدَاةِ وَرَاءَهَا
 تَهْزُ ظُنُونِي فِي الْمَارِبِ إِزْبَةٌ

زَمَانِي وَصَرَفُ الدَّهْرِ نِعْمَ الْمُؤَدَّبُ
 أَلَا نِعْمَ [ذَا] أَلْبَادِي وَبِئْسَ الْمُعَقَّبُ
 أَرَى أَلْبُخْلَ يُؤَبِّي وَالْمَكَارِمُ تُطَلَّبُ
 تَنَاقَلَهَا الْأَحْرَارُ وَالطَّبْعُ أَغْلَبُ
 وَيَضْحَبُنِي مِنْكَ الْعُذَيْقُ الْمُرَجَّبُ
 وَبَعْضُ التَّنَاجِي بِالْعِتَابِ تَعْتَبُ
 فَرُبَّ جَمُوحٍ كَلَّ عَنْهُ الْمُؤَدَّبُ
 إِذِ الْمَزْنُ تَسْقِي وَالْأَبَاطِحُ تَشْرَبُ
 أَفَدْتُ وَقَدْ فَاتَ الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ
 أَلَا كُلُّ مَا سَرَى عَنِ الْقَلْبِ مُعْجِبُ
 مِنَ الطَّيِّبِ فِي أَثْوَابِهَا تَتَقَلَّبُ
 إِذِ الْجَوْ حَوَارِ الْمَصَابِيحِ أَكْهَبُ
 وَهَيْهَاتَ دُونَ الْبَرَقِ شَأْؤُ مُغْرَبُ
 وَمَا الْبَرَقُ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَلَهَّبُ
 سِرَاعاً وَأَغْصَانُ الْأَرِمَةِ تُجَذَّبُ
 كَمَا صَافِحَ الْأَرْضِ الْغُرَاءِ الْمُعَقَّبِ ^(١)
 صَفِيرٌ تَعَاطَاهُ الْيِرَاعُ الْمُنْقَبُ
 وَيَجْنُبُ عَزْمِي فِي الْمَطَالِبِ مَطْلَبُ

(١) في «ديوان الشريف الرضي» (١٠٩/١): (السراء المعبيب)، أراد شجراً طويلاً.

وَلِلَّيْلِ جَوْ بِالذَّرَارِيِّ مُعْشِبُ
 وَكُلُّ إِذَا لَاقَيْتَهُ مُتَغَرِّبُ
 مَعَ الْعَزِّ ثَغْرٌ بَارِدُ الظُّلْمِ أَشْنَبُ
 وَسِرُّ الْعَلَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ يَحْجُبُ
 وَمَا هَزَنِي فِيهِ الْعَنَاءُ الْمَقْطَبُ
 أَغْنِي حُدَاءً وَالْمَرَّاسِيلُ تَطْرُبُ
 وَلَكِنِّي مِنْ مَاءِ عَيْنِي أَشْرَبُ
 أَحَادِيثَ تَبْدُو طَالِعَاتٍ وَتَعْرُبُ
 رَأَيْتُ أَلَدَّ الْقَوْلِ مَا كَانَ يُطْرِبُ
 أَمِينًا عَلَى جِلْبَابِهِ الْمُتَجَلِبِبُ
 وَطَيْفُ الْكَرَى فِي الْعَيْنِ يَطْفُو وَيَرْسُبُ
 إِلَيْهِ كَمَا اسْتَرْخَى عَلَى النَّجْمِ هَيْدُبُ
 تَجِدُ بِهَا أَيْدِي الْمَطَايَا وَتَلْعَبُ
 كَمَا يَلْتَقِي فِي السَّيْرِ ظَلْفٌ وَمِخْلَبُ
 وَسَيْرِي فِيهَا يَا بَنَّةَ الْقَوْمِ أَعْجَبُ
 وَأَثْوِي وَبَيْتِي بِالْعَوَالِي مُطَنَّبُ
 مَرَّاحٌ لِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَمَلْعَبُ
 يُطَارِدُهَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ أَعْضَبُ
 وَجَوْ بِحَمْرَاءِ الْأَنْبَابِ مُذْهَبُ

وَرَدْنَا بِهَا مَاءَ الظُّلَامِ سَوَاغِبًا
 تُنْفِرُ ذُودَ الطَّيْرِ عَنْ وَكَرَاتِهَا
 وَنَلْتَدُّ رَشْفَ الْمَاءِ رَنْقًا كَأَنَّهُ
 أَدْعَنَا لَهَا سِرَّ الْكَرَى مِنْ عُيُونِنَا
 حَرَامٌ عَلَى الْمَجْدِ ابْتِسَامِي لِقُرْبِهِ
 وَدَهْمَاءَ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ قَطَعْتُهَا
 وَلَوْ شِئْتُ غَنَّتْنِي [الْحَمَامُ] عَشِيَّةً
 أَقُولُ إِذَا خَاضَ السَّمِيرَانِ فِي الدُّجَا
 أَلَا غَنِّيَانِي بِالْحَدِيثِ فَإِنِّي
 غِنَاءٌ إِذَا خَاضَ الْمَسَامِعَ لَمْ يَكُنْ
 وَنَشْوَانٌ مِنْ [خَمْرٍ] النُّعَاسِ دَعَرْتُهُ
 لَهُ مُقَلَّةٌ يَسْتَنْزِلُ النَّوْمَ جَفْنُهَا
 سَرَيْتُ فِجَاجِ الْأَرْضِ غُفْلًا وَمَعْلَمًا
 وَمَا شَهَوْتِي لَوْمُ الرَّفِيقِ وَإِنَّمَا
 عَجِبْتُ لِغَيْرِي كَيْفَ سَايَرَ نَجْمَهَا
 أَسِيرُ وَسَرَجِي بِالنَّجَادِ مُقَلَّدُ
 وَمَضْقُولَةَ الْأَعْطَافِ فِي جَنَابَاتِهَا
 تَجُرُّ عَلَى مَثَنِ الطَّرِيقِ عَجَاجَةً
 نَهَارًا بِأَلَاءِ الشُّيُوفِ مُفَضَّضُ

عَلَى الْجَوِّ غَرْبٌ مِنْ دَمٍ يَتَصَبَّبُ
 بِأَزْوَاقِهِ جَوْنُ الْمَلَاتِينِ أَخْطَبُ
 وَرَاعِي نُجُومِ اللَّيْلِ حَيْرَانُ مُغْرِبُ
 وَرَاءَ لِسَامِ اللَّيْلِ يَوْمٌ عَصْبُصَبُ
 خَفِيفِ الشَّوِيِّ وَالْمَوْتُ عَجَلَانُ مُقْرِبُ
 كَمَا جَمَّتِ الْغُدْرَانُ وَالْمَاءُ يَنْضُبُ
 لِغُنْمٍ فَيَأْمًا فَائِزٌ أَوْ مُخَيَّبُ
 فَلَا الْمَاءُ مَوْزُودٌ وَلَا الثَّرْبُ طَيِّبُ
 إِذَا غَاضَ مِنْهَا كَوَكْبٌ فَاصٌّ كَوَكْبُ
 جَهَاراً وَمَا كُلُّ الْكَوَاكِبِ تُنْسَبُ
 وَمَنْ عَلِقَ [الْأَقْرَانِ] مَا لَا يُخْضَبُ
 فَأَصْدُقُ فِي حُسْنِ الْمَعَانِي وَأَكْذِبُ
 يُرَامُ وَبَعْضُ الْقَوْلِ مَا يُتَجَنَّبُ
 وَلَا يَشْكُرُ النَّعْمَاءَ إِلَّا الْمُهَذَّبُ
 تُحَلِّقُ بِالْأَشْعَارِ عَنَقَاءُ مُغْرِبُ
 وَأَيْنَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلُ أَبِي أَبِ
 وَيَحْسَبُ أَتَى بِالْقَصَائِدِ مُعْجَبُ
 وَأَدْعُو عَلِيّاً لِلْعُلَا حِينَ أَرْكَبُ

تَرَى الْيَوْمَ مُحَمَّرَ الْحَوَاشِي كَأَنَّمَا
 صَدَمْنَا بِهَا الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ ضَارِبُ
 أَخَذْنَا عَلَيْهِمُ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
 يُرَاعُونَ أَسْفَارَ الصَّبَاحِ وَإِنَّمَا
 وَكُلُّ ثَقِيلِ الصَّدْرِ مِنْ حَلَبِ الْقَنَا^(١)
 يَجْمُ إِذَا مَا اسْتَرْعَفَ الْكُرَّ جَهْدُهُ
 وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالْقِدَاحِ يُجِيلُهَا
 دَعُوا شَرَفَ [الْأَحْسَابِ] يَا آلَ ظَالِمٍ
 لَيْنٌ كُنْتُمْ فِي آلِ فَهْرٍ كَوَاكِباً
 فَتَعْتِي كَنَعَتِ الْبَدْرِ يُنْسَبُ بَيْنَكُمْ
 صَحْبَتُمْ خَضَابَ الزَّاعِبِيَّاتِ نَاصِلاً
 أَهْدَبُ فِي مَدْحِ اللَّتَامِ خَوَاطِرِي
 وَمَا الْمَدْحُ إِلَّا فِي النَّبِيِّ وَالْإِلَهِ
 وَأُولِي بِمَدْحِي مَنْ أَعَزُّ بِفَخْرِهِ
 أَرَى الشُّعْرَ فِيهِمْ بَاقِياً وَكَأَنَّمَا
 وَقَالُوا عَجِيبٌ عَجِبٌ مِثْلِي بِنَفْسِهِ
 لَعَمْرُكَ مَا أَعْجِبْتُ إِلَّا بِمَدْحِهِمْ
 أَعِدُّ لِفَخْرِي فِي الْمَقَامِ مُحَمَّدًا

(١) في «ديوان الشريف الرضي» (١١١/١): (جلب).

[محاكاة الأمير البارودي للشريف الرضي في قصيدته]

فقال وترجم لها بقوله : وقال بروض القول على روي قصيدة

[من الطويل]

الشريف^(١) :

وَعَيْرِي بِاللَّدَاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ
وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ أَلْيَرَاغُ الْمُثَقَّبُ
بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَذْأَبُ
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
إِذَا مَا رَمَى عَيْنِيهِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ
وَتَعْدُو عَلَى آثَارِهَا [الطَيْرُ] تَنْعَبُ
فَكَلَّفَتِ الْأَيَّامَ مَا لَيْسَ يُوْهَبُ
فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ
فَلَا عَزَّنِي خَالٌ وَلَا ضَمَّنِي أَبُ
وَلَا دَارَ فِي كَفِّي سِنَانٌ مُذْرَبُ
لَدَيَّ يَدَا أَعْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ
وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعَبُّ
لِكُلِّ أَمْرِيٍّ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ
وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرِي تَشَعَّبُ
مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ

سِوَايَ بِتَخْنَانِ الْأَعَارِيدِ يَطْرَبُ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسُرُ الْخَمْرُ لُبَّهُ
وَلَكِنْ أَخُوهُمْ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ
نَفَى النَّوْمِ عَنْ عَيْنِيهِ نَفْسٌ أَبِيَّةُ
بَعِيدُ مَنَاطِ أَلْهَمٍ فَالْعَزْبُ مَشْرِقُ
لَهُ غُدُوَاتٌ يَتَّبِعُ الْوَحْشُ ظِلَّهَا
هَمَامَةٌ نَفْسٍ أَضْغَرَتْ كُلَّ مَازِبِ
وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا
وَلَا حَمَلْتُ دِرْعِي كُمَيْتُ طِمْرَةٌ
خُلِقْتُ عَيْوُفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةِ
فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا
أَسِيرٌ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ
وَإِنِّي إِذَا مَا أَلْشَكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
صَدَعْتُ حِقْفَانِي طُرْتِيهِ بِكُوكِبِ

(١) أراد الأمير البارودي في « ديوانه » (٣٨/١ - ٤٤) .

وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَشْطَبُ
 حَوَاسِرُ فِي الْوَانِهَاتِ تَتَقَلَّبُ
 وَبِيضُ الظُّبَا فِي الْهَامِ تَبْدُو وَتَغْرُبُ
 لَدَى سَاعَةٍ فِيهَا الْعُقُولُ تُغَيَّبُ
 عَلَى غَيْهَبٍ مِنْ سَاطِعِ النَّقَعِ غَيْهَبُ
 لِأَمْرٍ فِي غِيِّ التَّصَابِي وَالْعَبُ
 خِبَاءٌ بِأَهْدَابِ الْجُفُونِ مُطَنَّبُ
 بِنَشْرِ الْخَزَامِي وَالنَّدَى يَتَصَبَّبُ
 سِرَاعًا كَمَا وَافَى عَلَى الْمَاءِ رُبْرُبُ
 ضَوَارِي سَلُوقِ عَاطِلٍ وَمُلَبَّبُ
 يُضْرَسُنُهُ وَالصَّيْدُ أَشْهَى وَأَعْدَبُ
 إِلَى الْوَحْشِ لَا يَأَلُو وَلَا يَتَنَصَّبُ
 لَهُ بِنْتُ مَاءٍ أَوْ تَعَرَّضَ تُعْلَبُ
 مِنَ الْعَضْبِ مَوْشِي الْحَبَائِكِ مُذْهَبُ
 وَيَضْبُو إِلَيْهِ ذُو الْحِجَا وَهُوَ أَشَيْبُ
 رِبِيئَتُنَا سِرْبًا فَقَالَ أَلَا أَرْكَبُوا
 مِنَ الضُّمْرِ خُوطُ الضَّيْمَرَانِ الْمُشْدَبُ
 بُزَاةٌ وَجَالَتْ فِي الْمَقَاوِدِ أَكْلُبُ
 قُدُورٌ وَفَارَ اللَّحْمُ وَأَنْفَضَ مَأْرَبُ

وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ خُضْتُ عَجَاجَهُ
 تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايَا وَسُودَهَا
 تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي
 فَمَا زِلْتُ حَتَّى بَيْنَ الْكُرِّ مَوْقِفِي
 لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ وَالْتَقَى
 كَذَلِكَ دَأْبِي فِي الْمِرَاسِ وَإِنِّي
 وَفَتِيَانٍ لَهْوٍ قَدْ دَعَوْتُ وَلِلْكَرَى
 إِلَى مَرْبَعٍ يَجْرِي النَّسِيمُ خِلَالَهُ
 فَلَمْ يَمُضِ أَنْ جَاؤُوا مُلَبِّينَ دَعْوَتِي
 بِخَيْلٍ [كَارَامٍ] الصَّرِيمِ وَرَاءَهَا
 مِنَ اللَّاءِ لَا يَأْكُلْنَ زَادًا سِوَى الَّذِي
 تَرَى كُلُّ مُحَمَّرِ الْحَمَالِيْقِ فَاغِرٍ
 يَكَادُ يَفُوقُ الْبَرْقَ شَدًّا إِذَا أُنْبِرَتْ
 فَمِلْنَا إِلَى وَادٍ كَأَنَّ تِلَاعَهُ
 تُرَاحُ بِهِ الْأَمَالُ بَعْدَ كَالِهَا
 فَبَيْنَا نَرُودُ الْأَرْضَ بِالْعَيْنِ إِذْ رَأَى
 فَقُمْنَا إِلَى خَيْلٍ كَأَنَّ مُتُونَهَا
 فَلَمَّا أَنْتَهَيْنَا حَيْثُ أَخْبَرَ أَطْلَقَتْ
 فَمَا كَانَ إِلَّا لَفْتَةٌ أَلْجِدِ أَنْ [غَلَتْ]

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرِهَا فَإِنَّمَا
فَقَامَ إِلَى رَاقُودٍ خَمْرٍ كَأَنَّهُ
يَمُجُّ سُلَافًا فِي إِنَاءٍ كَأَنَّهُ
فَلَمْ نَأُلْ أَنْ دَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ دَوْرَةً
إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْيَوْمُ إِلَّا أَقْلَهُ
فَرُحْنَا نَجْرُ الدَّيْلَ تَيْهَا لِمَنْزِلِ
مَسَارِحِ سِكِّيرٍ وَمَزْبُضٍ فَاتِكِ
فَلَمَّا رَأَا صَاحِبِ الدَّارِ أَشْرَقَتْ
وَقَالَ أَنْزِلُوا يَا بَارِكُ اللَّهُ فِيكُمْ
وَرَاخَ إِلَى دَنْ تَكَامَلَ سِنُهُ
فَمَا زَالَ حَتَّى أَسْتَلَّ مِنْهُ سَبِيكَةً
يَحُومُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فِيَا حُسْنِ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَوْ كَانَ بَاقِيًا
يَوَدُّ الْفَتَى مَا لَا يَكُونُ طَمَاعَةً
وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا
نَظْنُ بِأَنَا قَادِرُونَ وَأَنْنَا
فَرَحْمَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى أَمْرِي

قُصَارَى بَنِي الْأَيَّامِ أَنْ يَتَشَعَّبُوا
إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ الْعَيْنُ أَسْوَدُ مُغْضَبُ
إِذَا مَا اسْتَقْلَتْهُ الْأَنَامِلُ كَوَكَبُ
وَحَتَّى رَأَيْنَا الْأَفْقَ يَنَائِي وَيَقْرُبُ
وَقَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةَ تَغْرُبُ
بِهِ لِأَخِي اللَّذَاتِ وَاللَّهُوِ مَلْعَبُ
وَمَخْدَعُ أَكْوَابِ بِهِ الْخَمْرُ تُسْكَبُ
أَسَارِيرُهُ زَهُوًا وَجَاءَ يُرَجِّبُ
فَعِنْدِي لَكُمْ مَا تَشْتَهُونَ وَأَطِيبُ
وَشَيَّبَ فَوْدِيهِ مِنَ الدَّهْرِ أَحْقَبُ
مِنَ الْخَمْرِ تَطْفُو فِي الْإِنَاءِ وَتَرُسُبُ
وَيَسْرِي عَلَيْهَا الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ
وَيَا طِيبَ هَذَا اللَّيْلِ لَوْ دَامَ طِيبُ
وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ الدَّهْرَ بِالنَّاسِ قُلْبُ
لَأَبْصَرَ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ
عَلَيْنَا وَأَمْرُ الْغَيْبِ سِرٌّ مُحَجَّبُ
نُقَادُ كَمَا قِيدَ الْجَنِيبِ وَنُصْحَبُ
أَصَابَ هَوَاهُ أَوْ دَرَى كَيْفَ يَذْهَبُ

يقول الشريف في مطلع قصيدته والذي يليه : طلب الإنسان ما أحب من

أعلى الرتب وأرفع الأحوال طلب حق أو فضيلة ، وذلك مرضي لله ، مندوب إليه ، ليس للناس فيه موضع عدل أو تأنيب ، بخلاف غيره من الطلب ؛ فإنه يوجب سخط الله ، فلا يُعذر صاحبه ، وإذا وجد الناس موضعاً للعدل والتأنيب ؛ وهو التعنيف .

أو معنى البيت الثاني : إذا لم تكتف بالله عاذراً . . فلا تأمله في الناس ؛ فإنما هم بين عادل أو مؤنب ، ويكون شكايته من قلة الإنصاف .

وفي قوله وقد شرع في ذكر فضائله : (ملكت بحلمي) بديع التجريد ، واستعمال حرفين من أحرفه (الباء) و (من) ، فالحلم هو الفُرصة ، والذهر هو مفتول الذراعين الأغلب ، وتلك صفة الأسد ؛ أي : مندمج الذراعين ، غليظ العنق ، وهو تصوير الموهوم بالمحسوس ، وحاصل المعنى : أن شدائد الدهر لا تذهب بحلمه .

ثم قال فيما بعد : إنه على صغر سنه كبير الهمة ، واسترسل في ذكر مناقب نفسه حتى أتم الفصل ، ثم خاطب صاحبه ، ثم طلب السقيا ؛ الأرض أعطشت وسقي غيرها ، وتأسف عليها ، وأتبع ذلك بذكر برق لحظه ، ثم ذكر طلباً وإخفاقاً في قوله : (أمن بعد أن جللتها) ، ثم وصف ليلة سارها في قوله : ([ودهماء] من ليل التمام) ، والتمام فيه بكسر التاء ؛ وهو التمام بفتحها ، ولكن اللغة استعملته في هذا الموضع بالكسر ؛ أي : من أطول الليالي .

ثم وصف خيلاً قصد بها الأعداء في قوله : (ومصقولة الأعطاف) ، ثم هجا ومدح في قوله : (دعوا شرف الأحساب . . .) إلى آخره ، وقوله : (ممعوظة بنسوعها) أي : أزالَت النسوع ، وهي الشيورُ المجدولة عريضة شعرها لطول حركها ، فهو يصفها بالتأثر وما أدركها من نصب السفر ،

والمعط فيه بالعين ، وأما المغط - بالعين - .. فهو أن تَمُدَّ الشيءَ تستطيله ،
وهو المذكورُ في قولِ المتنبي^(١) :

أَنسَاعَهَا مَمْغُوطَةٌ وَخِفَافُهَا مَنكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ
يصفُ المتنبي إبْلَهُ بالهزال ، وأن نسوعَهَا فضلتَ عنها ، والتعقيبُ : تكرارُ
الغزوِ في سنةٍ واحدةٍ ، والترددُ في طلبِ المجدِ ، والأخطبُ : مِنَ الخُطْبَةِ ؛
وهو لونٌ كدِرٌّ مشربٌ حمرةً في صفرةٍ ، أو غبرةٌ ترهقُها خضرةً ، والزاعبياتُ
- بالعين - : الرماحُ نُسِبَتْ إلى بلدٍ .

فانظر - هداك الله - بنورِ البصيرةِ إلى هاتينِ القصيدتينِ .. تجدهما قد
ابتدرتا في البلاغةِ وحسنِ السياقِ غايةً بلغتاها معاً ، وذلك فضلُ اللهِ يؤتیه
مَنْ يشاءُ .

ومطلعُ الثانيةٍ وإن كانَ مُولِداً مِنْ مطلعِ الأولى .. فهو أنورٌ ؛ كما
قيلَ^(٢) :

وَإِنَّ فِي الخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي العِنَبِ
وقولُهُ بعدَهُ : (وما أنا ممَّنْ تأسرُ الخمرُ) يريدُ أنَّ الهزلَ لا يشغلهُ عنِ
الجدِّ ، ولا يَمْنَعُهُ الترفُّ والنعيمُ عن مباشرةِ الشدائدِ في طلبِ المجدِ .



(١) انظر «ديوان المتنبي» (ص ٩٤) .

(٢) هو للمتنبي في «ديوانه» (ص ٣٢٨) ، والبيت بتمامه :

وَإِنَّ تَكُنْ تَغْلِبُ العَلْبَاءَ عُنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي الخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي العِنَبِ

[قصيدةُ أبي فراسِ الحمدانيِّ يشتكِي فيها إلى سيفِ الدولةِ]

وقال أبو فراسِ الحارثُ بنُ سعيدِ عمِّ سيفِ الدولةِ عليِّ بنِ حمدانٍ ، وكان يتولَّى لهُ رياسةَ الجيوشِ ، فاتفقَ أن أسرتهُ الرومُ في بعضِ غزواتِهِ ، وبقي هنالكِ مُدَّةً ، وكان يكتُبُ لابنِ عمِّهِ قصائدَ يعتذرُ فيها مِنَ الأسْرِ ، ويشتكِي شِدَّةَ الحالِ ، ويطلبُ الفداءَ ، وسُمِّيَت تلكَ القصائدُ لذلكِ بالترُومياتِ ، وهذهُ القصيدةُ إحداها^(١) :

[من الطويل]

أَما لِلهُوى نَهَى عَلَيكَ وَلا أَمْرُ	أَراكِ عَصِيَّ الدَّمعِ شِيمَتِكَ الصَّبْرُ
وَلَكِنَّ مِثْلِي لا يُذاعُ لَهُ سِرُّ	بَلَى أَنا مُشْتاقٌ وَعِندي لَوَعَةٌ
وَأذَلَّتْ دَمعاً مِنْ خلائِقِهِ الكِبْرُ	إِذا اللَّيْلُ أَضوانِي بَسَطَتْ يَدَ الهوى
إِذا هِيَ أَذكَتْها الصَّبابةُ وَالْفِكرُ	تَكَادُ تُضيءُ النَّارَ بَيْنَ جَوانِحِي
إِذا مِتُّ ظَمَناً فلا نَزَلَ القَطْرُ	مُعَلِّلَتِي بِالوَعْدِ وَالْمَوْتِ دُونَهُ
أَرى أَنَّ داراً لَسْتُ مِنْ أَهْلِها قَفْرُ	بَدَوْتُ وَأَهْلِي حاضِرُونَ لِأَنِّي
وَإِيَّاي لَوَلا حُبُّكَ المَءِ وَالخَمْرُ	وَحارِبْتُ قَوْمِي فِي هَواكِ وَإِنَّهُمُ
فَقَدَّ يَهْدِمُ الإِيمانَ ما شَيَّدَ الكُفْرُ	وَإِنْ كانَ ما قالَ الوُشاةُ وَلَمْ يَكُنْ
لِإنسانَةٍ فِي الحَيِّ شِيمَتُها العَدْرُ	وَفِيَتْ وَفِي بَعْضِ الوَفاءِ مَدَلَّةُ
فَتَأرُنْ أَحياناً كَما أَرنَ المُهُرُ	وَقورُ وَرَيعانُ الصِّبَا يَسْتَفِرُّها
وَهَلْ بِفَتى مِثْلِي عَلى حَالةِ نُكْرُ	تُسائِلُنِي مَنْ أَنتَ وَهِيَ عَليمَةُ
قَتيلِكَ قالَتِ أَيُّهُمُ فَهُمُ كُثْرُ	فَقُلْتُ كَما شاءتْ وَشاءَ لَها الهوى

(١) انظر «ديوان أبي فراس الحمداني» (ص ١٢٦ - ١٣٠).

فَقُلْتُ لَهَا لَوْ شِئْتَ لَمْ تَتَعَنَّتِي
وَلَا كَانِ لِلْأَخْرَازِ لَوْلَاكِ مَسْلَكَ
فَأَيَقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ
فَقَالَتْ لَقَدْ أَرَزَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا
وَقَلْبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً
فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا
تَجَفَّلُ حِينًا ثُمَّ تَدْنُو وَإِنَّمَا
وَإِنِّي لَنَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ
وَإِنِّي لَجَرَّازٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ
فَأَصْدَى إِلَيَّ أَنْ تَزْتَوِي الْأَرْضُ وَالْقَنَا
وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْغَيُورَ لِعَادَةٍ ^(١)
وَيَا رَبَّ دَارِ لَمْ تُخْفِنِي مَنِيَعَةٍ
وَسَاحِبَةِ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيْتُهَا
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ
وَلَا رَاحَ يُطْغِينِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى
وَمَا حَاجَتِي فِي الْأَمَالِ أَبْغِي وَفُورَهُ
أَسْرُتُ وَمَا صَحْبِي بَعَزِلٍ لَدَى الْوَعَى
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي

وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي وَعِنْدَكَ بِي خُبْرُ
إِلَى الْقَلْبِ لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلَى جِسْرُ
وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ
فَقُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ وَالِدَهُرُ
إِذَا أَلْبَيْنُ أَنْسَانِي أَلَحَّ بِي الْهَجْرُ
لَهَا الذَّنْبُ لَا تُجْزِي بِهِ وَلِي الْعُذْرُ
تُرَاعِي طَلًّا بِالْوَادِ أَعْجَزُهُ الْحَضْرُ
كَثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا أَلْتَطَّرُ [الْشَّرُّ]
مُعَوَّدَةٌ أَلَّا يُخِلَّ بِهَا النَّصْرُ
وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذَّنْبُ وَالنَّسْرُ
وَلَا الْجَيْشُ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النَّذْرُ
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي الْإِلْقَاءِ وَلَا وَعْرُ
وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْيَاتِهَا سِتْرُ
وَلَا بَاتَ يَتْنِينِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ
إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ
وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غَمْرُ
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَفِيهِ وَلَا بَحْرُ

(١) في «ديوان أبي فراس الحمداني» (ص ١٢٨) : (الحي الخلود بغارة) .

فَقُلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرٌ
 وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ
 كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسَوْءَتِهِ عَمَرُو
 عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمُرُ
 وَأَعْقَابُ رُمَحٍ فِيهِمْ حُطَمُ الصَّدْرِ
 وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ
 وَمَا كَانَ يُغْنِي اللَّبْبُرُ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ
 لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرُ
 وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلَهَا مَهْرُ
 وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ الثَّرَابِ وَلَا فَخْرُ

وَقَالَ أَصِيحَابِي الْفِرَارَ أَوْ الرَّدَى
 وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِيبُنِي
 وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمَذَلَّةٍ
 يَمُنُونَ أَنْ خَلُّوا ثِيَابِي وَإِنَّمَا
 وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ دَقَّ نَضْلُهُ
 سَيْدُكُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ
 وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ أَكْتَفُوا بِهِ
 وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسَّطَ بَيْنَنَا
 تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا
 أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا

[محاكاةُ الأميرِ الباروديِّ لأبي فراسِ الحمدانيِّ في قصيدته]

[من الطويل]

فقال في الوزنِ والرويِّ (١) :

وَأَضْبَحْتُ لَا يُلْوِي بِشِمْتِي الرَّجْرُ
 مُعْتَقَةٌ مِمَّا يَضُنُّ بِهَا التَّجْرُ
 تَلَالُأُ بَرْقٌ أَوْ سَرَتْ دِيْمَةٌ غُرُ
 عَلَيَّ حَسْرَاتٍ لَا يُقَاوِمُهَا صَبْرُ
 وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ دُونَهَا السِّحْرُ
 وَلَا لِأَمْرِي فِي الْحُبِّ نَهْيٌ وَلَا أَمْرُ

طَرِبْتُ وَعَادَتْنِي الْمَخِيلَةُ وَالسُّكْرُ
 كَأَنِّي مَخْمُورٌ سَرَتْ بِلِسَانِهِ
 صَرِيحُ هَوَى يُلْوِي بِي الشُّوقُ كُلَّمَا
 إِذَا مَالَ مِيزَانُ النَّهَارِ رَأَيْتُنِي
 يَقُولُ أَنْاسٌ إِنَّهُ السِّحْرُ ضَلَّةٌ
 فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسُ أَمْرِي وَلَيْسَ لِي

(١) أي : الأمير البارودي في « ديوانه » (٤٠/٢ - ٤٦) .

وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ دِفَاعُهُ
وَلَكِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي لَوْ تَعَلَّقَتْ
عَلَى أَنَّنِي كَاتَمْتُ صَدْرِي حُرْقَةً
وَكَفَفْتُ دَمْعًا لَوْ أَسَلْتُ سُؤُونَهُ
حَيَاءً وَكِبْرًا أَنْ يُقَالَ تَرَجَّحْتُ
وَإِنِّي أَمْرٌ لَوْلَا الْعَوَائِقُ أَذَعَنْتُ
مِنَ النَّفْرِ الْغُرِّ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ
إِذَا أَسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيْدٌ غَرَبَ سَيْفِهِ
لَهُمْ عُمْدٌ مَرْفُوعَةٌ وَمَعَاقِلٌ
وَنَارٌ لَهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
تَمُدُّ يَدًا نَحْوَ السَّمَاءِ خَضِيبَةً
وَخَيْلٌ يَرْجُ الْخَافِقِينَ صَهِيلُهَا
مُعَوَّدَةٌ قَطَعَ الْفَيَافِي كَأَنَّهَا
أَقَامُوا زَمَانًا ثُمَّ بَدَدَ شَمْلَهُمْ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ آثَارِ نِعْمَةٍ
وَقَدْ تَنْطِقُ الْأَنَارُ وَهِيَ صَوَامِتٌ
لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلٌ
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ فِيهَا بِخَالِدٍ

لَأَلَوْتُ بِهِ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ وَالسُّمُرُ
شَرَارَتُهُ بِالْجَمْرِ لِأَحْتَرَقَ الْجَمْرُ
مِنَ الْوَجْدِ لَا يَقْوَى عَلَى مَسِّهَا صَدْرُ
عَلَى الْأَرْضِ مَا شَكَ أَمْرٌ أَنَّهُ الْبَحْرُ
بِهِ صَبُوءَةٌ أَوْ فَلَ مِنْ غَرْبِهِ الْهَجْرُ
لِسُلْطَانِهِ الْبَدْوُ الْمَغِيرَةُ وَالْحَضْرُ
لَهَا فِي حَوَاشِي كُلِّ دَاجِيَةٍ فَجْرُ
تَفَرَّعَتِ الْأَفْلاكُ وَالْتَفَتَ الدَّهْرُ
وَالْوَيْبَةُ حُمْرٌ وَأَفْنِيَةٌ خُضْرُ
لِمُدَّرِعِ الظُّلَمَاءِ أَلْسِنَةُ حُمْرُ
تُصَافِحُهَا الشُّعْرَى وَيَلْتُمُّهَا الْعُفْرُ
نَزَائِعُ مَعْقُودٌ بِأَعْرَافِهَا النَّضْرُ
خُدَارِيَّةٌ فَتَخَاءُ لَيْسَ لَهَا وَكْرُ
أَخُو فَتَكَاتِ بِالْكَرَامِ أَسْمُهُ الدَّهْرُ
تَضُوعُ بَرِّيَّاهَا الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
وَيُثْنِي بَرِّيَّاهُ عَلَى الْوَابِلِ الزَّهْرُ
يُعَدُّ طَلِيقًا وَالْمَنُونُ لَهُ أَسْرُ
يَحُلُّ بِهَا سَفْرٌ وَيَشْرُكُهَا سَفْرُ
وَلَكِنَّهُ يَسْعَى وَغَايَتُهُ الْعُمْرُ

أقول : مَنْ آتَاهُ اللهُ فَهَمًّا ، وتَأَمَّلَ مثلَ هذا الشعرِ الذي هُوَ مِنَ البلاغَةِ في أرفعِ رتبِها . . عرفَ كيفَ تَنفَاضِلُ العقولُ ، وأنَّ اللهُ يَخْتَصُّ مَنْ شاءَ بما شاءَ .

هذا مطلعُ قصيدةِ أبي فراسٍ ؛ هل تجدُ أصدقَ شاهدٍ منه في بابِ براعتيِ المطلعِ والاستهلالِ؟! فَإِنَّهُ أَخْبَرَ فِيهِ عَلَيَّ أَنَّهُ سَلَكَ بِهِ مَسْلَكَ الْغَزَلِ أَنَّهُ فِي حَالَةٍ تَقْتَضِي الْبِكَاءَ وَالْجَزَعَ ، وَأَيُّ حَالَةٍ أَشَدُّ اقْتِضَاءً لَهُمَا مِنْ كَوْنِهِ أُسِيرًا فِي يَدِ أَعْدَاءِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، مَمْنُوعًا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى هَوَاهُ فِي أَرْضِ عِزِّهِ وَدَارِ سُلْطَانِهِ .

وبعدَ أنْ تَتَأَمَّلَ الْمَطْلَعِ بِذَلِكَ النَظَرِ . . تَتَمَشَّى فِي تَأَمُّلِ مَا اخْتَارَ مِنْ عِبَارَاتِ الْغَزَلِ ، فَتَجِدُهَا بَعِينَهَا هِيَ عِبَارَاتِ الشَّكْوَى ؛ مِنْ بَقَائِهِ فِي الْأَسْرِ ، وَتَأْخُرُ ابْنَ عَمِّهِ عَنِ الْمَسَارَعَةِ إِلَى فِدَائِهِ بَعْدَ وَعْدِهِ بِذَلِكَ ، وَاسْتِحْقَاقِهِ بَعْدَ مَا ظَهَرَ مِنْ بِلَائِهِ ، وَبِذَلِكَ مُهَجَّتِهِ فِي خِدْمَتِهِ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ ؛ أَلَّا تَلْتَفَتَ الْعِنَايَةَ إِلَّا لِتَخْلِيصِهِ وَإِبْلَاغِهِ أُخْرَى مِنْهُ ، وَمَعَ تَأَمُّلِ تِلْكَ الْمَعَالِي تُحَسِّنُ اعْتِبَارَ بَرَاعَةِ تِلْكَ الْعِبَارَاتِ ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكِنَايَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ وَالِإِشَارَاتِ .

فَإِذَا فَرِغْتَ مِنْ تَأَمُّلِهَا عَلَيَّ ذَلِكَ الْحَدِّ . . مَشِيَتْ بِنُورِ فِكْرِكَ فِي الْقَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ ؛ تَعْتَبِرُهَا بَيْتًا بَيْتًا ، وَمَا أَسْكَنْتَ مِنَ الْمَعَانِي ، وَبِذَلِكَ تَحْصُلُ عَلَى الْغَايَةِ الَّتِي تَسْعَى إِلَيْهَا .



[قصيدةُ النابغةِ الذبيانيِّ]

وقال النابغةُ الذبيانيُّ - واسمُه زيادُ - يصفُ المُتجرِّدةَ زوجَ النعمانِ بأمرِه ، ويُقالُ : إنَّ النعمانَ معَ ذلكَ لَمَّا سمعَ القصيدةَ . . غضبَ على النابغةِ وجفاهُ ، وظنَّ بهِ حتى اختفى منه ، ثمَّ ظهرتْ براءتُه له ، وعادَ إلى موضِعِه مِنْ منادمتِه (١) :

[من الكامل]

أَمِنَ آلَ مَيَّةَ رَائِحُ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُرَوِّدِ
أَفْدَا التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابِنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ
زَعَمَ أَلْهُمَامُ بِأَنَّ رِحْلَتَنَا غَدَاً وَبِذَاكَ خَبَّرْنَا أَلْغُدَافُ أَلْأَسْوَدِ
سَبَقَ أَنَّهُ غَيْرُهُ : (وبِذَاكَ تَنَعَبُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ) هَرَباً مِنْ ذَلِكَ الْعَيْبِ ،
ولكنَّ الرواةَ أثبتوهُ على أصلِه .

لَا مَرْحَباً بَعْدِ وَلَا أَهْلاً بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحِبَّةِ فِي غَدِ
حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُودَّعْ مَهْدَدَاً وَالصُّبْحُ وَالْإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعِدِي
فِي إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا فَأَصَابَ قَلْبِكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ
غَنِيَتِ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لَكَ جِيرَةٌ مِنْهَا بَعَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ
وَلَقَدْ أَصَابَ فُؤَادَهُ مِنْ حُبِّهَا عَن ظَهْرِ مِزْنَانِ بِسَهْمِ مُضْرِدِ
نَظَرْتَ بِمُقْلَةٍ شَادِنٍ مُتَرَبِّبِ أَحْوَى أَحَمِّ أَلْمُقْلَتَيْنِ مُقْلَدِ
وَأَلنَّظْمُ فِي سِلْكِ يُزَيِّنُ نَحْرَهَا ذَهَبٌ تَوَقَّدَ كَالشَّهَابِ أَلْمُوقِدِ

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٨٩ - ٩٧) .

صَفْرَاءُ كَالسِّيَرَاءِ أَكْمَلَ خَلْقَهَا
وَالْبَطْنُ ذُو عُكْنٍ لَطِيفٌ طَيْهٌ
كَالغُصْنِ فِي غُلُوَائِهِ الْمُتَأَوِّدِ
وَالْأَتْبُ تَنْفُجُهُ بِثَدْيٍ مُقْعَدِ

الأتب : ثوب رقيق ، وتنفجُهُ : من نفج ؛ ترفعه وتبعده .

مَخْطُوطَةٌ أَلْمَتْنَيْنِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ
قَامَتْ تُرَائِي بَيْنَ سِجْفِي كَلَّةِ
رِيَا الرَّوَادِفِ بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ
كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ
الأسعدُ : برج الحمل .

أَوْ دُرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ غَوَاضُهَا
أَوْ دُمِيَّةٌ مِنْ مَزْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ
بِهَيْجٍ مَتَى يَرَهَا يُهَلِّ وَيَسْجُدِ
بُنَيْتٍ بِأَجْرٍ يُشَادُ وَقَرْمَدِ
فَتَنَاوَلْتُهُ وَأَتَقْتَنَا بِالْيَدِ
عَنَّمْ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ
نَظَرِ السَّقِيمِ إِلَى وُجُوهِ الْعُودِ
بَرْدًا أَسْفَ [لِشَاتِهِ] بِالْإِنْمِدِ
جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ [نَدِي]
عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شَهِيٌّ الْمَوْرِدِ
عَذْبٌ إِذَا مَا دُقَّتَهُ قُلْتُ أَزْدَدِ
يُشْفَى بِرِيَا رِيْقِهَا الْعَطِشُ الصِّدِي
مِنْ لَوْلُو مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدِ
عَبْدَ الْإِلَآةِ صَرُورَةَ مُتَعَبِّدِ
أَوْ دُرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ غَوَاضُهَا
أَوْ دُمِيَّةٌ مِنْ مَزْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ
سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْدِ إِسْقَاطُهُ
بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا
تَجَلُّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيْكَةِ
كَالْأَفْحُوَانِ غَدَاةٍ غِبِّ سَمَائِهِ
زَعَمَ الْهُمَامُ بِأَنَّ فَاهَا بَارِدُ
زَعَمَ الْهُمَامُ وَلَمْ أَذْقُهُ أَنَّهُ
زَعَمَ الْهُمَامُ وَلَمْ أَذْقُهُ أَنَّهُ
أَخَذَ الْعَدَارَى عِقْدَهُ فَنَظَّمَنَهُ
لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ

صَرُورَةٌ - بِالصَّادِ - قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ : مَنْ لَمْ يَذَنْبِ قَطُّ ، أَوْ لَمْ يَبْرُحْ مِنْ

مكانه ، وقيل : هو في الجاهلية : مَنْ لم يتزوّج ، وفي الإسلام : مَنْ لم يحجّ ،
ولدفع التكرار في البيت يُحمَلُ على غير هذا المعنى .

لَرْنَا لِرُؤُوتَيْهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَخَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَزُشِدْ
بِتَكَلُّمٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ لَدَنَّتْ لَهُ أَرْوَى الْهَضَابِ الصُّخْدِ
الصُّخْدُ : جمعُ صاخِدٍ ؛ وهي الملساء .

وَبِفَاحِمِ رَجُلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ كَأَلْكَرِمِ مَالٍ عَلَى الدِّعَامِ الْمُسْنَدِ
وَإِذَا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَجْثَمَ جَائِمًا مُتَحَيِّزًا بِمَكَانِهِ مِلءَ الْيَدِ
وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدَفٍ رَابِيِ الْمَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقْرَمَدِ
وَإِذَا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَن مُسْتَخْصِفٍ نَزَعَ الْحَزْوَرِ بِالرِّشَاءِ الْمُخْصَدِ
وَإِذَا يَعِضُّ يَشُدُّ مِنْ أَعْضَائِهِ عَضَّ الْكَبِيرِ مِنَ الرِّجَالِ الْأَدْرَدِ
وَيَكَادُ يَنْزِعُ جِلْدَ مَنْ أَضَلَّى بِهِ بِلَوَافِحٍ مِثْلِ السَّعِيرِ الْمُوَقِدِ
لَا وَارِدٌ مِنْهَا يَحُورُ لِمَضْرٍ عَنْهَا وَلَا صَدِرٌ يَحُورُ لِمَوْرِدِ

[محاكاةُ الأمير البارودي للنابغة الذبيانيّة في قصيدته]

فمشى على أثره ، وترجم لها بقوله^(١) : وقال على رويّ قصيدة النابغة
الذبيانيّة التي أولها (أَمِنْ آلِ مِيَّةَ) ، وقد سلك فيها مسالك العرب فيما كانت
تتمدّح به ؛ مِنْ مباشرة الحروب ، وارتياح المنابت ، وركوب الخيل ، وشرب
الخمير ، ومزاولة النساء :

ظَنَّ الظُّنُونُ فَبَاتَ غَيْرَ مُوسَّدِ حَيْرَانَ يَكْلَأُ مُسْتَنِيرَ الْفَرْقَدِ

(١) أي : الأمير البارودي في « ديوانه » (١٤٨/١ - ١٥٦) .

لَيَظَلُّ مُلْقَى بَيْنَ أَيْدِي الْعُودِ
سَرَفًا وَتَارَاتٍ يَمِيلُ عَلَى أَلْيَدِ
مَشْمُولَةً أَوْ سَاعَ سُمِّ الْأَسْوَدِ
خَوْفَ التَّفْرِقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ
مَعْمُودَةً إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدِ
أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمَ دَعْوَةَ مُفْصِدِ
عَقْلِي فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لِأَهْتَدِي
حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيلَ فَأَعْمِدِ
فَتَكْتُبْنَا خَلْسًا بِغَيْرِ مُهَنْدِ
رَبِّا الشَّبَابِ سَلِيمَةَ الْمُتَجَرِّدِ
سَلَبْتُ فُؤَادَ الْعَابِدِ الْمُتَشَدِّدِ
لِلنَّفْسِ فِعْلَ الْقَانِنَاتِ الْعُبْدِ
وَرَمَيْتُ مُهَجَّتَهُ بِطَرْفِ أَصِيدِ
وَسَتَرْنَا ضَاحِيَةَ الْمَحَاسِنِ بِالْيَدِ
فَلَقَدْ أَفْلُ زَعَارَةَ الْمُتَمَرِّدِ
وَلَبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدْ
وَيَعُودُ فِيهَا السَّيْفُ مِثْلَ الْأَدْرَدِ
بِدَمِ الْفَوَارِسِ كَالْأَيْتِي الْمُرِيدِ

تَلْوِي بِهِ الذُّكْرَاتُ حَتَّى إِنَّهُ
طَوْرًا يَهُمُّ بِأَنْ يَزِلَّ بِنَفْسِهِ
فَكَأَنَّمَا أَفْتَرَسَتْ بِطَائِرِ حِلْمِهِ
قَالُوا غَدًا يَوْمُ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ
هِيَ مُهَجَّةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشِغَافِهَا
يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ
إِنِّي فَقَدْتُ أَلْعَامَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ
بَلْ يَا أَخَا السَّيْفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ
هَلْذِي لِحَاظُ الْغَيْدِ بَيْنَ شِعَابِكُمْ
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الصِّبَا بَدْوِيَّةِ
هَيْفَاءَ إِنْ خَطَرْتُ سَبْتُ وَإِذَا رَنْتَ
يُخْفِضَنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ تَخْتُلًا
فَإِذَا أَصَبْنَا أَخَا الشَّبَابِ سَلْبِنَهُ
وَإِذَا لَمَحْنَا أَخَا الْمَشِيبِ قَلْبِنَهُ
فَلَيْتُنَّ غَدَوْتُ دَرِيئَةً لِعُيُونِهَا
وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَزْبَ فِي إِبَانِهَا
تَتَقَصِّفُ الْمُرَانَ فِي حَجَرَاتِهَا
عَصَفَتْ بِهَا رِيحُ الرَّدَى فَتَدْفَقَتْ

مَا زِلْتُ أَطْعَنُ بَيْنَهَا حَتَّى أَنْتَنَتْ
وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيْثَ يَلْمَعُ نُورُهُ
تَجْرِي بِهِ الْأَرَامُ بَيْنَ مَنَاهِلِ
بِمُضْمَرٍ أَرِنِ كَأَنَّ سَرَائِهِ
خَلَصَتْ لَهُ الْيُمْنَى وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ
فَكَأَنَّمَا أَنْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ
رَجُلٌ يُرَدِّدُ فِي اللَّهَاتِ صَهِيلَهُ
مُتَلَفِتًا عَنِ جَانِبِيهِ يَهْرُهُ
فَإِذَا تَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانَ وَجَدْتَهُ
وَإِذَا أَطَعْتَ لَهُ الْعِنَانَ رَأَيْتَهُ
يَكْفِيكَ مِنْهُ إِذَا اسْتَحَسَّ بِنَبَاةِ
صَلْبِ السَّنَابِكِ لَا يَمُرُّ بِجَلْمَدِ
نِعْمَ الْعِتَادُ إِذَا الشِّفَاهُ تَقَلَّصَتْ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بَيْنَ غَطَارِفِ
يَتَلَاعَبُونَ عَلَى الْكُؤُوسِ إِذَا جَرَتْ
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ الْهَوَى
مِنْ كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ
بَلَّ رَبُّ غَانِيَةَ طَرَقَتْ حِبَاءَهَا
قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي

عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُجَسَّدِ
فِي كُلِّ وَضَاحِ الْأَسِرَّةِ أَغْيَدِ
طَابَتْ مَشَارِبُهَا وَظِلٌّ أَبْرَدِ
بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةً مِنْ عَسْجَدِ
مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفِ أَجْرَدِ
سَلْبًا وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مُورِدِ
دَفْعًا كَزَمْزَمَةَ الْحَبِيِّ الْمُرْعِدِ
مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَعَرِّدِ
يَمْطُو كَسِيدِ الرِّذَاهَةِ الْمُتَوَرِّدِ
يَطْوِي الْمَهَامَةَ فَذَفْدًا فِي فَذَفِدِ
شَدًّا كَالهُوبِ الْأَبَاءِ الْمُوقِدِ
فِي الشَّدِّ إِلَّا رَضَّ فِيهِ بِجَلْمَدِ
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَزِيدِ
شَمَّ الْمَعَاطِسِ كَالْغُصُونِ الْمُيِّدِ
لَعِبًا يَرُوحُ الْجِدُّ فِيهِ وَيَغْتَدِي
فَكَلَامُهُمْ كَالرَّوْضِ مَضْقُولٍ نَدِي
قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلِ أَسْوَدِ
وَالنَّجْمُ يَطْرِفُ عَنْ لَوَاحِظِ أَرْمَدِ
فَارْجِعْ لِشَانِكَ فَالرِّجَالُ بِمَرْصَدِ

وَطَوَيْتُهَا طَيِّ الْحَبِيرَةِ بِأَيْدٍ
حَتَّى لَقَدْ بَثْنَا بِلَيْلِ الْأَنْقَدِ
تَرْفًا وَتَجَزَعُ مِنْ صِيَاحِ الْهُدْهِدِ
زَيْمِ الْكَوَاكِبِ كَأَلْمَهَا الْمُتَبَدِّدِ
إِلَّا وَقَدْ أَبْقَيْتَ عَارَ الْمُسْنَدِ
وَنَفَيْتَ رَوْعَتَهَا بِرَأْيِ مُحْصَدِ
مُتَلَثِّمًا وَالسَّيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي
وَلِنِعْمَ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ لَمْ يَنْقَدِ
وَنَعِيمِهِ وَالْمَرْءُ غَيْرُ مُخَلَّدِ

فَخَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ حَتَّى رَضْتُهَا
مَا زِلْتُ أَمْنَعُهَا أَلْمَنَامَ غَوَايَةَ
رَوْعَاءُ تَفْرَعُ مِنْ عَصَافِيرِ الضُّحَى
حَتَّى إِذَا نَمَّ الصَّبَا وَتَتَابَعَتْ
قَالَتْ دَخَلْتَ وَمَا إِخَالِكَ بَارِحًا
فَمَسَحْتُهَا حَتَّى أَطْمَأَنَّ فُؤَادُهَا
وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا
فَلِنِعْمَ ذَلِكَ الْعَيْشُ لَوْ لَمْ يَنْقُضِي
يَزْجُو الْفَتَى فِي الدَّهْرِ طُولَ حَيَاتِهِ



[خوضُ الباروديِّ حربينِ ضدَّ جزيرةِ أقرِيطشَ وروسيا]

وقد باشرَ هذا الأميرُ الحربَ مرَّتَيْنِ بصدقِ شهامةٍ وعُلُوِّ هِمَّةٍ ، حتى إنَّ الناسَ كانوا يتعجَّبونَ - كما أخبرني مَنْ حضرَهُ في تلكَ المواطنِ - مِنْ خشونةِ بأسِهِ على ترفِ نشأتِهِ ، ولطفِ حِسِّهِ .

[قصيدةُ الباروديِّ يصفُ سفرَهُ للحربِ وتشوُّقَهُ إلى مصرَ]

المَرَّةُ الأولى : حربُ سُكَّانِ جزيرةِ أقرِيطشَ المعروفةِ الآنَ بجزيرةِ جريدِ ، حينَ خرجوا عنِ الطاعةِ سنةَ ثنتينِ وثمانينِ ومئتينِ وألفِ ، فقالَ يصفُ الحالَ ، ويتشوَّقُ إلى مصرَ^(١) :

وَهَفَا السُّرَى بِأَعِنَّةِ الْفُرْسَانِ	أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الْأَجْفَانِ
فَوْقَ الْمَتَالِعِ وَالرُّبَا بِجِرَانِ	وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَابِ ضَارِبِ
إِلَّا أَشْتِعَالَ أَسِنَّةَ الْمُرَّانِ	لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظَلْمَائِهِ
تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ	نَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِثْنَةِ
تَهْدَارُ سَامِرَةَ وَعَزْفُ قِيَانِ	فِي كُلِّ مَرْبَاةٍ وَكُلِّ نَيْيَةِ
وَتَصِيحُ أَحْرَاسٍ وَيَهْتِفُ عَانِي	تَسْتَنُّ عَادِيَةً وَيَضْهَلُ أَجْرَدُ
فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ	قَوْمُ أَبِي الشَّيْطَانِ إِلَّا خُسْرَهُمْ
غَيْرُ التِّمَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ	مَلَّؤُوا الْفَضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَاظِرِ

الخُرْصَانُ : جمعُ خُرْصٍ بضمِّ أو كسرٍ فسكونٍ ؛ السنانُ .

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » (٤٣/٤ - ٥٥) .

فَالْبِدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ
وَالْخَيْلُ وَاقْفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا
وَضَعُوا السِّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَسْفَرَ وَأَزْتَمَتْ
فَإِذَا الْجِبَالُ أَسِنَّةٌ وَإِذَا الْوَهَا
فَتَوَجَّسَتْ فَرَطُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ
فَرِزَتْ فَرَجَعَتْ الْحَنِينِ وَإِنَّمَا
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمِضْرٍ وَأَيْنَ مِنْ
وَالنَّفْسُ لَاهِيَةٌ وَإِنْ هِيَ صَادَفَتْ
فَسَقَى السِّمَّاءُ مَحَلَّةً وَمَقَامَةً
حَتَّى تَعُودَ الْأَرْضُ بَعْدَ دُبُولِهَا
بَلَدٌ خَلَعَتْ بِهَا عِدَارَ شَبِيبَتِي
فَصَعِيدُهَا أَحْوَى النَّبَاتِ وَسَرْخُهَا
فَارَقْتُهَا طَلَبًا لِمَا هُوَ كَائِنٌ
حَمَلَ الزَّمَانُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَجْنِهِ
نَقَمُوا عَلَيَّ وَقَدْ فَتَكَتْ شَجَاعَتِي
فَلِيَهِنًا الدَّهْرُ الْغَيُورُ بِرِخْلَتِي
فَلَيْنٌ رَجَعْتُ وَسَوْفَ أَرْجِعُ وَائِقًا
صَادَقْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ حَتَّى خَانَنِي

وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ وَالرِّمَاحُ دَوَانِي
لِطَرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِهَانِ
يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَنِ النَّيْرَانِ
عَيْنَايَ بَيْنَ [رُبَا] وَبَيْنَ مَحَانِي
ذُ أَعِنَّةٌ وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِي
لِتَهَابٍ فَاُمْتَنَعَتْ عَلَى الْأَرْسَانِ
تَخَنَانُهَا شَجْنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ
مَاءٍ بِمِضْرٍ مَنَازِلُ الرُّومَانِ
خَلْفًا بِأَوَّلِ صَاحِبٍ وَمَكَانِ
فِي مِضْرٍ كُلِّ رَوِيَّةٍ مِزْنَانِ
شَتَّى النَّمَاءِ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
وَطَرَحْتُ فِي بُمْنَى الْغَرَامِ عِنَانِي
أَلْمَى الظَّلَالِ وَزَهْرُهَا مُتَدَانِي
وَالْمَرْءُ طَوْعٌ تَقَلَّبَ الْأَزْمَانِ
إِنَّ الْأُمَائِلَ عُرْضَةٌ الْحَدَثَانِ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ حِلْيَةٌ الْفِثْيَانِ
عَنْ مِضْرٍ وَلْتَهْدَأْ صُرُوفُ زَمَانِي
بِاللَّهِ أَعْلَمْتُ الزَّمَانَ مَكَانِي
وَحَفِظْتُ مِنْهُ مَغِيبَهُ فَرَمَانِي

غَشَا وَجَازَى الْحَقَّ بِالْبُهْتَانِ
 إِنَّ الشَّقِيَّ مَطِيَّةُ الشَّيْطَانِ
 عَادَى الصَّدِيقَ وَمَالَ بِالْأَخْوَانِ
 وَالطَّبْعُ لَيْسَ يَحُولُ فِي الْإِنْسَانِ
 مِنْ بَعْدِ مَا عَرَفَ الْخَلَائِقُ شَانِي
 فَقَدْ الرَّجَاءَ وَقَلَّةُ الْأَعْوَانِ
 عَنِّي وَإِنْ سَبَقَتْ بِهِ قَدَمَانِ
 بِالذَّرِّ عِنْدَ تَرَاجِحِ الْمِيزَانِ
 مَسْعَاتُهُ فَهَدَىٰ بِهِ وَقَلَانِي

زَعَمَ النَّصِيحَةَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ بِهِ
 فَلْيَجْرِ بَعْدُ كَمَا أَرَادَ بِنَفْسِهِ
 وَكَذَا اللَّئِيمُ إِذَا أَصَابَ كَرَامَةً
 كُلُّ أَمْرٍ يَجْرِي عَلَىٰ أَعْرَاقِهِ
 فَعَلَامَ يَلْتَمِسُ الْعُدُوَّ مَسَاءَتِي
 أَنَا لَا أَذِلُّ وَإِنَّمَا يَزْعُ الْفَتَى
 فَلْيَعْلَمَنَّ أَخُو الْجَهَالَةِ قَضْرَهُ
 فَلرُبَّمَا رَجَحَ الْخَسِيسُ مِنَ الْحَصَى
 شَرَفٌ خُصِصْتُ بِهِ وَأَخْطَأَ حَاسِدٌ

[قصيدة من البارودي للمؤلف أثناء حرب الروس]

والثانية : حرب الروس حين قصدوا الدولة سنة أربع وتسعين ومئتين
 وألف ، وكان - حرسه الله - كتب لأبناء وُدّه كُتُباً ولم تصل إليهم ، وظنَّ
 وصولها وتقصيرهم عن المبادرة بالإجابة ، وقد وصل إليّ أحد كتابين
 كتبتهما لي يوم قدومه إلى مصر بعد مُدَّة طويلة من كتابته ، وهذه
 أبياتُه (١) :

أَسْهَرْتَنِي فِيكَ وَنَامَ الْأَنَامُ
 وَالْعَيْنُ لَا تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامِ
 فِيكُمْ وَقَلْبٌ قَدْ بَرَاهُ الْغَرَامُ

يَا نَاعَسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامُ
 أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقُضِي
 اللَّهُ فِي عَيْنِ جَفَاهَا الْكَرَى

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » (٣ / ٣٥٤ - ٣٦٢) .

قَدْ رَحِمَ الْعَاذِلُ حَالِي فَمَا
وَيْلَاهُ مِنْ ظَنِّي الْجَمَى إِنَّهُ
يَغْضَبُ مِنْ قَوْلِي آهٍ وَهَلْ
لَا كُتِبَهُ تَثْرَى وَلَا رُسْلُهُ
طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ وَأَنْقَضَتْ
أَرْتَاخُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا
يَا لَيْتَنِي فِي السِّلَكِ حَزَفَ سَرَى
حَتَّى أُوَافِيَ مِضْرَ فِي لَحْظَةٍ
مَوْلَايَ قَدْ طَالَ مَرِيرُ النَّوَى
أَنْظُرُ حَوْلِي لَا أَرَى صَاحِبًا
وَدَيْدَبَانًا صَارِحًا فِي الدُّجَى
يُقْتَبَلُ الصُّبْحُ وَيَمْضِي الدُّجَى
وَلَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبٍ أَتَى
فِي هَضْبَةٍ مِنْ أَرْضِ دَبْرِجَةٍ
مِنْ خَلْفِنَا الْبَحْرُ وَتِلْقَاءَنَا
فَتَيْلِكَ حَالِي لَا رَمْتِكَ النَّوَى

يَرْضَى لِدَلِّي فِي الْهَوَى بِالْمَلَامِ
جَرَّعَنِي بِالصَّدِّ مَرَّ الْحِمَامِ
قَوْلِي آهٍ يَا بَنَ وَدِي حَرَامِ
تَأْتِي وَلَا الطَّيْفُ يُوَافِي لِمَامِ
بَشَاشَةُ الْعَيْشِ وَسَاءَ الْمَقَامِ
وَالْبُرْءُ لِي فِيهِ مَعَاً وَالسَّقَامِ
أَوْ رِيشَةً بَيْنَ خَوَافِي الْحِمَامِ
أَقْضِي بِهَا فِي اللَّهِ حَقَّ الذَّمَامِ
فَكُلُّ يَوْمٍ مَرَّ بِي أَلْفُ عَامِ
إِلَّا جَمَاهِيرَ وَخَيْلًا صِيَامِ
إِرْجِعْ وَرَاءَ إِنَّهُ لَا أَمَامِ
وَيَنْقَضِي النُّورُ وَيَأْتِي الظَّلَامِ
وَلَا أَخُو صِدْقٍ يَرُدُّ السَّلَامِ
لَيْسَ بِهَا غَيْرُ بُغَاثٍ وَهَامِ
سَوَادُ جَيْشٍ مُكْفَهَرٍ لِهَامِ
فَكَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدَنَا يَا هُمَامِ



[قصيدةٌ أُخرى من الباروديِّ للمؤلفِ]

فقال في نعتِ الحالِ وضمَّنَ ذلكَ بعضَ فصولها^(١) : [من الطويل]

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لَا سَلَامَ وَلَا رَدُّ وَلَا نَظْرَةَ يُقْضِي بِهَا حَقَّهُ الْوَجْدُ
لَقَدْ نَعَبَ الْوَابُورُ بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ فَسَارُوا وَلَا زَمُوا جَمَالًا وَلَا شَدُوا
سَرَى بَيْنَهُمْ سَيْرَ الْغَمَامِ كَأَنَّمَا لَهُ فِي تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَضُدُ
فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ عَيْنٌ مِنَ الْبُكََا وَلَا خَدَّ إِلَّا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ
فَيَا سَعْدُ حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالْأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ
لَعَلَّ حَدِيثَ الشُّوقِ يُطْفِئُ لَوْعَةَ مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ الْفَقْدُ
هُوَ النَّارُ فِي الْأَحْشَاءِ لَكِنْ لَوْعِهَا عَلَى كَيْدِي مِمَّا أَلَدُّ بِهِ بَرْدُ
لَعَمْرُ الْمَغَانِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيْزَةٌ بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَنِي بَعْدَهَا عَهْدُ
لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنُ نَاطِرٍ وَأَضَحَتْ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ الْأَسَى وَفَدُ
خَلَاءٍ مِنَ الْأَلْفِ إِلَّا عِصَابَةٌ حَدَاهُمْ إِلَى عِرْفَانِهَا أَمَلٌ فَرْدُ
دَعْنَهُمْ إِلَيْهَا نَفْحَةٌ عَنبَرِيَّةٌ وَبِالْتَفْحَةِ الْحَسَنَاءِ قَدْ يُعْرِفُ الْوَرْدُ
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِالسُّنِّ صَوَامِتَ إِلَّا أَنَّهَا السُّنُّ لُدُّ
فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرِيٍّ وَمِنْ لَفْحِ زَفْرَةٍ لَهَا شَرَرٌ بَيْنَ الْحَشَا مَا لَهُ زَنْدُ
فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ أَضْرَبَكَ النَّوَى فَكُلُّ فِرَاقٍ أَوْ تَلَاقٍ لَهُ حَدُّ
فَقَدْ يُشْعَبُ الْأَلْفَانَ أَدْنَاهُمَا الْهَوَى وَيَلْتَمِئُ الضِّدَّانِ أَقْصَاهُمَا الْحِقْدُ
عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا فَأَوْنَةٌ قُرْبٌ وَأَوْنَةٌ بُعْدُ

(١) انظر «ديوان محمود سامي البارودي» (١/١٦١ - ١٧٢).

وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْحُبُّ أَخْضَعُ لَلَّتِي
 فَعُودِي صَلِيبٌ لَا يَلِينُ لِغَامِزِ
 إِبَاءٍ كَمَا شَاءَ الْفَخَّازُ وَصَبُوءَ
 وَإِنَّا أَنَاسٌ لَيْسَ فِيْنَا مَعَابَةٌ
 نَلِينُ وَإِنْ كُنَّا أَشِدَّاءَ لِلْهَوَى
 وَحَسْبُكَ مِنَّا شِيمَةٌ عَرَبِيَّةٌ
 وَبِي ظَمًا لَمْ يَبْلُغِ الْمَاءُ رِيَّهُ
 أَوْدٌ وَمَا وُدُّ أَمْرِي نَافِعًا لَهُ
 وَمَا بِي مِنْ فَقْرٍ لِدُنْيَا وَإِنَّمَا
 وَكَمَ مِنْ يَدِ اللَّهِ عِنْدِي وَنِعْمَةٌ
 أَنَا الْمَرْءُ لَا يُطْغِيهِ عِزُّ لِثَرْوَةٍ
 أَصْدُ عَنِ الْمَوْفُورِ يُدْرِكُهُ الْخَنَا
 وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ
 وَمِنْ شِيَمِي حُبُّ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
 وَلَكِنَّ إِخْوَانًا بِمِضْرٍ وَرِفْقَةٍ
 أَحْبُّ لَهُمْ شَوْقًا عَلَيَّ أَنَّ دُونَنَا
 فَيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُتُبِنَا
 أَفِي الْحَقِّ أَنَّا ذَاكِرُونَ لِعَهْدِكُمْ
 فَلَا ضَيْرَ إِنْ اللَّهُ يُعَقِّبُ عَوْدَةً
 جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَن جَزَانِي بِمِثْلِهِ

تُسِيءُ وَلَكِنَّ الْفَتَى لِلْهَوَى عَبْدُ
 وَقَلْبِي سَيْفٌ لَا يُفْلُ لَهُ حَدُّ
 [يَذُلُّ] لَهَا فِي خَيْسِهِ الْأَسَدُ الْوَزْدُ
 سِوَى أَنَّ وَادِينَا بِحُكْمِ الْهَوَى نَجْدُ
 وَنَغْضَبُ فِي شَرَوَى نَقِيرٍ فَتَشْتَدُّ
 هِيَ الْخَمْرُ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ دُونِهَا حَزْدُ
 وَفِي النَّفْسِ أَمْرٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْجَهْدُ
 وَإِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ
 طِلَابُ الْعَلَا مَجْدٌ وَإِنْ كَانَ لِي مَجْدُ
 يَعْضُ عَلَيْنَهَا كَفَّهُ الْحَاسِدُ الْوَعْدُ
 أَصَابَ وَلَا يَلْوِي بِأَخْلَاقِهِ الْكَدُّ
 وَأَقْنَعُ بِالْمَيْسُورِ يَعْقُبُهُ الْحَمْدُ
 لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا وَذَلَّتْ لَهُ الْأَسْدُ
 لِيَخْلُصَ وُدُّ لَمْ يُحِطْهُ الْوَفَا بَعْدُ
 نَسُوا عَهْدَنَا حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ عَهْدُ
 مَهَامَةٍ تَعْيَا دُونَ أَقْرَبِهَا الرُّبْدُ
 ثَوْتُ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
 وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَيْسَ يُعْطِفُكُمْ وُدُّ
 يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُواصَلَةِ الصَّدُّ
 عَلَيَّ شُقَّةٌ غَزْرُ الْحَيَاةِ بِهَا تَمُدُّ

أَيْتُ لِدِكْرَاكُمْ بِهَا مُتَمَلِّمًا
 فَلَا تَحْسُبُونِي غَافِلًا عَن وِدَادِكُمْ
 هُوَ الْحُبُّ لَا يُثْنِيهِ نَأْيٌ وَرُبَّمَا
 [نَأَتْ] بِي عَنكُمْ غُرْبَةٌ وَتَجَهَّمَتْ
 أَدُورٌ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ
 جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِغَارَةٍ
 إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَخَ الشَّرُّ بِأَسْمِهِ
 فَأَنْتَ تَرَى بَيْنَ الْقَرِيقَيْنِ كَبَّةً
 عَلَى الْأَرْضِ مِنْهَا بِالِدِمَاءِ جَدَاوِلٌ
 إِذَا أَشْتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُوا الرَّحْفَ خَلَّتْهُمْ
 نَشْلُهُمْ شَلَّ الْعِطَاشِ وَنَتْ بِهَا
 فَهْمٌ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ وَهَارِبٍ
 نَزُوحٌ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى
 وَنَفَعَ كَلَجِ الْبَحْرِ خُضْتُ غِمَارَهُ
 صَبَرْتُ بِهِ وَالْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً
 فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثَ أَنهَضَهُ الطَّوْى
 صَوُولٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى
 فَمَا مُهْجَةٌ إِلَّا وَرُمَحِي ضَمِيرُهَا
 وَمَا كُلُّ سَاعٍ بَالِغٌ سُؤْلِ نَفْسِهِ
 إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ [مَشَتْ] نَحْوَهُ الْوِرْدُ
 رُوَيْدًا فَمَا فِي مُهْجَتِي حَجْرٌ صَلْدُ
 تَأَرْجُ مِنْ مَسِّ الضَّرَامِ لَهُ النَّدُّ
 بِوَجْهِي أَيَّامٌ خَلَائِقُهَا نُكْدُ
 مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُّ
 يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو
 وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ
 يُحَدِّثُ فِيهَا نَفْسَهُ الْبَطْلُ الْجَعْدُ
 وَفَوْقَ سِرَاةِ النَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبْدُ
 بُحُورًا تَوَالِي بَيْنَهَا الْجَزْرُ وَالْمَدُّ
 مُرَاغِمَةٌ الشُّقْيَا وَمَاطَلَهَا الْوِرْدُ
 طَلِيحٌ وَمَأْسُورٌ يُجَادِبُهُ الْقِدُّ
 وَنَعْدُو عَلَيْهِمُ بِالسُّيُوفِ إِذَا نَعْدُو
 وَلَا مَعْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ
 وَيَنْغَلُّ طُورًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُ
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ فَارَقَهُ الْغِمْدُ
 ضَرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنَ فِي صَدْرِهِ يَغْدُو
 وَلَا لَبَّةٌ إِلَّا وَسَيْفِي لَهَا عِفْدُ
 وَلَا كُلُّ طَلَابٍ يُصَاحِبُهُ الرُّشْدُ
 فَمَا السَّيْفُ إِلَّا آلَةٌ حَمَلَهَا إِدُ

فَنَاءٌ فَمَكْرُوهُ الْفَنَاءِ هُوَ الْخُلْدُ
 وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقَعِهِ بُدُّ
 لِأَنَافِهِمْ رَغْمٌ وَأَكْبَادِهِمْ وَقَدْ
 وَمِنْ شِيمَةِ الْفَضْلِ الْعَدَاوَةُ وَالضُّدُّ
 وَرُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمَلِهِ الْعَضْدُ
 فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتَى وَلَهُ نِدُّ

إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَ
 فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سُورَةَ يَوْمِهِ
 لِيَضْنَ بِي الْحُسَادُ غَيْظًا فَإِنِّي
 أَنَا الْقَائِلُ الْمَحْسُودُ مِنْ غَيْرِ سُبَّةٍ
 فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ أَبْنَهُ وَهُوَ نَفْسُهُ
 فَلَا زِلْتُ مَحْسُودًا عَلَى الْمَجْدِ وَالْعَلَا

وقد شرفت عناية وده اسمي بهذه القصيدة^(١) : [من الطويل]

وَوَلَّى الصِّبَا إِلَّا بَوَاقٍ قَلَائِلُ
 [يُؤَرِّثُهَا] فِكْرٌ عَلَى النَّأْيِ شَاغِلُ
 وَخَبْلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُونَ خَابِلُ
 بِي الْبُرْءُ غَالْتِنِي لِذَلِكَ الْغَوَائِلُ
 أَسَالُ بِنَا حَتَّى كَأَنَّا نُقَاتِلُ
 لَلدُّ إِذَا أَلْتَقَتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ
 بَنُوها وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نُحَاوِلُ
 سِوَى الْبَيْضِ وَالشَّمْرِ اللَّدَانِ مَعَاقِلُ
 أَلَمْ يَدْرِ أَتِي الشَّمْرِيُّ الْحَلَّاحِلُ
 إِذَا أَخَذَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ الْأَفَاكِلُ

مَضَى اللَّهُو إِلَّا أَنْ يُخَبَّرَ سَائِلُ
 بَوَاقٍ تُمَارِيهَا أَفَانِينَ لَوْعَةٍ
 فَلِلشُّوقِ مِثِّي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ
 أَلِفْتُ الضَّنَى إِلْفَ الشَّهَادِ فَلَوْ سَرَى
 فَلِلَّهِ هَذَا الشُّوقُ أَيَّ جِرَاحَةٍ
 رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا وَإِنَّا
 وَإِنَّا رِجَالٌ تَعْلَمُ الْحَرْبُ أَنَّنا
 إِذَا مَا أَبْتَنَى النَّاسُ الْحُصُونَ فَمَا لَنَا
 فَمَا لِلْهَوَى يَفُوقِي عَلَيَّ بِحُكْمِهِ
 وَإِنِّي لَتَبْتُ الْجَاشِ مُسْتَحْصِدُ الْقُوقَى

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » (٦١/٣ - ٧٣) .

عَلَى الشَّرِّ قَالَ الْقِرْنُ إِنِّي هَازِلٌ
 وَنَازِلٌ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ يُنَازِلُ
 أَرْتِنِي سَبِيلَ الرُّشْدِ وَالْغَيْ حَائِلُ
 فَأَضِيعُ شَيْءَ مَا تَقُولُ [الْعَوَازِلُ]
 تَنَازَعُ فِيهِ التَّاجِدِينَ الْأَنَامِلُ
 مُقَسَّمَةٌ بَيْنَ الْوَرَى وَفَوَاضِلُ
 يَسِيرٌ عَلَى قَصْدٍ وَآخِرٌ جَاهِلُ
 وَذُو الْجَهْلِ مَقْطُوعُ الْقَرِينَةِ جَافِلُ
 مِنَ الْوَدِّ أُمَّ الْوَدِّ فِي النَّاسِ هَابِلُ
 وَأَنْ يَضْحَبَ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُشَاكِلُ
 سِوَى الْمَرْصِفِيِّ الْخَبْرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ
 وَفَقَّهَنِي حَتَّى اتَّقَانِي الْأَمَائِلُ
 إِذَا قَلَّ عِنْدَ النَّائِبَاتِ الْمُجَامِلُ
 أَرَاكَ بَظْهَرِ الْغَيْبِ مَا الدَّهْرُ فَاعِلُ
 وَمَا النَّاسُ عِنْدَ الْبَحْثِ إِلَّا مَخَائِلُ
 لِأَوْرَدَتْهَا وَالْحُبُّ لِلنَّفْسِ قَاتِلُ
 يُنَاقِلُهَا عَنِّي الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ
 مَرِيحُ الْفِنَا تُطَوِّي إِلَيْهِ الْمَرَاحِلُ

إِذَا مَا أَعْتَقَلْتُ الرُّمَحَ وَالرُّمَحُ صَاحِبِي
 لَطَاعَنْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ مُطَاعِينَ
 وَشَاغَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ مِنِّي بِعَزْمَةٍ
 إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتُكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا أَنْ يَعِيشَ مُحَسِّدًا
 لَعَمْرُكَ مَا الْأَخْلَاقُ إِلَّا مَوَاهِبُ
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَادِحَانِ فَعَالِمُ
 فَذُو الْعِلْمِ مَاخُودٌ بِأَسْبَابِ عِلْمِهِ
 فَلَا تَطْلُبْنِ فِي النَّاسِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
 مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى غَيْرَ طَبْعِهِ
 بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طُرًّا فَلَمْ يَكُنْ
 هَمَامٌ أَرَانِي الدَّهْرَ فِي طَيِّ بُرْدِهِ
 أَخٌ حِينَ لَا يَبْقَى أَخٌ وَمُجَامِلُ
 بَعِيدُ مَجَالِ الْفِكْرِ لَوْ خَالَ حَيْلَةً
 طَرَحْتُ بَنِي الْأَيَّامِ لَمَّا عَرَفْتُهُ
 فَلَوْ سَامَنِي مَا يُورِدُ النَّفْسَ حَتْفَهَا
 فَلَا بَرِحْتُ مِنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ
 وَلَا زَالَ غَضُّ الْعُمْرِ مُمْتَنِعَ الذَّرَا

وعلى أن ليس من طبعي أن أقول الشعر ؛ إمّا لفوت أوانٍ تحصيل وسائله ،

ولم تكن إذ ذاك دواع ترشدُ إليه ، وإمّا لأنّ الاستعداد الذي سلفَ التنبيه على أن لا بدّ منه لم يكن في خلقتي . . أنطقني حُبّه بأبياتٍ أجملتُ فيها صفته ؛ وهي هذه :

رَكَأ مِيرِي طَبْعاً وَأَعْتَلَى شَرْفاً فَدَارَ حَيْثُ تَدَوَّرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَنَالَ مَا نَالَ عَن كَدِّ الرِّجَالِ فَلَا مَنْ عَلَيْهِ لِشَخْصٍ حِينٍ يَفْتَخِرُ
بِفَضْلِهِ كُلُّ أَهْلِ الْأَرْضِ مُعْتَرِفٌ كَمَا تَصَادَقَ فِيهِ الخُبْرُ وَالخَبْرُ
لَا يَجْهَلُ الرُّتْبَةَ الْعَلِيَاءَ يَعْمُرُهَا وَلَا يَتِيهَ بِهَا مَا أَعْظَمَ الخَطْرُ
صَحْبَتُهُ وَهُوَ سِرٌّ فِي مَخَائِلِهِ حَتَّى تَخَيَّرَ مِنْ إِعْلَانِهِ الْكِبْرُ
فَمَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ شِبَهَ بَادِرَةٍ وَلَا تَخَيَّلْتُ أَمْراً مِنْهُ يُعْتَذَرُ
أَدَامَهُ اللَّهُ نَفْنَى مِنْ فَضَائِلِهِ وَمِنْ فَوَاضِلِهِ مَا أَنْبَتَ الشَّجَرُ

والى هنا ما أظنُّ إلا أنّك تحققت بمعرفة تميز شعر الأمراء بما يظهر عليه من آثار عزةٍ لنفسٍ ، ويشمل نواحيه من البراعة والمثانة ، ويلوح فيه من تخير الألفاظ برعاية ما هو أوفق بالأدب ، أو الأليق بالمدح ، أو الأوقع في الزجر ، أو الأجلب للعطف والرضا ، أو الأدخل في النصيحة ، أو الأنسب بالغزل ، أو الأهيح في الحماس . . . إلى غير ذلك من المقامات ، وبانحصار أغراضه فيما أمر بقصره عليه أبو [فراس] حيث يقول^(١) :

الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ أَبْدأ وَعُنُونُ الْأَدَبِ
لَمْ أَعْدُ فِيهِ مَفَاخِرِي وَمَدِيحَ آبَائِي النَّجْبِ
وَمُقَطَّعَاتِ رَبِّمَا

(١) انظر « ديوان أبي فراس الحمداني » (ص ٢٨) .

لَا فِي الْمَدِيحِ وَلَا الْهَجَا ۚ وَلَا الْمُجُونِ وَلَا اللَّعِبِ
وتبعه المترجم في هذا المعنى ، وزاد عليه في الإحسان ؛ حيث
يقول^(١) :

الشَّعْرُ زَيْنُ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ وَسِيْلَةً لِمَدْحٍ وَالذَّمِّ
قَدْ طَالَ مَا عَزَّ بِهِ مَعْشَرٌ وَرُبَّمَا أُرْزِيَ بِأَقْوَامِ
فَأَجَعَلَهُ فِيمَا شِئْتَ مِنْ حِكْمَةٍ أَوْ عِظَةِ أَوْ حَسَبِ نَامِ
وَأَهْتَفَ بِهِ مِنْ قَبْلِ تَسْرِيجِهِ فَالَسَّهُمْ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّامِي

ونبه بقوله : (واهتف به من قبل تسريجه) على أنه لا ينبغي أن يكتبي
الشاعر بالنظرة الأولى ؛ فللنفس خداع ، وربما تنبّهت بعد أن غفلت ،
واستقبلت ما استحسنت ، ولذلك يقول الأول^(٢) :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيْدَةً مَا لَمْ تُبَالِغْ قَبْلُ فِي تَهْذِيْبِهَا
فَإِذَا عَرَضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَا

ويروى : أن زهيراً أحد مشاهير شعراء الجاهلية كان يقول القصيدة في
سته أشهر ، ثم يرددها في نفسه ويكرّر النظر فيها ستة أشهر ، ولذلك تسمى
قصائده بالحوليات ، ولمكان صعوبة الشعر - والنثر أشد منه في ذلك من
جهة تخيير الألفاظ وتلاؤمها ، وتناسب المعنى لتبين جودة السياق - يقول
الخطيب^(٣) :

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلْمَةٌ

(١) أي : الأمير البارودي في « ديوانه » (٥٣١/٣ - ٥٣٢) .

(٢) هو الحاكم المطوعي ، كما في « أنوار الربيع » (١٠٣/١) .

(٣) تقدم (١٥٦/٣) .

إِذَا أَرْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ
هَوَتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ
وَالشَّعْرُ لَا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ
وَلَمْ يَزَلْ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي يُحْرَمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ
مَنْ يَسِمُ الْأَعْدَاءَ يَبْقَ مِيسْمُهُ

مَنْ يَظْلِمُهُ ؛ أَي : يَتَكَلَّفُهُ ، وَلَا يَأْتِي بِهِ فِي إِبَانَةٍ ، وَيُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ ؛ أَي :
يَأْتِي بِهِ عَرَبِيًّا ؛ بَوْضِعِ الْأَلْفَاظِ فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا ، وَسَلَامَةِ التَّرَكِيبِ مِمَّا
يُبْعَدُ فَهَمَّ الْمَعْنَى مِنْهُ .

وَقَوْلُهُ : (مَنْ يَسِمُ الْأَعْدَاءَ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ وَضْعَ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ كَمَا
يَعْتَرَفُ بِهِ ذُوو الْإِدْرَاكِ إِذَا وَقَفُوا عَلَيْهِ . . مُوجِبٌ لِبَقَائِهِ ، وَارْتِبَاطِ الْعِنَايَاتِ
بِهِ .



[قصائدٌ منتخبةٌ لمشاهيرِ الشعراءِ حَسَبَ طبقاتِهِم]

وإذ قد عرفتَ أن لا سبيلَ لمعرفةِ الصِّناعةِ إلا بكثرةِ الحفظِ ، ورعايةِ ما نَبَّهناكَ على رعايتهِ . . فقد آنَ أن نوردَ لك ما يكونُ مثلاً لِمَا ينبغي أن تُحصِلَهُ للحفظِ وترديدِ النظرِ فيه ؛ مِنْ قصائدٍ لمشاهيرِ الشعراءِ .

وينبغي بحَسَبِ نشأةِ الشعرِ ، وما عرضَ له مِنَ التغيُّرِ . . أن نجعلَ الشعراءَ في ثلاثِ طبقاتٍ :

الطبقةُ الأولى : للعربِ جاهليينَ وإسلاميينَ ؛ مِنَ المُهلِهْلِ إلى بشارِ بنِ بردٍ .



والثانيةُ : للمُحدثينَ الذين كانوا يحرصونَ على موافقةِ العربِ ، ويجتهدونَ في سلوكِ طرائقِهِم ؛ مِنْ أبي نُواسٍ إلى مَنْ قَبَلَ عبدُ الرحيمِ المعروفِ بالقاضي الفاضلِ .



والثالثةُ : بالشُّعراءِ الذي غلبَ عليهمُ استعمالُ النِّكاتِ ، والإفراطُ في مراعاةِ البديعِ ؛ وهم مِنَ القاضي الفاضلِ إلى هذا الوقتِ .



الطَّبَقَةُ الْأُولَى

قِيلَ : إِنَّ عَدِيًّا الْمُلقَبَ بِالْمُهَلِّهِلِ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَطَالَ الشِّعْرَ ورَقَّقَهُ ؛
ولذلك لُقِبَ الْمُهَلِّهِلَ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : ثَوَّبَ هَلْهَلٌ ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَدَامَجَ
الْخِيوِطِ ؛ بِحَيْثُ يَشْفُ عَمَّا وِرَاءَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الشُّعْرَاءُ قَبْلَهُ تَقُولُ قِطْعًا
تَذَكُرُ فِيهَا الْوَقَائِعَ وَتَفخَرُ ، وَلَكِنْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ الْعُلَمَاءِ عَلَيَّ أَنَّ أَوَّلَ
مَنْ جَوَّدَ الشِّعْرَ ، وَأَطَالَ الْقِصَائِدَ ، وَجَعَلَهَا مُشْتَمَلَةً عَلَيَّ أَصْنَافٍ مِنْ
الْمَعَانِي . . هُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ ، وَمِنْ هُنَا وَرَدَ فِيهِ : « هُوَ حَامِلٌ لِيَوَاءِ الشُّعْرَاءِ
إِلَى النَّارِ » (١) .

وقال الصَّاحِبُ ابْنُ عِبَادٍ : (بُدِيَ الشِّعْرُ بِمَلِكٍ ، وَخْتِمَ بِمَلِكٍ) (٢) ؛ يَعْنِي :
امْرَأَ الْقَيْسِ ؛ إِذْ كَانَ ابْنُ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الْعَرَبِ ، وَطَلَبَ الْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيهِ ،
وَكَانَ يُلقَّبُ بِالْمَلِكِ الضَّلِيلِ ، وَأَبَا فِرَاسِ الْحَمْدَانِيِّ .

فامْرُؤُ الْقَيْسِ وَمَنْ يُذَكَّرُ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعَلَّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ . . هُمْ أُمَّةُ
الشِّعْرِ الَّذِينَ يُقْتَدَى بِهِمْ ، وَيُصْنَعُ عَلَيَّ مَا مَثَلُوهُ ؛ إِذْ كَانُوا هُمُ الْمُخْتَرِعِينَ ،
وَكَانَتْ عِبَارَاتُهُمْ حِكَايَةً عَنِ الْوَاقِعِ ، وَصِنْعَةً لِلْمَشَاهِدِ ، لَمْ تَكُنِ الصَّنْعَةُ
غَالِبَةً عَلَيْهِمْ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ ، وَإِنْ كَانَ الشِّعْرُ كَيْفَمَا كَانَ مِنْ
الْأُمُورِ الْمَصْنُوعَةِ الَّتِي يَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِي إِتْقَانِهَا ، وَرِعَايَةِ جِهَاتِ حَسَنِهَا ،
لَكِنْ مِنْ حَيْثُ كَانَ ذَلِكَ ابْتِدَاءً لَمْ يُحْتَدَّ فِيهِ مِثَالٌ . . قِيلَ لِشِعْرِهِمْ : إِنَّهُ
مَطْبُوعٌ ، وَلِشِعْرِ الْمُتَأَخِّرِينَ : إِنَّهُ مَصْنُوعٌ ؛ لِكُونِهِمْ احْتَدَوْا فِيهِ الْأَمْثَلَةَ الَّتِي
اخْتَرَعَهَا هَلْوَاءٌ .

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٥٩/٢) .

[المفاضلةُ بين امرئ القيسِ وعلقمةَ الفحلِ في صفةِ جريِ الفرسِ]

فمن شعرِ امرئِ القيسِ قصيدتهُ التي وافقهُ في وزنها ورويها علقمةُ
الفحلُ ، وتحاكما في المفاضلةِ بينهما وتقديمِ أحدهما إلى أمِّ جندبٍ ؛ وهي
امرأةٌ من ذواتِ العقلِ والمعرفةِ ، كانَ تزوّجها امرؤُ القيسِ ، فحكمتُ لعلقمةَ
عليه بالبيتين اللذين توافيا فيهما على معنى واحدٍ في صفةِ جريِ الفرسِ ،
فكانَ ذلكَ سبباً لأن طلقها امرؤُ القيسِ ، وخلفه عليها علقمةُ .

[قصيدةُ امرئِ القيسِ]

[من الطويل]

وهي هذه ^(١) :

لِتَقْضِي لَبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَدَّبِ
مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعِنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبِ
وَجَدْتُ بِهَا طِيْباً وَإِنْ لَمْ تَطِيَّبِ
وَلَا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأَمَّلْتَ جَانِبِ
وَكَيْفَ تُرَاعِي وَضَلَةَ الْمُتَغَيَّبِ
أُمَيْمَةَ أُمِّ صَارَتْ لِقَوْلِ الْمُخَبِّبِ
فَإِنَّكَ مِمَّا أَحَدَّثْتَ بِالْمُجَرَّبِ
يَسْؤُوكَ وَإِنْ يُكْشَفُ غَرَامُكَ تَدْرِبِ
سَوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَعِبِ
كَجِرْمَةِ نَحْلِ أَوْ كَجَنَّةِ يَشْرِبِ
أَشْتَّ وَأُنَائِي مِنْ فِرَاقِ الْمُحْصَبِ

خَلِيلِي مُرَّأِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ
فَإِنَّكُمْ إِنْ تُنْظِرَانِي سَاعَةً
أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً
عَقِيلَةً أَتْرَابٍ لَهَا لَا دَمِيمَةٌ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَادِثٌ وَضَلِهَا
أَقَامَتْ عَلَى مَا بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ
فَإِنْ تَنَأَ عَنْهَا حِقْبَةً لَا تُلَاقِيهَا
وَقَالَتْ مَتَى يَبْخُلُ عَلَيْكَ وَيَعْتَلِلُ
تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنِ
عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةِ
وَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ تَفْرِقِ

(١) انظر «ديوان امرئ القيس» (ص ٤١ - ٥٥) .

فَرِيقَانِ مِنْهُمُ جَازِعٌ بَطْنٌ نَخْلَةٌ
فَعَيْنَاكَ غَرَبًا جَدُولٌ فِي مِفَاضَةٍ
وَإِنَّكَ لَمْ يَنْفَخِرْ عَلَيْكَ كَعَاجِزٍ
وَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عَاشِقٍ
بِأَذْمَاءِ حُرْجُوجٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا
يُغَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدْفَةٍ
أَقْبُ رِبَاعٍ مِنْ حَمِيرٍ عَمَايَةٍ
بِمَخْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالُّ نَبْتَهَا
وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي [وُكُنَاتِهَا]
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ لَاحَهُ
عَلَى الْأَيْنِ جَيَّاشٌ كَأَنَّ سَرَاتَهُ
يُبَارِي الْخُنُوفَ الْمُسْتَقِيلَ زِمَاعُهُ
لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ
وَيَخْطُو عَلَى صُمِّ صِلَابٍ كَأَنَّهَا
لَهُ كَفَلٌ كَالِدِغْصِ لَبْدَةِ النَّدَى
وَعَيْنٌ كَمِرَاةِ الصَّنَاعِ تُدِيرُهَا
لَهُ أُذُنَانِ تَعْرِفُ الْعِثْقَ فِيهِمَا
وَمُسْتَفْلِكُ الدِّفْرِى كَأَنَّ عِنَانَهُ
وَأَسْحَمُ رِيَانُ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ

وَآخِرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجَدٌ كَبْكَبٍ
كَمَرِّ الْخَلِيجِ فِي صَفِيحِ الْمُصَوَّبِ
ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ
بِمِثْلِ غُدُوٍّ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوَّبِ
عَلَى أَبْلَقِ الْكَشْحَيْنِ لَيْسَ بِمُغْرَبٍ
تَغْرُدَ مِيَّاحِ النَّدَامَى الْمُطْرَبِ
يَمْجُجُ لِعَاعِ الْبَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبِ
مَجَرَّ جُيُوشِ غَانِمِينَ وَخَيْبِ
وَمَاءِ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبِ
طِرَادُ الْهُوَادِي كُلِّ شَأٍ مُغْرَبِ
عَلَى الضُّمْرِ وَالتَّغْدَاءِ سَرْحَهُ مَرْقَبِ
تَرَى شَخْصَهُ كَأَنَّهُ عُوْدٌ مِشْجَبِ
وَصَهْوَةٌ عَيْرٍ قَائِمٍ فَوْقَ مَرْقَبِ
حِجَارَةٌ غَيْلٍ وَارِسَاتُ [بِطُخْلَبِ]
إِلَى حَارِكِ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمُذَابِ
بِمَخْجِرِهَا مِنَ النَّصِيفِ الْمُنْقَبِ
كَسَامِعَتِي مَدْعُورَةٌ وَسَطُ رَبْرِبِ
وَمِثْنَاتُهُ فِي رَأْسِ جِذْعِ مُشْدَبِ
عَشَاكِيْلُ قِنُوبٍ مِنْ سَمِيحَةِ مُرْطَبِ

إِذَا مَا جَرَى شَأْوِينِ وَأَبْتَلَّ عِطْفُهُ
يُدِيرُ قَطَاةً كَالْمَحَالَةِ أَشْرَفَتْ
فَيَوْمًا عَلَى سِرْبِ نَقِيٍّ جُلُودُهُ
فَبَيْنَا نِعَاجٌ يَزْتَعِينُ خَمِيلَةَ
فَكَانَ تَنَادِينَا وَعَقْدَ عِذَارِهِ
فَلَأْيَا بِلَأْيٍ مَا حَمَلْنَا غَلَامَنَا
وَوَلَّى كَشُؤُبُوبِ الْعَشِيِّ بِوَابِلِ
فَلِلْسَاقِ الْهُوبِ وَلِلْسَوِطِ دِرَّةٌ
فَأَذْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَأْوَهُ
تَرَى الْفَارَ فِي مُسْتِنْفَعِ الْقَاعِ لَاحِبًا
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا
فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ
وَوَظَلَ لِشِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ
[فَكَابِ] عَلَى حَرِّ الْجَبِينِ وَمُتَّقِ
وَقُلْتُ لِفِثْيَانِ كِرَامٍ أَلَا أَنْزِلُوا
وَأُوتَادُهُ [مَاذِيَّةٌ] وَعِمَادُهُ
وَأَطْنَابُهُ أَشْطَانُ خُوصِ نَجَائِبِ
فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفَنَّا ظُهُورَنَا
كَأَنَّ عُيُونَ الْوُخْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا

تَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثَابِ
إِلَى سَنَدِ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمُدَّابِ
وَيَوْمًا عَلَى بَيْدَانَةٍ أُمَّ تَوْلِبِ
كَمَشِي الْعِدَارَى فِي الْمَلَاءِ الْمُهَدَّبِ
وَقَالَ صِحَابِي قَدْ شَأْوَنَكَ فَاطْلُبِ
عَلَى ظَهْرِ مَخْبُوكِ السَّرَاةِ مُجَنَّبِ
وَيَخْرُجَنَّ مِنْ جَعْدِ تَرَاهُ مُنْصَبِ
وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعِ أَهْوَجِ مِنْعَبِ
يَمُرُّ كَحُذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثَقَّبِ
عَلَى جَدَدِ الصَّحْرَاءِ مِنْ شِدِّ مُلْهَبِ
خَفَاهُنَّ وَذُقْ مِنْ عَشِيٍّ [مُجَلِّبِ]
وَبَيْنَ شُبُوبِ كَالْقَضِيمَةِ قَرْهَبِ
يُدَاعِشُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمَعْلَبِ
بِمَذْرِيَّةِ كَأَنَّهَا ذَلَقُ مِشْعَبِ
فَعَالُوا عَلَيْنَا فَضْلَ ثُوبِ مُطْنَبِ
رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعُضَبِ
وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشْرَعَبِ
إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدِ مُشْطَبِ
وَأَزْحَلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

نَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مُضَهَّبِ
 وَرُحْنَا كَأَنَّا مِنْ جُؤَائِي عَشِيَّةً [نُعَالِي] النَّعَاجَ بَيْنَ عَدَلٍ وَمُحَقَبِ
 وَرَاحَ كَتَيْسِ الرَّبْلِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ أَذَاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحَلِّبِ
 كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ عُصَارَةٌ حِنَاءٍ بِشَيْبِ مُخَضَّبِ
 وَأَنْتَ إِذَا أَسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَضَهَبِ

[شرح وضبط قصيدة امرئ القيس]

وهذا الشعر محتاج إلى الشرح والضبط ؛ لتحصل الفائدة بحفظه ؛
 فنقول :

قوله : (خليلي ...) البيت ، اللبانات : جمع لبانة بضم اللام ؛ ما يتشهاه
 الإنسان بعد الحوائج الأصلية .

وقوله : (ألم ترياني) يتعلّق به حكاية تُعرف منها المفاضلة بين
 الشاعرين ؛ يُحكى : أن كُثَيِّرَ عَزَّةَ لَمَّا قَالَ ^(١) :

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ غَبَّ سَمَائِهَا يَمْجُجُ النَّدَى جَنَجَائِهَا وَعَرَازِهَا
 بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدِلِ الرَّطْبِ نَارِهَا

جاءت عجزاً ومعها روثه ، عليها نارٌ ، فيها عودٌ هنديٌّ ، وقالت له : لم
 تزد في صفة عزة على هذه ، ألا قلت كما قال امرؤ القيس : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ
 وَصَفَهَا بِأَنَّ طِيبَهَا مِنْ ذَاتِهَا ، وَكُثَيِّرٌ جَعَلَ طِيبَهَا مِنْ غَيْرِهَا ، وَكُلُّ

(١) تقدم (٤٣٤/٣) ، وفي «ديوانه» : (طيبة الزرع) بدل : (غب سمائها) ، وفي بعض المصادر :
 (طيبة الثرى) .

شيء يطيب بالطيب تطيب رائحته ، والفضل للطيب لا للشيء .

وقوله : (عقيلة أتراب . . .) البيت ، العقيلة : الكريمة ، عقلها أهلها ومنعوا من التبذل ؛ لجمالها ، والأتراب : جمع تريب ؛ وهو المساوي في العمر ، مأخوذ من التراب ؛ لأنهما جاءا من تراب واحد ، واللدة مثلة ؛ لأنهما ولدا معاً ، والجانب : المتجنب المحقور ، أو الغليظ القصير .

وقوله : (أقامت) تفصيل لقوله : (وكيف تراعي وصلة المتغيب) يقول : هل بقيت على ما عهدت ، أو تغيرت بتغيير المفسد ؛ وهو المخيب ؛ من التخبيب ؛ وهو إفساد عبد الرجل عليه أو امرأته .

وقوله : (فإن تنأ . . .) البيت ، رجوع منه إلى معروفه من أخلاقها بعد استفهام التجاهل ، فهو يقول : فإن تغب عنها مدة . . . فإنه لا يخفى عليك أمرها ، ولا ما تصير إليه ، فأنت منه بموضع التجريب ، فالمجرب : اسم مكان في زنة اسم المفعول كما هو شأنه من غير الثلاثي .

وبيّن تجنيها وتحشين القول له المنبئ عن التغيير في قوله : (وقالت متى يبخل عليك . . .) البيت ، وتدرّب : من الدربة ؛ وهي العادة ، درّب في الأمر ؛ اعتاده ومرن عليه ، فهي تقول له : إنك طموح ، لا تقف عند حد .

وقوله : (تبصّر خليلي . . .) البيت ، الطعينة : الجمل عليه المسافرة ؛ وهي طعينة أيضاً ، والنقب : الطريق في الجبل ، والحزم - بالميم - أغلظ من الحزن بالنون ، وكلاهما بفتح فسكون : الأمكنة الوعرة .

وشعبت : بالعين وبالغين ؛ مكان من أرض بني تميم .

وقوله : (علون بأنطاكية) يصف هيئة الرحال على الإبل ، ويذكر أنها من

نفائس الثياب ؛ تنويهاً بعظم أهلها ، وأنَّهُم من أهلِ الثروة ، وأنطاكية من بلاد الشام تُنسب إليها ثيابٌ تُصنعُ بها ، والعقمة - بكسر فسكون - : الوشي ، وشبَّه الإبل بما عليها من الملونات بمزرعة نخل ؛ وهي [الجزيمة] بكسر فسكون ، وأضرب عن التشبيه بمكانٍ غير مُعيَّن إلى مكانٍ مُعيَّن ؛ لظهوره واستقراره في خيال السامع ، ويثرب : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلّم ، بلدٌ نخل ، وهناك بلدٌ نخل أيضاً يُقال لها : يثرب بفتح الياء والراء بينهما تاء ، وهي المذكورة في قوله^(١) :

مَوَاعِيدَ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ [بِيَثْرِبِ]

وقوله : (والله [عَيْنًا] ...) البيت وما بعده ، يصفُ بهما اجتماع الحاج وملقى الأحبة وافتراقهم ، ويبدى أسفه في ذلك ، والمُحصَّب : من أمكنة تلك الناحية ، وجزَع الأرض وقطعها : معناهما واحدٌ ، وبطنُ نخلة ونجدٌ ككَب : مكانان إلى جهتين مختلفتين .

وقوله : (فعيناك) صفةٌ لبكائه على أثرِ الظاعنين ، والغربُ : الدلو العظيمة ، والمفاضة : موضعُ إفاضة الماء وإسالته ؛ أي : تنهملُ دموعه كمرِّ الخليج ، والصفيحُ : الحجارة ، والمصوبُ : الممالُ ، وهنالِكَ تكونُ سرعةُ جري الماء .

وقوله : (وإنك لم يفخر) لما افتخرت عليه بأنها تكشفُ غرامه ، وقرعته بالطمع وترك الوقوف عند حدٍّ ، وهو لا يقدرُ على الإجابة ؛ لمكانِ الحبِّ المُوجبِ لتسليم كلِّ ما يقوله المحبوبُ . . تذكَّرَ أَنَّهُ ربَّما يفتخرُ على الإنسانِ مهينٌ عاجزٌ ضعيفٌ ، ولا يجدُ الشريفُ أن يجيبه ويؤدَّ عليه ، حتى يُخيَّلَ أَنَّهُ

(١) انظر « خزانة الأدب » (٥٨/١) ، والبيت بتمامه :

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبِ

مغلوبٌ ، فتشتدُّ حزازةُ صدرِهِ ، ولسانُهُ لا ينطقُ ، فرمى بكلامٍ هو أكبرُ مِنَ الغزلِ ، ولذلك يَتمثَّلُ بِهِ للتروُّحِ عندَ حصولِ مثلِ ذلكِ .

وقولُهُ : (وإنك لم تقطعِ لُبانةً ...) البيتُ ، انتقالٌ منه لذكرِ الحيلةِ في السلوِّ وكسرِ سورةِ العشقِ ، فادَّعى أنَّ السفرَ والذهابَ في البلادِ يكونُ سبباً لذلكِ ، وشرطاً في السفرِ الإبعادَ ، ولذلك أوجبَ أن تكونَ راحلتُهُ على ما وصفَ مِنَ الشدةِ والصَّلابَةِ ؛ حتى تساعدَهُ على ما أرادَ ، والغدُّو : الذهابُ أولَ النهارِ ، والرَّواحُ : الذهابُ في آخِرِهِ ، والتأويبُ : السيرُ نهاراً ، والإدلاجُ : السيرُ ليلاً ، والحرجُوجُ - كعُصفورٍ - : الصلبةُ ، والقَتدُ - بفتحِتينِ - : عُدَّةُ الراحلةِ ، والأبلقُ : ذو اللَوْنينِ ، والمُغْرَبُ - على زنةِ اسمِ المفعولِ - : الأبيضُ كلُّهُ ، والأقْبُ : الضَّامرُ ورباعٍ : منقوصٌ ؛ إذا نصبتَهُ .. أظهرتِ الياءُ ؛ فقلتُ : ركبتُ رَباعياً ؛ وهو الذي أسْقَطَ رباعيتُهُ ، وزنةُ الكلمةِ : ثَمَانٍ وَثَمَانِيَةٌ ، مِنْ حَمِيرٍ عَمَائِيَّةٍ : جبلٌ بناحيةِ نجدٍ تُعرَفُ حميرُهُ بالشدَّةِ ، واللُّعاعُ - كغرابٍ - : نبتٌ ناعمٌ في أوَّلِ ما يبدو ، والمحنيةُ : ما انعطفتِ مِنَ الوادي ، وهو أخصبُهُ ، ولذلك قالَ : إنَّ نبتَهُ علا ، وكانَ كالشجرِ المُسمَّى بالضَّالِ ، ووصفُهُ بكونِهِ موفراً .. لم ينزلهُ الناسُ حتى يرعوا نباتَهُ ، فهو على جانبٍ بحيثُ يمرُّ عليه الناسُ مروراً ، وبيَّنَ ذلكَ في قولِهِ : (ممرٌ جيوشٍ غانمينِ وخيِّبِ) أي : جيوشٍ خيِّبِ ، فالغانمُ فرحٌ بالقُفولِ إلى أهليهِ ، فهو لا يُعزِّجُ على مكانِ ، والخائبُ ساعٍ ليغنمَ ، وإذا كانَ حالُ الموضعِ ذلكَ .. وجدتِ الحميرُ مرعىً رغداً ، فنمتْ أجسامُها ، وتزايدتْ قواها .

وقولُهُ : (قد أعتدي ...) البيتُ ، هو وقتُ الخروجِ إلى الصَّيدِ ، وله كانتْ شبابُ العربِ المُترفونَ يستعملونَ الخيلَ ، ويذكرونَ ذلكَ في عدادِ ملاذِّهِم ، والمِدْنَبُ - كمنبرٍ - : مسيلُ الماءِ إلى الأرضِ ، كالمزرعةِ والبستانِ .

وقوله: (بمنجرد) المنجردُ : قصيرُ الشعرِ ، وذلك محمودٌ في الخيلِ ،
 وقيدُ الأوابدِ ؛ وهي الوحشُ ، جمعُ أبديةٍ : استعارةٌ معدودةٌ مِنْ حسناتِ امرئِ
 القيسِ ، ولاحهٌ : غَيْرُهُ مِنْ السَّمَنِ إِلَى الضُّمُورِ ، والطرادُ : الاتباعُ ، والهوادي :
 السوابقُ ، جمعُ هاديةٍ ؛ كأنَّها دليلَةٌ ما وراءها ، وفي قوله : (طرادُ الهوادي)
 إبانةٌ لحسنِ طلبِهِ ، وأَنَّهُ فاتَ الوحشَ ، وأتاهُ مِنْ قَبْلِ وجهِهِ ، فمنعها السلوكُ
 إِلَى وجهَتِها ، والشأؤُ : الطلقُ يجريهِ الفرسُ إِلَى غايةِ ما ، قُرِبَتْ أو بَعُدَتْ ،
 ولذلك قِيدَ بالمُعْرَبِ ؛ وهو البعيدُ .

وقوله: (على الأين . . .) البيتُ ، الأينُ : التعبُ ، والجيشانُ : غليانُ
 القِدْرِ ، وفي الفرسِ : هيجانُهُ نشاطاً ووفورَ قُوَّةٍ ، وسراةٌ كلِّ شيءٍ : أعلاهُ ،
 حتى في الناسِ ، قال قيسٌ^(١) :

وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَا ۖ تَنْفَعُ بِالْمِسْكِ أَرْدَانُهَا
 والسَّرْحَةُ : واحدةُ السَّرْحِ ؛ الشجرُ لا شوكَ فِيهِ ، ويقابلُهُ العَضَةُ للشجرِ
 الشائكِ ، والمَرْقَبُ : الموضعُ يُرْقَبُ مِنْهُ ، وكانوا يُرْقَبُونَ فِي الشجرِ العالِي
 الكثيرِ الفروعِ ، ولهذه الصِّفَةِ قِيدَ السَّرْحَةُ ليظهرَ الفرسُ فِي صورةِ عَظْمِهِ التي
 يحاولُ نَعْتَهَا .

وقوله: (يباري) المباراةُ : المسابقةُ ، وأصلُهُ : أَنْ مَنْ يَبْرِي القوسَ يغالِبُ
 آخَرَ فِي عَجَلَةِ العَمَلِ ، والخَنُوفُ : اللينُ القوائمِ بحيثُ يرمي بها فِي العَدُوِّ
 رمياً ؛ يريدُ : ثوراً وحشياً ؛ وهو معروفٌ بشِدَّةِ العَدُوِّ ، والزَّمَاعُ : جمعُ زَمْعَةٍ
 بفتحَتَيْنِ ؛ شعْرٌ يكوْنُ فِي أسفلِ الأرجْلِ ، واستقلالُهُ : ارتفاعُهُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا
 طالَ . . عَطَلَ عن شِدَّةِ الجريِ ، وعودُ المِشجَبِ : خشبٌ ينصبُّه القَصَّارُ ينشُرُ
 عليه الثيابَ ، والمِشجَبُ بزَنَةِ منبَرٍ .

(١) انظر «ديوان قيس بن الخطيم» (ص ٦٩) .

وقوله: (له أَيْطَلَا ظَبِيّ . . .) البيت ، الأَيْطَلُ : الجانبُ ، والصَّهْوَةُ : موضعُ
الراكبِ مِنَ الفرسِ ، وقصرَ في هذا البيتِ عن بيتِ المُعلِّقَةِ ؛ حيثُ أتى في
ذلك بأربعةِ تشبيهاتٍ ، وبيتُ المُعلِّقَةِ (١) :

لَهُ أَيْطَلَا ظَبِيّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْحَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفَلٍ
وتنفلٌ : بزنةٍ تنصُرُ ، وأتى هنا بثلاثةِ تشبيهاتٍ ، كلُّها في الجسمِ .

وقوله: (ويخطو . . .) البيت ، الحافرُ الأصمُّ : الذي لا خلوفِ فيه ، ومنه :
الصَّخْرَةُ الصَّمَاءُ ، والغَيْلُ - بفتحِ فسكونٍ - : الماءُ يجري على وجهِ الأرضِ ،
والوَارِسَاتُ : جمعُ وارسَةٍ ؛ أي : ذاتِ ورسٍ ، وهو بفتحِ فسكونٍ ؛ نبتٌ أصفرُ
يصبغُ به كالزعفرانِ ، والحجارةُ إذا تَلَوَّنَتْ بهذا اللونِ . . كَانَتْ [قد] قدَمَتْ
وبلغتِ الغايةَ في الصَّلَابَةِ .

وقوله: (له كفلٌ . . .) البيت ، الدِّعْصُ - بكسرِ فسكونٍ - : أكمةٌ صغيرةٌ
مِن الرَّمْلِ تُشَبَّهُ بها الأكفَالُ ، واستعملتْ في غزلِ العربِ ، وَقَلَدَهُمْ غَيْرُهُمْ ،
والحاركُ : طرفُ الوركِ المشرفِ مِنْ أعلاه ، والغبيطُ : قتبُ الهودجِ ، والمدأبُ :
الذي له أطرافٌ بارزةٌ مشرفةٌ .

وقوله: (وعينٌ . . .) البيت ، الصَّنَاعُ لِلأنثى ، وللدَّكْرِ : صنَعُ بفتحِ
مِن الصَّنَعَةِ للحاذقِ والحاذقةِ فيها ، ومِرَاةُ الصَّنَاعِ : مشوفةٌ مُجلوَةٌ ، ليسَ
عليها صدأٌ ولا غبارٌ كما تكونُ مِرَاةُ الخرقاءِ ، والمَحْجِرُ : بفتحِ الميمِ وكسرِ
الجيمِ في لغةٍ ، وفي أخرى بزنةٍ منبَرٍ ، وفي تفسيره خلافٌ ؛ أهو ما بانَ مِنْ
أسفلِ العينِ ، أو البياضُ المحيطُ بالسوادِ ؟ والنصيفُ : الخمازُ .

وقوله: (له أذنانِ . . .) البيت ، العتقُ : كرمُ الأصلِ والنجابةُ ، وأذانُ

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢١) .

أصلاء الخيل صغاراً منتصبات ، تُشَبَّهُ بِالْأَلَّةِ ؛ أَي : الحربة ، وبورق الآس ،
وبرية القلم ، والربرب : جماعة الظباء ، والمذعورة تنصب أذنيها وترفع
رأسها ، والعتق : بكسر فسكون .

وقوله : (ومستفلك الذفرى ...) البيت ؛ أي : ذفراه ؛ وهو العظم خلف
الأذن مستديرة كفلكة المغزل ، والمثناة : عذار الفرس ، والمشدب : المجرد
عن الأشياء الناتئة عليه .

وقوله : (وأسحم ...) البيت ، السحمة : السواد ، يصف ذنبه ، والعسيب :
منبت شعره ، والعثاكيل : جمع عثكول ؛ شماریخ البلح ، والقنؤ : مجموعها ،
وسميحة : ناحية بها نخل ، ولعله له خصوصية حتى قيّد به ، وقيّد بالمرطب
لسواد الذنب ، فيتم التشبيه .

وقوله : (إذا ما جرى ...) البيت ، أثأب : شجر للريح فيه حفيف ، وهو
بفتح الهمزتين .

وقوله : (يدير قطاة ...) البيت ، القطاة : مقعد الرديف ، والمحالة :
بكرة البئر ، والسند هنا : أراد به الحارك ، أعاد وصفه .

وقوله : (فيوماً على سرب ...) البيت ، السرب - بكسر فسكون - : القطيع
من البقر ، والجماعة من الطير ، والبيدانة أم التولب : الأتان أم الجحش ،
والتولب بسكون بين فتحتين .

وقوله : (فلأياً بلائ) اللأى : البطء ، والمجنّب : من التحنيب ؛ وهو
احديداب في وظيفي الفرس وصلبها ، أو المحنّب : من التحنيب ؛ وهو بُعد
ما بين الرجلين بلا فحج .

وقوله : (وولّى كشؤبوب العشي ...) البيت ، شؤبوب العشي : الدفعة من

المطر، ويُقال: وبل؛ أي انهمل، ووصف البقر بشدة العَدْوِ، حتى إنها تثيرُ
الترابَ النديَّ المُتَلَبِّدَ، ولا يثيرُ ذلكَ إلا قُوَّةَ الرِّكْضِ بالأظلافِ، والمُنْصَبُ:
المرتفعُ كالخباءِ .

وقولُه: (فللساقِ ...) البيتُ، قسمَ العَدْوِ بأقسامِهِ، والأهوجُ المِنْعَبُ:
الطائرُ الذي اعتادَ النعيبَ؛ أي: التصويتَ، وهو بزنةٍ منبَرٍ، ويروى: (أخرجَ
مذهبٍ) وهو من صفةِ النعامِ .

وقولُه: (ترى الفأرَ ...) البيتُ وما بعدهُ، يقولُ: إنَّه يخرجُ الفيرانَ إلى
اليفاعِ فتكونُ ظاهرةً، وهو معنى لاحقٍ، وخفاهنَّ: أظهرهنَّ، والأنفاقُ:
جمعُ نفقٍ؛ شقوقها، والودقُ: المطرُ، والمُجَلِّبُ: اسمُ فاعلٍ؛ أي: ذو
جلباتٍ وأصواتٍ، وحاصلُه: أنَّ الفئرانَ تظنُّه عندَ مرِّهٍ مطراً، فتخرجُ من
مطمئنِّ الأرضِ إلى مرتفعِها تطلبُ السلامةَ منه .

وقولُه: (فعادى ...) البيتُ، عادى بينَ الشيئينِ: والى بينهما،
والشُّبُوبُ: الفتى، والقضيمةُ: الصَّحيفةُ البيضاءُ، وثيرانُ الوحشِ بيضٌ،
والقرهَبُ هنا - بسكونٍ بينَ فتحتينِ - : البدينُ .

قولُه: (وظلَّ لثيرانِ) المداعسةُ: موالاةُ الطَّعنِ، والسَّمْهَرِيُّ: من ألقابِ
الرمحِ، والمُعَلَّبُ: اسمُ مفعولٍ من علبَ الرمحَ؛ إذا لفَّ عليه سيراً مُتَخِذاً من
علباءِ البعيرِ؛ وهو عصبُ عنقه؛ تقويةً له ألا ينشقَّ .

وقولُه: (فكابِ على حُرِّ الجبينِ ...) البيتُ، كبا: سقطَ لوجهه،
والمدريةُ: أرادَ بها هنا القرنَ، [والدَّلْقُ]: الطرفُ، والمِشْعَبُ: ما يُشْعَبُ به
الجلدُ المشقوقُ .

وقولُه: (وقلْتُ لفتيانِ ...) البيتُ، فعالوا؛ أي: فنزلوا فنصبوا لنا
خباءً .

وقوله : (وأوتأده) وما بعده ، يذكر أن ذلك الخبء قام من ثيابهم
وسلاهم ، وكذلك يفعلون إذا كانوا في الصيد ، والمأذية : الدرغ البيضاء
أو اللينة ، وروينية : من ألقاب الرياح ، وقعضب : اسم رجل كان يركب أسنة
الرياح ، والأشطان : جمع شطن ؛ الجبال ، والخوص : جمع خوصاء ؛ غائرة
العين ، وصهوة الخبء : أعلاه .

والأتحمي المشزعب : نوع من الثياب الفاخرة فيه تماثيل الشزعب
- بسكون بين فتحتين - لنبات ، ويقال : ثوب مطير ومخيل ومرحل ؛ إذا رسم
فيه تماثيل تلك الأشياء .

وقوله : (فلما دخلناه ...) البيت ، أضاف ظهره ؛ أي : أسنده .

والحارثي : المنسوب إلى الحيرة ، ويقال : حيرتي على القياس ، وأراد به
الرحل المصنوع بها ، والمشطب : الذي فيه الشطب ؛ جمع شطبة بضم أو
كسر فسكون ؛ للخطوط والطرائق ، وتذكر في صفة السيف ؛ لما فيه من
الخطوط .

وقوله : (كأن عيون الوحش ...) البيت ، الجزع : نوع من خرز اليمن فيه
خطوط ، قيل : إن عيون البقر وهي حية ترى سواد لا يظهر فيها البياض ،
فإذا ماتت .. ظهر .

وقوله : (نمش بأعراف الجياد ...) البيت ، مش الكف : مسحها من أثر
الطعام ، والمشوش - بفتح الميم - : ما يمسح به ؛ كالمندبل ، والمضهب :
الذي أعجل أن ينضج .

يُحكى : أن عبد الملك سأل جلساءه يوماً عن أفضل مناديل العرب ، فكل
ذكر مناديل ناحية من نواحي الأرض ونعتها ، فلما فرغوا . . قال عبد الملك :
لم تصيبوا ، ألم تسمعوا لقول الشاعر - وفي الأبيات بيان المعنى الذي قصدته

امرؤ القيس^(١) - :

[من البسيط]

لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخِيَّةِ وَفَارَ بِاللَّحْمِ لِلْقَوْمِ الْمَرَاجِيلُ
وَرُزْدٌ وَأَشْقَرُ مَا يُونِيهِ طَابِخُهُ مَا غَيَّرَ الْغَلِي مِنْهُ فَهَوَ مَا كُؤُلُ
ثَمَّتْ قُمْنَا إِلَى جُرْدِ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

وقوله: (ورحنا ...) البيت ، جوائى - كحبارى - : قرية يُحملُ منها التمرُ ، ونُعالي : نرفعُ رفعَ الحملِ ، وجعلَ الحملَ بينَ عدلٍ - وهو الموضوعُ على ظهرِ الحاملة - وجانبيها ، والمُحَقَّبُ : الموضوعُ على مؤخرِها .

وقوله: (وراحَ كتيسِ الربلِ ...) البيت ، الربلُ : نبتٌ يظهرُ في آخرِ الصَّيفِ ينبُتُ على بردِ الليلِ ، لا يحتاجُ للماءِ ، وهو بفتحِ فسكونٍ ، والتيسُ إذا رعاهُ بعدما رعى نبتَ الصَّيفِ .. يكونُ في أوفرِ قُوَّتِهِ ، وأذاهُ به ؛ أي : من أذيةٍ فيه ينفِضُهُ ، وإنما يتأدَّى مِنَ العرقِ المُتغيَّرِ ؛ وهو الصَّائِكُ ، المُتَحَلِّبُ : المُتصَبِّبُ .



(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٠٣/١) ، عزاها لأخي بني سعد عبدة بن الطيب .

[قصيدةُ علقمةُ الفحل]

وهذه قصيدةُ علقمةُ (١) : [من الطويل]

دَهَبَتْ مِنْ أَلْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنَّبِ
لِيَالِي لَا تَبْلَى نَصِيحَةً بَيْنَنَا لِيَالِي حَلُّوا بِالسِّتَارِ فَعُزَّبِ
أَيُّ : اذكري ليالي لا تُمتَحَنُ نصيحةُ بيننا ؛ لخلوصِها ؛ يعني : ليالي
التصافي ، يحثُّها على بقاءِ الوفاءِ .

مُبْتَلَةٌ كَأَنَّ أَنْضَاءَ حَلِيهَا عَلَى شَادِنٍ مِنْ صَاحَةِ مُتْرَبِّبِ
مَحَالٌ كَأَجْوَاذِ الْجَرَادِ وَلَوْلُو مِنْ الْقَلَقِيِّ وَالْكَبِيسِ الْمُلَوَّبِ
المُبْتَلَةُ : التي انفردت بالحسن ، فهي تُذكِّرُ وحدها في النعتِ
والصفةِ ، وشبَّها بالغزالِ المترعرعِ مِنْ غزلانِ ذلكَ المكانِ المُتْرَبِّبِ ؛
أَيُّ : المُرَبِّي المعتنى بهِ ، وأنضَاءُ الحَلِيِّ : منظومهُ ، وفَصَلَهُ بقولهِ :
(مَحَالٌ) بفتحِ الميمِ ؛ لنوعِ مِنَ الحَلِيِّ ، وكذا القَلَقِيُّ والمُلَوَّبُ ؛ المَلَوِيُّ
كالسَّوَارِ .

إِذَا أَلْحَمَ الْوَأَشُونَ لِلسَّرِّ بَيْنَنَا تَبَلَّغَ رَمْسُ الْحُبِّ غَيْرَ الْمُكَدَّبِ
هو تفسيرٌ وبيانٌ لقولهِ : (لا تبلى نصيحةُ بيننا) أَيُّ : إذا اجتهدَ الوُشَاءُ
أن يبلغوا مآربَهُمْ . . تَأَكَّدَ الحُبُّ المرموسُ ؛ أَيُّ : المكتومُ ، فهو مِنْ إضافةِ
الصفةِ .

وَمَا أَنْتَ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبْعِيَّةٌ تَحُلُّ بِإِيرٍ أَوْ بِأَكْنَافِ شُرْبِيبِ

(١) انظر «ديوان علقمة بن عبدة» (ص ٩ - ٢٠) .

عَاتَبَ نَفْسَهُ فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ وَمَا شَأْنُ ذِكْرِهَا رِبْعِيَّةٌ مِنْ رِبْعِيَّةٍ .

وإيِّرُ - بكسر الهمز - وشُرْبُتُ : موضعان .

أَطَعْتَ أَلُوشَاةَ وَالْمُشَاةَ بِضُرْمِهَا فَقَدْ أَنهَجْتَ حِبَالَهَا لِلتَّقْضِبِ
وَقَدْ وَعَدْتَنكَ مَوْعِدًا لَوْ وَفَّتْ بِهِ كَمَوْعُودِ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيشْرَبِ
وَقَالَتْ مَتَى [يَبْخَلُ] عَلَيْكَ وَيَعْتَلِلُ يَسُوكَ وَإِنْ يَكْشِفْ غَرَامَكَ تَدْرِبِ
فَقُلْتُ لَهَا فِيئِي فَمَا تَسْتَفِرُّنِي ذَوَاتُ أَلْعُيُونِ وَاللَّبَنَانِ أَلْمُخَضَّبِ
فَقَاءَتْ كَمَا فَاءَتْ مِنَ الْأَذْمِ مُعْزِلُ بِبِيشَةَ تَزْعَى فِي أَرَاكِ وَحَلْبِ

تخاشن في هذه الأبيات ، وذكر أنه جازاها بعملها ، فأعرض كما
أعرضت ، وأجابها على مثل ما ابتدأت .

فَعِشْنَا بِهَا مِنَ الشَّبَابِ مُلَاوَةٌ فَأَنْجَحَ آيَاتِ الرَّسُولِ أَلْمُخَبَّبِ
التفت للإخبار عما كان بينه وبينها مدة الشباب .

والمُلاوَةُ : المدة .

فَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لَبَانَةَ عَاشِقٍ بِمِثْلِ بُكُورٍ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوَّبِ
بِمُجْفَرَةِ أَلْجَنْبَيْنِ حَزَفٍ شِمْلَةٌ كَهَمِّكَ مِرْقَالٍ عَلَى الْأَيْنِ ذِعْلِبِ

كَهَمِّكَ ؛ أي : وفق غرضك ، والدِّعْلِبُ - بكسر فسكون - : الصلبة .

إِذَا مَا ضَرَبْتُ أَلْدَفَّ أَوْصَلْتُ صَوْلَةً تَرَقَّبُ مِنِّي غَيْرَ أَدْنَى تَرَقَّبِ

الدفُّ : الجانب ، وترقَّبُ ؛ أي : تلاحظُ خوفًا ورعيًا ترقَّبًا شديدًا
ليس بالضعيف ، وهو قوله : (غير أدنى) ، وجملُ ذي الرُّمةِ أحسنُ من
ناقتهِ هذه وأفرهُ ؛ فإنه لم يضرِبهُ ولم يصلُ عليه حيثُ يقولُ وأحسنُ

تَرَنَّمْ أَوْ مَسَّ الْعِمَامَةَ رَاكِبُهُ

يَكَادُ مِنَ التَّصْدِيرِ يَنْسَلُ كُلَّمَا

[عودٌ لقصيدة علقمة] :

لِمَحْجِرِهَا مِنَ التَّصِيفِ الْمُنْقَبِ

بِعَيْنِ كَمِرَاةِ الصَّنَاعِ تَدِيرُهَا

عَثَاكِيلَ قَنُوبٍ مِنْ سُمِيحَةِ مُرْطَبِ

كَأَنَّ بِحَاذِيهَا إِذَا مَا تَشَدَّرَتْ

كَذَبِ الْبَشِيرِ بِالرِّدَاءِ الْمُهَدَّبِ

تَذُبُّ بِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا تُمِرُّهُ

يصفُ الذنْبَ ، والحاذانِ : مواقعهُ مِنْ أَدْبَارِ الفَخْدَيْنِ .

وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبِ

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا

طِرَادُ الْهَوَادِي كُلُّ شَأٍ مُغْرَبِ

بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ لَاحَهُ

لِبَيْعِ الرِّدَاءِ فِي الصُّوَانِ الْمُكْعَبِ

كُمَيْتِ كَلُونِ الْأَزْجَوَانِ نَشْرَتُهُ

مَعَ الْعِثْقِ خَلَقُ مُفْعَمٍ غَيْرُ جَانِبِ

مُمَرِّ كَعَقْدِ الْأَنْدَرِيِّ يَزِينُهُ

كَسَامِعَتِي مَذْعُورَةٌ وَسَطُ رَبْرِبِ

لَهُ حُرَّتَانِ تَعْرِفُ الْعِثْقَ فِيهِمَا

مِنْ الْهَضْبَةِ الْخَلْقَاءِ زُخْلُوقُ مَلْعَبِ

وَجَوْفُ هَوَاءٍ تَحْتَ مَثْنٍ كَأَنَّهُ

الْخَلْقَاءُ : المِلْسَاءُ .

إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمُدْأَبِ

قَطَاةٌ كَكُرْدُوسِ الْمَحَالَةِ أَشْرَفَتْ

حِجَارَةٌ غَيْلٍ وَارِسَاتٌ بِطُحْلِبِ

وَسُمُرٌ يُفَلِّقْنَ الظَّرَابَ كَأَنَّهَا

وَلَكِنْ نُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ أَلَا أَرْكَبِ

إِذَا مَا أَقْتَنَصْنَا لَمْ نُخَاتِلِ بِجُنَّةِ

صَبُورًا عَلَى الْعِلَلِ غَيْرِ مُسَبِّبِ

أَخَا ثِقَةٍ لَا يَلْعَنُ الْحَيَّ شَخْصَهُ

وَأَكْرَعَهُ مُسْتَعْمَلًا خَيْرٌ مَكْسَبِ

إِذَا أَنْفَدُوا زَادًا فَإِنْ عَنَانَهُ

(١) انظر «ديوان ذي الرمة» (٨٣٩/٢) .

يصفُ ثقتَهُ بالفِرسِ ، وأنَّهُم لا يخاتلونَ الصَّيْدَ ؛ أي : لا يختالونَ عليه ؛ لعلمِهِم أَنَّهُ يدركُهُ بشدِّهِ ، وجعلَهُ أخصاً ثقةً يستبشِرُ به الناسُ ولا يسبونُهُ ؛ ليمنِّهِ وبركتِهِ ، وأنَّهُ في جميعِ الأحوالِ صابِرٌ ، وأوضحَ ذلكَ بذكرِ أَنَّهُ خيرٌ مَكْسَبٍ - أي : كاسبٍ بزنةٍ مُنْبِرٍ - إذا استعملوهُ وصرَفوهُ بعِنايِهِ ، فعملتُ أرجلُهُ عملَها ، ونسبَ الكسبِ إلى العِنايِ والقوائمِ التي عَبَّرَ عنها بالأكرع .

رَأَيْنَا شِيَاهَا يَزْتَعِينِ خَمِيلَةً كَمَشِي الْعِدَارِي فِي الْمَلَاءِ الْمُهَدَّبِ
فَبَيْنَا تَمَارِينَا وَعَقْدُ عِدَارِهِ خَرَجْنَ عَلَيْنَا كَالْجُمَانِ الْمُثَقَّبِ
أرادَ أن يقولَ : المنظمُ ؛ لكونها متتابعةً متواصلةً ، تشبهُ العقدَ ، ولم يَتِمَّكُنْ ، فعَبَّرَ بالُمُثَقَّبِ اللازمِ لإمكانِ النظمِ ، وهذا الذي يُسَمِّيهِ أهلُ البديعِ : الطاعةَ والعصيانَ .

فَاتَّبَعَ آثَارَ الشِّيَاهِ بِصَادِقٍ حَيْثُ كَغَيْثِ الرَّايِحِ الْمُتَحَلِّبِ
فَأَذْرِكُ مِنْهَا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّايِحِ الْمُتَحَلِّبِ
تَرَى الْفَأَرَ فِي مُسْتَيْفَعِ الْقَاعِ لَائِحًا عَلَى جَدَدِ الصَّخْرَاءِ مِنْ شَدِّ مُلْهَبِ
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا تَخَلَّلَهُ سُؤُوبُ غَيْثِ مُنْقَبِ
فَظَلَّ لِثِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاجِمٌ يُدَاعِشُهُنَّ بِالنَّضِيِّ الْمُعَلَّبِ
فَهَاوٍ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ وَمُتَّقٍ بِمَدْرِيَةٍ كَأَنَّهَا ذَلِقُ مِشْعَبِ
وَعَادِي عِدَاءٍ بَيْنَ ثُورٍ وَنَعْجَةٍ وَبَيْنَ شُبُوبِ كَالْقَضِيمَةِ قَرْهَبِ
فَقُلْنَا أَلَا قَدْ كَانَ صَيْدٌ لِقَانِصٍ ^(١) فَحَبُّوا عَلَيْنَا فَضَلَ بُزْدِ مُطَنَّبِ

(١) في «ديوان علقمة بن عبدة» (ص ١٨) : (فقلنا) بدل (فقلن) .

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ حَبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ
وَرُحْنَا كَأَنَّا مِنْ جُورَانِي عَشِيَّةً نُعَالِي التَّعَاجِ بَيْنَ عَدْلِ وَمُحَقِّبِ
وَرَاخَ كَشَاةٍ [الرَّبْلِ] يَنْفُضُ رَأْسَهُ أَذَاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحَلِّبِ
وَرَاخَ يُبَارِي فِي [الْجَنَابِ] قَلُوصَنَا عَزِيزاً عَلَيْنَا كَالْحُبَابِ الْمُسَيَّبِ

فانظر كيف تناول هذان الشاعران تلك المعاني متناولاً واحداً ، لا تفاوت
بينهما إلا في اليسير كما يُدرَكُ بتدقيقِ النظرِ والتلَبُّثِ في المقارنةِ بينَ
شعريهما ، وتَبَيَّنُ ذلكُ بما تواردا عليه مِنَ الأبياتِ الكاملةِ ، وتأملُ ذلكَ نافعٌ
إن شاء الله تعالى .



[مرثية محمد بن كعب الغنوي في أخيه]

ومن جيد شعر هذه الطبقة : مرثية محمد بن كعب الغنوي التي يرثي بها
أخاه ؛ وهي ^(١) :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَبْسِيِّ قَدْ شَبِتَ بَعْدَنَا
وَمَا الشَّيْبُ إِلَّا غَائِبًا كَانَ جَائِيًا
تَقُولُ سُلَيْمَى مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا
فَقُلْتُ وَلَمْ أَعْيِ الْجَوَابَ وَلَمْ أَنْحِ
تَتَابِعُ أَحْدَاثٍ تَحْرَمُنَ إِخْوَتِي
لَعَمْرِي لئن كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةً
لَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرْوَحٌ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ رَيْبَةٍ
أَخِي كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينُنِي
حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةٌ أَلْجَهْلِ أُطْلِقَتْ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَادِي حِلْمًا وَنَائِلًا
هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا
هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ
أَخَوِ شَتَوَاتٍ يَعْلَمُ [الضَيْفُ] أَنَّهُ
وَكُلُّ أَمْرِي بَعْدَ الشَّبَابِ يَشِيبُ
وَمَا الْقَوْلُ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُصِيبُ
كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابُ طَيِّبُ
وَلِلدَّهْرِ فِي الصَّمِّ الصِّلَابُ نَصِيبُ
فَشَيْبَنَ رَأْسِي وَالْخُطُوبُ تُشِيبُ
أَخِي وَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شَعُوبُ
عَلَيْهِ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبُ
وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبُ
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
حُبِّي الشَّيْبُ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غَلُوبُ
وَلَيْتُ إِذَا يَلْقَى الْعِدَاةَ غَضُوبُ
وَمَاذَا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يَتُوبُ
مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَتُوبُ
سَيَكْثُرُ مَا فِي قَدْرِهِ وَيَطِيبُ

(١) انظر « جمهرة أشعار العرب » (٧٠١/٢ - ٧١٠) .

حَبِيبٌ إِلَى الرَّؤَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ
[كَأَنَّ] بَيُوتَ الْحَيِّ مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا
كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرَّدِينِيِّ لَمْ يَكُنْ
إِذَا قَصَرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَا
جَمُوعٌ خِلَالَ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
مُفِيدٌ مُلَقًى الْفَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ
وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى
فَقُلْتُ أَدْعُ أُخْرَى وَأَزْفَعُ الصَّوْتِ ثَانِيًا
يُجِيبُكَ بِمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ أَنَّهُ
أَتَاكَ سَرِيعًا وَأَسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَدْعُو السَّوَابِحَ مَرَّةً
فَتَى أَرْيَحِي كَانَ يَهْتَرُ لِلنَّدَى
فَتَى مَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجِسْمِهِ
إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا
عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ الرِّجَالُ رُزْنُهُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ
غِيَاثٌ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ
عَظِيمٌ رَمَادِ النَّارِ رَحْبٌ فَنَاوُهُ

جَمِيلُ الْمُحَيَّا شَبٌّ وَهُوَ أَدِيبٌ
بَسَائِسُ قَفْرٌ مَا بِهِنَّ عَرِيبٌ
إِذَا ابْتَدَرَ الْخَيْرَ الرِّجَالُ يَخِيبُ
تَنَاولَ أَقْصَى الْمَكْرَمَاتِ شَبِيبٌ
إِذَا حَلَّ مَكْرُوهٌ بِهِنَّ ذُهُوبٌ
لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرَمَاتِ كَسُوبٌ
فَلَمْ يَسْتَجِبْ عِنْدَ النَّدَاءِ مُجِيبٌ
لَعَلَّ أَبِي الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ
بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ الذَّرَاعِ أَرِيبٌ
كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
بِذِي لَجْبٍ تَحْتَ الرِّمَاحِ مَهِيبٌ
كَمَا أَهْتَرُ مِنْ مَاءِ الْجَدِيدِ قَضِيبٌ
إِذَا نَالَ خَلَاتِ الْكِرَامِ شُحُوبٌ
فَلَمْ تُنْطِقِ الْعَوْرَاءَ وَهُوَ قَرِيبٌ
وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا طُعْمَةٌ وَنَصِيبٌ
سَرِيعًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
وَمُخْتَبِطٌ يَغْشَى الدُّخَانَ غَرِيبٌ
إِلَى سَنَدٍ لَمْ يَجْتَنِعْهُ عُيُوبٌ^(١)

(١) يعني : تميل به عيوب .

يَبِيتُ النَّدَى يَا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعَهُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْجِلْمُ زَيْنَ أَهْلَهُ
مُعَنَى إِذَا عَادَى الرَّجَالُ عَدَاوَةً
غَنِينَا بِخَيْرِ حِقْبَةٍ ثُمَّ جَلَّحَتْ
فَأَبَقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَجَهَّزَتْ
وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّأْيَ فِي الْوَحْيِ مِنْهُمْ
لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
جَمَعْنَ النَّوَى حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الْهَوَى
أَتَى دُونَ حُلُوِ الْعَيْشِ حَتَّى أَمْرُهُ
كَأَنَّ أَبَا الْمِعْوَارِ لَمْ يُوفِ مَرْقَبًا
وَلَمْ يَدْعُ فِثْيَانًا كِرَامًا لِمَيْسِرِ
فَإِنْ غَابَ مِنْهُمْ غَائِبٌ أَوْ تَخَادَلُوا
كَأَنَّ أَبَا الْمِعْوَارِ ذَا الْمَجْدِ لَمْ تَجُبْ
عَلَاةٌ تَرَى فِيهَا إِذَا حُطَّ رَحْلُهَا
وَإِنِّي لَبَاكِيهِ وَإِنِّي لَصَادِقٌ
فَتَى الْحَرْبِ إِنْ حَارَبْتُ كَانَ سِمَامَهَا
وَحَدَّثْتُمَانِي إِنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقَرَى

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حَلُوبٌ
مَعَ الْجِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبٌ
بَعِيدٌ إِذَا عَادَى الرَّجَالُ قَرِيبٌ
عَلَيْنَا أَلَّتِي كُلَّ الْأَنَامِ تُصِيبُ
لَاخِرَ وَالرَّاجِي الْحَيَاةَ كَذُوبٌ
إِلَى أَجَلِ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبٌ
عَلَى نَوْمِهِ عَلِقَ عَلَيَّ حَبِيبٌ
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْنٌ ذُئُوبٌ
صَدَعْنَ الْعَصَا حَتَّى أَلْقَنَاهُ شُعُوبٌ
نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبٌ
إِذَا رَبًّا الْقَوْمَ الْغُرَاةَ رَقِيبٌ
إِذَا اشْتَدَّ مِنْ رِيحِ الصَّبَاءِ هُبُوبٌ
كَفَى ذَاكَ مِنْهُمْ وَالْجَنَابُ خَصِيبٌ
بِهِ الْبَيْدَ عَنَسٌ بِالْفَلَاةِ خَبُوبٌ
نُدُوبًا عَلَى آثَارِهِنَّ نُدُوبٌ
عَلَيْهِ وَبَعْضُ الْقَائِلِينَ كَذُوبٌ
وَفِي السَّفْرِ مِفْضَالُ الْيَدَيْنِ وَهُوبٌ
فَكَيْفَ وَهَلْذِي رَوْضَةٌ وَقَلِيبٌ

(١) في «جمهرة أشعار العرب» (٧٠٨/٢): (يومه).

بِدَوِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبٌ
وَمَا أَقْتَالَ مِنْ حُكْمٍ عَلَيْهِ طَيِّبٌ
بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ التُّفُوسُ تَطِيبُ
هُوَ الْغَانِمُ الْجَذْلَانُ يَوْمَ يَأُوبُ
وَإِنَّ الَّذِي يَأْتِي غَدًا لَقَرِيبُ
وَقَدْ شَعَبْتُهُ عَنْ لِقَائِي شُعُوبُ
وَلَاتَ لَهُ حَتَّى أَلْمَمَاتٍ مُجِيبُ
عَلَى النَّأْيِ رَجَافُ السَّحَابِ سَكُوبُ

وَمَاءٌ سَمَاءٍ كَانَ غَيْرَ [مُحَمَّةٍ]
وَمَنْزِلُهُ فِي دَارِ صِدْقٍ وَغَبْطَةٍ
فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَبَاعُ أَشْتَرَيْتُهُ
بِعَيْنِي أَوْ يُمْنِي يَدَيَّ وَقِيلَ لِي
لَعَمْرُكُمَا إِنَّ الْبَعِيدَ لَمَا مَضَى
وَإِنِّي وَتَأْمِيلِي لِقَاءَ مُؤَمَّلٍ
كَدَاعِي هَدِيلٍ لَا يَزَالُ مُكَلَّفًا
سَقَى كُلَّ ذِكْرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤَمَّلٍ

إن كنت معتبراً من كلامٍ صححةً معني ، وتخيراً لفظ ، وجودةً تركيب ،
ومتانةً سياق ، وحسن استعارة ، ولطف إشارة ، وغرابةً نادرة . . فلتكن هذه
القصيدة مثالك الذي تحتذيه ، فما كان من شعرٍ مدانياً لها . . فذلك ما تحكم
عليه بنهاية الجودة ، وإلا . . فهو نازلٌ بقدرٍ بعده عن مرتبتها من البلاغة .



[قصيدةٌ مِنْ مختارِ شعرِ عُميرِ بنِ شَيْيمِ القطاميِّ]

وَمِنَ الْجَيْدِ : شعرُ عُميرِ بنِ شَيْيمِ التغلبيِّ المشهورِ بالقطاميِّ ، مِنْ شعراءِ بني أُمَيَّةِ أَيامِ عبدِ الملكِ وما بعدهُ ، وأسلمَ عن نصرانيةِ تغلبِ ، وهو أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ صريعَ الغواني بقوله^(١) :

صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرُقْنَهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَائِبِ
وبهذا اللقبِ لُقِّبَ مسلمُ بنُ الوليدِ بعدُ كما سيأتي^(٢) .

رُويَ عَنِ الإمامِ عامرِ الشعبيِّ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ عبدُ الملكِ وَأنا حاضِرٌ للأخطلِ : يا أبا مالكٍ ؛ أَتَحِبُّ أَنْ لكَ بشعركَ شعرَ شاعرٍ مِنَ العربِ ؟ قَالَ : اللهمَّ لا ، إِلَّا شاعراً مَتَّاً مغدَفَ القناعِ ، خاملَ الذِّكْرِ ، حديثَ السنِّ ، إن يكنِ في أَحَدٍ خَيْرٌ .. فسيكونُ فيه ، ولوددتُ أَنِّي سبقتهُ إلى قوله^(٣) : [من البسيط]

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثِ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَا وَلَا مَكْنُونُهُ بِأَدِي
فَهِنَّ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبَنَّ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي
وَمِنْ مختارِ شعرِهِ هذهِ القصيدةُ^(٤) :

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلِيَّتِ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ
أَنَّى أَهْتَدَيْتَ لِتَسْلِيمِ عَلَى دَمِنِ بِالْغَمْرِ غَيْرَهُنَّ الْأَعْصُرُ الْأَوَّلُ
صَافَتْ تَمَعَّجُ أَغْنَاقُ الشُّيُولِ بِهَا مِنْ بِاِكْرِ سَبِطٍ أَوْ رَائِحِ يَبِلُ

(١) انظر «ديوان القطامي» (ص ٢٨٠) .

(٢) انظر (١٨٣/٤) .

(٣) انظر «ديوان القطامي» (ص ٢٠٥) .

(٤) انظر «ديوان القطامي» (ص ١٩١ - ٢٠١) .

فِيهِنَّ كَالْخِلَلِ الْمَوْشِي ظَاهِرُهَا
كَانَتْ مَنَازِلَ مِنَّا قَدْ نَحَلُّ بِهَا
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بِشَاشْتُهُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأْتِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مَنشِدًا يُنشدُ هَذَا الْبَيْتَ ، فَقَالَ : قَدْ ثَبَطَ هَذَا النَّاسَ ، هَلَّا
قَالَ عَلَى أَثَرِهِ :

وَرُبَّمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ بَطُوهُمْ
وَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَجَلُوا
وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى : فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « مَنْ تَأْتَى .. أَصَابَ أَوْ كَادَ ،
وَمَنْ أَسْتَعَجَلَ .. أَخْطَأَ أَوْ كَادَ » (١) ، رَجَعَ :

أَضَحَّتْ عَلَيَّ يَهْتَاجُ الْفَوَادُ لَهَا
بِكُلِّ مُخْتَرِقٍ يَجْرِي السَّرَابُ بِهِ
يُنْضِي الْهَجَانَ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ بِهَا
حَتَّى تَرَى الْحُرَّةَ الْوَجْنَاءَ لِأَغْبَةِ
خُوصًا تُدِيرُ عُيُونًا مَاؤَهَا سَرَبٌ
لَوَاعِبَ الطَّرْفِ مَنْقُوبًا مَحَاجِرُهَا
قَلِيبٌ مَكُولٌ : غَاضَ مَاؤُهُ .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣١٠/١٧) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

تَزْمِي الْفِجَاجِ لَهَا الرُّكْبَانُ مُعْتَرِضاً
يَمْشِينَ رَهْوَماً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ
فَهِنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رِمِضٌ
يَتْبَعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا
لَمَّا وَرَدْنَ نَبِيّاً وَأَسْتَتَبَ بِنَا
عَلَى مَكَانٍ غِشَاشٍ لَا يُنِيخُ بِهِ

غِشَاشٌ - بكسر أوله - : عجلةٌ ؛ أي : على مكانٍ مخوفٍ يُطَلَبُ النجاةُ
منه ، وكانوا في السفرِ يُغَيِّرُونَ أحمالَ الإبلِ يروْنَ في ذلكَ بعضَ راحةٍ لها .

ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِهَا الْحَادِي وَجَنَّبَهَا
حَتَّى وَرَدْنَ رَكِيَّاتِ الْغَوَايِرِ وَقَدْ
وَقَدْ تَعَرَّجْتُ لَمَّا أَرَكْتُ أَرَكاً

أَرَكْتُ : أَكَلَتِ الْأَرَاكُ ، بوزنِ سحابٍ ، وجمعهُ : أَرَكٌ كسُحْبٍ ، وَالرَّجَلُ
- بزنيةٍ عَنِبٍ - : جمعُ رِجْلَةٍ بكسرِ فسكونٍ ؛ مسيلُ الماءِ مِنَ الْحَرَّةِ إِلَى السَّهْلِ .

عَلَى مُنَادٍ دَعَانَا دَعْوَةً كَشَفَتْ
سَمِعْتُهَا وَرَعَانُ الطَّوْدِ مُعْرِضَةٌ

أَرَادَ بِالْمُنَادِي : الشَّوْقَ ، خَيْلُهُ دَاعِيَا يَسْمَعُهُ ، وَالغَيْبَةُ - بفتحِ فسكونٍ - :
وَاحِدُ الْغَيْبِ ؛ لِلْمَطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ .

مِنْ عَنِ يَمِينِ الْمُحَيَّا نَظْرَةً قَبْلُ
أَمَّ وَجْهُ عَالِيَةً أَخْتَالَتْ بِهِ الْكِلَلُ
رِيحَ الْخُزَامِيِّ جَرَى فِيهَا النَّدَى الْخَطْلُ
فَقُلْتُ لِلرَّكِبِ لَمَّا أَنْ عَلَا بِهِمْ
الْمَنَحَةُ مِنْ سَنَا بَرْقٍ رَأَى بَصْرِي
تُهْدِي لَنَا كُلَّ مَا كَانَتْ عَلَاوَتَنَا

علاوتنا ؛ أي : في علاوتنا ؛ وهي المكان المرتفع .

وَقَدْ أَبَيْتُ إِذَا مَا شِئْتُ بَاتَ مَعِي
وَقَدْ تَبَاكَرْنِي الصَّهْبَاءُ تَرْفَعُهَا
أَقُولُ لِلْحَرْفِ لَمَّا أَنْ شَكَتُ أَضْلاً
الْمَتُّ : المد ، والنِّي : الشحم .

فَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْمُسْتَنْجِحِ الْعَمَلُ
إِذَا تَخَطَّ عَبْدَ الْوَاحِدِ الْأَجَلُ
إِلَّا وَهُمْ خَيْرٌ مَنْ يَخْفَى وَيَنْتَعِلُ
عَنْهُ الْجِبَالُ فَمَا سَاوَى بِهِ جَبَلُ
قَوْمِ الرَّسُولِ الَّذِي مَا بَعْدَهُ رُسُلُ
وَلَا تُرَى مَنْ أَرَادُوا ضُرَّهُ يِئْلُ
إِذْ لَا أَكَادُ مِنَ الْإِفْتَارِ أَحْتَمِلُ
إِذْ لَا أَزَالُ مَعَ الْأَعْدَاءِ أَنْتَضِلُ
وَلَا هُمْ كَدَّرُوا الْخَيْرَ الَّذِي فَعَلُوا
وَالْأَخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ

هذه القصيدة والتي قبلها من تسع وأربعين قصيدة كل سبع منها مسمّاة باسم انتخبتها العرب وسمّتها به ، وجميعها في كتاب «الجمهرة» ، وهو موجودٌ بدار الكتب الكبيرة المصونة ، فمن أرادها . . فليطلبها هنالك .



[مِنْ شَعْرِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ]

وَمِنَ الْجَيِّدِ أَيْضاً : شَعْرُ جَرِيرٍ ، وَإِلَيْهِ وَإِلَى الْفَرَزْدَقِ وَالْأَخْطَلِ انْتَهتِ
الشَّهْرَةُ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ ، حَتَّى كَثُرَ اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي الْمَفَاضِلِ بَيْنَهُمْ
وَاحْتِجَاجُهُمْ لَذَلِكَ .

فَمِنْ شَعْرِ جَرِيرٍ : قَوْلُهُ - وَهُوَ نَهَايَةُ فِي الرَّقَّةِ وَالسَّلَاسَةِ ، وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ
يَقُولُ إِذَا سَمِعَ لَجْرِيرٍ مِثْلَ هَذَا : مَا أَحْوَجُهُ إِلَى خَشُونَةِ شَعْرِي عَلَى عَقَّتِهِ ،
وَأَحْوَجَنِي إِلَى رَقَّةِ شَعْرِهِ عَلَى فُجُورِي !! فَإِنَّ الْمَغَازِلَةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ شَأْنِ جَرِيرٍ
كَمَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ - هَذِهِ الْقَصِيدَةُ (١) :

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا يُجِبُّنَ حَزِينَا أَصِمِّنْ أَمْ قَدَمَ أَلْمَدَى فَبَلِينَا
فَقَرّاً تَقَادَمَ عَهْدُهُنَّ عَلَى أَلْبَلَى فَلَبِثْنَ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا
وَتَرَى [أَلْعَوَاذِلَ] يَبْتَدِرْنَ مَلَامَتِي وَإِذَا أَرْدُنَ سِوَى هَوَايَ عَصِينَا
بَكَرَ [أَلْعَوَاذِلُ] بِأَلْمَلَامَةِ بَعْدَمَا قَطَعَ أَلْخَلِيطُ بِسَاجِرِ لَيْبِينَا
أَمْسَيْنَ إِذْ بَانَ أَلشَّبَابُ صَوَادِفاً لَيْتَ أَللَّيَالِي قَبْلَ ذَاكَ فَنِينَا
إِنَّ أَلَّذِينَ عَدُوا بِلَبِّكَ غَادَرُوا وَشَلَا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
عَيَّضْنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنْ أَلْهُوَى وَلَقِينَا
وَلَقَدْ تَسَقَطَنِي أَلْوُشَاةُ فَصَادَفُوا حَصِراً بِسِرِّكَ يَا أَمِيمُ ضَنِينَا
كُلِّفْتُ حَاجَةً مَا أَكَلِفُ ضَمِراً مِثْلَ أَلْقِسِيِّ مِنْ أَلسَّرَاءِ بُرِينَا
رَاحُوا أَلْعَشِيَّةَ رَوْحَةً مَنكُورَةً إِنْ حِرْنَ حِرْنَا أَوْ هُدَيْنَ هُدِينَا

(١) انظر «ديوان جرير» (١/٣٨٦ - ٣٨٨) .

إِنَّ مِثْنَ مِثْنَا أَوْ حَيِّنَ حَيِّنَا
 تَطْوِي تَنَائِفَ بِالْمَلَا وَحُزُونَا
 بُعْدُ الْمَفَاوِزِ كَالْقِسِيِّ حَيِّنَا
 هُنَّ الْحَبَائِثُ بِالْحَبِيثِ غَدِينَا
 جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا
 أَوْ تَشْهَدُونَ مَعَ الْأَذَانِ أَدِينَا
 يَا حُزْرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَبِينَا
 لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

وَرَمَوْا بِهِنَّ سَوَاهِمَا عُرْضَ الْفَلَا
 عَيْسُ تُكَلِّفُ كُلَّ أَغْبَرَ نَازِحِ
 حَتَّى بَلِينِ مِنَ الْوَجِيفِ وَرَدَّهَا
 وَلَدَا الْأَحْيِطَلِ نِسْوَةَ مِنْ تَغْلِبِ
 إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبَا
 هَلْ تَمْلِكُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ مَشْعَرَا
 مُضَرُّ أَبِي [وَأَبُو] الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ
 هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً

وَمِنْ شَعْرِ الْفَرَزْدَقِ - وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ الْفَرَزْدَقَ يَنْحُتُ مِنْ صَخْرٍ ،
 وَجَرِيرًا يَغْتَرَفُ مِنْ بَحْرِ (٢) - :
 [من الطويل]

وَمِثْلُ الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ دَهْرِنَا يُسْلِي
 فَمُتَّبِعُ آثَارَ مَنْ قَدْ خَلَا قَبْلِي
 حِمَامُ الْمَنَائِيَا مِنْ وَفَاةٍ وَمَنْ قَتَلَ
 بَرَاضٍ بِمَا قَدْ كَانَ أَذْهَبَ مِنْ عَقْلِي
 مَظَالِمُهُ عِنْدِي وَلَا تَارِكًا أَكْلِي
 وَكُلُّهُمْ قَدْ كَانَ فِي غِبْطَةِ مِثْلِي

سَلَوْتُ عَنِ الدَّهْرِ الَّذِي كَانَ مُعْجَبًا
 وَأَيَّقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ مَيِّتٌ
 وَأَتَى الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ سَيُصِيبُهُ
 فَمَا أَنَا بِالْبَاقِي وَلَا الدَّهْرُ فَاعْلَمِ
 وَلَا مُنْصِفِي يَوْمًا فَأُدْرِكُ عِنْدَهُ
 وَأَيْنَ أَخِلَائِي الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ

(١) في الأصل : (وأب) .

(٢) انظر « ديوان الفرزدق » (٢ / ٢٩٩ - ٣٠٥) .

دَعَتْهُمْ مَقَادِيرٌ فَأَصْبَحَتْ بَعْدَهُمْ
 بَلَوْتُ مِنَ الدَّهْرِ الَّذِي فِيهِ وَعَظُّ
 وَجُرِبْتُ عِنْدَ الْمُضْلِعَاتِ فَلَمْ أَكُنْ
 وَبَيْدَاءَ تَغْتَالُ الْمَطِيِّ قَطَعْتُهَا
 إِذَا الْأَرْضُ سَدَّتْهَا الْهَوَاجِرُ وَأَزْتَدَتْ
 وَكَانَ الَّذِي يَبْدُو لَنَا مِنْ سَرَابِهَا
 [وَيَدْعُو ^(١) الْقَطَا فِيهَا الْقَطَا فَيَجِيبُهُ
 دَوَارِجٌ أَخْلَفْنَ الشَّكِيرَ كَأَنَّمَا
 يُسْقِينِ بِالْمَوْمَاءِ زُغْبًا نَوَاهِضًا
 تَمْجُ أَدَاوَى فِي أَدَاوَى بِهَا أَسْتَقَّتْ
 وَقَدْ أَقْطَعُ الْخَرْقَ الْبَعِيدَ نِيَاطُهُ
 تَزَيَّدُ فِي فَضْلِ الزَّمَامِ كَأَنَّهَا
 كَأَنَّ يَدَيْهَا فِي مَرَاتِبِ سُلْمٍ
 تَأْوُهُ مِنْ طُولِ الْكَلَالِ وَتَشْتَكِي
 إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْخَثُهَا
 إِلَى خَيْرِهِمْ فِيهِمْ قَدِيمًا وَحَادِثًا
 وَرِنْتَ أَبَاكَ أَلْمَلِكَ تَجْرِي بِسَمْتِهِ

بَقِيَّةَ دَهْرٍ لَيْسَ يُسْبَقُ بِالذَّخْلِ
 وَجَارَيْتُ بِالْتُّعْمَى وَطَالَبْتُ بِالتَّبْلِ
 صَرِيحَ زَمَانٍ لَا أَمْرٌ وَلَا أُخْلِي
 بِرِكَابِ هَوْلٍ لَيْسَ بِالْعَاجِزِ الْوَعْلِ
 مَلَاءَ سَمُومٍ لَمْ يُسَدِّينَ بِالْغَزْلِ
 فُضُولَ سُيُولِ الْبَحْرِ مِنْ مَائِهَا الضَّخْلِ
 تَوَائِمَ أَطْفَالٍ مِنَ السَّنَسَبِ الْمَحْلِ
 جَرَى فِي مَاقِيهَا مَرَاوِدٌ مِنْ كُحْلِ
 بَقَايَا نَطَافٍ فِي حَوَاصِلِهَا تَغْلِي
 كَمَا اسْتَفْرَعَ السَّاقِي مِنَ السَّجْلِ بِالسَّجْلِ
 بِمَائِرَةِ الضَّبْعَيْنِ وَجَنَاءَ [كَالْهَقْلِ] ^(٢)
 تُحَادِرُ وَقَعًا مِنْ زَنَابِيرٍ أَوْ نَحْلِ
 إِذَا غَاوَلَتْ أَوْبَ الذَّرَاعَيْنِ بِالرَّجْلِ
 تَأْوُهُ مَفْجُوعٍ بِكُلِّ عَلَى كُلِّ
 إِلَى خَيْرٍ مَنْ حُلَّتْ لَهُ عُقْدُ الرَّحْلِ
 مَعَ الْحِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالنَّائِلِ الْجَزْلِ
 كَذَلِكَ حُوطُ النَّبْعِ يَنْبُتُ فِي الْأَصْلِ

(١) في الأصل : (ويدع) .

(٢) في الأصل : (كالفهل) ، والهقل : الفتى من النعام .

كَدَاوُودَ إِذْ وَلَّى سُلَيْمَانَ بَعْدَهُ
 يَسُوسُ مِنَ الْحِلْمِ الَّذِي كَانَ رَاجِحًا
 هُوَ الْقَمَرُ الْبَدْرُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ
 أَغْرَّ تَرَى نُورًا لِبَهْجَةِ مُلْكِهِ
 يَفِيضُ السَّجَالَ النَّاقِعَاتِ مِنَ النَّدَى
 وَكَمْ مِنْ أَنْاسٍ قَدْ أَصَبَتْ بِنِعْمَةٍ
 وَمِنْ أَمْرِ حَزْمٍ قَدْ وَلِيَتْ نَجِيَّةً
 قَضَيْتَ قِضَاءً فِي الْخِلَافَةِ ثَابِتًا
 فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ
 وَبَيَّنْتَ أَنْ لَا حَقَّ فِيهَا لِخَاذِلٍ
 وَلَا لِأَمْرِيٍّ آتَى الْمُضِلِّينَ بِنِعَةٍ
 وَمَدَّ يَدًا مِنْهُ لِبَيْعَةِ خَاسِرٍ
 وَعَانَدَ لَمَّا أَنْ رَأَى الْحَزْبَ شَمَرَتْ
 فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ بَدَا أَلْغَشُّ مِنْهُمْ
 يُدَاوُونَ مِنْ قَرْحِ أَدَانِيهِ قَدْ عَنَّا
 وَقَدْ كَانَ فِيمَا قَدْ تَلَّوْا مِنْ حَدِيثِهِمْ
 وَإِلَّا فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّةَ حَدَّهَا
 أَوْ النَّفْيَ حَتَّى عَرْضُ أَرْضٍ وَطُولُهَا

خِلَافَتُهُ نِحْلًا مِنْ اللَّهِ ذُو الْفَضْلِ
 بِأَجْبَالِ سَلْمَى مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ عَدْلِ
 [إِذَا] مَا ذُووُ الْأَضْغَانِ جَارُوا عَنِ السُّبُلِ ^(١)
 عَفْوًا طَلُوبًا فِي أَنَاةٍ وَفِي رِسْلِ
 كَمَا فَاصَ ذُو مَوْجٍ يُقَمِّصُ بِالْجَفْلِ
 وَمِنْ مُثْقَلٍ خَفَّفَتْ عَنْهُ مِنَ الثَّقَلِ
 بِرَأْيٍ جَمِيعٍ مُسْتَمِرٍّ قَوَى الْحَبْلِ
 مُبِينًا فَقَدْ أَسْمَعْتَ مَنْ كَانَ ذَا عَقْلِ
 وَقَدْ قُمْتَ فِيهِمْ بِالْبَيَانِ وَبِالْفَضْلِ
 تَرَبَّصَ فِي شَكِّ وَأَشْفَقَ مِنْ مَثَلِ
 رَأَى الْحَزْبَ أَبَدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا الْعُصْلِ
 وَمَا الْمُكْسِدُ الْمَغْبُونُ كَالرَّابِحِ الْمَغْلِي
 عِنَادَ الْخَصِيِّ الْجَوْنِ صَدَّ عَنِ الْفَحْلِ
 وَهُمْ كُشِفُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ [وَالْأَزْلِ]
 عَلَى الدَّاءِ لَمْ تُدْرِكْ أَقَاصِيهِ بِالْفُتْلِ
 شِفَاءً وَكَانَ الْحِلْمُ يَشْفِي مِنَ الْجَهْلِ
 دَوَاءً لَهُمْ غَيْرَ الدَّبِيبِ وَلَا الْخَثْلِ
 عَلَيْهِمْ كَبَيْتِ الْقَيْنِ أُغْلِقَ بِالْقَفْلِ

(١) في الأصل : (إذ) .

وَقَدْ [خَذَلُوا ^(١)] مَرَوَانَ فِي الْحَرْبِ وَأَبْنَهُ
وَكَنَا إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ عَظِيمَةٍ
فَصَلَّى عَلَى قَبْرَيْهِمَا اللَّهُ إِنَّمَا
فَفُزْتُ بِمَا فَازَا بِهِ مِنْ خِلَافَةٍ
بِعَافِيَةٍ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ جَلَلَتْ
الأمْلُ : جمع أميل ؛ وهو الحبل من الرمل ، يريد إلى منقطع التراب .

وَكُنْتُ الْمُصَفَّى مِنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ يَكُنْ
أَشَارُوا بِهَا فِي الْأَمْرِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ
حَبَاكَ بِهَا اللَّهُ الَّذِي هُوَ سَاقَهَا
[وَسَبَقْتُ ^(٢)] إِلَى مَنْ كَانَ فِي الْحَرْبِ أَهْلَهَا
وَمَا أَضَلَّتُوا فِيهَا بِسَيْفِ عِلْمَتُهُ
فَنُضِجِي لَكُمْ قَادَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِهِ



(١) في الأصل : (خزلوا) .

(٢) في « ديوان الفرزدق » (٣٠٤ / ٢) : (بالحصل) .

(٣) في الأصل : (وسبقت) .

الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ

مشاهيرها : مسلمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ ، والحسنُ بنُ هانئِ الحكميِّ المشهورُ بأبي نُواسٍ ، وبعدهُما : أبو تمامٍ حبيبُ بنُ أوسِ الطائيِّ ، وأبو عبادةَ الوليدُ البحتريُّ ، وأحمدُ بنُ الحسينِ المُتنبِّي ، وبعدهُم : أبو نصرِ عبدُ العزيزِ بنُ نباتةَ السَّعديِّ ، والشريفُ محمدُ الرضيِّ ، وتلميذُه مهيارُ الديلميِّ ، ويُذكرُ مع هؤلاءِ عليُّ ابنُ الرُّوميِّ ، ولهُم دواوينُ كبارٌ .

كانَ الحسنُ بنُ هانئٍ ومسلمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ قرينَيَّ عصرٍ واحدٍ ، واختلفَ الناسُ في المفاضلةِ بينهما ، وكانَ بنو برمكٍ يبالغونَ في تفضيلِ مسلمٍ ، ولكلِّ مزيةً ، وكلاهُما شاعرٌ فريدٌ ، غيرَ أنَّ أبا نُواسٍ بقيَ الكثيرُ مِنْ شعرِه ؛ لاعتناءِ الرواةِ بهِ ، وكثرةِ تصرفاتِه فيه ، وانتهائه في سائرِ فنونِ المعاني إلى غايةٍ لم يدركها سواه ، ومِنْ هذهِ الجهةِ كانَ تفضيلُه على مسلمٍ ؛ فإنَّ مسلماً لم يشاركِ أبا نُواسٍ في كثيرٍ مِنْ تلكَ الفنونِ ؛ كالمُجونِ ، والغزلِ ، والخمرياتِ .

ولمسلمٍ صلابَةُ الشعرِ ، وتجويذُه ، وجمعهُ فيه بينَ البداوةِ والحضارةِ . يُحكى : أنَّ رجلاً دخلَ على أبي تمامٍ وبينَ يديه كتابانِ يقرأُ في هذا مرَّةً وفي هذا مرَّةً ، فسألهُ عنهُما ، فقالَ : هما ديوانا مسلمٍ والحسنِ ، وهما اللآثُ والغزى ، وأنا أعبدهُما ^(١) .

غيرَ أنَّ شعرَ مسلمٍ لم يبقَ منه إلا ما علقتهُ الرواةُ ؛ فإنَّه تنسكَ آخِرَ عمرِه ، وهجرَ الشعرَ ، ففرَّقَ مجموعَ شعرِه .



(١) انظر «الأغاني» (٢١/٧٢٩) .

[مِنْ شَعْرِ أَبِي نُوَّاسٍ فِي مَدْحِ هَارُونَ الرَّشِيدِ]

فَمِنْ شَعْرِ أَبِي نُوَّاسٍ - وَهُوَ أَوَّلُ إِمَامٍ يُقْتَدَى بِهِ فِي الْأَدَبِ وَرِعَايَةِ مَقَامَاتِ
الْخَطَابِ ، خِلاَ أَنْ لَهُ أَشْيَاءٌ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَنَاسِبَةً لِدَلِّكَ الْوَقْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ
سَهَاً بِهَا ، يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْهَا حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ التَّعْرِيفَاتُ الْأَدْبِيَّةُ - قَوْلُهُ
يَمْدُحُ الرَّشِيدَ ^(١) :

حَيِّ الدِّيَارِ إِذِ الزَّمَانُ زَمَانُ [وَإِذِ] الشِّبَاكَ لَنَا حِرَى وَمَعَانُ
الشِّبَاكَ : مَاءٌ بِنَاحِيَةِ وَاقِصَّةِ عَلِيِّ طَرِيقِ الْكُوفَةِ فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ مَعَاظِرُ مَنْ
أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَزَعَمَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الشِّبَاكَ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ بِقَرْبِ سَفْوَانَ ، وَإِيَّاهَا
أَرَادَ .

يَا حَبَّذَا سَفْوَانَ مِنْ مُتَرَبِّعٍ وَلَرُبَّمَا جَمَعَ الْهَوَى سَفْوَانَ
وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّمًا فَلِغَيْرِ دَارٍ أُمِيمَةَ الْهَجْرَانُ
إِنَّا نَسْبِنَا وَالْمَنَاسِبُ ظِنَّةٌ حَتَّى رُمِيتِ بِنَا وَأَنْتِ حَصَانُ
لَمَّا نَزَعْتُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالصَّبَا وَخَدَّتْ بِي الشَّدْنِيَّةُ الْمِدْعَانُ
وَيُرْوَى : (لَمَّا نَزَعْتُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَادْعَا) أَي : كَافَاً ، وَالشَّدْنِيَّةُ : مَنْسُوبَةٌ
إِلَى فَحْلِ مِنْ فَحُولِ مَهْرَةٍ يُقَالُ لَهُ : شَدْنٌ .

سَبِطٌ مَشَافِرُهَا دَقِيقٌ حَظْمُهَا وَكَأَنَّ سَائِرَ خَلْقِهَا بُنْيَانُ
وَأَحْتَازَهَا لَوْ نُجِرَى فِي جِلْدِهَا يَقُقُ [كَقِرْطَاسٍ] الْوَلِيدِ هِجَانُ
حَكِي سَلِيمَانُ بْنُ نَبِيخَتِ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا نُوَّاسٍ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ ،

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٥١ - ٣٥٤) .

فَقَالَ : صَحِيفَةُ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ كَاتِبُهُ فِيهَا شَيْئًا ، فِقِرطَاسُهُ
أَبْيَضٌ .

وَإِلَى أَبِي الْأَمْنَاءِ هَارُونَ الَّذِي يَحْيَا بِصُوبِ سَمَائِهِ الْحَيَوَانَ
الْأَمْنَاءُ : الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ وَالْمُؤْتَمِنُ ؛ فَالْأَمِينُ : مُحَمَّدٌ ، وَالْمَأْمُونُ :
عَبْدُ اللَّهِ ، وَالْمُؤْتَمِنُ : الْقَاسِمُ ؛ بَنُو هَارُونَ الرَّشِيدِ .

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثْلَهُ فَكَأَنَّ مَا لَمْ يَخُلْ مِنْهُ مَكَانٌ
مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِفَجْرَةٍ إِلَّا يُكَلِّمُهُ بِهَا اللَّحْظَانُ
فَيَظَلُّ لِأَسْتِنْبَاتِهِ وَكَأَنَّهُ عَيْنٌ عَلَى مَا غَيَّبَ الْكِثْمَانُ
هَارُونَ [الْأَمْنَاءُ] أُنْتِلَافٌ مَوْدَّةٌ مَاتَتْ لَهَا الْأَحْقَادُ وَالْأَضْعَانُ
فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَوَفَادَةٌ تَنْبَتْ بَيْنَ نَوَاهِمَا الْأَقْرَانُ
كَانَ الرَّشِيدُ عِنْدَمَا أَوْطَنَ الرِّقَّةَ يَخُجُّ سَنَةً وَيَغْزُو أُخْرَى ، وَالْأَقْرَانُ : الْحِبَالُ ؛
أَي : تَنْقَطِعُ فِي بُعْدِ مَا بَيْنَ الْحَجِّ وَالغَزْوِ .

حَجٌّ وَغَزْوٌ مَاتَ بَيْنَهُمَا الْكَرَى بِالْيَعْمَلَاتِ شِعَارُهَا الْوَحْدَانُ
يَزْمِي بِهِنَّ بِسَاطِ كُلِّ تَنُوفَةٍ فِي اللَّهِ رَحَالٌ بِهَا ظَعَّانُ
حَتَّى إِذَا وَاجِهْنَ أَقْبَالَ الصِّفَا حَنَّ الْحَطِيمُ وَأَطَّتِ الْأَرْكَانُ
أَقْبَالَ الصِّفَا : مَا قَابَلَكَ مِنْهُ ؛ وَهِيَ جَمْعُ قَبَلٍ ، وَالْحَطِيمُ : حَيْثُ يَزْدَحُمُ
النَّاسُ بِمَكَّةَ فَيَحْطِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَقِيلَ : حَيْثُ يَحْطِمُونَ بِالْإِيمَانِ ؛ لِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَحْلِفُونَ ثُمَّ .

لِأَعْرَ يَنْفَرِجُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِهِ عَدْلُ السِّيَاسَةِ حُبُّهُ إِيْمَانُ
يَصِلُ الْهَجِيرَ بِغُرَّةٍ مَهْدِيَّةٍ لَوْ شَاءَ صَانَ أَدِيمَهَا الْأَكْنَانَ

لَكِنَّهُ فِي اللَّهِ مُبْتَدِلٌ لَهَا إِنَّ التَّقِيَّ مُسَدَّدٌ وَمُعَانُ
أَلْفَتْ مُنَادِمَةَ الدِّمَاءِ سِيُوفُهُ فَلَقَلَّمَا تَحْتَازَهَا الْأَجْفَانُ
يقولُ : أَلْفَتْ سِيُوفُهُ الدِّمَاءَ ، فكأنَّها تنادمُها لا تفارقُها ؛ مِنْ كَثْرَةِ مَا تُقْتَلُ
بِهَا أَعْدَاؤُهُ .

ويُروى : (ثَلَّتْ مِقَارِعُهُ الدِّمَاءِ سِيُوفُهُ) .

حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحِمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ
قالَ المُبَرِّدُ : ما لم يكنْ صورةً كيفَ يكونُ لَهُ فُؤادٌ ؟!
حَذَرَ أَمْرِي نُصِرْتُ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا كَالدَّهْرِ فِيهِ شِرَاسَةٌ وَلَيَانُ
مُتَبَرِّجُ الْمَعْرُوفِ عَرِيضُ النَّدَى حَصِرٌ بِلَا مِنْهُ فَمٌ وَلِسَانُ
أي : يَتَعَرَّضُ نَدَاهُ لِلنَّاسِ .

لِلْجُودِ مِنْ كِلْتَا يَدَيْهِ مُحَرِّكٌ لَا يَسْتَطِيعُ بُلُوغَهُ الْإِسْكَانُ
تحدَّثَ بنو نبيختَ عن سليمانَ بنِ أبي سهلٍ قالَ : لَمَّا قَدِمَ أَبُو نُؤَاسٍ . .
أشْرنا عليه أن يمدحَ الرشيدَ ، فمدحَهُ بهذهِ القصيدةِ ، فأمرَ لَهُ بعشرينَ أَلْفَ
درهمٍ ، وهيَ أَكْثَرُ صَلَاةٍ وَصَلَّ بِهَا أَبُو نُؤَاسٍ .
المعانُ : المنزَلُ المألوفُ .

وقولُهُ : (جمعُ الهوى) مِنْ العباراتِ الفريدةِ التي بوجازتها وكثرةِ
معناها يُسمِّيها أهلُ البديعِ : الإِشارةَ ؛ وذلكَ أَنَّ معناها : ربَّما اشتملَ
هذا المكانُ على ما تَهوَّاهُ النفوسُ ؛ مِنْ سَعَةِ العيشِ ، ونضرةِ الناحيةِ ،
ومساعدةِ الزمانِ بِمَوَدَّاتِ الحِسانِ ، وكثرةِ الحاضرِ ؛ حتى يمكنَ استغفالُ
الرُّقَباءِ ، وَيَخِفُّ عَذْلُ العُدَّالِ ، وقد نطقَ بهذهِ الكلمةِ قبلَهُ الغنويُّ في

القصيدة السابقة ؛ حيث يقول^(١) :

[من الطويل]

جَمَعَنَ النَّوَى حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الْهَوَى

وقوله : (أَلَفْتُ منادمةَ الدماءِ) الإضافةُ فيه لأدنى ملابسةٍ ؛ أي : المنادمةُ

على الدماءِ ؛ فإنَّ الدماءَ بمنزلةِ المشروبِ ، والنديمُ : هو الموائسُ على الشرابِ ،
ومَنْ غلبَ عليه شيءٌ .. جرى على لسانِهِ ألفاظُهُ ، وأبو نواسٍ كان مدمناً ،
ولذلك وقعتْ منه الاستعارةُ في هذا الموضعِ ، وليستْ هنالكِ مِنَ الحسنِ .

وقوله يمدحُه أيضاً^(٢) :

[من الطويل]

وَقَدْ طَالَ تَزْدَادِي بِهَا وَعَنَائِي

لَقَدْ طَالَ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ بُكَائِي

أَرَاهَا أَمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي

كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ

عَنِ الدَّارِ وَأَسْتَوْلِي عَلَيَّ عَزَائِي

فَلَمَّا بَدَأَ لِي اليَأْسُ عَدَيْتُ نَاقَتِي

عَلَيَّ وَلَا يُنْكِرُنَ طُولَ ثَوَائِي

إِلَى بَيْتِ حَانَ مَا تَهَرُّ كِلَابُهُ

كان ينبغي أن يقال : (حاني) ، ويروى : (إلى بيتِ عِلجِ) .

يَمِينِي حَتَّى رِبَطَتِي وَحِذَائِي

فَمَا رُمْتُهُ حَتَّى أَتَى دُونَ مَا حَوَتْ

عَلَى قُبْلَةٍ أَوْ مَوْعِدِ بِلِقَاءِ

وَكَأْسٍ كَمِضْبَاحِ السَّمَاءِ شَرِبْتُهَا

تَسَاقُطُ نُورٍ مِنْ فُتُوقِ سَمَاءِ

أَتَتْ دُونَهَا الأَيَّامُ حَتَّى كَانَتْهَا

عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءِ

تَرَى ظَهْرَهَا مِنْ ظَاهِرِ الكَأْسِ سَاطِعاً

وَفَضَّلَ هَارُونَأَ عَلَى الخُلَفَاءِ

تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الأُمُورَ بِعِلْمِهِ

(١) تقدم (١٦١/٤) .

(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٤٧ - ٢٤٨) .

نَعِيشُ بِخَيْرٍ مَا أَنْطَوَيْنَا عَلَى التُّقَى وَمَا سَاسَ دُنْيَانَا أَبُو الْأَمْنَاءِ
 إِمَامٌ يَخَافُ اللَّهَ حَتَّى كَانَهُ يُؤَمِّلُ رُؤْيَاهُ صَبَاحَ مَسَاءِ
 أَشْمٌ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يُنَاطُ نِجَاداً سَيْفُهُ بِلِوَاءِ
 أي : طويلٌ كأنَّ حمائلَ سيفِهِ على رِمح ، قالَ المُبَرِّدُ : ما علمتُ قائلاً مدحِ
 خليفَةً فَنَسِبَ بِمِثْلِ هَذَا النِّسَبِ ، على أَنَّهُ قد جَدَّ في المدحِ ، وبلغَ المرادُ .
 ولقد كانَ الرشيدُ مَمَّنْ يُتَحَامَى الإقرارُ بحضرتِهِ أو حيثُ يبلغُهُ بذكرِ
 قُبَلَةٍ أو شربِ كأسٍ وما أشبهَ ذلكَ ؛ لجلالَتِهِ ونبيلِ ملكِهِ ، وبعدهِ مِنِ احتمالِ
 السخفِ وما دنا منه ، إلاَّ أنَّ أبا نُواسٍ كانَ ينسبُ في المدحِ الجليلِ بالخميرِ
 الذي هو شأنُهُ ، وفيهِ تصرُّفُهُ وِجْلُ مذهبهِ .

وَتَحَدَّثَ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَهْلِ الْحَارِثِيِّ قَالَ : كَانَ الرَّشِيدُ لَا
 يَسْمَعُ مِنَ الشَّعْرِ مَا فِيهِ رِفْثٌ وَلَا هَزْلٌ ، وَكَانَ لَا يُذَكِّرُ فِي تَشْيِيبِ مَدْحِهِ قُبَلَةً
 وَلَا غَمْزَةً ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو نُوَّاسٍ مِنْ مِصْرَ . . اِمْتَدَحَهُ ، فَأَوْصَلَهُ الْبِرَامِكَةَ إِلَيْهِ ،
 فَأَنْشَدَهُ : (لَقَدْ طَالَ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ بِكَائِي) ، فَلَمَّا بَلَغَ وَصْفَهُ لِلخَمْرِ . . تَغَيَّرَ
 وَجْهُ الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا قَالَ : (وَكَأْسٍ كَمِصْبَاحِ السَّمَاءِ شَرِبْتُهَا) . . أَرَادَ أَنْ يَأْمَرَ
 بِهِ ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ : (تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الْأُمُورَ بِعَلْمِهِ) . . أَخَذَتْهُ هِزَّةٌ ، فَأَمَرَ لَهُ
 بَعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

[مِنْ خَمْرِيَاتِ أَبِي نُوَّاسٍ]

وقولُهُ مِنَ الخَمْرِيَاتِ - وَذَلِكَ فَتْنُهُ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ ، وَفَتَحَ لِلشَّعْرَاءِ
 بَابَهُ^(١) - :

أَتْنِ عَلَى الخَمْرِ بِأَلَائِهَا وَسَمَّيْهَا أَحْسَنَ أَسْمَائِهَا

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥١) .

وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَى مَائِهَا
 حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا
 مِنْهَا سِوَى آخِرِ حَوْبَائِهَا
 نُفُوسَ [حَسْرَاهَا] وَأَنْضَائِهَا
 لَيْسُوا إِذَا عُدُّوا بِأَكْفَائِهَا

لَا تَجْعَلِ الْمَاءَ لَهَا قَاهِرًا
 كَرِخِيَّةٌ قَدْ عُنِقَتْ حِقْبَةً
 فَلَمْ يَكْذُ يُدْرِكْ خَمَّارَهَا
 دَارَتْ فَأَحَيْتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ
 وَالْخَمْرُ قَدْ يَشْرِبُهَا مَعْشَرٌ



وقوله^(١) :

[من البسيط]

كِلَاهُمَا عَجَبٌ فِي مَنْظَرٍ عَجَبٍ
 صُبْحاً تَوَلَّدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعِنَبِ
 حَضْبَاءَ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
 تَوَاتَرَ الرَّمْيُ بِالنُّشَابِ مِنْ كَثِبِ
 فِي حُسْنٍ قَدِّ وَفِي ظَرْفٍ وَفِي أَدَبِ
 بِالْكَشْحِ مُحْتَرِفٍ بِالْكَشْحِ مُكْتَسِبِ
 مَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَهْوَيْنَ بِالْكَثِبِ
 وَأُفِعِمَتْ فِي تَمَامِ الْجِسْمِ وَالْقَصَبِ
 وَجَرَّتِ الْوَعْدَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ
 فِيمَنْ بَرَأَ اللَّهَ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
 لَمْ أَقْضِ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُبِّهَا أَرْبِي

سَاعٍ بِكَاسٍ إِلَى نَاسٍ عَلَى طَرَبٍ
 قَامَتْ تُرِينِي وَأَمْرُ اللَّيْلِ مُجْتَمِعُ
 كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا
 كَأَنَّ تُزْكَأً صُفُوفاً فِي جَوَانِبِهَا
 مِنْ كَفِّ سَاقِيَةِ نَاهِيكَ سَاقِيَةِ
 كَانَتْ لِرَبِّ قِيَانٍ ذِي مُغَالَبَةِ
 فَقَدْ رَأَتْ وَوَعَتْ عَنْهُنَّ وَأَخْتَلَفَتْ
 حَتَّى إِذَا مَا غَلَى مَاءُ الشَّبَابِ بِهَا
 وَجُمِشَتْ بِخَفِيِّ اللَّحْظِ فَاَنْجَمَشَتْ
 تَمَّتْ فَلَمْ يَرِ إِنْسَانٌ لَهَا شَبَهَا
 تِلْكَ الَّتِي لَوْ خَلَّتْ مِنْ [عَيْنِ قِيمِهَا]

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٦٢ - ٦٣) .

يقولُ : لو قدرتُ عليها . . لم أشبعُ منها أبداً ، ويُروى : (قضيتُ منها ومنُ وجدِ بها أربي) .

تحدّثَ محمدُ بنُ الْمُظَفَّرِ كاتبُ إسماعيلَ بنِ صبيحٍ ، عن إسماعيلَ قالَ : قالَ ليَ الرشيْدُ : أبغني وصيفةً مليحةً فطنةً حركةً مقدودةً تسقيني ؛ فإنَّ الشرابَ يطيبُ من يدِ مثلها ، فقلتُ : يا سيدي ؛ عليّ الجهدُ ، فقالَ : اجعلْ قولَ هذا العيَّارِ أمانك واسترخ ، قلتُ : قولَ مَنْ ؟ قالَ : قولَ مَنْ يقولُ : (من كَفَّ ساقيةَ ناهيكِ ساقيةً) إلى قولِهِ : (بينَ الصِّدقِ والكذبِ) .



وقولُهُ^(١) :

[من الطويل]

وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ	أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ
لِأَنَّ رِيَاءَ النَّاسِ عِنْدِي هُوَ الْهَجْرُ	وَلَا تَسْقِنِي مِنْهَا الْمُرَائِينَ قَطْرَةً
فَإِنْ طَالَ هَذَا عِنْدَهُ قَصَرَ الدَّهْرُ	فَعَيْشُ الْفَتَى فِي سَكْرَةٍ بَعْدَ سَكْرَةٍ
وَمَا الْغَنَمُ إِلَّا أَنْ يُتَغْتَعِنِي السُّكْرُ	وَمَا الْغَبْنُ إِلَّا أَنْ تَرَانِي صَاحِبًا
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِثْرُ	فَبُحْ بِأَسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى
وَلَا فِي مُجُونٍ لَيْسَ يَتَّبَعُهُ كُفْرُ	وَلَا خَيْرَ فِي فَتْكِ بَغِيرِ مَجَانَةٍ
هَلَالٌ وَقَدْ حُقَّتْ بِهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ	بِكُلِّ أَخِي قَصْفٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ
وَقَدْ غَابَتِ الْجُوزَاءُ وَأَنْحَدَرَ النَّسْرُ	وَحَمَارَةٌ نَبَّهْتُهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ
خِيفَ الْأَدَاوَى يُبْتَغَى لَهُمْ خَمْرُ	فَقَالَتْ مِنَ الطَّرَاقِ قُلْنَا عِصَابَةٌ
بِأَبْلَجِ كَالدِّينَارِ فِي طَرْفِهِ فَتْرُ	وَلَا بُدَّ أَنْ يَزْنُوا فَقَالَتْ أَوْ الْفِدَا

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٩٦ - ٩٧) ، وفيها ما فيها من التبعج بالمجون الفاضح .

فَقُلْنَا لَهَا هَاتِيهِ مَا إِنَّ لِمِثْلِنَا فَدَيْنَاكَ بِالْأَبَاءِ عَنِ مِثْلِهِ صَبْرُ
فَجَاءَتْ بِهِ كَالْغُضَنِ [يَهْتَرُ] رِذْفُهُ تَخَالَ بِهٍ سِحْرًا وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ
لَهُ سِنَةٌ كَالْبَدْرِ لَيْلَةٌ تَمِّهِ مُهْفَهْفٌ أَعْلَى الْكَشْحِ فِي ثَغْرِهِ أَشْرُ
فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ نُجَرِّرُ أَذْيَالَ الْفُسُوقِ وَلَا فَخْرُ

قال المُبرِّدُ: سمعتُ سليمانَ بنَ أبي داوودَ يقولُ: لَمَّا ملكَ الأَمِينُ . . قال أبو نُوَاسٍ: (فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمرُ) ، وكانَ الفضلُ بنُ الربيعِ سيئَ الرأيِ فيه ، فأخبرَ الأَمِينُ بخبرِهِ وما شاعَ في العامَّةِ مِنْ تهْتِكِهِ ، فأمرَ أن يُحبَسَ ، فمدحَ الفضلُ بنَ الربيعِ ، وقالَ فيه تلكَ الأشعارَ كُلُّها بهذا السببِ .
وتحدَّثَ أحمدُ بنُ الحارثِ عنِ المدائنيِّ قالَ: قالَ معاويةُ يوماً: ما اللذةُ؟ فأكثرُوا الوصفَ ، فقالَ عمرو بنُ العاصِ: نَحِ الأَحْدَاثَ حتَّى أخبرَكَ بها مِنْ فضِّها ، فنحُوا ، فقالَ: هَتُّكَ المروءةُ ، والمجاهرةُ بالخطيئةِ ، والأُتْبَالِي قبيحاً مِنْ حَسَنِ ، فقالَ أحمدُ بنُ الحارثِ: فقاتلَ اللهُ أبا نُواسٍ حيثُ يقولُ: (فَبُخْ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى ودعني مِنَ الكُنَى) ، وحيثُ يقولُ أيضاً: (جريتُ مع الصِّبَا طلقَ الجموحِ) .

وقوله^(١):

[من الكامل]

كَيْفَ النُّزُوعِ عَنِ الصِّبَا وَالْكَاسِ قَسْنُ ذَا لَنَا يَا عَاذِلِي بِقِيَّاسِ
وَإِذَا عَدَدْتُ سِنِّي كَمْ هِيَ لَمْ أَجِدْ لِلشَّيْبِ عُدْرًا فِي النُّزُولِ بِرَاسِي
قَالُوا شَمِطْتَ فَقُلْتُ مَا شَمِطْتُ يَدِي عَنِ أَنْ تَحُتَّ إِلَيَّ فَمِي بِالْكَاسِ
صَفْرَاءُ زَانَ رُوءَاهَا مَخْبُورَهَا فَلَهَا الْمُهْدَبُ مِنْ ثَنَاءِ الْحَاسِي

(١) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ١١٠ - ١١١) .

وَكَاَنَّ شَارِبَهَا لِفَرْطِ شَعَائِهَا
وَالذُّ مِنْ أَنْغَامِ خُلَّةِ عَاشِقِ
فَالرَّاحِ طَيِّبَةٌ وَلَيْسَ تَمَامُهَا
فَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ

وقوله^(١) :

بِاللَّيْلِ يَكْرَعُ فِي سَنَا مِقْبَاسِ
نَالَتْهُ بَعْدَ تَعَصُّبِ وَشِمَاسِ
إِلَّا بِطِيبِ خَلَائِقِ الْجُلَاسِ
لِلَّهِ ذَاكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ

[من المديد]

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمِ
فَأَسْقِنِي الْبِكْرَ الَّتِي أُخْتَمَرْتُ
ثُمَّتْ أَنْصَاتِ الشَّبَابِ لَهَا
فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي نَزَلَتْ
عُتِقَتْ حَتَّى لَوْ اتَّصَلَتْ
لَاخْتَبَتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً
قَرَعَتْهَا بِالْمِرْجِ يَدُ
فِي نَدَامَى سَادَةِ زُهْرٍ
فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ
فَعَلَّتْ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجَتْ
فَأَهْتَدَى سَارِي الظَّلَامِ بِهَا
قوله : (اختمرت بخمار الشيب) قيل : أراد صفتها وهي في دنها ؛ حيث

نِمْتُ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَنْمِ
بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ
بَعْدَمَا جَازَتْ مَدَى الْهَرَمِ
وَهِيَ تَرْبُ الدَّهْرِ فِي الْقَدَمِ
بِلِسَانِ نَاطِقِي وَفَمِ
ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمَمِ
خُلِقَتْ لِلسَّيْفِ وَالْقَلَمِ
أَخَذُوا اللَّذَاتِ مِنْ أُمَّمِ
كَتَمَشِي الْبُرْءِ فِي السَّقَمِ
مِثْلَ فِعْلِ الصُّبْحِ فِي الظُّلَمِ
كَاهْتِدَاءِ السَّفْرِ بِالْعَلَمِ
قوله : (اختمرت بخمار الشيب) قيل : أراد صفتها وهي في دنها ؛ حيث

(١) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ١٤٢ - ١٤٣) .

يعلوها شيءٌ كالعنكبوتِ ، وقيلَ : أرادَ صفتَها في ابتداءِ أمرِها حيثُ كانتُ في العنبِ ؛ فإنَّهُ أوَّلُ ما يظهرُ يكونُ عليه غطاءً أبيضُ ، وهذا كلامٌ مَنْ يرفعُ أبا نُواسٍ عن تناولِ المعاني القريبةِ .

وقولُهُ : (أنصت) أي : أجب ؛ مِنْ الصَّوتِ ، فهوَ مثلُ : دعاهُ فاندعَى .

وقولُهُ : (لو اتَّصَلتْ بلسانٍ) أي : لو كانتُ شخصاً يتكلَّمُ . . لمُثَلَّتْ محببةً في القومِ تُحدِّثُهُم بأخبارِ القرونِ الأولى .

وقولُهُ : (فتمشَّت في مفاصلِهِم) أخذَ هذا المعنى مِنْ قولِ عربيٍّ يَصِفُ صائداً^(١) :
[من المديد]

فَتَمَشَّى لَا يُحَسِّنُ بِهِ كَتَمَشَّى النَّارِ فِي الضَّرَمِ

قالَ أبو نُواسٍ : كنتُ قلتُ : (كتَمَشَّى النارِ في الفحمِ) فقالَ لي رحمهُ بنُ نجاحٍ : لو قلتُ : (كتَمَشَّى البرءِ في السَّقَمِ) ، فعدلتُ إليه ، وانتقادُ مَنْ انتقدَهُ بأنَّهُ أحالَ ؛ حيثُ جعلَ عَرَضاً يَتَمَشَّى في عَرَضٍ . . مِنْ التَّدِيقَاتِ الباردةِ التي لا تحتملُها الصِّناعةُ الشعريَّةُ .

قالَ الجاحظُ : لَمَّا سَمِعَ أبو شعيبِ القلالُ هذا البيتَ . . قالَ : ما أَصْفَى هذا البيتَ !! ولو نُقِرَ . . لَطَنَّ^(٢) ، فتكلَّمَ مِنْ جهةِ صناعتِهِ .

وهذا البابُ مِنْ شعرِ أبي نُواسٍ يَشتمِلُ على ثلاثِ مئةِ قصيدةٍ ومقطوعةٍ ، وجميعُ شعرِهِ الذي استقصى جمعهُ حمزةُ بنُ الحسنِ الأصبهانيُّ يبلغُ ألفاً وخمسةً مئةً قصيدةٍ ومقطوعةٍ ، تشتمِلُ على ثلاثةَ عشرَ ألفَ بيتٍ .



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٨٦/١ - ٨٧) ، ونسبه لبعض الهذليين .

(٢) انظر « المثل السائر » (١١٤/٢ - ١١٥) .

(١)

[قصيدة لمسلم بن الوليد في مدح ابن المهلب مع شرحها]

ومن شعر مسلم بن الوليد - وسأنقله مشروحاً كما وجدته ؛ لتمام الفائدة .
يُحكى : أن مسلماً أرسل هذه القصيدة للممدوح ، فلما وافى الرسول ..
ادعى أنها من شعره ، وكان الممدوح حين ابتداء الرسول يُنشد مضطجعاً ،
فاعتدل إجلالاً لِمَا سَمِعَ ، وعرف من فحوى الكلام أنه شعر مسلم ، فقال
لِلرَسُولِ المُدَّعِي : أَجَلْتُكَ سَنَةً لَتَعْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، فاعترف أنها شعر
مسلم ، فقال الممدوح : إِنَّكَ حِينَ أَنْشَدْتَ مَطْلَعَهَا .. رَأَيْتُ كَأَنَّ مُسْلِمًا هُوَ
الْقَائِمُ يُنْشِدُنِي .

وكذلك متى كان الإنسان ذا دُربةٍ وتمامِ خبرةٍ بشعرِ شاعرٍ .. عرف
ما لم يسمعه من شعره بما عرفه منه ؛ لأنَّ لكلِّ شاعرٍ فِي الكَلامِ مذهباً
يَخُصُّهُ ، وطريقةً لا يتعدَّها - ومدحَ بها داوودَ بنَ يزيدَ بنِ حاتمِ بنِ خالدِ بنِ
المُهَلَّبِ (٢) :

لَا تَدْعُ بِي الشُّوقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ نَهَى أَلْتَهَى عَن هَوَى أَلْهِيفِ الرَّعَادِيدِ
قوله : (لا تدع بي الشوق) أي : لا تدعني مشتاقاً ، ولا تقل : إن بي
شوقاً إلى أحدٍ ، غيرُ معمودٍ ؛ أي : غيرُ عاشقٍ ، والمعمودُ : المقروحُ القلبِ ،
وأصلُهُ : أن يصيبَ البعيرَ داءً في سنامِهِ ، فيهيحُ عليه ، حتى ربَّما أخرجتْ
منهُ العظامُ ، فاستُعيرَ ذلكُ للقلبِ ، والهِيفُ : الضَّامراتُ البطونِ ، والرَّعَادِيدُ :
المرتجآتُ الأكفالِ ، والرَّعِيدُ في غيرِ هذا : هو الجبانُ .

لَوْ شِئْتُ لَا شِئْتُ رَاجِعْتُ الصَّبَا وَمَشْتُ فِي الْعُيُونِ وَفَاتَنِي بِمَجْلُودٍ

(١) والشاعر مسلم بن الوليد مشهور باسم (صريع الغواني) .

(٢) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١٥١ - ١٧١) وفيه الشرح المنقول .

يقولُ : لو شئتُ - لا جعلني اللهُ أشاءُ ذلكَ - . . راجعتُ الصِّبا ، ومشتُ
فِي العيونِ - أي : عيونَ النساءِ - لعشقينَ [لي] ، وفاتتني بمجلودٍ ؛ أي :
ذهبتُ بجلدي ؛ يريدُ أَنَّهُ كانَ يصبو إليهنَّ أيضاً .

سَلْ لَيْلَةَ الْخَيْفِ هَلْ أَمْضَيْتُ آخِرَهَا بِالرَّاحِ تَحْتَ نَسِيمِ الْخُرْدِ الْغَيْدِ
يقولُ : إِنَّهُ شَرِبَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهَا مَعَ الْغَيْدِ ؛ وَهِيَ الْجَوَارِي
الطَّوَالُ الْأَعْنَاقِ ، النَّاعِمَاتُ ، يُسْتَمُّ رَائِحَتَهُنَّ ، وَالْخَيْفُ : أَسْفَلُ الْجَبَلِ مِمَّا
يَلِي الْوَادِي ، وَأَمْضَيْتُ الشَّيْءَ : إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْهِ بِالتَّنْفِيدِ .

شَجَّجْتُهَا بِلُعَابِ الْمُزْنِ فَأَغْتَرَلْتُ نَسَجِينَ مِنْ بَيْنِ مَحْلُولٍ وَمَعْقُودٍ
يقولُ : شَجَّجْتُهَا - يعني : الخمرَ - أي : مزجتها ، فَاغْتَرَلْتُ ؛ أَي :
اخْتَلَطْتُ نَسَجِينَ : أَحَدُهُمَا : مَحْلُولٌ ، وَالْآخَرُ : مَعْقُودٌ ؛ يَرِيدُ : أَنَّ مَا وَلِي
الْمَاءَ مِنَ الْخَمْرِ فِي الْكَأْسِ أَسْرَعَ فِيهِ الْمَاءُ فَحَلَّهُ ، وَمَا وَلِي مِنْهَا الْقَاعُ
بَقِيَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَحُلَّهُ الْمَاءُ بَعْدُ ، قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يَصِفُ خَمْرًا مُزِجَتْ فِي
كَأْسٍ (١) :

حَمْرَاءُ صَفْرَاءُ التَّرَائِبِ رَأْسُهَا فِيهِ لِمَا نَسَجَ الْمِرْزَاجُ قَتِيرُ
يَرِيدُ أَنَّ لَوْنَهَا حَمْرَاءُ وَصَفْرَاءُ التَّرَائِبِ ؛ يَرِيدُ : قَدْ اصْفَرَّ أَعْلَاهَا الَّذِي
سَبَقَ ، وَالْقَتِيرُ : الْحَبَابُ ، وَأَصْلُهُ : الشَّيْبُ .

كِلَا الْجَدِيدَيْنِ قَدْ أَطْعَمْتُ حَبْرَتَهُ لَوْ آلَ حَيٍّ إِلَى عُمَرٍ وَتَخْلِيدِ
الْجَدِيدَيْنِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَالْحَبْرَةُ : النِّعِيمُ .
وقولُهُ : (لَوْ آلَ حَيٍّ) أَي : لَوْ صَارَ حَيٍّ بَاقِيًا .

أَهْلًا بِوَأْفِدَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةً وَإِنْ تَرَاءَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ

(١) انظر «ديوان أبي نواس» (ص ٩٨) .

أهلاً بوافدة ؛ أي : قادمة للشيبِ واحدةٍ تراءتْ ؛ أي : اعترضتْ ، غيرِ
مودودٍ ؛ أي : غيرِ محبوبٍ .

لَا أَجْمَعُ الْحِلْمَ وَالصَّهْبَاءَ قَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنِ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
يقولُ : لا أجمعُ التَّكْهُلَ وشربِ الخمرِ ، قد سَكَنْتُ نفسي إلى الماءِ ،
واستغنيتُ به عنِ الخمرِ ؛ أي : لا أشربُها .

لَمْ يَنْهَنِي فَنَدُّ عَنْهَا وَلَا كِبَرُ لَكِنْ صَحَوْتُ وَعُصْنِي غَيْرُ مَخْضُودِ
الْفَنَدُ : اللومُ ، وَعُصْنِي ؛ أي : شبابي ، والمخضودُ : [الواهنُ]^(١) .

أَوْفَى بِي الْحِلْمُ وَأَقْتَادَ النَّهْيَ طَلَقًا شَأْوِي وَعَفْتُ الصِّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدِ
يقولُ : أوفى بِي الحِلْمُ ؛ أي : وافقني ، واقتادَ العقلَ طَلَقًا شَأْوِي ، وعفتُ
الصِّبَا ؛ أي : تركتُ الصِّبَا ، مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدِ ؛ أي : مِنْ غَيْرِ تعذيلٍ ولا لومٍ ،
وأصلُ (وافقني) : لاءِ مني ، وطلقًا : مُعَدَّى إِلَيْهِ الفِعْلُ .

إِذَا تَجَافَتْ بِي الْهَمَّاتُ مِنْ بَلَدٍ نَازَعْتُ أَرْضًا وَلَمْ أَحْفِلْ بِتَمْهِيدِ
يقولُ : إذا تجافَتْ بِي الهَمَّاتُ عن بلدٍ . . نازعتُ بلدًا آخَرَ غَيْرَهُ ولم أبالِ
بتمهيدٍ ؛ أي : بإقامةٍ ، ونازعتُ ؛ أي : قصدتُ .

لَا تَطْبِينِي الْمُنَى عَنْ جَهْدِ مُطَلَبٍ وَلَا أَحْوَلُ لِشَيْءٍ غَيْرِ مَوْجُودِ
يقولُ : لا تطبيني المنى ؛ أي : لا تدعوني إلى أنفسها مِنْ جَهْدِ مُطَلَبٍ ،
وقولُهُ : (لا أحولُ لشيءٍ غيرِ موجودٍ) أي : لا أطلبُ مِنَ الْأُمُورِ غَيْرَ الْمُمْكِنِ
الوجودِ .

وَمَجْهَلٍ كَأَطْرَادِ السَّيْفِ مُحْتَجِزٍ عَنِ الْأَدْلَاءِ مَسْجُورِ الصِّيَاخِيدِ

(١) في الأصل : (الواهب) .

يقول: وربّ مجهلٍ كاطرادِ السيفِ ؛ أي : كتتابعِ السيفِ في الحِدَّةِ ،
مُحتَجِزٍ عنِ الأدلّاءِ مسجورِ الصّياخيدِ مِنَ الحُرورِ ، والمَجْهُلُ : القفْرُ الذي لا
يُهدى به .

تَمْشِي الرِّيحُ بِهِ حَسْرَى مُوْلَهَةً حَيْرَى تَلُوذُ بِأَكْنافِ الْجَلَامِيدِ
يقول: أي : تمشي الرياحُ فيه حسرى ؛ أي : كالةً ، مُولَهَةٌ ؛ أي : حزينَةٌ ،
تَلُوذُ بِأَكْنافِ الْجَلَامِيدِ ؛ يريدُ : أن ليسَ فيه شجرٌ ، وإنّما تجري الرياحُ على
الحجارةِ فلا تجدُ غيرَها ، والأَكْنافُ : النواحي ، واحداً : كنفٌ .

مُفَوِّفِ الْمَتْنِ لَا [تَمْضِي] السَّبِيلُ بِهِ إِلَّا التَّخَلُّلَ رَيْثاً بَعْدَ تَجْهِيدِ
يقول: إنّ ذلكَ المَجْهُلَ مُفَوِّفِ الْمَتْنِ ؛ أي : مُخَطَّطٌ ، أَخْذاً مِنَ التَّفْوِيفِ
في القوائِمِ ؛ وهو التَّخْطِيطُ ، وذلكَ أنّ الأَرْضَ الرديئةَ فيها ضُروبٌ مِنَ الألوانِ .
وقولُه : (لا تَمْضِي السَّبِيلُ بِهِ) أي : لا تَقْطَعُ السَّبِيلُ بِهَا إِلَّا التَّخَلُّلَ ؛ وهو
الاندخَالُ في الأشياءِ المتضايقةِ ، رَيْثاً بَعْدَ تَجْهِيدِ ؛ أي : إبطاءً بعدَ جهْدِ ،
والجهدُ : التعبُ .

قَرَيْتُهُ أَلُوخَدَ مِنْ خَطَّارَةِ سُرْحٍ تَفْرِي أَلْفَلَاةَ بِإِرْقَالٍ وَتَوَخِيدِ
يقالُ : قَرَيْتُهُ الوَخْدَ ؛ أي : هَذَا الضَّرْبَ مِنَ السَّيْرِ ؛ أي : مِنْ نَاقَةٍ مُحَرِّكَةٍ
لذَئِبِهَا ، سُرْحٍ : خَفِيفَةٍ ، وَالْإِرْقَالُ وَالتَّوْخِيدُ : ضَرْبانِ مِنَ السَّيْرِ .

إِلَيْكَ [بَادَرْتُ] إِسْفَارَ الصَّبَاحِ بِهَا مِنْ جُنْحٍ لَيْلٍ رَحِيبِ الْبَاعِ مَمْدُودِ
يقولُ : إِلَيْكَ [بَادَرْتُ] ؛ أي : سَابَقْتُ إِسْفَارَ الصَّبَاحِ ؛ أي : [انبلاجِ]
الصَّبَاحِ مِنْ جُنْحٍ ؛ أي : مِنْ ظِلَامِ لَيْلٍ ، رَحِيبِ الْبَاعِ ؛ أي : وَاسِعِ الْبَاعِ ،
مَمْدُودِ ؛ أي : مُطَوَّلٍ ؛ أي : أَتَيْتُكَ قَبْلَ الصُّبْحِ .

وَبَلَدَةَ ذَاتِ غَوْلٍ لَا سَبِيلَ بِهَا إِلَّا الظُّنُونُ وَإِلَّا مَسْرَحُ السَّيِّدِ

يقول : ورُبَّ بلدةٍ بعيدةٍ ، لا طريقَ بها إلاَّ الظُّنونُ ؛ أي : تُظنُّ طريقاً ، وإلاَّ مسرُحُ السِّيدِ ؛ أي : وإلاَّ حيثُ يسرُحُ الذئبُ .

كَأَنَّ أَعْلَامَهَا وَأَلَالَ يَزْكُبُهَا بُذُنٌ تَوَافَى بِهَا نَذْرٌ إِلَى عِيدِ
الأعلامُ : الجبالُ ؛ يقولُ : كأنَّ جبالَ تلكَ الفلاةِ والألَّ يركبُها . . نُوقٌ بدنُ
تَوَافَى بها نذرٌ إلى عِيدٍ ؛ أي : جلبها نذرٌ إلى النحرِ بمكةَ يومَ العِيدِ ، كأنَّ
رجلاً نذرَ أن ينحرَ نُوقاً بمكةَ ، فقدمها لذلكَ ، وقد ألقى عليها الملاحفَ ،
فشبهَ صريعُ الجبالِ وقد التحفتُ في الألِّ الأبيضِ بها .

كَلَّفْتُ أَهْوَالَهَا عَيْنًا مُؤَزَّرَةً إِلَيْكَ لَوْلَاكَ لَمْ تُكْحَلْ بِتَشْهِيدِ
يقولُ : كلَّفتُ تلكَ الفلاةَ عيني فسهرتُ ، ولولاك أنتَ لم تسهرَ ، الأرقُ :
السَّهْرُ .

حَتَّى أَتَيْتُكَ بِبِي الْأَمَالِ مُطَّلِعاً لِلْيُسْرِ عِنْدَكَ فِي سِرْبَالِ مَحْسُودِ
يقولُ : حتى بلَّغتنِي إليك الأمالَ مُطَّلِعاً لليسرِ في سربالِ محسودٍ ؛ أي :
لما قصدتُك . . حسدني الناسُ ؛ لعلمهم بأنك تغنيني .

مِنْ بَعْدِ مَا أَلَقْتَ الْأَيَّامُ لِي عَرَضاً مُلْقَى رَهِينٍ لِحَدِّ السَّيْفِ مَصْفُودِ
لي عرضاً ؛ أي : جانباً ، مُلْقَى رهينٍ ؛ أي : أسيرٍ قد حُبِسَ للقتلِ ، مُقَدِّمِ
لحدِّ السيفِ مصفودٍ ؛ أي : موثقٍ بالحديدِ ، وإنَّما يصفُ نفسه أَنَّهُ بقِيَ مِنْ
إضرارِ الدَّهرِ بهِ في مثلِ حالِ الأسيرِ المُقَدِّمِ للسيفِ .

وَسَاوَرْتَنِي بِنَاتِ الدَّهْرِ فَاْمْتَحَنْتَ رَبِّعِي بِمُجْحَلَةٍ شَهْبَاءِ جَارُودِ
يقولُ : ساورتني بناتُ الدَّهرِ ؛ أي : واثبتني ، فامتحننتُ ربَّعي ؛ أي :
منزلي ، بسنةٍ مُجْحَلَةٍ ؛ أي : ذاتِ محلٍ وانجرادٍ مِنَ النباتِ .

إِلَى بَنِي حَاتِمٍ أَدَّى رَكَائِبَنَا خَوْضُ الدَّجَى وَسُرَى الْمُهْرِيَّةِ أَلْقُودِ

يقول: إلى بني حاتم بلغ ركائبنا خوض الدجى؛ أي: قطع الليل،
وسرى المهرية القود؛ السرى وخوض الدجى: واحد، ولكنه كرز اللفظ
لاختلافه، والمهرية: منسوبة إلى مهرة؛ وهو حي من همدان، والقود:
جمع قوداء.

تطوي النهار فإن ليل تخمطها باتت تخمط هامات القرديد
يقول: تطوي النهار بالسير؛ أي: تقطع، فإن ليل صال عليها.. صالت
على هامات القرديد؛ وهي جمع قرد؛ وهو المرتفع من الجبال، وأصل
التخمط: تعزم البعير الفحل وتصعبه؛ يريد: إذا اشتد عليها سير الليل..
لم تبال به مع ما قد مضى عليها من طول السفر.

مثل السمام بعيدات المقال إذا ألقى الهجير يدا في كل صيخود
يقول: إن النوق مثل السمام في السرعة إذا اشتد عليها الهجير وهيج
كل صيخود، والصيخود: شدة الحر، والسمام: طائر يشبه القطا، بعيدات
المقيل؛ أي: لا تقيل هذه النوق.

حلت بداوود فامتاحت وأعجلها حدو النعال على أين وتخريد
يقول: حلت هذه النوق بداوود؛ أي: نزلت به، فامتاحت عطاياه؛ أي:
أخذت، والامتياح: استسقاء الماء من البئر بالأحفان، فشبه أخذ أحفان
المال من داوود بأخذ الماتح الماء بأحفانه، وأعجلها حدو النعال؛ أي: لما
أخذوا المال منه.. استعدوا إبلهم للرجوع وهي لم تسترخ من الكلال، وصفه
بسرعة العطاء عند حلولهم به من غير مطل، والأين: الفترة، والتخريد: من
الحدرد؛ وهو داء يصيب الإبل في قوائمها.

أعطى فأفنى المنى أدنى عطيته وأزهق الوعد نجحاً غير منكود
يقول: أعطى داوود فأفنى المنى؛ منى الذين قصدوه، أدنى عطيته؛

أي : أقل عطاياهُ كانَ أعظمَ مِنْ كُلِّ ما انتهى إليه أملُهُم ، وأرهقَ الوعدَ ؛
أي : أتبعَ الوعدَ بالفعلِ مِنْ ساعتهِ مِنْ غيرِ ضيقٍ ، والنُّجْحُ : انقضاءُ المطلبِ
أو إدراكُهُ .

وَاللَّهُ أَظْفَأَ نَارَ الْحَرْبِ إِذْ سَعِرَتْ شَرْقاً بِمُوقِدِهَا فِي الْغَرْبِ دَاوُودُ

يقولُ : اللهُ أَظْفَأَ نَارَ الْحَرْبِ فِي الشَّرْقِ بِدَاوُودَ الَّذِي أَوْقَدَهَا فِي الْغَرْبِ
عَلَى أَهْلِ الْعَصِيانِ ؛ يَرِيدُ : لَمَّا رَأَى أَهْلَ الشَّرْقِ مَا فَعَلَ دَاوُودُ بِأَهْلِ الْغَرْبِ
مِنَ النِّكَايَةِ . . اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّاعَةِ .

لَمْ يَأْتِ أَمْرًا وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى حَدَثٍ إِلَّا أُعِينَ بِتَوْفِيقٍ وَتَسْهِيدٍ

يقولُ : لَمْ يَأْتِ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ وَلَا حَدَثًا يُحْدِثُهُ . . إِلَّا أَعَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
عَلَيْهِ ، وَالتَّوْفِيقُ : التَّقْوِيمُ لِلخَيْرِ ، وَالتَّسْهِيدُ : أَنْ يَدُلَّ بِهِ إِلَى الصَّوَابِ .

مُوَحَّدُ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ

مُوَحَّدُ الرَّأْيِ ؛ أَي : رَأْيُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ
الْحَسَنُ (١) :

وَلَمْ تَكُ نَفْسُهُ نَفْسَيْنِ فِيهِ فَيَفْصِلَ بَيْنَ رَأْيَيْهِ مُشِيرٌ

يَرِيدُ : أَنَّهُ إِذَا دَبَّرَ أَمْرًا . . انْكَشَفَ لَهُ عَنِ الْيَقِينِ ، الْمُلْتَبِسُ : الْمُتَشَابَهُ .

تُمنَى الْأُمُورُ لَهُ مِنْ نَحْوِ أَوْجُهِهَا وَإِنْ سَلَكَنَّ سَبِيلًا غَيْرَ مَوْزُودِ

تُمنَى الْأُمُورُ لَهُ ؛ أَي : تُبَسَّرُ مِنْ طَرِيقِ صَوَابِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا وَإِنْ سَلَكَنَّ
سَبِيلًا غَيْرَ مَعْمُورٍ ، وَالسَّبِيلُ : الطَّرِيقُ ؛ يَرِيدُ : أَنَّهُ مَبْخُوتٌ ، فَكَيْفَمَا تَوَلَّى
الْأُمُورَ . . هَيَّأَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ .

إِذَا أَبَاحَتْ حِمَى قَوْمٍ عُقُوبَتُهُ غَادَى لَهُ الْعَفْوُ قَوْمًا بِالْمَرَاصِيدِ

(١) أراد أبا نواس في «ديوانه» (ص ٢٩٤) .

يقول: إذا أوقع بقوم عقوبته، فأباح حماهم للغارة.. غادئ له العفو
قوماً بالمراسيد؛ يريد: كأن العفو كان لهم مرتصداً، فأسقط ذنبهم؛
يقول: إذا قتل قوماً استحقوا القتل.. عفا عن آخرين استحقوا القتل بعد
أن قد قَدَّر عليهم؛ أي: يقدر على العفو والعقوبة، وأنه يأخذهما على ما
أرادَهُ بهم.

كَاللَّيْثِ بَلْ مِثْلُهُ اللَّيْثُ الْهَظُورُ إِذَا غَنَى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ
يقول: هو كالليث في النجدة، والليث مثله إذا اشتدت الحرب وطنت
السيوف للمضاربة، والهضور: البثور.

يَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتِهَا كَالسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلْمُوداً بِجُلْمُودِ
يقول: يلقي الحرب في مثل عدتها، فيدفع المنايا بالمنايا، كما يدفع
السيل جلموداً بجلمود آخر ينطحه فيزيله به.

إِنْ قَصَرَ الرُّمْحُ لَمْ يَمْشِ الْخُطَا عَدَاً أَوْ عَرَدَ السَّيْفُ لَمْ يَهْمُمْ بِتَغْرِيدِ
يقول: إن قصر الرمح عن إدراك من أراد يطعنه به.. لم يمش الخطأ
تباطؤاً كمثل من يعدُّ خطاه، بل يسرع هو عند ذلك، ولم يهْمُ بتغريد
أي: إن نبا السيف عن الذي ضرب به؛ يريد: أنه ماضٍ مُتَقَدِّمٌ إلى صاحبه
وإن قصّر رمحه.. مدهُ بباعه، عرَدَ السيف: إذا لم يقطع.

إِذَا [رَعَى] بَلَدًا دَانَى مَنَاهِلَهُ وَإِنْ بُنِينَ عَلَى شَحْطٍ وَتَبَعِيدِ
يقول: إذا أحرز بلداً.. أمتنه، فتقاربت مناهله؛ وهي منازل الرفاق على
الماء؛ يريد: أن الرفاق تنزل حيث شاءت في القفار، لا تخاف شيئاً، وفي
الخوف لا تنزل وإن كانت المناهل بُنِينَ على شحط؛ وهو البعد.

جَرَى فَأَذْرَكَ لَمْ يَعْنِفْ بِمُهْلَتِهِ وَأَسْتَوْدَعَ الْبُهْرَ أَنْفَاسَ الْمَجَاوِدِ

يقولُ : جرى هذا الرجلُ في المجدِ ولم يعنفِ بمهلتِهِ ؛ أي : ولم يسرفِ
على نفسهِ بالتعبِ في الجريِ ، وقد تقدّمَ غيرهُ ، وهذا مثلُ ضربتهُ ؛ يريدُ :
أنّه تقدّمَ الرجالَ في المجدِ بغيرِ جهدٍ ، وهم قد اجتهدوا جهدهمُ ، فكيفَ إذا
اجتهدَ هو جهدهُ كلّه ، والبُهرُ : الكللُ .

وقولهُ : (استودعَ البهرَ) أي : أنزلهُ بهم ، والأنفاسُ : الإطلاقُ مِنَ الجريِ ،
واحدها : نفسٌ ، والمجاويدُ : السّراعُ مِنَ الخيلِ ، واحدها : مجوّدٌ .

أَلْ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ لَا يَزَالُ لَهُمْ رِقُّ الصَّرِيحِ وَأَسْلَابُ الْمَذَاوِيدِ
رِقُّ الصَّرِيحِ : استعبادُ الحرِّ بإسداءِ النعمِ وتقديمِ الأيادي الحسانِ إليهم ،
وأسلابُ المذاويدِ : الحربُ ؛ يعني : الأنجادَ ، واحدهمُ : مذودٌ .

مُظَفَّرُونَ تُصِيبُ الْحَرْبُ أَنْفُسَهُمْ إِذَا الْفِرَارُ تَمَطَّى بِالْمَحَايِيدِ
يقولُ : أولئك القومُ منصورونٌ ، ومع ذلكَ تصيبُ الحربُ أنفسهمُ إذا
الفرارُ تمطّى بالمحاييدِ ، والمحاييدُ : الجُبْناءُ ، واحدهمُ : محيأٌ ؛ يريدُ :
أنهم يقفون حتى يُقتلوا إذا هربَ غيرُهُم .

نَجْلٌ مَنَاجِيْبٌ لَمْ يَعْدَمْ تِلَادُهُمْ فَتَى يُرَجِّى إِلَى نَقْضٍ وَتَوَكِيدِ
يقولُ : هم نجلٌ مناجيبٌ ؛ أي : ذريةٌ مناجيبٌ ؛ يريدُ : أن بيتَهُم بيتُ
نجابةٍ ، لم يخلُ قطُّ منْ أشرافٍ ينقضونَ مِنَ الأمورِ ما أحبُّوا ، ويعقدونَ منها
ما أحبُّوا ، والنجلُ : الذريةُ ، قالَ زهيرٌ^(١) : (وكلُّ فحلٍ له نجلٌ) أي : كلُّ
فحلٍ يشبههُ نسلُهُ ؛ أي : يخرجُ الولدُ عتيقاً كأبيه ، وتلادُهُمُ : أصلُهُم القديمُ .

قَوْمٌ إِذَا هَدَاةٌ شَامَتْ سِيُوفَهُمْ فَإِنَّهَا عَقْلُ الْكُومِ الْمَقَاحِيدِ

(١) قطعة من عجز بيت من الطويل في « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٨٦) ، والبيت بتمامه :

إِلَى مَعَشِرٍ لَمْ يُورِثِ الْلُؤْمَ جَدُّهُمْ أَصَاغِرُهُمْ وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلٌ

الهدأة: الفترة؛ يقول: أولئك قومٌ إذا كانت صلحٌ وهدنةٌ.. شامتٌ
 سيوفُهُم؛ أي: أعمدتها؛ فإنهم يعربون بها الإبل لأضيافهم؛ يريد: أنهم
 يقاتلون بها في الحرب، وإذا كان في الصلح.. كان شغلهم إطعام الأضياف؛
 يُقال: شمتُ السيف؛ إذا أعمدته، وشمته؛ إذا سللته، هو من الأضداد،
 والعقل: جمع عقال؛ وهو جبل يعقل به البعير، فشبه السيوف بها، والكوم:
 الغلاظ الأسمية، والمقاحيد كذلك، واحدا: مقحاذٌ.

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُودُ إِذْ عَلِقْتُ أَيَدِي الرَّدِّي بِنَوَاصِي الضُّمَّرِ الْقُودِ
 الضُّمَّرُ: جمع ضمير، والقود: جمع أقود؛ يريد: الخيل؛ يقول: نفسي
 فداؤك في الحرب إذا اشتدَّ القتل في الناس؛ أي: نفسي فداؤك في ذلك
 الوقت؛ أي: ما أشجعك حينئذ!!

دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كَرْمَانَ وَأَنْتَصَفْتَ بِكَ الْمَنُونُ لِأَقْوَامِ مَجَاهِدِ
 يقول: داويت من دائها كرمَانَ؛ وهي بلدٌ نافق أهلها على أمير المؤمنين،
 فقتلهم حتى رجع من بقي منهم إلى الطاعة.

وقوله: (انتصفت بك المنون) أي: انتصفت بك المنية من الأشرار لهؤلاء
 الضعفاء الذين قد بلغهم الجهد؛ لتضييق الأشرار عليهم، والمجهود: الذي
 بلغه الجهد، والجهد: سوء الحال.

مَلَأَتْهَا فَرْعًا أَخْلَى مَعَاقِلَهَا مِنْ كُلِّ أْبْلَحِ سَامِي الطَّرْفِ صِنْدِيدِ
 يقول: كرمَانَ ملأتها خوفاً من فعلك بهم، أخلى ذلك الخوف معاقلها؛
 وهي الجبال، من كلِّ أبلح؛ وهو المتكبر، سامي الطرف؛ أي: مرتفع
 الطرف من العز، صنديد: سيد.

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَدْنَى بِلَادِهِمْ أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ

لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ لِلْعَفْوِ مُتَّصِلٍ بِهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلَيْنٍ وَتَشْدِيدٍ

المقاليد: المفاتيح، وإنما ضربته مثلاً؛ يقول: لما نزلت بأول بلدهم ..
تبراً إليك أقصاهم بما بيده من الملك .

وقوله: (لمستهم بيد) أي: عفوت عنهم وقد اتصل بهم الردى .

أَتَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ مُطَّلِعاً بِالْخَيْلِ تَزْدَى بِأَبْطَالٍ مَنَاجِيدٍ

يقول: جئتهم من وراء الأمن؛ أي: دخلت عليهم في بلد لم يظنوا أن
يدخله أحد من المسلمين لقتالهم، مُطَّلِعاً: ظاهراً، والخيل تردى؛ أي:
تجري بأبطال مناجيد؛ أي: أعزاء .

وَطَارَ فِي إِثْرِ مَنْ طَارَ الْفِرَارُ بِهِ خَوْفٌ يُعَارِضُهُ فِي كُلِّ أُخْدُودٍ

في كلِّ أخدود؛ يريد: في كلِّ طريق، والأخدود: الخدش في الأرض
كالخدقِ صَغُرَ أم كَبُرَ؛ يقول: وطار في إثر من طار؛ أي: أسرع في إثر من
أسرع في الهرب؛ يريد: أن الخوف لا يفارقه .

فَاتُوا الرَّدَى وَظَبَاةَ الْمَوْتِ تَنْشُدُهُمْ وَأَنْتَ نَضْبُ الْمَنَايَا غَيْرُ مَنْشُودٍ

يقول: أفلتوا من الموت وظبابة الموت تَنشُدُهُمْ؛ أي: تطلبهم، وأنت
منصوبٌ للمنايا لا تستتر عنها، غير منشود: غير مطلوب .

وَلَوْ تَلَبَّتْ دَيَّانٌ لَهَا رَوِيَتْ مِنْهُ وَلَكِنْ شَاهَا عَدُوٌّ مَزْرُودٌ

يقول: لو تلبت هذا الرجل .. رويت تلك الظبابة من دمه،
ولكن شأها؛ أي: سبقها بالهروب، فنجى منها وهو مزروود؛ أي:
مرعوب .

أَحْرَزَهُ أَجَلٌ مَا كَادَ يُحْرِزُهُ فَمَرَّ يَطْوِي عَلَى أَحْشَاءِ مَفْزُودٍ

يقول: أحرز دياناً أجله ولم يكذ يحرزه من الموت، فهرب وهو يستر

أَحْشَاءَ مَفْؤُودٍ ، وَالْمَفْؤُودُ : الَّذِي أُصِيبَ فِؤَادُهُ ؛ يُقَالُ : فَأَدْتُ الرَّجُلَ ؛ إِذَا
أَصَبْتُ فِؤَادَهُ ؛ فَهوَ مَفْؤُودٌ .

وَرَأْسُ مِهْرَانَ قَدْ رَكَبْتَ قُلَّتَهُ لَدْنَا كَفَاهُ مَكَانَ أَلَيْتِ وَالْجِيدِ
يقولُ : وقد جعلتَ رأسَ هذا الرجلِ في قنَاةٍ قَامَتْ لَهُ مَقَامَ العنقِ ، وَالْقَلَّةُ :
أعلى الرأسِ ، وَاللَيْتُ : [صَفْحَةٌ] العنقِ ، وَالجَمْعُ : أَلْيَاتٌ .

قَدْ كَانَ فِي مَعزِلٍ حَتَّى بَعَثْتُ لَهُ أُمَّ الْمَنِيَّةِ فِي أَبْنَائِهَا الصَّيْدِ
يقولُ : قد كَانَ هذا الرجلُ في معزِلٍ عن الهلاكِ ، حَتَّى بَعَثْتُ لَهُ المنيَّةَ في
الفرسانِ الصَّيْدِ ؛ وَهُمْ الْأَشْرَافُ ، وَقَالَ : (أُمَّ) على الاستعارة ، وَإِنَّمَا أُخِذَ
مِنَ الصَّيْدِ ؛ وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فِي أَعْنَاقِهَا فترفعُ رؤوسَهَا .

أَجْنٌ أَمْ أَسْلَمْتَهُ الْفَاضِحَاتُ إِلَى حَدِّ مِنَ السَّيْفِ مَنْ يَعْلَقُ بِهِ يُوْدُ
يقولُ : أَجْنٌ دِيَانٌ ؛ أَي : هل أَصَابَهُ الْجُنُونُ ؟! أَمْ أَسْلَمْتَهُ الْفَاضِحَاتُ ؛
وهي الْأَمَانِيُّ التي عَزَّتْهُ ، فَفَضَحَتْهُ حِينَ خَرَجَ إِلَيْكَ ، فَتَرَكَتُهُ إِلَى حَدِّ السَّيْفِ ،
وَمَنْ يَعْلَقُ بِهِ . . يُوْدُ ؛ أَي : يَهْلِكُ .

أَلْحَقَّتَهُ صَاحِبِيهِ فَاسْتَمَرَ بِهِمْ ضَرْبٌ يُفَرِّقُ ضَبَّاتِ الْقَمَاحِيدِ
يقولُ : فَعَلْتَ بَدِيَّانٍ مَا فَعَلْتَ بِصَاحِبِيهِ قَبْلَهُ ، فَاسْتَمَرَ بِهِمْ ضَرْبٌ مِنَ
السَّيْفِ يُفَرِّقُ الضَّبَّاتِ ؛ يَعْنِي : أَوْصَالَ الرَّأْسِ ، [وَالْقَمَاحِدُ : العَظْمُ النَّاتِيءُ
فِي مُؤَخَّرِ الرَّأْسِ بَيْنَ القِفَا وَأَعْلَى الرَّأْسِ] .

أَعْدَرَ مَنْ فَرَّ مِنْ حَرْبٍ صَبِرَتْ لَهَا يَوْمَ الْحُصَيْنِ شِعَارٌ غَيْرُ مَجْحُودِ
يقولُ : مَنْ فَرَّ مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِي صَبِرْتَ أَنْتَ فِيهِ . . جَاءَ بِمَا يُعْدَرُ
عَلَيْهِ ، وَالْحُصَيْنُ : رَجُلٌ بَرَزَ هَذَا الممدوحُ إِلَيْهِ فَأَهْزَمَهُ ، وَالشَّعَارُ : العَلَامَةُ
فِي الكَلَامِ الَّذِي يَتَعَارَفُ النَّاسُ بِهِ فِي القِتَالِ .

يَوْمَ اسْتَضَبَّتْ سَجِسْتَانُ طَوَائِفَهَا عَلَيْكَ مِنْ طَالِبٍ وَتَرَأَ وَمَحْقُودٍ

يقول: يوم استضبت سجستان طوائفها؛ أي: أغرت طوائفها؛ وهي الجماعات، أخذته من الضب؛ وهي العداوة، كأنهم قالوا: احموا بلدكم، واذكروا من قتل منكم، واحتموا لأنفسكم.

وقوله: (من طالب وترأ ومحقود) أي: بعضهم يطلب وترأ، وبعضهم يطلب حقداً، والوتر: الطلب بالدم، والحقد: العداوة.

ناهضتهم ذائد الإسلام تفرعهم عنه ثلاث ومثنى بالمواحيد
ناهضتهم؛ يعني: أهل سجستان، تدود عن الإسلام، فتلقى منهم ثلاثة رجال، ورجلين، وتفرعهم: تضربهم، والمواحيد: جمع موحدة.

تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
يقول: تجود بنفسك في الحرب؛ إذ أنت الضنين بها في السلم، والجود بالنفس أكثر من الجود بالمال.

تلك الأزارق إذ ضلّ الدليل بها لم يخطها ألقصد من أسياف داوود
يقول: تلك الأزارق إذ ضلّ الدليل بهم؛ الذي قادهم إلى الكفر. لم يخطها أسياف داوود إذ قصدت إليهم.

كان الحصين يرجي أن يفوز بها حتى أخذت عليه بالأخاديد
يقول: كان هذا الخارجي يطمع أن يفوز بها، حتى أخذت عليه بأفواه الطرق، فلم تدعه يقوى.

ما زال يعنف بالنعمة ويعمطها حتى استقلّ به عود على عود
يعمطها؛ أي: يكفرها، ويعنف؛ أي: يسرف ويجاوز الحق حتى صلبته. ووضعت حيث تزتأب الرياح به وتحسد الطير فيه أضبع البید

يقولُ : جعلتهُ في مكانٍ تبلغُ الطَّيْرُ ولا تبلغُهُ الضَّبُّعُ ، فتحسُدُ الطَّيْرَ .

تَعْدُو الضَّوَارِي فَتَرْمِيهِ بِأَعْيُنِهَا تَسْتَنْشِقُ الْجَوَّ أَنْفَاساً بِتَضَعِيدِ

يقولُ : تنظرُ إليه في الخشبِ السباعِ الضَّارِيَّةُ بأكلِ اللحمِ ، فترفعُ رؤوسها إليه فتستنشقُ رائحتهُ .

يَتَّبَعْنَ أَفْيَاءَهُ طَوْرًا وَمَوْقِعَهُ يَلْغَنَ فِي عَلَقِ مِنْهُ وَتَجْسِيدِ

يقولُ : تأتي هذه الضَّارِيَّةُ فتمشي حيثُ يمشي ظلُّهُ ، ويلعننَ ما سقطَ من صديدهِ ودمِهِ ، والجسدُ : الدمُ .

فَكَانَ فَارِطَ قَوْمٍ حَانَ مَكْرَعُهُمْ بِأَرْضِ [زَادَانَ] شَتَّى فِي الْمَوَارِيدِ

الفارطُ : المُتقدِّمُ القومِ إلى الماءِ ليطلعَ أكثرُ هو أم قليلٌ ، فضرِبُهُ مثلاً للحصينِ وأصحابِهِ الذين اتبعوهُ إلى مكانٍ هلكوا معه ، ومكْرَعُهُمْ : شربُهُم الموتُ .

يَوْمَ جُرَاشَةَ إِذْ شَيْبَانَ مُوجِفَةً يَنْجُونَ مِنْكَ بِشَلْوِ مِنْهُ مَقْدُودِ

يقولُ : يومَ جُرَاشَةَ إِذْ شَيْبَانَ مُوجِفَةً ؛ أي : سريعةٌ تهربُ ، وشيبانُ : قبيلةٌ ، وجُرَاشَةُ : رجلٌ ؛ يقولُ : يهربونَ بشلْوٍ ؛ أي : جسدٍ بلا رأسٍ قد قُدِّدَ ؛ أي : قُطِعَ بالسيفِ .

رَاحِفَتَهُ بِابْنِ سُفْيَانَ فَكَانَ لَهُ ثَنَاءٌ يَوْمَ بَطْهَرِ الْعَيْبِ مَشْهُودِ

ابنُ سُفْيَانَ : رجلٌ من أصحابِ الممدوحِ ؛ يقولُ : ناهضتُهُ بهذا الرجلِ ، فكانَ لَهُ ثَنَاءٌ عرفهُ مَنْ غابَ كأنَّهُ شهدهُ .

نَجَا قَلِيلاً وَوَأْفَى زَجْرُ عَائِفِهِ بِيَوْمِهِ طَيْرَ مَنْحُوسٍ وَمَسْعُودِ

يقولُ : نجا قليلاً ؛ أي : مهزوماً في يومٍ كانَ منحوساً على جُرَاشَةَ ،

ومسعوداً على داوود ، والعائفُ : الذي يزجرُ الطيرَ ؛ أي : يفهمها في خطورها وطيرانها .

وَلَّى وَقَدْ جَرَعَتْ مِنْهُ أَلْقَنَا جُرْعاً حَيَّ الْمَخَافَةَ مَيْتاً غَيْرَ مَوْءُودٍ
يقولُ : هربَ هذا الرجلُ وقد شربتِ الرِّمَاحُ في دمه حينَ طعنَ بها ، غيرَ موءودٍ ؛ أي : غيرَ مدفونٍ .

زَالَتْ حُشَّاشَتُهُ عَنْ صَدْرٍ مُعْتَدِلٍ دَانِي الْكُعُوبِ بَعِيدِ الصِّدْرِ أُمْلُودٍ
يقولُ : نجتَ بقيةَ نفسه عن صدرٍ رمحٍ معتدلٍ أصابتهُ ، أُمْلُودٍ : أُمْلَسَ .

إِذَا السُّيُوفُ أَصَابَتْهُ تَقَطَّعَ فِي سُرَادِقِ بِحَوَامِي الْحَيْلِ مَمْدُودٍ
يقولُ : إذا السُّيُوفُ أَصَابَتْهُ .. تَقَطَّعَ بدنُهُ منها ، ويعني بالسرادقِ : الغبارُ الذي أثارتهُ حوافرُ الخيلِ .

يَفْدِي بِمَا نَحَلَّتْهُ مِنْ خِلَافَتِهِ حُشَّاشَةَ الرَّكْضِ مِنْ جَزْدَاءَ قَيْدُودٍ
يفدي بقيةَ قُوَّةِ فرسه في الجري بخلافتهِ ؛ يعني : أنه يقولُ لفرسه : انجُ فدتك خلافتي ، والجرداءُ : القصيرُ الشعرِ .

حَلَّ اللَّوَاءِ وَخَالَ الْخِذْرَ عَائِذَهُ فَعَادَ بِالْخِذْرِ تَرْبُ الْكَاعِبِ الرُّودِ
يقولُ : لَمَّا قهرَ الرئيسُ مِنَ الأُمراءِ ^(١) .. حلَّ اللواءُ ؛ وهو العقدةُ التي في القناة ، فظنَّ الخذرَ عائِذَهُ ؛ أي : منجِيَهُ ؛ أي : إذا كانَ بينَ النساءِ .. لم يُطَلَبْ بعدُ ، يُعَدُّ نفسه مِنَ النساءِ .

وَإِنْ يَكُنْ شَبَّهَا حَرْباً وَقَدْ خَمَدَتْ فَنَائِيًا حَيْثُ لَا هِيدٍ وَلَا هِيدِ
يقولُ : فإنَ يَكُنْ شبَّ الحربِ حرباً وقد خمدتْ قبلَ ذلكَ .. فقد بَعُدَ

(١) في « شرح ديوان صريع الغواني » (ص ١٦٧) : (الأُمرة) .

بِحَيْثُ لَا يَرَىٰ عَمْرَأًا ، وَلَا يَسْمَعُ فِيهِ هَيْدًا وَلَا هَيْدًا ؛ [وَهُمَا] كَلِمَتَانِ يُزَجَرُ
بِهِمَا الْإِبِلُ .

كُلُّ مَثَلَتْ بِهِ فِي مِثْلِ خُطَّتِهِ قِتْلًا وَأَضَجَعْتَهُ فِي غَيْرِ مَلْحُودٍ
يقول : كلُّ مثلت ؛ أي : جزيتهُ بمثل فعلهِ قِتْلًا ، وَأَضَجَعْتَهُ فِي غَيْرِ
ملحودٍ ؛ أي : تركتُهُ فِي الصَّخِّ قِتِيلًا^(١) .

عَافُوا رِضَاكَ فَعَاقَتَهُمْ بِعَقْوَتِهِمْ عَنِ الْحَيَاةِ مَنَائِيَهُمْ لِمَوْعُودٍ
يقول : عافوا رِضَاكَ ؛ أي : كرهوا رِضَاكَ ، وَعَاقَتَهُمْ مَنَائِيَهُمْ ؛ أي : منعَتَهُمْ
الْحَيَاةَ بِعَقْوَتِهِمْ ؛ أي : بَمَنَائِيَهُمْ ، لِمَوْعُودٍ ؛ أي : لِأَجْلِ .

وَأَنْتَ بِالسِّنْدِ إِذْ هَاجَ الصَّرِيخُ بِهَا وَأَسْتَنْفَدْتَ حَرْبَهَا كَيْدَ الْمَكَايِدِ
الصَّرِيخُ : الْمَسْتَغِيثُ وَالْمَسْتَنْصِرُ ، وَأَسْتَنْفَدْتَ حَرْبَ السِّنْدِ كَيْدَ الْمَكَايِدِ ؛
أي : فَرَعْتَ تِلْكَ الْحَرْبَ بِكَيْدِ كُلِّ مَكْيَادٍ ، حَتَّىٰ عَجَزُوا عَنْهَا ، وَانْقَطَعَ كَيْدُهُمْ
فِيهَا .

وَأَسْتَغْزَرَ الْقَوْمُ كَأْسًا مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَحْدَقَ الْمَوْتُ بِالْكَرَّارِ وَالْحَيْدِ
يقول : اسْتَغْزَرَ الْقَوْمُ كَأْسًا مِنْ دِمَائِهِمْ ؛ أي : شَرِبَ بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضِهِمْ ؛ يَرِيدُ : قَتَلَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَحْدَقَ الْمَوْتُ بِالْكَرَّارِ ؛ الْكَرَّارُ فِي الْحَرْبِ : الَّذِينَ يَكْرَهُونَ
فِيهَا ، وَالْحَيْدُ : الْمَنْهَزَمُونَ ؛ يَقُولُ : لَمْ يَنْفَعْ عَنْكَ الْمَنْهَزَمُ انْهِزَامَهُ ؛ لِإِحَاطَةِ
الْحَرْبِ بِهِ ، وَالْحَيْدُ : جَمْعُ أَحِيدٍ .

رَدَدَتْ أَهْمَالَهَا الْقُصُوَىٰ مُخَيَّسَةً وَشِمَتَ بِالْبَيْضِ عَوْرَاتِ الْمَرَاصِيدِ
أَهْمَالُهَا ؛ أي : صَعْبُهَا ، وَالْأَهْمَالُ : جَمْعُ هَمَلٍ ؛ وَهُوَ الشَّيْءُ الْمُسَيَّبُ ،
وَأَصْلُهُ : فِي الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا رَاعٍ ، فَهِيَ صَعْبَةٌ ؛ يَقُولُ : رَضَتْ

(١) فِي « شَرْحِ دِيْوَانِ صَرِيحِ الْغَوَانِي » (ص ١٦٧) : (الْفَحْصُ) بَدَلَ (الضَّحِّ) .

صعبها ؛ يعني : الحرب ، مُخَيَّسَةً ؛ أي : مُذَلَّلَةً .

وقوله : (شمتَ بالبيضِ) يقول : قتلتَ الإنجَادَ ، فشمتَ عوراتِهِمْ ؛ أي : تركتَ عوراتِهِمْ باديةً في الصُّبحِ مِنْ غيرِ سترٍ^(١) .

كُنْتَ الْمُهْلَبَ حَتَّى شَكَ عَالِمُهُمْ ثُمَّ أَنْفَرَدْتَ وَلَمْ تُسَبِّقْ بِتَسْوِيدِ
يعني : الْمُهْلَبَ بَنَ أَبِي صَفْرَةَ ، وَكَانَ جَدَّ الْمَدْوُوحِ ؛ يَقُولُ : قَمَتَ فِي
تِلْكَ الْحَرْبِ مَقَامَ الْمُهْلَبِ حَتَّى ظَنَّ عَالِمُهُمْ أَنَّكَ الْمُهْلَبُ ، ثُمَّ أَنْفَرَدْتَ
بِخِصَالِكَ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ لِلنَّاسِ ، وَعَرَفَ أَنَّكَ دَاوُودُ .

لَمْ تَقْبَلِ السَّلَامَ إِلَّا بَعْدَ مَقْدِرَةٍ وَلَا تَأَلَّفْتَ إِلَّا بَعْدَ تَبْدِيدِ
يقول : لَمْ تَقْبَلِ السَّلَامَ مِنْ أَهْلِ السِّنْدِ إِلَّا بَعْدَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا
جَمَعْتَهُمْ إِلَّا بَعْدَ تَبْدِيدِ ؛ أَي : بَعْدَمَا بَدَّدْتَهُمْ بِالْحَرْبِ ، وَالْإِيْقَاعِ بِهِمْ وَالْقَتْلِ .
حَتَّى أَجَابُوكَ مِنْ مُسْتَأْمِنٍ حَذِرٍ رَاجٍ وَمُنْتَظِرٍ حَتْفًا وَمَثْمُودٍ
يقول : حَتَّى أَجَابُوكَ ؛ بَعْضُهُمْ يَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَ ، وَيَحْذِرُ سَطْوَتَكَ ،
وَبَعْضُهُمْ مَثْمُودٌ ؛ أَي : لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْلِهِ إِلَّا قَلِيلٌ ؛ يَعْنِي : الْجَرْحَى .

أَهْدَى إِلَيْكَ عَلَى الشَّخْنَاءِ أَلْفَتَهُمْ مَوْتُ تَفَرَّقَ فِي شَتَى عِبَادِي
العِبَادِيْدُ : الْمُتَفَرِّقُونَ ؛ يَقُولُ : أَهْدَى الْمَوْتَ إِلَيْكَ أَلْفَتَهُمْ مَعَ الْعِدَاوَةِ الَّتِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ .

وَفِي يَدَيْكَ بَقَايَا مِنْ سَرَاتِهِمْ هُمْ لَدَيْكَ عَلَى وَعْدٍ وَتَوْعِيدِ
يقول : وَفِي يَدَيْكَ بَقَايَا مِنْ سَرَاتِهِمْ ؛ أَي : أَشْرَافِهِمْ ؛ يَرْجُونَكَ وَيَخَافُونَكَ ؛
لَأَنَّكَ أَخَذْتَهُمْ عَلَى غَيْرِ عَهْدٍ .

(١) فِي « شَرْحِ دِيْوَانِ صَرِيحِ الْغَوَانِي » (ص ١٦٨) : (الْفَحْصُ) بَدَلَ (الصُّبْحِ) ، وَتَقَدَّمَتْ قَرِيبًا بِلَفْظِ
(الضَّحَى) .

إِنْ تَعَفُّ عَنْهُمْ فَأَهْلُ الْعَفْوِ أَنْتَ وَإِنْ تُمْضِ الْعِقَابَ فَأَمْرٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ
 يَقُولُ : إِنْ تَعَفُّ عَنْهُمْ .. فَأَنْتَ أَهْلٌ لِلْعَفْوِ ، وَإِنْ قَتَلْتَهُمْ .. فَأَمْرُكَ نَافِذٌ .
 اسْمَعُ فَإِنَّكَ قَدْ هَيَّجْتَ مَلْحَمَةً وَفَدَّتْ مِنْهَا بِأَرْوَاحِ الصَّنَادِيدِ
 يَقُولُ : اسْمَعُ مَدْحِي لَكَ ؛ فَقَدْ هَيَّجْتَ مَلْحَمَةً : رَجَعَتْ مِنْهَا بِأَرْوَاحِ أَهْلِ
 السِّنْدِ .

إِقْدِفْ أَبَا مَالِكٍ فِيهَا يَكُنْكَ بِهَا وَيَسَعُ فِيهَا بِجَدِّ مِنْكَ مَجْدُودٍ
 أَبَا مَالِكٍ (١) : وَلَدُهُ ؛ يَقُولُ لَهُ : أَلْتِ وَلَدَكَ فِي الْحَرْبِ .. يَقُمُ مَقَامَكَ فِيهَا
 بِجَدِّ ؛ أَي : بَخْتِ مَجْدُودٍ ؛ أَي : مَبْخُوتٍ .

يَمْضِي بِعَزْمِكَ أَوْ يَجْرِي بِشَأْوِكَ أَوْ يَفْرِي بِحَدِّكَ كُلُّ غَيْرٍ مَحْدُودٍ
 الشَّأْوُ : الطَّلُقُ ، يَفْرِي : يَقَطْعُ ، وَالْحَدُّ هَا هُنَا : النَجْدَةُ .

لَا يَعْدَمُكَ حِمَى الْإِسْلَامِ مِنْ مَلِكٍ أَقَمْتَ قُلَّتَهُ مِنْ بَعْدِ تَأْوِيدِ
 يَقُولُ : لَا فَقَدَكَ حِمَى الدِّينِ ؛ فَإِنَّكَ قَدْ حَمَيْتَهُ ، وَأَقَمْتَ قُلَّتَهُ بَعْدَ تَأْوِيدِ ،
 وَهُوَ الْمَيْلُ ؛ أَي : كَانَ مَالٌ فَقَوِّمْتَهُ .

كَفَيْتَ فِي الْمُلْكِ حَتَّى لَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عَلَى ضِيَاعٍ وَلَمْ يَحْزَنْ لِمَفْقُودِ
 يَقُولُ : كَفَيْتَ بِالْمُلْكِ حَتَّى لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : يَا حَسْرَتَاهُ عَلَى فُلَانٍ مَا كَانَ
 أَحْمَاهُ !! وَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عَلَى ضِيَاعٍ ؛ أَي : حَمْدُوكَ .

أَعْطَيْتَهُمْ مِنْكَ نُصْحًا لَا كَفَاءَ لَهُ وَأَيَّدُوكَ بِرُكْنٍ غَيْرِ مَهْدُودِ
 يَقُولُ : أَعْطَيْتَ بَنِي الْعَبَّاسِ نَصْحًا مِنْكَ لَا قِبَالَ لَهُ ، وَأَيَّدُوكَ هُمْ بِرُكْنٍ غَيْرِ
 مَهْدُودٍ ؛ أَي : غَيْرِ مَنْهَدِمٍ .

(١) فِي « دِيْوَانِ صَرِيحِ الْغَوَانِي » مَعَ الشَّرْحِ أَيْضًا (ص ١٧٠) : (مَلِكٌ) بَدَلَ (مَالِكٍ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ .

لَمْ يَبْعَثِ الدَّهْرُ يَوْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِ إِلَّا أَنْبَعَثَتْ لَهُ بِالْبَاسِ وَالْجُودِ
أَجْرَى لَكَ اللَّهُ أَيَّامَ الْحَيَاةِ عَلَيَّ فِعْلٍ حَمِيدٍ وَجَدٍ غَيْرِ مَنْكُودٍ
يريدُ : جعلَ اللهُ لكَ أَيَّامَ حَيَاتِكَ مَبَارَكَةً ، لا تَفْقَدُ فِيهَا فِعْلاً مَحْمُوداً ،
وَبِخْتاً صَاعِداً .

لَا يَفْقَدُ الدِّينُ خَيْلاً أَنْتَ قَائِدُهَا يُعْهَدَنَّ فِي كُلِّ ثَغْرِ غَيْرِ مَعْهُودٍ
غَيْرِ مَعْهُودٍ : يَريدُ : أَنَّهُ يَغْزُو إِلَى العَدُوِّ بِمَوَاضِعٍ لَمْ يَدْخُلْهَا أَحَدٌ .
مُحَمَّلَاتٍ إِذَا آبَتْ غَنَائِمُهَا وَمُقَدِمَاتٍ عَلَى نَصْرِ وَتَأْيِيدِ
يريدُ : هَذِهِ الخَيْلُ - إِذَا رَجَعَتْ - مُحَقَّبَاتٌ ، وَإِذَا مَضَتْ .. هِيَ مَنْصُورَةٌ
وَمُؤَيَّدَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

هُنَاكَ أَنْتَ مَغْدَى كُلِّ مُلْتَمِسٍ جُوداً وَأَنْتَ مَاوَى كُلِّ مَطْرُودٍ
يَقُولُ : مَنْ طَلَبَ جُوداً .. فَعِنْدَكَ يَجِدُهُ ، وَمَنْ طَرَدَهُ أَهْلُهُ .. فَأَنْتَ تَأْوِيهِ
وَتَجِيرُهُ عَمَّنْ يَطْلُبُهُ .

تَسْتَأْنِفُ الْحَمْدَ فِي دَهْرٍ أَوَائِلُهُ مَوْسُومَةٌ بِفَعَالٍ مِنْكَ مَحْمُودٍ
تَسْتَأْنِفُ الحَمْدَ ؛ أَي : تَبْتَدِئُهُ فِي دَهْرٍ أَوَائِلُهُ مَوْسُومَةٌ بِفَعَالِكَ الجَمِيلَةِ
المَحْمُودَةِ الَّتِي تُحَمِّدُ عَلَيْهَا .

إِذَا عَزَمْتَ عَلَى أَمْرٍ بَطَشْتَ بِهِ وَإِنْ أَنْتَ فَنَيْلاً غَيْرَ تَضْرِيْدٍ
يَقُولُ : وَإِنْ أَنْتَ ؛ أَي : أَعْطَيْتَ عَطَاءً غَيْرَ قَلِيلٍ .

عَوَّدَتْ نَفْسَكَ عَادَاتٍ خُلِقَتْ لَهَا صِدْقَ الْحَدِيثِ وَإِنْجَازَ الْمَوَاعِيدِ
الإِنْجَازُ : تَنْفِيذُ الوَعْدِ بِالْوَفَاءِ ، وَالمَوَاعِيدُ : جَمْعُ مَوْعُودٍ .



داوودُ هذا الذي امتدحه مسلمٌ بهذه القصيدة الفريدة . . كانَ أحدَ قُوَادِ
الرشيدِ ، ولفظُ القائدِ في ذلكَ العصرِ كانَ لقباً لأمرأءِ العسكرِ ، وأهلُ بيتِ
هذا الممدوحِ إلى المُهلَّبِ ، كانوا في تلكَ الوظيفةِ لملوكِ أعصرِهِم ،
فكانَ المُهلَّبُ رضيَ اللهُ عنه أحدَ التابعينَ ، وأبوهُ أبو صفرةَ أحدُ الصحابةِ
رضيَ اللهُ عنه . . مُتَوَلِّياً رئاسةَ العسكرِ العراقيِّ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ في
إمارةِ الحَجَّاجِ .

وإذا عرفتَ أنَّ الممدوحَ كانَ أميرَ عسكرٍ . . فعليكَ أن تَتَأَمَّلَ الشِّعْرَ ؛
لتعرفَ كيفَ يُمدِّحُ مثلهُ ، دونَ ما إذا كانَ الممدوحُ ملكاً ، أو كاتباً ، أو جابِي
خراجٍ مثلاً ، فلكلِّ كلامٍ يَخُصُّهُ ، ومعانٍ تناسبُهُ كما تراهُ فيما تَطَّلِعُ عليهِ مِنْ
القصائدِ في الأغراضِ المختلفةِ .



[قصيدة لأبي تمام في مدح المعتصم بالله]

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، وكان أشجع أولاد الرشيد ، غريب الفصاحة والفهم على أميته ؛ فإنه لم يقرأ كما قرأ إخوته .

وسبب هذه القصيدة : أن أحد أصحاب الأخبار للمعتصم ورد عليه يوماً وهو في مجلس شرايه ، فأخبره أن بقرية من قرى عمورية أسيرة هاشمية أضر بها من هي في يده ، فنادت : وا معتصماه ، فقال لها : سيأتك المعتصم على فرس أبلق ؛ يهزأ بها .

فقال المعتصم عند سماع ذلك : لبيك لبيك ، وأمر ساقيه أن يخرم على الكأس الذي كان معه لمناولته إيائه ، وحلف أنه لا يشربه إلا بعد إنقاذ الأسيرة ، وأمر أن يجهز الجيش بخيل بُلُق .

ولما صمم على الخروج من فوره .. قال له المنجمون : إن هذه الساعة لا تصلح للخروج ، وأبدوا حجتهم في ذلك ، فلم يصغ لهم ، وكان الفتح والسعادة على خلاف حكم المنجمين ، فذلك ما يشير له أبو تمام في أول القصيدة ، وكان أصحاب عمورية يقولون بحكم تنجيهم : إنه إذا جاء المعتصم بجيشه في هذه الأيام ولم ينتصر قبل نضج التين والعنب .. فإنه لا ينتصر بعد ، ولا تفتح البلد أبداً ، وكانوا لذلك يحاولون تأخير الحرب حتى تمضي تلك المدة ، فعاجلهم ، وفتح البلد قبله ، ولذلك الإشارة بقوله : (تسعون ألفاً كآساد الشرى ...) البيت ، وبعض من لم يطلع على هذا .. عاب أبا تمام بهذا البيت في هذه القصيدة قائلاً : إن لفظه من الألفاظ المبتذلة الساقطة .

ولمّا أنشد هذه القصيدة . . طلب المعتصم طرباً بها إعادة
 إنشادها ، فأعادها ، وأنشدها ثلثة من نفسه ، فقال : إلى متى تجلو هذه
 العروس ؟! وأمر بعد أبياتها ، وأجازة لكل بيت بالف ، رحمهم الله
 تعالى (١) :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكُتبِ في حدّه الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ
 بيضُ الصَّفائحِ لا سودُ الصَّحائفِ في مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشكِّ والرَّيبِ
 والعلمُ في شهبِ الأزمَاحِ لامعةٌ بينَ الخميسينِ لا في السَّبعةِ الشُّهبِ
 أين الروايةُ بل أين النجومُ وما صاغوه من زُخرفٍ فيها ومن كذبِ
 تحرّصاً وأحاديثاً ملققةً لئسْتَ بنبعٍ إذا عُدَّتْ ولا غربِ

النبعُ والغربُ والشَّوْحطُ : ثلاثة أنواعٍ لجنسٍ واحدٍ من الشجرِ ، فما نبت
 منه في أعلى الجبلِ . . يُسمَّى نبعاً ، وهو أصلبها ؛ لجفافِ الهواءِ هناك ،
 وتعرُّضه للشمسِ ، والغربُ : ما في وسطِ الجبلِ ، والشَّوْحطُ : ما في أدناه ؛
 وهو أضعفها ، لمكانِ زيادةِ الرطوبةِ هناك ، ومن النبعِ تُعملُ القسيُّ .

عجائباً زعموا الأيامُ مجفلةً عنهنَّ في صفرِ الأضفارِ أو رجبِ
 وخوفوا الناسَ من دهياءِ مظلمةٍ إذا بدا الكوكبُ الغرْبِيُّ ذو الذنبِ
 وصيروا الأبرجَ العليا مرتبةً ما كان منقلباً أو غيرَ منقلبِ
 يقضون بالأمرِ عنها وهي غافلةٌ ما دارَ في فلِكَ منها وفي قُطبِ
 لو بيّنت قطُ أمراً قبلَ موقعه لم يخفَ ما حلَّ بالأوثانِ والصلبِ
 فتح الفتوحِ تعالى أن يحيطَ به

(١) انظر «ديوان أبي تمام» (١/٤٠ - ٧٣) .

فَتَحَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ أَنْصَرَفَتْ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدِ
أُمَّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا
وَبَزْزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
بَكَرُ فَمَا أَفْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ
حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا
أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً
جَرَى لَهَا الْفَأَلُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقَرَةَ
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ
بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِيئِ مِنْ دَمِهِ
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
غَادَزْتَ فِيهَا بِهَيْمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى
حَتَّى كَانَ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ
ضَوْءَ مِنَ النَّارِ وَالظُّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ
تَصْرَحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا

وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ
عَنْكَ أَلْمَنَى حُفْلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الْحَرْبِ فِي صَبَبِ
فِدَاءِهَا كُلِّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبِ
كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبِ
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النَّوَبِ
مَخْضَ الْحَلِيبَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ
مِنْهَا وَكَانَ أَسْمُهَا فَرَاجَةَ الْكَرْبِ
إِذْ غُودِرَتْ وَخَشَةَ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمِ سَرِبِ
لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ
يَسْأَلُهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبِ
وَالظُّلْمَةُ مِنْ دُخَانٍ فِي ضَحَى شَحِبِ
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ
عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءِ مِنْهَا طَاهِرِ جُنْبِ

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
مَا رُبِعَ مَيَّةً مَعْمُوراً يَطِيفُ بِهِ
وَلَا الْخُدُودُ وَإِنْ أَدْمِينٍ مِنْ خَجَلٍ
سَمَاجَةً غَنِيَّتٍ مَنَا الْعُيُونُ بِهَا
وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ
لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصِرٍ كَمَنْتَ
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ
وَمُطْعَمٍ النَّصْلِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّةُ^(٢)
لَمْ يَغْزُقُوا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ
لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلاً يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا
رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَّمَهَا
مِنْ بَعْدِمَا أَشْبُوها وَاثْقِينِ بِهَا
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ
أَمَانِيًّا سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا
إِنَّ الْحَمَامَيْنِ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرِ
لَبَيْتَ صَوْتاً زِبْطَرِيّاً هَرَقَتْ لَهُ
عَدَاكَ حَرُّ الشُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ

بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى غَرْبٍ^(١)
غَيْلَانُ أَبْهَى رُبِيٍّ مِنْ رَبْعِهَا الْخَرْبِ
أَشْهَى إِلَى نَاطِرِيٍّ مِنْ خَدِّهَا التَّرْبِ
عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ
جَاءَتْ بِشَاشْتُهُ عَنْ سُوءٍ مُنْقَلَبِ
لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ
لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَهَبِ
يَوْمًا وَلَا حُجْبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبِ
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصَبِ
وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثِبِ
ظُبَا السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ
[دَلُّوا] الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ
كَأَسِ الْكَرَى وَرُضَابِ الْخُرْدِ الْعُرْبِ
بَرْدِ الشُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا [الْحَصْبِ]

(١) في «ديوان أبي تمام» (٥٥/١): (عزب) بدل (غرب).

(٢) في «ديوان أبي تمام» (٥٨/١): (ومُطْعَمُ النَّصْرِ) بدل (ومُطْعَمُ النَّصْلِ).

أَجَبْتُهُ مُعَلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا
حَتَّى تَرَكَتَ عَمُودَ الشَّرِكِ مُنْقَعِرًا
لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تُوْفَلِسُنْ
غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ [جَزَيْتَهَا]
هَيْهَاتَ زُعِرَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرَبِّي بِكَثْرَتِهِ
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْعَابِ هَمَّتْهَا
وَلَّى وَقَدَ الْجَمَّ الْخَطِيئِي مَنْطِقَهُ
أَحْسَى قَرَابِينَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى
مُوكَّلاً بِبِقَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ
إِنْ يَغْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
يَا رَبِّ حَوْبَاءَ لَمَّا أَجِثَتْ دَابِرُهُمْ
وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقِ لَجِبِ
كَمْ نِيْلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُضَلَّتَةً
بِيضٌ إِذَا أَنْتَضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ

وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ
وَلَمْ تُعْرِجِ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنْبِ
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعَيْبِ
عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوِ مُكْتَسِبِ
عَلَى الْحَصَى وَبِهِ فَقُرُّ إِلَى الذَّهَبِ
يَوْمَ الْكَرْبِيَّةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
بِسَكْنَتِهِ تَحْتَهَا الْأَخْشَاءُ فِي صَحْبِ
يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ
مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ
أَوْسَعَتْ جَا حِمَّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ
جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التَّيْنِ وَالْعِنَبِ
طَابَتْ وَلَوْ ضَمَّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبِ
حَيَّ الرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الْغَضَبِ
تَجْثُو الرِّجَالُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنِبِ
إِلَى الْمُخَدَّرَةِ الْعَدْرَاءِ مِنْ سَبَبِ
تَهْتَرُ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَرُ فِي كُثْبِ
أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجْبِ

جُرْثُومَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
مَوْضُوعَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِ
وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبُ النَّسَبِ
صَفَرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

خَلِيفَةَ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ
بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا
أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمُضْفَرِ كَأَسْمِهِمْ



[قصيدة لابن نباتة السعدي في مدح ابن بويه]

وقال عبد العزيز بن نباتة السعدي - وهو أحد أشياخ الشريف الرضي -
يمدح عضد الدولة وتاج الملة ابن بويه في النيروز ، وكان قد احتفل في
جلوسه سنة سبع وستين وثلاث مئة ، وكانوا يتخذون هذا اليوم - وهو
يوم حلول الشمس في الميزان - موسماً عيدياً على السنن القديم في
العجم ، وكذلك كانوا يتخذون يوم حلول الشمس في الحمل ، ويسمى
المهرجان^(١) :

سَتَعْلَمُ أَيَّ [أَلْغَايَتَيْنِ] أُرِيدُ	فَإِنَّ أَلْهُوَيْنِي لِلرِّجَالِ فَيُودُ
أَحَبُّ مِنَ أَلْفِثْيَانِ كُلِّ غَشْمَشِمِ	لَهُ شَيْعٌ مِنْ نَفْسِهِ وَعَدِيدُ
يُنْهِنُهُ أَلْعَدَاءُ وَهُوَ مُصَمِّمٌ	هَجُومٌ عَلَى مَا يَكْرَهُونَ وَرُودُ
يُخَاطِرُ فِي حُبِّ أَلْتَّنَاءِ بِنَفْسِهِ	وَهَلْ لِغُلَامٍ فِي أَلزَّمَانِ خُلُودُ
وَمَوْلَى أَدَارِي طَيْشَهُ وَهُوَ نَافِرٌ	[أَدَبٌ] كَأَنْبُوبِ أَلْيَرَاعِ شَرُودُ
أَكَابِدُ مِنْهُ غَصَّةٌ مَا يَسِيغُهَا	مِنَ أَلْقَوْمِ إِلَّا حَازِمٌ وَجَلِيدُ
يُعِينُ عَلَيَّ أَلْخَضَمَ لَا يَسْتَعِينُهُ	وَأَدْفَعُ عَن حَوْبَائِهِ وَأَدُودُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ أَلرُّمَحَ يَغْسِلُ نَحْوَهُ	تَعَرَّضَ نَحْرُ دُونَهُ وَوَرِيدُ
وَقُلْتُ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ فَضِيلَةٍ	لَهَا كَاشِحٌ مِنْ أَهْلِهَا وَحَشُودُ
وَأَنَّ نَوَامِيسَ أَلرِّجَالِ قَدِيمَةٌ	تَوَارَتْ عَادٌ مُكْرَهًا وَتَمُودُ
وَلَكِنَّ تَاجَ أَلْمِلَّةِ أَلْيَوْمَ حَلَّهَا	عَلَى أَلدَّهْرِ حَتَّى لَيْسَ فِيهِ عُقُودُ

(١) انظر «ديوان ابن نباتة السعدي» (١/٥٤٨ - ٥٥٣) .

فَتَى هَجَرَ اللَّذَاتِ وَالْعَيْشِ مُونِقٌ
وَقَاسَى بَدِيعَاتِ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِكْرَةٌ عَضْدِيَّةٌ
تَرَحَّلُ فِيهَا لِلْفَعَالِ عَزَائِمٌ
وَفَضَّلَهُ حَزْمٌ وَعَزْمٌ وَنَائِلٌ
وَصَبْرٌ إِذَا نَابَتْ خُطُوبٌ مُلَمَّةٌ
تَلُوحُ وَرَاءَ النَّقْعِ غُرَّةٌ وَجْهِهِ
فَمَا وَلَدَتْ بِيضُ الْحَوَاصِنِ مِثْلَهُ
أَطَبُّ بَدَاءٍ مَا يُصَابُ دَوَاؤُهُ
وَأَطْعَنُ مِنْهُ فِي نِيَاطِ كَتِيبَةٍ
تَسِيرُ أَمَامَ الْجَيْشِ قَبْلَ مَسِيرِهِ
ثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ مَشَارِقِ فَارِسِ
وَمُرْدٌ عَلَى حَدِّ الْمُتُونِ رِمَاحُهُمْ
ثَنَاهُنَّ عَنِ أَرْضِ الْحِمَى مُتَنَكِّبٌ
فَإِنْ لَمْ تَذُقْ فِيهَا الرُّقَادَ فَطَالَ مَا
شَفَيْتَ مِنَ الْغِلِّ الْكَمِينِ عِصَابَةٌ
إِذَا تُرِكَتْ يَوْمًا تَقُولُ فَإِنَّهَا
فِيَا غَنَمًا نَامَتْ بِمِصْرٍ رِعَاؤُهَا

رَقِيقُ حَوَاشِي الطَّرْتِينِ بَرُودٌ
إِلَى أَنْ عَلَاهُ الشَّيْبُ وَهُوَ وَلِيدٌ
يُصَرِّفُ وَعَدَّ بَيْنَهَا وَوَعِيدٌ
وَتَنْزِلُ فِيهَا لِلْهُمُومِ وَفُودٌ
وَهُمْ لَهُ فِي الْمَكْرَمَاتِ بَعِيدٌ
يَقُومُ لَهَا وَالْفَاعِلُونَ قُعُودٌ
كَمَا لَاحَ مِنْ ضَوْءِ الصَّبَاحِ عَمُودٌ
وَلَا نُوبٌ إِلَّا يَامٌ وَهِيَ وَلُودٌ
وَأَعْلَمُ بِالْأَنْوَاءِ أَيْنَ تَجُودٌ
بِهَا السَّيْفُ أَعْمَى وَالسِّنَانُ بَلِيدٌ
كَتَائِبُ مِنْ آرَائِهِ وَجُنُودٌ
إِلَى الرُّومِ نَقْعُ سَاطِعٍ وَوَيْدٌ
وَجُرْدٌ عَلَى أَكْتَاْفِهِنَّ لُبُودٌ
يُرِيدُ بِهِنَّ اللَّهُ حَيْثُ يُرِيدُ
سَهْرَتٌ وَأَيْقَاطُ الخُطُوبِ رُقُودٌ
تَكِيدُ مَعَ الشَّيْطَانِ حَيْثُ تَكِيدُ^(١)
تَصُولُ وَكُلُّ الضَّارِيَاتِ أَسُودٌ
بِكِ الذِّئْبِ مِنْ بَيْنِ الْبَهَامِ عَمِيدٌ

(١) في « ديوان ابن نباتة السعدي » (١/٥٥١) : (يكيد) .

دَعِيَ مَرْتَعِ الْأَرَامِ مِنْ بَطْنِ جَاسِمٍ
وَلَا تُرْدِي بِالْغُوطَتَيْنِ وَقِيعَةً
فَإِنِّي أَظُنُّ الرِّيحَ سَوْفَ تَدُلُّهُ
وَخَادَعَهَا عَنْ جَدِّهَا وَمَرَا حَهَا
تَطَامِنُ لَهَا وَأَنْصُبُ حِبَالِكَ حَجْرَةً
وَإِنْ شَرَدَتْ وَالْعِقْدُ حُلٌّ نِظَامُهُ
وَسَرَكَ بِالْفُسْطَاطِ جَمْعُ أَظْنُهُ
أَإِنْ عَطَلْتُ كَأْسُ النَّدِيمِ وَرُشِحْتُ ^(١)
وَأَسْرَعَ غَبَّ الْمَخْضِ فِي غُلُوائِهَا
تَمَنَّيْتُ فِي لَهْوِ الْحَدِيثِ لِقَاءَهَا
وَإِنَّ عَلَيَّهَا جُنَّةٌ فَارِسِيَّةٌ
وَكُلُّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ كَأَنَّهُ
عَقَائِقُ أُمَّ لَمُعَهَا فَبَوَارِقُ
يُعَوِّدُهَا ضَرْبَ الْجَمَاجِمِ قَاهِرُ

افتخر في مطلع القصيدة بكونه ذا بأسٍ وعزيمة ، وبقائه بأثر ذلك ، ثم
افتخر بالمحافظة على نسبة الصُّحبة أو القرابة كيِّفَمَا كَانَ الصَّاحِبُ أَوْ الْقَرِيبُ
في قوله : (ومولى) ، وبالغ في ذلك ، وأحسن فيه تقرير مذهبه .

ثم عاد إلى خطاب نفسه يُسَلِّبُهَا بما يكونُ عذراً بيّني عليه احتمالَ عيوبِ

(١) في « ديوان ابن نباتة السعدي » (٥٥٢/١) : (عوطيت) بدل (عطلت) .

(٢) في « ديوان ابن نباتة السعدي » (٥٥٣/١) : (مطاعنها) بدل (منافلها) .

الصَّاحِبِ أَوْ الْقَرِيبِ فِي قَوْلِهِ : (وَقَلْتُ تَعَلَّمْ) ، وَعَظَفَ عَلَيْهِ مَعْلُومًا آخَرَ ؛
وَهُوَ أَنَّ نَوَامِيسَ الرِّجَالِ - أَي : حَيْلُهُمْ وَأَشْرَاكَ مَكَايِدِهِمْ - مَا زَالَتْ فِي النَّاسِ
قَدِيمًا ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَى ذَلِكَ مُتَخَلِّصًا لِلْمَدْحِ بِأَنَّ مَمْدُوحَهُ أَزَالَ تِلْكَ الْحَيْلَ
وَكَشَفَ الْأُمُورَ ، وَضَمَّنَ مَعْنَى (حَلَّ) فِي قَوْلِهِ : (حَلَّهَا عَلَى الدَّهْرِ) مَعْنَى
(ضَيَعَ) ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ : (ضَيَعَتْ عَلَى فَلَانٍ تَعَبَهُ فِي كَذَا) .

ثُمَّ اسْتَرْسَلَ فِي الْمَدْحِ اللَّائِقِ بِالْمَلُوكِ ذَوِي الْهَمَمِ الْعَالِيَةِ وَالْعَزَائِمِ الْمَاضِيَةِ ،
مَشِيرًا إِلَى وَقَائِعِ الْمَمْدُوحِ وَحُرُوبِهِ ، وَسَعَةِ مَمْلَكَتِهِ ، مَائِلًا إِلَى ذِكْرِ بَعْضِ
الْجِهَاتِ - كَمَصْرَ - بَرْدَاءَةَ السِّيَاسَةِ ، وَكُونِهَا تَحْتَ خَطَرٍ أَنْ يُلْتَفِتَ إِلَيْهَا ،
وَيُومَى إِلَى عَسْكَرِهَا بِالتَّحْذِيرِ وَالنَّصِيحَةِ ؛ بِتَرْكِ التَّعَرُّضِ إِلَى مَعَارِضَتِهِ .

وَشَعَرَ ابْنَ نَبَاتَةَ هَذَا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَطْلُبُ بِشِدَّةٍ دَقَّتِهِ وَيُعَدُّ إِشَارَتِهِ
مَمَّنْ يُطَّلِعُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَبَّثَ فِي تَعَقُّلِهِ وَتَفَهُمِ أَغْرَاضِهِ بَيْتًا بَيْتًا ، وَفَصْلًا فَصْلًا .



[مِنْ شَعْرِ الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ فِي النَّسِيبِ]

ومِنْ شَعْرِ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ الرُّضِيِّ - وشَعْرُهُ كَمَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ جَدًّا ، وَدِيَوَانُهُ مَوْجُودٌ بِدَارِ الْكُتُبِ الْكُبْرَى ، فَلَنَكْتَفِ مِنْ شَعْرِهِ بِإِيرَادِ مَا يَكُونُ أَنْمُودَجًا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى بَاقِيهِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ اسْتِيفَاءَ قِرَاءَتِهِ . . فَقَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهُ - قَوْلُهُ فِي النَّسِيبِ ، وَطَرِيقَتُهُ فِيهِ تُسَمَّى بِالطَّرِيقَةِ الْغَرَامِيَّةِ ^(١) : [مِنْ الْبَسِيطِ]

يَا ظَبِيَّةَ الْبَانَ تَزَعَى فِي خَمَائِلِهَا	لِيَهْنَكَ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرَعَاكَ
الْمَاءِ عِنْدَكَ مَبْدُولٌ لِشَارِبِهِ	وَلَيْسَ يُزْوِيكَ إِلَّا [مَدْمَعِي] الْبَاكِي
هَبَّتْ لَنَا مِنْ رِيَّاحِ الْغُورِ رَائِحَةٌ	بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرِيَّاكَ
ثُمَّ أَنْشَيْنَا إِذَا مَا هَزَّنَا طَرَبٌ	عَلَى الرِّحَالِ تَعَلَّلْنَا بِذِكْرِكَ
سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ	مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدْتَ مَرَمَاكَ
حَكَتْ لِحَاظِكَ مَا فِي الرِّيمِ مِنْ مُلْحٍ	يَوْمَ الَّلِّقَاءِ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْحَاكِي
كَأَنَّ طَرْفَكَ يَوْمَ الْجِزْعِ يُخْبِرُنَا	بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءٍ [قَتْلَاكَ]
أَنْتِ النَّعِيمُ لِقَلْبِي وَالْغَرَامُ لَهُ	فَمَا أَمْرَكَ فِي قَلْبِي [وَأَخْلَاكَ]
عِنْدِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُهَا	لَوْلَا الرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَكَ
وَعَدُّ لِعَيْنِكَ عِنْدِي مَا وَفَيْتُ بِهِ	يَا قُرْبَ مَا كَذَبْتَ عَيْنِي عَيْنَاكَ
سَقَى مِنِّي وَلِيَالِي الْخَيْفِ مَا شَرِبْتَ	مِنَ الْغَمَامِ وَحَيَّاهَا وَحَيَّاكَ
إِذْ يَلْتَقِي كُلُّ ذِي دَيْنٍ وَمَاطِلُهُ	مِنَّا وَيَجْتَمِعُ الْمَشْكُورُ وَالشَّاكِي

(١) انظر « ديوان الشريف الرضي » (١٠٧/٢ - ١٠٨) .

مَا كَانَ فِيهِمْ غَرِيمٌ أَلْقَبِ إِلَّا كِ
 مَنْ أَعْلَمَ الْعَيْنَ أَنَّ أَلْقَبَ يَهْوَاكَ
 وَنُطْفَةً غَمَسَتْ فِيهَا ثَنَائِيَاكَ
 عَلَى ثَرَى وَخَدَتْ فِيهِ مَطَايَاكَ
 يَوْمَ الْغَمِيمِ لَمَا أَفَلَّتِ أَشْرَاكِي

[من البسيط]

سَقَى زَمَانِكَ هَطَّالٌ مِنَ الدِّيمِ
 كَرَائِمَ أَلْمَالِ مِنْ خَيْلٍ وَمِنْ نَعَمِ
 فَهَلْ لِي الْيَوْمَ إِلَّا زَفْرَةُ النَّدَمِ
 لَمْ يُبْقِ عِنْدِي عَقَابِيلاً مِنَ السَّقَمِ
 وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ خَلَوْ مِنْ أَلَاكِمِ
 لَمْ أَنْسَهُنَّ وَلَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمِ
 ذُقِ الْهَوَى فَإِنْ أَسْطَعْتَ أَلْمَلَامَ لَمْ
 تَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَ بَيْنَ الْخَمَصِ وَالْهَضَمِ
 لَصِدْتُهَا وَأَبْتَدَعْتُ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ
 عَلَى الَّذِي نَامَ عَنْ لَيْلَى وَلَمْ أَنْمِ
 يَلْفُنَا الشُّوقُ مِنْ فَرْعِ إِلَى قَدَمِ

لَمَّا غَدَا السِّرْبُ يَعْطُو بَيْنَ أَرْحُلِنَا
 هَامَتْ بِكَ الْعَيْنُ لَمْ [تَتَّبِعْ] سِوَاكَ هَوَى
 يَا حَبَّذَا نَفْحَةً مَرَّتْ بِفِيكَ لَنَا
 وَحَبَّذَا وَقْفَةً وَالرَّكْبُ مُعْتَقِلٌ
 لَوْ كَانَتْ اللَّيْمَةُ السُّودَاءُ مِنْ عُدْدِي

وقوله^(١) :

يَا لَيْلَةَ السَّفْحِ أَلَّا عُدْتِ ثَانِيَةً
 مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ لَوْ يُفْدَى بِذَلِكَ لَهُ
 لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَاتٍ ظَفِرْتُ بِهَا
 فَلَيْتَ عَهْدِكَ إِذْ لَمْ يَبْقَ لِي أَبَدًا
 تَعَجَّبُوا مِنْ تَمَّتِي أَلْقَبِ مُؤَلِمَهُ
 رُدُّوا عَلَيَّ لِيَالِيَّ الَّتِي سَلَفَتْ
 أَقُولُ لِلْأَيْمِ الْمُهْدِي مَلَامَتَهُ
 وَظَبْيَةَ مِنْ ظَبَاءِ الْإِنْسِ عَاطِلَةَ
 لَوْ أَنَّهَا بِفِتَاءِ الْبَيْتِ سَائِحَةٌ
 قَدَرْتُ مِنْهَا بِلَا رُقْبَى وَلَا حَذْرٍ
 بِنَا ضَجِيعِينَ فِي ثُوبِي هَوَى وَتَقَى

(١) انظر « ديوان الشريف الرضي » (٢٧٣/٢ - ٢٧٥) .

وَأَمَسَتْ الرِّيحُ كَالْغَيْرَى تُجَاذِبُنَا
 يَشِي بِنَا الطِّيبُ أَحْيَانًا وَأَوْنَةً
 وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ الشَّغْرِ يُوضِحُ لِي
 وَبَيْنَنَا عَفَّةٌ بَايَعْتُهَا بِيَدِي
 يُوَلِّعُ الطَّلُّ يُزِدِينَا وَقَدْ نَسَمَتِ
 وَأَكْتُمُ الصُّبْحَ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ
 فَكُفْتُ أَنْفُضُ ثَوْبًا مَا تَعَلَّقَهُ
 وَالْمَسْتَنِي وَقَدْ جَدَّ الْوَدَاعُ بِنَا
 وَالشَّمْتَنِي نَغْرًا مَا عَدَلْتُ بِهِ
 ثُمَّ أَنْشَيْنَا وَقَدْ رَابَتْ ظَوَاهِرُنَا
 يَا حَبِّدَا لَمَّةٌ بِالرَّمْلِ ثَانِيَةٌ
 وَحَبِّدَا نَهْلَةٌ مِنْ فِيكَ بَارِدَةٌ
 دَبْنُ عَلِيكَ فَإِنْ تَقْضِيهِ أَحْيِي بِهِ
 عَجِبْتُ مَنْ بَاخِلَ عَنِّي بِرَيْقَتِهِ
 مَا [سَاعَفْتَنِي] اللَّيَالِي بَعْدَ بَيْنِهِمْ
 وَلَا أُسْتَجِدُّ فُؤَادِي فِي الزَّمَانِ هَوَى
 لَا تَطْلُبَنَّ لِي الْأَبْدَالَ بَعْدَهُمْ

عَلَى الْكَثِيبِ فُضُولُ الرِّيطِ وَاللِّمَمِ
 يُضِيئُنَا الْبَرْقُ مُجْتَازًا عَلَى أَضْمِ
 مَوَاقِعِ اللَّثْمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
 عَلَى الْوَفَاءِ بِهَا وَالرَّغْيِ لِلذَّمَمِ
 رُوَيْحَةُ الْفَجْرِ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّلَمِ
 حَتَّى تَكَلَّمَ عَضْفُورٌ عَلَى عِلْمِ
 غَيْرِ الْعَفَافِ وَرَاءَ الْغَيْبِ وَالْكَرَمِ
 كَفًّا يُشِيرُ بِقُضْبَانٍ مِنَ الْعَنَمِ
 أَرَى الْجَنَى بِنَاتِ الْوَابِلِ الرُّدْمِ
 وَفِي بَوَاطِينِنَا بَعْدُ مِنَ التُّهَمِ
 وَوَقْفَةٌ بِبُيُوتِ الْحَيِّ مِنْ أُمِّ
 يُعْدي عَلَى حَرِّ قَلْبِي بَرْدَهَا بِفَمِي
 وَإِنْ أَبَيْتِ تَقَاضِينَا إِلَى حَكَمِ
 وَقَدْ بَدَلْتُ لَهُ دُونَ الْأَنَامِ دَمِي
 إِلَّا بَكَيْتُ لِيَالِينَا بِذِي سَلَمِ
 إِلَّا ذَكَرْتُ هَوَى أَيَّامِنَا الْقُدَمِ
 فَإِنَّ قَلْبِي لَا يَرْضَى بِغَيْرِهِمْ



[مِنْ شَعْرِ مَهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ]

وَمِنْ شَعْرِ مَهْيَارٍ - وَقَدْ سَلَكَ طَرِيقَةً يَدْعُو الْأَدَبُ إِلَى سُلُوكِهَا ؛ لِرَفْعَةِ رَتَبَتِهَا مِنَ الْبَلَاغَةِ ؛ وَهِيَ أَنَّهُ يَجْعَلُ غَزَلَ الْقَصِيدَةِ مُتَضَمِّناً الْمَعْنَى الَّتِي قَصَدَ إِنْشَاءَهَا لِأَجْلِهِ - هَذِهِ الْقَصِيدَةُ .

وَسَبَبُهَا : أَنَّهُ سَعَى بِهِ سَاعَ عِنْدَ مَلِكِ نَاحِيَتِهِ ، وَافْتَرَى عَلَيْهِ أَنَّهُ عَثَرَ بِكَنْزٍ ، فَحَبَسَهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ لَيْلَةً لِيُخْلِصَهُ مِنْهُ كَمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي غَالِبِ الزَّمَانِ مِنْ أَخْذِ الْمُلُوكِ مَا يَجِدُ النَّاسُ مِنَ الْكَنْوَزِ ، ثُمَّ تَحَقَّقَ عِنْدَ الْمَلِكِ كَذِبُ السَّعَايَةِ ، فَأَطْلَقَهُ ، وَعَادَ لِبَيْرِهِ ، فَأَنْشَأَهَا وَضَمَّنَهَا تَهْنِئَةً بَعِيدِ الْفَطْرِ^(١) :

لَقَدْ نَقَلَ الْوَأَشِي إِلَيْهَا فَأَمَحَلَا
وَكَثَّرَ فَأَرْتَابَتْ وَلَوْ شَاءَ قَلَلَا
عَلَى أَنَّهُ مَا قَالَ إِلَّا لِتَقْبَلَا
لَهُ الْذَّمُّ مِثْلِي عَنِ هَوَى أَنَّهُ سَلَا
وَإِنْ كَانَ حُبًّا لِلْجَوَانِحِ مُثْقَلَا
وَالْفُ إِذَا عَدَّ الْهَوَى كَانَ أَوْلَا
أَنَاءً وَإِنْ لَمْ تُسْعِدَا فَتَجَمَّلَا
وَإِنْ كَانَ مَضْقُولَ التَّرَائِبِ أَكْحَلَا
وَعَلَّمَتْ غُضْنَ أَلْبَانَ أَنْ يَتَمَيَّلَا

أَمَّا وَهَوَاهَا عِذْرَةٌ وَتَنْصَلَا
سَعَى جَهْدَهُ لَكِنْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ
وَقَالَ فَلَمْ تُقْبَلْ وَلَكِنْ تَلَوَّمَتْ
فَطَارَحَهَا أَتَى سَلَوْتُ فَهَلْ رَأَى
أَأَنْفُضُ طَوْعاً حُبَّهَا عَنِ جَوَانِحِي
أَبَى اللَّهُ وَالْقَلْبُ الْوَفِيُّ بِعَهْدِهِ
أَيَا صَاحِبِي نَجْوَايَ يَوْمَ سُؤْيِقَةِ
سَلَا ظُبْيَةَ الْوَادِي وَمَا الظُّبْيُ مِثْلُهَا
أَأَنْتِ أَمَرْتِ الْبَدْرَ أَنْ يَضْدَعَ الدُّجَى

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٢٣٢/٣ - ٢٣٧) .

وَحَرَمْتِ يَوْمَ الْبَيْنِ وَقَفَّةَ سَاعَةٍ
جَمَعْتِ عَلَيْهِ حُرْقَةَ الدَّمْعِ وَالْجَوَى
هَبِي لِي عَيْنِي وَأَحْمِلِي كُلْفَةَ الْأَسَى
أَرَاكِ بَوَاجِهِ الشَّمْسِ وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا
وَأَذْكَرُ عَذْبًا مِنْ رُضَابِكَ مُسْكِرًا
هَنِئًا لِحُبِّ الْمَالِكِيَّةِ إِنَّهُ
تَعَلَّقْتُهَا غِرًّا وَلِيدًا وَشَيْبَتِ
وَوَحَدَهَا فِي الْحُسْنِ قَلْبِي فَمَا لَهُ
رَعَى اللَّهُ قَلْبِي مَا أَبْرَّ بِمَنْ جَفَا
وَأَكْرَمَ عَهْدِي لِلصَّدِيقِ فَإِنَّهُ
وَلَيْنَ أَيَّامِي عَلَيَّ فَإِنِّي
وَأَهْلُ زَمَانٍ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهُمْ
صَدِيقُ نِفَاقٍ أَوْ عَدُوٌّ فَضِيلَةٍ
وُلُوجٌ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي يَرِضُدُونَهُ
إِذَا مَا رَأَوْا عِنْدَ أَمْرِي زَادَ يَوْمِهِ
وَفِي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مَذْهَبٌ وَتَفْسُخٌ
أَهْمٌ وَلَكِنْ مِنْ وَرَائِي جَوَادِبٌ
وَتُعَلِّقُنِي الْأَمَالُ مِنْ قُلُلِ الْعُلَا

عَلَى عَاشِقٍ ظَنَّ الْوَدَاعَ مُحَلَّلًا
وَمَا اجْتَمَعَ الدَّاءُ إِلَّا لِيَقْتُلَا
عَلَى الْقَلْبِ إِنَّ الْقَلْبَ أَصْبَرُ لِلْبَلَا
فَأَقْنَعُ تَشْبِيهَا بِهَا وَتَمَثُّلَا
فَمَا أَشْرَبُ الصَّهْبَاءِ إِلَّا تَعَلُّلَا
رَخِيصٌ لَهُ مَا عَزَّ مِنِّْي وَمَا غَلَا
وَشَبْتُ وَنَاشِي حُبِّهَا مَا تَكْهَلَا
وَإِنْ وَجَدَ الْأَبْدَالَ أَنْ يَتَبَدَّلَا
وَأَصْبَرَهُ فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلَا
قَلِيلٌ عَلَى الْحَالَاتِ أَنْ يَتَحَوَّلَا
أَزَاحِمُ نَهْلَانًا بِهِنَّ وَيَذْبُلَا
إِذَا اسْتُؤْمِنُوا كَانُوا أَخْبَ وَأَخْتَلَا
مَتَى طَبَّ كَانَ الدَّاءُ أَدَهَى وَأَعْضَلَا
مَتَى وَجَدُوا يَوْمًا إِلَى الشَّرِّ مَدْخَلَا
مَشَوْا حَسَدًا أَوْ بَاتَ جَوْعَانَ مُزْمَلَا
فَمَنْ لِي أَنْ أَسْطِيعَ أَنْ أَتْرَحَّلَا
أَخَافُ عَلَى أَعْطَانِهَا أَنْ تَسَلَّلَا^(١)
فَأَجْعَلُهَا مِنْهُمْ مَلَاذًا وَمَعْقِلَا

(١) في «ديوان مهيار الديلمي» (٢٣٣/٣): (تشللا).

(١)

غِنَى وَمُرَادُ أَنْ أَضَامَ وَأُسْمَلًا
رَبِيعٌ يَرُدُّ الْجَذْبَ أَخْضَرَ مُبْقِلًا
بِإِشْرَاقِهِ أَخْزَى الْبُدُورَ وَأَخْجَلًا
كَوَاكِبِ نُورٍ ضَوْءُهَا يَمْلَأُ الْفَلَا
وَيُخَيِّي أَوَانًا بِاسِمَاءِ مُتَهَلَّلًا
وَإِنْ سُئِلَ الْإِغْضَاءَ شَامَ التَّفْضُلًا
عَلَى مَغْمَزِ الْأَعْدَاءِ أَنْ يَتَسَهَّلًا
وَإِنْ هَمَّ أَمْضَى أَمْرَهُ مُتَعَجَّلًا
مَلِيًّا بِتَقْوِيمِ الْأُمُورِ مُعَدَّلًا
إِلَيْهِ الْقُلُوبُ رَغْبَةً لَا تَعْمَلًا
عَلَى أَمْرِهِ الْمَاضِي صُعودًا وَنُزُلًا
لَهَا مَا مِنَ الْإِقْبَالِ يَتَّبِعُ جَحْفَلًا
فَلَوْ شَاءَ يَوْمَ الرُّوعِ حَارَبَ أَعْرَلًا
تَضَمَّنَ بِأَسْتِمْرَارِهَا وَتَكْفَلًا
وَقَدْ كَادَتِ الْأَقْدَامُ أَنْ تَتَزَلَّزَلًا
وَمُعْجِزِهَا حَتَّى ظَنَّنَاكَ مُرْسَلًا
عَلَيْكَ وَأَنَّ النَّاسَ أَجْمَلُ [مَحْفَلًا]
إِلَيْهِ مُنِيبًا نَحْوَهُ مُتَبَيَّلًا

نَعَمْ عِنْدَ رُكْنِ الدِّينِ وَأَبْنِ قَوَامِهِ
وَفِي يَدِهِ الْبَيْضَاءِ يَقْطُرُ مَاؤُهَا
وَبِالْقَضْرِ مِنْ دَارِ السَّلَامِ مُتَوَجِّحٌ
تَرَى خَرَزَاتِ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ
يُمِيتُ النُّفُوسَ قَاطِبًا [مُتَنَمِّرًا]
إِذَا كُفِرَ النَّعْمَاءُ شَامَ سُيُوفِهِ
قَرِيبٌ [إِلَى الْمَوْلَى بَعِيدٌ] بِعِزِّهِ
إِذَا مَنْ أَعْطَى حُكْمَهُ مُتَثَبِّتًا
حَوَى حَوْزَةَ الدُّنْيَا فَدَبَّرَ أَمْرَهَا
أَطَاعَتْهُ أَعْنَاقُ الْبِلَادِ وَأَقْبَلَتْ
وَدَانَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ حَتَّى تَصَرَّفَتْ
إِذَا طَلَبَ الْأَعْدَاءَ [أَنْفَذَ] جَحْفَلًا
كَفَاهُ مَكَانَ السَّيْفِ وَالرُّمْحِ جَدُّهُ
وَكَمَّ عَادَةَ اللَّهِ فِي النَّصْرِ عِنْدَهُ
وَمِنْ آيَةٍ قَامَتْ بِتَثْبِيتِ مُلْكِهِ
ظَهَرَتْ جَلَالَ الدَّوْلَتَيْنِ بِفَضْلِهَا
رَأَى اللَّهُ أَنَّ الْأَرْضَ أَصْلَحَ سِيرَةً
وَأَنَّكَ تَأْوِي فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا

(١) في «ديوان مهيار الديلمي» (٣/٢٣٣): (وأهملا).

فَأُولَٰكَ فِي ضَيْقِ الشَّدَائِدِ فُرْجَةٌ
وَكَمْ آبِي مِنْ رِقِّ [مُلْكِكَ] غَامِطٍ
عَفَوْتُ مِرَارًا عَنْ تَمَادِي ذُنُوبِهِ
وَبِالْأَمْسِ لَجُّوا فِي الشَّقَاقِ وَأَجْلَبُوا
فَلَمْ يَجْنِ ضَعْفُ الرَّأْيِ إِلَّا عَلَيْهِمْ
فَسَائِلُ بِهِمْ إِمَّا طَرِيدًا مُشَرَّدًا
فَلَا زَالَ مَنْ عَادَاكَ أَبْعَدَ شُقَّةً
وَلَا زَالَتِ الرَّيَاثُ وَأَسْمُكَ حَلِيهَا
إِلَىٰ أَنْ تَرَىٰ بِيضَ الْمُلُوكِ وَسُودَهَا
وَبُلِغْتَ مِنْ نَجْمِيكَ يَا بَدْرُ كُلَّمَا
قَدِيمُهُمَا وَالطَّالِعُ الْآنَ قَابِسًا
وَكَانَا عَلَى الْأَعْدَاءِ [سَيْفِي] تَنَاصُرٍ
وَشَدَاكَ وَالضَّرْعَامُ أَمْنَعُ جَانِبًا
وَكَثُرْتَ بِالْأَوْلَادِ تُرْهِفُ مُنْضَلًا
أُصُولُهُمْ مَنْصُورَةٌ بِفُرُوعِهِمْ
لَكُمْ فِي رِقَابِ النَّاسِ أَمْرَاسُ ذِمَّةٍ
مَفَاتِيحُ هَذَا الرِّزْقِ بَيْنَ أَكْفِكُمْ
فَمَا تَشْهَدُونَ الْحَزْبَ إِلَّا إِذَا غَلَّتْ
أَتَعْرِفُ يَا مَوْلَى الْمُلُوكِ كَقِصَّةِ

وَأَعْطَاكَ مَنْجِيًّا فِي الْخُطُوبِ وَمَوْثِلًا
لِنِعْمَاكَ لَمْ يَنْهَضْ بِمَا قَدْ تَحَمَّلَا
فَأَنْظَرْتَهُ بِالْعَفْوِ حَتَّىٰ تَوَغَّلَا
عَلَيْكَ وَظَنُّوهَا وَحَاشَاكَ فَيَصَلَا
وَلَا أزدَدْتُ إِلَّا قُوَّةً وَتَأْتُلَا
يَلُودُ بِصَفْحٍ أَوْ قَتِيلًا مُجَدَّلًا
وَأَخْبَتَ أَيَّامًا وَأَخْشَنَ مَنْزِلًا
خَوَافِقُ تَخْوِي الْأَرْضَ سَهْلًا وَأَجْبَلَا
قِيَامًا عَلَىٰ أُخْرَىٰ بِسَاطِكِ مُثَلَا
تُؤَمِّلُ فِي نَجْمٍ عَلَىٰ أَفْقٍ عَلَا
ضِيَاءُكَ حَتَّىٰ يَسْتَتِمَ وَيَكْمَلَا
شَبِيهَكَ فِيمَا أَحَدْنَا وَتَقَيَّلَا
وَأَنْهَضُ إِقْدَامًا إِذَا كَانَ مُشْبِلًا
طَرِيرًا إِلَى الدُّنْيَا وَتَطْبَعُ مُنْضَلًا
إِذَا قَامَ مِنْهُمْ آخِرُ كَانَ أَوْلَا
بَعِيدٌ عَلَىٰ اسْتِحْصَافِهَا أَنْ تُحَلَّلَا
وَنُضْرَةٌ دِينَ اللَّهِ بِيضًا وَذُبْلَا
وَلَا تَشْتَرُونَ الْحَمْدَ إِلَّا إِذَا غَلَا
بُلِيْتُ بِهَا بِالْأَمْسِ وَالْحَرُّ يُبْتَلَىٰ

أَبْعَدَ قُنُوعِي بِالْثِمَارِ تَعَفُّفًا^(١)
وِظْلَمِي [فَضْلِي] وَاهْتِصَامِي تَوْحِيدِي
يُسِيءُ رِعَاعُ النَّاسِ عِنْدَكَ سُمْعَتِي
وَيُغْرِي بِإِفْقَارِي وَأَنْتَ الَّذِي تَرَى
وَلَكِنَّهَا مَا غَيَّرْتَ لَكَ شِيْمَةً
وَلَمَّا سَعَى السَّاعِي فَجَاءَكَ كَاذِبًا
أَتَاكَ بِزُورٍ فَاتِحًا فَمَهُ بِهِ
تَسْرَعُ فِيهَا جَالِبًا لَكَ إِثْمَهَا
فَلَمْ تَأْلَنِي كَشْفًا لِصِدْقِ بَرَاءَتِي
وَزَنْتَ بِذِكْرِ الْمَالِ مَجْدَكَ فِي الْعُلَا
وَحَكَمْتَ رَأْيًا طَاهِرِيًّا وَهَمَّةً
فَأَرْضَاكَ مِنِّي الصِّدْقُ لَمَّا عَلِمْتَهُ
فَإِنْ فَاجَأْتَنِي هَجْمَةً مِنْ طُرُوقِهَا
حُبِسْتُ وَلَكِنْ كَانَ حَبْسًا مُشْرِفًا
لَعِنُ عَدَّ قَوْمٌ نَكْبَةً حَبَسَ لَيْلَةَ
وَسَبَبَ لِي هَذَا الْمَقَامَ تَرْفُوعِي
مَكَانٌ تَمَنَاهُ الْكَوَاكِبُ عِزَّةً
وَمَنْ لِحَبِيبِنِ الشَّمْسِ لَوْ خَرَّ سَاجِدًا

وَهَجْرِي أَبْوَابِ الْمُلُوكِ تَعَدُّلًا
مَخَافَةً أَنْ أُوذَى وَأَنْ أُتَبَدَّلًا
وَتَشَعُرُ أَيْ حُزْتُ مَالًا مُؤْتَلًا
لِمِثْلِي أَنْ يَغْنَى وَأَنْ يَتَمَوَّلًا
كَرُمْتَ بِهَا إِلَّا قَلِيلًا كَلَّا وَلَا
عَلَيَّ بِجَوْرِ كُنْتَ أَعْلَى وَأَعْدَلًا
فَأَلْقَمْتَهُ بِالرِّدِّ تُرْبًا وَجَنْدَلًا
وَلَكِنْ أَرَاكَ أَلْحَقُّ أَنْ تَتَمَهَّلًا
وَلَا نَظْرًا فِي قِصَّتِي وَتَأْمَلًا
فَكَانَ وَزَانُ الْمَجْدِ عِنْدَكَ أَثْقَلًا
بُؤْيُهِئَةً مَا طَبَّقْتَ كَانَ مَفْصَلًا
بِبَيِّنَةٍ لَمْ أُسْتَعْرِزْهَا تَقُولًا
تَرْوَعُ مِنْهَا جَانِبِي وَتَوْجَلًا
أَنَافَ بِذِكْرِي وَأَعْتِقَالًا مُجْمَلًا
لَقَدْ كُنْتُ مَنكُوبًا مِنَ النَّاسِ مُعْزَلًا
وَقَدْ كُنْتُ عَنْهُ سَاهِيًّا وَمُغْفَلًا
فَتَبَغِي إِلَيْهِ مَهْبِطًا وَتَنْزَلًا
لِأَرْضِكَ أَوْ وَافِي ثَرَاكَ مُقْبَلًا

(١) في « ديوان مهيار الديلمي » (٢٣٥/٣) : (بالثمد) يعني : الماء القليل ، بدل (بالثمار) .

لَبِسْتُ بِهِ ثَوْباً ضَفَالِي فَخَرُهُ
سَيَعْلَمُ مَنْ جَرَّ السَّعَايَةَ أَنَّهُ
لَقَدْ غَرَسَ التَّعْرِيزُ بِي فِي [وَبَيْتِهِ]
إِذَا وَسَمْتُ عِرْضَ اللَّئِيمِ بِمَيْسِمِ
فَكَانَ شَقِيئاً خَابَ عِنْدَكَ سَعْيُهُ
أَقِمِ فِيَّ مِنْ عَادَاتِ سَيْبِكَ سُنَّةً
فَكَمْ مِنْ نَوَالٍ مُشْرِفٍ قَدْ حَقَرْتَهُ ^(١)
وَعَارِفَةٍ لَوْ يُسْأَلُ الْبَحْرُ بَعْضَهَا
وَكُنْ مُرْغِماً خَضَمِي بِأَمْرِ مُشْرِفٍ
وَتَجْبُرُ مِنْ جَاهِي الْكَسِيرِ وَخَلَّتِي
وَتُوقِ بِجَزَاءِ شِعْرٍ عَبْدِكَ ضَامِنٌ
مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ أَرُوضُهَا
سَوَائِرَ يَقْطَعْنَ الْبِلَادَ حَوَامِلاً
إِذَا مَا كَسَوْتَ الْعَيْدَ مِنْهُنَّ لِبَسَةً
وَمَدَّ يَدَ الرَّاجِي نَوَالِكَ مُذْلِيماً
يُبَشِّرُ عَنْهَا أَنَّهُ عَائِدٌ بِهَا
هُوَ الْيَوْمُ أَعْطَاهُ الْإِلَهِ فَضِيلَةً
فَقَابِلْ بِهِ وَجْهَ الْخُلُودِ مُبَلِّغاً

بِمَذْحِكَ مَجْرُوراً عَلَيَّ مُذْيِلاً
بِكُرْهِي إِلَى مَا جَرَّ نَفْعِي تَوَصَّلاً
مَتَى اسْتُمِرَّتْ أَجْنَتُهُ صَاباً وَحَنْظَلاً
مِنَ الذَّمِّ بَاقٍ وَدَلْوٌ كَانَ أَغْفَلاً
وَفُزْتُ وَكُنْتُ الْمُنْعَمِ الْمُتَفَضِّلاً
هِيَ الْغَيْثُ أَوْ كَانَتْ أَعْمَ وَأَجْزَلاً
وَقَلَّلْتَ مِنْ جُمَاعِهِ فَتَقَلَّلَا
تَعَدَّرَ فِي إِخْرَاجِهَا وَتَبَخَّلَا
تَوَفَّرَ لِي مِنْهُ الْجَمَالُ الْمَعْجَلَا
فَأَجْدُرُ مَنْ أَسَمَنْتَ مَنْ كُنْتُ مُهْزِلاً
لِمَا طَابَ مِنْهُ فِي الشِّفَاهِ وَمَا حَلَا
بِنَفْسِي إِذَا طَابَتْ وَقَلْبِي إِذَا خَلَا
دُعَاءُ مُجَاباً أَوْ تَنَاءُ مُبْجَلَا
تَرْفَلُ فِيهَا تَائِهَاتُهَا وَتَخْيَلَا
بِحُزْمَتِهَا مُسْتَشْفِعاً مُتَوَسِّلاً
عَلَيْكَ مَدَى الْأَيَّامِ عُمْراً وَأَطْوَلَا
كَمَا كُنْتَ مِمَّنْ يَحْمِلُ الْأَمْرَ مُفْضِلاً
شُرُوطَ الْمُنَى مَا كَرَّ عَيْدٌ وَأَقْبَلَا

(١) في «ديوان مهيار الديلمي» (٣/٢٣٧): (مسرف) بدل (مشرف).

تُرْخَرَفُ جَنَّاتُ الْعُلَا لَكَ مُفْطِرًا
وَكُنْ مُفْطِرًا بِالْبَيْرِ وَالْبَسَنِ عَلَى التُّقَى
إِلَى أَنْ تَرَى ضَمَّ الْجِبَالِ فَلَائِقًا
إِذَا مَا أَنْجَلَى صُبْحٌ وَلَسْتَ مُمْلَكًا
وَصَائِمَ فَرَضٍ كُنْتَ أَوْ مُتَنَفِّلًا
ثَوَابِكَ وَأَنْزَعِ صَوْمَكَ الْمُتَقَبَّلًا
مُسَيَّرَةً وَالْجَوْ مَاءً مُسَلْسَلًا
عَلَيْنَا فَلَا شُقَّ الظَّلَامُ وَلَا أَنْجَلَى



[مِنْ شَعْرِ الْوَزِيرِ الطُّغْرَائِيِّ فِي مَدْحِ أَبِي الْفَتْحِ السَّلْجُوقِيِّ]

ويلتحق بمن سبق ذكرهم من مشاهير شعراء هذه الطبقة في جلاله المحل، وعلو المكانة، وتمام الإجابة . . الأمير أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني، وقد مضى مثال شعره^(١)، والوزير مؤيد الدين الطغرائي صاحب «لامية العجم» المشهورة، وأبو الحسن علي بن محمد التهامي، فلا بد من تمثيل شعرهما؛ لإتمام الفائدة .

فمن شعر الوزير المذكور: قوله يمدح أبا الفتح مسعود بن محمد السلجوقي الملقب بقسيم أمير المؤمنين، وكان الملوك من العجم أيام قوة الدولة العباسية يدعى الواحد منهم: مولى أمير المؤمنين، فلما قوي أمر سلطنة العجم، وضعت الدولة . . كان يلقب الواحد منهم قسيم أمير المؤمنين، وكان الطغرائي بعض وزرائهم^(٢): [من الكامل]

نَظَرِي إِلَى لَمْعِ الْوَمِيضِ حَنِينُ وَتَنَفُّسِي لِصَبَا الْأَصِيلِ أَنْيُنُ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ نَازِلَةِ الْحَمَى أَنَّ الْحَبَائِلَ وَالسَّهَامَ عُيُونُ
[رَكَزُوا] بِأَبْوَابِ الْقَبَابِ رِمَاحَهُمْ وَوَرَاءَهُنَّ أَهْلَةٌ وَعُضُونُ
أَسَادُ مَلْحَمَةٍ وَأَذْمُ صَرِيمَةٍ تَحْتَ الْأَكِلَةِ فَالْكَنَاسُ عَرِينُ
وَمَضُوا يَشِيمُونَ الْوَمِيضَ وَقَدْ هَفَا بِحُفُوقِهِ خَضَلُ الرِّيَابِ هَتُونُ
إِلَّا يَكُنْ نَعَبَ الْغُرَابِ بَيْنِهِمْ أَضْلًا فَقَدْ نَعَبَتْ سَحَائِبُ جُونُ
بَاتُوا وَنَجَوَى الْبَيْنِ بَيْنَ رِحَالِهِمْ فَوَضَى وَمُسْتَرَقُ الْحَدِيثِ شُجُونُ

(١) انظر (١١٥/٤) .

(٢) انظر «ديوان الطغرائي» (ص ٣٧٦ - ٣٨٥) .

وَتَحَمَّلُوا سَحْرًا وَحَشُوا حُدُوجِهِمْ
وَوَرَاءَ أَضْدَافِ الْحُدُوجِ يَمُرُّهَا
إِنَّ الْأَلَى أَقْوَتْ رُبُوعَهُمْ لَهُمْ
نُشِرَتْ رُبُوعُهُمْ بِعُودِ قَطِينِهَا
وَمَلِيحَةٍ بَكَرَتْ عَلَيَّ مُلِيحَةً
قَالَتْ عَهْدُكَ لَا تُرَاعُ لِحَادِثٍ
فَالْيَوْمَ مَا لَكَ مُسْتَكِينًا يَمْتَرِي
تَبْغِي سُلُوبِي وَهُوَ أَعْوَزُ مَطْلَبٍ
فَأَجَبْتُهَا كُفِّي الْمَلَامَ وَأَقْصِرِي
لَمْ يُبْقِ عِنْدِي لِلتَّجَلُّدِ مَوْضِعًا
وَلَقَدْ أَثَرْتُ الْعَيْسَ مَا لَظْهُورِهَا
مَشَقَّ الشُّهُوبِ لُحُومَهُنَّ وَعَرَفَتْ
يَرْسُفْنَ فِي قَيْدِ الْكَلَالِ كَأَنَّمَا
وَلَقَدْ تَرَى وَالرَّيْحُ رَاسِفَةٌ إِذَا
وَكَأَنَّهَا وَاللَّيْلُ وَخَفَتْ فَاحِمٌ
يَزْمِي بِهِنَّ نِيَّاطَ كُلِّ تَنُوفَةٍ
هِمَمٌ تُعَاوِرُهَا الْهُمُومُ وَعَزْمَةٌ
وَإِذَا طَغَى بَحْرُ الزِّمَاعِ فَمَا لَهُ
وَإِذَا نَبَا الْوَطْنَ الْعُسُوفُ بِأَهْلِهِ

صُورٌ [الْجَادِرِ] وَالظَّبَاءُ الْعَيْنُ
هُوجُ الرِّكَائِبِ لُوْلُؤُ مَكْنُونُ
بَيْنَ الْأَضَالِعِ مَنْزِلُ مَسْكُونُ
فَنُشُورُ رُبْعٍ أَنْ يَعُودَ قَطِينُ
سَحْرًا وَقَدْ صَبَغَ الْخُدُودَ جُفُونُ
وَحَصَاةُ قَلْبِكَ لَا تَكَادُ تَلِينُ
مَحْزُونٌ دَمِعِكَ قَلْبِكَ الْمَحْزُونُ
وَطِلَابٌ مَا لَا يُسْتَطَاعُ جُنُونُ
كُلُّ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينُ
بَيْنَ بِنْتَفِرِيقِ الْجَمِيعِ قَمِينُ
مِمَّا أَضْرَبَ بِهَا السِّفَارُ بَطُونُ
أَشْلَاءُهُنَّ فَكُلُّ حَرْفِ نُونُ
حَرَكَاتُهُنَّ وَقَدْ جَهْدَنَّ سُكُونُ
قَيْسَتْ إِلَيْهَا وَالْوَمِيضُ حَرُونُ
عُوجُ الْمَدَارِي وَالظَّلَامُ قُرُونُ
هِمَمٌ وَهَمٌّ فِي الضُّلُوعِ كَمِينُ
عَذْرَاءُ شَيَّبَهَا الْخُطُوبُ الْعُونُ
إِلَّا الْقِلَاصُ الْيَعْمَلَاتُ سَفِينُ
فَظْهُورُهُنَّ لِمَنْ حَمَلْنَ حُصُونُ

يَخِيطُنْ أَحْشَاءَ الدِّيَاجِي أَوْ يُرَى
وَلَقَدْ سَلَبْتُ مِرَاحَهُنَّ إِلَى حِمَى
مَسْعُودِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ الَّذِي
مَلِكِ الْمُلُوكِ ابْنِ السَّلَاطِينِ الْأُلَى
رَكَزُوا بِبُرْقَةِ وَالصَّعِيدِ رِمَاحَهُمْ
مَلَكُوا الْأَعِنَّةَ وَالْأَسِنَّةَ وَالظُّبَا
مَجْدُ تُورِثَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
فَالْعِزُّ أَفْعَسُ وَالْجَنَابُ مُمَنِّعٌ
شُغِفْتُ بِدَعْوَتِهِ الْمَنَابِرُ يَافِعًا
شَرِقُ الْبَنَانِ بِجُودِهِ غَدِقُ النَّدَى
لِلْمُلْكِ مَأْوَى فِي ظِلَالِ يَمِينِهِ
طَرِبُ الشَّمَائِلِ حِينَ تَنَادَ الْقَنَا
يَنْجَابُ عَنْهُ النَّقْعُ وَهُوَ كَأَنَّهُ
وَالْمَشْرِفِيَّةُ فِي الْعَجَاجِ لَوَامِعٌ
وَعَلَيْهِ [نَشْرٌ] مِظْلَةٌ مَكْفُوفَةٌ
سَوْدَاءُ حَمْرَاءُ الْحِفَافِ كَأَنَّهَا
رُفِعَتْ تَرْدُ الشَّمْسِ عَنْ شَمْسِ لَهَا
شَمْسَانِ يَكْتَنِفَانِهَا مِنْ فَوْقِهَا
فَبِنُورِ تِلْكَ أَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَذَا

لِلصُّبْحِ خَدٌّ وَاضِحٌ وَجَبِينُ
مَلِكٍ لَهُ رَبُّ السَّمَاءِ مُعِينُ
جَدُّ الْمُنِيخِ بِبَابِهِ مَيْمُونُ
مَلَكُوا رِقَابَ الْعَالَمِينَ وَدِينُوا
وَالْهِنْدُ مَرْبُطٌ خَيْلِهِمْ وَالصِّينُ
تَحْتَ الْعَجَاجِ بَوَارِقٌ وَدُجُونُ
وَالدَّهْرُ مُفْتَبَلٌ وَأَدَمُ طِينُ
وَالْمَجْدُ أَتْلَعُ وَالْفِنَاءُ حَصِينُ
وَصَبَا إِلَيْهِ الْمُلْكُ وَهُوَ جَبِينُ
كَلْتَا يَدَيْهِ لِلْعُقَاةِ يَمِينُ
يَأْوِي إِلَيْهِ النَّصْرُ وَالْتِمَكِينُ
ثَمَلًا وَيَشْرِقُ بِالْدِمَاءِ وَتَبِينُ
قَمَرٌ لَهُ سَعْدُ السُّعُودِ قَرِينُ
وَالْأَعُوجِيَّةُ فِي الصُّفُوفِ صَفُونُ
بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَهُوَ ثَمِينُ
زَهْرُ الشَّقَائِقِ فِي الرِّيَاضِ تَبِينُ
نُورٌ إِذَا أَعْتَكَرَ الظَّلَامُ مُبِينُ
شَمْسٌ وَآخِرُ تَحْتَهَا مَدْجُونُ
ضَاءَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَعَزَّ الدِّينُ

وَيَكُونُ أَنَّى دَارَ حَيْثُ يَكُونُ
 وَيُظِلُّهُ بِجَنَاحِهِ جَبْرِينُ
 حَمَلُ التُّضَارِ يَكُدُّهَا وَيَزِينُ
 سَبَقْتُ إِلَى غَايَاتِهَا وَشَفُونُ
 أُوُونَ أَنَّ حِرَاكَهَا تَسْكِينُ
 لَمْ يَغْتَلِقْهَا أَعْيُنُ وَظُنُونُ
 يَوْمَ الرِّهَانِ فَسَبَقَهُ مَضْمُونُ
 أَوْ يَزَكِبِ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ فَنُونُ
 فَمُوزِرُهُ مِنْ أَهْلِهِ هَارُونُ
 فَالْعُودُ ضَلْبٌ وَالْغِرَارُ سِنِينُ
 فَكِلَاهُمَا صَدَقُ الْقِنَاةِ مَتِينُ
 وَوَرَاءَهُ كُلُّ الْبَرِيَّةِ دُونُ
 قُضِيَ الْقَضَاءُ وَكُؤِنَ التَّكْوِينُ
 فَهُمَا حَيَاةٌ لِلْوَرَى وَمَنُونُ
 رَاعٍ وَأَضْحَى اللَّيْصُ وَهُوَ أَمِينُ
 لَمْ يُذَرَّ أَيُّهُمْ بِهِ الْمَفْتُونُ
 قَرْنَيْنِ يَمْلِكُهُ وَلَا قَارُونُ
 جُمِعَتْ وَحَزِبَتْ لَا تُطَاقُ زَبُونُ
 فَتَنْ رَكَدَنْ سُهُولُهُنَّ حُزُونُ

فَلَيْكَ يَدُورُ عَلَى دُؤَابَةِ تَاجِهِ
 تَمْشِي الْمُلُوكُ الْصِيدُ تَحْتَ رِكَابِهِ
 وَالْجُرْدُ مُثَقَلَةٌ الرِّقَابِ يَأْوُدُهَا
 سَبَقَتْ حَوَافِرُهَا التَّوَاظِرَ فَاسْتَوَى
 لَوْلَا تَرَامِي الْغَايَتَيْنِ لَأَقْسَمَ الرَّ
 قَدْ كَانَ يُشْبِهُهَا الْبُرُوقُ لَوْ أَنَّهَا
 مِنْ كُلِّ جَيْاشِ الْعِنَانِ إِذَا جَرَى
 إِنْ يَفْرَعِ الطَّوْدَ الْأَشَمَّ فَأَجْدَلُ
 بِأَخِيهِ شَدَّ اللَّهُ أَرْزَ جَلَالِهِ
 قِدْحَانِ قَدْ نَبَتِ الْحَوَادِثُ عَنْهُمَا
 جُمِعَا عَلَى رَغَمِ الْعِدَا وَتَسَانِدَا
 سَبَقَ الْمُجَلِّي وَالْمُصَلِّي دُونَهُ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي بِجَلَالِهِ
 مَرْضَاتُهُ تُحْيِي وَيُرْدِي سُخْطُهُ
 عَائَتْ دُؤَالَةً فِي الْقَطِيعِ وَمَا لَهُ
 وَتَنَازَعَ الْمُلِكُ الشَّعَاعَ عِصَابَةٌ
 وَتَنَاهَبُوا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ ذُو أُلْ
 فَبِكُلِّ أَرْضٍ رَايَةٌ وَعِصَابَةٌ
 جَرَّدَ عَزِيمَتِكَ الْمَتِينَةَ إِنَّهَا

فَبُغَاثُهَا مُسْتَنْسِرٌ وَشَرَارُهَا
وَكَاثِمًا الدُّنْيَا وَقَدْ شُجِنَتْ بِهَا
وَأَزِمِ الصُّفُوفَ بِمِثْلِهِنَّ وَشُنَّهَا
وَأَشْدُّ يَدَيْكَ بِحَبْلِ عَمِّكَ إِنَّهُ
وَأَطْلَعِ عَلَيْهِ بِرَايَةٍ مَنْصُورَةٍ
أَبْنِي الْمُلُوكِ الصَّيْدِ إِنَّ وِرَاءَكُمْ
مِنْ قَبْلِ ذَا خَانَ الْأَمِينُ شَقِيقَهُ
غَلَبَ الْعَبِيدُ عَلَى مَقَرِّ سَرِيرِكُمْ
هِيَ جَوْلَةٌ الضَّحَاكِ عَمَّ بِلَاؤُهَا
فَأَنْهَضْ لَهَا بِالْعَزْمِ يَكْنَفُهُ الظُّبَا
وَأَعْصِفْ عَلَيْهِمْ بِالْقَوَاضِبِ عَضْفَةً
كَأَيْلُهُمْ بِالصَّاعِ صَاعًا وَأَجْزِهِمْ
إِنَّ الْهَوَى وَالرَّأْيَ مَالًا نَحْوَكُمْ
أَبْغِي نَهَايَاتِ الْعُلَا وَسَجِيَّتِي
فَأَسْلَمْ لِأُذْرِكَ فِيكَ مَا أَمَلْتُهُ

هذا الشعرُ يستعيدُكَ النظرَ فيه ، ويستدعيكَ التأملَ في مطالعِهِ ومقاطعِهِ ؛
لتعرفَ مِنْ أَيْنَ كَانَ عَلُوُّ رتبتِهِ مِنَ البلاغَةِ ؛ فَإِنَّكَ لَا تجدُ الشاعرَ قصدَ فيه إلى
التكاثِرِ وزخرفته بِالْمُحَسِّنَاتِ كما هو حالُ الْمُتَأَخِّرِينَ ، وَإِنَّمَا قصدَ أَنْ يكونَ
الشعرُ مُتَخَيَّرَ اللفظِ ، مُحَكَّمِ التركيبِ ، مُتَحَدِّرَ السلاسةِ ، لَا يَتَوَقَّفُ اللسانُ
في إنشاده ، معَ صحَّةِ معانيهِ ، وتمكُّنِ حدودِ فصولِهِ .

وممَّا يكادُ أن يكونَ مِنِ اختراعِ الوزيرِ المذكورِ : جمعُهُ بينَ مدحِ الفتيانِ
مِنَ حيِّ الأحبابِ وغزلِ الفتياتِ منهم ، وقد تابعَهُ في ذلكَ وتوسَّعَ شهابُ
الدينِ معتوقُ الموسويِّ مِن مُتأخري أهلِ الإِجَادَةِ ، فأكثرُ غزلهِ مِن أولِهِ إلى
آخِرِهِ لا يخلو مِن ذلكَ .



[مرثيةُ أبي الحسنِ التهاميِّ في ابنِ له]

ومن شعرِ أبي الحسنِ التهاميِّ قصيدتهُ الفريدةُ ، البالغةُ في بابها غايةً لم يبلغها سواها ، التي يرثي في أولها صغيراً له أجاب داعي ربه ، ويفتخرُ في آخرها بفضله ، ويشكو زمانه وحاسديه ؛ وهي هذه ^(١) : [من الكامل]

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِ	مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
بَيْنَا يُرَى الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِراً	حَتَّى يُرَى خَبِراً مِنَ الْأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتِ تُرِيدُهَا	صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا	مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا	تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَفْظَةٌ	وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيْالِ سَارِ
فَأَقْضُوا مَا رَبِّكُمْ عَجَلاً إِنَّمَا	أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
وَتَرَكَضُوا خَيْلَ الشَّبَابِ وَبَادِرُوا	أَنْ تُسْتَرَدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ
فَالدَّهْرُ يَخْدَعُ بِالْمُنَى وَيُغْصُ إِنَّ	هَنَا وَيَهْدِمُ مَا بَنَى بِبَوَارِ
لَيْسَ الزَّمَانُ وَإِنْ حَرَضَتْ مُسَالِماً	خُلِقَ الزَّمَانُ عَدَاوَةَ الْأَحْرَارِ
إِنِّي وَتَرْتُ بِصَارِمِ ذِي رُونِقِ	أَعْدَدْتُهُ لِطِلَابَةِ الْأَوْتَارِ
وَالنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ	مُنْقَادَةً بِأَزْمَةِ الْمِقْدَارِ
أُنْبِي عَلَيْهِ بِأَثَرِهِ وَلَوْ أَنَّهُ	لَمْ يَغْتَبِطْ أَتَيْتُ بِالْأَثَارِ

(١) انظر «ديوان التهامي» (ص ٤٦١ - ٤٧٣).

يَا كَوَكِبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمُرَهُ
وَهَلَالَ أَيَّامٍ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ
عَجَلَ الْخُسُوفُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ
وَأَسْتُلَّ مِنْ أَتْرَابِهِ وَلِدَاتِهِ
فَكَأَنَّ قَلْبِي قَبْرُهُ وَكَأَنَّهُ
إِنْ يُعْتَبَطُ صِغَرًا فَرُبَّ مُقْحَمٍ
إِنَّ الْكَوَاكِبَ فِي عُلوِّ مَحَلِّهَا
وَلَدُ الْمُعَزَّى بَعْضُهُ فَإِذَا مَضَى
أَبِكِيهِ ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِرًا لَهُ
جَاوَزْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَزَ رَبُّهُ
أَشْكُو بُعَادَكَ لِي وَأَنْتَ بِمَوْضِعٍ
وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةً
هَيْهَاتَ قَدْ عَلِقْتِكَ أَسْبَابُ الرَّدَى
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِغَايَةِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي
أُخْفِي مِنَ الْبُرْحَاءِ نَارًا مِثْلَمَا
وَأُحْقِضُ الزَّفَرَاتِ وَهِيَ صَوَاعِدُ
وَشَهَابُ نَارِ الْحُزْنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ
وَكَذَاكَ عُمُرُ كَوَاكِبِ الْأَسْحَارِ
بَدْرًا وَلَمْ يُمَهَلْ لَوْ قَتِ سِرَارِ
فَمَحَاهُ قَبْلَ مَظِنَّةِ الْإِبْدَارِ
كَالْمُقْلَةَ أَسْتُلْتُ مِنَ الْأَشْفَارِ
فِي طَيْهِ سِرٌّ مِنْ الْأَسْرَارِ
يَبْدُو ضَيْلَ الشَّخْصِ لِلنُّظَارِ
لَثَرَى صِغَارًا وَهِيَ غَيْرُ صِغَارِ
بَعْضُ الْفَتَى فَالْكُلُّ فِي الْأَنَارِ
وَفُتَّتَ حِينَ تَرَكْتَ الْأَمَّ دَارِ
شَتَّانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي
لَوْلَا الرَّدَى لَسَمِعْتَ فِيهِ مَزَارِي
مَنْ بَعْدَ تِلْكَ الْخَمْسَةِ الْأَشْبَارِ
وَأَغْتَالَ عُمْرَكَ قَاطِعُ الْأَعْمَارِ
فَبَلَّغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي الْمِضْمَارِ
وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي
يُخْفِي مِنَ النَّارِ الزَّنَادُ الْوَارِي
وَأَكْفِكُ الْعَبْرَاتِ وَهِيَ جَوَارِ
أُورَى وَإِنْ عَاصَيْتَهُ مُتَوَارِي

وَأَكْفُ نِيرَانَ الْأَسَى وَلَرُبَّمَا
 ثُوبُ الرِّيَاءِ يَشِفُّ عَمَّا تَحْتَهُ
 قَصْرَتْ جُفُونِي أَمْ تَبَاعَدَ بَيْنُهَا
 جَفَتِ الْكَرَى حَتَّى كَأَنَّ غِرَارَهُ
 وَلَوْ أَسْتَزَارَتْ رَقْدَةً لَطَحَا بِهَا
 أَحْيِي اللَّيَالِي اللَّتَمَّ وَهِيَ تُمِثُّنِي
 حَتَّى رَأَيْتُ الصُّبْحَ تَهْتِكُ كَفُّهُ
 وَالصُّبْحُ قَدْ غَمَرَ النُّجُومَ كَأَنَّهُ
 لَوْ كُنْتَ تُمْنَعُ خَاصَ دُونَكَ فِتْيَةٌ
 وَدَحَوْا فُوقَ الْأَرْضِ أَرْضاً مِنْ دَمٍ
 قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الذُّرُوعَ حَسِبْتَهَا
 لَوْ أَشْرَعُوا أَيْمَانَهُمْ فِي طُولِهَا
 جَنَّبُوا الْجِيَادَ إِلَى الْمَطِيِّ وَرَاوَحُوا
 وَكَأَنَّمَا مَلَّؤُوا عِيَابَ دُرُوعِهِمْ
 وَكَأَنَّمَا صَنَعَ السَّوَابِغِ عَزَّهُ
 زَرْدًا فَأَخَكَمَ كُلَّ مُوَصَّلِ حَلْقَةٍ
 فَتَسْرَبَلُوا بِمُثُونِ مَاءٍ جَامِدٍ
 أَسَدٌ وَلَكِنْ يُؤْثِرُونَ بِزَادِهِمْ

غَلِبَ التَّصَبُّرُ فَارْتَمَتْ بِشِرَارِ
 وَإِذَا التَّحَفْتُ بِهِ فَإِنَّكَ عَارِ
 أَمْ صُوِّرَتْ عَيْنِي بِلَا أَشْفَارِ
 عِنْدَ اغْتِمَاضِ الْعَيْنِ وَخَزُّ غِرَارِ
 مَا بَيْنَ أَجْفَانِي مِنَ التِّيَّارِ
 وَيُمِثُّهُنَّ تَبَلُّجُ الْأَسْحَارِ
 بِالضَّوِّءِ زَفَرَفَ خَيْمَةَ كَالْقَارِ
 سَيْلٌ طَغَا فَطَفَا عَلَى النَّوَّارِ
 مِنَّا بِحَارِ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ
 ثُمَّ أَنْشَتُوا فَبَنَوْا سَمَاءَ غِبَارِ
 حُلْجاً تَمُدُّ بِهَا أَكْفُ بِحَارِ
 طَعَنُوا بِهَا عَوْضَ الْقَنَا الْخَطَّارِ
 بَيْنَ السُّرُوجِ هُنَاكَ وَالْأَكْوَارِ
 وَغُمُودَ أَنْضَلِهِمْ سَرَابَ قِفَارِ
 مَاءُ الْحَدِيدِ فَصَاعَ مَاءِ قَرَارِ
 بِحُبَابِهِ فِي مَوْضِعِ الْمِسْمَارِ
 وَتَقَنَّعُوا بِحُبَابِ مَاءِ جَارِ
 وَالْأَسَدُ لَيْسَ تَدِينُ بِالْإِيثَارِ

كَتَرْتَيْنِ الْهَالَاتِ بِالْأَقْمَارِ
 بِالْمُنْفِسَاتِ تَعَطَّفَ الْأَطَارِ
 وَكُرْمَنْ وَأَسْتَعْنَى عَنِ الْأَنْصَارِ
 صِلَاً تَأْبَطُهُ هَزْبِرُ ضَارِ
 إِلَّا عَلَى الْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ
 فِي الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِقِ الْجَرَّارِ^(١)
 زَلَقٍ وَنَفْعٍ بِالطَّرَادِ مُثَارِ
 وَجَلَالَةُ الْأَخْطَارِ فِي الْأَخْطَارِ
 فِي حَالَةِ الْأِعْسَارِ وَالْإِيسَارِ
 لِلرِّزْقِ فِي أُنْثَائِهِنَّ مَجَارِ
 أَبْدَاً [يُدَانِي] دُونَهَا وَيُدَارِي
 إِنْ أُمِهَلَتْ آلَتْ إِلَى الْإِسْفَارِ
 هَذَا الضِّيَاءُ شَوَاطِئُ تِلْكَ النَّارِ
 فَيَنَانُهُ الْأَحْوَى إِلَى الْإِزْهَارِ
 عَنِ بَيْضِ مَفْرِقِهِ دَوَاتُ نِفَارِ
 وَسَوَادُ أَعْيُنِهَا خِضَابُ عِدَارِ

يَتَرَيْنِ النَّادِي بِحُسْنِ وُجُوهِهِمْ
 يَتَعَطَّفُونَ عَلَى الْمُجَاوِرِ فِيهِمْ
 مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ الطَّبَا أَنْصَارَهُ
 وَإِذَا هُوَ أَعْتَقَلَ الْقَنَاةَ حَسْبَتْهَا
 وَاللَّيْثُ إِنْ ثَاوَزْتَهُ لَمْ يَعْتَمِدْ
 [زَرَدٌ] الدِّلَاصَ مِنَ الطِّعَانِ [بِرُمَجِهِ]
 مَا بَيْنَ نَوْبٍ بِالِدِمَاءِ مُضْمَخٍ
 وَالْهُونُ فِي ظِلِّ الْهُوَيْنِيِّ كَامِنُ
 تَنْدَى أَسِرَّةٍ وَجْهَهُ وَيَمِينُهُ
 وَيَمُدُّ نَحْوَ الْمَكْرُمَاتِ أَنَامِلًا
 يَحْوِي الْمَعَالِي كَاسِبًا أَوْ غَالِبًا
 قَدْ لَاحَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ كَوَاكِبُ
 وَتَلَّهَبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفْرِقِي
 شَابَ الْقَدَالُ وَكُلُّ غُضْنٍ صَائِرُ
 وَالشَّبُهَةُ مُنْجَذِبٌ فَلِمَ [بَيْضُ] الدُّمَى
 وَتَوَدُّ لَوْ جَعَلْتَ سَوَادَ قُلُوبِهَا

(١) في «ديوان التهامي» (ص ٤٦٦) :

مِثْلُ الْأَسَاوِرِ فِي يَدِ الْإِنْسَاوِرِ
 فِي الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِقِ الْجَرَّارِ

زَرَدٌ الدِّلَاصَ مِنَ الطِّعَانِ بِرُمَجِهِ
 وَيَجُرُّ حِينَ يَجُرُّ صَعْدَةَ رُمَجِهِ

لَا تَنْفِرُ الظَّبْيَاتُ عَنْهُ فَقَدْ رَأَتْ
شَيْئَانِ يَنْقَشِعَانِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
لَا حَبْدًا الشَّيْبُ الْوَفِيُّ وَحَبْدًا
وَطَرِي مِنَ الدُّنْيَا الشَّبَابُ وَرُوقُهُ
قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ وَمَا حَسَنَاتُهُ
نَزْدَادُ هَمًّا كُلَّمَا أزدَدْنَا غِنَى
مَا زَادَ فَوْقَ الزَّادِ خَلْفَ ضَائِعًا
إِنِّي لِأَزْحَمُ حَاسِدِي لِحَرِّ مَا
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَعُيُونُهُمْ
لَا ذَنْبَ لِي قَدْ رُمْتُ كَتَمَ فَضَائِلِي
وَسَتَرْتُهَا بِتَوَاضِعِي فَتَطَلَّعَتْ
وَمِنَ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ
وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيْرَادِهِمْ
عَمْرِي لَقَدْ أَوْطَأَتْهُمْ طُرُقُ الْعُلَا
لَوْ أَبْصَرُوا بِقُلُوبِهِمْ لَأَسْتَبْصَرُوا
هَلَّا سَعَوْا سَعَى الْكِرَامِ فَأَذْرَكُوا
وَفَشَتْ حَيَاتَانَا الثِّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ
وَلَرَبَّمَا أَعْتَضَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ

كَيْفَ اخْتِلَافُ النَّبْتِ فِي الْأَطْوَارِ
ظِلُّ الشَّبَابِ وَخُلَّةُ الْأَشْرَارِ
ظِلُّ الشَّبَابِ الْخَائِنِ الْغَدَارِ
فَإِذَا انْقَضَى فَقَدْ انْقَضَتْ أَوْطَارِي
عِنْدِي وَلَا آلاؤُهُ بِقِصَارِ
وَالْفَقْرُ كُلُّ الْفَقْرِ فِي الْإِكْثَارِ
فِي حَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ أَوْ عَارِ
[ضَمَّتْ] صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْعَارِ
فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارِ
فَكَأَنَّمَا بُرِقِعْتُ وَجْهَ [نَهَارِ]
أَعْنَاقُهَا تَعْلُو عَلَى الْأَسْتَارِ
وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي
وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ فِي الْإِضْدَارِ
فَعَمُوا فَلَمْ يَقِفُوا عَلَى آثَارِي
وَعَمَى الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَى الْأَبْصَارِ
أَوْ سَلَّمُوا لِمَوَاقِعِ الْأَقْدَارِ
حَتَّى أَتَهَمْنَا رُؤْيَةَ الْأَبْصَارِ
لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ يَسَارِ

[مِنْ شَعْرِ التَّهَامِيِّ فِي مَدْحِ الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرِ بْنِ مِرْوَانَ]

وقوله يمدح الأمير نصير الدولة أبا نصر بن مروان

[من البسيط]

بميفارقين^(١) :

مَا نَفَرَ الْبَيْضَ مِثْلُ الْبَيْضِ فِي اللَّيْمِ
أَنَّ الشَّيْبَةَ مَرْقَاةٌ إِلَى الْهَرَمِ
وَلَا وَفَائِي وَلَا دِينِي وَلَا كَرَمِي
وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ دُونَ الشَّيْبِ فِي الشَّيْمِ
هَوَاكَ عِنْدِي فَسِرْ إِنْ شِئْتَ أَوْ أَقِمِ
لَا تَعْذِلِيهِ فَلَمْ يَلُؤْمْ وَلَمْ يَلْمِ
وَالشَّيْءُ فِي كُلِّ صَافٍ غَيْرُ مُكْتَمِ
لَأَمَّتْ شَمْلًا بِشَمْلٍ غَيْرِ مُلْتَمِ
وَلَا يُرْجَى شَبَابٌ زُمَجِي وَلَا قَلَمِي
كُفِّي فَلَيْسَ أَرْشَافُ الْخَمْرِ مِنْ شَيْمِي
بِلُؤْلُؤٍ مِنْ حَبَابِ الشَّعْرِ مُنْتَظَمِ
مَا كُنْتُ مِمَّنْ يَصِيدُ اللَّثْمَ بِاللَّثَمِ
عَلَى حَصَى بَرْدٍ مِنْ ثَغْرِهَا شَبِمِ
تَكَرَّمَا وَأَكْفَتْ أَلْكَفَ عَنْ أَمِّ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا سَاعَةَ الْحُلْمِ

عَبَسَنْ مِنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مُبْتَسِمِ
ظَنَنْتُ شَيْبَتَهُ تَبَقَى وَمَا عَلِمْتُ
مَا شَابَ عَزْمِي وَلَا حَزْمِي وَلَا خُلْقِي
وَإِنَّمَا أَعْتَاضَ رَأْسِي غَيْرَ صَبْغَتِهِ
بِالنَّفْسِ قَائِلَةٌ فِي يَوْمٍ رِحْلَتِنَا
فَبِحُتْ وَجَدًا فَلَامْتَنِي فَقُلْنَ لَهَا
لَمَّا صَفَا قَلْبُهُ شَفَّتْ سَرَائِرُهُ
بَعْضُ التَّفَرُّقِ أَدْنَى لِلِقَاءِ وَكَمْ
كَيْفَ الْمَقَامِ بِأَرْضٍ لَا يُخَافُ بِهَا
فَقَبَّلْتَنِي تَوْدِيْعًا فَقُلْتُ لَهَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ رِيْقَهَا خَمْرًا لَمَا أَنْتَطَقْتُ
وَلَوْ تَيَقَّنْتُ غَيْرَ الرَّاحِ فِي فَمِهَا
وَزَادَ رِيْقَتَهَا فِي ثَغْرِهَا شَيْمًا
إِنِّي لِأَطْرَفُ طَرْفِي عَنْ مَحَاسِنِهَا
وَلَا أَهْمُ وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي

(١) انظر «ديوان التهامي» (ص ٣٣٣ - ٣٥٠).

مِنَّا كَمَا تَفْعَلُ الْأَرْوَاحُ بِالرِّمَمِ
عَنِ اعْتِسَافِ الْفَلَاحِ بِالْأَيْتِقِ الرُّسَمِ
سَيَّانٍ مَا أَشْبَهَ الْوُجْدَانَ بِالْعَدَمِ
عَنْ غَيْرِ فَضْلِ فَلَا تَمْدَحُ وَلَا تَلْمِ
فَلَوْ أَرَدْتَ دَوَامَ الْبُؤْسِ لَمْ يَدُمِ
سِحْرٌ لَمَّا أَقْتَنِصَ الْعِقْبَانَ بِالرَّحِمِ
وَهَلْ رَأَيْتَ شِفَاءً جَاءَ مِنْ سَقَمِ
كَانَتْ جَوَى لَكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
وَالرِّيحُ زَائِدَةٌ فِي كُلِّ مُضْطَرِمِ
عِزِّي كَمَا تُكَلِّمُ الْأَعْرَاضُ بِالْكَلِمِ
فِعْلِي وَلَا أَرْضِي فِي الْمَجْدِ بِالثَّمِ
لِمَنْ يُقْصِرُ عَنْ غَايَاتِ مَجْدِهِمْ
بِطَوْلِهِمْ فِي الْمَعَالِي لَا بِطَوْلِهِمْ
فَحَاسِدِي مُنِعِمٌ فِي زِيِّ مُنْتَقِمِ
عِنْدِي وَإِنْ وَقَعْتَ عَنْ غَيْرِ قَضِيهِمْ
صَحِيفَتِي فِي الْمَعَالِي عُنُونَتْ بِهِمْ
وَالْمَجْدُ أَقْرَبُ مِنْ سَاقِ إِلَى قَدَمِ

لَا أَكْفُرُ الطَّيْفَ نِعْمَى أَنْشَرْتُ رِمَمًا
حَيًّا فَأَحْيَا فَأَغْنِنَا زِيَارَتُهُ
وَوَضِلُّ الْخِيَالِ وَوَضِلُّ الْخُودِ إِنْ بَخَلْتِ
وَالدَّهْرُ كَالطَّيْفِ بُؤْسَاهُ وَأَنْعُمُهُ
لَا تَحْمَدِ الدَّهْرَ فِي بَأْسَاءِ يَكْشِفُهَا
خَالِفٌ هَوَاكَ فَلَوْلَا أَنَّ أَهْوَنَهُ
تَرْجُو الشِّفَاءَ بِجَفْنِيهَا وَسُقْمِيهَا
وَتَدَّعِي بِصَبَا نَجْدٍ فَإِنْ خَطَرْتُ
وَكَيْفَ يُطْفِي صَبَا نَجْدٍ صَبَابَتُهُ
أَضْبُو وَأَضْحُو وَلَمْ يَكَلِّمْ بِبَائِقَةٍ
وَلَا أَحِبُّ ثَنَاءً لَا يُصَدِّقُهُ
لَا تَحْسَبِي حَسَبِ الْأَبَاءِ مَكْرُمَةً
حُسْنُ الرِّجَالِ بِحُسْنَاهُمْ وَفَخْرُهُمْ
مَا أَغْتَابَنِي حَاسِدٌ إِلَّا شَرُفْتُ بِهِ
فَاللَّهُ يَكْلَأُ حُسَادِي بِأَنْعَمِهِمْ
يُنَبِّهُونَ عَلَى فَضْلِي إِذَا كُتِبَتْ^(١)
يَا طَالِبَ الْمَجْدِ فِي الْأَفَاقِ مُجْتَهِدًا

(١) في «ديوان التهامي» (ص ٣٣٩): (كُتِبَتْ).

قُلْ نَصْرُ دَوْلَةِ دِينِ اللَّهِ لِي أَمَلٌ
كَمْ حَدِثْتُ عَنْهُ فَنَادَتْنِي فَضَائِلُهُ
وَقَادَنِي نَحْوَهُ التَّوْفِيقُ ثُمَّ دَعَا
وَقَضْرُهُ عَرَفَاتُ الْعُرْفِ فَأَغْنَبَهُ
تَرَى الْمُلُوكَ عَلَى أَبْوَابِهِ عُصْبًا
يَحْفُهُ كُلُّ مَحْفُوفٍ [بِمَوْكِبِهِ]
نَظَلُّ مُزْدَحِمَاتٍ فِي مَوَاكِبِهِ
تَفِيئُوا ظِلًّا مُلْكٍ مِنْهُ مُحْتَشِمٍ
وَالْمُلْكُ كَالْعَابِ مِنْهُ خِذْرُ ذِي لِبَدٍ
هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ أَقْدَارًا وَمَقْدِرَةً
إِذَا بَدَا طَبَقُ التَّقْبِيلِ سَاحَتُهُ
فَسَاحَةُ الثَّغْرِ ثَغْرٌ أَشْنَبُ رَتْلٌ
كَأَنَّ أَرْضَكَ مِغْنَاتِيسُ كُلِّ فَمٍ
لَمَّا عَلَوَتْ غَمَزَتْ الْعَالَمِينَ نَدَى
تَرْقًا وَمَا رَقَاتُ نُعْمَاكَ عَنْ أَحَدٍ
مُقَسَّمٌ فِي الْعُلَا لِلْيُمْنِ يَمْنَتُهُ
إِنْ قَالَ لَا فَهِيَ آلاءُ مُضَاعَفَةٌ
تَبْدُو صِرَامَتُهُ فِي مَاءِ غُرَّتِهِ
هُوَ الْجَرِيُّ عَلَى مَالٍ يَجُودُ بِهِ

قَوْلِي وَقَدْ نَلْتُ أَقْصَى غَايَةِ آلِهِمْ
يَا حَاتِمَ الْأَدَبِ أَمْدَحُ حَاتِمَ الْكَرَمِ
هَذَا الطَّرِيقُ إِلَى الْعَلِيَاءِ فَاسْتَقِمِ
وَكَفُّهُ كَعَبَةُ الْعَلِيَاءِ فَاسْتَلِمِ
وَفِدَاءُ فَدَعُ غَيْرَهُمْ مِنْ سَائِرِ الْأَمَمِ
عِزًّا وَيَخْدُمُهُ ذُو الْجُنْدِ وَالْخَدَمِ
تِيْجَانُ كُلِّ مَهِيْبِ الْبَاسِ وَالنِّقَمِ
وَرُبَّ مُلْكٍ مُذَالٍ غَيْرِ مُحْتَشَمِ
وَمِنْهُ مُزْتَبِعٌ لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ
لَكِنْ أَتَى فَضْلُهُ مِنْ دُونِ فَضْلِهِمْ
فَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْئٌ غَيْرُ مُلْتَمَمِ
مُقَلَّجٌ فَهُوَ مَرْشُوفٌ بِكُلِّ فَمٍ
فَالطَّبْعُ يَجْذِبُهَا بِالطَّنُوعِ وَالرَّغَمِ
وَالْمُزْنُ تَعْلُو فَتُرْوِي الْأَرْضُ بِالْدِيمِ
بُورِكْتَ بُورِكْتَ مِنْ عَالٍ وَمُنْسَجِمِ
وَالْيُسْرِ يُسْرَتُهُ وَالْكُلُّ لِلْكَرَمِ
وَإِنْ يَقُلْ نَعْمًا أَفْضَتْ إِلَى نِعَمِ
وَالْمَاءُ بَعْضُ صِفَاتِ الصَّارِمِ الْحَدَمِ
وَالْكَرُّ فِي الْجُودِ مِثْلُ الْكَرِّ فِي الْبُهَمِ

مُفَرَّقُ الْجُودِ مَقْسُومٌ مَوَاهِبُهُ
وَالْغَيْثُ إِنْ جَادَ بِالْمَعْرُوفِ وَزَعَهُ
بِهِ إِلَى كُلِّ شَرْبٍ لِلْعُلَاظِمَا
وَيَعْتَرِيهِ إِلَى بَذْلِ اللَّهِ نَهْمٌ
إِلَيْكَ نَظَّمْتُ أَجْوَازَ الْفَلَاحَةِ عَلَى
كَأَنَّمَا الْبَيْدُ مِنْ دَامِي مَنَاسِمِهَا
أَخْفَافُهَا شَاكِلَاتٌ كُلٌّ [مُشْكِلَةٌ]
وَأَدَهَمٌ وَاضِحُ الْأَوْضَاحِ مُشْتَرِكٌ
لِلضَّوِّ أَرْسَاعُهُ إِلَّا حَوَافِرَهُ
مُخْلَوْلُكَ عَلِقَ التَّحْجِيلُ أَكْرَعَهُ
جَرَى فَجَلَى مُحْيَا الضُّبْحِ غُرَّتَهُ
أَضْحَى لِعَدْلِكَ ثَغْرُ الثَّغْرِ مُبْتَسِمًا
مَا يَنْقِمُ الثَّغْرُ إِلَّا أَنْ مَحَوَتْ بِهِ
عَفَفَتْ عَنْهُمْ فَرَادُوا عِفَّةً وَتَقَى
قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ أَمْلَاكَ مَا مَلَكَتْ بِهَا
لَوْ لَمْ تَحْزُهَا أَبَا نَصْرٍ لَمَا وَجَدَتْ
لَوْ تَطَلَّبُ الشَّمْسُ غَيْرَ الْبَدْرِ مَا اتَّصَلَتْ
زَادَتْ إِلَى عِزِّهَا عِزًّا بِهَا مُضَرٌّ
خَمْسُونَ أَلْفًا يُغْطِي الْبَرَّ جَمْعُهُمْ

فِي عَلَيْهِ النَّاسِ وَالْأَوْسَاطِ وَالْحَشَمِ
بَيْنَ الشَّنَاقِبِ وَالْغَيْطَانِ وَالْأَكَمِ
بَرْخٌ وَمَهْمَا أَرْتَوَى مِنْ مَائِهِنَّ ظَمِي
وَالظَّرْفُ أَجْمَعُهُ فِي ذَلِكَ أَلْتَهُمْ
وَجَنَاءَ تَهْوَى أَنْقِضَاصَ الْجَارِحِ الْقَرَمِ
مَصَاحِفٌ كُتِبَتْ أَعْشَارُهَا بِدَمِ
بِحُمْرَةِ مُعْجَمَاتٍ كُلٌّ مُنْعَجِمِ
بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مُنْقَسِمِ
فَإِنَّهِنَّ مَعَ الْجَلْبَابِ لِلظُّلَمِ
كَمَا تَعَلَّقَ بَدَأَ النَّارِ بِالْفَحَمِ
لَثْمًا وَمَسَّحَ بِالْأَرْسَاقِ وَالْحَدَمِ
وَكَانَ قَبْلُ عَبُوسًا غَيْرَ مُبْتَسِمِ
لَيْلًا مِنَ الظُّلَمِ كَانُوا مِنْهُ فِي ظَلَمِ
فَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ فِي حَرَمِ
بَنِي عَقِيلٍ وَمَا يَخُونُونَ مِنْ نِعَمِ
كُفْتًا يُشَاكِلُ فِي أَصْلِ وَلَا كَرَمِ
بِمِثْلِهِ فِي سَنَاءِ الْقَدْرِ وَالْعِظَمِ
وَرُبَّمَا صِيدَتْ الْعَلِيَاءُ بِالْحُرَمِ
بِمَوْجِ بَحْرِ مِنَ الْمَادِي مُلْتَطِمِ

مِنْ كُلِّ مَنْ يَتَلَقَّى وَجْهَ زَائِرِهِ
 يُحَزَّبُونَ عَلَى مَخْبُورَةٍ غَنِيَتْ
 لِيَصَاهِلِ الْخَيْلِ مِنْ تَحْتِ الزِّمَاحِ بِهِمْ
 قَوْمٌ يَرُونَ أَحْتِضَارَ الْعُمَرِ مَكْرَمَةً
 وَنَعْمَةً السَّيْفِ أَحْلَى نَعْمَةٍ خُلِقَتْ
 وَالْعَيْشُ فِي لَفِّ أَفْرَاسٍ مُكَلَّمَةٍ
 إِذِ الْأَسِنَّةُ فِي الْهَيْجَاءِ الْأَسِنَّةُ
 مُحَمَّرَةٌ مِنْ دَمِ الْأَبْطَالِ أَنْصَلُهُمْ
 قَدْ كُنْتُ أَنْكِرُ شِعْرِي حِينَ حَاوَلَهُ
 لَا يَأْلُمُونَ لِنَقْصِ الْبُخْلِ وَهُوَ بِهِمْ
 خَيْرُ الْمَنَاقِبِ مَا كَانَ الْبَيَانُ لَهُ
 [رِث] كُلُّ مَنْ بَخِلَتْ كَفَاهُ مِنْ مَلِكٍ
 دُو الْجُودِ يُورِثُ فِي مَحْيَاهُ أَنْعَمَهُ
 وَقِيَمَةُ الْمَرْءِ مَا جَادَتْ بِهِ يَدُهُ
 وَالْفَضْلُ أَشْيَاءُ شَتَّى أَنْتَ جُمَلْتَهَا

بِكَوَكِبِ كَهِلَالِ الْفِطْرِ مُلْتَمِّمِ
 عَنِ الْأَعِنَّةِ وَأَسْتَعْنُوا عَنِ الْحُزْمِ^(١)
 كَمَا تَزَاءَرَ غُلْبُ الْأَسَدِ فِي الْأَجْمِ
 فَلَيْسَ تُفْضِي بِهِمْ سِنَّ إِلَى هَرَمِ
 إِذَا تَرَنَّمَ بَعْدَ الْبَيْضِ فِي اللَّيْمِ
 بِمِثْلِهِنَّ وَفُرْسَانٍ بِمِثْلِهِمْ
 يُعْرِبْنَ عَنِ كُلِّ مِقْدَامٍ وَمُنْهَزِمِ
 كَأَنَّمَا نَصَلُوا الْأَزْمَاحَ بِالْعَنَمِ
 مَنِّي وَحَاشَاكَ أَمْلَاكَ بِلَا هِمَمِ
 مُبَرِّحِ كَيْفَ لِلْأَمْوَاتِ بِالْأَلَمِ
 سَلِكًا وَفُصِّلَ بِالْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ
 فَأَكْثَرُ النَّاسِ حُزْرَانُ لِعَیْرِهِمْ
 وَالنِّكْسُ يُورِثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ
 وَقَدْرُكَ الْأَنْفُسُ الْأَعْلَى مِنَ الْقِيَمِ
 وَصِیغَةُ أَنْتَ مَعْنَاهَا فَدُمْ [تَدْمِ]

بين القصيدتين بونٌ بعيدٌ والشاعرُ واحدٌ ، فما كلُّ حينٍ يجودُ الطَّبْعُ بما
 تهوى النفوسُ ، وما أردأُ تشبيهه - وهو عنه في غنية - في قوله : (كَأَنَّمَا
 البيدُ مِنْ دَامِي مَنَاسِمِهَا ...) البيتُ ؛ فإنه جمعٌ إلى سوءِ الأدبِ كونه صورةً

(١) في « ديوان التهامي » (ص ٣٤٧) :

عَنِ الْأَعِنَّةِ فَاسْتَعْنُوا عَنِ الْحُزْمِ

مُجَزَّبُونَ عَلَى مَخْبُورَةٍ غَنِيَتْ

اختراعيةً ليسَ لها في الخارجِ واقعٌ ؛ إذ ليسَ مِنَ المعهودِ أن تُكتَبَ أعشارُ
المصاحفِ بالدمِ .

وبعدُ : فليسَ في القصيدةِ غيرُ أبياتٍ ، وإنما أوردتها لتعرفَ ما أشرنا
إليه مِنْ تفاوتِ القولِ حتى على الشاعرِ الواحدِ ، فلا تَغْتَرَّ بشهرةِ المشهورِ
ولكنْ تُحَكِّمْ معرفتَكَ ، وعرضُ [ما] تجدهُ على ما تَقَرَّرَ مِنَ القوانينِ التي
بموافقتها ومخالفتها يردُّ القولُ ويجودُ .



[قصيدةٌ للأرجانيِّ في مدحِ المسترشدِ باللهِ]

هذا ؛ وليسَ يَقْصُرُ عن درجةِ هؤلاءِ خاتمةُ هذهِ الطبقةِ القاضي ناصحُ
الدينِ أحمدُ الأرجانيُّ ، وكانَ مُكثِراً ، حتى قيلَ : إِنَّهُ كَانَ فَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ
يَقُولَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَوْ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ ، لَكِنَّ الْمُدُونَ مِنْ شِعْرِهِ قَلِيلٌ ، وَهَذَا مِثَالُهُ :
قَالَ يَمْدَحُ الْإِمَامَ الْمُسْتَرشِدَ بِاللَّهِ (١) :

كَأَنَّكَ بِالْأَخْبَابِ قَدْ جَدَّدُوا الْعَهْدَا وَأَنْجَزْتَ الْأَيَّامَ مِنْ وَضْلِهِمْ وَعَدَا
وَعَادُوا إِلَيَّ مَا عَوَّدُونَا فَأَصْبَحُوا وَقَدْ أَنْعَمْتَ نِعْمٌ وَقَدْ أَسْعَدْتَ سُعْدِي
أَمَانِي لَا تُذْنِي نَوِيَّ غَيْرَ أَنَّهَا تُعَلِّلُ مِنَّا أَنْفُسًا مُلِئَتْ وَجَدَا
وَجَمْرَةَ شَوْقٍ كُلَّمَا لَامَ لَائِمٌ وَرَدَدَ مِنْ أَنْفَاسِهِ زَادَهَا وَقَدَا
أَحِنُّ إِلَى لَيْلِي عَلَى قُرْبِ دَارِهَا حَنِينَ الَّذِي يَشْكُو لِأَلْفِهِ بُعْدَا
وَلِي سِلْكَ جِسْمٍ مِلْؤُهُ دُرٌّ أَدْمَعِ فَلَوْلَا الْعِدَا أَمْسَيْتُ فِي جِيدِهَا عِقْدَا
أَكْتَمْتُ جَهْدِي حُبَّهَا وَهُوَ قَاتِلِي وَكَأَمِنْ نَارِ الزَّنْدِ لَا يُحْرِقُ الزَّنْدَا
هَالِئِيَّةٌ قَوْمًا وَبُعْدُ مَنَازِلِ فَهَلْ مِنْ سَنَاءٍ مِنْهَا إِلَى مُقْلَةٍ يَهْدِي
غَزَالِيَّةٌ لِلنَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ إِنْ أَنْتَقَبْتَ عَيْنًا وَإِنْ سَفَرْتَ خَدَا
إِذَا زُرْتَهَا جَرَّ الرِّمَاحِ فَوَارِسٌ لَتَقْصِيدِهَا فِيَمَنْ يَزُومُ لَهَا قَصْدَا
وَحَالُوا بِأَطْرَافِ أَلْقَنَّا دُونَ ثَغْرِهَا كَمَا [نَارَ] يَحْمِي النَّحْلُ بِالْإِبْرِ الشَّهْدَا
وَآخِرُ عَهْدِي يَوْمَ جَزَعَاءِ مَالِكِ بِمُنْعَرَجِ الْوَادِي وَأَطْعَانَهُمْ تُحْدِي

(١) انظر «ديوان الأرجاني» (١/٣٣٢ - ٣٤٠) .

وَلَمَّا دَنْتُ وَالسِّتْرُ مُرْخِيٌّ وَدُونَهَا
تَقَدَّمْتُ أَبْغِي أَنْ أَبِيعَ بِنَظْرَةٍ
أَسِفْتُ عَلَى مَاضِي عُهُودِ أَحَبَّتِي
أَبُوا أَنْ يَبِيتَ الصَّبُّ إِلَّا مَعْدَبًا
مَتَى وَرَدُوا بِي مَنَهَلًا مِنْ وَصَالِهِمْ
فَكَمْ حَادَ بِي إِنْ لَمْ أَنْلِ مِنْهُمْ مَنِي
وَمَا قَاتِلِي إِلَّا لَوَاحِظُ شَادِنِ
عَجِبْتُ لِلَّيْلِ وَهِيَ جِدُّ فَرُوقَةٍ
كَأَنَّ مَعَاجِ الْعَيْسِ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ
أَظَلَّتْهُ أَيَّامُ الْإِمَامِ بَعْدَلِهِ
بِحَقِّ إِلَيْهِ اللَّهُ أَلْقَى أُمُورَنَا
فَقَدْ زَيْنَ الدُّنْيَا بِأَثَارِ كَفِّهِ
يُؤَزِّقُهُ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ لِيَأْمَنُوا
قُلُوبُ الْعِدَا مِنْهُ حِذَارًا كَقَلْبِهِ
إِذَا مَا أَلْهُمُومُ الْمُسَهِّرَاتِ طَرَفَنَهُ
وَكَالصُّبْحِ مُبَيِّضًا لَهُ الرَّأْيُ يَنْتَضِي
بِمُسْتَرْشِدٍ بِاللَّهِ مُسْتَخْلِفٍ لَهُ
يَحُولُ حِجَابُ الْعَرِّ دُونَ لِقَائِهِ
وَتَنْهَى الْعُيُونَ الشَّمْسُ عَنْهَا إِذَا أَعْتَلَتْ

غِيَارِي غَدَتْ تَغْلِي صُدُورَهُمْ حِقْدًا
إِلَى سِجْفِهَا رُوحِي لَقَدْ رَخِصْتُ جِدًّا
وَهَلْ يَمْلِكُ الْمَحْزُونُ لِلْفَائِتِ الرَّدًّا
إِذَا بَعُدُوا شَوْقًا وَإِنْ قَرُبُوا صَدًّا
قَضَى هَجْرَهُمْ أَنْ يَسْبِقَ الصَّدْرُ الْوَرْدًا
وَكَمَّ عَادَ بِي إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْهُمْ بُدًّا
مِنَ الرَّاعِيَاتِ الْقَلْبَ لَا الْبَانَ وَالرَّنْدَا
وَقَدْ صَرَعَتْ يَوْمَ الْإِلْقَا فَارِسًا نَجْدَا
وَقَدْ طَفِقَتْ تَضْطَادُ غِزْلَانُهُ الْأَسْدَا
فَلَمْ يَخْشَ رِيْمَ أَحْوَرٍ أَسْدًا وَرَدَا
وَلِلَّهِ أَوْفَى نَاقِدٍ لِلْوَرَى نَقْدَا
سَمَاحًا وَخَلَاهَا لِأَبْنَائِهَا زُهْدَا
إِذَا الدَّهْرُ أَنْحَى نَحْوَهُمْ حَادِنًا إِذَا
عَلَيْنَا وَعَيْنَاهُ كَأَعْيُنِهِمْ سُهْدَا
ضِيُوفًا قَرَاهَا جَمْعُهُ الْجِدَّ وَالْجَدَا
إِذَا مَا أَظَلَّ الْخَطْبُ كَاللَّيْلِ مُسَوْدَا
مَلِيكَ يُرِيكَ اللَّهُ طَاعَتَهُ رُشْدَا
وَإِنْ كَانَ لَا يَغِيَا عَلَيَّ طَالِبٍ رِفْدَا
بُهُورًا وَإِنْ كَانَتْ بِأَنْوَارِهَا تُهْدَى

فَدُمُ لِلْعُلَا يَا خَيْرَ مَنْ مَطَرَ الْوَرَى
وَأَنْتَ الَّذِي قَدْ ضَمَّهُ الْبُرْدُ مِنْ تَقَى
وَوُلَيْتَ مِنْ مُلْكِ الْقَضِيبِ شَبِيهَ مَا
وَمَا هُوَ إِلَّا أَمْرُ أُمَّتِهِ الَّذِي
سَرَّائِرُ اللَّهِ أَنْطَوَتْ فِي أَمَائِرِ
إِذَا لَمَحَتْهَا فِطْنَةٌ عَرَبِيَّةٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ أَبْنِي نِزَارٍ تَمَلَّكَ
وَكَانَ لِهَذَا بِالسِّيَادَةِ حُجَّةٌ
دَلِيلَانِ كُلُّ مِنْهُمَا بِوُضُوحِهِ
نُحْبُوكَ لَا حُبَّ اعْتِيَادٍ وَإِنَّمَا
وَمَا إِنْ نَرَى أَجْرًا عَلَى اللَّهِ وَاجِبًا
بِكُمْ آلَ عَبَّاسٍ يُعَادُ وَمِنْكُمْ
وَأَنْتُمْ شَفَعْتُمْ لِلْحَيَا عِنْدَ حَبْسِهِ
فَهَلْ غَيْرُكُمْ مِنْ آلِ بَيْتِ مَكَارِمِ
لَكُمْ سَنٌّ فِي الْأَرْضِ الْخِلَافَةَ آدَمَ
وَفِي ظَهْرِ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ خَبِيئَةٌ
وَلَوْلَا الَّذِي أَصْبَحْتُمْ خُلَفَاءَهُ
وَلَمْ تُخْلَفُوا حَتَّى غَدَا غَايَةَ الَّتِي
تَرَكْتَ بَنِي الْإِلْحَادِ فِي كُلِّ مَوْطِنِ

نَوَالًا فَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ فِي النَّدَى نِدَاً
وَمِنْ كَرَمٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِثَ الْبُرْدَا
تَوَلَّاهُ مَنْ كَانَ الْمُسِيرُ بِهِ جِدًّا
إِلَيْكَ أَنْتَهَى إِذْ كُنْتَ مِنْ بَيْنِهَا فَرْدَا
أُولُو الْعِلْمِ قَدْ كَانَتْ إِلَى فَهْمِهَا أَهْدَى
غَدَتْ أَلْسِنًا عِنْدَ الْحِجَاكِ لَكُمْ لُدًّا
لَهُ الْقُبَّةَ الْحَمْرَاءَ وَالْفَرَسَ النَّهْدَا
وَهَذَا يَقُودُ الْخَيْلَ نَحْوَ الْوَعَى جُرْدَا
لَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ أَهْدَى الَّذِي أَهْدَى
بِذَاكَ عَلَيْنَا اللَّهُ قَدْ أَخَذَ الْعَهْدَا
لِمَسْعَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا لَكَ الْوُدَا
يُعَادُ لَنَا جَزُلُ الْعَطَاءِ كَمَا يُبْدَا
فَأَطْلَقْتُمُوهُ حَائِزِينَ لَهُ حَمْدَا
إِذَا افْتَخَرُوا كَانَ الْعَمَامُ لَهُمْ عَبْدَا
وَمِنْ أَجْلِكُمْ لَمْ يَأْسَ إِذْ فَارَقَ الْخُلْدَا
أَكْفُكُمْ حَتَّى غَدَتْ نَارُهُ بَرْدَا
لَمَا كَانَ مِنْ كَوْنٍ مَعَادٍ وَلَا مَبْدَا
تَنَاهَتْ فَمَا عَنْهَا لِذِي نُهْيَةِ مَعْدَى
وَقَدْ هَدَّ سَيْفُ اللَّهِ بُنْيَانَهُمْ هَدَّا

هُم خَلَطُوا الْإِسْلَامَ بِالْكَفْرِ خَلْطَةً
إِذَا الْكَفُّ أَبَدَتْ بِأَغْتِصَابِ إِشَارَةٍ
إِذَا رَأْسُ طَاغٍ مَالَ عَنْكَ جَهَالَةٌ
وَمَا أَرْتَدَّ مُنْحَازُ فَرْدٍ بِذِلَّةٍ
بَقِيَتْ لِذَهْرِ لَمْ تَدْعِ أَهْلَهُ سُدَى
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَرَتْ بِنَا
لَطْمَنَ بِأَيْدِيهِنَّ خَدًّا مِنْ أَلْفَلَا
وَقَدْ وَفَدَ الْعَبْدُ الْقَدِيمُ وَلَاؤُهُ
وَمَا الشُّعْرُ قَاضٍ وَاجِبًا مِنْ حُقُوقِكُمْ
وَلَوْلَا مَنَاهِي دِينَ جُودِ شَرَعْتَهُ
فِدَى لَكَ نَفْسِي فِي الْعَبِيدِ مِنَ الرَّدَى
بِقَاءِكَ أَرْجُو اللَّهَ رَبِّي وَظِلَّهُ
تَصُومُ عَلَيَّ يُمْنٌ وَتُفْطِرُ دَائِمًا
وَتَبْقَى إِلَيَّ أَنْ تُبْلِي الدَّهْرَ خَالِدًا

فَصَيَّرَتْ حَدَّ السَّيْفِ بَيْنَهُمُ الْحَدًّا
إِلَى حَقِّكَ الْمَمُورُوثِ لَمْ تَضَحِبِ الزَّنْدَا
أَبَى حَيْنُهُ إِلَّا الْقَنَاءَةَ لَهُ قَدًّا
إِلَى الدِّينِ إِلَّا سُرْعَةَ النَّفْسِ أَرْتَدَّا
وَدِينٍ جَعَلْتَ السَّيْفَ مِنْ دُونِهِ سَدًّا
رَكَائِبُ أَذْنَتْ مِنْ مَوَاقِفِكَ أَلْوَفَدَا
عَلَى عَجَلٍ حَتَّى تَرَكْنَ بِهِ خَدًّا
لِيُتْبِعَ طُرْفًا مِنْ مَدَائِحِكُمْ تُلْدَا
لَدَيَّ وَلَكِنْ مِنْ مُقِلِّ غَدَا جُهْدَا
عَمَمْتُ بِنَاتِ الْفِكْرِ مِنْ أَنْفٍ وَأَدَا
فَمِثْلِي مَنْ يَفْدِي وَمِثْلِكَ مَنْ يُفْدَى
عَلَى الْخَلْقِ طُرًّا أَنْ يَمُدَّهُمَا مَدًّا
وَتَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْعُلَا أَبَدًا سَعْدَا
وَلَا سَرَفٌ لِلسَّيْفِ أَنْ يُبْلِي الْعِغْمَدَا^(١)



(١) في «ديوان الأرجاني» (١/٣٤٠): (سرف) بدل (سرف).

الطبقة الثالثة

أشهر أهلها : محمد بن نباتة المصري ، وعصريه عبد العزيز بن سرايا الحلي ، فلنقتصر في التمثيل على ما نوردُهُ لهُما .

[قصيدة لابن نباتة المصري في مدح النبي ﷺ]

قال ابن نباتة يمدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) : [من الطويل]

صَحَا الْقَلْبُ لَوْلَا نَسْمَةٌ تَتَخَطَّرُ	وَلَمَعَةَ بَرْقٍ بِالْغَضَا تَتَسَعَّرُ
وَذَكَرُ جَبِينِ الْمَالِكِيَّةِ إِنْ بَدَا	هَلَالُ الدُّجَى وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ
سَقَى اللهُ أَكْنَافَ الْغَضَا سُبُلَ الْحَيَا	وَإِنْ كُنْتُ أَسْقَى أَدْمَعًا تَتَحَدَّرُ
وَعَيْشًا نَضًا عَنْهُ الزَّمَانُ بِيَاضُهُ	وَحَلَفَهُ فِي الرَّأْسِ يُزْهَى وَيَزْهَرُ
تَغَيَّرَ ذَاكَ اللَّوْنُ مَعَ مَنْ أَحْبَبُهُ	وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأَعَزُّ لَا يَتَغَيَّرُ
وَكَانَ الصَّبَا لَيْلًا وَكُنْتُ كَحَالِمٍ	فِيَا أَسْفِي وَالشَّيْبُ كَالصُّبْحِ يُسْفِرُ
يُعَلِّدُنِي تَحْتَ الْعِمَامَةِ كَتْمُهُ	فَيَعْتَادُ قَلْبِي حَسْرَةً حِينَ أَحْسِرُ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللهِ صَوْمٌ عَنِ الصَّبَا	وَقَلْبٌ عَلَى عَهْدِ الْحَسَانِ مُفْطَرُّ
تَذَكَّرْتُ أَوْطَانَ الْوِصَالِ فَأَشْهَبُ	مِنَ الدَّمْعِ فِي مِيدَانِ خَدْيِ وَأَحْمَرُ
إِذَا لَمْ تَفِضْ عَيْنِي الْعَقِيقَ فَإِذَا رَأْتُ ^(٢)	مَنَازِلَهُ بِالْوِصْلِ تُبْهَى وَتَبْهَرُ
وَإِنْ لَمْ تُوَاصِلْ عَادَةَ السَّفْحِ مُفْلَتِي	فَلَا عَادَهَا عَيْشٌ بِمَعْنَاهُ أَخْضَرُ

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ١٨٠ - ١٨٣) .

(٢) في « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ١٨٠) : (فلا رأيت) بدل (فإذا رأيت) .

لِيَالِي تَجْنِي الْحُسْنَ فِي أَوْجِهِ الدَّمِي
يُؤَثِّرُ فِي خَدِّ الْمَلِيحَةِ لَحْظَهَا
إِذَا حَلَّ مُبْيَضُّ الْمَشِيبِ بِعَارِضٍ
كَأَنِّي لَمْ أَتَّبِعْ صَبًا وَصَبَابَةً
وَلَمْ أَطْرُقِ الْحَيَّ الْخَصِيبَ زَمَانَهُ
وَعَيْدَاءَ أَمَّا جَفْنُهَا فَمُؤَنَّتْ
يَزُوقُكَ جَمْعُ الْحُسْنِ فِي لَحْظَاتِهَا
مِنَ الْعَيْدِ تُخْفِيهَا الطُّبَا بِحِجَابِهَا
يَسِيفُ وَرَاءَ الْمَشْرِفِيَّةِ خَدَّهَا
وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرُ سِحْرِ جُفُونِهَا
إِذَا جَرَّدَتْ مِنْ بُرْدِهَا فَهِيَ عَبْلَةٌ
إِذَا خَطَرَتْ فِي الرُّوضِ طَابَ كِلَاهُمَا
خَلِيلِي كَمْ رَوْضٍ نَزَلَتْ فِنَاءُهُ
وَفَارَقْتُهُ وَالطَّيْرُ صَافِرَةٌ بِهِ
إِلَى أَعْيُنِ بِالْمَاءِ نَضَّاحَةِ الصَّفَا
نَدَامَايَ مِنْ خَوْدِ وَرَاحِ وَقَيْنَةِ
قَضَيْتُ لُبَانَاتِ الشَّيْبَةِ وَالْهَوَى
وَرُبَّ طَمُوحِ الْعَزْمِ أَدْمَاءَ جَسْرَةِ
طَوْتُ بِدِرَاعِي وَخَدَّهَا شُقَّةَ الْفَلَا

وَتَجْنِي عَلَيَّ أَجْسَامِنَا حِينَ تَنْظُرُ
وَإِنْ كَانَ فِي مِيثَاقِهَا لَا يُؤَثِّرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا لِلْمَدَامِ مُمْطِرُ
خَلِيعَ عِذَارٍ حَيْثُ مَا هَمْتُ أُعْذِرُ
يُقَابِلُنِي زَهْرٌ لَدَيْهِ وَمِزْهَرُ
كَلِيلٌ وَأَمَّا لَحْظُهَا فَمُذَكَّرُ
عَلَى أَنَّهُ بِالطَّرْفِ جَمْعُ مُكَسَّرُ
وَلَكِنَّهَا كَالْبَدْرِ فِي الْمَاءِ يَظْهَرُ
كَمَا شَفَّ مِنْ دُونِ الزُّجَاجَةِ مُسَكِّرُ
وَأَحْبَبَ بِهَا سَحَّارَةٌ حِينَ تَسْحَرُ
وَإِنْ جَرَّدَتْ أَلْحَاطُهَا فَهِيَ عَنَتْرُ
فَلَمْ نَدِرْ مَنْ أَزْهَى وَأَشْهَى وَأَعْطَرُ
وَفِيهِ رَبِيعٌ لِلنَّزِيلِ وَجَعْفَرُ
وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَضْفُرُ
إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَنْخَرُ جَاشَ مَنْخَرُ
ثَلَاثُ شُخُوصٍ [كَاعِبَانِ] وَمُعْصِرُ
وَطَوَّلْتُ حَتَّى أَنْ أَنِّي مُقْصِرُ
يَظَلُّ بِهَا عَزْمِي عَلَى الْبِيدِ يَجْسُرُ
وَكَفَّ الثُّرَيَّا فِي دُجَى اللَّيْلِ تَشْبُرُ

بِصَمِّ الْحَصَى تَزْمِي الْحُدَاةَ كَأَنَّمَا
إِذَا مَا حُرُوفُ الْعَيْسِ خُطَّتْ بِقَفْرَةٍ
فَلِلَّهِ حَزْفٌ لَا تُرَامُ كَأَنَّهَا
[تَخَطَّتْ] بِنَا أَرْضَ الشَّامِ إِلَى حِمَى
إِلَى حَرَمِ الْأَمْنِ الْمَنِيْعِ جِوَارُهُ
إِلَى مَنْ هُوَ التَّيْبُرُ الْخَلَاصُ لِنَاقِدِ
نَبِيِّ أُمَّ اللَّهِ صُورَةَ فَخْرِهِ
نَظِيمُ الْعَلَا وَالْأَفُقِ مَا مَدَّ طَرْسَهُ
وَلَا لِعَصَا الْجَوَزَاءِ فِي الشُّهْبِ آيَةٌ
نَبِيِّ لَهُ مَجْدٌ قَدِيمٌ وَسُودَدٌ
تَحَزَمَ جَبْرِيلُ لِحِدْمَةِ وَحِيهِ
فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهِ وَجَبْرِيلُ خَادِمٌ
تَهَاوَتْ لِمَاتَاهُ النُّجُومُ كَأَنَّهَا
وَيَنْضُبُ [طَامِ] مِنْ بُحَيْرَةِ سَاوَةٍ
نَبِيِّ لَهُ الْحَوْضَانِ هَلْذِي أَصَابِعُ
وَعَنْ جَاهِهِ النَّارَانِ هَلْذِي بِفَارِسِ
إِذَا مَا تَشَفَّعْنَا بِهِ كُفَّ غَيْظُهَا
تَنْقَلُ نُورًا بَيْنَ أَصْلَابِ سَادَةٍ
وَمِنْ أَجْلِهِ جِيءَ الذَّبِيحَانَ بِالْفِدَا

تَغَارُ عَلَيَّ مَحْبُوبِيهَا حِينَ يُذَكَّرُ
غَدَتْ مَوْضِعَ الْعُنْوَانِ وَالْعَيْسُ أَسْطُرُ
بِوَشِكِ الشَّرَى حَزْفٌ لَدَى الْبَيْدِ مُضْمَرُ
بِهِ رَوْضَةٌ رِيًّا الْجَنَابِ وَمَنْبَرُ
إِذَا ظَلَّتِ الْأَصْوَاتُ بِالرَّوْعِ تَجَارُ
غَدَاةَ الثَّنَا وَالصَّفْوَةَ الْمُتَخَيَّرُ
وَأَدَمُ فِي فَخَّارِهِ يَتَّصَوَّرُ
[وَلَا الزَّهْرُ إِلَّا وَالْكَوَاكِبُ] تُنْتَرُ
وَبَحْرُ الدُّجَى مِنْ تَحْتِهَا يَتَفَجَّرُ
هَمِيمٌ وَأَخْبَارٌ تَجِلُّ وَتُخْبِرُ
وَأَقْبَلَ عَيْسَى بِالْبِشَارَةِ يَجْهَرُ
لِمَقْدَمِهِ الْعَالِي وَعَيْسَى مُبَشِّرُ
تُشَافُهُ بِالْخَدِّ الشَّرَى وَتُعْفِرُ
وَلِمَ لَا وَقَدْ [فَاضَتْ] بِكَفِّهِ أَبْحُرُ
تَفِيضُ وَهَذَا فِي الْقِيَامَةِ كَوْنُ
تَبُوخُ وَهَلْذِي فِي غَدِ حِينَ نُحْشَرُ
وَقَالَتْ عِبَارَاتُ الصِّرَاطِ لَنَا أَعْبُرُوا
فَلِلَّهِ مِنْهُ فِي [سَمَا] الْفَضْلِ نَيْرُ
وَصِيْنَ دَمٌ بَيْنَ الدِّمَاءِ مُطَهَّرُ

وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ
فَجَلَّى الدُّجَى وَأَسْتَوْتَقَ الدِّينَ وَاضِحاً
عَزَائِمُ مَنْ لَا يَخْتَشِي يَوْمَ غَزْوِهِ
عَلَا عَنِ مُحَاكَاةِ الْغَمَامِ لِفَضْلِهِ
يُظَلِّلُهُ وَقَتَ الْمَسِيرِ وَتَارَةً
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَطْرَ فِي الْغَيْمِ فَارِسٌ
هُوَ الْبَحْرُ فَيَاضُ الْمَوَارِدِ لِلْوَرَى
فَمَنْ لِي بِلَفْظِ جَوْهَرِيٍّ قَصَائِدًا
وَهَيْهَاتَ أَنْ [تَحْصِي] بِتَقْرِيرِ مَادِحٍ
إِذَا شُعْرَاءُ الذِّكْرِ قَامَتْ بِمَدْحِهِ
نَبِيٌّ زَكَ أَضْلًا وَفَزَعًا وَأَقْبَلَتْ
وَخَاطَبَهُ وَخَشُ الْمَهَامِهِ أَنْسَا
لَهُ رَاحَةً فِيهَا عَلَى الْبَاسِ وَالنَّدَى
فَبَيْنَا الْعَصَا فِيهَا وَرَبِيقُ قَضِيبُهَا
كَذَا فَلْتَكُنْ فِي شُكْرِهَا وَصِفَاتِهَا
سَخَتْ وَمَحَتْ شَكْوَى قَتَادَةَ فَاغْتَدَتْ
لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَتْ صِفَاتُ مُحَمَّدٍ
أَرَى مُعْجَزَ الرُّسُلِ أَنْطَوَى بِأَنْطَوَائِهِمْ
كَبِيرٌ فَخَارِ الذِّكْرِ فِي الْخَلْقِ كُلَّمَا

بَدَا قَمَرًا وَالشِّرْكَ كَاللَّيْلِ يَكْفُرُ
[وَقَامَ] بِنَصْرِ اللَّهِ دَاعٍ مُظْفَرُ
رَدَى وَعَطَا مَنْ لَيْسَ لِلْفَقْرِ يَحْذَرُ
وَكَيْفَ يُحَاكِيهِ الْخُدَيْنِمُ الْمُسَخَّرُ
يُشِيرُ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ فَتُمْطَرُ
إِذَا بَرَزَتْ الْأَوْهُ يَتَّعَطَّرُ
وَلَكِنَّهُ الْعَذْبُ الَّذِي لَا يُكَدَّرُ
يُنْظَمُ حَتَّى يَمْدَحَ الْبَحْرَ جَوْهَرُ
مَنَاقِبُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ تُقَرَّرُ
فَمَا قَدَرُ مَا تُنْشِي الْأَنَامُ وَتَشْعُرُ
إِلَيْهِ أَضُولُ فِي الثَّرَى تَتَجَرَّرُ
إِلَيْهِ وَمَا عَنِ ذَلِكَ الْحُسْنِ يَنْفِرُ
دَلَائِلُ حَتَّى فِي الْجَمَادِ تُؤَثَّرُ
إِذَا هُوَ مَشْحُودُ الْغِرَارَيْنِ أَبْتَرُ
يَدَّ بَيْنَ أَوْصَافِ النَّبِيِّينَ تُشْكُرُ
بِهَا الْعَيْنُ تَجْرِي أَوْ بِهَا الْعَيْنُ تُبْصِرُ
كَذَاكَ النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ تُسَيِّرُ
وَمُعْجَزُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُنْشَرُ
تَلَا قَارِيٌّ أَوْ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ

لِعَجْرِيَلٍ عَنْهُ مَوْقِفٌ مُتَأَخِّرٌ
 بِحَيْثُ لَهُ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ مَحْضَرٌ
 تُحَاطُّ وَلَا أَنْوَارُهُ تَتَكَدَّرُ
 عَلَيَّ أَنَّهَا أَضَحَّتْ عَلَيَّ الْفَوْزِ تَقْصُرُ
 فَرَجْوَاكَ فِي الدَّارَيْنِ أَجْدَى وَأَجْدَرُ
 يَمُرَّانِ بِي فِي عَيْشَةٍ تَتَمَرَّرُ
 فَلَا الْعِزُّ يُسْتَحْلَى وَلَا الْبَيْنُ يَفْتُرُ
 وَلَكِنَّهُ بِالذَّنْبِ كَالظَّهْرِ مُوقَرُ
 مِنَ الْعَجْزِ وَالْبُؤْسَى قَتِيلٌ مُصَبَّرُ
 وَأَيَقِنْتُ أَنَّ النُّجْحَ لَا يُتَعَدَّرُ
 يُعَبَّرُ عَنْ غَرْسِ الْجِنَانِ وَيَعْبَرُ^(١)
 تُحَلُّ حُبًّا مَدْحٍ وَتُعْقَدُ حِنْصَرُ
 وَتَكْبُرُ حَاجَاتِي وَجَاهُكَ أَكْبَرُ
 عَلَيَّ كُلِّ بَيْتٍ لِي مِنَ الشِّعْرِ يَعْمُرُ
 فَيَحْلُو لَنَا مِنْهَا الْكَلَامُ الْمُكْرَرُ
 لَتَفْضُلُ مَا أَبْدَاهُ طَيِّ وَبُحْتُرُ
 رِخَاءٌ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ صَرَصَرُ

هُوَ الْمُرْتَقِي السَّبْعَ الطَّبَاقَ إِلَى مَدَى
 هُوَ الثَّابِتُ الْعَلِيًّا عَلَى كُلِّ مُرْسَلٍ
 هُوَ الْمُصْطَفَى وَالْمُقْتَفَى لَا مَنَارُهُ
 إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مُدَّتْ مَطَالِبِي
 خُلِقْتَ شَفِيعًا لِلْأَنَامِ مُشْفَعًا
 وَلِي حَالَتَا دُنْيَا وَأُخْرَى أَرَاهُمَا
 حَيَاةٌ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ وَغُرْبَةٍ
 وَعَزْمٌ إِلَى الْأُخْرَى يَهُمُّ نُهُوضُهُ
 تَصَبَّرْتُ فِي هَذَا وَذَلِكَ كَأَنِّي
 وَهَذَا قَدْ أَبْلَغْتُ عُدْرِي قَاصِدًا
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
 وَإِلَيْكَ وَالصَّحْبِ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ
 بِجَاهِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَقْبَلْتُ لِأَيْدَا
 وَنَظَّمْتُ شِعْرِي فِيكَ يُزْهِى قَصِيدَةٌ
 مُعْظَمَةٌ الْمَعْنَى يُكْرَرُ لَفْظُهَا
 دَنَتْ مِنْ صِفَاتِ الْفَضْلِ مِنْكَ فَإِنَّهَا
 وَمَا ضَرَّهَا إِذْ كَانَ نَشْرُ نَسِيمِهَا

(١) في «ديوان ابن نباتة المصري» (تُعبر عن غرس الجنان وتعبر).

ينبغي لك أيها الطالب الراغب في معرفة جودة الصنعة الشعرية أن تكرر النظر في هذا الشعر ، وتأمله بيتاً بيتاً ؛ حتى تقف على ما أسكن كلاً منها من أنواع البديع .

وحسبك شاهداً على براعة الاستهلال وما ينبغي أن يُصدَّر به المديح النبوي من النَّسيب ؛ فإنه بدأ الكلام بقوله : (صحا القلب) ، وهي عبارة عربية ابتداءً بها زهيرٌ قصائد وغيره ، فهي تصرف خيالك إلى العرب ، وتشعر أنه يريد القول في تلك الناحية .

ثم خرج عن هذه الإشارة الخفية إلى ما هو أوضح منها ، فذكر النسمة ، ولمعة البرق ، والغضا ، ثم مضى في ذكر الأماكن الحجازية على طريقة الغرام ، حتى تخلَّص إلى المدح .

[قصيدة أخرى لابن نباتة المصري في تهنئة ملكٍ وتعزيتِهِ]

ومن بديع شعره : قصيدته التي جمع فيها بين تهنئة ملكٍ وتعزيتِهِ بأبيه وإن كان قد سبق به كما عرفت ، ولكنَّهُ قد أجاد الاتباع ، وأحسن ما شاء ، وهي هذه^(١) :

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ الْعَزَاءَ الْمُقَدَّمَا فَمَا عَبَسَ الْمَحْزُونُ حَتَّى تَبَسَّمَا
تُغُورُ أَبْتِسَامٍ فِي تُغُورِ مَدَامِعِ شَبِيهَانَ لَا يَمْتَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا
تَدِرُّ مَجَارِي الدَّمْعِ وَالْبِشْرِ وَاضِحِ كَوَائِلِ غَيْثٍ فِي ضَحَى الشَّمْسِ قَدْ هَمَى
سَقَى الْغَيْثُ عَنَّا تُرْبَةَ الْمَلِكِ الَّذِي تَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَعَزَّ بِهِ الْحِمَى
مَلِيكَانِ هَذَا قَدْ هَوَى لِضَرْبِهِ بَرِّغَمِي وَهَذَا صَانَهُ اللَّهُ قَدْ سَمَا

(١) انظر «ديوان ابن نباتة المصري» (ص ٤٢٩ - ٤٣٠) .

فَغَضُنْ ذَوَى مِنْهَا وَآخِرُ قَدْ نَمَا
وَشِمْنَا لِأَنْوَاعِ الْجَمِيلِ مُتَمِّمًا
وَجَدْتَ زَمَانَ الْمُلْكِ قَدْ عَادَ مِثْلَمَا
بِوزْنِ الثَّنَا وَالْحَمْدِ بَيْتًا مُنْظَمًا
فَقَامَ كَمَا تَرْضَى الْعُلَا وَتَقَدَّمَا
صَمِيمًا وَيَنْضُو الرَّأْيِ عَضْبًا مُصَمَّمًا
وَيَبْعَثُ لِلْأَعْدَاءِ فِي الرَّوْعِ أَشْهُمَا
بِهِ ضَيْغَمٌ أَنْشَأَ لَهُ الدَّهْرُ ضَيْغَمًا
وَقَدْ قُتِمَتْ يَا أَرْكَى الْأَنَامِ وَأَحْزَمًا
تَدَاعَتْ وَلَا بُنْيَانَ قَوْمٍ تَهْدَمًا
لَقَدْ شَادَ فِي عَالِيَاكَ رُكْنًا مُعْظَمًا
تَمَكَّنَ فِي عَالِيَاكَ وَتَحَكَّمَ
فَقَدْ جَدَّدْتَ عَالِيَاكَ وَقْتًا وَمَوْسِمًا
وَرَحِمْتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
وَأَبْقَاكَ بَحْرًا بِالْمَوَاهِبِ مُفْعَمًا
وَأَشْرَفَ أَخْلَاقًا وَأَفْضَلَ مُنْتَمَى
رَبِيعَ الْهَنَاءِ حَتَّى نَسِينَا الْمُحْرَمًا

وَدَوْحَةِ فَضْلِ شَادَوِي تَكَافَاتُ
فَقَدْنَا لِأَعْنَاقِ الْبَرِيَّةِ مَالِكًا
إِذَا الْأَفْضَلُ الْمُلْكِ أُعْتَبِرَتْ مَقَامُهُ
أَعَادَ مَعَالِي الْبَيْتِ حَتَّى حَسِبْتُهُ
وَنَادَاهُ مُلْكٌ قَدْ تَقَادَمَ إِزْنُهُ
تُقَابِلُ مِنْهُ مُقْلَةُ الدَّهْرِ سُودَدًا
وَيَقْسِمُ فِينَا كُلَّ سَهْمٍ مِنَ النَّدَى
كَأَنَّ دِيَارَ الْمُلْكِ غَابَتْ إِذَا أَنْقَضَى
كَأَنَّ عِمَادَ الْبَيْتِ غَيْرُ مُقَوِّضٍ
نَهَضَتْ فَمَا قُلْنَا سِيَادَةَ مَعْشَرٍ
أَمَا وَالَّذِي أَعْطَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَقَدْ أَنْشَرَ الْأَسْلَافُ بِالْخَلْفِ الَّذِي (١)
وَإِنْ تَكُ أَوْقَاتُ الْمُؤَيَّدِ قَدْ خَلَتْ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَرَّ شَارِقُ
هُوَ الْغَيْثُ وَلَى بِالثَّنَاءِ مُشِيْعًا
لَكَ اللَّهُ مَا أَبْهَى وَأَبْهَرَ طُلْعَةً
بِكَ أَنْبَسَطْتَ فِينَا التَّهَانِي وَأَنْشَأْتَ

(١) في «ديوان ابن نباتة المصري» (ص ٤٣٠): (الإسلام) بدل (الأسلاف).

يُقِرُّ سَنَاهَا النَّاطِرَ الْمُتَوَسِّمًا
وَبِأَسْرِ كَمَا يَمْضِي الْقَضَاءُ مُحْتَمًا
وَعَزُّ بِهِ قَلْبُ الْحَسُودِ تَكَلَّمًا
فَأَنْتَ ابْنُ أَيُّوبَ وَإِلَّا ابْنُ مَرْيَمَا
ثَنَّتْ عَزْمَهُ لِلِاعْتِرَافِ فَسَلَّمَا
وَسَيُفْكَ يَوْمَ الْحَرْبِ يَنْهَلُ فِي الدِّمَا
وَلَثُمُ ثَرَى نَعْلَيْكَ يُزَوِّي مِنَ الظَّمَا
كِلَا طَرْفَيْهِ فِي السِّيَادَةِ مَعْلَمًا
يَثُوبُ وَإِمَا لِلْجَوَادِ مُطَهَّمًا
رَأَيْنَا مِنَ التَّحْقِيقِ أَنْ نَتَخَتَّمَا
فَأَنْجَدَ مَدْحَ النَّاسِ فِيهِ وَأَتَهَّمَا
يَدَا كَلِمِي فَاسْتَلْزَمْتَ مِنْكَ مَلْزَمًا
وَفِيكَ وَأَزَوِي مُسْنَدَ الْفَضْلِ عَنْكُمَا
فَأَسْجَعُ فِي أَوْصَافِهِ مُتَرَنَّمًا
بِمُلْكِكَ لَا أُعْطِي عَلَيْهَا مُنْجَمًا
فَحَظُّ الْوَرَى فِي أَنْ تَعِيشَ وَتَسَلَّمَا
أَسْرَ الْوَرَى مَسْرَى وَأَيَّمَنْ مَقْدِمًا
إِلَى أَنْ مَلَأْتَ الْعَيْنَ وَالْكَفَّ وَالْفَمَا

وَبِأَسْمِكَ فِي الدُّنْيَا اسْتَقَرَّتْ مَحَاسِنُ
نَوَالٍ كَمَا يَسْرِي السَّحَابُ مُطَبَّقًا
وَفَضْلٌ بِهِ [الْأَلْفَاظُ] لِلْعَجْزِ أُخْرِسَتْ
أَعَدَّتْ حَيَاةَ الْمُقْتَرِينَ وَقَدْ عَفَتْ
إِذَا أَلْعَيْتُ صَلَّى خَلْفَ جَدَوَاكَ رَاكِعًا
يَرَاكَ يَوْمَ السَّلَامِ يَنْهَلُ دِيمَةً
وَذَكَرُ نَدَى كَفَيْكَ يُذْنِي مِنَ الْغِنَى
لَكَ الْمُلْكُ إِزْنًا وَآكْتِسَابًا فَقَدْ عَدَا
وَمِثْلُكَ إِمَا لِلْسَّرِيرِ مُنْعَمًا
وَلَمَّا عَقَدْنَا بِأَسْمِ عَلِيَاكَ خِنْصِرًا
أَيَا مَلِكًا قَدْ أَنْجَدَ النَّاسُ [عَزْمَهُ]
سَبَقْتُ لَكَ الْمُدَّاحَ قَدَمًا وَبَادَرْتُ
لِيَالِي أَنْشِي فِي أَبِيكَ مَدَائِحًا
وَأَغْدُو بِأَنْوَاعِ الْجَمِيلِ مُطَوِّقًا
وَأَسْتَوْضِحُ الْعُلَيَاءَ فِيكَ فِرَاسَةً
فَعِشْ لِلْوَرَى وَأَسْلَمَ سَعِيدًا مُهَنَّا
وَسِرْ فِي أَمَانِ اللَّهِ وَأَقْدُمَ بِفَضْلِهِ
أَعَدَّتْ زَمَانَ الْبِشْرِ وَالْجُودِ وَاللَّثْنَا

في قوله : (فقدنا لأعناقٍ ...) البيت .. تلميحٌ بمالكٍ ومُتَمِّمِ ابْنِي نَوِيرَةَ
السابقِ ذَكَرَهُمَا ^(١) ، وقولُهُ : (ولا بنيانُ قومٍ تَهَدَّمَا) أي : كما قالَ الأَوَّلُ ومنهُ
ضَمِّنَ ^(٢) :

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحِمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا



(١) تقدم (٢٤٦/٣ - ٢٤٧) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (١٨٣/١ - ١٨٤) ، وذكر بين البيتين بيتاً ثالثاً .

[قصيدةٌ للحليِّ في مدحِ الناصرِ بنِ قلاوون]

وَمِنْ جَيِّدِ شَعْرِ الصَّفِيِّ - وديوانُهُ كبيرٌ ، قَسَمَهُ اثْنِي عَشَرَ بَاباً فِي
أَجْنَاسِ الْمَعَانِي ، وَكُلُّهُ مَفِيدٌ ، وَمِيْلُهُ لِلْمَعْنَى أَكْثَرُ مِنْ مِيْلِهِ لِلْفِظِّ ،
عَلَى أَنَّهُ شَدِيدُ الْمَلَاخِظَةِ لِلْبَدِيعِ - قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَمْدُحُ بِهَا النَّاصِرَ
مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ أَحَدَ مَلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَعَارِضَ بِهَا قَصِيدَةَ لِأَبِي
الطَّيِّبِ ، وَقَدْ اقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ الدِّيَوَانِ ذَلِكَ ، وَمَطْلَعُ قَصِيدَةِ أَبِي الطَّيِّبِ
الْمَعَارِضَةُ^(١) :

بِأَبِي الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبَا أَلَلَّابِسَاتُ مِنَ الْخَرِيرِ جَلَابِبَا
وَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفِيُّ صَدَرَ الْمَطْلَعِ دَلَالَةً عَلَى الْمَعَارِضَةِ ، وَهَذِهِ قَصِيدَةُ
الصَّفِيِّ^(٢) :

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ النَّهْودِ ذَوَائِبَا فَتَرَكَنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبَا
وَجَلَوْنَ فِي صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً غَادَزْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبَا
بِيضٌ دَعَاهَنَّ الْغَبِيُّ كَوَاعِبَا وَلَوْ أَسْتَبَانَ الرَّشْدُ قَالَ كَوَاكِبَا
وَرَبَائِبُ فَإِذَا رَأَيْتَ نِقَارَهَا مِنْ بَسْطِ أَنْسِكَ خِلْتَهُنَّ رَبَارِبَا
سَفَّهُنَ رَأْيَ الْمَانَوِيَّةِ عِنْدَمَا أَسْبَلْنَ مِنْ ظُلَمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبَا
وَسَفَرُونَ لِي فَرَأَيْنَ شَخْصاً حَاضِراً شَدَهَتْ بِصِيرَتُهُ وَقَلْباً غَائِبَا
أَشْرَفْنَ فِي حُلَلٍ كَأَنَّ أَدِيمَهَا شَفَقْتُ تَدَرَّعَهُ الشُّمُوسُ جَلَابِبَا

(١) انظر « ديوان المتنبّي » (ص ٨٠) .

(٢) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٥٩ - ٦٢) .

بِأَبِي الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبَا
فِيخَالٍ مِنْ مَرَحِ الشَّيْبَةِ شَارِبَا
عَتَيْي وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبَا
وَأزورُّ الْحَاظَا وَقَطَّبَ حَاجِبَا
ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةَ مُغَاضِبَا
نَهْبَا وَإِنْ مَنَحَ الْعُيُونَ مَوَاهِبَا
مِنْ نُورِهِ وَدَعَاهُ قَلْبِي نَاهِبَا
نِعْمَا وَتَدْعُوهُ الْقَسَاوِرُ سَالِبَا
صِيدُ الْمُلُوكِ مَشَارِقَا وَمَعَارِبَا
وَيَعُدُّ رَاحَاتِ الْفَرَاحِ مَتَاعِبَا
وَعَزَائِمِ تَدْعُ الْبِحَارَ سَبَاسِبَا
مِنْ ذِكْرِهِ مِلَّتْ قَنَاءُ وَقَوَاضِبَا
مِثْلُ الزَّمَانِ مُسَالِمَا وَمُحَارِبَا
وَإِذَا سَخَا مَلَأَ الْأَكْفَ مَوَاهِبَا
سَبْطَا وَيُرْسِلُ مِنْ سَطَاهُ حَاصِبَا
طَوْرًا وَيُنْشِبُ فِي الْقَنْيِصِ مَخَالِبَا
طَلْقًا وَيُمْضِي فِي الْهِيَاجِ مَضَارِبَا
وَيَعُدُّهُ قَوْمٌ عَذَابَا وَاصِبَا
مِنْهُ وَيُبْدِي لِلْعُيُونَ عَجَائِبَا

وَعَرَبْنَ فِي كِلَلٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي
وَمُعَزَبِدِ اللَّحْظَاتِ يَثْنِي عِطْفُهُ
حُلُوُ التَّعْتَبِ وَالِدَّلَالِ يَرُوقُهُ
عَاتِبْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
فَأَذَابَنِي الْخَدُّ الْكَلِيمِ وَطَرْفُهُ
ذُو مَنْظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ لِحُسْنِهِ
لَا بَدَعَ إِنْ وَهَبَ النَّوَاطِرَ حُظُوءَةً
فَمَوَاهِبُ السُّلْطَانِ قَدْ كَسَتِ الْوَرَى
النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ
مَلِكٌ يَرَى تَعَبَ الْمَكَارِمِ رَاحَةً
بِمَكَارِمِ تَذُرُّ السَّبَاسِبَ أَبْحُرَا
لَمْ تَخُلْ أَرْضٌ مِنْ ثَنَاهُ وَلَوْ خَلَّتْ
تُرْجَى مَوَاهِبُهُ وَيُزْهَبُ بَطْشُهُ
فَإِذَا سَطَا مَلَأَ الْقُلُوبَ مَهَابَةً
كَالْغَيْثِ يَبْعَثُ مِنْ عَطَاهُ وَابِلَا
كَاللَّيْثِ يَحْمِي غَابَهُ بِزَيْبِرِهِ
كَالسَّيْفِ يُبْدِي لِلنَّوَاطِرِ مَنْظَرَا
كَالسَّيْلِ يُحْمَدُ مِنْهُ عَذْبٌ وَاصِلٌ
كَالْبَحْرِ يُهْدِي لِلنُّفُوسِ نَفَائِسَا

فَإِذَا نَظَرْتَ نَدَى يَدَيْهِ وَرَأَيْهُ
أَبْقَى قَلَاوُونَ أَلْفَخَارَ لَوْلَدِهِ
قَوْمٌ إِذَا سَأِمُوا الصَّوْفَانَ صَيَّرُوا
عَشَقُوا الْحُرُوبَ [تَيْمَنًا] بِلِقَا الْعِدَا
وَكَأَنَّمَا ظَنُّوا السُّيُوفَ سَوَالِفًا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَزِيزُ وَمَنْ لَهُ
أَصْلَحَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِهِمَّةٌ
وَوَهَبَتْهُمْ زَمَنَ الْأَمَانِ فَمَنْ رَأَى
قَرُّوْا خِطَابًا كَانَ خَطْبًا فَادِحًا
وَحَرَسْتَ مُلْكَكَ مِنْ رَجِيمٍ مَارِدٍ
حَتَّى إِذَا خَطَفَ الْمُكَافِحُ خَطْفَةً
لَا يَنْفَعُ التَّجْرِبُ خَضَمَكَ بَعْدَمَا
صَرَّمْتَ شَمْلَ الْمَارِقِينَ بِمَارِقِ
صَافِي الْفِرْنِدِ حَكَى صَبَاحًا جَامِدًا
وَكَتَيْبَةَ تَذَرُ الصَّهِيلَ رَوَاعِدًا
حَتَّى إِذَا رِيحُ الْجِلَادِ حَدَّتْ لَهَا
بِذَوَابِلِ مُلْسٍ يُخْلَنَ أَرَاقِمًا
تَطَأُ الصُّدُورَ مِنَ الصُّدُورِ كَأَنَّمَا
فَأَقَمْتَ تَقْسِمُ لِلْوُحُوشِ وَظَائِفًا

لَمْ تَلَقَ إِلَّا صَيِّبًا أَوْ صَائِبًا
إِزْنًا وَفَازُوا بِالثَّنَاءِ مَكَاسِبًا
لِلْمَجْدِ أَخْطَارَ الْأُمُورِ مَرَائِبًا
فَكَأَنَّهُمْ حَسَبُوا الْعُدَاةَ حَبَائِبًا
وَأَلْدَنَ قَدًا وَالْقِسِيَّ حَوَاجِبًا
شَرَفٌ يَجْرُ عَلَى النُّجُومِ ذَوَائِبًا
تَذَرُ الْأَجَانِبَ بِالْوِدَادِ أَقَارِبًا
مَلِكًا يَكُونُ لَهُ الزَّمَانُ مَوَاهِبًا
لَهُمْ وَكُتِبَ كُنَّ قَبْلُ كَتَائِبًا
بِصَوَارِمٍ إِنْ صُلَّتْ كُنَّ كَوَائِبًا
أَتْبَعَتْهُ مِنْهَا شَهَابًا ثَائِبًا
أَفْنَيْتَ مَنْ أَفْنَى الزَّمَانَ تَجَارِبًا
تُبْدِيهِ مَسْلُوبًا فَيَرْجِعُ سَالِبًا
أَبْدَى النَّجِيعَ بِهِ شُعَاعًا ذَائِبًا
وَالْبَيْضَ بَرْقًا وَالْعَجَاجَ سَحَائِبًا
مَطَرَتْ فَكَانَ الْوَيْلُ نَبْلًا صَائِبًا
وَشَوَازِبُ جُرْدٍ يُخْلَنَ عَقَارِبًا
تَعْتَاضُ مِنْ وَطْءِ الثُّرَابِ تَرَائِبًا
فِيهَا وَتَضَعُ لِلنُّسُورِ مَادِبًا

وَجَعَلَتْ هَامَاتِ الْكُفَمَاةِ مَنَابِرًا
 يَا رَاكِبَ الْخَطَرِ الْجَلِيلِ وَقَوْلُهُ
 صَيَّرَتْ أَسْحَارَ السَّمَاحِ بَوَاكِرًا
 وَبَذَلَتْ لِلْمُدَّاحِ صَفْوَ خَلَائِقِ
 فَرَأَوْكَ فِي جَنْبِ النُّضَارِ مُفَرِّطًا
 إِنْ يَحْرُسِ النَّاسُ النُّضَارَ بِحَاجِبِ
 لَمْ يَمْلُؤُوا فِيكَ الْبُيُوتَ غَرَائِبًا
 أَوْلَيْتَنِي قَبْلَ الْمَدِيحِ عِنَايَةً
 وَرَفَعْتَ قَدْرِي فِي الْأَنَامِ وَقَدْ رَأَوْا
 فِي مَجْلِسِ سَاوَى الْخَلَائِقِ فِي النَّدَى
 وَافِيئْتُهُ فِي الْفُلْكِ أَسْعَى جَالِسًا
 فَأَقَمْتُ أَنْفِذُ فِي الزَّمَانِ أَوَامِرًا
 وَسَقَمْتَنِي الدُّنْيَا غَدَاةَ وَرَدُّتُهُ

أي : كما مَطَرَتِ المعارضَ حيثُ يقولُ : (أَظْمَتْنِي الدُّنْيَا) ، وكانَ ذلكَ بسببِ تَعْرِفُهُ إِذَا قرأتَ شرحَ قصيدةِ أَبِي الطيبِ .

فَطَفِئْتُ أَمْلًا مِنْ ثَنَّاكَ وَنَشْرِهِ
 أَنِّي فَتْنِيَنِي صِفَاتِكَ مُظْهِرًا
 لَوْ أَنَّ أَعْضَائِي جَمِيعًا أَلْسُنُ
 حُقْبًا وَأَمْلًا مِنْ نَدَاكَ حَقَائِبًا
 عِيًّا وَكَمْ أَعَيْتَ صِفَاتِكَ خَاطِبًا
 تُثْنِي عَلَيْنِكَ لَمَّا قَضَيْتَ أَلْوَجِبًا

ولهُ في بابِ الآدابِ والحِكمِ حِسانٌ مقاطيعَ يحسُنُ بالطَّالِبِ حفظُها .

[من المنسرح]

منها قوله^(١) :

صَاحِبٌ إِذَا مَا صَحِبْتَ ذَا أَدَبٍ مُهَذَّبًا زَانَ خَلَقَهُ الْخُلُقُ
وَلَا تُصَاحِبْ مَنْ فِي طَبَائِعِهِ شَرٌّ فَإِنَّ الطَّبَاعَ تُسْتَرَقُّ

أي : كما يقولُ الناسُ : الطَّبَعُ لَصٌّ ، وفي الشعرِ القديمِ^(٢) : [من الطويل]

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي
وفي الحديثِ الشَّرِيفِ : « كُلُّ أَمْرٍ يُحْشَرُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ
أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ »^(٣) .

[من الخفيف]

ومنها قوله^(٤) :

أَقْلِيلِ الْمَمْرَحَ فِي الْكَلَامِ اخْتِرَاذَا فَبِإِفْرَاطِهِ أَلْدِمَاءُ تُرَاقُ
قِلَّةُ السُّمِّ لَا تَضُرُّ وَقَدْ يَفُ تُلُّ مِنْ فَرْطِ أَكْلِهِ أَلْدِرْيَاقُ
الدِّرْيَاقُ : مُرَكَّبٌ يُعْطَى مَنْ أَصَابَهُ سَمٌّ لِيَبْرَأَ ، وقد قيلَ : قَلِيلُ الضَّارِّ خَيْرٌ
مِنْ كَثِيرِ النَّافِعِ ، والإفراطُ - كما عرفت - في أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ ذَمِيمٌ .

[من البسيط]

وقوله^(٥) :

عَوْدُ لِسَانِكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَنْجُ بِهِ مِنْ زَلَّةِ اللَّفْظِ بَلْ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ
إِحْرَسْ كَلَامَكَ مِنْ خِلِّ تَنَادِمُهُ إِنَّ النَّدِيمَ لَمُشْتَقٌّ مِنَ النَّدَمِ

(١) انظر «ديوان صفي الدين الحلبي» (ص ٤٤٣ - ٤٤٤) .

(٢) هو لعدي بن زيد في «ديوانه» (ص ١٠٦) .

(٣) أخرجه أبو داوود (٤٨٠٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر «ديوان صفي الدين الحلبي» (ص ٤٤٤) .

(٥) انظر «ديوان صفي الدين الحلبي» (ص ٤٤٥) .

وقوله^(١) :

[من الكامل]

إِسْمَعِ مُخَاطَبَةَ الْجَلِيسِ وَلَا تَكُنْ
عَجَلًا بِنُطْقِكَ قَبْلَ مَا تَتَفَهَّمُ
لَمْ تُعْطَ مِنْ أُذُنِكَ نُطْقًا وَاحِدًا
إِلَّا لِتَسْمَعَ ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ

وقوله^(٢) :

[من البسيط]

إِنَّ الْغِنَى لَشِهَابٌ كُلَّمَا أَعْتَكَّرَتْ
دُجَى الْخُطُوبِ جَلَا مِنْهَا حَنَادِسَهَا
لَا تَنْفَعُ الْخَمْسَةُ الْأَسْمَاءُ مُحَدَّقَةً
لَدَيْكَ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ سَادِسَهَا

أي : الغنى ، فلا ينفَعُكَ أبُّ شريفٌ ، وأخٌ عظيمٌ ، وأحماءٌ كرامٌ ، ومنطقٌ
كما يكونُ ، وكلُّ ما يتعلَّقُ بكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ .. إِلَّا إِذَا كَانَ الْغِنَى لَهَا قَرِينًا ،
رزقنا الله الغنى ، وجعلنا مِنَ الشَّاكِرِينَ .

وقوله^(٣) :

[من المتقارب]

تَأْمَلُ إِذَا مَا كَتَبْتَ الْكِتَابَ
سُطُورَكَ مِنْ بَعْدِ إِحْكَامِهَا
وَهَذِبْ عِبَارَةَ طَرَزِ الْكَلَا
مِ وَأَسْتَوْفِ سَائِرَ أَقْسَامِهَا
فَقَدْ قِيلَ إِنَّ عُقُولَ الرَّجَا
لِ تَحْتَ أَسِنَّةِ أَفْلَامِهَا



(١) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٥ - ٤٤٦) .

(٢) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٩) .

(٣) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٩) .

الجهة الثانية

[في عشرة أصولٍ يعتمدها الكاتبُ في المكاتباتِ]

في أمورٍ كليّةٍ يتعيّنُ على مريدِ الصّناعةِ : التمكنُ مِنْ معرفتها واعتبارها ؛
ليأتي بها على وجهها .

وأوردَها أبو العباسِ أحمدُ القلقشنديّ في كتابه « صبحِ الأعشى » ،
وسمّاها : أصولاً يعتمدها الكاتبُ في المكاتباتِ ؛ وهي عشرةٌ :

[حسنُ الافتتاحِ]

الأصلُ الأوّلُ^(١) : حسنُ الافتتاحِ المطلوبُ في سائرِ أنواعِ الكلامِ مِنْ نثرٍ
ونظمٍ ، ممّا يُوجبُ التحسينَ ؛ ليكونَ داعيةً لاستماعِ ما بعدهُ ، ويرجعُ حسنُ
الافتتاحِ في المكاتبةِ إلى معنيينِ :

المعنى الأوّلُ : أن يكونَ الحسنُ فيه راجعاً إلى المبتدأ به :

إمّا الافتتاحُ بالحمدِ لله كما في بعضِ المُكاتباتِ ؛ لأنّ النفوسَ تتشوّقُ
إلى الثناءِ على الله تعالى ، أو بالسلامِ الذي جعلهُ الشارعُ مُفتتحَ الخطابِ ،
أو نحو ذلك .

وإمّا بالافتتاحِ بما فيه تعظيمِ المكتوبِ إليه ، مِنْ تقبيلِ الأرضِ أو اليدِ ، أو
الدعاءِ له ، أو غيرِ ذلك ؛ فإنّ أمرَ المكاتباتِ مبنيٌّ على التملُّقِ ، واستجلابِ
الخواطرِ ، وتآلفِ القلوبِ . . . إلى غيرِ ذلك ممّا يجري هذا المجرى على ما
يقترضه اصطلاحُ كلِّ زمنٍ في الابتداءاتِ .



(١) انظر « صبحِ الأعشى » (٢٧٤ / ٦) .

المعنى الثاني : أن يكون الحسنُ فيه راجعاً إلى ما يُوجِبُ التحسينَ ؛
 مِنْ سهولةِ اللفظِ ، وصحَّةِ السَّبكِ ، ووضوحِ المعنى ، وتجنُّبِ الحشوِ ، وغيرِ
 ذلكَ ؛ كما كتبَ الأستاذُ أبو الفضلِ بنُ العميدِ عن ركنِ الدولةِ بنِ بويهِ إلى
 مَنْ عصى عليه ، مُفتتحاً كتابَهُ بقوله^(١) : (كتابي إليك وأنا مُتردِّدٌ بينَ طمعِ
 فيكَ ، ويأسِ منك ، وإقبالِ عليك ، وإعراضِ عنكَ ؛ فإنَّكَ تُدِلُّ بسابقِ خدمةٍ
 أيسرها يُوجِبُ رعايةً ، ويقتضي محافظةً وعنايةً ، ثمَّ تشفعُها بحادثِ غلولٍ
 وخيانةٍ ، وتتبعُها بخلافٍ ومعصيةٍ ، أدنى ذلكَ يُحبِطُ أعمالُكَ ، ويُسقطُ كلَّ
 ما يُرعى لك) .

وكما كتبَ أبو [حفص] بنُ بردِ الأندلسيُّ عن ملكِهِ إلى مَنْ عصى ثمَّ
 عادَ إلى الطَّاعةِ^(٢) : (أمَّا بعدُ : فإنَّ الغلبةَ لنا والظُّهورَ عليك جليباكَ إلينا
 على قدمِكَ دونَ عهدٍ ولا عقدٍ يمنعانِ مِنْ إراقةِ دمِكَ ، ولكنَّا لَمَّا وهبَ اللهُ
 لنا مِنْ الإشرافِ على سرائرِ الرئاسةِ والحفظِ لشرائعِ السياسةِ . . تأمَّلنا مَنْ
 ساسَ جهتكَ قبلنا ، فوجدنا يدَ سياستهِ خرقاءَ ، وعينَ حزامتِهِ عوراءَ ، وقَدَمَ
 مداراتِهِ شلاءَ ؛ لأنَّهُ مالَ عن ترغيبِكَ فلم ترجُهُ ، وعن ترهيبِكَ فلم تخشَهُ ،
 فأدَّتكَ جانحتُكَ إلى طلابِ المطاعمِ الدنيَّةِ ، وقِلَّةِ مهابتِكَ إلى التهاكُّكِ على
 المعاصي الوبيَّةِ) .



(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٧٥/٦) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٢٧٥/٦) .

[براعةُ الاستهلال]

الأصلُ الثاني : براعةُ الاستهلالِ المطلوبةُ في كلِّ فنٍّ مِنْ فنونِ الكلامِ ؛ بأن يأتي في صدرِ المُكاتبةِ بما يدلُّ على عَجْزِها ؛ فإن كانَ الكتابُ بفتحٍ .. أتى في أوَّلِهِ بما يدلُّ على التهنئةِ ، أو بتعزيةٍ .. أتى في أوَّلِهِ بما يدلُّ على التعزيةِ ، أو في غيرِ ذلكَ مِنَ المعاني .. أتى في أوَّلِهِ بما يدلُّ عليه ؛ ليعلمَ مِنْ مبدأِ الكلامِ ما المرادُ .

كما يُحكى : أن عمرو بنَ مسعدةَ كاتبَ المأمونِ أمرَ كاتبَهُ أن يكتبَ إلى الخليفةِ كتاباً يُعرِّفُهُ فيه أن بقرةً ولدتَ عِجلاً وجهُهُ وجهُ إنسانٍ ، فكتبَ (١) :
(أمّا بعدُ : حمداً لله خالقِ الأنامِ في بطونِ الأنعامِ) .

وفُضِّلَ الكُتَّابُ وأثمَّتُهُم يَعْتَنُونَ بِذَلِكَ كُلِّ اعْتِنَاءٍ ، ويرونَ تركَهُ إخلالاً بالصَّنعةِ ، ونقصاً في الكتابةِ ، حتى إنَّ الوزيرَ ضياءَ الدِّينِ بنَ الأثيرِ في « المثلِ السائرِ » قد عابَ أبا إسحاقَ الصَّابِيَّ - على جلالَةِ قدرِهِ في الكتابةِ ، واعترافِهِ لَهُ بالتقدُّمِ في الصَّناعةِ - بكتابٍ كتبهَ بفتحِ بغدادَ وهزيمةَ التركِ ، فقالَ في أوَّلِهِ (٢) : (الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، الملكِ الحقِّ المبينِ ، الوحيدِ الفريدِ ، العليِّ المجيدِ ، الذي لا يُوصَفُ إلاَّ بسلبِ الصِّفاتِ ، ولا يُنَعَتُ إلاَّ برفعِ النعوتِ ، الأزليِّ بلا ابتداءِ ، الأبدِيِّ بلا انتهاءِ ، القديمِ لا إلى أمدٍ محدودٍ ، الدائمِ لا إلى أجلٍ معدودٍ ، الفاعلِ لا مِنْ مادَّةٍ امتدَّها ، الصَّانعِ لا بالآلةِ استعملها ، الذي لا تُدرِكُهُ الأعينُ بالحاظِها ، ولا تُحدُّهُ الألسنُ بألفاظِها ، ولا تُخلِقُهُ العصورُ بمرورها ، ولا تَهْدِمُهُ الدهورُ بكَرورها ، ولا تجارِيهِ أقدامُ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٧٦/٦) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٢٧٦/٦) .

النظراء والأشكال ، ولا تزاممه مناكبُ القرناء والأمثال ، بل هو الصمدُ الذي لا كفؤَ له ، والفردُ الذي لا [توعم] معه ، والحيُّ الذي لا تخترمه المنون ، والقيومُ الذي لا تشغله الشؤون ، والقديرُ الذي لا تؤوده المعضلات ، والخبيرُ الذي لا تعيبه المشكلات) .

فقال^(١) : (إن هذه التحميدة لا تناسبُ الكتابَ الذي افتتحه بها ، وإنما تصلحُ أن توضعَ في صدرِ مُصنّفٍ من [مُصنّفات] أصولِ الدّين ؛ ككتابِ « الشاملِ » للجويني ، وكتابِ « الاقتصادِ » للغزالي ، وما جرى مجراهما ، فأما أن توضعَ في أوّلِ كتابٍ فتح . . فلا) .

ثمّ من المُكاتباتِ ما يعسرُ معه الإتيانُ ببراعةِ الاستهلالِ ، فيأتي بها فيما يلي ذلكَ من الكلامِ في مُقدِّمةِ المكاتبةِ ، قبلَ الخوضِ في المقصودِ ، ولا يهملُها جملةً ، على أن الشيخَ شهابَ الدّينِ محموداً الحلبيّ رحمةُ الله قد ذكرَ في كتابهِ « حسنِ التوسُّلِ » : أنّه إن عسرَ عليه براعةُ الاستهلالِ . . أتى بما يُقاربُ المعنى .

وبكلِّ حالٍ : فإذا أتى ببراعةِ استهلالٍ في أوّلِ مكاتبةٍ . . استصحبها إلى الفراغِ من الخطبةِ إن كانَ الكتابُ مُفتتحاً بخطبةٍ ، وإلا . . استصحبها إلى الفراغِ من مُقدِّمةِ الكتابِ الآتي بيانها .



(١) القائل هو ابن الأثير .

[المقدمة المشتملة على المقاصد الجليلة للموضوع]

الأصل الثالث : المُقدِّمة التي يلزمُ أن يأتي بها في صدرِ الكتبِ المشتملةِ على المقاصدِ الجليلةِ ؛ تأسيساً لما يأتي به في [مكاتبته] ، مثل أن يأتي في صدرِ كتبِ الحثِّ على الجهادِ : بذكرِ افتراضِهِ على الأمةِ ، وما وعدَ اللهُ تعالى به مِنْ نصرِ أوليائِهِ ، وخذلانِ أعدائِهِ ، وإعزازِ المُؤجِدِينَ ، وقمعِ الملحدينَ ، وفي صدورِ كتبِ الفتحِ : بإنجازِ وعدِ اللهِ الذي وعدهُ أهلَ الطَّاعةِ مِنَ النصرِ والظَّفَرِ ، وإظهارِ دينِهِ على الدِّينِ كُلِّهِ ، وفي صدورِ كتبِ جبايةِ الخَراجِ : يُصدِّرُ بحاجةِ قيامِ الملكِ إلى الاستعانةِ بما يستخرجُ مِنْ حقوقِ السُّلطانِ في عمارةِ الشغورِ ، وتحصينِ الأعمالِ ، وتقويةِ الرجالِ ، ونحوِ ذلكَ ممَّا يجري على هذا النمطِ ؛ فقد قيلَ : إنَّهُ لا يَحسُنُ بالكاتبِ أن يخلِيَ كلامَهُ وإن كانَ وجيزاً مِنْ مُقدِّمةٍ يفتتحُهُ بها وإن وقعتْ في حرفينِ أو ثلاثةٍ ؛ لِيُوفِيَ التَّأليفَ حقَّهُ .

قالَ في « موادِّ البيانِ »^(١) : وعلى هذا السبيلِ جرَّتْ سُنَّةُ الكُتَّابِ في جميعِ الكتبِ مِنْ أيِّ نوعٍ مِنَ المعاني ؛ كالفتوحِ ، والتهاني ، والتعازي ، والتهادي ، والاستخبارِ ، والاستبطاءِ ، والإحمادِ ، والإذمامِ ، وغيرها ؛ ليكونَ ذلكَ بساطاً لِمَا يريدُ القولَ فيه ، وُحْجَةً يستظهرُ بها السُّلطانَ ؛ لأنَّ كلَّ كلامٍ لا بدَّ لَهُ مِنْ فَرَشٍ يُفَرِّشُ قبلَهُ ؛ ليكونَ منه بمنزلةِ الأساسِ مِنَ البنيانِ ، قالَ : ويُرجَعُ في هذه المُقدِّماتِ إلى معرفةِ الكاتبِ ما يَسْتَحِقُّهُ كلُّ نوعٍ مِنْ أنواعِ الكلامِ مِنَ المُقدِّماتِ التي تشاكلُها .

ثمَّ قالَ : والطريقُ في إصابةِ المرمى في هذه المُقدِّماتِ : أن تُجعلَ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٧٨/٦ - ٢٧٩) .

مشملةً على ما بعدها من المقاصد والأغراض ، وأن يُوضَعَ للأمر الخاصِّ مُقدِّمةً خاصَّةً ، وللأمر العامِّ مُقدِّمةً عامَّةً ، ولا يُطوَّل في موضع الاقتصار ، ولا يُقصر في موضع الإيجاز ، ولا يجعل أغراضها بعيدة المآخذ ، مُعتاصَّةً على المُتصفحِ ؛ وذلك أن الكاتب ربَّما قصد إظهار القدرة على الكلام ، والتصرُّف في وجوه النطق ، فخرج إلى الإملال والإضجار الذي تتبرَّم منه النفوس وذوؤو الأخطارِ الجليلة .

أمَّا الكتبُ التي لا تشتملُ على المقاصدِ الجليلةِ ؛ كرقاع التحفِ والهدايا ونحوها . . فقد ذكرَ في « موادِّ البيانِ » : أنه لا تُجعلُ لها مُقدِّمةً ؛ فإنَّ ذلك غيرُ جائزٍ ولا واقع موقعه ، ألا ترى أنَّهم استحسِنوا قولَ بعضهم في صدرِ رقعةٍ مقترنةٍ بتحفةٍ في يومِ مهرجانٍ : (هذا يومٌ جرث فيه العادةُ بأن تُهدِي العبيدُ فيه إلى السادةِ) ، واستظرفوا الكاتبُ ؛ لإيجازه ، وتقريبِ المآخذِ .



[معرفة مراتب الألفاظ ومواقعها]

الأصل الرابعُ : مواقع الألفاظ الدائرة في الكتب والوادي واحدٌ ، فيلزمُ أن يميزَ موقعَ كلِّ ليضعهُ مكانهُ ، قالَ في « ذخيرة الكُتَّابِ »^(١) : يجبُ على الكاتبِ الرئيسِ أن يَعْرِفَ مرتبةَ الألفاظِ ومواقعها ؛ لِيُرتِّبها وَيُفَرِّقَ بينها فرقاَ يَقِفُهُ على الواجبِ ، وينتهي به إلى الصَّوابِ ، فيخاطبُ كلاً في مكاتبتِهِ بما يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الخطابِ ؛ فَإِنَّهُ قَبِيحٌ به أن يكونَ خطابُهُ أولاً خطابَ الرئيسِ للمرؤوسِ ، ويتبعُ ذلكَ بخطابِ المرؤوسِ للرئيسِ ، أو يبدأ بخطابِ المرؤوسِ للرئيسِ ، ثمَّ يتبعُهُ بخطابِ الرئيسِ للمرؤوسِ .

قالَ : ومتى استمرَّ الكاتبُ على هذه المخالفةِ مِنَ الألفاظِ والمناقضةِ . . نقصتِ المعاني ، ورددتِ الألفاظُ ، وسقطتِ المقاصدُ ، وكانَ الكاتبُ قد أخلَّ مِنَ الصِّناعةِ بمعظمِها ، وتركَ مِنَ البلاغةِ غايةَ مُحكَمِها ، بل يجبُ إن بدأ بخطابِ رئيسٍ أو نظيرٍ أو مرؤوسٍ . . أن يكونَ ما يتخلَّلُ مكاتبتَهُ مِنَ الألفاظِ على اتساقٍ إلى آخِرِها ، وإطِّرادٍ مِنْ غيرِ مخالفةٍ بينها ولا مُضادَّةٍ ولا مناقضةٍ .

نعم ؛ يَحْسُنُ ذلكَ في معاتباتِ الإخوانِ ، والمداعباتِ الجاريةِ بينَ الخِلالِ .

وفي هذا الأصلِ : يَندرِجُ الفرقُ بينَ نحوِ (أصدرنا هذه المكاتبةَ) أو (أصدرناها) ، وبينَ (أُصدِرَتْ) وبينَ (صَدَرَتْ) ، ف (أصدرناها) أعلى

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٨٠/٦) .

بالنسبة للمكتوب إليه ؛ للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس الذي صدرت المكاتبه عنه ؛ إذ الشيء يشرف بشرف متعلقه ، ويلى ذلك في الرتبة (أصدرت) لاقتضاها إصداراً في الجملة ، والإصدار لا بد له من مصدر ، وذلك المصدر هو الرئيس الصادرة عنه في الحقيقة ، وإنما كانت دون الأولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا ، ودون ذلك في الرتبة (صدرت) لاقتضاء الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المصدر أصلاً .

والفرق بين (ونبدي لعلمه) وبين (نوضح لعلمه) ، ذ (نبدي لعلمه) أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه ؛ لأن الإبداء يرجع في المعنى إلى إظهار شيء خفي ، والإيضاح يرجع إلى بيان مشكل ، وحصول الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دل على بُعد فهم المخاطب عن المقصود ، بخلاف إظهار الخفي ؛ فإنه لا ينتهي إلى هذا الحد .

والفرق بين (علمه الكريم) و (علمه المبارك) ، فالكريم أعلى من المبارك ؛ لأن في الكريم عراقة أصل وشرف قد توجد في المبارك وقد تتخلف عنه .

والفرق بين (ومرسومنا لفلان بكذا) وبين (والمرسوم له بكذا) ، ذ (مرسومنا) أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه ؛ لاشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ، ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم ، بخلاف (والمرسوم له) فإنه عار عن ذلك .

والفرق بين (والمسؤول) وبين (والمستمد) ، فإن (المسؤول) أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه ؛ فإن (المسؤول) يتضمن نوع ذلة ، بخلاف الاستمداد ؛ فإنه لا يستلزم ذلك .

والفرق بين (بلغنا) وبين (أنهى إلى علمنا) ، وبين (اتصل بنا) ،

ف (اتصلَ بنا) أعلى مِنْ (أنهيَ إلى علمنا) لِمَا في معنى الاتصالِ مِنْ التلاصقِ ، بخلافِ الإنهاءِ ، و (أنهيَ إلى علمنا) أعلى مِنْ (بلغنا) لأنَّ البلوغَ قد يكونُ على لسانِ الآحادِ .

والفرقُ بينَ (أنهى فلانٌ كذا) وبينَ (عرَّفنا كذا) ، ف (عرَّفنا) أعلى بالنسبةِ إلى رافعِ الخبرِ ؛ لأنَّ في التعريفِ مزيةَ قُرْبٍ مِنَ الرَّئيسِ ، بخلافِ الإنهاءِ ؛ فَإِنَّهُ لا يقتضي ذلكَ .

والفرقُ بينَ (وردتْ مكاتبتهُ) وبينَ (وردتْ علينا مكاتبتهُ) ف (وردتْ علينا) أعلى بالنسبةِ إلى صاحبِ المكاتبَةِ الواردةِ ؛ لتخصيصِها بالورودِ على الرَّئيسِ ، بخلافِ الورودِ المطلقِ .

والفرقُ بينَ (عرِّضَ علينا مكاتبتهُ) وبينَ (وقفنا على مكاتبتهُ) ، ف (وقفنا) أعلى بالنسبةِ إلى صاحبِ المكاتبَةِ ؛ لأنَّ الوقوفَ عليها يكونُ بنفسِهِ ، والعرِّضُ يكونُ مِنْ غيرِهِ .

والفرقُ بينَ (وشكرتُ اللهَ تعالى على سلامتهِ) وبينَ (وتوالى شكري للهَ تعالى) ، ف (توالى شكري) أعلى بالنسبةِ إلى المكتوبِ إليه ؛ لِمَا فيه مِنْ معنى التَّكرارِ ومزيدِ الشكرِ المعروفِ بالاحتفالِ .

والفرقُ بينَ (ورغبتُ إلى اللهَ تعالى) وبينَ (وضرعتُ إلى اللهَ تعالى) ، ف (ضرعتُ) أعلى مِنْ (رغبتُ) لِمَا في الضَّراعةِ مِنْ مزيدِ الابتهاهِ في الطَّلِبِ ، بخلافِ الرغبةِ ؛ فَإِنَّهَا لا تبلغُ هذا المبلغَ .

والفرقُ بينَ (وقابلتُ أمره بالطَّاعةِ) وبينَ (وامتثلتُ أمره بالطَّاعةِ) ، ف (امتثلتُ أمره) أعلى مِنْ (قابلتُ أمره) لِمَا في الامتثالِ مِنْ معنى الإذعانِ والانقيادِ ، بخلافِ المقابلةِ .

والفرقُ بينَ (وشفعتُ له) وبينَ (وسألتُ فيه) فالسؤالُ أعلى في حقِّ المسؤولِ مِنَ الشفاعةِ ؛ لِمَا في الشفاعةِ مِنْ رفعةِ المَقَامِ المؤدِّي إلى قبولِ الشفاعةِ .

والفرقُ بينَ (وخاطبتُ فلاناً في أمرِهِ) وبينَ (وتحدّثتُ في أمرِهِ) ، ف (تحدّثتُ) أشدُّ في تواضعِ المُتكلِّمِ مِنْ (خاطبتُ) لأنَّ الخطابَ مِنَ الألفاظِ الخاصّةِ التي لا يتعاطاها كلُّ أحدٍ ، بخلافِ التحدّثِ .

والفرقُ بينَ (تشريفي بكذا) وبينَ (إسعافي بكذا) ، ف (الإسعافُ) أعلى رتبةً مِنَ (التشريفِ) لِمَا فيه مِنْ دعوى الحاجةِ والفاقةِ إلى المطلوبِ ، بخلافِ التشريفِ ، و (إتحافي) دونَ (تشريفي) لأنَّ الإتحافَ قد لا يقتضي تشريفاً .

والفرقُ بينَ قوله (نزلَ عندهُ) وبينَ قوله (نزلَ بساحتِهِ) ، ف (الساحةُ) أعلى ؛ لِمَا فيها مِنْ معنى الفسحةِ والاتساعِ .

قلتُ ^(١) : وربّما وجب اجتنابُ هذه الكلمةِ ؛ لملاحظة وقوعها في قوله عزَّ ذكره ، ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ﴾ ^(٢) ، كما وردَ عن بعضِ الصَّحابةِ : أَنَّهُ سَمِعَ إِنْسَانًا يَقُولُ : انصرفوا بنا ، فقالَ : ألم تسمعَ : ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ ^(٣) ، فقل : انقلبوا بنا ؛ لتكونَ موافقاً قوله تعالى : ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ ^(٤) .

والفرقُ بينَ (فيحيطُ علمُهُ بذلكَ) وبينَ (فيعلمُ ذلكَ) ، ف (يحيطُ

(١) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام العلامة القلقشندي من « صبح الأعشى » .

(٢) سورة الصافات : (١٧٧) .

(٣) سورة التوبة : (١٢٧) .

(٤) سورة آل عمران : (١٧٤) .

علمُهُ) أعلى مِنْ (يعلمُ ذلكَ) لأنَّ في قولِهِ : (فيحيطُ علمُهُ بذلكَ)
نسبةً إلى سعةِ العلمِ ؛ لِمَا فيه مِنْ معنى الإحاطةِ ، بخلافِ (يعلمُ
ذلكَ) .



[معرفة مراتب الأدعية ومواقعها]

الأصل الخامس : الأدعية التي جرت عادة السلف وتبعهم الخلف باستعمالها في المكاتبات ، والنظر فيها من ستة أوجه :

الأول : أن يعرف مراتب الدعاء ؛ ليقعها في مواقعها ، ويوردها في مواردنا ، ويأتي ذلك في عدة أدعية :

منها : الدعاء بإطالة البقاء ، والدعاء بإطالة العمر ، والدعاء بإطالة البقاء ، فالدعاء بإطالة البقاء أرفع من الدعاء بإطالة العمر ؛ وذلك أن البقاء لا يدل على مدة تنقضي ؛ لأنه ضد الفناء ، والعمر يدل على مدة تنقضي ، ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ، ولا يوصف بالعمر ، قال في « مواد البيان »^(١) : « ومن هنا جعل الدعاء بإطالة البقاء أول مراتب الدعاء ، وخص بالخلفاء ، وجعل ما يليه لمن دونهم ، ويتلوه الدعاء بالمد في العمر ، فيكون دون الدعاء بالإطالة ؛ لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد فيه ؛ من حيث إن المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ، ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء من مرتبة المد . »

ومنها : الدعاء بدوام النعمة ، والدعاء بمضاعفتها ، فالدعاء بالمضاعفة أعلى ؛ لأن الدوام غايته استصحاب ما هو عليه ، والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك .

ومنها : الدعاء بعز الأنصار ، وبعز النصر ، وبعز الثصرة ، وقد اصطلح كتأب الزمان على أن جعلوا أعلاها الدعاء بعز الأنصار ؛ لأن عز أنصاره عز له

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٨٤/٦) .

بالضرورة ، مع ما فيه من تعظيم القدر ورفع الشان ؛ إذ الأنصار لا تكون إلا
لملك عظيم أو أمير كبير ، والدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز النصرة ؛
لما في الأول من معنى التذكير ، وهو أرفع رتبة من التأنيث ، على أنه لو
جعل الدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز الأنصار . . لكان له وجه ؛ لما
في عز النصر من الغناء عن عز الأنصار .

ومنها : الدعاء بعز الأحكام ، والدعاء بتأييد الأحكام ، فالدعاء بعز الأحكام
أعلى ؛ لأن المراد بالتأييد التقوية ؛ فقد توجد القوة ولا عز معها .

وينبغي للكاتب أن يحترز في تنزيل كل أحد من المكتوب إليهم منزلته
في الدعاء ، فلا ينقص أحداً عن حقه ، ولا يزيد فوق حقه ، فقد قال في
« مواد البيان »^(١) : إن الملوك تسمخ ببدرات المال ، ولا تسمخ بالدعوة
الواحدة .



الثاني : أن يعرف ما يناسب كل واحد من أرباب المناصب الجليلة من
الدعاء ، فيخصه به ؛ فيأتي بالدعاء في المكاتب للملوك بإطالة البقاء ، ودوام
السُلطان ، وخلود الملك ، وما أشبه ذلك .

ويأتي في المكاتب إلى الأمراء بالدعاء بعز الأنصار ، وعز النصر ،
ومضاعفة النعمة ومداومتها ، وما شاكل ذلك ، على أن ابن شيث قد ذكر في
« معالم الكتابة »^(٢) : أن الدعاء بعز النصر ومضاعفة الاقتدار كان في الدولة
الأيوبيّة ممّا يختص بالسُلطان دون غيره .

ويأتي في المكاتب للوزراء من أرباب الأقاليم ومن في معناهم . . بالدعاء

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٨٥/٦) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٢٨٥/٦) .

بسبوغِ النعماءِ ، وتخليدِ السعادةِ ، ودوامِ المجدِ ، وما يضاهاه ذلك .

ويأتي في المكاتباتِ للقضاةِ والحُكَّامِ بالدعاءِ بعزِّ الأحكامِ ، وتأيدِ الأحكامِ ، وما يطابقُ ذلكَ .

ويأتي في المكاتبَةِ إلى التجارِ بالدعاءِ بمزيدِ الإقبالِ ، وخلودِ السعادةِ ، وشبه ذلكَ .

ويأتي في الإخوانياتِ ومكاتبةِ النظراءِ مِنَ الدعاءِ بما يقتضيه الحالُ بينهم مِنَ الودِّ والإدلالِ ؛ بحسبِ ما يراهُ الكاتبُ ، ويؤدِّي إليه اجتهادهُ ، قالَ في « موادِّ البيانِ »^(١) : وقد كانوا يختارونَ في الدعاءِ للأدباءِ : أبقاك اللهُ ، وأكرمك اللهُ ، وفي الدعاءِ للابنِ والحزْمَةِ : أبقاك اللهُ ، وأمتع بك .

أمَّا أهلُ الكفرِ . . فقدِ اصطَلحوا على الدعاءِ لَهُم بطولِ البقاءِ وما في معناه ، أمَّا جوازُ أصلِ الدعاءِ لَهُم . . فَلِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استسقى ، فسقاهُ يهوديٌّ ، فقالَ لَهُ : « جَمَلَكَ اللهُ » ، فما رُبِّي الشيبُ في وجهِهِ حتى ماتَ^(٢) ، فدلَّ على جوازِ الدعاءِ للكافرِ بما لا ضررَ فيه على المسلمينَ ، ما لم يَنْضَمَّ إليه قُوَّةٌ ونحوُ ذلكَ ، بل ربَّما كانَ في طولِ بقائه حَمْلُ جزيةٍ أو غنيمَةٍ أو ثوابِ جهادٍ ونحوُ ذلكَ .



والثالثُ : أن يَعْرِفَ ما يَناسبُ كُلَّ حالةٍ مِنْ حالاتِ المُكاتباتِ ، فيأتي لكلِّ حالةٍ بما يَناسبُها مِنَ الدعاءِ ، قالَ في « موادِّ البيانِ »^(٣) : ينبغي أن تكونَ الأدعيةُ دالَّةً على مقاصدِ الكتابِ ؛ فإن كانَ في الهناءِ . . أتى بما يَناسبُهُ ،

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٨٦/٦) .

(٢) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٨٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) انظر « صبح الأعشى » (٢٨٧/٦) .

وكذلك الحال في كل معنى من المعاني التي يكتب فيها ؛ من التعزية ،
وشكر النعمة . . . إلى غير ذلك ؛ فإنه متى خرج الدعاء عن المناسبة وباين
المقصود . . . خرج عن جادة الصناعة ، وتوجه اللوم على الكاتب ، لا سيما إذا
أتى بما يضاد المراد ، كما حكى أبو هلال العسكري في « الصناعتين »^(١) :
أن بعضهم كتب إلى محبوبته : عصمنا الله وإياك مما يكره ، فكتبت إليه :
يا غليظ الطبع ؛ إن استجيب لك . . . لم نلتق أبداً !!

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال المكاتبات :

فتارة يكون باعتبار الشيء المكتوب بسببه ؛ كما يكتب في معنى البشارة
بجلوس الملك على تخت الملك : لا زال أمره ، وأمتعته من البشائر بما
يتوضح على جبين الصباح بشره ، وما يترجح على ميزان الكواكب قدره ،
وما يفسح من أوقات أمن لا يختلف فيها زيده وعمره .

وكما يكتب في البشائر بفتح : ولا زالت آيات النصر تتلى عليه من
صحف البشائر ، ونفائس الظفر تجلى على سوره في أسعد طائر ، وفواتح
الفتح تزهى به الأسيرة وتزهو بنوره المنابر .

وكما يكتب في التهنية بعافية : ولا برح في برد الصحة رافلاً ، بعزمه
وحزمه كافلاً ، والإقبال لجنابه العالي بالهناء بعافية واصلأ .

وتارة يكون باعتبار حال المكتوب إليه التي هو بصددتها ؛ كما يكتب لمن
خرج إلى الغزو : وحفه بلطفه فلا يخيب ، وهياً له النصر والفتح القريب ،
وجعل على يديه دمار الكفار ، حتى لا يبقى لهم بشدة بأسه من السلامة
نصيب .

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٥) ، و « صبح الأعشى » (٢٨٧/٦) .

وكما يُكْتَبُ إِلَى مَنْ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ : وَأَمْتَعَهُ بِصُيُودِهِ ، وَجَعَلَ الْأَقْدَارَ مِنْ جُنُودِهِ ، وَأَرَاهُ مِنْ مِصَارِعِ أَعْدَائِهِ لِسُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ مَا يَرَاهُ مِنْ مِصَارِعِ صَيْدِهِ بِبِزَاتِهِ وَفَهُودِهِ .

وكما يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَفَرٍ : وَقَضَى بِقُرْبِ رَجْعَتِهِ ، وَجَعَلَهُ كَالْهَالِلِ فِي مَسِيرِهِ سَبَبُ رَفْعَتِهِ ، وَسَكَنَ بِقُدُومِهِ أَشْوَاقَ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ مَحَبَّتِهِ .

وكما يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ لِتَخْضِيرِ الْبِلَادِ : وَالْبَسَ الْبِلَادَ بِقُدُومِهِ أَخْضَرَ الْأَثْوَابِ ، وَأَحْلَهُ أَشْرَفَ مَحَلِّ وَأَخْضَرَ جَنَابِ .

وتارةً يَكُونُ بِاعْتِبَارِ وَظِيفَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ الَّتِي هُوَ قَائِمٌ بِهَا ؛ كَمَا يُكْتَبُ إِلَى [كَافِلِ] الْمَمْلَكَةِ : وَلَا زَالَتْ كِفَايَةُ كِفَالَتِهِ تَزِيدُ عَلَى الْأَمَالِ ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَيَكْفُلُ مَا بَيْنَ أَقْصَى الْجَنُوبِ وَأَقْصَى الشَّمَالِ .

وكما يُكْتَبُ إِلَى قَاضٍ : وَيَفْصِلُ بَيْنَ الْخُصُومِ بِأَحْكَامِهِ الْمُسَدَّدَةِ ، وَأَقْضِيَتِهِ الَّتِي بِهَا قَوَاعِدُ الْإِسْلَامِ مُمَهَّدَةٌ ، وَأَبْنِيَةُ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرَةُ وَأَرْكَانُهُ مُشِيدَةٌ .

وكما يُكْتَبُ إِلَى مُتَصَوِّفٍ : وَأَعَادَ مِنْ بَرَكَاتِ تَهْجُدَاتِهِ ، وَأَنَارَ اللَّيَالِي بِصَالِحِ دَعْوَاتِهِ .

وتارةً يَكُونُ بِاعْتِبَارِ بَلَدِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَنَاحِيَتِهِ ؛ كَمَا يُكْتَبُ إِلَى نَائِبِ الشَّامِ : وَلَا زَالَ النَّصْرُ حَلِيَّةَ أَيَّامِهِ ، وَشَامَةٌ شَامِهِ ، وَغَمَامَةٌ مَا يَخْلُفُ عَلَى بَلَدِهِ الْمُخْصَبِ مِنْ غَمَامِهِ ^(١) .

وكما يُكْتَبُ إِلَى نَائِبِ حَلَبَ فِي زَمَنِ الْحُرُوبِ : وَلَا زَالَ يُعَدُّ لِيَوْمِ تَشْيِبِ فِيهِ الْوَلْدَانُ ، [وَيُصَدُّ دُونَهُ] كُلُّ مُحَارِبٍ بَيْنَ الشَّهْبَاءِ وَالْمِيدَانِ ، وَيَعُمُّ حَلَبَ

(١) فِي « صَبْحِ الْأَعَشَى » (٦/٢٨٩) : (يَحْلِقُ) بَدَلِ (يَخْلَفُ) .

مِنْ حَلِي أَيامِهِ مَا لَا يُفْقَدُ مَعَهُ إِلَّا اسْمُ ابْنِ حَمْدَانَ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَنْخَرِطُ فِي هَذَا السَّلَكِ .

وتارةً يكونُ باعتبارِ اسمِ المكتوبِ إليه ولقبهِ ؛ كما يُكْتَبُ إِلَى مَنْ لَقْبُهُ سَيْفُ الدِّينِ : وَلَا زَالَ سَيْفُهُ فِي رِقَابِ أَعْدَائِهِ مُعَمِّدًا ، وَحَدُّهُ يَدْرُ كُلَّ مَلْجِدٍ مُلْحَدًا .

وكما يُكْتَبُ إِلَى مَنْ لَقْبُهُ عَزُّ الدِّينِ : وَلَا زَالَ عِزُّهُ دَائِمًا ، وَالزَّمَانُ فِي خِدْمَتِهِ قَائِمًا ، وَطَرَفُ الدَّهْرِ عَنْ مِرَاقِبَةِ سَعَادَتِهِ نَائِمًا .

وكما يُكْتَبُ إِلَى مَنْ لَقْبُهُ شَمْسُ الدِّينِ : وَلَا زَالَتْ شَمْسُ سَعَادَتِهِ مُشْرِقَةً ، وَأَغْصَانُ فَضْلِهِ بِالْعَوَارِفِ مُورِقَةً ، وَعَيُونُ طَوَارِقِ الْغَيْرِ عَنْهُ فِي كُلِّ زَمَنِ مُطْرِقَةً .

وكما يُكْتَبُ إِلَى مَنْ لَقْبُهُ نَاصِرُ الدِّينِ : وَنَصَرَ عِزَائِمَهُ ، وَشَكَرَ مَكَارِمَهُ ، وَوَفَّرَ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَغَانِمَهُ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي سَتَقْفُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا فِي الْكَلَامِ عَلَى مَقَاصِدِ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الرابعُ : أَنْ يَعْرِفَ مَوَاضِعَ الدِّعَاءِ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَمَنْ الَّذِي يُصَرِّحُ بِذَلِكَ فِي الْمَكَاتِبِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ شَيْثٍ فِي «مَعَالِمِ الْكِتَابَةِ» (١) : أَنْ الدِّعَاءَ فِي صُدُورِ الْكُتُبِ كَانَ مِنْ عَوَائِدِ مَكَاتِبَةِ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى ؛ مِثْلُ : وَقِصْمَ ، وَأَذَلَّ ، وَقَهَرَ ، وَحَصَدَ ، وَكَذَلِكَ الْمِمَائِلُ وَالْمُقَارِبُ ، فَأَمَّا مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى . . . فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْكِتَابُ عَنِ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ قَالَ : وَلَكِنْ قَدْ أَقْلَيْتَ الْحَبْلُ فِي ذَلِكَ الْآنَ ، قَالَ : وَلَا يُقَالُ لِلْأَدْنَى غَيْرُ : كُبَيْتَ عَدُوِّهِ ، أَوْ ضُدَّهُ ، أَوْ حَاسِدُهُ خَاصَّةً .

(١) انظر «صباح الأعشى» (٢٩٠/٦) .

ومنها : أن يَعْرِفَ ما كرهَهُ الكُتَّابُ مِنَ الدَّعَاءِ فَيَتَجَنَّبُهُ ، وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

الضَّرْبُ الْأَوَّلُ : ما كرهوهُ في المكاتبةِ إلى كلِّ أحدٍ ، قال في « موادِّ البيان » ^(١) : كانتْ عادتُهُمْ جاريةً أن يَتَجَنَّبُوا مِنَ الأَدْعِيَةِ ما لا محصولَ لَهُ ؛ كقولِهِمْ : جعلَني اللهُ فداكَ ، وقَدَّمَنِي إلى السُّوءِ دونَكَ ؛ لِما في ذلكَ مِنَ التَّصَنُّعِ والملكِ الذي لا يرضاهُ السُّلطانُ ؛ لِأنَّ نفسَ الداعي لا تسمعُ باستجابتهِ ، ويؤيِّدُ ما ذكرَهُ : ما كتبَ بهِ ابنُ عبدِ ربِّهِ إلى بعضِ أصدقائِهِ ^(٢) : جُعِلْتُ فداكَ على الصِّحَّةِ والحقيقةِ ، لا على مَجْرى المكاتبةِ ومذهبِ العادةِ .

قال في « موادِّ البيان » ^(٣) : وإنَّما يَحْسُنُ ذلكَ مِنَ الخواصِّ الذين يَتَحَقَّقُونَ أنَّ بقاءَهُمْ معذوقٌ ببقاءِ رؤسائِهِمْ ^(٤) ، وثباتُ نعيمِهِمْ مقرونٌ بثباتِ أيامِ سلاطينِهِمْ ؛ لِأنَّهُ يَصْدُرُ عن عقائدٍ مُستحكمةٍ مِنْ بذلِ الأنفسِ دونَهُمْ .

وما ذهبَ إليه مِنْ كراهةِ ذلكَ . . قد نُقِلَ في « صناعةِ الكتابِ » مثلهُ عن مالكِ بنِ أنسٍ ، واحتجَّ لَهُ بما رُوِيَ عن الزبيرِ رضي اللهُ عنه أَنَّهُ قالَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : جُعِلْتُ فداكَ ، فقالَ لَهُ : « ما تَرَكْتَ أَعْرَابِيَّتَكَ بَعْدُ ؟ ! » ^(٥) ، على أَنَّ بعضَهُمْ قد أجازَ ذلكَ ؛ احتجاجاً بقوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لبعضِ مَنْ كانَ يرميَ دونَهُ يومَ أُحُدٍ : « أَرَمَ ، فِداكَ أَبِي وَأُمِّي » ^(٦) ، وبما رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهُما : أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ لَهُ : « أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ ؟ » ، قالَ : نعم ، جعلَني اللهُ فداكَ ^(٧) ،

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٩٠/٦) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٢٩٠/٦) .

(٣) انظر « صبح الأعشى » (٢٩٠/٦) .

(٤) يقال : فلان معذوق بالشر ؛ أي : موسوم به .

(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٥٠١) عن الحسن رحمه الله تعالى .

(٦) أخرجه البخاري (٢٩٠٥) ، ومسلم (٢٤١١) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٧) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٩٧٢) .

ولم يُنكرْ عليه ، فلعلَّ إنكارَهُ عليه كانَ لحالِهِ قارنَتِ الدعاءَ بذلكَ ، وفي معنى ذلكَ كلُّ ما يجري هذا المجرى ونحوهُ .

الضربُ الثاني : ما يختصُّ كراهتُهُ بالبعضِ دونَ البعضِ ؛ وهو نوعانِ :

- النوعُ الأوَّلُ : ما يختصُّ بالرجالِ ؛ فمنَ ذلكَ : ما ذكرَهُ في « موادِّ البيانِ »^(١) : أنَّهم كانوا لا يستحسنونَ الدعاءَ بالإمتاعِ ؛ نحوَ : أمتعَ اللهُ بكَ ، وأمتعني اللهُ بكَ ، في حقِّ الإخوانِ .

وممَّا يُحكى في ذلكَ : أنَّ محمدَ بنَ عبدِ الملكِ الزياتِ كتبَ إلى عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ في كتابٍ : وأمتعَ بكَ ، فكتبَ إليه عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ :

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتِ مُلْكَاً فَتِهْتِ فِي كُتُبِكَ
أَتَعَبْتِ كَفَيْكَ مِنْ مُكَاتَبَتِي حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي مِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعِ بِكَ

فأجابهُ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ الزياتِ معذراً بقولِهِ :

كَيْفَ أَخُونُ الْأَخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ
إِنَّ يَكُ جَهْلُ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي فَعُدْ بِفَضْلِ عَلَيَّ فِي أَدَبِكَ

- النوعُ الثاني : ما يختصُّ بالنساءِ : فقد ذكرَ أبو جعفرِ النَّحَّاسُ : أنَّهُ لا يُقالُ في مكاتبتِهِنَّ : وأدامَ كرامتِكَ ، ولا : وأتمَّ نعمتَهُ عليكِ ، ولكنْ : لديكِ .

أمَّا منعُ الدعاءِ لهِنَّ بالكرامةٍ .. فلِمَا حكى محمدُ بنُ عمرَ المدائنيُّ : أنَّ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٩١/٦) .

بعض عُمَالِ زبيدة كتبت إليها كتاباً بسببِ ضياعِ لها ، فوَقَّعتْ له على ظهرِ كتابه : أردت أن تدعوا لنا فدعوتِ علينا !! فأصلحَ خطأك في كتابك ، وإلا .. صرفناك عن جميعِ أعمالِك .

فأدرَكه القلْبُ ، وجعلَ يتصفَّحُ الكتابَ ويَعْرِضُه على الكُتَّابِ ، فلا يجدُ فيه شيئاً ، إلى أن عرضَه على بعضِ أهلِ المعرفةِ ، فقالَ : إنَّما كرهتِ دعاءَكَ في صدرِ كتابِك بقولِك : (وأدامَ كرامتِك) لأنَّ كرامةَ النساءِ دفنُهِنَّ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « دَفُنِ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ »^(١) ، فغيَّرَ ذلكَ الحرفَ مِنْ كتابِه ، وأعادَه إليها ، فوَقَّعتْ له على ظهرِه : أحسنتِ ولا تعدُ .

الخامسُ : أن يتجنَّبَ الخلافَ في الدعاءِ في فصولِ الكتابِ ، ولا يوالي بينَ دعوتينِ منه ، فأما الخلافُ في الدعاءِ .. فقالَ أبو جعفرِ النَّحَّاسُ^(٢) : هوَ مثلُ أن يقولَ : أطالَ اللهُ بقاءَ سيدي ؛ بلفظِ الغيبةِ ، ثمَّ يقولَ بعدَ ذلكَ : وبَلَّغَكَ أملكَ ؛ بلفظِ الخطابِ ، وأما الموالاةُ بينَ دعوتينِ ، ولا يأتي بهما مُتَّفِقَتينِ .. كأن يُقالَ : حرسَ اللهُ الأميرَ ، أعزَّهُ اللهُ .

السادسُ : أن يتجنَّبَ وقوعَ اللَّبسِ في الدعاءِ ، فإذا ذكرَ الرئيسَ معَ عدوِّه مثلاً .. لم يدعُ للرئيسِ حينئذٍ ؛ فإنَّهُ لو ذهبَ يقولُ : وقد كانَ مِنْ عدوِّ سيدي أبقاهُ اللهُ كذا .. لاحتمَلَ عودُ الدعاءِ إلى الرئيسِ وإلى عدوِّه !!



(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٩٠/١١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وخرَّج مُخرج العزاء .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٢٩٣/٦) .

[معرفة الألقاب وصفاتها ومقدار من يكتب إليه]

الأصل السادس : أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب ، فيعطيه حقه منها ، ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور :

أحدها : أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول ؛ كالمقام ، والمقر ، والجناب ، والمجلس . . في زماننا ، فيعطى كل أحد من المكتوب إليهم ما يليق به من ذلك ، فيجعل المقام لأكابر الملوك ، والمقر لمن دونهم من الملوك ، وللرتبة العليا من أهل المملكة ، والجناب للرتبة الثالثة من الملوك ، والرتبة الثانية من أهل الدولة ، والمجلس للرتبة الرابعة من الملوك ، والرتبة الثالثة من أهل الدولة ، ومجلس الأمير لمن دون ذلك من أهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال .



الثاني : أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول من الألقاب والنوع التابعة لذلك ، فيتبع كل واحد من الأصول بما يناسبه من الفروع .



الثالث : أن يعرف مقدار المكتوب إليه ، فيوفيه قسطه من الألقاب في الكثرة والقلّة بحسب ما يجري عليه الاصطلاح ؛ فقد ذكر في « معالم الكتابة »^(١) : أن السلطان لا يكثر في المكاتب إليه من نعوته ، بل يقتصر على الأشياء التي تكون فيه ؛ مثل العالم العادل ، أمّا غير ذلك . . فيقع باللقبين المشهورين ؛ وهما : نعته المفرد ، ونعته المضاف إلى الدين ، وأنّه

(١) انظر « صبح الأعشى » (٦/٢٩٤ - ٢٩٥) .

في الكتابة عن السلطان كلما زيد في النعوت . . كان أميز ؛ لأنها على سبيل
التشريف من السلطان ، ويجعل المضاف إلى الدين متوسطاً بين الألقاب ،
لا في أولها .



[مراعاة مقاصد المكاتبات]

الأصل السابع : أن يراعي مقاصد المكاتبات ، فيأتي لكل مقصد بما يناسبه ، ومدار ذلك على أمرين :

الأمر الأول : أن يأتي مع كل كلمة بما يليق بها ، ويتخير لكل لفظ ما يشاكلها ، قال ابن عبد ربّه^(١) : وليكن ما تختّم به فصولك في موضع ذكر البلوى ؛ مثل : نسأل الله رفع المحذور ، وصرف المكروه ، وأشبه ذلك ، وفي موضع ذكر المصيبة : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً ، والشكر لله واجباً ، وما شاكل ذلك .

قال في « موادّ البيان »^(٢) : وإذا ذكر البلوى . . شفعها بالاستعانة بالله تعالى ، والرجوع إليه فيها ، وردّ الأمر إلى حوله وقوته .

قال ابن عبد ربّه^(٣) : فإنّ هذه المواضع ممّا يتعيّن على الكاتب أن يتفقدّها ويتحفّظ فيها ؛ فإنّ الكاتب إنّما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه ، ويعلّق كل لفظ على طبقه في المعنى .

وممّا يلتحق بذلك أيضاً : أنّه إذا ذكر الرئيس في أثناء المكاتبة . . دعا له ؛ مثل أن يقول عند ذكر السلطان : خلّد الله ملكه ، وعند ذكر الأمير الكبير : عزّ نصره ، أو : أعزّ الله تعالى أنصاره ، وعند ذكر الحاكم : أيّد الله تعالى أحكامه ، وما أشبه ذلك ممّا يجري هذا المجرى .

(١) انظر « العقد الفريد » (١٨٤/٤) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٢٩٥/٦) .

(٣) انظر « العقد الفريد » (١٨٤/٤) .

الأمر الثاني : أن يتخطى التصريح إلى التلويح والإشارة إذا أُلجأتُ الحال إلى المكاتبه بما لا يجوزُ كشفه وإظهاره على [صراحته] ممّا في ذكره على نصّه هتكَ سترٍ ، أو في حكايته إطراخ مهابة السلطان ، وإسماعه ما يلزم منه إخلالُ الأدب في حقّه ، كما لو أطلق عدوّه لسانه فيه بلفظٍ قبيحٍ يسوءه سماعه ، قال في « موادّ البيان »^(١) : فيحتاجُ المنشئُ إلى استعمالِ التورية في هذه المواضع ، والتلطفِ في العبارة عن هذه المعاني ، وإبرازها في صورةٍ تقتضي توفيةً حقّ السُلطانِ في التوقيرِ والإجلالِ والإعظامِ والتنزيه عن المخاطبة بما لا يجوزُ إمرأه على سمعه ، وإيصالِ المعنى إليه من غيرِ خيانية في طيّ ما لا غنى به عن علمه ، قال : وهذا ممّا لا يستقلُّ به إلا المُبرِّزُ في الصِّناعة ، المُتصرِّفُ في تأليفِ الكلام .

وهاك مثلاً يرشدك إلى معرفة ما ينبغي أن تكتبَ به إذا مرَّ بك شيءٌ من هذا الباب ؛ فالقليلُ عند مَنْ يستعملُ فكره يهدي إلى الكثيرِ : اتَّفَقَ أن أحرَّ أميرُ المؤمنينَ المأمونَ عن الجندِ إطلاقَ مُرتبَاتِهِمْ مدَّةً طويلةً ، حتى دعاهم ذلك إلى الشكوى والتزديد في الكلام ، والقدح في السياسة ، كما يقتضيه وصولُ الإنسانِ إلى سوءِ المعيشة ، مع تكليفه شاقَّ العملِ ، فكتبَ أحدُ رؤساءِ كُتابِهِ عمرو بنُ مسعدةَ يُعرِّفه الحالَ ، ويستعطفه على العسكرِ بصرفِ مُرتبَاتِهِ ، وهذه صورةُ الكتابِ : (بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ، كتابي إلى أميرِ المؤمنينَ ومَنْ قبلي من أجناده وقوَّاده في الطَّاعةِ والانقيادِ على أحسنِ ما يكونُ عليه طاعةُ جندٍ تأخَّرتْ أرزاقُهُمْ ، واختلَّتْ أحوالُهُمْ)^(٢) .

فإنه لم يذكر في هذا الكتابِ انحرافَ رأيِ المأمونِ عن جادةِ الصَّوابِ في

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٩٥/٦) .

(٢) انظر « العقد الفريد » (٢٧٢/٢) .

قِلَّةِ الْإِهْتِمَامِ بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِ الْعَسْكَرِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مُهِمِّ مِنْ مُهِمَّاتِ الْمَلِكِ ،
 وَلَمْ يَذْكَرْ مَا صَدَرَ عَنِ الْعَسْكَرِ مِنْ سُوءِ الْمَقَالِ ، وَتَوَاتُرِ الشُّكُوفِ ، وَتَزْيِيدِ
 الْكَلَامِ ، وَتَصْرِيحِهِمْ بِأَنَّ هَذِهِ الْحَالُ رَبَّمَا اضْطَرَّتْ إِلَى الْعَصِيَانِ وَالخُرُوجِ
 عَنْ رِبْقَةِ الْخِدْمَةِ الْجَنْدِيَّةِ ؛ لِلتَّرَدُّدِ فِي الْأَفَاقِ طَلَباً لِلْمَعَاشِ بِغَيْرِ تِلْكَ الْجَهَةِ ،
 وَإِنَّمَا لَمَّحَ بِذَلِكَ تَلْمِيحاً ، وَذَكَرَهُ الْأَشْيَاءَ بِذِكْرِ أُضْدَادِهَا ، فَالطَّاعَةُ تُذَكِّرُ
 الْمَعْصِيَةَ ، وَسَلِمَ الْكَاتِبُ مِنَ الْجَهْتَيْنِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْأَمِيرِ أَنْ يَنْتَقِدَ عَلَيْهِ شَيْئاً ،
 وَلَا لِلْعَسْكَرِ أَنْ يَقُولُوا : إِنَّكَ بَلَّغْتَ حَالَنَا الَّتِي اضْطَرَّتْنَا إِلَيْهَا مُضَايِقَةُ الْمَعِيشَةِ
 فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ وَفَتْ بِالْمَقْصُودِ حَقَّ الْوَفَاءِ .

وَيُحْكِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ قَالَ ^(١) : دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ وَفِي يَدِهِ
 كِتَابٌ لِعَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ وَهُوَ فِي صَحْنِ دَارِهِ يَقْرُؤُهُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ ، ثُمَّ
 التَفْتُ إِلَيَّ فَقَالَ : أَحْسَبُكَ مُفَكِّراً فِيمَا رَأَيْتَ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، وَقَى اللَّهُ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ الْمَكَارَةَ ، قَالَ : لَيْسَ بِمَكْرُوهِ ، وَلَكِنْ قَرَأْتُ كَلَاماً وَافَقَ صِفَةَ الْبَلَاغَةِ
 لِلرَّشِيدِ ؛ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : الْبَلَاغَةُ : التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنْ
 حَشْوِ الْكَلَامِ ، وَدَلَالَةُ الْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ ، فَمَا كُنْتُ أَتَوَهَّمُ كَلَاماً يَرُدُّ عَلَى
 هَذِهِ الصِّفَةِ حَتَّى قَرَأْتُ هَذَا الْكِتَابَ ، وَسَاقِضِي حَقَّهُ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِأَنْ
 أَمَرَ بِصَرْفِ مُرْتَبِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ .



(١) انظر «العقد الفريد» (٢/٢٧٢) .

[معرفة طبقات المخاطبين ورتبهم]

الأصل الثامن: أن يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكاتبات من اللسان، فيخطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ وما يصل إليه فهمه من الخطاب، قال أبو هلال العسكري في كتابه «الصناعتين»^(١): أول ما ينبغي أن تستعمل في كتابك: مكاتبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام، وقوتهم في المنطق، وستعرف ذلك فيما سننقله من كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى العجم والعرب^(٢).

قال في «مواد البيان»^(٣): يجب على الكاتب أن ينتقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين، وأوجه الأحوال المتغيرة والأوقات المختلفة؛ ليكون كلامه مشاكلاً لكل منها؛ فإن أحكام الكلام تتغير بحكم الأزمنة والأمكنة، ومنازل المخاطبين والمكاتبين.

ومن هنا ترى أن كتّاب بني أمية استعملوا من ألفاظ العربية الفحلة والتمينة الجزلة ما لم يستعمل مثله كتّاب الدولة العباسية؛ لأن كتّاب الدولة الأموية قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها، حتى عدت في جملة الفضائل التي يثابروا على اقتنائها، والأمكنة التي نزلها ملوكهم من بلاد العرب، والرجال الذين كانت الكتب تصدر إليهم، وأهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر.

أما زمان بني العباس.. فإن الهمم تقاصرت عما كانت مقبلة على تطلبه

(١) الصناعتين (ص ١٦٠)، وانظر «صبح الأعشى» (٢٩٦/٦).

(٢) انظر (٣٠١/٤).

(٣) انظر «صبح الأعشى» (٢٩٧/٦ - ٢٩٩).

فيما تَصَرَّمَ مِنَ الْعُلُومِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا ، وَشَغِلَتْ بِغَيْرِهَا ؛ كَعُلُومِ الدِّينِ ، وَنَزَلَ
مَلُوكُهُمْ دِيَارَ الْعِرَاقِ وَمَا يَجَاوِرُهَا مِنْ بِلَادِ فَارَسَ ، وَلَيْسَ اسْتِفَاضَةُ لُغَةِ الْعَرَبِ
فِيهَا بِاسْتِفَاضَتِهَا فِي أَرْضِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ
كَانُوا يَكَاتِبُونَ عَنْهُمْ لَا يَجَارُونَ تِلْكَ الطَّبَقَةَ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِدَلَالَةِ
الْكَلَامِ ، فَانْتَقَلَ كُتَّابُهَا عَنِ اللَّفْظِ الْمَتِينِ الْجَزَلِ إِلَى اللَّفْظِ الرَّقِيقِ السَّهْلِ ،
وَكَذَلِكَ انْتَقَلَ مُتَأَخِّرُو الْكُتَّابِ عَنِ أَلْفَاظِ الْمُتَقَدِّمِينَ إِلَى مَا هُوَ أَعَدَبُ مِنْهَا
وَأَخْفُ ؛ لِلْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ .

قَالَ : وَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يِرَاعِيَ هَذِهِ الْأَحْوَالَ ، وَيُوقِعَ الْمَشَاكِلَةَ
بَيْنَ مَا يَكْتُبُهُ وَبَيْنَهَا ، فَإِذَا احتَاجَ إِلَى إِصْدَارِ كِتَابٍ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ النُّوَاحِيِ . .
فَلْيَنْظُرْ فِي أَحْوَالِ قَاطِنِيهَا ؛ فَإِنْ كَانُوا مِنَ الْأَدْبَاءِ الْبُلْغَاءِ الْعَارِفِينَ بِنَظْمِ الْكَلَامِ
وَتَأْلِيفِهِ . . فَلْيَدْعُ كِتَابَهُ الْأَلْفَاظَ الْجَزَلَةَ الَّتِي إِذَا حُلِيَتْ بِهَا الْمَعَانِي زَادَتْهَا
فَخَامَةٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَجَلَالَةٌ فِي الصُّدُورِ ، وَإِنْ كَانُوا مَمَّنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ خَاصِّ
الْكَلَامِ وَعَامِّهِ . . فَلْيُضَمِّنْ كِتَابَهُ الْأَلْفَاظَ الَّتِي يَتَسَاوَى سَامِعُوهَا فِي إِدْرَاكِ
مَعَانِيهَا ؛ فَإِنَّهُ مَتَى عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ . . ضَاعَ كَلَامُهُ ، وَلَمْ يَصِلْ مَعْنَى مَا كَتَبَ
فِيهِ إِلَى مَنْ كَاتَبَهُ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ الْبَلِيغَ إِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعٌ بِإِزَاءِ أَفْهَامِ الْبُلْغَاءِ
وَالْفَصْحَاءِ ، فَأَمَّا الْعَوَامُّ وَالْحَشَوَةُ . . فَإِنَّمَا يَصِلُ إِلَى أَفْهَامِهِمُ الْكَلَامُ الْعَاطِلُ
مِنْ حَلِيِ النِّظْمِ ، الْعَارِي مِنْ كَسُوةِ التَّأْلِيفِ ، فَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ
فِي مَخَاطَبَةِ مَنْ هَذِهِ صَوْرَتُهُ أَدْنَى رَتَبِ الْبَلَاغَةِ وَأَقْرَبُهَا مِنْ أَفْهَامِ الْعَامَّةِ
وَالْأُمَّمِ الْأَعْجَمِيَّةِ إِذَا كَتَبَ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْكُتُبَ السُّلْطَانِيَّةَ مِنْهَا كُتُبُ الْفَتْوحَاتِ وَالسَّلَامَاتِ وَنَحْوِهَا ،
وَهِيَ مُحْتَمِلَةٌ لِلْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ الْجَزَلَةِ ، وَالْإِطَالَةِ الْقَاضِيَةِ بِإِشْبَاعِ الْمَعْنَى ،
وَوُصُولِهِ إِلَى أَفْهَامِ كَافَّةِ سَامِعِيهِ مِنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَمِنْهَا كُتُبُ الْخِرَاجِ

وجبايته ، وأمور المعاملات والحساب ، وهي لا تحتمل اللفظ الفصيح ، ولا الكلام الوجيز ؛ لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل به ، وإفهام من لا يصل المعنى إلى فهمه إلا بالبيان الشافي في العبارة ، ومنها مخاطبة السلطان عن نفسه ، فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه في الخدمة ، فيستعمل من الألفاظ المتوسطة ، ولا يجوز أن يستعمل فيها الفصيحة التي لا تحتمل من تابع في حق متبوع ؛ لما فيه من تعاطي التفاصيل على سلطانه ، وهو غير جائز في أدب الملوك ، وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبتذلة الدائرة بين الشوكة ؛ لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته إياه بما لا يشبه رتبته .

وأما الكتب الإخوانيات النافذة في التهاني والتعازي . . فإنها تحتمل الألفاظ الغريبة القوية الأخذ بمجامع القلوب ، الواقعة أحسن المواقع من النفوس ؛ لأنها مبنية على تحسين اللفظ ، وتزيين النظم ، وإظهار البلاغة فيها مستحسن ، واقع موقعه .

قلت^(١) : والذي تُراعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الأبواب السلطانية في زماننا . . مكاتبات ملوك المغرب ؛ كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ، ومن يجري هذا المجرى ممن تشتمل بلادهم على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة ، ويظهر ذلك بالاستخبار عن بلادهم ، وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم إلى الأبواب السلطانية ، بخلاف من لا عناية له بذلك ؛ كحكّام أصغر البلدان ، وأصحاب اللغات العجمية

(١) القائل هو العلامة القلقشندي في «صبح الأعشى» (٢٩٩/٦) .

مِنَ الرُّومِ والفرنَجِ والسُّودانِ وَمَنْ فِي معناهُم ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ خِطابُهُم بِالْألفاظِ
الواضحةِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ بلادِهِم مَنْ يَتَعاطى البِلاغةَ مِنَ الكُتَّابِ ؛
ووردتْ كِتابُهُم على نَهجِها ؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي مِكاتِبَتُهُم على سِنَنِ البِلاغِ .

تَنْبِيهٌ (١)

[فِي أَنَّ المِرادَ بِالفِصيحِ عِنْدَ الخِاصَّةِ]

لَمْ يُرِدِ الشَّيْخُ فِي هَذَا الكِلامِ السالِفِ بِاللفظِ الفِصيحِ وَغِيرِهِ ما يَدُلُّكَ
عَلَيْهِ حَدُّ الفِصاحَةِ المُصَدَّرُ بِهِ فَنُ المِعانِي ؛ فَإِنَّ الفِصيحَ لا يَجوزُ العِدولُ عَنْهُ
فِي خِطابِ مَنْ كانَ ، وَإِنَّمَا يَريدُ بِالفِصيحِ : ما لا يَدورُ إِلَّا بَيْنَ خِاصَّةِ الناسِ
وَأهلِ المِعرفةِ مِنْهُم ؛ مِثْلاً : مِنَ أَسْماءِ (الأَسَدِ) : الغُضنْفَرُ ، وَالضَّرغامُ ،
والرأبألُ ، وَحِيدَرَةُ ، وَأَسامَةُ ، وَهِيَ لا يَسْتَعْمِلُها إِلَّا خِاصَّةُ الناسِ ، وَالعامَّةُ
إِنَّمَا يَسْتَعْمِلونَ مِنَ أَسْماءِهِ لَفْظَ (السَّيِّعِ) ، فَهو يَريدُ ذَلِكَ بِالفِصيحِ وَغِيرِ
الفِصيحِ .



(١) التنبية من المؤلف ضمن نقله لكلام العلامة القلقشندي .

[مراعاةُ رتبةِ المكتوبِ عنه وإليه في الخطابِ]

الأصلُ التاسعُ : أن يراعي رتبةَ المكتوبِ عنه والمكتوبِ إليه في الخطابِ ، فيُعَبَّرَ عن كلِّ واحدٍ منهما بما يليقُ به ، [ويُخاطَبُ] المكتوبِ إليه بما يليقُ بمقامِهِ .

فأمَّا المكتوبُ عنه . . فيختلفُ الحالُ فيه باختلافِ منصبِهِ ورتبتهِ ، فيُعَبَّرُ في الكتبِ الصَّادِرةِ عن أبوابِ الخلافةِ بأميرِ المؤمنينِ ؛ مثلُ أن يُقالَ : فجرى أمرُ أميرِ المؤمنينِ في كذا على كذا وكذا ، وأوعزَ أميرُ المؤمنينِ إلى فلانٍ بكذا ، واقتضى رأيَ أميرِ المؤمنينِ كذا ، وخرجَ أمرُ أميرِ المؤمنينِ بكذا ، ونفذَ أمرُ أميرِ المؤمنينِ إلى فلانٍ بكذا ، وما شاكلَ ذلكَ ، وربَّما عَبَّرَ عنه بالسُّلطانِ ؛ مثلُ أن يُقالَ في حقِّ المخالفينِ : وحاربوا عساكرَ السُّلطانِ ، أو وضعوا خراجَ السُّلطانِ ، وما أشبهَ ذلكَ .

وقال ابنُ شيثٍ ^(١) : ويُخاطَبُ بالمواقفِ المُقدَّسةِ الشريفةِ ، والعتباتِ العاليةِ ، ومقرِّ الرحمةِ ، ومحلِّ الشرفِ ، وذكرَ المقرِّ الشهابيُّ بنُ فضلِ اللهِ في التعريفِ نحوهُ فقالَ : ويُخاطَبُ بالديوانِ العزيزِ ، والمقامِ الأشرفِ ، والجانبِ الأعلى أو الشريفِ ، وبأمرِ المؤمنينِ مُجرَّدةً عن سيدنا ومولانا ، ومرةً غيرَ مُجرَّدةٍ معَ مراعاةِ المناسبةِ والتسديدِ والمقاربةِ .

قالَ : وسببُ الخطابِ بالديوانِ العزيزِ الخُضْعانُ عن مخاطبةِ الخليفةِ نفسهِ ، وتنزيلُ الخطابِ منزلةً مَنْ يُخاطَبُ نفسَ الديوانِ ، والمعنيُّ به ديوانُ الإنشاءِ ؛ إذ الكتبُ وأنواعُ المُخاطباتِ إليه واردةٌ ، وعنه صادرةٌ .

(١) انظر «صبح الأعشى» (٣٠٠/٦) .

وإن كَانَ المَكْتُوبُ عَنْهُ مَلِكًا . . . فَقَد جَرَتِ العَادَةُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِنَوْنِ الجَمْعِ للتعظيمِ ، فيُقَالُ : فعلْنَا كذا ، وأمَرْنَا بكذا ، واقتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ كذا ، وبرزتْ مراسيمُنَا بكذا ، ومرسومُنَا إلى فلانٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ بكذا ، أو يَتَقَدَّمَ أمرُهُ بكذا ، وما أشبه ذلك ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَلوكَ العَرَبِ كانوا يَجْرُونَ على ذَلِكَ في مُخاطباتِهِمْ ، فَجَرَتِ المَلوكُ على سَنَنِهِمْ في ذَلِكَ ، وفي معنى المَلوكِ في ذَلِكَ سائِرُ الرُّؤساءِ ؛ مِنْ الأَمراءِ والوزراءِ والعلماءِ والكُتَّابِ ونحوِهِمْ ؛ مِنْ ذَوِي الأَقْدارِ العَلِيَّةِ ، والأَخْطارِ الجَلِيلَةِ ، والمراتبِ السَّنِيَّةِ ، في الدِّينِ والدُّنْيَا ، مَمَّنْ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ آمراً وناهيّاً إذا كَتَبُوا إلى أَتباعِهِمْ ومَأْمُورِيهِمْ ؛ إذ كَانَتْ هذِهِ النُّونُ مَمَّا يُخْتَصُّ بِذَوِي التعظيمِ دونَ غيرِهِمْ ، وشاهِدُ ذَلِكَ مِنَ القُرْآنِ العَظيمِ : قولُهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ^(١) ، فدَعَاهُ دَعاءَ المُفْرَدِ ؛ لِعَدَمِ المِشارَكَةِ لَهُ في ذَلِكَ الاسمِ ، وسأَلَهُ سَوألَ الجَمْعِ ؛ لِمَكَانِ العَظَمَةِ . . . إلى غيرِ ذَلِكَ مِنَ الآياتِ الوارِدَةِ مورَدَ الاختِصاصِ لَهُ ، كما في قولِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرُثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ ^(٢) ، وقولِهِ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ^(٣) ، وقولِهِ : ﴿ وَنَحْنُ الأَوْرَثُونَ ﴾ ^(٤) ، وغيرِ ذَلِكَ مِنَ الآياتِ .

قالَ في « معالِمِ الكُتابةِ » ^(٥) : وقد أَخَذَ كُتَّابُ المَغْرِبِ هَذَا مَعَ وِلاَةِ أَمورِهِمْ في الجَمْعِ بالمِيمِ ؛ فمُخاطَبُوا الواحِدِ مُخاطَبَةُ الجَمْعِ ؛ مِثْلَ : أَنْتُمْ ، وفعلتُمْ ، وأمرتُمْ ، وما أشبه ذلك .

(١) سورة المؤمنون : (٩٩) ، وقعت الآية في الأصل وفي « صبح الأعشى » (٣٠١/٦) هكذا : (حتى إذا حضر أحدهم الموت . . .) .

(٢) سورة مريم : (٤٠) .

(٣) سورة يس : (١٢) .

(٤) سورة الحجر : (٢٣) .

(٥) انظر « صبح الأعشى » (٣٠١/٦) .

قلت^(١) : والأمر في ذلك عندهم مُستمرٌ إلى الآن .

وإن كان المكتوبُ عنه مرئوساً بالنسبة إلى المكتوبِ إليه ؛ كالتابعِ ومن في معناه . . فقال في « موادّ البيان »^(٢) : ينبغي أن يتحفظَ في الكتبِ النافذةِ عنه عن الإتيانِ بنونِ العظمةِ وغيرها من الألفاظِ التي فيها تعظيمُ شأنِ المكتوبِ عنه ؛ مثلُ أن يقولَ : أمرتُ بكذا ، أو نهيتُ عن كذا ، وأوعزتُ بكذا ، أو تقدّمَ أمري إلى فلانٍ بكذا ، أو أنهيَ إليّ كذا ، أو خرجَ أمري بكذا ، وما في معنى ذلك ممّا لا يُخاطبُ به الأتباعُ رؤساءَهُم ، بل يعدلُ عن مثلِ هذه الألفاظِ إلى ما يُؤدّي إلى معناها ، ممّا لا عظمةَ فيه ؛ مثلُ أن يقولَ : وجدتُ صوابَ الرأيِ كذا ففعلتُهُ ، ورأيتُ السياسةَ تقتضي كذا فأمضيتُهُ ، وما أشبه ذلك إن كان عُرِفَ الكُتّابُ على الخطابِ بالتاءِ ، وإلا . . قال : وجدَ المملوكُ صوابَ الرأيِ كذا ، ورأى السياسةَ تقتضي كذا فأمضاهُ ، وما يجري هذا المجرى .

وأما المكتوبُ إليه . . فقال أبو هلالٍ العسكريُّ في كتابِ « الصّناعتين »^(٣) : ينبغي أن يعرفَ قدرَ المكتوبِ إليه من الرؤساءِ والنظرَاءِ والعلماءِ والوكلاءِ ؛ ليفرّقَ بينَ مَنْ يُكتَبُ إليه : (أنا أفعلُ كذا) ، ومَنْ يُكتَبُ إليه : (نحنُ نفعلُ كذا) ، ف (أنا) من كلامِ الأشباهِ والإخوانِ ، و (نحنُ) من كلامِ المملوكِ ، ويفرّقَ بينَ مَنْ يُكتَبُ إليه : (فإن رأيتَ) وبينَ مَنْ يُكتَبُ إليه : (فرأيتُ) .

قال في « موادّ البيان »^(٤) : وذلك أن قولَهُم : (فإن رأيتَ أن تفعلَ كذا) لفظُ النظرَاءِ والمساوينِ ، بخلافِ : (فرأيتُ) فإنّه لا يكتبُهُ إلى جليلٍ مُعظّمٍ ؛

(١) القائل هو العلامة الفلقشندي في « صبح الأعشى » (٣٠٢/٦) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٢/٦) .

(٣) الصناعتين (ص ١٦٤ - ١٦٥) ، وانظر « صبح الأعشى » (٣٠٢/٦) .

(٤) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٢/٦) .

لتضمُّنِه معنى الأمرِ ، والتقديرُ : فَرَهُ رَأَيْكَ ، على أَنَّ الأَخْفَشَ قد أنكَرَ هذا على الكُتَّابِ ؛ لأنَّ أَقْلَ الناسِ يقولُ للسلطانِ : انظرْ في أموري ، ولفظُهُ لفظُ الأمرِ ، ومعناه السؤالُ ، وذكرَ مثلهُ في « صناعةِ الكُتَّابِ » عن النحويين .

قالَ في « موادِّ البيانِ »^(١) : وَحُجَّةُ الكُتَّابِ أَنَّ المُشافَهَةَ تَحْتَمِلُ ما لا تَحْتَمِلُهُ المُكاتِبَةُ ؛ لأنَّ المُشافَهَةَ تكونُ بما يَحْضُرُ الإنسانَ ولا يَتِمَكَّنُ مِنْ تَقْيِيدِهِ وترتبيهِ ، بخلافِ المُكاتِبَةِ ، فلا عذرَ لصاحبِها في الإخلالِ بالأدبِ .

قالَ في « موادِّ البيانِ »^(٢) : لا ينبغي أن يكونَ خطابُك لجميعِ طبقاتِ الناسِ على صورةٍ واحدةٍ ؛ وذلكَ أَنَّ المعاني التي يُكْتَبُ فيها وإن كانَ كلُّ جنساً بعينه ؛ كالتهنئةِ ، والتعزيةِ ، والاعتذارِ ، والعتابِ ، والاستظهارِ ، ونحوِ ذلكِ . . فإنه لا يجوزُ أن يخرجَ المعنى لكلِّ مخاطَبٍ على صيغةٍ واحدةٍ مِنَ اللفظِ ، بل ينبغي أن يخرجَ في الصَّيغَةِ المشاكِلَةِ للمُخاطَبِ اللَّائِقَةِ بقدرِهِ ورتبتهِ ؛ ألا ترى أَنَّكَ لو خاطبتَ سلطاناً أو وزيراً بالتعزيةِ عن مصيبةٍ مِنْ مصائبِ الدنيا . . لَمَا جازَ أن تبنيَ الكلامَ على وعظِهِ وتبصيرهِ ، وإرشادِهِ وتذكيرهِ ، وحَضِّهِ على الأخذِ بحظِّ مِنَ الصَّبْرِ ، ومجانبةِ الجزعِ ، وتلقِّيِ الحادثاتِ بالتسليمِ والرضا؟! وإنما الصَّوابُ أن تبنيَ الخطابَ على أَنَّهُ أعلى شأناً ، وأرفعُ مكاناً ، وأصحُّ جزماً ، وأرجحُ حلماً مِنْ أن يُعزِّيَ ، بخلافِ المُتأخِّرِ في الرتبةِ ؛ فإنه إنَّما يُعزِّيَ تنبيهاً وتذكيراً وتصبيراً ، وتعريفاً للواجبِ في تلقِّيِ السَّراءِ بالشكرِ ، والضَّرَّاءِ بالصبرِ ، ونحوِ ذلكِ .

وكذلكَ إذا كاتبْتَ رئيساً في معنى الاستزادةِ والشَّكوى . . لا يجوزُ أن تأتيَ بمعناها في ألفاظِهِما الخاصَّةِ ، بل يجبُ أن تعدلَ عن الشَّكوى إلى ألفاظِ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٣/٦) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٤/٦ - ٣٠٥) .

الشكر، وعن ألفاظ الاستزادة إلى ألفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر؛ لتكون قد رتبت كلامك في رتبته، وأخرجت معنك مخرج من يستدعي الزيادة، لا من يشكو التقصير.

وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته.. لم يجز أن تورّد ذلك مورد التنبيه على ما أغفله، والإيقاظ لما أهمله، والتعريف من الصواب لما جهله؛ لأن ذلك ممّا لا تحتمله الرؤساء من الأتباع، ولكن تبني الخطاب على أن السلطان أعلى وأجل رأياً، وأصح فكراً، وأكثر إحاطة بصدور الأمور وأعجازها، وأن آراء خدمه جزء من رأيه، وأنهم إنما يتفرسون مخايل الإصابة بما وقفوا عليه من سلوك مذهبه، والتأدّب بأدبه، والارتياض بسياسته، والتنقل في خدمته، [وأن] ممّا يفرضونه في حكم الإشفاق والاهتمام، وما يُسبغ عليهم من الإنعام.. المطالعة بما يجري في أوهامهم، ويحدث في أفكارهم من الأمور التي يتخيّلون في العمل بها مصلحة للدولة، وعمارة المملكة، يتصفّحها [بأصالة] رأيه التي هي أوفر وأثبت، فإن استصوبه.. أمضاه، وإن رأى خلافه.. ألغاه، وكان الأعلى ما يراه... إلى غير ذلك ممّا يجري لهذا المعجى.



[مراعاةُ مواقعِ الآياتِ والسَّجَعِ في الكتبِ]

الأصلُ العاشرُ: أن يراعيَ مواقعَ آياتِ القرآنِ والسَّجَعِ في الكتبِ ، وذكرَ أبياتِ الشعرِ في المكاتباتِ .

أما آياتُ القرآنِ الكريمِ .. فقد ذكرَ ابنُ شيثٍ في « معالمِ الكتابةِ »^(١) :
 أنها في صدرِ الكتبِ قد يذكرُها الأدنى للأعلى في معنى ما يكتُبُ به ؛ مثلُ
 قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾^(٢) ، وقوله
 تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾^(٣) ...
 إلى غيرِ ذلكِ مِنَ الآياتِ المناسبةِ للوقائعِ ، وإن كانتِ في أثناءِ الكتبِ ..
 فقد استشهدَ بها جماعةٌ مِنَ الكُتَّابِ في خلالِ كتبِهِم .



وأما السَّجَعُ .. فقد ذكرَ ابنُ شيثٍ^(٤) : أَنَّهُ لَا يُفَرَّقُ فِيهِ بَيْنَ كِتَابِ الْأَعْلَى
 لِلأَدْنَى وَبِالعَكْسِ ، وَأَنَّهُ بِمَا يُكْتَبُ عَنِ السُّلْطَانِ أَلِيْقٌ ، لَكِنْ قَدْ ذَكَرَ بَعْضُ
 الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ الْكِتَابَةَ بِالسَّجَعِ أَنْقَصُ فِي حَقِّ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ؛ وَقَضِيَّتُهُ : أَنَّهُ لَا
 يُكْتَبُ بِهِ إِلَّا مِنْ أَعْلَى لِأَدْنَى ، إِلَّا أَنْ الَّذِي جَرَى عَلَيْهِ مِصْطَلَحُ كُتَّابِ الزَّمَانِ
 تَخْصِيصُهُ بِبَعْضِ الْكُتُبِ دُونَ بَعْضٍ مِنَ الْجَانِبَيْنِ .



وأما الشعرُ .. فيوردهُ حيثُ يحسُنُ إيرادُهُ ، ويمنعُهُ حيثُ يحسُنُ منعهُ ،

(١) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٦/٦) .

(٢) سورة يوسف : (٩٦) .

(٣) سورة فاطر : (٣٤) .

(٤) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٧/٦) .

فليس كلُّ مكاتبةٍ يحسُنُ فيها إيرادُ الشعرِ ، بل يَخْتَلِفُ الحالُ في ذلكَ بحسَبِ المكتوبِ عنه والمكتوبِ إليه .



فأمَّا المُكاتباتُ الصَّادرةُ عن الملوكِ والصَّادرةُ إليهم . . فقد ذكرَ في « موادِّ البيانِ »^(١) : أَنَّهُ لا يُتمَثَّلُ فيها بشيءٍ مِنَ الشعرِ إِجْلالاً لَهُم من شوبِ العبارةِ عن عزائمِهِم وأوامرِهِم ونواهيهِم والأخبارِ المرفوعةِ إليهم . . بما يُخالفُ نمطَها ووضعَها ، ولأنَّ الشعرَ صناعةٌ مغايرةٌ لصناعةِ الترسُّلِ ، وإدخالُ بعضِ صنائعِ الكلامِ في بعضٍ غيرُ مستحسنٍ .

قلتُ^(٢) : الذي ذكرَهُ عبدُ الرحيمِ بنُ شيثٍ في كتابِهِ « معالمِ الكتابةِ ومواضعِ الإصابةِ »^(٣) : أَنَّهُ يُجْتَنَّبُ الشعرُ في المكاتباتِ الصَّادرةِ عن الملوكِ دونَ غيرِهِم ، وهو مُعارضٌ لِمَا ذكرَهُ في « موادِّ البيانِ » ، وكأَنَّهُ في « موادِّ البيانِ » يريدُ الكتبَ النافذةَ عن الملوكِ إلى مَنْ دونَهُم ، أو مَنْ دونَهُم إليهم ، أمَّا الملوكُ والخلفاءُ إذا كتبوا إلى مَنْ ضاهاهُم في أُبُهَّةِ الملكِ ، وقاربَهُم في عُلوِّ الرتبةِ . . فَإِنَّهُ لا يمتنعُ التمثُّلُ بأبياتِ الشعرِ فيها ؛ تطريزاً للنثرِ بالنظمِ ، وجمعاً بينَ جنسَيِ الكلامِ اللَّذَيْنِ هُما خِلاصةُ مقاصدِهِ .

وما زالتِ الخلفاءُ والملوكُ السالفةُ يُخلِّلونَ كتبَهُم الصَّادرةَ عنهم إلى نظرائِهِم في عُلوِّ الرتبةِ بالأبياتِ الرقيقةِ الألفاظِ ، البديعةِ المعاني ؛ للاستشهادِ على الوقائعِ المكتوبِ بسببِها ، كما كتبَ أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنه حينَ تمالاً عليه القومُ واجتمعوا على قتلهِ إلى عليِّ بنِ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٧/٦) .

(٢) هو العلامة الفلقشندي في « صبح الأعشى » (٣٠٧/٦) .

(٣) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٧/٦) .

أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ^(١) : أمَّا بعدُ : فقد بلغَ السيلُ الرُّبِي ، وجاوزَ الحزامَ الطُّبِّيْنَ ، وطمعَ فيَّ مَنْ تُعَجِّزُهُ المدافعةُ عن نفسه ، فأقبلَ إليَّ صديقاً كنتُ أو عدواً .

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أَمَزِقِ^(٢)

وكما كتبَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إلى معاويةَ بنِ أبي سفيانٍ في جوابِ كتابٍ له حينَ جرى بينهما التنازعُ في الخلافةِ ، فقالَ في أثناءِ كتابِهِ^(٣) : وزعمتُ أنِّي لكلِّ الخلفاءِ حسدٌ ، وعلى كلِّهم بغيتُ ، فإن يكُ ذلكُ كذلكُ . . فليستِ الجنايةُ عليكِ ، فيكونَ العذرُ إليكِ .

وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارِهَا^(٤)

وعلى ذلكَ جرى كثيرٌ منَ خلفاءِ الدَّولَتَيْنِ الأمويةِ والعباسيةِ ، كما حكى العسكريُّ في «الأوائلِ»^(٥) : أنَّ أهلَ حمصَ وثبوا بعاملِها فأخرجوه ، ثمَّ وثبوا بعدهُ بعاملٍ آخرَ ، فأمرَ المُتوكِّلُ إبراهيمَ بنَ عباسٍ أن يكتبَ إليهم كتاباً يُحذِّرُهُم فيه ويختصرُ ، فكتبَ : أمَّا بعدُ : فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يرى منَ حقِّ اللهِ تعالى عليه فيما يُقوِّمُ به منَ زيغٍ ويَلُمُّ منَ شعثٍ ثلاثاً يُقدِّمُ بعضَهُنَّ أمامَ بعضٍ ؛ فأولاهُنَّ : ما يستظهرُ به منَ عظةٍ وحُجَّةٍ ، ثمَّ ما يشفعُ به منَ تحذيرٍ وتنبيهٍ ، ثمَّ التي لا يقعُ حَسْمُ الداءِ بغيرِها .

(١) انظر «صبح الأعشى» (٣٠٨/٦) .

(٢) من الطويل .

(٣) انظر «صبح الأعشى» (٣٠٨/٦) .

(٤) من الطويل ، وعزاه في «التذكرة الحمدونية» (١٨٦/٦) لأبي ذؤيب الهذلي ضمن أبيات ، والبيت بتمامه :

وَعَيَّرَهَا أَلْوَأَشُونَ أَنِّي أَجِبُهَا وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارِهَا

(٥) الأوائل (٣٩٠/١) .

أَنَاةً فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعِيداً فَإِنْ لَمْ يُجِدِ أَجَدَتْ عَزَائِمُهُ^(١)
وَمَمَّنْ كَانَ كَثِيرَ التَّمَثُّلِ بِالشَّعْرِ فِي المُّكَاتِبَاتِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي العَبَّاسِ
وَيَصُدُّرُ إِلَيْهِ المُّكَاتِبَاتُ كذَلِكَ . . الناصرُ لدينِ اللهِ .

يُحْكِي : أَنَّ المَلِكَ الأَفْضَلَ عَلِيَّ ابْنَ السُّلْطَانِ صِلَاحِ الدِّينِ يوسُفَ
صَاحِبِ دِمَشقَ حِينَ تَعَصَّبَ عَلَيْهِ أَخُوهُ المَلِكُ العَزِيزُ عِثْمَانُ وَعُمَّهُ المَلِكُ
العَادِلُ أَبُو بَكْرٍ . . كَتَبَ إِلَى النَاصِرِ لِدِينِ اللهِ يَسْتَجِيشُهُ عَلَيْهِمَا كِتَاباً ، يَشِيرُ
فِيهِ إِلَى مَا يَعتَقِدُهُ الشَّيْعَةُ فِي أَنَّ الحَقَّ فِي الخِلافةِ كَانَ لَعَلِيٍّ ، وَأَنَّ أبا بَكْرٍ
وعِثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تَقَدَّمَا عَلَيْهِ ؛ إِذْ كَانَ النَاصِرُ يَمِيلُ إِلَى التَّشْيِيعِ
وَكَتَبَ فِيهِ^(٢) :

مَوْلَايَ إِنَّ أبا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ عِثْمَانَ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ
فَأَنْظِرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الأَسْمِ كَيْفَ لَقِي مِنْ الأَوَاخِرِ مَا لَاقَى مِنْ الأَوَّلِ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَاصِرُ الجَوَابَ عَن ذَلِكَ وَكَتَبَ فِيهِ :

وَأَفَى كِتَابِكَ يَا بَنَ يوسُفَ نَاطِقاً بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَضْلَكَ طَاهِرُ
غَضَبُوا عَلَيَّ حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ بِيَثْرِبَ نَاصِرُ
فَأَضْبِرْ فَإِنَّ عَلَى الأِلَهِ حِسَابَهُمْ وَأَبْشِرْ فَناصِرُكَ الإِمَامُ النَّاصِرُ
وعلى ذلك جرى الملوكُ القائمونَ على خِلفاءِ بني العباسِ في مُكاتِبَاتِهِمْ
أيضاً .

كما كتب أبو إسحاق الصَّابِيُّ عَن مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ إِلَى عُدَّةِ الدَّوْلَةِ
أبي تغلبَ كِتَاباً يذْكَرُ لَهُ فِيهِ خِلافاً قَريبينَ لَهُ لَمْ يَمكُنْهُ مِسانِدُهُ أَحَدِهِمَا على

(١) من الطويل .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٩/٦) .

الآخر ، واستشهد فيه بقول المُتلمِسِ^(١) :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَه أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْدَمَا
فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ يَبِينَا فَأَحْجَمَا

وعلى هذا النهج جرى الحال في الدولة الأيوبية بالديار المصرية ، كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى ديوان الخلافة ببغداد ، عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتاباً ليسلي الخليفة عنه ، وكان ممن أساء السيرة وأكثر القتل ، مُتمثلاً بالبيتين المقولين في أبي حفص الخلال وزير أبي العباس السفاح ، وكان يُعرف بوزير آل محمد^(٢) : [من الكامل]

إِنَّ الْمَكَارَةَ قَدْ تَسَرُّ وَرَبَّمَا كَانَ الشُّرُورُ بِمَا كَرِهْتَ جَدِيرَا
إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرَا

وكما كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون إلى صاحب اليمن في جواب تعزية أرسلها إليه في ولده الملك الصالح ، مع تعريضه في أمر له بأن الحروب ما تشغل عنها المصائب في الأولاد ، مستشهداً فيه بقوله^(٣) :

إِذَا أَعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا فَأَهْوَنُ مَا تَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين البيهقي رحمه الله عن الظاهر برقوق صاحب الديار المصرية جواباً لصاحب تونس من بلاد المغرب ، واستشهد فيه لبلاغة الكتاب الوارد عنه بقوله^(٤) :

وَكَلَامٍ كَدَمَعِ صَبِّ غَرِيبٍ رَقَّ حَتَّى الْهَوَاءُ يَكْثُفُ عِنْدَهُ

(١) انظر «صبح الأعشى» (٣٠٩/٦).

(٢) انظر «صبح الأعشى» (٣١٠/٦).

(٣) انظر «صبح الأعشى» (٣١٠/٦).

(٤) انظر «صبح الأعشى» (٣١٠/٦).

رَاقَ لَفْظاً وَرَقَّ مَعْنَى فَأَضْحَى كُلُّ سِحْرِ مِنَ الْبَلَاغَةِ عَبْدَهُ

وعلى ذلك جرت ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم ، كما كتب بعض
كُتَّابِ السُّلْطَانِ ، أبو الحسن المريني ، عنه إلى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْنَاصِرِ
محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، كتاباً يخبره في خلاله أن صاحب
بجاية خرج عن طاعته ، فغزاه وأوقع به وبجيوشه حتى قمعه ، مستشهداً فيه
بقول القائل^(١) :

إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُذْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَةً

إلى غير ذلك من المكاتبات الملوكية التي لا تحصى كثرة ، بل ربّما وقع
التمثُّلُ بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك إلى من دونهم وبالعكس ،
كما حكى العسكري في « الأوائِل »^(٢) : أن رافعاً رفع كتاباً إلى الرشيد ،
وكتب في أسفله :

إِذَا جِئْتُ عَاراً أَوْ رَضِيتُ بِذِلَّةٍ فَنَفْسِي عَلَى نَفْسِي مِنَ الْكَلْبِ أَهْوَنُ

فكتب إليه الرشيد كتاباً ، وكتب في أسفله :

وَرَفَعْتُ نَفْساً طَالِباً فَوْقَ قَدْرِهَا يَسُوقُ لَكَ الْحَتْفَ الْمُعَجَّلَ وَالذُّلَّ



وبالجملة : فمذاهبُ الناس في التمثُّلِ بالشعر في المُكَاتَبَاتِ الْمَلُوكِيَّةِ
مختلفة ، ومقاصدُهم متباينة بحسب الأغراض ، ولذلك أورد الشيخ جمال
الدين بن نباتة هذه المسألة في جملة سؤالاته التي سأل عنها كُتَّابُ الْإِنْشَاءِ
بدمشق ، مخاطباً بها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو يومئذ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٦/٣١٠ - ٣١١) .

(٢) الأوائِل (١/٣٩١) .

صاحب ديوان الإنشاء بها ، فقال^(١) : وَمَنْ كَرِهَ الاسْتِشْهَادَ فِي مَكَاتِبِ الْمُلُوكِ
بِالْأَشْعَارِ !؟ وَكَيْفَ تَرَكَهَا عَلَيَّ مَا فِيهَا مِنَ الْآثَارِ !؟



أما المُكَاتِبَاتُ الإخْوانِيَّاتُ بالتهاني والتعازي والتزاوير والتهادي
والمداعباتِ وسائرِ أنواعِ الرَّقَاعِ في فنونِ المكاتباتِ . . فقد قال في « موادِّ
البيانِ »^(٢) : إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تُودَعَ أَبْيَاتُ الشَّعْرِ عَلَيَّ سَبِيلِ التَّمَثُّلِ وَعَلَى
سَبِيلِ الْإِخْتِرَاعِ ؛ مُحْتَجًّا بِأَنَّ الصَّدْرَ الْأَوَّلَ كَانُوا يَسْتَعْمَلُونَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ
المواضعِ ، وهذا الذي ذكره لا خفاءَ فيه ، وكتبَ الرسائلِ المدونةُ مِنْ كَلَامِ
المُتَقَدِّمِينَ والمُتَأَخِّرِينَ مِنْ كُتَّابِ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ شَاهِدَةً بِذَلِكَ ، نَاطِقَةً
بِاسْتِعْمَالِ الشَّعْرِ فِي صُدُورِ المَكَاتِبَاتِ وَأَثْنَائِهَا وَنَهَايَاتِهَا ، مَا بَيْنَ الْبَيْتِ
وَالْبَيْتَيْنِ فَأَكْثَرَ ، حَتَّى الْقِصَائِدِ الطُّوَالِ ، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمَفْرُودِ
وَالْبَيْتَانِ فَمَا حَوْلَ ذَلِكَ ، كَمَا اسْتَشْهَدَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي بَعْضِ مَكَاتِبَاتِهِ
فِي الشُّوقِ بِقَوْلِهِ^(٣) :

وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَيَسْتَأْفُقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي

وكما كتب أيضاً لبعض إخوانه في جواب كتاب : [من الطويل]

وَكَمْ قُلْتُ [حَقًّا] لَيْتَنِي كُنْتُ عِنْدَهُ وَمَا قُلْتُ إِجْلَالًا لَهُ لَيْتَهُ عِنْدِي

وكما كتب في وصف كتاب ورد عليه مستشهداً بقوله : [من الكامل]

وَحَسِبْتُهُ وَالطَّرْفُ مَعْفُودٌ بِهِ وَجَهَ الْحَبِيبِ بَدَا لِيُوجِهَ مُجِيبَهُ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٣١١/٦) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٣١١/٦) .

(٣) انظر « صبح الأعشى » (٣١١/٦ - ٣١٢) .

إلى غير ذلك من المكاتبات التي لا يأخذها حصراً، ولا تدخل تحت حدّ .

انتهى ما أردت نقله من كتاب « صبح الأعشى » في هذا الموضوع ، وإنما أوردته بصورته مع قابليته للاختصار ؛ لأكون قد أحضرت ذهنك كلاماً لمؤلف جليل في التعريف بصناعة الإنشاء ، يكون له مجال بعد فهمه ، واعتبار ما يرشد إليه أن يحاول تهذيب عبارة تفيد معناه ، وتبين مغزاه .

ثم إنه ليس الغرض من إيقافك عليه أنك تتبع كل ما يأمرك به ويُنَبِّهك عليه دون أن تستعمل ذوقك في الاستحسان ، وأنت مستند إليه مسترشداً به ، حتى تخرج منه إلى ما يناسب وقتك ، ويستصوبه أهل عصرِكَ الذين أحوالك مربوطَةٌ بأحوالهم ، ومنافعك معقودة برضاهم ، فلكلِّ مقام مقال ، ولكلِّ زمان رجال .

هذا ؛ وإذا أردت استيفاء معرفة اختلاف اصطلاح الكُتَّاب في كلِّ عصرٍ من العصور الخالية في فواتح الكتب وخواتمها ، وما يختص بكلِّ نوعٍ من أنواع المكاتبات . . فالموجود من كتاب « صبح الأعشى » بدارِ الكتب الكبيرة يكفيك لهذا الغرض .



الجهة الثالثة

[في ذكر أمثلة معينة لفهم هذه الصناعة]

في أمثلة تستعينُ بتفهمها وتأملِ سياقاتها مِنْ فواتحها إلى خواتمها على تربية ذهنك في هذه الصناعة ، واختيار ما يرشدك الله لاختياره ؛ مِنْ مذهبٍ تذهبه في تأليف الكلام ، وتنويعه على حسب طبقات مَنْ تكاتبتهم ، وكفى هذه الصناعة شرفاً أن كان ابتداءً تمثيلها بما صدرَ عن حضرة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومنه تَعْرِفُ حَقَّ المعرفة كيف يختلف حال الكتابة باختلاف حال المكتوب إليه .

[كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ لقيصرِ الرُّومِ]

فَمِنْ كَتَبِهِ لِلْعَجَمِ - وَبَعْضُهَا يَشْبَهُ بَعْضاً - كِتَابُهُ الصَّادِرُ لِقَيْصَرِ الرُّومِ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَهَذِهِ صَوْرَتُهُ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعَ الْهُدَى ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْتَ تَسَلَّمْتَ ، أَسْلِمْتَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ؛ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ . . فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ، وَ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ » (١) .

[كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ لكسرى ملكِ الفرسِ]

ومنها : كتابُهُ الصَّادِرُ إِلَى كَسْرَى ملكِ الفرسِ في ذلك الغرضِ ، وهذه

(١) سورة آل عمران : (٦٤) ، والحديث أخرجه البخاري (٧ ، ٢٩٤١) ، ومسلم (١٧٧٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا أبي سفيان رضي الله عنه .

صورتُهُ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ ، سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ
وَأَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى
النَّاسِ كَافَّةً لِأُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ ، وَأَسْلِمَ تَسْلَمَ ؛
فَإِن تَوَلَّيْتَ . . فَإِنَّ [إِثْمَ] [الْمَجُوسِ عَلَيْكَ] » (١) .

فَكَانَ الْإِفْتِتَاحُ بِ (مِنْ فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ) سُنَّةً ، سِوَاءَ كَانَتْ الْكِتَابَةُ مِنْ رَئِيسٍ
أَوْ مَرُؤُوسٍ ، حَتَّى كَتَبَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ : إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ
النَّجَاشِيِّ ، وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ فِي نَاحِيَةٍ : لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَكَانَتْ سُنَّةً ثَانِيَةً التَّزَمَهَا النَّاسُ بَعْدُ فِي خُطَابِ الْمَرُؤُوسِ
لِلرَّئِيسِ ؛ لِمَا تَجَدَّدَ مِنَ الْعِظْمَةِ الْمَلِكِيَّةِ وَالْجَلَالَةِ السُّلْطَانِيَّةِ .

[كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَكِيدَرَ صَاحِبِ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ]

وَمِنْ كُتُبِهِ لِلْعَرَبِ : كِتَابُهُ الصَّادِرُ لِأَكِيدَرَ صَاحِبِ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ ، وَهَذِهِ
صُورَتُهُ :

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِأَكِيدَرَ ، حِينَ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَخَلَعَ الْأُنْدَادَ
وَالْأَصْنَامَ ، مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ سَيْفِ اللَّهِ فِي دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَكْنَفِهَا : إِنَّ لَنَا
الضَّاحِيَةَ مِنَ الصَّحْلِ ، وَالْبُورَ وَالْمَعَامِيَّ وَأَغْفَالَ الْأَرْضِ ، وَالْحَلَقَةَ وَالسِّلَاحَ
وَالْحَافِرَ وَالْحِصْنَ ، وَلَكُمْ الضَّامِنَةَ مِنَ النَّخْلِ ، وَالْمَعِينُ مِنَ الْمَعْمُورِ ،
لَا تُعْزَلُ سَارِحَتُكُمْ ، وَلَا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ ، وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمْ النَّبَاتُ ،
تُقِيمُونَ الصَّلَاةَ لِقَوْتِهَا ، وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ بِحَقِّهَا ، عَلَيْنَا بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ
وَالْمِيثَاقُ » (٢) .

(١) انظر « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني (١٤/٥ - ١٥) .

(٢) انظر « الروض الأنف » (٣٩٧/٧ - ٣٩٨) .

تفسير ألفاظه وبيان مقصوده :

الأندادُ : جمعُ نِدِّ بكسرِ النونِ ؛ وهوَ ضدُّ الشيءِ الذي يخالفُهُ في أمرِهِ ،
وينادُهُ ؛ أي : يخالفُهُ ، مأخوذٌ مِنْ نَدَّ البعيرُ ؛ إذا شردَ ، والمرادُ : ما كانوا
يتخذونهُ آلهةً مِنْ دونِ الله .

والأصنامُ : جمعُ صَنَمٍ ؛ وهوَ ما اتُّخِذَ إلهاً مِنْ دونِ الله ، وقيلَ : ما كانَ لهُ
جسمٌ أو صورةٌ ، فإن لم يكنْ لهُ جسمٌ ولا صورةٌ . . فهوَ وثنٌ .

والأكنافُ بالنونِ : جمعُ كَنَفٍ بالتحريكِ ، وهوَ الجانبُ والناحيةُ .

والضَّاحيةُ بالضَّادِ المعجمةِ والحاءِ المهملةِ : الناحيةُ البارزةُ التي لا حائلَ
دونَها ، والمرادُ هنا : أطرافُ الأرضِ .

والضَّحْلُ بفتحِ الضَّادِ المعجمةِ وسكونِ الحاءِ المهملةِ : القليلُ مِنَ الماءِ ،
وقيلَ : الماءُ القريبُ مِنَ المكانِ ، وبالتحريكِ : مكانُ الضحْلِ .

والبورُ : الأرضُ التي لم تُزرَعْ ؛ وهوَ بالفتحِ مصدرٌ وصفَ بهُ .

والمعامي : المجهولةُ مِنَ الأرضِ ، التي ليسَ فيها أثرُ عمارةٍ ، واحداها
معمى .

وأغفالُ الأرضِ بالغينِ المعجمةِ والفاءِ : الأرضُ التي ليسَ فيها أثرٌ يُعرَفُ ؛
كأنَّها مغفولٌ عنها .

والحلقةُ بسكونِ اللامِ : السلاحُ عاماً ، وقيلَ : الدرْعُ خاصاً .

والسِّلاحُ : ما أُعِدَّ للحربِ مِنْ آلةِ الحديدِ ممَّا يُقاتلُ بهُ ، والسيفُ وحدهُ
يُسَمَّى سلاحاً .

والضَّامنةُ مِنَ النخلِ بالضَّادِ المعجمةِ والنونِ : ما كانَ داخلاً في العمارةِ
مِنَ النخيلِ وتضمَّنَتْهُ أمصارُهُم وقراهم ، وقيلَ : سُمِّيَتْ ضامنةً لأنَّ أربابها

ضمنوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات ضمان ، كعيشة راضية ؛ بمعنى : ذات رضا .

والمعين من المعمور : الماء الذي ينبع من العين في العامر من الأرض .

وقوله : (لا تُعزَلُ سارحتكم) بالزاي المعجمة ؛ أي : لا تُصرف ماشيتكم وتُمال عن الرعي ، ولا تُمنع .

وقوله : (ولا تُعدُّ فاردتكم) أي : لا تُضمُّ إلى غيرها وتُحشَرُ إلى الصدقة حتى تُعدَّ مع غيرها وتُحسَب ، والفاردة : الزائدة على الفريضة .

ولا يُحظرُ عليكم النبات بالظاء المعجمة ؛ أي : لا تُمنعون من الزرع والمرعى حيث شئتم .

والحظر : المنع ، ومقصوده : تمييز ما يكون للسلطان فيه إطلاق التصرف وليس داخلاً في حوزة أحد من غيره وإعلامهم بذلك .

ومعنى كون الحلقة والحافر والحصن للسلطان : أنه متى أمر باستعمالها في الجهاد . . . وجب عليهم الامتثال حسب ما يؤمرون به وإن كانت لهم ملكاً اختصاصياً ، بخلاف الأشياء المتقدمة .

[كتاب رسول الله ﷺ لوائل بن حُجرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع تفسير ألفاظه]

ومنها : كتابه الصادر لوائل بن حُجرٍ أحد عظماء حضرموت وأمثاله منهم ، وهذه صورته : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ وَالْأَرْوَاعِ الْمَشَابِيهِ ، [وفيه] : وَفِي التَّيِّعَةِ شَأٌ ، لَا مُقَوَّرَةَ الْأَلْيَاطِ ، وَلَا ضِنَاكٌ ، وَأَنْطُوا الثَّبَجَةَ ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ ، وَمَنْ زَنَى مِنْ أَمْبَكِرٍ . . فَأَصْفَعُوهُ مِثَّةً ، وَأَسْتَوْفِضُوهُ عَاماً ، وَمَنْ زَنَى مِنْ أَمْثَبِيبٍ . . فَضَرِّجُوهُ بِالْأَضَامِيمِ ، وَلَا تَوْصِيمِ

فِي الدِّينِ ، وَلَا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَوَائِلُ بَنُ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ عَلَى الْأَقْيَالِ « (١) .

تفسيرُ ألفاظِهِ :

الأقْيَالُ : جمعُ قَيْلٍ بفتحِ فسكونٍ ؛ الملكُ أو مَنْ يَنوبُ عنه إذا غابَ ، والمرادُ في الحديثِ : الأوَّلُ .

والعباهلةُ : في « القاموس » : (العباهلةُ : المقرَّونَ على ملكِهِم ، فلم يُزالوا عنه) (٢) .

والأرواعُ : جمعُ راعٍ ، مِنْ راعٍ ؛ أي : أفزعَ مَنْ رآه لجمالِهِ أو جلالِهِ .

والمشايِبُ : جمعُ مشبوبٍ ؛ وهو الجميلُ الزاهرُ اللونِ ؛ مِنْ شَبَّ النارَ ؛ ألهبها .

والتَّيعةُ بكسرِ فسكونٍ : أربعونَ شاةً ، وتُطلقُ على أدنى ما تجبُ فيه الصَّدقةُ مِنَ الحيوانِ .

والمُقَوَّرةُ الألياطُ : المسترخيةُ الجلودِ مِنْ أقورَ .

واللَّيْطُ بكسرِ فسكونٍ ، والضَّنَّاكُ بزنةِ كتابٍ : الموثقةُ الخلقُ السمينَةُ ؛ أي : شاةُ الصَّدقةِ لا تكونُ مِنَ المهازيلِ ولا مِنَ الكرائمِ ، بل تكونُ وسطاً ، وهو المرادُ بقوله : وأنطوا التَّبَجَةَ ؛ أي : أعطوا ، بالنونِ مكانَ العينِ ؛ وهي لغتُهُم ، والتَّبَجَةُ بفتحَتَيْنِ : الوسطُ ، ومنه : ثبجُ البحرِ .

السُّيُوبُ : جمعُ سيبٍ ؛ وهو العطيةُ ، وأريدَ به في الحديثِ : الرِّكَازُ ؛ وهو دفينُ الجاهليةِ .

(١) انظر « الشفا » (ص ١١٨ - ١١٩) .

(٢) القاموس المحيط (١٨/٤) ، مادة (ع ب ه ل) .

وفي قوله : (مِنْ أَمْبَكِرٍ) و (مِنْ أَمْثِيبٍ) جرى على لغتهم مِنْ إبدالِ لامِ التعريفِ ميماً .

والصقُعُ : الضَّرْبُ ، والاستيفاضُ : التغريبُ ، والأضاميمُ : الحجارةُ الصغارُ ، والتوصيمُ : الفترةُ والتواني ، وترقَّلَ عليهم : ترأسَ .

وقد رُوِيَ هذا الكتابُ بصورةٍ أخرى ؛ وهي هذه : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتِ ؛ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ؛ عَلَى التَّبِيعَةِ الشَّاءِ ، وَالْتِيْمَةَ لِصَاحِبِهَا ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ ، لَا خِلَاطَ وَلَا وَرَاطَ ، وَلَا سَنَاقَ وَلَا شِغَارَ ، وَمَنْ أَجَبَنِي .. فَقَدْ أَزْبَنِي ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » (١) .

التيمةُ : بكسرِ فسكونٍ ، وبالهمزِ بدلَ الياءِ لغةً : ما زادَ على الفريضةِ حتى تبلغَ الفريضةُ الأخرى ، أو هي غيرُ السائمةِ .

والخِلَاطُ : أن يَخْلِطَ الرجلُ مالهَ بمالِ غيره لتسقطَ عنه الزكاةُ .

والوِرَاطُ : أن يخفيه في ورطةٍ مِنَ الأرضِ حتى لا يراه الساعي .

والسَّنَاقُ : المشاركةُ في السَّنَقِ بفتحَتَيْنِ ؛ وهو العفوُ بينَ الفريضَتَيْنِ .

والشِّغَارُ : نكاحٌ في الجاهليةِ ؛ وهو أن يُزَوِّجَ الرجلُ ابنتَهُ أو أختَهُ مِنْ رجلٍ وَيَتَزَوِّجَ ابنةَ ذلكَ الرجلِ أو أختَهُ ، على أن يكونَ بُضْعُ كُلِّ مِنْهُمَا صَدَاقَ الأخرى .

وقولُهُ : (وَمَنْ أَجَبَنِي .. فَقَدْ أَرَبَنِي) قيلَ في تفسيرِهِ : إنَّ الإجابةَ هُوَ بَيْعُ الزرعِ قَبْلَ بدوِّ صلاحِهِ ، أو أن يبيعَ الرجلُ سلعةً بثمنٍ معلومٍ إلى أجلٍ معلومٍ ثمَّ يشتريها بأقلَّ مِنْ ذلكَ الثمنِ ، وأرَبَنِي : وقعَ في الربا .

(١) انظر « أسد الغابة » (٥٠ / ٣) .

وَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ تَقِفُ عَلَى أَصْلٍ ؛ وَهُوَ أَنَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ ..
يُمَدَّحُ بِإِرَادِ صِفَاتِهِ الْكِمَالِيَةِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ إِلَيْهِ ، كَمَا جَرَى عَلَيْهِ الْعَمَلُ
بَعْدُ .

[كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وَمِنْ كِتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ : كِتَابُهُ الصَّادِرُ لِخَالِدِ بْنِ
الْوَلِيدِ جَوَاباً عَنْ كِتَابِهِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِ بَنِي الْحَارِثِ ، وَقَدْ
أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ، وَهَذِهِ صَوْرَتُهُ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،
سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ كِتَابَكَ
جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ يُخْبِرُنِي أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ ،
وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَشَهِدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ قَدْ هَدَاهُمْ اللَّهُ بِهَدَاهُ ، فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ ، وَأَقْبِلْ
وَلْيُقْبَلْ مَعَكَ وَفَدُهُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » (١) .

[كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى]

وَكِتَابُهُ الصَّادِرُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى ، وَكَانَ عَامِلاً لِلْفُرْسِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ،
وَهَذِهِ صَوْرَتُهُ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ،
فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أذْكُرُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحُ .. فَإِنَّمَا يَنْصَحُ
لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِيعُ رُسُلِي وَيَتَّبِعُ أَمْرَهُمْ .. فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ نَصَحَهُمْ ..
فَقَدْ نَصَحَ لِي ، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَتْنُوا عَلَيْكَ خَيْرًا ، وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٥٩٣/٢) .

قَوْمِكَ ، فَاتْرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ ، فَأَقْبَلَ لَهُمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحَ . . لَنْ نَعْزِلَكَ ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَيَّ مَجُوسِيَّتِهِ . . فَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ « (١) .

وقوله : (أحمدُ إليك) على تقديرٍ مُتَوَجِّهًا إليك .

وعلى صُورِ كِتَابِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جرى عملُ الخلفاء الراشدين ، ولم يكن يُذكَرُ في صدورِ الكتبِ بعدَ الحمدِ الصلاةُ على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى زادها الرشيدُ ، وعُدَّتْ مِنْ مناقِبِهِ ، فكانَ يكتبُ : (أحمدُ إليك اللهُ ، وأسألهُ أن يصليَ . . .) .

[كتابُ سيدنا أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِأَهْلِ الرِّدَّةِ]

وَمِنْ كُتُبِ الخلفاءِ : كتابُ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنه لِأَهْلِ الرِّدَّةِ حينَ ولىَ الخلافةَ ، ورجعَ كثيرٌ مِنَ العربِ عَنِ الإسلامِ ، وهذه صورتهُ : (مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ أَوْ خَاصَّةٍ ، أَقَامَ عَلَى الإِسْلَامِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ ، سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَقْرَأُ بِمَا جَاءَ بِهِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللهُ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا ؛ لِيَنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يَهْدِي اللهُ لِلْحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِذْنِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى الإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا .

(١) انظر « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني (٣٤/٥ - ٣٦) .

ثُمَّ تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ نَفَذَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ،
 وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ ذَلِكَ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي
 أَنْزَلَهُ ؛ فَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) ، وَقَالَ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ
 الْخُلُقَ أَفْأَيْنَ مَيِّتٍ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ^(٢) ، وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ
 خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ
 فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٣) ، فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا . . . فَإِنَّ
 مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . . . فَإِنَّ اللَّهَ بِالْمِرْصَادِ ،
 حَيٌّ قَيُّومٌ ، لَا يَمُوتُ ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، حَافِظٌ لِأَمْرِهِ ، مُنْتَقِمٌ مِنْ عَدُوِّهِ
 بِحَزْبِهِ .

وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَحِظِّكُمْ وَنَصِيحِيكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيِّكُمْ ،
 وَأَنْ تَهْتَدُوا بِهِدِيهِ ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِدِينِ اللَّهِ ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَهْدِ اللَّهُ . . . ضَلَّ ،
 وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَعِافِهِ مَبْتَلَى ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَنْصُرْهُ مَخْذُولٌ ؛ فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ . . .
 كَانَ مَهْدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ . . . كَانَ ضَالًّا ، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ . . . فَهُوَ الْمَهْتَدِي ، وَمَنْ
 يَضِلُّ . . . فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يُقَرَّرَ
 بِهِ ، وَلَمْ يُقْبَلْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ .

وَقَدْ بَلَّغَنِي رَجُوعُ مَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ أَقَرَّ بِالْإِسْلَامِ وَعَمَلَ
 بِهِ ؛ اغْتِرَارًا بِاللَّهِ ، وَجَهَالَةً بِأَمْرِهِ ، وَإِجَابَةً لِلشَّيْطَانِ ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ :
 ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِكُمْ وَأَنْتُمْ لَكُمْ عُدُوٌّ يُشِ لِّلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ^(٤) ، وَقَالَ

(١) سورة الزمر : (٣٠) .

(٢) سورة الأنبياء : (٣٤) .

(٣) سورة آل عمران : (١٤٤) .

(٤) سورة الكهف : (٥٠) .

جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١) .

وإني نَفَذْتُ إِلَيْكُمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، وَأَمْرُهُ أَلَّا يِقَاتِلَ أَحَدًا وَلَا يَقْتُلَهُ حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى دَاعِيَةِ اللَّهِ ؛ فَمَنْ اسْتَجَابَ وَأَقْرَأَ وَكَفَّ وَعَمَلَ صَالِحًا . . قُبِلَ مِنْهُ ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَبَى . . أَنْ يِقَاتِلَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَبْقِيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَدَرٌ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُحْرِقَهُمْ بِالنَّيْرَانِ ، وَيَقْتُلَهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ ، وَيَسْبِيَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِسْلَامَ ؛ فَمَنْ آمَنَ . . فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ تَرَكَهُ . . فَلَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابِي فِي كُلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ ، وَالدَّاعِيَةُ الْأَذَانُ ؛ فَإِنْ أَدَّنَ الْمُسْلِمُونَ فَأَذَّنُوا . . كَفُّوا عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يُؤْذِنُوا . . سَأَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَبَوْا . . عَاجَلُوهُمْ ، وَإِنْ أَقْرَأُوا . . قُبِلَ مِنْهُمْ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ (٢) .

وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ تَسْتَدِلُّ عَلَى جَوَازِ تَحْلِيَةِ الْكَلَامِ بِبَعْضِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ ، وَتَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْاِقْتِبَاسِ وَالِاسْتِشْهَادِ ، وَتَنْظُرُ كَيْفَ تَسْتَعْمِلُ الشِّدَّةَ فِي مَوْضِعِهَا .

[كِتَابُ سَيِّدِنَا عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ لِعَمْرِ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

صُورَةُ كِتَابٍ صَدَرَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ هَذَا اللَّقْبَ لِلْخَلِيفَةِ ، وَكَانَ قَبْلُ يَكْتُبُ : مِنْ خَلِيفَةِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَطَالَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُ ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يُكْرَرَ بِقَدْرِ عَدَدِ سَلْفِهِ - إِلَى عَمْرِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ عَامِلٌ عَلَى

(١) سورة فاطر : (٦) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢٥٠/٣ - ٢٥١) .

مصرَ مِنْ طرفِهِ : مِنْ عبدِ اللهِ أميرِ المؤمنينَ إلى عمرو بنِ العاصِ ، سلامٌ عليك .

أما بعدُ : فقد بلغني أَنَّهُ فشتُ لك فاشيةً مِنْ خيلٍ وإبلٍ وبقرٍ وعبيدٍ ، وعهدي بك قبلَ ذلكَ ولا مالَ لك ، فاكتبِ إليَّ : مِنْ أينَ أصلُ هذا المالِ (١) .

[جوابُ سيدنا عمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ]

جوابُ عمرو عن هذا الكتابِ : لعبدِ اللهِ عمرَ أميرِ المؤمنينَ ، سلامٌ عليك ، فإنِّي أحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو .

أما بعدُ : فإنَّهُ أتاني كتابُ أميرِ المؤمنينَ يذكُرُ فيه فاشيةً مالٍ فشا لي ، وإنَّهُ يَعْرِفُنِي قبلَ ذلكَ ولا مالَ لي ، وإنِّي أُعَلِّمُ أميرَ المؤمنينَ أَنِّي ببلدِ السعُرِ فيه رخيصٌ ، وإنِّي أعالجُ مِنَ الزراعةِ ما يعالجُهُ الناسُ ، وفي رزقِ أميرِ المؤمنينَ سعةٌ ، وواللهُ ؛ لو رأيتُ خيانتَكَ حلالاً . . ما خنتُكَ ، فأقصرُ أَيُّها الرجلُ ؛ فإنَّ لنا أحساباً هي خيرٌ مِنَ العملِ لكَ إن رجعنا إليها . . عشنا بها ، ولعمري ؛ إنَّ عندَكَ مَنْ لا يذمُّ معيشةً ، ولا تُذمُّ لَهُ ، وإن كانَ ذلكَ . . لم يفتحَ لكَ قفلاً ، ولم يشركَكَ في عملٍ .

يريدُ عمرَ ، وأنَّهُ مِنْ أهلِ البيوتِ الشريفةِ التي جرتُ عادةٌ مَنْ دونَهُمْ مِنْ طبقاتِ الناسِ ألا يستنكفوا مِنْ خدمتِهِمْ ، فيمكنُ أن يحصلَ لَهُ الغنى بذلكَ الطريقِ دونَ أن يكونَ حاكماً ، وفي آخرِ الكلامِ استشهدَ بِمَنْ حصلَ لَهُ الغنى بتلكَ الطريقِ مِنْ أهليهِ ؛ كعثمانَ رضيَ اللهُ عَنْهُ (٢) .

(١) انظر « العقد الفريد » (٤٦/١) .

(٢) انظر « العقد الفريد » (٤٧/١) .

[كِتَابُ سَيِّدِنَا عَثْمَانَ لَسَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

صورة كتاب صدر من أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى عليّ كرم الله وجهه ، وكان خرج إلى الينبع ، وقد أحاط الناس بعثمان ، وهي هذه : أمّا بعدُ : فقد بلغ السيلُ الزُّبى ، وجاوزَ الحزامَ الطُّبِّيَّ ، وطمعَ في كلِّ مَنْ كَانَ يَضَعُفُ عَنْ نَفْسِهِ ، ولم يغلِبْكَ مثلُ مغلبٍ ، فأقبلَ إليّ صديقاً كنتَ أو عدواً .

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أَمَزِقِ (١)

الزُّبِيَةُ بضم فسكون : حفرةٌ تُعْمَلُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ عَلَى طَرِيقِ السَّبُعِ ، وَتُغَطَّى بِغَطَاءٍ خَفِيفٍ لِيَسْقُطَ السَّبُعُ فِي الْحَفْرَةِ إِذَا مَرَّ عَلَيْهِ ، وَهِيَ مِنْ طَرِيقِ صَيْدِهِ ، وَهِيَ مِثْلُ لِبْلُوغِ الشَّرِّ غَايَةً بَعِيدَةً ، وَكَذَلِكَ مَجَاوِزَةُ الْحَزَامِ الطُّبِّيِّ ؛ وَهُوَ مِثْنَى طُبِّيٍّ بِكسْرٍ أَوْ ضَمٍّ فَسكُونٍ ، حَلْمَةُ الضَّرْعِ مِنْ ذَوَاتِ الْحُفِّ وَالْحَافِرِ وَالظَّلْفِ ، وَقَوْلُهُ : (لَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مَغْلَبٍ) قِطْعَةٌ مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ (٢) :

[من الطويل]

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْحَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ .



وكفأك هذا القدرُ مثلاً لِمَا كَانَ عَلَيْهِ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَخَلْفَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَبْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَأَمَّا هُوَ . . فِكَلَامُهُ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ ، وَإِذَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ . . عَرَفْتَ كَيْفَ تَصَرَّفَ أُمَرَاءُ الْكَلَامِ فِي الْبَلَاغَةِ .

وقد جمع الشريف الرضي من كلامه مجموعاً صالحاً سماه « نهج

(١) تقدم (٢٩٥/٤) ، وانظر « تاريخ المدينة » لابن شبة (١١٩٩/٤) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٤٤) .

البلاغة» ، وشرحهُ ابنُ أبي الحديدِ شرحاً كبيراً في مُجلداتٍ كثيرةٍ ، فمن أرادَ توفيرَ حظِّه وشحنَ خاطره من أشرفِ الكلامِ بعدَ القرآنِ وحديثِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم . . فليطلبْ ذلكَ الكتابَ ، ويقرأهُ بتأملٍ لألفاظِهِ ، وتفهُمٍ لأغراضِهِ ، ولا بأسَ أن نوردَ لكَ منه ما يكونُ داعياً لبذلِ جهدِكَ في طلبِهِ .

[كتابُ سيدنا عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للأشترِ النخعيِّ]

هذه صورةُ عهدِ كتبه كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ لمالكِ المعروفِ بالأشترِ النخعيِّ - وهو من أجلِّ أصحابِهِ ، وكانَ يقولُ فيه : مالكٌ لي كما كنتُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - حينَ أرسلَهُ والياً على مصرَ^(١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أمرَ به عبدُ اللهِ عليُّ أميرُ المؤمنينَ مالكُ بنَ الحارثِ الأشترِ في عهده حينَ ولَّاهُ مصرَ جبايةَ خراجها ، وجهادَ عدوِّها ، وإصلاحَ أهلها ، وعمارَةَ بلادها .

أمرُهُ بتقوى اللهِ ، وإيثارِ طاعتهِ ، واتباعِ ما أمرَ به في كتابِهِ من فرائضِهِ وسننِهِ التي لا يسعدُ أحدٌ إلا باتباعِها ، ولا يشقى إلا مع جحودِها وإضاعَتِها ، وأن ينصُرَ اللهُ سبحانهُ بيدهِ وقلبهِ ولسانهِ ؛ فإنَّهُ جلَّ اسمُهُ قد تكفَّلَ بنصرِ مَنْ نصرَهُ ، وإعزازِ مَنْ أعزَّهُ .

وأمرُهُ أن يكسرَ من نفسه عندَ الشهواتِ ، ويزعها عندَ الجمّحاتِ ؛ فإنَّ النفسَ أمارَةٌ بالسوءِ إلا ما رحمَ اللهُ .

ثمَّ اعلَمْ يا مالكُ : أتَيْتَ قد وجهتُكَ إلى بلادٍ قد جرثُ دُولاً قبلكَ من

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧ / ٣٠ - ١١٧) .

عدلٍ أو جورٍ ، وأنَّ الناسَ ينظرونَ في أموركِ في مثلِ ما كنتَ تنظرُ فيه منَ أمورِ الولاةِ قبلكَ ، ويقولونَ فيكَ كما كنتَ تقولهُ فيهِم ، وإنَّما يُستَدلُّ على الصالحينَ بما يُجري اللهُ لَهُم على ألسنةِ عبادهِ ، فليكنَ أحبَّ الذخائرِ إليكَ ذخيرةُ العملِ الصالحِ ، فاملِكِ هواكَ ، وشحِّ بنفسِكَ عمَّا لا يحِلُّ لكَ ؛ فإنَّ الشحَّ بالنفسِ الإنصافُ منها فيما [أحبَّت] وكرهتَ .

وأشعر قلبك الرحمةَ للرعيَّةِ ، والمحبةَ لَهُم ، واللطفَ بِهِم ، ولا تكوننَّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنمُ أكلَهُم ؛ فإنَّهُم صنفانِ : إمَّا أخٌ لكَ في الدينِ ، وإمَّا نظيرٌ لكَ في الخلقِ ، يفرطُ منهمُ الزللُ ، وتعرضُ لَهُم العللُ ، ويؤتئى على أيديهِم في العمدِ والخطأ ، فأعطيهِم منَ عفوكَ وصفحكِ مثلَ الذي تُحبُّ وترضى أن يعطيكَ اللهُ منَ عفوهِ وصفحِهِ ؛ فإنَّكَ فوقَهُم ، ووالى الأمرِ عليكِ فوقكَ ، واللهُ فوقَ مَنْ ولَّاكَ ، وقد استكفأكَ أمرُهُم ، وابتلاكَ بِهِم .

ولا تنصبنَّ نفسكَ لحربِ اللهِ ؛ فإنه لا يدني لكَ بنقمتِهِ ، ولا غنى بكَ عن عفوهِ ورحمتهِ ، ولا تندمنَّ على عفوهِ ، ولا تجنحنَّ بعقوبةِ ، ولا تُسرعنَّ إلى بادرةٍ وجدتَ عنها مندوحةً ، ولا تقولنَّ : إنِّي مؤمِّرٌ أمرٌ فأطاعُ ؛ فإنَّ ذلكَ إدغالٌ في القلبِ ، ومنهكةٌ للدينِ ، وتقربٌ منَ الغيرِ .

وإذا أحدثَ لكَ ما أنتَ فيه منَ سلطانكِ أبهتةً أو مخيلةً . . فانظرِ إلى عظمِ مُلكِ اللهِ فوقكَ ، وقدرتهِ منكَ على ما لا تقدِرُ عليه منَ نفسكَ ؛ فإنَّ ذلكَ يطامنُ إليكَ منَ طماحكِ ، ويكفُّ عنكَ منَ غربكِ ، ويضيءُ إليكَ ممَّا عزبَ عنكَ منَ عقلكِ ، وإيَّاكَ ومساماةِ اللهِ في عظمتِهِ ، والتشبههِ بهِ في جبروتهِ ؛ فإنَّ اللهَ يُذلُّ كلَّ جبَّارٍ ، ويُهينُ كلَّ مختالٍ .

أنصفِ اللهُ وأنصفِ الناسَ منَ نفسكَ ، ومنَ خاصَّةِ أهلِكَ ، ومنَ لكَ فيه هوى منَ رعيَّتِكَ ؛ فإنَّكَ إلَّا تفعلُ . . تظلمُ ، ومنَ ظلمَ عبادَ اللهِ . . كانَ اللهُ

خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ . . أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ .

وليس شيءٌ أدعى إلى تغييرِ نعمةِ اللهِ وتعجيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عُلَى ظَلَمٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

وليكنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مُؤَنَّةً فِي الرِّخَاءِ ، وَأَقْلَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ ، وَأَقْلَلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ عِذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ . . مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعِدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ . . الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلْيَكُنْ صَغُوكَ لَهُمْ ^(١) ، وَمِيلُكَ مَعَهُمْ ، وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنُوهُمْ عِنْدَكَ . . أَطْلِبْهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عِيوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنكَ مِنْهَا ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنكَ ، فَاسْتِرِ الْعُورَةَ مَا اسْتَطَعْتَ . . يَسْتِرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَحَبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ .

أَطْلُقْ عَنِ النَّاسِ عَقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ ، واقطعْ عَنكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ ، وَتَغَابَ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ ؛ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ ، وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْبَخْلَ وَالْجَبْنَ وَالْحَرِصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ .

شَرُّ وَزَرَائِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لِلْأَشْرَارِ [وَزِيْرًا] وَمَنْ شَرَكَهُمْ فِي الْآثَامِ ، فَلَا

(١) فِي « شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » (٣٥ / ١٧) : (صَفُوكَ) .

يكوننَّ لك بطانةً ؛ فإنَّهم أعوانُ الأئمةِ ، وإخوانُ الظلِّمةِ ، وأنتَ واجدٌ منهم خيرَ الخلفِ ؛ ممَّنْ لهم مثلُ آرائِهِم ونفادِهِم ، وليسَ عليه مثلُ آصارِهِم وأوزارِهِم ؛ ممَّنْ لا يعاونُ ظالماً على ظلمِهِ ، ولا آثماً على إثمه ، أولئك أخفُّ عليك مؤنةً ، وأحسنُ لك معونةً ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقلُّ لغيرك إلفاً ، فاتخذْ أولئك خاصَّةً لخلواتِك وحفلاتِك ، ثمَّ ليكنْ أثرُهُم عندك أقولُهُم لك بمِرِّ الحقِّ ، وأقلُّهُم مساعدةً فيما يكونُ منك ممَّا كرهَ اللهُ لأوليائِهِ ، واقعاً ذلكَ مِنْ هواك حيثُ وقعَ .

والصقُّ بأهلِ الورعِ والصدِّقِ ، ثمَّ رُضُّهُم على ألا يُطروكَ ، ولا يُبجِّحوك بباطلٍ لم تفعله ؛ فإنَّ كثرةَ الإطراءِ تُحدِثُ الزهو ، وتدني مِنَ العِزَّةِ .

ولا يكوننَّ المُحسِنُ والمسيءُ عندك بمنزلةٍ سواءٍ ؛ فإنَّ في ذلكَ تزهيداً لأهلِ الإحسانِ في الإحسانِ ، وتدريباً لأهلِ الإساءةِ على الإساءةِ ، وألزمَ كلاً منهم ما ألزمَ نفسه .

واعلم : أن ليسَ شيءٌ بأدعى إلى حسنِ ظنِّ والٍ برعيتهِ مِنْ إحسانِهِ إليهم ، وتخفيفِهِ المؤناتِ عليهم ، وتركِ استكراهِهِ إيَّاهُمْ على ما ليسَ له قبلُهُم ، فليكنْ منك في ذلكَ أمرٌ يجمعُ لك حسنَ الظنِّ برعيتهِ ؛ فإنَّ حسنَ الظنِّ يقطعُ عنك نصباً طويلاً ، وإنَّ أحقَّ مَنْ حَسَنَ ظنُّكَ به . . لَمَنْ حَسَنَ بلاؤُكَ عندهُ ، وإنَّ أحقَّ مَنْ ساءَ ظنُّكَ به . . لَمَنْ ساءَ بلاؤُكَ عندهُ .

ولا تنقضُ سنةً سالحةً عمِلَ بها صدورُ هذهِ الأمةِ ، واجتمعتْ بها الألفةُ ، وصلحتْ عليها الرعيةُ ، ولا تُحدِثنَّ سنةً تضرُّ بشيءٍ ممَّا مضى مِنْ تلكَ السننِ ، فيكونَ الأجرُ لِمَنْ سنَّها ، والوزرُ عليك بما نقضتْ منها .

وأكثرُ مدارسَ العلماءِ ، ومناقشةِ الحكماءِ ؛ في تثبيتِ ما صلحَ عليه أمرُ بلادِك ، وإقامةِ ما استقامَ به الناسُ قبلكَ .

واعلم : أنَّ الرعيَّةَ طبقاتٌ لا يَصْلُحُ بعضُها إلَّا ببعضٍ ، ولا غنى ببعضها عن بعضٍ ؛ فمنها جنودُ الله ، ومنها كتابُ العامَّةِ والخاصَّةِ ، ومنها قضاةُ العدلِ ، ومنها عمالُ الإنصافِ والرفقِ ، ومنها أهلُ الجزيةِ والخِراجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ومسلمةِ الناسِ ، ومنها التَّجَارُ وأهلُ الصِّناعاتِ ، ومنها الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ ، وكلُّ قَد سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ ، ووضعَ على حَدِّهِ وفريضةِ في كتابِهِ أو سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً .

فالجنودُ بِإِذْنِ اللهِ حِصُونُ الرعيَّةِ ، وزِينُ الْوِلايَةِ ، وَعِزُّ الدِّينِ ، وَسَبْلُ الْأَمْنِ ، وليسَ تقومُ الرعيَّةُ إلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلجُنُودِ إلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنَ الْخِراجِ الَّذِي يَقَوُونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنِيفَيْنِ إلَّا بِالصَّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكَتَّابِ ؛ لِمَا يَحْكُمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خِوَاصِّ الْأُمُورِ وَعِوَامَتِهَا ، وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصِّناعاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مِرَافِقِهِمْ ، وَيَقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ ، مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رَفَقٌ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رَفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ ، وَفِي اللهِ لِكُلِّ سَعَةٍ ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ .

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلِمَامِكَ ، وَأَطْهَرَهُمْ جِيباً ، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً ؛ مَمَّنْ يَبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعَذْرِ ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ؛ مَمَّنْ لَا يَثِيرُهُ الْعَنْفُ ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضُّعْفُ .

ثُمَّ الصَّقُّ بِذَوِي الْمَرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ ، وَأَهْلِ الْبِيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكِرْمِ ، وَشَعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ .

ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لَطْفًا تَتَعَاهَدُهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَحَسَنِ الظَّنِّ بِكَ ، وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَىٰ جَسِيمِهَا ؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لَطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وَلِيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهَمَ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِهِمْ ، حَتَّىٰ يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يُعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، وَلَا تَصِيحُ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَىٰ وِلَاةِ أُمُورِهِمْ ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ .

فَافْسَخْ فِي آمَالِهِمْ ، وَوَاوِصِلْ مِنْ حَسَنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَىٰ ذَوِي الْبِلَاءِ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحَسَنِ فَعَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ ، وَتُحَرِّكُ النَّاكَلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ .

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ ، وَلَا تَضْمَنَّ بِلَاءَ امْرِيٍّ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَلَا تَقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ امْرِيٍّ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ، وَلَا ضَعْفُ امْرِيٍّ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا ، وَارْجُدْ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ ، وَيَشْتَبُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمِ أَحَبِّ إِرْشَادِهِمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُورُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ^(١) ، فَالْرُدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ، وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ .

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحَكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ

(١) سورة النساء : (٥٩) .

الأمور، ولا تمحُّهُ الخصوم، ولا يتمادى في الزَّلَّةِ، ولا يحصرُ عن الفيءِ إلى الحقِّ إذا عرفه، ولا تشرفُ نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهمٍ دون أقصاه، أو قفَّهُم في الشبهات، وأخذَهُم بالحجج، وأقلَّهُم تبرُّماً بمراجعةِ الخصم، وأصبرَهُم على تكشيفِ الأمور، وأصرمَهُم عند اتضاحِ الحكم؛ ممَّن لا يزدديه إطراءً، ولا يستميلُهُ إغراءً، وأولئك قليلٌ.

ثمَّ أكثرُ تعاهدَ قضائه، وأفسخَ له في البذلِ ما يُزيحُ علتهُ، ويقلُّ معه حاجتهُ إلى الناسِ، وأعطيه من المنزلةِ لديك ما لا يطمعُ فيه غيره من خاصَّتِكَ، لتأمنَ بذلك اغتيالَ الرجالِ له عندك.

فانظر في ذلك نظراً بليغاً؛ فإنَّ هذا الدِّينَ قد كانَ أسيراً في أيدي الأشرارِ، يُعملُ فيه بالهوى، وتطلَّبَ به الدنيا.

ثمَّ انظر في أمورِ عمَّا لك؛ فاستعملهُم اختباراً، ولا تولِّهِم محاباةً وأثرةً؛ فإنَّهُم جماعٌ من شعبِ الجورِ والخيانةِ، وتوخَّ منهم أهلُ التجربةِ والحياءِ من أهلِ البيوتاتِ الصالحةِ، والقدمِ في الإسلامِ المُتقدِّمةِ؛ فإنَّهُم أكرمُ أخلاقاً، وأصحُّ أعراضاً، وأقلُّ في المطامعِ إشراقاً، وأبلغُ في عواقبِ الأمورِ نظراً.

ثمَّ أسبغِ عليهم الأرزاقَ؛ فإنَّ ذلك قوَّةٌ لهم على استصلاحِ أنفسهم، وغنىٌ لهم عن تناولِ ما تحت أيديهم، وحجَّةٌ عليهم إن خالفوا أمرَكَ أو خانوا أمانتَكَ، ثمَّ تفقَّدِ أعمالَهُم، وابعثِ العيونَ من أهلِ الصدقِ والوفاءِ عليهم؛ فإنَّ تعاهدَكَ في السرِّ لأمورِهِم حدوَّةٌ لهم على استعمالِ الأمانةِ، والرفقِ بالرعيَّةِ، وتحفظُ من الأعوانِ، فإنَّ أحدٌ منهم بسطَ يدهُ إلى خيانةِ اجتمعتُ بها عليه عندك أخبارُ عيونِكَ. . اكتفيتَ بذلك شاهداً، فبسطتَ عليه العقوبةَ في بدنه، وأخذتهُ بما أصاب من عمله، ثم نصبتَهُ بمقامِ المدلَّةِ، ووسمتَهُ بالخيانةِ، وقلدتهُ عارَ التُّهمةِ.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة .. أخرج البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فإن شكوا ثقلاً ، أو علة ، أو انقطاع شرب أو بالة^(١) ، أو إحالة أرض اغتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش .. خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم .

ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم ؛ فإنه ذخري يعودون به عليك في عمارة بلدك ، وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم ؛ بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم ، والثقة منهم بما دعوتهم إليه ، لما سبق من عدلك عليهم ، ورفقك بهم ، فربما حدث من الأمور ما إذا [عولت] فيه عليهم من بعد .. احتملوه طيبة أنفسهم ؛ فإن العمران يحتمل ما حملته ، وإنما يأتي خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها ؛ لإشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

ثم انظر في حال كتابك ، فويل على أمورك خيرهم ، واخصص رسائك التي تدخل فيها مكايذك وأسراذك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ؛ ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاً ، ولا تقصّر به الفضلة^(٢) عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك ، وفيما يأخذ لك ويعطي منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا

(١) البالة : المطر .

(٢) في « شرح نهج البلاغة » (٧٥ / ١٧) : (الغفلة) بدل (الفضلة) .

يَعِجْزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ
الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ .

ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِثَامُهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ [وَاسْتِنَامِكَ] وَحَسَنِ الظَّنِّ مِنْكَ ؛
فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ بِتَصْنَعِهِمْ وَحَسَنِ خِدْمَتِهِمْ ، وَلَيْسَ وِرَاءَ
ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ اخْتَبَرْتَهُمْ بِمَا وُكِّلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ ،
فَاعْمَدْ لِأَحْسَنِهِمْ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا ، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجَهًا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ
عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ ، وَلِمَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا
مِنْهُمْ ، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ
عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ . . أَلْزَمْتَهُ .

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا ، الْمَقِيمِ مِنْهُمْ ،
وَالْمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ ، وَالمُتَرَفِّقِ بِيَدَيْهِ ؛ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ ،
وَجُلَابُهَا مِنَ الْمَتَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبِحَرِّكَ ، وَسَهْلِكَ وَجَبْلِكَ ، وَحَيْثُ
لَا يَلْتَمُّ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا ، وَلَا يَجْتَرِثُونَ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهُمْ سَلَّمَ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ ،
وَصُلِحَ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ ، وَتَفَقَّدَ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ .

وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ : أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا ، وَشَحًّا قَبِيحًا ، [وَاحْتِكَارًا]
لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ ، وَذَلِكَ بَابُ مَضْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ ، وَعَيْبٌ عَلَى
الْوَلَاةِ ، فَامْنَعْ مِنَ الْاِحْتِكَارِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَعَ مِنْهُ .

وَلِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا ؛ بِمَوَازِينِ عَدْلِ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ
مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِثَامُهُ . . فَتَكَلِّمْ بِهِ ، وَعَاقِبْ
مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ .

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ، وَالْمَسَاكِينَ
وَالْمُحْتَاجِينَ ، وَأَهْلِ الْبُؤْسِ وَالزَّمْنَى ؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا ،

واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ،
وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ؛ فإن للأقصى منهم مثل الذي
للأدنى ، وكل قد استرعبت حقه .

ولا يشغلنك عنهم بطر ؛ فإنك لا تُعذر بتضييع التافه لإحكام الكبير
المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تُصغر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا
يصل إليك منهم ؛ ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ، ففرغ لأولئك
ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم
بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه ؛ فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى
الإنصاف من غيرهم ، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه .

وتعهد أهل اليثم وذوي الرقة في السن ؛ ممن لا حيلة له ، ولا ينصب
للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقیل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا
العافية ، فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم
مجلساً عاماً ، [فتواضع] فيه للذي خلقك ، وتقعده عنهم جندك وأعوانك
من أحراسك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متعنع ؛ فإنني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في غير موطن : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا
يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَّعِعٍ » (١) .

ثم احتمل الخرق منهم والعبي ، ونح عنق الضيق والأنفة (٢) . . . يبسط الله
عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته ، وأعط ما أعطيت
هنيئاً ، وامنع في إجمال وإعذار .

(١) انظر « البدر المنير » (٥٤١/٩ - ٥٤٦) .

(٢) في « شرح نهج البلاغة » (٨٨/١٧) : (عنهم الضيق والأنف) بدل (عنق الضيق والأنفة) .

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مَبَاشَرَتِهَا ؛ مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْجَبُ عَنْهُ كُتَّابُكَ ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا يُحْرِجُ صُدُورَ أَعْوَانِكَ ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيْتِ ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَّحْتَ فِيهَا النِّيَّةَ ، وَسَلِمْتَ مِنْهَا الرَّعِيَّةَ .

وَلِيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ لِلَّهِ بِهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ ، بِالْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ .

وَإِذَا قَمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرًّا وَلَا مُضَيِّعًا ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ ، وَلَهُ الْحَاجَةُ ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ : كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » (١) .

وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا : فَلَا تُطَوَّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شَعْبَةٌ مِنَ الضِّيْقِ ، وَقِلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ ، وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْغُرُ عَنْدهُمْ الْكَبِيرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ ، وَيَحْسَنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سَمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكُذْبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ ، ففِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ ، أَوْ فَعَلِ كَرِيمِ تَبْدِيهِ ؟! أَوْ مَبْتَلَى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (٥٦/٩) عَنْ سَيِّدِنَا عُمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

بَذَلِكَ مَعَ أَنْ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مَا لَا مَوْئِنَ فِيهِ عَلَيْكَ ؛ مِنْ شِكَاةٍ مَظْلَمَةٍ ، أَوْ طَلِبِ إِنْصَافٍ فِي مَعَامَلَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبَطَانَةً ، فِيهِمْ اسْتِكْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ ، وَقَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مَعَامَلَةٍ ، فَاحْسُمْ مَوْئِنَهُ أَوْلَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ ، وَلَا تَقْطَعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً ، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرِكٍ ، يَحْمِلُونَ مَوْئِنَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَيَكُونُ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَأَلْزَمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَوَاصِّكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ .

وَإِنْ ظَنَنْتَ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا . . فَأَصْحِرْ لَهُمْ بَعْدَ رِكَ ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِعْذَارًا تَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا ؛ فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاً لَجُنُودِكَ ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ ، وَلَكِنْ الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رَبِّمَا قَارِبٌ لِيَتَغَفَّلَ ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ ، وَاتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حَسَنَ الظَّنِّ ، وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً ، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً . . فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ . . مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ ؛ لَمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ ، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ، وَلَا تَخْيَسَنَّ بَعْدَكَ ، وَلَا تَخْتَلِنَنَّ عَدُوَّكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ .

وقد جعل الله عهدَهُ وذمَّتَهُ أمناً أفضاهُ بينَ العبادِ برحمتهِ ، وحرماً يسكنونَ إلى منعتِهِ ويستفيضونَ إلى جوارِهِ ، فلا إدغالَ ، ولا مدالسةَ ، ولا خداعَ فيه .

ولا تعقدُ عقداً تُجوِّزُ فيه العللَ ، ولا تُعوِّلنَّ على لحنِ القولِ بعدَ التأكيدِ والتوثيقِ لضيقِ أمرٍ لزمَكَ فيه عهدُ اللهِ إلى طلبِ انفساخِهِ بغيرِ الحقِّ ؛ فإنَّ صبرَكَ على ضيقِ أمرٍ ترجو انفراجَهُ وفضلَ عاقبتِهِ . . خيراً من غدرٍ تخافُ تبعتهُ ، وأن تحيطَ بكِ فيه منَ اللهِ طلبُهُ لا تستقيلُ فيها دنياكَ ولا آخرتكِ .

إيَّاكَ والدماءَ وسفكها بغيرِ حلِّها ؛ فإنه ليسَ شيءٌ أَدعى لنقمةٍ ، ولا أعظمَ لتبعةٍ ، ولا أحرى بزوالِ نعمةٍ وانقطاعِ مُدَّةٍ . . من سفكِ الدماءِ بغيرِ حقِّها ، واللهُ سبحانه يُتولَّى الحكمَ بينَ العبادِ فيما تسافكوا منَ الدماءِ يومَ القيامةِ ، فلا تُقوينَّ سلطانَكَ بسفكِ دمٍ حرامٍ ، فإنَّ ذلكَ ممَّا يضعفُهُ ويوهنُهُ ، بل يزيلُهُ وينقلُهُ .

ولا عذرَ لكِ عندَ اللهِ ولا عندي في قتلِ العميدِ ؛ لأنَّ فيه قوَدَ البدنِ ، وإن ابتليتِ بخطأً وأفرطَ عليكِ سوطُكَ أو يدُكَ بعقوبةٍ ؛ فإنَّ في الوكزةِ وما فوقها مقتلةً ، فلا تطمحنَّ بكِ نخوةَ سلطانِكَ عن أن تُؤدِّيَ إلى أولياءِ المقتولِ حقَّهم .

وإيَّاكَ والإعجابَ بنفسِكَ ، والثقةَ بما يُعجبُكَ منها ، وحبَّ الإطراءِ ؛ فإنَّ ذلكَ من أوثقِ فرصِ الشيطانِ في نفسهِ ؛ ليمحقَ ما يكونُ من إحصانِ المحسنِ .

وإيَّاكَ والمنَّ على رعيَّتِكَ ، والتزيُّدَ فيما كانَ من فعلِكَ ، وأن تعدَّهُم فتتبعَ موعدَكَ بخلفِكَ ؛ فإنَّ المنَّ يبطلُ الإحصانَ ، والتزيُّدَ يذهبُ بنورِ الحقِّ ،

وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

وإيَّاكَ والعجلة بالأمرِ قبلَ أوَانِهَا ، والتساقطُ فِيهَا عِنْدَ إِمكَانِهَا ، أو
اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرْتَ ، أو الوهنَ عَنهَا إِذَا اسْتَوْضَحْتَ ، فَضَعُ كُلِّ أَمْرٍ
مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقَعُ كُلِّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ .

وإيَّاكَ والاستئثارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَدٌ ، وَالتَّغَابِيَّ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ
[وَضَحَ] لِلْعَيُونِ - أَيِ : الْجَوَاسِيْسِ - فَإِنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ
تَنكشِفُ عَنكَ أَغْطِيَةَ الْأُمُورِ ، وَيَنْتَصِفُ مِنْكَ الْمَظْلُومُ .

أَمَلِكُ حَمِيَّةَ نَفْسِكَ ، وَسُورَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ ،
وَاحْتَرَسَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضْبُكَ ،
[فَتَمَلِّكَ] الْاِخْتِيَارَ .

وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تَكْثُرَ هَمُومُكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ ،
وَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ ؛ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ
فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؛
فَتَقْتَدِيَ بِمَا تَشَاهَدُهُ مِمَّا عَمَلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَاهَدْتُ
إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْتَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ؛ لَكِي لَا يَكُونَ
لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَيَّ إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ؛ أَنْ
يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ ؛ مِنْ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعَذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ ،
مَعَ حَسَنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ ، وَتَضْعِيفِ

(١) سورة الصف : (٣) .

الكرامة ، وأن يَخْتِمَ لي ولك بالسعادة والشهادة ، إننا إلى الله راغبون ، والسلام
على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين^(١) .



مَنْ شاءَ ينظرُ إلى جمالِ البلاغةِ ظاهرةً في صورِها ، مُتَبَرِّجةً في زينةِ
ملابسِها وأنواعِ حَلِيها . . فليطلْ ترديدَ نظره في فصولِ هذا الكتابِ الوافي
بجميعِ ما يَحْسُنُ لكلِّ إنسانٍ أن يتأدَّبَ ويأخذَ له منه حظاً في أخلاقِهِ
وأعمالِهِ ، لا يَخْصُ ذلكَ أميراً دونَ مأمورٍ وإن كانَ وضعُهُ على نصيحةٍ وإل
يتولَّى أمورَ بعضِ العبادِ .

ورأيتُ في « شرحِهِ » كلاماً منقولاً عن بعضِ عقلاءٍ مَنْ تقدَّمَ بهمُ الزمانُ ،
يَشتمِلُ على آدابٍ ينبغي لِمَنْ يريدُ الاستكمالَ أن يتفهمها ويتأدَّبَ بها ،
فوجدتُ تعقيبهُ بإثباتِ ذلكَ ؛ حيثُ كانَ أهمُّ أغراضِ هذا الكتابِ تعريفُ
طلبةِ العلمِ أن ألزمَ شيءٍ يطلبونه ، وأكبرَ أمرٍ ينبغي أن يحاولوا تحصيله ؛
لتطيبِ حياتهم ، وتجميلِ بهم أوقاتهم ، وتتحلَّى بهم أمثهم . . إنما هي
الآدابُ التي يلتزمون بها مع جميعِ طبقاتِ الناسِ ، ويكونُ لهم مع كلِّ طبقةٍ
منها كلامٌ يعمرُ قلوبهم ، ويتصرفُ في عقولهم ؛ حتى يكونوا منهم بتلك
المكانة التي صارت غيرَ مأهولةٍ إلا بالقليلِ .

فمن ذلكَ ما نقله ابنُ أبي الحديدِ رحمه الله تعالى من « آدابِ ابنِ المُقَفِّعِ »
قال : (لا يكوننَّ صحبتك للسلطانِ إلا بعدَ رياضةٍ منك لنفسِكَ على طاعتهم
في المكروهِ عندك ، وموافقتهم فيما خالفك ، وتقديمِ^(٢) الأمورِ على أهوائهم
دونَ هواك ، فإن كنتَ حافظاً إذا ولوك ، حذراً إذا قربوك ، أميناً إذا ائتمنوك . .

(١) إلى هنا ينتهي النقل عن « شرح نهج البلاغة » (١٧ / ٣٠ - ١١٧) .

(٢) في « شرح نهج البلاغة » (٧٦ / ١٧ - ٧٧) : (تقدير) بدل (تقديم) .

تُعَلِّمُهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ ، وَتُؤَدِّبُهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَأَدَّبُ بِهِمْ ، وَتَشْكُرُ لَهُمْ
وَلَا تُكَلِّفُهُمُ الشُّكْرَ ، ذَلِيلًا إِنْ صَرَمُوكَ ، رَاضِيًا إِنْ أَسْخَطُوكَ ، وَإِلَّا . . فَاَلْبَعْدَ
عَنْهُمْ كُلِّ الْبَعْدِ ، وَالْحَذَرَ مِنْهُمْ كُلِّ الْحَذْرِ .

وَإِنْ وَجَدْتَ عَنِ السُّلْطَانِ وَصَحْبَتِهِ غَنِيًّا . . فَاسْتَغْنِ عَنْهُ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ
يَخْدُمُ السُّلْطَانَ حَقَّ خِدْمَتِهِ يُخْلِئُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَمَنْ
يَخْدُمُهُ غَيْرَ حَقِّ الْخِدْمَةِ . . فَقَدْ احْتَمَلَ وَزَرَ الْآخِرَةَ ، وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ ،
وَالْفُضِيحَةِ فِي الدُّنْيَا ، فَإِذَا صَحِبْتَ السُّلْطَانَ . . فَعَلَيْكَ بِطَوْلِ الْمَلَازِمَةِ فِي
غَيْرِ إِمْلَالٍ ، وَإِذَا نَزَلْتَ [مِنْهُ] بِمَنْزِلِ الثَّقَةِ . . فَاعْزَلْ عَنْهُ كَلَامَ الْمَلَقِ ، وَلَا
تَكْثُرْ لَهُ مِنْ الدَّعَاءِ ، وَلَا تَرُدَّنَّ عَلَيْهِ كَلَامًا [فِي حِفْلٍ] وَإِنْ أَخْطَأَ ، فَإِذَا خَلَوْتَ
بِهِ . . فَبَصِّرْهُ فِي رِفْقٍ ، وَلَا يَكُونَنَّ طَلْبُكَ مَا عِنْدَهُ بِالمَسْأَلَةِ ، وَلَا تَسْتَبِطْهُ
وَإِنْ أَبْطَأَ ، وَلَا تُخْبِرْنَهُ أَنَّ لَكَ عَلَيْهِ حَقًّا ، وَأَنَّكَ [تَعْتَمِدُ] عَلَيْهِ بِبِلَاءٍ ، وَإِنْ
اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَنْسِيَ حَقَّكَ وَبِلَاءَكَ بِتَجْدِيدِ النَّصِيحِ وَالِاجْتِهَادِ . . فَافْعَلْ ، وَلَا
تُعْطِيْنَهُ الْمَجْهُودَ كُلَّهُ مِنْ نَفْسِكَ فِي أَوَّلِ صَحْبَتِكَ لَهُ ، وَأَعِدَّ مَوْضِعًا لِلْمَزِيدِ ،
وَإِنْ سَأَلَ غَيْرَكَ شَيْئًا . . فَلَا تَكُنِ الْمَجِيبَ .

وَاعْلَمْ : أَنَّ اسْتِلَابَكَ الْكَلَامَ خَفَةً فِيكَ ، وَاسْتِخْفَافًا مِنْكَ بِالسَّائِلِ
وَالْمَسْئُولِ ، فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ إِنْ قَالَ لَكَ السَّائِلُ : مَا إِيَّاكَ سَأَلْتُ ؟! أَوْ قَالَ
السَّائِلُ : أَجِبْ بِمَجَالِسَتِهِ وَمَحَادِثَتِهِ أَيُّهَا الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ ، وَالْمُسْتِخْفُ
بِسُلْطَانِهِ ؟! ^(١) .

مَعْنَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ : أَنَّ الْمَسْئُولَ يُقَرِّعُ الْمَجِيبَ الَّذِي لَمْ يُسَأَلْ
بِتَفْوِيضِ الْجَوَابِ إِلَيْهِ ، وَسُكُوتِهِ هُوَ عَنْهُ ، فَلَعَلَّ الْمُسْتَعْجِلَ لَمْ يَكُنْ فَهَمَ
الْغَرَضَ ، وَلَا وَصَلَ إِلَى مَا يَعْلَمُ الْمَسْئُولُ ، فَهُوَ يَقُولُ لَهُ : أَجِبْ لَا بَعْلِمِ ، بَلْ

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٧٦ / ١٧ - ٧٧) .

بسبب كون السلطان جعلك له جليساً ، وأعدك لمحدثه أحياناً ، فإن كان ذلك كافياً في الإجابة دون علم .. فافعل .



وهذه الآداب التي انتهت بهذا الفاضل إليها المشاهدة والتجربة ، وأبقاها بالعبارة عنها حسنة لمن بعده .. يستحق من الناس شكرها ، ويستدعي من الله جزيل أجرها ، لا شبهة في لزومها لمن يريد صحبة أهل القهر والاستبداد والعظمة والكبرياء من ذوي الرئاسة ؛ فإن لهم حدوداً يحدونها لأنفسهم تجب رعايتها ؛ طلباً للسلامة منهم ، وإن كان بعضها لا يخص ذلك المقام ، والاطلاع على الأحوال المختلفة يميز لك اختلاف الآداب حسب الهيئات المتغيرة ؛ فإن تلك الأحوال الشديدة لا تلزم لصحبة نبي ومن سار بسيرته ، أو قارب ذلك .

[نصيحة الأمير عبد الملك بن صالح لمعلم الصبيان]

ومن ذلك ما نقله من نصيحة عبد الملك بن صالح لرجل كان عنده معلم صبيان ، فلما وجدته ذا أدب ولطف .. أراد أن يتخذه سميراً يأتس به ، وعبد الملك هذا أحد الأمراء من بني العباس أيام الرشيد ، وكان شهماً فصيحاً ، ذا عزم وحزم ، وكان الرشيد يخافه على الملك ، فكان بذلك بينهما ماجريات يطلعك عليها التاريخ ، وهذه هي النصيحة : ^(١) :

يا عبد الله ؛ كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ؛ فإنهم قالوا : إذا أعجبك الكلام .. فاصمت ، وإذا أعجبك الصمت .. فتكلم .

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٧٧ / ١٧ - ٧٨) .

واعلم: أن أصعب الملوك معاملة الجبارِ الفطنِ المُتفقدِ؛ فإن ابتليت
بصحبه .. فاحترس ، وإن عوفيت .. فاشكر الله على السلامة ؛ فإن السلامة
أصل كلِّ نعمة .

لا تساعدني على ما يقبُحُ بي ، ولا تردَّنْ علي خطأ في مجلسٍ ، ولا
تُكلِّفني جوابَ التشميتِ والتهنئةِ ، ودعْ عنكَ : كيف أصبح الأميرُ ؛ وكيف
أمسى ، وكلمني بقدرِ ما أستنطقُكَ ، واجعلْ بدلَ التقريظِ لي صوابَ الاستماعِ
متي .

واعلم: أن صوابَ الاستماعِ أحسنُ من صوابِ القولِ ، وإذا سمعتني
أتحدَّثُ .. فلا يفوتنكَ منه شيءٌ ، وأرني فهمك إياه في طَرْفِكَ
ووجهك ، فما ظنك بالملكِ وقد أحلكَ محلَّ المُعجَبِ بما يُسمعُك إياه ،
وأحللته بمحلِّ مَنْ لا تسمعهُ منه ، وهذا يحبطُ إحسانك ، ويُسقطُ حقَّ
حرميتك .

ولا تستدعِ الزيادةَ من كلامي بما تُظهرُ من استحسانِ ما يكونُ متي ، فمن
أسوأَ حالاً ممَّن يستلذُّ الملوكَ بالباطلِ^(١) ، وذلك يدلُّ على تهاونه بقدرِ ما
أوجبَ الله تعالى من حقِّهم .

واعلم: أني جعلتُك مُؤدِّباً بعد أن كنتَ مُعلِّماً ، [وجعلتُك] جليساً مُقرباً
بعد أن كنتَ مع الصبيانِ مباحداً ؛ فمتى لم تعرفِ نقصانَ ما خرجتَ منه ..
لم تعرفِ رجحانَ ما دخلتَ فيه ، وقد قالوا : مَنْ لم يعرفِ سوءَ ما أولى .. لم
يعرفِ حسنَ ما أبلَى .

في قوله : (فَمَنْ أَسْوَأَ حَالاً) إيجازٌ ، والمعنى : فإنَّ استدعاءَ الزيادةِ طلبٌ
للاستلذاذِ بحديثِ الملكِ ، وهو قبيحٌ ، سواءً كانَ بحقٍّ أو باطلٍ ، تمويهاً

(١) في « شرح نهج البلاغة » (٧٨ / ١٧) : (يستكذُّ الملوكَ بالباطلِ) بدل (يستلذُّ الملوكَ بالباطلِ) .

على الملك ، لكن إذا كان بالباطل . . كانت الإساءة فيه فاحشة ، وهو ما فرّعه بقوله : (فَمَنْ أَسْوَءَ حَالاً . . .) إلى آخره .

[وصية أبرويز أحد الأكاسرة لكتابه]

ومن ذلك : ما نقله من وصية أبرويز أحد الأكاسرة لكتابه ؛ وهي هذه :
قال له ^(١) :

اكتُمِ السِّرَّ ، واصدقِ الحديثَ ، واجتهدْ في النصيحةِ ، وعليكِ بالحدْرِ ؛
فإنَّ لكِ عليَّ ألاَّ أعجلَ عليكِ حتى أستأنيَ لكِ ، ولا أقبلَ فيكِ قولاً حتى
أستيقنَ ، ولا أطمعَ فيكِ أحداً فتغتالَ .

واعلمُ : أنَّكِ بمنجاةٍ رفعةٍ فلا تحطَّها ، وفي ظلِّ مملكةٍ فلا تستزيلنَّه .

قاربِ الناسَ مجاملةً من نفسكِ ، وباعدْهم مسامحةً من عدوكِ ، واقصدِ
إلى الجميلِ ازدراعاً لغدكِ ، وتنزَّهْ صوناً لمروءتِكِ ، وتحبَّبْ عندي بما قدرتِ
عليه .

احذري لا تُسرِعَنَّ الألسنةَ عليكِ ، ولا تقبَحَنَّ الأحداثُ عنكِ ، وضمنِ نفسكِ
صونَ الدرَّةِ الصافيةِ ، وأخلصها إخلاصَ الفضةِ البيضاءِ ، وعاتبها معاتبةَ
الحدْرِ المُشفيقِ ، وحصِّنها تحصينَ المدينةِ المنيعَةِ .

لا تدعَنَّ أن ترفعَ إليَّ الصغيرَ ؛ فإنه بدلٌ عن الكبيرِ ، ولا تكتَمَنَّ عني
الكبيرَ ؛ فإنه ليسَ بشاغلٍ عن الصغيرِ ، هذبْ أمورَكِ ثم القني بها ، وأحكمِ
أمرَكِ ثم راجعني فيه ، ولا تجترئنَّ عليَّ فامتعضِ ، ولا تنقبِضَنَّ عني فأتهمِ ،
ولا تُمرِضَنَّ ما تلقاني بهِ ، ولا تُخدجنَّهُ ، وإذا أفكرتِ فلا تعجلِ ، وإذا كتبتِ
فلا تُعذري ، ولا تستعني بالفضولِ ؛ فإنها علاوةٌ على الكفايةِ ، ولا تقصرنَّ عن

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧ / ٨١ - ٨٢) .

التحقيق ؛ فإنها هجئة بالمقالة ، ولا تلبس كلاماً بكلام ، ولا تُبَعِدُنْ معنَى
عن معنَى .

وأكرم لي كتابك عن ثلاث : خضوع يَسْتَخِفُّهُ ، وانتشار يَهْجُنُهُ ، ومعانٍ
تُعَقَّدُ به ، واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، وليكن بسطة كلامك
على كلام الشوقِ كبسطة الملك الذي تُحَدِّثُهُ على الملوك .

لا يكن ما نلتُه عظيماً ، وما تتكلَّمُ به صغيراً ؛ فإنما كلام الكاتب على
مقدار الملك ، فاجعله عالياً كعلوه ، وفائقاً [كتفوقه] ؛ فإنما جماع الكلام
كله خصال أربع ، سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ،
وخبرك عن الشيء ، فهذه الخصال دعائم المقالات ، إن التمس إليها
خامس . . لم يوجد ، وإن نُقِصَ منها واحد . . لم تتم ، فإذا أمرت . . فأحكم ،
وإذا سألت . . فأوضح ، وإذا طلبت . . فأسمع ، وإذا أخبرت . . فحَقِّقْ ؛ فإنك
إذا فعلت ذلك . . أخذت بجرائم القول كله ، فلم تشبه عليك واردة ، ولم
تُعْجِزْكَ صادرة .

أثبت في دواوينك ما أخذت ، وأحصن فيها ما أخرجت ، وتيقظ لِمَا
تعطي ، وتجرّد لِمَا تأخذ ، ولا يغلبنك النسيان عن الإحصاء ، ولا الأناة عن
التقدم ، ولا تُخْرِجَنَّ وزن قيراط في غير حق ، ولا تُعْظَمَنَّ إخراج الألف
الكثيرة في الحق ، وليكن ذلك كله عن مؤامرتي .

[وصية أكثم بن صيفي لقومه]

ومن ذلك : ما نقله من وصية أكثم بن صيفي - أحد حكماء العرب في
الجاهلية - لقومه من تميم ؛ وهي هذه : قال^(١) :

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٢٠/١٧ - ١٢١) .

يا بني تميم ؛ لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين حيزومي
 وصدري لكلاماً لا أجد له مواقع إلا أسمعكم ، ولا مقارراً إلا قلوبكم ، فتلقوه
 بأسماع مصغية ، وقلوب واعية . . تحمّدوا مغبته : الهوى يقظان ، والعقل
 راقد ، والشهوات مطلقه ، والحزم معقول ، والنفس مهملة ، والروية مقيدة ،
 ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم ، ولن يعدم المشاور مرشداً ،
 والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل ، ومن سمع . . سمع به ، ومصارح
 الرجال تحت بروق الطمع ، ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا في
 مقاتل الكرام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجدد . . أمن العثار ،
 ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ، ويشغل فكره ، ويؤثر غيظه ، ولا تجاوز
 مضرته نفسه .

يا بني تميم ؛ الصبر على جرع الحلم أعذب من جنى ثمر الندامة ، ومن
 جعل عرضه دون ماله . . استهدف للذم ، وكلم اللسان أنكى من كلم السنان ،
 والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم ، فإذا نجمت . . فهي أسد محرب ،
 أو ناز تلهب ، ورأي الناصح اللبيب دليل لا يجور ، ونفاذ الرأي في الحرب
 أجدى من الطعن والضرب .

[نصيحة أردشير بن بابك إلى الملوك من بعده]

ومن ذلك : ما نقله من كتاب أول ملوك الأكاسرة بعد ملوك الطوائف ،
 ينصح به من يجيء بعده من الملوك ، وفيه من الفوائد السياسية ما لا يخص
 الملوك دون عامة الناس ؛ وهو هذا : قال (١) :

رشاد الوالي خير للريعية من خصب الزمان ، الملك والدين توءمان ، لا

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧ / ١٢٤ - ١٣٠) .

قوامَ لأحدهما إلا بصاحبه ، فالدينُ أسُّ الملكِ وعمادُهُ ، ثمَّ صارَ الملكُ حارسَ الدينِ ، فلا بدَّ للملكِ من أسِّه ، ولا بدَّ للدينِ من حارسِهِ ، فأما ما لا حارسَ له .. فضائعٌ ، وأما ما لا أسَّ له .. فمهدومٌ .

إنَّ رأسَ ما أخافَ عليكم مبادرةُ السفلةِ إياكم إلى دراسةِ الدينِ وتأويلِهِ والتفقهِ فيه ، فتحملُكم الثقةُ بقوةِ الملكِ على التهاونِ بهم ، فتحدثُ في الدينِ رئاساتٌ منتشراتٌ سرّاً بمنّ قد وترئتم وجفوتهم ، وحرمتهم وأخفتهم وصغرتهم من سفلةِ الناسِ والرعيةِ وحشوِ العائمةِ ، ثمَّ لا تنشبُ تلكَ الرئاساتُ أن تُحدثَ خرقاً في الملكِ ، ووهناً في الدولةِ .

واعلموا : أنَّ سلطانتكم على أجسادِ الرعيةِ ، لا على قلوبِها ، وإن غلبتُم الناسَ على ما في أيديهم .. فلن تغلبوهم على ما في عقولِهِم وآرائِهِم ومكايديهِم .

واعلموا : أنَّ العاقلَ المحرومَ سألَ عليكم لسانَهُ ، وهو أقطعُ سيفيهِ ، وأنَّ أشدَّ ما يضرُّ بكم من لسانِهِ ما صرفَ الحيلةَ فيه إلى الدينِ ، فكانَ [للدنيا] يحتجُّ ، وللدينِ فيما يظهرُ يتعصَّبُ ، فيكونُ للدينِ [بكأؤهُ] وإليه [دعاؤهُ] ، ثمَّ هو أوجدُ للتابعينَ والمُصدِّقينَ والمناصحينَ والموازرينَ ؛ لأنَّ تعصَّبَ الناسِ مُوَكَّلٌ بالملوكِ ، ورحمتُهُم ومحبَّتُهُم مُوَكَّلَةٌ بالضعفاءِ المغلوبينَ ، فاحذروا هذا المعنى كلَّ الحذرِ .

واعلموا : أنَّه ليسَ ينبغي للملكِ أن يَعْرِفَ للعبادِ والنُّسَّاكِ بأن يكونوا أولىَ منه بالدينِ ، ولا أحدبَ عليه ولا أغضبَ له ، وأن يخلي النُّسَّاكِ والعبادَ من الأمرِ والنهيِّ في نسيكِهِم ودينِهِم ؛ فإنَّ خروجَ النُّسَّاكِ وغيرِهِم من الأمرِ والنهيِّ عيبٌ على الملوكِ وعلى المملكةِ ، وتُلْمَةٌ بينَهُ الضَّررِ على الملكِ وعلى من بعده .

واعلموا : أَنَّهُ قَدْ مَضَى قَبْلَنَا مِنْ أَسْلَافِنَا مَلُوكٌ كَانَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ يَتَعَهَّدُ
الْحِمَايَةَ بِالتَّفْتِيْشِ ، وَالْجَمَاعَةَ بِالتَّفْصِيْلِ ، وَالْفِرَاعَ بِالأَشْغَالِ . . كَتَعَهَّدِ جَسَدِهِ
بِقَصِّ فُضُولِ الشَّعْرِ وَالظُّفْرِ ، وَغَسَلَ الدَّرْنَ وَالْغَمَصِ ، وَمَدَاوَاةَ مَا ظَهَرَ مِنْ
الأَدْوَاءِ وَمَا بَطَّنَ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَوْلَثِكَ الْمَلُوكِ مَنْ صَحَّهَ مَلِكِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ
مِنْ صَحَّهَ جَسَدِهِ ، فَتَتَابَعَتْ تِلْكَ الأَمْلَاقُ بِذَلِكَ ، كَأَنَّهُمْ مَلِكٌ وَاحِدٌ ، وَكَأَنَّ
أَرْوَاحَهُمْ رُوحٌ وَاحِدَةٌ ، يُمَكِّنُ أَوْلَهُمْ لِأَخْرِهِمْ ، وَيُصَدِّقُ آخِرُهُمْ أَوْلَهُمْ ، تَجْتَمِعُ
أَنْبَاءُ أَسْلَافِهِمْ وَمَوَارِيثُ آرَائِهِمْ وَثِمْرَاتُ عَقُولِهِمْ عِنْدَ الْبَاقِي مِنْهُمْ بَعْدَهُمْ ،
وَكَأَنَّهُمْ جُلُوسٌ مَعَهُ ، يُحَدِّثُونَهُ وَيُشَاوِرُونَهُ ، حَتَّى كَانَ عَلَى رَأْسِ دَارَا بْنِ دَارَا
مَا كَانَ مِنْ غَلْبَةِ الإسْكَندَرِ الرُّومِيِّ عَلَى مَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ مَلِكِهِ ، وَكَانَ إِفْسَادُهُ
أَمْرَنَا ، وَتَفْرِقَتُهُ جَمَاعَتَنَا ، وَتَخْرِيْبُهُ عَمْرَانَ مَمْلَكَتَنَا . . أْبْلَغَ لَهُ فِيمَا أَرَادَ مِنْ
سَفْكِ دِمَائِنَا ، فَلَمَّا أذِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمْعِ مَمْلَكَتِنَا ، وَإِعَادَةِ أَمْرِنَا . . كَانَ
مِنْ بَعْثِهِ إِيَّانَا مَا كَانَ ، وَبِالاعتْبَارِ يُتَّقَى العِثَارُ ، وَالتَّجَارِبُ المَاضِيَةُ دُسْتُورٌ
يَرْجَعُ إِلَيْهِ فِي الحَوَادِثِ الآتِيَةِ .

واعلموا : أَنَّ طِبَاعَ الْمَلُوكِ عَلَى غَيْرِ طِبَاعِ الرِّعِيَةِ وَالسُّوقَةِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ
يَطِيْفُ بِهِ العِزُّ وَالأَمْنُ وَالسَّرُورُ وَالقُدْرَةُ عَلَى مَا يَرِيدُ ، وَالأنْفَةُ وَالْجِرَاءَةُ وَالطِّيْشُ
والبَطْرُ ، وَكَلَّمَا اازدادَ فِي العَمْرِ تَنَفُّسًا ، وَفِي الْمَلِكِ سَلَامَةً . . اازدادَ مِنْ هُنْدِهِ
الطَّبَائِعِ وَالأَخْلَاقِ ، حَتَّى يَسْلَمَهُ ذَلِكَ إِلَى سُكْرِ السُّلْطَانِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنْ
سُكْرِ الشَّرَابِ ، فَيَنْسَى النِّكَبَاتِ وَالْعَثَرَاتِ ، وَالغِيْرَ وَالدَّوَائِرَ ، وَفَحَشَ تَسَلُّطِ
الأَيَّامِ ، وَلَوْمْ غَلَبَتِ الدَّهْرُ ، فَيُرْسَلُ يَدُهُ بِالفِعْلِ ، وَلِسَانُهُ بِالقَوْلِ ، وَعِنْدَ حَسَنِ
الظَّنِّ بِالأَيَّامِ تَحْدُثُ الغِيْرُ ، وَتَزُولُ النِّعَمُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَسْلَافِنَا وَقُدَمَاءِ مَلُوكِنَا
مَنْ يُفَكِّرُهُ عِزُّهُ الدَّلُّ ، وَأَمْنُهُ الخَوْفُ ، وَسُرُورُهُ الكَأَبَةُ ، وَقُدْرَتُهُ المَعْجِزَةُ ،
وَذَلِكَ هُوَ الرَّجُلُ الكَامِلُ ، قَدْ جَمَعَ بِهَجَّةِ الْمَلُوكِ ، وَفِكْرَةَ السُّوقَةِ ، وَلا كَمَالَ
إِلَّا فِي جَمْعِهِمَا .

واعلموا : أنكم سئبلون على الملك بالأزواج والأولاد والقرباء والوزراء والأخدان والأنصار والأعوان والمُتقربين والثُماء والمُضحكين ، وكلُّ هؤلاء - إلا قليلاً - أن يأخذ لنفسه أحب إليه من أن يعطي منها ، وإنما عمله سوق ليومه ، وذخيرة لغده ، فنصيحته للملوك فضل نصيحتِه لنفسه ، وغاية الصّلاح عنده صلاح نفسه ، وغاية الفساد عنده فسادها ، يقيم للسُّلطان سوق المودّة ما أقام له سوق الأرباح والمنافع .

إذا استوحش الملك من ثقاته . . أطبقت عليه ظلمُ الجهالة .

أخوف ما يكون العامّة . . أخوف ما يكون الوزراء .

واعلموا : أن كثيراً من وزراء الملوك من يحاول استبقاء دولته وأيامه بإيقاع [الاضطراب] والخبط في أطراف مملكة الملك ؛ ليحتاج الملك إلى رأيه وتدبيره ، فإذا عرفتم ذلك من وزير من وزراءكم . . فاعزلوه ؛ فإنه يُدخل الوهن والنقص على الملك والرعية لصلاح حال نفسه ، ولا تقوم نفسه بهذه النفوس كلّها .

واعلموا : أن ذهاب الدولة ينشأ من قبل إهمال الرعية بغير أشغال معروفة ، ولا أعمال معلومة ، فإذا نشأ الفراغ . . تولد منه النظر في الأمور ، والفكر في الفروع والأصول ، فإذا نظروا في ذلك . . نظروا فيه بطباع مختلفة ، فتختلف بهم المذاهب ، ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديبهم وتضاعفهم ، وهم مع اختلافهم هذا متفقون ومجتمعون على بغض الملوك ، فكلُّ صنف منهم إنما يجري إلى فجيعة الملك بملكه ، ولكنهم لا يجدون سلماً إلى ذلك أوثق من الدين والناموس ، ثم يتولد من تعاديبهم أن الملك لا يستطيع جمعهم على أهواء واحدة ، فإذا انفرد باختصاص بعضهم . . صار عدو بقيةهم .

وفي طباع العامّة استثقال الولاية وملاهم ، والنفاسة عليهم ، والحسد

لَهُمْ ، وفي الرعيّة المحروم والمضروب والمُقام عليه الحدودُ ، ويتولّد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبنَ الملك عن الإقدام عليهم ، فإنّ في إقدام الملك على الرعيّة كلّها كافّة تغريباً بملكه ، ويتولّد من جبن الملوك عن الرعيّة استعجالهم عليه وهم أقوى عدوّ له وأخلقه بالظفر ؛ لأنّه حاضر مع الملك في دار ملكه ، فمنّ أفضى إليه الملك بعدي . . فلا يكوننّ بإصلاح جسده أشدّ اهتماماً منه بهذه الحال ، ولا يكوننّ لشيء من الأشياء أكره وأنكر منه لرأس صار ذنباً ، وذنب صار رأساً ، ويد مشغولة صارت فارغة ، أو غني صار فقيراً ، أو عامل مصروف ، أو أمير معزول .

واعلموا : أنّ سياسة الملك وحراسته ألا يكون ابن الكاتب إلا كاتباً ، وابن الجنديّ إلا جنديّاً ، وابن التاجر إلا تاجراً ، وهكذا في جميع الطبقات ؛ فإنّه يتولّد من تنقل الناس عن حالاتهم أن يلتصق كل امرئ منهم فوق مرتبته ، فإذا انتقل . . أو شك أن يرى شيئاً أرفع ممّا انتقل إليه ، فيحسده وينافسه ، وفي ذلك من الضرر المتولّد ما لا خفاء به .

فإن عجز ملك منكم عن إصلاح رعيّته كما أوصينا . . فلا يكنّ للقميص القمّل أسرع خلعاً منه لِمَا لبس من قميص ذلك الملك .

واعلموا : أنّه ليس ملك إلا وهو كثير الذكر لمن يلي الأمر بعده ، ومن إفساد أمر الملك ذكره ولاة العهود ؛ فإنّ في ذلك ضروباً من الضرر ، وإنّ ذلك دخول عداوة بين الملك ووليّ عهده ؛ لأنّه تطمح عيناه إلى الملك ، وبصير له أحباب وأخذان يمتنونّه ذلك ، ويستبطنون موت الملك ، ثمّ إنّ الملك يتوحّش منه ، وتنساق الأمور إلى هلاك أحدهما .

ولكنّ لينظر الوالي منكم لله تعالى ، ثمّ لنفسه ، ثمّ للرعيّة ، ويتخبّ وليّاً للعهد من بعده ، ولا يُعلمه ذلك ولا أحداً من الخلق ، قريباً كان أو بعيداً ،

ثمَّ يَكْتُبُ اسْمَهُ فِي أَرْبَعِ صَحَائِفَ ، وَيَخْتِمُهَا بِخَاتَمِهِ ، وَيَضَعُهَا عِنْدَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ مِنْهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ أَمْرٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى وَلِيِّ عَهْدِهِ مَنْ هُوَ ، لَا فِي إِدْنَاءٍ وَتَقْرِيْبٍ يُعْرَفُ بِهِ ، وَلَا فِي إِقْصَاءٍ وَإِعْرَاضٍ يُسْتَرَابُ لَهُ ، وَلِيَتَّقَى ذَلِكَ فِي اللَّحْظَةِ وَالْكَلِمَةِ .

فَإِذَا هَلَكَ الْمَلِكُ . . جُمِعَتْ تِلْكَ الصَّحَائِفُ إِلَى النُّسْخَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي خَزَانَةِ الْمَلِكِ ، فَتُفَضَّضُ جَمِيعاً ، ثُمَّ يُنَوَّهُ حَيْثُئِذٍ بِاسْمِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَيَلْقَى الْمَلِكَ إِذَا لَقِيَهِ بِحَدَاثَةِ عَهْدٍ بِحَالِ الشُّوْقَةِ ، وَيَلْبَسُهُ إِذَا لَبَسَهُ بِبَصْرِ الشُّوْقَةِ وَسَمِعَهَا ، فَإِنَّ فِي مَعْرِفَتِهِ بِحَالِهِ قَبْلَ إِفْضَاءِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ سَكْرًا تُحَدِّثُهُ عِنْدَهُ وَوَلَايَةَ الْعَهْدِ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ الْمَلِكُ فَيَزِيدُهُ سَكْرًا إِلَى سَكْرِهِ ، فَيَعْمَى وَيَصْمُ ، هَذَا مَعَ مَا لَا يَدَّ أَنْ يَلْقَاهُ أَيَّامَ وَوَلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ حَيْلِ الْعُتَاةِ ، وَبَغْيِ الْكُذَّابِينَ ، وَتَرْقِيَةِ النَّمَامِينَ ، وَإِغَارِ صَدْرِهِ ، وَإِفْسَادِ قَلْبِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ وَخَوَاصِ دَوْلَتِهِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَحْمُودٍ وَلَا صَالِحٍ .

واعلموا : أَنَّهُ لَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ يَحْلِفَ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ ؛ لِأَنَّهُ قَادِرٌ ، وَالغَضَبُ لِقَاخِ الشَّرِّ وَالنَّدَامَةِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَعْبَثَ وَيَلْعَبَ ؛ لِأَنَّ اللَّعْبَ وَالْعَبَثَ مِنْ عَمَلِ الْفِرَاقِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَفْرَغَ ؛ لِأَنَّ الْفِرَاقَ مِنْ أَمْرِ الشُّوْقَةِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْسَدَ أَحَدًا إِلَّا عَلَى حَسَنِ التَّدْبِيرِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَخَافَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدَ فَوْقَ يَدِهِ .

واعلموا : أَنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا عَلَى أَنْ تَخْتِمُوا أَفْوَاهَ النَّاسِ مِنَ الطَّعْنِ وَالْإِزْرَاءِ عَلَيْكُمْ ، وَلَا قُدْرَةَ لَكُمْ عَلَى أَنْ تَجْعَلُوا الْقَبِيحَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ حَسَنًا ، فَاجْتَهَدُوا فِي أَنْ تَحْسِنَ أَعْمَالَكُمْ كُلَّهَا وَأَلَّا تَجْعَلُوا لِلْعَامَّةِ إِلَى الطَّعْنِ عَلَيْكُمْ سَبِيلًا .

واعلموا : أَنَّ لِبَاسَ الْمَلِكِ وَمَطْعَمَهُ مُقَارِبٌ لِلِبَاسِ الشُّوْقَةِ وَمَطْعَمِهِمْ ، وَلَيْسَ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَى الشُّوْقَةِ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ عَلَى اقْتِنَاءِ الْمُحَامِدِ وَاسْتِفَادَةِ

المكارم ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا شَاءَ . . أَحْسَنَ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ السُّوقَةُ .

واعلموا : أَنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ بَطَانَةً ، وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ بَطَانَتِهِ بَطَانَةٌ ، ثُمَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ بَطَانَةِ الْبَطَانَةِ بَطَانَةٌ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الْمَمْلَكَةِ ، فَإِذَا أَقَامَ الْمَلِكُ بَطَانَتَهُ عَلَى حَالِ الصَّوَابِ . . أَقَامَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بَطَانَتَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَى الصَّلَاحِ عَامَّةُ الرِّعِيَةِ .

احذروا باباً واحداً طالما أمنتُّه فضرتني ، وحذرتُّه فنفعتني ، احذروا إفشاء السرِّ بحضرة الصِّغارِ مِنْ أهليكم وخدمكم ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَصْغُرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَنْ حَمَلِ ذَلِكَ السَّرِّ كَامِلًا لَا يَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَضَعَهُ حَيْثُ تَكْرَهُونَ ؛ إِمَّا سَقَطًا أَوْ غَشًّا .

واعلموا : أَنَّ فِي الرِّعِيَةِ صِنْفًا أَتَوْا الْمُلُوكَ مِنْ قَبْلِ النَّصَائِحِ لَهُمْ ، وَالتَّمَسُّوا إِصْلَاحَ مَنَازِلِهِمْ بِإِفْسَادِ مَنَازِلِ النَّاسِ ، وَهُمْ أَعْدَاءُ الْمُلُوكِ ، وَمَنْ عَادَى الْمُلُوكَ وَالنَّاسَ كُلَّهُمْ . . فَقَدْ عَادَى نَفْسَهُ .

واعلموا : أَنَّ الدَّهْرَ حَامِلُكُمْ عَلَى طَبَقَاتٍ ؛ فَمِنْهَا حَالُ السَّخَاءِ حَتَّى يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنَ السَّرْفِ ، وَمِنْهَا حَالُ التَّقْدِيرِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْبَخْلِ ، وَمِنْهَا حَالُ الْأَنَاءِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْبِلَادَةِ ، وَمِنْهَا حَالُ انْتِهَازِ الْفُرْصَةِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْخَفَّةِ ، وَمِنْهَا حَالُ الطَّلَاقِ فِي اللِّسَانِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْهَذَرِ ، وَمِنْهَا حَالُ الْأَخْذِ بِحِكْمَةِ الصَّمْتِ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْعِيِّ ، فَالْمَلِكُ مِنْكُمْ جَدِيدٌ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ فِي مُحَاسِنِهَا حَدًّا ، فَإِذَا وَقَفَ عَلَيْهِ . . أَلْجَمَ نَفْسَهُ عَمَّا وَرَاءَهُ .

واعلموا : أَنَّ ابْنَ الْمَلِكِ وَأَخَاهُ وَابْنَ عَمِّهِ يَقُولُ : كَدْتُ أَكُونُ مَلِكًا ، وَبِالْحَرِيِّ أَلَّا أَمُوتَ حَتَّى أَكُونَ مَلِكًا ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ . . قَالَ مَا لَا يَسُرُّ الْمَلِكَ ، وَإِنْ كَتَمَهُ . . فَالِدَاءُ فِي كُلِّ مَكْتُومٍ ، وَإِذَا تَمَنَّى ذَلِكَ . . جَعَلَ الْفَسَادَ سُلْمًا إِلَى الصَّلَاحِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْفَسَادُ سُلْمًا إِلَى صِلَاحٍ قَطُّ .

وقد رسمت لكم مثلاً ؛ اجعلوا المُلْك لا ينبغي إلا لأبناء الملوك من بنات
عمومتهم ، ولا يصلح من أولاد بنات العم إلا كامل غير سخيْفِ العقل ،
ولا عازب الرأي ، ولا ناقص الجوارح ، ولا مطعون عليه في الدين ، فإنكم
إذا فعلتم ذلك .. قلّ طُلابُ المُلْك ، وإذا قلّ طُلابُهُ .. استراح كلُّ امرئٍ
إلى ما يليه ، ونزع إلى حدّ يليه ، وعرف حاله ، ورضي معيشتَه ، واستطاب
زمانه^(١) .

وحيث جرى ذكر الإسكندر وتفرقتُه مملكة فارس بين أبناء الملوك الذين
قيل لهم : ملوك الطوائف ، وكان ملكهم فاصلاً بين سلسلتي الملوك من
الفرس ، آخر أولاهما دارا بن دارا ، وأول الثانية أردشير .. فلا بأس أن نُثبت
في هذا الموضع كتاب الإسكندر إلى شيخه الحكيم أرسطو ؛ يستشيره فيما
يفعل بأبناء الملوك : أيقتلهم أم يبيحهم ، وجواب الحكيم له عن ذلك .

[كتاب الإسكندر إلى الحكيم أرسطو]

وهذه صورة كتاب الإسكندر : قال^(٢) :

عليك أيها الحكيم منا السلام ، أمّا بعدُ : فإن الأفلاك الدائرة والعلل
السموية وإن كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبح الناس لنا بها دائنين .. فإننا
جدُّ واجدين لِمَسِّ الاضطرارِ إلى حكمتك ، غير جاحدين لفضلك ، والإقرار
بمنزلتك ، والاستنامة إلى مشورتك ، والاقتداء برأيك ، والاعتماد لأمرك
وفهمك ؛ لِمَا بلونا من إجداء ذلك علينا ؛ ودُقنا من جنى منفعته ، حتى صار
ذلك بنجوعه فينا وترسخه في أذهاننا كالغذاء لنا ، فما ننفك نعوّل عليه ،

(١) إلى هنا ينتهي النقل عن « شرح نهج البلاغة » .

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧ / ٥٥ - ٥٦) .

وَنَسْتَمِدُّ مِنْهُ اسْتِمَادَ الْجَدَاوِلِ مِنَ الْبَحْرِ ، وَتَعْوِيلَ الْفُرُوعِ عَلَى الْأَصُولِ ،
وَقُوَّةَ الْأَشْكَالِ بِالْأَشْكَالِ .

وقد كَانَ مِمَّا سَبَقَ إِلَيْنَا مِنَ النَّصْرِ وَالْفَلَجِ ، وَأُتِيحَ لَنَا مِنَ الظَّفَرِ وَالْقَهْرِ ،
وَبَلَّغْنَا فِي الْعَدْوِ مِنَ النَّكَايَةِ وَالْبَطْشِ مَا يَعْجِزُ الْقَوْلُ عَنْ وَصْفِهِ ، وَيَقْصُرُ شِكْرُ
الْمُنْعِمِ عَنْ مَوْجِ الْإِنْعَامِ بِهِ ، وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ جَاوَزْنَا أَرْضَ سُورِيَّةَ وَالْجَزِيرَةَ
إِلَى بَابِلَ وَأَرْضِ فَارَسَ ، فَلَمَّا حَلَلْنَا بِعَقْوَةِ أَهْلِهَا وَسَاحَةِ بِلَادِهِمْ . . . لَمْ يَكُنْ
إِلَّا رَيْثِمًا تَلَقَّانَا نَفَرٌ مِنْهُمْ بِرَأْسِ مَلِكِهِمْ هَدِيَّةً إِلَيْنَا ، وَطَلَبًا لِلْحِظْوَةِ عِنْدَنَا ،
فَأَمَرْنَا بِصَلْبِ مَنْ جَاءَ بِهِ وَشَهْرَتِهِ ؛ لِسُوءِ بِلَائِهِ ، وَقَلَّةِ أَرْعَائِهِ وَوَفَائِهِ .

ثُمَّ أَمَرْنَا بِجَمْعِ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَوْلَادِ مَلُوكِهِمْ وَأَحْرَارِهِمْ وَذَوِي الشَّرْفِ
مِنْهُمْ ، فَرَأَيْنَا رِجَالًا عَظِيمَةً أَجْسَامُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ ، حَاضِرَةً أَلْبَابُهُمْ وَأَذْهَانُهُمْ ،
رَاضِعَةً مَنَاطِرُهُمْ وَمَنَاطِقُهُمْ ، دَلِيلًا عَلَى أَنَّ مَا يَظْهَرُ مِنْ رُؤَائِهِمْ وَمَنَاطِقِهِمْ أَنَّ
وَرَاءَهُ مِنْ قُوَّةِ أَيْدِيهِمْ وَشِدَّةِ نَجْدَتِهِمْ وَبِأَسْهِمِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَكُونَ مَعَهُ لَنَا سَبِيلٌ
إِلَى غَلْبَتِهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ لَوْلَا أَنَّ الْقَضَاءَ أَدَلَّنَا مِنْهُمْ ، وَأَظْفَرْنَا بِهِمْ ،
وَأَظْهَرْنَا عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَرِ بَعِيدًا مِنَ الرَّأْيِ فِي أَمْرِهِمْ أَنْ نَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُمْ
وَنَجْتَثَّ أَصْلَهُمْ وَنُلْحِقَهُمْ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِهِمْ ؛ لِتَسْكَنِ الْقُلُوبُ بِذَلِكَ
إِلَى الْأَمْنِ مِنْ جِرَائِرِهِمْ وَبِوَائِقِهِمْ ، فَرَأَيْنَا أَلَّا نَعَجَلَ بِإِسْعَافِ بَادِيِ الرَّأْيِ
فِي قَتْلِهِمْ دُونَ الْإِسْتِظْهَارِ عَلَيْهِ بِمَشُورَتِكَ فِيهِمْ ، فَارْفَعْ إِلَيْنَا رَأْيَكَ فِيمَا
اسْتَشْرْنَاكَ فِيهِ بَعْدَ صَحَّتِهِ عِنْدَكَ ، وَتَقْلِيْبِكَ إِيَّاهُ بِجَلِيِّ نَظْرِكَ ، وَسَلَامٌ لِأَهْلِ
السَّلَامِ ، فَلْيَكُنْ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ .

[جَوَابُ الْحَكِيمِ أَرْسَطُو إِلَى الْإِسْكَانِدَرِ]

وهذه صورة جواب الحكيم إلى الملك : قال^(١) :

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧ / ٥٦ - ٥٨) .

لملك الملوك وعظيم العظماء ، الإسكندر المؤيد بالنصر على الأعداء ،
المهدى له الظفر بالملوك ، من أصغر عبيده وأقل خوله أرسطو البخوع
بالسجود والتذلل في السلام والإذعان في الطاعة .

أما بعد : فإنه لا قوة بالمنطق وإن احتشد الناطق فيه ، واجتهد في تثقيف
معانيه ، وتأليف حروفه ومبانيه . . على الإحاطة بأقل ما تناله القدرة من
بسطة علو الملك ، وسمو ارتفاعه عن كل قول ، وإبرازه عن كل وصف ،
وقد كان تقرر عندي من مقدمات إعلام فضل الملك في صهلة سبقه ، وبروز
شأوه ، ويمن نقيبته ؛ مذ أدت إلي حاسة بصري صورة شخصه ، وأطرب في
حسن سمعي صوت لفظه ، ووقع وهمي على تعقب نجاح رأيه ، أيام كنت
أؤدي إليه من تكلف تعليمي إيّاه ما أصبحت قاضياً على نفسي بالحاجة إلى
تعلّمه منه ، ومهما يكن مني إليه في ذلك . . فإنما هو عقل مردود إلى عقله ،
مستنبطة أواليه وتواليه من علمه وحكمته .

وقد جلّني إلي كتاب الملك ومخاطبته إياي ومسألته عمّا لا يتخالجني
الشك في أنّ لقاح ذلك وإنتاجه من عنده ، فعنه صدر ، وعليه ورد ، وأنا فيما
أشير به على الملك وإن اجتهدت فيه واحتشدت له وتجاوزت حدّ الوسع
والطاقة في استنظافه واستقصائه . . كالعدم مع الوجود ، وما لا يتجزأ في
جنب معظم الأشياء ، ولكتبي غير ممتنع من إجابة الملك إلى ما سأل مع
علمي ويقيني بعظيم غناه عني ، وشدة فاقتي إليه ، وأنا راؤد إلى الملك ما
أكتسبه منه ، ومشير عليه بما أخذته منه ؛ فقائل له :

إنّ لكل تربة - لا محالة - قسماً من الفضائل ، وإنّ لفارس قسماً
من النجدة والقوة ، وإنك إن تقتل أشرافهم . . تخلف الأوضاع على
أعقابهم ، وتورث سفلتهم منازل عليتهم ، وتغلب أدنياءهم على مراتب

ذوي أخطارِهِمْ ، ولم يُبْتَلِ الملوكُ قطُّ ببلاءٍ هوَ أعظمُ عليهم وأشدُّ توهيناً
لسلطانِهِمْ مِنْ غلبةِ السَّفلةِ وذَلِّ الوجوهِ ، فاحذرِ الحذرَ كُلَّهُ أنْ تُمَكِّنَ تلكَ
الطَّبقةَ مِنَ الغلبةِ والحركةِ ؛ فَإِنَّهُمْ إنْ نجمَ منهمُ بعدَ اليومِ على جنديكَ وأهلِ
بلادِكَ ناجمٌ . . دهمَهُمْ منه ما لا رويةَ فيه ولا بقيةَ معه ، فانصرفْ عن هذا
الرأيِ إلى غيرِهِ .

واعمُدْ إلى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ أولئكِ العظماءِ والأحرارِ ؛ فوزِّعْ بينهمُ مملكتَهُمْ ،
وألزمِ اسمَ الملكِ كلَّ مَنْ وَلِيَتْهُ منهمُ ، واعقدِ التاجَ على رأسِهِ وإن صَغُرَ
ملكُهُ ، فَإِنَّ المُتسمِّيَ بالملكِ لازمٌ لاسمِهِ ، والمعقودَ التاجَ على رأسِهِ لا
يخضعُ لغيرِهِ ، فليسَ ينشُبُ ذلكَ أنْ يوقعَ كلَّ ملكٍ منهمُ بينَهُ وبينَ صاحبهِ
تدابراً وتقاطعاً ، وتغالباً على الملكِ ، وتفاحراً بالمالِ والجندي حتى يَنسُوا
بذلكَ أضعفانَهُم عليكِ ، وأوتارَهُم فيكَ ، ويعودَ حربُهُم لكِ حرباً بينهمُ ،
وحنقُهُم عليكِ حنقاً منهمُ على أنفسهمِ ، ثمَّ لا يزدادونَ في ذلكَ بصيرةً إلاَّ
أحدثوا لكِ بها استقامةً ؛ إنْ دنوتَ منهمُ . . [دانوا] لكِ ، وإنْ نأيتَ عنهمُ . .
تَعَزَّزوا بكِ ، حتى يشبَّ مَنْ ملكَ منهمُ على جاريهِ باسمِكَ ، ويسترهبُهُ بجنديكَ ،
وفي ذلكَ شاغلٌ لهمُ عنكَ ، وأمانٌ لأحدائِهِمْ بعدَكَ ، وإنْ كانَ لا أمانَ للدهرِ
ولا ثقةً بالأيامِ .

قد أدَّيْتُ إلى الملكِ ما رأيتهُ لي حظاً ، وعليَّ حقاً مِنْ إجابتي إِيَّاهُ إلى
ما سألتني عنه ، ومحضتُهُ النصيحةَ فيه ، والملكُ أعلى عينا ، وأنفذُ رويةً ،
وأفضلُ رأياً ، وأبعدُ همةً فيما استعانَ بي عليه ، وكَلَّفني تبيينَهُ ، والمشورةَ
عليهِ فيه ، لا زالَ الملكُ مُتعرِّفاً مِنْ عوائدِ النعمِ ، وعواقبِ الصنعِ ، وتوطيدِ
الملكِ ، وتنفيسِ الأجلِ ، ودركِ الأملِ . . ما تأتي فيه قدرتهُ على غايةِ أقصى
ما تنالُهُ قدرةُ البشرِ ، والسلامُ الذي لا انقضاءَ له ولا انتهاءً ، ولا غايةً ولا
فناءً ، فليكنْ على الملكِ .

وَمِنْ كِتَابِ أَرَسْطُو هَذَا يَسْتَحْكُمُ لَكَ فَهَمْ قَوْلِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ السَّابِقِ :
(تَعَلَّمُهُمْ وَكَأَنَّكَ تَعَلَّمْتُمْ مِنْهُمْ ، وَتُوَدِّدُهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَأَدَّبُ بِهِمْ) ، وَتَعْرِفُ كَيْفَ
ذَلِكَ ، وَمَنْهُ تَعْرِفُ أَيْضاً - إِذْ كَانَ تَرْجَمَةَ كَلَامِ يُونَانِيٍّ - أَنَّ التَّشْبِيهَ وَالِاسْتِعَارَةَ
لَا يَخْصَّانِ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ ؛ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ : (صَهْلَةٌ سَبَقَكَ ، وَبَرُوزٌ شَأُوكَ) .

وَفِي قَوْلِهِ : (أَوَالِيهِ وَتَوَالِيهِ) تَغْيِيرُ اللَّفْظِ لِأَجْلِ تَحْصِيلِ الْإِزْدَوَاجِ بَيْنَ
الْكَلِمَتَيْنِ بِقَلْبِ لَفْظِ (أَوَائِلَ) ، وَقَدْ ثَبَتَ جَوَازُ ذَلِكَ حَيْثُ كَانَ التَّغْيِيرُ مَقَارِباً
بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَائِحَاتٍ خَرَجْنَ خَلْفَ الرِّجَالِ : « أَرْجَعْنَ مَا زُورَاتٍ
غَيْرَ مَا زُورَاتٍ » ^(١) ، فَغَيَّرَ (موزوراتٍ) مِنْ الزورِ لِذَلِكَ .

[كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ لِلْحَجَّاجِ مَعَ جَوَابِهِ]

صُورَةُ كِتَابٍ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ لِلْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ وَجَوَابُهُ مِنْهُ لَهُ :
تَشْتَمِلُ عَلَيْهِمَا حِكَايَةٌ مَنَاسِبَةٌ لِلْغَرَضِ الْمُعَوَّلِ عَلَيْهِ فِي نَقْلِ هَذِهِ الْكِتَابِ ؛
لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَلِمِ الْعَرَبِيِّ ، وَالْأَحْوَالِ الَّتِي تُحِبُّ الْأَنْفُسُ الشَّرِيفَةُ
الاطِّلَاعَ عَلَيْهَا .

قَالَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَا حِظُّ ^(٢) : كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مِرْوَانَ سَنَانَ قَرِيشٍ
وَسَيْفَهَا رَأياً وَحِزْماً ، وَعَابَدَهَا قَبْلَ أَنْ يُسْتَخْلَفَ وَرِعاً وَزَهْداً ، فَجَلَسَ يَوْماً
فِي خَاصَّتِهِ ، فَقَبِضَ عَلَى لِحْيَتِهِ فَشَمَّهَا مَلِيّاً ، ثُمَّ اجْتَرَّ نَفْسَهُ وَنَفَخَ نَفْخَةً
أَطَالَهَا ، ثُمَّ نَظَرَ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ فَقَالَ : مَا أَقُولُ يَوْمَ الْمَسْأَلَةِ عَنْ أَمْرِ الْحَجَّاجِ
وَقَدْ أَدْحَضَ الْمُحْتَجُّ عَلَى الْعَلِيمِ بِمَا طَوَّعَهُ الْحُجُبُ ؟ أَمَا إِنَّ تَمْلِكِي لَهُ قَرْنَ
بِي لَوْعَةً يُلْهِبُهَا التَّدْكَارُ ، كَيْفَ وَقَدْ عَلِمْتُ فَتَعَامَيْتُ ، وَسَمِعْتُ فَتَصَامَمْتُ ،
وَحَمَلَهُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ؟! وَاللَّهِ ؛ لَكَأَنِّي آلَفُ هَذَا الطَّعْنَ عَلَى نَفْسِي بَعْدَ أَنْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (١٦٦٣) عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) انظُرْ « الْعَقْدُ الْفَرِيدُ » (٢٠/٥ - ٢٩) .

نَعَتِ الأَيَّامُ بِتَصَرُّفِهَا نَفْسًا حَقَّ لَهَا الوَعِيدُ بِتَصَرُّمِ الزَّوَالِ ، وَمَا أَبَقَتِ الشَّبَهَةُ لِلْبَاقِي مُتَعَلِّقًا ، وَمَا هُوَ إِلَّا الغُلُّ الكَامِنُ ، اللّهُمَّ ؛ أَنْتَ لِي أَوْسَعُ ، غَيْرَ مُنْتَصِرٍ وَلَا مُعْتَذِرٍ .

قُلْتُ : هَذَا الكَلَامُ يَخْتَبِرُ بِهِ مَا فِي نَفُوسِ القَوْمِ الذِينَ ظَهَرَ مِنْهُمُ أَمَارَاتُ الغِيظِ مِنَ الحَجَّاجِ عَلَى ثِقَةٍ عِبِدِ المَلِكِ بِهِ وَاخْتِيَارِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، وَطَرَحَ كُلَّ مَا يُقَالُ فِيهِ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَقُومُ أَحَدٌ بِمَا قَامَ بِهِ الحَجَّاجُ .

ثُمَّ قَالَ : يَا كَاتِبُ ؛ هَاتِ الدَّوَاةَ والقِرطَاسَ ، فَقعَدَ كَاتِبُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَمَلَى عَلَيْهِ : بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عِبِدِ اللّهِ عِبِدِ المَلِكِ بْنِ مَرَوَانَ إِلَى الحَجَّاجِ بْنِ يوسُفَ .

أَمَّا بَعْدُ : فَقد أَصْبَحْتُ بِأَمْرِكَ بَرِمًا ، يَقْعُدُنِي الإِسْفَاقُ ، وَيَقِيمُنِي الرِّجَاءُ ، عَجَزْتُ فِي دَارِ [السَّعَةِ] وَتَوَشَّطِ المَلِكِ وَحِينَ المَهْلِ وَاجْتِمَاعِ الفِكْرِ . . أَلْتَمَسُ العَذْرَ فِي أَمْرِكَ ؛ فَأَنَا - لَعَمْرُ اللّهِ - فِي دَارِ الجَزَاءِ ، وَعَدَمِ السُّلْطَانِ ، وَاشْتِغَالِ النَفْسِ ، وَالرُّكُوبِ إِلَى الذَّلَّةِ مِنْ نَفْسِي ، وَالتَّوَقُّعِ لِمَا طُوِيَتْ عَلَيْهِ الصُّحُفُ . . أَعْجِزُ ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْرِكُكَ فِيمَا طَوَّقَنِي اللّهُ حَمَلَهُ ، وَأَلَاثَ بِحَقْوِي مِنْ أَمَانَةِ اللّهِ فِي هَذَا الخَلْقِ المَرعِيِّ ، فَذَلِلْتُ مِنْهُ عَلَى الحِزْمِ وَالجِدِّ فِي إِمَاتَةِ بَدْعَةٍ وَإِنْعَاشِ سُنَّةٍ ، فَقعَدْتُ عَنْ تِلْكَ ، وَنَهَضْتُ بِمَا عَانَدَهَا ، حَتَّى صرْتُ حُجَّةَ العَائِبِ ، [وَعَذَرَ] اللّاعِنِ وَالشّاهِدِ القَائِمِ ، فَلَعَنَ اللّهُ أَبَا عَقِيلٍ وَمَا نَجَلَ ، فَأَلَامَ وَالدِّ وَأَخْبِثَ نَسْلٍ ، فَلَعْمَرِي ؛ مَا ظَلَمَكُمُ الزَّمَانُ ، وَلَا قَعَدْتُ بِكُمْ المَرَاتِبُ ، لَقَدْ أَلْبَسْتُكُمْ مَلْبَسَكُمْ ، وَأَقْعَدْتُكُمْ عَلَى رِوَابِي خَطِطَكُمْ ، وَأَحْلَيْتُكُمْ عَلَى قَدْرِ مَنَعَتِكُمْ ، فَكُنْتُمْ بَيْنَ حَافِرٍ وَنَاقِلٍ وَمَاتِحٍ فِي الفَلَوَاتِ القَفْرَةِ ، مَا تَقَدَّمَ بِكُمْ الإِسْلَامُ ، وَلَقَدْ تَأَخَّرْتُمْ ، وَمَا الطَّائِفُ مَنَّا بِبَعِيدٍ يَجْهَلُ أَهْلَهُ .

ثُمَّ قَمَتَ بِنَفْسِكَ ، وَطَمَحَتْ بِهَيْمَتِكَ ، وَسَرَّكَ انْتِضَاءُ سَيْفِكَ ، فَاسْتَخْرَجَكَ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْوَانِ رُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ وَشَرْطِيَّتِهِ وَأَنْتَ عَلَى مَعَاوَنَتِهِ يَوْمَئِذٍ
 مُحْسُودٌ ، فَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهُ يُصَلِّحُ بِالتَّوْبَةِ وَالْغَفْرَانِ زَلَّتَهُ ، [وَكَأَنِّي]
 بِكَ وَكَأَنَّ مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ . . لَكَانَ خَيْرًا مِمَّا كَانَ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ تَجَاسِرِكَ
 وَتَحَامُلِكَ عَلَى الْمَخَالَفَةِ لِرَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَفَرَعْتَ صِفَاتِنَا ، وَهَتَكْتَ
 حُجُبَنَا ، وَبَسَطْتَ يَدَيْكَ تَحْفُنُ بِهِمَا مِنْ كِرَائِمِ ذَوِي الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ وَالْأَرْحَامِ
 الْوَاشِحَةِ فِي أَوْعِيَةِ ثَقِيفٍ !!

فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدُنْبِ مَا لَهُ عَذْرٌ ، فَلَمَّا اسْتَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ الرَّأْيَ . .
 فَلَقَدَ حَالَتِ الْبَصِيرَةُ فِي ثَقِيفٍ بِصَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ؛ إِذْ
 ائْتَمَنَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَكَانَ عَبْدُهُ ، فَهَرَبَ بِهَا عَنْهُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا اخْتِبَارٌ لِلثَّقَةِ ،
 وَالْمَطْلَبُ لِمَوَاضِعِ الْكِفَايَةِ ، فَفَعَدَ فِيهِ الرَّجَاءَ كَمَا قَعَدَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا
 نَصَّبَكَ لَهُ ، فَكَأَنَّ هَذَا أَلْبَسَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُوبَ الْعِزَاءِ ، وَنَهَضَ بَعْدَرِهِ
 إِلَى اسْتِنشَاقِ نَسِيمِ الرُّوحِ ، فَاعْتَزَلَ عَمَلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَطْعَنَ عَنْهُ بِاللَّعْنَةِ
 اللَّازِمَةِ وَالْعَقُوبَةَ النَّاهِكَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِذَا اسْتَحْكَمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَحَاوُلُ
 مِنْ رَأْيِهِ ، وَالسَّلَامُ .

وَدَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ : نِبَاتَةٌ ، لَهُ لِسَانٌ وَفَضْلٌ رَأْيٍ ، فَنَاوَلَهُ
 الْكِتَابَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا نِبَاتَةٌ ، الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ حَتَّى تَأْتِيَ الْعِرَاقَ ، فَضَعُ
 هَذَا الْكِتَابَ فِي يَدِ الْحَجَّاجِ ، وَتَرَقَّبَ مَا يَكُونُ مِنْهُ ، فَإِنْ جَبَنَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ
 وَاسْتِيعَابِ مَا فِيهِ . . فَاقْلَعُهُ عَنْ عَمَلِهِ ، وَانْقَلِعْ مَعَهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ ، وَهَدِيٌّ
 النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي بِمَا تَصِفُنِي بِهِ فِي حِينِ انْقِلَاعِكَ مِنْ حُبِّي لَهُمْ
 السَّلَامَةَ ، وَإِنْ هَشَّ لِلْجَوَابِ ، وَلَمْ تَأْخُذْهُ الْحَيْرَةُ . . فَخُذْ مِنْهُ مَا يَجِيبُ بِهِ ،
 وَأَقْرِرْهُ عَلَى عَمَلِهِ ، ثُمَّ اعْجَلْ عَلَيَّ بِجَوَابِهِ .

(١) في « العقد الفريد » : (٢٢/٥) : (جالت البصيرة) بدل (حالت البصيرة) .

قال نباتة: فخرجتُ قاصداً إلى العراقِ ، فضمّنتني الصحاري والفيافي ، واحتواني القرُ ، وأخذتُ مني السفرُ حتى وصلتُ ، فلما وردتُهُ . . أدخلتُ عليه وعليّ شحوبُ مُضنيّ ، وقد تَوَسَّطَ خدمُهُ مِنْ نواحيه ، وتَدَثَّرَ بمطرفِ خَزِرٍ أدكنَ ، ولاتَ بهِ الناسُ مِنْ بينِ قائمِ وقاعدِ ، فلما نظرَ إليّ - وكانَ لي عارفاً - قعدَ ، ثمَّ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الوَجَلِ ، ثمَّ قالَ : أهلاً بك يا نباتةُ ، أهلاً بمولى أميرِ المؤمنينَ ، لقد أثَّرَ فيكَ سفرُكَ ، وأعرفُ أميرَ المؤمنينَ بك ضنيناً ، فليت شعري !! ما دَهَمَكَ أو دَهَمَنِي عندهُ ؟ قالَ : فسلمتُ وقعدتُ ، فسألَ : ما حالُ أميرِ المؤمنينَ وخولِهِ ؟

فلما هدأ . . أخرجتُ له الكتابَ ، فناولتُهُ إيَّاهُ ، فأخذهُ مني مُسرِعاً ويدهُ تُرعدُ ، ثمَّ نظرَ في وجوهِ الناسِ ، فما شعرتُ إلَّا وأنا معه ليسَ معنا ثالثُ ، وصارَ كلُّ مَنْ يطيفُ مِنْ خدمِهِ يلقاهُ خالياً ، لا يسمعونَ منا إلَّا الصوتَ ، فلا يقربونَ ، ففكَّ الكتابَ فقرأهُ ، وجعلَ يتشاءبُ ويُردِّدُ تشاؤبهُ ، ويسيلُ العرقُ على جبينِهِ وضدغيهِ على شِدَّةِ البردِ مِنْ تحتِ قلنسوتِهِ ، وعلى رأسِهِ عمامةُ خَزِرٍ خضراءُ ، وجعلَ يشخصُ إليّ ببصرِهِ ساعةً كالمُتوهِّمِ ، ثمَّ يعودُ إلى قراءةِ الكتابِ ، ويلاحظُني النظرَ كالمُتفهِمِ ، إلَّا أَنَّهُ واجمٌ ثمَّ يُعاوِدُ الكتابَ ، وإني لأقولُ : ما أراهُ يُثَبِّتُ حروفَهُ مِنْ شِدَّةِ [اضطرابِ] يدهِ ، حتى استقصى قراءتَهُ ، ثمَّ مالتَ يدهُ حتى وقعَ الكتابُ على الفراشِ ، ورجعَ إليه ذهنُهُ ، فمسحَ العرقَ عن جبينِهِ ثمَّ قالَ مُتمثِّلاً :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
قُبْحَ وَاللَّهِ مَنَا الْحَسَنُ يَا نَبَاتَةَ ، وتواكلتُنا عندَ أميرِ المؤمنينَ الألسنُ ، وما هذا إلا سانحُ فكرةٍ نَمَقَها مُزِصِدٌ يكلِّبُ بقصَّتينا معَ حسنِ رأيِ أميرِ المؤمنينَ فينا ، يا غلامُ ؛ فتبادرَ الغلمانُ الصيحةَ فمُلِعَ علينا منهمُ المجلسُ ،

حتى دَفَأْتَنِي مِنْهُمُ الْأَنْفَاسُ ، فقالَ : الدَّوَاءُ وَالْقِرطَاسَ ، فَأَتَيْتِي بِدَوَاءٍ وَقِرطَاسٍ ، فكَتَبَ بِيَدِهِ وَمَا رَفَعَ الْقَلَمَ إِلَّا مُسْتَمِدًّا ، حتى سَطَرَ مِثْلَ خَدِّ الْفَرَسِ .

فلَمَّا فَرَعَ . . قَالَ لِي : يَا نَبَاتَةُ ؛ هَلْ عَلِمْتَ مَا جِئْتَ بِهِ فَنَسْمَعُكَ مَا كَتَبْنَا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : إِذَا حَسِبُكَ مِثًّا مِثْلَهُ ، ثُمَّ نَاوَلَنِي الْجَوَابَ ، وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ فَأَجَزَلْ ، وَجَرَّدَ لِي كِسَاءً ، وَدَعَا لِي بِطَعَامٍ ، فَأَكَلْتُ ، ثُمَّ قَالَ : نَكُلُّكَ إِلَيَّ مَا أَمَرْتَ بِهِ مِنْ عَجَلَةٍ أَوْ تَوَانٍ ، وَإِنِّي لِأَحِبُّ مَقَارِنَتَكَ وَالْأُنْسَ بِرُؤْيَتِكَ ، فَقُلْتُ : كَانَ مَعِيَ قَفْلٌ مِفْتَاحُهُ عِنْدَكَ ، وَمِفْتَاحُ قَفْلِكَ عِنْدِي ، فَمَا جَدْتُ لَكَ الْوَافِيَةَ بِالْأَمْرَيْنِ ^(١) ، فَأَقْفَلْتَ الْمَكْرُوهَ ، وَفَتَحْتَ الْعَافِيَةَ ، وَمَا سَاءَنِي ذَلِكَ ، وَمَا أَحِبُّ أَنْ أَزِيدَكَ بَيَانًا .

قُلْتُ : الْوَافِيَةُ : الْوَفَاءُ ، وَقَوْلُهُ : (فَأَقْفَلْتَ) دَعَاءٌ ؛ أَي : جَعَلَنِي اللَّهُ سَبَبًا لِانْصِرَافِ الْمَكْرُوهِ ، وَإِقْبَالِ الْمَحْبُوبِ .

ثُمَّ قَالَ : ثُمَّ نَهَضْتُ ، وَقَامَ مُودِعًا لِي ، فَالْتَزَمَنِي وَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، رَبِّ لَفِظَةٌ مَسْمُوعَةٌ وَمَحْتَقِرٌ نَافِعٌ ، فَكُنْ كَمَا أَظُنُّ ، فَخَرَجْتُ مُسْتَقْبِلًا وَجْهِي ، حتى وَرَدْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَجَدْتُهُ مُنْصَرِفًا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَلَمَّا رَأَنِي . . قَالَ : مَا اجْتَوَاكَ الْمَضْجَعُ يَا نَبَاتَةُ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ خَافَ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ . . أَدْلَجَ ، فَسَلَّمْتُ وَانْتَبَذْتُ عَنْهُ ، فَتَرَكَنِي حتى سَكَنَ جَاشِي .

ثُمَّ قَالَ : مَهِيْمٌ ؟ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَهُ مُتَبَسِّمًا ، فَلَمَّا مَضَى فِيهِ . . ضَحِكَ حتى بَدَتْ لَهُ سُنُّ سِوْدَاءَ ، ثُمَّ اسْتَقْصَاهُ ، فَانْصَرَفَ إِلَيَّ فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَ إِشْفَاقَهُ ؟ قَالَ : فَقِصَصْتُ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ : صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى الصَّادِقِ الْأَمِينِ ؛ « إِنَّ مِنْ أَلْبَيَانٍ لَسِحْرًا » .

(١) العبارة في «العقد الفريد» (٢٥/٥) : (فأحدثت لك) بدل (فما جدت لك) .

ثُمَّ قَذَفَ الْكِتَابَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقَرَأْتُهُ ، فَإِذَا فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِعَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
وَالْمُؤَيَّدِ بِالْوَالِيَةِ ، الْمَعْصُومِ مِنْ خَطْلِ الْقَوْلِ وَزَلْلِ الْفِعْلِ بِكِفَالَةِ اللَّهِ الْوَاجِبَةِ
لذَوِي أَمْرِهِ ، مِنْ عَبْدٍ اِكْتَنَفَتْهُ الذَّلَّةُ ، وَمَدَّ بِهِ الصَّغَارُ إِلَى وَخِيمِ الْمَرْتَعِ وَوَبِيلِ
الْمَكْرَعِ ، مِنْ جَائِلٍ قَادِحٍ وَمَعْتَرٍ فَادِحٍ ^(١) ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي
اتَّسَعَتْ فَوْسَعَتْ ، وَكَانَ بِهَا التَّقْوَى إِلَى أَهْلِهَا قَائِدًا ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ
رَاجِيًا لِعَطْفِكَ بِعَطْفِهِ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

أَمَّا بَعْدُ : كَانَ اللَّهُ لَكَ بِالذَّعَةِ فِي دَارِ الزَّوَالِ ، وَالْأَمْنِ فِي دَارِ الزَّلْزَالِ ؛ فَإِنَّهُ
مَنْ عُنِيَتْ بِهِ فِكْرَتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَخْصُوصًا ، فَمَا هُوَ إِلَّا سَعِيدٌ يُوَثَّرُ ، أَوْ
شَقِيٌّ يُوْتَرُ ، وَقَدْ حَجَبَنِي عَنْ نَوَاطِرِ السَّعْدِ لِسَانٌ مَرْصِدٌ ، وَنَافِثٌ حَقْدٌ انْتَهَزَ
بِهِ الشَّيْطَانُ حِينَ الْفِكْرَةِ ، فَافْتَتَحَ بِهِ أَبْوَابَ الْوَسْوَاسِ بِمَا تَحْتَوِيهِ الصُّدُورُ ،
فَوَا غَوَاثَهُ بِاسْتِعَاذَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَجِيمٍ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ،
وَاعْتِصَامًا بِالتَّوَكُّلِ عَلَى مَنْ خَصَّصَهُ بِمَا أَجْزَلَ لَهُ مِنْ قِسْمِ الْإِيمَانِ وَصَادِقِ
السَّنَةِ ، فَقَدْ أَرَادَ اللَّعِينُ أَنْ يَفْتَقَ لِأَوْلِيَائِهِ فَتَقًا نَبَا عَنْهُ كَيْدُهُ ، وَكَثُرَ عَلَيْهِ
تَحَسُّرُهُ ، بَلِيَّةٌ قَرَعَتْ بِهَا فِكْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُلْتَبِسًا ، وَكَادِحًا [وَمُؤْرَشًا] ؛ لِيَقْلَّ
مِنْ غَزْبِهِ الَّذِي نَصَبَنِي ، وَيَصِيبَ ثَأْرًا لَمْ يَزَلْ بِهِ مَوْتورًا ، وَأَذْكَرُهُ قَدِيمَ مَا مَتَّ
بِهِ الْأَوَائِلُ حَتَّى لِحَقَّتْ بِمِثْلِهِ مِنْهُمْ وَبِمَا كُنْتُ أَبْلُوهُ مِنْ خِسَّةِ أَقْدَارٍ وَمَزَاوِلَةٍ
أَعْمَالٍ ، إِلَى أَنْ وَصَلْتُ ذَلِكَ بِالتَّشْرِيطِ لِرُوحِ بِنِ زَنْبَاعٍ .

وَقَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ مَا اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْعِلْمِ
الْمَأْثُورِ الْمَاضِي ؛ بِأَنَّ الَّذِي عُيِّرَ بِهِ الْقَوْمُ [مِنْ] مَصَانِعِهِمْ مِنْ أَشَدِّ مَا كَانَ
يَزَاوِلُهُ أَهْلُ الْقُدَمَةِ الَّذِينَ اجْتَبَى اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ اعْتَصَمُوا وَامْتَعَضُوا مِنْ ذِكْرِ
مَا كَانَ ، وَارْتَفَعُوا بِمَا يَكُونُ ، وَمَا جَهَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَلِلْبَيَانِ مَوْقِعُهُ غَيْرَ

(١) فِي « الْعَقْدِ الْفَرِيدِ » (٢٥ / ٥) : (مِنْ جَلِيلِ فَادِحٍ وَمَعْتَدٍ قَادِحِ) .

مُحتَجِّ ولا مُعتدِّ - أن متابعه روح بن زباع طريقاً إلى الوسيلة لمن أراد من فوقه ، وأن روحاً لم يلبسني العزم الذي به رفعني أمير المؤمنين عن خوله ، وقد أصفقني بروح بن زباع همة لم تزل نواظرها ترمي بي البعيد ، وتطالع الأعلام .

وقد أخذت من أمير المؤمنين نصيباً اقتسمه الإشفاق من سخطه ، والمواظبة على موافقته ، فما بقي لنا بعد الإصابة أمرٌ تجول به النفس وتطرف النواظر ، ولقد سرت بعين أمير المؤمنين سير المُنْتَبِطِ لمن يتلوه ، المتطاول لمن يقدمه ، غير مُنبِتٍ مُوجِبٍ ، ولا مُتثاقِلٍ مُجِحِفٍ ، ففتُّ الطالب ، ولحقت الهارب ، حتى ثارت السُّنَّةُ ، وبادت البدعة ، وخسأ الشيطان ، وحملت الأديان إلى الجادة العظمى والطريقة المثلى .

فهاأنذا يا أمير المؤمنين نُصب المسألة لمن رامني ، وقد عقدت الحبوة ، وقرنت الوظيفين لقائل مُحتَجِّ ، أو لائم مُلتَجِّ ، وأمير المؤمنين ولي المظلوم ، ومعقل الخائف ، وستظهر له المحنة نأباً أمري ، ولكل نأباً مُستقرُّ ، وما حفنت يا أمير المؤمنين في أوعية ثقيف حتى روي الظمان ، وبطن الغرثان ، وغصت الأوعية ، وانقدت الأوكية في آل مروان ، فأخذت ثقيف فضلاً صار لها ، لولاه . . . لقطنت السابلة^(١) .

ولقد كان ممّا أنكره أمير المؤمنين من تحاملي ، وكان ممّا لو لم يكن . . . لعظم الخطب فوق ما كان ، وإن أمير المؤمنين لرابع أربعة ؛ أحدهم ابنه شعيب النبي صلى الله عليه وسلّم ؛ إذ رمت بالظن [غرض] اليقين تفرساً في النجى المصطفى بالرسالة ، فحق لها فيه الرجاء ، وزالت شبهة الشك بالاختبار ، وقبلها العزيز في يوسف ، ثم الصديق في الفاروق رحمة الله عليهما ، وأمير

(١) في «العقد الفريد» (٢٧/٥) : (لولاهم للقطته السابلة) .

المؤمنين في الحجاج ، وما حسد الشيطان [يا أمير] المؤمنين خاملاً ، ولا شراً بغير شجى ، فكم غبطة [يا أمير] المؤمنين الرجيم أدبر منها وله عواء ، وقد قلت حيلته ووهن كيدته يوم كيت وكيت ، ولا أظن أذكر لها من أمير المؤمنين .

ولقد سمعتُ لأمير المؤمنين في صالح صلوات الله عليه في ثقيف مقالاً ، هجم بي الرجاء لعدله عليه بالحجة في رده بمحكم التنزيل ، على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؛ فقد أخبر عن الله عز وجل بحكاية [عن] الملاء من قريش عند الاختيار والافتخار وقد نفخ الشيطان في مناخرهم ؛ قالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، فوقع اختيارهم عند المباهاة بنفخة [الكفر] وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومي وأبي مسعود الثقفي ، فصارا في الافتخار بهما صنوين ، ما أنكر اجتماعهما من الأمة منكراً في مد صوت القرآن ومبلغ الوحي ، وإن كان يُقال للوليد في الأمة يومئذ : ربحانه قريش ، وما رد ذلك العزيز تعالى إلا بالرحمة الشاملة في القسم السابق ؛ فقال عز وجل : ﴿ أَهْرَ يَقْسُمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

وما قدمني - يا أمير المؤمنين - ثقيف في الاحتجاج لها ، وإن لها مقالاً رحباً ، ومعاندة قديمة ، إلا أن هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب ، والأمير إلى أمير المؤمنين ، عزل أم أقر ، وكلاهما عدل متبع ، وصواب معتدل ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله .

قال نباتة : فأتيت على الكتاب بمحضر أمير المؤمنين عبد الملك ، فلما استوعبته . . سارقتُه النظر على الهيبة منه ، فصادف لحظي لحظه ،

(١) سورة الزخرف : (٣٢) .

فَقَالَ : اقْطَعُهُ ، وَلَا تُعَلِّمَنَّ بِمَا كَانَ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ . . فشا عَنِّي الْخَبْرُ .

إِنَّكَ تَنْظُرُ أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ بِلَاغَةٍ عَالِيَةٍ ، وَسِيَّاسَةً مُحْكَمَةً ، تَعْرِفُ مِنْهَا قَدْرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَالْحَجَّاجُ ، وَكَيْفَ كَانَ عَلُوُّ أَمْرِ الدَّوْلَةِ [يَوْمَ ذَلِكَ] .

[كِتَابٌ آخَرُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْحَجَّاجِ مَعَ جَوَابِهِ]

وهذه حكاية ثانية هي أوفق بالعرض من الأولى ، تشتمل أيضاً على كتاب وجوابه لهما^(١) ، وأمور تستفيد بمعرفتها زيادة مكنة مما تحاول أن تصل إلى معرفته ، والتحقق بما يستبين لك من آدابه .

قال سعيد بن جويرية^(٢) : خرجت خارجة على الحجَّاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معه ، فأبى ، فكتب إليه يشتمه ، فكتب أنس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان يشكوه ، وأدرج كتاب الحجَّاج في جوف كتابه .

قال إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر : بعث إليَّ عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعث إليَّ في مثلها ، فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقاً وغيظاً ، فقال : يا إسماعيل ؛ ما أشد عليَّ أن تقول الرعية : ضَعَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَضَاقَ ذَرْعُهُ فِي رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لَا يَقْبَلُ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَلَا يَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْ سَيِّئَةٍ ، فَقُلْتُ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَيَّ يَذْكُرُ

(١) كذا في الأصل ، والمراد : تشتمل على كتاب من الحجَّاج وأنس بن مالك رضي الله عنه إلى عبد الملك ، وجوابه لهما ، كما يظهر من السياق .

(٢) انظر « العقد الفريد » (٣٦/٥ - ٤١) .

أَنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ وَأَسَاءَ جَوَارَهُ ، وَقَدْ كَتَبْتُ فِي ذَلِكَ كِتَابَيْنِ ؛ كِتَابًا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَالْآخَرَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَاقْبِضْهُمَا ثُمَّ أَخْرَجْ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَإِذَا وَرَدَتِ الْعِرَاقَ . . فابْدَأْ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَادْفَعْ لَهُ كِتَابِي ، وَقُلْ لَهُ : اشْتَدَّ عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَيْكَ ، وَلَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ آتَيْتِ الْحَجَّاجَ فَادْفَعْ إِلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَقُلْ لَهُ : قَدْ اغْتَرَرْتُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَرَّةً لَا أَظُنُّهُ يَخْطُئُكَ [شُرْهَا] ، ثُمَّ أَفْهَمَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ وَمَا يَكُونُ مِنْهُ حَتَّى تَفْهَمَنِي إِيَّاهُ إِذَا قَدِمْتَ عَلَيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَاقْبِضْتُ الْكِتَابَيْنِ ، وَخَرَجْتُ عَلَى الْبَرِيدِ حَتَّى قَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، فَبَدَأْتُ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي مَنْزِلِهِ ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ، فَدَعَا لَهُ وَجَزَاهُ خَيْرًا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ . . قُلْتُ لَهُ : أبا حمزة ؛ إِنَّ الْحَجَّاجَ عَامِلٌ ، وَلَوْ وُضِعَ لَكَ فِي جَامِعَةٍ . . قَدَرَ أَنْ يَضْرَكَكَ وَيَنْفَعَكَ ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَصَالِحَهُ ، قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، لَا أَخْرُجُ عَنْ رَأْيِكَ .

ثُمَّ أَتَيْتُ الْحَجَّاجَ ، فَلَمَّا رَأَنِي . . رَحَّبَ وَقَالَ : وَاللَّهِ ؛ لَقَدْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَرَاكَ فِي بَلَدِي هَذَا ، قُلْتُ : وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَرَاكَ وَأَقْدَمَ عَلَيْكَ بغيرِ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكَ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : فَارَقْتُ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ أَغْضَبُ النَّاسِ عَلَيْكَ ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَجَعَلَ يَقْرُؤُهُ وَجَبِينُهُ يَعْزِقُ ، فَمَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ارْكَبْ بِنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قُلْتُ لَهُ : لَا تَفْعَلْ ؛ فَإِنِّي سَأَتَلَطَّفُ بِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكَ ، وَذَلِكَ لِلَّذِي أَشْرْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحَتِهِ .

قَالَ : فَفَكَتَبْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسَفَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَّتْ بِكَ الْأُمُورُ ، فَطَغَيْتَ وَعَلَوْتَ فِيهَا حَتَّى جَزْتَ قَدْرَكَ ، وَعَدَوْتَ

طورك ، وايم الله يا بن المستفرمة بعجم زيب الطائف ؛ لأغمزتك كبعض
غمزات الليوث للشعال ، ولأركضتك ركضة تدخل منها في وجرارك .

اذكر مكاسب آباتك بالطائف ؛ إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ،
ويحفرون الآبار في المناهل بأيديهم ، فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك
من الدناءة واللؤم والضراعة .

وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، جراءة منك على أمير المؤمنين ، وغرّة بمعرفة
غيره [ونقماته] وسطواته على من خالف سبيله ، وعمد إلى غير محبته ،
ونزل عند سخطه ، وأظنك أردت أن تزورّه بها لتعلم ما عنده من التغيير
والتنكير فيها ؛ فإن سوغتها . . مضيت قُدماً ، وإن غصصت بها . . وليت
دبراً ، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين ، أصك الرجلين ، ممسوح
الجاعرتين .

وايم الله ؛ لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً ، وانتهكت له
عرضاً فيما كتب به إلى أمير المؤمنين . . لبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن
حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك ، فيحكّم فيك بما أحب ، ولم يخف على
أمير المؤمنين نبؤك ، ولكل نبأ مستقر ، وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقت إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى
الحجاج ، فلما دخلنا عليه . . قال : يغفر الله لك أبا حمزة ، عجلت باللائمة ،
وأغضبت علينا أمير المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير ،
فقال أنس : إنك تزعم أننا الأشرار ، والله سمّانا الأنصار ، وقلت : إننا من
أبخل الناس ، والله يقول فينا : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) ،

(١) سورة الحشر : (٩) .

وزعمت أنا أهل نفاق ، والله تعالى يقول فينا : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ (١) ، فكان المخرج والمشتكى في ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولَّى من ذلك ما ولَّاهُ اللهُ ، وعرف من حقنا ما جهلت ، وحفظ منَّا ما ضيَّعت ، وسيحكم في ذلك ربُّهُ هو أرضى للمرضى ، وأسخط للمسخط ، وأقدر على الغير ؛ في يوم لا يشوبُ الحقُّ فيه الباطلُ ، ولا النورُ الظلمةُ ، ولا الهدى الضلالةُ ، والله ؛ لو أن اليهود أو النصارى رأَت من خدامِ موسى بنِ عمران أو عيسى بنِ مريم يوماً واحداً . . . لرأت له ما لم ترَ والي في خدمة رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم عشرَ سنين .

قال : فاعتذر إليه الحجاجُ وترضاهُ حتى قبلَ عذرهُ ورضيَ عنه ، وكتبَ برضاهُ وقبوله عذرهُ ، ولم يزل الحجاجُ له مُعظماً هائباً حتى هلكَ رضيَ اللهُ عنه .

وكتبَ الحجاجُ إلى أميرِ المؤمنينِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ : بسمِ اللهُ الرحمنِ الرحيمِ ، أمَّا بعدُ : أصلحَ اللهُ أميرَ المؤمنينِ وأبقاهُ وسهَّلَ حظَّهُ وحاطهُ ولا [عدمناه] ، فإنَّ إسماعيلَ بنَ أبي المهاجرِ رسولَ أميرِ المؤمنينِ أعزَّ اللهُ نصرهُ ، قدَّم عليَّ بكتابِ أميرِ المؤمنينِ - أطالَ اللهُ بقاءه ، وجعلني من كلِّ مكروهٍ فداءه - بذكرِ شيمتي ، وتوبيخي بأبائي ، وتعيري بما كانَ قبلَ نزولِ النعمةِ بي من عندِ أميرِ المؤمنينِ أتمَّ اللهُ نعمتهُ عليه وإحسانهُ إليه ، ويُذكِّرني أميرُ المؤمنينِ جعلني اللهُ فداءه استطالةً مِنِّي على أنسِ بنِ مالكٍ خادمِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، جراءةً [مِنِّي] على أميرِ المؤمنينِ ، وغرَّةً بمعرفةِ غيره ، ونقماتِهِ وسطواتِهِ على مَنْ خالفَ سبيلهُ وعمدَ إلى غيرِ

(١) سورة الحشر : (٩) .

محبّته ، ونزلَ عندَ سخطِهِ ، وأميرُ المؤمنينَ - أصلحَهُ اللهُ - مِنْ قرابتهِ مِنْ مُحَمَّدٍ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمامِ الهدىِ وخاتمِ النبيينَ أَحَقُّ مَنْ أَقَالَ عَشْرَتِي ، وَعفا عن ذنبي ، فأمهَلني ولم يعجلني عندَ هفوتي ، لِلذِي جُبِلَ عَلَيْهِ مِنْ كَرِيمِ طِبَائِعِهِ ، وَمَا قَلَّدَهُ اللهُ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ .

فَرَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحَهُ اللهُ فِي تَسْكِينِ رُوعَتِي ، وَ [إفراجِ] كُرْبَتِي ؛ فَقَدْ مُلِئْتُ رِعْباً وَفَرَقاً مِنْ سَطْوَتِهِ ، وَفَجْأَةً نَقَمَتِهِ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَقَالَهُ اللهُ الْعَثَرَاتِ ، وَتَجَاوَزَ لَهُ عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَضَاعَفَ لَهُ الْحَسَنَاتِ ، وَأَعْلَى لَهُ الدَّرَجَاتِ - أَحَقُّ مَنْ صَفَحَ وَعفا ، وَتَغَمَّدَ وَأَبْقَى ، وَلَمْ يُشِمْتُ فِيَّ عَدُوّاً مَكْتَباً ، وَلَا حَسُوداً مُصَبَّأً ، وَلَمْ يُجَرِّعْنِي غِصَصاً ، وَالذِي وَصَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَنِيعَتِهِ إِلَيَّ ، وَتَنَوَّيْتُهُ لِي بِمَا أَسْنَدَ إِلَيَّ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَوْطَأَنِي مِنْ رِقَابِ رَعِيَّتِهِ . . فَصَادِقٌ فِيهِ ، مَجْزِيٌّ بِالشُّكْرِ عَلَيْهِ ، وَالتَّوَشُّلُ مِنِّي إِلَيْهِ بِالوَالِيَةِ ، وَالتَّقَرُّبُ لَهُ بِالكِفَايَةِ ، وَقَدْ عَايَنَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي المِهَاجِرِ - رَسولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَامِلُ كِتَابِهِ - مِنْ نَزولِي عِنْدَ مَسْرَّةِ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ ، وَخُضُوعِي عِنْدَ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِقْلَاقِهِ إِتَائِي ، وَدخولِهِ بِالمُصِيبَةِ عَلَيَّ ، مَا سَيَعْلَمُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) .

فَإِنْ رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - طَوَّقَنِي اللهُ بِشُكْرِهِ ، وَأَعَانَنِي عَلَيَّ تَأْدِيَةَ حَقِّهِ ، وَبَلَّغَنِي إِلَى مَا فِيهِ مَوافقَةٌ مَرْضَاتِهِ ، وَمَدَّ لِي فِي أَجْلِهِ - . . أَنْ يَأْمَرَ لِي بِكِتَابِ مِنْ رِضاهُ وَسِلامَةِ صَدْرِهِ مَا يُؤَمِّنُنِي بِهِ مِنْ سَفْكِ دَمِي ، وَبِرَدِّ مَا شَرَدَ مِنْ نَوْمِي ، وَيَطْمَئِنُّ بِهِ قَلْبِي ؛ فَقَدْ وَرَدَ عَلَيَّ أَمْرٌ جَلِيلٌ خَطْبُهُ ، عَظِيمٌ أَمْرُهُ ، شَدِيدٌ عَلَيَّ كَرْبُهُ ، أَسأَلُ اللهُ أَلَّا يُسَخِطَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ يَشْبِتَهُ فِي حَزْمِهِ وَعِزْمِهِ ، وَسِياسَتِهِ وَفِراسَتِهِ ، وَمَوالِيهِ وَحِشْمِهِ ، وَعُمَّالِهِ وَصَنائِعِهِ ؛ مِمَّا يُحَمَّدُ بِهِ حَسَنُ

(١) فِي «العقد الفريد» (٤٠/٥) : (ودخوله [عليّ] بالمصيبة ، على ما سيعلمه أمير المؤمنين وينيه إليه) .

رأيه ، وبعُد هِمَّتِهِ ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالذَّابُّ عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَالصَّانِعُ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَالسَّلَامُ .

فَحَدَّثَ إِسْمَاعِيلُ أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْكِتَابَ . . قَالَ : يَا كَاتِبُ ؛ أفرخ روعَ أَبِي مُحَمَّدٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِالرِّضَا عَنْهُ .



إِنَّكَ تَعْلَمُ أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ كِتَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا وَجَوَابِهِ لِلْحَجَّاجِ وَالِي الْعِرَاقِ مِنْ قَبْلِهِ : أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَسْتَجِيزُونَ الْعُقُوبَةَ بِالشُّتْمِ وَالْإِفْحَاشِ فِي السَّبِّ وَاللَعْنِ عِنْدَ عِظَمِ الْجِنَايَةِ ، وَكَيْفَ يَتَمَلَّقُ الضَّعِيفُ الْقَوِيَّ ، وَيَحْتَمِلُ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْهُ ، وَيَتَلَقَّاهُ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ، وَقَوْلُ عَبْدِ الْمَلِكِ : (يَا بَنَ الْمُسْتَفْرَمَةِ بَعَجَمِ زَبِيبِ الطَّائِفِ) مِنْ الْإِفْحَاشِ فِي السَّبِّ ؛ فَإِنَّ الْإِسْتِفْرَامَ : هُوَ أَنْ تَأْخُذَ الْمَرْأَةُ شَيْئًا مِنَ الْأُمُورِ الْحَرِيفَةِ كَالشَّبِّ وَالْعَفْصِ وَبِزْرِ الْعَنْبِ الَّذِي هُوَ الْعَجْمُ ، فَتَجْعَلُهُ فِي خَرْقَةٍ ، وَتَضَعُهُ فِي فَرْجِهَا ؛ لِيَنْكَمَشَ فَيَضِيقَ .

وَفِي قَوْلِ عَبْدِ الْمَلِكِ صَدَرَ كَلَامِهِ : (لَا يُقْبَلُ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَلَا يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْ سَيِّئَةٍ) إِشَارَةٌ إِلَى وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْصَارِ لِمَنْ يَتَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ ؛ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مَسِيئِهِمْ ^(١) ، وَبِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ احْتَجَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي أَنَّهُ لَا حَقَّ لَهُمْ فِي الْخِلَافَةِ ، حَيْثُ كَانُوا مَوْصِيَّ بِهِمْ ، فَالْوَالِي إِذَا يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَاقْبَلُوا ذَلِكَ مِنْهُ ، وَانكُفُوا عَنْ طَلْبِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا كَانَ مِنَ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ ؛ إِذْ يَقُولُ حَالِ الْمَشُورَةِ : (أَنَا جُدَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَعُدَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ ؛ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ) ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْجَمِيعِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٩٢٧) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمُسْلِمٌ (٢٥١٠) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٨٣٠) .

[كِتَابٌ مِنْ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْحَجَّاجِ مَعَ جَوَابِهِ]

وهذه حكايةُ ثالثةٌ تشتمِلُ على كتابٍ مِنْ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيَّامَ ولايةِ أخيه الوليدِ إلى الحَجَّاجِ ، وجوابِهِ مِنَ الحَجَّاجِ إليه ^(١) : قالوا : كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَكْتُبُ إِلَى الحَجَّاجِ فِي أَيَّامِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كُتُبًا ، فَلَا يَنْظُرُ لَهُ فِيهَا ، فَكُتِبَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّكَ امْرُؤٌ مَهْتُوكٌ عَنْهُ حِجَابُ الْحَقِّ ، مُوَلَّعٌ بِمَا عَلَيْكَ لَا لَكَ ، مُنْصَرِفٌ عَنْ مَنَافِعِكَ ، تَارِكٌ لِحِطَّتِكَ ، مُسْتَخِفٌّ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَوْلِيَائِهِ ، لَا مَا سَلَفَ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ يَعْطُفُكَ ، وَلَا مَا عَلَيْكَ لَا لَكَ تَصْرِفُهُ فِي مُهَمَّةٍ مِنْ أَمْرِكَ ، مَعْمُومَةٌ مَعْصُومٌ عَنِ الْحَقِّ اعْصِيصَاءً ، لَا تَسْكُتُ عَنْ قَبِيحٍ ، وَلَا تَرْعَوِي عَنِ إِسَاءَةٍ ، وَلَا تَرْجُو لِلَّهِ وَقَارًا ؛ حَتَّى دَعَيْتَ فَاحِشًا سَبَّابًا ، فَحَسَنَ شَبْرِكَ بِفَتْرِكَ .

وَأَيْمُ اللَّهِ ؛ لَنْ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ . . لِأَدُوسَنَّكَ دُوسَةً تَلِينُ مِنْهَا فِرَائِصُكَ ، وَلَا أَجْعَلَنَّكَ شَرِيدًا فِي الْجِبَالِ تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الشَّمَالِ ، وَلَا أُعَلِّقَنَّ الرُّومِيَةَ الْحَمْرَاءَ بِشَدْيِيهَا ، عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنِّْي ، فَقَدِمًا غَرَّتْكَ الْعَافِيَةُ ، وَانْتَحَيْتَ أَعْرَاضَ الرِّجَالِ ، فَإِنَّكَ قَدَرْتَ فَبَذَخْتَ ، وَظَفَرْتَ فَتَعَدَّيْتَ ، فَرُويِدَكَ حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ يَكُونُ مَصِيرُكَ إِنْ كَانَتْ بِي وَبِكَ مُدَّةٌ أَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَإِنْ تَكُ الْآخِرَى . . فَأَرْجُو أَنْ تَوَوَّلَ إِلَى مَذَلَّةٍ ذَلِيلَةٍ ، وَخِزْيَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَيُجْعَلَ مَصِيرُكَ فِي الْآخِرَةِ شَرًّا مَصِيرٍ ، وَالسَّلَامُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ الحَجَّاجُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنَ الحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ إِلَى سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى .

(١) انظر «العقد الفريد» (٤١/٥ - ٤٣) .

أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ تَذَكُّرُ أَنِّي أَمْرٌ مَهْتَوِكُ عَنِّي حِجَابُ الْحَقِّ ،
مَوْلَعٌ بِمَا عَلَيَّ لَا لِي ، مُنْصَرِفٌ عَنِ مَنَافِعِي ، تَارِكٌ لِحَظِّي ، مُسْتَخِفٌّ بِحَقِّ اللَّهِ
وَحَقِّ وَلِيِّ الْحَقِّ ، وَتَذَكُّرُ أَنَّكَ ذُو مِصَاوِلَةٍ .

وَلَعَمْرِي ؛ إِنَّكَ لَصَبِيٌّ حَدِيثُ السِّنِّ ، تُعَذِّرُ بِقَلَّةِ عَقْلِكَ ، وَحِدَاثَةِ سِنِّكَ ،
وَيُرْقِبُ فِيكَ غَيْرُكَ ، فَأَمَّا كِتَابُكَ إِلَيَّ . . فَلَعَمْرِي ؛ لَقَدْ ضَعُفَ فِيهِ عَقْلُكَ ،
وَاسْتَخَفَّ بِهَ حِلْمُكَ ، فَاللَّهُ أَبُوكَ ، أَفَلَا انْتَصَرْتَ بِقِضَاءِ اللَّهِ دُونَ قِضَائِكَ ،
وَرَجَاءِ اللَّهِ دُونَ رَجَائِكَ ، وَأَمَّتْ غِيظُكَ ، وَأَنَمَّتْ عِدْوُكَ ، وَسَتَرْتَ عَنْهُ تَدْبِيرُكَ ،
وَلَمْ تُنَبِّهْهُ فَيَلْتَمِسْ مِنْ مَكَائِدِكَ مَا تَلْتَمِسُ مِنْ مَكَائِدَتِهِ ؟ ! وَلَكِنَّكَ لَمْ تَشْفِ
بِالْأُمُورِ عِلْمًا ، وَلَمْ تُرَزِّقْ مِنْ أَمْرِكَ حِزْمًا ، جَمَعْتَ أُمُورًا دَلَالًا فِيهَا الشَّيْطَانُ
عَلَى أَسْوَأِ أَمْرِكَ ، فَكَانَ الْجَفَاءُ مِنْ خَلِيقَتِكَ ، وَالْحَمَقُ مِنْ طَبِيعَتِكَ ، وَأَقْبَلَ
الشَّيْطَانُ بِكَ وَأَدْبَرَ ، وَحَدَّثَكَ أَنَّكَ لَنْ تَكُونَ كَامِلًا حَتَّى تَتَعَاطَى مَا يَعْبِيكَ ،
فَتَزْحَلِقَتْ صَخْرَتُكَ لِقَوْلِهِ ^(١) ، وَاتَسَعَتْ جَوَانِبُهَا لِكُذْبِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : (لَوْ مَلَكَكَ اللَّهُ . . لَعَلَّقْتَ زَيْنَبَ بِنَةَ يَوْسُفَ بِشَدَائِيهَا) فَأَرْجُو
أَنْ يَكْرِمَهَا اللَّهُ بِهَوَانِكَ ، وَأَلَّا يُوقِفَ ذَلِكَ لَكَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِكَ ، مَعَ
أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ وَالشَّيْطَانُ بَيْنَ كِتْفَيْكَ ، فَشَرٌّ مُمْلٍ عَلَيَّ شَرٌّ كَاتِبٍ
رَاضٍ بِالْخُسْفِ ، فَأَحْرَى بِالْحَمَقِ أَلَّا يَدُلَّكَ عَلَى هَدْيٍ ، وَلَا يَزُدَّكَ إِلَّا إِلَى
رَدْيٍ ، وَمَالَ بِكَ الْأَمْلُ ، وَتَحَلَّبَ فَوْكَ لِلْخِلَافَةِ ، فَأَنْتَ شَامِخُ الْبَصْرِ ، طَامِحُ
النَّظَرِ ، تَظُنُّ أَنَّكَ حِينَ تَمْلِكُهَا لَا تَنْقَطِعُ عَنْكَ مُدَّتُهَا ؟ ! إِنَّهَا لِنِعْمَةِ اللَّهِ ،
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَلْهَمَكَ فِيهَا الشُّكْرَ ، مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ تَرْغَبَ فِيهَا رَغْبَ فِيهِ
أَبُوكَ وَأَخُوكَ ، فَأَكُونَ لَكَ مِثْلِي لِهَمَا ، وَإِنْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنْخَرِكَ . . فَهَوَ
أَمْرٌ أَرَادَ اللَّهُ نَزْعَهُ عَنْكَ ، وَإِخْرَاجَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَكْمَلُ بِهَ مِنْكَ ، وَلَعَمْرِي ؛

(١) فِي « الْعَقْدِ الْفَرِيدِ » (٤٢/٥) : (فَتَزْحَلِقَتْ حَنْجَرَتِكَ لِقَوْلِهِ) .

إِنَّهَا النَّصِيحَةُ ، فَإِنْ تَقَبَّلَهَا .. فَمَثَلُهَا قُبِيلَ ، وَإِنْ تَرَدَّهَا عَلَيَّ .. اقْتَطَعْتُهَا
دُونَكَ ، وَأَنَا الْحَجَّاجُ .



زَيْنُبُ بِنْتُ يَوْسُفَ : أُخْتُ الْحَجَّاجِ ، هِيَ الَّتِي أَرَادَهَا سَلِيمَانُ بِقَوْلِهِ :
(الرُّومِيَّةُ الْحَمْرَاءُ) يَشْتُمُهَا بِذَلِكَ ، وَقَوْلُ الْحَجَّاجِ : (تَحَلَّبَ فَوْكَ لِلْخِلَافَةِ)
كَقَوْلِ النَّاسِ : (سَأَلَ لِعَابُئِهِ لِكُذَا ، وَجَرَى رِيْقُهُ) .

فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ظَهَرَتْ مِنْ سَلِيمَانَ جِهَالَاتٌ :

مِنْهَا : مَا قَالَهُ الْحَجَّاجُ فِي كِتَابِهِ مِنْ تَنْبِيهِ عَدُوِّهِ لِمَا أَضْمَرَ لَهُ ، فَإِنَّمَا أَنْ
يَلْتَمِسَ لَهُ الْمَكَائِدَ ، وَإِنَّمَا أَنْ يَحْتَرِسَ مِنْهُ حَتَّى لَا يَبْلُغَ فِيهِ مَرَامَهُ .

وَمِنْهَا : تَوَعُّدُهُ أَوْ أَنَّ عَجْزِهِ بِمَنْتَظَرِ قَدْرَةٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ .

وَمِنْهَا : تَعَرُّضُهُ لِتَحْرُكِ غَيْرَةِ السُّلْطَانِ الْقَائِمِ وَسُوءِ ظَنِّهِ بِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَ
ذَلِكَ سَبَبًا لِإِيْقَاعِهِ بِهِ وَذَهَابِهِ بِنَفْسِهِ ، فَقَدْ قِيلَ : الْمُلْكُ عَقِيمٌ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ رَبَّمَا
دَعَا الْمَلِكَ بِحَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَى أَنْ يَقْتُلَ ابْنَهُ أَوْ أَخَاهُ .

وَمِنْهَا : قَرْنُهُ نَفْسَهُ عَلَى صَغَرِ سِنِّهِ بِرَجُلٍ نَكَرَةٍ دَاهِيَةٍ تَصَرَّفَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ ،
وَمَرَّتْ عَلَى رَأْسِهِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ ، حَتَّى عَرَفَ وَجُوهَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ .

وَأَبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزِّي فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيْسِ^(١)



(١) مِنَ الْبَسِيطِ .

[تقسيم ابن خلدون الإنشاء إلى طبقات]

هذه صورة ما كانت عليه الكتابة في الطبقة الأولى ، لا ترى في الكتابة زيادة عن المقصود ، وعناية صاحبه إنما هي إيفاء تأدية المراد .

ومثل هذه الكتابة هو الذي أراد ابن خلدون بالمرسل من قسمي الكتابة ، ومدحه وعاب غيره ، وهذا هو الفصل الذي أبان فيه ذلك ؛ قال : (اعلم : أن لسان العرب وكلامهم على فئتين :

الشعر المنظوم : وهو الكلام الموزون المقفى ؛ ومعناه : الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد ؛ وهو القافية .

والنثر : وهو الكلام غير الموزون .

وكل واحد من الفئتين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام .

فأما الشعر .. فمنه : المدح ، والهجاء ، والثناء .

وأما النثر .. فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ، ومنه المرسل ؛ وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يقطع أجزاء ، بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ، ويستعمل في الخطب والدعاء ، وترغيب الجمهور وترهيبهم .

وأما القرآن وإن كان من المنشور .. إلا أنه خارج عن الوصفين ، وليس يسمى مرسلًا مطلقاً ، ولا مسجعاً ، بل مفصلٌ بآيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية ؛ وهو معنى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُثَنِّيًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴿١﴾ ، وقال ﴿ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ ﴾ ﴿٢﴾ ، وَيُسَمَّى أَوْاخِرُ الْآيَاتِ مِنْهَا فَوَاصِلٌ ؛ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا ، وَلَا التَّرِمَ فِيهَا مَا يُلتزَمُ فِي السَّجْعِ ، وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ .
 وَأُطْلِقَ اسْمُ المَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعَمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَاخْتَصَّتْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلْغَلْبَةِ فِيهَا ؛ كَالنَّجْمِ لِلثَّرِيَا ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعِ المَثَانِي ، وَانظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَتِهَا بِالمَثَانِي . . . يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرَجْحَانِ مَا قَلْنَاهُ .

وَاعْلَمُ : أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْفَنُونِ أَسَالِيبَ تَخْتَصُّ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ الْآخِرِ وَلَا تَسْتَعْمَلُ فِيهِ ؛ مِثْلُ النِّسَبِ الْمُخْتَصِّ بِالشَّعْرِ ، وَالْحَمْدِ وَالدَّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالخَطْبِ ، وَالدَّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالمُخَاطَبَاتِ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .
 وَقَدْ [اسْتَعْمَلُ] الْمُتَأَخِّرُونَ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَهُ فِي الْمُنثُورِ ؛ مِنْ كَثْرَةِ الْأَسْجَاعِ ، وَالتَّزَامِ التَّقْفِيَةِ ، وَتَقْدِيمِ النِّسَبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ ، وَصَارَ هَذَا الْمُنثُورُ - إِذَا تَأَمَّلْتَهُ - مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفَنِّهِ ، وَلَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا فِي الْوِزْنِ ، وَاسْتَمَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْكُتَّابِ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَةِ ، وَقَصَرُوا الِاسْتِعْمَالَ فِي الْمُنثُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي ارْتَضَوْهُ ، وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ ، وَهَجَرُوا الْمُرْسَلُ [وَتَنَاسَوْهُ] ، وَخُصُوصًا أَهْلَ الْمَشْرِقِ ، وَصَارَتْ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ الْغَفْلِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ ، وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ ؛ لِمَا يُلَاحَظُ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مَقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالمُخَاطَبِ .

وهذا الفنُّ المنثورُ المُقْفَى أُدخِلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ ، فَوَجِبَ

(١) سورة الزمر : (٢٣) .

(٢) سورة الأنعام : (٩٧) .

أَنْ تُنَزَّهَ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ ، وَالْمَحْمُودُ فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ ؛ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ ، وَحَيْثُ تَرَسَّلَهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ، ثُمَّ إِعْطَاءُ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مِطَابَقَتِهِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ ؛ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلَفَةٌ ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ أَسْلُوبٌ يَخُصُّهُ ؛ مِنْ إِطْنَابٍ ، أَوْ إِيْجَازٍ ، أَوْ حَذْفٍ ، أَوْ إِثْبَاتٍ ، أَوْ تَصْرِيحٍ ، أَوْ إِشَارَةٍ وَكِنَايَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ .

وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ الَّذِي هُوَ أَسَالِيبُ الشُّعْرِ . . فَمَذْمُومٌ ، وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلَ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِيْلَاءُ الْعِجْمَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مِطَابَقَتِهِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ ، فَعَجَزُوا عَنِ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ ؛ لِبَعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَانْفِسَاحِ خَطْوِهِ ^(١) ، وَوَلَعُوا بِهَذَا السَّجْعِ يُلْفِقُونَ بِهِ مَا نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمَقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ ، وَيَجْبِرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ مِنَ التَّزْيِينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعِيَّةِ ، وَيَغْفَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ .

وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ . . كُتَّابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ لِيُخْلُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مِطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهُمَا ، فَيُرَجِّحُونَ ذَلِكَ الصَّنْفَ مِنَ التَّجْنِيسِ ، وَيَدْعُونَ الْإِعْرَابَ ، وَيَفْسُدُونَ بُنْيَةَ الْكَلِمَةِ ؛ عَسَاهَا تَصَادَفُ التَّجْنِيسِ ^(٢) .

[تَقْسِيمُ طَبَقَاتِ الْإِنْشَاءِ إِلَى ثَلَاثٍ]

فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ لَكَ . . تَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَإِذَا قَرَأْتَ

(١) فِي «مَقْدَمَةِ ابْنِ خَلْدُونَ» : (وَانْفِسَاحِ خَطْوِهِ) .

(٢) انْظُرْ «مَقْدَمَةَ ابْنِ خَلْدُونَ» (ص ٥٦٦ - ٥٦٨) .

هذا الفصل من كلام ابن خلدون . . علمت أنه قد حصل في الإنشاء تغييرات تقتضي التقسيم إلى طبقات كما كان في الشعر ، وبالاستقراء وتشابه الكيفية وتقاربها في كل عصر . . تجد أنها ثلاث طبقات كطبقات الشعراء :

فأولاهـا : الأمتة العربية التي انتهت بانتهاء دولة بني أمية ؛ فإن عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان آخر ملوكهم . . يعدُّ فاتحاً للطبقة الثانية ؛ حيث أطال النفس في الكلام ، وفسح في العبارات ، وزاد عن المقاصد زيادة تُخرج الكلام عن حد الإفادة ، وتُدخله في كونه أداء رسم ، وإقامة شعيرة من شعائر الملك ؛ فإنه يحتاج لإجراء ما تضمَّنه إلى تلخيص وتفتيش عن المقصود ؛ بحيث إذا ورد الكتاب على مأمورٍ بأمرٍ ينفذه . . قال لكاتبه : خذ هذا الكتاب ، وقرأه وتأمل ما فيه ، واستخرج لي غرضه ، وخذ لي ماله ، فيتعب الكاتب في ذلك حتى يلخص عبارة صغيرة تتضمَّن المقصود ، فتكون هي روح الكتاب والمُعول عليه فيه ، ويكون الباقي بمنزلة اللغو .

وإننا لم نجد كثرة الكلام وإطالة [الكتب] إلا عند انتهاء الدولة وإشرافها على الزوال ، تجد ذلك في كل عصر ، بخلاف الحال في أوائل الدول وحين قوتها ، وكأن كثرة الأشغال بمهمات الأمور إذ ذاك لا تدع موضعاً لكثرة الأقوال ، يدلُّك على ذلك ما نُقل عن جعفر بن يحيى من قوله لكاتبه : إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات . . فافعلوا^(١) .

والتوقيع : هو ما يكتبه الكاتب عن السلطان فمن دونه من أولي الأمر في أواخر الكتب بما يريد المكتوب عنه إجراءه ؛ وذلك يكون بعبارة صغيرة وافية بالغرض ، متمكنة في باب البلاغة ، فقد كان الناس يطلبون توقيعات

(١) انظر « أدب الكتاب » للصلولي (ص ١٣٤) .

جعفر بن يحيى ، ويتنافسون في الحصولِ عليها ، حتى قيلَ : إنَّ الورقةَ مِنْ كَتَبِهِ رَبَّمَا اشْتُرِيَتْ بِدِينَارٍ .

وأما عندَ انتهاءِ الدولةِ . . فإنَّ الأمورَ تكونُ قد تَمَهَّدَتْ ، والأحوالَ قد اطمأنَّت ، وأقبلَ العظماءُ والرؤساءُ على استعمالِ اللِّدَاتِ ، والمُضَيِّعِ مَعَ الشهواتِ ، وتسييرِ الأعمالِ على الترتيبِ والتمهيدِ الذي تعبَ فيه أوائلُ تلكَ الدولةِ ، وحينئذٍ تكونُ أوقاتهمُ فارغةً ، يجدُ المُقالُ لَهُ فيها مجالاً فيتَّسِعُ ، وتطوُّلُ الكُتُبِ إلى ذلكَ الحدِّ المذمومِ الذي وقَعَتِ الإشارةُ إليه والتصريحُ بِهِ مِنْ ابنِ خلدونَ وَمَنْ تكلَّمَ مثلَ كلامِهِ ؛ فقد قيلَ : إنَّ عبدَ الحميدِ بنَ يحيى كَتَبَ عن سلطانِهِ كُتُباً جاءتْ وقرَ بعيرٍ ، ولكنْ لم يبقَ مِنْ كلامِهِ شيءٌ يتناقضُهُ الناسُ ؛ لانمحاءِ دولتِهِ ، وذهابِ آثارِها ، وخمودِ ذكْرِها ؛ إمَّا لمحبةِ الدولةِ القائمةِ ، أو الخوفِ منها والتملُّقِ لها ، كما هو الحالُ في كلِّ دولةٍ تذهبُ بقيامِ غيرها .

[وصيةُ عبدِ الحميدِ بنِ يحيى للكُتَّابِ بمحاسنِ الآدابِ]

إلَّا أَنَّهُ قد بقيَ مِنْ كلامِ عبدِ الحميدِ هذا كتابٌ أوصى فِيهِ الكُتَّابَ بمحاسنِ الآدابِ ؛ وهو مُشمِّلٌ على أدبٍ لا يَحْصُ الكُتَّابُ ، وهذه صورتهُ^(١) :

أما بعدُ : حفظكمُ اللهُ يا أهلَ صناعةِ الكتابةِ ، وحاطكمُ ووفَّقكمُ وأرشدكمُ ؛ فإنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ جعلَ الناسَ بعدَ الأنبياءِ والمرسلينَ صلواتُ اللهُ وسلامُهُ عليهم أجمعينَ وَمِنْ بعدِ الملوكِ المكرمينَ أصنافاً ، وإن كانوا في الحقيقةِ سواءً ، وصرَّفَهُمْ في صنوفِ الصِّناعاتِ وضروبِ المحاولاتِ إلى أسبابِ معاشِهِمْ وأبوابِ أرزاقِهِمْ ، فجعلكمُ معشرَ الكُتَّابِ في أشرفِ الجهاتِ ؛ أهلِ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٨٥/١ - ٨٩) .

الأدبِ والمروءاتِ ، والعلمِ والرزانةِ ، بكم تنتظمُ للخلافةِ محاسنها ، وتستقيمُ أمورُها ، وينصحاءكم يُصلحُ اللهُ للخلقِ سلطانَهُم ، وتَعُمُرُ بلدانَهُم ، لا يستغني الملكُ عنكم ، ولا يُوجدُ كافٍ إلا منكم ، فموقعُكم مِنَ الملوكِ موقعُ أسماعِهِمُ التي بها يسمعونَ ، وأبصارِهِمُ التي بها يبصرونَ ، وألسنتِهِمُ التي بها ينطقونَ ، وأيديهِمُ التي بها يبِطشونَ ، فأمتعكم اللهُ بما خَصَّكم مِنْ فضلِ صناعتِكُمْ ، ولا نزعَ عنكم ما أضافهُ مِنَ النعمةِ عليكم .

وليسَ أحدٌ مِنْ أهلِ الصناعاتِ كلِّها أحوَجُ إلى اجتماعِ خلالِ الخيرِ المحمودَةِ وخصالِ الفضلِ المذكورةِ المعدودةِ منكم أَيُّها الكُتَّابُ ؛ إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتابِ مِنْ صفتِكُمْ ؛ فَإِنَّ الكاتبَ يحتاجُ في نفسه ، ويحتاجُ منه صاحِبُهُ الذي يثقُ به في مُهمَّاتِ أمورِهِ . . أن يكونَ حليماً في موضعِ الحلمِ ، فهيماً في موضعِ الحُكْمِ ، مقداماً في موضعِ الإقدامِ ، مُحجَماً في موضعِ الإحجامِ ، مُؤثراً للعفافِ والعدلِ والإنصافِ ، كَتوماً للأسرارِ ، وفياً عندَ الشدائدِ ، عالماً بما يأتي مِنَ النوازلِ ، يضعُ الأمورَ مواضعَها ، والطَّوارقَ في أماكنِها ، قد نظرَ في كلِّ فنٍّ مِنْ فنونِ العلمِ فأحكَمَهُ وإن لم يُحكِمْهُ . . أخذَ منه بمقدارِ ما يكتفي به ، يَعْرِفُ بغريزةِ عقلِهِ ، وحسنِ أدبِهِ ، وفضلِ تجربتِهِ . . ما يَرِدُ عليه قبلَ ورودِهِ ، وعاقبةَ ما يَصْدُرُ عنه قبلَ صدوره ، فيُعَدُّ لكلِّ أمرٍ عدَّتَهُ وعتادَهُ ، ويُهَيِّئُ لكلِّ وجهٍ هيئتَهُ وعادتهُ .

فتنافسوا يا معشرَ الكُتَّابِ في صنوفِ الآدابِ ، [وتَفَقَّهوا] في الدينِ ، وابدؤوا بعلمِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ والفرائضِ ، ثمَّ العربيةِ ؛ فَإِنَّها [ثقافٌ] ألسنتِكُمْ ، ثمَّ أجددوا الخطَّ ؛ فَإِنَّهُ حليةُ كتبِكُمْ ، واروؤوا الأشعارَ ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيامَ العربِ والعجمِ ، وأحاديثها وسيرها ؛ فَإِنَّ ذلكَ مُعينٌ لكم على ما تسمو إليه هممُكم ، ولا تُضَيِّعوا النظرَ في الحسابِ ؛ فَإِنَّهُ قوامٌ

كُتَابِ الخِرَاجِ ، وَاَرغبُوا بِأَنفُسِكُمْ عَنِ المَطَامِعِ ، سَنِيهَا وَدَنِيهَا ، وَسَفَسَافِ
الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرِّقَابِ ، مَفْسَدَةٌ لِلْكَتَابِ ، وَنَزْهُوا صِنَاعَتَكُمْ
عَنِ الدَّنَاءِ ، وَارْبُؤُوا بِأَنفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الجَهَالَاتِ ،
وَإِيَّاكُمْ وَالكِبَرَ وَالسَّخْفَ وَالعِظْمَةَ ؛ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مَجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ ،
وَتَحَابُّوهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ
الْفَضْلِ وَالعَدْلِ وَالنَّبْلِ مِنْ سَلْفِكُمْ .

وَإِن نَبَا الزَّمَانَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ . . فاعطفوا عليه ، وَوَأَسُوهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالَهُ ،
وَيشوبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ ، وَإِن أَقْعَدَ أَحَدًا مِنْكُمْ الكِبَرَ عَنِ مَكْسِبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ . .
فَزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ ، وَاسْتَظْهَرُوا بِفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، وَليَكُنِ
الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلِيٌّ مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ . . أَحُوِّطْ مِنْهُ
عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ ؛ فَإِن عَرَضَتْ فِي الشَّغْلِ مُحَمَّدَةٌ . . فَلَا يَصْرِفُهَا إِلَّا إِلَى
صَاحِبِهِ ، وَإِن عَرَضَتْ مَدْمَةٌ . . فَلِيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ ، وَلِيَحْذَرِ السَّقَطَةَ وَالنَّزْلَةَ
وَالْمَمْلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ الحَالِ ؛ فَإِنَّ العَيْبَ إِلَيْكُمْ - مَعَشَرَ الكُتَابِ - أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى
الْفِرَاءِ ، وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَهَا .

فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحَبَهُ مَنْ يَبْذُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ
لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ . . فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وَفَائِهِ وَشُكْرِهِ وَاحْتِمَالِهِ
وَنَصِيحَتِهِ وَكُتْمَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ مَا هُوَ جَزَاءٌ لِحَقِّهِ ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ فَعْلُهُ
عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَالاضْطِرَارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ .

فَاسْتَشْعِرُوا ذَلِكَ - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - مِنْ أَنفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ ،
وَالحَرَمَانِ وَالمَوَاسَاةِ وَالإِحْسَانِ ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، فَنَعَمَتِ الشِّيمَةِ هَذِهِ لِمَنْ
وُسِمَ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ .

وَإِذَا وَلِيَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْ صَيَّرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ أَمْرًا . .

فليراقب الله عزَّ وجلَّ ، وليؤثر طاعته ، وليكن على الضَّعيفِ رفيقاً ، وللمظلومِ مُنصِفاً ، فإنَّ الخلقَ عيالُ الله ، وأحبُّهم إليه أرفقُهم بعياله ، ثمَّ ليكن بالعدلِ حاكماً ، وللأشرافِ مُكرِماً ، وللنبيِّ مؤفِراً ، وللبلادِ عامراً ، وللرعيةِ مُتألفاً ، وعن أذاهم مُتخلفاً ، وليكن في مجلسِهِ متواضعاً حليماً ، وفي سِجِّلاتِ خِراجِهِ واستقضاءِ حقوقِهِ رفيقاً .

وإذا صحبَ أحدُكم رجلاً . . فليختبرِ خلائقَهُ ، فإذا عرفَ حسنَهَا وقبيحَهَا . . أعانَهُ على ما يوافقُهُ مِنَ الحسنِ ، واحتالَ على صرفِهِ عمَّا يهواهُ مِنَ القبيحِ بِالطَّفِ حيلةٍ وأجملِ وسيلةٍ ، وقد علمتُم أن سائسَ البهيمَةِ إذا كانَ بصيراً بسياسَتِها . . التمسَ معرفةَ أخلاقِها ، فإن كانتَ رَموحاً . . لم يهَجها إذا ركبها ، وإن كانتَ شوباً . . اتَّقها مِنْ بينِ يديها ، وإن خافَ منها شُروداً . . تَوَقَّها مِنْ ناحيةِ رأسِها ، وإن كانتَ حَرُوناً . . قمعَ برفقٍ هواها في طرقيها ، فإن استمرَّت . . عطفها يسيراً ، فيسَلَسُ لَهُ قيادُها ، وفي هذا الوصفِ مِنَ السِياسَةِ دلائلٌ لِمَن ساسَ الناسَ وعاملَهُم ، وجَرَّبَهُم وداخلَهُم .

والكاتبُ لفضلِ أدبِهِ ، وشريفِ صنعتِهِ ، ولطيفِ حيلتِهِ ، ومعاملتِهِ لِمَن [يحاورُهُ] مِنَ الناسِ ويناظِرُهُ ، ويفهَمُ عنهُ أو يخافُ سطوتَهُ . . أولى بالرفقِ لصاحبِهِ ومداراتِهِ وتقويمِ أودِهِ مِنَ سائسِ البهيمَةِ التي لا تَحِيرُ جواباً ، ولا تَعْرِفُ صواباً ، ولا تفهَمُ خطاباً ؛ إلا بقدرِ ما يُصَيِّرُها إليه صاحبُها الراكبُ عليها ، ألا [فأمعنوا] - رحمَكُم اللهُ - في النظرِ ، وأعملوا ما أمكنكم فيه مِنَ الرويةِ والفكرِ . . تأمنوا بإذنِ اللهِ مَمَّنْ صحبْتُمُوهُ النبوةَ والاستثقالَ والجفوةَ ، ويصيرُ^(١) منكم إلى الموافقةِ ، وتصيروا منه إلى المؤاخاةِ والشفقةِ إن شاء اللهُ .

(١) كذا في الأصل و« صبح الأعشى » (٨٧/١) بإثبات الياء .

ولا يُجاوِزَنَّ الرجلُ منكم في هيئةِ مجلسِهِ ومَلبِسِهِ ومَرَكِبِهِ ومَطْعَمِهِ ومَشْرِبِهِ
 وخدمِهِ وغيرِ ذلكِ مِنْ فنونِ أمرِهِ قدرَ حقِّهِ ؛ فإنَّكم معَ ما فضَّلَكُم اللهُ بهِ مِنْ
 شرفِ صنعتِكُمْ .. خَدَمَةٌ ، لا تُحملونَ في خدمتِكُمْ على التَّقْصِيرِ ، وحَفْظَةً لا
 تُحتمَلُ منكمُ أفعالُ التَّضْيِيعِ والتَّبذِيرِ ، واستعينوا على أفعالِكُمْ بالقصدِ في
 كلِّ ما ذكرتُهُ لَكُم وقصصتُهُ عليكم .

واحذروا متالفَ السرفِ ، وسوءَ عاقبةِ الترفِ ؛ فإنَّهُما يُعقبانِ الفقَرَ ،
 ويُذِلَّانِ الرقابَ ، ويفضحانِ أهلَهُما ، ولا سِما الكُتَّابِ وأربابِ الآدابِ ،
 وللأُمُورِ أشباهُ ، وبعضُها دليلٌ على بعضٍ ، فاستدلُّوا على مؤتلفِ أعمالِكُمْ
 بما سبقتُ إليه تجربتُكم ، ثمَّ اسلكوا مِنْ مسالكِ التدبيرِ أوضَحَها محجَّةً ،
 وأصدقها حُجَّةً ، وأحمدَها عاقبةً .

واعلموا : أنَّ للتدبيرِ آفةً مُتلفةً ؛ وهو الوصفُ الشاغلُ لصاحبهِ عن إنفاذِ
 علمِهِ ورويتِهِ ، فليقصدِ الرجلُ منكمُ في مجلسِهِ قصدَ الكافيِ في منطِقِهِ ،
 وليوجِزْ في ابتدائهِ وجوابِهِ ، وليأخذْ بمجامعِ حُجَجِهِ ، فإنَّ ذلكَ مصلحةٌ
 لفعليهِ ، ومدفَعَةٌ للشاغلِ مِنْ إكثارِهِ ، وليضرعْ إلى اللهِ في صلةِ توفيقِهِ ،
 وإمدادِهِ بتسديدهِ ؛ مخافةً وقوعِهِ في الغلطِ المُضِرِّ ببدنِهِ وعقلِهِ وأديهِ ؛ فإنهُ
 إن ظنَّ منكمُ ظانُّ ، أو قالَ قائلٌ : إنَّ الذي برزَ مِنِّي جميلٌ صنعتُهُ ، وقُوَّةُ
 حركتِهِ إنَّما هوَ بفضلِ حيلتِهِ وحسنِ تدبيرِهِ ^(١) . . فقد تعرَّضَ بحسنِ ظنِّهِ
 أو مقالتهِ إلى أن يَكَلِّهُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى نفسهِ ، فيصيرَ منها إلى غيرِ كافٍ ،
 وذلكَ على مَنْ تأمَّلَهُ غيرُ خافٍ .

ولا يقلُّ أحدٌ منكمُ : إنَّهُ أبصرُ بالأُمُورِ وأحملُ لأعباءِ التدبيرِ مِنْ مرافِقِهِ
 في صناعتِهِ ، ومصاحبِهِ في خدمتِهِ ؛ فإنَّ أعقلَ الرجلينِ عندَ ذوي الألبابِ مَنْ

(١) في «صبح الأعشى» : (إن الذي برز من جميل صنعتة ، وقوة حركته ...) .

رمى بالعجب وراء ظهره ، ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجمل في طريقته .

وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه ؛ من غير اغترارٍ برأيه ، ولا تزكية لنفسه ، ولا يكثر على أخيه أو نظيره ، وصاحبه وعشيرته .

وحمداً لله واجب على الجميع ؛ وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ، والتحدث بنعمته ، وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل : من تلزمه النصيحة . . يلزمه العمل ، وهو جوهر هذا الكتاب وغرّة كلامه ، بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل ، فلذلك جعلته آخره وتممته به ، توالنا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبه بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ؛ فإن ذلك إليه وبيده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



قول عبد الحميد في آفة التدبير : هو ما سبقت الإشارة إلى وجوب التحرز منه من زيادة الكلام على المقاصد زيادة تمنع صاحب الكتاب وهو أميره عن إنفاذ علمه وإعمال رويته في تلك المقاصد ، فيجب الاقتصار على أقوى الحجج بمنفعة ما يُراد إجراؤه ، ولا يذهب كثيراً من الأوقات بالاشتغال في الأوصاف وعدد المحاسن والمساوي بالعبارات المختلفة ، إلا حيث يقتضي الحال ذلك .

ومشاهير هذه الطبقة التي افتتحها عبد الحميد هذا كثير ؛ كالربيعي ، والفضل ابنه ، ويعقوب بن داوود ، وبني برمك ، ومحمد بن عبد الملك الزيات في أوائل الدولة العباسية وبني الفرات ، والأستاذ ابن العميد ، والصاحب إسماعيل بن عباد ، وأبي إسحاق الصّابي ، وأبي الفضل أحمد المعروف ببديع الزمان وأبي بكر الخوارزمي في أواسطها .

[أمثلة للطبقة الثانية]

وهذه أمثلة تعرفُ بها ما كان عليه حالُ الكتابة في هذه الطبقة التي تُعقبُها الطبقةُ الثالثةُ المفتوحةُ بعبدِ الرحيمِ البَيْسَانِيّ المشهورِ بالقاضي الفاضلِ وزيرِ صلاحِ الدِّينِ يوسفَ بنِ أيوبَ أوّلِ ملوكِ الكردِ بمصرَ :

[كتابُ المعتصمِ إلى نواحي بلادِ المسلمين]

صورةُ كتابٍ عنِ المعتصمِ إلى نواحي بلادِ الإسلامِ : يتضمَّنُ شكرَ الله على الظَّفَرِ بعدوِّ ، والبشارةَ بذلك^(١) :

أما بعدُ : فالحمدُ لله الذي جعلَ العاقبةَ لدينهِ ، والعصمةَ لأوليائه ، والعِزَّ لِمَن نصرَهُ ، والفلجَ لِمَن أطاعَهُ ، والحقَّ لِمَن عرفَ حَقَّهُ ، وجعلَ دائرةَ السَّوءِ على مَن عصاهُ ، وصدفَ عنه ، ورغبَ عن ربوبيته ، وابتغى إلهاً غيرَهُ ، لا إلهَ إلا هو ، وحدهُ لا شريكَ له ، يَحْمَدُهُ أميرُ المؤمنينَ حمداً مَن لا يعبدُ غيرَهُ ، ولا يتوكَّلُ إلا عليه ، ولا يُفَوِّضُ أمرَهُ إلا إليه ، ولا يرجو الخيرَ إلا مِن عنده ، والمزيدَ إلا مِن سعةِ فضله ، ولا يستعينُ في أحواله كَلِّها إلا به ، ويسألهُ أن يصليَ على محمدِ عبدهِ ورسوله ، وصفوتهِ مِن عبادِهِ ، الذي ارتضاهُ لنبوتِهِ ، وابتعثَهُ بوحيهِ ، واختصَّهُ بكرامتهِ ، فأرسلَهُ بالحقِّ شاهداً ومُبَشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله ياذنِهِ وسراجاً منيراً .

والحمدُ لله الذي [تَوَجَّهَ] لأميرِ المؤمنينَ بصنعِهِ ، فَيَسَّرَ لَهُ أمرَهُ ، وصدَّقَ لَهُ ظَنَّهُ ، وأنجحَ لَهُ طلبتهُ ، وبلغَ لَهُ محبتهُ ، وأدركَ المسلمونَ بثأريهِم على يدهِ ، وقتلَ عدوَّهُم ، وأسكنَ روعتَهُم ، ورحمَ فاقتهُم ، وآنسَ وحشتَهُم ، فأصبحوا آمنينَ مطمئنينَ ، مقيمينَ في ديارِهِم ، مُتَمَكِّنينَ في أوطانِهِم ، بعدَ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٤٠٠/٦ - ٤٠٤) .

القتل [والخوف] والتشريد ، وطول العناء وتتابع البلاء ؛ متاً من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعاً له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما أجرى على يده .

فالحمد لله كثيراً كما هو أهله ، وترغباً إلى الله في تمام نعمه ودوام صنعِهِ ، وسعة ما عنده بمتنه ولطفِهِ .

ولا يعلمُ أميرُ المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين ، وتكثفهم إياهم من أقطارهم ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ، وينطون عليه من المكابدة ؛ إذ كان هو الظاهر عليهم ، والآخذ منهم - عدواً كان أعظم بليّة ، ولا أجل خطباً ، ولا أشدّ كلباً ، ولا أبلغ مكابدة ، ولا أرمى بمكروه . . من هؤلاء الكفرة الذين [يغزوهُم]^(١) المسلمون ، فيستعلون عليهم ، ويضعون أيديهم حيث شاؤوا منهم ، ولا يقبلون لهم صلحاً ، ولا يميلون معهم إلى موادعة وإن كانت لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون من فترات ولاة الثغور . . أدنى دولة من دولات الظفر ، وخلسة من خلس الحرب ؛ كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك مُنغصّ لما تعجلوا من سروره ، وما يتوقعون من الدوائر بعد مُكدرٍ لما وصل إليهم من فرحة .

فأمّا اللعينُ بابكُ وكفرتُهُ . . فإنّهم كانوا يغزون أكثر ممّا يُغزون ، وينالون أكثر ممّا يُنال منهم ، ومنهمُ المنحرفون عن الموادعة ، المتوخّشون عن المراسلة ، ومن أدبوا من تتابع الدول ، ولم يخافوا عاقبة تدركهم ، ولا دائرة تدور عليهم ، وكان ممّا وطأ ذلك ومكّنه لهم : أنّهم قومٌ ابتدؤوا أمرهم على حالٍ تشاغلٍ من السلطان ، وتتابع من الفتن ،

(١) في الأصل : (يغزونهم) .

[واضطراب] ^(١) مِنَ الْحَيْلِ ، فَاسْتَقْبَلُوا أَمْرَهُمْ بَعِزَّةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَاسْتِشَارَةَ مِنْ ذَوِي آرَائِهِمْ ، فَأَجَلَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ لِتَخْلُصَ الْبِلَادُ لَهُمْ ، ثُمَّ أَخْرَبُوا الْبِلَادَ لِيَعِزَّ مُطْلِبُهُمْ ، وَتَشْتَدَّ الْمُؤَنَّةُ ، وَتَعْظَمَ الْكَلْفَةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ يَتَوَافَ قُوَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَاشْتَدَّتْ ضُرُورَاتُهُمْ ^(٢) ، وَاسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْدُهُمْ ، وَكَثُرَ عَدْدُهُمْ وَاعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتِ الْهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا يَعِدُّهُمْ الْكَافِرُ وَيُمْتِنِيهِمْ أَخْذٌ بِالْيَدِ ، وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، وَبِدُونِ هَذَا مَا يُخْتَدَعُ الْأَرِيْبُ ، وَيُسْتَنْزَلُ الْعَاقِلُ ، وَيُعْتَقَلُ الْفَطْنُ ، فَكَيْفَ بَمَنْ لَا فِكْرَةَ لَهُ وَلَا رُويَةَ عِنْدَهُ !؟

هَذَا مَعَ كُلِّ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَسَدِ أَهْلِ النِّعَمِ ، وَمِنَافَسَتِهِمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَتَقَطُّعِهِمْ حَسْرَاتٍ فِي أَثَرِ مَا خُصُّوا بِهِ ، وَأَنَّهُمْ إِلَّا يَكُونُوا يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ . . فَإِنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .

وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تُفْضِيَ إِلَيْهِ الْخِلاَفَةُ مَا دَأَّ عُنُقَهُ ، مُوجِّهًا هِمَّتَهُ إِلَى أَنْ يُولِيَهُ اللَّهُ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةِ ، وَيُمْلِكَهُ حَرْبَهُمْ ، [وَيَجْعَلُهُ الْقَارِعَ لَهُمْ عَنْ دِينِهِ ، [وَالْمَنَاجِزَ] لَهُمْ عَنْ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْلُو فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلْبًا وَاحْتِيَالًا ، فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْبَى ذَلِكَ ، لُضِيَّتِهِ بِهِ ، وَصِيَانَتِهِ لَهُ .

فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلاَفَتِهِ ، وَأَطْلَقَ الْأَمْرَ فِي يَدِهِ . . لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَلَا أَخَذَ بِقَلْبِهِ مِنْ مَعَاجِلَةِ الْكَافِرِ وَكُفْرَتِهِ ، وَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَعَانَهُ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ وَتَيْسُرِهِ ، فَأَعَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِ

(١) فِي الْأَصْلِ : (وَاطْرَاب) .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ« صَبَحَ الْأَعْمَشِيُّ » (٤٠٢/٦) ، وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ : (ضُرَاوْتِهِمْ) .

[أخطرها] ، ومن قوَادِ جيشه أعلمهم بالحرب ، وأنهضهم بالمعضلات ،
 ومن أوليائه وأبناء دعوتيه ودعوة آباءه صلوات الله عليهم أحسنهم طاعة ،
 وأشدّهم نكايّة ، وأكثرهم عدّة ، ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال
 بالرجال ، من خاصّة مواليه وعددِ غلمانِه ، وقبل ذلك ما اتّكلَ عليه من
 صنع الله عزّ وجلّ ، ووجّه إليه من [رعبته] ، فكيف رأى الكافر اللعين
 وأصحابه الملائعِين أن الله يكذب ظنونهم ، ويشفي صدور أوليائه منهم ،
 يقتلونهم كيف شاؤوا في كلِّ موطنٍ ومعتريك ، ما دامت عند أنفسهم
 مقاومةً؟!

فلما ذلّوا وقلّوا وكرهوا الموت . . صاروا لا يتراءون إلا في رؤوسِ الجبال ،
 ومضايقِ الطرق ، وخلف الأودية ، ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ؛
 طلباً للمطاوله ، وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خيرُ الكائدين ،
 واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أنفسهم ، فجعل
 اعتصامهم جُبناً لهم ، وصنعاً لأوليائه ، وإحاطةً منه بهم ، تبارك وتعالى ،
 فجمعهم وحصرهم ؛ لكي لا تبقى منهم بقيةٌ ، ولا تُرجى لهم عاقبةٌ ، ولا
 يكون الدينُ إلا لله ، ولا العاقبةُ إلا لأوليائه ، ولا التعسُّ والنكسُ إلا لمن
 خذله .

فلما حصرهم الله ، وحبسهم عليهم ، ودانتهم مصارعهم . . سلّطهم الله
 عليهم كيدٍ واحدةٍ ، يختطفونهم بسيوفهم ، وينتظمونهم برماحهم ، فلا
 يجدون ملجأً ولا مهرباً ، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ، ونسائهم
 وحرَمهم ، وصيروا الدارَ دارهم ، والمحلّة محلّتهم ، والأموالَ قسماً بينهم ،
 والأهلَ إماءً وعبداً .

وفوق ذلك كلّه ما أعدّ الله لهؤلاءٍ من الرحمةِ والثوابِ ، وما أعدّ لأولئك

مِنَ الْخَزِيِّ وَالْعَقَابِ ، وَصَارَ الْكَافِرُ بَابَكَ لَا فَيَمَنُ قُتِلَ فَسَلِمَ مِنْ ذَلِّ الْغَلْبَةِ ، وَلَا فَيَمَنُ نَجَا فَعَايَنَ فِي الْحَيَاةِ بَعْضَ الْعَوْضِ ، وَلَا فَيَمَنُ أُصِيبَ فَيَشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ عَنِ الْمَصِيبَةِ بِمَا سِوَاهُ ، لَكِنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَطْلَقَهُ [وَسَدَّ] مَذَاهِبَهُ ، وَتَرَكَهُ بَيْنَ الذَّلِّ وَالْخَوْفِ ، وَالْغَصَّةِ وَالْحَسْرَةِ ، حَتَّى إِذَا ذَاقَ طَعْمَ ذَلِكَ كَلِّهِ ، وَفَهَمَهُ وَعَرَفَ مَوْعَةَ الْمَصِيبَةِ ، وَظَنَّ مَعَ ذَلِكَ كَلِّهِ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقٍ مِنَ النِّجَاةِ . . ضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَأَعْمَى بَصَرَهُ ، وَسَدَّ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَحَازَهُ إِلَى مَنْ لَا يَرِقُّ لَهُ ، وَلَا يَرْتِي لِمَصْرَعِهِ .

فَامْتَثَلَ مَا أَمَرَ بِهِ الْأَفْشِيئُ حَيْدَرُ بْنُ طَاوُوسٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهِ ، فَبِتَّ لَهُ الْحَبَائِلُ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْأَرْصَادَ ، وَنَصَبَ لَهُ الْأَشْرَاكَ ؛ حَتَّى أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَسِيرًا ذَلِيلًا ، مُوثَقًا فِي الْحَدِيدِ ، يَرَاهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَنْ كَانَ يَرَاهُ رَبًّا ، وَيَرَى الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّ دِينَهُ ، وَأَظْهَرَ حُجَّتَهُ ، وَنَصَرَ أَوْلِيَاءَ مَنْ أَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ ، حَمْدًا يُقْضَى بِهِ الْحَقُّ ، وَتَتِمُّ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَتَتَّصِلُ بِهِ الزِّيَادَةُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَقَّقَ ظَنَّهُ ، وَأَنْجَحَ سَعْيَهُ ، وَحَازَ لَهُ أَجْرَ هَذَا الْفَتْحِ [وَذَخْرَهُ] وَشَرَفَهُ ، وَجَعَلَهُ خَالِصًا لِتَمَامِهِ وَكَمَالِهِ بِأَكْمَلِ الصَّنْعِ وَأَحْسَنِ الْكِفَايَةِ ، وَلَا خِلا مِنْ سُرُورِ يَرَاهُ ، وَبِشَارَةِ تَتَجَدَّدُ لَهُ عِنْدَهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ آخِرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَطَايَاهُ الَّتِي لَا تُحْصَى ، وَنِعْمِ الَّتِي لَا تُنْسَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذا الكتابُ مِنَ الْبَلِيغِ الْمُرْسَلِ الْوَافِي ، إِذَا تَأَمَّلْتَهُ . . وَجَدْتَهُ قَدْ شَرَحَ الْحَالَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْمَلِهِ ، لَمْ يَغَادِرْ دَقِيقَةً إِلَّا أَظْهَرَهَا ، وَأَكْمَلَ الْحَدِيثَ عَنْهَا ، مِنْ أَوَّلِ فِكْرَةٍ إِلَى آخِرِ عَاقِبَةٍ .

[كِتَابُ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ إِلَى أَبِي كِيْجَارَ بْنِ بُوَيْهِ]

وهذه صورة كتابٍ مِنْ إنْشاءِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ : عَنِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ ،
إِلَى صَمصَمِ الدَّوْلَةِ ابْنِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، بِسَبَبِ كَرْدُوِيهِ الْخَارِجِ عَنِ
الطَّاعَةِ (١) :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْإِمَامِ الطَّائِعِ لِلَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى صَمصَمِ
الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ ، أَبِي كِيْجَارَ بْنِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمِلَّةِ ، مَوْلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

أَمَّا بَعْدُ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاعِكَ - : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَوَّأَكَ الْمَنْزِلَةَ
الْعُلْيَا ، وَأَنَالَكَ مِنْ أَثَرَتِهِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى ، وَجَعَلَ لَكَ مَا كَانَ لِأَبِيكَ عَضِدِ
الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمِلَّةِ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَدْرِ وَالْمَحَلِّ ، وَالْمَوْضِعِ الْأَرْفَعِ
الْأَجْلِّ . . فَإِنَّهُ يُوجِبُ لَكَ عِنْدَ كُلِّ أَثَرٍ يَكُونُ لَكَ فِي الْخِدْمَةِ ، وَمَقَامِ حَمْدِ
تَقْوَمُهُ فِي حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ . . إِنْعَاماً يَظَاهِرُهُ ، وَإِكْرَاماً يَتَابَعُهُ وَيَوَاتِرُهُ ، وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُكَ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ ، وَيُمَدِّدُكَ بِمَعُونَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَيُخَيِّرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فِي مَا رَأَيْتَهُ مُسْتَمِرّاً عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدِكَ وَتَمَكِينِكَ ، وَالْإِنَافَةَ بِكَ وَتَعْظِيمَكَ ، وَمَا
تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يَنْبِي .

وَقَدْ عَرَفْتَ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ - مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ كَرْدُوِيهِ كَافِرِ نِعْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَنِعْمَتِكَ ، وَجَاحِدِ صَنِيعِهِ وَصَنِيعِكَ ؛ فِي الْوَثْبَةِ الَّتِي وَثَبَهَا ، وَالْكَبِيرَةِ الَّتِي
ارْتَكَبَهَا ، وَتَقْدِيرِهِ أَنْ يَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ الَّتِي لَمْ يُمَكِّنْهُ اللَّهُ مِنْهَا ، بَلْ كَانَ مِنْ وِرَاءِ
دَفْعِهِ وَرَدِّهِ عَنْهَا ، وَمَعَاجِلَتِكَ إِيَّاهُ الْحَرْبِ الَّتِي أَصْلَاهُ اللَّهُ نَارَهَا ، وَقَنَعَهُ عَارَهَا

(١) انظر « صبح الأعشى » (٦ / ٣٩٦ - ٣٩٧) .

وشنارها ، حتى انهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلّة والقلّة ، بعد القتل الذريع ، والإثخان [الوجيع] ، فالحمد لله على هذه النعمة التي جَلَّ موقعها ، وبان على الخاصّة والعامّة أثرها ، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها ، والحديث بها ، وهو المسؤول إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ؛ بخلع تامّة ، ودابتين ومركبين [ذهبا] من مراكبه ، وسيف وطوق وسوارٍ مُرَصَّع ، فتلق ذلك بشكره عليه ، والاعتداد بنعمته فيه ، والبس خلع أمير المؤمنين وتكرّمته ، وسر من بابه على حملانه ، وأظهر ما حباك به لأهل حضرته ؛ ليعزّ الله بك وليّه ووليّك ، ويذلّ عدوّه وعدوك ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

[تعزية الخليفة المقتفي للسلطان مسعود بوفاة ابنه]

وهذه صورة كتاب تعزية : عن الخليفة المقتفي إلى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي عند وفاة ابنه ^(١) :

من عبد الله أبي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى شاهنشاه المعظم ، مولى الأمم ، مالك رقاب العرب والعجم ، جلال دين الله ، ظهير عباد الله ، حافظ بلاد الله ، معين خليفة الله ، غياث الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ، محيي الدولة القاهرة ، مُعزّ الملة الزاهرة ، عماد الملة الباهرة ؛ أبي الفتح مسعود بن محمد ملكشاه ، قسيم أمير المؤمنين : سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله

(١) انظر «صبح الأعشى» (٣٩٧/٦ - ٣٩٩) .

الذي لا إله إلا هو ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَيُسَلِّمَ
تسليماً .

أما بعد - أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأيدك ، وسعادتك ونعمتك ،
وأحسن حفظك وكلاءتك ورعايتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، [وبالنعمه]
الجليلة والموهبة الجزيلة والمنحة النفيسة فيك وعندك ، ولا أخلاه منك - :
فإن أولى من أدرع للحوادث جنة الاصطبار ، ونظر أحوال الدنيا في تقلبها
بعين الاعتبار ، ورجع إلى الله في قدره وقضائه ، وسلم لأمره الذي لا راد له
في امتحانه وابتلائه ، وعرف أن له سبحانه في كل ما يجريه على عباده حكمة
باطنة ، ومصلحة كامنة ؛ من خير عاجل يبسرّه ، وثواب آجل يؤخره لهم إلى
يوم الجزاء ويدخره ، وفائدة هو أدرى بها وأعلم ، وفعله فيها أتقن وأحكم . .
من خصه بما خصك الله به من الدين الراجح ، والخلق الصالح ، والمعتقد
الواضح ، والنعم التي جادك في كل يوم سبحانه ، واتسعت بين يديك عند
مضايق الأمور رحابها ، وأنست إذا استوحشت من العاجزين عن ارتباطها
بالشكر صاحبها ، والمناقب التي فرعت بها سهوات المجد ، وتملكت رق
الثناء والحمد ، وعلوت فيها عن المساجل والمطاول ، ويعد ما [حضر] لك
منها عن أن تناله يد متناول .

وتأدى إلى أمير المؤمنين - أمتع الله ببقائك ، ودافع له عن حوابك -
نبأ الحادثة بسليتك الذي اختار الله له كريم جواره ، فأحب له الانتقال إلى
محل الفوز ومداره ، فوجد لذلك وجوماً موقراً ، وهماً للسكون منقراً ، وتوزعاً
تقتضيه المشاركة لك فيما ساء وسر ، والمساهمة الحاصلة في كل ما حلا
من الأمور وأمر ، وأمر عند ورود هذا الخبر بالتصدي للعزاء ، وإعلان ما
يعلن عن مقاسمتك في الضراء - دفعها الله عنك - والسراء ، إلى ما أبان عن
انصراف الهمم الإمامية إليك فيما خص وعم من حالك ، واستجلابه لك

دواعي المسار في حيلك وترحالِك ، وكون الأفكار الشريفة موكلة بكل ما
 حمى من الروائع قلبك ، وأعدب شربك ، وأنت حقيق بمعرفة هذه الحال
 من طويته لك ونيته ، ورأيه فيك وشفقتيه ، ورعاية مصلحتك منه بعين
 كالية ، ورجوعه من المحافظة في حَقِّك إلى ألفة بالصفاء الحالية ، وتلقي
 الرزية التي أَرادها الله وقضاها ، وأنفذ مشيئته فيها وأمضاها ؛ بالصبر المأمور
 به ، والاحتساب والتسليم الموعود عليه بجزيل الثواب ، علماً أن الأقدار لا
 تُغالب ، وغريمها لا يُطالب ، وأن لا سبيل لأحد من خلقه إلى البقاء ، ولا
 طريق للخلود في دار الفناء ، ولا دافع لحكمه جلَّت عظمته فيما قدره من
 الآجال ، وسبق في علمه من الروائع في الابتلاء والأوجال ، وما يزال التطلع
 واقعاً إلى وصول جوابك الدال على السلوة التي هي أليق بك ، والأدعى إلى
 حصول بغيتك من رضا الله وأربك لتخط الأنسة مع وصوله في رحالها ،
 وتؤذن بصرف الهموم الجارية لأجلِك وارتحالها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك أدام الله تأييدك وأمتع بك إن شاء الله
 تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله .

[صورة جواب عن المقتفي]

وهذه صورة جواب عن المقتفي إلى غياث الدين مسعود السلاجوقي
 حيث كتب يخبره بعود خارج إلى الطاعة^(١) :

من عبد الله أبي عبد الله محمد الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ،
 إلى غياث الدين - وساق ما تقدم من الألقاب ثم قال - :

أما بعد - أطال الله بقاءك - : فإن كتابك عرض بحضرة أمير المؤمنين

(١) انظر « صبح الأعشى » (٤٤٨/٦ - ٤٤٩) .

مُعرباً عن إخبارِ سعادَتِكَ ، وجريِ الأمورِ على إرادَتِكَ ، وبلوغِ الأغراضِ مِنْ الوجهةِ التي توجَّهتَ إليها ، والأطرافِ التي أشرقتَ سعادَتُكَ عليها ، بميامنِ ما تُكِنُّهُ مِنَ الطاعةِ الإماميةِ وتضميرُهُ ، وتعتقدهُ مِنَ الإخلاصِ وتستشعرُهُ ، وإنَّ ركنَ الدِّينِ محمداً وَمَنِ انضمَّ إلى جملتِهِ ، وانتظمَ في سلكِ موافقتِهِ ؛ لَمَّا ظفروا مِنْكَ بذيامِ اطمأنوا إليه وسكنوا ، وأمانٍ وثقوا به وركنوا . . أبصروا الرشدَ فاتبعوه ، واستجابوا الداعي إذ سمعوه ، وأذعنوا بطاعتِكَ مسرعينَ ، وانقادوا إلى متابعتِكَ مهطعينَ ، على استقرارِ مسيرِهِمْ تحتَ لوائِكَ إلى بابِ [همدانَ] ؛ ليكونَ تقريرُ القواعدِ الجامعةِ للمصالحِ عندَ وصولِها ، والتوفُّرُ على تحزِّي ما تقرُّ به الخواطرُ مع حلولِها ، ووقفَ عليه وعرفَ مضمونَهُ وجدَّدَ ذلكَ لديه مِنَ الابتهاجِ والاعتباطِ الواضحِ المنهاجِ . . ما تقتضيه الثقةُ بولائِكَ ، واعتمادهُ وتعويلُهُ على جميلِ معتقدِكَ ، واعتضادهُ مِنْ طاعتِكَ بحبلٍ لا تنقضُ الأيامُ مُبرَمَهُ ، وسكونُهُ مِنْ ولائِكَ إلى وزرٍ لا تروغُ المخاوفُ حرمَهُ ، وواصلَ شكرَ اللهِ تعالى على ما شهدتْ به هذهِ النعمةُ العظيمةُ والموهبةُ الجسيمةُ مِنْ إجابةِ الأدعيةِ التي ما زالتْ جنودُها نحوكَ مُجهَّزةً ، ووعودُهُ - جَلَّتْ عظمتُهُ - بقبولِ أمثالِها مُنجزَةً ، وإمدادُكَ منها بأمدادٍ تستدعي لكَ النصرَ وتستنزلُهُ ، وتستكملُ الحظَّ مِنْ كلِّ خيرٍ وتستجزلُهُ ، وبلغَ الأملُ مِنْكَ فيمَنْ هوَ العدةُ للمُلمَّاتِ ، والحامي بتقريرِ الأنسِ مِنْ روائعِ الشتاتِ ، وَمَنْ بقاؤُهُ يَكْفُ عن الامتدادِ أكفَّ الخُطوبِ ، ويطلقُ وجوهَ المَسارِّ مِنْ عقلِ القطوبِ ، ويأبى اللهُ العادلُ في حكمِهِ وحكمتِهِ ، الرؤوفُ بعبادِهِ وخليفَتِهِ . . إلَّا إعلاءَ كلمةِ الحقِّ بالهممِ الإماميةِ ، والإجراءِ على عوائدِ [صنيعتِهِ] الخفيةِ ، الكافلةِ بصلاحِ العبادِ والرعيةِ .

وقد أُقيمتْ أسواقُ التهئةِ بهذهِ البشريِ ، وأفادتْ جدلاً تتابعُ وفودِهِ

تترى ، لا سيمًا مع الإشارة إلى قُرب الأوبة التي تدني كلَّ صلاحٍ وتجلبُّه ،
وتزيلُ كلَّ خللٍ أتعَب القلوبَ وتذهبُهُ .

وإلى الباري جلَّ اسمُهُ الرغبةُ في اختصاصِكَ مِنْ عنايةِ بِأحسنِ ما عهدتَهُ
وأجملِهِ ، وصلةِ آخِرِ وقتِكَ في نُجْحِ المساعي [بأولِهِ] ، وألَّا يخلِي الدارَ
العزيزةَ مِنْ إخلاصِكَ في ولائِها ، ورجبتِكَ في تحصيلِ مرضيها وشريفِ
آرائِها .

هذه مناجاةُ أميرِ المؤمنينَ - أدامَ اللهُ تَأْيِيدَكَ وأمتعَ بكَ - جرى فيها على
عادةِ تَكْرِمَتِهِ ، وأعربَ بها عن اعتقادهِ فيكَ وطويئتهِ ، ومكانِكَ الأثيلِ في
شريفِ حضرتهِ ، وابتهاجِهِ بنعمةِ اللهِ عندَكَ وخيرتهِ ، فتأملُها تأمُّلاً يشاكلُ
طاعتَكَ الصَّافيةَ مِنَ الشوائبِ والأقذَاءِ ، وتلقَّها بصدقِ الاعتمادِ عليها وحسنِ
الإصغاءِ . . تفزُ بالإصابةِ قداحِكَ ، ويقربُ بالتوفيقِ مغداكَ ومراحِكَ ، إن
شاءَ اللهُ تعالى ، والسلامُ عليك ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ .

[جوابُ الحافظِ لدينِ اللهِ أبي الميمونِ للأميرِ ابنِ ظهيرِ الدينِ]

وهذه صورةُ جوابٍ عن الحافظِ لدينِ اللهِ ، أحدِ الفاطميينَ ؛ حيثُ وردَ
عليه كتابٌ مِنْ أحدِ أمرائِهِ وكانَ أرسلَهُ إلى الديارِ الشاميَّةِ ، وقد أخبرَ هذا
الأميرُ في كتابِهِ أَنَّهُ حَسَنَ لفخرِ الملكِ التوجُّةَ إلى مصرَ ، وأثنى عليه بحسنِ
اجتهادهِ في قتالِ الإفرنجِ بطرابلسَ وقتلِهِ عظيمَهُمْ^(١) :

مِنْ عبدِ اللهِ وولِيهِ عبدِ المجيدِ أبي الميمونِ الإمامِ الحافظِ لدينِ اللهِ أميرِ
المؤمنينَ ، إلى الأميرِ فلانِ .

أما بعدُ : فَإِنَّهُ عُرِضَ بحضرةِ أميرِ المؤمنينَ كتابُكَ مِنْ يدِ فتاهُ ووزيرِهِ ،

(١) انظر «صبح الأعشى» (٤٥٠/٦ - ٤٥١) .

وصفِيهِ وظهيرِهِ ، العبدِ الأجلِّ الأفضَلِ ، الذي بذَلَ نفسَهُ في نصرَةِ الدِّينِ يداً
ولساناً ، وأوضَحَ اللهُ للدَّولةِ الحافظِيَّةِ بوزارَتِهِ حُجَّةً وبرهاناً ، وأسبَغَ النعمةَ
على أهلِها ؛ فَإِنَّهُ جعلَهُ فيهِمَ ناظراً ولَهُمَ سلطاناً ، ووفَّقَهُ في حسنِ التدبيرِ ،
والعملِ بما يقضي بمصالحِ الصغيرِ والكبيرِ ، ولمَّا أعادَ المملكةَ إلى أفضلِ
ما كانتَ عليه مِنَ النضرةِ والبهجةِ ، ولم يُخْرِجِ المادحينَ لها إذا اختلفوا عنِ
التحقيقِ وصدقِ اللُّهجةِ ؛ فقد ساوَتْ سياسَتُهُ بينَ البعيدِ والقريبِ ، وأخذَ
كلَّ منها بأجزَلِ حظِّ وأوفرِ نصيبِ ، وسارَتْ سيرَتُهُ الفاضلةُ في الآفاقِ سيرَ
المثلِ ، واستوجَبَ مِنْ خالقِهِ أجرَ مَنْ جمعَ في طاعَتِهِ بينَ القولِ والعملِ ،
وشفَعَ عَزْضَهُ مِنْ وصفِكَ وشكرِكَ ، والثناءِ عليك وإطابةِ ذكركَ ، وإنهاءِ ما
أنتَ عليه مِنَ الولاءِ ، وشكرِ الآلاءِ ، بما يضاهاي ما ذكرتَهُ فيه ، ممَّا عَلِمَ
عندَ تلاوتِهِ ، وأصغِيَ إليه عندَ قراءتِهِ ، وقد استقرَّ بحضرةِ أميرِ المؤمنينَ
مكائِكَ مِنَ المشايعةِ ، وموقعِكَ مِنَ المخالصةِ ، وكونِكَ مِنَ ولاءِ الدَّولةِ على
قضيةِ أكسبتَكَ شرفاً تَفَيَّأتْ ظلالَهُ ، وأفاضتْ عليك ملبساً جررتْ أذيالَهُ ،
وسمتْ بكَ إلى مَحَلِّ لا يُباهى مِنْ بلغُهُ ، ولا يُطاوَلُ مِنْ نالِهِ ، وكنْتَ في
ذلكَ سالِكاً للمنهجِ القويمِ ، ومُعتقِداً ما عليه أهلُ بيتِكَ في القديمِ ؛ لا
جرمَ أَنَّهُ عادَ عليكَ مِنْ حسنِ رأيِ أميرِ المؤمنينَ بما تقصُرُ عنه كلُّ أُمْنِيَّةِ ،
ويشهدُ لكَ بمخالصةِ جمعتَ فيها بينَ عملٍ ونيةٍ ، واللهُ يضاعفُ أجرَكَ على
اعتصامِكَ مِنْ طاعةِ أميرِ المؤمنينَ بالحبلِ المتينِ ، ويوزعُكَ شكرَ ما منحَكَ
مِنَ الاستضاءةِ بنورِ الحقِّ المبينِ .

فأمَّا الأميرُ فخرُ الملكِ رواجُ ، وبعثُكَ لَهُ على الوصولِ إلى البابِ ، وحضُّكَ
إيَّاهُ على التعلُّقِ مِنَ الخدمةِ بمحصدِ الأسبابِ . . فما كانَ الإذنُ لَهُ في ذلكَ
إلاَّ لأنَّ كتابَتَهُ وصلَ يلتمسُهُ ، وعرضَ فيه نفسَهُ ، وبذلَ المناصحةَ والخدمةَ ،
وسألَ سؤالَ مَنْ يَعْرِفُ قدرَ العارفةِ بالإجابةِ إليه وموقعِ النعمةِ ، فأجيبَ إلى

ذَلِكَ إِسْعَافاً لَهُ بِمِرَادِهِ ، وَعَمَلاً بِرَأْيِ الدَّوْلَةِ فَيَمَنُّ يَرِغُبُ إِلَى التَّحْيِيزِ إِلَيْهَا مِنْ أَقْطَارِهِ وَبِلَادِهِ ، وَإِلَّا . . . فَلَاحِجَةٌ لَهَا إِلَيْهِ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَلَهُ الْحَمْدُ - وَفَرَّ حَظُّهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَشْيَاعِ ، وَالْأَنْصَارِ وَالْأَتْبَاعِ ، وَالْعَسَاكِرِ وَالْجِيُوشِ ، وَالْأَجْنَادِ وَالْأَنْجَادِ ، وَالْأَعْوَانِ الْأَقْوِيَاءِ الشَّدَادِ ، وَعَبِيدِ الطَّاعَةِ الَّذِينَ يَتَبَارِزُونَ فِي النَّصِيحِ ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الاجْتِهَادِ وَالْحَرَصِ عَلَى سَعَةِ الْأَمْوَالِ وَعِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَجَمَعَ الرِّجَالَ فِي الْعِزَائِمِ بَيْنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ ، وَلَوْ وَصَلَ الْمَذْكُورُ . . . لَكَانَتْ الْمَنَّةُ لِلدَّوْلَةِ عَلَيْهِ ، وَالْحَاجَةُ لَهُ فِي ذَلِكَ لَا إِلَيْهِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

وَأَمَّا تَوَجُّهُهُ إِلَى طَرَابَلَسَ ، وَظَفَرُهُ بِالْعَدُوِّ فِيهَا . . . فَاللَّهُ تَعَالَى يُعِزُّ الْإِسْلَامَ وَيَنْشُرُ لَوَاءَهُ ، وَيَعْلِي مَنَارَهُ [وَيَخْذُلُ] أَعْدَاءَهُ ، وَيَنْصُرُ عَسَاكِرَهُ وَأَجْنَادَهُ ، وَيَبْلُغُهُ فِي أَحْزَابِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ مِرَادَهُ ، وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْتِعُكَ [مِنَ الْوَلَاءِ] بِمَا مَنَحَكَ ، وَيَنْيِلُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ أَمْلَكَ وَمَقْتَرَحَكَ ، فَاعْلَمْ هَذَا ، وَاعْمَلْ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[كِتَابُ الصَّابِيِّ عَنْ ابْنِ بُوَيَّةَ إِلَى الْمُطِيعِ لِلَّهِ]

وهذه صورة كتاب من إنشاء الصَّابِيِّ ، عن عَزِّ الدَّوْلَةِ أَحَدِ مَلُوكِ ذَلِكَ الْعَصْرِ ، أَنْفَذَهُ إِلَى خَلِيفَتِهِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ ، وَقَدْ قَصَدَ أَبَا تَغْلِبَ الْحَمْدَانِيَّ أَحَدَ الْأَمْرَاءِ إِذْ ذَاكَ ، حَيْثُ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو تَغْلِبَ ، وَفَرَّ هَارِباً (٢) :

لَعَبِدِ اللَّهِ الْفَضْلِ الْمُطِيعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ عَبِيدِهِ وَصَنِيْعَتِهِ عَزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، سَلَامٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ،

(١) سورة الحجرات : (١٧) .

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٤٨٣/٦ - ٤٩٢) .

فإني أحمدُ إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يُصليَ عليَّ محمدَ عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم .

أما بعدُ - أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام له العزَّ والتأييدَ ، والتوفيقَ والتسديدَ ، والعلوَّ والقدرةَ ، والظهورَ والنصرةَ - : [فالحمدُ] لله العليِّ العظيمِ ، الأزليِّ القديمِ ، المنفردِ بالكبرياءِ والملكوتِ ، المُتوحدِ بالعظمةِ والجبروتِ ، الذي لا تحُدُّه الصفاتُ ، ولا تحوزُه الجهاتُ ، ولا تحصرُه قرارةُ مكانٍ ، ولا يُغيِّرُه مرورُ زمانٍ ، ولا تمثلهُ العيونُ بنواظرِها ، ولا تُخيِّلهُ القلوبُ بخواطرِها ، فاطرِ السماواتِ وما تُظِلُّ ، وخالقِ الأرضِ وما تُقلُّ ، الذي دلَّ بلطيفِ صفتهِ على جليلِ حكمتهِ ، وبيَّنَ بجليِّ برهانهِ على خفيِّ وجدانهِ ، واستغنى بالقدرةِ عن الأعوانِ ، واستعلى بالعزَّةِ عن الأقرانِ ، البعيدِ عن كلِّ معادلٍ ومضارعٍ ، الممتنعِ عن كلِّ مطاولٍ ومقارعٍ ، الدائمِ الذي لا يزولُ ولا يحولُ ، العادلِ الذي لا يظلمُ ولا يجورُ ، الكريمِ الذي لا يَصْنُ ولا يبخلُ ، الحليمِ الذي لا يعجلُ ولا يجهلُ ، ذلكم الله ربُّكم ، لا إله إلا هو ، فادعوه مخلصينَ له الدينَ ، منزلِ الرحمةِ على كلِّ وليٍّ توكلَّ عليه ، وفوَّضَ إليه ، وأتمرَّ لأوامرهِ ، وازدجرَ بزواجرهِ ، ومُجِّلِ النعمةِ بكلِّ عدوِّ صدَّ عن سبيلهِ وسنَّهه ، وصدفَ عن فرائضهِ وسُنَّهه ، وحادَّه في مكسبِ يدهِ ومسعاةِ قدمهِ ، وخائنه عينهِ وخافيةِ صدرهِ ، وهو راتعُ رتعةِ النعمِ السائمةِ ، في أكلاءِ النعمِ السابغةِ ، وجاهلٌ جهلها بشكرِ آلائها ، ذاهلٌ ذهولها عن طُرُقِ استيفائها ، فلا يلبثُ أن يُنزِعَ سرايلها صاغراً ، ويتعرَّى منها حاسراً ، ويجعلَ الله كيدَه في تضليلِ ، ويوردهُ شرَّ الموردِ الوبيلِ ، إنَّ الله لا يُصليحُ عملَ المفسدينَ ، ولا يهدي كيدَ الخائنينَ .

والحمدُ لله الذي اصطفى للنبوَّةِ أحقَّ عبادهِ بحملِ أعبائها ، وارتداءِ

ردائها ؛ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وَعَظَّمَ خَطَرَهُ وَكَرَّمَهُ ، فَصَدَعَ
 بالرسالة ، وبالغ في الدلالة ، ودعا إلى الهداية ، ونجى مِنَ الغواية ، ونقل
 الناسَ عن طاعةِ الشيطانِ الرجيمِ ، إلى طاعةِ الرحمنِ الرحيمِ ، وأعلَقَهُمْ
 بحبائلِ خالقِهِم ورازقِهِم ، وعصمةِ محيِيهِم ومميتِهِم ، بعدَ انتحالِ الأكاذيبِ
 والأباطيلِ ، واستشعارِ المحالاتِ والأضاليلِ ، والتهوُّكِ في الاعتقاداتِ الذائدةِ
 عن النعيمِ ، السائقةِ إلى العذابِ الأليمِ ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مِنْ ناطقٍ بالحقِّ ،
 ومنقذٍ للخلقِ ، وناصرٍ للربِّ ، ومؤدِّ للفرضِ ، صلاةً زاكيةً ، رائحةً غاديةً ،
 تزيدُ على اختلافِ الليلِ والنهارِ ، وتعاقبِ الأعوامِ والأدوارِ .

والحمدُ لله الذي انتخبَ أميرَ المؤمنينَ مِنْ ذَلِكَ السنخِ الشريفِ ، والعنصرِ
 المنيفِ ، والعترةِ الثابتِ أصلُها ، المُمتدِّ ظلُّها ، الطَّيبِ جناها ، الممنوعِ
 حماها ، وحازَ لَهُ مواريتَ آباءِهِ الطَّاهرينَ ، صلواتُ اللهُ عَلَيْهِمُ أَجمعينَ ،
 واختصَّهُ مِنْ بينهم بتناولِ أمدِ الخلافةِ ، واستحْصافِ حبلِها في يدهِ ، ووفَّقَهُ
 لإصابةِ الغرضِ مِنْ كلِّ مرمى يرميه ، ومقصدٍ ينتحيه ، وهو جَلُّ ثناؤُهُ الحقيقُ
 بإتمامِ ذَلِكَ عليه ، والزيادةِ فِيهِ لَدِيهِ .

وأحمدُهُ سبحانهُ حمداً أبتدئُهُ ثُمَّ أعيدُهُ ، وأُكْرِرُهُ وأستزيدُهُ ؛ على أن
 أهْلَ ركنِ الدَّولةِ أبا عليٍّ ، وعضدَ الدَّولةِ أبا شجاعٍ ، مولى أميرِ المؤمنينَ ،
 وأهْلَنِي للأثرةِ التي بذُنا فِيها الأكفاءُ ، وفُقنا فِيها القرناءُ ، وتَقَطَّعتْ دونها
 أنفاسُ المنافسينَ ، وتَضَرَّمتْ عليها أحشاءُ الحاسدينَ ، وإذ أولاني في كلِّ
 مغزى في خدمةِ أميرِ المؤمنينَ أغزوهُ ، ومنحَى أنحوهُ ، ورأبِ أرابُهُ ، وشعثِ
 أَلْمُهُ ، وعدوِّ أَرْغَمُهُ ، وزائغِ أَقْوَمُهُ . . أفضلَ ما أولاهُ عبادةُ السليمةِ عُيُوبُهُمْ ،
 النقيَّةِ جُيُوبُهُمْ ، المأمونةِ ضمائِرُهُمْ ، المشحودةِ بصائِرُهُمْ ؛ مِنْ تمكينِ يَدِهِ ،
 وتثبيتِ قَدَمِهِ ، ونصرِ رَأْيِهِ ، وإعلاءِ كَلِمِهِ ، وتقريبِ بغيَّتِهِ ، وإنالةِ أمنيَّتِهِ ،

وكذلك يكون مَنْ إلى أمير المؤمنين اعتزاًؤه ، وبشعاره اعتزاًؤه ، وعن زناه
قدحُه ، وفي طاعته كدحُه ، والله ولي ما حوّلنيه مِنْ هذه المنقبه ، وسوْغنيه
مِنْ هذه الموهبه ، وأن يتوحدَ أمير المؤمنين في جميع خدَمه الذائدين
عن حوزته ، المنتمين إلى دعوتِه ؛ بيمين الطائر ، وسعادة الطالع ، ونجاح
المطلب ، وإدراك الأرب ، وفي أعدائه الغامضين لنعمته ، الناقضين موثيق
بيعتِه ؛ بإضرع الخد ، وإتعاس الجد ، وإخفاق الأمل ، وإجباط العمل .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين ينكرُ قديماً مِنْ فضل الله بن ناصر الدولة
أحوالاً حقيقاً مثلها بالإنكار ، ومُستحقاً مَنْ ارتكبتها للإعراض ، وأنا أذهبُ
في حفظ غيبه ، وإجمال محضره ، وتمحّل حُجّته وتلفيقها ، وتأليف
معاذيره وتنميقها . . مذهبي الذي أعمُّ به كلَّ مَنْ جرى في ناشئ دولته ،
ومغتدِّ بنعمته ، ومنتسبٍ إلى ولايته ، ومُشتهرٍ بصنعتِه ، وأقدرُ أن أستصلحه
لأمير المؤمنين وأصلحه لنفسه ؛ بالتوقيف على مسالك الرشاد ، ومناهج
السداد ، وهو يريني أن قد قبلَ وارعوى ، وأبصرَ واهتدى ، حتى رغبتُ إلى
أمير المؤمنين فيما شفّعني مُتفضلاً فيه ؛ مِنْ تقليده أعمال أبيه ، والقناعة
منه في الضمان بمتيسورٍ بذله ، وإيثاره به على مَنْ هو فوقه مِنْ كبراء إخوته
وأهله .

فلما بلغ هذه الحال . . أظُّ بالمال ، وخاسَ بالعهد ، وطرَّقَ لفسخ العقد ،
وأجرى إلى أمورٍ كرهتها ، ونفدَ الصبرُ مني عليها ، وخفتُ أن أستمّرَ على
الإغضاء عنها والمسامحة فيها ، فيطلع الله مني على إضاعة الاحتياط في
أمرٍ قلّدني أمير المؤمنين زمامه ، وضمّني دركهُ ، وإرجائي لرجلٍ قبلَ في
الاعتماد عليه رأيي ، وعوّلَ في أخذه بما يلزمه على نظري واستيفائي ،
فتناولتهُ بأطراف العذل ملوّحاً ، ثمّ بتأنيبه مُفصّحاً مُصرّحاً .

ورسمتُ لعبدِ أميرِ المؤمنينَ الناصحِ أبي طاهرٍ أن يُحدِّثَهُ ويدخلَ عليه مِنْ طريقِ المشورةِ والرفقِ إلى آخرى ، وينتقلَ مَعَهُ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالخَشُونَةِ طَوْرًا فَطَوْرًا ، ففعلَ ذَلِكَ على رِسمِهِ في التَّأْتِي لِكُلِّ فَاسِدٍ حَتَّى يَصْلَحَ ، وَلِكُلِّ أَبِي حَتَّى يَسْمَحَ ، وَلَمْ يَدَعْ التَّنَاهِي فِي وَعْظِهِ ، وَالتَّمَادِي فِي نَصْحِهِ ، وَتَعْرِيفَهُ سَوْءَ عَاقِبَةِ اللَّجَاجِ ، وَشِنَعَةَ مَغْبَةِ الإِحْرَاجِ ، وَهُوَ يَزِيدُ طَمَعًا فِي الأَمْوَالِ وَشِرْهًا ، وَعَمَى فِي الرَّأْيِ وَعَمَهَا ، إِلَى أَنْ كَادَ أَمْرُنَا مَعَهُ يَخْرُجُ عَن حَدِّ الأَنْتِظَارِ ، إِلَى حَدِّ الرِّضَا بِالإِصْرَارِ ، فَاسْتَأْنَفْتُ إِدْرَاعَ الحِزْمِ ، وَامْتِطَاءَ العِزْمِ ، وَنَهَضْتُ إِلَى أَعْمَالِ المَوْصِلِ وَعِنْدِي أَنَّهُ يَغْنِينِي عَنِ الإِتْبَابِ ، وَيَتَلَقَّانِي بِالأَعْتَابِ ، وَيُنْقَادُ إِلَى المَرَادِ ، وَيَتَجَنَّبُ طَرِيقَ العِنَادِ .

فحينَ عَرَفَ خَبَرَ مَسِيرِي ، وَجَدِي فِيهِ وَتَشْمِيرِي . . بَرَزَ بِرُوزِ المِخَالِفِ المِكَاشِفِ ، وَتَجَرَّدَ تَجَرَّدَ المَوَاقِعِ المَوَاقِفِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِذَا أَزْدَدْتُ مِنْهُ قَرِيبًا . . أَزْدَادَ مِنِّي بُعْدًا ، وَإِذَا دَلَفْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا . . نَكَصَ عَنِّي بَاعًا .

وَتَوَافَتْ إِلَى حَضْرَتِي وَجُوهُ القِبَائِلِ مِنْ عَقِيلِ وَشَيْبَانَ وَغَيْرِهِمَا ، فِي الجَمْعِ الكَثِيفِ مِنْ [صَعَالِيكِهِمَا] وَالعَدَدِ الكَثِيرِ مِنْ [صِنَادِيدِهِمَا] ، دَاخِلِينَ فِي الطَّاعَةِ ، مُتَصَرِّفِينَ فِي عَوَاضِ الخِدْمَةِ ، فَلَمَّا شَارَفْتُ الحَدِيثَةَ . . انْتَقَضَتْ عِزَائِمُ صَبْرِهِ ، وَتَقَوَّضَتْ دَعَائِمُ أَمْرِهِ ، وَبَطَلَتْ أَمَانِيَّتُهُ وَوَسَاوِسُهُ ، وَاضْمَحَلَّتْ خَوَاطِرُهُ وَهُوَاجِسُهُ ، [وَاضْطَرَبَ] عَلَيْهِ مِنْ ثِقَاتِهِ وَغِلْمَانِهِ مَنْ كَانَ بِهِمْ يَعْتَصِدُ ، وَعَلَيْهِمْ يَعْتَمِدُ ، وَرَأَوْا خِذْلَانَهُ ، وَالأَخَذَ لِنَفُوسِهِمْ وَمَفَارِقَتَهُ ، وَالطَّلَبَ لِحِظُوظِهِمْ ، وَحَصَلَ بِحَضْرَتِي إِلَى هَذِهِ الغَايَةِ رُهَاءَ خَمْسِ مِئَةِ رَجُلٍ ذَوِي خَيْلٍ مِخْتَارَةٍ ، وَأَسْلِحَةٍ شَاكَّةٍ ، فَصَادَفُوا عِنْدِي مَا أَمَلُوا مِنْ فَائِضِ الإِحْسَانِ ، وَغَامِرِ الامْتِنَانِ ، وَذَكَرُوا عَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ نِظَرَاتِهِمُ الحِرْصِ عَلَى الاستِثْمَانِ ، وَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ ، وَيَبَادِرُونَ وَلَا يَتَوَانُونَ .

ولمَّا رأى ذلك . . لم يملك نفسه أن مضى هارباً على طريق سنجار ،
منكشفاً عن هذه الديار ، قانعاً من تلك الآمال الخائبة ، والظنون الكاذبة ؛
بسلامة حُشاشة هي رهينة غيها ، وصرعته بغيا .

وكان انهزامه بعد أن فعل الفعل السخيف ، وكاد بالکید الضعيف . . بأن
غَرَّق سفن الموصلي ، وأحرق جسرَها ، واستدَمَّ إلى أهلها ، وتزوَّد منهم اللعن
المطيف به أين يَمَم ، الكائن معه حيث خيم .

ودخلتها يومي هذا - أيَّد الله أمير المؤمنين - دخول الغانم الظافر ،
المستعلن الظاهر ، فسكنت من نفوس سُكَّانها ، وشرحت صدور قُطَّانها ،
وأعلمتُّهم ما أمرني به أمير المؤمنين - أعلا الله أمره - من تأنيس وحشتهم ،
ونظم [ألفتهم] ، وضمَّ نشرهم ، ولمَّ شعثهم ، وإجمال السيرة فيهم في
ضروب معاملاتهم وعلقهم ، وصنوف متصرفاتهم ومعاشيهم ، وكثر منهم
الثناء والدعاء ، والله سامع ما رفعوا ، ومجيب ما سألوا .

وأجلت حال هذا الجاهل - أيَّد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمة ،
وأذل هزيمة ؛ لأنه لم يلتق لقاء البائح بالطاعة ، المعتذر من سالف التفریط
والإضاعة ، ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة ، المحقق لزعمه
في الثبات للمدافعة ، ولا كان في هذين الأمرين بالبرّ التقي ، ولا الفاجر
القوي ، بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره ، وفضيحة جبنه وخوره ، منتهاكاً
للصّلاح ، عادلاً عن الصّواب ، قد ذهب عنه الرشاد ، وضربت بينه وبينه
الأسداد ، وأنزله الله منزلة مثله ؛ ممّن أساء حفظ الوديعه ، وجوار الصنعيه ،
واستوجب نزعهما منه .

وتأمّلت - أيَّد الله أمير المؤمنين - أمره على التجريب ، وتصفحته
بالتقليب ؛ فإذا هو الرجل الذي أطاع فيه أبوه هوى أمه ، وعصى دواعي رأيه

وحزمه ، وقدمه من ولده على من هو أنسُ رشداً ، وأكبرُ سناً ، وأثبتُ جاشاً ،
وأجرى جناناً ، وأشجعُ قلباً ، وأوسعُ صدرأ ، وأجدرُ لمخايلِ النجابهِ وشمائلِ
اللبابهِ .

فلما اجتمعتْ له أسبابُ القدرة والثروة ، وأمكنته مناhezُ الغرة والفرصة . .
وثب عليه وثبة السرحانِ ، في ثلثة الضانِ ، وجزاهُ جزاءً أمِ عامرٍ لمجيرها ؛
إذ فرتهُ بانيابها وأظفارها ، واجتمع وأخوه من الأمِّ ، المُرتضعِ معه لبانِ
الإثمِ ؛ المُكنى بأبي البركاتِ وليسَ بأبٍ لها ، ولا حَرٍ بشيءٍ منها ، على
أن صرعاهُ وعاقاهُ ، وقبضا عليه وأوثقاهُ ، وأقرأهُ من قلعتهما حيثُ يُقرُّ
العتاةُ ، ويُعاقبُ الجناةُ ، ثم أتبعهُ ذلكَ باستحلالِ دمه ، وإفاضة مهجته ،
غيرَ راعيينِ فيه حقَّ الأبوةِ ، ولا حانئينِ عليه حنوَّ البنوةِ ، ولا مُتذممينِ
من الإقدامِ على مثله ممن تقدمت عند سلطانهِ قدمهُ ، وتوكدت أواصرهُ
وعصمهُ ، ولا راحمينِ له من ضعفِ شيخوخته ، ولا مصغيينِ إلى وصية الله
إياهما به ، التي نصّها في محكم كتابهِ ، وكتررها في آيه وبيناته ؛ إذ يقولُ :
﴿ أَشْكُرُكَ يَا وَلَدِيكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (١) ، وإذ يقولُ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا
تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّانِي صَغِيرًا ﴾ (٢) .

فبأيِّ وجهٍ يلقي الله قاتلُ والدٍ حدبٍ قد أمرَ ألا ينهره ؟ وبأيِّ لسانٍ
ينطقُ يومَ يُسألُ عمّا استجاره فيه وفعله ؟ وتالله ؛ لو أن بمكانهِ عدواً لهما
قد قارضهُما الذحولَ ، وقارعهُما عن النفوسِ . . لَقَبِحَ بهما أن يلوما ذلكَ

(١) سورة لقمان : (١٤) .

(٢) سورة الإسراء : (٢٣ - ٢٤) .

اللُّؤْمَ عِنْدَ الظَّفَرِ بِهِ ، وَأَنْ يَرْكَبَا تِلْكَ الخُطَّةَ الشَّنْعَاءَ فِي الأَخْذِ بِنَاصِيَتِهِ وَلَمْ يَرْضَ فَضْلُ اللَّهِ بِمَا أَتَاهُ إِلَيْهِ حَتَّى اسْتَوْفَى حُدُودَ قَطْعِ الرَّجْمِ ؛ بَأَنْ تَتَّبَعَ أَكْبَرَ إِخْوَتِهِ السَّالِكِينَ خِلَافَ سَبِيلِهِ ، المُتَّبِرَيْنِ المُسْتَبِرَيْنِ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَظِيمِ مَا اكْتَسَبَ ، وَوَحِيمِ مَا احْتَقَبَ ؛ لَمَّا غَضِبُوا لِأَبِيهِمْ ، وَامْتَعَضُوا مِنَ المُسْتَحِلِّ فِيهِ وَفِيهِمْ ، فَقبَضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ حَيْلَةً وَغِيْلَةً ، وَغَدْرًا وَمَكِيدَةً ، وَنَابَذَ حَمْدَانَ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مُنَابَذَةً خَارَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ؛ بَأَنْ أَصَارَهُ مِنْ فِنَاءِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَى الجَانِبِ العَزِيزِ ، وَالحَرِزِ الحَرِيزِ ، وَأَنْ أُجْرِيَ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ الحَرْبَ الوَاقِعَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَعْرُوفِ بِكُنْيَتِهِ أَبِي البَرَكَاتِ ، الَّتِي لَقَّاهُ اللَّهُ فِيهَا بِخَسَّةٍ ، وَأَتْلَفَ نَفْسَهُ ، وَصَرَعَهُ بِعَقُوقِهِ وَبِغِيهِ ، وَقَنَعَهُ بِعَارِهِ وَخَزِيهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَاكَ لَا يَتَعَطَّ وَلَا يَنْزِعُ ، وَلَا يَنْزَجُرُ وَلَا يَقْلَعُ ؛ إِصْرَارًا عَلَى الجَرَائِرِ الَّتِي اللَّهُ عَنْهَا حَسِبُهُ ، وَبِهَا طَلِبُهُ ، وَالدُّنْيَا وَالأُخْرَى مُرْصَدَتَانِ لَهُ بِالجَزَاءِ المَحْقُوقِ عَلَيْهِ ، وَالعِقَابِ المَسُوقِ إِلَيْهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كَلِّهِ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ - خُطْبًا ، وَأَوْعُرُ مَسْلُكًا وَلِحَبًا ؛ أَنْ مِنْ شَرَائِطِ العَهْدِ الَّتِي كَانَ عُهُدًا إِلَيْهِ ، وَالعَقْدِ الَّتِي عُقِدَ لَهُ ، وَالضَّمَانِ المُخَفَّفِ مَبْلَغُهُ عَنْهُ ، المَأْخُودِ عَفْوُهُ مِنْهُ : أَنْ يَتَنَاهَى فِي ضَبِطِ الثُّغُورِ ، وَجِهَادِ الرُّومِ ، وَحَفِظِ الأَطْرَافِ ، وَرَمِّ الأَكْنَافِ ، فَمَا وَفَّى بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى الاستِثْنَاءِ بِالأَمْوَالِ وَاقْتِطَاعِهَا ، وَإِحْرَازِهَا فِي مَكَانِهَا وَقِلَاعِهَا ، وَالضَّنِّ بِهَا دُونَ الإِخْرَاجِ فِي وَجُوهِهَا ، وَالوَضْعِ لَهَا فِي حَقُوقِهَا ، وَأَنْ تَرَاحَى فِي أَمْرِ عَظِيمِ الرُّومِ مُهْمِلًا ، وَاطَّرَحَ الفِكْرَ فِيهِ مُغْفَلًا ، حَتَّى هَجَمَ فِي الدِّيَارِ ، وَأَثَّرَ الأَثَارَ ، وَنَكَأَ القُلُوبَ ، وَأَبْكَى العَيُونَ ، وَصَدَعَ الأَكْبَادَ ، وَأَحْرَّ الصُّدُورَ ، فَمَا كَانَ عِنْدَهُ فِيهِ مَا يَكُونُ عِنْدَ المُسْلِمِ القَارِئِ لِكِتَابِ اللَّهِ ؛ إِذْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ ﴾

وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ .

بل صدف عن ذكر الله لاهياً ، وعدل عن كتابه ساهياً ، واستفسخ ذلك البيع والعقد ، واستنجز الوعيد لا الوعد ، ولاطف طاغية الروم وهاداه ، وأماره وأعطاه ، وصانعه بمال المسلمين الذي يلزمه - إن سلم دينه وصح يقينه - أن ينفقه في مرابطهم ، ويدب به عن حريمهم ، وأبى إلا أن يعكس ويلفته عن وجهته ؛ بالنقل إلى عدوهم ، وإدخال الوهن بذلك عليهم ، وقاد إليه من الخيل العتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ، وكان فيما أتشفه به الخمر التي حظر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وأمره بأن يجتنبها ويجتوبها ، وصلبان ذهب صاغها له ، وتقرب بها إليه تقرباً قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة ، حتى كأنه عامل من عماله وبطريق من بطارقتِه .

فأما فشله عن مكافحته ، ولهجه بملاطفته .. فضد الذي أمره الله به في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وأما نقله ما نقل من الخيل عن ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم .. فنقيض قوله عز وجل : ﴿ وَعَدُوا لَهُمْ مَا أَسْطَغَرُوا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٣) .

(١) سورة التوبة : (١١١) .

(٢) سورة التوبة : (١٢٣) .

(٣) سورة الأنفال : (٦٠) .

وَأَمَّا إِهْدَاؤُهُ الْخَمَرَ وَالصُّلْبَانَ . . . فِخْلَافُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

كُلُّ ذَلِكَ عِنَاداً لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَطَمْساً لِأَعْلَامِ الدِّينِ ، وَضَنْأً بِمَا حَامَى
عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْحُطَامِ الْمَجْمُوعِ مِنَ الْحَرَامِ ، الْمُثْمَرِ عَنِ الْآثَامِ ، الْمُقْتَطَعِ مِنْ
فِيءِ الْإِسْلَامِ .

وَقَدْ فَعَلَ الْآنَ بِي وَبِالْعَسَاكِرِ الَّتِي مَعِي وَمَنْ يَضُمُّ وِلَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
الَّذِينَ هُمْ إِخْوَتُهُ وَصَحْبُهُ إِنْ كَانَ مُؤْمِناً ، وَأَنْصَارُهُ وَحِزْبُهُ إِنْ كَانَ مَوْفِئاً . . .
مِنْ تَوْعِيرِ الْمَسَالِكِ ، وَتَغْرِيقِ الشُّفَنِ ، وَتَضْيِيقِ الْأَقْوَاتِ ، وَاسْتِهْلَاكِ الْأَزْوَادِ ؛
لِيُؤَصِّلَ إِلَيْنَا الضَّرَّ ، وَيُلْحِقَ بِنَا الْجِهْدَ ، فَعَلَ الْعَدُوَّ الْمُبِينِ ، الْمَخَالَفِ فِي
الدِّينِ ، فَهَلْ يُؤْمَلُ فِي هَذَا النَّادِ الْمَعَانِدِ وَالشَّادِ الشَّارِدِ ؟ ! وَهَلْ يَطْمَعُ مِنْ مِثْلِهِ
فِي حَقِّ يَقْضِيهِ ، أَوْ فَرَضِ يُوَدِّيهِ ، أَوْ عَهْدِ يَرَعَاهُ ، أَوْ [ذِمَامِ] يَحْفَظُهُ ، وَهُوَ لِلَّهِ
عَاصٍ ، وَإِلَامِهِ مَخَالَفٌ ، وَلِوَالِدِهِ قَاتِلٌ ، وَلِرَحِمِهِ قَاطِعٌ ؟ !

كَلَّا وَاللَّهِ ، بَلْ هُوَ الْحَقِيقُ بِأَنْ تُثْنَى إِلَيْهِ الْأَعْنَةُ ، وَتُشْرَعَ نَحْوُهُ الْأَسِنَّةُ ،
وَتُنْصَبَ لَهُ الْأَرْصَادُ ، وَتُشْحَدَ لَهُ السُّيُوفُ الْجِدَادُ ؛ لِيَقْطَعَ اللَّهُ بِهَا دَابِرَهُ ،
وَيَجُتِبَ غَارِبَهُ ، وَيَصْرَعَهُ مَصْرَعَ الْأَثِيمِ الْمَلِيمِ ، الْمُسْتَحِقِّ لِلْعَذَابِ الْأَلِيمِ ،
أَوْ يَفِيءَ إِلَى الْحَقِّ إِفَاءَةَ الدَّخْلِ فِيهِ بَعْدَ خُرُوجِهِ ، الْعَائِدِ إِلَيْهِ بَعْدَ مَرُوقِهِ ،
التَّائِبِ الْمُنِيبِ النَّازِعِ الْمُسْتَقِيلِ ، فَيَكُونُ حَكْمُهُ شَبِيهَاً بِحَكْمِ الرَّاجِعِ عَنِ
الرَّدَّةِ ، الْمَحْمُولِ عَلَى ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا الْمَرِاشِدَ ، وَوَقَفَ بِنَا عَلَى السَّبِيلِ الْمُنْجِيَةِ لَنَا ،
وَالْمَقَاصِدِ الْمَفْضِيَةِ إِلَى رِضَاؤِهِ ، الْمُؤْمِنَةِ مِنْ سَطَاؤِهِ .

(١) سورة المائدة : (٩٠) .

والحمدُ لله الذي أعزَّ أميرَ المؤمنينَ بالنصرِ ، وأعطاهُ لواءَ القهرِ ، وجعلَ أولياءَهُ الغالبينَ ، وأعداءَهُ السافلينَ الهابطينَ ، وهنَّأَهُ اللهُ هذا الفتحَ ، ولا أخلاهُ مِنْ أشكالٍ لَهُ تقفوهُ وتتبعُهُ ، وأمثالٍ تتلوهُ وتشفعُهُ ، واصلاً فيها إلى ما وصلَ إليه فيه ؛ مِنْ حيازتهِ مهناً لم يُسَفِّكْ فيه دَمٌ ، ولم يُنتَهَكْ مُحَرَّمٌ ، ولم يُنَلَّ جهْدٌ ، ولم يمسَّ نصبٌ .

أنهيتُ إلى أميرِ المؤمنينَ ذلكَ ؛ ليضيفَ صنعَ اللهِ لَهُ فيه إلى السالفِ مِنْ عوارفهِ عندهُ وأياديهِ ، وليجددَ مِنْ شكرِهِ ما يكونُ داعياً إلى الإدامَةِ والمزيدِ ، مقتضياً للفوزِ والتأييدِ ، إن شاء اللهُ تعالى .

[كتابُ الملكِ صلاحِ الدِّينِ إلى مَقَرِّ الخِلافةِ ببغدادِ]

وهذه صورةُ كتابٍ مِنْ إنشاءِ الفاضلِ ، الذي سلفَ القولُ بأنَّهُ أوَّلُ الطَّبَقَةِ الثالثةِ : عن ملكِهِ صلاحِ الدِّينِ يوسفَ مِنْ مصرَ إلى مَقَرِّ الخِلافةِ ببغدادِ ، بالبشارةِ عن فتحِ بلدٍ مِنْ بلادِ النُّوبَةِ ، وانهزامِ ملكِها وعساكرِهِ^(١) :

صلواتُ اللهِ التي أعدها لأوليائهِ وأدخرها ، وتحياتهُ التي قذفَ بشهبيها شياطينَ أعدائهِ ودحرها ، وبركاتهُ التي دعا بها كلَّ مُوحِدٍ فأجابَ ، وانفشعَ بها غمامُ الغمِّ وظلامُ الظلمِ فانجابَ عن أنجابِ ، وزكاتهُ التي هي للمؤمنينَ سكنٌ ، وسلامُهُ الذي لا يعتري الموقنينَ في ترديدهِ حَصْرٌ ولا لَكْنٌ ، على مولانا عاقدِ أُلويةِ الإيمانِ ، وصاحبِ دورِ الزمانِ ، وساحبِ ذيلِ الإحسانِ ، وغالبِ حزبِ الشيطانِ ، الذي [زلزلتْ] إمامتهُ قدمَ الباطلِ ، وحلَّتْ خِلافتُهُ ترائبَ الدَّهرِ العاطلِ ، واقتضتْ سيوفُهُ ديونَ الدِّينِ مِنْ كلِّ غريمٍ ماطلِ ، وأمضتْ غَرْبَ كلِّ عزمٍ للحقِّ مفلولِ ، وأطلعتْ غاربَ نجمِ كلِّ هدىٍ آفلِ ،

(١) انظر « صبح الأعشى » (٥١١/٦ - ٥١٥) .

وشفَعَتْ يَقْضَاتُ اسْتِغْفَارِهِ إِلَى غَافِرِ ذَنْبِ كُلِّ غَافِلٍ ، وَعَلَى آبَائِهِ الْغَايَةِ
وَالْمَفْرَعِ ، وَالْمَلَاذِ فِي وَقْتِ الْفِرْعِ ، وَالْقَائِمِينَ بِحَقُوقِ اللَّهِ إِذْ قَعَدَ النَّاسُ ،
وَالْحَاكِمِينَ بَعْدَ اللَّهِ إِذْ عُدِمَ الْقِسْطُ ، وَالْمُسْتَضِيئِينَ بِأَنْوَارِ الْإِلَهَامِ الْمُرُوثَةِ
مِنَ الْوَحْيِ إِذْ أَعْجَزَ الْاِقْتِبَاسُ ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِأَسَاءِ وَالصَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَاسِ ،
خُزَّانِ الْحِكْمِ وَحُقَاقِظِهَا ، وَمَعَانِي النِّعَمِ وَالْفَاقِظِهَا ، وَأَعْلَامِ الْعُلُومِ الْمُنْشُورَةِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَكَالْتِي الرُّوحِ الْمُنْتَشِرَةِ بِكَلَاءَةِ يَدِ الْإِمَامَةِ ، وَمَنْ لَا يَنْفُذُ
سَهْمُ عَمَلٍ إِلَّا إِذَا شُحِدَ بَوْلَايَتِهِمْ ، وَلَا يَتَأَلَّقُ صَبْحُ هِدَايَةِ إِلَّا إِذَا اسْتَصْبَحَ
السَّارِي بِدَلَالَتِهِمْ .

المملوكُ يُقْبَلُ الْأَرْضَ بِمَطَالِعِ الشَّرْفِ وَمَنَازِلِهِ ، وَمَرَابِعِ الْمَجْدِ وَمَعَاقِلِهِ ،
وَمَجَالِسِ الْجُودِ ، [وَمَحَالِّ] السُّجُودِ ، وَمَخْتَلَفِ أَنْبَاءِ الرَّحْمَةِ الْمُنْزَلَةِ ، وَمَرْسَى
أَطْوَارِ الْبَسِيطَةِ الْمُنْزَلَةِ ، وَمَفْتَرِّ مَبَاسِمِ الْإِمَامَةِ ، وَمَجَرِّ مَسَاحِبِ الْكِرَامَةِ ،
وَمَكَانِ جَنُوحِ أَجْنَحَةِ الْمَلَائِكَةِ حَيْثُ يَدْخُلُونَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مُسَلِّمِينَ ، وَتَتَبِعُهُمْ
مَلُوكُ الْأَرْضِ مُسْتَسْلِمِينَ ، وَمَشَاهِدُ الْإِسْلَامِ كَيَوْمِ أَنْزَلَ فِيهِ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ ﴾ ^(١) ، [وَيَنْعَقُدُ] عَلَى الْوَلَايَةِ ؛ فَأَمَّا غَيْرُهُ . . فَلَهُ قَوْلُهُ : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ
يَلُونَكُمْ ﴾ ^(٢) ، وَيَنَاجِيهَا بِلِسَانِ جَلِيِّ الْإِخْلَاصِ الصَّادِقِ عَقِيدَتُهُ ، وَنَشَاطِ الْوَلَاءِ
السَّابِقِ عَقِيلَتُهُ ^(٣) ، وَأَرْهَفَ الْإِيمَانَ النَّاصِعُ مُضَارِبُهُ ، وَأَفْسَخَ الْمَعْتَقِدُ النَّاصِحُ
مَذَاهِبَهُ ، فَأَعْرَبَ عَنِ خَاطِرٍ لَمْ يَخْطُرْ فِيهِ لَغَيْرِ الْوَلَاءِ خَطَرٌ ، وَقَلْبٍ أَعَانَهُ عَلَى
وَرُودِ الْوَلَاءِ [أَنْ] صَفَاءَ الْمَصَافَاةِ فِيهِ فِطْرَةٌ .

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَزِيلُ عَنْهُ فِي شَرَفِ الْمَثُولِ عَوَائِقَ الْقَدْرِ وَمَوَانِعَهُ ، وَيَكْشِفُ

(١) سورة المائدة : (٣) .

(٢) سورة التوبة : (١٢٣) .

(٣) فِي « صَبْحِ الْأَعْيُنِ » (٥١٣/٦) : (بِلِسَانِ جَلِيِّ الْإِخْلَاصِ الصَّادِقِ عَقِيدَتُهُ ، وَأَنْشَطِ الْوَلَاءِ السَّابِقِ
عَقِيلَتُهُ) .

لَهُ عَن قَنَاعِ الْأَنْوَارِ الَّتِي لَيْسَتْ هِمَّتُهُ بِمَا دُونَ نَظَرِهَا قَانِعَةً ، وَكَانَ تَوَجُّهُ
 مَنْصُورًا بِجَيْشِ دَعَائِهِ قَبْلَ جَيْشِ لَوَائِهِ ، وَبِعَسْكَرِ إِقْبَالِهِ قَبْلَ عَسْكَرِ قِتَالِهِ ،
 وَبِنِصَالِ سُلْطَانِهِ قَبْلَ نِصَالِ أَجْفَانِهِ ، لَا جَرَمَ أَنَّ كِتَابَ الرَّعْبِ سَارَتْ أَمَامَ
 الْكِتَابِ ، وَقَوَاضِبِ الْحَذْرِ غَمَضَتْ فِي جَفُونِهَا عَيُونَ الْقَوَاضِبِ ، وَسَارَ أَوْلِيَاءُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ، وَتَدَاعَوْا بِلِسَانِ النِّعْمَةِ ، وَتَصَرَّفُوا
 بِيَدِ الْخِدْمَةِ ، وَصَالُوا بِسَيْفِ الْعِزْمَةِ ، مَتَوَاحِيَةً نِيَّاتُهُمْ فِي الْإِقْدَامِ ، مَتَأَلِّفَةً
 طَوِيَّاتُهُمْ فِي طَاعَةِ الْإِمَامِ ؛ كَالْبَنِيَانِ الْمَرْصُوعِ انْتِظَامًا ، وَكَالْغَابِ الْمُشَجَّرِ
 أَعْلَامًا ، وَكَالنَهَارِ الْمَاتِعِ حَدِيدًا وَهَاجًا ، وَكَاللَّيْلِ الشَّامِلِ عَجَاجًا عَجَاجًا ،
 وَكَالنَهْرِ الْمَتَدَاعِ أَصْحَابًا ، وَكَالْمَشْطِ الْمُطَّرِدِ اصْطِحَابًا ، فَمَا أُبْصِرْتَ رِيَاضُهَا
 الْمِزْهَرَةَ ، وَغِيَاضُهَا الْمُشَجَّرَةَ . . إِلَّا دَلَّتْ عَلَيَّ أَنَّ السَّحَابَ الَّذِي سَقَاهُمْ
 كَرِيمًا ، وَالْإِنْعَامَ الَّذِي غَمَرَهُمْ عَظِيمًا ، وَالدُّنْيَا الَّتِي وَسَعَتْهُمْ مِنْ عِزْمَتِهِمْ تَظَعُنُ
 وَتَقِيمُ .

وَلَمَّا عَلِمَ الْعَدُوُّ أَنَّ الْخَطْبَ الْمَظْنُونَ قَدْ صَرَخَ خَطَابُهُ ، وَالْأَمَلَ الْمَخْدُوعَ
 قَدْ صَفَرَ وَطَابُهُ . . رَاسَلَ وَرَأَى أَنَّ سَلَ السِّيُوفِ يَغْمِدُهُ ، وَمَاكَرَ وَمَا كَرَّ
 لَعَلِمِهِ أَنَّ الْحَتْفَ يَغْمِدُهُ ، وَانْدَفَعَ هَارِبًا هَائِبًا ، وَخَضَعَ كَائِبًا كَاذِبًا ، فَمَضَى
 الْمَمْلُوكُ قُدُمًا ، وَحَمَلَهُ ظِلْمَهُ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ، وَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ إِنْ
 وَطِئَ الْبَسَاطَ بِرَجْلِهِ وَإِلَّا . . وَطِئَهُ بِرَأْسِهِ ، وَإِنْ قَدَّمَ عَلَى الْمَمْلُوكِ بِأَمْلِهِ ،
 وَإِلَّا . . أَقْدَمَهُ [بِبِأْسِهِ] ، وَإِنْ أَظْهَرَ أَثَرَ التَّوْبَةِ ، وَإِلَّا . . أَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ بِسِكْرَةِ
 الْمَوْتِ مِنْ كَأْسِهِ ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ مِرَاوِعَةٍ تَحْتَهَا مِغَاوِرَةٌ ، وَمِكَاشِرَةٌ وَرَاءَهَا
 مِكَابِرَةٌ .

فَاسْتَخَارَ اللَّهَ فِي طَلْبِهِ ، وَانْتَهَزَ فِيهِ فِرْصَةً شَغَلَ قَلْبَهُ بِرَبِّهِ ، وَلَمْ يَغْرَهُ مَا
 أَمَلَى لَهُ فِي الْبِلَادِ مِنْ تَقْلِبِهِ ، وَسَارَ وَلَمْ يَزَلْ مُقْتَحِمًا ، وَيَقْدُمُ أَوَّلَ الْعَسْكَرِ
 مُحْتَدِمًا ، وَإِذَا الدَّارُ قَدْ تَرَحَّلَ أَهْلُهَا مِنْهَا فَبَانُوا ، وَظَعَنُوا عَن سَاحَتِهَا فَكَانَتْهُمْ

ما كانوا ، ولم يبقَ إلاّ مواقدُ نيرانٍ رحلتْ قلوبُهُم بضرامِها ، وأثافي دهمٍ
أعجلتِ المهابةُ ما ردَّ شقيهُم عن طعامِها^(١) ، وغربانُ بينِ كأنّها في الدّيارِ
ما قطعَ من رؤوسِ بني حامِها ، وعوافي طيرٍ كانتْ تنظرُ من أشلائِهِم فطرَ
صيامِها ، وعادتِ الرسلُ المنفذةُ لاقتفاءِ آثارِهِم ، وأداءِ أخبارِهِم ، ذاكراً أنّهم
لبسوا الليلَ حداداً على النعمةِ التي خُلعتْ ، وغسلوا بماءِ الصُّبحِ أطماعَ
نفسٍ كانتْ قد تطلّعتْ ، وأنّهم طلّعوا الأوعارَ أوعالاً والعقابَ عقباناً ،
وكانوا لمهابطِ الأوديةِ سيولاً ، ولأعالي الشجرِ قضباناً ، فرأى المملوكُ أنّ
الكتابَ قد بلغَ أجله ، والعزمَ منهم قد نالَ أمله ، والفتكَ بهم قد أعملَ
[مُنْضَلُهُ] ، وأنّ سيوفَ عساكرِ أميرِ المؤمنينَ مُنزّهةٌ أن تريقَ إلاّ دماءَ أكفائها
من الأبطالِ ، وأن تلقى إلاّ وجوهَ أنظارِها من الرجالِ ، وأصدرَ هذه الخدمةَ
والبلادُ من معرّتهم عاريةً ، والكلمةُ بانخفاضِهِم عاليةً ، ويدُ الله على
أعدائِهِ غاديةً ، وأنفسُ المخاذيلِ في وثاقِ مهابتِهِ عانيةً ، فرأى المملوكُ أنّ
يُرتبَ بعدهُ الأميرَ فلاناً لبيدَل الأمانِ لسوقِ أهلِ البلادِ ومزارعيها ، ويفصلَ
المحاكماتِ بينَ متابعي السّلطنةِ ومطواعيها ويفسحَ مجالَ الإحسانِ لمعاودي
المواطنِ ومراجعِها ، فإنّ مقامَ المملوكِ ومن معه من عساكرِ تمنعُ الشمسَ
من مطلعِها ، وتردُّ جريةَ البحرِ عن مدفعِها ، ممّا يضرُّ بالغلّالِ وينسفُها ،
ويجحفُ بالرعايا ويعسفُها .

فالحمدُ لله الذي جعلَ النصرَ لائذاً بأعطافِ اعتزامِهِ ، وأناملَ الرعبِ
السائرِ إلى الأعداءِ محرّكةً عذباتِ أعلامِهِ ، والعساكرَ المناضلةَ بسلاحِ ولائِهِ
تغني بأسمائها عن مرهفاتِها ، والكتائبَ المقاتلةَ بشعارِ علائِهِ تقرأ كتبَ
النصرِ من حمايتها .

(١) في «صبح الأعشى» (٥١٤/٦) : (سَغِبُهُم عن طعامِها) بدل (شقيهِم عن طعامِها) .

[كِتَابُ السُّلْطَانِ صِلَاحِ الدِّينِ إِلَى دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ]

وهذه صورة كتاب من إنشاء العماد الأصفهاني ؛ وهو عصريُّ الفاضل ،
ومن مشاهير هذه الطبقة عن السلطان صلاح الدين ، يخبر فيه ديوان الخلافة
بالانتصار على الإفرنج ، وإزالتهم عن بعض بلاد الشام حين كان قاصداً أن
يجليهم عن بيت المقدس وتلك النواحي (١) :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢) .

الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف
من قبل ومن بعد ، وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثلها
كرام الصّحائف ، ولم يجادل عن مثلها في المواقف ، في الأيام الإمامية
الناصرية زادها الله غرراً وأوضاحاً ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدواً ورواحاً ،
ومكّن سيوفها في كلِّ مأزق من كلِّ كافرٍ ومارق ، ولا أخلاها من سيرة
سريّة تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحمي
بالحقيقة حمى الحقائق ، وأنجزها الحقّ وقذف به على الباطل الزاهق ،
وملكها هوادي المغارب ومرامي المشارق ، ولا زالت إرادتها في الظلمات
مصابح ، وسيوفها للبلاد مفتح ، وأطراف أستها لدماء الأعداء نوازح .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيدّه ، وأظفر جنده الغالب
وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء [وجدّد جدده] ، وجعل بعد عسر يسراً ،
وقد أحدث الله بعد ذلك أمراً ، وهون الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه
صبراً ، وخوطب الدين بقوله : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ (٣) ، فالأولى في

(١) انظر « صبح الأعشى » (١٧/٦ - ٥٢٠) .

(٢) سورة الأنبياء : (١٠٥) .

(٣) سورة طه : (٣٧) .

عصرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ ، وَالْأُخْرَى هَذِهِ الَّتِي عَتَقَ فِيهَا مِنْ رِقِّ الْكُفَّاءِ ، فَهوَ قَدْ أَصْبَحَ حُرّاً ، وَالزَّمَانُ كَهَيْئَتِهِ اسْتَدَارَ ، وَالْحَقُّ بِبَهْجَتِهِ قَدْ اسْتَنَارَ ، وَالْكَفْرُ قَدْ رَدَّ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْتَعَارِ ، وَغُسِّلَ ثَوْبُ اللَّيْلِ بِمَاءِ فَجْرِ فَجَّرَ مِنْ أَنْهَارِ النَّهَارِ ، وَأَتَى اللهُ بِنِيَانَ الْكُفْرِ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَشَفَى غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرُقَاقِ مَاءِ الْمُرَدَّاتِ الْبُورَادِ .

أَنْزَلَ مَلَائِكَةً لَمْ تَطْهَرُ لِلْعَيُونِ اللَّاحِظَةِ ، وَلَمْ تَخَفَ عَنِ الْقُلُوبِ الْحَافِظَةِ ، عَزَّتْ سِيَمَا الْإِسْلَامِ بِمُسُومِهَا ، وَتَرَادَفَ نَصْرُهُ بِمُرْدِفِهَا ، وَأَخَذَتِ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، فَتَرَى مَتْرَفِيهَا كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا ، فَكَمْ أَقْدَمَ بِهَا حَيَزُومٌ ، وَرَكَضَ فَاتْبَعَهُ سَحَابٌ عَجَاجٌ مَرْكُومٌ ، وَضَرَبَ فَإِذَا ضَرْبُهُ كِتَابٌ جِرَاحٍ مَرْقُومٌ ، وَإِلَّا . . . فَإِنَّ الْحَرْبَ إِنَّمَا عَقِدَتْ سِجَالاً ، وَإِنَّمَا جَمَعَتْ رِجَالاً ، وَإِنَّمَا دَعَتْ خَفَافاً وَثِقَالاً ، فَمَا سَيْوْفٌ تَقَابُلُ سَيْوْفاً ، وَزُحُوفٌ تَقَاتُلُ زُحُوفاً ، فَيَكُونُ حَدُّ الْحَدِيدِ بِيَدِ مُذَكَّرٍ وَبِيَدِ مُؤَنَّثٍ ، وَيَكُونُ السَّيْفُ فِي الْيَدِ الْمَوْحِدَةِ يَغْنِي بِالضَّرْبَةِ الْمَوْحِدَةِ ، وَفِي الْيَدِ الْمُثَلَّثَةِ لَا يَغْنِي بِالضَّرْبِ مُثَلَّثاً ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي فِتْنَتِي التَّقَاتَا ، وَعَدَوَّتِي لَغَيْرِ مَوَدَّةِ اعْتِنَقَاتَا ، وَإِنَّ هَذِهِ النُّصْرَةَ إِنْ زُوِيَتْ عَنِ مَلَائِكَةِ اللهِ . . . جُحِدَتْ كِرَامَاتُهُمْ ، وَإِنْ زُوِيَتْ عَنِ الْبَشَرِ . . . فَقَدْ عُرِفَتْ قَبْلَهَا مَقَامَاتُهُمْ ، فَمَا كَانَ سَيْفٌ تَبْقِظُ مِنْ جَفْنِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْبَهُهُ الصَّرِيخُ ، وَلَا كَانَ ضَرْبٌ يَطِيرُ الْهَامَ قَبْلَ ضَرْبِ يَرَاهُ النَّاطِرُ وَيَسْمَعُهُ الْمُصِيخُ ، فَكَمْ ضَرْبَةً كَأَنَّهَا هَجْرَةُ الْمَوْتِ وَبِهَا التَّارِيخُ !! وَكَمْ طَعْنَةً تَخِرُّ لَهَا هَضَابُ الْحَدِيدِ وَلَهَا شَمَارِيخُ !!

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الْإِسْلَامَ جَدِيداً ثَوْبُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ جَدِيداً حَبْلُهُ ، مُبْيَضّاً نَصْرُهُ مُخْضَرّاً نَصْلُهُ ، مُتَّسِعاً فَضْلُهُ ، مُجْتَمِعاً شَمْلُهُ ، وَالْخَادِمُ يَشْرُحُ مِنْ نَبَأِ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَالنَّصْرِ الْكَرِيمِ مَا يَشْرُحُ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَمْنَحُ

الْحُبُورَ لِكَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُكْرَهُ الْبَشْرَى بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ
الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ إِلَى يَوْمِ الْخَمِيسِ مَنْسَلِخِهِ ، وَتِلْكَ سَبْعُ
لَيَالٍ وَثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ حَسُومًا ، سَخَّرَهَا اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ ، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَعى
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ ، وَرَايْتُهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ضَاحِكَةً كَمَا كَانَتْ مِنَ الْكُفْرِ
بَاكِئَةً .

فِيَوْمِ الْخَمِيسِ الْأَوَّلُ فُتِحَتْ طَبْرِيَّةٌ ، وَفَاضَ رِيُّ النَّصْرِ مِنْ بُحَيْرَتِهَا ، وَفُضَّتْ
عَلَى جَسْرِهَا الْفَرَنْجُ فَقَضَّتْ نَحْبَهَا بِحَيْرَتِهَا ، وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ كُسِرَ
الْفَرَنْجُ الْكَسْرَةَ الَّتِي مَا لَهُمْ بَعْدَهَا قَائِمَةٌ ، وَأَخَذَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ أَخَذَ
الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ مُنْسَلَخَ الشَّهْرِ فُتِحَتْ عَكَا بِالْأَمَانِ ،
وَرُفِعَتْ بِهَا أَعْلَامُ الْإِيمَانِ ، وَهِيَ أُمُّ الْبِلَادِ ، وَأَخْتُ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، وَقَدْ
أَصْبَحَتْ كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْكَفْرِ ، وَكَأَنَّ لَمْ تَفْتَقِرْ مِنَ الْإِسْلَامِ .

وَقَدْ أَصْدَرَ هَذِهِ الْمَطَالَعَةَ وَصَلِيبُ الصَّلْبُوتِ مَأْسُورٌ ، وَقَلْبُ مَلِكِ الْكُفْرِ
الْأَسِيرِ جَيْشُهُ الْمَكْسُورُ مَكْسُورٌ ، وَالْحَدِيدُ الْكَافِرُ الَّذِي كَانَ فِي الْكُفْرِ يَضْرِبُ
وَجْهَ الْإِسْلَامِ ، قَدْ صَارَ حَدِيدًا مُسْلِمًا يُفَرِّقُ خَطَوَاتِ الْكُفْرِ عَنِ الْأَقْدَامِ ، وَأَنْصَارُ
الصَّلِيبِ وَكِبَارُهُ ، وَكُلُّ مَنْ مِنَ الْمَعْمُودِيَّةِ عَمَدَتُهُ وَالْدِيرِ دَارُهُ . . قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
يَدُ الْقَبْضَةِ ، وَأَخَذَ رَهْنًا فَلَا يُقْبَلُ فِيهِ الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ،
وَطَبْرِيَّةٌ قَدْ رُفِعَتْ أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ عَلَيْهَا ، وَنَكَصَتْ مِنْ عَكَا مِلَّةُ الْكُفْرِ عَلَى
عَقْبَيْهَا ، وَعُمِرَتْ إِلَى أَنْ شَهِدَتْ يَوْمَ الْإِسْلَامِ وَهِيَ خَيْرُ يَوْمَيْهَا ، بَلْ لَيْسَ مِنْ
أَيَّامِ الْكُفْرِ يَوْمٌ فِيهِ خَيْرٌ ، وَقَدْ غُسِلَ عَنِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ بِدَمَائِ الشَّرِكِ مَا كَانَ
تَخَلَّلَهَا فَلَا ضَرَرَ وَلَا ضَيْرَ ، وَقَدْ صَارَتْ الْبَيْعُ مَسَاجِدَ بِهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَصَارَتْ الْمَذَابِحُ مَوَاقِفَ لَخَطْبَاءِ الْمَنَابِرِ ، وَاهْتَزَّتْ أَرْضُهَا لَوْقُوفِ
الْمُسْلِمِينَ فِيهَا وَطَالَمَا ارْتَجَّتْ لِمَوَاقِفِ الْكَافِرِ ، وَافْتَرَّتْ النَّصْرَةَ عَنْ ثَغْرِ

عَكَا بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَسَّرَ فَتَحَهَا ، وَتَسَلَّمَتَهَا الْمِلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالْأَمَانِ وَعَرَفَتْ فِي هَذِهِ الصَّفَقَةِ رِبْحَهَا ، وَأَمَّا طَبْرِيَةُ . . فَافْتَرَتْهَا يَدُ الْحَرْبِ فَأَنْهَرَتْ الْحَرْبُ جَرَحَهَا .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا تُضْرَبُ عَلَيْهِ الْحُدُودُ ، وَلَا تُزَكَّى بِأَزْكَى مِنْهُ الْعُقُودُ ، وَكَأَنَّهُ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَقَدْ دَنَا الْأَقْصَى مِنْ أَقْصَاهُ ، وَبَلَغَ اللَّهُ فِيهِ [الْأَمَلَ] الَّذِي عَلِمَ أَنْ يُحْصِيَهُ وَأَحَاطَ بِأَجَلِهِ وَقَضَاهُ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَأَجَلُ الْعَدُوِّ هَذِهِ الْكِتَابُ الْجَامِعَةُ ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ ، وَثَوَابٌ مَنْ حَظِيَ بِطَاعَتِهِ جَنَاتٌ نَعِيمِهِ الْوَاسِعَةُ ، وَاللَّهُ الْمَشْكُورُ عَلَى مَا وَهَبَ ، وَالْمَسْئُولُ فِي إِدَامَةِ مَا اسْتَيْقَظَ مِنْ جَدِّ الْإِسْلَامِ وَهَبَ .

[عَهْدٌ مِنَ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ مُظَفَّرٌ شَاهٍ]

وَمِنْ مَشَاهِيرِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ حِجَّةَ ، صَاحِبُ « خَزَانَةِ الْأَدَبِ » ، وَإِنْشَاؤُهُ كَثِيرٌ ، جُمِعَ فِي كِتَابِ ذِي مُجَلَّدَاتٍ ، مُلَقَّبِ بِـ « قَهْوَةِ الْإِنْشَاءِ » ، فَمِنْ إِنْشَائِهِ : صُورَةُ عَهْدِ كِتْبَهُ عَنْ خَلِيفَةِ وَقْتِهِ الْمُسْتَعِينِ لِأَحَدِ سُلَاطِينِ الْهِنْدِ ؛ وَهِيَ هَذِهِ ^(١) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَتَّقَّ عَهْدَ النِّجَاحِ لِلْمُسْتَعِينِ بِهِ ، وَثَبَّتْ أَوْتَادَهُ لِيَفُوزَ مَنْ تَمَسَّكَ مِنْ غَيْرِ فَاصِلَةٍ بِسَبَبِهِ ، وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحِ وَحَفَظَهَا ، وَأَفْرَعَهَا عَلَى أَعْطَافِ الْأَرْضِ حُلُلَ الْخِلَافَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَلِمَ أَنَّ فِي خَلْفِهَا الزَّاهِرِ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(٢) ، وَاخْتَارَهَا مِنْ بَيْتِ بَرَاعَةِ اسْتِهْلَالِهِ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ، وَسَبَقَتْ إِرَادَتُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ

(١) قهوة الإنشاء (ص ٤٢٨ - ٤٣٤) .

(٢) سورة البقرة : (٣٠) .

أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النَّهْلَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ سَقَايَةِ الْعَبَاسِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَ هَذِهِ السَّقَايَةَ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ عَلِمَ شَرَفَهَا . . تَمَيَّزَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

فالحمد لله الذي استخلف آل النبي في الأرض وفضلهم ، وإن تحدث أحد في شرف بيت . . فالله قد جعل البيت والحديث لهم ، فأكرم به بيتاً من أقر بعبوديته كان له من النار عتقاً ، وتمتع بنعيم بركته التي لا يتجنبها إلا الأشقى ، وكيف لا وهو البيت الذي بعث الله منه شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وصفي أهله من الأدناس ، وأنزل في حقهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢) ، وأبرز علمهم الخلفيتي على وجنة الدهر شامة ، وخصهم بالتقديم فالحمد لله والله أكبر لهذه الإمامة ، وإذا كان النسب ممدحاً وهو في النظم واسطة العقود . . فهذا هو النسب الذي يلوح عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصبح عموداً ، وهذا هو الركن الذي من استلمه واستند إليه . . قيل له : فزت بعلو سندك ، فقد قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ ؟ » ، قال : بلى يا رسول الله ، قال : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ الْأَمْرَ بِي ، وَيَخْتِمُهُ بِوَلَدِكَ » (٣) .

فأحبب بها شجرة نسب زكا غرسها ونما ، وتسامت بها الأرض وكيف لا؟! وأصلها ثابت وفرعها في السماء ، فسلام على خلفها الذي منه المستعين بالله ، والمتموكل عليه ، والواثق به والرشيذ ، ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميدٌ مجيدٌ .

(١) سورة الزمر : (٩) .

(٢) سورة الأحزاب : (٣٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣١٥/١) بنحوه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

نحمدُهُ حمدَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ آلَ هَذَا الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ كَسْفِينَةَ نُوحٍ وَتَعَلَّقَ بِهِمْ
 فَنجَا ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ مَالَ إِلَى الدُّخُولِ تَحْتَ الْعِلْمِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَتَنَصَّلَ مِنْ
 الْخَوَارِجِ فَوَجَدَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
 شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَرْجُو أَنْ تَكُونَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْحَاكِمِ وَقْتِ الْأَدَاءِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ
 مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي حَرَّضْنَا عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَرْشَدْنَا إِلَى طَرِيقِ
 الْهُدَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ وَقَفُوا لَهُ بِالْعَهْدِ ، وَأَقَامَتْ
 مَوَاضِي سَيُوفِهِمُ الْحُدُودَ ، صَلَاةً يَسْقِي عِهَادَ الرَّحْمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَهْدَهَا ،
 وَيُنْظِمُ فِي سَلَكِ الْعِبُودِيَّةِ عَقْدَهَا ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلْهَمَنَا الرُّشْدَ وَجَعَلَ مِنَّا الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ،
 وَبَنَسَبْتَنَا إِلَى عِلْمِ الْهُدَى فَضَّلْنَا بِالْأَثْمَةِ الْمَهْدِيَّينَ ، وَاصْطَفَى مِنْ هَذَا الْخَلْفِ
 الشَّرِيفِ خِلَافَةَ الْأَرْضِ ، وَسَنَّ مَوَاضِيَ الْعُقُولِ الَّتِي قَطَعَتْ أَنْ طَاعَتْنَا فَرَضٌ ؛
 فَإِنَّ لِعَهْدِنَا الْعَبَّاسِيِّ شَرَفًا لَا يَرْفُلُ فِي حَلِيلِهِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ عَهْدًا
 وَأَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - بَعْدَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
 الرَّجِيمِ - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ
 فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفِتْمَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴾ (١) .

وَلَا يَتَمَسَّكَ بِطَيْبِ هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ . . إِلَّا مَنْ صَحَا إِلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبِ
 الطَّاعَةِ ، وَتَرَكَ أَهْلَ الْجَهْلِ فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ، وَانْتَضَمَ فِي سَلَكِ مَنْ
 أَنْزَلَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
 وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة آل عمران : (٧٧) .

(٢) سورة البقرة : (١٧٧) .

وهو قبضةٌ من آثار البيعة النبويّة ، وشعارٌ يتشرفُ به مَنْ مشى تحت الراية العباسيّة ، وما أرسلَ هذا العهدُ النبويُّ إلى ملكٍ من ملوكِ الأرض . . إلا عمّه الشرفُ من جميع جهاته ، والله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاتِهِ ، ولا أعلنُ به على منبرٍ إلا شدتُ أعوادهُ طرباً ، وأزهرتُ رونقاً وأثمرتُ أدباً ، وقالتُ وقد رتحتُها نسماثُ القبولِ من ساكنِ الروضةِ ، واخضلتُ نباتُ تلكِ البقاعِ وأينعَ وعمّ الفرحُ بها كلَّ غيضةٍ .

وكانَ المَقامُ الأشرفُ العالِي - إلى آخرِ الصِّفاتِ السُّلطانيّةِ - السلطانيُّ ، الملكُ المظفريُّ ، شمسُ الدنيا والدينِ ، والمستعينُ في زيادةِ شرفِ ملكِهِ بعدَ اللهِ بالمستعينِ ، لا زالتْ أيامُهُ الزاهرةُ بشمسهِ المنيرةِ مشرقةً ، وتوقعاتُ الرقاعِ بنسخِ صفاتِهِ الشريفَةِ مُحَقَّقةً . . ممّن رغبَ في التمسُّكِ بهذا العهدِ الشريفِ ؛ ليزيلَ عن ملكِهِ الالتباسَ ، واستندَ إليه ليرويَ في سندهِ العالِي عن ابنِ عباسٍ ، ومشى بعينِ البصيرةِ في هذا المنهجِ القويمِ ، وتلاهُ لسانُ الحالِ : ﴿ أَفَنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١) ، وطاولَ بيدِ الخلافةِ الشريفَةِ لإقامةِ الحدِّ - علماً بأنَّ يدَ الخلافةِ لا تطاولُها يدٌ - وأخلصَ مودتَهُ في التقربِ إلى بيتنا الشريفِ لِمَا شغفهُ حبّاً ، وتمسَّكَ بطيبِ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (٢) لأنَّهُ الملكُ الذي ظفَّرَهُ اللهُ بأعداءِ هذا الدينِ وسمَّاهُ مظفَّراً ، ولقَّبَهُ بالشمسِ واختارَ له أن يقارنَ مِنَ الطَّلعةِ المستعينيَّةِ قمراً ، أينعَ زهرُ العدلِ بحضرةِ [دهلي] فعطرَ الآفاقَ ، وضاعَ نشرُهُ بالهندِ فعادَ الشَّمُّ إلى المزكومِ بالعراقِ ، وصارتْ دمنُ سُمُناتِ عامرةً بقيامِ الدينِ ، وأيدَهُ اللهُ فيها بعدَ القتالِ بالفتحِ المبينِ ، ولم يتركْ للعدوِّ في بيتِ بَيْتِ ليلةً ، وأبطلَ ما دَهَرَهُ أهلُ داهرَ بحسنِ اليقظةِ وقُوَّةِ

(١) سورة الملك : (٢٢) .

(٢) سورة الشورى : (٢٣) .

الصَّوْلَةِ^(١) ، وأبادَ الكفرةَ مِنْ دِيَوٍ ولم يقبلَ لَهُمْ دِيَةً ، وفاؤوا إلى غيرِ أمرِ اللهِ فقصمَهُمْ بسيفِهِ الهنديِّ ولم تقمَ لَهُمْ فِيهِ ، وفطرَ أكبادَ مَنْ ناواهُ بها فلازموا عن رؤيتها الصومَ ، ونادى منادي عدلهِ بالبلادِ الهنديَّةِ : لا ظلمَ اليومَ ، ودانتَ لَهُ تلكَ الممالكُ برّاً وبحراً ، وسهلاً ووعراً .

ما نظمَ الأعداءُ على ذلكَ البحرِ المديدِ بيتاً إلاَّ أبانَ زحافَهُ وأدارَ عليه دوائرهَ ، وكم نظمَ شملَ الرعايا بالعدلِ ، ونثرَ رؤوسَ الكفرةِ بالسيفِ ، فلا عدمَ الإسلامُ في الحالينِ ناظمهَ وناثرهَ . . عربيُّ ، وكم كَلَمَ الأعداءَ بلسانِ الهنديِّ فأحجمَهُمْ عندَ ملتقاهُ . . عادلاً تسلسلَ حديثُ فضلهِ فغداً مرسلأً مع الرواةِ ، عاطرُ الأرجاءِ ولم ينمَّ المسكُ إلاَّ بطيبِ تربتهِ ، سلطانٌ تتطَقَّلُ الملوكُ على أواني موائدهِ وتخضعُ لسلطانيتهِ ، سُئِلَتِ الرُّكبانُ في البرِّ عن مناقبهِ الشريفةِ وعمِّ يتساءلونَ وقد صارَ لها عظيمُ النبا ، وصرَّحَ راكبُ البحرِ بعدَ التسميةِ باسمِهِ فاتخذَ سبيلَهُ في البحرِ عجباً ، فظلَّهُ في البرِّ ظليلٌ ، وعدلُهُ في البحرِ بسيطٌ وطويلٌ .

هذا ؛ ولم يبقَ في تلكَ الممالكِ الهنديَّةِ بقعةٌ إلاَّ ولم يصغرِ اللهُ بسنابِكِ الخيلِ فيها ممشاهُ ، ولا نفسٌ خارجةٌ عن الطاعةِ الشريفةِ إلاَّ ماتتْ في رقعةِ الأرضِ بمُظفَرِ شاهِ ، فلذلكَ رُسمَ بالأمرِ الشريفِ - إلى آخرِ الصِّفاتِ الإماميةِ - أن يُفَوِّضَ إليه مِنْ ولايةِ العهدِ وكفالةِ السلطنةِ الشريفةِ بالبلادِ الهنديَّةِ ما هو المعهودُ ؛ ليهطلَ جودُ الرحمةِ على تلكَ البقاعِ المباركةِ إن شاء اللهُ ويوجدُ ، عهداً شريفاً - إلى آخرِ الصِّفاتِ - وأن يستخلفَ فيما فَوَّضَهُ اللهُ إلينا مِنْ صلاحِ الأُمَّةِ ومصالحِ الخلقِ ، استخلافاً تتحلَّى بذكرِهِ الأفواهُ ، وتترنمُ به في شعابِ مكَّةَ الحُدُاةِ ، ويقطعُ به ويحفظُهُ ربُّ كلِّ سيفٍ وقلمٍ ، ويعتمدُ عليه

(١) في «صبح الأعشى» (١٠/١٣٢) : (دهلي بحسن اليقظة) بدل (داهر بحسن اليقظة) .

كُلُّ ذِي عِلْمٍ وَعَلَمٍ ، فَلَا زَعِيمَ جَيْشٍ إِلَّا وَهَذَا التَّفْوِضُ الشَّرِيفُ يَسَعُهُ فِي
بِلَادِهِ وَيَشْمَلُهُ ، وَلَا إِقْلِيمَ مِنْ أَقَالِيمِهِ إِلَّا وَمَنْ بِهِ يُقْبَلُهُ وَيَقْبَلُهُ ، وَيَتَمَثَّلُ بِهِ
وَيَمْتَثِلُهُ ، وَلَا مَنَبَرَ إِلَّا وَخُطْبَتُهُ يَتْلُو كِتَابَ هَذَا التَّفْوِضِ وَيُرْتَلُهُ .

وَأَمَّا الوصايا . . فعندهُ إن شاء الله تعالى تهبُّ نسماتُ قبولها ، ويُعربُّ عن
نصبِ مفعولها ، وهو بحمدِ الله لوصايا هذا العهدِ الشريفِ نِعَمَ القابلِ ، فقد
قِيلَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظَلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ » (١) ،
منهُمُ الإمامُ العادلُ ، والوصيةُ بالرعايا واجبةٌ ، وقد حَرَّضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى العَدْلِ فِيهِمْ ، وَحَرَّضَ عَلَيْهِ وَقَالَ : « يَوْمَ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ
مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً أَخْوَجَ مَا تَكُونُ الْأَرْضُ إِليهِ » (٢) .

وقال ابنُ عمِنَا عليُّ رضي اللهُ عنه : (الملكُ والديُّنُ أخوان ، لا غنى
لأحدهما عن الآخرِ ، فالديُّنُ أَسُّ والملكُ حارسٌ ؛ فإن لم يكنْ لَهُ أَسٌّ . .
فمهدومٌ ، وما لم يكنْ لَهُ حارسٌ . . فضائعٌ) (٣) ، فهذه الحكمةُ بها يعالجُ ما
ضَعُفَ مِنْ أركانِ الملكِ ، وهذا المشرعُ يجري على أجملِ الشرائعِ ، فليأمرُ
بالمعروفِ ، وينهَ عن المنكرِ ، علماً أَنَّهُ ليسَ يُسألُ في غِدِّ عن ذلكِ سوانا
وسواهُ ، ويردُّ نفسَهُ الشريفَةَ عن الهوى ، ولا يحسُنُ لنباتِ قَدِّهِ أَنْ يميلَ مع
هواهُ ، وليتركِ الشغورَ بعدلِهِ باسمَةَ ، وقواعدَ الملكِ بفضليهِ قائمَةً ، وليجاهدُ
في اللهِ حقَّ جهادهِ ، ويلطفَ بالرعايا ويعلمَ أَنَّ اللهَ لطيفٌ بعبادِهِ ، وليشرحَ
لَهُم بِالإحسانِ صدرًا ليجزُوا إذا وقفَ على أحوالِهِم أحسنَ مَجْرَى .

وهو بحمدِ الله غيرُ محتاجٍ إلى التأكيدِ ؛ لأنَّهُ لم يخلُ لَهُ مِنَ القيامِ في

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه بنحوه إلى قوله : « صباحاً » البيهقي في « السنن الكبير » (١٦٢/٨) برقم (١٦٧٢٧) عن
سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) انظر « إحياء علوم الدين » (٦٧/١) .

مصالح الأُمَّة فِكْرٌ ، ولكِنَّهُ تَجْدِيدُ ذِكْرِ عَلِيِّ ذِكْرٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعُ بِطَوْلِ
بِقَائِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَلَا بَرَحَتْ سِيوفُهُ الْهِنْدِيَّةُ تَكَلُّمُ أَعْدَاءِ هَذَا الدِّينِ بِالسَّنَةِ
حَدَادٍ ، وَثَبَّتْ مَلِكُهُ بِالْعَدْلِ وَشَيْدَ أَقْوَالِهِ ، وَخَتَمَ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَهُ ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[عَقْدُ نِكَاحِ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ فَرَجٍ لِبَعْضِ بَنَاتِ أُمَّرَائِهِ]

وهذه صورةُ تسجيلِ عقدِ نِكَاحٍ : وَيُسَمَّى صِدَاقًا ، وَقَدْ تَزَوَّجَ سُلْطَانٌ وَقْتِهِ
النَّاصِرُ بَعْضَ بَنَاتِ أُمَّرَائِهِ ^(١) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَيَّدَ السَّنَةَ الشَّرِيفَةَ بِقُوَّةٍ وَنَاصِرٍ ، وَأَعَزَّهَا بِعَزِيزِ مِصْرَ ؛ لِأَنَّهُ
شَعَرَ بِبِرْكَتِهَا فَجَعَلَهَا لَهُ مِنْ أَجْمَلِ الشَّعَائِرِ ، سَنًّا - خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكَهُ - أَسْتَهَّهَا
فَصَارَ لَهَا بِهِ مَلِكَةٌ وَسُلْطَانٌ ، وَشَهَرَ سَيْفَهَا لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ فَأَقَامَ بِهِ قَوَاعِدَ
الْإِيمَانِ ؛ فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ عَرَّفْنَا بِطَيْبِ هَذَا الْأَثْرِ الشَّرِيفِ وَشَرَحَ لِلتَّمَسُّكِ
بِهِ صَدْرًا ، وَوَضَعَ عَنَّا بِهِ وَزْرًا ، وَأَمَدَّنَا بِأَمْوَالٍ وَبِنِينَ وَجَعَلَ بَيْنَنَا نَسَبًا وَصَهْرًا ،
وَسَقَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْضَ الْمِصَاحِرَةِ بِمَاءِ الْقَرَبِ فَفَاحَ نَشْرُهَا الْأَرِيحُ ،
وَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهَيْجٍ ، وَقَرَّبَتْ بَيْنَ الْبَعِيدِينَ ، فَصَارَا
زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ، [وَهَذِهِ] نَكْرَةٌ بَغَيْرِ قَدْرَتِهِ لَا تَتَعَرَّفُ ، وَالْأَلْفَ بَيْنَ أَجَانِبٍ لَوْ
أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ ، فَلَهُ الْمِنَّةُ
عَلَى أَنْ جَعَلَ النِّسَاءَ حَرْنًا لَزَرْعِ نَبَاتِهِ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَسَقَى لِهَذَا النَّبَاتِ
وَرَعِيًا .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا مَنْ تَرَقَّى بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجِ ، وَنَشْكُرُهُ
شُكْرًا يَأْتِينَا عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ بِفَرَجٍ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحَدَّهُ لَا شَرِيكَ

(١) انظر « قهوة الإنشاء » (ص ٤٣٥ - ٤٣٨) .

لَهُ ، شَهَادَةٌ مَقْبُولَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي قَالَ : « تَنَاجَّحُوا تَنَاسَلُوا ؛ فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَيَّدُوا مِلَّتَهُ ، وَاتَّبَعُوا سُنَّتَهُ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وَبَعْدُ : فَإِنَّ النِّكَاحَ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَحَلِيَّةً مِنْ شُعَارِ الْأَوْلِيَاءِ ، تَنْتَظِمُ جَوَاهِرُهُ فِي أَسْلَاقِ عَقُودِ الشَّمْلِ ، وَتَمْسِي عِرَائِسُ غُصُونِهِ بِبِرْكَةِ هَذَا الْغُرَاسِ فِي حَمَلٍ ، مَا بَرَحَ نَوْرُهَا فِي جِبَاهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَتَضَحُّ وَيَتَبَلَّجُ ، وَقَدْ حَرَّضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ؛ مَنْ أَسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ . . فَلْيَتَزَوَّجْ » (٢) .

وَكَانَ الْمَقَامُ الشَّرِيفُ الْعَالِي الْمَوْلِيُّ السُّلْطَانِيُّ الْمَلِكِيُّ النَّاصِرِيُّ ، مُؤَيَّدُ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ وَنَاصِرُهَا ، وَالْقَامِعُ بَسِيفِهِ الشَّرِيفِ أَهْلَ الْبَدْعِ وَقَاهِرُهَا ، رَكْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، مَبِيدُ الطُّغَاةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، سُلْطَانُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِبَاسِهِ صِيْدُ الْمُلُوكِ وَخَضَعَتْ رِقَابُ الْأُمَّمِ ، نَازِرُ الْحَرَمَيْنِ ، وَصَاحِبُ وَقْعَةِ الْجَيْتَيْنِ ، وَمَذِيلُ التَّارِيخِ عَلَى النَّاصِرِينَ ، أَبُو السَّعَادَاتِ فَرَجُ بْنُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ السَّعِيدِ الشَّهِيدِ ، الدَّارِجِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْمَجِيدِ ، الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أَبِي سَعِيدِ بَرْقُوقَ ، خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَلِكُهُ ، وَأَعَزَّ سُلْطَانَهُ ، وَجَعَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ أَنْصَارَهُ وَأَعْوَانَهُ .

مُلْكٌ إِذَا حَدَّثُوا عَجَائِبَهُ فَإِنَّهَا أَلْبَحْرُ مَا لَهُ آخِرُ
وَإِنْ تَقَوَّى بِغَيْرِهِ مَلِكٌ فَمَا لَهُ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرُ (٣)

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي « الْمَصْنَفِ » (١٠٣٩١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَرْسَلًا بِنَحْوِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٠٥) ، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٠) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) مِنَ الْمَنْسُوحِ .

سلطانُ الله أكبرُ ، كأنَّ المقاديرَ لأوامرِهِ الشريفةِ طائعةٌ ، ما قاومتَهُ ملوكُ الأرضِ إلا ذبحتها عزائمُهُ على الشرقِ وجاءتُهُ رؤوسُها إلى الغربِ خاضعةً ، ولا كاذةٌ عدوٌّ إلا ردَّ اللهُ كيدَهُ في تضليلٍ ، ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ؟! تتزاحمُ تيجانُ الملوكِ حولَ ركابِهِ الشريفِ ، وإن ذُكِرَ . . تتزاحمتِ الأسماعُ أكثرَ ، وكيفَ لا وهوَ الملكُ الذي لم يخلُ منِ اسمِهِ الشريفِ درهمٌ ولا دينارٌ ولا عودٌ منبرٍ؟! إن تلاعبتْ كُماثُهُ بعواليها . . لا تسلُ عن تلاعبِ الأشبالِ في الآجامِ ، أو أمالتِ ألفاتُ رماحِها طاعنةً . . عدلَ نفسهُ صاحبُ كلِّ لاميةٍ ولا مِ ، ما قابلَ خميسَ حربٍ إلا ولم يَبقَ منِ جمعةٍ ذلكَ الخميسِ أحدٌ ، ولا سلَّ بيدهِ الشريفةِ سيفاً لامعاً إلا فرَّ صاحبُ القوسِ وعلمَ أنَّ الطالعَ بالشمسِ والأسدِ ، ولا خفقتِ أعلامُهُ الصُّفُرُ في سوادِ نقعٍ إلا سُلقتِ البيضُ من زرقٍ لسنتهِ بألسنةِ حدادٍ ، وأصابَ كلَّ فؤادٍ ، مُصدِّقاً أبا الطيبِ في قوله^(١) :

وَقَدْ صُغِتَ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ

[وقال القاضي الفاضل^(٢) :

وَهِيَ السَّعَادَةُ فِي السِّمَّاكِ فَلَوْ يَشَا لِأَصَابَ مِنْهَا رَامِحاً بِالْأَعْرَلِ

هذا ؛ وسيوفُ حكمِهِ - خَلَدَ اللهُ ملكَهُ - ما تضربُ إلا صفحاً عن كلِّ آثمٍ ، وما أحقُّه بقولِ القائلِ : لو علمَ الناسُ محبتي بالعفو . . لتقرَّبوا إليَّ بالجرائمِ .

وأما عطاؤُهُ - سبحانَ المانحِ - ما أعطى إلا ودَّتْ أغنياءُ الملوكِ أن تصيرَ سائلةً كأبناءِ السبيلِ ، وكيفَ يحيا لجعفرِ خالدٌ ذكرٍ وما جعفرُ بالنسبةِ

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٦١) .

(٢) انظر « ديوان القاضي الفاضل » (ص ٢٨١) .

إلى بحر النيل!؟ فلو أدركه الفاضل . . لقال: هذه المناقبُ الناصريَّةُ ،
وعبدُ الرحيمِ عبدُ الرحيمِ !! وأنشدَ وقد شاهدَ ما قاله عياناً في الناصرِ
القديمِ (١) :

أَهْلِهِ سَيَرُّ فِي الْمَجْدِ أَمْ سَوْرٌ وَهَذِهِ أَنْجُمٌ فِي السَّعْدِ أَمْ غَرَرٌ
وَأَنْمُلٌ أَمْ بِحَارٌ وَالسُّيُوفُ بِهَا مَوْجٌ وَإِفْرِنْدُهَا فِي لُجَّهَا دُرٌّ
وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ أَمْ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفِي يَمِينِكَ الْبَحْرُ أَمْ فِي وَجْهِكَ الْقَمَرُ
يُقَبَّلُ الْبَدْرُ تُرْباً أَنْتَ وَاطِئُهُ فَلِلتُّرَابِ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْأَثَرُ
نَأَى بِكَ الْمُلْكُ حَتَّى قِيلَ ذَا مَلِكٌ دَنَا بِكَ الْجُودُ حَتَّى قِيلَ ذَا بَشَرٌ
خَلَائِقٌ فِي سَمَاوَاتِ الْعُلَا زُهْرٌ لَنَا تَنْبِيرٌ وَفِي رَوْضِ الثَّنَا زَهْرٌ

ونعودُ إلى أَنَّهُ - خَلَدَ اللهُ ملكَهُ - هُوَ الْمُتَحَلِّي بِشَعَارِ هَذِهِ السُّنَّةِ ،
وَالْمُتَقَلِّدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذِهِ الْمِنَّةَ ؛ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي إِنْ نَصَرَ السُّنَّةَ . .
فهُوَ نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، أَوْ أَبَانَ شَرَفَهَا . . فَقَدْ تَأَيَّدَتْ مِنْهُ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ،
أَوْ تَرَقَّى إِلَى أَوْجِهَا . . حَلَّ مِنْهَا فِي أَرْفَعِ مَحَلٍّ ، أَوْ عَقَدَ عَلَيْهَا خِنَاصِرَهُ
الشَّرِيفَةَ . . فَإِنَّهُ صَاحِبُ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ .

رَغِبَ إِلَيْهَا - خَلَدَ اللهُ ملكَهُ - فَسَرَى نَسِيمَ الْقَبُولِ ، وَفَتَحَ طُرُوسَ الْأَوْرَاقِ
فِي مَسْرَاهُ وَجَرَتْ حَمْرُ الْأَقْلَامِ فِي مِيَادِينِ الطُّرُوسِ ، فَكَتَبَتْ :

بِاسْمِ اللهِ ، هَذَا مَا أَصْدَقَ مَوْلَانَا الْمَقَامُ الشَّرِيفُ الْعَالِي الْمَوْلُويُّ
السُّلْطَانِيُّ الْمَلِكِيُّ النَّاصِرِيُّ - لَا زَالَتْ أَبْكَارُ الْعُقُودِ وَأَيَّتَامُهَا بِسَلِكِهِ الشَّرِيفِ
مَنْظُومَةٌ ، وَفَتَحَ لَهُ كُلُّ مَانِعٍ وَكَثْرَةُ الْفَتْوحَاتِ فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ مَعْلُومَةٌ -
مَرْغُوبَتُهُ الْجَهَّةُ الْمَصُونَةُ ، الْمُمْنَعَةُ الْمُحَجَّجَةُ الْمُكْرَمَةُ ، الْخُونَدَ الْخَاتُونَ ،

(١) انظر «ديوان القاضي الفاضل» (ص ٢٢١ - ٢٢٢) .

دُرَّة تاجِ الفخرِ ، وعينَ إنسانِ الخواتينِ ، ویتیمَةَ العقودِ ومُخدَّرَةَ الملوكِ والسلاطينِ ، ثالثَةَ القمرینِ ، والممدودَ ستْرُها الرفیْعُ علی مفرقِ الفرقدینِ ، ربیبَةَ حجرِ الملكِ ورضیعةَ لبانِهِ ، وخلاصَةَ الذَّهَبِ الإبریزِ وقلادةَ عقیانِهِ ، والنهدَ الذی کبا خلفَهُ کُلُّ کمیتِ براكِهِ ، وکیفِ لا ووالدُها کانتِ الشقراءَ والشهباءَ مِنْ بعضِ جنائبِهِ؟! ذاتِ الستورِ الرفیعةِ ، والحجبِ المنیعةِ ، ستَّ الملوكِ بنتِ المقرِّ الأشرفِ السیفیِّ المرحومیِّ ، کشبغا بنِ عبدِ اللهِ الحمویِّ الظاهریِّ ، البکرَ العاقلَ الصحیحَةَ الأوصافِ ، الخلیةَ عنِ الموانعِ الشرعیةِ ، أسبغَ اللهُ تعالیٰ ظلالَ خُدورِها ، ومدَّ علی الآفاقِ أطنابَ ستورِها ، أصدقَها علی بركةِ اللهُ وعونِهِ وتوفیقِهِ وسُنَّةِ نَبیِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ صَدَاقًا مبلُغُهُ مِنْ الذَّهَبِ المصْرِیِّ أَلْفُ دینارِ ، نصفُها خمسُ مئةِ دینارِ ، ومِنْ الدرَاهِمِ الفضةِ الجیدةِ المعاملةِ یومئذٍ عَشرونَ أَلْفَ درهمِ ، نصفُها عشرةُ أَلْفِ درهمِ .

وَلِی تَزوِجَها مِنْهُ عَلَی ذَلِكِ بِإِذْنِها الكَرِیمِ مولانا وَسِیدُنَا العَبْدُ الفَقِیرُ إلی اللهُ تعالیٰ ، الشیخُ الإمامُ القدوةُ العَلامَةُ ، حُجَّةُ الإسلامِ والمسلمینِ ، حَسَنَةُ الأیامِ ورحلَةُ الطالبینِ ، عَلَمُ المُحَقِّقینِ ، خالصةُ أميرِ المؤمنینِ ؛ أبو حفصِ عمرُ بنُ أبي جرادَةَ الحنفیِّ ، الناظرُ فی الحکمِ العزیزِ بالدیارِ المصْرِیةِ وسائرِ الممالکِ الإسلامیةِ ، أعزَّ اللهُ تعالیٰ أَحکامَهُ ، ونشرَ علی الخافقینِ بِالْعِلْمِ الشریفِ أعلامَهُ ، قَبْلَ مِنْهُ ذَلِكِ لِنَفْسِهِ الشریفَةِ - عَظَّمَ اللهُ تعالیٰ شرفَها - قَبولاً صحیحاً شرعیّاً ، بحضرةِ مَنْ تَمَّ العَقْدُ الشریفُ بِحضورِهِ شرعاً .

فأكرمُ بِهِ اتصالاً شریفاً ، اجتمعَ طریفُهُ وتالدُهُ ، وأحبُّ بِهِ عقداً ناصريّاً والقاضي الفاضلُ عاقدهُ ، وتاللهُ ؛ لقد أضحى بنظمِ هاتينِ الجوهرتينِ في عقدهِ رَفِيعِ المنالِ ، وحظيَ مِنْ تَنْقُلِ هَذيْنِ القمرينِ إلی أْفَقِهِ بِشرفِ الانتقالِ ،

وكيف لا وقد حصلَ لهُما بهذا العاقدِ الكمالُ ، تَرَقَّتْ إلى أعلى الدرجِ
بسيفِ الإسلامِ ، فلسانُ الهَنا على منابرِ الشكرِ خطيبٌ ، وحصلَ لها بالناصرِ
وقربِ كاتبِ سِرِّهِ نصرٌ مِنَ اللهِ وفتحٌ قريبٌ ، وأمستْ ستَّ الدِّيارِ المِصريَّةِ
وراحتْ بغيضتِها ستَّ الشامِ ، وأبى اللهُ أن يمتطيَ صهوةَ هذا النهديِّ إلاَّ
فارسُ الإسلامِ ، جعلَهُ اللهُ عقداً مباركاً ميموناً ، تَتَجَمَّلُ بسوادِ سطورِهِ وبياضِ
طُروسِهِ الليليِّ والأيامِ ، وكما أحسنَ ابتداءَهُ . . يجعلُ مِنْ مسكِ القَبولِ لَهُ
حسنَ الختامِ ، إن شاء اللهُ تعالى .

[تقليدُ قضاءِ القضاةِ بدمشقَ لابنِ الأدميِّ الحنفيِّ]

وهذه صورةُ تقليدِ قضاءِ القضاةِ بدمشقَ لصدرِ الدِّينِ عليِّ المعروفِ بابنِ
الأدميِّ ، سنةَ عشرٍ وثمانِ مئةٍ^(١) :

الحمدُ لله الذي أقرَّ عينَ الشامِ وشرحَ بعدَ القبضِ صدرَها ، وأيدَها بالإمامِ
عليٍّ وأعزَّ بالسُّيوفِ العلويَّةِ نصرَها ، ورفعَها بمنَّ إن تسامى . . فقد دارتْ
على القطبِ دوائِرُهُ ، أو كاترَ بالعلمِ . . قلَّ نظيرُهُ وما ألهاهُ تكاثُرُهُ .

أحمدُهُ حمدَ مَنْ علمَ أَنَّهُ المُبدِئُ المعيدُ ، وأشكرُهُ شكرياً يقمعُ بإحكامِهِ
كلَّ جبارٍ عنيدٍ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، شهادةَ
أرجو أن تكونَ مقبولةً يومَ فصلِ القضاءِ ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ ،
الذي سنَّ سيفَ الشريعةِ ، وأوضحَ أحكامَها ، فقابلتْها الأُمَّةُ بالطَّاعةِ والرضا ،
صلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ الذينَ رَضُوا بأحكامِ القضاءِ والقَدْرِ ، صلاةً ينشرُ
لها الصِّدْرُ كلِّما وردَ فضلُها وصدرَ ، وسلَّمَ تسليمًا .

وبعدُ : فإنَّ أولىَّ مَنْ رفلَ في حليلِ إنعامنا الشريفةِ مَنْ وجبَ حَقُّه علينا ،

(١) انظر « قهوة الإنشاء » (ص ٤٣٩ - ٤٤١) .

وأعدنا إليه بضاعته التي ربحت تجارتها في أيامنا الشريفة فتلا : ﴿ هَذِهِ
يَصْعَقْنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ (١) ، وصدرناهُ فحسنتُ به التوريةُ وأصبحَ صدرَ الشامِ ،
وحكمناهُ فكانَ بحمدِ اللهِ نافذَ القضايا والأحكامِ ، فهو الصِّدْرُ الذي حصلَ
لَهُ القبضُ بعدنا وانشرحَ بعودنا وابتهجَ ، وأصبحَ بعدَ ضيقِهِ مِنْ سلطانينا على
كلا الحالينِ في فرجٍ ، أودعناهُ قديماً سرِّنا الشريفَ فكانَ لَهُ نَعَمَ الصِّدْرُ ،
ونطقتُ ألسُنُ أقلامِهِ في ثغورِ الأقاليمِ بشكرنا فقابلناهُ بعُلُوِّ القَدْرِ .

وكانَ المجلسُ العالِي الفلانيُّ الصِّدْرِيُّ هُوَ الذي نظمَ في سلكِ شكرِهِ مِنْ
ثنائنا الشريفِ هذه القلائدَ ، وعادتْ عليه صلَةُ برِّنا فهو يرفلُ مِنْ إنعامنا
الشريفِ بينَ الصِّلَةِ والعائِدِ ، وضربتْ بفضلِهِ الأمثلةُ فلم يُوجدْ لَهُ مثالٌ ،
وشهدَ لَهُ ابنُ العديمِ وناهيكُ بَمَنْ حصلَ لَهُ هذا الكمالُ .

فلذلكَ رُسمَ بالأمرِ الشريفِ العالِي المولويِّ السُّلْطانيِّ الملكيِّ الناصريِّ
- لا زالتْ صدقاتُهُ الشريفةُ تعطي كلَّ مُستحقِّ وتمنحُ ، ولا برحَ كلِّ صدرٍ يتلو
في هذه الأيامِ الشريفةِ (أَلَمْ نَشْرَحْ) - أن يَسْتَقِرَّ المجلسُ العالِي القضائيُّ
الصِّدْرِيُّ في وظيفَةِ قضاءِ قضاةِ الحنفيَّةِ بدمشقَ المحروسَةِ على عادتهِ في
ذلكَ وقاعدتهِ ؛ لأنَّهُ بحرُّ العلمِ الذي ظهرتْ عجائبُهُ واجتمعتْ في سلكِ
الفضلِ فرائدهُ ، والخليفةُ الباقيةُ للفضائلِ وكيفَ لا والأمينُ والدُّهُ؟! والإمامُ
الذي لو أدركهُ محمدٌ عينُ الأصحابِ . . لا عترفَ بفضلِهِ الملبِّي ، واتخذهُ
صاحباً وقالَ : ما لمحمدٍ غيرُ عليٍّ ، والفاضلُ الذي إن ألقى درساً . . فهو على
الحقيقةِ صدرُ المدرسينِ ، أو ذُكِرَتِ الفتاوى والفُتُوَّةُ . . فما تمَّ بحمدِ اللهِ
أفتى مِنْ عليٍّ في هذا الحينِ .

أحرزَ قصباتِ السبقِ على فرسانِ مذهبهِ فعلمنا أنَّه فارسُ الشقراءِ والميدانِ ،

(١) سورة يوسف : (٦٥) .

وكم اقتطفنا من رياضِ علومه زهرةً علمنا بها أنه شقيقُ النعمانِ !! فلو أدركه صاحبُ « الدررِ » لقلَّدهُ وانتظَمَ في سلكِ عقوده ، وكم طما بحرُ علمه وجوده فعلمنا أنه « مجمعُ البحرينِ » من طارفيه وتليده !! هذا ؛ وما لابنِ الساعاتيِّ « دقائقُه » ولا ارتفاعُ هذا المقامِ ، ولو عاصره صاحبُ « المُختارِ » ما اختارَ غيره وقالَ : عليٌّ هو الإمامُ .

فليباشرْ ذلكَ عليٌّ ما عهدَ من جميلِ أدواته ، ومحاسنِه التي هي كالخيالانِ عليَّ جيدِ الدهرِ ونعُدُّها من حسناتِه ، وليقابلْ هذهَ النعمةَ السابغةَ بما يجبُ من شكرِ الله عليه ، ويُحسِنُ كما أحسنَ اللهُ إليه ، والوصايا كثيرةٌ وهو بحمدِ الله غيرُ محتاجٍ إلى وصيةٍ ؛ لأنَّ الوظائفَ تتجَمَّلُ بحسنِ سيرتهِ العلوِيَّةِ ، واللهُ تعالى يُسدِّدُ سهامَ أحكامِه ، ويجعلُ من مسكِ الثنا حسنَ ختامِه .

[تقليدُ نظرِ البيمارستانِ لأبي الحسنِ عليِّ الحنبليِّ]

وهذه صورةٌ تقليدِ نظرِ البيمارستانِ للشيخِ أبي الحسنِ عليِّ الحنبليِّ (١) :

الحمدُ لله الذي رفعَ قدرَ مَنْ برَزَ في العلمِ وجعلهُ عليّاً ، واصطفى من عبادهِ مَنْ أرضعهُ لبانَ الفضلِ صغيراً وآتاهُ الحكمَ صبيّاً ، وخصَّ بالنظرِ في مصالحِ هذهِ الأمةِ مَنْ جعلَ الحلمَ شعاره ولم يكنْ جباراً عتياً ، فهو المبدئُ المعيدُ ، والقاصمُ بسيفِ عليِّ كلِّ جبارٍ عنيدٍ ، أحمدهُ حمداً يتقوى به الضَّعيفُ ، وأشكرهُ شكراً وافياً يكونُ لنا نعمَ العلاجِ عندَ الحكيمِ اللطيفِ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وحدهُ لا شريكَ له ، شهادةً من نظرِ بنورِ الله فكانَ من أهلِ النظرِ والبصيرةِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ الذي أمستِ الأعينُ

(١) انظر « قهرة الإنشاء » (ص ٤٤١ - ٤٤٣) .

بحسن نظره الشريف قريرة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً تزيلُ
قذى العين وتُنورُ الناظرَ ، ومنتصرُ بركتها على كلِّ معاندٍ وفاجرٍ ، وسلَّم
تسليماً كثيراً .

وبعدُ : فإنَّ للوظائفِ الدينيةِ فضلاً أبى أن يكونَ إلَّا لأهله ، وحكمةً أنفَ
سرّها أن يوضَعَ إلَّا في محلّه ، وكانَ المقرُّ الشريفُ العالِي الشِيخيُّ القدويُّ
الإماميُّ العلاميُّ الأوحديُّ العامليُّ العالِمِيّ المفيدِيّ القضائيُّ العلائِيّ عليُّ بنُ
المغلي الحنبليُّ . . هو الذي لَمَّ شملَ العلمِ بعدَ شتاتِهِ ، وخطبتهُ عرائسُ
الممالكِ لنفسِها فأبى إلَّا جبرَ قلبِ حمايته ، ركبَ الشهباءَ فخضعتْ له أهلُ
الشقراءِ والميدانِ ، وودّتْ مصرُ أن تستضيءَ بنوره بعدَ سراجها الذي نَوَّرَ
الأكوانَ ، فلو أدركهُ إمامُهُ السابقُ . . لقالَ : هذا المُصليُّ الذي أزالَ الإبهامَ
وعليه الخناصرُ تعقُدُ ، وقد علمَ كلُّ أحدٍ أنَّ علياً أعلمُ أصحابِ أحمدَ .

فلذلكَ رُسمَ بالأمرِ الكريمِ العالِي الفلانيِّ - لا زالَ علمُ الشرعِ الشريفِ
مشهوراً في أيامِهِ ، ولا برحَ كلِّ من ذوي الاستحقاقِ واصلاً في هذه الأيامِ
الزاهرةِ إلى أقصى مرامِهِ - أن يَسْتَقِرَّ المُشارُ إليه في وظيفةِ نظيرِ البيمارستانِ
النوريِّ بحمّاءِ المحروسةِ ، فلقد سَعِدَتْ بقعتهُ بعدَ الشقاءِ وقالتْ : أهلاً بعيشِ
أخضرٍ يتجدّدُ .

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْبِقَاعِ وَجَدْتَهَا تَشْقَى كَمَا تَشْقَى الرِّجَالُ وَتَسْعَدُ^(١)
وصفتُ مشاربُ الضّعفاءِ بعدَ الكدرِ وسقاؤهم ربُّهم شراباً طهوراً ، وتلا لِمَن
سعى في ذلكَ وجزئ بالخيراتِ : ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾^(٢) ،
ودارَ شرابُ العافيةِ على أهلِ تلكَ الحضرةِ بالطَّاسِ والكاسِ ، وحصلَ لهمُ

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ١٦١) ، والبيت من الكامل .

(٢) سورة الإنسان : (٢٢) .

البرءُ مِنْ تَلَكِ الْبِرَانِي الَّتِي يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ، وَتَمَشَّتِ الصَّحَّةُ فِي مَفَاصِلِ ضِعْفَائِهِ وَقِيلَ لَهُمْ : جُوزَيْتُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، وَامْتَدَّتْ مَقَاصِيرُهُمْ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزْنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ ، فَلَقَدْ قَامَ بِحَسَنِ نَظَرِهِ الْكَرِيمِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَشَى ، وَأَعَادَ بِنُورِ طَلْعَتِهِ الْبَهْجَةَ النُّورِيَّةَ فَقَلْنَا : نُوْرٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ قَدْرًا ، فَلَقَدْ تَلَّتْ جِهَاتُ الْوَقْفِ الْمَعْسَرَةَ فَرِحَةً بِقُدُومِهِ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ (١) ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَةَ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُ الْجِهَاتِ النُّورِيَّةَ بِنَظَرِهِ ، وَيَحْرُسُهُ بِسُورَةِ (النورِ) بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[تَقْلِيدُ نَظَرِ الْمَسَاجِدِ لِأَبِي الْفَتْوحِ]

وَهَذِهِ صُورَةٌ تَقْلِيدٍ بِنَظَرِ مَسَاجِدَ (٢) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَادَ الْقَائِمِينَ بِشَعَارِ بَيْتِهِ صَلَاحًا وَجَعَلَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ ، وَصَيَّرَ جَمِيلَ ذِكْرِهِمْ مَبْتَدَأً كُلَّمَا ذُكِرَ عَنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ خَيْرٌ ، نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ عَمَرَ مَسَاجِدَ اللَّهِ بِالذِّكْرِ وَحَسَّنَ فِي بِنَاءِ هَذَا التَّأْسِيسِ نَظْمُهُ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ انْتَصَبَ لِرَفْعِ بِيوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةَ شَاهِدٍ عَلِمَ أَنَّهَ الْحَاضِرُ النَّاطِرُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي مَحَى آثَارَ الشَّرِكِ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ وَقَامَ لَهُ بِأَجْمَلِ الشُّعَائِرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ مَا بَرَحُوا خُدَّامَ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ ، وَالْمَتَّقِينَ بِظِلِّهِ الْوَرِيفِ ، صَلَاةً نَزْدَادُ بِهَا نَظْرًا وَبَصِيرَةً ، وَتَكُونُ لَنَا يَوْمَ الْحِسَابِ نِعْمَ الذَّخِيرَةُ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

(١) سورة الشرح : (٥ - ٦) .

(٢) انظر « قهوة الإنشاء » (ص ٤٤٣ - ٤٤٥) .

وبعدُ : فَإِنَّ أَوْلَى ما بَادَرَ إِلَيْهِ أَهْلُ البصائرِ . . النظرُ في بيوتِ اللهِ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ القُرْبِ ، ولا يشعُرُ بهذه الشعائرِ إِلَّا مَنْ ظَهَرَ صلاحُهُ ولم يفصل بينَهُ وبينَ الخيرِ فاصلةٌ ولا سببٌ ، وبَادَرَ إلى عِمَارَتِهَا بالذِّكْرِ ودخَلَ إليها مِنْ أبوابِها ؛ مُتَمَسِّكاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ (١) .

وكانَ المقرُّ الكريمُ العالِي المولويُّ القضائيُّ الصَّلاحيُّ - إلى آخرِ الصفاتِ - مَمَّنْ أدركَ فعَلَ الخيراتِ قبلَ إدراكِهِ وجبَلَتْ عليه جبَلتُهُ ، ولا يَشْكُ في حسنِ نظرهِ إِلَّا مَنْ عَمِيَتْ بصيرتُهُ ، إن اتَّسَعَ للفضائلِ مِضْمارٌ . . كانَ جوادُ فضلهِ هوَ السابقَ الجَموحِ ، أو فُتِحَ للخيرِ أبوابٌ . . فصلاخُ الدِّينِ بحمدِ اللهِ أبو الفتوحِ ، ظَهَرَتْ عليه بهجَةٌ ذلكَ النجمِ الذي إلى غيرِ فعَلَ الخيراتِ ما هوئِ ، وصحبَ أفعالهُ الجميلةَ فتلا لسانَ الحالِ : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا عَوَى ﴾ (٢) ، ما أطلقَ سهمَ عزمِهِ إلى غرضِ خيرٍ إِلَّا وكانَ بحمدِ اللهِ نَفَاداً ، ولا أظهرَ فعلاً إِلَّا تَلَقَّى الناسُ بالقبولِ وما قيلَ : يوسفُ أعرَضَ عن هذا ، وهوَ ذو اليراعِ الذي إذا خطَّ خطأً . . أطاعتهُ المقاديرُ ، وكم جَرَتْ خلفَهُ حمزُ الأقلامِ حتى حَفِيَتْ فما لَحَقَتْ لَهُ غباراً ؛ لأنَّهُ حوئِ قِصَباتِ السبقِ ورفلَ في حُللِ التحبيرِ ، إن سطرَ مربعةَ جيشٍ . . ضربَ الأخماسَ في الأسداسِ أئمةَ الكُتَّابِ ، أو كتبَ كتابَ إنشاءٍ . . عَوَّدَنَا بِ (الَمْ ، ذَلِكَ الكِتَابُ) .

فلذلكَ رسمَ بالأمرِ الكريمِ العالِي المولويِّ الفلانيِّ - لا زالَ كلُّ مُستحقِّ في أيامِهِ الزاهرةِ بالغاً أقصى المرادِ ، ولا برحَ يُظهِرُ لنا في كلِّ حينٍ صلاحاً يزيلُ عَنَّا الفسادَ - أن يَسْتَقِرَّ المُشارُ إليه أدامَ اللهُ تعالى نظرهُ في وظيفَةِ نظيرِ

(١) سورة البقرة : (١١٤) .

(٢) سورة النجم : (٢) .

الجامع الكبير الأعلى بحماسة المحروسة على العادة في ذلك والقاعدة ؛ لئلا يكون لصالح المسلمين وجهٌ إلا وهو له ناظرٌ ، ولا ينظم للوظائف الدينية عروضٌ إلا وهو بحرُّه الوافرٌ ، خاطبهُ الجامعُ بلسانِ الحالِ ليكونَ لشمليه جامعاً ، وجبرَ قلبَ المحمديَّةِ وخرَّ ماؤها ساجداً ودخلَ عاصيها إلى الجامعِ طائعا ، وأمسى على ذلك الصَّحنِ حلاوةً ظاهرةً ، وتيقَّظتْ مُقلُّ مصابيحِه بعدَ طولِ الغمضِ فإذا هم بالساهرة ، واهترَّ طرباً مِنْ طيبِ هذا الشنا المنيرِ وكادَتْ أعوده أن تزهرَ ، فرحةً بهذا الزمنِ الغضِّ والعيشِ الأخضرِ ، وضعفَ نظرُ الرِّسَامِ وأمستْ مراسيمُه غيرَ مقبولةٍ .

هذا ؛ ولو أدركه ابنُ كتائبٍ . . لقالَ : ما أنا مِنْ فرسانِ مَنْ كتيبةُ كلِّ جيشٍ بنظرِه مشمولَةٌ ، أو لحقهُ ابنُ السَّمينِ . . لتحقَّقَ ضعفُه وضعفَ أبيه عن القيامِ بهذا الشعارِ ، أو عاشرهُ ابنُ راحةِ الأنصاريِّ . . لكانَ له مِنْ جملةِ الأنصارِ .

وأمسى جامعنا وهو الأعلى على مَنْ قبله وبعده ، وتلا أهلُ الصلاةِ وقد حُظوا بيوسفَ في السجدةِ ، وزالَ محلُّ بلادِه في هذه الأيامِ اليوسفيَّةِ ، وأمسى في بسطٍ بعدما طوى بساطه بالكليةِ ، وزالَ فسادُه وللهِ الحمدُ بهذا الصَّلاحِ ، وأعلنَ مؤذنه في أعلى منارتهِ بحَيِّ على الفلاحِ .

فليباشرُ ذلكَ مباشرةً ثمرٌ جزيلَ الثوابِ ، وليظعنَ أعداؤه مِنْ دعاءِ كلِّ قائمٍ بالمحرابِ ، وليحسنَ إلى حلقةِ كلِّ علمٍ لينشرحَ صدرُها ، فما لرجالِ الحلقةِ غيرُ ناظرِ الجيشِ إذا أشكلَ أمرُها ، وليرمِ مَنْ عاندهُ بسهامٍ مِنَ الأدعيةِ عن قوسِ كلِّ راعٍ ، وليتوجَّهَ في ذلكَ إلى اللهِ تعالى وأحسنُ ما كانَ التوجُّهُ في الجامعِ ، والوصايا كثيرةٌ ، وهو بحمدِ اللهِ تعالى في غنيةٍ عن ذلكَ ، واللهُ تعالى يُؤيِّدهُ ويُجمِّلُ بهِ الوظائفَ الدينيَّةَ ويجعلهُ لأزمتهِ خيرَ

مالك ، ولا برح كفه مبسوطاً للخيرات وتُعقدُ عليه خناصرُ كفالِ الممالك ،
إن شاء الله تعالى .

[كتابُ وداديٍّ من ابنِ حجَّةِ الحمويِّ إلى القاضي الدمامينيِّ]
وهذه صورةُ كتابِ وداديِّ إخوانيِّ ، أنفذهُ من القاهرةِ إلى الشَّغْرِ يُخاطِبُ
فيه القاضي بدرَ الدِّينِ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ الدَّمَامِينِيِّ المخزوميِّ ، يخبرُهُ فيه
بفراره من بلادِ الشامِ لحربٍ كانتَ هناكَ وبما قاساهُ من الشدائدِ في البحرِ (١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُقْبِلُ الأَرْضَ التي سُقِيَ دوحُها بنزولِ الغيثِ فأثمرَ الفواكةَ البدريةَ ، وطلَع
بدرٌ كمالِها من المغربِ فسلمنا لمعجزاتها المحمديَّة ، وجرى لسانُ البلاغةِ
في ثغرها فسما على العقدِ بنظمهِ المُستجادِ ، وأنشدَ - لا فضَّ اللهُ فاهُ - وقد
ابتسمَ عن محاسنِهِ التي لم يُخلَقْ مثلُها في البلادِ (٢) :

لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ أَبْتِسَامُ
فأكرمَ به موردَ فضلٍ ما برحَ منهلهُ العذبُ كثيرَ الزحامِ !! ومدينةَ علمٍ
تَشَرَّفَتْ بالجنابِ المحمديِّ فعلى ساكنيها السلامُ !! ومجلسَ حكمٍ ما
ثبتَ لمُدَّعي الباطلِ به حُجَّةٌ !! وعرفاتِ أدبٍ إن وقفتَ بها وقفةً . . صرتَ
على الحقيقةِ ابنَ حجةٍ !! وأفقَ معالٍ بالغِ في سُمُوِّ بدرِهِ فلم يقنعُ بما دونَ
النجومِ !! وميدانَ عربيَّةٍ تجولُ به فرسانُ الفصاحةِ من بني مخزومٍ ، وتاللهِ ؛
ما لفرسانِ الشقراءِ والأبلى في هذا الميدانِ مجالٌ ، وإذا اعترفوا بما حصلَ

(١) انظر « ثمرات الأوراق » (ص ٣٥٠ - ٣٥٥) ، وقوله الآتي : (ولا ناب) ، وقوله أيضاً : (مكرهاً
لا بطل) على لغة ربيعة من حذف تنوين النصب .

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (ص ٧٧) .

للفارسِ المخزوميّ عندهم من الفتح . . كفى الله المؤمنين القتال !!

وينهي بعد أدعية ما برح المملوك منتصباً لرفعها ، وتغريد أثنية ما لسجع المطوق في الأوراق النباتية حلاوة سجعها ، وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك في مصر بالآثار .

وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشُّوقُ يَوْمًا إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ (١)

وصول المملوك إلى مصر محتمياً بكنانتها وهو بسهام البين مصاب ، مذعوراً لما شاهدته من المصارع عند مقاتل الفرسان في منازل الأحاب ، مكلماً من ثغر طرابلس الشام بألسنة الرماح ، محمولاً على جناح غراب وقد حكم عليه البين ألا يبرح من سفره على جناح .

وَكَانَ فِي الْبَيْنِ مَا كَفَانِي فَكَيْفَ بِالْبَيْنِ وَالْغُرَابِ (٢)

يا مولانا ؛ لقد قرعت سن هذا الثغر بأصابع السهام ، وقُلع منه ضرر الأمن ولم يبق له بعد ما سحر به البين نظاماً (٣) ، وكشرت الحرب بين ثناياه عن أنياب ، واقتلعنا منه مع أنهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا ناب ، وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق من الجواد ، ولزمت الروي من دمائنا لثلا يظهر لقافيتنا عند نظم الحرب سناد ، وفسد انسجام تلك الأبيات المنظومة على ذلك البحر المديد ، وبُدلت جنتها بنار الحرب التي كم نقول لها : هل امتلأت . . فتقول : هل من مزيد ، ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف في ذلك اليوم شهوداً ، واتصل الحكم بقضاة القضاة فلم يسلم منهم إلا من كان مسعوداً ، ووقع غالبنا في القبض

(١) من الوافر .

(٢) من مخرج البسيط .

(٣) في « ثمرات الأوراق » (ص ٣٥١) : (ما شعر به البين نظام) بدل (ما شعر به البين نظام) .

مِنْ عَرُوضِ حَرِيهِمُ الطَّوِيلِ ، وَتَبَدَّلَتْ مَحَاسِنُ طَرَابِلِسِ الشَّامِ بِالْوَحْشَةِ فَلَمْ
نِفَارِقْهَا عَلَيَّ وَجْهٍ جَمِيلٍ .

وتالله ؛ لم يدخلها المملوك في هذه الواقعة إلا مكرهاً لا بطل ، وكم
قلت لسارية العزم لما كشف لي عن ضيق سهلها : يا سارية ؛ الجبل ، ورام
المملوك أن يتنصل من انتظامه في هذا السلك جملة كافية ، فقال له لسان
الحال عند نظم هذه الكائنة : جرّتك القافية ، ولم يُطلق المملوك عروس
حماته إلا جبراً أظهر به كسره ، والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق
المُكره .

[من الطويل]

يا مولانا :

وَحَقِّكَ تَطْوِي شُقَّةَ أَنَّهُمْ بِالْبَسْطِ
أَهِيْمُ كَأَنِّي قَدْ تَمِلْتُ بِإِسْفَنْطِ
تُشَاكِلْهَا قُلْ أَنْتَ مُجْتَهِدٌ مُخْطِي
فَإِنَّ أَحَادِيثَ الصَّحِيحِينَ مَا تُخْطِي
فَمَا الشَّامُ بِالْخَلْخَالِ أَوْ مِضْرُ بِالْقَرْطِ
عُقُوداً لَهَا الْعَاصِي رَأَيْنَاهُ كَالسَّمِطِ
يُسْرِحُهَا كَفُّ النَّسِيمِ بِلَا مُشْطِ
وَرَاحٍ بِنَقْشِ النَّبْتِ يَمْشِي عَلَى بُسْطِ
وَأَبْدَتْ لَنَا دُوراً عَلَى سَاقِهِ [السَّبْطِ]
مُطَنَّبَةً بِالدَّمْعِ مِنْهَلَّةُ النَّقْطِ
بِصَفْحَتِهَا لَا زَلَّتِ وَاضِحَةَ الْخَطِّ

بِوَادِي حَمَاةِ الشَّامِ عَنْ أَيْمَنِ الشَّطِّ
بِلَادٍ إِذَا مَا دُقْتُ كَوُثْرَ مَائِهَا
وَمَنْ يَجْتَهِدُ فِي أَنَّ بِالْأَرْضِ بُفْعَةٌ
وَصَوَّبَ حَدِيثِي مَائِهَا وَهَوَائِهَا
بِمِعْصَمِهَا إِنْ دَارَ مَلُوي سَوَارِهَا
تَنْظَمَ بِالشَّطِّينِ دُرُّ ثِمَارِهَا
وَتُرْخِي عَلَيْنَا لِلْغُصُونِ دَوَائِباً
وَمُذَّ مَدَّ ذَاكَ النَّهْرُ سَاقاً مُدْمَلِجاً
لَوْيْنَا خَلَاحِيلَ النَّوَاعِيرِ فَالْتَوَتْ
سَقَى سَفْحَهَا إِنْ قَلَّ دَمْعِي سَحَابَةٌ
وَيَا أُسْطَرَ النَّبْتِ الَّتِي قَدْ تَسَلَّسَلَتْ

وَمِنْ شَكْلِ أَنْوَاعِ الْأَزَاهِرِ فِي ضَبْطِ
 وَهَمْتُ بِهَا لَا بِالْمُحَصَّبِ وَالسَّقْطِ
 وَفِي غَيْرِهَا لَمْ أَرْضَ بِالْمُلْكِ وَالرَّهْطِ
 وَأَوْطَانِ أَوْطَارِي بِهَا وَرِضَا سُخْطِي
 بِرَغْمِي وَهَذَا الدَّهْرُ يَسْلُبُ مَا يُعْطِي
 حِمَاها لَقَدْ أَدَمَى فُؤَادِي بِالسَّرْطِ
 إِلَى غَيْرِهَا صَبْرًا عَلَى الشَّيْلِ وَالْحَطِّ
 مُنْظَمَةً لَكِنْ قَضَى الدَّهْرُ بِالْفَرْطِ
 فَتَتَبَعُ عَيْنِي ذَلِكَ الشَّكْلَ بِالنَّقْطِ
 فَيَا لَيْتَهُ لَوْ كَانَ فِي مَشِيهِ يُبْطِي
 كَأَنِّي فِي الدِّيَوَانِ أَكْتُبُ بِالْقَبْطِي

وَلَا زَالَ ذَاكَ الْخَطُّ بِالطَّلِّ مُعْجَمًا
 لَوَيْتُ عِنَانِي فِي حِمَاها عَنِ الْوَرَى
 وَلَذَّ عِنَاقُ الْفَقْرِ لِي بِفِنَائِهَا
 مَنَازِلُ أَحْبَابِي وَمَنْبِتُ شُعْبَتِي
 نَعِمْتُ بِهَا دَهْرًا وَلَكِنْ سَلِبَتْهُ
 وَقَدْ جَاءَ شَرْطُ الْبَيْنِ أَنِّي أَغِيبُ عَنْ
 وَحْطٍ عَلَيَّ الدَّهْرُ عَمْدًا وَشَالِنِي
 وَسُبْحَةُ جَمْعِ الشَّمْلِ كَانَتْ لَنَا بِهَا
 أُمْتِلُ شَوْقًا شَكْلَهَا فِي ضَمَائِرِي
 وَقَدْ صَارَ يَمْشِي أَلْهَمُ نَحْوِي بِسُرْعَةٍ
 وَأَصْبَحَ نَظْمِي رَاجِعًا بِي إِلَى وَرَا

فما هذه المحن التي توالى على أهل الأدب بعد زوال فخرها ، لكن
 أدام الله تعالى مجدها وأنار شهابها وأقمر ليالي بدرها .

يا مولانا ؛ وأبتك ما لقيت من أهوال البحر وأحدث عنه ولا حرج ، فكم
 وقع المملوك من أعاريضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل إلى دوائر
 تلك اللجج ، وشاهدت منه سلطاناً جائراً يأخذ كل سفينة غصباً ، ونظرت
 إلى الجواري الحسان وقد رمت أزر قلوبها وهي بين يديه لقلته رجالها
 تسبى ، فتحققت أن رأي من جاء يسعى في الفلك جالساً . . غير صائب ،
 واستصوبت هنا رأي من جاء يمشي وهو راكب ، وزاد الظمأ بالمملوك وقد
 اتخذ في البحر سبيلاً ، وكم قلت من شدة الظمأ : يا ترى قبل الحفرة هل
 أطوي من البحر هذه الشقة الطويلة ؟!

[من البسيط]

وَهَلْ أَبَاكِرُ بَحْرَ النَّيْلِ مُنْشَرِحًا وَأَشْرَبَ الْحُلُوَ مِنْ أَكْوَابِ مَلَّاحٍ^(١)

بحرٌ تلاطمت علينا أمواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب ، وقامت واواث دوائره مقام (مع) فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والأخشاب ، وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهي جارية ، وغشيهم في اليم منها ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية !؟

واقعها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض ، وانشق قلبها لفقد رجالها وجرى ما جرى على ذلك القلب ففاض ، وتوشحت بالسواد في هذا الماتم وسارت على البحر وهي مثل .

وكم سُمِعَ منها للمغاربة على ذلك التوشيح زجل !! برج مائي ولكن تُعرب في رفعها وخفضها عن التسر والحوث ، وتتشمخ كالجبال وهي خُشْبُ مُسْنَدَةٌ مَنْ تَبَطَّنَهَا عُدَّ مِنَ الْمُصْبِرِينَ فِي تَابُوتٍ ، تأتي بالطباق ولكن بالمقلوب ؛ لأن صغيرها كبيرٌ وبياضها سوادٌ ، وتمشي على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عينُ الفساد ، إن نقر الموج على دفوفها . . لعبت أنامل قلعوها بالعود ، وترقصنا على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود ، تتشامم وهي كما قيل : أنف في السماء وأسف في الماء .

وكم نطيل الشكوى إلى قامة صاريها عند الميل وهي الصعدة الصماء ، فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين ، وتتصابى إذا هبت الصبا وهي ابنة مئة وثمانين ، وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال ، وتدعي براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال .

هذا ؛ وكم ضعفت نحيل خصرها عن ثاقل أرداف الأمواج !! وكم وجلت القلوب لما صار لأهداب مجاذيفها على مقلة البحر اختلاج !! وكم أسبلت

(١) البيت لابن نباتة المصري في «ديوانه» (ص ١٠٦) .

على وَجنتِهِ طُرَّةَ قلعِها فبالغِ الرِيحِ في تشويشِها !! وكم مرَّ على قريتها العامرة
فتركها وهي خاويةٌ على عروشِها !! تتعاضمُ فتَهزُلُ إلى أن ترى ضلوعها من
السُّقمِ تُعدُّ ، ولقد رأيتها بعدَ ذلكَ قد تَبَّتْ وهي حَمَالَةُ الحطبِ في جِديها
حبلٌ من مسدٍ .

وخلَصَ المملوكُ من كَدْرِ المالحِ إلى التَّيْلِ المباركِ ، فوجدَهُ من أهلِ
الصِّفَاءِ ، وإخوانِ الوفاءِ ، وتَنصَّلَ من ذلكَ العدوِّ الأزرقِ الذي ما برحَ باطنُهُ
وهو كدُرٌ ، وجمعَ من عذوبةِ التَّيْلِ ونضارةِ شطوطِهِ بينَ عَيْنِ الحِياةِ والخضرِ ،
ووصلَ بعدَ عدمِ القرارِ من بحيرتِهِ إلى ذاتِ قرارٍ ومعينٍ ، وقُضِيَ الأمرُ وقيلَ :
بُعداً للقومِ الظَّالمينَ ، وتلا لسانُ الحالِ على المملوكِ وأصحابِهِ : ﴿ ادْخُلُوا
بِصِرِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ [ءَامِنِينَ] ﴾ (١) .

وبعدُ : فالمملوكُ يسألُ الإقالةَ من عشراتِ هذهِ الرسالةِ ، فقد علمَ اللهُ
أنَّها صدرتْ عن فكرٍ تركهُ البينُ مُشتتاً ، والإغضاءَ عن كثرةِ بردها فقد
خرجتْ من البحرِ عاريةً في أيامِ الشتا ، وليستز عورتها بستائرِ الحلمِ وينظرُ
إليها من الرحمةِ بعينٍ ، وليكن ضربها بسيفِ النقدِ صفحاً فقد كفى ما
جُرِحَتْ بسيفِ البينِ .

وتاللهُ ؛ لم يسلكِ المملوكُ هذهِ الجادةَ إلا ليجدَ له سبيلاً إلى نهلةٍ من
عذبِ تلكَ المواردِ ، ويعودَ قلبه الضَّعيفَ الذي قطعَتْ صلاتُهُ من صفيِّ
هذا المشربِ عائدٌ ، ويصيرَ العبدُ مسعوداً إذا عُدَّ للأبوابِ العاليةِ من جملةِ
الخُدَّامِ ، ويحصلَ لكبدهِ الحرِّ من ذلكَ النسيمِ الغربيِّ بردٌ وسلامٌ ، واللهُ
تعالى يَمُنُّ بقربِ المثولِ بينَ يديه ؛ ليحصلَ للملوكِ بعدَ التخلُّصِ من البينِ
حسنُ الختامِ ، بِمَنِّهِ وكرمهِ إن شاء اللهُ تعالى .

(١) سورة يوسف : (٩٩) .

[رسالة من ابن حجة في إتمام مقامة استعصت على القاضي الفاضل]

حكى ابن حجة: أن القاضي الفاضل أراد يعارض «مقامات الحريري»، فلما وصل إلى (المقامة البغدادية) التي لَمَحَ فيها بأسماء الأعضاء . . أمسك عن المعارضة؛ لاستصعابه ذلك المسلك، وهذه عبارة المقامة المشتملة على ذلك التلميح من كلام نسبه إلى عجوز، قال^(١): إنها وقفت على جماعة من الأدباء فيهم الحارث بن همام في صورة سائلة؛ قالت: (حيّا الله المعارف، وإن لم يكن معارف، اعلموا يا مآل الأمل، وثمّال الأرامل؛ أني من سرّوات القبائل، وسريّات العقائل، لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصّدر، ويسرون القلب، ويُمطون الظّهر، ويولون اليد، فلما أردى الدهر الأعضاء، وفجع بالجوارح الأكباد، وانقلب ظهراً لبطن . . نبا الناظر، وجفا الحاجب، وذهبت العين، وفقدت الراحة، وصلد الزند، ووهنت اليمين، وضاع اليسار، وبانت المرافق، ولم يبق لنا ثنية ولا ناب).

فتعجب ابن حجة من استصعاب الفاضل ذلك، وأنشأ هذه الرسالة مستوفياً فيها ذكر الأعضاء إلا ما يستحي من التّطقي به، واعتذر عن ذلك بما سيأتي نقله عنه^(٢):
[من الطويل]

يُقْبَلُ أَرْضاً بِالْعَلَا قَدْ تَجَسَّدَتْ لِأَرْوَاحِ أَهْلِ الْعِلْمِ رَوْضَةٌ مُشْتَهَى
وَهَبَتْ بِأَنْفَاسِ الْعُلُومِ قَبُولَهَا فَلَا زَالَ صَدْرُ الدِّينِ مُنْشَرِحاً بِهَا
ولا برح هذا الصّدر محروساً بـ ﴿ أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ
وَرْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾^(٣).

(١) انظر «المقامات» للحريري (ص ٨٨ - ٨٩)، و«خزانة الأدب» للحموي (٤/٤٢٩ - ٤٣٢).

(٢) انظر «خزانة الأدب» للحموي (٤/٤٣٠).

(٣) سورة الشرح: (١ - ٣).

صَدْرُ غَدَا رَأْسًا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ صَوْرُ الْمَعَانِي تَلْتَقِيهِ بِبِشْرِهَا

فَإِذَا أَتَى نَحْوَ الشَّامِ مُنَاطِرٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ قَابَلَتْهُ بِصَدْرِهَا

هذا ؛ وكم لهذا الرأس في العلوم من فرقٍ دَقَّ على الأفهام !! وهو كالغزّة في جباه الأيام ، لا زال المجدُّ له حاجباً مقروناً بسعديه الشامل ، ولا برح بعلمه عيناً لوجوه المسائل ، فله أهداب معانيه التي هي أسحر من عيون الغزلان ، وأمضى من السيوف إذا برزت من الأجفان ، وأصداع فضائله التي هي عاطفة على وجنات الوجود ؛ لأنها كالعوارض الماطرة ، وكم أنست عند ذكرها من سالف !! وكم لها في قلوب الأعداء من خدود !! وندى جوده الذي إذا جاءه الشارب .. وجدَّ عنده شفاه ، وحلاوة نظمه الذي أنسانا ذكر العذيب وثناياه ، وعنق مكارمه التي ألفت من البديع الالتفات ، وأوصافه التي غدت على جيد الدهر شامات ، حتى تبدلت سيئاته بالحسنات ، كفَّ عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد ، من غير أن يُقال له : ساعد ، وشهدنا بأن أياديه بحرّ يفيض بصنائعه ، فأشار النيل إلى قبول هذه الشهادة بأصابعه .

فله ندى يمينه الذي لم يزل المملوك به في بلاد الشمال مكفي !! وكم فاض منه قلب النيل وجهد أن يوفيه بالباع والذراع فما قدر يوفيه !! جبلت على محبته القلوب فصارت حبه ظاهراً في كل باطن ، وحنت إليه الجوارح لما سارت مناقبه إلى كل جانب فحرّكت كل ساكن .

وينهي بعد ادعيتيه التي هي إن شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم ، واعتدالاً لطيف ذلك المزاج ، وأثنيته التي هي كالمناطق على خصور الحسان وبها لكل خاطر ابتهاج .. أشواق من ثاقلت عليه أرداف النوى ، وأسكنت في وسط قلبه الجوى ، وقدّه الانقطاع بسيفه الذي زاد في حده ، ولكنه زاد

في قَدِّهِ ، ولو حصرَ المملوكُ ما ساقَ ، إليه البعدُ مِنَ الاشتياقِ ؛ إلى تقبيلِ
الأقدامِ . . لم تسعهُ قائمةٌ ، وهو يعدُّ القلبَ بالصَّبْرِ ولكن كما ذكرَ كعبٌ عن
مواعيدِ عُرُقُوبٍ ، فنسألُ اللهَ حسنَ الخاتمةِ .

قال ابنُ حَجَّةَ على أثرِ ذلكَ : (ولم يبقَ مِن هذا القدرِ إلا ما تمجُّهُ أفواهُ
الأسماعِ ، وينفِرُ منه سليمُ الطَّباعِ ، وعلى كلِّ حالٍ فهذه صُبابَةُ الحاصلِ ،
ونسألُ اللهَ السلامةَ مِنَ الجاهلِ المتغافلِ ؛ بِمَنِّهِ وكرَمِهِ ، إن شاء اللهُ
تعالى) .

إذا قرأتَ مُتأملًا حقَّ التأملِ ما نقلناه لك مِن إنشاءِ ذوي العصورِ
المتتاليةِ . . عرفتَ كيفَ اختلافُ مذاهبِ الناسِ في الإنشاءِ ، وإذا يسلكُ بكِ
التوفيقُ إلى اختيارِ طريقةٍ تناسبُ أحوالَ بني وقتِكَ ، وتوافقُ أفهامَهُمْ ؛ إذا
دعتك داعيةٌ للإنشاءِ المصنوعِ .



[مِنْ مُنْشآتِ الْوَزِيرِ الْأَدِيبِ عَبْدِ اللَّهِ فَكْرِي بَك]

هذا ؛ وأنفع ما أراه ينبغي لك أن تتخذَهُ دليلاً يرشدك إلى كلِّ وجهٍ جميلٍ مِنْ وجوهِ الفنونِ التي تحاولُ فيها أن تكتبَ الكتابةَ الصِّناعِيَّةَ المناسبةَ لوقتِكَ ، الذي تأملُ أن تعيشَ في رضا أهلِهِ عنكَ ، واعترافِهِمْ بظهورِ ما يعودُ منكَ عليهم نفعُهُ . . مُنْشآتُ الأميرِ الجليلِ صاحبِ الوقتِ ، الذي لو تقدَّم به الزمانُ . . لكانَ لَهُ بديعانِ ، ولم ينفردُ بهذا اللَّقبِ عَلَّامَةُ هَمْدَانَ ، عبدِ اللَّهِ فكري بكِ أطابَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ، وأعلى - كما نرجوهُ - منه تعالى حيثُ كانَ مقامُهُ .

[جوابُ تحيةٍ وسؤالٍ]

فمنها - وبِهِ صَدَّرْتُ ما سأنقلُهُ لِمَا اشتمَلَ عَلَيْهِ مِنْ نصيحةِ الإخوانِ أن يذهبوا بأنفسِهِمْ مَذاهِبَ الأفاضلِ ، ولا يقعدوا بها مَقاعدَ كلِّ ضيغِ خاملٍ ، فيكونوا قد رَضُوا لها بالدُّونِ ، وأنزلوها منازلَ الهُونِ - ما كتبَ لبعضِ إخوانِهِ جوابَ تحيةٍ وسؤالٍ ؛ قال :

كتبْتُ والذَّهْنُ فاترٌ مِنْ وهنِ الدَّفاتِرِ ، والتبييضِ والتسويدِ ، والتقويدِ والتسديدِ ، والتقويدِ والتشديدِ ، والترجمةِ وكثرتها ، والهيمَةَ وفترتها ، والماهيةِ وقليتها ، والنَّفْسِ وذليتها ، وراتبي لا يكفي أجرَةَ البيتِ ، ولا يفي ثمنَ الماءِ والزيتِ ، وبالأمسِ وعدَّ الوكيلُ بالزيادةِ ، واعتذرَ اليومَ بالأصيلِ على العادةِ ، على أَنَّهُ لو حصلتْ زيادةٌ . . فلزيدٍ وعمرو ، إلى آخِرِ الزميرِ ، وللهِ الأمرُ ، أحوالٌ مُتبدِّدةٌ ، ونفوسٌ مُتبدِّدةٌ ، وأشغالٌ مُتعدِّدةٌ ، وإخوانٌ خَوَّانٌ ، وخِلَّانٌ غيلانٌ ، ورفاقٌ وما أجملَ الفراقَ !! وقلتُ :

إِلَّامٌ أَعَانِي الصَّبْرَ وَالذَّهْرُ غَادِرٌ وَحَتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَا لِي عَادِرُ

وَلَوْ أَنَّي أَشْكَو عَظَائِمَ شِدَّتِي لِمَيْتٍ لَرَقَّتْ لِي أَلْعِظَامُ النَّوَخِرُ

وسألت عن فلان وفلان ، وهَيَّانَ بنِ بَيَّانَ ، مَمَّنْ ينتسبُ للعلمِ وأهله ،
ويتظاهرُ بشعارِ فضله ، ولو كانَ العلمُ بلحيةِ تعظمُ وتطولُ ، وشواربِ تُحَفُّ
وتُستأصلُ ، وعيونِ على ما بها مِنْ غمصٍ ورمصٍ تكحلُّ ، وعمامةِ تعظمُ حتى
ترذلُ ، وطيلسانِ يُلَفُّ ويُسدَلُ ، وكم يُوسَعُ ويسبَلُ !! وأحاديثِ خرافةِ تُقصُّ
وتُنقلُ ، ومحفظةِ تفعمُ وتثقلُ ، وسواكٍ يظهرُ مِنَ العمامةِ نصفُهُ ، وكتابِ
يخرجُ مِنَ الجيبِ طرفُهُ ، ثمَّ بتشدُّقٍ في الكلامِ ، وتبَّأَ لَهُ في المرامِ ، وتَعَسَّفِ
في الأفهامِ ، وحرصِ على الحطامِ ، ثمَّ بقولِ الإنسانِ : حضرتُ درسَ فلانِ ،
وسمعتُ مِنْ لفظِهِ باللسانِ ، وقضيتُ في العلمِ كذا سنةً مِنَ الزمانِ . . فهُم
أعلمُ مَنْ أقلتُهُ الغبراءُ ، وأفقهُ مَنْ أظلتُهُ الخضراءُ ، وإن كانَ للعلمِ غيرُ هذهِ
الآلاتِ . . فما لَهُمُ سوى هذهِ الحالاتِ ، غايةُ الأمرِ أَنَّهُمُ قَضَوْا أرذلَ العمرِ
في كتبٍ معدودةٍ ، وشروحٍ موجودةٍ ، وهُمُ يُكزِّرونَهَا ولا يَدرونَهَا ، ويُقرِّرونَهَا
ولا يُحزِّرونَهَا ، ويتداولونها ولا يتعقلونها ، ولو صرفَ حماري هذا العمرَ
فيها . . لأصبحَ فقيهاً ، وأضحى نبيهاً .

والذي يُظهرُ مِيتَهُمُ وشيئَهُمُ ، وعلامةُ ما بيننا وبينَهُمُ . . أن يُؤمَرَ أحدُهُمُ
برقعةٍ تُكْتَبُ لحاجةٍ معهودةٍ ، ويُمتحنُ بكتابٍ غيرِ هذهِ الكتبِ المعدودةِ ،
فيه بعضُ كلامِ العربِ وأشعارِها ، وشيءٌ مِنْ وقائعِها وأخبارِها ، فإن
كتبَ فصيحاً ، وقرأَ صحيحاً ، وفهمَ مليحاً . . عرفنا أَنَّهُ شَمَّ عَرَفَ العلمِ ،
وذاقَ طعمَ الفهمِ ، وسَلَمنا إِلَيْهِمُ ما يَدْعُونَ ، وتركنا لَهُمُ ما يأتونَ وما
يَدْعُونَ ، وإن ارتبكَ للرقبةِ ، ووقفَ حمارُ الشيخِ في العقبةِ . . عرفنا حالَهُ ،
وقلنا لَهُ^(١) :

[من الخفيف]

(١) هما لأبي نواس في « ديوانه » (ص ٤١٩) .

أَيْهَا الْمُدَّعِي سَلِيماً سَفَاهَا لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةً ظَفِرِ
إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمٍ كَوَاوٍ أُلْحِقْتَ فِي الْهَجَاءِ ظُلماً بَعْمِرٍ

وقد مررت بالأمس على أحدهم في الدرس يقرأ «القطر» لابن هشام ،
ويلحن لحن العوام ، ومررت بآخر يدرس «الكافي في علمي العروض
والقوافي» ، يُقَرَّرُ قَوْلُهُ : [من مجزوء المتدارك]

قِفْ عَلَى دَارِهِمْ وَأَبْكِيَنَّ بَيْنَ أَطْلَالِهَا وَالْدَمَنُ

فلا وربك ما أقام له وزناً ، ولا عرف له معنى ، مع سهولة مبناه ، وظهور
معناه ، فَحَطَّمَهُ حَطْمَ الْهَشِيمِ ، وَمَزَّقَهُ تَمَزِيقَ الْأَدِيمِ ، فَقُلْتُ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ !!
كَأَنَّ الشَّاعِرَ عَنَانِي بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَعَلِمَ أَنِّي أَقُومُ هَذَا الْمَقَامَ ، فَأَمَرَنِي بِالْبُكَاءِ
عَلَى الْعِلْمِ وَالدَّرُوسِ ، وَمَا جَرَى عَلَيَّ مَعَاهِدِهِ مِنْ دُرُوسٍ .

يا قوم ؛ أهذا النحو وإعرابه ، والصرف وأبوابه ، والعروض وأوزانه
وأبحرُه ، والمعاني وإنشأؤه وخبرُه ، والبيان وفرائدُه ، والبديع وشواهدُه ؟!

وهذه العلوم الموضوعه ، والأسفار المحمولة ، والدروس المأهولة ،
والأصوات المهولة . . لمجرد معرفة ضرب زيد وعمرو ، وقتال خالد لبكر ،
وَأَنَّ (قَالَ) أَصْلُهَا (قَوْل) ، ثُمَّ لَا يَدْرِي مَا حَصَلَ ، وَالطَّوِيلُ مِنْ (فَعُولُنِ)
مَفَاعِيلُ) ، ثُمَّ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ يَنْظُمُ ، وَالْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ، وَلَا أَصْلَ وَلَا فَصْلَ ،
وَالْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ ، وَلَيْسَ لَهُمَا مَجَازٌ ، وَالتَّوْرِيَةُ وَالْجِنَاسُ ، مِمَّا يَحْفَظُ وَلَا
يُقَاسُ .

إذا ؛ والله تكون تلك الفنون من أفانين الجنون ، ويكون الميل إليها ،
والإقبال عليها ، عملاً حابطاً ، وشغلاً ساقطاً ، وهوساً عاطلاً ، ووسواساً
باطلاً ، ويكون واضعها أساءوا الناس ، وأخطؤوا القياس ، وبنوا على غير
أساس !!

كَلًّا ؛ إِنَّمَا وَضَعُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ ، وَشَرَعُوا لِلنَّاسِ تِلْكَ الْمَوَارِدَ ؛ لِتَتَكَلَّمُوا
بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِثْلَ مَا تَكَلَّمْتُمْ ، وَيَفْهَمُوا مِنْ أَلْفَاظِهَا كَالَّذِي فَهَمْتُمْ ، وَيُتْرَجِّمُوا
عَنْ سِرَائِرِ الضَّمَائِرِ كَمَا تَرْجِمْتُمْ ، وَيُنْثَرُوا وَيُنْظَمُوا كَمَا نَثَرْتُمْ وَنَظَّمْتُمْ ، وَقَدْ
كَانَتْ هَذِهِ الْعَرَبُ الَّتِي أَوْدَعَ اللَّهُ الْفَصَاحَةَ لِسَانِهَا ، وَشَرَّفَ بِسَيِّدِنَا النَّبِيِّ
وَالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ مَكَانَهَا . . تَتَكَلَّمُ بِهِذِهِ اللَّغَةِ الْعَلِيَّةِ ، عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،
وَالسَّجِيَةِ الْجَبَلِيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ ، وَتِلْكَ الْأَبْوَابِ وَالْفُصُولِ ،
وَكَانَتْ تَعْتَدُ الْبَلَاغَةَ مَبْلَغَ عِلْمِهَا ، وَتَعْتَقِدُ الْفَصَاحَةَ مِنْ مَحَاسِنِ حِلَالِهَا .

ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ الْأَكْرَمَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ ،
أَفْصَحَهَا لِسَانًا ، وَأَوْضَحَهَا بَيَانًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ قُرْآنًا ، فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ
الْبَلَاغَةِ ، وَأَرْقَى طَبَقَاتِ الْبِرَاعَةِ فِي حَسَنِ الصِّيَاغَةِ ، فَاهْتَدَوْا بِقُرْآنِهِ ،
وَاقْتَدَوْا بِبَيَانِهِ ، فَازْدَادُوا بَسْطَةً فِي اللَّسَنِ ، وَتَوَسَّعُوا فِي الْبَيَانِ الْحَسَنِ ، إِلَى
أَنْ اخْتَلَطَتْ أَنْسَابُهُمْ ، وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهُمْ ، وَانْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمْ ، وَانْقَضَتْ
مُدَّتُهُمْ ، وَاخْتَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَخَلَّتْ أَمَكْنَتُهُمْ ، وَخِيفَ أَنْ تَذْهَبَ مَعَهُمْ هَذِهِ
اللُّغَةُ الْمُنِيفَةُ ، الَّتِي هِيَ مَدَارُ الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَخَيْرُ لُغَةِ الْعَالَمِ ، وَأَبْرَعُ لِسَانِ
تَكَلَّمْتُ بِهِ بَنُو آدَمَ .

فَقِيضَ اللَّهُ لِحَفِظِهَا الْأَيْمَةَ الْأَعْلَامَ ، هُدَاةَ الْأَنْامِ ، وَرُعَاةَ الْإِسْلَامِ ، فَرتَّبُوا
قَوَاعِدَهَا ، وَشَدُّوا سِوَاعِدَهَا ، وَصَنَّفُوا تِلْكَ الْفُنُونَ الْعَدِيدَةَ ، وَأَلَّفُوا هَذِهِ الْكُتُبَ
الْمُفِيدَةَ ؛ لِتَسْهِيلِ الْأَرَبِ ، مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ ، وَالتَّكَلُّمِ بِلِسَانِهِمْ ، عَلَى بَعْدِ
أَزْمَانِهِمْ ، وَمَجَارَاتِهِمْ فِي بَيَانِهِمْ ، عَلَى سَعَةِ مِيدَانِهِمْ ، وَالتَّفَنُّنِ فِي أُسَالِيْبِ
الْكَلَامِ ، وَصَوْغِهِ عَلَى حَسَبِ مُقْتَضَى الْمَقَامِ ، وَاسْتَمَرَّ الْعَمَلُ عَلَى ذَلِكَ بَيْنَ
الْأَنْامِ ، وَتَدَاوَلَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ وَالْأَعْوَامُ .

إِلَى أَنْ خَلَفَ هَذَا الْخَلْفُ الْمَلُومُ ، وَالْخَلْقُ الْمَذْمُومُ ، وَالْجِيلُ الْمَشْهُومُ ،

فظنّوا تلك الوسائل مقاصد ، ليس بعدها غايةً لقاصد ، وحسبوا هذه الكتب تُقصد لذاتها ، ويكتفى بالتعبّد بكلماتها ، فوقفوا عندها ، ولم يتجاوزوها لِمَا بعدها ، واتخذوا الأدب وراءهم ظهرياً ، وجعلوا النظم والنثر شيئاً فرياً ، فإذا كتب أحدهم رقعةً لحاجةٍ أرادها ، أو ابتلي بكتابٍ غير هذه التي اعتادها . . فلا تسل عن الغلط الواضح ، واللحن الفاضح ، والدّهن الغائب ، والفهم العائب ؛ فإن وقفته على غلطه ، وعرفته بعض سقطه . . قال : ما نحن من أهل ذلك الشأن ، ولا خيل لهذا الرهان ؛ إنّما نحن لفهم الكُراس ، لا يسبقنا أحدٌ من الناس .

فيا أنعام الأنام ، ويا الأم اللثام ؛ أي فائدة إذاً للكُراس ، غير وجع الراس ؟! وأي معنى لتلك العلوم ، غير سعة الحلقوم ؟! وماذا ينفع الإعراب من لا يعرب عن المرام ؟! وماذا يصنع بالصرف من لا يتصرف في أساليب الكلام ؟! وماذا يغني العروض عن قوم لا يشعرون ، والمعاني والبيان من قوم لا ينظمون ولا ينثرون ؟!

وقد زارني أحدهم في الديوان لبعض شانه ، وأعطاني رقعة كتبها لحاجة بخط بنانه ، فإذا رقعته أنموذج الرقاعة ، وتمثال الشناعة ، ومجموع البلاهة ، وينبوع العي والفهامة ، وها هي واصل طي كتابي إليك ، لتكون على ما قلت حجةً وبيناً لديك ؛ فقد عرفت قدر تظاهر هذا الرجل بالعلم ، وتفخيره بحدة الذهن وجودة الفهم ، وسترى ما بها من زلل ، وخطأ وخطل ، ولفظ بارد ، ومعنى جامد ، وتركيب فاسد ، ورسم خامد .

وقد كان في يدي « معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص » ، فناولته بعض ورقاته ، وسألته في فهم بعض محلاته ، لا جهلاً بأمره ، ولكن إظهاراً لعجزه وبُجره ، ثم جهدت به أن يكتب ما فهمه بعد أن مدحت له ما توهمه ،

وكنْتُ أريدُ أن أتَحَفَكَ بغرائبِ أنظاريه ، ووساوسِ أفكارِهِ ؛ لتعلمَ أيُّ أطفالٍ في ثيابِ رجالٍ ، وأيُّ حميرٍ تركبُ البغالَ ، إلَّا أَنَّهُ لم يسمحَ بكتابةِ ما قالَ ، وفي رقعتهِ كفايةٌ ، فهي في الدلالةِ على حالِهِ غايةٌ .

أمَّا فلانٌ وأترابُهُ ، وفلانٌ وأضرابُهُ .. فهُمُ أعجوبةُ الأيامِ ، وأحدوثُ الأنامِ ، أحوالٌ متناقضةٌ ، وأفعالٌ متعارضةٌ ، فكبرٌ وفقرٌ ، وعجزٌ وفخرٌ ، وأنفٌ في السماءِ ، وأستٌ في الماءِ ، وحالٌ تحتَ الترابِ ، ونفسٌ فوقَ السحابِ ، إن صدقتَهُم .. كذبوا ، وإن أَرْضيتَهُم .. غضبوا ، وإن تباعدتَ عنهُم .. لاموا وعذلوا ، وإن تَقَرَّبتَ منهُم .. سَئِموا ومَلُّوا ، كلابٌ في جلودِ أسودٍ ، وجوهُ بيضٌ وقلوبٌ سودٌ ، صغيرةُ السيئةِ عندهمُ كبيرةٌ ، وكبيرةُ الحسنةِ لديهمُ صغيرةٌ ، عيونٌ متقدمةٌ ، وقلوبٌ متقدةٌ ، وألسنةٌ حدادٌ ، وأفئدةٌ شدادٌ ، وأجسامٌ صحيحةٌ ، وقلوبٌ مريضةٌ ، وجهلٌ طويلٌ ، ودعاوى عريضةٌ ، النصحُ لديهمُ خيانةٌ ، والشؤءُ عندهمُ ديانةٌ .

وقد بذلتُ في مرضاتِهِم جهدي ، وأجنيبتُهُم مُرِّي وشهدي ، وقابلتُهُم باللطفِ والعنفِ ، وعاملتُهُم بالنُّكرِ والعُرفِ ، فلا وأبيكَ ما زادوا إلَّا فجوراً ، وعتوّاً ونفوراً ، ومكراً وشروراً ، وكبراً وغروراً ، ولو وقفتُ عليهم ليلتي ويومي ، وهجرتُ لديهمُ راحتي ونومي ، وفديتُهُم بعشيرتي وقومي ، ثمَّ أطعمتُهُم من جسمي ، وآثرتُهُم من العافيةِ بقسمي .. لَمَّا بلغتُ من نفوسِهِم رضاها ، ولا أدَّيتُ من حقوقِهِم على زعمِهِم مقتضاها ، بل ولو صاحبَهُم جبريلُ ، وخاطبَهُم بالتنزيلِ ، وأهداهمُ الجنةَ في منديلٍ ، وأنزلَ الشمسَ إليهِم في قنديلٍ ، ونظّمَ لَهُم النجومَ عقوداً ، وشقَّ لَهُم من المجرةِ بروداً ، وصيّرَ الإنسَ والجنَّ لَهُم عبيداً ، وجعلَ الملائكةَ لَهُم بعدَ ذلكَ جنوداً ، وأطلعَهُم على غيبِ السماءِ والأرضِ ، وخبَّرَهُم بما كانَ وما يكونُ إلى يومِ العَرَضِ .. لَمَّا أصبحَ عندهمُ إلَّا مذموماً ، ولا أمسى لديهمُ إلَّا ملوماً ، وكانَ

منسوباً للقصورِ والتقصيرِ ، والإخلالِ بالقليلِ والكثيرِ ، قومٌ هذه طباعُهُمْ ،
وتلك أوضاعُهُمْ ؛ مَنْ ذا يرضيهم بحالٍ ، ولو فعلَ لَهُمُ المحالَ !؟

أما فلانٌ وما أدراكُ . . فهوَ شركُ الأشرِكِ ، وعازُّ العربِ والأترِكِ ، وفضيحةُ
الزمانِ ، وخزيُّ الكونِ والمكانِ ، صورةٌ كثيفةٌ ، وسيرةٌ أنتنُ مِنَ الجيفةِ .

وَوَجْهٌ لَوْ رَمَيْتَ بِهِ لِكَلْبٍ عَلَى جُوعٍ لَعَافَ أَلْكَلْبُ أَكَلَهُ^(١)

وأخلاقٌ أسمعُ مِنَ السماجةِ ، وعقلٌ أضلُّ مِنَ الدجاجةِ ، وكلامٌ على
الراسِ ، أشدُّ مِنْ قلعِ الأضراسِ ، إذا تَجَرَّعَتْهُ الآذَانُ ، تَقَيَّأَتْهُ الأذْهَانُ ، فهوَ
ذَنُوبُ الذُّنُوبِ ، وَعَيْبَةُ العيوبِ ، وقذى النواظرِ ، وأذى الخواطرِ ، وبليةُ
النفْسِ ، وآفةُ الأُنْسِ ، وشُرُّ الجِنِّ والإنسِ ، وهوَ مِنْ قومٍ تَقَدَّمُوا بأعجازِهِمْ لا
بإعجازِهِمْ ، وبقيادَتِهِمْ لا بسادَتِهِمْ ، وبالشمولِ لا بالشمائلِ ، وبالفضولِ لا
بالفضائلِ ، فلا نَعَمَ اللهُ بِالهُمِ ، ولا بَلَّغَهُمْ آمالَهُمْ ، فليسوا للنعمةِ أهلاً ، ولا
للكرامةِ محلاً .

نِعَمُ اللهُ لَا تُعَابُ وَلَكِنْ رُبَّمَا اسْتُقْبِحَتْ عَلَى أَقْوَامٍ
لَا يَلِيْقُ الْغِنَى بِوَجْهِ فُلَانٍ لَا وَلَا نُورٌ بِهَجَةِ الْإِسْلَامِ
وَسِخُ الثُّوبِ وَالْعِمَامَةِ وَالْبِرِّ ذُونٍ وَالْوَجْهِ وَالْقَفَا وَالْغُلَامِ^(٢)

وقد طالَ الكلامُ ، في هؤلاءِ الطَّعامِ ، وإتني لمأسوفٌ على زمنٍ قطعتهُ
بأنبيائِهِمْ ، وقرطاسٍ دَنَسْتُهُ بأسمائِهِمْ ، وما كنتُ لأريدُ أن أطيلَ المِقْوَلَ في
فصولِ هذا الفضولِ ، ولكنَّ حديثَ الأفاعي يطولُ ، وقد نذرتُ للرحمانِ
صوماً ، فلن أذكرَهُم بعدَ هذا يوماً .

(١) من الوافر .

(٢) من الخفيف .

فهلّم أطارحك ذكر الوداد ، وأبثك شكوى ما في الفؤاد ، من لاعج البعاد ،
 فعندي لك من الود ، والشوق والوجد ؛ ما ملأ الجوانح ، وملك الجوارح ، فلا
 يبليه البعد ، ولا ينسيه طول العهد ، فالله يديم حسن رعايتك ، ويسمعي ما
 يسر من ناحيتك ، ويؤتم نعمته عليك بالدوام ، ويبلغك غايات المرام .

وكتب إلى إمام مسقط من طرف الحضرة الخديوية :

ما روضة سحبت عليها السحاب ذبول مطارفيها ، وخلعت عليها من خلع
 الربيع محاسن طرائفيها ، فظلت تُثني عليها أدواحها بما استودعته أرواح
 النسيم ، حين سرت بليلة الأذيال عطرة الشميم ؛ بأحسن ولا أبهى ، ولا
 ألطف ولا أشهى ؛ من تحية بهية تعلّمت لطفها نسمات الشمائل ، وأثنية
 سنية استفادت من حسن تلك الشمائل ، وتسليمات زهية يتلأل في أرجاء
 المودة سناها ، ويتفياً في أنحاء الأفئدة ظلال معناها ، تقدّم وتبدى ، وتتحف
 وتهدى ؛ إلى حضرة ذروة المجد الشامخ ، وتاج هامة السعد والشرف الباذخ ،
 حسنة الدنيا ، وحلية المجد والعليا ، بدر المفاخر الذي أضاءت به نواحيها ،
 ومنار المآثر الذي اهتدى به ساريها ، رب الهمم العوالي ، وسليل الأكارم
 الأعالي ، وبهجة الأيام والليالي ، وزينة المحامد والمعالي ، حرس الله
 بهجته ، وأدام [مهجته] ، وحمى حماه ، ورعى رعاياه ، ولا زالت ثغور الآمال
 بوجوده بواسم ، ورياح الإقبال بوفوده نواسم .

وبعد : فقد وصل إلي كتابكم الكريم ، وتلقّيته بما ينبغي له من التكريم ،
 فملاً العين قرة ، والقلب مسرة ، والنفس ارتياحاً ، والصدر انشراحاً ، واجتليت
 منه روضة بلاغة أزهرت نجومها ، وسماء فصاحة أسفرت نجومها ، واغتنمت
 من براعات عباراته الفائقة مزيد المسرات ؛ بما ابتدئتموه من حسن الميل إلي

وبديع الالتفات ، وشكرتُ المولى العظيم ، على صحّة ذلك المزاج الكريم ،
وهذا المُحبُّ في صحّة وعافية ، ونعمة من الله وافية ، فنسأله ونبتهلُ إليه
سبحانه أن يديمَ علينا وعليكم إحسانه ، آمين .

[مقالة من أهل الصعيد لوليّ النعم الخديويّ السعيد]

وكتب صورة مقالة تُقدّم من أهل الصعيد لوليّ النعم :

يا ملك الملكوت ، وربّ العظمة والجبروت ؛ نحمدك على سوابق
نعمائك ، وسوابغ آلائك ، ونُصلي ونُسلم على خير أنبيائك ، وواسطة عقد
أصفيائك ، ونشكرك على ما ألهمته حضرة أمير المؤمنين ، وخليفة رسولك
الأمين ، وظلك الممدود على مفارق العالمين ؛ من تحويل وراثة مصر إلى
نسل عزيزها الأفخم ، وتخويل أهلها بهذه المنّة الكبرى جلائل النعم
والفضل الأعم .

وهذا شيء طالما لهجت به ألسنتنا ، وامتدّت إلى أنظاره أعيننا ، واشتغلت
به خواطرنا ، واشتملت عليه سرائرنا ، فدلّت عليها ظواهرنا ، وما ذاك إلا
من فرط حبنا لأوطاننا السعيدة ووليّ أمرها ، وعلّمنا بما يترتّب على تلك
البغية الحميدة لهذه الديار من اتساع خيرها ، وامتناع ضيرها وارتفاع قدرها ،
واستكمال أسباب غناها وفخرها ، وتماديها في التقدّم والتمكّن ، وترقيها في
درجات حسن التمدّن ، ومعمورية بلدانها ، ورفاهية سكّانها ، إلى غير ذلك
من ثمرات نافعة ، ومحاسن بارعة ، نرى العزيز - أدام الله بقاءه ، وحلّد في
ملكه أبناءه - لا يزال آخذاً في أسبابها ، متوصلاً إليها من خير بابها .

ولعلّ الله جلّت حكمته ، وعلت كلمته ؛ ما اختصّ هذا الجناح الخديويّ
بتلك المزيّة العالية بعد ما تداولته على تمّنيها الأعصر الخالية ، وسلّت دون

تعاطيتها الأيدي المتناولة ، وقصرت عن ترجيحها الهمم المتطاولة .. إلا لِمَا
جُبِلَ عليه جنبأه الكريم ، وجُعِلَ حلية طبعه السليم ؛ مِنْ حَبِّ الخَيْرِ والنَّفْعِ
للخاصَّةِ والعامَّةِ ، وبذلٍ في تَقَدُّمِ هذه الأوطانِ مزيدَ الهممِ التامةِ .

ونحنُ لو أردنا بيانَ ما استفدناه مِنْ الشُّرورِ ، والحظِّ والخُبورِ ، والأنسِ
والحضورِ ، لهذا الأمرِ المبرورِ .. لوجدنا كلَّ عبارةٍ قاصرةً عن المَرَامِ ، وكلَّ
براعةٍ مُقَصِّرةً عن إيفاءِ حقِّ هذا المَقامِ .

فنسألكَ اللهمَّ لأميرِ المؤمنينَ نصراً على العدا ، وملكاً يبقى أبداً
سرمداً ، ولا ينتهي إلى مدى ، ونستوهبُكَ لعزیزنا الأكرمِ ، ووليِّ نعمتنا
المُعظَّمِ ؛ طولَ عمرٍ يتمتَّعُ فيه بدوامِ إقبالِهِ ، مسروراً بنجاحِ أعمالِهِ ،
وبلوغِ آمالِهِ ، وصحةِ أنجالِهِ ، ما تحلَّى الأفقُ بحليةِ هلالِهِ ، وتجلَّى البدرُ
في حُلَّةِ كمالِهِ .

[فرمان بتنصيبِ محافظِ]

وممَّا كتبهُ صورةً فرمانِ بنصبِ محافظِ :

صدرَ هذا فرمانُ المُطاعِ ، الواجبُ لَهُ القبولُ والاتباعُ ، خطاباً إلى الحُكَّامِ
والعلماءِ ، والقضاةِ والأعيانِ ، والوجوهِ والعمدِ ومشايخِ البلدانِ ، وعمومِ
الأهاليِّ المُتوطنينَ في محافظةِ كذا بجهاتِ السودانِ :

ليكنَ معلوماً لديكمُ ، بوصولِ هذا المنشورِ إليكمُ ؛ أنَّه قدِ اقتضتْ إرادتنا
تنصيبَ فلانٍ محافظاً عليكمُ ؛ لِمَا تَوَسَّمتُناهُ فيه مِنْ الدِّرايةِ والاستعدادِ ،
والسلوكِ في طرقِ الرشادِ ، وبذلِ الهِمَّةِ في أمورِ المصلحةِ ومزيدِ الاجتهادِ ،
فامثلوا أوامرَهُ التي تصدرُ في صالحِ المصلحةِ ، واجتنبوا نواهيَهُ ، واجتهدوا
فيما يعودُ به عليكمُ مزيدَ العماريةِ ؛ لتنالوا حسنَ الرفاهيةِ ، واعملوا بقوله

تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) ؛ لتفوزوا بزيادة التفاتنا إليكم ، ورضانا عنكم .

وأنت - أيها المحافظ - قد علمت ما لدينا من الشغفِ باتساع دائرة المدنية ، وحصولِ الخيرِ لجميعِ أهلِ هذه الديارِ الوطنية ، والميلِ إلى دوامِ راحةِ العبادِ ، وتأمينِ السبلِ وتمدينِ البلادِ ، فعليكِ برعاية ما يلزمُ لذلكِ ، واسلكِ في إدارةِ أشغالِ هذه المحافظةِ أحسنَ المسالكِ ، ودمِ على العدلِ والإنصافِ ، واحذري من الظلمِ والإجحافِ ، وانظري إلى قوله عليه السلامُ لأُمَّتِهِ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » ^(٢) ، ولتكنِ مُهتَمًّا بتحصيلِ حقوقِ المصلحةِ في أوقاتها ، ورؤيةِ جميعِ الأشغالِ على أحسنِ حالاتها ؛ ليدومَ حسنُ أنظارنا عليكِ ، وتفوزَ بمزيدِ التفاتنا إليكِ ، اعلمِ ذلكِ واعملِ به ، واحذري من مخالفةِ موجبِهِ .

[ممَّا كتبهُ الوزيرُ فكري بك لبعضِهِم]

وممَّا كتبهُ لبعضِهِم :

سلامٌ يُعبَّرُ عنِ الودادِ طيبُ عبيرِهِ ، ويُخبِرُ عنِ إخلاصِ الفؤادِ لطفُ تعبيرِهِ ، وثناءٌ على محاسنِ تلكَ الشمائلِ ، أرقُّ منِ نسماتِ الشمائلِ ، وتحيةٌ بهيئةِ تباهيِ الخمائلِ بنفحاتِ أورادها ، وأدعيةٌ مرضيةٌ جعلتُها الألسنةُ خيرَ أورادها ، وسؤالٌ عنِ المزاجِ الزاهرِ ، وصحةِ خاطرِ الباهرِ ، لا زلتمَ محلَّ نعمةٍ يتصلُّ على مدى الأيامِ بقاؤها ، ويزيدُ على مَرِّ الشهورِ والأعوامِ بهاؤها ، ولا برحتِ ثغورُ الإقبالِ إليكمِ بواسمِ ، ورياحُ الآمالِ لديكمِ نواسمِ ،

(١) سورة النساء : (٥٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣) ، ومسلم (١٨٢٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

ولا انفكَّت الأيامُ والليالي مُتقلِّدَةً بحلاكم أجياؤها ، والمعالي متسابقةً إلى ساحةِ حماكم جياؤها ، آمين .

وبعدُ : فإنَّ بي مِنَ الأشواقِ ما تَضَعُفُ عن حملِهِ إلى حماكم الأوراقُ ، وَمِنَ التأسُفِ على ما حرَّمْتُهُ مِن لقيامكم ، والتلهُّفِ إلى مطالعةِ أنوارِ مُحياكم ، ما يقصُرُ عن وصفِهِ لسانُ اليراعةِ ، ويقصُرُ دونَ وصفِهِ بيانُ البراعةِ ، ويضيقُ عنه نطاقُ العبارةِ ، ولا ينفسُ له ميدانُ الإشارةِ ، وإنَّ في ضميركم الأجلَى ، ونورِ فكريكم الأعلى ، ما يكفي في الدلالةِ ، ويغني عن الإطالةِ في المقالةِ .

وإن تَفَضَّلْتُمْ بالسؤالِ ، فإنَّا بحمدِ الله قد بلغنا الآمالَ ، والجميعُ في صحَّةِ وعافيةٍ وحسنِ حالٍ ، والكلُّ مشتاقونَ إليكم ، ويُسَلِّمونَ عليكم ، وعبدُ الله فكري يُقبَلُ يديكم .

وأيضاً الشوقُ إلى لقيامكم ، واجتلاءُ نورِ مُحياكم ، تَضَعُفُ عن نقلِهِ حمائمِ الرسائلِ ، ولا يحتاجُ في إثباتِهِ [للحجج] والدلائلِ ، فاللهُ يطوي شقَّةَ البينِ ، ويقرُّ بكم العينَ ، ويُمَتِّعني ببقائكم ، وطيبِ لقاءكم .

وقد وردَ خطُّكم الكريمُ فسَرَّ أنفساً تعرِّفه وتألِّفه ، وأقرَّ أعيناً لا تزالُ تترقُّبه وتتشوِّفه ، وقد كانَ مرَّ بخاطري وخطرَ لفكري أن أسابقَ سيدي ومولاي برسالةٍ أشكو فيها لواعجِ البعادِ ، وأقضي بها بعضَ الفروضِ الواجبةِ مِنْ حقوقِ الودادِ ، ولكنَّ أبا الله إلا أن يكونَ سيدي هو السابقَ لتلكِ الفضيلةِ ، والبادئَ بهذه المَكْرَمَةِ الجميلةِ ، وأن أكونَ المُقَصِّرَ في جنبِ تطوُّلِهِ ، والمُفَرِّطَ في جانبِ تفضُّلِهِ ، على أني لم أكنُ مُقَصِّراً في دعاءِ يَصْحَبُهُ الحبُّ ويرافقهُ الإخلاصُ ، وثناءً على محاسنِ تلكِ الشمائلِ أوجبَهُ مزيدُ الاختصاصِ ، وسؤالٍ عن ذلكِ الخاطرِ الزاهرِ أستقبلُ به كلَّ واردٍ ،

وأشيع كلَّ صادرٍ ، والأملُ اتصالُ ما يطمئنُّ به الفؤادُ ، مِنْ رسائلِ الودادِ ،
حتى ينقضيَ أمدُ البعادِ ، ذلكَ غايةُ المرادِ .

قوله في هذا الكتاب : (حمائمُ الرسائلِ) يشيرُ إلى ما كانَ في سالفِ
الزمانِ مِنْ استعمالِ الحمامِ في إيصالِ الكتبِ التي يُرادُ سرعةُ وصولها
إلى الأمكنةِ البعيدةِ ؛ وذلكَ أَنَّ الناسَ لَمَّا عرفوا في الحمامِ خاصَّةَ الألفةِ
لموضوعه ، واهتدائه له إذا أبعَدَ عنه ، وعرفوا منه نوعاً قويَّت فيه تلكَ
الخاصَّةُ . . رَتَّبوا أبراجاً بينَ النواحي المتباعدةِ ؛ كمصرَ والشامِ وبغدادَ ،
واتخذوا لكلِّ برجٍ حماماً ربَّوه فيه حتى ألقاهُ ، وكانوا ينقلونَ حمامَ كلِّ
برجٍ إلى ما يليه ، فإذا أرادوا أن يوصلوا الكتابَ . . علَّقوه في جناحهِ
وأرسلوه ، فيتلقاهُ الموظَّفونَ لأخذِ الكتبِ منه عندَ وصوله إلى برجِه ،
ويعلِّقونه في جناحِ حمامِ البرجِ الآخرِ ، وهكذا ، فكانَ يصلُ الكتابُ إلى
المقصدِ في زمنٍ لا يمكنُ للبريدِ ، وكانَ للحمامِ ديوانٌ له رؤساءُ وخدمٌ ،
وكانَ مِنَ المصالحِ المُهمَّةِ ، وأغنى عنه وعن غيره في زماننا هذا ذلكَ
السلكُ الممدودُ على ذلكَ الخشبِ المنصوبِ ، الذي صارَ شبكةً على
الكرةِ الأرضيَّةِ .

[كتابٌ مِنَ الحضرةِ الخديويةِ إلى سلطانِ المغربِ]

وكتبَ لسلطانِ المغربِ مِنَ الحضرةِ الخديويةِ جواباً عن كتابِ :

قُرَّةُ نواظرِ الدِّينِ والدنيا ، وغرَّةُ مفاخرِ الملكِ والعليا ، وبدرُ مطالعِ السعدِ
المشرقةِ أزمانه بآلائه ، وذخرُ مجامعِ المجدِ المورقةِ أفنائه بآلائه ، القائمُ
بأمرِ الدِّينِ الحنيفِ ، وحامي حمى الملكِ المنيفِ ، ماحي ظلمِ الظلمِ ومبيدُ
مراسمه ، ورافعُ لواءِ العدلِ ومُجدِّدُ معالمه ، ذروةُ هامةِ الشرفِ الأسمى ،
ومنَّ تتباهى بحلاه النعوثِ والأسما ، الملكُ المُعظَّمُ ، السلطانُ المُفخَّمُ ،

أمير المؤمنين بالديار المغربية ، دامت محفوظةً بالرعاية الأبدية ، محفوظةً بالوقاية الأحديّة ، ملحوظةً بعين العناية الصمديّة ، ولا برحت أعواد المنابر متباهيةً باسمه الكريم ، وأجباد المفاجر حاليةً بمجده القديم ، ولا زالت سدّته الكريمة محلّ إجلالٍ وتفخيم .

سلامٌ يستتبع مزيد التكريم ، ويستجمعُ صنوف التبجيل والتعظيم ، وأدعيةً بهيةً تَمَسُّكُ بأذيال الإجابة والقبول ، وأثنيةً سنيةً تَمَسُّكُ بها نفحة الصبا والقبول^(١) ، يُهدئُ لذلك المقام الأرفع ، والحمى الأعلى الأعزّ الأمتع - أدامه الله - موردَ قبولٍ وإقبالٍ ، ومعهدَ فضلٍ وإفضالٍ ، ولا زالت أنديته معمورةً بالعزّ والتمكين ، وألويته منشورةً بالنصر المبين .

وبعدُ : فقد حظيتُ بورود مُشرّفكم العالي ، وقَرّرتُ بمطالعتِهِ عيونُ آمالي ، وشكرتُ لِمَا تَفَضَّلْتُمْ بإبدائه ، وسُررتُ بما تَطَوَّلْتُمْ بإهدائه ، واغتبطتُ بما تَكْرَمْتُمْ بحسنِ بيانه ؛ مِنْ تَأْكِيدِ الوَدِّ القديمِ وتشبيدِ بنيانه ، والتهنئةِ بما تَجَدَّدَ لديّ ، مِنْ نَعَمِ اللهِ تعالى عليّ ، فكانَ نزهةَ النواظرِ ، وبهجةَ الخواطرِ ، وبغيةَ القرائحِ ، ومَسْرَةَ الجوانحِ .

هذا ؛ وإني ما زلتُ أسمعُ أحاديثَ علائكم مُتصلةَ الإسنادِ ، فأطربُ على السماعِ ، وأنشرُ مِنْ مدائحِ محامدكم ما تتعطرُ به الأفواهُ والأسماعُ ، وأعدتُ مودّتكم غنيمَةَ النفسِ ومناها ، ومُصافاتكم غايةَ الآمالِ ونهايةَ مداها ، فقد شاعَ مِنْ محاسنِ شمائلكم الساميةِ ، وغررِ مزاياكم الكريمةِ وجلائلِ فضائلكم الناميةِ ، وقيامكم بأمرِ الشريعةِ الشريفةِ ، واهتمامكم بتأييدِ هذه المِلَّةِ المنيفةِ ، ونشرِ أنواعِ العدلِ بينَ العبادِ ، والقيامِ على أقدامِ الإقدامِ في مناهجِ السِّدادِ . . ما تناقلتهُ السُّمائرُ في أسمارها ، وسارتُ به الرُّكبَانُ

(١) الصبا والقبول : اسمان لريح تقابل الدبور .

في أسفارها ، واخلدتها الأيام في أسفارها ، وأخجل الشمس الضاحية في أسفارها ، حتى أصبحت الليالي متباهية بعلاؤه ، حالية بحلأه ، وصار مصداق الحديث الوارد في الطائفة القائمة على أمر الله ، فأبقاكم الله للإسلام ساعداً وعضداً ، وللدين قوة ومدداً ، وللأنام ركناً وسنداً ، وللحق عماداً ومعتمداً ، وأدام عليكم وعلينا نعمه باطنة وظاهرة ، وحنفاً وإياكم بعونه وعنايته ، في الدين والدنيا والآخرة .

[كتاب إلى سلطان زنجبار]

وكتب لسلطان زنجبار :

الملك المعظم ، والسلطان المفخم ، سلطان جزيرة زنجبار ، صانها الله تعالى من الأكرار ، سلام يسفر عن إخلاص المودة سنأه ، وثناء يخبر عن صدق المحبة لفظه ومعناه ، وتحيه تمسك بنفحاتها المحافل ، وتمسك بأذيالها نسماث الشمائل ، إلى حضرة خلاصة الأماجد الأكارم ، وينبوع الفضائل والمكارم ، مفخر الملك والعليا ، وإنسان عين الدين والدنيا ، من أشرق صفحات الأيام بنور إقباله ، واتفقت كلمات الأنام على شكر خلائه ، وقرت بسعوده النواظر ، وترنحت بوجوده أعواد المنابر ، فكأنها الغصون النواضر ، الأجل الأكرم ، الأسعد الأمجد الأفخم ، المشار إليه أعلاه ، حرس الله علاه .

ولا زالت تغور الملك بمعاليه باسمه ، ورياح السعد في نواديه ناسمة ، وعيون الخطوب عن سدته نائمة ، وغيوث الشورور في ساحته دائمة ، آمين .

وبعد : فقد وصل إلي مشرفكم الكريم ، وتلقيته بما ينبغي له من التكريم ، فحصل لي مزيد المسرة ، بصحة مزاج تلك الحضرة ، وأخبرني أيضاً فلان

قبودان سفينتنا الإبراهيمية^(١) ، أنه لما وصل إلى جهة مملكتكم المحمّية .. حظي من جنابكم العالي بحسن التشريف ، وحصل له غاية المساعدة ونهاية التلطيف ، وشرح لديّ ما ناله هناك من صنوف الالتفات والإسعاد ، وأوصل إليّ أيضاً من طرفكم الشريف فرسين كريمتين من الصّافنات الجياد ، فأحاط بي من الشُّرور والابتهاج بما أبدىتموه من معالي هممكم ، ولا سيّما ما تكرّمتم به من تشريف تلك السفينة بقدم قدمكم ، ما يقصُر في وصفه اللسان ، ويقصُر عن تعريفه بنان البيان ، ويضيق عنه نطاق التعبير ، ولا يفسخ له مجال التقرير والتحرير ، فشكر الله تلك الهِمَم العوالي ، وأبقاها ما دامت الأيام والليالي .

وهذا المُحبُّ بحمد الله في صحّة وعافية ، ونعمة من الله تعالى وافية ، ولا زال مشمول القلب بالموَدّة إليكم ، مشغول اللسان بالثناء عليكم ، محافظاً على صدق الموالاتة والوداد ، مواظباً على حسن المُصافاة ومزيد الاتحاد ، والمرجو أن يتّصل ذلك بين الطرفين على الدوام ، وكلُّ ما لزم من هذا الجانب فهو رهين الإشارة والسلام .

[فرمان من الحضرة الخديوية]

ومما كتبه فرمان من الحضرة الخديوية :

قد صدر هذا فرمان اللازم طاعته ، الواجب امتثاله ومتابعته ، خطاباً إلى كافة القضاة والحكام ، والمعاونين ونظار الأقسام ، وسائر معاونين والمشايخ والعمد والمُستخدمين بمديرية كذا زيد قدرهم :

ليكن معلوماً لديكم ، بوصول أمرنا هذا إليكم ؛ أننا جعلنا فلاناً مديراً

(١) قبودان السفينة : رُبّانها ، لفظة تركية .

عليكم ؛ لِمَا رأيناُ فيه مِنَ الأهلِيَّةِ ، والصَّدَاقَةِ وحسَنِ الرِّوِيَّةِ ، فامتثلوا أوامره على الأصولِ المَرعِيَّةِ ، وبادروا بأداءِ [أشغالِ] المديرية ؛ لتفوزوا بزيادة التفاتنا إليكم ، ورضانا عنكم ، وقد علمتم قولهُ تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

وأنت أيُّها المديرُ المومناً إليه ، المَعوَّلُ في حسنِ إدارةِ هذه المديرية عليه ؛ قد علمتَ رغبتنا في البرِّ والسَّدادِ ، واتباعِ سبيلِ الرشادِ ، وعمارةِ البلادِ ، وراحةِ العبادِ ، ونشرِ لواءِ الأمنِ والأمانِ ، في جميعِ القرى والبلدانِ ، ومَحَبَّتنا للعدلِ وأهلِهِ ، وكراهتنا للظلمِ وفعلِهِ ، وشغفنا برفاهيةِ الرعيةِ ، وحسنِ حالِ البريةِ ، الذينَ هُم وديعةُ ذي الجلالِ والإكرامِ ، في أيديِ الولاةِ والحُكَّامِ ، فاعملِ أنتَ أيضاً على حَسَبِ ذلكَ ، سالكاً في جميعِ أحوالكِ أحسنَ المسالكِ ، واجتهدْ في حسنِ الإدارةِ ، وتيسيرِ أمورِ الزراعةِ والصِّناعةِ والتجارةِ ، ومزيدِ التمدُّنِ والعمارةِ ، وتأمينِ الطُّرقِ والجهاتِ ، في جميعِ الحالاتِ والأوقاتِ ، وصيانةِ الأجانبِ المُتوطِّنينَ في المديريةِ والمُتردِّدينَ عليها ، والأهالي المقيمينَ بها والواردينَ إليها ، وحسنِ نهوِ القضايا وفصلِها ، وتوصيلِ الحقوقِ إلى أهلِها ، وأداءِ الأشغالِ الميريَّةِ ، وإدارةِ أمورِ المديريةِ ، على حَسَبِ الأصولِ المعتبرةِ ، والقواعدِ المُقرَّرةِ ، ودُم على الاستقامةِ ، والصَّدَاقَةِ التامةِ ، والعدلِ بينَ الخاصَّةِ والعامَّةِ ؛ فإنَّ العدلَ سببُ السلامةِ ، والظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ ، فقمْ على أقدامِ الإقدامِ ، وشمِّرْ عن ساعدِ الاهتمامِ ، في إجراءِ ما شرحناه على الدَّوامِ ، باذلاً كلَّ جهدكِ واستطاعتكِ ، كما هو المأمولُ في حسنِ براعتكِ ؛ لتنالَ زيادةَ التفاتنا إليك ، ودوامَ إقبالنا عليكِ .

وليسلكِ أيضاً الجميعُ على هذا المنهجِ البديعِ ، وليسعوا في إجراءِ ما

(١) سورة النساء : (٥٩) .

شرحنا ، ويساعدوا في إنفاذ ما أوضحنا ، فبادروا بامثال هذا الواجب ،
وليبغ الحاضر منكم الغائب ، نسأل الله الإعانة والعناية ، وحسن الهداية في
البداية والنهاية .

[كتاب من الحضرة الخديوية إلى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية]

وكتب إلى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية ، من طرف الجناب
الخديوي ليقراً عليهم :

لقد علم لدينا بما ورد إلينا من جرنال الوقعات العسكرية ، وما أوضحه
أيضاً فلان باشا في معروضاته الشفاهية ؛ ممّا رآه بالعيان ، ورواه بالبيان ..
تفصيلاً ما وقع من الحروب والغزوات ، في نواحي أبو قرون وما يليها من
الجهات ، وأحطنا بما أبديت من الإقدام والشجاعة ، وما أدّيت من الاهتمام
والبراعة ، وما كان منكم من ثبات الجأش والقلب ، في مواقع الضرب
ومعامع الحرب ، وما شاهدته منكم الأعين ، وشهدت لكم به الألسن ؛
من الهجوم على الجبال الوعرة ، واقتحام المحال العسرة ، وإظهار البأس
والصولة ، في تأييد الملة والدولة ، وتبديد من لقيتم من جنود العصاة
البنغة ، وتسخير ما كانوا متمكنين به ومُتحصنين فيه من المحلات ،
وتبديد ما أحكموا من استحكاماتهم ، وتبديد من أقدموا من طغاتهم ،
فأحاط بي من الشور ، وكمال الأنس والخبور ، ومزيد الحظ الموفور ..
ما ملأ الجوانح انشراحاً ، والجوارح طرباً وارتياحاً ، وأظهر حسن اعتقادي
في شجاعتكم القلبية ، وبراعتكم الحربية ، وغيرتكم المليّة ، وحميتكم
الجبليّة ، وشفقتكم بإعلاء شأن الوطن ، وإبقاء الذكر الجميل والصيت
الحسن .

وأكد ذلك ما شهدت به الأنام ، من سوافِ الأيام ، للعساكرِ المصريَّة ،
وضباطها الجهاديَّة ؛ من قدم الصِّدقِ في الحروبِ ، وحسنِ السابقةِ في
الخُطوبِ ، وثباتِ القدمِ والجنانِ ، إذا طاشَ قدمُ الهلُّوعِ وطارَ قلبُ الجبانِ ؛
فإنَّهم خلدوا في أوراقِ اللياليِ علاهم ، وقلَّدوا في أعناقِ المعاليِ حلاهم ،
بما لهم منَ الوقائعِ المشهورة ، والمواقفِ المشكورة ، وقوَّةِ الباسِ على
الأعداءِ ، وشِدَّةِ الصَّولةِ والبسالةِ في مواقفِ الهيجاءِ ، وما بنوهُ منَ منارِ الفخرِ
والمجدِ على أساسِ الشرفِ والمَظهرِ ، وما اجتنَّوهُ منَ ثمراتِ النصرِ منَ ورقِ
الحديدِ الأخضرِ ، وأنتم أولى بتشييدِ ما بنته إخوانكمُ الأوَّلُ ، وتأيدِ ما شاعَ
لهم منَ الفخرِ والشهرةِ عندَ جميعِ الدُّولِ .

ثمَّ إنَّكم إذا أمعنتمُ الفكرَ الثاقبَ ، وتبيَّنتُم النظرَ الصَّائبَ ، وتفكَّرتُم في
أعقابِ الأمورِ ومصايرِها ، وتدبَّرتُم في مواردِ الأحوالِ ومصادرها . . علمتمُ
أنَّكم إذا أثبتُّم ذلكَ الصِّيتَ الممدوحَ ، واكتسبتمُ بمشيئةِ الله تعالى النصرَ
والفتوحَ . . كانَ لكم ذلكَ افتخاراً بينَ أقرانكمُ ، وسُروراً لأهلكمُ وإخوانكمُ ؛
فإنَّ الأخبارَ تتناقلها الرُّواةُ ، وتتواصلُ بالمكاتباتِ والأفواه .

ثمَّ ليكنْ على بالِ منكمُ ، ولا يغبُ طرفةَ عينٍ عنكم : أنَّ هذه البلادَ
التي أنتمُ لديها ، والجبالَ والأوديةَ التي أنتمُ عليها وحواليها . . كم سبقَ
فيها منَ غزوةٍ عظيمةٍ ، ووقعةٍ جسيمةٍ ، ووقفَةٍ كريمةٍ ؛ لإخوانكمُ الأوَّلينَ ،
منَ العساكرِ المصريينَ ، أبرزوا فيها شرفَ الرايةِ العسكريَّةِ ، وأظهروا مآثرَ
النجدةِ والحميةِ ، والغيرةِ الوطنيَّةِ ، حتى سارتْ بحديثِ وقائعهمُ الركبانُ ،
وأثنى على محاسنِ بدائعهمُ كلُّ لسانٍ ، فما هناكَ منَ بقعةٍ إلا وفيها وقعةٌ ،
ولا منَ موطئِ قدمٍ إلا وفيه أريقَ دمٍّ ، فمضى منَ استشهدَ منهم فائزاً بالشوابِ
والأجرِ ، وعادَ منَ بقيَ حائزاً للفخرِ والنصرِ .

وهأنتم من نسلهم وإخوانهم ، ومن أبناء أوطانهم ، وأنتم خير خلف ،
لأولئك السلف ، كما أن هؤلاء العصاة نسل من كان بها من أهاليها ، وهذه
الجزيرة التي أنتم بها هي بعينها التي كانوا فيها ، فمهما أقدمتم ونصرتهم ،
واقحمتم وظفرتهم .. كان ذلك لمن بقي هنالك من أرواح الشهداء روحاً
وريحاناً ، وتكرمة وإحساناً ، كما أنه يجعل لكم في جميع الآفاق شرفاً
وشاناً ، ويمكن لكم بين الرفاق عزةً ومكاناً ، ويقم لكم على الشجاعة
والبراعة دليلاً وبرهاناً .

ثم إنكم عند عودتكم بعون الله القوي المتين ، حاملين رايات الفتح
المبين ، رافلين في حلال النصر والتمكين .. يكون لكم ذلك شرفاً سرمداً ،
وافتخاراً تتحدثون به على المدى ، حتى إذا التفت عليكم المحافل ، واجتمع
لديكم المستخبر والناقل .. كان لكم بذلك لسان ذلق ، وصوت صهصلق ،
وتجدون حينئذ للبراعة مقالاً ، وللفخر بالشجاعة مجالاً ، وترون لأقوالكم
من يصدقها ، ولأخباركم من يحققها ، وهذه لذة الرجال ، ومزية الأبطال .

فهل للرجل فخر أعظم من هذا الحال؟! وهل له فضل على المرأة
إلا بإقدامه على الخطوب واقتحامه الأهوال؟! وهل يتميز الشجاع الصنديد
من الجبان الرعيد إلا في مواقف القتال ، ومواقع الحرب والنزال؟! وهل
للعسكري شرف يكتسبه إلا بين البنادق والمدافع ، وهل له فخر يذكره أو
يذكر به إلا بما يديه في تلك الوقائع؟! وهل [للكريم] الحر أرب في الحياة
إلا لفخر يفتنيه ؛ بصعب يرتقيه ، وذكر جميل يبقيه ، بأثر جليل يديه؟! فإذا
العسكري لم يكتسب الفخر في مجال الحروب .. فأئي فرصة يترقبها؟! وأي
حالة يتطلبها لاستحصال ذلك المرغوب؟!!

وإني ما اخترتكم لهذا الأمر العظيم .. إلا لإعلاء شأن الوطن الكريم ،

وإعلان ما لكم مِنَ الصَّيْتِ والفخرِ القديمِ ؛ لحسنِ اعتقادي في صغيرِكُمْ
وكبيرِكُمْ ، وحسنِ نظري في مأمورِكُمْ وأميرِكُمْ ، وقد لآخ مِنْ مساعِيكُم ،
تأييدُ ما أملتُهُ فيكم ، وظهرتُ بحمدِ اللهِ بشائرُ النجاحِ ، وسفرتُ أشائرُ الظَّفَرِ
والفلاحِ ، وإنَّما الأعمالُ بخواتيمِها ، وثمراتُ الأمورِ في تميمِها ، ورجائي
مِنْ مَنَنِ اللهِ العظيمةِ ، وألطفِهِ العميمةِ .

ثمَّ أملِي في طويَّاتِكُم السليمةِ ، ومساعِيكُم القويمةِ ؛ أن تكونَ العاقبةُ
خيراً والختامُ حسناً ، وأن تفوزوا بالأجرِ والثنا ، وأن تدموا على منهجِ
السَّدادِ ، والاجتهادِ في الجهادِ ، والقيامِ على أقدامِ الإقدامِ ، وبذلِ الجِدِّ والجهدِ
والاهتمامِ ، حتى ينتهيَ الأمرُ ، ويستكملَ النصرُ ، ويزولَ أثرُ الاختلالِ ،
وتستقرَّ الأحوالُ ، وتعودوا إن شاءَ اللهُ منصورينَ ، فرحينَ مسرورينَ ،
مستبشرينَ بعنايةِ اللهِ العليَّةِ ، في ظلِّ السَّلطنةِ السَّنيَّةِ .

واعلموا : أنَّ جميعَ أخبارِكُمْ تُنقلُ في جرنالِ الوقعاتِ ، فتعلَّم لديَّ
أحوالِكُمْ في جميعِ الحركاتِ والسَّكناتِ ، حتى كأني مقيمٌ لديكُم ، وحتى
كأني أراكم وأنظرُ إليكم ، فكلُّ مَنْ فاقَ أقرانهُ في الحروبِ ، وأبدى مِنْ
الإقدامِ والحميَّةِ ما هوَ المطلوبُ . . فلهُ ما يسُرُّهُ مِنَ المكافآتِ ، وحسنِ
التلطفِ ومزيدِ الالتفاتِ .

فاعلموا ذلكَ واعملوا على حَسَبِهِ في كلِّ آنٍ ومكانٍ ، وأدوا مِنَ الإقدامِ
والاهتمامِ غايةَ الاستطاعةِ ونهايةَ الإمكانِ ، وقد أصدرتُ أمرِي هذا إليكم
إعلاماً بما حواه ، ودُستوراً يُعمَلُ بمقتضاهُ ، وإعلاناً لِمَسَرَّتِي مِنْ حسنِ
صنيعِكُمْ ، وإيداناً بفرحي وابتهاجي بجميعِكُمْ ، واستفساراً عن خواطرِكُمْ ،
وافتخاراً بمفاخرِكُمْ ، أمَدِكُم اللهُ بعنایتِهِ وعونِهِ ، وجعلكُم في حرزِ رعايَتِهِ
وصونِهِ ، وأدامَ توفيقِي وإيَّاكُم لِمَا يرضاهُ ، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ .

[كتابُ الحضرة الخديويةِ إلى مَنْ باشرَ واقعةَ أرقازي

من الضباطِ الجهاديةِ]

وكتبَ أيضاً مِنْ الحضرةِ الخديويةِ إلى مَنْ باشرُوا واقعةَ أرقازي مِنْ الضُّباطِ الجهاديةِ ، وأفرادِ العساكرِ المصريةِ :

سلامٌ مِنَ اللهِ وتَسليمٌ ، ورضوانٌ كريمٌ ، يُهدى لأولئكم وأخركم ، ويُسدئ لمأموركُم وأمرِكُم ، لا زلتُم محفوفين مِنَ اللهِ بنصرِهِ ، محفوظين بأمرِهِ ، غالبينَ على عدوِّكُم بقهرِهِ ، مُتقَلِّبينَ في نعمتِهِ وبرِّهِ ، ولا انفكَّت عزائمُكُم في كروبِ الحروبِ عزائمٌ ، وثغورُكُم في قطوبِ الخطوبِ بواسمٍ ، وأعلامُكُم للنُّجْحِ والتمكينِ علائمٌ ، وأيامُكُم للفتحِ المبينِ مواسمٌ ، ورياحُ القهرِ والدمارِ على عدوِّكُم سمائمٌ ، ونسماتُ النصرِ والفَخارِ في رواجِكُم وغدوِّكُم نواسمٌ .

وبعدُ : فما زلتُ أَتَشَوَّقُ مِنْ أخبارِ شجاعتِكُم ما يَسُرُّ الخواطرَ ، وأتَشَوَّفُ مِنْ آثارِ براعتِكُم ما يقرُّ النواظرَ ، واثقاً بعزمِكُم وحزمِكُم في المضايقِ ، مُبتَهجاً بما أبديتُموه مِنْ حسنِ السَّوابقِ ، حتى وردَ وابلورُ الشرقيةِ ، مِنْ طرفِ حضرةِ الباشا ناظرِ الجهاديةِ ؛ بيومياتِ الوقائعِ العسكريةِ ، مشتملةً على وقعةِ أرقازي وتفصيلاتها ، وما كانَ مِنْ رسوخِ أقدامِكُم وثباتِها ، وإقدامِكُم في جهاتِها ، واقتحامِكُم مضايقَ حصونِها واستحكاماتِها ، وتسخيرِ مستعصماتِها ، وتدميرِ أشقياءِ العُصاةِ وكُماتِها ، حتى زُلزِلتْ صياصياها ، وذُلِّلتْ نواصيها ، ودنا لَكُم قاصيها ، ودانَ عاصيها ، فكذا تكونُ رجالُ الجهادِ ، وأبطالُ الجِدالِ والجلادِ ، وهلكذا تُفتَحُ الحصونُ ، وَيَبْرُزُ سُرُّ النصرِ المصونُ ، وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسونَ .

فقد أسفَرَ لَكُم بحمدِ اللهِ وجهُ التهاني ، وأثمرَ فيكُم بعونِ اللهِ غرسُ الأمانِ ، وأيدتُم ما ثبتَ للعساكرِ المصريةِ ، مِنْ حسنِ الشهرةِ في الأمورِ

العسكرية ، فحصلَ لي مِنَ الأُنسِ والشُّرورِ بهذهِ البشارة ، ما لم تقدرِ الإنسُ أن تصفَ مقدارَهُ ، ولا يتسعَ لَهُ مجالُ الإشارةِ ، وتأيدَ فيكم حَسُنَ أنظاري ، وظهرتْ ثمراتُ أفكاري ، وتَحَقَّقَتْ أَنَّكُمْ بعدَ الآنَ بعونِ اللهِ الكريمِ ، لا تزلونَ عن هذا الطريقِ القويمِ ، ولا تزالونَ في تأييدِ ما لَكُمْ مِنَ المجدِ القديمِ .

وقد شاعَ حديثُ نصرِكُم بينَ الأهلِ والديارِ ، وسارتِ الرُّكبانُ بمحاسنِ هذهِ الأخبارِ ، كما نقلتهُ صُحُفُ الوقائعِ إلى جميعِ الأقطارِ ، فانشرحتْ صدورُ أهليكم وإخوانِكُم ، وفرحتْ بكم جميعُ أهلِ بلدانِكُم ، وابتسمتْ تُغورُ أوطانِكُم ، وافتخرتْ بأحاديثِ شجعانِكُم ، وارتاحتْ أرواحُ الشهداءِ مِنْ أقرانِكُم .

والمأمولُ في أطفافِ اللهِ العليةِ ، وبركاتِ السلطنةِ السنيةِ ، ثمَّ في حميتِكُم المليةِ ، وغيرتِكُم الوطنيةِ . . أن يزولَ حالُ الاختلالِ عن قَرِبِ ، وينتهيَ أمرُ القتالِ والحربِ ، ويطيعَ الجميعُ ، ويسهلَ كلُّ صعبٍ منيعٍ ، وتعودوا لوطننا العزيزِ ، ظافرينَ بالتعزيزِ ، وقد قَرُبَ حصولُ الأملِ ، ونجاحُ العملِ ، ومضى الأكثرُ وبقِيَ الأقلُ ، والحربُ للرجلِ العسكريِّ ، والبطلِ الجريِّ . . سوقُ عظيمٍ ، وموسمٌ كريمٌ ، تُشترى فيه غوالي المعالي ، بأعلى العوالي ، وتُنالُ فيه منازلُ الأكارمِ ، في ظلِّ السيوفِ الصَّوارمِ ، ويُدرَكُ الفخرُ الصَّادقُ ، بمرامي المدافعِ والبنادقِ .

وقد علمتُم : أنَّ الشجاعةَ وإن كانتْ تَبْلُغُ الأمالَ . . لا تُقَصِّرُ الآجالَ ، كما أنَّ الجبنَ وإن كانَ يُورِثُ العارَ . . لا يُؤَخِّرُ الأعمارَ ، وإنَّما هي آجالٌ محدودةٌ ، وأنفاسٌ معدودةٌ ، لا تقبلُ التغييرَ ، ولا التقديمَ والتأخيرَ ، والشجاعةُ صبرٌ ساعةٌ ثمَّ ينكشفُ الغبارُ ، وتُسْفَرُ الأخبارُ ، ويُتناقَلُ حديثُ الشجعانِ ، ويخلدُ

في تواريخ الزمان ، فداوموا على إبداء الاجتهاد ، وقوموا بأداء حقوق الجهاد ،
واثبتوا على الشجاعة والإقدام ، وثبات القلوب والأقدام ، وأنجزوا بمعونة الله
تعالى هذا المرام ، وكما جؤدثم براعة المطلع أحسنوا براعة الختام .

[كتاب من الحضرة الخديوية إلى ملك دارفور]

وكتب في أوائل عهد الجناب الخديوي عن حضرته إلى ملك دارفور :
حمداً لمن ألفت بين قلوب المؤمنين ، وجعلهم بنعمته إخواناً في الدين ،
وصلاة وسلاماً على رسول جنابه ، وسيّد أحبائه ، وعلى آله وأصحابه .
من كافل الديار المصرية ، وما والاها من الأقطار السودانية ، إلى حضرة
صفوف السيادة الأماجد ، الجامع ما تفرّق من مكارم المحامد ، غرة جبين
الشرف الأجلى ، وقرة عين المجد الأعلى ، بحر الفضل الزاخر ، وبدر سماء
المحاسن والمفاخر ، وفخر الأوائل والأواخر ، الملك المعظم ، السلطان
المفخّم ؛ محمد بن الحسين المهدي سلطان مملكة دارفور ، حفظه الله
بدوام السرور والسعد الموفور ، آمين .

بعد سلام ينبئ عن صريح الوداد ، ويُخبّر عمّا في صميم الفؤاد ؛ من
صحيح المحبة والاتحاد ، وتحية يحلو على الألسن حسن تكريرها ، ويُعبّر
عن صدق الولاء طيب عبيرها ، وشوق يقلّ عنه البيان ، ويكلّ دونه البنان ،
وسؤال عن خاطر العالي أدام الله معاليه ، وحفّ بطواع السعود أيّامه ولياليه :
بينما نحن في انتظار ما يرد من الرسائل ، والثناء على حسن تلك الشمائل . .
ورد لنا خطابكم الكريم ، فقابلناه بمزيد التعظيم ، وسررنا بحسن صحّتكم ،
وما أبدىتموه من لطف مودّتكم ، فالله يرعى تلك الصحة ويلحظها ، ويديم
هذه المحبة ويحفظها .

وقد أوضحتم أن سلفنا السعيد ، المنتقل إلى رحمة ربّه المجيد ، ضاعف الله حسناته ، وأحلّه أعالي جنّاته . . كان قد جعل فلاناً وكيلاً في رؤية أموركم البهيّة على منهج السّداد ، ونحن أيضاً قرّرناه في هذه الوظيفة ، وأوصيناه بالاهتمام فيما يتعلّق بتلك الحضرة الشريفة ، وسيجد منا في ذلك حسن المساعدة ، ودوام التسهيل والمعاضدة .

ثمّ ما تكرّمتم بإرساله مع كريم خطابكم ، على يد القاصدين الواردين من عالي جنابكم . . قوبل بقبوله ، عند وصوله ، والمبعوث مع القاصدين المذكورين لناديكم الكريم . . ما هو موضح في البطاقة المطوية مع هذا الرقيم ، والمرجو أن تتصل بيننا روابط الودّ على الدوام ، كما جمعنا علاقة الأخوة في الإسلام ، وصلى الله على سيّدنا محمد بدر التمام ، وعلى آله وأصحابه الأعلام ، غيوث الإفضال ، وغايات الكمال .

[بعض المفاكهاث والمداعبات]

ومما ينبغي ألاّ تقصّر العناية به عن العناية بمقابله : هذه المداعبات والمفاكهاث الجارية بين الإخوان ، لما فيها من تأكيد الودّ ، وبسط النفوس ، وإطراح مؤنة التحفّظ ، كما قيل^(١) :

فِي أَنْقَبَاضٍ وَخُشْمَةٍ فَإِذَا لَأَقِيْتُ أَهْلَ الْوَقَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

وتمثيل ذلك ما صدر عن هذا الأمير على لسان بعض أعيان تجار الوقت ، يخاطب أحد الأمراء ، وهو هذا :

المعروض على ساحة سيدي الأمير - لا زالت عيون الإقبال لحماه نواظر ،

(١) عزاها في « البيان والتبيين » (٣/٣٤٨) لابن كنانة .

ورياضُ الآمالِ بنداؤه نواصرَ ، ونسائمُ البشائرِ بطيبِ أخبارِهِ خواطرَ ، وسحائبُ
المفاخرِ بحسنِ آثارِهِ مواطرَ - أنِّي وإن كنتُ مِنْ قديمِ الزمانِ ، خليعَ العنانِ ،
أجري معَ أبي مُرَّةَ شريكِي عِنانِ ، وفرسيَ رهانِ ، لا أرى سهوةَ خلاعةٍ إلا
كنتُ راكبها ، ولا ذروةَ رقاعةٍ إلا تَسَمْتُ غارِبها ، ولا مواردَ لذَّةٍ إلا استطبتُ
مشارِبها ، ولا داعيةَ شهوةٍ إلا قضيتُ مآربها ، ولا سوقَ فسوقٍ إلا كنتُ
كنفِيبها ، ولا حانةَ مجانيةٍ إلا حزتُ أوفرَ نصيبها ، ولا غايةَ عمايةٍ إلا كنتُ
لها مِنَ السابقينَ المُقدِّمينَ ، ولا رايةَ غوايةٍ إلا تَلَقَّيْتُها باليسارِ وباليمينِ .

أي : تَفُوقًا على عِرابَةِ الذي يقولُ مادحُه^(١) : [من الوافر]

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

إذا حَيَعَلَ داعي الفلاحِ .. قلتُ : حيَّ على الراحِ ، وإذا قاموا للصلاةِ
والصَّلَاحِ .. قمتُ للأقداحِ في أكفِ الملاحِ ، فما ذُكِرَ الفرحُ إلا ذُكِرْتُ ،
ولا حضرَ القدحُ إلا سكرْتُ ، ولا وردَ الطَّربُ إلا وردتُ ، ولا شهِدَ الخيرُ إلا
شردتُ .

فلولا أن إبليسَ وهو إمامُ الخَلاعةِ ، ورئيسُ الجماعةِ في هذه الصِّناعةِ ؛
وَعَدَ بالخلودِ ، وأنظَرَ إلى اليومِ الموعودِ .. لجعلني مِنْ بعده وصيًّا ،
كما اتخذني صفيًّا ، وكانَ لي وفيًّا ، وبني حفيًّا ، بل لو أنصفَ وخالفَ
هواهُ ، وتركَ الكِبْرَ وهو أوَّلُ [بلواهُ] .. لاتخذني له مُعلِّمًا ، وقامَ بينَ يديَّ
مُتعلِّمًا .

إِذَا لَعَلَّمْتُهُ مِنْ أَضَلِّ صَنَعَتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَأْتِيهِ عَلَى بَالٍ^(٢)

(١) تقدم (٤٠٤/٢) .

(٢) من البسيط ، وانظر « عروس الأفرح » (٣٣١/١) .

هذا مِنْ أَلْطَفِ أَنْوَاعِ الْحَلِّ وَأَدَقِّهَا ، وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى إِيرَادِ أَمْثَلِهِ لَهُ ،
وَلَكِنْ اِكْتَفَيْتُ بِالْإِشَارَةِ ، وَفِيهَا لِلْبَيْبِ غَنَى ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مُخْتَلَسٌ مَعْنَاهُ
اِخْتِلاَسًا أَدَبِيًّا صِنَاعِيًّا مِنْ قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ : [من الطويل]

وَكُنْتُ فَتَى مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ فَأَزْتَقَى بِي أَلْحَالِ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي
فَلَوْ مَاتَ قَبْلِي كُنْتُ أَخْذُتُ بَعْدَهُ طَرَائِقَ فِسْقٍ لَيْسَ يُحْسِنُهَا بَعْدِي

وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ الْاطْلَاعِ عَلَى أَنْوَاعِ الْحَلِّ وَالِاسْتِعَانَةَ بِبَسِطِ مَعَانِي الْآيَةِ
وَالْحَدِيثِ وَالشَّعْرِ . . فَلَابِنِ الْأَثِيرِ فِي ذَلِكَ رِسَالَةٌ ؛ أوردَ فِيهَا تِلْكَ الْأَنْوَاعَ مِنْ
إِنْشَائِهِ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ بِدَارِ الْكُتُبِ الْكَبِيرَةِ .

رَجَعَ الْقَوْلُ (١) :

وَلَكِنِّي الْآنَ قَدْ تَنَسَّكْتُ فَيَمَنْ تَنَسَّكَ ، وَتَمَسَّكَتُ بِطَيْبِ أَذْيَالِ التَّقْوَى
فَيَمَنْ تَمَسَّكَ .

وَقُلْتُ لِالْقَلْبِ كُفَّ وَأَزْجَع وَأَخَذَ مِنَ النَّارِ أَنْ تَمَسَّكَ (٢)

فَأَنَا الْآنَ بِاسْمِ اللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . . بَيْنَ خَشُوعٍ وَخُضُوعٍ ،
وَسُجُودٍ وَرُكُوعٍ ، وَصَلَاةٍ وَصَلَاحٍ ، وَنَجَاحٍ وَفَلَاحٍ ، وَأَوْرَادٍ وَأَذْكَارٍ ، وَبَرَكَاتٍ
وَأَسْرَارٍ ، لَا أَعْنِي أَسْرَارَ الشَّيْطَانِ ؛ فَقَدْ تَرَكْتُ هَذِهِ الْعَشِيرَةَ ، وَإِنَّمَا هِيَ
أَسْرَارُ الْأَنْفَاسِ ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَيْضًا لَا تَخْلُو عَنِ الْبَاسِ ، وَالْحَاصِلُ :
أَنِّي لَزِمْتُ الْخَيْرَ وَالتَّقْوَى ، وَتَمَسَّكَتُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى ،
فَمَنْ رَأَى الْآنَ صِلَاحَ شَانِي . . لَمْ يَشْكَ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ إِنَّمَا قَالَ عَنِ
لِسَانِي (٣) :

[من الخفيف]

(١) أراد الرجوع إلى رسالة الأديب عبد الله فكري .

(٢) من مخلع البسيط .

(٣) انظر « ديوانه » (ص ٢٦٢ - ٢٦٣) .

اِرْعَوَى بَاطِلِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي
 لَوْ تَرَانِي ذَكَرْتَ بِي الْحَسَنَ الْبَصْدُ
 مِنْ خُشُوعِ قَرْنَيْهِ بِنُحُولِ
 التَّسَابِيحِ فِي ذِرَاعِي وَالْمُضْ
 فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى طَرْفَةَ تَعْدُ
 فَأَذُعْ بِي لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي
 تَرَأْتُمْ مِنْ الصَّلَاةِ بِوَجْهِي
 لَوْ يَرَاهَا بَعْضُ الْمُرَائِينَ يَوْمًا

خَاطَبَ الْحَسَنُ بَنُ هَانِيَّ أَبُو نُوَاسٍ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْفَضْلَ بِنِ الرَّبِيعِ الْوَزِيرِ ،
 وَكَانَ حَبْسَهُ يَسْتَتِيهُ .

رَجَعَ : فَهَذِهِ الْآنَ حَالِي ، وَإِنْ كَانَتْ تُسْتَغْرَبُ عَلَيَّ أَمْثَالِي ، تَرَى
 عَلَيَّ سَيْمًا الْأَبْرَارِ ، وَعِلَائِمَ الْمُتَّقِينَ الْأَخْيَارِ ، السُّبْحَةَ فِي كِلْتَا يَدَيَّ ،
 وَالسِّوَاكُ خَلْفَ أُذُنِي ، وَزَيْبَةَ الصَّلَاةِ بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَالدَّرَاوِيشُ حَوْلِي ،
 وَوَجْهِي مِنْ نُورِ الْعِبَادَةِ كَأَنَّمَا دُهْنٌ بِالزَّيْتِ ، وَأَنَا مِنْ الْبَيْتِ إِلَى الْجَامِعِ
 وَمِنْ الْجَامِعِ إِلَى الْبَيْتِ ، أَقُومُ اللَّيَالِي إِلَى الْأَسْحَارِ ؛ فِي ذِكْرِ وَاسْتِغْفَارِ ،
 وَأَطُوفُ بِالنَّهَارِ ، عَلَيَّ مَقَامَاتِ آلِ الْبَيْتِ الْأَطْهَارِ ؛ لِيَسْعَفَ اللَّهُ رَجَائِي ،
 وَيَقْبَلَ صَالِحَ دَعَائِي ، فِي حَسَنِ عَوْدَتِكُمْ سَالِمِينَ ، مَعَ الْمَوْكِبِ الشَّرِيفِ
 رَافِلِينَ ، فِي ظِلِّ الْإِقْبَالِ وَالسَّعَادَةِ وَالتَّشْرِيفِ ، فَهَذَا غَايَةُ الْمَسْئُولِ ، وَنَهَايَةُ
 الْمَأْمُولِ .



وَمَا صَدَرَ عَنِ السَّيِّدِ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ الْجَلِيلِ عَلِيِّ أَبِي النَّصْرِ : وَاتَّفَقَ أَنََّّهُ

كَانَ جَالِسًا مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَلَى دُكَّانٍ ، فوردَ عَلَيْهِمَ كِتَابٌ سَلَامٍ مِنْ صَاحِبِ
لَهُمْ غَائِبٍ ، وَكَانَ عِنْدَ سَفَرِهِ إِلَى طَنْدَتَاءَ اسْتَعَارَ بَرْدَعَةً وَلِجَامًا ، فَكَتَبَ الشَّيْخُ
جَوَابَ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، وَهُوَ هَذَا :

سَلَامٌ أَلَدُّ مِنْ أَكْلِ الْبَرَسِيمِ ، وَتَحِيَّةٌ أَلْطَفُ مِنَ الرِّبَّةِ عِنْدَ الْبَهِيمِ ، وَأَشْوَاقُ
رَبِيعِيَّةٍ ، وَمَحَبَّةٌ دَائِمًا غَلِيظِيَّةٌ ، إِلَى صَاحِبِ الطَّبِيعَةِ الشَّاخِرَةِ النَّاخِرَةِ ، مَعْدِنِ
الْأَنْقَاطِ ، الْمَتَكَلِّمِ فِي الْقَمَاطِ ، مَنْ يَعْمَلُ لِلْسَّمَائِكِ الْمَفْرُودِ وَالْمُثْنِيِّ ، أَحَدُ
إِخْوَانِهِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْحَسَنِيِّ ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مِنَ الرَّيْفِ أَمَلَهُ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْمَحْرُوسَةِ
عَلَى عَجَلَةٍ ، آمِينَ آمِينَ ، بِجَاهِ دَرَبِ التَّرَاسِينَ (مَوْضِعُ فَجُورٍ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ
كَدَرَبِ الْقَمْرِ) .

أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ وَرَدَ عَزِيزُ جَوَابِكُمْ الشَّرِيفُ ، الْمُسْتَمَلِّ عَلَى أَنْوَاعِ التَّخْرِيفِ ،
فَعَلِمْنَا أَنَّكُمْ مِنْ حِطِّ الْفَلَاحِينَ فِي قَرَارِ مَكِينٍ ، فَحَمَدْنَا اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ ،
وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَفْتَحَ لَكُمْ أَوْسَعَ الْمَسَالِكِ ، وَمَنْ عِنْدَنَا جَمِيعَ الْإِخْوَانِ يَشِيرُ إِلَى
غَفْلَتِكُمْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ ، سَيِّمًا أَخِيكُمْ عَلِيَّ رِضْوَانَ ، التَّائِبِ بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ عَنِ
الْيُونَانِ (لَقِبْتُ لِلْحَشِيشَةِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ) ، وَكَذَا سَيِّدِي مُصْطَفَى السِّيُوفِيِّ ،
فَهُوَ يَخْلَعُ عَلَيْكُمْ نِصْفَ قِيَاسِ مَنْوَفِيِّ ، وَكَذَا سَيِّدِي مُحَمَّدٌ عَرَبِيَّةٌ ، قَدْ أَمَرَ
لَكُمْ بِبُوظَةِ الدَّاوُودِيَّةِ ، وَكَذَا سَيِّدِي خَضْرُ شُوَيْشٌ ، فَقَدْ بَرَّرَ لَكُمْ فِي دَكَائِنِ
الْحَشِيشِ .

وَمَنْ خُصَّصَ الْبَرْدَعَةَ وَاللِّجَامَ : فَقَدْ رَأَيْنَاكُمْ لِابْسِيهِمَا فِي الْمَنَامِ ، فَحَصَلَ
عِنْدَنَا وَسُوسَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ ، وَتَعَجَّبْنَا فِي طَبِيعَتِكُمُ الْحَمَارِيَّةِ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْقَرِيبَ
الْمَجِيبَ ، أَنْ يَعِيدَكُمْ إِلَى الْمَحْرُوسَةِ عَنِ قَرِيبٍ .

[مِنْ الْبَسِيطِ]

اذْكُرْ أَيُّهَا الطَّالِبُ قَوْلَ الطُّغْرَاثِيِّ (١) :

(١) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣) .

حُلُوْ أَلْفُكَاهَةِ مُرُّ أَلْجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِشِدَّةِ أَلْبَاسٍ مِنْهُ رِقَّةُ أَلْغَزَلِ
وقول البحرّي (١) :

أَلْجِدُّ شِيَمَتُهُ وَفِيهِ فَكَاهَةٌ سَمَحٌ وَلَا جِدُّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

[عودٌ لبعض مكاتباتِ الأمير]

ولنعدّ لنقلِ شيءٍ مِنْ جَدِّيَّاتِ ذَلِكَ الأميرِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ :

ما كتبه مِنْ بعضِ الأُمراءِ إِلَى الشَّيخِ العروسيِّ شَيْخِ الجامعِ الأزهرِ
رحمَهُ اللهُ :

أهدي مِنَ التَّحِيَّةِ أَسْنَاهَا ، وَمِنْ الأثْنِيَّةِ حَسْنَاهَا ، إِلَى حَضْرَةِ شَمْسِ
سَمَاءِ المَعَارِفِ ، وَظَلِّ الفُضْلِ الوَارِفِ ، بِحَرِّ الكَمَالِ وَيَنْبوعِهِ ، وَمفردِ المَجْدِ
وَمجموعِهِ ، مَقْتَدِي الأَنَامِ ، وَشَيْخِ مَشايخِ الإسلامِ ، أَطَالَ اللهُ بقاءَ حَضْرَتِهِ ،
وَسَرَّنا بِأخبارِ صَحَّتِهِ ، آمينَ .

وَبعدَ لثمِ راحَتِكُمْ ، وَالتَّماسِ بِرَكَاتِ دَعواتِكُمْ : أَنهِي لِحَضْرَتِكُمْ البَهِيَّةِ ،
أَنِّي لَمَّا تَشَرَّفْتُ بِالمُثُولِ لَدَى الحَضْرَةِ السَّنيَّةِ الخَدِيويَّةِ . . قَمْتُ عَنْ جَنابِكُمْ
مَقامَ الاعْتذارِ عَنِ الحُضُورِ ، وَالتَّهْنِئَةِ بِما يَسَّرَهُ اللهُ مِنْ هَذَا الحُجُورِ ، فَقبُولِ
ذَلِكَ بِما هُوَ المَأْمُولُ ، مِنْ حَسَنِ الإِقْبالِ وَالقَبُولِ ، وَظَهَرَ مِنَ الجَنابِ العالِيِ
التَّأسُّفُ عَلى تَوَعُّكِ مِزاجِ حَضْرَتِكُمْ ، وَالدَّعاءُ إِلَى اللهُ تَعالَى بِتَعْجِيلِ شَفائِكُمْ
وَصَحَّتِكُمْ ، وَقَالَ : أَرْجو مِنَ الأَلطافِ الإِلهِيَّةِ ، وَالمِكارِمِ الرِّبانيَّةِ ؛ أَنِّي عِنْدَ
وَصُولِي لِمَصْرَ المَحْمِيةِ ، يَكُونُ قَدْ زالَ عَنِ حَضْرَةِ الأَسْتاذِ ما عَرَضَ مِنْ
المَرَضِ ، وَحَصَلَ مِنْ مَزِيدِ العافِيَةِ وَالصَّحَّةِ عَلى الغَرَضِ ، فَأحظَى بِلِقائِهِ ،
وَأَسْرُ بِشَفائِهِ ، فَبادَرْتُ بِتَرْقِيمِهِ إِشعاراً بِذَلِكَ لِحَضْرَتِكُمْ ، وَاسْتفساراً عَنِ حالِ

(١) هُوَ لأبي تامام . انظر « ديوانه » (١٠٢/١) .

صَحَّتْكُمْ ، ودمتُمْ في مَسْرَةٍ وحسنِ حالٍ ، حليةً لأجسادِ المعالي وتاجاً لهامةِ
الكمالِ .



وكتبَ مولانا الأعزُّ الأكرمُ المُعظَّمُ المُفخَّمُ حفظَهُ اللهُ :

أهدي بديعِ سلامٍ تتكفَّلُ بشرحِ تلخيصِ المَحَبَّةِ مبانيهِ ، وتَتَضَمَّنُ بيانَ
مُطوَّلِ الوجدِ والمودَّةِ معانيهِ ، وأشواقاً يَقِلُّ البَيانُ عندَ تَبَيانِ أطولِها ، ويَكِلُّ
البَيانُ عن إيضاحِ مُفصَّلِها ومُجمَلِها ، مع دعاءٍ يحلو إطنابُهُ وإيجازُهُ ، وينتهي
بفضلِ اللهِ إلى حقيقةِ الإجابةِ مَجازُهُ .

وبعدُ : فإنَّ الداعيَ قد شرعَ منذُ مُدَّةٍ مِنَ الأيامِ ، في كتابَةِ شرحِ « الأطولِ
على التلخيصِ » للفاضلِ العصامِ ، غيرَ أنَّ النسخةَ التي عثرنا عليها ،
ووصلتْ يدُ الأفكارِ إليها . . رأيناها قد هدمَ التحريفُ معمورَ أبياتها ، وأطفأَ
التصحيفُ نورَ مشكاتها ؛ بحيثُ لا يَجِدُ الذَّهْنُ لبابَ فهمِها مِفْتاحاً ، ولا
يرى الساري في دياجي غلطاتها مصباحاً ، يقولُ رائيها حينَ يَجِدُ معاهدها
تَغَيَّرَتْ وبدا عليها الدُّثورُ :

[من مجزوء المتدارك]

هَذِهِ دَاوْرُهُمْ أَقْفَرَتْ أَمْ زَبُورٌ مَحَتْهَا أَلْدُهُورُ

وقد أخبرنا غيرُ واحدٍ أنَّ عندكم نسخةٌ صحيحةٌ مِنْ مُخْلَفَاتِ حضرةِ
الأستاذِ الوالدِ ، فالمأمولُ مِنْ هِمَّتِكُمْ ، والمسؤولُ مِنْ حضرتِكُمْ : التَّكْرُمُ
بإرسالِ تغييره مِنْ أوَّلِ الكتابِ المذكورِ ؛ ليكونَ لكمُ بذلكَ جزيلاً الثوابِ
والأجورِ ، على يدِ أخينا الشيخِ فلانٍ حاملِ هذهِ التذكرةِ ، أسبغَ اللهُ عليكمُ
مِنَ الإحسانِ أتمَّهُ وأوفرَهُ .



وكتبَ : سلامٌ يُسْفِرُ عن خالصِ الودادِ ، ويُخَبِّرُ عمَّا في الفؤادِ ، مِنْ كمالِ

المحبة والاتحاد ، إلى فرع الدوحة العلية المحمدية ، وثمره الشجرة المباركة النبوية ، سلالة الأشراف السادة ، وصفوة أهل المجد والسيادة ، حفظ الله حضرته ، وأدام بهجته ومسرته ، آمين .

وبعد : فإن الإطناب في وصف تشوقي إلى حضرة السيد أدام الله علاه ، وزان جيد المعالي بحلاه .. من قبيل تحصيل الحاصل ، وتوضيح الواضح بغير طائل ، فحسبي أن أكتفي في هذا الشأن بشهادة ذلك الضمير المنير ؛ فإنه ينظر بنور الله تعالى ما يضيق عنه نطاق التعبير .

وبينما هذا المحب مشغول اللسان بالثناء على تلك الحضرة ، مشعوف الجنان بما يرد من أخبار المسرة^(١) . . وردت مكاتبه سيادتكم ، فشكرت المولى على صحة سعادتكم ، وعلمت تفضلكم علينا بالدعوات الخيرية ، في تلك الأماكن العلية ، وهذه منة جلية يجب شكرها ، ومنحة جزيلة لا يجهل قدرها ، ولا بدع ؛ فإنكم بضعه النبوة ، ومعدن الكرم والفتوة ، بكم تستمطر سحائب البركات ، وتُستفتح أبواب الخيرات ، وبجدكم يتشقق في يوم المحشر ، وبأسلافكم الأماجد يستسقى من الكوثر ، فلا عدمننا تلك الأخلاق العلية ، ولا حرمننا هذه المكارم الهاشمية .

ثم إنني ببركة دعواتكم أحمد الله على الصحة والسلامة ، وأسأله أن يديم علينا وعليكم إنعامه ، وقد بادرت بتحرير خطابي هذا وأنا أحسده على وصوله لذلك النادي المبارك قبلي ، وأود لو أنني أكون مكانه لأقضي من مشاهدة ذلك المحيا أملي ، وغاية رجائي ألا تنسونا مما عودتمونا من الأدعية الصالحة ، وتلاوة الفاتحة ، بين يدي حضرة سيد الأنبياء المكرمين ، والرحمة العامة للعالمين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه

(١) الشعف : شدة الحب ، فأحرق فؤاده ، وقيل : أمرضه .

وجميع المنتمين إليه ، ثم في باقي ما تترددون عليه من الأماكن الطاهرة ،
والمواطن المُشرفة الباهرة ، التي لا يمتد كُفُ الثريا إلا للشم ترابها ،
ولا ينحني ظهرُ الهلالِ إلا لتقبيلِ أعتابها ، وكلُّ ما يلزم لحضرتكم من
هذا الطرف رهينُ الإشارة والإعلام ، ومني لناديكم الشريف مزيدُ التحية
والسلام .



وكتب من الجناب الخديوي أيام نيابته عن عمه المرحوم سعيد باشا
صورة فرمان :

صدر هذا الفرمان الواجب طاعته ، اللازم امتثاله ومتابعته ، خطاباً
إلى كافة القضاة والحكام ، والعلماء الأعلام ، والمشايخ والعمد بالأقطار
السودانية ، من الحكومة العلية المصرية .

ليكن معلوماً لديكم ، بوصول هذا إليكم ؛ أنه قد اقتضت الإرادة السنية
الخديوية ؛ بنصب فلان حكمداراً على عموم الأقاليم السودانية ؛ لما هو
معلوم فيه من الصداقة والأهلية ، وحسن الروية والإدارة السياسية ، فينبغي أن
تطيعوا أحكامه ، وتقابلوا بالسمع والطاعة كلامه ، وتنفذوا لأوامره ونواهيهِ ،
وتمثلوا لما يُبديه ممّا يوافق الأوامر العلية ، والأصول والقوانين المرعية ،
وبادروا بأداء كافة المطالب الميرية في أوانها ، وعدم تأخيرها عن أوقاتها ؛
لتفوزوا بزيادة الرضا عليكم ، وحسن النظر والانتفات إليكم .

وأنت أيها الحكمدار ، عليك باتباع التقوى ؛ فإنها لحصول كل خير
هي السبب الأقوى ، وعامل الناس بالعدل والإنصاف ، واجتنب الجور
والاعتساف ، واستعمل الرشد والسداد ، وابدل غاية الاجتهاد ؛ في معمورية
البلاد ، ورفاهية العباد ، ونجاز الأشغال الميرية ، وحسن إدارة الحكمدارية ،

ورؤية جميع المصالح ، على مقتضى الأوامر والأصول والقوانين واللوائح ،
والاعتناء براحة البرية ، وحسن سياسة الرعية ؛ فإنَّ الخلق في أيدي الحكام
وديعة الله سبحانه ؛ فمن أكرمهم .. أكرمه ، ومن أهانهم .. أهانه ، فاعلم
ذلك ، واتبع أحسن المسالك ؛ لتفوز بحسن حالك ومالك ، وبلوغ غاية
آمالك .

تحريراً في كذا سنة ثمانٍ وسبعينٍ ومئتينٍ وألفٍ ، من هجرة المبعوث
بأحسنٍ وصفٍ ، عليه أكمل الصلوة وأتم السلام ، ما لاح بدر تمام وفاح
مسك ختام .

وكتب عن بعض الأحبّة في جواب كتاب بوصول هدية :

إنَّ أبداع ما رَقَمَهُ بِنانُ البيانِ ، وأبرع ما نظمه لسانُ الافتنانِ ، وأبهر ما
سمَعْتَهُ آذانُ الأذهانِ ، وأزهر ما طالعته عيونُ الاستحسانِ .. سلامٌ يفوح
طيبُ الودِّ من نَفْحِ عبيره ، ويلوحُ نشرُ الوجدِ من طَيِّ تعبيره ، وثناءٌ يجاري
نسماتِ الصِّبا بلطفِ الشمائلِ ، وبياري زهراتِ الرُّبى بظرفِ الغلائلِ ، مع
شوقٍ يقصُرُ عن وصفِهِ لسانُ التقريرِ ، ويضيقُ عن نصفِهِ نطاقُ التحريرِ ،
إلى حضرةِ جمالِ الدِّينِ والدنيا ، وتاجِ هامةِ المجدِ والعليا ، الفائزِ من
الشرفِ الأعلى بالقدحِ المُعلّى ، لا زالت تُغورُ السرورِ باسمه إليه ، وظلالُ
الإقبالِ دائمةً عليه .

وبعدُ : فما روضةٌ رعَتِ النسائمُ زواهرَ أغصانها ، ودوحةٌ وشحتِ الغمامُ
بواهرَ أفنانها ، فباحث فيها الحمائمُ بترديدِ أشجانها ، وصدحتِ البلابلُ
بتغريدِ ألحانها ، واختالتِ الأشجارُ من دُرِّ زهرها وفضةِ غدرانها ، بينَ حلي
خلاخلها وتيجانها .. بأبهى منظراً ، ولا أشهى خيراً ومخبراً ، ولا أطف

موقعاً ، ولا أظرف مسمعاً ؛ مِنْ كتابِ استكملت أنواعَ المَسرَّةِ بوروده ،
واقتطفتُ في حدائقِ المودةِ أزهارَ وروده ، قد جرى به ماءُ الفصاحةِ غيرِ
أسنٍ ، وجمعَ أشتاتِ الملاحَةِ والمحاسنِ ، مِنْ كلِّ لفظٍ أحلى مِنْ الشَّهيدِ ،
والذِّ مِنْ طيبِ الكَرَى بعدَ طولِ الشُّهيدِ ، وقد وصفَ بعضَ ما أكابدهُ مِنْ آلامِ
الفراقِ ، ولواعجِ الأشواقِ ، فكأنَّما عَبَّرَ به عن لسانِ حالي ، وإن قصرَ دونهُ
لسانُ قالي ، ووصلَ معهُ ما تفضَّلتم بإهدائه ، وتكرَّمتم بإسدائه ، ممَّا هو أثرُ
الودادِ ، وثمرَةُ محبةِ الفؤادِ .

فاللَّهُ تعالى يُمتِّعُ بقربِكُمْ ، قلباً يتقلَّبُ في حُبِّكُمْ ، ويُسرُّ بدوامِ بقائِكُمْ ،
روحاً ترتاحُ لطيبِ لقائِكُمْ ، ثمَّ الرجا ألاً تنسونا مِنْ مراسلاتِ الودادِ ، التي
يطمئنُّ بها الفؤادُ ، فذلكَ غايةُ المأمولِ ، ونهايةُ المسؤولِ .



وكتبَ رسالةً وداديةً تتضمَّنُ التهنئةَ بالعيدِ :

وصلنا إلى المحروسةِ بحمدِ اللهِ تعالى وبركاتِ توجُّهاتِ سعادَتِكُمْ ،
وحسنِ أنظارِ سيادتِكُمْ ، ونحنُ نتلو مِنْ محامدِ إفضالِكُمْ ما يُخجِّلُ الدررَ
في أسلاكِها ، ونبِّئُ مِنْ محاسنِ خلالِكُمْ ما يزري بالدراري في أفلاكِها ،
وقد صدرتْ هذه المكاتبةُ عن يدِ مُمتدَّةٍ إلى اللهِ تعالى في الدعاءِ بدوامِ
معاليكُم ، وناظرٍ لا ينتظرُ إلاَّ لِمَا يَرُدُّ مِنْ نحوِ ناديكُم ، وقلبٍ لا يتقلَّبُ إلاَّ
في محبةِ ذاكِ الجنابِ العالي ، وخاطرٍ لا يخطرُ فيه غيرُ تذكُّرِ تلكِ الهممِ
العوالي ، فعسى تنوبُ عني هذه الرقيمةُ فيما أحسدها عليه مِنْ المُثولِ بذلكِ
النادي ، والوصولِ إلى لثمِ تلكِ الأيادي الباهرةِ الأيادي ، والتهنئةِ بالعيدِ
السعيدِ المُترقَّبِ قُرْبُ إقبالِهِ ، أبقى اللهُ سيدي إلى آلافِ أمثاليهِ ، مُمتعاً بدوامِ
قبولِهِ وإقبالِهِ ، رافلاً في حُلِّ فضلِهِ وكمالِهِ .

ثم إن لزم لسعادتكم خدمة بهذا الطرف . . فإن لنا في قضائها غاية الشرف ، والأمر أمركم .

وكتب تهنئة بمولود :

سلام على سيدي الأعز سلمه الله وأسعده ، وأكثر بفضلِهِ عدده ، وحفظ له ما وهب من نعمِهِ ، وخوّله المزيد من فيضِ كرمِهِ .

وقد حظيت بكتابه ، المُبشِّر والحمد لله بصحة جنابه ، واستقامة الأحوال لديه ، وترادفِ نِعَمِ الله سبحانه عليه ، وما منحه من المولود السعيد القادم عليه ، إن شاء الله بالرزق الجديد ، والعمرِ المزيد ، فاستوفيت حظي من هذه البشائرِ موفى موفراً ، ووجب عليّ الشكر لله سبحانه وتعالى مضاعفاً مُكرّراً ، وابتهلت إليه تبارك خيرُهُ ، ولا إله غيرُهُ ؛ في أن يدوم على سيدي من نعماء ، ويزيده من وافرِ عطاياه ، ما يديم سروره وسروري لحضرتِهِ ، على حسبِ حظي من محبته ، واندراجي في جملته ، وأن يبارك على هذا النجلِ النبيلِ ، والنسلِ الأصيلِ ، ويمنحه العمرَ الطويلَ ، والخيرَ الجزيلَ ، ويبقي سيدي أدام الله علاه ، وأطال بقاءه ، حتى يرى الكثير من أولاده ، والجم الغفير من أحفاده ، مُمتعاً بالسلامة ، وكمالِ الكرامة .

والمرجو من سيدي أدام الله سروره ، ويسر أموره . . أن يواصل تعريفني بما يتجدد من سائر أخباره ، لأشركه فيما يقتضيه ، وإعلامي بما عساه يسنح من هذا الطرف من أوطاره ؛ لأفوز بالانتهاء لغاية استطاعتي فيه ، مُوفقاً إن شاء الله تعالى .

وكتب في تعزية :

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَكَاتَبَ سَيِّدِي مُعْزِيًا ، أَوْ أَلِمَّ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ مُسَلِّيًا ، وَلِكِنَّهُ
أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُقَابَلُ بِغَيْرِ التَّسْلِيمِ ، وَقَضَاؤُهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ عِدَّةٌ سِوَى الصَّبْرِ
الكَرِيمِ ، وَقَدْ عَلِمَ مَوْلَايَ أَجْمَلَ اللَّهُ صَبْرَهُ ، وَلَا أَرَاهُ مِنْ بَعْدِ إِلَّا مَا سَرَّهُ
وَشَرَحَ صَدْرَهُ : أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَبَارَكَتْ آلَاؤُهُ ، إِذَا امْتَحَنَ عَبْدَهُ فَصَبَرَ . .
أَجْرُهُ وَعَوَظُهُ بِكَرَمِهِ ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ . . زَادَهُ وَضَاعَفَ لَهُ مِنْ
نِعْمِهِ .

وقد عُرِفَ مِنْ حَالِ سَيِّدِي فِي الشُّكْرِ عَلَى السَّرَّاءِ مَا يَسْتَوْجِبُ الْمَزِيدَ مِنْهَا
وَالظَّنُّ بِحَزْمِهِ وَعِلْمِهِ أَنْ يَكُونَ حَالُهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى الضَّرَّاءِ يَسْتَجْلِبُ الْأَجْرَ
عَلَيْهَا وَالتَّعْوِضَ عَنْهَا .

ثُمَّ نَحْنُ إِذَا أَمَعْنَا فِي التَّفَكُّرِ ، وَوَقِينَا هَذَا الْأَمْرَ حَقَّهِ مِنَ التَّدْبِيرِ . . رَأَيْنَا أَنَّنَا
وَلَوْ تَأَخَّرَتْ آجَالُنَا ، وَطَالَتْ آمَالُنَا . . لَسْنَا فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ، وَقَرَارِ الْكِرَامَةِ ؛
حَتَّى نَحْزَنَ عَلَى مَنْ فَارَقَهَا وَزَايَلَهَا ، وَلَكِنَّا فِي سَبِيلِ سَفَرٍ ، وَدَارِ كَدَرٍ ، يَحِقُّ
وَاللَّهِ أَنْ نَغْبِطَ مَنْ رَحَلَ عَنْهَا وَزَايَلَ غَوَائِلَهَا ، فَأَجْمَلُنَا حَالًا أَسْرَعْنَا ارْتِحَالَ ،
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ الْجَزَعُ لَا يَنْفَعُ وَإِنْ أَغْضَبَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ ، وَالصَّبْرُ لَا يَضُرُّ
وَإِنْ جَلَبَ رِضْوَانَهُ وَإِحْسَانَهُ ، وَاللَّهُ يُسَهِّلُ لِسَيِّدِي سَبِيلَ الصَّبْرِ ، وَتَحْصِيلَ
الْأَجْرِ ، وَيَعْصِمُهُ مِنْ شَوَارِدِ الْوَزْرِ ، وَمَكَايِدِ الدَّهْرِ ، وَيَتَوَلَّى الْمَاضِيَ بِالرَّحْمَةِ
وَالْإِنْعَامِ ، وَالْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ ، وَيُحَسِّنُ مَثْوَاهُ فِي دَارِ السَّلَامِ ، وَيُنْعِمَ لَهُ عِنْدَ نَزْوِلِ
الْجِمَامِ ، وَانْتِهَاءِ الْأَيَّامِ ، بِحَسَنِ الْخِتَامِ .



جواب عن كتاب عتاب :

ورد كتاب سيدي أرشده الله وأسعده ، ولا زال مساعده ومُسعده ؛ يشكو

مِنْ جَفَائِي ، وَقِلَّةِ وِفَائِي ، مَا بَسَطَ فِيهِ لِسَانَهُ ، وَأَطَالَ بِهِ أَيْدَهُ اللَّهُ بَيَانَهُ ،
وَأَدَّى حَقَّهُ مِنَ الْبَلَاغَةِ أَدَاءً مُتَمَكِّنٍ مُتَمَكِّنٍ ، وَذَهَبَ فِيهِ مِنْ سِحْرِ الْكَلَامِ كُلِّ
مَذْهَبٍ مُمَكِّنٍ وَغَيْرِ مُمَكِّنٍ ، حَتَّى إِنَّنِي لَقُوَّةٌ تَخْيِيلُهُ وَتَصْوِيرُهُ ، وَفَرْطُ بَرَاعَتِهِ
- أَيْدَهُ اللَّهُ - فِي حَسَنِ تَعْبِيرِهِ . . كَدْتُ أَتَوْهَمُ أَنِّي فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ مِنْ
الذَّنْبِ ، وَأَنَّنِي اسْتَوْجِبْتُ مَا أوردَهُ - أعزَّهُ اللَّهُ - مِنَ الْعَثْبِ .

فَلَمَّا لَفَحَنِي حَرُّ الْمَعَاتِبَةِ ، وَخَشَنَ عَلَيَّ مَلَمَسُ الْمَخَاطِبَةِ ، وَأَخَذَ مِنِّي
اللُّومُ مَأْخِذَهُ إِيْلَامًا ، وَبَلَغَ بِي مَبْلَغُهُ إِنْكَارًا وَإِعْظَامًا . . أَرَدْتُ أَنْ آخِذَ لِنَفْسِي
بِالْحُجَّةِ ، وَالِدَّلَالَةِ عَلَى سِوَاءِ الْمَحْجَّةِ ، لَوْلَا أَنِّي رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ أَنَّ مَوْلَايَ
أَعَزَّهُ اللَّهُ وَإِنْ رَكِبَ مِنَ الْمَغَالِطَةِ فِي هَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ خِلَافَ رَأْيِهِ ، وَسَلَّكَ مِنَ
الْمَوَارِبَةِ فِي هَذِهِ الْمَعَاتِبَةِ خِلَافَ مَذْهَبِهِ . . إِلَّا أَنَّهُ بِجَلِيَّةِ الْأَمْرِ أَعْرَفُ وَأَعْلَمُ ،
وَمِنْ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْهِ الْحَالُ بِالْمُحَالِ أَحْزَمُ وَأَحْكَمُ .

وَأِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، مَعَ كِمَالِ عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْحَقِيقَةِ . .
قَصْدُ الْمَبَالِغَةِ فِي تَبَرُّتِهِ نَاحِيَّتِهِ ، وَدَفْعِ اللُّومِ عَلَى أَنْ يُلِمَّ بَعَلِي سَاحَتِهِ ، وَقَدَّرَ
أَنَّهُ إِنْ خَلَصَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ كِفَافًا لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ . . فَقَدْ رَبِحَ السَّلَامَةَ بِمَا
عَسَاهُ أَنْ يَنْجِرَّ مِنَ الْمَلَامَةِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ كَانَ هَذَا مَبْلَغَ مَا تَوَخَّاهُ ، مِنْ ذَلِكَ
الْمَنْحَى الَّذِي نَحَاهُ . . فَأَنَا لَا أَفْنَعُ لَهُ مِنَ النَّصْرِ ، بِذَلِكَ الْقَدْرِ النَّزْرِ ، بَلْ أَحْبُّ
أَنْ تَكُونَ الْغَلْبَةُ لَهُ كَامِلَةً غَيْرَ مُنْتَقِصَةٍ ، وَنَصْرَتُهُ حِرْسَهُ اللَّهُ مُهْنَأَةً غَيْرَ مُنْغَصَةٍ ،
فَأَنَا أَخَاصِمُ نَفْسِي مِنْ جِهَتِهِ ، وَأَعَارِضُهَا بِمَحَبَّتِهِ ، وَأَلْزِمُهَا أَنْ تَنْزِلَ عَلَى
حُكْمِهِ ، وَتَنْزِعَ إِلَى سَلْمِهِ ، وَأَعْتَرَفُ لَهُ بِجَمِيعِ مَا أَجْمَلَهُ وَفَصَّلَهُ اعْتِرَافًا يَزِيلُ
الشَّقَاقَ ، وَيَرْدُّ الْوِفَاقَ .

ثُمَّ أَسْأَلُهُ أَنْ يَعْفُوَ وَيَصْفَحَ ، عَارِفًا بِأَنَّهُ إِذَا مَلَكَ . . أَسْجَحَ ، وَإِذَا قَدَرَ . .
عَفَا وَأَصْلَحَ ؛ فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ . . فَقَدْ فَازَ مَعَ لَذَّةِ الظَّفَرِ وَالنَّصْرِ ، بِمَا يَرْجُوهُ

على العفو من حسن الثواب والأجر ، وفزت أنا في الجملة بتحصيل رضاه ،
وعدم الخروج عن موافقة هواه ، وانفصلنا عن القضية وكلنا فائزٌ بسهمه ،
راضٍ بما حصل في قسمه .

وإن أبى إلا أن يناقشني الحساب ، ويتمادى حرسه الله على ذلك
العتاب . . فلن يعدم داعيه في معرض الجدل شبهة إذا لم يجد حجة ، وقد
جاء في المثل : لا تعدم الخرقاء حيلة ، وما أظنه يراني أقل من هذه درجة ،
فليختر لنفسه ما يراه أقرب إلى الصواب ، وليتفضل على داعيه ومجته وراجيه
بالجواب ، موفقاً إن شاء الله تعالى ، آمين ، يا رب العالمين .



وكتب تقريباً لصحيفة الوقائع المصرية حين أصلح أمرها بعد سابق
اختلالٍ اعترأها :

لا ريب أن كل من عرف التمدن ، وشم عَزَفَ التفنن ، وأخذ بنصيب
من الفهم والتفطن . . كان أحب شيء إليه ، وأوجب أمرٍ لديه ؛ أن يكون
مُطلعاً على وقائع مصره ، عارفاً بما تجدد بين بني عصره ؛ من حوادث
الزمان ، وعجائب عالم الإمكان ، وما هو صائر في الممالك المُتمدنة ، ودائر
بين الملوك المُتمكنة ، وما هو جار بين الدول المتفقه ، والملل المُتفرقة ؛
من عهود تُجدد ، وشروط تُوكد ، وآثار تُغيّر ، وصعاب تُيسر ، وما بينهم
من نزاع ومقاتلة ، وخداع ومخاتلة ، وسكون وهدنة ، وحركة وفتنة ، وما
حدث في أحوال التجارة ، وأمور السياسة والإدارة ، وما أبدته فحول العقلاء
في مجامعها ، وما استبدأتها عقول النبلاء من بدائعها ، وما ظهر من روائع
الصنائع وعوارف المعارف ، وطرائف اللطائف ، فتتسع دائرة اطلاع ، ويمتد
إلى المعالي طويل باع ، ويعرف العوائد مذمومها وممدوحها ، ويميز الآراء

راجحها ومرجوحها ، فيجتني ثمرات الأفكار ، ويقتني محاسن الآثار ، ويتمتع وهو مستريحٌ بنتيجة ما تعب فيه غيره الليل والنهار ، ويكون كأنما طاف مشارق الأرض ومغاربها ، وجزّب جميع الأمور ودرى عواقبها ، فلا تكاد تنزل بساحتِه حادثةٌ إلا وقد أحاطَ علمُه بنظيرها ، وعرف غاية مصيرها ، وكيف يفتح باب النجاح في حسن تدبيرها ، إلى غير ذلك من المنافع الجمّة ، وغرر المحاسن المهمّة ، التي يقصُر عن حدّها اللسان ، ويقصُر في عدّها البيان .

ولا مرية في أنّ صحف الأخبار هي الحافلة بهذه المزايا ، الكافلة باستخراج فرائد الفوائد من خبايا الزوايا ، فهي جُهينة الأخبار ، وخزينة ذخائر الأفكار ، وصيقل الأذهان ، ومראה حوادث الزمان ، وهي المجلس الذي تُعجب نوادره ، والأنيس الذي يُطرب حديثه من يسامره ، والخليل الذي لا يستر منك أمراً ، ولا يخبأ عنك خبراً ولا خُبراً ، والنديم الذي لا تُخاف عريته ، والصاحب الذي تُسرك مودته ، وهي السائح الذي يطوف البلاد ، ويأتيك بأخبار العباد ، ويُعرفك أحوال زمانك ، وأنت لا تبرح من مكانك .

ثم مؤنته هينة ، ومعونته بينة ، تنتفع منه وتستفيد ، ولا تصرف عليه في العام غير شيء زهيد ، فالنُجباء من الناس لا يفتشون عن هذه اللطائف ، ولا يفتشون من مطالعة تلك الصحف .

وقد كانت صحف الوقائع المصرية ، في الممالك الإسلامية ؛ من الصحف الأولى ، الراقية من مراتب الإجابة والإفادة إلى الدرجة الأولى ، ثم عدت عليها عوادي الزمان ، فبقيت في حضيض الإهمال تحت ذيل الهجران ، حتى نسجت عليها عنكبُ النسيان ، إلى أن أعادها معيد رسوم المعارف بعد اندراسها ، وباني بيوت المعالي على مُحكم أساسها ؛ بدر

فلكِ الحكومةِ المصريةِ وشمسُ سماءِها الماحي بأنوارِ هَمَّتِهِ السنيةِ حنادسَ
ظلمائها ، المقتدي بوالدهِ الماجدِ وجدهِ الكريمِ سميِّ سيدنا إسماعيلَ بنِ
إبراهيمَ ، أبغاهُ اللهُ دُخْرًا للفضلِ وأهلِهِ ، ولا بَرِحَتْ مصرُ مُعَطَّرَةَ الأرجاءِ
بأريجِ عدلِهِ .

إلَّا أن الصَّحيفةَ المذكورةَ لم تُعُدْ في النشأةِ الآخرةِ إلى حالِها الأولى ،
حتى لقد بقيتْ مُدَّةً مِنَ الزمنِ خاليةً عن الأخبارِ الأجنبية ، وكثيرٍ مِنَ الحوادثِ
الداخليةِ ، وتاللهِ ؛ لقد كُنَّا ننظرُ إليها نظرَ المُتأسِّفِ ، ومنتظرُ إصلاحِها
انتظارَ المُتلهِّفِ ، ونراها بحالِ عليلٍ ، كلُّ مَنْ رنا إليه رثى إليه ، وكلُّما
أبصرَهُ أهلهُ . . تَمَنَّوا أن يُقضى لَهُ الشفاءُ أو يُقضى عليه ، ولمَّا كانَ ما بها
مِنَ تلكِ الحالةِ على ضدِّ المقاصدِ العليَّةِ الداوريةِ ، ولم تزلِ العنايةُ السنيةُ
مُنعطفَةً لتقدُّمِ أحوالِ هذهِ الديارِ المصريةِ ، وكانَ مَمَّنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ حقَّ يقينِهِ ،
الأميرُ الجليلُ الذي لا يسمَحُ الزمانُ بقربِهِ ، العَلَمُ المفردُ في العلمِ والأدبِ
ومعاليِ الهَمَمِ ، البارِعُ المُتقِنُ المُتفَنِّنُ في لغةِ العربِ والتركِ والعجمِ ، حضرةُ
أحمدَ بيكٍ خيرِي مكتوبيِ الجناِبِ الداوريِّ . . اهتمَّ بتحسينِ هذهِ الصَّحيفةِ
وإصلاحِها ، وأشارَ إلى مأمورها بما يكونُ فيه حسنٌ نجاجِها ، وساعدَ على
إنفاذِ هذهِ النيَّةِ السنيةِ صاحبُ المعارفِ الباهرةِ ، والأفكارِ الزاهرةِ ، والهَمَمِ
العليَّةِ ، حضرةُ محمدٍ شريفِ باشا ، ناظرُ الأمورِ الداخليةِ والخارجيةِ ،
والمدارسِ المصريةِ ، فعادتْ كما بدتْ وأحسنَ بهِمَّةِ المُشارِ إليهما ، وغدَّتْ
بلسانِها الفصيحِ تُثني على الجناِبِ الأكرمِ الخديويِّ ثمَّ عليهما .

وناهيكَ بإزالةِ ما كانَ في وجهِها مِنَ الخطِّ الثقيلِ ، واستبدالِهِ بما تراهُ الآنَ
مِنَ الخطِّ الجميلِ ، الذي صارَ في مطلعِها براعةُ استهلالٍ ؛ لِمَا قد انتقلتْ
إليه مِنْ لطفِ الأسلوبِ وحسنِ الأحوالِ ، فوجبَ على أهلِ الوطنِ العزيزِ ،

وأصحابِ المعارفِ والتمييزِ . . أن يشكروا فضلَ هذهِ الهِمَمِ الخيريةِ ، بعدَ خيرِ الدعاءِ للحضرةِ الداوريةِ ؛ فإنَّها الأصلُ الأصيلُ في الإصلاحِ ، والمرشدُ الدليلُ إلى سبيلِ النجاحِ .

ونرجو من مُحَرِّرِ هذهِ الصَّحيفةِ ومأمورها ، والقائمينَ بإدارةِ أمورِها . . ألا تزالَ راقيةً في مدارجِ الكمالِ ، رافلةً في حُلَلِ الحسنِ متحليةً بحلِيِ الجمالِ ، فائزةً بسلوكِ جادَّةِ الإجادَةِ ، حائزةً براعةَ العبارةِ وكثرةَ الإفادَةِ ؛ بحيثُ تكونُ حلاوةً مبانيها ، وطلاوةً معانيها ، ولطفُ أساليبِها ، وظرفُ تراكيبيها . . أنموذجاً لِمَنْ يتعلَّمُ حسنَ التعبيرِ والتقريرِ ، ومثالاً يقتدي به مَنْ يرومُ تحبيرَ التحريرِ ، معَ استيفاءِ الأخبارِ الداخليةِ ، وما يلزمُ مِنَ الحوادثِ الأجنبيةِ ، وإنباءِ الإخوانِ ؛ مِنْ أبناءِ الأوطانِ ، بما يعودُ عليهم نفعُهُ ، ويعظمُ لديهم وقعُهُ ، وإرشادِهِمْ لِمَا يفيدُهُمْ مزيدَ التقدُّمِ في التمدُّنِ ، وتنبهِهِمْ على ما يقبُحُ مِنَ العوائدِ وما يحسُنُ ، وإنَّما قلتُ ما قلتُ وأكثرْتُ في هذا الرجا وطوَّلتُ ؛ لأنَّ في مأموري هذهِ الصَّحيفةِ أهليةً لِمَا أمثلتُ .

والمأمولُ مِنْ سُكَّانِ الدِّيَارِ المصريةِ ، ولا سيَّما أهلِ هذهِ الحاضرةِ البهيةِ . . أن يُقبلوا على صحائفِ الوقائعِ ويلتفتوا إليها ، ويرغبوا في مطالعتها ويحرصوا عليها ، ويتبعوا ما يُنبهونَ عليه مِنَ الأمورِ النافعةِ والعباداتِ الحسنةِ ؛ ليكونوا مِنَ الذينَ يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَهُ .

أليسَ هذا أولىَ مِنَ الأمورِ العبثيةِ؟! كالعكوفِ على الملاهي وسماعِ القصصِ الخرافيةِ ؛ مثلَ ما اشتهرَ مِنْ قصةِ سيفِ بنِ ذي يزنِ ، وحكايةِ عنترَةَ والظاهرِ وإبراهيمِ بنِ حسنِ ، وأمثالِ ذلكَ مِنَ الحكاياتِ التي أكثرُها أكاذيبُ وتمويهاتُ .

وأسوأُ مِنْ ذلكَ حالاً قومٌ ينتدبونَ للمشاجرةِ فيما شجرَ بينَ الصَّحابةِ ،

ويتجادبونَ اختلافَ الخلافِ فيما ينسبونَ لبعضِ هذه العصابةِ مِنَ الخطأِ والإصابةِ !! على أنَّ بعضهم لا يعرفُ وجهَ ما يخوضُ فيه ، ولا يدري على الحقيقةِ كُنْهَ ما يخرجُ مِنْ فيه ، وإنَّما هوَ تقليدٌ بلا دليلٍ ، وخبطٌ على غيرِ سبيلٍ ، لا سيَّما والتواريخُ مضطربةُ الأقوالِ ، على حَسَبِ اختلافِ الأغراضِ والأحوالِ ، ولا ثمرةَ للخلافِ ، ولم نكنْ حاضري المصافِ ، فيا ليتَ شعري !! أيُّ معنى في هذا العناءِ الباطلِ ؟! وأيُّ طائلٍ وقد نهانا عن الخوضِ في ذلكَ أكابرُ العلماءِ الأفاضلِ ؟! وهل ذلكَ لزعمِ مثويةٍ أخرويةٍ ، أم لتوهمِ فائدةٍ دنيويةٍ ؟!

إن كانتِ الأولى . . فعندنا ما هوَ أولى ؛ مثلُ دراسةِ كتابِ الله القديمِ ، وكلامِ نبيهِ الكريمِ ، عليه أفضلُ الصَّلَاةِ والتسليمِ ، وعلى أهلِ بيتهِ الطَّيِّبِينَ الأطهارِ ، وصحابتهِ الخيرةِ الأبرارِ ، ومثلُ تعلُّمِ أصولِ الدِّينِ وعقائدهِ ، والاشتغالِ بمعرفةِ آدابهِ الشريفةِ وقواعدهِ ، إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأعمالِ الفاخرةِ ، الجالبةِ خيرِ الدُّنيا والآخرةِ .

وإن كانتِ العِلَّةُ الحاملةُ حصولَ الثمرةِ العاجلةِ . . فثمَّ مسالكُ أقربُ لذلكَ ؛ كاجتهادِ الإنسانِ في نحوِ تجارتهِ [وزراعتهِ] ، واهتمامهِ بازديادِ براعتهِ في صناعتهِ ، والتوسُّلِ إلى توسيعِ دائرةِ المدنيَّةِ ، بالجِدِّ والجهدِ في الفنونِ والمعارفِ الإنسانيَّةِ ، وعقدِ الشركاتِ في الأمورِ النافعةِ ، والاستعانةِ باجتماعِ الأيدي على اجتناءِ ثمراتِ الربحِ اليانعةِ ؛ فَإِنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلثَّنَيْنِ ما ليسَ للواحدِ بهِ استطاعةٌ ، وحسبُك بما وردَ : « يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ »^(١) .

وبالجملةِ : فإنَّ في الشركةِ مِنْ عظيمِ الخيرِ والبركةِ ما تشهدُ بهِ العينانِ ، ولا حُجَّةَ أكبرُ مِنَ العِيَانِ ، ألا ترى إلى هذه الشركةِ المعنونةِ بالقومبانيةِ

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه .

العزیزية المصریة ، المؤسّسة فی ظلّ الحضرة الملكية بحسنِ الهِمَمِ العلیةِ
الدائریة ؛ کیفَ نجحتْ أسبابُها ، وانتفعتْ بفوائدها أربابُها ، وسلکتْ علی
أحسنِ سبیلٍ ، فی البحرِ المِلحِ وفی نهرِ النيلِ ، وکیفَ صارتْ عوناً حسناً
علی التجارة والسیاحة وتسهیل طریقِ الحُجاجِ ، بعنايةِ الله الذی مرّج البحرین
هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ .

وإنّا لنرجو لها مزيدَ التقدّمِ بجلیلِ هِمّةِ الجنابِ الخدیویّ وجملِ
إقدامِهِ ، ونراها كالطّفلِ بانّتِ علائمِ نجابتهِ قبلَ إبانِ فطامِهِ ، لا شكَّ أنّها
مِنَ حسناتِ ولّیّ النعمِ الخدیویّ الأکرمِ ، الدائریّ الأفخمِ ، الذی تعطّرت
الأفواهُ بطیبِ ذکرِ سنائِهِ ، وتحلّت الشفاهُ بمُکرّرِ شکرِ آلائِهِ ، فأدامَ اللهُ دولتهُ
السنيّةَ عُزّةً فی جبهاتِ الأعصارِ ، كما جعلَ حکومتهُ العادلةةَ المرضیةَ قُرّةً
لعيونِ الأمصارِ .

هَذَا ؛ والمرجوُّ کُلُّ الرجا ، مِنَ حضراتِ أهلِ المعارفِ وأربابِ
الحِجَا . . ألاَّ یبخلوا علی إخوانِهِم ، بما هوَ فی إمكانِهِم ؛ مِنَ المقالاتِ
المفیدةِ ، والآراءِ السّدیةِ ، والأفکارِ الناجحةِ ، والأخبارِ الصالحةِ ؛ لتدرجَ
عنهُم فی صحفِ الوقائعِ وتُنشَر ، وتُسَطَّرَ فی صفحاتِ الأيامِ وتُذکَر ، فقد
تعهّدَ مأمورُ الوقائعِ بإعلانِ کُلِّ ما یردُ إلیهِ مِنَ هذا القبیلِ ، واللهُ تعالی
یوفّقنا جمیعاً للخیرِ والرّشادِ ویهدینا سواءَ السبیلِ ، وقلْتُ مُضْمِناً الشطرَ
الأخیرَ :

وَقَائِعُ مِضْرَ الْأَنِّ فَاقَتْ بِحُسْنِهَا وَيَاهَتْ بِمَا جَادَتْ بِهِ مِنْ بَدَائِعِ
فَدُونِكَ مِنْ عَذْبِ الْحَدِيثِ وَحُلُوهِ جَنَى النَّخْلِ مَمْرُوجاً بِمَاءِ الْوَقَائِعِ
وَقَلْتُ مُضْمِناً أَيْضاً :

يَا أَهْلَ مِضْرَ لَكُمْ زَهَا نُورُ الْمُنَى وَبَدَا بِكُمْ نُورُ الْمَعَالِي سَاطِعَا

فَقَطَفْتُمْ زَهْرَ الْحَوَادِثِ نَاضِرًا وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانِعًا^(١)
ذَلِكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ الْمَنْهَلُ الصَّافِي ، وَالْمَوْرِدُ الْعَذْبُ النَّمِيرُ الشَّافِي ،
أَسْأَلُ اللَّهَ لِمَنْشِئِهِ دَوَامَ حَسَنِ عِنَايَتِهِ ، وَإِنَارَةَ بَصَائِرِكُمْ بِأَنْوَارِ هِدَايَتِهِ .

[مَوْلِدُ هَذَا الْأَمِيرِ بِحَسَابِ الْجُمَّلِ]

مِنَ الْإِتْفَاقِ الْغَرِيبِ : أَنْ كَانَ جُمَّلُ حُرُوفِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
ءَاتَىٰ بِنِيَّ الْكَتَّابِ ﴾^(٢) ، تَارِيخَ مَوْلِدِ هَذَا الْأَمِيرِ حَرَسَهُ اللَّهُ ، وَبَلَغَ بِهِ أَقْصَى
مَنَاهُ .



(١) وقع في هامش الأبيات الأربعة علامة (م) في الأصل ؛ إشارة لكونها مضمّنة .
(٢) سورة مريم : (٣٠) .

[خاتمة الكتاب]

وَأَلْتَمَسُ مِنْ أَذْكَيَاءِ الْإِخْوَانِ - وَكُلُّهُمْ أَذْكَيَاءُ - أَنْ يَحْرِصُوا عَلَيَّ فِي دِرَاسَةِ هَذَا الْمَجْمُوعِ بِغَايَةِ الْإِعْتِنَاءِ ، وَيَتَّخِذُونَهُ مَبْدَأً لِلتَّلْعِيمِ ، وَمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ بَعْدُ . . فَقَدْ عَرَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .

وَقَدْ أَذْنْتُ لِمَنْ وَثِقَ مِنْ نَفْسِهِ : أَنْ يُوضِحَ مَا يَرَاهُ مَوْضِعاً لِلإِضَاحِ ، وَأَنْ يُصَلِحَ مَا دَعَا السُّهُوَّ فِيهِ إِلَى نَوْعِ إِصْلَاحٍ .

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ لِي وَلَكُمْ نَعْمَ الْمَعِينُ ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَرِضَاؤُهُ عَنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَسَائِرِ التَّابِعِينَ .

[خاتمة الطبع]

يَقُولُ أَسِيرُ الشَّهَوَاتِ ، وَكَثِيرُ الْمَسَاوِي وَالْهَفَوَاتِ ، رَاجِي التَّجَاوُزِ عَنِ زَلَاتِهِ وَأَثَامِهِ ، حَسَنُ بْنُ الشَّيْخِ [أَبِي] زَيْدِ سَلَامَةَ ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُمَا بِمَنِّهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَأَثَابَهُمَا جَنَّتَهُ بِفَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ ، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ ، بِجَاهِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ :

بَعْدَ حَمْدِ مَنْ جَعَلَ لُغَةَ الْعَرَبِ وَسِيلَةً لِمَعْرِفَةِ فَنُونِ الْأَدَبِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيَّ أَشْرَفِ مُنْتَحَبٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْفَائِزِينَ بِأَعْلَى الرُّتَبِ ، وَالتَّابِعِينَ الْمُتَمَسِّكِينَ مِنَ التَّقْوَى بِأَقْوَى سَبَبٍ : قَدْ تَمَّ بِإِسْعَافِ الْأَلْفَافِ الْجَلِيلَةِ ، طَبْعُ مَجْمُوعِ لَفَنُونِ الْأَدَبِ وَسِيلَةً ، حَوِيَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ ، وَاشْتَمَلَ عَلَيَّ نَفَائِسِ دُرَرٍ مُسْتَحْسَنَةٍ ، بِنَاتِ فِكْرٍ اخْتَرَعَتْهَا فِكْرَةُ سَلِيمَةٍ ، وَعِرَائِسِ خَدْرِ أَبْرَزَتْهَا مَحَاسِنُ كَرِيمَةٍ ، فَهُوَ وَسِيلَةُ الْأَدَبِ ، وَمَبْلَغُ لَتَمَامِ الْأَرْبِ ، جَمْعَةُ الْعِلْمِ

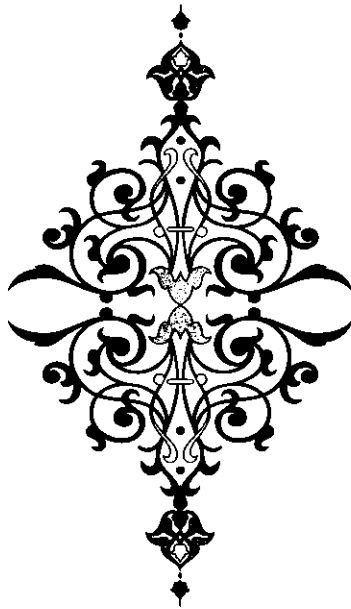
الشهير ، البحرُ الحبرُ النحريرُ ، صاحبُ البيانِ الوفيِّ ، مَنْ بِهِ الْفَوَادُ مِنْ سِقَامِ
الجهالةِ يشتفي ، علامةٌ وقتهِ ، وفريدُ عصرِهِ ؛ الشيخُ حسينُ المَرْصَفِيُّ ، لا
زالَ ملحوظاً مِنَ الْجَلِيلِ بِكَمَالِ الْعَنَاءِ ، محفوظاً بِرِعايَةِ الْكَرِيمِ فِي الْبَدَايَةِ
والنَّهَائَةِ ، غوثاً يَسُخُّ وَيَنْزَلُ ، وَبِحِرَاءِ يَفِيضُ وَيَسْتَرْسِلُ .

والنصْحُ لِمَنْ يَصِلُ هَذَا الْمَجْمُوعُ إِلَيْهِ : أَنْ يَعْضَّ بِنَوَاجِذِهِ عَلَيْهِ ؛ لِيَنَالَ
غَايَةَ مَا يَتَمَنَّاهُ ، وَيَفُوزَ بِتَحْصِيلِ مَا قَدْ حَوَاهُ ، وَيُخْرَجَ مِنْ رِبْقَةِ أَسْرِ الْجَهْلِ ،
وَيَفُوزَ بِدَرَجَةِ أَهْلِ الْفَضْلِ ، وَلِيَتَلَقَّ هَذَا الْجَامِعَ بِحَسَنِ قَبُولِ ، وَيَرْجُو مِنَ
الْكَرِيمِ إِلَى فَهْمِ مَا فِيهِ الْوُصُولُ .

وكانَ تَمَامُ طَبْعِهِ ، وَحَسُنُ تَرْتِيبِهِ وَوَضْعِهِ ؛ بِمَطْبَعَةِ وادي النيلِ البهيةِ ،
بخطِ بابِ الشعريَّةِ مِنْ مَصْرَ الْمُحَمِّيَّةِ ، فِي ظِلِّ وَلِيِّ الْعَهْدِ وَالتَّوْفِيقِ ، أَفندينا
محمدِ باشا توفيقِ ، جَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً عَلَى الْعِبَادِ ، وَغِيثاً مَرِيحاً لِكُلِّ حَاضِرٍ
وَبَادٍ ، وَقَوِّمَ بَعْدَ لِيهِ حَالَ الرِّعِيَّةِ ، وَعَمَّمَ بِفَضْلِهِ سَائِرَ الْبَرِيَّةِ ، مُصَحِّحاً بِمَبَاشَرَةٍ
هَذَا الْعَبْدِ الْفَقِيرِ ، الْكَلِيلِ الْخَاطِرِ الْكَسِيرِ ، أَوَائِلَ شَهْرِ اللهِ رَجَبِ الْأَصَمِّ
الْأَصْبِ ، سَنَةِ (١٢٩٦ هـ) سِتِّ وَتَسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ بَعْدَ الْأَلْفِ ، مِنْ هِجْرَةٍ مَنْ
كَانَ يَرَى مِنْ أَمَامِهِ كَمَا يَرَى مِنَ الْخَلْفِ .

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلِّ مَنْتَمٍ إِلَيْهِ ، مَا انْتَشَرَ مِسْكُ خَتَامِ
وَفَاحِ ، وَنَادَى الْمُؤَدَّنُ : حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، آمِينَ .





(١) أهم المصادر والمراجع

١ - أباطيل وأسمار ، لمحمود شاكر ؛ العلامة شيخ العربية الأديب أبي فهد محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر الجرجاوي المصري (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢ - الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضير الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية في مجمع الملك فهد ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، السعودية .

٣ - الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين ابن الخطيب ؛ الإمام المؤرخ الوزير الأديب الفيلسوف لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني اللوشي الغرناطي (ت ٧٧٦ هـ) ، تحقيق محمد عبد الله عنان (ت ١٤٠٦ هـ) ، ط ٤ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٤ - إحياء علوم الدين ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٥ - الآداب (الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة) ، لابن شمس الخلافة ؛

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها .

الأديب الشاعر الأمير الأيوبي مجد الملك أبي الفضل جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار الأفضلي القوسي المصري (ت ٦٢٢ هـ) ، بعناية العلامة البحثة محمد أمين بن عبد العزيز الخانجي الحلبي (ت ١٣٥٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٦ - أدب الإملاء والاستملاء ، لابن السمعاني ؛ الإمام الحافظ محدث خراسان تاج الإسلام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي الشافعي (ت ٥٦٢ هـ) ، عني به ماكس فايسفايلر ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٧ - أدب الدين والدنيا ، للماوردي ؛ الإمام الفقيه الأصولي المفسر أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٨ - أدب الكاتب ، لابن قتيبة الدينوري ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، ط ٢ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٩ - أدب الكُتَّاب ، للصولي ؛ الإمام الأديب النديم النادرة أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله ابن صول (صول تكين) الصولي البغدادي البصري (ت ٣٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد بهجة الأثري (ت ١٤١٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤١ هـ ، ١٩٢٢ م) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، مصر .

١٠ - إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري ، للقسطلاني ؛ الإمام الحجة المحدث الفقيه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي (ت ٩٢٣ هـ) ، ط ٦ ، (١٣٠٤ هـ ، ١٨٨٦ م) ، طبعة مصورة عن نشرة بولاق لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق عادل مرشد ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار
الأعلام ، عمان ، الأردن .

١٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ؛ الإمام المؤرخ النقاد النابغة
عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلية
الشيبياني الشافعي (ت ٦٣٠ هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد
عاشور والعلامة محمود عبد الوهاب فايد (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٣ هـ ،
١٩٧٣ م) ، دار الشعب ، القاهرة ، مصر .

١٣ - الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ
الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني
الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م) ، طبعة مصورة
لدئ دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٤ - أطراف الغرائب والأفراد ، لابن القيسراني ؛ الإمام الحافظ الجوال الرحال
الصوفي أبي الفضل محمد بن علي بن أحمد بن طاهر ابن القيسراني المقدسي
الظاهري (ت ٥٠٧ هـ) ، تحقيق جابر بن عبد الله السريّ ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ،
٢٠٠٧ م) ، دار التدمرية ، الرياض ، السعودية .

١٥ - إعجاز القرآن ، للباقلاني ؛ الإمام المتكلم الأصولي القاضي أبي بكر
محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري البغدادي المالكي (ت ٤٠٣ هـ) ،
تحقيق العلامة السيد أحمد صقر (ت ١٤١٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ،
دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٦ - الأعلام ، للزركلي ، الأديب الكبير المؤرخ خير الدين بن محمود بن
محمد الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، بدون تحقيق ، دار العلم للملايين ،
بيروت ، لبنان .

١٧ - الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ؛ الإمام الراوية الأديب الكاتب أبي الفرج
علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) ،

تحقيق العلامة إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ)، ط ١، (١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م)،
دار الشعب، القاهرة، مصر.

١٨ - الأمثال السائرة من شعر المتنبي، لابن عباد؛ الوزير الأديب المتكلم
أبي القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد بن العباس الطالقاني الأصفهاني
(ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق العلامة محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧ هـ)،
(١٣٨٥ هـ، ١٩٦٥ م)، مكتبة النهضة، بغداد، العراق.

١٩ - الأمثال، لابن سلام؛ الإمام المحدث الفقيه الأديب أبي عبيد القاسم بن
سلام بن عبد الله الهروي الخراساني (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيق الدكتور عبد المجيد
قطامش، ط ١، (١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.

٢٠ - أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم؛ الإمام المؤرخ الأديب الشريف
علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين ابن معصوم الحسيني الحسن المدني (ت
لعله بعد ١١٠٠ هـ)، تحقيق العلامة شاکر هادي شكر (ت ١٤١٢ هـ)، ط ١،
(١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م)، مطبعة النعمان، النجف، العراق.

٢١ - الأوائل، لأبي هلال العسكري؛ إمام اللغة والأدب الناقد أبي هلال
الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري الأهوازي (ت بعد ٣٩٥ هـ)، تحقيق
محمد المصري والدكتور وليد إبراهيم قصاب، ط ١، (١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م)،
وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سورية.

٢٢ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام؛ إمام العربية واللغة
المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري
الشافعي الحنبلي (ت ٧٦١ هـ)، شرح العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد
(ت ١٣٩٢ هـ)، ط ١، (١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م)، المكتبة العصرية، بيروت،
لبنان.

٢٣ - البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير،
لابن الملقن (ابن النحوي)؛ الإمام الحافظ الفقيه أعجوبة الزمان سراج الدين
أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن الأندلسي المصري الشافعي

(ت ٨٠٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ،
دار الهجرة ، جدة ، السعودية .

٢٤ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ
البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي
الخصيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم
(ت ١٤٠١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م) ، طبعة مصورة لدى المكتبة
العصرية ، بيروت ، لبنان .

٢٥ - البيان والتبيين ، للجاحظ ؛ إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر بن
محبوب الجاحظ الليثي الكناني (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح العلامة عبد السلام
محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٧ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، مكتبة الخانجي ،
القاهرة ، مصر .

٢٦ - تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه
اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد
الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج
(ت ١٤٠٢ هـ) وجماعة من أئمة التحقيق ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، وزارة
الإرشاد والأنباء ، الكويت .

٢٧ - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، للطبري ؛ الإمام المحدث
المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الأملي الطبري (ت ٣١٠ هـ) ،
تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٨٧ هـ ،
١٩٦٧ م) ، طبعة مصورة دون ناشر ، بيروت ، لبنان .

٢٨ - تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة) ، لابن شبة ؛ العلامة المحدث
المؤرخ أبي زيد عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ) ، تحقيق
فهم محمد شلتوت ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، نشر على نفقة السيد حبيب
محمود أحمد رحمه الله ، المدينة المنورة ، السعودية .

٢٩ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز

بنواحيها من وارديها وأهلها ، لابن عساكر ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٣٠ - التذكرة الحمدونية ، لابن حمدون ؛ الإمام الأديب الأخباري بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) وبكر عباس ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٣١ - تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، للبغوي ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجتهد ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق الشيخ خالد عبد الرحمن العك (١٤٢٠ هـ) ومروان سوار ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٣٢ - تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، للزمخشري ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٣٣ - التمثيل والمحاضرة ، للثعالبي ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، مصر .

٣٤ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار البشائر ، دمشق ، سورية .

٣٥ - ثمرات الأوراق ، لابن حجة ؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزرازي (ت ٨٣٧ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٣٦ - جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية .

٣٧ - الجامع لشعب الإيمان ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجدي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

٣٨ - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، لأبي زيد القرشي ؛ الإمام النحوي الراوية أبي زيد محمد بن أبي الخطاب البري القرشي (ت بعد ٣٠٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار القلم ، دمشق ، سورية .

٣٩ - جواهر الأدب في أديبات وإنشاء لغة العرب ، للهاشمي ؛ للأديب المعلم أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري (ت ١٣٦٢ هـ) ، عني به لجنة من الجامعيين ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان .

٤٠ - حاشية الصبان على « شرح الأشموني » على « ألفية ابن مالك » ، للصبان ؛ العلامة الأديب اللغوي أبي العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، نسخة مصورة عن دار إحياء الكتب العربية لدى انتشارات زاهدي ، قم ، إيران .

٤١ - حاشية الصبان على شرح الملوي على السلم المنورق ، للصبان ؛ العلامة الأديب اللغوي أبي العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي

(ت ١٢٠٦ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

٤٢ - حاشية العطار على جمع الجوامع ، للعطار ؛ الإمام الفقيه الأصولي الأديب شيخ الجامع الأزهر حسن بن محمد بن محمود العطار المغربي المصري الشافعي (ت ١٢٥٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٣ هـ ، ١٨٩٣ م) ، نسخة مصورة عن المطبعة العلمية ، القاهرة لدى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٤٣ - حسن التوصل إلى صناعة الترسل ، للشهاب الحلبي ؛ العلامة الأديب المنشئ الشاعر شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٢٥ هـ) ، ط ١ ، (١٢٩٨ هـ ، ١٨٨١ م) ، المطبعة الوهية ، القاهرة ، مصر .

٤٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدى دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر . بيروت ، لبنان .

٤٥ - حياة الحيوان الكبرى ، للدميري ؛ الإمام العلامة الفقيه الأديب كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري القاهري الشافعي (ت ٨٠٨ هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار البشائر ، دمشق ، سورية .

٤٦ - الحيوان ، للجاحظ ؛ إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ الليثي الكناني (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة البابي الحلبي لدى دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

٤٧ - خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ، للعماد الأصفهاني ؛ الإمام المؤرخ الأديب الشاعر عماد الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد

الكاتب الأصفهاني الشافعي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور شكري فيصل (ت ١٤٠٥ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٥ م) ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، سورية .

٤٨ - خزانة الأدب وغاية الأرب ، لابن حجة ؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزرازي (ت ٨٣٧ هـ) ، تحقيق الدكتورة كوكب دياب ، ط ٢ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٤٩ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للإمام الأديب النحوي اللغوي عبد القادر بن عمر بن بايزيد البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٥٠ - الخطط التوفيقية الجديدة لمصر ؛ القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، لعلي مبارك ، المؤرخ النابغة الوزير علي باشا بن مبارك بن سليمان الروجي (ت ١٣١١ هـ) ، أعيد نشره وتحقيقه بإشراف مركز تحقيق التراث بدار الكتب ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر .

٥١ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، للمحبي ؛ الإمام القاضي الأديب المؤرخ محمد أمين بن فضل الله بن محمد المحبي العلواني الحموي الدمشقي الحنفي (ت ١١١١ هـ) ، ط ١ ، (١٢٨٤ هـ ، ١٨٦٤ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الوهبية لدى دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٥٢ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ؛ الإمام المفسر عالم العربية شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن محمد السمين الحلبي القاهري الشافعي (ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار القلم ، دمشق ، سورية .

٥٣ - الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر

العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني
المدني ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٥٤ - الدعاء ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن
أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد
سعيد بن محمد حسن البخاري ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، مكتبة الرشد ،
الرياض ، السعودية .

٥٥ - دلائل الإعجاز ، للجرجاني ؛ إمام اللغة والبلاغة والكلام مجد الإسلام
أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الشافعي (ت ٤٧١ هـ
أو سنة ٤٧٤ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ٤ ،
(١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٥٦ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ
الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي
(ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ،
١٩٨٨ م) ، دار الريان ، القاهرة ، مصر .

٥٧ - ديوان ابن الخياط برواية تلميذه ابن نصر القيسراني (٥٤٨ هـ) ،
لابن الخياط ؛ شاعر الشام الكاتب الأديب أبي عبد الله أحمد بن محمد بن
علي التغلبي الدمشقي (ت ٥١٧ هـ) ، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك
(ت ١٣٧٩ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٥٨ - ديوان ابن الدمينه (صنعة ثعلب وابن حبيب) ، لابن الدمينه ؛ الشاعر
الرقيق الفحل أبي السري عبد الله بن عبيد الله بن عمرو بن مالك ابن الدمينه
الخنثمي (ت نحو ١٣٠ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد راتب النفاخ (ت ١٤١٢ هـ) ،
ط ١ ، (١٣٧٩ هـ ، ١٩٥٩ م) ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، مصر .

٥٩ - ديوان ابن الرومي ، لابن الرومي ؛ الشاعر العباسي الكبير أبي الحسن
علي بن العباس بن جريح ابن الرومي البغدادي (ت ٢٨٣ هـ) ، تحقيق العلامة

الدكتور حسين نصار (ت ١٤٣٩ هـ)، ط ٣، (١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م)، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

٦٠ - ديوان ابن الفارض، لابن الفارض؛ سلطان العاشقين العارف بالله شرف الدين أبي حفص عمر بن علي بن مرشد ابن الفارض السعدي الحموي المصري الشافعي (ت ٦٣٢ هـ)، ط ١، (١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٦١ - ديوان ابن المعتز، لابن المعتز؛ الشاعر الأمير المبدع الغالب بالله أبي العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله محمد بن المتوكل العباسي (ت ٢٩٦ هـ)، تحقيق وشرح مجيد طراد، ط ١، (١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦٢ - ديوان ابن النبيه، لابن النبيه؛ الشاعر المنشئ الرقيق كمال الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن ابن النبيه المصري العباسي (ت ٦١٩ هـ)، عني به عبد الغني أفندي فكري، ط ١، (١٢٨٠ هـ، ١٨٦٠ م)، نسخة مصورة عن نشرة مطبعة عبد الغني أفندي فكري، القاهرة، مصر.

٦٣ - ديوان ابن حيوس، لابن حيوس؛ الشاعر العباسي الأمير مصطفى الدولة أبي الفتیان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الغنوي الدمشقي (ت ٤٧٣ هـ)، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك (ت ١٣٧٩ هـ)، ط ١، (١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٦٤ - ديوان ابن رشيق القيرواني، لابن رشيق القيرواني؛ الإمام الأديب النقاد أبي علي الحسن بن رشيق بن عبد الله القيرواني الأزدي المالكي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق الدكتور صلاح الدين الهوارى وهدي عودة، ط ١، (دون تاريخ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٦٥ - ديوان ابن زيدون ورسائله وأخباره، لابن زيدون؛ الوزير الكاتب الشاعر أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن زيدون المخزومي الأندلسي

(ت ٤٦٣ هـ) ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني (ت ١٤١٩ هـ) ، ط ٣ ،
(١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

٦٦ - ديوان ابن شرف القيرواني ، لابن شرف ؛ الشاعر الأديب أبي عبد الله
محمد بن سعيد (أبي سعيد) بن شرف الجذامي القيرواني (ت ٤٦٠ هـ) ، تحقيق
الدكتور حسن ذكري حسن ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، مكتبة الكليات
الأزهرية ، القاهرة ، مصر .

٦٧ - ديوان ابن نباتة السعدي ، لابن نباتة السعدي ؛ شاعر الوقت المجيد
أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن أحمد ابن نباتة السعدي التميمي البغدادي
(ت ٤٠٥ هـ) ، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، ط ١ ، (١٣٩٧ هـ ،
١٩٧٧ م) ، وزارة الإعلام ، بغداد ، العراق .

٦٨ - ديوان ابن نباتة المصري ، لابن نباتة ؛ الإمام الفقيه الخطيب الأديب
جمال الدين أبي بكر محمد بن محمد بن أحمد ابن نباتة الجذامي الفاروقي
المصري (ت ٧٦٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٢٣ هـ ، ١٩٠٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة
مطبعة التمدن لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٦٩ - ديوان أبي الأسود الدؤلي ، للدؤلي ؛ التابعي الجليل واضح علم النحو
أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني الدؤلي (ت ٢٩٠ هـ) ، برواية
أبي سعيد الحسن السكري (ت ٢٩٠ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
(ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،
لبنان .

٧٠ - ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، لأبي الشيص ؛ الشاعر المطبوع
أبي الشيص محمد بن علي بن عبد الله الخزاعي (ت ١٩٦ هـ) ، صنعة عبد الله
الجبوري ، ط ١ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٧١ - ديوان أبي العتاهية (أبو العتاهية أشعاره وأخباره) ، لأبي العتاهية ؛
رئيس الشعراء المكثّر المولّد أبي إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد
أبي العتاهية العيني العنزّي الكوفي (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور شكري

فيصل (ت ١٤٠٥ هـ)، ط ١، (١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م)، دار الملاح، دمشق، سورية.

٧٢ - ديوان أبي الفتح البستي، للبستي؛ الشاعر الأديب الكاتب أبي الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي (لشكر كاه، أفغانستان) الشافعي (ت ٤٠٠ هـ)، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، ط ١، (١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م)، مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.

٧٣ - ديوان أبي النجم العجلي، للعجلي؛ الشاعر الراجز الأموي أبي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي البكري (ت ١٣٠ هـ)، شرح وتحقيق الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران، ط ١، (١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م)، مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.

٧٤ - ديوان أبي بكر بن دريد الأزدي، لابن دريد؛ إمام اللغة والأدب أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ)، عني به السيد محمد بدر الدين العلوي، ط ١، (١٣٦٥ هـ، ١٩٤٦ م)، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، مصر.

٧٥ - ديوان أبي تمام، لأبي تمام الطائي؛ أمير البيان وإمام اللغة أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الإمامي (ت ٢٣١ هـ)، بشرح إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق محمد عبده عزام، ط ٥، (١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

٧٦ - ديوان أبي فراس الحمداني، لأبي فراس الحمداني؛ الأمير الشاعر الفارس البليغ أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي (ت ٣٥٧ هـ)، عني به عبد القادر محمد مايو، ط ١، (١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م)، دار القلم العربي، حلب، سورية.

٧٧ - ديوان أبي نواس برواية الصولي، لأبي نواس؛ شاعر العراق في عصره أبي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي (ت ١٩٨ هـ)، تحقيق الدكتور

بهجة عبد الغفور الحديثي ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي ، الإمارات .

٧٨ - ديوان الأخطل ، للأخطل ؛ الشاعر أبي مالك غياث بن غوث بن الصلت الأخطل التغلبي الأموي النصراني (ت ٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتورة كارين صادر ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٧٩ - ديوان الأرجاني ، للأرجاني ؛ الإمام القاضي شاعر زمانه ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني التستري الشافعي (ت ٥٤٤ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد قاسم مصطفى (ت ١٤٢٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، العراق .

٨٠ - ديوان الأعشى الكبير ، للأعشى ؛ الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى الكبير (ت ٧ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود إبراهيم محمد الرضواني ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة ، قطر .

٨١ - ديوان البارودي ، للبارودي ؛ الأديب الشاعر الأمير محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي الشركسي المصري (ت ١٣٢٢ هـ) ، تحقيق العلامة علي الجارم (ت ١٣٦٨ هـ) والأديب محمد شفيق معروف ، ط ١ ، (١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

٨٢ - ديوان البحتري ، للبحتري ؛ الشاعر الكبير أحد السلاسل الذهبية أبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي البحتري (ت ٢٨٤ هـ) ، شرح وتحقيق العلامة الدكتور حسن كامل الصيرفي (ت ١٤٠٥ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٨٣ - ديوان البوصيري ، للبوصيري ؛ إمام المادحين وأعجوبة النثر والنظم شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد المغربي الصنهاجي البوصيري (ت ٦٩٦ هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني (ت ١٤١٩ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

٨٤ - ديوان التهامي ، للتهامي ؛ الشاعر الخطيب أبي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي (ت ٤١٦ هـ) ، تحقيق الدكتور علي نجيب عطوي ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان .

٨٥ - ديوان الحطيئة ، للحطيئة ؛ الشاعر المخضرم أبي مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك الحطيئة العبسي (ت ٤٥ هـ) ، برواية وشرح ابن السكيت ؛ أبي يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت الدورقي الأهوازي البغدادي (ت ٢٤٤ هـ) ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٨٦ - ديوان الخنساء ، للخنساء ؛ الصحابية الشاعرة المخضرمة الخنساء أم عمرو تماضر بنت عمرو بن الحارث النجدية رضي الله عنها (ت ٢٤ هـ) ، بشرح إمام الكوفيين المحدث أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد ثعلب الشيباني البغدادي (٢٩١ هـ) ، تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار عمار ، عمان ، الأردن .

٨٧ - ديوان الراعي النميري ، للراعي ؛ الشاعر الفحل الوجيه عبيد بن حصين بن جندل الراعي النميري القيسي (ت ٩٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُرَيْفي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٨٨ - ديوان السري الرفاء ، للسري الرفاء ؛ الشاعر الأديب الوراق أبي الحسن السري بن أحمد بن السري الرفاء الكندي الموصلي (ت ٣٦٦ هـ) ، عني به الأديب كرم البستاني (ت ١٣٨٦ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٨٩ - ديوان السموءل ، للسموءل ؛ الشاعر الجاهلي الحكيم السموءل بن عريض بن عادياء اليهودي (ت ٦٤ ق هـ) ، صنعة إمام النحو الفقيه المحدث أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه العتكي الأزدي الواسطي (ت ٣٢٣ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م) ، مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق .

٩٠ - ديوان الشاب الظريف ، للتلمساني ؛ الشاعر المترق المجيد الشاب
الظريف شمس الدين محمد بن سليمان بن علي التلمساني الدمشقي (ت ٦٨٨ هـ) ،
تحقيق العلامة شاكر هادي شكر (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ،
عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

٩١ - ديوان الشريف الرضي ، للشريف الرضي ؛ الإمام الفقيه شاعر الطالبين
ونقيهم أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الرضي العلوي الموسوي الحسيني
البغدادي (ت ٤٠٦ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ،
ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٩٢ - ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، للشماخ ؛ الشاعر المخضرم الصحابي
أبي سعيد الشماخ (معقل) بن ضرار بن حرملة المازني الذبياني الغطفاني
رضي الله عنه (ت ٢٢ هـ) ، شرح وتحقيق صلاح الدين الهادي ، ط ١ ، (١٣٩٧ هـ ،
١٩٧٧ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٩٣ - ديوان الصبابة ، لابن أبي حجلة ؛ الإمام الفقيه الكاتب الزاهد شهاب الدين
أبي العباس أحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التلمساني الحنفي (ت ٧٧٦ هـ) ،
تحقيق العلامة الدكتور محمد زغلول سلام (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ،
١٩٨٧ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٩٤ - ديوان الطغرائي ، للطغرائي ؛ الوزير الكاتب العميد المنشئ الكيميائي
مؤيد الدين أبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد الطغرائي الدؤلي الأصبهاني
(ت ٥١٥ هـ) ، تحقيق الأديب الدكتور علي جواد الطاهر (ت ١٤١٧ هـ) والدكتور
يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م) ، وزارة الإعلام ، بغداد ، العراق .

٩٥ - ديوان العباس بن الأحنف ، لابن الأحنف ؛ الشاعر العذري أبي الفضل
العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي النجدي البصري (ت حوالي
١٩٤ هـ) ، تحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجي (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٣ هـ ،
١٩٥٤ م) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

٩٦ - ديوان العباس بن مرداس رضي الله عنه ، لابن مرداس ؛ الصحابي الشاعر

الفارس أبي الهيثم العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي المضري ابن الصحابية الشاعرة الخنساء رضي الله عنهما (ت نحو ١٨ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٩٧ - ديوان العرجي ، للعرجي ؛ شاعر الغزل الكبير عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الأموي (ت ١٢٠ هـ) ، رواية أعجوبة الزمان وإمام العربية والنحو ابن جني أبي الفتح عثمان الأزدي الموصلي الحنفي (ت ٣٨٢ هـ) ، شرح وتحقيق الأديب خضر بن عباس الطائي (ت ١٤٠٠ هـ) والأديب الدكتور رشيد بن عبد الرحمن العبيدي (ت ١٤٢٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٦ م) ، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر ، بغداد ، العراق .

٩٨ - ديوان الفرزدق ، للفرزدق ؛ الشاعر النبيل الأموي أبي فراس همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق الدارمي التميمي (ت ١١٠ هـ) ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان .

٩٩ - ديوان القاضي الفاضل ، للقاضي الفاضل ؛ إمام الكُتَّاب الوزير البليغ محيي الدين أبي علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني العسقلاني المصري القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) ، تحقيق الدكتور العلامة أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م) ، دار المعرفة ، القاهرة ، مصر .

١٠٠ - ديوان القطامي ، للقطامي ؛ الشاعر الفحل الرقيق أبي سعيد وأبي غنم عمير بن شبيب بن عمرو التغلبي الأموي (ت ١٠١ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الربيعي ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر .

١٠١ - ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، للكميت ؛ الشاعر الراوية المقدم أبي المستهل الكميت بن زيد الأسدي الكوفي الاثني عشري (ت ١٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُرَيْفي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٠٢ - ديوان المتلمس الضبعي ، للمتلمس الضبعي ؛ الشاعر الجاهلي جرير بن عبد العزى (عبد المسيح) الضبعي (ت نحو ٥٠ ق هـ) ، رواية أبي الحسن الأثرم (ت ٢٣٢ هـ) وأبي عبيدة عن الأصمعي (ت نحو ٢٠٩ هـ) ؛ تحقيق العلامة الدكتور حسن كامل الصيرفي (ت ١٤٠٥ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، مصر .

١٠٣ - ديوان المتنبي ، للمتنبى ؛ الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الأدب أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبي الجعفي الكندي الكوفي (ت ٣٥٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٤٢ هـ ، ١٩٢٣ م) ، مطبعة هندية ، القاهرة ، مصر .

١٠٤ - ديوان المرقشين ، للمرقش الأكبر والمرقش الأصغر ؛ الشاعر الفارس المرقش الأكبر عمرو بن سعد بن مالك البكري الوائلي اليماني النجدي (ت ٥٧ ق هـ) ، والشاعر الفارس المرقش الأصغر عمرو بن حرملة بن سعد البكري الوائلي النجدي (ت ٥٠ ق هـ) ، تحقيق الدكتورة كارين صادر ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٠٥ - ديوان النابغة الجعدي ، للنابغة ؛ الشاعر المفلق الصحابي قيس بن عبد الله بن عدس الجعدي رضي الله عنه (ت نحو ٥٠ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور واضح الصمد ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٠٦ - ديوان النابغة الذبياني ، للنابغة ؛ الشاعر الجاهلي زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني (ت نحو ١٨ ق هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٠٧ - ديوان النمر بن تولب العكلي رضي الله عنه ، للعكلي ؛ الصحابي الشاعر المخضرم أبو ربيعة النمر بن تولب بن زهير العكلي (ت نحو ١٤ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٠٨ - ديوان الهذليين ، لابن التلاميذ ؛ العلامة المحدث اللغوي الأديب محمد محمود ولد أحمد ابن التلاميذ التركي العشمي الشنقيطي المدني المكي

(ت ١٣٢٢ هـ) ، عني به الأديب أحمد الزين (ت ١٣٦٦ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار الكتب والوثائق المصرية ، القاهرة ، مصر .

١٠٩ - ديوان امرئ القيس ، لامرئ القيس ؛ شاعر المجون واللهو الملك الضليل امرئ القيس أبي الحارث حندج بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٨٠ ق هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٥ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١١٠ - ديوان أمية بن أبي الصلت ، لابن أبي الصلت ؛ الشاعر الجاهلي الحكيم أبي الحكم أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي (ت ٥ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، ط ٣ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، نشره محققه ، دمشق ، سورية .

١١١ - ديوان أوس بن حجر ، لأوس ؛ شاعر مضر الجاهلي الحكيم أبي شريح أوس بن حجر بن مالك المازني التميمي (ت نحو ٢ ق هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد يوسف نجم (ت ١٤٣٠ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١١٢ - ديوان بشار بن برد ، لبشار بن برد ؛ الشاعر المولد الخطيب أبي معاذ بشار بن برد بن بهمن الفارسي العقيلي البصري (ت ١٦٧ هـ) ، تحقيق وشرح العلامة محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ، وتعليق محمد رفعت فتح الله والعلامة محمد شوقي أمين (ت ١٤١١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة لجنة التأليف والترجمة والنشر لدى وزارة الثقافة ، الجزائر .

١١٣ - ديوان بهاء الدين ، للعاملي ؛ الإمام الفقيه الفيلسوف الأديب الملا بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني الجبعي (ت ١٠٣١ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد ألتونجي ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ، دمشق ، سورية .

١١٤ - ديوان تأبط شرأ وأخباره ، لتأبط شرأ ؛ الشاعر الصعلوك ثابت بن فؤاد بن حامد بن جابر تأبط شرأ التهامي الكناني (ت نحو ٥٣٠ م) ، شرح وتحقيق علي

ذو الفقار شاکر ، ط ٢ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١١٥ - ديوان جميل (شاعر الحب العذري) ، لجميل بثينة ؛ الشاعر المطبوع الراوية العاشق أبي عمرو جميل بن عبد الله بن معمر (جميل بثينة) العذري القضاعي (ت ٨٢ هـ) ، جمع وتحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر .

١١٦ - ديوان حسان بن ثابت ، لحسان رضي الله عنه ؛ الصحابي الجليل وشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بن المنذر النجاري الخزرجي (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، ط ١ ، (١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١١٧ - ديوان دريد بن الصمة ، لابن الصمة ؛ الشاعر الجاهلي الفارس دريد بن الصمة (معاوية الأصغر) بن الحارث الجشمي (ت ٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١١٨ - ديوان ديك الجن الحمصي ، لديك الجن ؛ الشاعر عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي الحمصي (ت ٢٣٦ هـ) ، تحقيق مظهر الحجري ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية .

١١٩ - ديوان ذي الرمة ، لذي الرمة ؛ الشاعر الفحل الأموي أبي الحارث ذي الرمة غيلان بن عقبة بن بهيش العدوي (ت ١١٧ هـ) ، بشرح الإمام الأديب أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي (ت ٢٣١ هـ) تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، ط ٤ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار الرشيد ، دمشق ، سورية .

١٢٠ - ديوان سحيم ، لسحيم ؛ الشاعر المخضرم سحيم (حية) عبد بني الحسحاس الحبشي أو النوبي الحجازي (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٣٩٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

١٢١ - ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري ، لسويد ؛ الشاعر المخضرم
المقل أبي سعد سويد بن أبي كاهل غطيف بن حارثة الذبياني الكناني اليشكري
(ت بعد ٦٤ هـ) ، جمع وتحقيق الأديب شاكر عاشور كاظم العاشور ، ط ١ ،
(١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م) ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ، العراق .

١٢٢ - ديوان صفى الدين الحلبي ، للحلي ؛ الشاعر الأديب المجيد صفى
الدين عبد العزيز بن سرايا بن نصر الحلبي الطائي السنبيسي (ت ٧٥٢ هـ) ، ط ١ ،
(١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، طبعة مصورة لدى الدار العربية للموسوعات ، بيروت ،
لبنان .

١٢٣ - ديوان عبد الصمد بن المعذل ، لابن المعذل ؛ الشاعر العباسي
أبي القاسم عبد الصمد بن معذل بن غيلان بن حكم البختري العبدي
(ت نحو ٢٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ،
١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٢٤ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، لابن قيس الرقيات ؛ شاعر قریش
الأموي عبيد الله بن قيس بن شريح الرقيات (ت نحو ٧٥ هـ) ، رواية الحسن السكري
عن ابن حبيب ، تحقيق العلامة الدكتور محمد يوسف نجم (ت ١٤٣٠ هـ) ،
ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٢٥ - ديوان عدي بن الرقاع العاملي برواية ثعلب ، لابن الرقاع ؛ الشاعر
الأموي أبي داود عدي بن زيد بن مالك ابن الرقاع العاملي القضاعي الدمشقي
(ت نحو ٩٥ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور نوري حمودي القيسي (ت ١٤١٥ هـ) ،
والعلامة الدكتور حاتم صالح الضامن (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ،
١٩٨٧ م) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق .

١٢٦ - ديوان عدي بن زيد ، للعبادي ؛ الشاعر الجاهلي الداهية الفارس
عدي بن زيد بن حماد العبدي التميمي (ت نحو ٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور
محمد جبار المعبيد (ت ١٤٢٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، وزارة الثقافة
والإرشاد ، بغداد ، العراق .

١٢٧ - ديوان عفيف الدين التلمساني ، لعفيف التلمساني ؛ الشاعر الصوفي عفيف الدين أبي الربيع سليمان بن علي بن عبد الله الكومي العابدي التلمساني (ت ٦٩٠ هـ) ، تحقيق الدكتور يوسف زيدان ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر .

١٢٨ - ديوان علقمة بن عبدة ، لعلقمة الفحل ؛ الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة التميمي (ت نحو ٢٠ ق هـ) ، قدم له سعيد نسيب مكارم ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٢٩ - ديوان علي بن الجهم ، لابن الجهم ؛ الشاعر العباسي الأديب أبي الحسن علي بن الجهم بن بدر السامي البغدادي الحنبلي (ت ٢٤٩ هـ) ، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك (ت ١٣٧٩ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٣٠ - ديوان عمر بن أبي ربيعة ، لابن أبي ربيعة ؛ الشاعر الرقيق أبي الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة المخزومي (ت ٩٣ هـ) ، عني به الدكتور فايز محمد ، ط ٣ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٣١ - ديوان عمرو بن كلثوم ، لابن كلثوم ؛ الشاعر الجاهلي المعمر المجيد أبي الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي (ت ٣٩ ق هـ) ، تحقيق الدكتور علي أبو زيد ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار سعد الدين ، دمشق ، سورية .

١٣٢ - ديوان عنتره ، لعنتره العبسي ؛ الشاعر الجاهلي والفراس العربي أبي المغلس وأبي عبلة عنتره بن شداد بن عمرو العبسي (ت نحو ٣٢ ق هـ) ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١٣٣ - ديوان قيس بن الخطيم ، لابن الخطيم ؛ الشاعر الجاهلي الفران الصنديد أبي يزيد قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي (ت نحو ٢ ق هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور ناصر الدين الأسد (ت ١٤٣٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٣٤ - ديوان كثير عزة ، لكثير عزة ؛ الشاعر الأموي المتيم المشهور كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني (ت ١٠٥ هـ) ، جمع وشرح العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

١٣٥ - ديوان كشاجم ؛ للشاعر الأديب المنشئ أبي الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي كشاجم (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

١٣٦ - ديوان ليلى الأخيلى ، لليلى الأخيلى ؛ الشاعرة الأموية المجيدة ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد الأخيلى (ت نحو ٨٠ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية (ت ١٤١٩ هـ) والدكتور جليل إبراهيم العطية ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٧ م) ، دار الجمهورية ، بغداد ، العراق .

١٣٧ - ديوان مجنون ليلى ، لمجنون ليلى ؛ شاعر الغزل قيس بن الملوح بن مزاحم العامري (ت ٦٨ هـ) ، جمع وتحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر .

١٣٨ - ديوان محمد بن هانى الأندلسي ، لابن هانى ؛ الشاعر الكبير أبي القاسم محمد بن هانى المغربي الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد اليعلاوي (ت ١٤٣٦ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١٣٩ - ديوان محمود الوراق ، للوراق ؛ الشاعر الواعظ المجيد أبي الحسن محمود بن الحسن الوراق العباسي (ت نحو ٢٢٥ هـ) ، تحقيق الدكتور وليد قصاب ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مؤسسة الفنون ، عجمان ، الإمارات .

١٤٠ - ديوان مهلهل بن ربيعة ، للزير سالم ؛ الشاعر الجاهلي الفارس المهلهل الزير سالم أبي ليلى عدي بن ربيعة بن مرة التغلبي (ت نحو ١٠٠ ق . هـ) ، قدم له طلال حرب ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٤١ - ديوان مهيار الديلمي ، لمهيار ؛ الشاعر الكبير المبتكر أبي الحسن مهيار بن مزرويه الفارسي الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) ، ضبط وشرح أحمد نسيم ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

١٤٢ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام ؛ الإمام الأديب المؤرخ أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني التغلبي الإشبيلي (ت حوالي ٥٤٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١٤٣ - ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، للزمخشري ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي (ت ١٤٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، طبعة مصورة لدى دار الذخائر ، قم ، إيران .

١٤٤ - الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) ، للمباركفوري ؛ الشيخ الداعية صفي الرحمن بن عبد الله بن محمد أكبر المباركفوري الأعظمي الهندي (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

١٤٥ - الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام ، للسهيلى ؛ الإمام الحافظ المبدع أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلى الأندلسي (ت ٥٨١ هـ) ، بعناية عمر عبد السلام السلامي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٤٦ - الزهد ، لهناد الدارمي ؛ الإمام الحافظ الثقة الزاهد أبي السري هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي الكوفي (ت ٢٤٣ هـ) ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

١٤٧ - زهر الأكم في الأمثال والحكم ، لليوسي ؛ الإمام الفقيه الأديب النظار نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (اليوسفي) المالكي

(ت ١١٠٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد حجي (ت ١٤٢٣ هـ) والدكتور محمد الأخضر ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب .

١٤٨ - الزهرة ، لابن داوود ؛ الأديب المناظر الفقيه الشاعر أبي بكر محمد بن داوود بن علي الأصبهاني الظاهري (ت ٢٩٧ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إبراهيم السامرائي (ت ١٤٢٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م) ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن .

١٤٩ - سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، للبكري ؛ الإمام المؤرخ الجغرافي الموسوعي الوزير أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأونبي الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٣٩٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، مصر .

١٥٠ - سنن ابن ماجه ، لابن ماجه ؛ الإمام الحافظ الثبت المفسر أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربيعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، طبعة خاصة عن نشرة جمعية المكنز الإسلامي لدى دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

١٥١ - سنن أبي داوود ، المسمى : « كتاب السنن » ، لأبي داوود ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

١٥٢ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، للترمذي ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاکر (ت ١٣٧٧ هـ) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي

(ت ١٣٨٨ هـ) والشيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٥٣ - السنن الكبرى ، للنسائي ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٥٤ - السنن الكبير ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجدي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر .

١٥٥ - سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، للذهبي ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٥٦ - السيرة النبوية ، لابن هشام ؛ الإمام المؤرخ راوي السيرة جمال الدين أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري الشافعي (ت ٢١٨ هـ) ، تحقيق العلامة مصطفى السقا (ت ١٣٨٩ هـ) والعلامة إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) وعبد الحفيظ شلبي ، ط ٢ ، (١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مصطفى البابي الحلبي لدى دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

١٥٧ - شذا العرف في فن الصرف ، للحملوي ؛ العلامة اللغوي الرائد أحمد بن محمد بن أحمد الحملوي البليسي الحسيني الشافعي (ت ١٣٥١ هـ) ، تحقيق الشيخ علاء الدين عطية ، ط ٤ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة دار البيروتي ، دمشق ، سورية .

١٥٨ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لابن عقيل ؛ إمام النحاة والبيان

الفقيه بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عقيل الهاشمي البالسي الحلبي الشافعي (ت ٧٦٩ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق ، القاهرة ، مصر .

١٥٩ - شرح أشعار الهذليين : أبو خراش ، للسكري ؛ العلامة الأديب الراوية أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار العروبة لدى مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .

١٦٠ - شرح أشعار الهذليين : شعر أبي ذؤيب الهذلي ، للسكري ؛ العلامة الأديب الراوية أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار العروبة لدى مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .

١٦١ - شرح الأشموني على « ألفية ابن مالك » ، للأشموني ؛ الإمام الفقيه النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني الشافعي (ت بعد ٩٠٠ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، نسخة مصورة عن دار إحياء الكتب العربية لدى انتشارات زاهدي ، قم ، إيران .

١٦٢ - شرح التصريح على التوضيح ، لخالد الأزهري ؛ الإمام النحوي زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر الوقاد الجرجاوي الأزهري الشافعي (ت ٩٠٥ هـ) ، ط ٢٨ ، (١٣٠٥ هـ ، ١٨٨٥ م) ، طبعة مصورة عن النشرة المصرية لدى دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

١٦٣ - شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، للزرقاني ؛ الإمام المحدث الحجة الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (ت ١١١٢ هـ) ، عني به محمد عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٦٤ - شرح المعلقات العشر ، للخطيب التبريزي ؛ إمام اللغة والأدب
أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ،
تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط ٢ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار الفكر ،
دمشق ، سورية .

١٦٥ - شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ، للقرافي ؛
الإمام الأصولي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن
الصنهاجي القرافي البهنسي المالكي (ت ٦٨٤ هـ) ، تحقيق طه عبد الرؤوف
سعد ، ط ١ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر .

١٦٦ - شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) ، للمعري ؛ الشاعر
الفيلسوف الحكيم أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي
المعري (ت ٤٤٩ هـ) ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد المجيد دياب ، ط ٢ ،
(١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٦٧ - شرح ديوان الحماسة ، للخطيب التبريزي ؛ إمام اللغة والأدب أبي زكريا
يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق
العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٨ هـ ،
١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة حجازي لدى عالم الكتب ، القاهرة ،
مصر .

١٦٨ - شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ؛ الإمام العلامة النحوي الأديب
أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ، تحقيق الأديب
أحمد أمين (ت ١٣٧٣ هـ) والعلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ،
ط ١ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

١٦٩ - شرح ديوان جرير ، لابن حبيب ؛ الإمام الأديب النسابة الأخباري
أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) ، تحقيق
الدكتور نعمان محمد أمين طه ، ط ٤ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار المعارف ،
القاهرة ، مصر .

١٧٠ - شرح ديوان صريع الغواني ، لمسلم بن الوليد ؛ الشاعر المداح المفوه صريع الغواني أبي الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري البغدادي (ت ٢٠٨ هـ) ، برواية وشرح العلامة الأديب المؤدب أبي العباس الوليد بن عيسى بن الحارث الطبيخي الأموي الأندلسي (ت ٣٥٢ هـ) ، تحقيق الأديب الدكتور محمد سامي الدهان (ت ١٣٩١ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٧١ - شرح ديوان طرفة بن العبد ، للأعلم الشنتمري ؛ الإمام عالم العربية واللغة أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري الأندلسي (ت ٤٧٦ هـ) ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، ط ١ ، (١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية .

١٧٢ - شرح ديوان كعب بن زهير ، للسكري ؛ العلامة الأديب الراوية النحوي اللغوي أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن العتكي السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق عباس عبد القادر ، ط ٤ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر .

١٧٣ - شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، للبيد رضي الله عنه ؛ الشاعر الفارس الصحابي لبيد بن ربيعة بن مالك العامري رضي الله عنه (ت ٤١ هـ) ، تحقيق وشرح العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٢ م) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .

١٧٤ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لابن هشام ؛ إمام العربية واللغة المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري الشافعي الحنبلي (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (١٣٩٢ هـ) ، وسمى تحقيقه : « منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب » ، ط ٨ ، (١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر .

١٧٥ - شرح شعر زهير بن أبي سلمى ، لثعلب ؛ إمام الكوفيين المحدث أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد ثعلب الشيباني البغدادي (ت ٢٩١ هـ) ،

تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان .

١٧٦ - شرح مقصورة ابن دريد ، لابن خالويه ؛ فريد دهره الإمام الفذ النحوي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني البغدادي الحلبي الشافعي (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق محمود جاسم محمد ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٧٧ - شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ؛ الإمام الأديب المؤرخ عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد المدائني البغدادي المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، طبعة مصورة لدى دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

١٧٨ - شروح سقط الزند « ضوء السقط - شرح التبريزي - شرح ابن السيد البطليوسي » ، للمعري ؛ الشاعر الفيلسوف الحكيم أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي (ت ٤٤٩ هـ) ، بشرح : إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، وعلامة اللغة والأدب عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) ، والعلامة الفقيه القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي المعروف بـ صدر الأفاضل (ت ٦١٧ هـ) ، تحقيق العلامة مصطفى السقا (ت ١٣٨٩ هـ) وعبد الرحيم محمود والعلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد ، ط ١ ، (١٣٦٤ هـ ، ١٩٤٥ م) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر .

١٧٩ - شعر ابن طباطبا العلوي ، لابن طباطبا ؛ الشاعر المفلق الناقد الأديب أبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد ابن طباطبا الهاشمي القرشي الأصفهاني الحسني (ت ٣٢٢ هـ) ، جمع وتحقيق ودراسة الأديب الدكتور محمد سلمان (محمد علي علوان محمد سلمان) ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر .

١٨٠ - شعر ابن ميادة ، لابن ميادة ؛ الشاعر الرقيق الهجاء أبي شراحيل (أبي حرملة) الرماح بن أبرد بن ثويان (ابن ميادة) السلمي المري (ت ١٤٩ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور حنا جميل حداد (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية .

١٨١ - شعر أبي حية النميري ، لأبي حية ؛ الشاعر المجيد المخضرم (الأموي العباسي) أبي حية الهيثم بن الربيع بن زرارة النميري القيسي (ت بعد ١٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، سورية .

١٨٢ - شعر الأحوص الأنصاري ، للأحوص ؛ الشاعر الهجاء عبد الله بن محمد بن عبد الله الأحوص الضبيعي الأنصاري (ت ١٠٥ هـ) ، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ، ط ٢ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

١٨٣ - شعر البعيث المجاشعي ، للمجاشعي ؛ الشاعر الخطيب المجيد البعيث أبي مالك (أبي يزيد) خداش بن بشر بن خالد المجاشعي التميمي البصري (ت ١٣٤ هـ) ، تحقيق الدكتور عدنان محمد أحمد ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠١٠ م) ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، سورية .

١٨٤ - شعر الشنفرى الأزدي (ت ٧٠ ق . هـ) ، للسدوسي ؛ الإمام اللغوي النسابة الشاعر أبي الفيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي البصري (ت ١٩٥ هـ) ، تحقيق الأستاذ الدكتور علي ناصر غالب ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار اليمامة ، الرياض ، السعودية .

١٨٥ - شعر العكوك ، للعكوك ؛ شاعر العراق المجيد أبي الحسن علي بن جبلة بن مسلم العكوك الخراساني (ت ٢١٣ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد عطوان ، ط ٣ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٨٦ - شعر دعبل بن علي الخزاعي ، لدعبل ؛ الشاعر المتكلم الهجاء الراوية أبي علي دعبل (حسن) بن علي بن رزين الخزاعي الكوفي البغدادي

(ت ٢٤٦ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الكريم الأشتر (ت ١٤٣٢ هـ) ، ط ٢ ،
(١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية .

١٨٧ - شعر زياد الأعجم ، للأعجم ؛ الشاعر المجيد الجزل أبي أمامة زياد بن
سليم (سليمان) الأعجم العبدي الأصفهاني الخراساني (ت بعد ١٢٥ هـ) ،
تحقيق الدكتور يوسف حسين بكار ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، وزارة الثقافة
والإرشاد ، دمشق ، سورية .

١٨٨ - شعر عروة بن أذينة ، لابن أذينة ؛ الشاعر الفقيه المحدث الناسك
أبي عامر عروة بن أذينة يحيى بن مالك الليثي المدني الكناني (ت حوالي
١٣٠ هـ) ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، مكتبة
الأندلس ، بغداد ، العراق .

١٨٩ - شعر عمرو بن معديكرب ، لعمرو بن معديكرب رضي الله عنه ؛ فارس
اليمن الشاعر أبي ثور عمرو بن معديكرب (وجه الفلاح) بن عبد الله الزبيدي
اليمني (ت ٢١ هـ) ، جمع وتنسيق العلامة مطاع الطرابيشي ، ط ٣ ، (١٤١٤ هـ ،
١٩٩٤ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

١٩٠ - شعر مروان بن أبي حفصة ، لابن أبي حفصة ؛ الشاعر المخضرم
ورأس الشعر ذو الكمر أبي السمط (أبي الهيثام) مروان بن سليمان بن يحيى بن
أبي حفصة يزيد بن عبد الله الأموي (ت بعد ١٨٢ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور
حسين أحمد عطوان ، ط ٣ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ،
مصر .

١٩١ - شعر نصيب بن رباح ، لأبي المحجن نصيب ؛ الشاعر الفحل
أبي المحجن (الحجناء) نصيب بن رباح الأسود النوبي الكناني الأموي
(ت ١٠٨ هـ) ، جمع وتقديم الأستاذ الدكتور داوود سلوم (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ١ ،
(١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م) ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، العراق .

١٩٢ - شعراء عباسيون منسيون ، للدكتور إبراهيم النجار ؛ ط ١ ، (١٤١٨ هـ ،
١٩٩٧ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١٩٣ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، للقاضي عياض ؛
الإمام الحافظ الأوحى القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
الأندلسي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك (ت ١٤٣٦ هـ) ،
ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة الغزالي ودار الفيحاء ، دمشق ، سورية .

١٩٤ - شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، للترمذي ؛ الإمام الحافظ العلم
الفقيه أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ،
تحقيق محمد وائل الحنبلي ، ط ٢ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار البيروت ،
دمشق ، سورية .

١٩٥ - الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول للعلوم الأدبية
بدار العلوم ، لعبد الجواد ؛ الأستاذ الأديب اللغوي محمد عبد الجواد ، ط ١ ،
(١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٩٦ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ؛ الأديب المؤرخ البحاثة
شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري
الشافعي (ت ٨٢١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م) ، طبعة مصورة لدى
المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، مصر .

١٩٧ - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، للجوهري ؛ أعجوبة الزمان
وأحد أئمة اللسان واللغة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي
(ت ٣٩٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،
لبنان .

١٩٨ - صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) « الطبعة السلطانية اليونانية » ، للبخاري ؛
إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر
الناصر ، ط ٣ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ،
السعودية . بيروت ، لبنان .

١٩٩ - صحيح مسلم (الجامع الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، لمسلم ؛ حافظ الدنيا الموجود الحجة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية . بيروت ، لبنان .

٢٠٠ - الصمت وآداب اللسان ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٠١ - الصناعتين الكتابة والشعر ، للعسكري ؛ إمام اللغة والأدب الناقد أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري الأهوازي (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق العلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) والعلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .

٢٠٢ - طبقات الشافعية الكبرى ، للتاج السبكي ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ هـ) والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

٢٠٣ - الطبقات الكبير ، لابن سعد ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي الزهري البصري (ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢٠٤ - الطبقات الكبير ، لابن سعد ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي عبد الله

محمد بن سعد بن منيع الهاشمي الزهري البصري (ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢٠٥ - طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ؛ الإمام النحوي المؤرخ الأديب أبي عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي البصري (ت ٢٣١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق لدى دار المدني ، جدة ، السعودية .

٢٠٦ - الطرائف الأدبية ، ويضم قصائد من «ديوان الأفوه الأودي» و«ديوان الشنفرى» و«ديوان إبراهيم الصولي» ، للجرجاني ؛ إمام اللغة والبلاغة والكلام مجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الشافعي (ت ٤٧١ هـ أو سنة ٤٧٤ هـ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٣٩٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٧ م) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر .

٢٠٧ - عروس الأفراح في شرح «تلخيص المفتاح» ، بهاء الدين السبكي ؛ الإمام الفقيه المحدث بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٠٨ - العقد الفريد ، لابن عبد ربه ؛ الإمام الأديب شاعر الأندلس شهاب الدين أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأموي القرطبي (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق الأديب أحمد أمين (ت ١٣٧٣ هـ) والأديب أحمد الزين (ت ١٣٦٦ هـ) والعلامة إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر .

٢٠٩ - العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لابن رشيق ؛ الإمام الأديب النقاد أبي علي الحسن بن رشيق بن عبد الله القيرواني الأزدي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ،

تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢١٠ - عمل اليوم والليلة ، لابن السني ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني الدينوري (ت ٣٦٤ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

٢١١ - عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق ثلة من أهل العلم ، ط ١ ، (١٣٤٣ هـ ، ١٩٣٠ م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

٢١٢ - العيون الغامزة على خبايا الرامزة ، للدماميني ؛ الإمام الفقيه الأديب النحوي بدر الدين أبي بكر محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني الإسكندري المالكي (ت ٨٢٧ هـ) ، تحقيق الحساني حسن عبد الله ، ط ٢ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢١٣ - الفردوس بمأثور الخطاب ، للديلمى ؛ الإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا الديلمي الهمداني (ت ٥٠٩ هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢١٤ - الفلاكة والمفلكون ، للدلجي ؛ الإمام الفيلسوف الاقتصادي شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله الدلجي الصعيدي المصري (ت ٨٣٨ هـ) ، بعناية خليل صادق ، ط ١ ، (١٣٢٢ هـ ، ١٩٠٤ م) ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، مصر .

٢١٥ - فوات الوفيات والذيل عليها ، للكتبي ؛ الإمام المؤرخ الأديب صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي الداراني الدمشقي (ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٢١٦ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ؛ الإمام الحجة الفقيه الثبت زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري الشافعي (ت ١٠٣١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة عن المكتبة التجارية الكبرى لدى دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢١٧ - القاموس المحيط ، للفيروزابادي ؛ الإمام الكبير بحر اللغة وشيخ الإسلام مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي الشيرازي الشافعي (ت ٨١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٢١٨ - القسطاس المستقيم في علم العروض ، للزمخشري ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٩ هـ ، ١٩٧٠ م) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، العراق .

٢١٩ - قهوة الإنشاء ، لابن حجة ؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزاري (ت ٨٣٧ هـ) ، تحقيق رودولف فيسيلي ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت ، لبنان .

٢٢٠ - قواعد الإملاء (المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية) ، للهوريني ؛ العلامة المحقق اللغوي الأديب أبي الوفاء نصر بن نصر الهوريني الوفائي الأزهري الشافعي رئيس التصحيح بالمطبعة الأميرية (ت ١٢٩١ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب محمود الكحلة ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٢٢١ - الكامل ، للمبرد ؛ إمام النحاة والعربية أبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد البصري البغدادي (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، ط ٣ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٢٢٢ - الكتاب ، لسيويه ؛ إمام اللغة ورئيس النحاة أبي بشر عمرو بن

عثمان بن قنبر (سيبويه) الفارسي الحارثي (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ)، ط ٣، (١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

٢٢٣ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني؛ محدث الشام العلامة المفسر أبي الفداء إسماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي الشافعي (ت ١١٦٢ هـ)، ط ٣، (١٣٥١ هـ، ١٩٣٢ م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٢٤ - لباب الآداب، لابن منقذ؛ الأمير الشجاع الأديب المؤرخ مجد الدين مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي ابن منقذ الكناني الشيزري (ت ٥٨٤ هـ)، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ)، ط ١، (١٣٥٤ هـ، ١٩٣٥ م)، المطبعة الرحمانية، القاهرة، مصر.

٢٢٥ - اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير؛ الإمام المؤرخ النقاد النابغة عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلبي الشيباني الشافعي (ت ٦٣٠ هـ)، ط ٣، (١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٢٦ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير؛ الإمام الأديب النابغة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلبي الشيباني الشافعي (ت ٦٣٧ هـ)، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ)، ط ١، (١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

٢٢٧ - مجمع الأمثال، للميداني؛ الإمام الأديب اللغوي الكاتب أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)، تحقيق الدكتور جان عبد الله توما، ط ١، (١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٢٨ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصبهاني؛

الإمام اللغوي الحكيم أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق الدكتور رياض عبد الحميد مراد، ط ٢، (١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٢٩ - المحاضرات في الأدب واللغة، لليوسي؛ الإمام الفقيه الأديب النظارة نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (اليوسفي) المالكي (ت ١١٠٢ هـ)، تحقيق وشرح العلامة الدكتور محمد حجي (ت ١٤٢٣ هـ) والعلامة الأديب أحمد الشرقاوي إقبال (ت ١٤٢١ هـ)، ط ٢، (١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٣٠ - المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، للسري الرفاء؛ الشاعر الأديب الوراق أبي الحسن السري بن أحمد بن السري الرفاء الكندي الموصلية (ت ٣٦٦ هـ)، تحقيق مصباح غلاونجي، ط ١، (دون تاريخ)، مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.

٢٣١ - محك النظر، للغزالي؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابرائي الشافعي (ت ٥٠٥ هـ)، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط ١، (١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

٢٣٢ - مختصر شرح لامية العجم، للدميري؛ الإمام العلامة الفقيه الأديب كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري القاهري الشافعي (ت ٨٠٨ هـ)، عني به محمد شادي عربش، ط ٢، (١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

٢٣٣ - مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، للطناحي؛ العلامة الدكتور المحقق محمود بن محمد بن علي بن محمد الطناحي المنوفي المصري (ت ١٤١٩ هـ)، ط ١، (١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤ م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

٢٣٤ - مرقاة المفاتيح شرح «مشكاة المصابيح»، لملا علي القاري؛ الإمام

المحدث الفقيه نور الدين أبي الحسن ملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي
المكي الحنفي (ت ١٠١٤ هـ) ، تحقيق جمال عيتاني ، ط ٢ ، (١٤٢٢ هـ ،
٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٣٥ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ البحر
جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضير
الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أحمد جاد المولى (ت ١٣٦٣ هـ)
والعلامة علي محمد الجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) والعلامة محمد أبو الفضل إبراهيم
(ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٨ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار إحياء
الكتب العربية لدى دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢٣٦ - المستدرک علی الصحیحین ، للحاکم ؛ الإمام الحافظ الناقد شيخ
المحدثين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم الطهماني
النيسابوري الشافعي (ت ٤٠٥ هـ) ، وبهامشه تعليقات الأئمة : البيهقي والذهبي
وابن الملقن وابن حجر العسقلاني ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، دار الميمان ،
الرياض ، السعودية .

٢٣٧ - المستطرف في كل فن مستظرف ، للأبشيهي ؛ الإمام الأديب الخطيب
بهاء الدين أبي الفتح محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي الشافعي
(ت ٨٥٤ هـ) ، عني به إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار صادر ،
بيروت ، لبنان .

٢٣٨ - مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، لابن حنبل ؛ إمام أهل الدنيا الحجة
الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ،
تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ،
(١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٢٣٩ - مسند البزار (البحر الزخار) ، للبزار ؛ الإمام الحافظ الكبير أبي بكر
أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور
محفوظ الرحمن زين الله (ت ١٤١٨ هـ) وعادل سعد وصبري عبد الخالق ،

ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ،
السعودية .

٢٤٠ - مسند الدارمي (سنن الدارمي) ، للدارمي ؛ الإمام الحافظ الفقيه
أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي السمرقندي الدارمي
(ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ،
٢٠٠٠ م) ، دار المغني ، الرياض ، السعودية .

٢٤١ - مسند القضاءي (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب) ،
للقضاءي ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ القاضي أبي عبد الله محمد بن
سلامة بن جعفر القضاءي الشافعي (ت ٤٥٤ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي
عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مؤسسة
الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٢٤٢ - مصارع العشاق ، للسراج القارئ ؛ الإمام الحافظ الأديب أبي محمد
جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ البغدادي الشافعي (ت ٥٠٠ هـ) ،
ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة لدى دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٢٤٣ - المصنف ، لعبد الرزاق ؛ الإمام الحافظ الثقة عالم اليمن أبي بكر
عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق
العلامة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ،
١٩٨٣ م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، بيروت ،
لبنان .

٢٤٤ - مطالع البدور في منزل السرور ، للغزولي ؛ العلامة الأديب الأريب علاء
الدين علي بن عبد الله الغزولي البهائي التركي المملوكي (ت ٨١٥ هـ) ، ط ١ ،
(١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .

٢٤٥ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، للعباسي ؛ الإمام المحدث
الأديب الشريف أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي
(ت ٩٦٣ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ،

ط ١ ، (١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المكتبة التجارية الكبرى لدى عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

٢٤٦ - معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، لياقوت الحموي ؛ العلامة المؤرخ الأديب الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) ، قدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان .

٢٤٧ - المعجم الأوسط ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية .

٢٤٨ - المعجم الكبير ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٤٩ - معجم المطبوعات العربية والمعربة ، وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية (١٣٣٩) الموافقة لسنة (١٩١٩) ميلادية ، لسركيس ، الأديب الكاتب يوسف بن إليان بن موسى سركيس الدمشقي (ت ١٣٥١ هـ) ، بدون تحقيق ، طبعة مصورة لدى مكتبة المرعشي النجفي ، قم ، إيران .

٢٥٠ - معيار العلم ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابرائي الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٢٥١ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام ؛ إمام العربية واللغة

المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري الشافعي الحنبلي (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق الدكتور العلامة مازن المبارك والعلامة محمد علي حمد الله (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢٥٢ - مفتاح العلوم ، للسكاكي ؛ إمام العربية والأدب سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (ت ٦٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندواوي ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٥٣ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، للسخاوي ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، عني به عبد الله محمد الصديق الغُمّاري (ت ١٤١٣ هـ) وعبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

٢٥٤ - مقامات الحريري ، للحريري ؛ الإمام البارع ذو البلاغتين أبي محمد القاسم بن علي بن محمد البصري الحرامي الحريري الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، مصورة عن طبعة بولاق لدى دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٢٥٥ - مقدمة ابن خلدون ، وهي مقدمة كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» ، لابن خلدون ؛ الإمام المؤرخ نادرة العصر ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٦ م) ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، مصر .

٢٥٦ - مقدمة الأدب ، للزمخشري ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، ط ١ ، (١٨٤٣ م) ، مطبعة ابن قنيسل ، لايبزيغ ، ألمانيا .

٢٥٧ - المقدمة الجزرية (منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه) ، لابن الجزري ؛ الإمام الحجة المحقق شيخ الإقراء شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي العمري الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) ، تحقيق الشيخ أيمن رشدي سويد ، ط ٧ ، (١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٧ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٢٥٨ - مكارم الأخلاق ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

٢٥٩ - مناقب الشافعي ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجدي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق العلامة السيد أحمد صقر (ت ١٤١٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .

٢٦٠ - المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢٦١ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق العلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٣ م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٦٢ - النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ؛ الإمام الحجة المحقق شيخ الإقراء شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي العمري الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) ، عني به شيخ عموم المقارئ المصرية العلامة

نور الدين علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ)، ط ١، (دون تاريخ)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة التجارية الكبرى لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٦٣ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري؛ الحافظ المؤرخ الأديب شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقري التلمساني المالكي (ت ١٠٤١ هـ)، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ)، ط ١، (١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٦٤ - نفحة اليمن بما يزول بذكره الشجن، للشرواني؛ العلامة الأديب أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشرواني اليمني الشافعي (ت ١٢٥٣ هـ)، بدون تحقيق، ط ١، (١٣٢٤ هـ، ١٩٠٦ م)، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، مصر.

٢٦٥ - النكت في إعجاز القرآن، للرماني؛ الإمام النحوي المتكلم أبي الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني البغدادي المعتزلي (ت ٣٨٦ هـ)، العلامة الدكتور محمد زغلول سلام (ت ١٤٣٤ هـ) ومحمد خلف الله أحمد، ط ٦، (١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

٢٦٦ - نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري؛ المؤرخ البحاثة شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣ هـ)، بعناية مجموعة من الباحثين، ط ١، (١٣٤٢ هـ، ١٩٢٣ م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

٢٦٧ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيرى الشافعي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، ط ١، (دون تاريخ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.

٢٦٨ - الوافي بالوفيات، للصفدي؛ الإمام المؤرخ الأديب صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي الدمشقي الشافعي

(ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط ٢ ، (١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢ م) ،
دار فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ألمانيا .

٢٦٩ - الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجاني ؛ الإمام الحافظ الفقيه
القاضي الأديب أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسين الجرجاني الثقفي
الشافعي (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ،
والعلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ،
المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

٢٧٠ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ؛ الإمام المؤرخ قاضي
القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي
الإربليي الدمشقي الشافعي (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس
(ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٢٧١ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، للشعالبي ؛ إمام اللغة والأدب
أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ،
تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، لبنان .



محتوى المجلد الرابع

فن نقد الشعر

- ٧
- ٩ • الناس في نقد الشعر وسائر الكلام صنفان
- ١٠ - نقد الإمام الباقلاني لمعلقة امرئ القيس
- ٣١ - إنصاف المعلقة مما ورد عليها من الانتقاد
- ٣٨ - نقد لبعض قصائد البحثري
- ٦٤ - ذكر قصيدتين مستجادتين للبحثري
- ٦٤ * القصيدة الأولى : (أهلاً بذلكم الخيال المقبل)
- ٦٨ * القصيدة الثانية : (في الشيب زجر له لو كان ينزجر)
- ٧٢ - أقسام الشعر أربعة
- ٧٤ فصل : في صناعة الشعر ووجه تعلمه
- ٧٥ - الشعر ديوان علوم العرب
- ٧٦ - مراد أهل صناعة الكلام بالأساليب
- ٨٠ - حد المؤلف للشعر
- ٨٢ - كيفية عمل الشعر
- ٨٥ - معنى كلمة (الذوق) عند ابن خلدون
- ٩٢ - نبذة من أشعار البارودي في محاكاة بعض قصائد السابقين
- ٩٢ * قصيدة لأبي نواس يمدح فيها أمير مصر

- * الأمير البارودي يحاكي أبا نواس في قصيدته ٩٧
- * قصيدة لأبي نواس يمدح الأمير محمد بن الرشيد ١٠٢
- * محاكاة الأمير البارودي لأبي نواس في قصيدته ١٠٤
- * قصيدة للشريف الرضي في مدح آل البيت ١٠٧
- * محاكاة الأمير البارودي للشريف الرضي في قصيدته ١١١
- * قصيدة أبي فراس الحمداني يشتكي فيها إلى سيف الدولة ١١٦
- * محاكاة الأمير البارودي لأبي فراس الحمداني في قصيدته ١١٨
- * قصيدة النابغة الذبياني ١٢١
- * محاكاة الأمير البارودي للنابغة الذبياني في قصيدته ١٢٣
- * خوض البارودي حربين ضد جزيرة أفریطش وروسيا ١٢٧
- * قصيدة البارودي يصف سفره للحرب وتشوقه إلى مصر ١٢٧
- * قصيدة من البارودي للمؤلف أثناء حرب الروس ١٢٩
- * قصيدة أخرى من البارودي للمؤلف ١٣٠
- قصائد منتخبة لمشاهير الشعراء حسب طبقاتهم ١٣٩
- الطبقة الأولى ١٤٠
- المفاضلة بين امرئ القيس وعلقمة الفحل في صفة جري الفرس ١٤١
- قصيدة امرئ القيس ١٤١
- شرح وضبط قصيدة امرئ القيس ١٤٤
- قصيدة علقمة الفحل ١٥٤
- مرثية محمد بن كعب الغنوي في أخيه ١٥٩
- قصيدة من مختار شعر عُمير بن شَيْيم القطامي ١٦٣

١٦٧ من شعر جرير والفرزدق

١٧٢ الطبقة الثانية

١٧٣ من شعر أبي نواس في مدح هارون الرشيد

١٧٧ من خمريات أبي نواس

١٨٣ قصيدة لمسلم بن الوليد في مدح ابن المهلب مع شرحها

٢٠٣ قصيدة لأبي تمام في مدح المعتصم بالله

٢٠٩ قصيدة لابن نباتة السعدي في مدح ابن بويه

٢١٣ من شعر الشريف الرضي في النسيب

٢١٦ من شعر مهيار الديلمي

٢٢٣ من شعر الوزير الطغرائي في مدح أبي الفتح السلجوقي

٢٢٩ مرثية أبي الحسن التهامي في ابن له

٢٣٤ من شعر التهامي في مدح الأمير أبي نصر بن مروان

٢٤٠ قصيدة للأرجاني في مدح المسترشد بالله

٢٤٤ الطبقة الثالثة

٢٤٤ قصيدة لابن نباتة المصري في مدح النبي ﷺ

٢٤٩ قصيدة أخرى لابن نباتة المصري في تهنئة ملك وتعزيتة

٢٥٣ قصيدة للحلي في مدح الناصر بن قلاوون



٢٥٩ الجهة الثانية : في عشرة أصول يعتمدها الكاتب في المكاتبات

٢٥٩ الأصل الأول : حسن الافتتاح

٢٦١ الأصل الثاني : براعة الاستهلال

- الأصل الثالث : المقدمة المشتملة على المقاصد الجليلة للموضوع ٢٦٣
- الأصل الرابع : معرفة مراتب الألفاظ ومواقعها ٢٦٥
- الأصل الخامس : معرفة مراتب الأدعية ومواقعها ٢٧٠
- الأصل السادس : معرفة الألقاب وصفاتها ومقدار من يكتب إليه ٢٧٩
- الأصل السابع : مراعاة مقاصد المكاتبات ٢٨١
- الأصل الثامن : معرفة طبقات المخاطبين ورتبهم ٢٨٤
- تنبيه : في أن المراد بالفصيح عند الخاصة ٢٨٧
- الأصل التاسع : مراعاة رتبة المكتوب عنه وإليه في الخطاب ٢٨٨
- الأصل العاشر : مراعاة مواقع الآيات والسجع في الكتب ٢٩٣



- الجهة الثالثة : في ذكر أمثلة معينة لفهم هذه الصناعة ٣٠١
- كتاب رسول الله ﷺ لقيصر الروم ٣٠١
- كتاب رسول الله ﷺ لكسرى ملك الفرس ٣٠١
- كتاب رسول الله ﷺ لأكيدر صاحب دومة الجندل ٣٠٢
- كتاب رسول الله ﷺ لوائل بن حُجر رضي الله عنه مع تفسير ألفاظه ... ٣٠٤
- كتاب رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه ٣٠٧
- كتاب رسول الله ﷺ للمنذر بن ساوى ٣٠٧
- كتاب سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لأهل الردة ٣٠٨
- كتاب سيدنا عُمر بن الخطاب لعمرو بن العاص رضي الله عنهما ٣١٠
- جواب سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه ٣١١
- كتاب سيدنا عثمان لسيدنا علي رضي الله عنهما ٣١٢

- ٣١٣ - كتاب سيدنا علي رضي الله عنه للأشتر النخعي
- ٣٢٩ - نصيحة الأمير عبد الملك بن صالح لمعلم الصبيان
- ٣٣١ - وصية أبرويز أحد الأكاسرة لكاتبه
- ٣٣٢ - وصية أكثم بن صيفي لقومه
- ٣٣٣ - نصيحة أردشير بن بابك إلى الملوك من بعده
- ٣٤٠ كتاب الإسكندر إلى الحكيم أرسطو
- ٣٤١ - جواب الحكيم أرسطو إلى الإسكندر
- ٣٤٤ كتاب من عبد الملك بن مروان للحجاج مع جوابه
- ٣٥٢ - كتاب آخر من أمير المؤمنين عبد الملك للحجاج مع جوابه
- ٣٥٨ - كتاب من سليمان بن عبد الملك للحجاج مع جوابه
- ٣٦١ تقسيم ابن خلدون الإنشاء إلى طبقات
- ٣٦٣ - تقسيم طبقات الإنشاء إلى ثلاث
- ٣٦٥ - وصية عبد الحميد بن يحيى للكتاب بمحاسن الآداب
- ٣٧١ - أمثلة للطبقة الثانية
- ٣٧١ كتاب المعتصم إلى نواحي بلاد المسلمين
- ٣٧٦ كتاب الخليفة الطائع إلى أبي كيجار بن بويه
- ٣٧٧ تعزية الخليفة المقتفي للسلطان مسعود بوفاة ابنه
- صورة جواب عن المقتفي إلى مسعود السلجوقي بعود خارج عن
الطاعة ٣٧٩
- ٣٨١ - جواب الحافظ لدين الله أبي الميمون للأمير ابن ظهير الدين
- ٣٨٣ - كتاب الصابئ عن ابن بويه إلى المطيع لله

- ٣٩٣ - كتاب الملك صلاح الدين إلى مقر الخلافة ببغداد
- ٣٩٧ - كتاب السلطان صلاح الدين إلى ديوان الخلافة
- ٤٠٠ - عهد من المستعين بالله إلى الملك العادل مظفر شاه
- ٤٠٦ - عقد نكاح السلطان الناصر فرج لبعض بنات أمراءه
- ٤١١ - تقليد قضاء القضاة بدمشق لابن الآدمي الحنفي
- ٤١٣ - تقليد نظر البيمارستان لأبي الحسن علي الحنبلي
- ٤١٥ - تقليد نظر المساجد لأبي الفتوح
- ٤١٨ - كتاب ودادي من ابن حجة الحموي إلى القاضي الدماميني
- ٤٢٤ - رسالة من ابن حجة في إتمام مقامة استعصت على القاضي الفاضل ...
- ٤٢٧ - من منشآت الوزير الأديب عبد الله فكري بك
- ٤٢٧ * جواب تحية وسؤال
- ٤٣٥ * مقالة من أهل الصعيد لولي النعم الخديوي السعيد
- ٤٣٦ * فرمان بتنصيب محافظ
- ٤٣٧ * مما كتبه الوزير فكري بك لبعضهم
- ٤٣٩ * كتاب من الحضرة الخديوية إلى سلطان المغرب
- ٤٤١ * كتاب إلى سلطان زنجبار
- ٤٤٢ * فرمان من الحضرة الخديوية
- ٤٤٤ * كتاب من الحضرة الخديوية إلى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية
- ٤٤٨ * كتاب الحضرة الخديوية إلى من باشر واقعة أرقازي من الضباط الجهادية
- ٤٥٠ * كتاب من الحضرة الخديوية إلى ملك دارفور
- ٤٥١ * بعض المفاكهاة والمداعبات

٤٥٦ * عود لبعض مكاتبات الأمير

٤٧١ * مولد لهذا الأمير بحساب الجُمَّل



٤٧٢ خاتمة الكتاب

٤٧٢ خاتمة الطبع

٤٧٥ أهم المصادر والمراجع

٥٢١ محتوى المجلد الرابع

